۲۲۴

تفسیر بیان القرآن

٦٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذی اظهر الکتاب • واوضح الخطاب • وبیّن الآیات البیّنات فی کل باب
تذکرة لارباب الالباب • وتبصرة لرفع حجاب اصحاب الاحتجاب • والصلوة والسلام
علی الرسول الکریم • الذی انزل علیه القرآن العظیم • وارسل بالفرقان الفخیم • وعلی آله واصحابه
واتباعه واشیاعه • السالکین طریق القویم • والهادین الی السبیل المستقیم •
اما بعد فیقول خادم الکلام القدیم والحدیث النبوی • علی بن سلطان محمد القاری
الهروی • عاملهما الله بلطفه الخفی • وکرمه الوفی • قد ورد عن ابن مسعود رضی الله عنه
مرفوعا ان القرآن • انزل علی سبعة احرف لکل آیة منها ظهر وبطن • ولکل حرف
حد ومطلع فالظاهر تلاوة المبنی • والباطن تفهم المعنی • والحد احکام الاحکام • والمطلع
ما ینکشف من المرام • بعد هذا المقام • وقال الامام جعفر الصادق رض کتاب الله
علی اربعة اشیاء • العبارة والاشارة واللطایف والحقایق فالعبارة للعوام
والاشارة للخواص واللطائف للاولیاء والحقایق للانبیاء • وفی الحقیقة لا یعرف
حقایق کلامه • ودقائق مرامه • غیره سبحانه بتمامه • لان کلامه الازلیة • من نعته العلی •
وکما لا نهایة لذاته • لا غایة لصفاته • فان تحت کل حرف من حروفه بحارا من بحار الاسرار •
ونهرا من انهار الانوار • وقد قال عز من قائل ایماء الی عجز معرفة من سواه • ولو ان ما فی الارض
من شجرة اقلام والبحر یمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت کلمات الله • ای ظرایف مبانیها
ولطائف معانیها • لکنی مع قلة البضاعة وعدم الاستطاعة قصدت ان اغوص فی هذا
البحر العظیم • بعون الله الملک الکریم • رجاء ان یلمح لی بعض الاسرار السنیة • ویجمع لی بعض الانوار
البهیة • من الدرر المکنونة • والجواهر المخزونة • لیتقوی بها ظواهر الاشباح • ویروح منها
بواطن الارواح • جامعا بین عبارات العلماء • واشارات العرفاء • موجزا مجملا لا مطولا مملا •
حامدا مصلیا • مفوضا مسلما • فان اصبت فلله المنة فی المعونة • وان اخطأت فالیه المعذرة للمغفرة •
فابدأ بما بدأ الله تعالی به وعلمنا للخطاب بحسن خطابه للجمع بین البسملة والحمدلة • اشعارا الی حالتی البداءة
والتکملة حیث قال عزت ذاته وعظمت صفاته فی مفتتح کتابه القدیم • بسم الله الرحمن الرحیم
ای بجود واجب الوجود ایجادنا وامدادنا وبانعامه العمیم واحسانه الکریم • معاشنا ومعادنا
وقال الاستاد الامام ابو القاسم القشیری قدس سره الجلی • ای بالله ظهرت الحادثات وبه

وجدت المخلوقات • فقوم عند ذکر هذه الآیة یتذکرون من الباء بره باولیائه
ومن السین سره باصفیائه ومن المیم منته علی اهل ولائه • فیعلمون انهم ببره عرفوا سره
وبمنته علیهم حفظوا امره وبه سبحانه عرفوا قدره وآخرون تذکروا عند الباء بهاءه وعند السین
سناءه وعند المیم ملکه وکبریاءه • وقال العارف العاشق الشیخ روزبهان البقلی قدس
سره العلی فی تفسیره المسمی بعرایس البیان فی حقایق القرآن • روی عن النبی صلی الله علیه وسلم
ان الباء بهاؤه • والسین سناؤه • والمیم مجده فبهائه بقاء ارواح العارفین • وبسنائه سمت
اسرار السابقین • وبمجده وردت المواجید الی قلوب الواجدین • او الباء کشف البقاء لاهل
الفناء • والسین کشف سناء القدس لاهل الانس • والمیم کشف الملکوت لاهل النعوت •
او الباء بره للعموم • والسین سره للخصوص • والمیم محبته لخصوص الخصوص • او الباء بدو الهویة
والسین سر الربوبیة • والمیم منة الازلیة الابدیة • وقال بعضهم ان الباء باب الخزانة الالهیة
والسین سر الرسالة المصطفویة والمیم ملک الولایة المحمدیة • واما الله فلا یعرف سواه الا بقدر
ما هداه • ولهذا قالوا هو للتعلق وسائر اسمائه للتخلق • وقد قال سهل وجمهور العارفین انه
الاسم الاعظم لکن کما قال القطب الربانی الشیخ عبد القادر الجیلانی بشرط ان تقول
الله ولم یکن فی قلبک سواه وقیل بسم الله تریاق للعشاق یدفع الله به عنهم سم الدنیا
والم العقبی قلت والیه الاشارة فی حدیث النبی المکرم صلی الله علیه وسلم بسم الله الذی
لا یضر مع اسمه شیء فی الارض ولا فی السماء • ومن لطائف هذا الاسم الشریف الدال علی
بقاء ذاته المنیف انه یبقی دائما علی ما یراد به من معناه ولو سقط شیء من حروف مبناه فانه
اذا سقط الالف یکون لله واذا سقط احدی لامیه یصیر له واذا سقط الآخر یبقی
الهاء وهو غایة بدایة الاشارة الهویة • وقال الامام جعفر الصادق اسم الرحمن
للمرادین لاستغراقهم فی انوار الحقایق والرحیم للمریدین لبقائهم مع انفسهم واشتغالهم
بظواهر العلایق وکانه رضی الله عنه نظر الی زیادة المبنی تدل علی مزیة المعنی ولذا اختص
الاول فی الاطلاق به سبحانه بخلاف الثانی فانه یطلق ایضا علی غیره وقد یقال ان
رحمة الرحمن شاملة للمؤمنین والکافرین بخلاف رحمة الرحیم فانها مختصة بالمؤمنین فقد
یراد الرحمة وتتعلق الجذبة بالکافر والفاجر فهو اثر رحمة الرحمن وایضا رحمة الرحمن فی الدنیا
فهی سابقة علی العقبی فناسب المراد والمجذوب من العباد ولو قیل الرحمن للمرید والرحیم
للمراد له وجه فی مقام المرام فان رحمة الرحمن عامة شاملة للعوام بخلاف رحمة الرحیم فانها
خاصة للخواص الکرام ولذا قال الاستاد الرحمة ارادة النعمة او نفس النعمة بناء علی انها
صفة ذات الکمال او انها من صفات الافعال فنعمة هی للاشباح والظواهر ونعمة
هی للارواح والسرائر فالرحمن رزق الجمیع ما فیه راحة ظواهرهم والرحیم وفق المؤمنین
لما به حیات سرائرهم والرحمن بما روح والرحیم بما لوح فالترویح بالمبار والتلویح بالانوار
والرحمن بکشف تجلیه والرحیم بلطف تولیه والرحمن بما اولی من الایمان والرحیم بما اسدی

من العرفان والرحمن بما يهم به من الغفران والرحيم بما يمن به من الرضوان الحمد لله اى
حمده له بحق حمده لعجز عبده فى حمده عن حمده او الحامدية والمحمودية ثابتة له بالصفة الجامعة
ولذا قيل لا حامد لله سواه فهو الحامد والمحمود والواجد والموجود وقال بعضهم عن الله تعالى
لو عرفت ذلك عبدى لما شكرت غيرى ولما حمدت احدا بعدى ولذا يجب فى جميع
الاشغال ان يقال الحمد لله على كل حال قال الاستاد فطائفة حمدوه على ما لاح لقلوبهم
من عجائب لطفه واودع سرائرهم من مكنونات بره وقوم حمدوه عند شهود
ما كاشفهم به من صفات القدم ولم يردوا من ملاحظة الفرد الكرم الى تصفح اقسام
النعم وثائق خصائص القسم وفرق بين من يحمده بعز جلاله وبين من يشكره على
وجود افضاله وقد قال رجل بين يدى الجنيد الحمد لله فقال له اتمها كما قال الله رب العالمين
فقال له الرجل ومن العالمون حتى يذكر مع الحق فقال فان الحدث اذا قارن بالقديم لا يبقى
له اثر قلت وكان المريد لم يصل بعد الى مقام المزيد حيث وقف فى مرتبة الجمع بعد التفرقة
فاراد الشيخ ترقيه الى مقام جمع الجمع حيث لا يمنع الكثرة عن الوحدة ولا الوحدة عن الكثرة
بل قيل الجمع بلا تفرقة يؤدى الى تعطيل وزندقة بخلاف جمع الجمع فانه مقام الحقيقة الجامعة
بين الشريعة والطريقة والمعنى مربى موجوداته لما خلقهم لهم مراتب تعيناته ومناصب
تنزلاته بحسب مناسبات تجلياته قال الاستاد اى مربى الاشباح بوجود النعيم
ومربى الارواح لشهود الكرم وفى العرائس مربى المريدين بلوامع انواره ولوائح اسراره ومربى
المحبين بحلاوة مناجاته ولذة مناداته ومربى المشتاقين بحسن وصاله ومربى العاشقين
بكشف جماله الرحمن الرحيم اى مفيض المنن الظاهرية ومفيد المنح الباطنية اولا واخرا فلا تكرار
فى الكلام مكررا وقيل الرحمن بالنعمة والرحيم بالعصمة وقيل الرحمن بالتجلى والرحيم بالتدلى وقيل
الرحمن بكشف الانوار والرحيم بحفظ الاسرار وقيل الرحمن بذاته والرحيم بصفاته وقال
ابو القاسم الجنيد روح الله روحه الرحمن اشارة الى لطفه والرحيم اشارة الى
عطفه وقال صاحب العرائس الرحمن محل طلوع انوار العناية والرحيم محل اشراق شمس الكفاية
مالك يوم الدين بالالف عاصم والكسائى والباقون بحذفه اى سلطان زمان ظهور
جزاء الاعمال ومالك رقاب ارباب الكمال واصحاب الجلال والجمال قال الاستاد ملك
قلوب العابدين فصرفها فى خدمته وملك قلوب العارفين فشرفها بمعرفته وملك
قلوب القانعين احسانه فطمعوا فى عطائه وملك قلوب الموحدين سلطانه فقنعوا
ببقائه اياك نعبد اى نخصك بالعبادة حيث لا معبود ولا مشهود ولا موجود سواك
ولا مطلوب ولا مرغوب ولا محبوب الا اياك واياك نستعين لان الاستعانة
والاستعانة من الغير المعبر عنه بالغين مع شهود الوجود المعبر بالعين فى عين
ارباب التوحيد هو عين الاشراك ففى الكلام اشارة الى التفرقة فى الجملة الاولى الجزئية
الجلية وايماء فى الثانية الى الجمع فى المرتبة الكلية العلية ولذا قال بعض اهل المعرفة الاستعانة

طلب العين

طلب العين والمعنى نسألك ان تجعلنا لك عابدين كانا نعاينك بعين اليقين
وهو اكمل مقامات العارفين كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم فى معرض البيان بعد
تعريف الاسلام والايمان الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال بعض العارفين
العبادة شغل كلك به وشغل القلب بمعرفته وشغل الروح بمجاهدة وشغل النفس بخدمته
وشغل اللسان بمدحته وقيل العبادة القيام بالظواهر والعبودة استسلام السرائر
وقال الاستاد العبادة تشير الى بذل الجهد والمنة والاستعانة تخبر عن استجلاب
الطول والمنة وبالعبادة وجود الشرف وبالاستعانة امان التلف والعبادة
نزهة القاصدين ومرتع الانس للمحبين ومربع البهجة للعارفين بها قرة اعينهم
وفيها مسرة قلوبهم ومنها راحة ارواحهم واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله ارحنا يا بلال
ولقد قال مخلوق فى مخلوق باحسن مقال يا قوم ثارى عند اسماء يعرفه السامعون والرائى
لا تدعنى الا بيا عبدها فانه اصدق اسمائى والاستعانة احلال رجلك بساحة كرمه
وتسليم كلك الى يد امره وحكمه وفى العرائس اياك نعبد بالعلم واياك نستعين بالمعرفة
وقيل اياك نعبد بامرك واياك نستعين بفضلك وقال سهل اياك نعبد بهدايتك
واياك نستعين بكلاءتك اهدنا الصراط المستقيم ارشدنا الى الطريق القويم
القوى وثبتنا على المنهج المستوى واوصلنا الى نهاية الجادة وبلغنا غاية السجادة
الجامعة بين اسرار الشريعة وازهار الذريعة واطوار الطريقة وانوار الحقيقة وقال
الاستاد اهدنا اليك واجعل اقبالنا عليك وكن عليك دليلنا ويسر اليك سبيلنا
واقم لنا همتنا واجمع بك همومنا واقطع اسرارنا عن شهود الاغيار ولوح فى قلوبنا
طوالع الانوار وافرد قصورنا اليك عن دنس الاثار وفى العرائس اى امل بقلوبنا
اليك واقم بهمتنا بين يديك وقيل اهدنا هدى العيان بعد هدى البيان وقيل ارشدنا
فى الدنيا الى الطاعات وفى العقبى الى الدرجات وقال جنيد كن طالب الاستقامة
ولا تكن طالب الكرامة فان الرب يطلب الاستقامة والنفس تشتهى الكرامة ثم
الاستقامة الظاهرة رعاية حدود الله والاستقامة الباطنة نفى خطور ما سوى الله
صراط الذين انعمت عليهم اى الذين احسنت اليهم من الانبياء والاولياء السالكين
طريق الاحياء المظاهر لنعوت الجمال فى مرآة الكمال على وجه عرفان الصفاء ولمعان
الضياء فى ميدان الفناء وايوان البقاء غير المغضوب عليهم اى غير طريق السالكين
سبيل الاعداء المتحققين بالاغيار المتشبهة بالهباء والهواء او الغبار المظاهر
لصفات الجلال والكبرياء الواقفين فى ظلمة البيداء ولا الضالين اى اولياء
الاهواء من اهل الابتلاء بانواع الادواء الواقعين فى حضيض السمعة والرياء لا الى
هؤلاء ولا الى هؤلاء وقال الاستاد المغضوب عليهم هم الذين صدمتهم هواجم
الخذلان وادركتهم مصائب الحرمان وكبستهم سطوة الرد وغلبتهم ابدى الطرد والصد

ويقال هم الذين انسوا بنفحات التقريب زمانا ثم اظهر الحق سبحانه في بابهم شانا
بدلوا بالوصل بعادا وطمعوا في القرب فلم يجدوا مرادا اولئك الذين ضل سعيهم
وخاب ظنهم ولا الضالين عن شهود سوابق الاختيار وجريان تصاريف
الاقدار او غير المغضوب عليهم بتضييعهم آداب الخدمة ولا الضالين بتقصيرهم في اداء
شرط الطاعة وقيل غير المغضوب عليهم في طريق الهلكى ولا الضالين عن طريق
الهدى لاتباع الهوى وقد جاء في الصحيح تفسير المغضوب عليهم باليهود ولا الضالين
بالنصارى والظاهر انه يراد بهما المثال لا الانحصار المراد بهذا المثال ولعل وجه التخصيص
بهما انهم كانوا داخلين في من انعمت عليهم ثم آل مآل امرهم الى نسبة الغضب والضلال
اليهم والا فمعناهم سائر الكفرة ويلحق بهم بقية الفجرة لا سيما الناصبة والرافضة
مع الاباء الى ان مدار الامر على الخاتمة الحاكية عن السعادة او الشقاوة السابقة ولذا
آمين خاتم رب العالمين قال الاستاد وكانه يستدعي بهذه المقالة التوفيق للاعمال
والتحقيق للآمال وقال ابن عطا اي كذلك فافعل ولا تكلني الى نفسي طرفة عين اي فانه
حينئذ اقع في العين المشير الى الاين من البين وقال الصادق اي قاصدين نحوك
وانت اعز من ان تخيب قاصدا فكانه رضي الله عنه قراه بالتشديد او حمله على
التخفيف ولعل التقدير نسالك قاصدين نحوك في الثناء والدعاء او يجعل حالا
من الضمير في اهدنا وعن جعفر الصادق ان الكتب السماوية مودعة في الفاتحة وهي
بجميع معانيها مودعة في البسملة وجميع اسرارها مودعة في الباء اي بي كان ما كان وبي
يكون ما يكون وقال غيره وجميع انوار الباء مندرجة تحت نقطتها اذ هي مركز دائرة
الوجود ومدار آثار الفيض والجود بسم الله الرحمن الرحيم اي باسمه بدا لفناؤه وبرسمه
ظهر الاؤه قال الاستاد الاسم مشتق من السمو او السمة فسبيل من يذكر هذا الاسم
ان يتسم بظاهره بانواع المجاهدات ويسمو بهمته الى محال المشاهدات فمن عدم سمة
المعاملات على ظاهره وفقد سمو الهمة الى المواصلات بسرائره لم يجد لطايف الذكر
عند قالته ولا كرائم القرب في صفاء حالته والمعنى باسم من تفرد بالقوة والقدرة
وتوحد في ابتداء الفضل والنصرة فسماع الالهية يوجب الهيبة والاصطلام وسماع
الرحمة يوجب القرب والاكرام الم اي انا الله اعلم بعموم انواع العالم وبخصوص
افراد اولاد آدم وقيل الالف الف الواحدية واللام لام اللطف والميم ميم الملك
فمعناه من وحدني على الحقيقة باسقاط العلائق والهوى تلطفت له في اخراجه من العبودية
الى الملك الاعلى والاتصال بمالك الملك دون الاشتغال بشيء من الملك وقال بعضهم
تحير عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا ان لا سبيل الى معرفة حقايق كتابه وقال
الاستاد قال قوم لكل كتاب سر وسر الله في القرآن هذه الحروف المقطعة وعند
قوم انها مفاتيح اسمائه المعظمة وقيل الالف اشارة الى الله واللام الى جبرائيل والميم محمد

اي هذا الكلام نزل من الله الملك العلام على لسان جبرئيل الى محمد عليهما السلام ويقال
يطالب العبد في سره عند مخاطبته بالالف بانفراد قلبه لربه وعند مخاطبته باللام بلين
جانبه لاداء حقه وعند سماع الميم لموافقة امره ذلك الكتاب اي هذا الكتاب الجامع وهذا
اللباب اللامع او ذلك الصراط هو الكتاب المحيط لكل نوع من الابواب لا ريب فيه
اي لاهل اليقين في الدين ولا عبرة بالشاكين والمنكرين وفي الواشي هذا مفتاح خزائن
اسرار الكتاب ومصباح كنوز لطائف الخطاب وبانجلائها ينكشف جميع القرآن لاهل البيان
لان من عرف معانيها تفتح بها اقفال المتشابهات ويقتبس بسناها انوار الآيات وقال
الاستاد مفاتحة الاحباب بالخطاب والكتاب من اجل النعم واكرم الحسنى اذ هي سبب
الوصال وابتداء تاسيس الحال وانشد ورد الكتاب بما اقر الاعينا وشفى القلوب
فنلن غايات المنى • وتقسم الناس المسرة بينهم • قسما وكان اجلهم حظا انا وقيل
ذلك الكتاب الذي وعدتك انزاله عليك يوم الميثاق ايها المشتاق وقيل ذلك
الكتاب الذي كتبت الرحمة على نفسي لامتك قبل خدمتك وقيل الكتاب الذي
هو سابق حكمي وقديم قضائي لمن حكمت له بالسعادة او حكمت عليه بالشقاوة وقيل هو
حكمي الذي اخبرت ان رحمتي سبقت غضبي وقيل اشارة الى ما كتب في قلوب اوليائه
من الايمان والعرفان والمحبة والاحسان لا شك فيه انه حق ولا مرية انه صدق او لا تشكوا
فانه ليس من قبيل ما يشك فيه عند الموقنين بل هو هدى للمتقين اي هو هاد لمن اراد
الله تقواه وتعلق به اخلاصه بخلاصه عما سواه فهذا الكتاب للاولياء شفاء ودواء
وعلى الاعداء شقاء وبلاء كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين فقوله تعالى هدى للناس
انما هو للاستيناس ليكون حجة على من زل عن المحجة وقال الاستاد المتقي من اتقى
رؤية تقويه ولم يستند الى تقويه ولم ير نجاته الا بفضل مولاه والمعنى هذا بيان وحجة
وضياء ومحجة لمن وفاه الله سبحانه من ظلمات الجهل وبصره بانوار العقل واستخلصه
بحقايق الوصل الذين يؤمنون بالغيب اي يصدقون بما غاب عن اعين العباد مما
اخبر الله به من احوال المبدا والمعاد قال الاستاد حقيقة الايمان التصديق
والتحقيق وموجب الامرين التوفيق فالتصديق بالعقد والتحقيق ببذل الجهد في حفظ
العهد ويقيمون الصلوة اي يديمون العبادة البدنية التي هي معراج الارواح الانسية
في مدراج الاشباح القدسية قال الاستاد نفوسهم مستقبلة الى القبلة وقلوبهم
مستغرقة في حقايق الوصلة شعر اراني اذا صليت يممت نحوها • بوجهي
وان كان المصلى ورائيا • اصلي فما ادري اذا ما قضيتها • اثنتين صليت الضحى ام ثمانيا
فاصحاب العموم يجتهدون عند افتتاح الصلوة ليردوا قلوبهم الى معرفة ما يؤدون ولكن
عن اودية الغفلة ما يرجعون وارباب الخصوص يردون قلوبهم الى معرفة ما يؤدون ولكن
عن حقايق الوصلة ما يرجعون فشتان ما بين غائب يحضر احكام الشرع ولكن عن

اوطائر الغفلة وبين غائب يرجع الى احكام الشرع ولكن عن حقائق الوصلة ومما رزقناهم
ينفقون اى ومن جملة ما اعطيناهم من المنن المالية والنعما عليهم من المنح الحالية يصرفونه
فى مرضاة الملك المتعال ليصلوا الى حسن المنال فى المآل وقال الاستاد ينفقون
نفوسهم فى آداب العبودية وقلوبهم على دوام مشاهدة الربوبية فالزاهدون انفقوا
فى طريقه متابعة هواهم واثروا رضاء الله على مناهم والمريدون انفقوا فى سبيله
ما شغلهم عن ذكر مولاهم ولم يلتفتوا الى شئ من دنياهم وعقباهم والعارفون انفقوا
فى تحصيله سوى مولاهم فعوضهم الحق سبحانه وآواهم والذين يؤمنون بما انزل
اليك اى من القرآن المنعوت بالفرقان وهو للغيب بمنزلة البيان وما انزل من الكتب
وصحف الانبياء من قبلك اى على من قبلك من الاعيان والمراد الايمان بجميع الكتب المنزلة
والايقان بجميع الانبياء المرسلة حيث كانت كلمتهم متفقة على مسئلة وحدة الالوهية
المحكمة وبالآخرة اى وبالامور الواقعة فى الحالة الآخرة من مواقف القيمة وخصت بالذكر
لانها من الامور المهمة هم اى المتقون لا غيرهم يوقنون اى يعلمون علم يقين ليس
فيه حدس ولا تخمين بل كانها نصب عين لهم فى المرأى حيث اعرضوا عن الدنيا واقبلوا
على العقبى لاقبال وصال المولى فلا يغفلون عنها ساعة ويفعلون فى كل ساعة منها
طاعة وفيه ايماء الى ما قال عامر بن عبد القيس تنبيها لو كشف الغطاء ما ازددت
يقينا فنسئل الله يقينا عن غيره يقينا اولئك اى المؤمنون بما ذكر والموصوفون
بما سطر على هدى اى مستعلون على هداية عظيمة ومستولون على عناية جسيمة من ربهم
اى من جميل فضله وكرمه وجزيل لطفه ونعمه فى الدنيا واولئك هم المفلحون اى الناجون
الفائزون الواصلون الكاملون فى العقبى قال الاستاد ولقد نال القوم البقاء فى مشهد
اللقاء وظفروا فى بقهر الاعداء هذا ولما فتح الله الفاتحة بذكر المنعم عليهم من المؤمنين
ثم عقبهم بذكر المغضوب عليهم من الكافرين واتبعهم بذكر المنافقين والمرائين اشعارا بما
ورد فى الكلام القدسى والحديث الانسى حيث قال ربى سبقت رحمتى غضبى فقال
ان الذين كفروا اى تعلق علم الله بوجود كفرهم وكفرانهم وبعدم شكرهم وايمانهم
سواء عليهم اى مستو اليهم ومثلا ولديهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم اى انذارك
اياهم وتركهم فى طغيانهم فمثلهم كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث واما بالنسبة
الينا فلا يستوى تخويفهم وعدمه علينا لحصول اجر تبليغك لدينا سواء عليك ايمانهم
وكفرانهم والحال انهم لا يؤمنون فانهم لا يؤمنون لعدم تصور قلب علمه سبحانه جهلا ولا
تبديل لخلق الله اصلا فيما اراد بهم فضلا او عدلا واما فائدة الانذار منفعة الابرار
ومنفعة الحجة على الفجار لا يقال فاذن يجب عدم ايمانهم بل يجب وقوع كفرانهم فيلزم امر
نحو ابى جهل بالعلم من التكليف بالمحال وفيه اشكال عظيم من كل حال لانا نقول ليس
ايمان نحو ممتنعا لذاته بل لتعلق علم الله بصفاته على ان بعض العارفين من المحققين

الواقفين صرح بان امر الايمان لاهل الكفران انما هو للتعجيز وظهور البرهان وتبيان
الامتحان لافراد الانسان والحاصل ان سر القدر يعجز عنه البشر وقد قال الاستاد فلما لم يؤمنوا
لم يؤمنوا لحكم سبق من الله حتم وقول له فصل وان القدرة لا تعارض بالقوة ومن زاحم الحق
فى القضية كبسته سطوات العزة ويقال كان الكافر لا يرعوى عن ضلالة لما سبق من
شقاوته فكذلك المربوط باغلال نفسه محجوب عن شهود غيبه وغيبته فهو لا يبصر رشده
ولا يسلك قصده ويقال ان الذى بقى فى ظلمات دعاويه سواء ضده نصح المرشدين
وتسويل المبطلين لان الله سبحانه نزع عن احواله بركات الانصاف فلا يدرك
بسمع القبول ولا يصغى الى داعى الرشاد ومن يضلل الله فما له من هاد ختم الله على قلوبهم
استيناف بيان وتعليل بعد الحكم والمعنى طبع الله بالقدرة القاهرة والقوة الباهرة
ختما حسيا او منعا معنويا كما قدره حتما مقضيا على قلوبهم لئلا يعقلوا اسرار مطلوبهم
وعلى سمعهم مع مسامعهم فى محافلهم ومجامعهم لئلا يفهموا انذار محبوبهم فهم محرومون عن
الادلة العقلية ومحجوبون عن الدلائل النقلية وعلى ابصارهم اى مواضع انظارهم
غشاوة اى غطاء عظيم مانع عن عطاء جسيم فهم ممنوعون عن رؤية الآيات فى الدنيا
وعن مشاهدة الذات فى العقبى ولهم عذاب عظيم اى حجاب ظلمانى وعقاب روحانى
وجسمانى من كمال عظمته لا يمكن بيان كميته وكيفيته وقال الاستاد لهم عذاب عظيم
بحسبانهم انهم على شئ وسيم وغفلتهم عما منوا به من المحنة والزوال فى الحال والمآل
فى العاجل فرقة وفى الآجل حرقة ومن الناس اى ومن جملة الكفار المشتبهين بالناس
من يقول باللسان آمنا بالله وباليوم الآخر بناء على الاكتفاء بذكر طرفى المؤمن به عن
سائر ما يتم الايمان بسببه وما هم اى والحال ليس هؤلاء القائلون بمؤمنين اى بالجنان
والمعنى ومن الناس من يتفوه بالايمان والايقان بالله على حسب الظاهر ويظهر الاحسان
فى الاعمال المترتب على الايمان باليوم الآخر وما هم بكاملين فى الايمان لعدم اخلاصهم فى
الاحسان او لما ذكر الله طائفة ممن سبقت له العناية وحصلت له الهداية من البداية
الى النهاية او وصلت اليه جذبة فى آخر حاله قبل انقضاء اجله وبين قوما طبعوا على كفرهم
فى تمام عمرهم اظهر حال جمع يكونون مؤمنين فى بدء امرهم ثم نعوذ بالله سبحانه حكم بتغيير
احوالهم فى انتهاء آجالهم ولذا بعض السلف على خلاف الخلق كانوا يخافون من مضمون
هذه الآية ان تقضى لاحد منهم سوء الخاتمة نسأل الله العافية وقال الاستاد لما عدموا صدق
الاحوال لم ينفعهم صدق الاقوال يخادعون الله اى بزعمهم والذين آمنوا اى بمكرهم
حيث يظهرون الايمان ويبطنون الكفران ويحسنون الاعمال الصالحة على قصد
الرياء والسمعة او ان الجلالة اجلال للمؤمنين واعظام للمخلصين حيث نزل ذاته
الاقدس منزلة جماعتهم الانفس وعده واحدا منهم مشاركا معهم فى الدفع عنهم او المقدر
يخادعون رسول الله فان مخادعته بمنزلة مخادعة الاله كقوله تعالى ان الذين يبايعونك

انما يبالغون الله وانما اتى بصيغة المغالبة على ارادة المبالغة اى يبالغون فى خدعتهم
من جهة ريائهم وسمعتهم وما يخدعون اى فى الحقيقة الا انفسهم اى التى تلحقهم المضرة
دون غيرهم من ارباب الخبرة واصحاب البصيرة وفى قراءة نافع وابن كثير وابى عمرو وما يخادعون
اما للمشاكلة او على وجه المبالغة وفيه اشعار الى ان هذا كله بشآمة انفسهم وللعدول عن قبول
نصيحة انفسهم وما يشعرون اى وما يدركون ان وبال خداعهم عليهم ونكال فعالهم راجع
اليهم قال الاستاد والاشارة فى هذه الآية ان من تناسى لطفه السابق وقال لى
ولى ومنى وانا يقع فى وهمه وظنه لك وبك ومنك وانت وهذا التوهم اصعب العقوبات
لانه يرى سرابه فيظنه شرابه ولكن حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده
فوفاه حسابه فى قلوبهم مرض اى نوع عظيم من مرض الباطن المشتمل على الاخلاق
الذميمة من الشك والنفاق والرياء والسمعة باعتبار الخلقة والفطرة حيث لا ينفعهم
كلام الطبيب الموصوف بالخليل الحبيب فزادهم الله مرضا اى بانزال القرآن الذى
فيه شفاء الصدور وحيث امتنعوا عن دواء الايمان وغابوا عن مقام الحضور او دعا
عليهم بزيادة عرض المرض لديهم ولهم عذاب اليم اى حجاب جسيم وعقاب عظيم بما كانوا
يكذبون بالتخفيف للكوفى اى بكذبهم العنادى المؤدى الى كذبهم فى اخبارهم
عن انفسهم بالايمان وادعائهم مراتب اهل العرفان والايقان او بتكذيبهم الحق المطابق
المنجر الى تكذيب الرسول الصادق قال الاستاد والاشارة تحصل لمن خلط
قصده بحظه وشاب ارادته بهواه يتقدم فى الارادة بقدم ويتأخر بمتابعة النفس
باخرى فهو لا مريد صادق ولا متثبت موافق ولو صدق المريد فى الارادة لوصل بقلبه
الى حقايق الوصلة ولادركته بركات الصدق فيما رامه من الظفر بالبغية وان من سئمت
عبادته حيل بينه وبين الدرجات والنجاة ومن سئمت ارادته حيل بينه وبين المواصلات
فى القرب والمناجاة وانما الحسرة اذا رأوا اشكالهم الذى صدقوا كيف وصلوا
ورأوا انفسهم كيف خسروا واذا قيل لهم اى للمنافقين لا تفسدوا فى الارض اى بارض
قلوبكم او بلاد ربكم بالكفر والمعصية والرياء والسمعة قالوا انما نحن مصلحون اى ما نحن
الا مراعون جانب اهل الدنيا وطرف ارباب العقبى الا اى تنبهوا ايها المؤمنون
وبكلامهم لا تغترون انهم هم المفسدون اى حوالهم على انفسهم بالعقائد الفاسدة
واعمالهم بنياتهم الكاسدة ولكن لا يشعرون اى لا يفهمون كساد فهم لسوء
اعتقادهم وجهلهم بان الدنيا والآخرة ضرتان وفى مرتبة كفتين فلا يمكن الجمع بهما
الا بنقصان احدهما فهم كالمتردد بين اهل الارض والسماء لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء
واذا قيل لهم اى بطريق النصيحة خوفا من الفضيحة آمنوا كما آمن الناس اى كايمان
الصحابة ظاهرا وباطنا فانهم الناس الذين هم الاستئناس قالوا اى فيما بينهم
او فى انفسهم انؤمن كما آمن السفهاء اى الجهال بامور الدنيا ولم يعلموا ان البله هم

اكثر اهل

اكثر اهل الحسنى فى العقبى وهمزة الاستفهام مبالغة فى انكار المرام الا انهم هم السفهاء
اى الجهال باحكام العلوم والاعمال وما يترتب عليهما من المنال والمآل ولكن لا يعلمون
انهم يجهلون فجهلهم وقع مركبا وزيد عليهم العذاب مرتبا افاد الاستاد بالاشارة ان
اصحاب الغفلة اذا امروا بترك الدنيا وصفوا اهل الرشد بالكسل والعجز وقالوا ان الفقراء
ليسوا على شئ لانه لا مال لهم ولا جاه ولا راحة ولا عيش وفى الحقيقة هم الفقراء واصحاب الجنة
وقعوا فى الذل مخافة الذل ومارسوا الهوان خشية الهوان شيدوا القصور ولكن
سكنوا القبور وزينوا المهد ولكن ادرجوا اللحد وركضوا فى ميدان الغفلة ولكن عثروا
فى اودية الحسرة وعن قريب سيعلمون ولكن حين لا ينفعهم علمهم ولا يغنى عنهم شئ شعر
سوف ترى اذا انجلى الغبار * افرس تحتك ام حمار * واذا لقوا الذين آمنوا اى رأوا
المؤمنين المخلصين قالوا آمنا اى ذهب الكفر والرياء عنا لانعكاس مراياهم
وانجلاء مراياهم واذا خلوا الى شياطينهم اى واذا مضوا واخلوا الى اخوانهم من
شياطين الانس والجن واخدانهم قالوا انا معكم اى باطنا انما نحن مستهزؤن
اى باظهار الايمان معهم ظاهرا وفيه تحذير عن مخالطة الظلمة وارباب الغفلة وتنبيه على
معاشرة اصحاب الطاعة قال تعالى وهو اصدق القائلين يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وكونوا مع الصادقين قال الاستاد من رام ان يجمع بين طريق الارادة وما عليه اهل
العادة لا يستقيم له ذلك فالضدان لا يجتمعان والمكاتب عبد ما بقى عليه درهم واذا اقبل
الليل من ههنا ادبر النهار من ههنا ومن كان له فى كل ناحية خليط وفى كل زاوية من
قلبه سقط كان نهبا للطوارق قال قائلهم * اراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام
الله يستهزئ بهم اى يجازيهم على استهزائهم او يعاملهم معاملة اعمالهم باستدراجهم
فى احوالهم ويمدهم اى يزيد مددهم ومددهم وعددهم وعددهم بان يكثر مالهم واولادهم
فى طغيانهم اى فى حال ضلالتهم وعدوانهم يعمهون اى يتحيرون ويترددون قال الاستاد
لما القى القوم ازمتهم فى ايدى الشهوات استهوتهم فى اودية الفرقة فلم يستقر لهم
قدم على مقام وتطوحوا فى متاهات الغيبة وكايد الله المنافقين فى طغيانهم يعمهون
بتطويل مدة هؤلاء فى مخابيل الامل فيكونون عند اقتراب آجالهم اطول ما كانوا املا
واسوأ ما كانوا عملا ذلك جزاء ما عملوا ووبال ما صنعوا وتحسين اعمالهم القبيحة فى اعينهم
من اشد العقوبات ورضاهم بما فيه من الفترة من اجل المصيبات اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى اى استبدلوا ظلمة الضلال بنور الهداية واختاروها عليه
فى البداية والنهاية فما ربحت تجارتهم بل ظهرت خسارتهم وما كانوا مهتدين اى
فى علم الله على ما قضاه للعباد او ما كانوا قابلين للرشاد وبحسب تقدير الاستعداد
وفى الحديث ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك فقد
اهتدى ومن اخطاه فقد ضل وغوى وقد قال تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله

وهو اعلم بمن اهتدى وافاد الاستاذ ان الذى رضى بالدنيا عن العقبى لفى خسران
ظاهر ومن آثر الدنيا والعقبى على الحق تعالى لاشد خسرانا مثلهم اى صفة المنافقين
فى تحير امرهم وترددهم واختيار ضلالتهم وترك هدايتهم كمثل الذى استوقد نارا
اى اوقد نارا وجعلها منارا وحسب ان لها نورا يعقب حضورا وسرورا فلما اضاءت
اى انارت تلك النار ما حوله اى من سفل الدار وظن ان تلك النار وصف القرار
ذهب الله بنورهم اى اذهب وازال نور نارهم وتركهم فى ظلمات اى ناشية
من تلك الخيالات ودخانات الجنايات الحاصلة من الخيانات الكامنة فى تلك
الخيانات لا يبصرون اى شيئا من انوار الهدايات قال الاستاذ هذا مثل ضربه الله
تعالى سبحانه للمنافقين بمن استوقد نارا فى ابتداء ليله ثم طفئت فبقى صاحبها
فى ظلمة ظلمه كذلك المنافقون ظهر عليهم شئ من العوالى بظاهر ما اظهروا فى الدنيا
ثم امتحنوا باليم العقوبة فى العقبى او لاح شئ من نور اقرارهم ثم بقوا فى ظلمة انكارهم
والاشارة من هذه الآية لمن له بداية جميلة وعبارة جزيلة يسلك طريق الارادة
مدة ويقاسى بعد الشدة شدة ثم يرجع الى الدنيا قبل الوصول الى المرتبة الحقيقية ويعود
الى ما كان فيه من ظلمات البشرية وكان كما قيل • حين تم الهوى وقلنا سررنا ■
وحسبنا من الفراق امنا • بعث البين رسله فى خفاء • فابادوا من شملنا ما جمعنا •
او الاشارة الى من له ادنى شئ من المعانى فيظهر فوق ما هو به من الدعاوى فاذا انقطع
عنه مادة ما له من احواله بقى فى ظلمة وغواية ضلالته فهم صم عن سماع الحق بكم عن كلام
الصدق عمى عن درك الوفق فهم لا يرجعون عن ضلالتهم وجهالتهم لا بالعنف ولا بالرفق
قال الاستاذ اذ لم يسبق لهم الحكم بالاقلاع ولم تساعدهم القسمة بالارتداع او كصيب
اى او مثلهم العجيب الشأن ووصفهم الغريب البيان ذو باب تنوع التبيان كاصحاب
مطر نازل من السماء اى من جهة العلاء فيه اى مندرج فيه ظلمات اى انواع ظلمات
من الليل والسحاب وتكاثف القطرات ورعد وهو صوت ملك موكل بسحايب
الامطار وبرق يظهر من لمعان سوطه حين زجره بقعقعة النار يجعلون اصابعهم
اى رؤسها او كلها فى آذانهم للمبالغة فى حفظ اسماعهم من الصواعق اى من اجل
شدة صوت الرعد وحدة ضربة المتولد منه انفصال قطعة من المغمة حذر الموت
اى للاحتراز عن الموت كيلا يموتوا من شدة الصوت اولئلا تصيبهم الصاعقة
المفيدة للفوت والله محيط بالكافرين اى عالم بجزئيات احوالهم وكليات افعالهم
فيجازيهم وفق اعمالهم فالمطر مثل لما فى القرآن من حيوة القلوب والظلمات بيان
لما فى القرآن من ذكر الكفر والشرك وسائر العيوب والرعد مثل لما خوفوا به من الوعيد
والبرق مثل لما ذكر فيه من الوعد الاكيد وجعل الاصابع كناية عن عدم سماع الوعد والوعيد
المؤدى الى الايمان الذى هو كالموت عند اهل العدوان قال الاستاذ كذلك الاشارة

لاصحاب

لاصحاب الغفلات اذا طرق اسماعهم وعظ الواعظين او لاح بقلوبهم بعض انوار العارفين
ركنوا الى التشاغل بآمالهم الكاسدة واصروا على اعمالهم الفاسدة وتعللوا باعذار واهية
ولو اقلعوا عما هم عليه من الغفلة لسعدوا بانوار وافية وكذا الملول اذا اراد قطيعة مل الوصال
وقال كان وكان وكن مع هذا • ان الكريم اذا حباك بوده • ستر القبيح واظهر الاحسانا •
يكاد البرق يخطف ابصارهم اى يقرب ان يسلب انظارهم الظاهرة ما فى القرآن
من الحجج القاهرة الباهرة كلما اضاء لهم مشوا فيه اى كلما وافق هواهم وصادف مرعاهم
مضوا فى قبوله وسعوا فى حصوله واذا اظلم عليهم قاموا اى واذا لم يوافق غرضهم ومطلوبهم
ولم يطابق بغيتهم ومرغوبهم وقفوا وعن السير عكفوا وفيه اشارة الى قوله تعالى ومن الناس
من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه
قال الاستاذ وكذا احوال بعض المريدين من اصحاب الغفلات وارباب الشهوات اذا حضروا
مشاهد الموعظة او جنحت قلوبهم الى الرقة او داخلهم شئ من الوهلة يقرب احوالهم
من التوبة ويقوى رغبتهم فى الانابة حتى اذا رجعوا الى تدبيرهم وشاوروا قرناءهم اشار
الاهل والولد عليهم بالعود الى دنياهم وبسطوا فيهم لسان النصح وهددوهم بالضعف والعجز
فيضعف قصورهم ويسقط ارادتهم وصاروا كما قيل اذا ارعوى عاد الى جهله كذى الضنى
عاد الى نكسه ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اى الظاهرة كما ذهب بحواسهم
الباطنة والله على كل شئ شاءه قدير اى تام القوة كامل القدرة قال الاستاد
كذلك ارباب الغفلة والقانعون من الاسلام بظاهر الوسمة فالله تعالى قادر على سلبهم
التوفيق فيما يستعملونه من ظاهر الطاعات كما سلبهم التحقيق فيما يستبطنونه من صفاء
الحالات يا ايها الناس اى عموما وخصوصا اعبدوا ربكم اى وحدوه واطيعوه بامتثال
اوامره واجتناب زواجره على وفق تربيته وطبق تسويته الذى خلقكم اى الذى اوجدكم
من العدم والذين من قبلكم اى وخلق من قبلكم الى آدم لعلكم تتقون اى على رجاء
اتقائكم من الحجاب او لكى تحترزوا من اليم العقاب قال الاستاد اعبدوا بالتجرد
عن المحظورات والتجلد على اداء الطاعات ومقابلة الواجبات بالخضوع
والاستكانة والتجافى عن التعريج فى منازل الكسل والاستهانة الذى
جعل لكم الارض فراشا اى كبساط مفروش لينه هينه لا غليظ حزنه والسماء
بناء اى كقبة مبنية بلا عمد مرئية وانزل من السماء ماء اى ماء ممتزج بتراب
الارض سواء فاخرج اى الله سبحانه به اى بسبب انزاله وبواسطة ايصاله
من الثمرات اى من انواع المأكولات والمشروبات المستلذات الطيبات
رزقا لكم اى لتمتعكم ونفعكم بما يقويكم على طاعة ربكم فان الانسان خلق له كل
شئ من المنفعة وهو مخلوق لصرف عمره فى العبادة كما يشير اليه قوله سبحانه
هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا وقوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون

وفيه تعريض للكفار حيث انه خلقهم ورزقهم وعبدوا غيره مما لا يرجون نفعه ولا
يخافون ضيره ولذا قال تعالى فلا تجعلوا لله اندادا اى اذا كان الامر كما سبق حيث
ان الله سبحانه هو الذى خلق ورزق فلا تجعلوا له امثالا واشباها فضلا عن ان يكون له
اندادا واضدادا وانتم تعلمون ان ما سوى الله كلهم مخلوقون ومرزوقون فهم للعبادة
لا يصلحون فانهم لانفسهم لا ينفعون قال الاستاد تعرف اليهم بذكر ما من به عليهم
من خلق السماء لهم سقفا مرفوعا وانشاء الارض لهم فرشا موضوعا واخراج النبات
لهم بالمطر رزقا مجموعا فلا تعلقوا قلوبكم بالاغيار فى طلب ما تحتاجون اليه فان الحق
سبحانه متوحد بالابداع لا محدث سواه فاذا توهمتم شيئا من الحادثات من نفع
او ضرا وخيرا وشرا يحدث من مخلوق كان ذلك فى التحقيق شركا اى خفيا ولهذا ورد
فى الحديث من حلف بغير الله فقد اشرك وهذا بيان لاثبات الوحدة ثم شرع فى برهان
النبوة بقوله وان كنتم فى ريب اى شك وتردد عيب مما نزلنا على عبدنا اى من
جهة صدق ما نزلنا من الكتاب على عبدنا اى الذى اوتى فصل الخطاب فاتوا
بسورة اى بقطعة من الكلام على وجه النظام من مثله اى فيها بعض شبه به
من حسن مبانيه فى الفصاحة وزين معانيه فى البلاغة مع ما يتضمنه من المعجزات
والاخبار عن المغيبات المتعلقة باحوال العباد من اول المبدا الى آخر المعاد وادعوا
شهداءكم اى اطلبوا خطبائكم واستدعوا بلغائكم ممن يحضر المحافل ويدعى الفضائل
او استعينوا بالهتكم التى تدعونها وللعبادة تحضرونها من دون الله اى من
غيره سبحانه ان كنتم صادقين اى فى ان محمدا من الكاذبين فان لم تفعلوا
اى فى الازمنة الماضية ولن تفعلوا فى الاوقات الآتية اذ الاتيان بمثله من
المحالات العقلية والعادية قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا
القران لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وايضا ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا وهو بحمد الله لم يصادف فيه احد خللا يسيرا فاتقوا النار اى احذروا
دخولها واجتنبوا حصولها التى وقودها اى ما يوقد به هو الناس اى الكفار والفجار
والحجارة اى الاصنام التى نحتوها من الاحجار وعبدوها تبكيتا لعابديهم فى النار
او حجارة الكبريت التى هى اشد لا يقاد ولا منع من الجمع فى تعذيب اهل الابعاد
اعدت للكافرين اى هيئت جزاء لهم بالاصالة وللفاسقين بالتبعية ولما
كان من سنة الله سبحانه انه اذا خوف اعداءه بشر اولياءه قال وبشر الذين آمنوا
اى بالعقائد الحسنة وعملوا الصالحات اى الطاعات المستحسنة والمعنى اخبرهم خبرا يظهر به
اثر البشر على بشرتهم ان لهم جنات اى بان لهم حاصل حدائق ذات اشجار تجرى
من تحتها الانهار اى من تحت اشجارها ومساكنها او على وفق تصرف سكانها
او نسبة الجرى الى الانهار مجازية مشعرة بان لا انهار فى ذلك النهار ولا يبعد ان اللام

المعهودة للانهار الاربعة الموجودة فى قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن
لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى قال الاستاد هذه البشارة
بالجنان يتضمن تعريفا بنعم مؤجلة لعموم المؤمنين على الوصف الذى يشرحه لسان التفسير ويشير
الى البشارة للخواص بنعم معجلة مضافة الى تلك النعم يبيح الله لهم على التخصيص فتلك المؤجلة جنان
المثوبة وهذه المعجلة جنان القربة وتلك رياض النزهة وهذه رياض الزلفة بل تلك حدائق
الافضال وهذه حقائق الوصال وتلك رفع الدرجات وهذه روح المناجات وتلك قضية جوده
وهذه استقلال بوجوده وتلك راحة الابشار وهذه نزهة الاسرار وتلك لطف العطا
للظواهر وهذه كشف الغطاء عن نزهة السرائر وتلك لطف نوال وافضال وهذه كشف
جمال وجلال وقال صاحب العرائس ان لاهل المعرفة جنانا جنة العبودية وجنة الربوبية وجنة
المعرفة وجنة المحبة وجنة المشاهدة وجنة المداناة وجنة الوصلة وجنة التوحيد
وجنة البقاء وجنة البسط وجنة الرجاء وجنة الانبساط وجنة الصحو وجنة الملكوت
وجنة المكاشفة وجنة الحقيقة وجنة العلم ولكل جنة منها نهر تجرى تحتها يطول ام
تفصيلها وبيان تعليلها كلما رزقوا منها اى اطعموا من تلك الجنات من ثمرة اى من
اى نوع واحد من الثمرات رزقا اى مرزوقا قدر له مخلوقا قالوا هذا الذى رزقنا
من قبل اى هذا مثل النوع الذى اعطيناه من قبل هذا الوقت فى الدنيا او العقبى
واتوا به متشابها اى جيئوا بالمرزوق مشتبها فى اللون والصورة مختلفا فى الطعم
واللذة وهذا ابلغ فى مقام خرق العادة وافاد الاستاد ان اهل الجنة كما يتجدد عليهم النعم
فى كل وقت فالثانى عندهم على ما يظنون كالاول فاذا ذاقوه وجدوه فوق ما تقدم فكذلك
اهل الحقائق احوالهم فى التزايد ابدا فاذا رقى احدهم عن محله توهم ان الذى يلقاه فى هذا
النفس مثل ما تقدم فاذا ذاقه وجده فوق ذلك باضعاف كما قال قائلهم ما زلت انزل فى
وداد منزلا تتحير الالباب دون نزوله قلت واليه الايماء فى قول سيد الانبياء انه
ليغان على قلبى وانى استغفر الله سبعين مرة ولهم فيها ازواج مطهرة اى نساء
منظفات من الاوساخ الطبيعية والاخلاق الدنية والتغيرات البشرية وهم
فيها خالدون اى مقيمون دائمون ولما ضرب الله مثل العنكبوت والذباب فى محكم
الكتاب وتعجب الكفار من هذا الخطاب قال تعالى ان الله لا يستحيى ان يضرب
مثلا ما اى لا يترك ترك المستحيى ان يبين اى مثل كان محتاجا الى البيان مشتملا على
عبرة لمن اعتبر فى ميدان التبيان سواء كان حقير الجانب وعظيم الشان بعوضة
وهى صغير البق فكانها بعضه عطف بيان لمثلا وقوله فما فوقها عطف عليها اى فما
زاد عليها فى الجثة والكبر او فى الحقارة والصغر كما فى خلقه من العبر وقال الاستاد
الاستحياء من الله بمعنى الترك فاذا وصف نفسه بانه يستحيى من شئ فمعناه انه
لا يفعل ذلك واذا قال لا يستحيى فمعناه لا يبالى بفعل ذلك والخلق فى التحقيق بالاضافة

الى وجود الحق اقل من ذرة من الهباء فى الهواء لان هذا استهلاك محدود فى محدود
فسيان فى قدرته العرش والبعوضة فلا خلق العرش اشق واعسر ولا خلق البعوضة اخف
وايسر فانه سبحانه منقدس عن لحوق العسر واليسر فاذا كان الامر بذلك الوصف فلا
ينبغى ان يضرب بالبعوضة مثلا كما لا يستحيى ان يضرب بالعرش فما دونه مثلا وقيل انه
جهة ضرب المثل بالبعوضة انها اذا جاعت قويت فطارت واذا شبعت تشققت
وتلفت كذا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقيل فما فوقها الذباب ووجه الاشارة
فيه ان الوقاحة التى فى الذباب حتى انه ليعود عند المبالغة فى الذب لو كانت فى الاسد
لم ينج منه احد من الخلق ولكن لما خلق القوة فى الاسد خلق فيه تنافرا من الناس ولما
خلق الوقاحة التى فى الذباب خلق فيه ضعفا تنبيها منه سبحانه على كمال حكمته ونفاذ
قدرته ولا يبعد ان ذكر البعوضة ايآء الى قضية نمرود المردود حيث عذبه الله تعالى سنة
بادخال البعوضة فى دماغه حتى منعته من السنة وكان ضرب رأسه بالمقمعة على وجه القوة
من الحسنة وقيل هذا مثال للدنيا واهلها فان البعوضة تحيى اذا جاعت وتموت اذا شبعت
وكذلك اهل الدنيا اذا امتلأوا اماتا عليها وركنوا اليها اخذهم الله واماتت قلبهم واهلكهم لديها
فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اى المثل الذى مثل به هو الثابت عنده
المرقى به من سواه واما الذين كفروا فيقولون اى من جعلهم بالمثل والممثل به والمثل الذى
ليس له مثل ماذا اراد الله بهذا مثلا اى اى شئ اراده بهذا المذكور من جهة المثل المسطور
قال الاستاد لانهم سكرت ابصارهم بحكم الغفلة فلا يزيدهم ضرب الامثال الا زيادة
الجهل والاشكال واما من فتحت ابصار سرائره فلا ينظر الى الاغيار والاثار الا بنظر
الاعتبار فلا يزداد الا نفاذ الاستبصار يضل به اى بايراد المثل كثيرا اى ممن
ينكرونه ويكذبونه ويهدى به كثيرا ممن يصدقون به ويعرفونه قال تعالى وننزل
من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا فهو كالنيل
ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين وقد سئل الشيخ ابو اسحق الكازرونى قدس سره عن السر
فى اهل البدعة يستدلون بالقرآن كما ان اهل السنة يستنبطون الاحكام من هذا الفرقان
فقرأ الشيخ هذه الآية تنبيها للعلاقة بين الرواية والدراية وافاد الاستاد ان هذا
الكتاب لقوم شفاء ورحمة ولآخرين شفاء وفتنة فمن تعرف اليه يوم الميثاق بانوار
العناية حين سمعوا قوله الست بربكم تذكروا عند الواسطة صلوات الله وسلامه عليه
قديم عهده وسابق وده فازدادوا بصيرة على بصيرة ومن وسمه بذل القطيعة وظلمة
ذلك اليوم عن الحسبان والرهبة ما ازدادوا عند حصول الدعوة النبوية الا جحدا
على جحد وما خفى اليوم عليهم صادق الدلالة الا لما تقدم لهم من سابق الضلالة
وما يضل به الا الفاسقين اى الخارجين عن حدود المؤمنين وهم الكافرون لقوله
تعالى ان المنافقين هم الفاسقون الذين ينقضون عهد الله اى يهدمونه

وينكرونه

وينكرونه من بعد ميثاقه اى بعد استحكام عهده وما يترتب عليه من وعيد ووعد
والمراد ما وثق الله به عهده من الكتب المنزلة او ما وثقوه به من التزام العهد وقبول
النصيحة وقيل عهود الله ثلاثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته
وعهد اخذه على النبيين بانهم ان ادركوا محمدا آمنوا به وقاموا بنصرته وعهد اخذه على
العلماء بان يبينوا للعامة ما يجب عليهم من معرفته وقال الاستاد الاشارة فيه الى حال
من سلك طريق الارادة ثم رجع الى ما هو عليه اهل العادة وقال يترك نفسه ثم لم يصدق
حين عزم الامر ونزل عن اشارات الحقيقة الى رخص الشريعة وكان من سلك الطريق
بنفسه فما دام درهم يبقى فى كيسه فغير محمود رجوعه فكذلك من قصد بقلبه فما دام يبقى نفس
من روحه فغير مرضى رجوعه فكذلك من ان الاولى ماتوا على دين الهوى وجدوا المنية مهلا
معسورا ويقطعون ما امر الله به ان يوصل اى يوصله كايصال الرحم بالرحمة وموالاة
الامة المرحومة والاجتماع فى الجمعة والجماعة وكل ما هو بين الله وعبده من الوصلة قال الاستاد
وصل اسباب الحق بقطع اسباب الخلق ولا يتم وصل ما له الا بقطع ما لك فاذا كان الامر
بالعكس كان الحال بالضد فى ذلك ويفسدون فى الارض اى فى ارض قلوبهم بما يمنع ظهور
غيوبهم او فى ارض ربهم وبلاده بمخالفة امره فى حق عباده وافاد الاستاد ان فساد
هذه الطائفة من اهمالهم حواشى احوالهم فيشتغلون عن ارشاد مريد بكلامهم والجاد
قاصد بهممهم ومن فسادك فى الارض ساعة تجرى عليك ولم تره فيها ناظر اليك اولئك
هم الخاسرون اى بفوت المثوبة والقربة والمصير الى القطيعة والعقوبة كيف تكفرون
بالله كيف هذه كلمة تعجب متضمن لانكار وتاديب اى لا يصلح للعبد بعد ظهور آيات
ربه ان يميل الى الكفر بقلبه وحاصل المعنى اخبرونى على اى حال تكفرون وباى طريق
تكفرون وكنتم امواتا اى نطفا فى اصلاب آبائكم وترائب امهاتكم فاحياكم بتسوية
اشباحكم بعد خلق ارواحكم ثم يميتكم اى عند انقضاء آجالكم ثم يحييكم اى للسؤال
فى القبور او بالنشور يوم ينفخ فى الصور ثم اليه ترجعون اى الى حكمه فى مآلكم فيجازيكم
باعمالكم فالعجب كفركم مع علمكم باحوالكم هذا اذا كان الخطاب للكفار واما على تقدير
توجهه الى الابرار فالمعنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اى جهالا فاحياكم بما
افادكم من العلم ثم يميتكم الاماتة الرسمية ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون
فينبئكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت من النعم الاخروية قال الاستاد
تعرف الحق الى الخلق بلوايح دلالته ولوامع آياته فقال وكنتم امواتا اى نطفا اجزاؤها
متساوية فاحياكم بشرا اختص بعض اجزاء النطف بكونه عظما وبعضها بكونه لحما
وبعضها بكونه جلدا وبعضها بكونه شعرا الى غير ذلك ثم يميتكم بان يجعلكم عظاما
ورفاتا ثم يحييكم بان يحشركم بعد ما صرتم امواتا ثم اليه ترجعون اى الى ما سبق به
حكمه من السعادة والشقاوة ويقال كنتم امواتا بجهلكم عنا ثم احياكم بمعرفتكم بنا

ثم يميتكم عن شهودكم ثم يحييكم به ثم اليه ترجعون اى بحفظ احكام الشرع باجراء الحق
ويقال كنتم امواتا ببقاء نفوسكم فاحياكم بفناء حظوظكم ثم يميتكم عن شهود ذلك لئلا
تلاحظوه فيفسد عليكم ثم يحييكم بان يأخذكم عنكم ثم اليه ترجعون بتقلبكم فى قبضته سبحانه
ويقال يحسن عليهم الاحوال فلا حيوة بالدوام ولا فناء بالكلية كلما قالوا هذه حيوة فبينا هم
كذلك اذا ادال عليهم فافناهم فاذا صاروا الى الفناء انشرهم وابقاهم فهم ابدا بين غناء
وفناء وبين صحو ومحو كذلك جرت سنة سبحانه معهم هو الذى خلق لكم اى لاجل انتفاعكم
ما فى الارض جميعا اى لتأخذوا معاشكم وزادكم مما يبلغ معادكم قال ابن عطا خلق لكم
ما فى الارض جميعا ليكون الكون كله لك وتكون لله فلا تشتغل بمالك عما انت له ثم استوى
الى السماء اى بارادته اقبل عليها وبقدرته قصد اليها فسويهن اى فعدل الجهات العاليات
سبع سموات اى متطابقات من غير عمد مرئيات لتستدلوا بها على قدرته وتنتفعوا
بانواره وانواع زينته وبصعود ارواحكم واعمالكم ونزول ملائكته ووصول بركاته والله بكل
شئ عليم من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات والكليات والجزئيات
عليم اى بالغ فى العلم والادراك على نهاية الاحاطة لما هنالك قال الاستاد سخر لهم جميع المخلوقات
على معنى حصول انتفاعهم بكل شئ منها فعلى الارض يستقرون وتحت السماء يسكنون وبالنجم هم
يهتدون وبكل وجه آخر ينتفعون بل من عاين نظر وامر فكر بكمال قدرته وجمال ربوبيته يعرفون
واذ قال اى اذكر حين قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة اى مصير فيها آدم
وذريته من بعده خلفا يخلف من قبلهم من الملائكة الذين كانوا سكان الارض بعد الجن فطردوهم
فى الجزائر والجبال قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها اى بانواع الكفر ويسفك الدماء
اى ويفعل ساير المعاصى وهذا من باب قياس احد الثقلين على الآخر او بالتلقى من اللوح او
بما فى ظنهم ان العصمة من خواصهم او باعلام الله اياهم بما يكون فى اكثر ذرية آدم والله اعلم
وعلى كل تقدير هو تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يتوقع منه خرابها
وفسادها واستكشاف عن وجه الحكمة وابدائها ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك
اى والحال انا ننزهك متلبسين بحمدك ونظهر اعمالنا واحوالنا لاجلك بتوفيقك وفضلك
قال انى اعلم ما لا تعلمون وساظهر لكم ما لا تعرفون قال الاستاد هذا ابتداء اظهار سره
وحكمته فى آدم وذريته امر حتى سل من كل بقعة تراب طينته ثم امر بان تخمر طينته
اربعين صباحا وكل واحد من الملائكة يقضى العجب ما حكم هذه الطينة وما حكمة هذه
العجينة فلما ركب صورته الحسنة لم يكونوا راوا مثلها فى بدايع الصنعة وعجايب الحكمة
فحين قال انى جاعل فى الارض خليفة تجنست الاقاويل وكان كما قيل وكم ابصرت
من حسن ولكن عليك من الورى وقع اختيارى ويقال استخرج الحق سبحانه
منهم ما استكن فى قلوبهم من استعظام طاعاتهم والملاحظة الى حالاتهم بهذا
الخطاب فافصحوا عن خفايا اسرارهم بقولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال

انى اعلم

انى اعلم ما لا تعلمون اى من غفرانى لهم والمعنى انتم تعرفون عصيانهم وانا اعلم قربهم
غفرانهم ويقال انى اعلم ما لا تعلمون من انى ارفق بهم وان ارتكبوا قبيح افعالهم
وعيوبهم وانشد ٭ واذا الحبيب اتى بذنب واحد ٭ جاءت محاسنه بالف شفيع
ويقال اى خطر لتسبيحكم لولا فضلى ٭ واى ضرر من ذنوبهم اذا كان عفوى ٭ ويقال
ان اسعدتكم عصمتى فقد ادركتهم رحمتى ٭ ويقال ان كان محسنكم غريق العصمة فان
مسيئهم غريق الرحمة انتهى ولا يبعد ان يقال والله اعلم بالحال انه سبحانه لما خلق
الملائكة معصومين عن المخالفة وجعلهم مظاهر للجمال وخلق الشياطين عاصين فى الموافقة
وصيرهم مظاهر الجلال بقى ظهور من يصلح ان يكون مظهر الكمال وهو المعنى الجامع بين صفتى
اللطف والقهر المقتضى لان يظهر منه الخير والشر والنفع والضر القابل من وجه
ان يكون فى النار التى هى من جملة مظاهر اسماء الجلال من نحو المضل والمنتقم والقهار
والضار من جهة ان يكون فى الجنة التى هى من مظاهر نعوت الجمال من نحو الهادى والمنعم
والغفار فخلق هذا المعجون المركب على الوجه المرتب كما يشير اليه فى الحديث القدسى والكلام
الانسى انه خمر طينة آدم بيديه اى باظهار صفتيه من القبض والبسط وما ينشأ منهما
من المحنة والمنحة والمحو والصحو والفناء والبقاء وامثال ذلك على صنيع بديع هنالك
بحيث انه لو مال فى علو الهمة وعلو الطاعة الى مراتب الملائكة لسبقهم ويكون فى اعلى
عليين ولو اخلد الى دناءة المرتبة وزيادة المعصية الى مناصب الشياطين لغلبهم
ويصير فى اسفل سافلين ويؤيد ما قررناه ويقوى ما حررناه حديث لو لم تذنبوا لجاء
الله بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم هذا وروى انه لما قال تعالى انى اعلم
ما لا تعلمون قالوا فيما بينهم او فى انفسهم لن يخلق ربنا خلقا اعلم منا فتفضل الله تعالى
آدم عليهم بالعلم وعلمه اسم كل شئ حتى القصعة والمغرفة تكميلا للمعرفة وهذا معنى قوله وعلم
آدم الاسماء كلها اى اسماء المسميات على ان اللام عوض عن المضاف اليه كما هو
مذهب الكوفيين وبعض البصريين وكثير من المتأخرين او الاسماء المسميات بحذف
الجار والمجرور لدلالة الاسماء عليه كما هو مقتضى رأى الباقين وقيل فيه الاستخدام
بكون المراد بالاسماء الالفاظ والضمير فى عرضهم راجعا الى الاسماء مرادا به المسميات
لقول الشاعر ٭ اذا نزل السماء بارض قوم ٭ رعيناه وان كانوا غضابا ٭ وهذا مع كونه
من المحسنات البديعية ايسر واسهل فى طرق العربية والمعنى خلق فى قلبه علما بالاسماء
على سبيل الابتداء ومعرفة بخواص الاشياء ثم عرضهم اى اظهر مسميات الاسماء
من الجمادات والعقلاء على الملائكة فقال اى على طريق التعجيز كما فى الوجيز انبئونى
اى اخبرونى باسماء هؤلاء اى المسميات المعروضة ان كنتم صادقين فى انى
لا اخلق خلقا اعلم منكم على قول ابن عباس وجمع من السلف او انكم احقاء بالخلافة
لعصمتكم على ما قاله الحسن وقتادة وسعيد بن جبير ومن تبعهم من الخلف قالوا سبحانك

اى ننزهها لك عما لا يليق بك فى حكمك وامرك وقضائك وقدرك لا علم لنا
الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور عن علم ما لا يعلمونه وعن حكم ما لا يحكمونه وهذا
لازم احوال ارباب الكمال لقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا وكقوله سبحانه ولا
يحيطون به علما مع ما فى الآية من الاشارة الى انهم انما حصل لهم الهيبة فى الحضرة
حيث قال انبئونى بخلاف قوله انبئهم لآدم والله اعلم واخذ من هذا ان لا ادرى نصف
العلم وقال ابو عثمان المغربى ما بلاء الخلق الا بالدعاوى الا ترى ان الملائكة لما قالوا
نحن نسبح بحمدك كيف ردوا الى الجهل حتى قالوا لا علم لنا انك انت العليم الذى
لا يخفى عليه خافية الحكيم الذى لا يفعل الا ما فيه حكمة وافية فلما ظهر عجز الملائكة الكرام
واراد اظهار فضل آدم عليه السلام قال يا آدم انبئهم باسمائهم اى اعلمهم بها فلما انباهم
باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض اى ما غاب فيهما عن الخلق
واعلم ما تبدون اى تظهرونه وما كنتم تكتمون اى تسترونه وقيل ما تبدون قولهم اتجعل
فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لن يخلق
خلقا افضل منهم ففى الجملة للكلام دلالة على مزية العلم والمعرفة على مرتبة العمل والعبادة
وايماء الى انه شرط فى الخلافة الكاملة وقال الاستاذ قد يقال خصوصية الملائكة بالتسبيح
والتقديس وهو طاعتنا تليق بالمخلوقين فان الطاعة سمة العبيد ولا يتعداهم والعلم
فى الجملة صفة مدح تحت فى نعت الحق سبحانه واجبا لا يصح لغيره فالذى يكرم بما يتصف
هو سبحانه وان كان لا مساواة اتم من اكرامه مما يكون موقوفا على جنس المخلوقات
ويقال اكرمه فى الستر بما علمه ثم بين تخصيصه بالجهر وقدمه قال وعموم قوله الاسماء يقتضى
الاستغراق واقتران قوله كلها يوجب شمول الافراد بالاستحقاق فكما علمه اسماء
المخلوقات كلها على ما نطق به تفسير ابن عباس وغيره علمه اسماء الحق سبحانه ولكن انما
اظهر له محل التخصيص فى علم اسماء المخلوقات وبذلك المقدار بان رجحانه عليهم واما
انفراده بمعرفة اسمائه سبحانه فذلك سر لم يطلع عليه ملك مقرب ومن ليس له رتبة مساواة
آدم فى معرفة اسماء الخلق فاى طمع له فى مداناته فى اسماء الحق ووقوعه على اسرار الغيب وانوار
الرب واذا كان التخصيص بمعرفة اسماء المخلوقات يقتضى ان يصح سجود الملائكة فالظن
بالتخصيص بمعرفة اسماء الحق سبحانه ما الذى يوجب لمن اكرم به انتهى ويمكن ان يقال
ان الموصوفات تشمل مظاهر الصفات فالاسماء والمسميات على اطلاقها وافادة
استغراقهما ثم افاد الاستاذ ان الحق سبحانه لما اراد ان يجتبى آدم عصمه وعلمه
واظهر عليه آثار الرعاية حتى اخبر بما اخبر وحين اراد امضاء حكمه فيه ادخل عليه النسيان
فى الحضرة عهده وجاوز حده فقال تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما
فالوقت الذى ساعدته العناية تقدم على الجملة بالعلم والاحسان والوقت الذى امضى عليه
الحكم رده الى حال النسيان والعصيان كذا حكم الحق سبحانه فيما يجرى ويمضى ذل الحكم

العبيد

العبيد وهو تعالى لما يريد وفى العرائس قال بعضهم لما شاهدوا افعالهم وافتخروا بها رد الله
تعالى وجوههم عنه الى آدم وامرهم بالسجود له اعلاما بان العبادة لا تزن عنده شيئا وتوجيه
ما افاد الاستاذ بقوله ولما توهموا حصول تفضيلهم بتسبيحهم وتقديسهم عرفهم ان بساط
العز مقدس عن التجمل بطاعة مطيع مريد او الدنس بزلة جاحد عنيد فردهم الى سجود
آدم اظهارا للغناء عن كل وفاق وخلاف وهذا قوله جل ذكره واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم والسجود لآدم لم يكن عبادة لعينه ولكن لموافقة حكمه فكان سجودهم لآدم عبادة
لله حيث كان بامره وتعظيما لآدم لانه امرهم به تشريفا لشانه وكان ذلك نوع خضوع
له ولكن لا يسمى ذلك عبادة لان حقيقة العبادة نهاية الخضوع وذلك لا يصح لغيره سبحانه
ويقال بين ان تقديسه سبحانه لجلاله لا بافعالهم وان التجمل بتقديسهم وتسبيحهم عائد اليهم
وهو الذى يجل من اجله لا بافعالهم ويعز من اعز قدره سبحانه باعزازه لا باعمالهم
جل عن اجلال الخلق قدره وعز عن اعزاز الخلق ذكره وقيل كان لله السجدة وآدم انما كان
كالكعبة موضوعا للقبلة لكن يأبى عن هذا المعنى وجود اللام دون الى واما ما قيل من ان المراد
بالسجود الانحناء فخلاف الظاهر مع بعده عن مقام الابتلاء فسجدوا اى الملائكة
كلهم اجمعون الا ابليس اى الداخل فيهم بالتلبيس ابى اى امتنع بقلبه واستكبر
عن السجود بقالبه وكان من الكافرين فى سابق علم الله وحكمه او صار من الكافرين
لامتناع قبول امره على وفق قضائه وقدره وانما منشأ اباءه العجب بطاعته والغرور
بكثرة عبادته اذ لم يترك بقعة قدر شبر فى السماء والارض مع سعتهما من الطول
والعرض الا وقد كان سجد لله فيها سجدة واطاع فيها قرونه ورفعه الى ان صار واعظا
للملائكة يوضع له منبر لسماع الموعظة وكان يذكر ان الله تعالى سيخلق آدم وذريته العالم
ويأمر الملائكة بالسجود له وان واحدا يمتنع عن الانقياد لحكمه وامره فيصير ملعونا مطرودا
عن بابه ومحجوبا عن جنابه ويشقى شقاوة ابدية على وفق كتابه فاذا نزل عن منبره تعلق
به كل من حضر فى مجلسه وسمع هذا الكلام فى محفله قائلا ادع الله ان لا يجعلنى ذلك الشقى
فيدعو لكل منهم ان يجعله الله المتقى ولم يستعذ بالله لنفسه من ان يبتلى بذلك والله
غالب على امره فيما دبر من قضائه وقدره ولذا قيل العجب اكبر من ذنب فان صاحبه يحجبه
من التوبة ويمتنع منه الانابة بخلاف المذنب فانه قد يكون له عين معصية متصفا
بملامة وندامة وبهذا تبين الفرق بينه وبين آدم عليه السلام فيما وقع لهما من مخالفة
بعض الاحكام وقد قال بعض العارفين معصية اورثت ذلا واستصغارا خير من طاعة
اوجبت عجبا واستكبارا ونعوذ بالله من الحور بعد الكور قال الاستاذ ولقد كان ابليس مدة فى
دلال طاعته يختال فى صدار موافقته سلموا له رتبة التقدم واعتقدوا فيه استحقاق
التخصيص فصار امره كما قيل • وكان سراج الوصل ازهر بيننا • فهبت به ريح من البين فانطفى
كان يحسب لنفسه استيجاب الخيرية • ويطلق بها استحقاق الخصوصية • فبات يحجر والدنى مطمئنة

واصبح يوما والزمان تقلبا • فلا سالف طاعة نفعه • ولا اقف رجعة رفعه •
ولا شفاعة شفيع ادركه • ولا سابقة عناية امسكته • ومن غلبة القضاء ولا يغنيه الغناء
ولقد حصل من آدم هفوة بشرية فقد ادركته رحمة ابدية واما ابليس فقد ادركته شقوة ازلية
وغلبته قسمة ابدية فخاب رجاؤه وضل عناؤه وقال صاحب العرائس البس الله سبحانه الملائكة لباس
العبودية فاعجبوا بعباداتهم والبس آدم لباس الربوبية ورقم عليه طراز صفاته وعرضه على الملائكة
فرأوه ملتبسا بلباس الحق فخجلوا عن تعجبهم بعباداتهم فامرهم الله تعالى بسجود آدم تعييرا لهم وتعليما
ان عباداتهم لا تزيد بالربوبية ولا تنقص عن الالوهية وايضا لما خلقه بخلقته وصوره
بصورته والبسه من نوره ونفخ فيه من روحه واسكنه جنته واجلسه على سرير مملكته فاسجد له
ملائكته حتى اكمل له في العبودية صفات الربوبية فسجد الملائكة لكونهم في الشهود وابى ابليس عن السجود
لما قدر الله عليه انه من اهل الجحود فالملائكة رأوا فيه ستر الله وعليه لباس انه مصبوغا بصبغه
ولم ير ابليس فكشف لهم وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا اى اكلا واسعا
حيث شئتما اى ما شئتما او شئتما من غير ان تصادفا مانعا ولا تقربا هذه الشجرة اى من حولها فضلا
عن اكلها وهي السنبلة او الكرم او شجرة العلم على ما سيأتى بيانه ويظهر برهانه فتكونا من الظالمين
اى فتصيرا من العاصين او الواضعين الاشياء في غير مواضعها فكلا منها غير ملتفتين الى مواقعهما
فوقعا في ظلمة نفسهما وخرجا عن مجلس انسهما ومحفل قدسهما قال ابن عطا نهى عن جنس الشجرة
فظن آدم ان النهى عن المشار اليه بالخصوصية فتناول على حد النسيان وترك المحافظة لا عن
التعمد في المخالفة قال الله تعالى فنسى ولم نجد له عزما انتهى وتوضيحه انه نهى عن الجنس فنسى هذا المعنى
وحمل النهى على الخصوص في المبنى وقال صاحب العرائس اخفى الله لآدم في الشجرة من اسرار
الربوبية ومنعهما عن قربها لئلا تتشوش عليهما عيش الانسانية ولكن هيجهما بمنعهما
عن قرب الشجرة الى طلب تناولها فلما قربا الشجرة انوار القدس وازهار الانس وتجلى
الحق سبحانه لهما من الشجرة كما تجلى من شجرة موسى لموسى فعشقا الشجرة ووقفا فيهما
ونسيا ذكر النهى عن قربها انتهى وتوضيحه انهما فهما ان المراد بالنهى عن قربها انما هو عن اكلها
والتمتع بها وان التعبير بالقرب للمبالغة في نفيها والانسان مجبول على الميل الى ما نهى عنه
طلبا لما فيه من الحكمة المقتضية للمنع منه وانه لولا انه من الامر المعظم لما خص بهذا المقام
المفخم فحسبا ان مجرد القرب يكون سببا للبعد عن السعد وغفلا عن ان الراعى حول
الحمى يوشك ان يقع فيه ان لم يلازم الاحتما فلما قربا بعدا عن مقامهما اللائق بهما فظهر
ستر الاسرار ولمع نور الانوار فوقعا في لجة الاقدار ونسيا ما كان واجبا عليهما من الاذكار
وقال الاستاد اسكنه الجنة ولكن اثبت مع دخوله شجرة المحنة ولولا سابق التقدير والا
لكان يبدل تلك الشجرة بالنضارة ذبولا وبالخضرة يبسا وبالوجود فقدا فكان لا يصل
يد آدم اليها كما وقع له حين طلب لنفسه الاوراق ليخصفها فلو تطاولت تلك
الشجرة حتى كان لا يصل يده اليها حين مدها لم يقع في شانه كل ذلك التشويش ولكن

بدا من التقدير

بدا من التقدير ما سبق به الحكم فلا مكان للفعل من الجنة ولا نفذ ابليس من آدم ولا ما صح
يقابل قوله اشارة الحق عليه ولا عزيمة قبل ارتكابه ما ارتكب اشد قوة من عزيمة آدم
ولكن القدرة لا تكابر والحكمة لا تعارض ثم ما دام آدم وحده كان بكل خير وعافية فلما جاء
الشكل ظهر انياب الفتنة وانفتح ابواب المحنة وحين ساكن حوا وترك السكون
الى الحق وقام باستجلاب الحظ اطاعها فيما اشارت اليه بالاكل فوقع فيما وقع
من الزلل ولقد قيل شعر داء قديم في بني آدم • صبوة انسان بانسان
ويقال اصبح آدم عليه السلام محمول الملائكة مسجود الكافة على راسه تاج الوصلة على
وسطه نطاق القربة وفي جيده زمام الزلفة لا احد فوقه في الرتبة ولا شخص مثله في الرفعة
يتوالى عليه النداء في كل لحظة يا آدم ويا آدم فلم يمس حتى نزع عنه لباسه وسلب
استيناسه والملائكة يدفعونه بعنف ان اخرج بغير مكث ولا وقف
شعر فامسته فاناح لي من مامني • لكذا من ياتي من الاحبابا • وكان كما قيل
شعر لله درهم من فتية بكروا • مثل الملوك وراحوا كالمساكين • هذا ونهاه
عن قرب الشجرة بامره والقاه فيما نهاه بقهره ولبس عليه ما اخفاه من سره واما ما قيل
من ان المراد بالشجرة شجرة العلم فلعل وجهه ان قربها وبعدها سبب للعلم بحال المنتهى
بها او يكون اكلها علامة يعلم بسببها الخروج من الجنة الى دار المحنة ويعلم حينئذ قدر النعمة
او لتعلق علم الله سبحانه بها ان آدم ياكل منها وبعد ما ياكل منها ما يترتب على اكلها
وما الحكمة في ان اكلها يورث البعد من دار القرب وجوار الرب الى محل الكبد والتعب
وقيل لان ابليس قال لهما من اكل منها علم الشر والخير بها فازلهما الشيطان عنها
اوقعهما في الزلة الموروثة للذلة بسبب اختيار الشهوة المانعة عن الجنة وفي قراءة
فازالهما اى نحاهما منها وابعدهما عنها فاخرجهما مما كانا فيه اى من العزة والعظمة
ومرتبة القربة ومزية المحبة ومزيد المنحة وحسن العيشة قال الاستاد حملهما على الزلة
وفي التحقيق ما صرفهما الا القدرة وما كان تقلبهما الا في القبضة فاخرجهما مما كانا فيه من الرتبة
والدرجة جهرا ولكن ما ازدادا في حكم الحق سبحانه في شانهما الا رفعة وقدرا اى مالا
ومنالا وقلنا اى لآدم وحوا وابليس والحية اهبطوا انزلوا عن مرتبتكم العلية
الى حضيض الارض السفلية ودار الدنيا الدنية فانها محل التكاليف الشرعية وموضع
الابتلاء بالمحن الكونية بعضكم لبعض عدو اوقع العداوة بينهما وبين الشيطان لكن
آدم وحوا من حزب الرحمن وفي حماية السلطان قال الاستاد لو كان لابليس سلطان
على غواية غيره لكان له امكان في هداية نفسه لا مره ولكم في الارض مستقر ومتاع
الى حين اى قرار في الامكنة وتمتع في المعيشة الى الموت او القيمة قال الاستاد مشهد
الاشباح ومالفها اقطار الارض والفرش ومعهد الارواح ومربعها ورا العرش
انتهى قالا ولبا فرشيون باشباحهم عرشيون بارواحهم غريبون عن الخلق قريبون

الى الحق كائنون مع الاغيار فى الظواهر بائنون عنهم تحت الاستار فى السرائر
ولعل هذا حكمة خلق آدم فى الجنة واظهار مرتبة المحبة المورثة للمحنة فان الولا قرين البلاء
ليكون فى دار الغربة يشتاق الى مقام القربة قيل من ان حب الوطن من الايمان اشارة
اليه ودلالة عليه فتلقى اى اخذ وتلقن آدم من ربه كلمات برفع آدم ونصب
كلمات وفى قراءة المكى بالعكس فى المقالة لما بينهما من الملازمة فان التلقى بمعنى الاستقبال
والمتابعة اى مجاوبة من ربه كلمات دالات على حالة التوبة ومقام الانابة وهى قوله تعالى
ربنا ظلمنا انفسنا الآية قال الاستاد وعلى طريق الاشارة دون التفسير للعبارة
انه يقال انه قال اذا خرجت من عندى فلا تنس عهدى وان تقاصر عنك خبرى فاياك ان
تؤثر على غيرى او ان فاتنى وصولك فلا يفوتن عنى وصولك فتاب عليه اى فرجع
عليه بالمغفرة بعد اعترافه بالمعذرة او فقبل توبته حين اظهر انابته او وفقه بالتوبة بعد
تلقين الاوبة من الحوبة انه هو التواب للعاصين الرحيم للمطيعين او التواب عليهم
من المعصية الرحيم عليهم بالعصمة قلنا اهبطوا منها جميعا التكرير لاختلاف المقصود
المتفرع على الامر الموجود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار البلية وحصول العداوة
فى كل قضية الى مدة معينة والثانى على ان نزولهم للترقى بالتكاليف الشرعية
فمن اهتدى رجع الى المنازل العلية ومن ضل فقد هلك فى تيه البلية كما يشير اليه قوله تعالى
فاما يأتينكم منى هدى زيدت ما فى ان الشرطية لتأكيد القضية العلية والمعنى فان
يأتكم من جانبى رسول وشريعة وبيان ودعوة يكون ذريعة فمن اتبع هداى اى ما يهديه
الى ويدله على على طريق التصديق والمتابعة على وفق التوفيق فلا خوف عليهم
اى بوقوع عقاب ولا هم يحزنون اى بفوت ثواب فى دار القرار والذين
كفروا اى برسلنا كفر جهل او جحود وكذبوا بآياتنا اى بكتبنا وادلتنا كفر مكابر
وعنود اولئك اصحاب النار اى ملازموها فى دار البوار هم فيها خالدون اى ماكثون
دائمون قال الاستاد اى الذين قابلوا النعم بغير شكر المنعم وغفلوا عن التصديق
التحقيق فلهم حجاب معجل وعذاب مؤجل يا بنى اسرائيل اى يا اولاد يعقوب والمراد
بهم اليهود والنصارى وخصوا بالخطاب لانهم كانوا اهل الكتاب اذكروا نعمتى التى
انعمت عليكم اى بالتفكر فيها والقيام بشكرها ومن جملته الايمان بمنعمها والمراد بها
ما انعم الله على آبائهم من فلق البحر وعدم الغرق والانجاء من فرعون وتظليل الغمام
ونحوها فان نعمة الآباء نعمة الابناء وقال صاحب العرائس اى اذكروا امتنانى فى عهدكم
وهدايتى قبل مجاهدتكم وما كشفت لكم من اسرار معرفتى حتى لا تغتروا بمعاملتكم وقال الاستاد
حقيقة النعمة لذة خالصة عن الشوائب عند العلماء وعند التحقيق والعرفاء هى ما ذكرك المنعم
او اشهدك المنعم او اوصلك اليه او لم يحجبك عنه وينقسم الى نعمة اشباح وظواهر
ونعمة ارواح وسرائر فالاولى وجوه الراحات والثانية صنوف المكاشفات والمشاهدات

ويقال

ويقال امر بنى اسرائيل بذكر النعم وامر امة النبى الكريم بذكر المنعم حيث قال لهم فاذكرونى
اذكركم وفى تفسير السلمى قال بعضهم ربط بنى اسرائيل بذكر النعمة واسقطها عن هذه
الامة ليكون نظر الامم من النعمة الى المنعم ونظر هذه الامة من المنعم الى النعمة انتهى وفيه اشعار بان
هذه الامة مجذوبون سالكون مرادون وان غيرهم سالكون مجذوبون مريدون وفيه ايضا
نكتة خفية حيث قال اذكرونى ولم يقل اذكروا نعمتى لان يكون المحبة للذات بلا ملاحظة
المنعم من حيث الانعام وسائر الصفات واوفوا بعهدى اى بالايمان والطاعة
اوف بعهدكم اى بحسن المجازاة والانابة وفى حقائق السلمى نقلا عن الثورى
اوفوا بعهدى على بساط خدمتى بوفاء خدمتى اوف بعهدكم فى الزلفى على بساط قربى
بسرور رؤيتى وقال الاستاد عهده سبحانه حسن المعرفة وعهدنا ايصال المغفرة
عهده حفظ محابه وعهدنا لطف ثوابه عهده حضور الباب وعهدنا جزيل المآب
اوفوا بعهدى بحفظ السر اوف بعهدكم بجميل البر اوفوا بعهدى الذى قبلتم
يوم الميثاق اوف بعهدكم الذى ضمنت لكم يوم التلاق اوفوا بعهدى فى ان
لا تؤثروا على غيرى اوف بعهدكم فى ان لا امنع عنكم لطفى وخيرى اوفوا بعهدى
فى القيام بحسن المجاهدة والمعاملة اوف بعهدكم بدوام المشاهدة والمواصلة اوفوا بعهدى
بالتبرى عن الحول والمنة اوف بعهدكم بالطول والمنة اوفوا بعهدى بحفظ الوفاء اوف
بعهدكم باداء الصفاء واياى فارهبون اى خافونى لا غيرى فيما تأتون
وتذرون خصوصا فى وفاء العهد ونقض العهد قال الاستاد وافردونى بالخشية
لانفرادى بالقدرة وآمنوا بما انزلت اى على النبى الصادق المصدوق مصدقا
لما معكم فانكم تجدونه موافقا ومطابقا لما فى التورية والانجيل من امر التوحيد والنبوة
عندكم قال الاستاد الاشارة فيه ان يقرن ايمانه من حيث البيان بايمانه من
حيث البرهان لعموم المؤمنين لهم ايمان البرهان بشرط الاستدلال وخواص
المؤمنين لهم ايمان من حيث البيان بحق الاقبال وآخرهم لهم الايمان
من حيث العيان وذلك لخاص الخاص انتهى فكأنه اشار الى مقامات العارفين
من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ولا تكونوا اول كافر به اى اول من كفر به
لان الواجب عليكم ان تكونوا اول فوج مؤمن به قال الاستاد لا تسنوا الكفر سنة
فان وزر المقتدى فيما سبق اعظم من وزر المقتدى فيما يتابع ولا تشتروا بآياتى ثمنا
قليلا اى لا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا من مالها وجاهها
فانها وان كانت جليلة معتبرة عندكم فهى قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم
من حظوظ الآخرة واياى فاتقون بالاعراض عن الدنيا والتوبة الى الاخرى
والاقبال على المولى فان له الآخرة والاولى قال الاستاد كثير من يتقى عقوبته وعزيز
من يهاب اطلاعه ورؤيته وقال عبد الرحمن السلمى التقوى النظر الى الكون بعين

النقص وقال بعضهم التقوى على اربعة اوجه للعامة تقوى الشرك وللخاص ترك المعاصي
وللعارفين تقوى التوسل ولاهل الصفوة تقواهم منه اليه انتهى ولعل فيه الاشارة
الى قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك منك واياه الى قوله سبحانه ويحذركم الله
نفسه والحاصل ان نهاية التقوى الانتفاء عن خطور السوى كما دل عليه كلام العارف
ابن الفارض ولو خطرت لى فى سواك ارادة على خاطرى سهوا حكمت بردتى وفى الحديث
ليس يتحسر اهل الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها فان كل نفس يشتمل على نعمتى الايجاد
والامداد ولان نزوله مدد الحيوة وطلوعه معرج الذات فيجب ذكرها وذكرها شكرها وشكرها
ذكرها فى صفات منعمها ولا تلبسوا الحق بالباطل اى لا تخلطوا الحق المنزل الذى
تسمعونه وتحفظونه بالباطل الذى تخترعونه وتكتبونه وتكتموا الحق اى ولا تخفوه
اى الواجب عليكم ان تظهروه وانتم تعلمون اى قبح ذلك او عقوبة ما هنالك او
والحال انكم علماء وما اقبح العالم ان يعمل عمل السفهاء اذ الجهل قد يعذر فى الابتداء
ولذا ورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات قال سهل لا تخلطوا
امر الدنيا بالاخرى فكانه اشار الى منع السمعة والرياء او الى خلط الهدى بالهوى او
فكر السوى بذكر المولى كل شئ ما خلا الله باطل وقال الاستاذ لا تتوهموا ان يليق
لكم جمع الضدين والكون فى حالة واحدة فى محلين فاما مبسوط بحق واما مربوط بحق
ولا تلبس الحق تدليس وتكتموا الحق تلبيس وانتم تعلمون ان حق الحق تقديس
اى ومن لم يتبع الحق فهو ابليس واقيموا الصلوة واتوا الزكوة اى صلوة المسلمين
وزكوة المؤمنين فان غيرها لا عبرة لها واركعوا مع الراكعين اى صلوا مع
المصلين فى جماعتهم وجمعتهم والتعبير بالركوع لافادة الخشوع وزيادة الخضوع وللاحتراز
عن صلوة اليهود فى عبادة المعبود وقال الاستاذ اى احفظوا آداب الحضرة
بحفظ الادب انم فى الخدمة من الخدمة والاشارة فى ايتاء الزكوة زكوة احوالهم
كما يؤدى زكوة النعم من اموالهم قال قائلهم • كل شئ له زكوة تؤدى ▪
وزكوة الجمال رحمة مثلى • فيفيض من زوائد همته ولطايف نظره على المتبعين
والمريدين بما ينتعشون به وينجبر احوالهم معه ويقتدى بآثار السلف فى الحال
ويتجنب سنن الانفراد فى الاستقبال فان اللون فى غمار الجمعية اسلم من
الامتياز من الكافة لما يخاف فيه من البلية اتأمرون الناس اى غيركم بالبر اى
بطاعة الحق مع الصدق وحسن الخلق مع الخلق وتنسون انفسكم اى وتتركون حظها
منه والجملة الخبرية محل الانكار بالاستفهام والامر بالبر من جملة المرام وقد نزل
فى احبار اليهود حيث كانوا ينصحون الناس باتباع النبى صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه
وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وفى معناهم العلماء الذين يعظون وهم بمعظهم
لا يعملون قال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وانتم تتلون الكتاب اى

تؤذن الخطاب الذى فيه بيان الثواب والعقاب افلا تعقلون قبح ما تفعلون
وفى تفسير السلمى انطالبون الناس بحقايق المعانى وانتم خالية عن ظواهر رسوم المبانى
قال الاستاذ اتدعون الخلق الينا وتقعدون عنا اتسرحون الوفود وتقصرون فى الورود
اتحرضون على البدار وترضون بالتخلف والفرار واستعينوا على تحصيل رفع
الدرجات وانجاح الحاجات بالصبر اى الصوم الذى هو احتباس عن المفطرات
او بحبس النفس عن المنهيات والشهوات والصلوة اى وبالقيام باتم
العبادات والطاعات فانها جامعة لانواع الخيرات ومانعة عن اصناف السيئات
وقال الاستاذ الصبر فطم النفس عن المألوفات والصلوة تومى الى الوقوف
بحضرة المولى وانها اى الاستعانة بهما لكبيرة اى لثقيلة شديدة الا على
الخاشعين اى المخبتين الخاضعين الساكنين الى طاعة المولى المعرضين عن
موافقة الهوى وملاحظة السوى وقال الاستاذ الاعلى من تجلى الحق لسره فان
فى الخبر المنقول ان الله تعالى اذا تجلى لشئ خشع له واذا تجلى الحق لسره خف وسهل
ما تولى لامره فان التولى للمجاهدة بموجب التكليف يوجب مقاساة الكلفة والتجلى
بالمشاهدة بحكم التخفيف يوجب تمام الوصلة ودوام الزلفة واقسام الصبر كلها محمودة
الصبر فى الله ولله وبالله ومع الله الا صبرا واحدا وهو الصبر عن الله شعر
الصبر يحسن فى المواطن كلها • الا عليك فانه مذموم • الذين يظنون انهم
ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اى يتيقنون انهم اليه يحشرون وعلى اعمالهم
يحاسبون وفى قراءة ابن مسعود يعلمون بدل يظنون قال الاستاذ الظن
يذكر والمراد به اليقين وهو الاظهر ههنا ويذكر ويراد به الحسبان فمن ظن يقين
فصاحب وصلة ومن ظن ظن تخمين فصاحب فرقة وملاقوا ربهم صيغة تصلح
للاستقبال والحال فهم ملاقون ربهم فى المستقبل ولكن القوم لتحققهم بما سيكون
من احكام الغيب صاروا كان الوعد لهم نقد والغيب حضور وفى مثل هذا
المقام قال حارثة اصبحت بالله مؤمنا حقا وكانى باهل الجنة يتزاورون وكانى
باهل النار يتعادون وكانى بعرش ربى بارزا يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى
انعمت عليكم اى حيث ارسلنا رسولا الاكمل اليكم وانى فضلتكم على العالمين
ان دخلتم فى ملته وصرتم من امته او اعطيتكم الزيادة على عالمى زمانكم بتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى والانجاء وساير احسانكم او حيث جعلت فيكم انبياء وخلفت
من جنسكم اولياء وملوكا واصفياء وهذا بناء على ان تفضيل الاباء شرف للابناء واتقوا
يوما اى ما فيه من الحساب والعذاب والحجاب او احذروا واخشوا عقاب يوم لا تجزى
نفس عن نفس شيئا اى لا تقضى فيه ولا تغنى نفس عن اخرى شيئا من الغنى
او لا تدفع شيئا من الغوايل كل نفس تجادل عن نفسها ويفر عن ابناء جنسها

وقال الاستاذ خوف العوام بافعاله فاتقوا يوما واتقوا النار وامثالهما وخوف
الخواص بصفاته فقال اعملوا فسيرى الله عملكم ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا
ونحوها وخوف خاص الخاص بذاته تعالى ويحذركم الله نفسه ولا يقبل بالتذكير لغة
ابي عمرو وابن كثير منها اي من اجل النفس الثانية العاصية شفاعة من ارباب
النفوس العالية ولا يؤخذ منها اي من اجل خلاصها عدل اي فداء وبدل ولا هم
اي عصاتهم ينصرون اي يمنعون عن العذاب ويدفعون عنهم الحجاب لا باللطف
ولا بالعنف فهم مخلدون في العقاب واذ نجيناكم من آل فرعون اي من ظلمهم
وتعذيبهم لديكم تفصيل لما اجمله سبحانه من قوله اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم يسومونكم
يذيقونكم سوء العذاب افظع انواعه واشنع اصنافه كما بينه بقوله يذبحون
ابناءكم اي يقتلونهم ويستحيون نساءكم اي يستبقون بناتكم لخدمتهم او لبقاء
نسلكم في محنتهم فانهم كانوا يتركون الاولاد عاما كسنة ولد فيها هرون ويقتلون عاما
كسنة ظهر فيها موسى عليه السلام وسببه ان بني اسرائيل كانوا اولاد الانبياء واصحاب
الشريعة الغراء وفرعون كان يدعي الالوهية واله يظنون فيه الربوبية فكانوا يضعفونهم
بانواع المحنة واصحاب المهنة وافاد الاستاذ ان من صبر في الله على بلاء اعدائه
عوضه الله صحبة اوليائه واتاح له جميل عطائه وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اي محنة
ان اشير الى تعذيبهم ومنحة ان اشير الى تخليصهم واصل البلاء هو الاختبار
ومنه قوله تعالى ولنبلونكم لكن لما كان في اختباره سبحانه تارة بالنعمة وتارة بالنقمة
اطلق عليهما ومنه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وبلوناهم بالحسنات والسيئات
والمعنى وفي ذلك الذي كانوا يفعلون بكم اختبار وامتحان لاحوالكم من القيام بالصبر
في محله والشكر في موضعه لان الخير والشر جميعا من عنده قال الاستاذ قيل نعمة عظيمة
وقيل محنة جسيمة وفي الحقيقة ما كان من الله في الظاهر محنة فهو في الحقيقة
لمن عرفه نعمة ومنحة ومنة واذ فرقنا بكم البحر اي شققناه وفلقناه بسببكم وجعلناه
يابسا طريقا لمروركم فانجيناكم اي ببركة موسى واغرقنا آل فرعون اي معه بتمامه
وانتم تنظرون اي الى انجائكم واهلاك اعدائكم واذ واعدنا وفي قراءة البصري
وعدنا موسى اربعين ليلة اي انقضائها للتكلم معه بعد انتهائها وهي ذو القعدة
وعشر ذي الحجة ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا على سبيل الجهل لكونكم مثل البقر
في البلاهة من بعده اي بعد خروج موسى عنكم في الميقات لاتيان الآيات
البينات في التورية وانتم ظالمون اي واضعون العبادة في غير موضعها
قال السلمي عمل كل احد لنفسه فمن اسقطه وخالف مراده فقد برئ من ظلمه وقال الاستاذ
بين انه واله فانه موسى عليه السلام غاب عنهم اربعين ليلة بما بينهم فاتخذوا العجل
معبودهم وانه محمد صلى الله عليه وسلم مع مضيهم زمانا كثيرا عن عهد نبيهم لو سمعوا

واحدا

واحدا كر تشبيها في وصف الههم لما ابقوا على مهجته ولو كان فيه ذهاب ارواحهم ثم عفونا
عنكم اي محونا ذنوبكم حين تركتم عيوبكم من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون ٥
لكي تشكروا عفوه وتتركوا كفره واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التورية الجامع
بين كونه كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل بابا بابا لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا
بتدبر التورية وتفكر الآيات واذ قال موسى لقومه اي الذين عبدوا العجل يا قوم انكم ظلمتم
انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم اي فاعزموا على الرجوع الى خالقكم فاقتلوا
انفسكم بقتل البرئ لمجرمكم ذلكم اي عزمكم وانقيادكم خير لكم اي فيه خير كثير حاصل لكم
عند بارئكم من حيث انه طهرة من العقيدة الدنية ووصلة الى الحيوة الابدية والسعادة
السرمدية فتاب عليكم اي فعلتم ما امرتم به من التوبة فقبل منكم الرجعة ورجع عليكم بالمغفرة
والرحمة او وفقكم بالانابة ورجع عليكم بالاثابة انه هو التواب الرحيم والوهاب الكريم
قال الاستاذ المعنى ما اضررتم الا بانفسكم فيما ارتكبتم من ذنوبكم ومن وافق هواه فعجله
ما علق به همه وافرد له قصده والاشارة في قوله فتوبوا الى بارئكم الى ان حقيقة التوبة هي
الخروج الى الله بالكلية ولقد توهم بعض الناس ان توبة بني اسرائيل كانت اشق
وليس كما توهموا فان ذلك كان مقاساة القتل مرة واحدة واما لاهل الخصوص من هذه
الامة فالقتل حاصل في كل لحظة ولذا قيل شعر ليس من مات فاستراح بميت ٭
انما الميت ميت الاحياء ٭ وقتل النفس في الحقيقة التبري عن حولها وقوتها او شهود
شيء منها ورد دعاويها اليها وتشويش تدبيرها عليها وتسليم الامور الى الحق بجملتها
وانسلاخها من اختيارها وارادتها وامتحاء اثر البشرية عنها فاما بقاء الرسوم والهياكل
فلا خطر لها ولا عبرة بها وفي تفسير السلمي قال الواسطي كانت توبة بني اسرائيل افناء نفوسهم
ولهذه الامة اشد وهو افناء نفوسهم عن مرادهم مع بقاء رسوم الهياكل انتهى والتعبير
تفضيل اكابر الانس على الملائكة حيث انهم يطيعون ولا يعصون مع ما فيهم من مقتضيات
المخالفة وموجبات ترك الموافقة من الهواجس النفسانية والوساوس الشيطانية ٭
واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك اي لاجل قولك حتى نرى الله جهرة اي عيانا لا يستره
شيء عنا وذلك حين اختار موسى قومه سبعين رجلا ليعتذروا الى الله من عبادة العجل
فلما سمعوا كلام الله وفرغ موسى من مناجاة الاله قالوا ذلك وعذرهم اقذر من وزرهم
فاخذتكم الصاعقة وهي نار جاءت من السماء مقرونة بالرجفة فاحرقتهم في لحظة
وانتم تنظرون اي اليها متوجهة اليكم حتى نزلت عليكم قال الاستاذ التعرض لمطالعة
الذات على غير نعت الهيبة افصاح بترك الحرمة وذلك من امارات البعد والشقوة
واسبال نعت التولي بمكاشفات العزة مقرونا بملاطفات القربة من علامات
الوصلة ودلالات السعادة فلا جرم لما اطلقوا لسان الجهل بتقوية ترك الحشمة اخذتهم
الرجفة والصعقة وقال صاحب الواشي اذ طلبتم رؤيتي ومطالعتي بتقليد موسى

وليس لكم مقام المشاهدة فلما برز لكم ذرة من انوار ذاتي فنسيتم فيها واحترقتم لانكم
في البداية وموسى في النهاية وايضا افنيتكم في سطوات جلالي وابقيتكم بانوار جمالي لقوله
ثم بعثناكم اي اعدناكم احياء من بعد موتكم افناء لعلكم تشكرون اي نعمة حياتكم بعد
مماتكم قال الاستاذ اعادهم الى حال الاحساس بعد ما استوفتهم سطوة العذاب
املاء لهم بمقتضى الحلم واجراء السنة في الصفح عن الجرم ومن قضايا الكرم اسبال
الستر على هنات الخدم وظللنا عليكم الغمام اي بتسخير السحاب الرقيق لهم حين
كانوا في شمس التيه ليظلهم وانزلنا عليكم المن اي الترنجبين كان يقع على الاشجار
وقت الاسحار والسلوى وهي طير السماني وقيل لكم بلسان المقال او بيان الحال
كلوا من طيبات ما رزقناكم اي حلالاته ومستلذاته وافاد الاستاذ انه لما طوحهم
في متاهات الغربة لم يرض الا بان ظللهم وبلبسة الكنايات جللهم وعن تكلف
التكسب اغناهم وبجميل صنعه فيما احتاجوا اليه تولاهم فلا شعورهم كانت تطول
ولا اظفارهم كانت تنبت ولا ثيابهم كانت تتسخ ولا شعاع الشمس عليهم
كان ينبسط وكذلك سنته بمن حال بينه وبين اختياره يكون ما يختاره سبحانه له
خيرا مما يختاره لنفسه وما ظلمونا لتنزهنا عن ان يلحق نقص وعجز بنا ولكن
كانوا انفسهم يظلمون حيث ابوا على موسى دخول القرية فصاروا سببا
لحبسهم في التيه للتأديب والتهذيب والتنبيه كما بينه سبحانه واظهر برهانه
بقوله واذ قلنا اي بعد خلاصهم من تيه الحيرة وسؤال الرؤية بالجهرة ادخلوا
هذه القرية اي بيت المقدس فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي اكلا واسعا
وادخلوا الباب اي باب القرية سجدا اي منحنين متواضعين غير متكبرين
كالجبارين او ساجدين لمولاكم شكرا على ما اولكم واخرجكم من التيه وآواكم
وقولوا حطة اي مسئلتنا ان تحط عنا سيئاتنا نغفر لكم خطاياكم
اي بسجودكم ودعوتكم وقرأ نافع يغفر بالتذكير والشامي بالتانيث على صيغة
المفعول لهما وسنزيد المحسنين ثوابا على احسانهم كما نقبل توبة المسيئين
بإبائهم فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم اي غيروا ما امروا به من السجدة
والتوبة فدخلوا على هيئة الزحفة وقالوا حنطة بدل حطة فانزلنا على الذين
ظلموا فيه اشعار بان كلهم لم يبدلوا رجزا اي عذابا مقدرا من السماء
بما كانوا يفسقون اي بسبب خروجهم عن طاعة ربهم وظلمهم على انفسهم
والمراد بالرجز الطاعون اذ هلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا وقال
الاستاذ لم يمكنهم ان يردوا باب السماء باختيالهم او يسدوا من دونهم اسباب
البلاء بما ركنوا اليه من احوالهم ففزعوا من الندم لما عضهم ناب الالم واذ استسقى
موسى لقومه اي لما عطشوا في التيه مزبوه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اي حجرا

من الاحجار

من الاحجار فاللام للجنس وهو اظهر في باب المعجزة الالمس وقيل اللام للعهد وهو حجر خفيف
مربع مثل رأس الرجال اشار جبريل الى موسى بحمله معه لاظهار هذا الحال فانفجرت اي
فضرب فانشقت منه اثنتا عشرة عينا اي على عدد الاسباط قد علم كل اناس
اي سبط مشربهم اي عينهم التي يشربون منها ونهرهم التي يجري عنها كلوا واشربوا
من رزق الله اي مما رزقكم من المن والسلوى وماء العيون والمجري ولا تعثوا
اي لا تفسدوا في الارض مفسدين اي حال كونكم قاصدين الفساد احترازا مما
يتضمن فيه صلاحا للعباد ثم مما افاد الاستاذ ان الذي قدر على اخراج الماء من
الصخرة الصماء كان قادرا على اروائهم بغير الماء او على ارسال ماء من السماء ولكن
لاظهار اثر المعجزة فيه وايصال محل الاستغاثة اليه وليكون على موسى عليه السلام
ايضا في نقل الحجر مع نفسه شغل من الموافقة ولتكليفه ان يضرب بالعصى مقاساة
نوع من المعالجة لما امضى من حكمه عند استسقائه لقومه ثم اراد الحق سبحانه
ان يكون لكل قوم جاريا على سنته ملازما لحده غير مزاحم لصاحبه فافرد لكل سبط
علامة يعرفون بها مشربهم فيقصدون مذاهبهم فهؤلاء لا يردون مشرب الآخرين
والآخرون لا يردون مشرب الاولين وحين كفاهم ما طلبوه امرهم بالشكر
وحفظ الامر وترك الوزر فقال ولا تعثوا في الارض مفسدين وهما اهل المخالفة
والمشارب متفاوتة وكل يرد مشربه ويتبع مذاهبه فمشرب عذب فرات ومشرب
ملح اجاج ومشرب صاف زلال ومشرب رنق او شال وسائق كل قوم يقودهم
ورائد كل قوم يسوقهم فالنفوس ترد مناهل المنى والشهوات والقلوب ترد مشارب
التقوى والطاعات والارواح ترد مناهل الكشف والمشاهدات والاسرار ترد مناهل
الحقائق بالاختطاف عن الكون والمرسومات ثم عن الاحساس والصفات ثم بالاستهلاك
في حقيقة الوجود والذات وفي تفسير السلمي مشرب كل احد حيث انزله رائده فمن كان
رائده نفسه فمشربه الدنيا ومن كان رائده قلبه فمشربه العقبى ومن كان رائده روحه
فمشربه السلسبيل المعين لاهل القرب ومن كان رائده ربه فمشربه في الحضرة مشاهدة
المولى حيث قال الله وسقاهم ربهم شرابا طهورا اي طهره الله به عن كل ما سواه
واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد اي المن الذي كانوا يأكلون بالسلوى لانها
نوع واحد والمداومة توجب الملل والسآمة مع ما في فطرة الطبيعة المعروفة من الميل
الى الاطعمة المألوفة فادع لنا ربك اي سله لنا بدعائك يخرج اي يظهر لنا
مما تنبت الارض اي من جملة ما تنبته باقدار الله اياها من بقلها وهو كل نبات ليس له
ساق وقثائها وفومها اي حنطتها او ثومها على قلب الثاء فاء وعدسها وبصلها
قال الواسطي تولاهم الله بالمن والسلوى من غير كلفة لهم فتبعوا شهوات
انفسهم وما يليق بطبايع اهوائهم وقيل الناس فيه رجلان رجل ازيل عنه تدبيره

فهو مستريح في ميدان الرضاء راض فيما جرى له مما تدبر وشاء بحكم القضاء فهو في مقام
المزيد ابدا وآخر رد الى تدبيره فلا يزال يتخبط في اختياره الى ان يهلكه في حال اضطراره
قال اي الله او موسى اتستبدلون الذي هو ادنى اي اقرب منزلة وادنى مرتبة
بالذي هو خير اي في اللذة والمنفعة وعدم الحاجة الى كد المشقة مع ما فيه الرضاء
والقناعة بما اختاره الله من وجه المعيشة قال الاستاذ كان بنو اسرائيل متفرقي
الهموم متشتتي القصود لم يرضوا لانفسهم في تعيشهم بطعام واحد ولم يكتفوا
في تدينهم بمعبود واحد ماجد حتى قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة وهكذا صفة
ارباب التفرقة عندهم الصبر على الواحد شديد قال تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن
وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون
بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وقد قال بعض العارفين
لبعض الواقفين شعر اراك بقية من قوم موسى * فهم لا يصبرون على طعام
اهبطوا مصرا اي انزلوا من مقامكم العالي الى ارض مصر السفلى فان لكم
ما سألتم اي من المشتهيات الطبيعية والمستلذات الدنية وضربت عليهم
الذلة اي الزمت عليهم الجزية وهيئة اليهودية والشح والحرص على الامور الدنيوية
الزاما لا يبرح كضرب السكة على الدراهم النقدية والمسكنة اي اثر الفاقة وعلامة
الحاجة وباءوا اي رجعوا بغضب من الله اي مصحوبين به ذلك اي ما ذكر من الضرب
الناشئ من الغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله اي بالكتب المنزلة او بانواع
المعجزة ويقتلون النبيين كزكريا ويحيى عليهما السلام بغير حق اي عندهم وفي زعمهم
وانما حملهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى كما قال تعالى ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون اي جرهم العصيان والاعتداء الى الكفر وقتل الانبياء فان صغاير العيوب
تجر الى كباير الذنوب كما ان قضاء صغار الطاعات تؤدي الى اداء كبار العبادات
قال تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الآية قال الاستاذ
لم يرضوا بحسن اختياره لهم ولم يصبروا على قيامه بتولي ما كان يهمهم من كفاية
ماكولهم وملبوسهم فنزلوا في التحير الى ما جرت عليه عاداتهم من اكل الخسيس
من الطعام والرضاء بالدون من الحال والمقام فردهم الله الى مقاساة الهوان
وربطهم بداء الخذلان حتى سفكوا دماء الانبياء وهتكوا حرمة الامر بقلة الاستحياء
وترك الارعواء فعاقبهم على قبيح فعالهم وردهم الى ما اختاروه لانفسهم
من خسايس احوالهم وحين لم ينجع فيهم النصيحة ادركتهم النقمة والفضيحة ان الذين
آمنوا اي المؤمنين المخلصين او المنافقين فانهم ذكروا في سلك الكافرين
والذين هادوا اي تهودوا ودخلوا في اليهودية والنصارى اي الطائفة النصرانية
والصابئين اي الخارجين من دين الى دين من اديان الكفرة وقيل هم عبدة

الملائكة

الملائكة وهو قول الحسن وقتادة وقيل عبدة النجوم السبعة من آمن دخل في ميدان
الايمان وثبت في ايوان الايقان بالله واليوم الآخر اي وسائر ما يجب به العرفان
وعمل صالحا اي من انواع الاحسان فلهم اجرهم عند ربهم اي مع المزيد في المثوبة
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي يوم القيامة وافاد الاستاذ ان اختلاف الطرق
مع اتحاد الاصل لا يمنع من حسن القبول من صدق الحق سبحانه في آياته وآمن بما اخبر
من حقه وصفاته فتباين الشرع واختلاف وقوع الاسم غير قادح في استحقاق
الرضوان فاذا اتفقوا في العرفان فالكل لهم حسن الماب وجزيل الثواب فالمؤمن
من كان في امان الحق سبحانه ومن كان في امانه تعالى فبالحري ان لا خوف عليه
ولا حزن يدور حواليه واذ اخذنا ميثاقكم اي اردنا اخذ عهدكم باتباع نبيكم وبقبول
العمل بما في كتابكم ورفعنا فوقكم الطور اي الجبل فوق رؤسهم كانه ظلة وظنوا انه
واقع بهم روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتورية ورأوا ما فيه من التكاليف
الشاقة كبر عليهم حصولها وابت قلوبهم قبولها فامر جبرئيل عليه السلام فقلع
الطور فظلله فوقهم وجعل النار قدامهم والبحر وراءهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم
من الكتاب اعملوا بما امرتم به من الخطاب بقوة اي عزيمة وقصد مواظبة في جميع
الابواب واذكروا ما فيه اي ما في الكتاب من الثواب والعقاب لعلكم تتقون
اي لكي تجتنبوا مخالفة رب الارباب ولا تقعوا في عقوبة الحجاب وقال الاستاذ
اخذ سبحانه ميثاق جميع المكلفين ولكن قوم اجابوه طوعا لانه تعرف اليهم
فوحدوه وقوم اجابوه كرها لانه يستر عليهم فجحدوه ثم توليتم اي اعرضتم عن
الوفاء بالوعد من بعد ذلك اي بعد اخذ العهد فلولا فضل الله عليكم ورحمته اي
بتوفيقكم للتوبة لكنتم من الخاسرين اي المغبونين في التجارة وقال الاستاذ
اي رجعتم الى العصيان بعد ما شاهدتم تلك الآيات بالعيان ولولا حكمه بامهاله
وحلمه بافضاله لعاجلكم بالعقوبة ولحل بكم عظيم المصيبة ولخسرت صفقتكم بالكلية
ولقد علمتم اي عرفتم الذين اعتدوا منكم اي جاوزوا ما حد لهم من ترك الصيد
في السبت اي من زمن الصيد فقلنا لهم كونوا اي بتكويننا اياكم قردة خاسئين
مطرودين مبعودين وافاد الاستاذ ان مسخ هذه الامة حصل على القلوب
كما انهم لما تركوا الامر واستهانوا بما الزموا من الشرع عجلت عقوبتهم
بالخسف والمسخ وغير ذلك من ضروب ما ورد به النص فهذه الامة من نقض العهد
ورفض الحد عوقبت بمسخ القلوب وتبديل الاحوال قال تعالى ونقلب افئدتهم
وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة وعقوبات القلوب انكى من عقوبات
النفوس فجعلناها نكالا اي المسخة نكالا اي عقوبة لما بين يديها وما خلفها
اي لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها من عيوبهم او عبرة لمن

ادرك زمانهم ورأى اماثلهم وممن سمع اخبارهم وشاهد آثارهم وموعظة اى زجراً
ونصيحة للمتقين اى منهم ومن هذه الامة قال الاستاذ وهكذا من منى بالهجران
ووسم بالخذلان صارت احواله عبرة وتجرع من لاحظ حاله حسرة وصار لمسكين
بعد عزه لكل خسيس سخرة واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة وسبب
ذلك انه وجد قتيل في بني اسرائيل ولم يدر قاتله فسألوا موسى عليه السلام
ان يدعو الله ليبين لهم قاتله فسأل موسى ربه فامرهم بذبح بقرة قالوا اتتخذنا
هزواً اى مكان هزؤ او اهله اى مهزوا بنا والمعنى انستهزئ بنا فانا نسألك عن
قاتل القتيل في القرية وانت تأمرنا بقتل البقرة فهل يعالج القتل بالقتل ويستدل بالمثل
عن المثل ولعل وجهه تعلقهم حب جنس العجل قال اعوذ بالله اى امتنع به ان اكون من
الجاهلين اى من المستهزئين بالمؤمنين لان الاستهزاء في مقام الارشاد والامر ارشاد
وجهل وسفه وكلا غير سداد بل يوهم ان يكون في هذا المقام كفوا لانه اخبار عن رب العباد
فلما علموا ان ذلك عزم من الجانب الالهي قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي
اى ما سنها ووصفها قال انه يقول انها بقرة لا فارض اى مسنة كبيرة
ولا بكر اى فتية صغيرة عوان اى نصف ووسط عيان بين ذلك اى ما ذكر
من السنين فافعلوا ما تؤمرون وفي الحديث لو ذبحوا اى بقرة ارادوا لاجزاهم
ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وافاد الاستاذ انه كان
الواجب عليهم استقبال الامر بالامتثال ولكنهم تعللوا ببقاء الاشكال توهماً
بان يكون لهم تخلص بالاخلاد الى الاعتلال عن عهدة الالتزام بالافعال فضاعف
عليهم المشقة وحل بهم ما حذروه من الفضيحة ثم في القضية من الاشارة الخفية
ان الذي يصلح لسلوك الطريقة من لا يستهويه نزق الشباب بسكره ولم يعطله عجز
المشيب وضعفه بل هو صاح استفاق من سكره وبقي له بعد نضارة من عمره قالوا ادع لنا ربك
يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اى شديد الصفرة
تسر الناظرين اى تعجبهم بلطافة لونها وظرافة كونها وقال الاستاذ كانه
من اهل القصة وقابل القصة تستغرق مشاهدته القلوب لما البس من رداء الجبروت
واقيم به من مشاهد الغيوب حتى ان من لاحظه تناسى احوال البشرية واستولى
عليه شواهد الربوبية كما في الخبر اولياء الله الذين اذا رأوا ذكر الله قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما هي اى ما حالها اسائمة ام عاملة ام ناقصة او كاملة ان البقر
اى الموصوف بما ذكر والمنعوت بما سطر تشابه علينا اى اشكل الينا وانا ان شاء الله
لمهتدون الى وصفها المراد به ذبحها وفي الحديث الثابت السند لو لم يستثنوا لما
بينت لهم آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول اى غير مذللة تثير الارض
اى تقلبها للزراعة ولا تسقي الحرث اى الارض المهيئة للزرع بالسقاية ولا مزيد

مؤكدة مسلمة اى من العيوب وآثار المحنة متكملة باوصاف النعمة لا شية فيها
لا لون فيها يخالف لون جلدها قال السلمي معناه لا يصلح لكرامتي وظهور ولايتي من ذلل
نفسه بالسكون الى شيء من الاكوان وسبق في طلب الحوادث ساعة من الازمان مسلمة
من فنون عوارض المخالفة لا اثر عليه الا بوجه الموافقة فهو العامل لي والعامل لي اظهرت عليه
آيات قدرتي وجعلته من شواهد عزتي فاشاهده استغرق في مشاهدته لانه قد لبس رداء
العز في مراقبته وقال الاستاذ كما ان تلك البقرة في العمل لم تذلل وفي المكاسب لم تبتذل
كذا اهل الولاية للاغيار لم يتذللوا وفي تحصيل الاسباب لم يشتغلوا ولم يركنوا بقلوبهم
الى الاشكال والامثال ولم يتكلوا على الاختيار والاحتيال ولبسوا نهبا للمطالبات
المنى ولا صيدا في مخلب الدنيا لا حكم للشهوات يغلبهم ولا سلطان للبشرية يملكهم
لم يسعوا قط في تحصيل مرادهم ولم يشتغلوا ابدا الدرك مقصودهم ليس عليه رقم الاغيار
ولا سمة الاكدار فهم قائمون بالله فانون عما سواه واقفون مع الله لله معتز فهم الله والغالب
على ظواهرهم الله وكان معبودهم الله فكذلك مقصودهم الله ومشهودهم الله وموجودهم
الله بل هم محو بالله والخلف عنهم الله قالوا الآن جئت بالحق اى بحقيقة وصف
البقرة الذي يتميز به من اجناسها فطلبوها فوجدوها فذبحوها وما كادوا يفعلون
لكثرة مراجعتهم في وصفها او لخوف فضيحة قاتلها او لغلاء ثمنها وقد صح عن عكرمة
ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها غيضة فقال اللهم اني استودعكها لابني
حتى يكبر فشب وكانت وحدها بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها
بملء جلدها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير قال الاستاذ طلبوا الحيل
ما امكنهم من التعللات فلما ضاقت بهم الحيل والمعالجات استسلموا للحكم في النهايات
فتخلصوا من شدائد المطالبات ولو انهم فعلوا ما امروا به في البدايات لما تضاعفت
عليهم المشقات واذ قتلتم نفسا نسب القتل اليهم لوجود القتل فيهم فادارأتم
فيها صلة تدارأتم اى تدافعتم وتخاصمتم في شان قاتلها وبيان فاعلها والله مخرج
ما كنتم تكتمون اى مظهر ما تخفون ومن هذا القبيل امر القتيل ثم قيل هذا اول القضية
ولكنه مؤخر في القصة والاظهر ان الله امرهم اولا بذبح البقرة حيث لم يعلموا سره ثم
وقع القتل منهم خفية فاظهر سبحانه ما اخفاه من الحكمة فقلنا اضربوه اى القتيل
ببعضها اى ببعض البقرة اى بعض كان من ابعاضها وقيل بلسانها والابهام اعظم
في تفخيم شأنها فضربوه به فحيي باذن ربه واخبر بامر قاتله كذلك اى كما احيى هذا
الفرد من القتلى يحيي الله الموتى ويريكم آياته اى دلائله على قدرته وسائر صفاته
لعلكم تعقلون اى لكي تتصوروا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس
المتعددة كقوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة قال الاستاذ من اراد حيوة
قلبه بانواع المشاهدات لم يصل اليه الا بذبح نفسه بالمجاهدات ثم قست قلوبكم اى

اشتدت وصلبت من بعد ذلك اى من بعد ما ذكر من الآيات البينات والمعجزات
الواضحات الموجبة للين قلوب ارباب الجبوة فهى اى قلوبكم كالحجارة اى فى القسوة
وقلة المنفعة او اشد قسوة اى بل كاشد قسوة منها وصلابة فهى كالحديد الشديد
لما ذكره سبحانه من البيان الشديد بقوله وان من الحجارة لما يتفجر اى يتفتح ويجرى
منه الانهار اى فى الليل والنهار كدموع عيون الابرار وان منها لما يشقق اى
ينشقق فيخرج منه الماء عيانا لكن احيانا وان منها لما يهبط اى ينزل من اعلى
الجبل الى اسفله من خشية الله اى من اجل خوف مخالفته فيما اراده وقضاه
وهو تعليل للافعال الثلاثة على طريق المنازعة واما ما قيل من ان الخشية مجاز عن
الانقياد فقول مخالف للحقيقة بل لظواهر الشريعة والطريقة وقع فيه المتابعة لحكماء
الفلسفة فقد قال الامام العالم محى السنة فى المعالم مذهب اهل السنة ان لله
علما فى الجمادات وسائر الحيوانات فلها صلوة وتسبيح وخشية فيجب على المرء
الايمان به وان يكل علمه الى الله سبحانه فى حقيقة امره وقال الاستاذ بين انهم
وان شاهدوا اعظم الآيات وطالعوا اوضح البينات فحين لم يساعدهم العناية
ولم يخلق لهم الهداية لم يزدهم كثرة الايات الا قسوة على قسوة ولم يبرز لهم من
مكامن التقدير الا الشقوة على شقوة وشبه قلوبهم بالحجارة لانها لا تنبت ولا تنمى
فكذلك قلوبهم لا تفهم ولا تعى ثم بين انها دون الحجارة فان منها ما يظهر منه
اسرار العناية ومنها ما يتبين منه آثار الخشية واما قلوبهم فخالية من انوار الهداية
وكيف لا وقد نسيت باعراض الحق عنها وخصت بانتزاع الخيرات منها وما الله بغافل عما
تعملون بالخطاب وقراء المكى بالغيبة اى لا عن اعمالكم ولا عن اعمالهم سواء فيه السر والعلانية
افتطمعون اى ايها المؤمنون ان يؤمنوا لكم يعنى اليهود والمعنى اترجون ان يصدقوكم
فى قصتكم او ليؤمنوا لاجل دعوتكم وقد كان فريق منهم اى والحال ان طائفة من اسلافهم
وكبرائهم وعلمائهم كانوا يسمعون كلام الله يعنى التورية ثم يحرفونه اى
يغيرونه عن وجهه من جهة المبنى او من طريقة المعنى ومنه نعت المصطفى وآية الرجم
فى الزنى من بعد ما عقلوه اى فهموه وفيه اشعار بانهم فعلوا ذلك عن تعمد وعدوان
لا عن خطاء ونسيان وهم يعلمون اى ان ذلك مكسب للاوزار الموجبة للقرار
فى دار البوار وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله تعالى على وجه الظهور
حين كلم الله سبحانه موسى عليه السلام بالطور فقالوا سمعنا الله يقول فى آخره
ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم لا تفعلوا انتهى وفيه
على تقدير صحته اشارة الى عدم استطاعتهم لفعل هذه الاشياء ونفى قابليتهم
لفهم هذه الانباء فانه مقام الانبياء والاصفياء وتنبيه نبيه على ان مشيتهم تابعة
لمشية الله كما قال تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله ولما طبق عليه السلف

وعلماء

وعلماء الخلف ان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وكان هذا القيل لمختار الاستاذ
حيث افاد فى مقام الاشارة الى الارشاد بقوله آيسهم عن ايمانهم وذكر انهم
بعد سماع الخطاب من الله سبحانه اذا حرفوا وبدلوا فكيف يؤمنون لكم وانما
يسمعون بواسطة الرسالة ومن لم يبق على الايمان بعد العيان فكيف يؤمن
بالبرهان والذى لم يصلح للحق لا يصلح لكم ومن لم يجبئهم من الله فكيف يجبئهم
منكم واذا لقوا اى منافقوا اليهود الذين آمنوا فى مقام الشهود قالوا آمنا
اى صدقنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو نبى صادق وحكمه لكتابنا موافق
واذا خلا اى رجع بعضهم وهم المنافقون الى بعض وهم شياطينهم
ورؤساؤهم الذين على الكفر مصرون قالوا اى ملبسين للمنافقين اتحدثونهم
اى اتخبرون المؤمنين بما فتح الله عليكم اى بما بين لكم من نعت محمد فى كتابكم ليحاجوكم
به اى ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم اليكم عند ربكم اى فى حكمه كقوله تعالى فاولئك
عند الله هم الكاذبون افلا تعقلون اى افلا تستعملون عقولكم ولا تتفكرون
حصولكم اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون من التلبيس والتكذيب وما يعلنون
من التصديق والتهذيب قال الاستاذ تواصوا فيما بينهم بانكار الحق واخفاء
الحال على المؤمنين الابرار ولم يعلموا ان الله يطلع رسوله صلى الله عليه وسلم
على الاسرار وان نورا اظهره الغيب لا ينطفى بمزاولة الاغيار وان موافقة
اللسان مع مخالفة العقيدة لا تزيد الا زيادة الفرقة ومنهم اى هذا
حال علمائهم وقصة كبرائهم ومنهم اميون جهلة سفهاء لا يعلمون الكتاب
اى لا يعرفون التورية الا امانى جمع امنية وهى ما يقدر فى النفس من التمنية
والاستثناء منقطع والمعنى لكن يعتقدون مواعيد فارغة سمعوا من علمائهم
تقليدا ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
وقيل الاستثناء متصل والامنية بمعنى القراءة اى الا قراءة عارية عن قاعدة المبنى
وفائدة المعنى وان هم الا يظنون اى وما هم الا قوم يظنون ولا يستيقنون
فويل اى شدة عذاب عظيم وغلظة حجاب جسيم للذين يكتبون الكتاب
اى المحرف بايديهم اى من قبل انفسهم ثم يقولون هذا من عند الله
ليشتروا به ثمنا قليلا اى كى يحصلوا به غرضا حقيرا وعوضا يسيرا من
اعراض الدنيا ويفوتوا كثيرا مما اعد للمؤمنين من نعيم العقبى فويل لهم مما
كتبت ايديهم من المفترى وويل لهم مما يكسبون من الرشى قال الاستاذ
اى خسروا فى الحال والمآل اى لتعلقهم بالجاه والمال وقالوا لن تمسنا النار
اى لن تصيبنا اصابة هينة الا اياما معدودة اى قليلة محصورة يعنون
قدر زمان عبادة العجل وهو اربعون يوما قل اتخذتم عند الله عهدا

اى خبرا ووعدا فلن يخلف الله عهده اذ من المحال الخلف فى خبره ام تقولون
اى بل تقولون على الله ما لا تعلمون والاستفهام للتقرير والتقريع بلى اثبات
لما نفوه من مساس النار لهم مؤبدا والمعنى بلى اعذبهم عذابا شديدا
اذ دخلوا تحت حكمنا الذى لم يتغير ابدا من كسب سيئة اى قبيحة فى الغاية وهى
الشرك والكفر واحاطت به خطيئته بالتوحيد عن غير نافع اى واستولت
عليه خطيئاته ان شية من كفره بحيث ما خرج من حيطة خطيئته وما ظهر له توبة
عن معصية وانسدت عليه طريق نجاته فاولئك اصحاب النار اى ملازموا عذابها
فى العقبى كملازمتهم لاسبابها فى الدنيا هم فيها خالدون اى دائمون لا يفنون
فيها ولا يخرجون عنها وفى تفسير السلمى بلى من كسب سيئة برؤية افعاله واحاطت به
خطيئته بظن انه ينجى باحواله فهم المبعدون عنى وعما يقربهم عندى والذين آمنوا
وعملوا الصالحات اى الاعمال المقبولة الصالحة ان تكون الموضعة المنقولة
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون قال الاستاذ فى الحال جنان الوصل
وفى المآل جنان الفضل لا يمسهم فى الآخرة نصب لايصال المبار ولا يجفهم
اليوم بقلوبهم تعب لشهود تصاريف الاقدار واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل
لا تعبدون الا الله بالخطاب لغير المكى وحمزة والكسائى وهو نفى فى معنى النهى
بل هو ابلغ لما فيه من الايجاز اى ان المنهى سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه بالامتثال
فى الابتداء وبالوالدين احسانا اى وتحسنون او واحسنوا بهما احسانا كثيرا
قال الاستاذ انما ردك الى مراعاة حق شكلك اظهارا ان من لا يصلح لصحبة
شخص مثله كيف يقوم بحق معبود ليس كمثله شيء واذا كانت التربية المتضمنة
لحظوظ الوالدين توجب عظيم هذا الحق فانظر لحق تربية سيدك لك
كيف تؤدى شكره فى نعمك وذى القربى واليتامى والمساكين اى وكذا
احسنوا بهؤلاء وامثالهم من الفقراء والضعفاء كالاسراء وافاد الاستاذ
انه نعم رحمته فى التعلق بكل احد وقولوا للناس حسنا بضم وسكون اى قولا
ذا حسن وفى قراءة حمزة والكسائى بفتحتين اى قولا مستحسنا والمراد به النصيحة
والموعظة وحسن العشرة فى الخلطة وسائر ما يتعلق بحقوق الخليقة قال الاستاذ
يعنى من يكون من شهود الحق فى راحة لقلبه يكون الخلق فى راحة من لسانه وحقيقة
العبودية الصدق مع الحق والرفق مع الخلق واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
يريد بهما ما فرض عليهم فى ملتهم وقال الاستاذ العبادة وهى التعبد بهذه الخصال
حاصل ايضا لنا فى شرعنا فاولها التوحيد وهو افراد الحق بالعبادة ومن لاحظ
خلقا او استحلى من الاغيار ثناء او استجلب لطاعته الى نفسه نصيبا او داخله
بوجه من الوجوه مزج او شوب فهو ساقط عن رتبة الاخلاص فى العبادة وكذا من اى

نجاة

نجاة بفضله فساقط عن درجة المروة ثم توليتم الخطاب مع الموجودين والسابقين كلهم
على طريق التغليب اى اعرضتم عن عهدكم الا قليلا منكم اى بالاقبال على الاسلام
وانتم معرضون اى قوم عادتكم الاعراض وتعلقكم بالاعراض ومن اعرض عنا اعرضنا
عنه واوقفناه فى العناء واذ اخذنا ميثاقكم اى فى التورية لا تسفكون دماءكم اى
لا يقتل بعضكم بعضا من غير ثاركم ولا تخرجون انفسكم من دياركم اى لا يخرج احد منكم
صاحبه من دياره ويستقر فى منزله ومزاره او لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم
من اوطانكم او لا تفعلوا ما يصرفكم عن الحيوة الابدية فانه قتل النفس فى الحقيقة ولا تكتسبوا
ما تدفعون به عن الجنة التى هى داركم فانه الجلاء الحقيقى عند ارباب الطريقة وافاد
الاستاذ ان الاشارة فيه ان من سعى فى استجلاب حظه من الدنيا سعى فى سفك
دمه وفى العقبى الى استجلاب عظيم المه قال بعضهم الى حتفى مشى قدمى ارى قدمى
اراق دمى وان المجرمين اقتلوا بايديهم حتفهم فى مآلهم وآثروا باختيارهم
ما فيه غاية هلاكهم واستيصالهم قال بعضهم بعينى نفسى اصبت نفسى فالله بينى
وبين عينى ثم اقررتم بعهده واعترفتم بلزوم وعده وانتم تشهدون بذلك على
انفسكم او على اسلافكم قال الاستاذ يعنى لسوء فعلكم اقررتم وعلى ما علمتم ان فيه
هلاككم اصررتم فلا بما ابصرتم اعترفتم انصرفتم ولا بما خاطبتم بالسمع ولا خربتم الا بيوتكم
ولا ضررتم الا انفسكم ثم انتم هؤلاء اى يا هؤلاء الناقضون للعهد الناقضون فى الوعد تقتلون
انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اى من غير ان يكون فساد فى آثارهم قال الاستاذ
وكذلك فى التعاون على الاعراض عن الله والتساعد فى المقام فى اوطان الغفلة
هلك بعضكم بعضا فآفات احوالكم غير لازمة وقاصرة عليكم بل هى متعدية عنكم الى
امثالكم واقرانكم تظاهرون عليهم بالتخفيف للكوفيين اى تتعاونون على اهل
ملتكم واضراب جلدتكم بالاثم والعدوان اى بالمعصية والتعدى فى المظلمة وقال الاستاذ
الاشارة فيه ان نصرتكم لاخوانكم على ما فيه بلاؤهم نصرة عليهم بما فيه شفاؤهم الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين دابهم وان ياتوكم اسارى اى حال كونهم ماسورين
محصورين وللفداء طالبين مضطرين وفى قراءة حمزة اسرى تفدوهم اى تعطوهم
الفداء وتخلصوهم من البلاء وفى قراءة نافع وعاصم والكسائى تفادوهم
بصيغة المغالبة للمبالغة فى المعالجة او اريد بالمفاعلة هنا المبادلة وهو اى الشان
محرم عليكم اخراجهم متعلق تخرجون وما بينهما اعتراض افتؤمنون ببعض
الكتاب وهو امر الفداء بالتناصر وتكفرون ببعض وهو النهى عن القتل
والاخراج والتظاهر وذلك ان بنى قريظة من اليهود كانوا حلفاء الاوس من
الانصار وبنو النضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه فى القتل
وتخريب الديار واجلاء اهلها من الاوطان واذا اسر احد من الفريقين جمعوا

كلهم له المال حتى يفدوه ويخلصوه من الوبال وقيل معناه ان يأتوكم اسارى في ايدي
الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والموعظة مع تضييعكم انفسكم واهلاككها
بالغفلة وقال ابو عثمان وان يأتوكم غرقى في العيوب تدلوهم على طريق التوبة من الذنوب
وقال الواسطي وان يأتوكم غرقى في رؤية افعالهم تنقذوهم من ذلك برؤية المنن في
احوالهم وقال الاستاذ اي كانت دعوى بالفداء عنهم حلوة فيهم فكذلك يعرض عليهم
كف ايديكم عنهم وترك ازعاجهم عن اوطانهم فاذا قمتم ببعض ما كتب عليكم
فالذي يقعدكم عن الباقي حتى تقوموا كما امرتم اما علمتم ان من فرق بين ما امر به
فآمن ببعض وكفر ببعض فقد حبط بما ضيعه اجر ما عمله ثم الاسراء اصناف فمن اسير
غرق في بحر الهوى فانقاذه بان تدله على طريق الهدى ومن اسير بقي في ايدي وساوس
الشياطين ففداؤه ان ترشده الى اليقين بلوائح البراهين لتنقذه من الشك والظن
ومن اسير تجده في اسر هواجسه استأسرته فاقة نفسه ففك اسره بان تدله على
شهود المنة بتبريه عن حسبان كل حول وقوة ومن اسير تجده ربيط زلاته بانواعها
ففك اسره ارشاده الى اقلاعه وانجاده الى ارتداعه ومن اسير تجده في قبضة الحق
فتخبره انه ليس لاسرائه فداء ولا لقتيله قود ولا لربيطه خلاص ولا عنه بد ولا اليه سبيل
ولا من دونه حيلة ولا مع سواه راحة ولا لحكمه رد ولا لامره حد فما جزاء من يفعل ذلك
منكم الا خزي اي فضيحة ومذلة في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب
اي الى اصعب انواع العقوبة قال الاستاذ اي ظنوا في الدنيا ان ما فعلوه ينفعهم
فانكشف لهم في العقبى ان جميع ما فعلوه مما مزجوه بالآفات وجردوه عن الصدق والاخلاص
غير مقبول منهم وما الله بغافل عما تعملون بالغيبة لابن كثير والمكي وشعبة اي لا عن اعمالكم
ولا عن اعمالهم اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة اي اختاروا المنزلة الفانية
على المرتبة الباقية فلا يخفف عنهم العذاب اي فلا يرفع عنهم الحجاب ولا هم ينصرون
اي ولا يمنعون عن العقاب فانه بذلك سبق الكتاب وافاد الاستاذ ان الذين اثروا عليه
شيئا خسروا في الدنيا والاخرى كما قالوا شعر اناس اعرضوا عنا بلا جرم ولا معنى ٠
فان كانوا قد استغنوا فانا عنهم اغنى ٠ ولقد آتينا موسى الكتاب اي من بعد
ما اهلكنا القرون الاولى وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره وقفاه الانبياء
كداود وسليمان وزكريا وآتينا عيسى ابن مريم البينات اي الانجيل المشتمل على الآيات
او المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات
وايدناه اي قويناه بروح القدس بضمتين لغير المكي اي بالروح المقدسة او
جبريل المسمى بالروح الامين فانه كان قرينه يسير معه حيث سار كما ورد في صحيح الاخبار
وقال الاستاذ اي وصلنا لهم الخطاب وفصلنا لهم الكتاب واردفنا رسولا
بعد رسول لرفع العقاب والجميع دعوا الى واحد وهو الاقبال على المولى ولكنهم صغوا الى

دعاء الداعين

دعاء الداعين بسمع الهوى فما استلذته النفوس قبلوه وما استثقلته اهواؤهم جحدوه
فالويل لهم في الدنيا ثم الويل لهم في العقبى وهذا معنى قوله تعالى افكلما جاءكم اي اكفرتم بالنعمة
فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم اي بما لا تحبه ولا تعجبه من الكلفة استكبرتم اي
تعظمتم عن الخدمة واخترتم الغيبة عن الحضرة بل زدتم في الجراءة وعظمتم الجريمة ففريقا اي
من الانبياء كموسى وعيسى كذبتم وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى واختيار صيغة المضارعة
لحكاية الحال الماضية وقالوا قلوبنا غلف جمع اغلف وهو في غلاف اي مغشاة
باكنة خلقية ومطبوعة فطرية لا يصل اليها ما جئت به من المنقول ولا يعي ما تذكر وتقول
بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا وتكذيب لما ادعوا والمعنى انها خلقت قابلة
لقبول الحق وصالحة لسماع الصدق ولكن ابعدهم الله من رحمته وطردهم عن حضرته
فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة مفيدة للمبالغة في القلة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو
ايمانهم ببعض القضية او المراد بالقلة العدم بالكلية اي لا يؤمنون اصلا لا كثيرا ولا قليلا
وقيل معنى الآية نحن مستغنون بما في قلوبنا من العلم فانها اوعية واعية للحكم وكان الاستاذ
اعتمد عليه واشار اليه بقوله لو سلم شيء بمجرد الدعاوي لهان وجود المعاني لكن
عند مطالبات التحقيق بالموافقة تفتضح ارباب الملبسين عن اسنان شاغرة بل مكاشرة
شعر اذا اشتبكت دموع في خدود ٠ تبين من بكى ممن تباكى ٠ انتهى ومن هذا المبنى
ما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم
اي موافق لما في كتبهم وكانوا من قبل اي قبل نزوله يستفتحون يستنصرون على الذين
كفروا اي على المشركين بقولهم اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان
فلما جاءهم ما عرفوا اي الذي عرفوه من الحق كفروا به حسدا على النعمة وخوفا على الرياسة
وجواب لما الثانية دل على جواب لما الاولى فلعنة الله على الكافرين اي منهم ومن غيرهم
قال الاستاذ الاشارة فيه لمن عزم على الصفاء ووعد من نفسه تحقيق الوفاء ونشر اعلام
النشاط عند البروز الى القتال واذ تنادوا بالنزال وصدق القتال انهزم عند التقاء
الصفوف وانخزل عن الجملة خشية هجوم المحذور قال تعالى فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله
لكان خيرا لهم بئسما اشتروا به انفسهم اي ما باعوا به حظ انفسهم من الاجل ان يكفروا
بما انزل الله اي كفرهم بالقرآن بغيا حسدا ان ينزل الله التخفيف لابن كثير وابي
عمرو اي على انزاله الوحي من فضله على من يشاء من عباده فباءوا اي رجعوا بغضب
اي لكفرهم الحق على غضب لحسدهم على افضل الخلق وللكافرين عذاب مهين
اي يراد به اهانتهم بكفرانهم بخلاف عذاب العاصين فانه طهرة لعصيانهم وقال الاستاذ
انزلهم التحاسد عن منزل العز الى حضيض الخزي وسلبهم ذل الصغار حين لم يرضوا بمقتضى
الحكم فاضافوا استيجاب مقت آنف الى استحقاق مقت سالف واذا قيل لهم
آمنوا بما انزل الله اي بجميع ما انزله من القرآن وغيره قالوا نؤمن بما انزل علينا اي

بما خص انزاله الينا ويكفرون بما وراءه اى بما عداه وهو الحق اى وما وراءه ايضا الثابت
الصدق مصدقا لما معهم حال مؤكدة اى مطابقا لما معهم من الحق على وفق الصدق وفيه
تنبيه على بطلان مقالهم وكفران حالهم فانهم لما كفروا بما وافق كتابهم كفروا بما
طابق خطابهم مع ان دعويهم الايمان بما انزل عليهم مردود اليهم بقوله قل فلم تقتلون انبياء الله
من قبل ان كنتم مؤمنين اى بما انزل عليكم فانه لم يسوغ قتل الانبياء لديكم ثم انما نسب
قبايح الاباء الى الابناء فانهم راضون به عازمون على مثله ولهذا عدل عن الماضى الى
الاستقبال والله اعلم بالحال وافاد الاستاد ان الاشارة الى انه اذا قيل لهم حققوا
ما اظهرتم من حكم الوفاق بتحقيق الحال واقامة البرهان سمحت نفوسهم ببعض ما التمس منهم
مما يوافق اهواءهم ثم يكفرون بما وراء حظوظهم الا انهم بعداء عن زمرة الخواص غير
معدودين فى جملة الاختصاص ولقد جاءكم موسى بالبينات يعنى اليد والعصا وسائر
المعجزات الواضحات ثم اتخذتم العجل اى معبودا من بعده اى بعد مجئ موسى او ذهابه
الى ميقات المولى وانتم ظالمون اى قوم عادتكم وضع الشئ فى غير موضعه وفيه تنبيه
على ان الاخلاف على طريق الاسلاف قال الاستاد اى دعاكم الى التوحيد وافراد المعبود
عن كل محدود وعلى نعت التفريد ولكنكم لم تجنحوا الا الى عبادة ما يليق بكم من عجل اتخذتموه
وصنم نحتتموه فرفع ذلك من بين ايديهم لكن بقى آثاره فى قلوبهم وقلوب
اعقابهم ولذا يقول اكثر اليهود بالتشبيه واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم
الطور اى قائلين خذوا ما آتيناكم بقوة اى بجد وعزيمة واسمعوا اى سماع قبول وطاعة
قالوا سمعنا اى قولك لكن بلسانهم وعصينا اى امرك لكن بجنانهم او قيل صدر هذا القول
منهم بعد رفع الطور عنهم وقيل لما سمعوه وتلقوه بالمعصية نسب اليهم القول على التوسعة
واشربوا فى قلوبهم العجل اى سقوا حبه حتى خلص ذلك من قوالبهم الى قلوبهم وخلط
من ظواهرهم الى بواطنهم وعبر عن حب العجل بالشرب لان الماء اكثر نفوذا ووصولا الى
القلب وقد روى عن على رضى الله عنه ان موسى عليه السلام عمد الى العجل فوضع المبارد فبرده
بها وهو على شاطئ نهر فما شرب احد من الماء من عابد العجل الا اصفر وجهه كالذهب بكفرهم
اى بسبب كفرهم وجهلهم بمعرفة ربهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او مشبهة او حلولية او اتحادية
فاعجبهم جسم العجل وحسنه المصوغ من ذهبهم فذهب بعقولهم وتمكن حبه فى قلوبهم
قل بئسما يأمركم به ايمانكم اى بالتورية على زعمكم والمخصوص بالذم مقدر اى هذا الامر المقرر
عندكم ان كنتم مؤمنين اى مدعين للايمان والايقان او تقديره ان كنتم مؤمنين بها ما امركم
ايمانكم بهذه القبايح ولا رخص لكم فيها وحاصله انه لو كنتم مؤمنين بها لما عبدتم شيئا
مما سواه وهذا بالنسبة الى اسلافهم واما بالاضافة الى اخلافهم فالمعنى لو كنتم مؤمنين
بما انزل عليكم ما كذبتم بمحمد فيما ارسل اليكم قال الاستاد كرر الاخبار عن غلوهم فى حب العجل
ونبوهم عن قبول الحق والجائه اياهم بما اظل عليهم من الجبل وترفقهم معاجلتهم بالعقوبة

على ما يستلبون من العمل فلا النصح ينجع فيهم ولا العقوبة تقلعهم عن معاصيهم ولا بالزام
لهم انقلعوا ولا بموجب الامر عملوا قل ان كانت لكم الدار الآخرة اى نعيمها الفاخرة
عند الله اى فى علمه ووفق حكمه خالصة اى خاصة بكم لقولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا
من دون الناس اى من غير سائر المسلمين فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فى دعويكم
باختصاص اليقين فان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص من دار
الكدورة بالوصول اليها لاسيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه غيره فيها ولن يتمنوه ابدا
اى لعلمهم بكذبهم بما قدمت ايديهم اى من اعمالهم الموجبة بالنار فى دار البوار والاضافة
الى اليد لانها آلة لعامة الصنائع واكثر المنافع والله عليم بالظالمين فيه تهديد ووعيد
اكيد وهذه الجملة من ازاد المعجزة وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص
كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى ولتجدنهم اى ولتعلمنهم
بسوء عاقبتهم احرص الناس على حيوة اى ولو قليلة من هذه الحيوة الفانية لتعلقهم
بالشهوات النفسانية او على حيوة طويلة لعلمهم بما لهم الى العقوبة الباقية ومن الذين
اشركوا عطف على الناس بحسب المعنى فالتقدير احرص من الناس الباقين ومن
المشركين الحريصين على الحيوة العاجلة لعدم ايمانهم بالحيوة الآجلة ففيه من التوبيخ والتقريع
غاية المبالغة يود احدهم لو يعمر الف سنة استيناف بيان وضمير احدهم راجع
الى احدهما وقيل التقدير ومن الذين اشركوا جمع يود احدهم لو يعمر الف سنة حكاية
لودادتهم ولو بمعنى ليت فى عبارتهم والاظهر ما ذهب اليه بعضهم من ان لو هذه مصدرية
بمعنى ان الا انها لا تنصب وما هو اى ما احدهم بمزحزحه اى بمبعده من العذاب
اى عذاب ربه وحجاب قلبه ان يعمر اى تعميره وعن العقوبة تأخيره والله بصير بما يعملون
اى عليم باعمالهم فيجازيهم على وفق احوالهم وقد ورد فى تفسير قوله تعالى ايكم احسن عملا
اكثر للموت ذكرا وللقيمة فكرا وقال الواسطى جعل الموت نقطة العالم لمن هابه
نتيجة عن الميت ومتى يكون وفلك هيبة المميت احببت طارق الموت وافاد الاستاد
ان حب الحيوة فى الدنيا نتيجة الغفلة عن المولى فاشدهم منه غفلة احبهم للبقاء فى الدنيا
وحال المؤمن من هذا على الضد واما اهل الغفلة اصحاب التهتك فانما حرصهم على حيوتهم
لعلمهم بما قصروا فيه من طاعاتهم والعبد الآبق لا يريد رجوعه الى سيده والانقلاب الى
من هو خيره مرجو خير للمؤمنين من البقاء مع من شره غير مأمون ثم ان امتداد العمر
مع يقين الموت كان قد فاجاه الامر وانقطع العمر وكل ما هو آت فقريب واذا انقضت
المدة فلا مرد لهجوم الاجل على اكتاف الاجل قل من كان عدوا لجبريل بكسر الجيم وفتحها
مع كسر الراء وبفتحهما مع همز بعده ياء وحذفها اربع قراآت متواترات وسبب نزول
الآية ان اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال هو جبريل قالوا
ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر

فبعثنا من يقتله فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه
والا فبم تقتلونه وجواب الشرط محذوف والتقدير فليمت غيظا فانه اي جبريل نزله
اي القرآن ولفخامة شانه لا يحتاج الى سبق بيانه على قلبك فانه المحل القابل للوحي
اولا ومحل الفهم والحفظ ثانيا باذن الله اي بامره وتيسيره حال من فاعل نزله مصدقا
اي موافقا لما بين يديه اي لما قبله من الكتب والشرائع او لما بعده من الوقايع وهدى
وبشرى للمؤمنين احوال من مفعول نزله وفيه ايماء الى رد ما روي عنهم من ان جبريل
صاحب الحرب والشدة وان ميكائيل صاحب الخصب والسلامة فلو ان ميكائيل اتاك
لآمنا بك واتبعناك فكانه قال تعالى انه ينزل بهما على الكافرين وبالهداية والبشارة
من كان عدوا لله اي بمخالفته عنادا وملائكته ورسله اي وانبيائه المرسلين
وقدم الملائكة عليهم لانهم وسائط فيما بين الله وبينهم وجبريل وميكال خصهما بالذكر
وهو بهمز مكسور فياء ساكنة وحذفها وباسقاطهما ثلث قراءات معتبرات فان
الله عدو للكافرين والمعنى ان من كان عدوا لهم فان الله عدو له ووضع الظاهر
موضع المضمر للاعلام بان عداوتهم كفر وجمع لافادة العموم الشامل لهم ولغيرهم من انواع
الكفرة وتعريض لهم بقبول التوبة وفيه ايماء الى من عادى احدهم كمن عادى جميعهم وقيل
الواو بمعنى او واريد بها تنوعهم وفيه اشعار بانه تعالى تولى بذلك عداوة من عاداهم
وكفى رسله وملائكته امر من ناواهم قال الاستاذ زعمت اليهود ان جبريل لا يأتي بالخير
وانهم لا يحبونه ولو كان ميكائيل لكانوا متوابه واعظموا شانه فاكذبهم الحق سبحانه
بقوله قل من كان عدوا لجبريل لانه لا يأتي بالخير فاي خير اعظم من نزوله بالقرآن ثم قال
ان من عادى جبرائيل وميكائيل اشارة الى رسول الحبيب الى الحبيب لعذب المورد
كريم المنزلة عظيم المرتبة وما ضر جبريل عداوة غيره ولكن سبحانه وليه ومن عادى جبريل فالحق
عدوه وما اعز هذا الشرف وما اجله وما اكبر علوه ولقد انزلنا اليك آيات بينات اي دلالات
واضحات وعلامات لايحات وما يكفر بها الا الفاسقون اي الكاملون في الفسق
وهو الخروج عن الطاعات قال الاستاذ لم يكفر بواضح آياته الا من سدت عن الادراك
بصيرته وسبق من الله شقوته ولا عقل لمن يجحد ان النهار نهار وذلك لا وصل لمن لم يساعده
من الحق انوار واستبصار اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم اي طرحه ونقضه وهو
محل الانكار فيهم بل اكثرهم لا يؤمنون فهم على نقض عهودهم مستمرون وفي قبضة
تصرف الحق اسيرون وفي قضية امرهم متحيرون فكانهم مريدون مترددون قال
الاستاذ كان سابق التقدير لهم بشقوتهم وينقض عليهم لاحق التدبير منهم والله
غالب على امره ولما جاءهم رسول اي ارشد لهم من عند الله اي من تفضله
عليهم مصدق لما معهم اي من الكتب المنزلة واقوال الانبياء المرسلة نبذ فريق
من الذين اوتوا الكتاب اي مع علمهم بان في كل باب من الكتاب فصل الخطاب

من تمييز الخطأ والصواب كتاب الله اي التورية او القرآن وراء ظهورهم لشدة
اعراضهم وقلة التفاتهم الا الى اغراضهم كانهم لا يعلمون انه الحق من ربهم قال الاستاذ
جحدوا ارسل الحق الى قلوبهم من حب الخواطر وكذبوا رسلهم الذي اتاهم في الظاهر
فما جلا ما فيه شظية من الوفاق [illegible] الخذلان واتبعوا ما تتلوا اي ما كانت تحدث
او تتبع الشياطين اي شياطين الانس والجن على ملك سليمان اي في عهده من الزمان
وعدي بعلى لتضمين معنى الافتراء والبهتان فان الجن كتبوا السحر ودفنوه تحت سريره
حين نزل ملكه وحكمه وتقريره ولما مات عليه السلام استخرجوه وقالوا انما تسلط بهذا فتعلموه
ونفوا نبوته وقالوا ما هذا الا ساحر لدولته فبراه الله من ذلك البهتان بقوله وما كفر
سليمان وعبر بالكفر عن السحر ليدل على ان السحر من الكفر ولكن الشياطين وبالتخفيف
والرفع لابن عامر وحمزة والكسائي كفروا حيث جحدوا نبوة سليمان وانكروا يعلمون
الناس السحر اي اغواء واضلالا والجملة وقعت حالا وما انزل على الملكين ببابل قرية
قريبة من الكوفة هاروت وماروت بدل من الملكين والمعنى ويعلمونهم ما القي اليهما وقذف
في قلوبهما من علم [illegible] ابتداء لهما وللخليقة وتحمل القضية على في مسند احمد وصحيح
ابن حبان مرفوعا وعن علي وابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم موقوفا ان
بعض الملائكة طعنوا في اهل الارض من جهة فسادهم وقلة صلاحهم ورشادهم فقال
تعالى لو كنتم على طبعهم لفتنتم مثلهم فقالوا نحن لا نعصي الهنا [illegible] فاختار الله
سبحانه من بينهم من اعبدهم وركب فيهما الشهوة وارسلا من المنازل العلية الى
الارض السفلية فعصيا باتباع الهوى وترك سبيل الهدى ونسيا ما ادعيا من ملازمة
التقوى فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب العقبى فاختارا الاولى فان عذاب الآخرة
اشد وابقى فهما الان الى يوم القيمة معذبان والله يمتحن بهما عباده ويجري على
اهل بلاده مراده وما يعلمان من احد اي احدا ابدا حتى يقولا اي على طريق النصيحة
انما نحن فتنة اي بلية ومحنة فلا تكفر اي باعتقاد جوازه والعمل به فان اطعتنا نجوت
وان عصيتنا هلكت فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي بين المحب
ومحبوبه وبين الطالب ومطلوبه وما هم بضارين به اي بسحرهم من احد اي احدا
من اعدائهم الا باذن الله اي بارادته وقضائه فيهم قال الاستاذ من فرقته
الاهواء وقع في كل مطرح من مطارح الغفلة فيستقبله كل جنس من قضايا الجهالة
ثم ان من طالت به الغيبة صار للناس عبرة ولمن سلك طريقه فتنة فمن اقتدى به
في غيه انخرط في سلكه والتحق بجنسه هكذا صفة هاروت وماروت فيما استقبلهما
صار للخلق فتنة بل عبرة لمن سمع الى قالهما ولم يعتبر بحالهما تعلق به بلاؤهما و[illegible]
في الآخرة عناؤهما والاشارة من قصتهما الى ان من مال في هذه الطريقة الى تمويه
وتلبيس واظهار دعوى بتلبيس فهو يستهوي من اتبعه ويلقيه في جهنم بباطله

وبصدد بشر ظلماته عن طريق رشده ومن اعتبر عبر ابتلائه قاطره ومن تهتك
بالجنوح الى اباطيله تهتكت استاره وظهر لذوى البصائر عواره وان هاروت وماروت
لما اغترا بحاصل ما اعتاداه من العصمة بسطا لسان الملامة فى عصاة بنى آدم فلما ركب فيهما
نوازع الشهوات ودواعى الفتن والآفات افتتنا فى المعصية وظهر منهما ما تنشر ذكره على السنة
اهل القصة فهما منكسان الى يوم القيمة ولولا الرفق بهما لم يتناه فى القيمة عذابهما ولكن لطف الله
مع الكافة كثير والله على كل شئ قدير ويتعلمون ما يضرهم اى ما يوجب كفرهم ولا ينفعهم
اى نفعا يوازى ضررهم وفى معناه تعلم العلم الذى لا يضر ولا ينفع وكذا اكتساب عمل ممن
لا يخشع حيث لا ينجع ولا يدفع قال الاستاذ علم اهل التحصيل ان العلم لكل معلوم وان كان صفة
مدح فبعضها ما هو مرغوب عنه بل هو مستعاذ منه فقد قال الشارع المشفع اعوذ بك من علم لا ينفع
ولقد علموا لمن اشتراه اى اختار ما تتلوا الشياطين على كتاب الله ماله فى الآخرة من خلاق
اى ليس له نصيب من حظوظ اهل الوفاق ولبئس ما شروا به انفسهم اى باعوا به حظ
ذواتهم وحصة لذاتهم لو كانوا يعلمون اى يتفكرون فيما يعلمون من الكتاب لما علموا ما يتبعه
من العذاب وقال الاستاذ لو آثروا الاقبال على الله على الاشتغال عن الله لحصلوا
ذخر الدارين ووصلوا الى عز الكونين لكن كبستهم سطوات القهر فاثبتهم فى مواطن الهجر
ولو انهم آمنوا اى بالكتاب واتقوا عن مخالفة الخطاب والجواب لمثوبة من عند الله
خير اى لثواب عظيم حاصل من فضله فيه خير كثير بالنسبة الى عقاب اليم واصل من عدله
واصل الكلام لاثيبوا مثوبة من الله خيرا من العقوبة الناشئة من المعصية فحذف الهيئة
الفعلية وركب الباقى جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة الخيرية لو كانوا يعلمون ان ثواب الله
خير لما ارتكبوا ما يكون فى عاقبته خير وما مالوا الى من يطلق عليه انه غير يا ايها الذين آمنوا
لا تقولوا راعنا اى سمعك بدل اسمع منا او المعنى راقبنا وتأن بنا فيما تلقنا حتى نفهم ما تلقى
الينا فسمع اليهود وارباب الجحود ان المؤمنين يخاطبونه بهذا المعنى بناء على غفلتهم عن لغة
غيرهم وما فيه من فساد المعنى فافترصوه وخاطبوه بطريق المكيدة على ارادة نسبته الى
الرعونة والحموقة فنهى المؤمنون عنها وامروا بتبديلها لقوله سبحانه وقولوا انظرنا اى انظر
الينا حتى نفهم ما يحكم علينا او انتظرنا وترفق بنا ويؤيده انه قرئ انظرنا من الانظار اى امهلنا
لنحفظ ما امليت لنا واسمعوا اى امرنا ولا تتركوا حكمنا وللكافرين الذين من جملتهم المتهاونين
لسيد المؤمنين عذاب اليم وحجاب وخيم وقال الاستاذ قصود الاعداء خبيثة فى جميع
احوالهم من اعمالهم واقوالهم فهم على مناهجهم يبنون فيما يأتون ويذرون فسبيل الاولياء
التحرس من مشابهتهم والتحرز على موافقتهم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب
اى اليهود والنصارى ومن بيانية ولا المشركين عطف على اهل الكتاب ولا مزيدة لتأكيد
المنفية والمعنى ليس يتمنى النوعان من جنس اهل الكفر والعدوان ان ينزل عليكم من
خير من ربكم اى خيرا من عنده فمن الاولى مزيدة استغراقية والثانية ابتدائية وفيه

تنبيه

تنبيه على كثرة حسدهم وقلة ودهم للمؤمنين لئلا يغتروا بنفاقهم ويحترسوا عن شقاقهم
والله يختص برحمته اى بنبوته وولايته من يشاء اى من خليقته والله ذو الفضل
العظيم اى يتفضل على من اراد على وفق ارادته والاختصاص متعد ولازم فالزم الوق
فى المبنى والمعنى ولازم وافاد الاستاذ ان كراهية الاعداء لانتظام صلاح الاولياء متصلة
مستدامة ولكن الحسود لا يسود ولا يحصل له مقصود وخصائص الرحمة للاولياء كائنة وان رغم
من الاعداء انف وانهدم من اوطان فرحهم اكناف واطراف ما ننسخ من آية قال الكفار
يامر محمد اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه فما هذا الا كلامه فنزل وما شرطية منصوبة على المفعولية
ومن بيانية والمعنى ما نرفع حكمها من القرآن وما نزل امرها من القرآن او ننسها اى نذهبها
عن القلوب بحيث لا نتذكرها لما قيل من ان سورة الاحزاب كانت قدر سورة البقرة فى
طولها نأت بخير منها اى بما انفع للعباد فى المبدأ والمعاد او مثلها فى المنفعة والمثوبة
وفى قراءة الشامى من الانساخ اى نأمر بنسخها وفى قراءة ننسأها بفتح النون الاولى والسين بعدها
همزة اى نثبت رسمها ونؤخر حكمها كقوله لكم دينكم ولى دين فعلى هذا النسخ عكسه اى نثبت
حكمها ونؤخر رسمها كالشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز
حكيم وكذا قوله لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن
ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب الم تعلم ان الله على كل شئ اى من
النسخ والتبديل وغيرهما قدير تام القدرة كامل المشيئة المتضمنة للحكمة فى كل قضية
وحاصل الجملة ان النسخ هو انتهاء التعبد بالقراءة او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا
والحكمة فى ذلك ان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد فيما يتعلق بالمعاش
والمعاد وتكميل نفوسهم فى كل مرتبة فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار
والاشخاص كالغذاء والدواء فى مخالفة الخواص فان النافع فى عصر قد يضر فى دهر وهذا
هو عين الرحمة على وفق الحكمة وفيه تنبيه للسالك النبيه ان يفوض امره فى جميع احواله
الى مولاه من ترق وتنزل وتجل وتحل وبسط وقبض ورفع وخفض ولطف وقهر
وغنى وفقر ومنحة ومحنة ومنفعة ومنقصة وشهرة وعزلة وقلة وكسر ووفاء وجفاء
وبقاء وفناء وسائر مقتضيات الصفات الجمالية وموجبات النعوت الجلالية
حتى القرب والبعد كما قال بعض ارباب الحال اريد وصاله ويريد هجرى فاترك
ما اريد لما يريد وهذا معنى قول الوفاء الرضاء بالقضاء باب الله الاعظم والله اعلم
وقال السلمى ما نقلتك من حالة الا اوصلناك الى حالة اعلى الى ان ننتهى بك الاحوال
الى محل القدس بقوله ودنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى والخطاب من غير واسطة
بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى انتهى ولا يخفى ان ما وقع له من نزوله بعد اوج معراجه
وكمال وصوله ما اوجب نقصانا فى مقامه ولا اقتضى تنزلا فى حاله ومرامه فانه اما كان حلولا
كطلوعه ادا على من الله امره بل هو ظاهر فى علو مرتبته وعظم رتبته لانه مراد او مريد

في مقام المزيد ولا عبرة بظواهر التنزلات الصورية لان المدار على مراتب التجليات المعنوية
الالهية التي تستوي عندها الاراضي السفلية من السموات العلوية كما يشير اليه قوله صلى الله عليه
وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى موميا الى ان معراجه كان في بطن الحوت وعالم الظلمات
كما ان المعراج نبينا صلى الله عليه وسلم فوق السموات والله اعلم بتحقيق الحالات وتوفيق المقالات
وقال الاستاد ما سعلك الى حال الا الى ما هي فوقها واعلى منها فغصن وصلك ناضر ونجم ابدا زاهر
فلا ننسخ من آثار العبادة شيئا الا وبدلنا منها شيئا من انوار العبودية ولا ننسخها من آثار
العبودية شيئا الا اقمنا مكانها اشياء من آثار العبودية فابدا اسرك في الترقي وقدرك في
الزيادة بحسن التولي وقيل ما نرقيك من محل العبودية الا احللناك بساحات الحرية وما رفعنا
عنك شيئا من صفات البشرية الا اقمناك بشاهد من شواهد الالوهية انتهى واراد بشواهد
الالوهية الصفات السبحانية من التخلق بالاخلاق الربانية وفي الحقيقة هذا الترقي ليس مختصا
بارباب التجلي واصحاب التخلي والتحلي بل كل فرد من افراد الفائزين او الطائرين من المؤمنين
والكافرين لهم بحسب مقامهم وحالهم ترق في مآلهم ومنالهم فان التوقف ليس في طور
الانسان فمن لم يكن في زيادة فهو في نقصان ولذا يكون منحة اهل الجنة واماني زيادة اللذة كما
ان محنة اهل النار سرمدا يكون في التضاعف كمية وكيفية لما يشير اليه قوله سبحانه فذوقوا فلن
نزيدكم الا عذابا اي بان نكشف لكم حجابا يوجب حجابا ويعقب عقابا على وفق حال الجنة
من الحسنى ثوابا والزيادة مآبا وهذا كله لان التجليات الالهية من النعوت الجمالية
والجلالية ليس لها مرتبة الانتهائية نسأل الله العناية والهداية من البداية الى النهاية
الم تعلم الخطاب له صلى الله عليه وسلم اصالة ولغيره تبعية ولانه اعلمهم ومبداء
علمهم ان الله له ملك السموات والارض اي يفعل فيهما ما يشاء ويحكم ما يريد
من القضاء من نحو اثبات ناسخ ومحو منسوخ بمقتضى علمه وحكمته في اهل مملكته
وما لكم من دون الله اي مما سواه من ولي اي وال يلي امركم ولا نصير ينصركم
ويدفع ضرركم وافاد الاستاد ان سنته سبحانه ان يجذب اولياءه عن شهود
ملكه الى رؤية ملكه ثم ياخذه من مطالعة ملكه الى مشاهدة حقه فياخذهم من
رؤية الآيات الى رؤية الصفات ومن رؤية الصفات الى شهود الذات
ام تريدون انتقال والتفات اي بل اتريدون ايها اليهود والمشركون
ان تسألوا رسولكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه ارسل الى الخلق
كافة على التقدير الاجتماعي كما سئل موسى من قبل حيث قيل له ارنا الله
جهرة ونحو ذلك ومن اسباب نزول الخطاب ان اهل الكتاب سألوا نبينا
صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء وان المشركين طلبوا ان
يجعل الصفا ذهبا وان يوسع لهم ارض مكة فقال نعم وهو كالمائدة لبني اسرائيل
فابوا ورجعوا اي عن مقترحهم محبة لكفرهم وخوفا من التهديد الواقع في قضية

المائدة

المائدة على انفسهم في قوله سبحانه فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين
ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل اي وسطه وهو الجادة لقوله تعالى وان هذا
صراطي مستقيما الآية او المعنى اخطأ السبيل المستوية المعتدلة وهي الهداية الموصلة وفيه اشعار
بان الاقتراح وسؤال الآيات بعد ظهور البراهين ووضوح المعجزات كفر موجبه التعنت والمكابرة
والعناد في المقاولات ود كثير من اهل الكتاب اي احب احبارهم لو يردونكم اي ان
يردوكم من بعد ايمانكم كفارا اي مرتدين حال من ضمير المخاطبين حسدا اي للحسد الكائن
من عند انفسهم اي من تشهيهم لا من قبل تدينهم من بعد ما تبين لهم الحق اي ظهر لهم الصدق
فاعفوا اي عن مجازاتهم واصفحوا اي اعرضوا عن مقالاتهم حتى ياتي الله بامره اي لا يجاز
من تعلق علمه بايمانه وللقتال من صمم على جهله وكفرانه او اخذ الجزية جزاء على عدوانه ان الله
على كل شيء اي من الانعام والانتقام قدير وباعمالهم واحوالهم بصير وخبير قال الاستاد
من لحقه خسران من اهل الغفلة ود ان لا يطلع لاحد بالسلامة نجم ولا زهر ومن اعتراه الحسد
اراد ان لا ينبسط على عدوه شمس ولا قمر فكذلك كان صفات الكفار واحوالهم فارغم الله
انفهم وكبتهم بوجوههم والاشارة من هذا الى حال اصحاب الارادة اذا رغبوا الى السلوك
في البداية فان من لم يساعده التوفيق وعاشوا مترسمين بظواهر التسميق يمنعون هؤلاء
من سلوك اهل التحقيق ولا يزالون يخاطبونهم بلسان النصح والتخويف بالعجز والهجر
والتهديد بالفاقة والفقر حتى يعقوهم الى سبيل الغفلة ويقطعوا عليهم طريق الارادة
اولئك اعداء الله حقا وصدقا ادركهم مقت الوقت وعقوبتهم حرمانهم من نور ظهور
الحق وان لا يشموا شيئا من روائح الصدق فسبيل المريد ان يحفظ عن الاغيار سره وصدقه
ويشتغل مع كل احد حلقه ويبذل في الطلب رفقه فعن قريب يفتح الله عليه طريقه واقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة اي اجمعوا بين القيام بالعبادات البدنية والطاعات المالية
وعبر عنهما بانهما تشمل الصوم والحج ونحوهما ولان الصلوة صلة ووصلة بين العبد ومولاه
ومعراج حصول وصول بالذهول عما سواه والزكوة تزكية النفس عن ميلها الى المال
والجاه المانعين عن التقرب الى الله فالزكوة تخلية والصلوة تحلية والواو لمطلق الجمعية
على ان التخلي مقدم على التحلي في سير المرادين من المجذوبين السالكين وعكسه طريق المريدين
من السالكين المجذوبين وما تقدموا لانفسكم من خير اي من قرب النوافل بعد قرب الكوامل
تجدوه اي ثوابه عند الله ان الله بما تعملون بصير اي عالم بالنقير والقطمير ومطلع على
الظاهر والضمير وافاد الاستاد ان الواجب على المريد ادامة المواصلات وادامة
التوسل بعيون القربات واتقان بان ما يقدمه من صدق المجاهدات تزكو ثمرته في اواخر
الحالات وقالوا اي اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى لف بين قول الفريقين واو تنويع الكلامين كما في قوله تعالى فقالوا كونوا هودا
او نصارى ثقة بفهم السامع العارف بحالهم من ان كلا منهما على ابطال غيرهما

وهو جمع هائد كعوذ جمع عائذ وافراد الاسم المضمر وجمع الخبر نظر للفظ من ومعناه ليفيد
شمول الحكم مفردهم وجمعهم مع الاشارة الى البلاغة من تفنن العبارة والوجازة بتوضيح
امرام من الكلام قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا وقالت النصارى لن يدخل
الجنة الا من كان نصرانيا تلك امانيهم اى امثال تلك الامنية الباطلة سائر امانيهم وهى
المقولة من التمنى كالاعجوبة من التعجب قل اى لكل فريق منهما او لمجموعهما هاتوا برهانكم اى
قربوا حجتكم واحضروا بينتكم ان كنتم صادقين فى دعوى اختصاصكم بدخول الجنة وحصول
الامنية وفيه ايماء الى قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون قال الاستاد كل حزب
يمهد الامل لنفسه ويظن النجاة بحاله ويدعى الوصل من سهمه ولكن بمجرد الحسبان دون
تحقق البرهان لا يأتى بحاصل ولا يعود بطائل بلى اثبات لما نفوه من دخول
غيرهم الجنة على وجه يفيد الحكم العام فى القضية الشرطية فالمعنى بلى يدخلها من اسلم وجهه
اى اخلص وجهه توجهه فى مقصده ومعتقده لله دون قصد ما سواه وهو محسن
اى فى دينه وعمله واتباع نبيه ولا يبعد ان يكون الاول عبارة عن القيام باوامر الله والثانى
اشارة الى الشفقة على خلق الله فله اجره عند ربه وفى العندية ايماء الى عظمة
المثوبة المترتبة على العبودة العبدية وكناية عن مرتبة القربة فى الحضرة الربوبية او المعز
من عند ربه فضلا حيث لا يجب على الله سبحانه شئ اصلا لان له ان يعذب المطيع
ويثيب العاصى لا ظلما بل عدلا ولا خوف عليهم لنجاتهم من العقوبة ولا هم يحزنون
لدخولهم الجنة وافاد الاستاد ان من اخلص لله قصده وافرد لله وجهه وطهر عن
الشوائب مقصده وهو محسن عالم ما يفعله وحقية ما يستعمله او هو محسن فى المآل
كما انه محسن فى الحال ويقال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فيكون مستعملا
بظاهره مشاهدا بسرائره فى الظاهر جهد وسجود وفى الباطن كشف ووجود ويقال
اسلم وجهه بالتزام الطاعة وهو محسن قائم باداب الخدمة بحسن آداب
حضور الحضرة فهؤلاء ليس عليهم خوف التهجر ولا يلحقهم خفى المكر فلا الدنيا
تشغلهم عن مشاهدته ولا الآخرة تمنعهم غدا عن رؤيته وقالت اليهود ليست
النصارى على شئ اى امر معتد به لان دينهم باطل من اصله وقالت النصارى
ليست اليهود على شئ وهم اى والحال انهم يتلون الكتاب اى يقرؤن الكتاب
ويدعون متابعة الخطاب مع ان فى كل كتاب تعظيم سائر كتب وتوقير جميع انبيائه
ورسله فابطال كل فريق دين الآخر دال على بطلان قولهما فيصدق عليهما ان كلا
منهما صدقوا فى اخبارهما لان كلا الدينين ليس بشئ بعد نسخهما كذلك اى
مثل ذلك الذى سمعته منهما قال الذين لا يعلمون اى من مشركى العرب وعبدة
الصنم وغيرهما مثل قولهم مفعول مطلق لقال وكذلك مفعول به او بالعكس او
الثانى تاكيد للاول ومبين لابهامه المجمل فتأمل والحاصل ان سبيل هؤلاء الذين يدعون

انهم

انهم من العلماء كذاب الجهال والسفهاء فى المكابرة والمبالغة فى المعاندة ونظيرهم
انكار بعض الفقهاء الشافعية على الحنفية كعكس القضية وكذا المالكية والحنبلية المبتلى
بهذه البلية مع اعترافهم بان الكل اخذهم الكتاب والسنة بخلاف اهل البدعة وكذا
ابطال طوائف الصوفية بعضهم بعضا فى الطريقة الحقيقية من النقشبندية
والكبروية والخلوتية والجهرية وامثالها مع ان الطرق الى الله بعدد انفاس المخلوقات
ومقصد الكل واحد بالذات كما قال قائلهم ❊ عباراتنا شتى وحسنك واحد ❊
فكل الى ذاك الجمال يشير ❊ ومثاله ان مقصد الحاج كله الكعبة المشرفة والقوافل
منفرقة مختلفة من كل جهة متوجهة ولكل وجهة فاينما تولوا فثم وجه
الله ففيه ايماء الى مشاهدة الله ورفع ما سواه فالله يحكم بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بان يقسم لكل فريق ما يليق به من الجزاء على وفق
ما كانوا يعملون وافاد الاستاد ان الاشارة فى هذه الآية على العكس من حكم الظاهر
فان الاعداء بعضهم من بعض اليوم والاولياء من وجه كذلك لقولهم لا زالت
الصوفية بخير ما تنافروا ولا يقبل بعضهم بعضا لانه لو قبل بعضهم بعضا بقى بعضهم مع بعض
ولكن الاعداء كلهم على الباطل عند تبرى بعضهم عن بعض والاولياء كلهم على الحق عند
تبرى بعضهم من بعض انتهى والفرق ان الاولين صدر معارضتهم لحظ انفسهم والآخرين
ظهر من تعصبهم بحق ربهم والاعمال بالنيات والله اعلم بالخفيات لكن علامة حق
الحق بقاء الضياء والصفاء وامارة حظ النفس الامارة حدوث كدورة الظلمة
والجفاء ومن اظلم اى لا احد اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه اى بان يصلى
او يتلى او يدرس فيها ونحوه وسعى فى خرابها بهدم بنائها وتعطيل وقفها وتفريق اهلها
اولئك اى المانعون والساعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اى ما كان
ينبغى لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع وادب وخشوع بمباشرة سجود
وركوع ولعل هذا ماخذ تحية المسجد وجمع ليشمل المساجد كلها فان جميعها يقال
لها بيوت ربها قال الاستاد الظالم من خرب اوطان العبادة بالشهوات
وهى نفوس العابدين وخرب اوطان المعرفة بالمنى والعلاقات وهى قلوب
العارفين وخرب اوطان المحبة بالحظوظ والمساكنات وهى ارواح الواجدين
وخرب اوطان المشاهدة بالالتفات الى القربات وهى اسرار الموحدين لهم
فى الدنيا خزى اى للمانعين عن العبادة فى العاجلة مذلة مديدة ولهم فى الآخرة
عذاب عظيم اى وفى العاجلة عقوبة شديدة وافاد الاستاد ان لاهل
الاشارة خزى الدنيا ذل الحجاب عن الذات والصفات وعذاب الآخرة
الاقتناع بالدرجات ولله المشرق والمغرب اى ملكا وملكا والمراد بهما
ناحيتا الارض بجميع جوانبها اى له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان

منها فان منعتم ان تصلوا فى المساجد حسدا فصلوا حيث ما تيسر لكم من الارض فانها
جعلت لكم طهورا ومسجدا فاينما تولوا اى وفى اى مكان فعلتم التولية شطر القبلة
وجهة الكعبة فثم وجه الله اى فهناك جهته التى امر بها وقبلته التى قبلها لان امكان
التولية لا يختص بمسجد ومكان ومحلة وبقعة او فثم ذاته الذى ينبغى التوجه اليه فى كل مكان
وزمان مع تنزهه عن مرور الزمان عليه وعن نسبة الحلول فى الحيز اليه ان الله واسع
باحاطة علمه بالاشياء فى بلاده او برحمته يريد التوسعة فى العبادة على عباده
عليم بمصالحهم واعمالهم واحوالهم فى جميع الامكنة وسائر الازمنة وقد نزلت
الآية فى شان من خفيت عليه القبلة او فى صلوة النافلة على الراحلة او فى تحويل القبلة
وفى تفسير السلمى قال منصور وجهه حيث ما توجهت وقصدا اين تصدت وقال ايضا ان
مثل ابداء الحق للخلق كمثل الهلال يرى من جميع الاقطار بنظر الصدق وافاد الاستاد
ان الاشارة منها الى مشارق القلوب ومغاربها وللقلوب شوارق وطوارق
فطوارقها هواجس النفوس تطرق فى ظلمات المنى والشهوات وشوارق القلوب
نجوم العلوم واقمار الحضور وشموس المعارف فما دامت الشوارق طالعة فقبلة
القلوب واضحة ظاهرة فاذا استولت الحقائق خفى سلطان الشوارق
كالنجوم تستتر عند طلوع الشمس كذلك عند ظهور الحق يحصل اصطلام وقهر
فلا شهود رسم ولا وسم ولا بقاء حس وفهم ولا سلطان عقل وعلم ولا ضياء
عرفان ووجدان هذه الجملة صفات لائقة ببقاء البشرية فاذا صار الموصوف
محوا فانى بقاء الصفة ومادام يبقى من الاحساس والتمييز بقية ولو شظية فالقبلة
مقصودة فان لم تكن معلومة يكون مطلوبة وقال صاحب العرائس فاينما
تولوا بعيون الاسرار فثم مكاشفة الانوار وايضا اشار بهذه الآية الى مشاهدة
الشهود فى الشواهد كما كشف لخليله حيث قال هذا ربى اذ نظر فى دائرة الكون
وفهم هذه الآية ان من نظر بعين العقل فقبلته الآيات ومن نظر بعين القلب
فقبلته الصفات ومن نظر بعين الروح فقبلته الذات ومن نظر بعين السر
فقبلته المحو عن الكائنات وقالوا اتخذ الله ولدا عطف على قالت اليهود
او الواو استينافية ويؤيده حذفها فى قراءة الشامى وقد نزلت حين قالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات
الله سبحانه اى انزهه تنزيها عن ذلك او نزهوا ايها المؤمنون شانه عما
هنالك فانه يقتضى التشبيه والحاجة وسرعة الفناء مع انه تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا احد وليس محل الحوادث والزوال ولا يتصور فى حقه الاتصال والانفصال وفى
التعبير بالاتخاذ اشارة الى تحمل كلامهم فانه لم يقصدوا بذلك حقيقة مرادهم لانها من
المحالات العقلية عند خواصهم وعوامهم مع الايجاد بان الاتخاذ اذا كان منتفيا فكيف

يجوز

يجوز حقيقة التوالد هنالك ومحل الجواب انه ليس الامر كذلك بل له ما فى السموات
والارض ملكا وخلقا وملكا فلا مناسبة لشئ مع الله فلا ولدية مع ان الملكية
تنافى الابنية فى القواعد الشرعية كل اى كل شئ مما فى العلويات والسفليات
له قانتون اى لحكمه منقادون وعن مشيئته وتكوينه لا يمتنعون واختير ما اولا تحقيرا
لشانهم جميعهم ثم اتى بجمع ذوى العقول على جهة التغليب تعظيما لجانبهم وايماء الى ظهور
قنوتهم واستواء ملكيتهم وفيه اشعار الى نهاية صبره وغاية حلمه عن عباده مع كمال قدرته
واقتضاء عظمته وقال الاستاد مكر بهم حين لم يفنهم فى الحال بل جعل موجب اغترارهم
طول الامهال فنطقوا بعظيم الفرية على الله واستبطنوا العجب المرتبة فى وصف الله
فوصفوه بالولد وانى بالولد وهو احدى الذات لا جزء لذاته ولا تجوز الشهوة فى صفاته
بل ليس فى الكون شئ من الآثار المفتوحة والاعيان المستقلة الا وينادى عليه
آثار الخلقة ويفصح منه شواهد الفطرة وكل صامت منها ناطق وعلى وحدانيته سبحانه
دليل مطابق وشاهد صدق بديع السموات والارض اى هو مبدعها وخالقها
من غير مثال سبق قبلها واذا قضى امرا اى قدر موجودا واراد شيئا مشهودا فانما
يقول له اى لاجل المقدر كن اى احدث فيكون اى فيحدث وفى قراءة الشامى
بالنصب جوابا لظاهر الامر ثم الظاهر ان هناك حقيقة قول من كاف ونون او
غيرهما من الدر المكنون والشاهد ابتداء خلق المسيح بامر كن من غير والد كما اشار
اليه سبحانه بقوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له
كن فيكون وكذا الملائكة فالكون كله تحت ذل كن والعزة لله جميعا ويدل عليه قوله
تعالى الا له الخلق والامر بمعنى التدبير والتقدير او المعنى فانما يكون فيكون من غير
كاف ونون وفى التلويح ان اكثر المفسرين ذهبوا الى ان هذا الكلام مجاز عن سرعة
الايجاد وسهولته على الله تعالى وكمال قدرته تمثيلا للغائب اعنى تاثير قدرته فى المراد
بالشاهد اعنى امر المطاع للمطيع فى حصول المامور به من غير امتناع وتوقف ولا افتقار
الى مزاولة عمل واستعمال آلة وليس هنا قول ولا كلام وانما وجود الاشياء بالخلق
والتكوين مقرونا بالعلم والقدرة والارادة وذهب بعضهم الى انه حقيقة وان الله
تعالى قد اجرى سنته فى تكوين الاشياء ان كونها بهذه الكلمة وان لم يمتنع تكونها
بغيرها والمعنى يقول احدث فيحدث عقيب القول لكن المراد الكلام الازلى القائم
بذات الله لا الكلام اللفظى المركب من الاصوات والحروف لانه حادث فيحتاج الى
خطاب آخر ويتسلسل ولانه يستحيل قيام الصوت والحرف بذات الله سبحانه
ولما لم يتوقف خطاب التكوين على الفهم واشتمل على اعظم الفوائد وهو الوجود
جاز تعلقه بالمعدوم بل خطاب التكليف ايضا ازلى ولا بد ان يتعلق بالمعدوم على انه
الشخص الذى سيوجد امر بذلك وبعضهم على ان الكلام فى الاول لا يسمى خطابا حتى

يحتاج الى مخاطب وقال الاستاذ البديع عند العلماء موجد العين لا على مثال وعند
اهل الاشارة الذي ليس له مثل فهذا الاسم يشير الى نفي المثل عن ذاته ونفي المثال عن افعاله
وصفاته فهو العدد الذي لا عدد يجمعه والصمد الذي لا امد يقطعه والحق الذي لا وهم يصوره
والوجود الذي لا فهم يقدره واذا قضى امرا فلا يعتاص عليه مقدور ولا ينفك عن حكمه
مفطور وقال الذين لا يعلمون من جملة المشركين او من اهل الكتاب المتجاهلين لولا يكلمنا
الله اي هلا يكلمنا عيانا او كما يكلم الملائكة بيانا او يوحي الينا بانك رسوله الينا
او تأتينا آية اي علامة على صدقك من الآيات المقترحات حيث قالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات كذلك قال الذين من قبلهم
اي من كفار الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة وهل يستطيع ربك
ان ينزل علينا مائدة من السماء والمثلية لا تدل على التماثل في الجمل المقولة تمثيل
قولهم يدل على تماثل القولين في المؤدى وان تباينا في المبنى والمعنى وقوله كذلك يدل على
توافقهما في الصفات والغايات وما يترتب عليهما من الحالات والواقعات
والتحقيق ان كذلك مطرد في تأكيد الامر وتحقيقه فيه كأنه سلب عنه معنى التشبيه فلا تكرار
لهذا التشبيه تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء وقلوب من قبلهم في العمى والعناد والتعنت وقصد
الفساد قد بينا الآيات لقوم يوقنون اي اظهرنا الآيات القرآنية والمعجزات
الفرقانية والدلالات الآفاقية والانفسية لقوم يطلبون اليقين لا لمن عاند او تعلق
بوهم وتحير في امر الدين قال الواسطي ما اظهر الله شيئا من الاكوان الا وخاطبهم
به والجهلة يقولون لولا يكلمنا الله وقال ايضا قد كلمتهم حيث انزلت عليهم كتابي
وبينت لهم خطابي لكن لم يفهموا لكونهم اعرضوا عن جنابي واي آية اشرف
من محمد صلى الله عليه وسلم وقد اظهرت ذلك لهم انتهى وقد اشار صاحب البردة الى هذه
الزبدة بقوله كفاك بالعلم في الامي معجزة وقوله ومن هو الآية الكبرى المعتبر وافاد الاستاذ
ان كلام الله سبحانه يتعلق بجميع المخلوقات باعيانها وآثارها امر التكوين ويتناول المكلفين
امر التكليف لكن من عدم سمع الفهم تصامم عن استماع الحق فانه سبحانه خاطب قوما
من اهل الكتاب واسمعهم خطابه فلم يطيقوا سماعه وبعد ما راوا من عظيم الآيات حرفوا
وبدلوا اي الآيات التي اظهرها ما يزيح العلة من الاغيار ويشفي الغلة من الاحباب وما
تغني الدلائل وان وضحت عمن حقت له الشقاوة وسبقت انا ارسلناك بالحق
اي بالقرآن المتضمن للصدق فهو مفعول به او مؤيدا بالحق ملتبسا بالصدق فحال عن
مفعوله بشيرا اي مبشرا بالجنة للمؤمنين ونذيرا اي مخوفا بالنار للعاصين فما عليك
الا البلاغ المبين ولا يضرك ان لم يطعك احد من العالمين ولا تسأل عن اصحاب
الجحيم اي لست بمسؤول عن حالهم الذميم وفي قراءة نافع بصيغة النهي المخاطب
المعلوم على انه نهي له صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه لما ورد من انه

عليه السلام قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت والاظهر انه تعظيم لعقوبة
الكفار وتشنيع بها كأنها لفظاعتها وصعوبتها لا يقدر سامع ان يصبر على استماع حكايتها
وقال الاستاذ افردناك بخصائص لم نظهرها على غيرك فالجمهور والكافة تحت لوائك
والمقبول من وافقك والمردود من خالفك وليس عليك من اخبار الاغيار
سؤال ولا عنك لاحد محيد في الحال ولا في الاستقبال ولن ترضى عنك اليهود ولا
النصارى حتى تتبع ملتهم اي دينهم وقبلتهم نزلت الآية عند الامر بالتحويل الى
قبلتهم حيث كانوا يرجون ان يرجع النبي صلى الله عليه وسلم الى ملتهم فلما صرف الله
القبلة الى الكعبة شق ذلك عليهم وايسوا منه ان يوافقهم على دينهم وفيه مبالغة
ايضا في اقناطه عليه السلام عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف
يتبعون ملته ويقبلون مقالته قل اي في جوابهم ان هدى الله اي الذي بعثني
المولى هو الهدى اي طريق الحق على وفق الصدق لا ما تدعون اليه من متابعة
الهوى ولئن اتبعت اي فرضا وتقديرا اهواءهم اي آراءهم الزائغة
الباطلة فان الهوى راي يتبع الشهوة بخلاف الهدى فانها الدلالة الموصلة
وبخلاف الملة فانها ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه من امللت اذا امليت
بعد الذي جاءك من العلم اي الدين المعلوم صحته من الكتاب والسنة ما لك من الله
من ولي ولا نصير اي يمنع ويدفع عنك العقوبة وهو تهديد شديد لانه قال الاستاذ
لا يقال برضا الاعداء بعد ما حصل لك رضانا فانهم لا يرضون عنك الا بمتابعة
اديانهم ودونه خرط القتاد فاعلن التبري منهم واظهر التولي عنهم وانصب
العداوة لهم واعلم ان مساكنتهم الى ما يرتعون سبب الشقاوة المؤبدة فاحرس
عن احضار ذلك بقلبك وبالك وكن بنا متبريا عما سوانا واثقا بنصرتنا
واقبالنا فانك بنا ولنا الذين آتيناهم الكتاب اي على حقيقته يتلونه
حق تلاوته اي يقرؤونه حق قراءته من جهة المبنى ويتبعونه حق متابعته من طريقة
المعنى فهم جامعون بين التدبر في معناه والعمل بمقتضاه اولئك يؤمنون به
اي حق ايمانه لا نفاقه واحسانه ومن يكفر به اي بترك الايمان وانكار القرآن
فاولئك هم الخاسرون اي الكاملون في الخسارة حيث خسروا الدنيا والآخرة
وقال الاستاذ ان الذين فتحنا ابصار قلوبهم بشهود حق كتابنا وكحلنا اسماع
قلوبهم بسماع خطابنا وخصصناهم باسبال انوار العناية عليهم ايدناهم بتحقيق
التعريف في اسرارهم بانزاله اليهم يقومون بحق التلاوة ويتصفون بخصائص
الايمان والمعرفة فهم اهل التخصيص والقبول ومن سواهم ارباب الرد
والنزول يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين
واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم

ينصرون ختم القضية بما بدأ به القصة ايماء بانه كالفذلكة وافاد الاستاذ ان الله سبحانه في الخطاب مع قوم موسى عليه السلام ان يناديهم بنداء العلامة فيقول يا بني اسرائيل ومع هذه الامة ان يخاطبهم بنداء الكرامة فيقول يا ايها الذين آمنوا انتهى وفيه الايماء الى ان شرف النسب دون فضل الحسب ثم قال اما الاعداء فلا يقبل منهم شيئا واما الاولياء فقال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة وكذلك الكفار لا تنفعهم شفاعة الشافعين وهكذا حكم كل امة مع نبيها واما المؤمنون فعلى التخصيص تنفعهم شفاعة نبيهم فكل احد يقول يومئذ نفسي نفسي ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول امتي امتي واذ ابتلى ابراهيم وفي قراءة الشامي ابراهام اي عامله معاملة الممتحن ربه اي لتربية قلبه الممتحن عند ظهور المنن والمحن بكلمات اي بتكليف مأمورات ومنهيات منها توحيد المعنى ومنها عدم الالتفات الى السوى حتى قال لجبريل اما اليك فلا فتحقق ان البلاء لتحقيق الولاء فاصدقهم ولاء اشدهم بلاء كما ورد اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل اي من الاولياء والاصفياء فاتمهن اي اداهن كاملات غير ناقصات كقوله تعالى وابراهيم الذي وفى وفي تفسير السلمي قال بعضهم اشد ما ابتلى به ابراهيم ان حمله ربه اثقال خلقة الملة ثم طالبه بتصحيح شرايطها التي هي التخلي عن السوى ظاهرا وباطنا قال اي الله له بعد قيامه بالامر تماما اني جاعلك للناس اماما اي سفيرا مبشرا نذيرا بيني وبين الخليقة لتهذيبهم لاستصلاح الحضرة فان هذا هو الامامة المعتبرة وقال الاستاذ ان رتبة الامامة ان يفهم عن الحق ثم يفهم الخلق فيكون واسطة بين الحق والخلق يكون بظاهره مع الخلق لا يفتر عن تبليغ الرسالة وبباطنه مشاهدا للحق لا يتغير له صفاء الحالة ويقول للخلق ما يقول له قال اي ابراهيم من غاية الشفقة ونهاية الرحمة ومن ذريتي اي واجعل ايضا من اولادي ائمة لتستمر هذه النعمة بين الامة الى يوم القيمة كقوله سبحانه والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما قال لا ينال عهدي الظالمين فيه اجابة الى البغية واشارة الى ان بعض الذرية في ظلمة الظلمة ليس لهم قابلية الامامة لعدم نور المعرفة والمراد بالعهد النبوة والولاية قال السلمي قطع بهذا ان يكون احد يصل اليه بسبب او نسب الا برضائه وسبق قضائه وزاد عليه الاستاذ حيث افاد انما هي اقسام يمضي بها احكام وليس هذا كنعيم الدنيا وسعة الارزاق فيها اذ لا ادخار لهما عن احد وان كان كافرا ولذا لما دعا ابراهيم بقوله وارزق اهله من الثمرات من آمن بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا يعني ليس للدنيا من الخطر ما يمنعها ممن كفر لكن عهدي لا ينال الا من اخترته من خواص عبادي وخلص عبادي واذ جعلنا البيت اي بيت الله المسمى بالكعبة على وجه الغلبة مثابة للناس اي مرجعا لهم حيث يأتون ويرجعون ثم يعودون ويأتون اما بسير الظواهر واما بسير السرائر او موضع ثواب لانهم يحجونه ويعتمرونه ويتوجهون

اليه في عباداتهم يثابون وامنا اي موضع امن من العذاب للمؤمنين الذين يحجون ويطوفون او من التعرض للملتجئين الذين يضطرون وفي تفسير السلمي مثابة اي مفزعا للمذنبين وامنا اي للداخلين من المؤمنين وقال الصادق البيت ههنا محمد عليه السلام فمن آمن به بتصديق الرسالة دخل في ميادين الامن والامانة انتهى ولعل توجيه الاشارة على وجه تطبيق العبارة ان يقال التقدير بيت محمد فان الله منزه عن المكان واحاطة الاركان ووجه تخصيصه عليه السلام بالاضافة ان حين نزول الآية لم يكن احد قابلا لهذه النسبة الا صاحب ختم الرسالة مع ما فيه من الايماء الى نكتة خفية وهي ان النسبة الاضافية تامة في الحضرة الاصطفائية كما يستفاد من قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ويد الله فوق ايديهم وقل ان كنتم تحبون الله وامثال ذلك فبيته بيته كما ان دعوته دعوته ومحبته محبته وطاعته طاعته ومعصيته معصيته مع زيادة الافادة مع انه لولاه لما وجد البيت الذي هو قيام للناس ولا حصل للمخلوق نوع من الاستيناس لكان البيت بيته وما ثبت عنه حجة ولذلك حصول الدخول لا يفيد الا بالوصول الى الرسول ومن النكت الاجابية ان الحضرة الاجتبائية هي العلة الغائية للهيئة البنائية الملكية والابراهيمية الدالة عليها النسبة الحكمية من الهندسة الازلية القديمة والله اعلم بحقائق المعارف ودقائق العوارف الصادرة من الامام الصادق السالكة للتصديق الموافق الاحق بالامامة والخلافة الصورية والمعنوية وقال الاستاذ هو بيت خلقته من الحجر ولكن اضفته الى الازل في حكم القضاء والقدر فمن نظر الى البيت بعين الخلقة انفصل ومن نظر اليه بعين الاضافة وصل واتصل وكل من التجا الى الكعبة الغافرة امن من عقوبة الآخرة اذا كان التجاؤه اليه على جهة الاعظام والاحترام والتوبة عن الآثام ويقال بني البيت من الحجر لكنه حجر يجذب القلوب الى علام الغيوب كحجر المغناطيس يجذب الحديد الى ما فيه من التأنيس بيت من وقع عليه لحظه اناخ بعقوة الامن وساحة الامان بيت من وقع عليه طرفه بشر بتحقيق الغفران بيت من طاف حوله طافت اللطائف بقلبه من لطف ربه فطوفة بطوفة وشوطة بشوطة هل جزاء الاحسان الا الاحسان بيت من شهده نسي بيت نفسه وعدم الابرام حقائق انسه بيت من زاره نسي مزاره وهجر دياره بيت احضر من اتفق على الوصول اليه ماله بيت ما ربح من ضن بشيء لم ينفقه حتى يسكن ظلاله بيت لا يستبعد اليه المسافة بيت لا يترك زيارته لحصول مخافة او هجوم آفة بيت ليس له كبهجة الفقراء رافة بيت من قعد عن زيارته فلعدم فتوته او لقلة محبته بيت من صبر عنه بلا ضرورة فقلبه اقسى من الحجارة بيت من عليه شعاع انواره تسلى على همومه واقاره بيت ليس العجب ممن بقي عنه كيف يصبر انما العجب ممن حضره كيف يرجع او يدبر واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ام لحسب مبناه

او خبر في معناه كما قرأ نافع والشامي والامر للاستحباب لا سيما للطائفين حول
الباب والمراد بالمقام الحجر الذي اثر فيه اثر قدمه عليه السلام حين قام عليه ودعا الخلق
بامر ربه اليه ومن التبعيضية تفيد حصول الفضيلة بالقرب من المقام في كل جهة
الا ان الحذف افضل لبيان النبي الاكمل عليه السلام قال الاستاد عبد رفع الله
سبحانه قدما فالى القيمة جعل اثر قدمه قبلة جميع المسلمين باكرام لا مدى له اي لا غاية
ولا نهاية ولا يخفى ان قوله قبلة محمول على انه موضع اقبال او محل قبلة واجلال لا انه يصلح
ان يكون قبلة كالكعبة للتوجه اليه في حالة الصلوة كما يتوهم بعض العامة وعهدنا الى
ابراهيم واسمعيل اي امرناهما واوصينا اليهما ان طهرا بيتي بان نظفاه من
الاوثان والادران ومن غبار الاغيار وطيباه بالروايح الطيبة الاثار لانه محل نزول
الرحمات الالهية والتجليات الرحمانية والعنايات السبحانية للطائفين اي حوله
والعاكفين اي المعتكفين والمقيمين عنده والركع السجود اي المصلين داخله
وخارجه بالتوجه الى عينه لمن بالمسجد الحرام او البلد المحترم والى جهته بالنسبة الى سائر
افراد بني آدم في اطراف جميع العالم والاشارة من هذه الآية الى تطهير القلب الذي
هو في الحقيقة بيت الرب كما روي لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي
وقال الاستاد تطهير البيت بصونه عن الادناس والاوضار وتطهير القلب بحفظه
عن ملاحظة الاجناس والاغيار وطواف الحجيج حول البيت معلوم بلسان الشرع وبيان
الصدق وطوفان المعاني مفهوم لاهل الحق فقلوب العارفين فيها المعاني طائفة
وقلوب الموحدين فيها الحقائق عاكفة فهؤلاء اصحاب التلوين وهؤلاء ارباب التمكين
وقلوب القاصدين بملازمة الخضوع على باب الجود ابدا واقفة وقلوب الموحدين على بساط
الوصل ابدا راكعة وقلوب الواجدين على بساط القرب ابدا ساجدة واذ قال ابراهيم
رب اجعل هذا اي البلد او المكان بلدا اي مسكنا آمنا اي اهله او ذا امن وارزق
اهله اي سكانه من الثمرات ليكونوا في رفاهية وفراغة للشغل بالعبادات وسكون
بال عن الانتقال للرزق الى سائر الجهات من آمن منهم بالله واليوم الآخر بدل
من قوله اهله ايماء الى ان غيرهم ليس اهله قال ومن كفر اي من سكان المكان فامتعه
بالتخفيف للشامي قليلا اي تمتيعا قليلا في الدنيا الى منتهى اجله ثم اضطره
اي الجئه في العقبى الى عذاب النار بسوء حاله وبئس المصير اي مآله وسوء حاله
قاس ابراهيم عليه السلام الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق نعمة صورية دنيوية
تعم اهل الوفاق والشقاق بخلاف الامامة والتقدم في الديانة فانها من النعم الدينية المعنوية
تختص بارباب المقامات الاخروية وافاد الاستاد ان السؤال اذا لم يكن مشوبا بحظ
العبد كان مستجابا ولم يكن سؤال ابراهيم عليه السلام هذا لحظ نفسه وانما كان لحق ربه
ولما حفظ شرط الادب حيث طلب الرزق لمن آمن منهم على الخصوص اجيب فيهم

وفي الذين آمنوا على العموم ولما قال في حديث الامامة ومن ذريتي من غير اذن منع تفصيل
لا ينال عهدي الظالمين انتهى ولا يخفى ان قوله منع محمول على انه منع على وجه العموم مع تضمنه
الاجابة للخواص بطريق المفهوم واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت اي اذكر حين كان
يرفع اصول الاساس منه واسمعيل عطف عليه لانه كان يناوله الحجارة فيتناول ربنا
وقرئ يقولان ربنا تقبل منا اي تقربنا اليك بهذا البناء انك انت السميع لدعواتنا
واقوالنا العليم بنياتنا واحوالنا ربنا واجعلنا مسلمين لك اي مستسلمين
لحكمك في الاعمال او مخلصين على وجه الكمال حتى لا يتحرك منا عرق بغير رضاك في جميع
الاحوال قال فارس ارجعنا عن اسباب الطلب بالجميل والغرض وعن مطالبة الجزاء
في العوض ومن ذريتنا اي واجعل بعض اولادنا واحفادنا امة مسلمة اي جماعة
منقادة لك اي لتقوم بعدنا مقامنا في القيام بحقوقك وشتان بين من يطلب
وارثا لماله وبين من يطلب نائبا بعده ليقوم بطاعة ربه في ماله وارنا مناسكنا
اي عرفنا متعبداتنا في حجنا وسائر عباداتنا وتب علينا اي وفقنا للتوبة
واقبلها منا وثبتنا عليها ولا تؤاخذنا في تقصيراتنا انك انت التواب
لمن تاب الرحيم لمن آب فارحمنا في جميع حالاتنا من حياتنا ومماتنا وقال
الاستاد ارنا مناسكنا اذ لا سبيل الى معرفة الموافقات الا بطريق التوفيق
والاعلام والالهامات وتب علينا بعد قيامنا بما امرتنا حتى لا نلاحظ حركاتنا
وسكناتنا ونرجع اليك عن شهود افعالنا واحوالنا لئلا نكون بخطر الشرك
الخفي في توهم شيء منا بنا ربنا وابعث فيهم اي في الامة المسلمة رسولا
عظيما منهم اي من جملتهم وجلدتهم وهو نبينا صلى الله عليه وسلم كما قال
انا دعوة ابي ابراهيم عليه السلام يتلوا عليهم آياتك اي يقرا عليهم كتابك
ويبين لهم خطابك ويعلمهم الكتاب اي احكام مبانيه واحكام معانيه
والحكمة اي وما يتعلق به من الحكم الالهية او ما يوحى اليه صلى الله عليه وسلم من السنن
النبوية ويزكيهم اي يطهرهم عن الاخلاق الدنية ويزينهم بالشمائل البهية
انك انت العزيز اي الغالب على مراده الحكيم اي الحاكم في بلاده على عباده
ومن يرغب عن ملة ابراهيم اي لا يميل عنها ولا ينصرف منها الا من سفه نفسه
اي جهلها بان لم يعلم انها مخلوقة لعبادة خالقها او الا من استمهنها واذلها
واستخف بها قال الاستاد اخبر انه اثر الخليل عليه السلام على البرية لجعل
الدين دينه والتوحيد شعاره والمعرفة صفته فمن رغب عن دينه او حاد عن
سنته فالباطل مطرحه والكفر مهواه اذ ليست الانوار بجملتها الا مقتبسة من نوره
ولقد اصطفيناه اي اخترناه للرسالة في الدنيا وانه في الآخرة
لمن الصالحين للزلفى والجملة برهان لما سبق من البيان اذ قال له ربه اسلم

ای سلم نفسک الی الله بالقطع عن التوجه الی ما سواه او اخلص دینک بالتوحید
وقلبک بالتوحید قال اسلمت ای بلسانی وجنانی وسائر ارکانی لرب العالمین
ای العالم بافعالی المطلع علی احوالی وقال السلمی اسلم ای اخلص سرک فانه موضع الاطلاع
منک قال اسلمت ای اسلمت الیک سری واخلصت لک امری فانک اولی بی منی
قال الرودباری سلامة النفس فی التسلیم وبلاؤها فی التدبیر وافاد الاستاد ان
الاسلام هو الاخلاص والاستسلام وحقیقته الخروج عن احوال البشریة بالکلیة
من المنازعات الاختیاریة والمعارضات النفسیة ومعنی اسلمت قابلت الامر
بالسمع والطاعة واعتنقت الحکم بحسب الاستطاعة فلم یدخر شیئا من ماله وبدنه
وولده وحین امر بذبح الولد قصد الذبح وحین قال خله عن الاسر فعل ما امر فلم یکن فی الحین
اختیار وتدبیر ووصی وفی قراءة نافع والشامی واوصی بها ای بالملة او بکلمة
الاخلاص المستفادة من الجملة ابراهیم بنیه ای اولاده اسمعیل واسحق وغیرهما
علیهم السلام ویعقوب ای ووصی هو ایضا بنیه یوسف واخوانه الکرام یا بنی
ان الله اصطفی لکم الدین ای دین الاسلام الذی هو صفوة ادیان الانبیاء علیهم
السلام فلا تموتن ای فی حال من الاحوال الا وانتم مسلمون ای منقادون لله فی
تلک الحال فانها حالة اهل الکمال فی المال والمعنی الزموا الاسلام والتزموا الاستسلام
حتی اذا ادرککم الممات صادفکم علی ما انتم علیه من الحیوة قال الاستاد فیه بشارة بما یقوی
دواعیهم علی الرغبة فیما کلفهم به من الاسلام لانهم اذا تحققوا ان الله سبحانه اصطفی
لهم ذلک علموا انه لا محالة دینهم فیسهل علیهم القیام بحق الاسلام ام کنتم شهداء
ای بل اکنتم حاضرین اذ حضر یعقوب الموت اذ قال لبنیه بدل مما قبله ما تعبدون
ای ای شیء تعبدونه من بعدی ای بعد موتی قالوا نعبد الهک واله ابائک
ای اسلافک ابراهیم واسمعیل واسحق الها واحدا بدل من اله ابائک لتاکید التوحید
ودفع توهم التعدید الناشئ من التکریر لتعذر العطف علی الضمیر او نصب علی الاختصاص
ای نعنی بالهک واله ابائک الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله
او منهما تلک ای ابراهیم وابناؤه وحفیده امة ای جماعة قد خلت ای مضت
وسبقت لها ما کسبت ولکم ما کسبتم ای لکل احد مثوبة عمله ونتیجة امله ولا تسئلون عما
کانوا یعملون ای لا تؤاخذون بسیئاتهم کما لا تثابون بحسناتهم وفیه ایماء الی ان النسب
لا ینفع بدون الحسب وقال الاستاد انزل الحق سبحانه کلا بحلة وافرد لکل واحد قدرا
بموجب حکمه فلا لهؤلاء عن اشکالهم خبر ولا مما یختص به کل طائفة للآخرین اثر فکل فی اقلیمه
ملک ولکل بدور بالسعادة فلک وقالوا ای الیهود والنصاری کونوا هودا او نصاری
او للتنویع والمعنی قالت الیهود کونوا هودا وقالت النصاری کونوا نصاری تهتدوا
جواب الامر قل بل ملة ابراهیم ای نتبع دین ابراهیم دون غیره حنیفا ای مائلا عن الباطل

الی الحق

الی الحق حال من المضاف او المضاف الیه وهو الملائم لقوله وما کان من المشرکین
بل کان رئیس الموحدین وفیه تعریض للمخاطبین فانهم مع انهم من المشرکین یدعون متابعته
وکونهم هم المهتدین وقالت الاستاذ معناه اذا نجاذبک الکون بین فرق الخلق اختلف
علیک المطالبة بالموافقة علی وفق الحق فاحکم بتقابل دعاویهم لدینا فانفرد بتوجهک الینا
جاریا علی منهاج صاحب الخلة فی اعتزال الجملة سواء کان اباه او کان من کان ممن لم یوالی
مولاه حیث قال واعتزلکم وما تدعون من دون الله والحنیف المائل المستقیم علی
طریقة الحق المتبری عن جمیع الخلق او المتصف مع الحق بالخلق بالحق قولوا ای ایها المؤمنون
آمنا بالله وما انزل الینا ای القرآن وتقدیم ذکره لانه سبب الایمان بغیره فهو
اول بالاضافة الینا او التقدیر وما انزل الی رسولنا وقدم لتقدمه رتبة وتقدم کتابه مرتبة
والتحقیق انه علیه السلام داخل تحت الخطاب وانزال الکتاب الیه اصالة والینا
تبعیة فحصل تغلیب فی الجملة وما انزل الی ابراهیم ای من الصحف واسمعیل واسحق
ویعقوب والاسباط ای احفاد ابراهیم وهم اولاد یعقوب وفیهم الانبیاء
والصحف وان نزلت علی ابراهیم لکنهم لما جاؤا بترویجها والحکم بما فیها مع امره ونهیه مع کونهم
متعبدین بتفصیلها وداخلین تحت احکامها فکانها منزلة الیهم کما ان القرآن
منزل الینا وما اوتی موسی وعیسی من التوریة والانجیل ومعجزاتهما وخصا بالذکر لکثرة
اتباعهما ووقوع المنازعة فی شان اشیاعهما وما اوتی النبیون ای جملة من ربهم
ای منزلا الیهم من فضل ربهم علیهم لا نفرق بین احد منهم فی اصل النبوة وان کان
بینهم فضل فی الرتبة وفیه تعریض لمن یؤمن ببعض ویکفر ببعض ونحن له ای لله
مسلمون مذعنون مخلصون وافاد الاستاذ انه لما آمن نبینا صلی الله علیه وسلم
بجمیع ما انزل من قبله اکرم بجمیع ما اکرم من قبله ولما ظهر موافقة الجمیع امر الکل بالکون
تحت لوائه فقال آدم ومن دونه تحت لوائی یوم القیمة ولما آمن امته بجمیع ما انزل
علی الرسل ولم یفرقوا بین احد منهم ضربوا فی تکریمه بالسهم الاعلی فتقدموا علی کافة
الامم فان آمنوا ای اهل الکتاب وغیرهم بمثل ما آمنتم به المثل صلة للتاکید ومعجمة
للتایید کقوله تعالی لیس کمثله شیء ویؤیده انه قرئ بما آمنتم به وبالذی آمنتم به او المعنی فان آمنوا
بالاخلاص بمثل آمنتم به فی مقام الاختصاص فقد اهتدوا الی طریق الحق وسبیل الصدق
وان تولوا اعرضوا عن الوفاق فانما هم فی شقاق ای فی عداوة وخلاف فان کل واحد
من المتعادیین والمتخالفین فی شق غیر شق الآخر وقال الاستاذ ان سلکوا طریقکم واخذوا سبیلکم
اکرموا بما اکرمتم ووصلوا الی ما وصلتم وان ابوا الا امتیازا ابینا لهم الا هوانا فان نظرنا لمن
خدمک بالحمد بالوصلة واعرضنا عمن جانبک وخالفک بالاحتجاب من الخدمة من خالفک
فهو فی شق الاعداء ومن وافقک فهو فی شق الاحباء فسیکفیکهم الله ای شر
الکافرین وفیه تسکین للمؤمنین وهو السمیع العلیم وعد للمقبلین والمعنی یسمع اقوالکم

ويعلم اخلاصهم واحوالكم فيجازيكم بها وعيد للموصوفين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يكتمون فيجازيهم
عليها وقال الاستاد كفاية الله لكم متحققة وعناية الله بكم متعلقة فمن ناوئكم قصمته ايادي النصرة
ومن خالفكم قهرته قضايا القسمة وهو السميع لمناجاة اسراركم معا على الدوام العليم باستحقاقكم منا
خصايص اللطف والاكرام صبغة الله نصب على الاغراء اى الزموا دين الله كذا فسره
اكثر السلف فيكون نظير قوله فطرة الله وسمى صبغة فانه حلية المتدين كما ان الصبغة حلية
المصبوغ ولانه يظهر عليه اثره ظهور الصبغ على مصبوغه ومن احسن من الله صبغة اى
اى فطرة والمعنى لا صبغة احسن من صبغته وفيه تعريض للنصارى حيث كانوا يغمسون اولادهم
في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وتحقيق للنصرانية بدل الختان في دين الحنيفية
ونحن له لا لغيره عابدون تعريض لهم بانهم مشركون وافاد الاستاد ان العبرة بموضوع
الحق لا بمجموع العبد فان تكلفه الخلق فالى الزوال ماله وما اثبت الحق عليه الفطرة فبا ثباته العبرة
فللقلوب صبغة وللارواح صبغة وللسرائر صبغة وللظواهر صبغة فصبغة الاشباح
والظواهر باثار التوفيق وصبغة الارواح والسرائر بانوار التحقيق قل اتحاجوننا اتخاصموننا
وتجادلوننا في الله اى في دينه او في شان نبيه حيث اصطفاه من العرب وذلك
ان اهل الكتاب قالوا ان ديننا هو الاقدم وكتابنا هو الاسبق المتقدم وكان الانبياء كلهم
منا فلو كنت نبيا لم تكن من غيرنا وهو ربنا وربكم اى لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب
برحمته من يشاء من خليقته ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم اى كل يجازى بحسن عمله وسوء فعله
ونحن له مخلصون اى والحال ان لنا هذه المزية دونكم حيث نخلصه بالايمان خلافكم قال
الاستاد كيف يصح محاجة الاجانب وهم تحت غطاء الغيبة وظلال الحجبة والاولياء
في صفاء المكاشفة وضياء المشاهدة ومتى يستوى حال من هو بنعت الافلاس لغيبته
مع حال من هو في حكم الاختصاص والاخلاص لانغراقه في قربته هيهات لا سواء ام يقولون
بالغيبة والضمير لاهل الكتاب وقرا ابن عامر والكوفى غير شعبة بالخطاب على الالتفات
اى بل ايقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا
او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابراهيم بقوله ما كان ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده والمذكورون معه تابعون له
في الدين اتفاقا فلا يكونون هودا او نصارى ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعنى
شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والبراءة له عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم
من اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة الحقيقة وفيه تعريض بكتمانهم الشهادة على الرسالة
المصطفوية ومن الثانية ابتدائية وما الله بغافل عما تعملون وقرئ بالغيبة وافاد الاستاد
ان من نظر من نفسه الى الخلق تخيل كلا برقمه وحسب الجميع بنعت مثله فلما كانوا بحكم الاجنبية
في مقالهم حكموا الانبياء عليهم السلام بمثل حالهم فرد الحق سبحانه عليهم ظنهم وقبح فيهم
رايهم وهل يكون المجذوب عن شاهده كالمحجوب في مشاهده وهل يستوى المختطف عن كله

كالمردود

كالمردود الى مثله ذلك ظن الذين كفروا فتعسا لهم تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للتاكيد في التحذير عما استحكم في طباع السفهاء من الافتخار
بالاباء والاتكال على الاجداد من الانبياء والاولياء او الخطاب فيما سبق لاهل الكتاب وفي
هذه الاية لنا تبعيدا عن الاقتداء بهم في هذا الباب وقال الاستاد حال بينكم وبينهم
حواجز من القسمة فهم استمسكوا بنيانهم على الفرقة والغفلة وانتم ضربتم خيامكم على الزلفة والوصلة
وعنق فضلنا لا يشبه طريق قهرنا سيقول السفهاء اى الجهال من الناس يعنى المنكرين
لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وهذا اخبار عن الغيب قبل وقوعه وفائدة
تقديمه توطين النفس واعداد الجواب لسائله ما ولاهم اى اى شئ صرف النبى
والمؤمنين عن قبلتهم التى كانوا عليها اى الصخرة ببيت المقدس ويؤيده انه قال كذلك
بعده فول وجهك شطر المسجد الحرام وفي صحيح البخارى انه عليه السلام صلى نحو بيت
المقدس في المدينة ستة عشر شهرا او سبعة عشر ولكن يحب ان يتوجه الى الكعبة
فنزل قد نرى تقلب وجهك في السماء الاية فقال السفهاء من الناس وهم اليهود
ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها فقال الله قل لله المشرق والمغرب اى ملكا وملكا
فلا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه في القبلية وانما
العبرة بارتسام امره المتعلق بالاحكام الشرعية والقبلة في الاصل الحال التى عليها
الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه اليه نحوه للصلوة يهدى
من يشاء اى هدايته الى صراط مستقيم توجب استقامته وهو ما يرتضيه
الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى الصخرة تارة واخرى الى الكعبة وقال الاستاد
سقمت بصائر الكافرين فلم يلح لهم وجه الصواب في جميع افعال المؤمنين فطالعوها
بعين الاستقباح فبهم وانطلقت السنتهم بالاعتراض في كل ما كان ويكون منهم
فلم يروا شيئا جديدا الا اتوا عليه باعتراض جديد زمانا مديدا فمن ذلك تغيير القبلة
فانها لما حولت الى الكعبة قالوا ان كان قبلتهم حقا فما الذى ولاهم عنها فقال عز وجل
قل لله المشرق والمغرب يتعبد العباد بالتوجه الى قطر وكما اراد وكذلك اصحاب الغيبة
والحجبة عن شهود تعريف الحق لاوليائه واتباعهم يطلبون وجوها من الامور لحمل احكامهم
ولو طالعوا الجميع عن عين واحدة لتخلصوا عن الم توزع الفكر وشغل تزاحم الخواطر
ومطالبات تقتسم الظنون في الباطن والظاهر ولكن يهدى الله بنوره من يشاء و
كذلك اى كما هديناكم صراطا مستقيما وجعلنا لكم دينا قويما جعلناكم امة وسطا
اى خيارا وعدولا عادلين عن طرفى الافراط والتفريط كالجود بين البخل والتبذير
والشجاعة بين الجبن والتهور وسائر الاخلاق الظاهرية والباطنية معتدلين في الاحكام
الاعتقادية كالتنزيه بين التعطيل والتشبيه والكسب بين القدر والجبر جامعين
بين العلم والعمل متوسطين في طول العمر وتطويل العمل والحاصل ان الوسط في الاصل بمعنى

المتوسط من الامكنة ثم استعير للاحوال المعتدلة كما قيل خيار الامور اوساطها ثم اطلق
على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث لتكونوا شهداء على
الناس اى لتشهدوا على الامم بتبليغ الانبياء ويكون الرسول عليكم اى على صدقكم
شهيدا والكم ازكياء وذلك ان الله يسال الامم يوم القيمة هل بلغكم الرسل فيقولون
ما بلغنا احد عنك شيئا فيسئل الرسل فيقولون بلغناهم رسالتك فعصوا فيقول
هل لكم شهيد فيقولون نعم امة محمد فيشهدون لهم بالتبليغ وتكذيب قومهم اياهم
فيقول الامم يا رب بم عرفوا ذلك وقد كانوا بعدنا فيقولون اخبرنا نبينا فى كتابه ثم
يزكيهم محمد صلى الله عليه وسلم واستدل بالآية على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا
عليه باطل لما كان تحت عدالتهم طائل وافاد الاستاد ان الوسط الخيار يحتمل هذه الامم
خيار الامم ويحتمل هذه الطائفة خيار هذه الامة فهم خيار الخيار تحكما ان هذه الامة شهداء
على الامم يوم القيمة فهذه الطائفة هم الاصول وعليهم المدار وهم القطب وبهم يحفظ الله
جميع الامة فكل من قبلته قلوبهم فهو المقبول ومن ردته قلوبهم فهو المردود فالحكم لهم
الصادق فراستهم والصحيح حكمهم والصائب نظرهم عصم جميع الامة عن الاجتماع على الخطاء
وعصم هذه الطائفة عن الخطاء فى النظر والحكم والرد والقبول ثم بناء امرهم مستند الى الرسول
صلى الله عليه وسلم فكل ما لا يكون اقتداء بالرسول عليه السلام فهو عندهم رد وصاحبه
على لا شئ وما جعلنا القبلة هى المفعول الاول التى كنت عليها هى المفعول الثانى اى الجهة
التى كنت عليها وهى الكعبة فانه عليه السلام كان يصلى اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة
الى الصخرة تالفا لليهود من اهل المدينة ثم امر باستقبال الكعبة والمعنى ما رددناك الى ما كنت
عليها الا لنعلم اى علما يتعلق به الجزاء عيانا او لنميز من يتبع الرسول اى يثبت
على ايمانه ممن ينقلب على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه وان كانت لكبيرة ان المخففة
من المثقلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والمعنى قد كانت المعدلة او التولية لثقيلة
الا على الذين هدى الله اى هديهم الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الاسلام وما كان الله
ليضيع ايمانكم اى ثباتكم بالقبلة الاولى وصلاتكم على وفق حكم المولى ان الله بالناس
لرؤف رحيم وبالمؤمنين فى الدرجة الاعلى قال الاستاد بين الله سبحانه ان الحكم
فى تقدير امر القبلة الى وقت التحويل وتحويلها من وقت التبديل كان اختبارا لهم ليميز
الصادق من المماذق ومن نظر الى الحين الامر بعين التفرقة كبر عليه امر التحويل من كل باب
ومن نظر بعين الحقيقة ظهر لبصيرته وجه الصواب ثم قال وما كان الله ليضيع ايمانكم اى
من كان مع الله فى جميع الاحوال على قلب واحد فالمختلفات من الاحوال له واحد فسواء
قدرا وغيرا اثبت او بدل او حقق او حول فهم به له فى جميع الاحوال قال قائلهم كيف
ما دارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون انا جننا فان قابلوا شرقا او واجهوا غربا
او استقبلوا حجرا او قاربوا مدرا فمقصود قلوبهم واحد وما كان للواحد لجميع الحكم

فيه احد

فيه واحد قد نرى اى ربما نرى او قد نعلم تقلب وجهك اى تردد نظرك فى السماء
اى فى جهتها تطلعا لوحينا او لنزول رسولنا باتيان امرنا وذلك لما كان يقع
فى روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم عليه السلام واقدم
القبلتين وادعى للعرب الى الايمان واقرب الى مخالفة اليهود اهل العدوان ومع هذا
كان يراعى ادبه حيث انتظر ولم يسال ربه فلنولينك اى فلنصيرنك مستقبلا قبلة
ترضيها اى تحبها وتهوى بها المقاصد الدينية وافقت المشية وافاد الاستاذ ان كل العبيد
يجتهدون فى طلب رضاى وانا اطلب رضاك انتهى وفيه اشارة الى انه هو المراد
من العباد فى جميع البلاد وغيره انما هو المريد الطالب للمزيد فول وجهك اى اقبل
وجهك شطر المسجد الحرام اى نحوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه السلام كان
فى المدينة والافاق يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عظيم عليه بخلاف المكى
القريب اليها قال الاستاد لكن لا تعلق قلبك بالاحجار والاثار لانه ليس فى الدار
غيره ديار ولكن القبلة مقصود نفسك والحق سبحانه مشهود قلبك وفى تفسير
السلمى قيل اعلم او لا انه يرى من الحق ليكون متادبا باداب الصدق ومن حسن ادبه
انه نظر الى جو السماء ولم يسال بالدعاء فاجيب عن نظره الى مراده بقوله فول
وجهك شطر المسجد الحرام اى ترسم معهم برسم الظاهر فى استقبال القبلة ببدنك
ولا ينقطع عن مشاهدتنا بقلبك فاذا جعلنا الكعبة قبلة قالبك والحق قبلة قلبك
وحيث ما كنتم ايها المؤمنون من بر وبحر ولو فى بطن نون مكنون فولوا وجوهكم شطره
اى حال الصلوة ايجابا وفى غيرها استحبابا ولكن كما قال الاستاد اخلصوا قلوبكم
لى وافردوا شهودكم بى وان الذين اوتوا الكتاب اى من اليهود والنصارى
ليعلمون انه اى التحويل او التوجه الحق اى هو الامر الثابت من ربهم قال الاستاذ
ولكن علما يكون عليهم حجة ولا يكون لهم فيه راحة ومنه زيادة وما الله بغافل عما
تعملون تهويل على الاعداء وتاميل للاولياء وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى
بالخطاب وهو على التغليب فى كل منهما ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب
بكل آية اى برهان وحجة على ان القبلة كعبة ما تبعوا قبلتك ولا قبلوا حجتك لانهم
جاحدون لحقك وما انت بتابع قبلتهم اى فى ايام دولتك وفيه تسلية وتسكين
لقلبه صلى الله عليه وسلم فى امر القبلة انها لا تكون الا الكعبة وقطع لطمع اليهود فى رجوعه
صلى الله عليه وسلم الى قبلتهم حيث كانوا يطمعون ذلك من غفلتهم قال الاستاذ
سبق لكم من قديم الحكم الخوب بطريق الحق ووقع اعداؤكم فى شق البعد فبينكما برزخ
لا يبغيان فما هم بتابع قبلتك وان اراينهم من الاثار ما هو ازهر من الشموس والاقمار
وما انت بتابع قبلتهم وان اتوا بكل احتيال حكما من الله سبحانه بذلك فى ازل الازال
وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس

والمعنى انهم وان اتفقوا فى التظاهر على النبى بحسب الظواهر لكنهم مختلفون فيما بينهم من
السرائر ولئن اتبعت اهواءهم اى بان صليت الى قبلتهم فرضا وتقديرا من بعد ما جاءك
من العلم اى بعد ما بان لك الحق وظهر لك الصدق بكونك سراجا منيرا وان القبلة المقبولة
هى الكعبة المقبولة انك اذا اى حينئذ لمن الظالمين اى من الواقعين فى ظلمة الغفلة
وقيل انك اذا مثلهم فالخطاب للنبى فى المبنى ولامته فى المعنى الذين آتيناهم
الكتاب يعنى علماءهم يعرفونه اى محمدا بوصفه ونعته او القرآن وحقيقته كما يعرفون
ابناءهم اى كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم وعن عمر رض انه سأل عبد الله
بن سلام بعد الاسلام عن النبى عليه السلام فقال انا اعلم به منى بابنى قال ولم قال
لانى لست اشك فى امر محمد عليه السلام انه نبى واما ولدى فلعل والدته خانت
وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند فيهم واستثناء لمن آمن
بهم قال الاستاد حملهم مستكنات الحسد على مكابرة ما علموه بالاضطرار وكذلك
المغلوب فى ظلمات نفسه يلقى جلباب الحياء فلا ينجع فيه ملام ولا يردعه عن انهماكه
كلام الحق من ربك اى الحق ما ثبت انه من الله كالذى انت عليه لا ما لم يثبت كالذى عليه
اهل الكتاب فلا تكونن من الممترين اى من الشاكين فى انه من ربك والمراد تحقيق
الامر الباهر بحيث لا يشك فيه الناظر او امر لامته باكتساب المعرفة المزيحة لظلمة الشك
الموجبة للغمة بطريق المبالغة وافاد الاستاد ان بعد ما طلع لك شموس اليقين
فلا تركن الى مجوزات التخمين للخطاب له والمراد به الامة ولكل وجهة اى لكل قوم قبلة
وجهة هو موليها اى وجهه والمعنى مستقبلها او الله موليها اياه وفى قراءة الشامى
بصيغة المفعول اى هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات اى من امر القبلة
وغيره مما ينال به السعادات والمعنى اذا كان لكل قوم جهة فاستبقوا الى احسن
الجهات وسارعوا الى ايمن الحالات قال صاحب العرائس اى لكل روح منهاج وقبلة
ومعراج فى وجود الذات وحقيقة الصفات فعين العبارة قبلة الارواح القدسية
وصرف الصفات قبلة الارواح الجلالية وعين القدم قبلة الارواح العزية وعين الابد
قبلة الارواح البقائية وانوار المشاهدة هى قبلة الارواح الشائقة وحسن الصفات
هو قبلة الارواح المونسة ونفحات بساطين الغيب هى قبلة الارواح الروحانية هو موليها
اى تلك الروح الروحانية هى قاصدتها قاصدة اياها بجناح الشوق مجذوبة بحبال
العشق الى معدن الالوهية والصمدية ولكل واحدة منها مطلع ومنبع فبعضها
والهات وبعضها شائقات وبعضها عاشقات وبعضها مونسات وبعضها
فانيات وبعضها باقيات وبعضها صاحيات وبعضها سكرات من هول المقامات
وكشف المشاهدات وبروز المعاينات وادراك المغيبات فاستبقوا الخيرات
خاطب بها اهل الاستقامة اى سارعوا الى صرف الامانة فانه اعلى الدرجات لان

ارواح

ارواح الوسائط فى محل الارادات وانتم اهل النهايات وقال الاستاد الاشارة
فيه ان كل قوم اشتغلوا بشئ حال بينهم وبيننا فكونوا انتم ايها المؤمنون لنا وبنا وانشد
بعضهم اذا اشتغل اللاهون عنك بشغلهم جعلتك اشغالى فيها منتهى شغلى اينما تكونوا
يأت بكم الله جميعا اى فى اى موضع تكونوا من موافق ومخالف ولو متفرق الاجزاء
يجمعكم الله الى المحشر للجزاء ان الله على كل شئ قدير فيقدر على الاماتة والاحياء وفى
العرائس اى ارواح خواص المعرفة وارواح السائرة فى المبادين الازلية يأتى بهن الله
جميعا بعد محو الارادات واضمحلال الرسومات فى سرادق البقاء ويسقى كل روح من
الارواح بكأس الصفاء شراب الوصال ويكشف لها جمال الجمال حتى تكونوا هنالك
جميعا فى نعيم العطاء ان الله على كل قدير قادر على ان ينشق ارواح السابقين
والمقتصدين روائح عنبر العنانية ونسيم ورد الوحدانية فى مقام الاستقامة
ومن حيث خرجت اى ومن اى مكان خرجت للسفر فعل ما امرت به فى الحضر فول وجهك
شطر المسجد الحرام لان هذه الآية المكررة مختصة بهذه القبلة المعظمة من بين الامم
المتأخرة وانه اى هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون وفى قراءة
البصرى بالغيبة وقال الاستاد كانت مستقبلون اينما كنتم القبلة قربتم منها ام بعدتم
فكذلك اقبلوا علينا بقلوبكم كيف ما كنتم حططتم بنا او منتم ومن حيث خرجت فول
وجهك شطر المسجد الحرام اعادة هذه الجملة الشريفة لحكمة خفية لطيفة وهو انه ذكر
لتغيير القبلة ثلاث علل مفهومة من قوله سيقول السفهاء الى قوله لعلكم تهتدون
الاولى اكرامه تعالى نبيه عليه السلام اذ ولاه قبلة ابيه ابراهيم وابتغاؤه مرضاته وهو
قوله قد نرى تقلب وجهك فى السماء الآية الثانية اخباره ان لكل صاحب دعوة
قبلة وهو قوله ولكل وجهة الثالثة قطع حجج معانديه وهو قوله لئلا يكون للناس عليكم
حجة فقرن بذكر كل علة معلولها هو الغرض والمرام وذلك قوله فول وجهك شطر المسجد
الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله
فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة احتجاج اليهود من الجهلة بان المنعوت
فى التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ملتنا ويتبع قبلتنا واختصاص المشركين
بان من العجب ان محمدا يدعى ملة ابراهيم ويخالف قبلته وقبلة ابنه اسمعيل
ابى العرب الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اى لئلا يكون لاحد من
الناس حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه
وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء من قبله والمراد بالحجة المتمسك حقا
كان او باطلا فى الخصومة او الحجة بمعنى الاحتجاج فى القضية او الاستثناء للمبالغة فى
نفى الحجة بالكلية كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم للعلم بان الظالم لا حجة له على العالم
وقال الاستاد اذا اردت ان لا يكون لاحد عليك سبيل ولا يقع عليك لمخلوق ظل

ولا يصل اليك بالسوء اذا غبت ماكنت واين ماكنت وكيف ماكنت كن لنا وكن بنا فان
من انقطع الينا لم ينظر اليه حدثان بمنعه عنا فلا تخشوهم فان مطاعنهم لا يضر الا انفسهم
واخشوني فلا تخالفوا امري وافاد الاستاذ انهم اذا كانوا محواعن كونهم رسوما يجري عليهم
احكامنا فاني بالخشية عنهم ولاتم نعمتي عطف على لئلا يكون او التقدير امرتكم لاكمل نعمتي
هدايتي اليكم بتكميل شريعتي عليكم ولعلكم تهتدون اى ولكى تهتدوا الى الاستقامة في طاعتي
والاستدامة على عبادتي وافاد الاستاذ ان اتمام النعمة اضافة الكشف الى اللطف
فان من كفاه بمقتضى جوده دون من اغناه بحق وجوده وفي معناه انشد نحن في اكمل السرور
ولكن ليس الا بكم يتم السرور عيب ماكنا فيه يا اهل ودى انكم غيب ونحن حضور انتهى وفي الحديث
تمام النعمة الموت على الاسلام وفيه ان الموت على الاسلام هو ابتداء النعمة في الحقيقة
وانتهاؤها دخول الجنة وحصول الرؤية ولعل نظر المرتضى الى تمام النعم الدنيوية والنسبة
السببية ونظر المصطفى الى تمام المنح الاخروية والنتيجة الابدية ولكل وجهة نتيجة وجهة
فالمنال متعدد والمآل متحد عباراتنا شتى وحسنك واحد فكل الى ذلك الجمال يشير فدخول
الجنة بمنزلة المدينة العلمية والموت على الاسلام في مرتبة بابها الذى من جملة اسبابها
العلية كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا الدالة على وجود ذاتنا ووجود صفاتنا
وشهود افعالنا ومصنوعاتنا ويزكيكم اى يحملكم على ما تصيرون به ازكياء في علمكم
وعملكم ويعلمكم الكتاب اى مبناه ومعناه والحكمة اى السنة والموعظة او اتقان
المعرفة واحكام العبودية ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون اى بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته
سوى الوحي والخبر وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر والتشبيه متعلق بما بعده اى
ذكرتكم بارسال نبي الرحمة وشفيع الامة وكاشف الغمة فاذكروني بالطاعة والعبادة
اذكركم بالمثوبة والرحمة واشكروا لي لازيدكم النعمة ولا تكفرون بالمعصية
والغفلة قال الواسطى حقيقة الذكر الاعراض عن الذكر ونسيانه والقيام بالمذكور
وشانه وقيل لك نسبة مع الحق يتجلى بها الوارد وهو ذكره اياك لولا ذكره اياك
ما ذكرته وقيل اتم الذكر ان تشهد ذكر المذكور لك بدوام ذكرك له وقيل حقيقة
الذكر ان ينسى الذاكر كل شئ سوى مذكوره لاستغراقه فيه فيكون اوقاته كلها
ذكرا وقيل اذكروني بالمحبة اذكركم بالرحمة وقيل اذكروني في افراحكم اذكركم في همومكم
وفي العرائس اذكروني بلسان الاسرار اذكركم بكشف الانوار واشكروا لي بمحض
العبودية ولا تكفرون بعد ادراك المعرفة وايضا فاذكروني بالاعراض عن الكون
بتبعيد الاشباح اذكركم بارتفاع البون بتقريب الارواح وافاد الاستاذ ان ارسال
الرسول مفاتحة لابواب الوصول وكان في سابق علمه سبحانه ان قلوب اوليائه
متعطشة الى لقائه ولا سبيل لاحد اليه الا بواسطة دلالة الرسل عليه فاقوام الزمهم بارسال
الرسل اليهم الكلف وآخرون اكرمهم بارسال الرسول بفنون القرب والزلف

فنتان

فنتان بين قوم وبين قوم والذكر استغراق الذاكر في شهود المذكور ثم استهلاكه
في وجود المذكور حتى لا يبقى منك الا اثر يذكر فيقال قد كان مرة فلان فاذكروني اذكركم
اى كونوا مستهلكين بذكركم في وجودنا بعد فنائكم عنا قال الله تعالى انهم كانوا قبل
ذلك محسنين كانوا ولكنهم بانوا وانما الناس حديث حسن فكن حديثا حسنا لمن وعى
وطريقة اهل العبارة فاذكروني بالموافقات اذكركم بالكرامات وطريقة اهل الاشارة
فاذكروني بترك كل حظ منكم اذكركم بان اقيمكم بحقي بعد فنائكم عنكم فاذكروني مكتفيا بي عن
عطائي وافضالي اذكركم راضيا بكم دون افعالكم فاذكروني بذكري لكم ما تذكرون ولولا
سابق ذكري لما كان لاحق ذكركم فاذكروني بقطع العلائق اذكركم بنعت الحقائق
واشكروا لي على عظيم المنة عليكم بان قلت لكم فاذكروني اذكركم ويقال الشكر من قبيل
الذكر وقوله ولا تكفرون النهي عن الكفران امر بالشكر والشكر ذكر فكرر عليك الامر بالذكر
والثلاث اول حد الكثرة والامر بالذكر الكثير امر بالمحبة لان في الخبر من احب شيئا اكثر
ذكره فهذا في الحقيقة امر بالمحبة فاذكروني اذكركم احبوني احبكم ويقال فاذكروني بالتذلل
اذكركم بالتفضل فاذكروني بالانكسار اذكركم بالمبار فاذكروني باللسان اذكركم بالجنان
فاذكروني بقلوبكم اذكركم بتحقيق مطلوبكم فاذكروني على الباب من حيث الخدمة اذكركم
بالايجاب على بساط القربة باكمال النعمة فاذكروني بتصفية السر اذكركم بتوفية البر
فاذكروني بالجهد والعناء اذكركم بالجود والعطاء فاذكروني في حال سروركم اذكركم وانتم في قبوركم
فاذكروني وانتم بوصف السلامة اذكركم يوم القيمة يوم لا ينفع الندامة فاذكروني
بالرهبة اذكركم بالرغبة يا ايها الذين آمنوا استعينوا اى على تحصيل الامور
الدينية والدنيوية بالصبر عن المعاصي والمناهي وحظوظ النفس والملاهي
والصلوة التي هي ام العبادات واس الصلات ومعراج المؤمنين ومدراج
الموقنين ومناجات رب العالمين ان الله مع الصابرين اى الذين هم اعم
من المصلين بالنصرة والمعونة واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله
اموات اى هم اموات بل احياء اى هم احياء عند ربهم يرزقون ولكن لا تشعرون ما
هم فيه من الكرامة ونعيم الجنة ففي الحديث ارواح الشهداء في اجواف طير خضر تسرح
في الجنة وتاوي الى قناديل تحت العرش معلقة قيل لانهم مقتولين في حقه ومن كان
مقتولا فيه كان حياته وفي العرائس اى لا تقولوا ولا تظنوا لمن يقتل في سبيل العشق
بسيف الشرف اموات بل احياء بعد فنائهم عن حياة الانسانية بحيوة الربانية
ولكن لا تشعرون لانكم محبوسون بين الوجود والعدم وهم مخلدون في بقاء القدم
ومن ذبح نفسه من اربعة مواضع في اربعة مواضع بان قطع راس حرصها من الدنيا
في مذبح التفريد وقطع راس املها من ارادة حياتها ووجودها في مصرع التجريد وقطع
راس رياستها من الخلق في منحر التوحيد وقطع راس ميلها الى الآخرة في مقتل

التحقيق ألبس الله تعالى روحه اربع لباس في اربع مقام ألبسها لباس سناء المعرفة في مقام
المكاشفة وألبسها لباس صفاء المحبة في مقام المشاهدة وألبسها لباس ضياء الوصلة في مقام
القربة وألبسها لباس انوار الانانية بنعت البسط والسلطنة في مقام المخاطبة واذا كان
بهذه الصفة فقد فاز من سكرات الممات وصار حيا ببقاء الصفات وقال الاستاذ
فاتهم الحيوة في الدنيا ولكن وصلوا الى الحيوة الابدية في العقبى فهم في الحقيقة احياء يجدون
من الله فنون الكرامات ويقال هم احياء لان الخلف عنهم الله ومن كان الخلف عنه الله لا يكون
ميتا قال قائلهم في مخلوق شعر فان يك عتاب مضى لسبيله • فما مات من يبقى له مثل خالد •
ويقال هم احياء بذكر الله لهم فالذي هو مذكور الحق بالجميل بذكره السرمدي فليس بميت
ويقال ان اشباحهم متفرقة ولكن ارواحهم بالحق سبحانه متحققة ولئن فنيت بالله
اشباحهم فلقد بقيت بالله ارواحهم ومن كان فناؤه لله كان بقاؤه بالله ولنبلونكم
اي ولنعاملنكم معاملة المبتلي معكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء
من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك النوع وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه
ليخفف عليهم وليريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب معاندهم
في الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم والخوف خوف العدو
والجوع القحط ونقص من الاموال اي خسران ونقصان في المال والحال والانفس
بالموت والقتل والمرض والكبر والشغل والكسل والثمرات اي بالآفات وعن
الشافعي الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من المال الزكوات والصدقات
ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وقال الاستاذ ابتلاهم
بالنعمة ليظهر شكرهم وابتلاهم بالمحنة ليظهر صبرهم فلما ادخل المعدوم من حالهم
في الموجود وسمهم بالرقم الذي قسمه واثبتهم على الوصف الذي علمه فبالخوف تصفية
لصدورهم وبالجوع تنقية لابدانهم وبنقص من المال تزكو نفوسهم وبمصائب
النفوس تعظم عند الله اجرهم وبآفة الثمرات يتضاعف من الله خلفهم وبشر
الصابرين يعني الذين لا اعتراض لهم على تقدير الله فيما امضاه ويقال طالبهم
بالخوف عن عقوبته ثم بمقاساة الجوع ابتغاء قربته وكرامته ونقص من الاموال
بتصدق الاموال والخروج عنها طلبا للخير عنه بحصول معرفته والانفس تسليما
لها الى عبادته والثمرات العقول بترك ما يأملونه من الزوائد في نعمته وبشر الصابرين
على استحسان قضيته وهم اهل التسليم والانقياد لجريان قدرته ومطالبات الغيب
اما ان تكون بالمال او بالنفس او بالقلب او بالاقارب فمن صرف في سبيله المال
فله النجاة ومن بذل لحكمه النفس فله الدرجات ومن صبر عند مصائب الاقارب
فله الخلف والقربات ومن لم يدخر عنه الروح فله دوام المواصلة الذين اذا اصابتهم
مصيبة اي اي مصيبة تصيبهم من الامور المكروهة للنفوس الانسانية ففي الحديث

كل شيء

كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة قالوا اي بلسان القال او ببيان الحال او
بالجمع بينهما كما هو شان اهل الكمال انا لله اي كلنا عبده وما لنا ملكه
وانا اليه اي الى حكمه في مآلنا ومالنا راجعون وعلى احوالنا مجزيون والمبشر به محذوف
ايماء الى انه ليس من جنس موصوف بل من قبيل ما لا عين رأت ولا اذن سمعت او اكتفاء
بقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم انواع من الصلوات وهي الثناء والمغفرة
والرضاء ورحمة اي خاصة بمزيد اللطف والعناية واولئك هم المهتدون
الى المراتب العلية والمناقب الجلية في تفسير السلمي هذا اشارة تدعو الى الرضاء بالقسمة
والصبر على المحنة فان تحت كل محنة نعمة ومنحة وقال الاستاذ قابلوا الامر بالصبر لا بل
بالشكر لا بل بالفرح والفخر ومن طالع الاشياء ملكا للحق رأى نفسه اجنبيا بينه وبين
حكمه ومنشئ الخلق اولى بالخلق من الخلق ويقال من شاهد المصائب شهد
نفسه لله والى الله ومن شاهد المبلي وعلم ان ما يكون من الله فهو عبد بالله
وشتان بين من كان لله وبين من كان بالله الذي كان لله فصابر ونعت
والذي هو بالله فساقط الاختيار والحكم فان اثبته ثبت وان محاه امحى وان
حركه تحرك وان سكنه سكن فهو عن اختياراته فان وفي القبضة مصرف
وقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم بصلاته عليهم ابتداء وصلوا الى صبرهم ووقوفهم
عند مطالبات التقدير لا بصبرهم ووقوفهم وصلوا الى صلاته بل لولا رحمته الازلية
الازلية لما حصلت طاعتهم بشرط العبودية فعنايته سابقة اوجبت لهم هداية خالصة
واولئك هم المهتدون لما رحمهم في البداية اهتدوا في النهاية ان الصفا والمروة
من شعائر الله اي من اعلام مناسكه ومواقف ناسكه جمع شعيرة وهي العلامة
وفيه اشعار بالتزام الشعور في المشاعر واكتساب الحضور في مقام الاكابر فمن صعد
الصفا ولم يصف سره بالوفا لم يتبين عليه شيء من شعائر الصفاء ومن صعد
المروة ولم يتصف بالمروة ولم يتجل في قلبه مرآة الحضرة ولم يبعد عن مرتبة
الغفلة لم يظهر عليه اثر من شعائر الزيارة ولم يترق من حضيض الى علو الهمة العلية
الصوفية الصفية وقيل ان الصفا موقف التصفية من الكدورات الدنية والسعي
الى المروة هرب الى الله والانقطاع اليه بالكلية فاذا تم سعيك بالهرب الى الله
فلا تتعلق بالنظر الى ما سواه وافاد الاستاذ ان تلك المشاهد والرسوم وتلك
الاطلال والرقوم تعظم وتزار وتشد اليها الرحال لانها اطلال الاحباب وهنالك تلوح الاسرار
شعر اهوى هواها لمن قد كان ساكنها • وليس في الدار لي هم ولا وطر • وان
التراب طريقهم بل لغبار آثار ربعهم عند الاحباب اقدار عظيمة بل غبرة تقع على حافات
طريقهم لا عزة من المسك الاذفر شعر وماذاك الا ان مشت بجنابه •
اميمة في سرب وجرت به بردا • فمن حج البيت اي قصده على جهة التعظيم او اعتمر

اى زاره على طريقة تكميل التكريم فلا جناح عليه اى لا حرج لديه ان يطوف بهما بان
يسعى بينهما ويسرع فى محلها سبعا ليصل بركات سعيه الباهرة الى سبعة ارابه الظاهرة
وسبعة اطواره الباطنة الى سبعة اقاليم العالم الفاخرة على ما افاده الشيخ نجم الدين
المعروف بالداية فى تفسيره بحر الحقايق وقال الاستاد حطّى الصفا والمروة بجوار البيت
فشرع لها السعى بينهما كما شرع للبيت الطواف وكان الطواف ركن فى النسك
فالسعى ايضا ركن يكرم لاجل الجار انتهى وهو مبنى على مذهب الشافعى ومن تبعه واما على مذهب
ابى حنيفة ومن وافقه انه واجب ففيه اشعار بان مرتبة دون مرتبة البيت ونسبته بناء على
اصالته وتبعيته فان كان الجار يكرم لاجل الجار ومن تطوع خيرا وقرأ حمزة يطوع بتشديد بناء
مع التحتية اى من فعل بطوع رغبته عملا من نوافل طاعته فان الله شاكر اى مثيب على
عبادته عليم بحاله ونيته وفى بحر الحقايق شاكر يأخذ الواحد من الاعمال الفانية ويعطى
العشر الى سبعمائة ضعف الى ما لا نهاية له من الحسنات الباقية بل يأخذ الوجود
المجازى ويعطى الوجود الحقيقى عليم بنيات العباد فى تقربهم اليه فيتقرب اليهم بقدر
صفائهم فى الطاعات ومروتهم فى الخيرات كقوله فى الحديث الربانى من تقرب الى شبرا
تقربت اليه باعا الحديث ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات
كالآيات الشاهدة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم والهدى اى وما يدل على وجوب
اتباعه وفضيلة اتباعه من بعد ما بيناه اى اظهرناه وفصلناه للناس اى لبنى اسرائيل
فى الكتاب اى التورية اولئك يلعنهم الله اى يبعدهم عن رحمته ويطردهم عن حضرته
ويلعنهم اللاعنون اى الذين يتأتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين والدواب
حتى انفسهم لما ورد فى الحديث رب تال للقرآن والقرآن يلعنه لان الظالم اذا قال
الا لعنة الله على الظالمين فكان القرآن لعنه بل كانه بنفسه لعن نفسه الا الذين تابوا
عن الكتمان وسائر المعاصى واصلحوا ما افسدوا بتدارك الشان وبينوا ما امرهم
بالبيان فاولئك اتوب عليهم اى ادفعهم للتوبة وارجع اليهم بالقبول والمغفرة
وانا التواب الرحيم المبالغ فى قبول التوبة وافاضة الرحمة وفى بحر الحقايق يعنى الذين
تابوا واصلحوا ما كان توبتهم من تلقاء انفسهم انما انا اتوب عليهم لانى انا التواب
ولى التوبة وليست التوبة للذين يعملون السيئات ولولا تهديد هذه الآية لكان
اكثر اهل الحق ما خالطوا الخلق وما اشتغلوا بنصحهم وما قاموا بتربيتهم وتوضيحه
ما افاده الاستاد من ان الاشارة فى هذه الآية لمن كاشفه الحق سبحانه بعلم من
آداب السلوك ثم ضنّ باظهاره للمريدين على وجه النصيحة والارشاد استوجب
المقت فى الوقت ويخشى عليه نزع البركة حتى يؤخر فيه كما يؤخر تعليم المستحق الا الذين
تداركوا ما سلف من تقصيرهم بحسن الرجعة والقيام للمريدين بحق النصيحة وبينوا
لهم بجميل البيان واقامة البرهان على ما يقولون بحسن قيامهم بمعاملاتهم فان اظهر

الحجج

الحجج بلسان افعالك واصدق الشهادة لتصحيح ما تدعو به الخلق الى الله ان
لا تخالف بمعاملتك ما تشير اليه بمقالتك قال تعالى حكاية عنه وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اى المؤمنين اوعمهم والكافرين اجمعين
اى استقر عليهم لعنة الاله ومن يعتد بلعنه من خلق الله اوعمتهم اللعنة
حتى من جنسهم وانفسهم وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا خالدين
فيها اى فى اللعنة الموجبة للعقوبة المقتضية للطرد عن الحضرة لا يخفف
عنهم العذاب بل يثقل عليهم الحجاب ولا هم ينظرون لا ينظر اليهم نظر الرحمة
او لا يمهلون للرجعة او لا ينتظرون للمعذرة وقال الاستاد الاشارة فيه
ان الذين بدا لهم بعد ما سلكوا طريق الارادة ثم رجعوا الى احوال اهل العادة
ثم فى تلك الوحشة قبضوا على تلك الحالة من الدنيا خرجوا اولئك اصحاب
الفرقة فلا على ارواحهم اقبال ولا لمصيبتهم جبران ولا لاحد عليهم ترحم
خسروا فى الدنيا والآخرة فالبق فى الهواء والفقع على الماء يلعنهم خالدين
مقيمين ابدا فى هوانهم وصغرهم لا تخفيف ولا اسعاف ولا رفق ولا الطاف
والهكم خطاب عام اى المستحق منكم العبادة على نعت الالوهية اله واحد
لا شريك له ان يسمى الها معبودا ولا نظير له ان يجعل مشهودا لا اله
الا هو تقرير للوحدانية واستحقاق العبودية الرحمن الرحيم اى مولى النعم
كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه فلم يستحق العبادة غيره
لان مرجع الكل اليه قال الاستاد شرفهم غاية التشريف بقوله
والهكم وان شيوخ هذه الطائفة قالوا علامة من بعده من خواص الخواص
ان يقول له عبدى وهذا اتم من ذلك بكثير فان قوله والهكم اضافته حقه اليك
والله اتم من اضافته اياك الى نفسه لان الالهية لك بلا علة وكونك له
عبدا يعرض كل نقص وآفة ومتى قال لكم والهكم حين ما كانت طاعاتك
وحركاتك وسكناتك اوذاتك وصفاتك لا بل قبل ذلك ازل الآزال
حين لا حين ولا اوان ولا رسم ولا حدثان فالواحد من لا مثل له يدانيه ولا
شاكل يلاقيه ولا قسيم يجانسه ولا نديم يوانسه ولا معين يساعده ولا منازع
يعانده احدى الحق صمدى العين ديمومى البقاء ابدى العز ازلى الذات
واحد فى عز سنائه فرد فى جلال بهائه وتر فى جبروت كبريائه قديم فى سلطان
عزه مجيد فى جمال ملكوته وكل من اطنب فى وصفه اصبح معنونا الى الحق فى نطقه
ولولا انه الرحمن الرحيم لتلاشى العبد اذا تعرض لعرفانه عند اول ساطع من
بارقات عز شانه ان فى خلق السموات والارض اى فى ايجادهما وخلقهما

مع عظمتهما وكثرة اجزائهما وابداع المخلوقات فيهما وقدم السموت لا علما بها
سبني دمعي وجمعت لانها طبقات في جنسها مختلفات واختلاف
الليل والنهار اي في تعاقبهما سيرا وتعارضهما طولا وقصرا وظلمة ونورا وبردا
وحرا وظهورا وسترا والفلك اي وفي السفن التي تجري في البحر بما ينفع
الناس اي بنفعهم في امور الدنيا والآخرة او بالذي ينفعهم من التجارة
وغيرها من السيارة والنظارة وما انزل الله اي وفي انزاله من السماء
اي من جهتها والمراد بها الفلك او السحاب او جهة العلو وهو ابتداها
من ابتدائية وفي قوله من ماء بيانية او تبعيضية ومحلها النصب على المفعولية
فاحيا به اي بسبب الماء النازل من السماء الارض بانبات نباتها بعد
موتها اي يبسها وجدوبتها وبث فيها اي وفي ما نشر في الارض
من كل دابة اي مما تدب على الارض من هامه وتصريف الرياح اي وفي
تصريفها وتغييرها في مهابها جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا وفي احوالها عقيما
ولواقح وباردة وحارة ولينة وعاصفة وفي قراءة حمزة والكسائي بالافراد
على ان الجنس هو المراد والسحاب المسخر بين السماء والارض اي وفي
السحاب المذلل فيهما لتفريق المطر على وفق القدر لآيات اي دلالات
على وحدة ذاته وعلامات على قدرته وبقية صفاته لقوم يعقلون اي
ينظرون اليها ويتفكرون فيها وعنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الآية
فمج بها اي لم يتأمل في معناها واكتفى بمبناها وافاد الاستاد انه تعالى تعرف الى
قلوب الطالبين من اصحاب الاستدلال وارباب العقول والاحوال بدلالات
قدرته وامارات وجوده وسمات ربوبيته التي هي اقسام افعاله ونبههم على وجوه
الحكمة ودلالات الوحدانية بما انبت فيهما من براهين تلطف عن العبارة
ووجوه من الدلالة تدق عن الاشارة فما من عين من العدم محصولة من شخص
او طلل او رسم او اثر او سماء او فضاء او هواء او ماء او شمس او قمر او قطر
او مطر او رمل او حجر او نجم او شجر الا وهو على الوحدانية دليل ولمن يقصد وجوده سبيل
ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا اي اصناما واضدادا تشغلهم عن مولاه
يحبونهم كحب الله يعظمونهم ويطيعونهم كما يحب المؤمنون ربهم
ويعظمون امر عبادته ويميلون الى طاعته ومحبة العبد لربه ارادة طاعته والاعتناء
بتحصيل مرضاته ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واقامته في عبادته وصونه عن مخالفته
والمعنى ان الكفار يسوون بين الله وبين بعض مخلوقاته في المحبة والذين آمنوا
اشد حبا لله لان محبتهم ذاتية لا تنقطع بالامور العارضية بخلاف محبة الانداد
فانها لعلل موهومة فاسدة واغراض مفروضة كاسدة تزول بادنى سبب ومحنة ولذا

كانوا

كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى عند شدة حالتهم ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه
الى غيره عيانا وافاد الاستاد ان هؤلاء اقوام لم يجعلهم الحق سبحانه اهل المحبة
فشغلهم بمحبة الاغيار عن حضرته حتى رضوا لانفسهم ان يحبوا الكل ما هو بئيه انفسهم فرضوا
بمعمول لهم ان يعبدوه وبمنحوت من دونه ان يحبوه وليس المقصود من هذا ذكر
محبة الاغيار للاصنام وسائر الاثار ولكن المراد منه مدح محبة المؤمنين على محبتهم
ولا يحتاج الى كثير محبة حتى يزيد على محبة الكفار للاصنام ولكن من احب حبيبا استكثر
ذكره بل استحسن كل شيء من امره ويقال وجه رجحان محبة المؤمنين على محبتهم
للاصنام ان تلك محبة الجنس للجنس وقد يميل الجنس الى الجنس ومحبتهم للحق سبحانه وتعالى
محبة من ليس بجنس لهم فذلك اعز واحق ويقال انهم احبوا ما شاهدوه وليس
بعجيب محبة ما هو لك مشهود واما المؤمنون فانهم احبوا من حال بينهم وبين شهودهم
رداء الكبرياء على وجهه ويقال والذين آمنوا اشد حبا لله لانهم لا يتبرءون من الله
سبحانه وان عذبهم والكفار يتبرءون من الصنم وكذا الصنم من الكافر قال تعالى
اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ويقال محبة المؤمنين حاصلة عن محبة الله لهم
فهي اتم قال الله يحبهم ويحبونه ومحبتهم للاصنام من مقتضيات هواهم ويقال محبة المؤمنين
اتم واشد لانها على موافقة الامر والشرع ومحبة الكفار على موافقة الهوى والطبع
ويقال انهم اذا صلحت احوالهم واتسعت ذات يدهم وكثرت اموالهم اتخذوا
اصناما احسن من الذي كانوا يعبدونه قبل ذلك في حال فقرهم فكانوا يتخذون من
الفضة عند غناهم اصناما ويهجرون ما كان من الحديد وعلى هذا القياس واما المؤمنون
فاشد حبا لله لانهم عبدوا الها واحدا في السراء والضراء ولو يرى الذين
ظلموا اي لو يعلم هؤلاء الذين ظلموا على انفسهم باتخاذ الانداد وسائر المعاصي والفساد
اذ يرون العذاب حين يشاهدون يوم الحساب ان القوة لله جميعا ساد
مسد مفعولي يرى والمعنى لو يعلمون ان القدرة لله جميعا ولا قدرة لغيره سبحانه
اصلا اذا عاينوا الالم لندموا اشد الندم وفي قراءة نافع والشامي ولو ترى بالخطاب
العام ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما فالذين ظلموا مفعوله من رؤية البصر واذ
يرون العذاب بدل من الذين وان القوة لله بدل اشتمال من العذاب وفي
قراءة الشامي يرون بصيغة المفعول من الارادة اذ تبرأ الذين اتبعوا اي المتبوعون
من الذين اتبعوا وهم التابعون ورأوا اي شاهد الفريقان العذاب
وتقطعت بهم اي بسبب كفرهم او فيما بينهم الاسباب اي اسباب المحبة
ووصل الوصل والمودة بل انقلبت محبتهم عداوة وقال الاستاد اذا بدا لهم
اوائل العذاب اتضح انهم لم يقفوا من الصدق على قدم الصواب واما المؤمنون
فيسلبهم ارواحهم واملاكهم وازواجهم واولادهم ويسكنهم سنين في القبور

ثم يبليهم يوم القيامة عند النشور بطول الاهوال وسوء الاعمال ثم يلقيهم في النار ويأتي
عليهم طول الايام والاعمار فلا يزدادون له الا محبة على محبة فلذلك قال والذين آمنوا اشد
حبا لله وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة اي ليت لنا رجعة الى الدنيا فنتبرأ منهم
اي من المتبوعين حينئذ كما تبرؤوا منا في العقبى كذلك اي مثل الارادة الفظيعة
لهم يريهم الله اعمالهم اي سيئاتهم التي صنعوها او حسناتهم التي ضيعوها حسرات
عليهم اي ندامات لديهم ووبالات اليهم وما هم بخارجين من النار بل هم مستقرون
في دار البوار وقال الاستاذ عند ذلك يعرفون مرارة صحبة المخلوقات ولكن لا يحصدون
الا على الحسرات يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا اي محقق او اكلا حلالا طيبا
اي طاهرا من الشبهة او مستطيبا ليس فيه نوع من المضرة ولا تتبعوا خطوات
الشيطان اي طرق تزيينه وسبل تحسينه والمعنى لا تقتدوا به في اتباع
الهوى من تحريم رفيع الاطعمة وتحليل الاشياء المحرمة انه لكم عدو مبين اي
ظاهر العداوة عند اهل اليقين وان اظهر الموالاة للمريدين وافاد الاستاذ
ان الحرام وان استلذ في الحال فهو وبي في المآل والحلال وان استكره
في الحال فهو مري في المآل والحلال الصافي ما لم ينس مكتسبه الحق في اكتسابه
ويقال الحلال ما حصله الجامع له والمكتسب على شهود الحق في حاله وكل ما يحملك
على نسيان الحق او عصيان الرحمن فهو من خطوات الشيطان وعند قراء
قنبل وشامي وحفص والكسائي بضم الطاء وهما لغتان انما يأمركم بالسوء اي بما
يسوءكم في العاقبة والفحشاء اي القبائح الفاحشة وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون مما تحرمون وتحللون وسائر ما تفعلون وقال الاستاذ السوء الركون
الى الدنيا والفحشاء متابعة الهوى والشيطان ابدا يدعوك اليها ويحثك عليها
ولا جراءة على الله يدعوك على افترائك على الله واذا قيل لهم اي لاتباع الشيطان
وهواه اتبعوا ما انزل الله ابتغاء الرضاء قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا
اي الذي وجدنا عليه كبراءنا اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الادلة
العقلية ولا يهتدون اي الدلائل النقلية والمعنى ايتبعون من لا يتفكرون في
امر الدين ولا يقتدون باهل اليقين وقال الاستاذ ما ارتفع ابصارهم عن
اشكالهم واصنافهم من اضرابهم واسلافهم ولو علموا ان اسلافهم لا عقل
يردعهم ولا رشد يجمعهم لنبذوهم ناصبين وعاندوهم مخالفين ولكن سلبوا انوار
البصيرة وحرموا دلائل اليقين ومثل الذين كفروا اي فيما هم فيه من الجهالة
والضلالة كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء اي كمثل الدواب
السارحة التي لا تفقه ما تقول لها الراعية الداعية بالجملة الندائية او مثل داعي
ارباب الضلالات كمثل راعي الحيوانات الذي يصيح بهن وينعق لهن بما لا

يسمعون

يسمعون الا مجرد صوت لعدم فهمهن وادراكهن قال الاستاذ عدموا سمع
الفهم والقبول فلم ينفعهم سمع الظاهر ونزلوا منزلة البهائم في الخلو عن تحصيل
ومن صارع البهيمة ليس له كبير قيمة صم بكم عمي اي هم مثلهم في عدم نفعهم
بمشاعرهم وحواسهم ووضعها في غير المواضع المطلوبة منهم فهم لا يعقلون اي
بقلوبهم ما يراد بهم من خلقهم بخلاف اضدادهم من العلماء والاولياء حيث لا يسمعون
الباطل ولا يتكلمون بما ليس تحته طائل ولا ينظرون الى شيء بنظر الغافل بل لا يسمعون
الا من الحق ولا ينطقون الا بالحق ولا يرون الا الحق فانهم جامعون بين
الطريقة والشريعة والحقيقة فهم لا يعقلون شيئا من امور الدنيا
لانهماكهم والهون في محبة المولى يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم اي حلاله ومباحاته واشكروا لله في القيام بطاعاته
وعباداته ان كنتم اياه تعبدون وعن غيره بشكركم معرضون وفيه تنبيه نبيه على
ان الحسنات من الاعمال نتيجة اكل الحلال وقال السلمي طيبات الرزق هي التناول
في اوقات الاضطرار مقدار استبقاء المهجة لاداء الفرائض وهو افضل حلال
اذ لا شبهة على اكله بحال وافاد الاستاذ ان الحلال ما ليس عليه تبعة والطيب الذي
ليس لمخلوق فيه منة فاذا وجد العبد ما استجمع فيه الوصفان فهو الحلال الطيب
عند اهل العرفان وحقيقة الشكر عليه ان لا يشتغل في غير رضاء الملك العلام
ما دام تبقى فيك القوة لذلك الطعام انما حرم عليكم الميتة اي اكلها والدم
اي السائل لقوله تعالى او دما مسفوحا وفي الحديث احلت لنا ميتتان السمك
والجراد ودمان الطحال والكبد ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله اي ما ذبح
لغير اسمه من صنم ونحوه وافاد الاستاذ انه سبحانه حرم على الظواهر هذه
المعدودات وهو ما اهل لغير الله وحرم على السرائر صحبة غير الله بل شهود
غير الله انتهى وفيه الاشارة ان ما عدا الحي الذي لا يموت في صدد انه يزول
ويفوت قال تعالى انك ميت وانهم ميتون فمن اضطر اي احوج
والجئ في حال الضرورة الى اكل الاشياء المذكورة غير باغ اي حال كونه
غير طالب بالاستيثار على صاحب الاضطرار ولا عاد وغير متجاوز
سد الرمق وحد الجوع فلا اثم عليه اي في اكل ما اضطر عليه ان الله
غفور اي للمعصية فلا يؤاخذ فيما جعل فيه الرخصة رحيم اي بعباده حيث
رخص لهم في بعض احوالهم وان اوجب عليهم العزيمة في بعض افعالهم وفي
الحديث ان الله يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه ولذا قال الفقهاء
من لم يأكل الميتة حال الضرورة حتى مات مع وجود القدرة مات في المعصية وافاد
الاستاذ ان من لم يجد الى الاستهلاك في حقائق الحق وصولا فلا يسلكن غير

سبيل الشرع سبيلا فاما ان يكون محوا فى الله او يكون قائما بالله او عاملا لله
والرابع هيج لاخطر له ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب اى ما يدل على طريق
الحق وسبل الصواب ويشترون به ثمنا قليلا اى عوضا حقيرا وعوضا يسيرا اولئك
ما ياكلون فى بطونهم اى فى هذا الا النار اى فى الحال لتلبسهم باسبابها وفى المال
لوقوعهم فى عذابها ولا يكلمهم الله يوم القيمة اى كلام الرحمة والكرامة لغضبه عليهم وفى آية
اخرى ولا ينظر اليهم اى نظر رعاية وعناية ولا يزكيهم اى لا يطهرهم من دنس ذنوبهم
ولا يهذبهم من وسخ عيوبهم فهم على اخس اخلاقهم بخلاف عصاة المؤمنين حيث
يكون دخولهم النار تصفية لهم وينزع الحقد والغش والحسد وامثالها من صدورهم
ولهم اى للكفار والفجار عذاب اليم وحجاب عظيم وافاد الاستاد ان العلماء
مطالبون بنشر دلائل العلم والاولياء مامورون بحفظ السرائر والحكم فان كتم هؤلاء
براهين العلوم الجموا بلجام من النار وان اظهر هؤلاء شطحية من السر عوجلوا بابعاد
الاسرار وسلب ما اوتوا من الانوار ولكل حد وقدر وعلى كل حكم وامر اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى اى استبدلوا الجهالة بالهداية فى الدنيا والعذاب
اى عذاب الكتمان للاغراض الدينية والمطامع الدنيوية فى العقبى بالمغفرة
الحاصلة على بيان الحق واظهار المعرفة فما اصبرهم على النار تعجب من تقلب حالهم
وقلة مبالاتهم فى الالتباس بموجبات النار المحققة فى دار القرار وقال الاستاد
ان الذين اثروا العين على الغيب والخلق على الحق والنفس على الانس ما اقسى قلوبهم
واما اقبح محبوبهم ومطلوبهم وما اخس قدرهم وما افضح لذوى البصائر امرهم
ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اى بالصدق والصواب وهم رفضوه
بالتكذيب وكتمان الباب وقال الاستاد اى القضاء والحكم فيه بالصدق
واوصلهم الى ما له اهلهم واثبتهم على الوجه الذى جبلهم وان الذين اختلفوا
فى الكتاب اى تخلفوا عن المنهج الصواب بتصحيف مبانيه وتحريف معانيه
لفى شقاق اى خلاف بعيد عن وفاق ليس البر بالنصب على انه الخبر
فالاسم قوله ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب والمعنى ليس الطاعة
المرضية مجرد توليتكم وجوهكم جهة المشرق والغرب من قبلتى النصارى واليهود
بحسب القبلة المشتركة ولكن البر بالتخفيف بالرفع لنافع والشامى اى
ولكن صاحب البر فانه قرئ ولكن البار من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبيين اى وسائر ما يجب الايمان به على وجه اليقين
وقدم يوم الاخر اسنادا الى المبداء والمنتهى ثم رد الى الوجود الخارجى فى ترتيب المبنى
فان الملك ينزل بالكتاب على النبى المجتبى وآتى المال على حبه اى اعطاه وهو يهواه
لقوله عليه السلام افضل الصدقة ان تؤتيها وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر

او على حب الله من غير غرض فيها سواه او على حب الايتاء حيث يفرح بالاعطاء ذوى القربى
وقدمهم لان ايتاءهم على ما ورد اثنان صدقة وصلة واليتامى اى المحتاجين والمساكين
وفى معناهم الفقراء وابن السبيل اى منقطع الحاج او الغزاة او المسافر الذى انقطع
عنه ما يكفيه فى سفره ولو كان له مال فى مقره او الضيف النازل به والسائلين ولو كانوا
فى صورة الغنيين وفى الرقاب اى تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الماسورين
واقام الصلوة اى المكتوبة وآتى الزكوة اى المفروضة وقد ورد فى المال حق سوى
الزكوة فيصرف اليه قوله وآتى المال المراد به نوافل الصدقات والموفون بعهدهم
اذا عاهدوا اى الحق او الخلق قال بعضهم الوفاء بالعهود لزوم الحدود والرضاء بالموجود
والصبر على المفقود والصابرين فى البأساء اى فى شدة مرارة الحاجة
والضراء فى حدة حرارة العلة وحين البأس وقت رياضة المجاهدة قال بعض
المجاهدين الاحسن فى الصفات الكثيرة مع قطع النظر عن التفاوت فى بابها ان
يخالف فى اعرابها فان الموضع موضع الاطناب فانه اذا خولف بالاعراب
واتى بفنون العبارة فى الاغراب كان البيان افصح والتبيان اوضح فالموفون
مرفوع بالمدح اى هم الموفون والصابرين نصب على المدح اى اخصهم من بينهم
اولئك الذين صدقوا فى اتباع رضاء المولى واولئك هم المتقون اى المعرضون
عن السوى وقد ورد عن رئيس اهل الايقان من عمل بهذه الآية فقد استكمل
الايمان وافاد الاستاد ان الاثار والظواهر ليس بها كثير اعتبار وانما الخبر عن
الله عزيز وكثرة الاوراد وان جلت فحرفة العجائز واخلاص الطاعات وان
عزت فصفة العوام وصلة الليل بالنهار فى وظايف كثيرة ومجاهدات غزيرة
عظيم الخطر فى استحقاق الثواب ولكن معرفة الحق عزيزة وما ذكر فى هذه الآية
من فنون الاحسان ووجوه قضايا الايمان وايتاء المال وتصفية الاعمال وصلة الرحم
والتمسك بفنون الذمم والعصم والوفاء بالعهود ومراعاة الحدود لعظيم الاثر كثير
الخطر محبوب للحق شرعا ومطلوب امرا لكن قيام الحق عنك عند فنائك منك وامحائك
من شاهدك واستهلاكك فى وجود القديم وتعطل رسومك عن ساكنات
احساسك اتم واعلى فى المعنى فالتوحيد لا يبقى رسما ولا اثرا ولا يغادر غبرا ولا غيرا اى
تغيرا يا ايها الذين آمنوا كتب اى فرض عليكم القصاص اى الاقتصاص فى القتلى
اى فى حق المقتولين الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى على خلاف اهل
الجاهلية حيث كان ذو الطول منهم يقول للعرب من غيرهم الحر منكم بالعبد والذكر
بالانثى فامرهم ان يتساووا فلا عبرة بالمفهوم الدال على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر
بالانثى فقد روى عن بعض السلف انها منسوخة بقوله تعالى النفس بالنفس فالقصاص
ثابت بين الحر والعبد والذكر والانثى مطردا ومنعكسا فمن عفى اى ترك

له من اخيه اى دم اخيه المقتول شىء اى من العفو بان يعفو بعض الاولياء
فانه يسقط القود وفى ذكر اخيه استعطاف موجب للعفو وقيل المعنى من عفى له
عن جنايته من جهة اخيه يعنى ولى الدم فاتباع بالمعروف اى على العافى بان يطالب
الدية بلا شدة وغلظة واداء اليه باحسان اى على المعفو عنه بان يؤديها بلا مطل
ونقصان ذلك اى ما ذكر من تخيير القود او العفو والدية تخفيف من ربكم
ورحمة لان للقتل كان محتما على اليهود والعفو على النصارى فمن اعتدى اى
تعدى عن الحد بان قتل القاتل بعد ذلك اى بعد العفو او اخذ الدية فله عذاب
اليم اى فى العقبى وقيل فى الدنيا بان يقتل ولا يؤخذ منه الدية وافاد الاستاد ان
حق القصاص مشروع والعفو خير موضوع فمن جنح الى استيفاء حقه فمسلم
ومن نزل عن اقتضاء حقه فمحسن فالاول صاحب عبادة بل عبودية والثانى
صاحب فتوة بل حرية ودم يراق جرى فيه القصاص على لسان اهل العلم واما على
لسان الاشارة لاهل القصة فدماؤهم مطلولة وارواحهم هدرة قال قائل شعر
وان فؤادا رعته لك حامد ه وان دما اجريته بك فاخر ه وسفك دماء ارباب الحب
فى بساط القرب خلوف اهل الوصال قال النبى صلى الله عليه وسلم اللون لون
الدم والريح ريح المسك ولكم فى القصاص اى فى حكمه حيوة عظيمة وعيشة
مستقيمة مانعة من الفتنة ودافعة للمحنة كما قيل القتل انفى للقتل او حيوة اخروية
للقاتل لانه اذا اقتص منه فى الدنيا لم يؤاخذ به فى العقبى وقرئ فى القصص اى فيما
قص عليكم من حكم القتل والدية او فى القرآن حيوة للقلوب الميتة يا اولى الالباب
اى ذوى العقول الكاملة لعلكم تتقون عن المخالفة او العقوبة وقال الاستاد
فى استيفاء القصاص حيوة لانه اذا علم انه اذا قتل قتل امسك عن القتل فكان فيه
حيوة القاتل والمقتول واذا ترك القصاص على لسان الاشارة ففى ترك القصاص
اعظم الحيوة لانه اذا تلف فيه فهو الخلف عنه وحياته عنه اتم من بقائه بنفسه
واذا كان الوارث عنهم الله والخلف عنهم فبقاء الخلف اعز من حيوة
من ورد عليه التلف كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اى ظهر اماراته او مقدماته
ان ترك خيرا اى مالا ولو يسيرا او مالا كثيرا الوصية للوالدين والاقربين وهو
مرفوع بكتب وتذكيره للفصل وكان هذا الحكم فى ابتداء الاسلام فنسخ باية الميراث
وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذى حق حقه الا لا وصية لوارث بالمعروف
اى بالعدل بان لا يجاوز الثلث ولا يفضل الغنى حقا اى حق ذلك حقا
على المتقين اى لمخالفة الحق من الشرك الجلى والخفى قال الاستاد من ترك
مالا فالوصية فى ماله مستحبة ومن لم يترك شيئا فانى فى حاله بالوصية الاغنياء
يوصون فى آخر اعمارهم بالثلث والاولياء يخرجون فى حيوتهم عن الكل فلا يبقى الا همّ

انفصلت عنهم ولم يتصل بشىء لان الحق لا سبيل اليه للهمة والهمة لا تعلق لها
بمخلوق البتة فبقيت وحدة منفصلة غير متصلة وانشدوا ه احبابكم ما دمت حيا فان امت
يحبك عظمى فى التراب رميم ه هذا وصيتهم وقال بعضهم ه له قلبى الذى غصبه ه
وجسمى لابس وصبه ه وللعبرات اجفانى وما يبقى فللعصبه ه لا بل كما قال قائلهم ه
اما الرسوم فمخبرات ه انهم رحلوا قريبا رجعوا الى اوطانهم فجرى لهم دمعى صبيبا ه
فمن بدله اى غير الايصاء من الاولياء والشهود والاولياء بعد ما سمعه اى
اى تحقق عنده فانما اثمه اى اثم التبديل على الذين يبدلونه ان الله سميع
لما يقوله الوصى وغيره عليم بظاهره وباطنه وافاد الاستاد ان من حرف
نطقا جرى بحق لحقه شؤم ذلك ووباله وعقوبته ان يحرم رائحة الصدق ان يشمه
ومن اعان الدين اعانه الله ومن اعان على الدين خذله الله فمن خاف اى علم
من موص بالتشديد لشعبة وحمزة والكسائى جنفا اى ميلا بالخطاء فى الوصية
او اثما اى قصدا وتعمدا للجنف فى القضية فاصلح بينهم اى بين الموصى لهم من
الوالدين والاقربين وبين الورثة والموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع او بالتراضى
والتصالح فى حقهم فلا اثم عليه اى فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف
الاول وقال الاستاد فيه ان من تفرس فى بعض المريدين ضعفا ورأى فى بعض
اهل البداية رخاوة قصدا ووجد بعض الصادقين تكلم بالصدق المحض على من لم
يحتمله فرأى ان يرفق بذلك المريد بما يكون ترخيصا له او استمالة او مداراة او
رضا بتعاطى مباح فلا بأس به فان حمل الناس على الصدق المحض مما لم يثبت له كثير
اخذ والرفق باهل البداية اذا لم يكن لهم صرحة عزم ولا صادق جهد ركن فى ابتغاء الصلاح
عظيم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام اى فرض وذلك فى شهر شعبان على رأس
ثمانية عشر شهرا من الهجرة كما كتب على الذين من قبلكم اى من الانبياء الكرام من لدن
آدم او نوح عليهما السلام او من اهل الكتاب واصحاب الخطاب والمراد شهر
رمضان لما ورد من ان صيام رمضان كتبه الله على الامم قبلكم وذهب بعض السلف
الى ان الصوم على من قبلنا صوم عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر كما كان علينا اول
الاسلام وكذا ورد فى حديث آخر والله اعلم فعلى الاخير يكون التشبيه فى اصل الصوم
لا بخصوصه ثم فى التشبيه تنبيه على توكيد الحكم وترغيب فى الصوم وتطييب على العزم
والصوم فى اللغة الامساك عن اى جرى وفى الشريعة عن المفطرات اذا نوى
وفى الطريقة عما تنازع اليه النفس والهوى وفى الحقيقة عن ذكر سوى المولى لعلكم
تتقون النار او المعصية فان الصوم يكسر الشهوة المانعة عن وصول الجنة وقد
ورد ان الصوم جنة وافاد الاستاد ان الصوم على ضربين صوم ظاهر وهو الامساك
مصحوبا بالنية عن المفطرات وصوم باطن وهو صون القلب عن الآفات

ثم صون الروح عن المساكنات ثم صون السر عن الملاحظات ويقال صوم
العابدين شرطه حتى يكمل صون اللسان عن الغيبة وصون النظر عن النظر بالريبة
كما في الخبر من صام فليصم سمعه وبصره الحديث وصوم العارفين حفظ السر عن شهود
الغير فان من امسك عن المفطرات فنهاية صومه اذا هجم الليل على النهار ومن امسك
عن الاغيار فنهاية صومه ان يشهد الحق بلا غبار قال صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته
وافطروا لرؤيته الهاء في قوله عليه السلام عند اهل التحقيق عائد الى الحق سبحانه فالعلماء
يقولون معناه عندهم صوموا اذا رأيتم هلال رمضان وافطروا لرؤية هلال شوال واما
الخواص فصومهم لله وفطرهم بالله لان شهودهم لله واقبالهم على الله والغالب عليهم الله
والذين هم به محوا لله اياما معدودات اى صوموا اياما موقتات بازمنة معلومات
او اياما قليلات بالنسبة الى ساير الاوقات وافاد الاستاد ان من شهد الشهر
صام لله ومن شهد خالق الشهر صام بالله فالصوم لله يوجب المثوبة والصوم
بالله يوجب القربة الصوم لله تحقيق العبادة والصوم بالله تصحيح الارادة الصوم لله
صفة كل عابد والصوم بالله نعت كل قاصد الصوم لله قيام بالظواهر والصوم بالله
قيام بالضمائر الصوم لله امساك من حيث عبارات الشريعة والصوم بالله امساك
باشارات الحقيقة من شهد الشهر امسك نفسه في ايام معدودات عن المفطرات ومن
شهد الحق امسك في جميع الاوقات عن شهود المخلوقات من صام بنفسه سقى شراب
السلسبيل والزنجبيل ومن صام بقلبه سقى شراب المحاب بنعت الايجاب
ومن صام بسره فهم الذين قال الله فيهم وسقيهم ربهم شرابا طهورا شراب
ماله من شراب شراب لا يدار على الكف لكنه يبدو له من اللطف شراب استيناس
لا شراب كاس فمن كان منكم مريضا اى مرضا يضره صومه او يعسر معه او على سفر
اى راكب سفر فعدة اى فعليه صوم عدد ايام المرض او السفر من ايام اخر
ان افطر وقال الاستاد من لهذه الاعذار فعليه صوم عدة ايام بعددها افطر فمضمنا
كذلك الاشارة لمن سمت ارادته عن الصحة فيرجع الى غيره اما رخصة تاويل او
لفقد قوة واحتمال وعجز للقيام باحكام الحقيقة فليمهل حتى تقوى عزيمته وتشتد ارادته
فعند ذلك يستدرك منه ما رخص له بالاخذ بالتاويل وذلك سنة من الله سبحانه وتعالى
في التسهيل على اهل البداية ثم استيفاء ذلك واجبا في آخر الحال قرب النهاية وهذا
معنى قوله وعلى الذين يطيقونه اى يستطيعون الصوم لكن يتبعهم الصيام ويجهدهم
كالشيخ الفاني والحامل والمرضع اذا خافتا على انفسهما او ولدهما ان افطر والكل
يوم فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق
ومد عند فقهاء الحجاز فيكون الحكم ثابتا ولذا قيل التقدير وعلى الذين لا يطيقونه ثم القراءة
بالاضافة لنافع وهشام وبدونها وجمع مساكين وافراده لنافع والشامي او لما امرنا

بالصوم

بالصوم واشتد عليهم لعدم تعودهم رخص لهم فنسخ بقوله تعالى فمن شهد منكم
الشهر فليصمه وافاد الاستاد ان الاشارة منه ان من فيه بقية من القوة للوفاء
بمطالبات الحقيقة فيرجع الى تسهيلات الشريعة والحط الى رخصة التاويل فعليه الغرامة
بواجب الحال وهو الخروج مما بقي له من معلوم مال ورسوم حال ويبقى مجردا للواحد
فمن تطوع خيرا اى من تنفل بصوم وغيره فهو اى الخير او تطوعه خير له وان تصوموا
اى صيامكم في السفر من غير لحوق الضرر خير لكم اى افضل من الافطار ولو مع الاعذار
ومن تاخير القضاء فانه ليس في مرتبة الاداء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة
والمسارعة الى براءة الذمة وجوابه دل عليه ما قبله شهر رمضان اى تلك الايام
المعدودات هي شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن اى ابتدئ فيه انزاله
الى السماء الدنيا وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة من اللوح الى السماء الدنيا ثم نزل
الى الارض منجما في عشرين سنة وفي الحديث نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من
رمضان والتورية لست مضين منه والانجيل لثلاث عشرة والزبور لثماني عشرة
والقرآن لاربع وعشرين وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاص وجوب
الصوم به وقال الاستاد رمضان يرمض ذنوب قوم ويرمض رسوم قوم
فشتان بين من يحرق ذنوبه رحمته وبين من يحرق رسومه حقيقته شهر رمضان
شهر مفاتحة الخطاب شهر انزال الكتاب شهر حصول الثواب شهر التقريب
والايجاب شهر توفيق الكلفة شهر تحقيق الزلفة شهر نزول الرحمة شهر وفور النعمة
شهر النجاة وشهر زيادة المناجاة هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
اى انزل حال كونه هاديا باعجازه للخلق وآيات واضحات مما يهدى الى الحق وفارقا
بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام وفاصلا بين الحدود والحكم والاحكام فمن
شهد اى علم منكم الشهر اى هلاله فليصمه اى فليصم فيه قال الواسطي
من شهد في وشاهد امري فليصم جميع الاوقات عن المخالفات ومن شهد الشهر على
رؤيته تعظيمه فليمسك فيه عن لغوه ولهوه ومن شهده على رؤية فعله وصومه فليس لله
حاجة في ترك طعامه وشرابه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر
تخصيص لعموم الحكم وشموله ولئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينة على القول به يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر ولذا اباح للمريض والمسافر الفطر والمعنى لم يضيق عليكم الحكم ليسهل
لكم الامر ولتكملوا العدة بتشديد الميم لشعبة اى ولتتموا عدد ايام الشهر بقضاء ما افطرتم
في المرض والسفر ولتكبروا الله اى لتعظموا امره وتحمدوا حكمه على ما هديكم ولعلكم
تشكرون اى لاجل ما ارشدكم اليه ودلكم عليه وما مصدرية او خبرية وقيل المراد بالتكبير
تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبيره يوم الفطر وقيل التكبير عند
الاهلال مطلقا او هلال شوال ولا منع من الجمع والله اعلم بالحال وقال الاستاد

لارادته بك اليسر معرفتك انه يريد بك اليسر ومن امارات انه اراد بعبده اليسر انه اقامه
بطلب اليسر ولو لم يرد به اليسر لما جعله راغبا في اليسر قال قائلهم لو لم ترد نيل ما ارجو
واطلبه من فيض جودك ما علمتني الطلبا حقق الرجاء واكد الطمع واوجب التحقيق
حيث قال ولا يريد بكم العسر لينتفي عن حقيقة التخصيص مجوزات الظنون ولتكملوا
العدة على لسان العلم لتكملوا مدة الصوم وعلى لسان الاشارة لتقربوا بصفاء الحال
وصفاء المآل ولتكبروا الله على ما هديكم في النفس الاخير وتخرجوا من مدة عمركم بسلامة
ايمانكم بتوفيق ان يجعل صوم شهرك عظيم لكن تحقيق ان يختم بالسعادة عمرك اعظم
نعيم واذا سألك عبادي عني اي عن قربي منهم او بعدي عنهم فاني
اي فقل لهم اني قريب وسؤالهم مجيب قيل انه تمثيل لكمال علمه
بافعالهم واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم والاولى
ان يقال له قرب بعبده على ما يليق به فانه سبحانه في مقام المزيد اقرب الى المريد
من حبل الوريد وقد قال بعض العارفين لو لا قربه بك لا تراه ولغاية بعدك عنه
نرى شيئا سواه وهذا تمام ان يطلب معرفة مولاه ولا يصح الطلب الا لمن خالف
هواه وقال سهل ادنى مقامات القرب المبادي التي المعنى مقامات قرب العبد حياؤه
من الرب وادنى حالات قرب الرب من العبد ان يستحيي العبد من الغفلة
عن الرب ثم في حذف السفير والواسطة حيث لم يقل فقل لهم اني قريب
اشعار بكمال القرب فان القريب لا يقول قل للسائل اني قريب اجيب
دعوة الداع اذا دعان بحذف الياء فيهما واثباتها قراءتان لاربابها فليستجيبوا لي
اي فليجيبوا الى طاعتي والقيام بامري وليؤمنوا بي وليثبتوا على الايمان بي
او وليوقنوا باجابتي لعلهم يرشدون راجين اصابة صوب الصواب
وحصول الرشاد وحسن المعاد والمآب وقد روي ان بعض الصحابة سأل
النبي عليه السلام اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله هذه الآية
وفيها الاشارة الى الحديث المشهور حيث كان بعضهم رفعوا بالذكر والدعاء اصواتهم
فقال لهم اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا بل تدعون قريبا مجيبا وافاد
الاستاذ ان سؤال كل احد يدل على حاله لم يسألوا عن حكم ولا عن مخلوق ولا عن دنيا
ولا عن عقبى بل سألوا عن المولى فقال تعالى سألك عبادي عني فليس هؤلاء
من جملة من قال ويسألونك عن الجبال او الانفال او الخمر والميسر وامثال
ذلك السؤال هؤلاء اقوام مخصوصون واذا سألك من الذين هم في اسر النفس
او حكم الخلق فجوابهم عليك فقل لهم ما انزل اليك وهؤلاء عبادي يسألونك
عني فانا اجيبهم وليس هذا الجواب بلسانك يا محمد وان كنت السفير بيننا
وبين الخلق هذا الجواب انا اتوليه فاني قريب رفع الواسطة في الاخبار عن القربة

لم يقل

لم يقل فقل لهم اني قريب بل قال فاني قريب وبين ان تلك القربة ما هي حيث تقدس
الحق سبحانه عن اقتراب بجهة او بعاد عن جهة واختصاص ببقعة دون بقعة فقال
اجيب دعوة الداع وان الحق سبحانه قريب من الجملة والكافة بالعلم والقدرة والسماع
والرؤية وهو قريب من المؤمنين على وجه الرتبة والنصرة واجابة الدعوة وجل وتقدس
عن ان يكون قريبا من احد بالذات وبالبقعة فانه احدي لا يتجه في الاقطار وعزيز
لا يتصف بالكنه والمقدار ثم لم يعد اجابته لمن كان باستخفاف زهدا وفي ضمان
عبادة بل قال دعوة الداعي اذا دعان يعني كما دعاني وكيفما دعاني ومتى ما دعاني ثم
قال فليستجيبوا لي هذا تكليف وقوله اجيب دعوة الداع تعريف تخفيف قدم
التخفيف على التكليف كانه قال اذا دعوتني عبدي اجيبك فاجبني ايضا اذا
دعوتك انا لا ارضى برد دعائك فلا ترضى عبدي برد من نفسك اجابتي لك بالخير
تحملك عبدي على دعائي لا دعاؤك يحملني على اجابتك فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي
وليثقوا بي فاني اجيب من دعاني قال قائلهم شعر لا ابتغي بدلا سواك خليلة
فثق بقولي والكرام ثقات • ثم قال في آخر الآية لعلهم يرشدون اي ليس
القصد من تكليفك ودعائك الا وصولك الى ارشادك ودلالتك انتهى
ولعل اعتراض هذه القصة الجلية بين السابق واللاحق من القصة للاشعار باجابة دعوة
الصائمين خصوصا وسائر السائلين عموما وقد ورد ان دعاء الصائم مستجاب لا سيما
عند الافطار وحصول الايجاب وورد اتاكم شهر رمضان شهر بركة ونزول رحمة ويستجيب الله
فيه الدعاء ويحط فيه الخطايا وينظر الله الى تنافسكم ويباهي الملائكة بكم وفي رواية
ويبعث الله مناديا ينادي يا باغي الخير ويا طالب الشر امسك هل من داع يستجاب له
هل من مستغفر يغفر له هل من تائب يتاب عليه ولله عند وقت الفطر في كل ليلة
من رمضان عتقاء من النار ستون الفا فاذا كان يوم الفطر اعتق مثل ما اعتق
في جميع الشهر ثلثين مرة ستين الفا ستين الفا وفي رواية شهر اوله رحمة
واوسطه مغفرة وآخره رضوان وعتق من النار وفي رواية فضل الجمعة في شهر رمضان
على سائر الجمع كفضل رمضان على سائر الشهور وفي رواية لله في كل ليلة من شهر
رمضان عند الافطار الف الف عتيق من النار فان كان ليلة الجمعة عتق في كل ساعة
الف الف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار احل لكم ليلة الصيام
اي التي يصبح منها صائما الرفث اي الافضاء بالجماع الى نسائكم وذلك
لان المجامعة ما كانت تحل في ليالي الصيام في اوائل الاسلام وكذا الاكل والشرب
بعد العشاء الآخرة او المنام ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم منه
واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء
فنزلت الآية هن لباس لكم وانتم لباس لهن استئناف بيان سبب

فلة صبرهم وصحة امرهم فى عذرهم وموجب الاحلال بعد حلول هذا الحال لكون كل واحد
من الرجل والمرأة يستر حال صاحبه كالستور ويمنعه عن الوقوع فى الفجور او لانهما
يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبهه باللباس فى اشتماله على اللابس وقيل
هن لباس لكم اى فراش عند الجماع وانتم لباس لهن اى لحاف فى حال الاجتماع علم الله
انكم كنتم تختانون انفسكم يظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها عن الثواب
وهو ابلغ من تخونون كتكتسبون وتكسبون فتاب عليكم اى عاد بالترخيص
اليكم وعفا عنكم اى ومحا ظهر قبل الرخصة منكم فالان اى حين النسخ بنزول
القرآن باشروهن جامعوهن وابتغوا ما كتب الله لكم اى اطلبوا
ما قدره لكم او اثبته فى اللوح المحفوظ من حصول الولد لكم والمعنى ان المباشر
ينبغى ان يكون له فى فعله تصحيح النية لا ان يقصد مجرد قضاء الشهوة
وكلوا واشربوا اى فى الليل كله حتى يتبين لكم الخيط الابيض
من الخيط الاسود غاية للافعال الثلاثة والمعنى الى ان يظهر ويتميز بياض
بياض الصبح من سواد الليل وقوله من الفجر بيان ان هذا الخيط الابيض من
الفجر لا من غيره وتحقيقه انه شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض فى الافق وما يمتد
معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من
الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه ثم اتموا الصيام الى الليل اى بالامتناع
من هذه الاشياء فهو بيان آخر وقت الصوم وقد استفيد اوله بقوله من الفجر
وفى اخراج الليل عنه اشارة الى منع الوصال والله اعلم بحقيقة الحال وقال الاستاذ
اخبر ان الحقيقة لا يعود اليه عائد من اوصاف الخلق ان كنت فى العبادة التى هى حق
الحق او فى احكام العادة من صحبة جنسك التى هى غاية النفس والحظ فسيان حالك
اذا ورد فيه الاذن نزلت الآية فى زلة بدرت من الفاروق فجعل ذلك سبب رخصة
جميع المسلمين الى يوم القيمة هكذا احكام العناية ويقال علم انه لا بد للعبد من الحظوظ
فقسم الليل والنهار فى هذا الشهر بين حقه وحظك فقال اما حقى فاتموا الصيام
الى الليل واما حظك فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط
الاسود من الفجر ولا تباشروهن اى بالمجامعة ومقدماتها بالشهوة
وانتم عاكفون اى معتكفون فى المساجد وهو لبث فى المسجد بالنية وشرط
الصوم فى الاعتكاف الواجب فى الاعتكاف عندنا وفى غيره خلاف بين
علمائنا وهو فى العشر الاخير من رمضان سنة مؤكدة وفيما سواه مستحب
وبالنذر واجب وجمع المساجد ليشمل جميع المشاهد وافضل المساجد للاعتكاف
المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم الاقصى ثم الجامع وافاد الاستاد انه سبحانه
اخبر ان محل القربة مقدس عن اجتلاب الحظوظ فقال اذا كنتم مشاغيل

بنفوسكم

بنفوسكم فلستم تحجوبين بكم فيكم واذا كنتم قائمين بنا فلا تعودوا اليكم منا ولا يقال غيرة الحق
سبحانه على الاوقات ان يمزج الجد بالهزليات قالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله
انى احبك واحب قربك فقال ذرينى يا بنت ابى بكر اتعبد ربى وقال صلى الله عليه وسلم
لى وقت لا يسعنى غير ربى تلك اى الاحكام التى ذكرت من الصوم وما قبله
حدود الله اى ذوات حدوده فلا تقربوها بمخالفة اوامرها ونواهيها وهو
ابلغ من قوله فلا تعتدوها كذلك اى مثل ذلك التبيين يبين الله اياته
اى سائر آياته واحكام بيناته للناس اى عموما وللمؤمنين خصوصا لعلهم
يتقون اى يحذرون مخالفة امره ونهيه وما يترتب عليهما من العقوبة على وفق حكمه ولا تأكلوا
اموالكم بينكم بالباطل اى لا يأكل بعضكم مال بعض بما لا يحل فى الشريعة من نحو
الغصب والسرقة والخيانة وبين نصب على الظرفية وفى ذكره ايماء الى زيادة
تقبيح افعالهم فان وقوع الذنب علانية اعلان بقبح حالهم وتدلوا بها اى
ولا تلقوا حكومة الاموال الى الحكام لتأكلوا اى بالتحاكم فريقا اى طائفة من
اموال الناس بالاثم اى بما يوجب اثما كشهادة الزور والرشوة واليمين
الكاذبة وانتم تعلمون انكم مبطلون وارتكاب المعصية مع العلم بها ادعى الى
العقوبة ولذا ورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات وقال الاستاذ
اذا تحاكمتم الى المخلوقين فاعلموا ان الله مطلع عليكم علمه ومحيط بكم فراقبوا موضع
الاستحياء من الحق سبحانه لا تسقطوا من عينه ولئن كان المخلوقون متعلقين
بالظواهر فالحق سبحانه وتعالى متولى السرائر يسئلونك عن الاهلة سأل معاذ
بن جبل وغيره من النبى صلى الله عليه وسلم حكمة تغيير الهلال من زيادة الكمال ونقصان
الحال قل هى مواقيت للناس اى معالم لهم عموما يوقتون بها امورهم من حلول
ديونهم ومعرفة مرور زمانهم وقدر اعمارهم واجور اجرائهم وعدد حوامل هم ومعالم للعبادات
الموقتة للمؤمنين خصوصا يعرف بها اوقاتها من الصوم والافطار وعدة النساء
والحج وخص بالذكر لان الوقت مراعى فيه حال الاداء والقضاء وافاد الاستاد ان
الاهلة مواقيت للناس لاشغالهم ومحاسباتهم وهى مواقيت لاهل القصة
فى تفاوت احوالهم ومشاهداتهم فلزاهدين مواقيت اورادهم وعباداتهم واما
اقوام مخصوصون فهى لهم مواقيت اماتهم قال قائلهم شعر
شهور ينقضين وما شعرنا • بانصاف لهن ولا سرار • وليس البر بان تأتوا البيوت
من ظهورها كان الرجل فى الجاهلية فى حال احرامه ينقب فى بيته نقبا من مؤخره
يخرج منه ويدخل به فاعلمهم الله بانه ليس ببر ولكن البر تقدم الخلاف •
من اتقى اى بر من اتقى مخالفة المولى وقال الاستاذ يعنى ليس البر بمجرد مراعات
الظواهر بل البر تصفية السر وتنقية الضماير واتوا البيوت من ابوابها اى اتركوا

سنة الجاهلية وارباها او باشروا الامور من وجوهها واسبابها واتقوا الله
في تغيير احكامه وما في معناه لعلكم تفلحون اي لكي تظفروا بالبر فيما تعملون ولما انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية الى المدينة السكينة حين صده المشركون
عن الكعبة الامينة وصالحهم على ان يرجع السنة الاتية ويخلوله مكة ثلثة ايام
تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في ذي القعدة لعمرة القضاء
وخافوا من قريش عدم الوفاء وكره اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قتالهم
في الحرم وفي الشهر المحترم نزل وقاتلوا في سبيل الله اي في اعلاء كلمته واعزاز
دينه وطاعته الذين يقاتلونكم اي بالمدافعة عن دينه ولا تعتدوا اي بابتداء القتال وهذا
الحكم كان في اول الحال ان الله لا يحب المعتدين اي لا يريد الخير بالمتجاوزين عن الحد في امر
الدين وافاد الاستاذ ان المعنى لتكن نفوسكم عندكم ودايع الحق ان امر بامساكها
امسكوها وصونوها وان امر بتسليمها الى القتل فلا تدخروها وهذا معنى قوله ولا تعتدوا وهو
ان تقف حيث ما وقفت وتفعل ما امرت واقتلوهم حال نقض عهدهم او عند
الغلبة عليهم حيث ثقفتموهم اي وجدتموهم في حل او حرم واحلال واحرام واخرجوهم
من حيث اخرجوكم اي من البلد الحرام قال الاستاذ يعني عليكم بنصب المعاداة
مع اعدائي كما ان عليكم اثبات الموالاة مع اوليائي فلا تبقوا عليهم وان كانت بينكم
اواصر الرحم ووشايج القرابة واخرجوا اولا حبهم وموالاتهم من قلوبكم ثم ازعجوهم من اوطان
الاسلام ليكون الصغار جاريا عليهم والعز لازما لكم والفتنة اي شركهم
في الحرم او صدهم اياكم عن البيت المعظم اشد من القتل اي اعظم من قتلكم
اياهم او اصعب عليكم من قتلهم اياكم او المحنة التي ترد على القلوب من طوارق الحجب
اشد من المحن التي ترد على النفوس من بذل الروح لان فوات حياة القلوب
اشد من فوات حياة النفوس اذ النفوس حياتها بمالوفاتها وحيات القلوب لا يكون
بالله ويقال الفتنة اشد من القتل ان تبقى عن الله اعظم من ان تبقى عن حظك
وحياتك ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام اي حرمه لكونه حرمه حتى يقاتلوكم فيه
فيكون هتك حرمة الحرم منهم ويصير قتالكم سببهم دفعا لهم فان قاتلوكم
فاقتلوهم اي مكافاة لهم ولا تبالوا بهم وفي قراءة حمزة والكسائي ولا تقتلوهم
عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كذلك
جزاء الكافرين اي مثل ذلك جزاؤهم فافعلوا بهم مثل ما فعلوا بكم وقال
الاستاذ لا تشوش وقتك مع الله اذا كان بوصف الصفوة بما تدخله على نفسك
وان كانت نوافل من الطاعات فان زاحمك مزاحم يشغلك عن الله فاقطع مادة
ذلك عن نفسك بكل ما امكن لئلا يبقى لك علاقة تصدك عن الله فان انتهوا
عن القتال معكم والكفر بمولاكم فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف

ولو ذنب

ولو ذنب عظيم ويرحم عليهم بالاحسان اليهم قال الاستاذ اذا انقطع عنك
شاغبة خاطرك واعداء نفسك مما يزعجك عنه ويزاحمك فسلم حديث النفس
ودع مجاهدتها فان من طولب بحفظ الاسرار لا يتفرغ الى مجاهدات النفوس
بفنون المخالفات وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك والمعنى حتى يسلموا
اذ لا يقبل من المشرك الوثني الجزية ويكون الدين لله اي خالصا لله فلا يعبد الا
اياه فان انتهوا عن كفرهم فلا عدوان اي فلا اعتداء بالقتل والنهب الا على
الظالمين اي الثابتين على ظلمهم باختيار ظلمة شركهم وافاد الاستاذ ان الاشارة
من الاية الى مجاهدة النفوس فان اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك اي استوف
احكام الرياضات حتى لا يبقى لاثار البشرية شيء وسلم النفس والقلب لله فلا يكون
معارض ولا منازع منك لا بالتوقي ولا بالتلقي ولا بتدبير ولا باختيار بحال من الاحوال
يجري عليك صروفه كما يريد وتكون محوا عن الاختيارات بخلاف ما يرد بكم الحكم فاذا
استسلم النفس فلا عدوان الا على ارباب التقصير فاما من قام بحق الامر تقضى عن
عهدة الالزام الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون بصدهم المؤمنين عام الحديبية
في ذي القعدة الحرام واتفق خروج المسلمين لعمرة القضاء فيه بعد ذلك العام وكرهوا
ان يقاتلوهم في الشهر الحرام والحرم والاحرام فقيل هذا الشهر بذاك فلا تبالوا بما
هناك والحرمات قصاص اي ذوات قصاص او فيها قصاص وتماثل
من غير اختصاص كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة
التقرير ونتيجة التحرير وسمى جزاء الاعتداء بالاعتداء للمشاكلة الملحوظ فيها المقابلة نحو
وجزاء سيئة سيئة لما فيه من الصورة في المشابهة وقال الاستاذ الاشارة
فيه اذا تقابل حقان كلاهما لله فسلم الوقت لحكم الوقت ودر مع اشارات الوقت
واياك ان ترجح احدهما على الاخر بمالك فيه حظ وان قل فتحجب حينئذ عن شهود
الحق وتعمى بصيرة قلبك وكل ما كان الى خلاف هواك اقرب وعن استحلائك
وسكونك اليه ابعد كان ذلك في نفسه اصوب واتقوا الله اي في الانتصار
ولا تعتدوا على غير الاغيار واعلموا ان الله مع المتقين اي بالنصرة والاظفار وانفقوا
في سبيل الله اي في جهات رضاه ولا تلقوا اي انفسكم بايديكم اي باختياركم
واقتداركم الى التهلكة اي الى ما ينجر الى الهلاك والفساد وهو ترك الجهاد او الى
حب المال والامساك فانه يؤدي الى طول الامال وحصول الاهلاك واحسنوا
اي في سائر الاخلاق والاعمال ان الله يحب المحسنين فيجازيهم على احسانهم
بتحسين المآل وافاد الاستاذ ان انفاق الاغنياء باموالهم وانفاق العابدين
بنفوسهم لا يدخرونها عن العبادات والوظائف على وفق امره وانفاق العارفين
بقلوبهم لا يدخرونها عن احكامه وانفاق المحبين بارواحهم لا يدخرونها عن حكمه انفاق

الاغنياء من النعم وانفاق الفقراء من الهم انفاق الاغنياء لاخراج المال من الكيس
وانفاق الفقراء اخراج الاغيار من النفس النفيس وانفاق الموحدين اخراج الخلق من
السر والاشارة في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى امساك يدك عن البذل فمن امسك يده
وادخر شيئا لنفسه فقد القى بيده الى التهلكة ويقال اسنادا الى ايثار هواك على
رضى مولاك ويقال التهلكة هي الغفلة عنه بالاختيار ويقال توهم انك تعيش من دون
لطفه واقباله لحظة ويقال الرضاء بما انت فيه من الحجاب والفترة ويقال امساك
اللسان عن دوام الاستغاثة والاستعانة في كل نفس ولحظة واما قوله واحسنوا
فالاحسان ان ترفق مع كل احد الا معك فاحسانك الى نفسك في صورة اساءتك
اليها في طي الاعمار وذلك لارتكابك به كل شديدة ومقاساتك فيه كل عظيمة والاحسان
ايضا ترك جميع حظوظك من غير بقية والاحسان ايضا تفرغك الى قضاء حق كل احد
علق عليك حديثه والاحسان ان تعبده على غير غفلة والاحسان ان تعبده وانت بوصف
المشاهدة واتموا الحج اي الفرض والعمرة اي السنة المؤكدة لله اي خالصين
له من غير رياء وسمعة وارتكاب معصية واتمامهما القيام بشرائطهما واركانهما وواجباتهما
ومستحباتهما وترك مفسداتهما ومحظوراتهما ومكروهاتهما وقرئ واقيموا الحج والعمرة لله
او المعنى اتموهما اذا شرعتم فيهما ولو افسدتموهما وافاد الاستاذ ان الحج هو
القصد فمقصد الى بيت الحق وقصد الى الحق فالاول حج العوام والثاني حج الخواص
فكان الذي يحج بنفسه يحرم ويقف ثم يطوف بالبيت ويسعى ويحلق فكذا من يحج
بقلبه فاحرامه بعقد صحيح على قصد صريح ثم بتجرده عن مخالفته باشتغاله بذنوب صبره
وفقره وامساكه عن متابعة حظوظه من اتباع الهوى واطلاق المنى ودما في هذا المعنى
ثم الحاج اشعث اغبر فكذلك يظهر عليه اثار الخشوع وانوار الخضوع واسرار تلبيته لك
باستجابة كل جزء منك وافضل الحج العج والثج والثج صب دم الذبيحة والعج رفع
الصوت بالتلبية فكذلك سفك دم النفس بسكاكين المخالفة ورفع اصوات
السر بدوام الاستغاثة وحسن الاجابة ثم الوقوف بساحات القربة باستكمال
اوصاف الهيبة فموقف النفوس عرفات وموقف القلوب الاسامي والصفات
لعز الذات عن المواصلات ثم طواف القلوب حول مشاهدة العز والسعي بالاسرار
بين وصفي كشف الجلال ولطف الجمال ثم التحلل بقطع اسباب الرغائب والاختيار
والمنى والمعارضات فان احصرتم اي حبستم ومنعتم عن البيت والوقوف عن
الكعبة في العمرة من جهة عدو ومرض وغيرهما كذهاب النفقة وموت المحرم للمراة وكرها
فما استيسر من الهدي اي فعليكم ان اردتم التحلل ما تيسر من جنس الهدي الشامل
للابل والبقرة والشاة بشرط ان تذبح في الحرم لقوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم اي وانتم
محرمون حتى يبلغ الهدي محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وهو الحرم لقوله تعالى

هديا بالغ الكعبة

هديا بالغ الكعبة وافاد الاستاد ان المحصر بامرين لعدو او مرض فالاشارة فيه ان استيلاء
عدو النفس فلم يجد بدا من الاباحة بعقوة الرخص وتباعد بيات العلم فعند ذلك تحلل بموجب
العذر والاضطرار اذ لا مزاحمة مع الحكم ثم الهدي الذي يهدي به عند التحلل بالعذر الخروج عن
المعلوم وتسليمه للفقراء وانتظار ان يزول الحصر فيستانف الامر وان مرضت الارادة
وسقمت القصود وآل الامر الى التكلف فليجتهد ان لا ينصرف كما انه في الحج الظاهر
يجتهد بان لا ينصرف بكل مرض وان احتاج الى اللبس والحلق وغير ذلك بشرط الفدية
ثم ان عجز اشترط ان محله حيث حبسه فكذلك يقوم ويقعد في احكام الارادة
واوصاف القصد فان رجع والعياذ بالله لم يقابل الا بالرد والصد شعر
فلا عن قلى كان التفرق بيننا * ولكنه دهر يشتت ويجمع * وفي قوله ولا تحلقوا رؤسكم
حتى يبلغ الهدي محله اشارة الى ان يبذل ما امكنه ويخرج عن جميع ما ملكه وعليه
آثار المحرم واستشعار احزان الحجبة فمن كان منكم ايها المحرمون مريضا اي
مرضا يحوجه الى لبس المخيط او استعمال الطيب او به اذى من راسه كقمل
وجراحة وصداع يضطره الى حلقه ففعل احدى هذه المحظورات عند الضرورات
ففدية اي فعليه فدية مخيرة من صيام اي في ثلاثة ايام او صدقة اي تصدق
على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عندنا
ومدان عند الشافعي او نسك اي ذبح نسيكة وهي الذبيحة واقلها شاة
افاد الاستاد ان الاشارة منه الى انه يبتهل ويجتهد بالطواف على الاولياء
والخدمة للفقراء والتقرب بما امكنه من وجوه الاحتيال والدعاء انتهى ولا يبعد
ان يقال انه يرجع عند الابتلاء بالبلاء الى آداب اهل الولاء من الامساك
عن متابعة الهوى والاهواء كما هو شان ارباب القبض من الاصفياء الى ان
يحصل البسط والصفاء والوفاء والضياء ومن الانفاق بطريق الاحسان
على قدر الامكان على المساكين والضعفاء ليرتفع عنه البلاء بالدعاء ومن مجاهدة
النفس وذبحها عن شهواتها حتى تموت الى حالة الفناء ومقام البقاء والموت
على حصول الرضاء الموجب لوصول اللقاء فاذا امنتم اي الاحصار او اذا كنتم
في حال الامن والقرار فمن تمتع بالعمرة اي استمتع وانتفع بالتقرب الى الله
تعالى الى الحج باعمال العمرة قبل المباشرة بتقربه بالحج في اشهره سواء افرد بينهما الالمام
او جمع بينهما من احد مواقيت البيت الحرام فما استيسر من الهدي فعليه دم
شكر لتوفيق الجمع بين النسكين في سفر واحد فمن لم يجد اي الهدي او ثمنه
فصيام ثلاثة ايام في الحج اي في اشهره والاحب ان يكون ولاء وآخرها يوم عرفة
او قبله وسبعة اذا رجعتم الى اهلكم او نويتم وفرغتم عن نسككم تلك اي جملة
الثلاثة والسبعة عشرة كاملة مؤكدة وفي اصطلاح الحساب فذلكة ليعلم

العدة مفصلة ومجملة ومن فائدتها ان لا يتوهم كون الواو بمعنى او التردية او ان المراد بالسبعة الكثرة او لا يقع التصحيف بين السبعة والتسعة في القضية الرسمية ثم قوله كاملة صفة مؤكدة لزيادة المبالغة او مقيدة مفيدة كمال بدليتها من الذبيحة وقال الاستاذ فاذا تجلى اقمار المقصود عن كسوف التعذر وانجلى غيابة الحجبة عن شموس الوصلة واشرق نور الاقبال زمن ضاعف ايام الوقفة فليستأنف للوصلة وقتا وليفرش للتوبة بساطا وليجدد للقيام نحو السرور نشاطا وليقبل حتى على البهجة فقد مضت ايام المحنة وليجمل للحج والعمرة وليستلزم القيام باحكام الصحبة والخدمة ذلك اي جواز التمتع لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام اذ لا متعة ولا قران للمكي بل هما مختصان للآفاقي عندنا واما عند الشافعي فالاشارة الى الحكم المذكور من الصيام المسطور واللام تؤيدنا واتقوا الله اي في المحافظة على اوامره ونواهيه خصوصا حال مباشرة مناسكه وموصلة شعائره واعلموا ان الله شديد العقاب اي لمن لم يكن من اهل التقوى عن مخالفة المولى ومن اصحاب الاجتناب عن كل باب سوى باب رب الارباب وافاد الاستاذ انه شديد العقاب بالحجاب لمن لم يره اهل الوصلة والاقتراب الحج اي وقت اعماله عندنا ووقت احرامه عند الشافعي اشهر معلومات اي معروفات مشهورات وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وتسع عند الشافعي وذو الحجة كله عند مالك وثمرة الاختلاف مبينة في كتب الخلاف وسمي شهران وبعض الشهر اشهرا اقامة للاكثر مقام الكل فمن فرض فيهن الحج اي اوجب على نفسه باحرامه في الاشهر والتقييد بهن لرفع الحرج المكروه فيما قبلهن بناء على قول علمائنا من ان الاحرام شرط فيصح وجوده قبل الوقت خلافا للشافعية فانه ركن عندهم فلا يصح ان يتقدم والله اعلم والحاصل ان من احرم بالحج لزمه اتمام بجميع مأموراته وانتهاؤه عن محظوراته فلا رفث اي فلا جماع ومقدماته ولا فسوق اي ولا خروج عن الطاعة بارتكاب المعصية فانها اقبح في تلك الحالة ومنها مباشرة المحظورات والاصرار عن السيئات بترك التوبة وبهذا يظهر معنى قوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وفي قراءة المكي والبصري برفعهما منونا على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق واما قوله ولا جدال فبالفتح لا غير على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع امر الخلاف بان امروا ان يقفوا مع غيرهم بعرفات وقيل معناه لا تخاصموا مع الخدم والرفقة وغيرهم فيما يتعلق بامر الدنيا حتى يغضبهم والى حد ان الكل نفي معناه النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بانها لا تكون موجودة اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا

في الحج اي في حال مباشرته من اول احرامه الى اخر اتمامه الآن ما عدا الجماع من المحظورات يحل بالحلق والجماع بالطواف عندنا وبالسعي عند الشافعي وافاد الاستاذ ان فيه الاشارة لمن سلك طريق الارادة ان لا يعرج على شيء في الطريق ولا يمزج ارادته بشيء مما يحصل به التعويق فمن نازعه او عارضه او زاحمه سلم الكل للكل فلا لاجل الدنيا مع احد يخاصم ولا بشيء من حظوظ النفس والجاه مع احد يزاحم قال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وما تفعلوا من خير يعلمه الله اي فيكفيكم علمه عن ما سواه ويجازيكم على وفق ما قدره وقضاه وتزودوا اي لمعادكم بالانفاد عن غير رضى المولى فان خير الزاد التقوى او المعنى تزودوا ما تبلغون وجوهكم عن السؤال تكفون وانفسكم عن الظلم والظلمة تمنعون ولا تقولوا نحن متوكلون وانتم متاكلون حيث تحجون وتسألون بل وحجكم وعمرتكم تبيعون وقصدكم ومشقتكم تضيعون قال السلمي هذا خطاب للخاص لانه لا زاد للعارف سوى معروفه ولا للمحب سوى محبوبه وانشد اذا نحن ادلجنا وانت امامنا كفى لمطايانا بذكرك زادنا واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب من حكم الحب خشية الرب وتقوى القلب حثهم اولا على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو المولى فيتبرؤا عن كل شيء من السوى كما هو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذا خص اولوا الالباب بهذا الخطاب وقال الواسطي عاتبهم لانه احبهم وقال الاستاذ تقوى العوام مجانبة الزلات في الظاهر وتقوى الخواص مجانبة الاغيار بالسرائر ليس عليكم جناح اي باس بل مباح ان تبتغوا اي في ان تطلبوا فضلا من ربكم اي عطاء ورزقا بالتجارة وقصد الربح فيها للاعانة على الزاد والتصدق بالزيادة على العباد بشرط ان يكون القصد الحقيقي من الارادة في السفر والتجارة حصول الطاعة ووصول العبادة ليكون داخلا في قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد حكي عن الشيخ بهاء الدين النقشبندي افاض الله علينا من اسرار بهائه وانوار ضيائه انه قال رأيت في حجي امرين غريبين احدهما شاب في سوق منى باع كذا الفا من متاع الدنيا ولم يغفل لحظة عن المولى والآخر شيخ في الملتزم يطلب الدينار والدرهم وليس له الا هذا الهم وافاد الاستاذ ان ما تبتغي من فضل الله مما يعينك على قضاء حقه او يكون فيه نصيب للمسلمين او نوع للدين فهو محمود وما تطلبه لاستيفاء حظك او لما فيه نصيب لنفسك فهو معلول فاذا افضتم اي انصرفتم من عرفات اي من اي جزء من اجزائها وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان آدم وحواء التقيا فيه وتعارفا ولا يبعد ان يقال لانها تعرف الخلق بالاشارة الى جميع الميثاق والى الاجتماع يوم التلاق فاذكروا الله عند المشعر الحرام اي في مزدلفة وخص المشعر

لانه افضل مواقفه وسمى به لانه معلم العبادة للعباد ووصف بالحرام لاحترامه من جهة
انه من الحرم المحترم وقال الاستاد اذا وقفت حتى تمت بحق طلبه فاذكر فضله معك
لانه لولا انه ارادك والا لم تردّه ولولا انه اختارك والا ما اثرت رضاه واذكروه
كما هداكم كما علمكم واولاكم بالهداية الى ذكر مولاكم لولا الله ما اهتدينا ولا ذكرناه ولا ابتلينا
وان كنتم من قبله اى وقد كنتم من قبل الهداية والدلالة الموصلة لمن الضالين
اى الجاهلين بالايمان والطاعة والغافلين عن الذكر والتنبيه ثم افيضوا من حيث
افاض الناس اى من عرفه لا من مزدلفة والخطاب لقريش حيث كانوا يقفون
بمزدلفة وسائر الناس يقفون بعرفة ويقولون نحن حماة الحرم لم نخرج من المكان المحترم
مريدين بذلك ترفعا على سائر الامم فامروا بان يساووهم فى امر العبودية حتى يكون
افاضتهم مع الناس من عرفة وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة الى ههنا فالخطاب
عام وقرئ الناس بالكسر اى الناسى يريد ادم عليه السلام من قوله تعالى فنسى ولم نجد له
عزما وقد قيل اول الناس اول الناسى والمعنى ان الافاضة من عرفة الى مزدلفة شرع
قديم من آدم الى ابراهيم من آبائكم فلا تغيروا القضية بارائكم واستغفروا الله
من ذنوبكم وعيوبكم ان الله غفور لمن تاب رحيم بمن آب قال ابن عطاء
اذا عمرتم بواطنكم بذكرى فارجعوا الى ما رجع اليه العامة من القيام برسوم العبودية
واستغفروا الله عن اشتغالكم بما سواه ان الله غفور للمطيعين تقصيرهم
فى طاعته رحيم بالعاصين ان يردهم برحمته الى باب عبادته فاذا قضيتم
مناسككم اى اديتم عبادات حجكم فاذكروا الله كذكركم آباءكم اى فاكثروا ذكره
كما لغتكم فى ذكركم اسلافكم وذلك ان العرب كانوا اذا فرغوا من مناسكهم
وقفوا بمنى بين المسجد والجبل من منازلهم فذكروا مفاخر آبائهم ومحاسن
ايامهم ووقايعهم او اشد ذكرا اى بل اذكروه بلسانكم وجنانكم اكثر ذكرا من ذكركم
لابائكم لانه من جملة احسانكم نفى تفسير السلمى قيل معناه انك تذكر احسان ابيك
فتذكره بذلك ابدا واحسانى اليك اقدم وازيد سرمدا فاذكر ذكرى اكثر من ذكر غيرى
فان من راى بره اكثر ذكره وافاد الاستاد ان فى قوله فاذا قضيتم مناسككم اشارة
الى القيام بحق العبودية وفاذكروا الله كذكركم اباءكم اشارة الى القيام بحق المحبة
قضاء المناسك قيام بالنفس لاستقامة فى الامر والذكر قيام بالقلب على استدامة
الوقت واستغراق العمر ويقال كان الاغيار يفتخرون بابائهم ويستشرفون باسلافهم
فليكن افتخاركم بنا واستشرافكم بذكرنا ويقال ان كان لاباءكم حق التربية فلنا حق الالوهية
والربوبية فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا اى اجعل عطائنا فى دنيانا وما له
فى الآخرة من خلاق اى وليس له نصيب وحظ فى الاخرى لان همه مقصور بالدنيا
غير متعد الى فضل المولى وافاد الاستاد ان منهم من لا يجنح قلبه الينا ويرضى بدنيانا

عنا فلا يبصر غير نفسه وحظه ولا ايمان له بربه وحقه ومنهم من يقول ربنا آتنا
فى الدنيا حسنة اى الصحة والقناعة والكفاف وتوفيق الخير والعفاف وفى
الحديث اسالك الهدى والتقى والعفاف والغنى وفى الآخرة حسنة
اى المغفرة والرحمة والمثوبة والدرجة وقنا عذاب النار اى احفظنا بالاتقاء
عن موجبات العقوبة وقال على كرم الله وجهه الحسنة فى الدنيا المراة الصالحة
وفى الآخرة الحوراء الحسنة وعذاب النار المراة السليطة وقال الحسن البصرى
الحسنة فى الدنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنة وقنا عذاب النار احفظنا
من الشهوات والسيئات المؤدية الى العقوبة وقال بعضهم فى الدنيا
حسنة الاعراض عنها وفى الآخرة حسنة ترك الاشتغال بها وقنا عذاب
النار نيران شهواتها فان ما شغل عنك فهو شؤم وقال بعضهم فى الدنيا المعرفة
وفى الآخرة الرؤية فان الحجاب اشد العذاب وقيل آتنا فى الدنيا حسنة
محبة وفى الآخرة حسنة قربة وقنا عذاب النار حرقة الفرقة وقيل فى الدنيا حسنة
ذكرك وفى الآخرة حسنة قربك وقنا عذاب النار حرمان شكرك ولا يبعد
ان يقال انى بحسنة منكرة ليشمل كل حالة معروفة ومرتبة مستحسنة وعذاب النار
نار الندامة والملامة على الغفلة وترك المعرفة وعدم الانابة واخبرنى زبدة الاولياء
السيد زكريا عن شيخه ابى الحسن البكرى قدس سره السرى ان فى الآية ذكر
سبعون اشارة واجمعها وانفعها هذه العبارة ربنا آتنا فى الدنيا حسنة
اتباع الاولى وفى الآخرة حسنة الرفيق الاعلى وقنا عذاب النار حجاب المولى
وقال الاستاد انما اراد حسنة ينتظم بوجودها جميع الحسنات والحسنة فى الدنيا
التى بها يحصل جميع الحسنات حفظ الايمان عليهم فى المآل فان من
خرج من الدنيا مؤمنا لم يخلد فى النار وبفوات هذا لا يحصل شئ والحسنة التى
ينتظم بها حسنات الآخرة المغفرة فاذا غفر فبعد ها ليس الا كل خير ويقال
الحسنة فى الدنيا شهوده بالاسرار وفى الآخرة رؤيته بالابصار قلت وقنا
عذاب النار صحبة الاشرار ورؤية الاغيار قال ويقال حسنة الدنيا ان
يغنيك عنك وحسنة الآخرة ان لا يردك اليك قلت وعذاب النار
بعده منك وغضبه عليك قال ويقال حسنة الدنيا توفيق الخدمة وحسنة
الآخرة تحقيق الوصلة قلت وعذاب النار تضييق الفرقة اولئك اى
الفريق الثانى او مجموع الفريقين لهم نصيب مما كسبوا اى من جنسه او من
اجله او مما دعوا به قال الاستاد ان كان خيرا فخير وان كان غيرا فغير والله
سريع الحساب اى المجازاة فبادروا الى اكتساب الحسنات واجتناب
السيئات وقال الاستاد هو للعوام فى العرصة وللخواص فى كل لحظة ولمحة

ويقال ذكر فريقين منهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا وثان من يقول آتنا
في الدنيا والعقبى وثالث من يذكرهم وهم الراضون بقضائه المستسلمون لامره
الساكنون عن كل دعاء واقتضاء انتهى فكانه قال ومنالا منهم من لم يطلب غيرنا
عنا لمن تعنى بنا فانعتق وقد يقال هم خواص الفريق الثاني الذين لجمعهم الايمان بالمثالي
اندراج المعاني في المباني لكنهم لما كانوا محتبين في مرتبة المحبوبين جعلهم عن الاغيار
مستورين وفي ذيل عناية محجوبين كما يشير اليه الحديث القدسي والكلام الانسي
اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وبه يتم التقسيم السديد كقوله فمنهم شقي
وسعيد واذكروا الله في ايام معدودات اي اوقات قليلات لاكتساب
غنيمات ومنها التكبيرات ايام التشريق في ادبار الصلوات وعند ذبح قربان
العرفات ورمي الجمرات في اوقات منى وحالات منى فمن تعجل اي استعجل للخروج
عنها في يومين اي من ايام التشريق فنفر في اليوم الثاني منها بعد رمي الجمار فيها
قبل طلوع الفجر عندنا وقبل الغروب عند غيرنا فلا اثم عليه في تعجله ومن تأخر في النفر
حتى رمي اليوم الثالث بعد الزوال ولو قبله فلا اثم عليه في تأخره بل هو افضل
من تقدمه وانما ذكر على وجه التخيير في القضية ردا على اهل الجاهلية فان منهم من اثم
المتعجل ومنهم من اثم المتأخر لمن اتقى خبر مبتداء مقدر اي نفي الاثم في تعجله وتأخره
لمن اتقى في حجه وحده من عمره واتقوا الله في مجامع اموركم لحصول اجوركم ووصول
حضوركم واعلموا انكم اليه تحشرون اي الى موقف حكمه للجزاء بعد الاحياء وتجمعون
وتنشرون وافاد الاستاذ ان هذه الآية صفة اواخر النسك وهو الرمي في ايام
منى لما قاموا باركان الحج خفف عليهم بان خيرهم في الاقامة والافاضة والتعجيل
في التفرقة والاشارة فيه ان من خدمت نفسه وصفي قلبه واستدام شهوده فان سقط
عنه شيء من فروع اوراده ففيما هو له مستديم من آداب حضوره عوض عن الذي
يفوته من سروره ومن الناس اي كالمنافقين والمرائين من يعجبك قوله
اي يعظم في نفسك ما يقوله في الحيوة الدنيا اي في امورها واسباب معاش
سرورها او في معنى الدنيا الدنية فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان
والمعرفة ويشهد الله على ما في قلبه اي ويحلف بالله ويجعله شاهدا
على ان ما في جنانه موافق للسانه ويؤيده انه قرئ ويستشهد الله على ما في قلبه
وهو الد الخصام اي شديد المخاصمة لاهل الاسلام وقال الاستاذ اخبر
ان قوما اعرض الحق سبحانه عن قلوبهم فاعطاهم في الظاهر بسطة
في اللسان ولكن ربط على قلوبهم اسباب الحرمان فهم في غطاء جهلهم ليس
وراءهم معنى ولا على قلوبهم اعتماد ولا على ايمانهم اتكال ولا بهم ثقة بوجه والاشارة
الى اهل الظاهر الذين لم يساعدهم انوار البصيرة فهم مربوطون بالاحكام الظاهرة

للهم بهذا الحديث ايمان ولا بهذه الجملة استبصار وايقان فالواجب صون
الاسرار عنهم فانهم لا يقابلون هذا الحديث الا بالانكار منهم فمن كان اهل الورع
من العوام الذين في قلوبهم تعظيم لهذه الطريقة ولهم ايمان بهذا الحديث على الجملة
فهو اقرب الى هذه الحقيقة من كثير ممن عد نفسه من الخواص فهو بمعزل عن الايمان بهذا الامر
الخاص واذا تولى اي ادبر عن خدمتك واعرض عن حضرتك سعى في الارض اي في
تخريبها واهلاك اهلها ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما يفعله ولاة السوء
بالاتلاف والقتل والله لا يحب الفساد اي لا يرضى بفساد العباد ولو كان الفساد
في البلاد ومن جملة ما اقتضاه واراد وافاد الاستاذ ان في الآية اشارة لمن سعيه
مقصور على استجلاب حظوظه فهو لا يبالي بما يختل من عرى الدين ويهي من اسباب
المسلمين بعد ما يشتد حبال دنياهم وينتظم اسباب مناهم من دوام جمعه
وحطام حصلوه فاذا خلا بوساوسه وفضوله ارادته سعي في الفساد باحكام الاسباب
الدنيوية واستعمالهم من يستعينون بهم في تمشية امورهم من القوم الذين نزع
الله البصيرة من قلوبهم ثم قال والله لا يحب الفساد وما كان فيه خراب الامور
الدينية ونظام الاحوال الدنيوية فهو الفساد الظاهر والبلية الجلية واذا قيل له
اتق الله اي في فعلك وامرك وحكمك اخذته العزة بالاثم اي حملته الانفة
وحمية الجاهلية على تصميم اثمه المأمور بتركه او اخذته للحمية بسبب ما ارتكبه من الآثام
الجلية فالباء للسببية فحسبه اي فكافيه جهنم جزاء لفعله ولبئس المهاد
اي المقر للعباد وحذف المخصوص بالذم للعلم بالمراد وافاد الاستاذ ان هؤلاء
قوم استولى عليهم التكبر والعناد وزال عنهم خضوع الانصاف في حق
العباد فشمخت انافهم عن قبول الحق وحصول الصدق فاذا امرته بمعروف
قال ولمثلي يقال هذا وانا كذا وكذا ثم يكرر عليك عاطفا من غير ان يكون لاطفا
فيقول وانت اولى بان تؤمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فان من حالك وقصتك
كذا وكذا ولو ساعده التوفيق وادركته الرحمة على التحقيق لتقلد المنة لمن هداه الى
رؤية خطائه ونبهه على سوء وصفه ولم ينطق لناصحه عن رخنة تبقى آثارها في القلب
عشرين سنة فحسبه جهنم يعني ما هو فيه من الوحشة وظلمات نفسه وضيق اختياره
حتى لا يسعى في شيء غير مراده فيقع في كل لحظة غير مرة في عقوبة ومحنة ثم انه منقول
من العذاب الادنى في الدنيا الى عقاب العقبى وهو اشد وابقى ومن الناس
من يشري نفسه اي يبيعها ببذلها في مرضاة ربها من الجهاد او الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر للعباد او الاجتهاد في امر زاد المعاد ابتغاء مرضات الله اي طلبا
لرضاه لا لغرض سواه والله رؤف بالعباد حيث هداهم الى طريق الرشاد
وسبيل الاجتهاد والجهاد وافاد الاستاذ ان اولئك الذين ادركتهم خصائص

الرحمة ونعشتهم سوابق القسمة فاثروا رضى الحق على هواهم واستسلموا بالكلية
لمولاهم ولرأفته بهم وصلوا الى هذه الاحوال لا بهذه الاحوال استوجبوا رأفته
فى المآل يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم بفتح السين نافع وابن كثير والكسائى
اى فى الاسلام والاستسلام كافة اى جملة لانها تكف الاجزاء من التفرقة وهى حال
من الفاعل او المفعول لان السلم بمعنى الصلح تؤنث كالحرب والمعنى اطيعوه جملة
اطاعة ظاهرة وباطنة او فى شرائع الاسلام وفروع الاحكام بالتمام ولا تتبعوا خطوات
الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين اى ظاهر العداوة فى طريق التحقيق
وقال الاستاد كلف المؤمن بان يسالم كل احد الا نفسه فانها لا تتحرك الا بمخالفة
سيده فان من سالم نفسه فى عبادته فتر عن اجتهاده ومجاهدته وذلك سبب انقطاع
كل مزيد وموجب فترة كل مريد وخطوات الشيطان ما يوسوس اليك من القيام
باستيفاء احكام معاملة الاسلام وتلك نزغات لا عبرة بها ولا ينبغى ان يلتفت اليها
كما قال قيل فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ثم ابصر ما الذى فعل به حين القاه وكيف
رده اليها بعد ما نجاه فان زللتم اى تنحيتم عن الدخول فى السلم الذى امرتم من بعد
ما جاءتكم البينات اى الآيات الواضحات والمعجزات اللائحات على انه الحق
بالبراهين الواضحات فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام ولا يغلبه المرام
حكيم لا يأمر الا بالصدق ولا ينتقم الا بالحق وافاد الاستاد ان الزلة الواحدة
بعد كشف البرهان اقبح من كثير منها قبل ذلك الزمان ومن عرف بالخيانة لا يعتمد عليه
فى الامانة ومحن الاكابر اذا حلت فى القضية ولو بالجزئية كان فيها استيصالهم
بالكلية هل ينظرون اى هؤلاء الممتنعون عن الدخول فيما دخل فيه المسلمون والمعنى
ما ينتظرون الا ان يأتيهم الله بباسه او يأتيهم امره او بأسه فى ظلل جمع ظلة
بالضم وهى ما اظل من الغمام اى السحاب الابيض فيقع العقوبة اشنعه
وفظاعة لانه مظنة الرحمة والنشر اذا جاء من حيث يحتسب النعمة كان اصعب
البلية نفسه اجاء اى ان القضية انما تكون بغتة ومفاجأة والملائكة فانهم الواسطة
فى اتيان امره الآتون ببأسه الموكلون على عذابه وقضى الامر اى تم امر اهلاكهم
وتحقق وقوع هلاكهم فوضع الماضى موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه او المعنى
فرغ من امر حسابهم فاوقفوا الى عقابهم وذلك يوم القيمة جزاء على اكتسابهم وارتكابهم
او فرغ امره فيهم لما تعلق قضاؤه وقدره بهم والى الله ترجع الامور بصيغة المجهول
اى الى حكمه ترد امورهم وبالمعلوم للشامى وحمزة والكسائى اى الى امره تؤول
شئونهم وقال الصادق هل ينظرون الا اقبال الله عليهم بالعصمة والتوفيق
لهم ونظر العناية اليهم فيكشف عنهم استار الغفلة فيشهدون بره ولطفه بل يشاهد
البار اللطيف وقضى الامر اى وصلوا الى ما سبق لهم فى الازل من احدى المنزلتين

وقال ايضا

وقال ايضا اى كشف عن حقيقة الامر ومغيبه وقال الاستاد استبطأ القوم
قيام الساعة فاخبروا عن شدة الامر اذا قامت القيامة بتفصيل ما ذكر من الاحوال
وتلك امثال فى معنى الاهوال يظهرها الله سبحانه بما يزيل عنهم الاشكال فى علو شانه سبحانه
ونفاذ قدرته فى ما يريده وقوله قضى الامر اى انهتك ستر الغيب عن صريح التقدير السابق
ولقد استغنى قلوب الموحدين بما فيها من انوار البصائر عن طلب التأويل لهذه الآية
وامثالها اذ الحق سبحانه منزه عن كل انتقال وزوال واختصاص بمكان او زمان ومتقدس
عن كل حراك واتيان سل بنى اسرائيل لتبكيتهم وتقريعهم كم آتيناهم من آية
بينة اى معجزة ظاهرة كالفلق والغرق والعصا واليد البيضاء وكم خبرية او استفهامية
ومحلها النصب على المفعولية وافاد الاستاد ان فائدة السؤال ليقرر عليهم بسؤاله
الحجة لا ليتقرر له صلى الله عليه وسلم بسؤالهم ما اشكل عليهم من وضوح الحجة ومن يبدل
نعمة الله اى آياته الموجبة للهداية التى هى اجل انواع النعمة بجعلها سبب الضلالة
او بالتحريفات الباطلة والتأويلات الزائغة من بعد ما جاءته اى وصلت اليه
بطريق الانعام عليه وفيه تنبيه على انهم اخذوها بعد ما عقلوها فان الله شديد
العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اعظم جريمة وقال الاستاد فان الله
شديد العقاب بزوال تلك النعم وعند ذلك يعرفون قدرها فيطلبونها ولا
يصلون قط اليها قال قائلهم تهجرنى وتتركنى فتطلبنى ولا تجدنى زين للذين
كفروا الحيوة الدنيا اى حسنت فى اعينهم واشربت محبتها فى قلوبهم
حتى اعرضوا عن غيرها ومالوا اليها وتهالكوا عليها والمزين على الحقيقة هو الله
اذ لا فاعل لشئ سواه نعم كل من الوساوس الشيطانية والشهوات النفسانية
وسائر الامور البهية والاشياء الشهية من الامور الدنيوية مزين بالنسبة
المجازية ويسخرون اى الكفار ومن فى معناهم من الفجار من الذين آمنوا
كبلال وصهيب وابن ام مكتوم وعمار وسائر الفقراء الابرار والمعنى
يسترذلونهم ويستحقرونهم او يستهزؤن بهم على رفضهم للدنيا واقبالهم على العقبى
ومن ابتدائية فكانهم جعلوا مبدأ السخرية والذين اتقوا اى بمخالفة المولى
بمجانبة الهوى فوقهم يوم القيمة لانهم فى عالية اعلى عليين واعداؤهم فى هاوية
اسفل سافلين ولانهم فى كرامة وغيرهم فى مهانة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون
منهم فى العقبى كما سخروا منهم فى الدنيا والله يرزق من يشاء اى فى الدارين
بغير حساب اى بغير تقدير لكن على تقرير قضاء وتقدير فيوسع فى الدنيا استدراجا
تارة وابتلاء اخرى بخلاف نعيم الاخرى قال الاستاد مكروا ولم يشعروا وحملهم
استيلاء الغفلة لبصائرهم على الوقيعة فى اوليائه سبحانه والسخرية منهم فحين تنقشع
غواية الجهل عن قلوبهم علموا من الخاسر منهم عند شهود البأس الشديد ومن الذى

كان فى الضلال البعيد كان الناس امة واحدة اى متفقين على ملة الحق فيما بين آدم
وادريس او نوح او بعد الطوفان او بعد ابراهيم او متفقين على الضلالة والجهالة فيما
بين ادريس ونوح او بين نوح وهود عليهم السلام والاظهر الاول وتقدير الكلام كما
قرئ به فاختلفوا فبعث الله النبيين اى المرسلين مبشرين للمطيعين بالجنة
والمثوبة والوصلة ومنذرين للعاصين بحرقة الفرقة والعقوبة وانزل معهم الكتاب
يريد به الجنس وليس المراد انه انزل مع كل واحد كتابا فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم
وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اى متلبسا بالصدق
والصواب ليحكم اى الله او النبى او الكتاب بين الناس فيما اختلفوا فيه من
اصول الدين او فروعه للمتقين وما اختلف فيه اى فى الكتاب الا الذين اوتوه
اى من اليهود والنصارى من بعد ما جاءتهم البينات الحجج الواضحات بغيا بينهم
اى حسدا كائنا من عندهم وظلما على انفسهم فهدى الله الذين آمنوا اى منهم ومن
غيرهم لما اختلفوا فيه من الحق اى لمعرفة الحق الذى اختلف فيه من اختلف
من الخلق باذنه اى بارادته على وفق حكمته والله يهدى من يشاء الى صراط
مستقيم لا يضل سالكه المقصد القويم وافاد الاستاد ان الغيبة او الاعن الحق
جمعتهم فلما اتيهم الرسول تباينوا على حسب ما رزقوا من انوار البصيرة ومواد يقال
كانوا على ما سبق لهم من الاختيار القديم وبمجئ الرسل تهود قوم وتنصر قوم ثم فى
العاقبة يرد كل واحد الى ما سبق من التقدير ان الناس اجتمعوا كلهم فى ظلمة
ثم تفرقوا فى حكمه فقوم هداهم وقوم اغواهم وقوم حجبهم وقوم جذبهم وقوم ربطهم
بالخذلان وقوم بسطهم بالاحسان فلا من المقبولين امر مكتسب ولا الرد المردودين
سبب بل هو حكم ابت وعزم وقضاء حتم وجزم ام حسبتم اى بل اظننتم ان
تدخلوا الجنة اى المهياة لكم ولما يأتكم اى ولم يأتكم بعد زمانكم مثل الذين خلوا
من قبلكم اى مثل محن الامم الماضية حيث امتحنوا بالحالة التى هى مثل فى الشدة
مستهم البأساء والضراء اى المصائب والنوائب وزلزلوا اى حركوا
بانواع البلايا والمتاعب حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه لتناهى الشدة
واستطالة المدة بحيث انقطعت حبال الصبر واضطروا الى طلب استعجال
النصر فقالوا متى نصر الله استبطاء لتأخره وفى قراءة نافع برفع يقول على
انها حكاية حال ماضية الا تنبهوا ان نصر الله قريب وفيه ايماء الى ان
حصول الزلفى ووصول المولى برفض الهوى وتحمل البلوى بلا شكوى الى السوى
وان مكابدة الرياضات موجبة لرفع الدرجات وعلو الحالات وفى الحديث
ان الله بنى مكة على المكروهات والدرجات وقد ورد حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات وافاد الاستاد ان الله سبحانه خلق الجنة وحفها بالمصائب

والمتاعب

والمتاعب وخلق النار وحفها بالشهوات والرغائب فمن احتشم ركوب الاهوال بقى
عن درك الآمال وان الحق سبحانه ابتلى الاولين بفنون مقاساة الشدائد وكل من لحق
بهم من خلف الاولياء ادخلهم فى سلكهم وادرجهم فى غمارهم فمن ظن غير ذلك فسراب
خلته ماء وحلم لم يحصل على ما ظنه تأويلا ومضى سنة الله سبحانه مع الاولياء انهم
لم ينجوا بعقوة الظفر الا بعد اشرافهم على عرصات الياس فحين طال بهم الترقب
صادفهم اللطف بغتة وتحقق لهم المبتغى فجاءه قال تعالى الا ان نصر الله قريب
يسألونك ماذا ينفقون اى اى شىء ينفقون وعلى من ينفقون قل ما انفقتم
من خير اى مال حلال والتنكير للتقليل لقوله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق
تمرة وسبق درهم مائة الف درهم فللوالدين والاقربين واليتامى اى ولو
من الاجنبيين والمساكين اى من الفقراء والسائلين وابن السبيل اى
المسافرين المنقطعين قال الاستاذ علموا ان للحق بالفاعلية ان يفعل وان العبد
ليس له فعل شىء الا باذن مولاه فتوقفوا فى الانفاق على ما يشير اليه تفصيل الاذن
لان العبودية الوقوف حيثما اوقفك امر الربوبية ويقال لم ينفقوا على اشارات
الهوى وانما طالبوا تفاصيل الامر واشارات شرع المولى والواو فى قوله
والاقربين واليتامى يشير الى نوع من الترتيب فالاولى بمعروفك والداك ثم
اقاربك ثم على الترتيب الذى قاله انتهى وهو لا ينافى الجمع الذى ليس فيه المنع
وانما قال نوع من الترتيب لانه اراد الترتيب الوقوعى المستفاد من الترتيب الذكرى
والا فالواو لمطلق الجمع اجماعا ونظيره قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله
حيث قال صلى الله عليه وسلم ابدؤا بما بدأ الله وما تفعلوا من خير اى سوى ذلك
الخير او على الغير فان الله به عليم فيجازيكم بتضعيف الاجر كتب عليكم القتال اى
الجهاد الاصغر والاجتهاد الاكبر لما ورد اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك
وهو كره لكم اى مكروه طبعا عليكم وعسى ان تكرهوا شيئا اى اولا وهو خير لكم
اى آخرا بان يجعل الله فيه خيرا كثيرا وذلك الشىء جميع المتاعب الشرعية والمصائب
الكونية المكروهة على طبائع البشرية مع ان فيها مناط صلاحهم فى الدنيا وسبب
فلاحهم فى العقبى ومنه الغزو فان فيه المشقة لكن يصحبه احدى الحسنيين من
الغنيمة او الشهادة وعسى ان تحبوا شيئا اى طبعا وهو شر لكم اى شرعا
وهو جميع منهيات المولى ومستلذات الهوى المفضية الى الردى ومنه القعود عن القتال
فان فيه فراغ البال وسعة الحال لكن يعقبه حرمان الغنيمة وفقدان المثوبة ولحوق الاذلال فى المآل
وعسى للاشفاق فى الجملة الاولى وللترجى فى الثانية والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون
خيركم وشركم وقال الاستاد صعبت على النفوس مباشرة القتال فبين ان راحات
النفوس مؤجلة لانها فى حكم التأديب وبالعكس من هذا راحات القلوب فانها معجلة

اذ هى فى وصف التقريب فالسعادة فى مخالفة النفوس فمن وافقها حاد عن المحجة
المثلى كما ان السعادة فى موافقة القلوب لمن خالفها زاغ عن السنة العليا ويسر
ضمان الحق بالعسر اولى ان تقبل من محذرات هواجس النفوس فى حلول العسر وحصول
الضر يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه بدل اشتمال وقرئ عن قتال فيه قل قتال
فيه كبير الاكثر على انه منسوخ بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم اى من حل وحرم
وعموم المكان مستلزم لشمول الزمان ونسخ الخاص بالعام جائز عند علمائنا الكرام
وصد عن سبيل الله اى ومنع عن الاسلام او ما يوصل العبد الى علو المقام وكفر به
اى بالله والمسجد الحرام اى وصد عن بيت الله او حرم الله او وصد المسجد الحرام بتقدير
المضاف المسند الى المفعول فيه واخراج اهله منه اكبر عند الله اى من القتال فى
الشهر الحرام خطأ كما وقع من بعض المسلمين ابتداء وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة
من كبائر الكفرة المردودة والفتنة اى الشرك عمدا اكبر من القتل اى من قتل مسلم
كافرا فى الشهر الحرام سهوا فان الآية نزلت فى سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المسلمين فقاتلوا المشركين وقد اهل هلال رجب وهم لا يعلمون فاستعظم المشركون
سفك الدماء فى رجب وهو من الاشهر الحرم وافاد الاستاذ ان من المعاصى ما يكون
اشد من غيرها فى المبنى واصعب فى المعنى فسوء الادب على الباب لا يوجب من ضرب
السواط ما يوجبه على البساط فاذا حصلت زلة النفس فاثرها بالعقوبة المؤجلة وهى الاجر
واذا زل القلب فعقوبتها معجلة وهى بالفراق واثر الغفلة على القلوب اعظم من ضرر
زلة النفوس فان النفس على الحظ تبقى والقلب عن الحق يبقى ولا يزالون اى المشركون
يقاتلونكم حتى يردوكم اى كى يمنعوكم عن دينكم ان استطاعوا اى ولم يستطيعوا الغاية
ربكم بكم ومن يرتدد منكم اى وان وقع ارتداد من بعضكم ورجوع عن دينه الى دينهم فيكم
فيمت وهو كافر اى عند موته فاولئك حبطت اعمالهم اى بطلت فى الدنيا
لبطلان ما تخيلوه من العقايد الدينية وفوات ما لاهل الاسلام من العوائد الدنيوية
والآخرة بسقوط الثواب وعذاب الحجاب فى موقف الحساب واولئك اصحاب
النار اى ملازموها فى دار البوار هم فيها خالدون كسائر الكفار وافاد الاستاذ
ان الاشارة من هذا الى ان اهل الغفلة اذا ارادوا وقوع على وجه الفتنة ارادوا اهلك
الى ما هم من الغفلة فلا يرضون الا بان تفسخ عقدا رادتك بما تعود اليه من سابق
حالك ومن فسخ مع الله عقده فسخ الله قلبه ان الذين آمنوا اى عموما والذين هاجروا
وجاهدوا فى سبيل الله اى خصوصا اولئك يرجون رحمة الله اى جزيل ثوابه وجميل
مآبه وعلق الحكم بالرجاء ايذانا بان العمل غير موجب للجزاء واستيفاء العبرة بالانتهاء المبنى
عن سبق القضاء فى الابتداء المبهم امره على جميع الاصفياء والله غفور كثير الغفران
رحيم عظيم الامتنان على اهل الايمان والاحسان وقال الاستاذ ان الذين صدقوا

فى قصدهم

فى قصدهم واخلصوا فى عهدهم ولم يترددوا فى الارادة على عقابهم اولئك الذين
عاشوا فى روح الرجاء الى ان يصلوا الى روح البقاء وفرح اللقاء يسئلونك عن الخمر
اى عن شربها والميسر اى عن لعب القمار بالنرد والشطرنج ونحوهما والمعنى يسألونك
عن حكم تعاطيهما قل فيهما اى فى مباشرتهما اثم كبير وفى قراءة حمزة والكسائى كثير
لما يؤدى الى الانتكاب عن المأمورات وارتكاب المحظورات ومنافع للناس
من تقوية الطبيعة وتوفر السخاوة والشجاعة فى الخمر ومن كسب المال وطرب الحال من
مغالبة الرجال فى الميسر واثمهما اى ضررهما بارتكابهما فيهما من اثم المخاصمة والمشاتمة
وامثالهما اكبر من نفعهما اى اعظم وقرئ اكثر والمراد ان المفاسد التى تنشأ منهما
ازيد من المنافع المتوقعة فيهما ولذا قيل ان هذه الآية محرمة فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة
اقتضت تحريم تلك الفعلة والظاهر انها ليست مصرحة بل ملوحة لما روى انه نزل بمكة قوله تعالى
ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فاخذ المسلمون يشربونها
ثم ان عمر ومعاذا وسعدا وغيرهم رضى الله عنهم قالوا افتنا يا رسول الله فى الخمر
والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون
ثم دعا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ناسا فشربوا فسكروا فام احدهم فقرأ اعبد
ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان
بن مالك سعد بن ابى وقاص فى نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد
شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصارى بلحى بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم
منتهون فقال عمر انتهينا يا ربنا وافاد الاستاذ ان الخمر ما خامر العقول وكان الخمر
حرام فالسكر حرام فمن سكر من شراب الغفلة استحق ما يستحق شارب الخمر من حيث
الاشارة فكان السكران ممنوع من الصلوات فصاحب السكر بالغفلة محجوب عن
المواصلات واوضح الشواهد الوجود فمن لم يصدق فليجرب ومعنى القمار موجود فى اكثر
معاملات اهل الغفلة اذ اسلكوا طريق الحيل والخداع والكذب فى المقال فبذل
الصدق والانصاف عزيز فى الواشى الخمر حجب ما سوى الحق لان رفع بصر السر
عن مشاهدة الحضرة الى الكون بنعت استحسانه حجاب لعقل الكل فاذا خامر النفس سر القلب
باشره الغفلة وسكرت بادراك هويها وحظوظها الدنية وسقطت عن مباشرة
العبودية وبتأثيرها احتجب الروح عن معاينة الآخرة وبقيت فى حجاب النفس عن
مقام الوصال وحالة المشاهدة والميسر ميل الشيطان والنفس مع القلب فاذا
مال القلب الى شهوة النفس المختصة بالحيوان فقد قامرها وصار مقمورا مسلوب الايمان
والعرفان وقوله قل فيهما اثم كبير لان ظلمة الخمر تطفئ نور العقل وتقوى طرب نفس الامارة
فاذا خمد نور العقل وظهرت ظلمة الجهل تقف النفس مقام الايمان وتحزبه وهو القلب فان

كان القلب خرابا ومنبع الايمان مضمحلا فهو قريب من الكفر والكفر آخر الاثم واللعب
بالنرد والشطرنج وامثال ذلك كانه يعبد الاوثان لان فى الاشتغال به اشتباه
نور الايمان بمثال النرد والشطرنج وتخيل الفهم صور الخيال وهذا اول اسباب الشرك
لانهما اما جميع الخبائث قوله ومنافع للناس اى معرفة انفعها وسود عاقبة من يشتغل
بهما وقيل قل فيهما اثم كبير فى تناولهما ومنافع للناس فى تركهما ويسئلونك ماذا ينفقون
اى اى مقدار يتصدقون قل العفو بالنصب لغير البصرى اى ما فضل من المال عن العيال
وقيل ما سهل من الاخلاق والاحوال وهو منسوخ فى حق العوام بآية الزكوة وقال الاستاذ
قيل العفو ما فضل عن حاجتك وهذا للخواص ان يخرجوا من فاضل اموالهم عن قدر
كفايتهم فاما خاص الخاص فطريقتهم الايثار وهو ان يؤثر به غيره على نفسه وبه فاقة
الى ما يخرج وان كان صاحبه الذى يؤثره به له غنى وفى الواشى العفو عند العارفين
ما سوى الحق من الكونين يعنى اتركوا الى ما شغلكم عنى وان كان لكم فيه خصاصة حتى يكون لكم
ذخرا فى جميع انفاسكم عوضا لما تركتم فالخواص ينفقون ما يحبون طلبا لمرضاته وتركا
لمرادهم لان الحق سبحانه لا يريد بارباب شهوة الكونين غيرة على احوالهم وصونا لاسرارهم
والعوام ينفقون زوائد اموالهم تحصينا لهم وحصا بها كذلك اى مثل
ما تقدم من البيان فى كل شان يبين الله لكم الآيات اى بقية الآيات
فى الاحكام البينات لعلكم تتفكرون اى فى الدلالات والقضيات الكائنة
فى الدنيا والآخرة اى فى امورهما فتنتفعون بالعمل بها ولكى تتأملوا فى نفسهما
فتعرفوا فضل العقبى على الدنيا فتعرضوا عن الدار الفانية وتقبلوا على الدار الباقية
وتعلموا ان الجمع بينهما من المحال والامكان بجمعها ارباب الكمال منهما كالقرنين
او كالكفتين وقد ورد من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه
فاثروا ما يبقى على ما يفنى وورد ايضا اجوعكم فى الدنيا اشبعكم فى الاخرى
ويسئلونك عن اليتامى حين نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما واشتد
عليهم حتى تركوا المواكلة معهم والمخالطة باموالهم والاهتمام بامرهم قل
اصلاح لهم خير اى مداخلتهم لاصلاح حالهم خير من مجانبتهم وافاد الاستاذ ان
اصلاح حالهم بما يكون فيه تاديب لحسن مآلهم احسن واتم من صلاح مالهم
ثم الصبر على الاحتمال عنهم مع بذل النصح لهم ومفارقة الملال من ارشادهم
خير من الترخص بان يقول انه لا يتوجه على فرضهم وان تخالطوهم فاخوانكم
اى فهم اخوانكم فى الدين تخالطونهم شانكم والمعنى ان خلطتم طعامكم وشرابكم
بطعامهم وشرابهم حال اجتماعكم فلا جرح عليكم والله يعلم المفسد من المصلح اى يعلم
من يخالطهم لافساد اليه او اصلاح لديه فيجازيه عليه وقال الاستاذ فيعامل كلا على
سواكن قلبه من القصود لا على ظواهر كسبه من جميع القيود ولو شاء الله لاعنتكم

اى لاوقعكم

اى لاوقعكم فى العنت وهو المشقة بان كلفكم ما يشق عليكم من المجانبة دون
المخالطة والمراد التنبيه على النعمة فى التوسعة ان الله عزيز اى غالب على امره
حكيم فى قضائه وقدره يحكم بما يقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن اى لا تتزوجوهن والمشركات احتراز من الكتابيات اذا لم يرون
انهن مشركات ولامة مؤمنة اى ولو كانت كتابية خير من مشركة اى حرة كافرة
ولو اعجبتكم بمالها وجمالها ونسبها وجاهها وسائر حالها وافاد الاستاذ
ان صلة حبل الدين والتمسك بعصمة المسلمين اتم من الرضا بان ينتهى الى حد
يسلك الى الكفر ولئن كانت رخصة الشريعة حاصلة فى فعله فاشارة الحقيقة مانعة
من حيث التنزه عن اختياره هذا فى الكتابيات التى يجوز مواصلتهن فاما اهل
الشرك فحرام مواصلتهم قطعا وواجب مباينتهم فى هذا الباب حكما جزما انتهى
وانما قال هنا مواصلتهم ليشمل الذكور والاناث لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركين اى
مطلق الكفار والمعنى لا تزوجوهم المؤمنات امة او حرة حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن
خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك اى الكفار يدعون اى الناس الى النار اى ما يؤدى
الى عذابها فى دار القرار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم ومخالطتهم والله اى
اولياؤه المؤمنون باقامة المضاف اليه مقام المضاف تفخيما لشانهم وتعظيما
لدعائهم يدعوا اى يدعوهم الى الجنة والمغفرة اى الى اسباب وصولهما و
موجبات حصولهما فهم الاحقاء بمواصلتهم باذنه اى بتوفيق الله وتيسيره
او لقضائه وتقديره او المعنى والله يدعوكم ويخبركم الى الجنة والمغفرة باذنه
اى بامره بالاسلام وشرعه للاحكام لقوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام ويؤيده
العطف بقوله ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون اى لكى يتذكروا آياته ويعملوا باحكامه
مواصلاته ويسئلونك عن المحيض سببه ان الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة
لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يساكنوا فى بيت معها كفعل المجوس واليهود ومن تبعهما والمحيض
مصدر بمعنى الحيض هنا لقوله قل هو اذى اى مؤذ من يقربه نفرة منه لاستقذاره
فاعتزلوا النساء اى اجتنبوا مجامعتهن فى المحيض اى زمان حيضهن ولا تقربوهن
اى بالجماع حتى يطهرن اى من الدم او يغتسلن ويؤيده قراءة شعبة وحمزة والكسائى
بتشديد الطاء والهاء وفتحهما والجملة بيان لغاية الحكم مع زيادة افادة تاكيد الامر
فاذا تطهرن اى بالماء فأتوهن اى بالوقاع وهو امر اباحة بالاجماع من حيث
امركم الله اى المأتى الذى امركم به من القبل وحلله لكم من الجماع قال الاستاذ
ليس كل ما يكون موجب الاستحياء والتشوير مما هو باختيار العبد اذ قد يكون من
النقائص ما ليس للعبد فيه كسب وهو ابتداء حكم الحق فمن ذلك ما كتب الله على بنات
آدم من تلك الحالة ثم امرنا باعتزال المصلى فى اوان تلك الهيئة والمصلى مناج ربه

فنحين عن محل المناجاة حكما من الله لاجرم لهن وفي هذا اشارة ويقال انهن وان
منعهن عن الصلوة التي هي حضور بالابدان فلم يحجبن عن استدامة الذكر بالقلب واللسان
وذلك توص لبساط القرب قال صلى الله عليه وسلم خبرا عنه انا جليس من ذكرني
ان الله يحب التوابين من السيئات ويحب المتطهرين بالماء من الاحداث
والنجاسات او المتنزهين عن الفواحش والقاذورات كمجامعة الحائض واتيان
ادبار الحيوانات وقال السلمي اي المقيمين على توبتهم والمتطهرين عن جميع ما تابوا
من معصيتهم وقال ابن عطا يحب التوابين من افعالهم والمتطهرين من العيوب
او المتطهرين من الحوبة والمتطهرين من التوهم ان نجاتهم بالتوبة او التوابين من ارتكاب
المحظورات والمخالفات والمتطهرين من المساكنات والملاحظات او التوابين
بالاستغفار والمتطهرين بصب ماء الخجل بنعت الانكسار او التوابين من الزلة
والمتطهرين من العلة او التوابين من شهود التوبة والمتطهرين من توهم ان
شيئا من الزلة بل الحكم ابتداء منه وفي العرائس اي يحب التوابين عن وقوفهم
في المقامات ويحب المتطهرين بنور المعرفة عن غبار الكائنات وايضا التوابين
عن طلبهم ادراك بطنان القدم بالعقول الناقصة والعلوم المحدثة والمتطهرين
عن رؤية مقدارهم عند صدمة قهر الكبرياء وسلطان العظمة قال الجنيد دخلت على
السري وعليه هم فقال دخل علي فتى من البغداديين فسألني عن شرح التوبة فاجبته
فقال لي وما حقيقتها فقلت ان لا تنسى ما من اجله ان تبت فقال الغلام ليس هو هكذا
قال الجنيد فقلت له صدق الفتى فقال وكيف هذا قال الجنيد اذا كنت في حال الجفاء
فينقلني الى حال الصفاء فذكري الجفاء عند الصفاء من الجفاء نساؤكم حرث
اي مواضع حرث لكم ومزارع ومنابت لاولادكم شبههن بها لما يلقى في ارحامهن
من النطف التي هي سبب النسل بالبذور فأتوا حرثكم اي فروجكم والمعنى فأتوا
كما تأتون محارثكم وهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله انى شئتم
اي كيف شئتم مستلقية وباركة وقائمة ومن اين شئتم مقبلة ومدبرة
ومجنبة ومتى ما شئتم ما عدا الازمنة المنهية والهيئة الردية وقال الاستاد
لما كانت النفوس بوصف الغيبة عن الحقيقة اباح لها السكون الى اشكالها اذا كان
على وصف الاذن من بارئها فلما كانت القلوب في محل الحضور حرم عليها المساكنة
الى جميع الاغيار وقدموا لانفسكم اي العمل لله بما يحبه ويرضاه او امتثال المأمورات
واجتناب المنهيات وقيل هو طلب الولد بالاجتماع وقيل التسمية عند الجماع وقال
الاستاد قدموا لانفسكم ما ينفعكم ليوم افلاسكم ولذا قال واتقوا الله واعلموا
انكم ملاقوه فانظروا لانفسكم ستجدلكم ما يليق بكم وجوده عند ربكم وفي العرائس
علم عباده ادب المباشرة بشرط التقوى والديانة وصدق النية في شروعه عنه

مطالبة

مطالبة النفس الدنية حتى لا ينسوه في جميع اعمالهم وسائر احوالهم
وبشر المؤمنين الكاملين القائمين بامر الدين على طريق اليقين وحذف المبشر به
لانه مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا تجعلوا الله
عرضة لايمانكم اي لا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة ان تبروا اي من ان تعملوا البر
وتتقوا اي الشر وتصلحوا بين الناس بالصلح للاستيناس والله سميع
لايمانكم عليم باحسانكم وقال الاستاد نزهوا ذكر ربكم عن ابتذاله بكل حظ لا خطر له
ويقال لا تجعلوا ذكر الله شركا يصطاد به حطام الدنيا اي فانه يكون شركا عند ارباب
العقبى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره
ولغو اليمين ما لا عقد معه كما يسبق به اللسان في مجراه او يتكلم به الانسان جاهلا
بمعناه او يحلف عن الشيء ثم ينساه ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اي قصدت
وعزمت به نفوسكم والمعنى لا يؤاخذكم الله فيما لا قصد معه ولا نية بعقوبة ولا كفارة
ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما حين قصدتم الايمان بموافقة القلب اللسان وقال
ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه ثم تبين الامر بخلافه فالمعنى لا يؤاخذكم
بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما عقدتم الكذب في البيان والله غفور
حيث لم يؤاخذ العبد بعد التوبة حليم حيث لم يعجل بالعقوبة ترقبا للاوبة
وافاد الاستاد ان ما جرى به اللسان على قصد السهو فليس له كثير خطر في الخير
والشر ولكن ما انطوى عليه الضمائر واحتوى عليه السرائر من قصود صحيحة وعزائم
قوية فذلك الذي يؤاخذ به ان كان خيرا فجزاء جميل وان كان شرا فعناء طويل
للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يطؤوهن اربعة اشهر قصدا عدا
في الهجرة وشهرين واكثر في الاية تربص اربعة اشهر مبتدا خبره ما قبله
اي انتظارهم هذه المدة فالاضافة الى الظرف على التوسعة فان فاؤوا اي
رجعوا في الاشهر الاربعة لما في قراءة ابن مسعود فان فاؤوا فيهن فان الله
غفور رحيم اي للمولي اثم حنثه بعد اداء الكفارة وما قصد بالايلاء من ضرار
المرأة بالفيئة التي هي كالتوبة وان عزموا الطلاق اي بترك الفيء واختيار الفراق
فان الله سميع بحلفهم عليم بوضعهم وعند ابي حنيفة ان فاء في المدة بالوطي ان
قدر عليها وبالوعد ان عجز عنه بنحو ان يقال فئت اليها صح الفيء ولزمه الكفارة
والا فبانت بعدها بتطليقة وعند الشافعي يطالب بعد المدة باحد الامرين اما الوطي
او الطلاق فان اباهما جميعا طلق الحاكم عليه قال محمد بن الحسن في موطائه بلغنا عن عمر
بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهم
انهم قالوا اذا آلى الرجل من امرأته فمضت اربعة اشهر قبل ان يفيء فقد بانت بتطليقة
وقال ابن عباس في تفسير هذه الاية الفيء الجماع في الاربعة الاشهر وعزيمة الطلاق

انقضاء الاربعة اشهر فاذا مضت بانت بتطليقة ولا توقف بعدها وابن عباس
اعلم بتفسير القرآن والله اعلم بتحقيق البيان وقال الاستاذ اذا كان حق صحبة
الاشكال من الخلق محفوظا عليك حتى لو اخللت به واخذك بحكمه فحق الحق احق بان
يجب مراعاة امره فان فاؤا اي رجعوا الى احياء ما اماتوا واستدراك ما ضيعوا
فان الله غفور رحيم اي فيما صنعوا ولما تقاصرت لسان الزوجة لكونها اسيرا في يد
الزوج تولى الله سبحانه الامر بمراعات حقها فامر الزوج بالرجوع اليها او بتسريحها
وان عزموا الطلاق اي مل عن صحبتها واكد العزم على مفارقتها فان الله سميع عليم
مطلع على حاله وسره فان بداله باد من الندم فلا يلتبس بانكار الطلاق فان الله
سبحانه سميع عليم انه طلقها ولما كان الفراق شديدا عزى المراة بان قال ان
ساءك فراقه فلقد سمعنا موحش تلك المقالة فهو تعزية لها من الحق سبحانه
والمطلقات اي المخليات من حبال الازواج المدخول بهن حقيقة او حكما من ذوات
الاقراء بخلاف الحاملة والصغيرة والآيسة والمتوفى عنها زوجها يتربصن بانفسهن
ليحملنها على الانتظار المسماة بالعدة ثلثة قروء اي مدة ثلث حيض عندنا
واطهار عند الشافعي ويؤيدنا قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان
فهو خبر في معنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والمبالغة فكانه سبحانه امرهن فامتثلن
فاخبر عن امتثالهن وقال الاستاذ المطلقات بالعدة احتراما للصحبة الازواج
ولو ساعة يعني ان انقطعت بينكما العلاقة فاقيموا على شرط الوفاء لما سلف من الصحبة
ولا تقيموا غيره مقامه بهذه السرعة واصبروا حتى يمضي مقدار من المدة الا ترى ان غير
المدخول بها لم تؤمر بالعدة حين لم يقم بينهما الصحبة ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله
في ارحامهن يعني الولد ابطالا لحق الزوج من الرجعة او الحيض استعجالا في العدة
ولا منع من الجمع ومال الاستاذ الى الاول حيث قال يعني ان انقطع بينكما السبب
فلا تقطعوا ما اثبت الله من النسب ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر اي ايمانا
كاملا وليس المراد تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على ان المؤمنة الكاملة لا تجترئ
عليه فقصد به زجرهن واكد امرهن وبعولتهن اي ازواجهن احق بردهن
اي بمراجعتهن ان كان طلاقهن رجعيا في ذلك اي في زمان تربصهن من عدتهن
ان ارادوا اصلاحا اي ان قصدوا مصالحة بينهم وبينهن وارادوا اصلاح
انفسهم وانفسهن لا اضرار النساء بمراجعتهن وهو تقييد الاحقية وقيل المعنى
وبعولتهن حقيقون بردهن واما قول من قال وعندي ان معناه وازواجهن احق
من الاجانب في مدة العدة فمدفوع بان الاجانب ليس لهم حق في تلك المدة وبعد
فراغها يستوي الاجنبي وزوجها في ان الامر باختيارها ثم ليس المراد منه شريطة
قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض على هذا الامر والمنع عن قصد الضرر وافاد الاستاذ

ان من سبق

ان من سبق له الصحبة فهو احق بالرجعة لما وقع في النكاح من الثلمة وقوله ان
ارادوا اصلاحا يعني ان يكون القصد بالرجعة استدراك ما حصل من الجفاء اليها
لا تطويل العدة عليها بان يعزم على طلاقها بعد ما راجعها ولهن مثل الذي عليهن
بالمعروف ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن على ما عرف في الشرع من
حق الرجل على المراة وعكسه فيتزين كما تتزين له والمقصود حسن المعاشرة
وطيب المخالطة وقال الاستاذ يعني ان كان له عليها حق لما انفق من المال
فلها حق الخدمة لما سلف من الحال وللرجال عليهن درجة اي زيادة حق بسبب
المهر الذي ساقوا والمال الذي انفقوا او مزيد شرف لانهم قوام عليهن وحراس
لهن وافاد الاستاذ ان للرجال عليهن درجة في الفضيلة ولهن مزية في الضعف
والعجز البشرية والله عزيز اي غالب على المراد لقدرته حكيم يامر بما اراد لحكمته
الطلاق اي الرجعي مرتان اي اثنتان ردا على اهل الجاهلية حيث لم يكن لهم طلقة
محصورة او معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفرقة ولذا قال علماؤنا الجمع
بين الطلقتين والثلث بدعة وقد مال الاستاذ الى هذا المقال حيث قال
ندب الى تفريق الطلاق لئلا يتسارع الى تحقيق الفراق وقد قيل في معناه
قد تبينت ان عزمك قتلي ◦ فذريني اصفى قليلا قليلا ◦ فامساك بمعروف
اي بما عرف من امر الله والمعنى اذا طلقتموهن واحدة او ثنتين فلكم الخيار في المراجعة
وحسن المعاشرة فامساك مبتداء والخبر الجار المقدر او تسريح باحسان بالطلقة
الثالثة كما ورد في السنة او بعدم المراجعة ضرارا حتى تبين بانقضاء العدة وقال
الاستاذ معناه الصحبة حميدة او فرقة جميلة فاما سوء العشرة واذهاب لذة
المعيشة بالاخلاق الذميمة فغير مرضي في الطريقة ولا محمود في الشريعة والحقيقة
وفي العرائس الطلاق مرتان احدهما طلاق النفس وشهواتها والدنيا ولهوها
والثاني طلاق الآخرة ولذاتها فينبغي للعارف ان يطلقهما لان عروس مشاهدة
الحق غار على قلوب المحبين والمشتاقين ان يكون لهم شيء دون الله قلت ولانهما
ضرتان لا تجتمعان ان ارضيت واحدة اغضبت الاخرى او ارضيت الاخرى
اغضبت الاولى فلا مخلص من علاقتهما سواء يكون بعناقهما او بفراقهما الا بطلاقهما
باذن المولى ولا يحل لكم ايها الازواج ان تاخذوا مما آتيتموهن اي الزوجات
شيئا من الصدقات او العطيات وافاد الاستاذ ان في الخبر العائد
في هبته كالعائد في قيئه والرجوع فيما خرجت عنه خسة يعني فما خرجت عنه فلا
تدخل في قيئه الا ان يخافا اي الزوجان والمعنى يظنا كما قرئ به او يعلما وفي
قراءة حمزة بضم الياء اي يخاف عليهما الا يقيما حدود الله بترك احكام
مواجب الزوجية المقررة بالادلة الشرعية والمعنى ان المراة اذا خافت ان

تنصى الله فى امر الزوج بعضاله وخاف الزوج اذا لم يطلعه امرأته ان يعتدى عليها
حل له ان يأخذ الفدية منها اذا دعت الى ذلك باختيار منها وهذا معنى قوله فان خفتم
اى ايها الاولياء الا يقيما حدود الله اى فيما بينهما فلا جناح عليهما فيما افتدت به
اى لا على الرجل فى اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت ولا على المرأة فى اعطاء ما افتدت
سواء اخذت تمام زوجها او ما اخذت وقال الاستاد يعنى ان ارادة المرأة ان
تتخلص من زوجها فلا جناح عليها فيما تبذل من مال فان النفس تساوى لصاحبها كل شئ
والرجل اذا فاته صحبة المرأة لو اعتاض منها شيئا فلا اقل من ذلك حتى ان فاته رحمة
المال يصل الى يده شئ من المال تلك حدود الله اشارة الى ما حدد من الاحكام
السالفة فلا تعتدوها اى فلا تتعدوها بالمضايقة ولا تجاوزوها بالمخالفة وافاد
الاستاد ان هذه اداب علمكم وشرايع سنها لكم فحافظوا على ملازمة حدوده
وداوموا على محافظة حقوقه ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون
تعقيب للنهى بالوعيد للمبالغة فى التهديد فان طلقها اى الزوج المطلق
ثنتين فلا تحل اى المطلقة ثلاثا له من بعد التطليقة الثالثة حتى تنكح زوجا
غيره اى حتى تتزوج غير المطلق بعد فراغ العدة نكاحا صحيحا يطأها فيطلقها وتخرج
من عدته تزوجا صحيحا ولعل فى ذلك الحكم من الحكمة ردع الزوج عن المسارعة الى المفارقة
والعود الى المطلقة ثلاثا بلا كلفة لما فيه من النفرة وقلة الرغبة وافاد الاستاد ان الرجل
يشق عليه ان ينكح زوجته غيره فمنعه عن اختيار الفراق بغاية المنع لما بين انها لا تحل
له ان فارقها الا بان تفعل غاية ما يشق عليه وهو الزوج الثانى ليحذر الطلاق ما امكنه
فان طلقها اى الزوج الثانى فلا جناح عليهما ان يتراجعا بنكاح جديد بينهما
فالرجعة هنا لغوية لا شرعية ان ظنا ان يقيما حدود الله اى ما بين الله
من حقوقهما وعبر بالظن لان عواقب الامور مظنونة لكونها مبهمة لا معلومة وتلك
حدود الله يبينها لقوم يعلمون اى يفهمون وبمقتضاها يعملون وخصوا بذلك
لانهم المنتفعون وغيرهم محرومون وافاد الاستاد ان الاشارة فى هذه الاية
ان استيلاء المحبة على القلوب الشديدة يهون المقاساة الشديدة فلو تطوى
الزوجان بعد الفرقة على التحسر على ما فاتهما من الوصلة وندما على ذلك غاية الندامة
فلا جناح عليهما ان يتراجعا والمرأة فى هذه الحالة كالمنشور من الزوج الاول لمكان
الزوج الثانى والزوج كالاتى على نفسه فى احتمال ذلك ثم قال ان ظنا ان يقيما
حدود الله يعنى ان لا يعودا بعد ذلك الى الفراق ثانيا اذ علما حاجة احدهما الى
صاحبه قال قائلهم ولقد حلفت لئن لقيتك مرة ان لا اعود الى فراقك ثانيه
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن قاربن انقضاء عدتهن فامسكوهن بمعروف
او سرحوهن بمعروف اى راجعوهن من غير ضرار وتثقيل وخلوهن حتى تنقضى

عدتهن من غير تطويل ولا تمسكوهن ضرارا اى لا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن
وانتم لا حاجة بكم اليهن لتعتدوا اى لتظلموا عليهن بالاعتداء او تلجئوهن الى الافتداء
واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده فانها اذا زنت يجوز ان تضار لتفتدى وافاد
الاستاد ان الاية تضمنت الامر بحسن العشرة وترك المغايظة مع الزوجة فاما تخلية
سبيل من غير الجفاء او قيام بحق الصحبة على شرط الوفاء ومن يفعل ذلك اى الاعتداء
فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب وتفويتها للثواب وظلمها ما تعداها الى غيرها
ولا تتخذوا آيات الله هزوا اى تهزؤا بها بالاعراض عنها والتهاون العمل بما فيها وقد كان
الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وثبت عنه صلى الله عليه وسلم
ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمت الله
عليكم ومن جملتها انزال رسوله اليكم وذكرها شكرها بالقيام لحقوقها وما انزل
عليكم من الكتاب والحكمة اى القرآن والسنة خصهما بالذكر لشرفهما فى المرتبة
ولشمولهما كل نعمة مرتبة يعظكم به اى بالمنزل من كتابه واتقوا الله تاكيد واعلموا
ان الله بكل شئ عليم تهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اى انقضت عدتهن
وسياق الكلامين دل على اختلاف البلوغين فلا تعضلوهن اى فلا تمنعوهن
ان ينكحن ازواجهن اى من ان يتزوجن الذين كانوا ازواجهن بنكاح جديد لهن
او من ارادوا نكاحهن اذا تراضوا بينهم بين للخطاب والنساء ففيه تغليب للنساء
وهو ظرف لاحد الفعلين السابقين بالمعروف اى تراضيا كائنا بما يعرفه الشرع
ويستحسنه الطبع من المهر المتعارف بالمروة واعتبار الكفارة وافاد الاستاد ان
الاية تضمنت نهى الاولياء عن مضارتهن وترك احكام الجاهلية والانقياد لحكم الله
فى تزويج النساء اذا اردن النكاح من دون استشعار الانفة والحمية بل اذا
رضيت بكفو يخطبها فحرام عليكم عضلها والتذويب عن اوصاف البشرية بقهر
النفس اشد مجاهدة واصدق معاملة لله ذلك اى نهيه سبحانه عن العضل
والخطاب له عليه السلام فانه الاصل والفيصل وصاحب الفضل والمراد هو وامته
لقوله يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر وخص لانه المنتفع والمتعظ
بالامر والزاجر ذلكم اى الاتعاظ بالامتثال والانتهاء ازكى لكم اى انفع وانمى
فى صلاحكم واطهر اى انظف وانقى فى فلاحكم والله يعلم ما فيه من نفعكم
وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه
بالخبر للمبالغة وهو للندب مطلقا او للوجوب اذا تعين وفاقا حولين
كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه فى بعض الاحوال او تحديد لا تقريب
يقطع النزاع بين الزوجين فى مدة الرضاع كما يدل عليه قوله سبحانه لمن اراد ان
يتم الرضاعة وهو بيان للمتوجه اليه الحكم اى ذلك الحكم بارضاع الحولين الكاملين

لمن اراد اتمام الرضاعة مطلقا او عند اختلاف ارادة الزوجين وفيه دليل على
ان اقصى مدة الارضاع حولان وان لا عبرة بالرضاعة بعدهما خلافا لعائشة رض
فى ان ارضاع الكبير يؤثر فى التحريم وافاد الاستاد ان غاية الرحمة التى يضرب بها
المثل رحمة الامهات فامر الله سبحانه الامهات باكمال الرحمة بارضاع المولود
حولين كاملين وقطع الرضاع عليه قبل الحولين اشارة الى ان رحمة الله بالعبد
اتم من رحمة الامهات بالولد وعلى المولود له اى وعلى الوالد رزقهن وكسوتهن
اى نفقة الامهات المرضعات بالمعروف اى بقدر وسعه لقوله سبحانه لا تكلف
نفس الا وسعها وقال الاستاد قوله بالمعروف اى لما امن عنك وجب حقهن عليك
فان من لك كله فعليك ان تكون كلك له وقوله لا تكلف اشارة الى ان ادخار مستطاع
بخل وعذر والوقوف عند العجز عذر لا تضار بتشديد الراء المفتوحة على انه نهى معلوم
او مجهول وبالمضمومة للمكى والبصرى على انه نفى كذلك والدة بولدها ولا مولود له اى
ولا الاب بولده والمعنى لا يضر الوالدان بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما
ينبغى له من حقه وعلى الوارث اى وارثه المحرم عند ابى حنيفة حال فقر الرضيع
ووارث الاب وهو الصبى نفسه حال غناه انفا قا مثل ذلك اى مثل ما وجب على الاب
من النفقة وسائر انواع الشفقة وقال الاستاد كما يجب حق للمولود على الوالدين
يجب حق الوالدين على المولود فان ارادا اى الوالدان فصالا اى فطاما للولد
قبل الحولين صادرا عن تراض منهما وتشاور بينهما او بغيرهما فلا جناح عليهما
لان امره مفوض اليهما اذ لا يوجد احد احق عليه منهما وافاد الاستاد ان الآية
اشتملت على تمهيد طريق الصحبة وتعليم محاسن الاخلاق فى احكام العشرة
وان من لا يرحم لا يرحم وقد ورد عنه عليه السلام انه قال لمن ذكر انه لم يقبل اولاده
ان الله لا ينزع الرحمة الا من قلب شقى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم حذف
المفعول الثانى للاستغناء عنه بما يتضمنه الفعل من الغناء والمعنى ان تعطوا
اولادكم مراضع من غير امهاتكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم الى المراضع ما اتيتم
اى ما اردتم ايتاءه من اجرتهن وفى قراءة ابن كثير بالقصر اى فعلتم بالمعروف
اى بالوجه المتعارف مروءة والمستحسن شرعية وهو صلة سلمتم وجواب الشرط
محذوف دل عليه ما قبله وشبه ما هو من شرائط الاولوية بما هو من شرائط الصحة
فاستعير له العبارة اشعارا بان كون الاسترضاع مقرونا بتسليم ما يعطى المرضع
اكثر ثوابا واوفر مآبا واتقوا الله مبالغة فى المحافظة على الموافقة واعلموا ان الله
بما تعملون بصير محاذرة عن مباشرة المخالفة وحث على المعاشرة بالمجاملة
والمخالفة والذين يتوفون منكم اى يموتون ويذرون ازواجا اى يتركون
زوجات من الحرائر يتربصن خبر بمعنى الامر اى ليتوقفن ولينتظرن او يحبسن

انفسهن

انفسهن عن الزواج بعد موت الازواج اربعة اشهر وعشرا اى عشر ليال
فتانيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام وقيل اى عشرة ايام لكون
التذكير فيه فصيحا ايضا وحسنه انه منقطع الكلام فهو شبيه بالفواصل فى تمام النظام
كقوله ان لبثتم الا عشرا اى عشرة ايام بقرينة قوله ان لبثتم الا يوما وخص عن هذا
الحكم الحامل للاجماع ولقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن قال القاضى
ولعل المقتضى لهذا التقدير ان الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان
ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه عشر استظهارا
اذ ربما يضعف حركته فى المبادى فلا يحس بها وقال الاستاد لما كان حق الميت
اعظم من المطلق لان فراقه لم يكن بالاختيار كانت مدة وفاته اطول فى الاعتبار ففى
ابتداء الاسلام عدة الوفاة كانت سنة ثم ردت الى اربعة اشهر وعشرة ايام
لتحقق براءة الرحم عن ماء الزوج فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح
عليكم فيما فعلن فى انفسهن مما حرم للعدة عليهن بالمعروف بالوجه المستحسن
شرعا وعرفا وقال الاستاد يعنى اذا انقضت العدة ابيح لها التزوج بزوج آخر
فانها قامت بحق المروة وامر الشريعة اذ الميت لا يستديم وفاءه الى آخر العمر احد
فى الطريقة ولا فى الحقيقة وقد قيل وكما يبلى وجوه فى الثرى لكذا يبلى عليهن الحزن
والله بما تعملون خبير وبجزاء اعمالكم بصير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به اى تكلمتم
على طريق غير تصريح بل على سبيل كناية وتلويح من خطبة النساء اى من التماس
نكاح المعتدات للوفاة حال العدة وتعريض خطبتها مثلا ان يقول لها انك جميلة او
صالحة او نافعة او اكننتم فى انفسكم اى فيما اضمرتم من نكاحهن فى قلوبكم واو
للتنويع او التخيير علم الله انكم ستذكرونهن اى فى انفسكم فرفع الحرج فى ذلك
عنكم او المعنى ستذكرونهن باللسان لعدم صبركم عن الرغبة فيهن عن السكوت
عنهن ولكن لا تواعدوهن سرا التقدير فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا
او جماعا وعبر عنه بالسر لانه يسر وعن العقد لانه سببه او معناه لا تواعدوهن
فى السر على ان المعنى بالمواعدة فى السر المواعدة بما يستهجن حتى فى الذكر الا ان
تقولوا قولا معروفا بان تذكروا تلويحا لا تصريحا والمستثنى منه محذوف اى لا تواعدوهن
مواعدة الا مواعدة معروفة وقال الاستاد ابيح من ذلك ما كان فيه استجلاب
للمودة وتأسيس لحال الوصلة وحرم منها ما فيه ارتكاب محظورات من الماء بذنب
او عدة بجزم ولا تعزموا عقدة النكاح اى لا تقصدوا عقد عقدة النكاح وذكر العزم
مبالغة فى النهى عن العقد ولا بد من تقدير المضاف لان العزم انما يكون على الفعل
لا لنفس العقد والمعنى لا تقصدوا قصدا جازما فى عقد ما يتقيد به امر الزواج ويخلصه
لا تصححوا عقد النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اى حتى تنقضى عدة الاول فان حرمة

الماضي لا تضيع ولو طال الاجل واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم اي من العزم على
ما لا يجوز لكم فاحذروه ولا تعزموه او خافوا المطلع على ما في ضمائركم وفي تفسير السلمي
قيل فاحذروا ان يكون في انفسكم سواه فيعرض عنكم الا له واعلموا ان الله غفور لمن
عزم على معصية وتركها لخشيته حليم لا يعجل عليكم بعقوبته ونجيهم اولا في الزلة ثم لم
يؤيسهم من الرحمة لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي لم تجامعوهن
حقيقة او حكما وفي قراءة حمزة والكسائي تماسوهن بضم التاء او تفرضوا اي لم
تفرضوا بمعنى لم تقدروا او الا ان تفرضوا او الى ان تفرضوا لهن فريضة اي تسموا
مهرا مفروضا فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية و
يحتمل المصدرية والمعنى لا تبعة على المطلق من جهة الوزر ولا من مطالبة المهر اذا
كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهر فانها لو كانت ممسوسة فعليه
المسمى او مهر المثل واذا لم تكن ممسوسة وسمي لها فلها نصف المسمى كما سياتي
بيان هذا المعنى ومتعوهن اي فطلقوهن ومتعوهن بمعنى اعطوهن من
مالكم ما به يتمتعن على الموسع اي الغني الذي يكون في سعة من غناه قدره بسكون
الدال نافع والمكي والبصري والشامي وشعبة اي قدر امكانه ومقدار طاقته
وعلى المقتر اي الفقير الذي في ضيق مما ابتلاه الله قدره والحكمة في ايجاب
المتعة جبر ايحاش الفرقة بعد الوصلة وهي درع وخمار وملحفة عند ائمتنا
الحنفية على حسب حال صاحب البلية في القضية وفي تفسير الوجيز اعلاها خادم
واوسطها ثوب واقلها اقل ماله ثمن ثم قال والمطلقة قبل تسمية المهر والمسيس تستحق
المتعة بالاجماع انتهى واكثر السلف على ان المتعة عام لكل مطلقة وعندنا المتعة
واجبة لمن لم يسم لها مهر ولم يقع لها مس والمتعة لمن سمي لها مهر ولم يقع لها مس
مستحبة لسائر المطلقات متاعا اي تمتيعا بالمعروف اي بما يعرف
حسنه شريعة ومروة حقا صفة لمتاعا اي واجبا على المحسنين اي الى انفسهم
بالمسارعة الى امتثال امر ربهم وقال الاستاد يعني ان ابتداءكم بوصلة اشكالكم ثم
بدالكم مفارقة امثالكم فلا حرج عليكم في اختيار الفرقة اذا اردتم فان الذي لا يجوز اختيار
فرقته واحد فاما صحبة الخلق بعضهم مع بعض فليس بواجب بل غايته وصفه انه جائز
ولكن لما وقع عليهن اسم حكم فنصف المسمى يجب لهن فان الفراق كيف ما كان فهو
شديد فجعل مستحق من العوض كالخلف لها عند تجرع كاس الفرقة فان لم يكن
مسمى فلا يخلو العقد من متعة فان تجرع الفرقة مجردا عن كل راحة محنة عظيمة وان
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم اي
فالجلهن الآن يعفون اي المطلقات بان يتركن مطالبة ازواجهن او يعفو
الذي بيده عقدة النكاح اي الزوج المالك لعقده وحله فان الطلاق لمن بيده

الساق

التسامح عما يعود نفعه اليه بالتشطير ما لا يسوق المهر اليه كملا يوجب كلا وبه فسر
اصحابنا والشافعي واحمد وحجتهم ما رواه الدارقطني عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
ان رسول الله قال ولي العقدة الزوج وفسره مالك بالولي وان تعفوا اي وعفوكم
ايها الرجال والنساء اقرب للتقوى اي ادعى الى كمال الاتقاء من احوال الاتقياء
فان امتثال العفو المندوب مشعر بان صاحبه بالاولى يمتثل امر الوجوب والاية في الجملة
داعية الى خصلة الايثار التي هي طريقة الابرار ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا
تفضل بعضكم على بعض منكم بزيادة الاحسان فيما بينكم ان الله بما تعملون بصير فلا
يضيع تحملكم وتجملكم وافاد الاستاد انه يقال من اخل بالفضل واقتصر على الفرض
فعن قريب يخل بالفرض ويقال نسيان الفضل يقرب صاحبه من البخل وان من سنة
الكرام اذا خفي عليهم موضع الكرم ان يتخذوا بصائر الجود بتطلع لطائف الكريم
ليتوفر دواعيهم في اقتناء اسباب الفضل حافظوا على الصلوات اي داوموا
عليها باداءها على وفق شروطها واركانها ومراعاة سننها وآدابها والصلوة
الوسطى اي بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلوة العصر وعليه اكثر السلف
والخلف وفي صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى
صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا ولعل فضلها لكثرة اشتغال الناس في اسواقهم حينئذ
عنها وقوموا لله اي في الصلوات عموما وفي الوسطى خصوصا قانتين ذاكرين
او مطيعين او خاضعين خاشعين وافاد الاستاد ان المحافظة على الصلوات ان
يدخلها بالهيبة ويخرج بالتعظيم ويستديم بدوام الشهود بنعت الادب وابهم الصلوة
الوسطى عنك لتراعي الجميع اعتقادا منك لكل واحدة منها انها هي لان لا يقع منك
تقصير في شيء منها انتهى ولا يبعد ان يقال المراد منها الصلوة الواقعة في وسط الناس
ومجامعهم وخصت بالمحافظة مخافة الاشتغال بهم وخشية استعمال السمعة
والرياء في محافلهم ولذا ورد افضل الصلوة صلوة المرء في بيته الا المكتوبة واعني بها
المفروضة علانية وبالجماعة لامره تعالى بقوله واركعوا مع الراكعين اشعارا بانه من شعار
المسلمين ولان الصلوة بالجماعة تقتضي ان تكون بالهيئة المجموعية كاملة في المرتبة
الحضورية بان كلا من المصلين يكون حاضر القلب في جزء من الاجزاء الاركانية وغير
ذلك من الحكم الالهية والاسرار النبوية وقال صاحب العرائس المحافظة
شهود السر مقام الغيب وخمود النفس عن دواعي الريب ومراقبة القلب
انوار الكشف ورعاية الروح مشاهدة الوصل ومراعاة الادب ظاهرا وباطنا اما
الظاهر فباقامة الحدود في اركانها واما الباطن فبدفع الخواطر المذمومة الشاغلة عن
رؤية الآخرة ثم الغيبة عن الاركان والرسوم برؤية الحق جل جلاله في صلاته ثم الفناء
في حقائق المشاهدة عن ملاحظة وجوده لغلبة سكر الوجد ومن هذا حاله فهو غائب

في سر الاصطلام ولا يعلم كيفية صلاته لغلبة الوقت ولا عيب عليه لانه قد بلغ مقام
المشاهدة وهذا مقصود الصلوة اشارة من النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك لكن صورة الاحكام تجري على العارف ويحفظها الله
عليه وان لم يعلم شانه فيها فهؤلاء القوم يغيبون عن الظاهر لشغل الباطن والعامة
يغيبون عن الباطن لشغل الظاهر فشتان ما بين الطائفتين فالعوام طاحوا في اودية
الغفلات فيترسون احكام الظاهر واهل المعرفة طاروا في عالم المشاهدة ذي الجلال
والاكرام وابهم صلوة الوسطى لمراعات جميع الاوقات ومراقبة احايين المكاشفات
انتهى وكانه يشير الى ايصال صلاة الوصلة فيما بين الصلوات من النوافل وسائر
الاذكار والدعوات بحيث لا يخلو في لحظة ولا لمحة ولا نفس نفس السالك عن
الذكر والطاعة ولذا قال بعض العارفين الصلوة دوام الحضور مع الله والصيام
هو الامساك عما سواه ثم ما ذكره الشيخ من تقسيم الخاص والعام مستقيم عند المشايخ
الكرام لكن فوق هذا مقام للاخص وهو المعبر عنه بجمع الجمع حيث لا منع بمعنى ان
حضور الباطن لا يمنع عن القيام بالظاهر وعكسه فهم ممن يقال فيهم انهم مجمع
البحرين وملتقى النهرين كما قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان
واما غيرهم فكما اشار الله اليهم كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما
كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا وفي هذا تنبيه نبيه على ان درجات الصلات الصلات
ومراتب الوصلات يكون ابدا في مزية الزيادات كما يقتضيه كمال تجلي الذات
والصفات والله اعلم بحقائق الحالات فان خفتم من عدو او غيره فرجالا
او ركبانا اي فصلوا راجلين واقفين على الارجل جماعة او راكبين فرادى مستقبلي
القبلة او غيرها كما في صلوة الخوف في محلها ولا يصلي عندنا حال المشي والمسايفة
خلافا للعلماء الشافعية فاذا امنتم اي كنتم في امان فاذكروا الله اي فصلوا
صلوة الامن على اهل الايمان كما علمكم اي لاجل تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون بعقولكم
وقال الاستاذ كي تحلوا بما جاني لا وحي بها عن الوصف الذي امكنكم فان من تخشونه
من اعدائكم انا سلطتهم عليكم فاذا خلوتم بي بقلوبكم قصرت ايديهم عنكم وجعلت الظفر
لكم عليهم ثم اذا زال عنكم الخوف وامنتم فعودوا الى استقراركم باستفراغ اوقاتكم في
الاعتكاف بحضرتي سرا وجهرا انتهى ولعل ذكر الصلوة حال الرفاهية والمخافات
بعد الامر بمحافظة جميع الصلوات في اثناء احكام الاولاد والزوجات لئلا يشغلهم
الاهتمام بامرهم عن حكم ربهم كما اشار اليه سبحانه بقوله يا ايها الذين آمنوا لا
تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون
ولا يبعد ان يكون ايراد الجمل المعترضة اشارة الى قطع ما بعدها عما قبلها نزولا

وايماء

وايماء الى ان ما سيأتي منسوخ وان تأخر وجوده ذكرا والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية اي فعليهم وصية وفي قراءة البصري والشامي وحفص وحمزة بالنصب
اي فليوصوا وصية لازواجهم متاعا اي ممتعا الى الحول نصب بالفعل او المصدر
غير اخراج بدل اشتمال منه والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل
ان يحتضروا لنسائهم بان يمتعن بعدهم باجراء النفقة عليهن وابقاء السكنى
لهن حولا من غير اخراج الورثة اياهن كما قال قائلهم ع الى الحول ثم اسم السلام عليكما
ثم نسخت هذه المدة بما تقدم من العدة وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن وكذا
السكنى لانها تابعة للنفقة ومن جملة المتعة وهذا عندنا معشر الحنفية خلافا للعلماء
الشافعية فان السكنى لها بعد ثابتة لكن على وفق المدة المتقدمة فان خرجن
اي عن منازل ازواجهن باختيارهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن
من معروف اي مما لم ينكره الشرع من التشوق للنكاح والتصنع للازواج والله
عزيز لا يدفعه احد من الانتقام عمن خالفه في الاحكام حكيم اي حاكم لا يعقب
فيما امرهم وذو حكمة يراعي مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف
حقا على المتقين قال الواحدي لما ذكر الله تعالى متعة المطلقة في قوله حقا على
المحسنين قال رجل من المسلمين ان احسنت فعلت وان لم ارد ذلك لم افعل
فاوجبها الله على المؤمنين الذين يتقون الشرك وفي العرائس جعل لهن المتاع
تسلية لقلوبهن لانهن كابدن مقاساة الفراق لئلا يضاعف البلاء لهن بلاء
الهجران وبلاء الحرمان كذلك اي مثل بيان ما سبق من حكم الازواج والاولاد
يبين الله لكم آياته اي يبين للعباد ما يحتاجون اليه في امر المعاش والمعاد
لعلكم تعقلون اي تفهمونها وتعملون بها فانها نعم الزاد الم تر تعجيب وتنبيه
على امر غريب والمعنى الم تنظر بعين التعجب الى الذين خرجوا من ديارهم
وهم الوف اي كثيرة حتى قيل اربعون بل سبعون والجملة حالية حذر الموت
اي فرارا من الطاعون في بلادهم حتى نزلوا واديا في طريقهم فقال لهم الله
موتوا اي كونوا امواتا فماتوا كقوله سبحانه كن فيكون فالامر للتكوين كقوله كونوا
قردة خاسئين ثم احياهم مقتهم الله على فرارهم فاماتهم عقوبة لهم
ثم بعثهم ليستوفوا بقية آجالهم ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم
ليعتبروا ويعرفوا ان لا مفر عن القدر فيتيقنوا ويتثبتوا او اخبركم لتستبصروا
فتصبروا وتشكروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون بل يكفرون وينكرون
والقصة مقدمة للامر بالمجاهدة وتوطئة مشجعة للتعرض بالشهادة على وجه التوكل
حال البلاء وطريق الاستسلام للقضاء وافاد الاستاذ انهم لما استبعدوا
قدرة الله في الاعادة اراهم في انفسهم عيانا ثم لم ينفع اظهار ذلك لهم لم ينجد

بصيرته في التوحيد ومن قويت بصيرته لم يضره عدم تلك المشاهدات فانهم
تحققوا بما اخبروا لما آمنوا به بالغيب وقاتلوا في سبيل الله واعلموا
ان الله سميع لدعوائكم عليم بنياتكم وقال الاستاد يعني ان مسكم الم فتقاعد
منكم انين فاعلموا ان الله سميع لانينكم عليم باحوالكم بصير باموركم وافعالكم
فالاية توجب عليهم تسهل ما يقاسونه من الالم قال قائلهم اذا ما تمنى الناس
روحا وراحة تمنيت ان اشكو اليك فتسمع من ذا الذي يقرض الله اي من
هذا الذي يعمل عمل المقرض بان يقدم من ماله او عمله قرضا حسنا اي اقراضا
مقرونا بالاخلاص وطيب نفسه فيضاعفه اي فيضاعف جزاءه له وصيغة المغالبة
المبالغة وفي قراءة ابن عامر وعاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى
اي ايقرض الله احد فيضاعفه وفي قراءة المكي والشامي يضعفه بالتشديد اضعافا
كثيرة اي كثرة لا يعلم قدرها الا الله ونصبه على المصدرية على ان الضعف اسم
المصدر وجمع لقصد الانواع وقال الاستاد سمي القرض قرضا لان المتصدق يقطع
من ماله شيئا فيعطي المقترض وهذه التسمية لحفظ قلوب الاحباب حيث خاطبك
في باب الصدقة باسم القرض ولفظه ويقال دلت هذه الاية على عظيم رتبة
الغني حيث سال منه القرض ولكن رتبة الفقير في هذا اعظم لانه سال لاجله
القرض وقد يسال القرض عن كل احد ولكن لا يسال لاجل كل احد ففي الخبر مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند ابي شحمة اليهودي على
شعير اخذه لقوت عياله فهو ممن اقترض ولاجل من اقترض انتهى والظاهر انه تعالى
انما سال القرض لرتبة الفقراء من العلماء والاولياء فكانه قال من يعطيني لاجلهم
او من يعطيهم لاجلي وانا كفيل برد الزيادة من فضلي مع ان الكل عبدي ومالي
وفيه ابتلاء الاغنياء لاستماع السفهاء حيث قالوا ان الله فقير
ونحن اغنياء ولا يبعد ان يكون التقدير من ذا الذي يقرض اولياءه ومن الفقراء
اصفياءه وفيه ايماء الى عظمة شانهم وعلو مقامهم حيث نزل نفسه الانفس منزلة
القوم الاقدس ثم افاد الاستاد بانه يقال القرض الحسن ما لا يطالع عليه الجزاء
ولا يطلب بسببه العوض ولا الثناء ويقال القرض الحسن ان لا يعطي على الغفلة وانما
يعطي عن شهود الحضرة ويقال القرض الحسن من العوام اذا كان عن ظهر غنى ومن
الخواص اذا كان بشرط الايثار ويقال القرض الحسن من العامة عن مائتين خمسة وعلى
لسان القوم بذل الكل وزيادة الروح على ما يبذل وفي العرائس القرض الحسن بذل الموجود
مع الحياء والخجل موقفة على تقصيره وفناء اطماع الاعراض والفرح بمخاطبة الحق معه وايضا
استقرض من عباده ما اعطاهم ليربيه لهم ويزيد فضله في حقهم والله يقبض
ويبسط وفي قراءة الحرميين غير قنبل وشعبة والكسائي يبصط والمعنى يمسك الرزق

عمن يشاء

عمن يشاء ويوسع على من يشاء ويضيق تارة ويوسع اخرى حسب ما اقتضته حكمته وتعلقت
مشيئته فلا تبخلوا بصرف المال في سبيله لانه قادر على تبديله وتحويله واليه
ترجعون وعلى اعمالكم تثابون قال الواسطي يقبضك عمالك ويبسطك لما اي لاجله وقيل
يقبض اي يوحش اهل صفوته من رؤية الكرامات ويبسطهم بالنظر الى الكريم الذات
بحيث ينسى حينئذ جميع اللذات وقال الاستاد يقبض الصدقة من الاغنياء بقبض
قبول وفرض ويبسط عليهم بسط خلف وعوض ويقال يقبض على الفقراء ليمتحنهم بالصبر
ويبسط على الاغنياء ويبسط لئلا يتقلد المنة من الاغنياء ويقال يقبض القلوب باعراضه
ويبسط القلوب باقباله ويقال القبض ما غلب على القلوب من الخوف والبسط ما غلب
عليها من الرجاء ويقال القبض لقهره والبسط لبره ويقال القبض لستره والبسط لكشفه
ويقال القبض للمريدين والبسط للمرادين ويقال القبض للمستانفين والبسط للعارفين
ويقال يقبضك عنك ثم يبسطك به ويقال القبض حقه والبسط حظك ويقال القبض
لمن تولى عن الحق والبسط لمن تجلى له الحق ويقال يقبض بذكر العذاب ويبسط بذكر
الثواب الم تر الى الملا من بني اسرائيل اي الى جمع عظيم يملؤن الاعين بكثرتهم
وقوة شوكتهم ومن تبعيضية من بعد موسى اي بعد موته ومن ابتدائية اذ قالوا
لنبي لهم يوشع او شمعون او غيرهما ابعث لنا ملكا اي اقم لنا اميرا نقاتل
في سبيل الله اي ننهض معه للقتال مع غير اهل ملتنا وننتظم به كلمتنا ويستقيم
حالنا قال هل عسيتم بفتح السين لغير نافع ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا
فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع حصول جبنكم عن قتال عدوكم ان كتب
الجهاد عليكم قالوا ومالنا الا نقاتل في سبيل الله اي واي مانع لنا من عدم المقاتلة
في مرضاة مولانا مع اعدائنا وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي وافردنا بالسبي
والقتل عن اولادنا والجملة حال عامله نقاتل او الظرف اعني لنا والمعنى اذا بلغ الامر
منا هذا المقدار فلابد من الجهاد الذي ليس فيه الفرار فلما كتب عليهم القتال وامر عليهم
افضل الرجال تولوا اي جبنوا ولم يثبتوا على ما كتب عليهم الا قليلا منهم وهم كاهل
بدر ثلثمائة وثلاثة عشر وسياتي انهم هم الذين عبروا النهر وفي تفسير السلمي قال فارس
لا يتجرد للحق من هو قائم بسبب او علاقة او سكون او مسكن وافاد الاستاد استقبلوا
الامر باختيارهم واقترحوا على نبيهم بسؤال اذن القتال لهم فلما اجيبوا الى ما ضمنوه
من انفسهم ركنوا الى التكاسل وعرجوا في اوطان التخاذل والتغافل ويقال انهم
اظهروا التصلب والجد في القتال ذبا عن المنازل والاموال فلذلك لم يتم قصدهم
لانه لم يخلص لحق الله عزمهم ولو انهم قالوا ومالنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد امرنا
واوجب علينا فانه سيدنا ومولانا تجب اطاعة امره علينا لعلهم وفقوا
لاتمام ما قصدوا وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم اي اقام لكم طالوت ملكا

اى اميرا سألتموه للقتال ونصبه على الحال قالوا انّى يكون له الملك علينا اى من اين
يكون له الامارة لدينا ونحن احق بالملك منه اى والحال انا احق منه بالامارة لانه ليس
من سبط المملكة ولم يؤت سعة من المال اى والحال انه لم يؤت توسعا وزيادة من جهة
المال ليكون له قوة المكنة والقدرة نسبا وسببا قال ذلك النبى ان الله اصطفاه
عليكم بالملك والحكم وزاده بسطة اى سعة ومزية فى العلم والجسم وهو كناية عن
الشجاعة وهما شرطان فى صحة الخلافة فوفور العلم ليتمكن به من معرفة امور السياسة
وجسامة البدن اشارة الى تحقق الشجاعة مع زيادة الهيبة فى قلوب اهل الريبة ويكفيه
من جهة نسبة النسب فى الجملة انه من اهل بيت النبوة والله يؤتى ملكه من يشاء
من غير اعتراض عليه لا فى الابتداء ولا فى الانتهاء والله واسع اى متفضل يوسع
على الفقير ويغنيه عليم بحال عبده فيما يبديه ويخفيه وقال لهم نبيهم حين طلبوا منه
امارة على اصطفاء طالوت امارة ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت اى صندوق التورية
وكان من خشب شمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع فى ذراعين اوكان تابوتا
انزل الله على آدم فيه صور الانبياء عليهم السلام كانت بنو اسرائيل يستفتحون به على
عدوهم فغلبتهم العمالقة على التابوت فلما سألهم نبيهم البينة على ملك طالوت قال
آية ملكه ان يرد الله التابوت عليكم فحملته الملائكة حتى وضعوه فى دار طالوت فيه
سكينة اى مودع فيه سكون لانفسكم واطمينان لقلوبكم من ربكم وبقية مما ترك
آل موسى وآل هرون اى ابناؤهما وهى رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه
وعمامة هرون عليهما السلام تحمله الملائكة ان فى ذلك اى فيما ذكر من علامات
اليقين لآية لكم ان كنتم مؤمنين وافاد الاستاد ان الله سبحانه اذا اظهر
نورا من فضله امده بتأييد من قبله فلما ملك طالوت عليهم ازال الاشكال عن قلوبهم
بما اظهر من آية الدالة على صدق قول نبيهم فى اختياره فرد عليهم التابوت الذى فيه
السكينة فاتضح لهم انه ملكهم وان نبيهم صدقهم فيما اخبرهم ويقال ان الله تعالى
جعل سكينة بنى اسرائيل فى التابوت الذى فيه رضاض الالواح وآثار صاحب نبوتهم
وجعل سكينة هذه الامة فى قلوبهم فقال فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم
ثم ان التابوت كان تتداوله الايدى من الاعداء وغيرهم فمرة كان يدفن ومرة كان
يغلب عليه فيحمل ومرة يرد واما قلوب المؤمنين فحال بين اربابها وبينها ولم يستودعها
ملكا ولا سماء ولا هواء ولا مكانا ولا شخصا وقد قال صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن يعنى فى قبضة الحق سبحانه وتحت تقليبه وتصريفه والمراد
منه القدرة فشتان بين امة وبين امة امة سكينتهم فيما للاعداء عليه تسلط وامة
سكينتهم فيما ليس لمخلوق عليه سلطان فلما فصل طالوت بالجنود اى انفصل
وخرج بهم عن مكانهم لقتال العمالقة من اعدائهم قال ان الله مبتليكم بنهر اى معاملكم

معاملة المختبر بما اقترحتموه وعلى وفق ما طلبتموه لما روى انه قال لهم لا يخرج معى
الا الشاب النشيط فارغا لا يكون لاحد الفا فاجتمع اليه مما اختاره ثمانون الفا فسلكوا
مفازة فى وقت كان قيظا وحرا وسألوا ان يجرى الله لهم نهرا فمن شرب منه
اى من مائه بغيا او عادة فليس منى اى من اشياعى فلا يتبعنى او من اتباعى فليس
بمتحد معى ومن لم يطعمه اى لم يذقه فانه منى اى من اهل دينى الا من اغترف غرفة
بالضم للشامى والكوفى اى مغروفة وبالفتح لغيره اى مرة من الغرف بيده والمراد الرخصة
فى اليسير دون الكثير وقد علم ذلك وحيا ان كان نبيا والهاما ان كان وليا والاستثناء
منقطع لان من اغترف فقط ليس ممن شرب بمعنى كرع او افرط فشربوا منه اى كرعوا
او افرطوا فى شربهم الا قليلا منهم وتقدم بيان عددهم وروى ان من اقتصر منهم على
غرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه العطش وشدة حرارته وحصل
اسوداد شفته ولم يقدر ان يتجاوز عن منزلته وهذا مثال للدنيا لسالك العقبى دون
المولى وافاد الاستاد ان الله سبحانه ابتلى الخلق بصحبة الخلق وبالدنيا وبالنفس
فمن كانت صحبته مع هذه الاشياء على حد الاضطرار بمقدار القوام وما لا بد له منه
ينجو من هذه الدار ويسلم من عذاب النار ومن جاوز حد الاضطرار وانبسط فى الصحبة
مع شئ من ذلك بموجب الشهوة والاختيار فليس من الله فى شئ ان كان ارتكاب
محظور ودونه وليس من هذه الطريقة فى شئ ان كان ماله منه بد وعلى جهة الفضلة
والخواص فى كل وقت يقل عددهم ولكن يجل قدرهم ومددهم فلما جاوزه اى النهر
هو والذين آمنوا اى ثبتوا على كمال الايمان وهم القليل الذين لم يخالفوه بالعصيان
فيه ايماء الى انهم هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم معه اى مع
طالوت متعلق بجاوزه قالوا اى الذين افرطوا فى شربهم وخالفوا امر نبيهم
فيما بينهم او لمن جاوز النهر منهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اى بكثرتهم
وقوة شوكتهم فان جالوت كان جبارا من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت
بيضته فيها ثلثمائة رطل بوزن الحداد وافاد الاستاد انهم نظروا الى الحال بالعين
الظاهرية فداخلهم شئ من رعب البشرية فربط الله على قلوبهم بما اكرمهم من
نصرة الحق سبحانه لاوليائه اذا شاء على اعدائه قال الذين يظنون انهم
ملاقوا الله اى الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء ربهم وتوقعوا ثواب كسبهم
وهم القليل الذين ثبتوا معه فى بلائهم او بعض علمائهم وفضلائهم كم من فئة اى جماعة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله اى بمشيئته ومعونته لهم لا بحولهم وقوتهم وكم
خبرية لا استفهامية ومن مزيدة او مبينة والله مع الصابرين بالنصرة والقوة
والاثابة المثوبة ولما برزوا اى خرجوا وظهروا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ
انزل علينا صبرا فيه نصر الله ايماء الى قوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وثبت اقدامنا

بتقوية قلوبنا وانصرنا على القوم الكافرين اى من الاعدآء الظاهرة والباطنة المانعة
من اقامة الطاعة ووصلة الحضرة وافاد الاستاذ انهم تبرؤا من حولهم وقوتهم ورجعوا
الى الله بتضرعهم ومسكنتهم مستغيثين اليه مستعينين به وواثقين بنصره معتمدين على
اعطآء صبره فكان اهم امورهم الصبر والوقوف لعدوهم ثم بعده النصرة عليهم فان
الصبر حق ربهم والنصر نصيبهم فقدموا تحقيق حقه سبحانه وتوفيقه لهم ثم وجود حظهم
ونصيبهم من النصرة على عدوهم ثم اشاروا الى انهم يطلبون النصرة عليهم لا للانتقام منهم
لاجل ما فاتهم من نصيبهم ولكن لكونهم كافرين اعداء ربهم فقاموا بكل وجه لله بالله فلذلك
نصروا ووجدوا الظفر فهزموهم باذن الله اى فكسروهم وغلبوهم بارادته على حسب قدره
وقضاه وقتل داود جالوت روى انه كان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الى نبيهم انه الذى
يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه فى الطريق ثلثة احجار وقالت له انك تقتل بنا
جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله وقد وعده طالوت ان يزوج ابنته بعد قتل جالوت
ويشركه فى نعمته وامر حكومته فوفى بعهده ثم آل الامر الى داود بعده واتاه الله الملك اى
ملك بنى اسرائيل والحكمة اى النبوة ولم يجتمعا قبل داود على احد اذ كان الملك فى سبط
والنبوة فى آخر وعلمه مما يشاء يعنى صنعة الدرع ومنطق الطير وكلام الدواب قال الاستاذ
هيب الله الاعداء بطالوت لما ازداده من البسطة فى الجسم ولكن عند القتال جعل
الظفر على يدى داود وكان كان فى نفسه ربع القامة صغير الجثة ولم يكن معه السلاح الا مقلاع
ولكن الظفر كان له لان نصرة الله سبحانه كانت معه ومن نفائس العرائس ان طالوت
ههنا الروح وهى ملك الباطن ومثل داود نبى عليه السلام العقل وجنوده القلب وملك
الالهام والعلم والفهم والادراك والحواس ومثل جالوت عدو الله تعالى الشيطان
وجنده خيل الخيال واعوان الشهوات فامر الله تعالى الروح بالمحاربة معه اختبار النفس
الامارة فلما فصل الروح بجنوده قالت ان الله مبتليكم بنهر الشهوة الذى يشرب منه
النفس بكاس الغفلة واضافت اليهم الشرب لان الروح مقدسة عن رجس البشرية
فمن شرب منه فليس منى اى ليس من عالم الروحانيات وليس من اهل مكاشفات
الصفات ومن لم يطعمه فانه منى اى من نور القدس وعالم الانس الا من اغترف غرفة
بيده اى القلب والحواس والنفس يغترفون بقدر الغرفة حتى لم يحترقوا فى جوار الروح
بنيران المحبة والمواجيد التى يحصل منه نور المعرفة فشربوا منه اى النفس واعوانها
لانهم من ملكوت الارض ولاجل ذلك مالوا الى طبعة الطبيعة الا قليلا منهم اى العقل
والملك لانهما من ملكوت السماء وليس لهما الا لذة التربية واما شرب القلب فبقدر
الكفاية لانه ممزوج بخلاصة الجسم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اى الروح والعقل
والملك والحواس والقلب قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده يعنى اوباش الطبيعة
وقت محاربة تمنى النفس واعوانها لانهم حجبوا بشربهم مياه الشهوة من نهر الغفلة

فصاروا

فصاروا راحلين عن الجهاد قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اى يقول اعوان
الروح الذين يوقنون كشف العيان بعد مجاهدة الشيطان كم من فئة قليلة بالعدد ومعها نور
اليقين غلبت فئة كثيرة اى من التى ليس معها النصر من عند الله والله مع الصابرين
الذين وقفوا على مراد الحق بنعت الرضا والتسليم والرؤية كرة القديم ولولا دفع الله
وفى قراءة دفاع الله الناس بعضهم ببعض بنصر المسلمين على الكافرين لفسدت
الارض بغلبة المشركين على المؤمنين وتخريب البلاد وتعذيب العباد ولكن الله
ذو فضل على العالمين بهلاك الظالمين وخلاص الصالحين وقال الاستاذ لو تطابق
الخلق وتوافقوا باجمعهم لهلك الضعفاء لغلبة الاقوياء ولكن شغل بعضهم ببعض
ليدفع بشغلهم شرهم من قوم اراد خيرهم تلك اى تلك الحالات السابقة
والاخبارات السالفة آيات الله علامات توحيده ودلالات تمجيده نتلوها
عليك بالحق اى بالوجه المطابق وعلى وفق الصدق وانك لمن المرسلين
لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع لها وافاد الاستاذ انه لم يكن فى علمك
ولا فى وسع احتيالك الوقوف على هذه الغايات من الكائنات التى سلفت وانما
وقفت عليها بتعريف من قبل الله تعالى تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة
فى هذه السورة او تلك الرسل التى عندك متلوة وفى ذهنك مسطورة فضلنا
بعضهم على بعض اى لم نجعلهم سواء فى الفضيلة وان استووا فى القيام بامر
الرسالة بل خصصنا بعضهم بما ليس لغيره من المنقبة منهم من كلم الله كلم
موسى عليه السلام فى الطور ليلة الحيرة وكلم محمدا صلى الله عليه وسلم حين كان
قاب قوسين او ادنى ليلة الخيرة وبين المقامين بون بين ورفع بعضهم درجات
بان فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم
فانه خص بالدعوة العامة والحجج التامة والمعجزات المستمرة بتعاقب الدهر ومزية الفضائل
العلمية والعملية الفائتة للحصر ولعل الابهام لوضوح مرتبة الكلام ورفعة المقام
وقيل المراد به ابراهيم عليه السلام خصصه بالخلة التى هى من اعلى مراتب الانام
وآتينا عيسى بن مريم البينات اى المعجزات الظاهرات وايدناه بروح
القدس ووجه تخصيصه افراط اليهود والنصارى فى تحقيره وتعظيمه وقال الاستاذ
جمعتهم الرسالة ولكن تباينوا فى خصائص الفضيلة ولكل واحد منهم انوار ولوازم
معارج وآثار فمنهم من هو على نور اتم فى الرفعة ونورا ولم يكن فضائلهم باستحقاقهم
ولا بناء على افعالهم واحوالهم بل علم بالحسنى ادركهم وعاقبة بالجميل تداركتهم ولو شاء الله
هداية الناس باجمعهم ما اقتتل الذين من بعدهم اى ممن كان بعد مجىء رسلهم من بعد
ما جاءتهم البينات اى ظهرت المعجزات الواضحات لهم ولكن اختلفوا لتعلق
المشية بعدم اتفاقهم كما قال تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون

المختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم اى لاجل اختلاف المظاهر الذى يقتضيه نعوت
الجمال وصفات الجلال كما قال فى آية اخرى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يضل من
يشاء ويهدى من يشاء فمنهم من آمن باحسانه واقباله عليه فضلا ومنهم من كفر
بخذلانه واعراضه عنه عدلا وافاد الاستاذ انهم مصروفون بالمشيئة الازلية التى عليها المدار
ومسلوبون الاختيار الذى به الاعتبار والعبودية شد نطاق الخدمة وشهود سابق
القسمة ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره تأكيدا للرد على المعطلة والمعتزلة ولكن الله
يفعل ما يريد ولذا لما الهم ابو يزيد ما تريد فقال اريد ان لا اريد فقال بعض اهل المزيد
هذا ايضا نوع من ارادة المريد وقد قال قائلهم * اريد وصاله ويريد هجرى * فاترك
ما اريد لما يريد * وههنا نكتة لطيفة وهى ان المريد اذا ترك الارادة صار مرادا واخذ
من فائدة مائدة التفويض والتسليم زادا وحينئذ يقول هل من مزيد ويقال له ولدينا مزيد
وفى الحقيقة هو المراد والمريد يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد بالعبيد لا راد لقضائه ولا
معقب لحكمه يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم للزكوة والصدقة والنفقة فى الجهاد
من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وفى قراءة المكى والبصرى بفتح الثلثة
والمعنى انه لا يوجد ذلك الوقت مفاداة الا مصادقة ولا معاونة لارباب المخالفة
فقداء كل مؤمن يهودى فى النار ويشفعهم الخلة والشفاعة من الابرار ولذا قال سبحانه
والكافرون هم الظالمون اى الكاملون فان الشرك لظلم عظيم فعذابه وخيم وحجابه
جسيم لا يدفعه شفيع ولا ينفعه حميم وقال الاستاذ يعنى اغتنموا مساعدة الامكان
فى تقديم الاحسان قبل فناء الجهد وانقضاء الامد الله اى الذات المستجمع
لكمال الصفات المستحق لعبادة المخلوقات وهو مبتدأ خبره لا اله اى لنا
او موجود او مشهود الا هو الحى اى القديم الازلى والباقى الابدى القيوم اى
الدائم القيام بتدبير الانام وفى تفسير السلمى الحى الذى احيا كل حى وهو الحى الذى
لم يزل ولا يزال والقيوم القائم على كل نفس بما كسبت وقيل من قال هذه الكلمة وفى
قلبه طمع او سؤال او رغبة او رهبة فهو مشرك اى شركا خفيا حيث جعل ما سوى الله
شريكا فى محبة مولاه وقال صاحب العرائس الحى الذى قام به الاحياء والقيوم
الذى يحيى بقيوميته الاموات والحى من صفاته الخاصة فى القدم ونعوته العامة فيما اوجد
الخلق من العدم والقيومية صفته التى لم يزل كان موصوفا بها ومحصلها انه اشتغل
بنفسه فى ازليته وابديته وقال الخواص من عرفه بانه الحى القيوم لزمه معرفته طلب كل شئ
منه وترك القيام بشئ من اموره لقيامه بها وافاد الاستاذ ان قوله لا اله الا هو اخبار عن نفى
النظير والشبيه بما استوجبه من التقديس والتنزيه ومن تحقق بهذه المقالة لا يرى ذرة من الاثبات
لغيره ومن عرفه فلا يرفع الى غيره حاجة ولا يشهد من غيره ذرة فيصدق اليه انقطاعه ويدوم
بوجوده انفراده فلا يسمع الا من الله ولا يشهد الا الله وبالله ولا يقبل الا على الله

مع الله

مع الله ولا يشتغل الا بالله ولله فهو محو عما سوى الله فماله سلوى ولا دعوى ولا
يتحرك منه لغيره عرق اصلا فاذا استوفى الحق عبدا لم يبق للحظوظ فيه مساغ ابدا ثم ان هذه
المقالة تقتضى التحقق بالفناء عن الرسومات بجملتها والتحقق بانه لا سبيل للخلق الى
وجود الحق سبحانه فلا وصل ولا قرب ولا بعد فان ذلك اجمع آفات لا يليق بالقديم
وقوله الحى القيوم المتولى لامور عباده القائم بكل حركة وسكون والمجرى لكل عين واثر
لا تأخذه سنة وهى فتور يتقدم نوم الناس ويعبر عنه بالنعاس ولا نوم روعى
الترتيب الوجودى فى ذكرهما والا فالمقتضى للمبالغة عكسهما والجملة نفى للتشبيه وتنبيه
على ان من اخذه سنة وغفلة لم يكن كاملا فى الحيوة والقيومية وافاد الاستاذ
انه احد لا تدركه غفلة وصمد لا تمسه علة وعزيز لا يقاربه ذلة وكريم لا يوازيه قلة وجبار
لا تميزه عزلة وفرد لا تضمه جثة ووتر لا يحده جهة وقديم لا يلحقه آفة وعظيم لا تدركه مسافة تقدس
فى جلاله وجلاله جماله وسناؤه بهاؤه وبهاؤه سناؤه وازله ابده وابده سرمده وسرمده
قدمه وقدمه وجوده وفى العرائس تخوف بهذه الاشارة خواص المراقبين حتى لا يشتغلوا
بغيره عنه طرفة عين وايضا بنفى السنة نزه نفسه عن الغفلة وبنفى النوم قدس نفسه
عن الفترة وايضا هذا اعلام منه سبحانه للمهمومين انه ينتقم عن الغافلين عن المطلوب
له ما فى السموات وما فى الارض ملكا وابداعا وخلقا واختراعا وهذا تقرير لقيوميته كما ان
ما قبله تحرير لديموميته وفى كل تنبيه على تفرده فى الوهيته وفى العرائس ازال حلاوة
زهر الكونين عن قلوب اهل الصفوة حيث وبخ من التفت سره عنه الى ماله لان الالتفات
من المنعم الى النعم شرك بالمنعم من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه اى لا يشفع عنده
احد الا بامره وقال الاستاذ من ذا الذى يتنفس بنفس الا باجرائه او يتوسل اليه من دون
اذنه وابدائه ومن ظن انه يتوسل اليه باستحقاق او عمل او تذلل او امل او قربة او نسب
او علة او سبب فالظن وطنه والجهل مألفه والغلط غايته والبعد قصواه ونهايته
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى ما قبلهم وما بعدهم او امور الدنيا واحوال الاخرة او
ما يدركونه وما لا يدركونه وفى العرائس يعلم ما بين ايديهم من المقامات وما خلفهم
من الحالات والحاصل كما قال الاستاذ انه لا يخرج عن علمه معلوم ولا يلتبس عليه
موجود ولا معدوم ولا يحيطون بشئ من علمه اى من معلوماته الا بما شاء
اى بما اراد ان يعلمه بعض مخلوقاته وفى العرائس حجب علم القدم عن ادراك من وجد
من العدم الا ما كاشف لاهل القلوب من معاينات الغيوب وقال الاستاذ
اذا تقاصرت العلوم عن الاحاطة بمعلوماته فانى تطمع لها فى الاحاطة بذاته وسع
كرسيه السموات والارض الكرسى جسم بين يدى العرش محيط بالسموات السبع
والعرش لقوله صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسى
الا كحلقة فى فلاة وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على الحلقة وقال السلمى

الوش والكرسي اظهار للقدرة لا محل للذات لانه سبحانه منزه عن سمات الحادثات
وفي العرائس كرسيه قلب العارف وهو اوسع منهما لانه معدن علوم الالوهية وعلم
اللدني مما لا غاية له ولا نهاية وقال الاستاد خطاب لهم على قدر فهمهم والا فاق
خطر للاكوان عند صفاته المنزهة عن المكان والزمان وجل قدره عن التعزز
بعرش او كرسي او التجمل بجني او انسي ولا يؤده اي يثقله ولا يجهده حفظهما اي
محافظته لهما وقال الاستاد كيف يتعب المخلوقات من خلق الذرة والكون
بجملته له سواء فلا من القليل له تيسير ولا من الكثير عليه تعسير وهو العلي المتعالي
عن الانداد والاشباه العظيم المستحق بالاضافة اليه ما سواه وفي العرائس
لا توازي اي عظمته خردلة لانها في ملكه وسلطانه اقل من ذرة انتهى وتكون
هذه الآية مشتملة على امهات المسائل الالهية والصفات الجمالية والجلالية قال
صلى الله عليه وسلم اعظم آية في القرآن آية الكرسي كما رواه مسلم لا اكراه في الدين
بعد اسلام المشركين حيث يقبل الجزية من الموحدين قد تبين الرشد اي
الهداية من الغي وهو الضلالة بالآيات الواضحة والدلالات اللائحة والفتح
ان الاسلام رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية
قال الاستاد امتاز الليل بظلامه عن النهار بضيائه فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان
والاصنام او كل ما عبد من دون الله او شغل عن طاعة مولاه وقيل طاغوت كل امرئ نفسه
وهواه ويؤمن بالله وبامره ونهاه وقدره وقضاه فقد استمسك اي تمسك
بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي استعارة للتمسك بالحق بالنظر الدقيق على وجه
التحقيق للتوفيق وحاصله انه عقد لنفسه عقدا وثيقا وحسن ذلك رفيقا لا انفصام
لها لا انقطاع لا تعالى لها قال بعضهم الايمان اذا دخل القلب امن السلب ومن
رجع انما رجع عن الطريق فان من وصل فهو في بحر الحق غريق وافاد الاستاد ان العروة
الوثقى هي سلوك سبيل المصطفى فمن تحقق بها سرا وتعلق بها جهرا فاز في الدارين وسعد
في الكونين والله سميع بالمضمرات عليم بالنيات الله ولي الذين آمنوا اي
محبهم وناصرهم ومتولي امورهم والمراد بهم من اراد ايمانهم يخرجهم بهدايته وتوفيق
طاعته من الظلمات اي ظلمات الجهل والغواية واتباع الهوى والذين كفروا
اولياؤهم الطاغوت اي المضلات من الشيطان والهوى والمال وجاه الدنيا
يخرجونهم اي يتسببون لخروجهم من النور اي من نور اليقينيات الى الظلمات
اي ظلمات الشكوك والشبهات بالانهماك في الشهوات اولئك اصحاب النار
لاختيارهم الاغيار هم فيها خالدون اي في نار العذاب وعار الحجاب دائمون قال الواسطي
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من ظلمات نفوسهم وهواها الى انوار ما جعل لهم
في السبق من الرضا والصدق والمحبة وغيرها وقال الثوري يخرجهم من ظلمات العلم الى

الى النور اي نور العلم والهداية واتباع الهدى صح

نور المشاهدة

نور المشاهدة فانه ليس الخبر كالمعاينة وقال ابو عثمان يخرجهم من رؤية الافعال الى رؤية
المنن والافضال وقال ابن عطا يغنيهم عن صفاتهم بصفته فيندرج صفاتهم تحت
صفته كما اندرجت اكوانهم تحت كونه وحقوقهم عند ذكر حقه فيصيرون قائمين بالحق
مع الحق للحق ذكره السلمي وافاد الاستاد ان الولي على وزن فعيل في معنى الفاعل فالله
يتولى امرهم او في معنى المفعول فالمؤمنون يتولون طاعته وكلاهما حق فالاول جمع والثاني
فرق وكل جمع لا يكون مقيدا بفرق وكل فرق لا يكون مؤيدا بجمع فذلك خطأ وصاحبه معطل
يخرجهم من ظلمات تدبيرهم الى سكينة سعة شهود تقديره او يخرجهم من ظلمات
ظنهم يتوسلون او يصلون اليه بشيء من سكناتهم وحركاتهم او يخرجهم من ظلماتهم
بان يرفع عنهم ظل انفسهم ويدخلهم في ظل عنايته او يحملهم عن حسبان النجاة بهم
او يحول بينهم وبين الاعتماد على اعمالهم والاستناد الى احوالهم وفي العرائس
يوجدهم من ظلمات العدم الى كشف انوار القدم او يخرجهم من ظلمات الامتحان الى
مشاهدة العيان او من ظلمات العبودية الى نور جمال الربوبية او من ظلمات الفرح
بما وجدوا من المقامات والدرجات الى نور مشاهدة الذات والصفات او نقدهم
من ظلمات البشرية الى نور الابدية والذين كفروا اي ستروا ما قد عاينوا في نفوسهم
من انوار فعله وقدرته وما بدت في قلوبهم من لوائح العقول ولوامع حكمته بالشروع
في لذائذ الشهوة وغطاء الغفلة اولئك اصحاب الهجران عن مشاهدة الرحمان
هم فيها في القطيعة وابتلاء الطبيعة خالدون ليس لهم مساغ في الوصول ابد الآبدين
الم تر الى الذي حاج اي جادل وخاصم ابراهيم في ربه اي في ثبوت الوهيته
ونعوت وحدته وقدرته وارادته وهذا تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان آتاه الله الملك
اي لاجل اعطائه اياه بعض نعمته والمعنى انه ابطره حصول سلطنته وحمله على شيطنته
وهو نمرود المردود اذ قال ابراهيم اي ابتداء او بعد ما قال له من ربك غيري استئنافا
ربي الذي يحيي ويميت بايجاد العباد بعد افناء الاجساد قال انا احيي واميت
بالعفو والقتل وهذا تلبيس من ابليس حتى اتى بالعبارة الموهة المموهة قال ابراهيم
معرضا عن معارضته الفاسدة الى ما يقدر عليه من المجادلة الحاسدة فان الله
يأتي بالشمس من المشرق وهذا لا شبهة فيه ولا مرية فأت بها من المغرب ان كنت
تدعي الربوبية وهذا تعجيز له وتخجيل لا طلب آية ودليل فبهت الذي كفر اي صار
مبهوتا وانقطع مسكوتا والله لا يهدي القوم الظالمين الى سبيل النجاة
في الدنيا وطريق الجنة في العقبى الى محجة المولى ومجانبة الشقوى وقال الاستاد
عجل الحق سبحانه لاعدائه عقوبة الفرقة قبل ان يعاقبهم بالحرقة وهذه العقوبة
اشد اثرا في الحقيقة لو كانت لهم عين البصيرة وان الحق سبحانه اخبر
ان ابراهيم عليه السلام انتقل مع العدو اللعين عن الحجة الصحيحة الى اخرى

او صح منها الا الخلل في الحجة بل القصور الكافر في اختيار المعاندة ومحك من سدت بصائره
عن التحقيق بتضييع الوقت بلا فائدة تجدي الا بمقدار ما يكون من الامر فلا بد منه
او كالذي مر على قرية عطف على ما قبله والتقدير ارايت مثل الذي حاج او مثل الذي
عبر على قرية وهي بيت المقدس حين خربه بخت نصر او القرية التي خرج منها الالوف
او غيرهما والمار عزير او الخضر او كافر بالبعث وهي خاوية على عروشها اي خالية
مع بقاء عروشها او ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى في محل النصب على
الظرفية بمعنى متى او على الحالية بمعنى كيف يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور
عن معرفة طريق احياء اهلها واستعظاما لقدرة المحيي لها ان كان القائل مؤمنا
واستبعادا ان كان كافرا فاماته الله فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه اي اقامه
حيا وذلك انه مر بهذه القرية على حمار ومعه ركوة عصير او شكوة لبن وسلة عنب
او تين فربط حماره واستبعد ان يعمر القرية بعد شدة خرابها فاراد الله ان يريه
آية في نفسه ليستيقن انه سبحانه قادر على احيائها واحياء اهلها فالقى عليه النوم ونزع
الله روحه مائة سنة عنه ثم احياه بعده قال الله او ملك كم لبثت اي كم
هنا وكم كنت قال لبثت يوما او بعض يوم على الترديد كقول الظان قال بل لبثت مائة عام
فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير كل منهما بمرور الزمان عليهما مائة
سنة ثم بين علامة مكثه بلى عظام حماره بعد ما اراه بقاء طعامه وشرابه مع
انهما اولى بالتغير من عظام حماره فقال وانظر الى حمارك كيف بليت عظامه وتفرق
نظامه ولنجعلك اي فعلنا ذلك لنجعلك آية للناس فانه رجع الى بلده شابا وكان
احفاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا انه احد بعث مائة سنة وانظر الى العظام
اي عظام حمارك كيف ننشزها اي نحييها وفي قراءة نافع والمكي والبصري بالراء
اي نبعثها ثم نكسوها لحما فلما تبين له اي ظهر امر الاحياء له وشاهده قال اعلم ان الله
على كل شيء قدير وفي قراءة حمزة والكسائي بصيغة الامر فالقائل الملك والمراد به
علم المشاهدة فان الخبر ليس كالمعاينة قال الاستاذ لم يكن ذلك سؤال جحد ولا
مقتضية جهل ولا دلالة شك في القدرة بل كان سؤال تعجب من كمال الحيرة واراد بهذه
المقالة زيادة اليقين وسؤال اليقين من الله والحيلة في رد الخواطر المشكلة دأب
المتوقفين ولذلك عذر الله سبحانه عزيرا في هذه المقالة حتى قرر عليه ما طلب فيه
زيادة اليقين وفي العرائس تعجبه في القدرة ليس لشك في القادر ولكنه لسكون الى طمر
ونقله من مقام الايمان الى مقام مشاهدة الحال وظهور البرهان وايضا خاض في بحر
الفكرة لطلب در المعرفة والفرق بين سؤال ابراهيم وسؤال عزير عليهما السلام
ان ابراهيم كان في محل التمكين فاراه الله تعالى مشاهدة القدرة في غيره وعزير في محل
التلوين فاراه مشاهدة القدرة في نفسه حتى باشر قلبه نور الصفات ويصير

محلا

محلا في محل التمكين وايضا مقام الخليل مقام الانبساط ومقام عزير مقام التحير فانبسط
الخليل وسأل مشاهدة الصفات في لباس الآيات فاراه ما سأله في غيره لانه مملو من
انوار القدرة فيطلب مزيدا على حاله وتعجب عزير من غاية تحيره في اسرار الربوبية فاراه
الآية في نفسه تأديبا له لان اهل الانبساط ليسوا بمؤاخذين كخليل الله وايضا سؤال
الخليل في طلب المشاهدة وتعجب عزير تحير في كمال القدرة وايضا بلغ الخليل مقام
كشف المغيبات في الحيوة وكشف له الملكوت لاجل اقتباسه نور مشاهدة الحق
في الآيات ولم يضطر الى ان يغيب روحه من الحواس حتى يرى صرف العين لانه في حال
الصحو ولم يبلغ عزير في ذلك الزمان مقام العيان فالجاه الله الى غيبته عن الصورة
بنعت الغشيان ليرى في حال غيبته مشاهدة الحق لانه في حال السكر فلما انتبه راى في صحوه
ما راى في سكره لكن ما راى في السكر وحال الغيبة مشاهدة الروح وما راى في الصحو مشاهدة
العيان وايضا مقام الخليل مقام ايجاد تجلي الصفات ومقام عزير مقام ايجاد تجلي
الافعال وقيل لان الخليل تلطف في السؤال فقال ربي وتعجب عزير في القدرة الا ترى
انه ختم قصته بكمال القدرة فقال اعلم ان الله على كل شيء قدير وختم قصة الخليل بالعزة
والحكمة فقال واعلم ان الله عزيز حكيم لان الخليل سال اظهار الحكمة ومشاهدة العزة وعزير
تعجب من القدرة فاجيب كل من حيث سأل وهذا القول نقله السلمي عن ابن عطا واذ قال
ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن باني قادر على الاحياء باعادة كقدرتي
على الايجاد من العدم ابتداء قال بلى آمنت ببيان البرهان ولكن سألت
الشهود الغيبي ليطمئن قلبي بزيادة العيان فاترقى من علم اليقين الى عين اليقين
قال فخذ اربعة من الطير فصرهن وفي قراءة حمزة بكسر الصاد اي املهن اليك
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا بسكون الزاي لغير شعبة ثم ادعهن يأتينك سعيا
اي ساعيات مسرعات واعلم ان الله عزيز لا يعجزه شيء عما يريده حكيم ذو حكمة
بالغة في كل ما يبدئه ويعيده قال القاضي وفيه اشارة الى ان من اراد احياء
نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها
ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية الشرع وكفى لك
شاهدا على فضل ابراهيم عليه السلام ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب
في السؤال انه سبحانه اراه ما اراد ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان
اماته مائة عام وفي تفسير السلمي قبل الطيور كانت طاوسا وبطا وغرابا وديكا والمعنى
ان الطاوس اشبه الطيور بزينة الدنيا والغراب احرص الطيور والبط اطلبهم
للرزق والديك اشدهم شهوة فكانه يقول اقطع عنك زينة الدنيا والمفاخرة
بها والحرص عليها وطلب الرزق فيها وامالة الشهود منها حتى تنال كمال حقيقة
الايمان فاذا سقطت عن نفسك هذه الخصال حليتك بصفتي في احياء الموتى

فادعهن يجبنك سعيا اليک لانک في ذلک الوقت فان عن صفاتک فاما دعوتهن
بصفتنا التي حليناک بها وقال الاستاذ قيل كان في طلب زيادة اليقين فاراد ان
يقرن حق اليقين بما كان له حاصلا من عين اليقين وقيل استجلب خطابه بهذه المقالة
حتى قال له الحق سبحانه اولم تؤمن قال بلى كنت اومن ولكن اشتقت الى قولک
لي اولم تؤمن فان بقولک اولم تؤمن يطمئن قلبي والمحب ابدا يجتهد ان يجد خطاب
حبيبه على اي وجه امكنه وقيل انه طلب رؤية الحق سبحانه ولكن بالرمز والاشارة
فمنع منها بالاشارة دون العبارة فقال ان الله عزيز حكيم وان موسى عليه السلام انما
سأل الرؤية جهرا فقال ارني فرد بالجهر صريحا فقال لن تراني وقيل لما قال ابراهيم عليه السلام
ارني كيف تحيي الموتى قيل له وارنا كيف تذبح لاجلي يعني اسمعيل مطالبة بمطالبة فلما وفى
بما طولب منه وفى الحق سبحانه بحكم ما طلب وفي العرائس سأل الخليل مشاهدة
الحق في لباس الخلق مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله اي مثل نفقتهم
في طريق الجنة كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والمعنى انه يضاعف
مثوبة النفقة بان يجعل الواحد سبعمائة ويجعلها كالحبة ينبت الله منها سبعمائة حبة
وهذا تمثيل لا يقتضي وقوعه ولا يجب وجوده مع انه قد يكون في الدخن والذرة وكذا في البر
في الاراضي المغلة والله يضاعف تلک المضاعفة المسطورة او زيادة على المضاعفة
المذكورة لمن يشاء بفضله ورحمته على حسب مراتب حال المنفق من اخلاصه وتعبه
ونيته والله واسع اي فضله على عباده عليم مطلع على نية عباده وافاد الاستاذ
ان الذين ينفقون اموالهم فالخلف لهم الجنة والذين يبذلون ارواحهم فالخلف
عنهم الحق سبحانه فشتان بين خلف وبين خلف من انفق ماله وجد مثوبته ومن
انفق حاله وجد قربته فانفاق المال في سبيله بالصدقة وانفاق الاحوال في سبيله
بالصدق فالعابدون اذا انفقوا حبة ضاعف لهم سبعين الى سبعمائة الى اضعاف
كثيرة والواجدون اذا بذلوا فكما قيل فلا حسن نأتي به يقبلونه ولا ان اسأنا كان عندهم محو
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله اي يصرفون في طرق رضاه ثم لا يتبعون
ما انفقوا منا اي امتنانا على الفقير باعتداد احسانه اليه ولا اذى بذكر اعطائه
لمن لا يحب المسكين اطلاعه عليه لهم اجرهم اي ثوابهم المضاعف ثابت عند ربهم
ولا خوف عليهم بلحوق عقاب ولا هم يحزنون بفوات ثواب وافاد الاستاذ
ان المن شهود ما تفعله والاذى تذكيرک لمن احسنت اليه احسانک ويقال ينفقون
ما ينفقون ثم لا يشهدون البتة افعالهم ولا اعمالهم ويقال كيف يمنون بشيء يستقذرونه
ويستحقرونه ويقال لا يمنون بفعلهم بل يشهدون المنة لله بتوفيق ذلک عليهم قول معروف
اي رد جميل على السائل بالعدة او الدعاء ومغفرة اي وتجاوز عن الحاجة في سؤال
العطاء خير من صدقة يتبعها اذى اي من منة او تعيير على الفقراء والله غني

عن صدقة

عن صدقة متبوعة بالمنة والاذية حليم عن معالجة من يخالفه بالعقوبة وافاد الاستاذ
ان قول الفقير المجرد برد من يوص له باظهار العذر خير واتم من صدقة المعجب بفعله
وما يتبعه من الزام المنة فيه ويقال اقرار منكسر مع الله بعز لک وحزنک وعفوان الله
لک على قولک خير من صدقة بالمن مشوبة وبالاذى مصحوبة يا ايها الذين آمنوا
لا تبطلوا صدقاتكم اي مثوبات نفقاتكم بالمن والاذى وسائر محبطاتكم كالذي
ينفق ماله رئاء الناس اي كابطال الذي يرائي الخلق بالانفاق ولا يؤمن بالله
واليوم الآخر اي والحال انه لا يظهر الايمان الا على وجه النفاق فمثله اي مثل
المرائي في انفاقه كمثل صفوان اي حجر املس عليه تراب غبار كثير فاصابه وابل
مطر غزير فتركه اي الله او الوابل صلدا براقا نقيا كذلک اعمال المرائي يضمحل
وقت نزول الرحمة الموجبة لاهل الطاعة وان ظهر له عمل عند نفسه وسائر الخليقة لا يقدرون
اي المراؤن على شيء مما كسبوا اي على تحصيل ثواب شيء مما عملوا والله لا يهدي
القوم الكافرين للتوفيق الى العبادة المقبولة في الدنيا المقتضية للمثوبة في العقبى
وقال الاستاذ انما يجمل تحمل المنة من الحق سبحانه فاما من الخلق فليس لاحد على
غيره منة فان تحمل المنن من المخلوقين اعظم محنة وشهود المنة من الله اعظم
نعمة قال قائلهم ليس اجلالک الكبار بذل انما الذل ان تجل الصغارا ويقال افقر
الخلق من ظن بنفسه موسرا فيتبين له افلاسه كذلک اقل الخلق قدرا من ظن انه على شيء
فيبدو من الله ما لم يكن يحتسبه وفي العرائس المن تعزز البشرية على الجبرية واستكبار
الحدث على الكبرياء القديم والاذى ازدراء الفقير عند العطاء بالمسؤل وايضا المن
تذكر الحدث ونسيان القدم لان المنان اذا من على احد فقد نسي الله عنه تذكر
نفسه وهذا نوع من الشرک والاذى البذل بنعت البخل والرمي بالعين الى الفقراء
على جهة تعظيم نفسه ورؤية شرفه عليهم وايضا المن شهود الافعال والاذى
النماس الاعواض ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله لاجل طلب رضاه
وتثبيتا من انفسهم اي وليقينهم وتصديقهم من اصل انفسهم ان الله سيجزيهم
على انفاقهم وسائر اعمالهم او تثبيتهم بوضع صدقاتهم عند ارباب حاجاتهم
والحاصل ان مثل نفقة هؤلاء في الزكاء والنماء كمثل جنة بربوة بالفتح للشامي
وعاصم وقرئ بالكسر اي كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن
منظرا واكثر ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها بضمتين لغير الحرمي
والبصري اي فاعطت صاحبها ثمرها ضعفين اي حال كونها مثلي ما كانت
تثمر غيرها من البساتين فان لم يصبها وابل فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها
لارتفاع مكانها وهو المطر الضعيف والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية متزايدة عند الله
تعالى لا تضيع بحال من احوالهم وان كانت تتفاوت بقدر ما ينضم اليها من

انفاقهم والحاصل ان صدقاتهم زكت قلت النفقة او كثرت كما ان تلك الجنة اثمرت
صفرت اقطار الامطار او كبرت والله بما تعملون بصير تحذير عن رياء
الخلق وترغيب فى اخلاص الحق ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل
واعناب وسائر الاشجار والاثمار تجرى من تحتها الانهار له فيها من
كل الثمرات اى المنافع الكثيرات واصابه الكبر اى وقد لحقه كبر السن وضعف
عن الكسب وله ذرية ضعفاء صغار عجزة عن تحصيل النفقة فان الفاقة والعلة
اصعب فى الشيخوخة فاصابها اعصار ريح عاصفة منعكسة من السفل الى
العلو مستديرة فيه نار لا يدفعها درهم ولا دينار فاحترقت اى جنته فى تلك
الحالة والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها من الاعمال السيئة
فى الاسف والحسرة اذا كان يوم القيمة واشتد حاجته الى المثوبة فوجدها محبطة
بحال من هذا شانه فى الكيفية وكذا من حال سره فى عالم الملكوت وترقى بفكره
الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه بالنظر الى الخلق والالتفات الى ما سوى الحق
كذلك يبين الله لكم الايات المشتملة على العبارات والاشارات لعلكم
تتفكرون اى تتاملون فيها وتعتبرون بها وافاد الاستاد ان هذه آيات كثيرة
ذكرها الله على جهة ضرب المثل للمخلص والمنافق ولمن انفق فى سبيل الله ولمن
انفق ماله فى الباطل فهؤلاء يحصل لهم الشرف والخلف وهؤلاء لا يحصل لهم
فى الحال الا السرف وفى المال الا التلف وهؤلاء ظل سعيهم مشكورا وهؤلاء يدعون ثبورا
ويصلون سعيرا هؤلاء يزكوا اعمالهم وينموا اموالهم ويعلو عند الله احوالهم ويكون
بالوصلة مآلهم وهؤلاء حبطت اعمالهم وخسرت احوالهم وختم بالسوء اعمالهم
وتضاعف عليهم وبالهم ويقال مثل هؤلاء كالذى انبت زرعا فزكا اصله ونمى
فضله وعلا فرعه وكثر نفعه ومثل هؤلاء كالذى خسرت صفقته وسرقت بضاعته
وضاعت على كبره عيلته وتواترت من كل وجه بليته وفى كل وقت محنته هل يستويان
مثلا او يتقاربان شبها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات
ما كسبتم اى حلالاته او مستلذاته ومما اخرجنا لكم من الارض من الحبوب
والثمرات وسائر الخضروات التى فيها الصدقات ولا تيمموا الخبيث
منه اى لا تقصدوا الردى مما لكم تنفقون اى حال كونكم تتصدقون
من مالكم ولستم بآخذيه اى وحالكم انكم لا تاخذونه فى حقوقكم الا ان تغمضوا فيه
اى الا باغماض وتساهل منكم وفيه ايماء الى ان الفقراء شركاء الاغنياء واعلموا
ان الله غنى عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله منكم واثابته
عليكم وقال الاستاذ لينظر كل واحد ما الذى ينفقه لاجل نفسه وما الذى يخرجه
بامر ربه الذى يخرج عليك من ديوانك فما كان لحظك فنفائس ملكك وما كان

ربك

ربك محاسب مالك الذى لله فلقمة لقمة والذى لاجلك فاكثر ما فيه واجملها
نعمة ثم ابصر كيف يستر عليك بل كيف يقبله منك بل ابصر كيف يوضحك عليه بل ابصر
كيف يمدحك به بل ابصر كيف ينسبه اليك الكل منه فضلا لكنه ينسبه اليك فعلا ثم
يولى عليك عطاء ويسمى العطاء جزاء يوسعك بتوفيقه ثم انهم بلاء العالم منك شكرا
الشيطان يعدكم الفقر اى يخوفكم بقولان الجود يفقر فى آخره ويامركم بالفحشاء
بالخصلة الفاحشة فى القبح من نحو البخل والرياء والله يعدكم مغفرة منه
اى مغفرة لذنوبكم من اجل انفاقكم وفضلا اى خلفا افضل مما انفقتم فى الدنيا
والاخرى والله واسع اى واسع الفضل فى حقكم عليم بافعالكم واحوالكم
وافاد الاستاد ان الشيطان يعد الفقر لفقره والله يعد المغفرة بكرمه ويامركم
بالفحشاء اى بالرغبة فى الدنيا اى بالاسباب التى تقوى الحرص عليها او بكثرة
الامل وقلة العمل او بنسيان القناعة وحرمان الطاعة او بمتابعة الشهوات
وملاحظة الحظوظ والشهوات ويقال بالرجوع الى ما تركه لله او باخطار شئ مما سوى
والفضل الموعود فى العاجل القناعة وفى الاجل المثوبة والرؤية والعفو والغفران
والجنان والرضوان يؤتى الحكمة اى علم الكتاب والسنة او تحقيق العلم واتقان
العمل او النبوة والولاية وقيل الحكمة مشاهدة حكمة الحكيم فى جميع الاحكام والاقضية
يبعث الاتقان والاحكام من يشاء من الفرقة الناجية الفاخرة ومن يؤت
الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا جامعا لخيرى الدنيا والآخرة وما يذكر اى وما يتعظ
بما فى هذا الكتاب الا اولوا الالباب اى ارباب العقول السليمة المهتدية
الى صوب الصواب وافاد الاستاذ ان الحكمة ان تحكم عليك خاطر الحق لا دواعى
النفس ودواعى الخلق او الحكمة هى الموافقة كما ان السفه هو المخالفة او الحكمة
شهود الحق والسفه شهود الخلق وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة
سرا او علانية فى طاعة او معصية او نذرتم من نذر بشرط او غيره من فعل او امر
فان الله يعلمه فيجازيكم عليه بقدر اخلاصكم لديه وما للظالمين اى الواضعين
الاموال فى غير موضعه بارتكاب المعصية من انصار يدفعونهم ويمنعونهم من العقوبة
والجمع للمقابلة قال الاستاذ قوم توعدهم بعقوبته وآخرون توعدهم بعلمه
فهؤلاء العوام وهؤلاء الخواص ولا شئ يوجب سقوط العبد من عين الله
كمخالفته بجهوده معه بقلبه فليحذر المريد غاية الحذر عن اذلال نفسه ان تبدوا
الصدقات اى تظهروها وتعلنوها فنعما هى اى نعم شيئا ابداؤها وان تخفوها
وتؤتوها الفقراء اى تعطوهم اياها مع اخفائها فهو خير لكم لانه ابعد من
لحوق السمعة والرياء بها ويكفر اى الله وفى قراءة غير الشامى وحفص ونكفر
بالنون وجزمها نافع وحمزة والكسائى اى ونمحو عنكم من سيئاتكم وهى الصغائر

ويحتمل الكبائر فمن تبعيضية لا زائدة مؤكدة قال الاستاد ان ظهرت صحبتك معنا علمت
فلقد جودت واحسنت وان حفظت سرنا عن دخول الوسائط بيننا صفت شروط
الوداد وتشيدت مبانى الوصلة المعاد ليس عليك هداهم اى هداية العباد وانما عليك
تبليغ الارشاد بتبيان طرق الرشاد ولكن الله يهدى اى هداية موصلة لصلة الوصلة
من يشاء اى على وفق ما تعلق به المشية وروى انه صلى الله عليه وسلم كان لا يأمر بالتصدق
الا على المسلمين حتى نزلت ليس عليك هداهم فامر بالصدقة بعده على كل سائل من اهل كل
دين وافاد الاستاد ان لك المقام المحمود واللواء المعقود والرتب العلية والمنازل البهية
والاسرار المرضية وانت سيد الاولين وسيد الآخرين ولا احد يدانيك فضلا من ان يساويك
ولكن الهداية من خصايص حقنا نخصها من نشاء من عبادنا يا محمد انت تدعوهم ولكن
نهديهم وما تنفقوا من خير اى نفقة معروفة فلانفسكم فهو لها لا يتعداها وما تنفقون
خبر محقق للخواص من الامة المنزهين عن الرياء والسمعة او نفى فى معنى النهى للمبالغة اى ولا
تنفقوا الا ابتغاء وجه الله اى لطلب رضاه من غير نظر الى سواه وما تنفقوا من خير
يوف اليكم يوفر ثوابه ويعود نفعه عليكم وانتم لا تظلمون اى لا تنقصون شيئا من ثواب
اعمالكم للفقراء اى اعمدوا فى صدقاتكم واقصدوا فى مصادقتكم للفقراء الصادقين الذين
احصروا فى سبيل الله احصرهم الجهاد وحبسهم التعلم والاجتهاد عن كسب البلاد
ومنهم اصحاب الصفة الذين انقطعوا عن الخلق بالكلية وافاد الاستاد ان
معناه وقفوا على حكم الله فاحصروا نفوسهم على طاعته وقلوبهم على معرفته
وارواحهم على محبته واسرارهم على رؤيته لا يستطيعون لاشتغالهم بامر
مولاهم فى تحسين احوالهم ضربا فى الارض اى ذهابا فيها لكسب اموالهم وقال
الاستاد اخذ عليهم سلطان الحقيقة كل طريق فلا لهم فى الشرق مذهب ولا فى
الغرب مضرب كيف ما نظروا راوا سرادقات التوحيد محيطة بهم كان فجاج
الارض ضاقت برحبها على فاتزداد طولا ولا عرضا فلا يسلم لهم نفس واحد مع
الخلق وانى بذلك ولا خلق واذا لم يكن فاثبات ما ليس بشرك فى التوحيد والفقر
الصادق مع الله لله بالله لا اشراف لا جانب عليهم ولا سبيل لمخلوق
اليهم يحسبهم فى عين الاغيار فى لبسة سوى ما هم به من الاسرار يحسبهم بفتح
السين الشامى وحمزة وعاصم اى يظنهم ويتوهمهم الجاهل اغنياء من التعفف
اى من اجل تعففهم عن سؤال مخلوق مثلهم قال الاستاد فاما من كان عالما محرما
فلا اشكال عليه فى شئ من احوالهم تعرفهم اى يا محمد بالاصالة وغيرك بالتبعية
على وجه الفراسة بسيماهم من ضعف ابدانهم وتغير الوانهم ورثاثة احوالهم وافاد
الاستاد ان تلك السيماء ليست مما يلوح للبصر تلك سيما تدركها البصيرة لا اثر
عليهم الا نور الاحدية وظهور الصمدية ويقال تعرفهم باستبشار قلوبهم عند انكسار

نفوسهم

نفوسهم فصباح اسرارهم الى الوحش نشاطا عند ذبول ظاهرهم عن الانتعاش ويقال بكسر
الظاهر عند تكسر الباطن وبالعكس من هذه لا يسألون الناس الحافا اى الحاحا فاذا كان
عندهم غداء لم يسألوا عشاء واذا كان عندهم عشاء لم يسألوا غداء او المراد نفى القيد والمقيد
اى لا يسألون الخلق اصلا وانما يطلبون من الله رزقا وفضلا قال الاستاد فان جرى منهم
من الخلق بدون الالحاف سؤال كما يشير اليه دليل الخطاب فذلك صيانة لهم وستر لقصتهم
لئلا يلحظهم الخلق بعين السؤال من الاحتقار وليس على سترهم ذرة من الاثبات للاغيار
وفى تفسير السلمى قيل الذين وقفوا مع الله بهممهم فلم يرجعوا منه الى غيره الا يتحركون لطلب
الرزق تعرفهم بطيب قلوبهم وحسن حالهم وبشاشة وجوههم قال جنيد كلت
السنتهم عن سؤال من يملك الاملاك فكيف عمن لا يملكها الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية كعلى كرم الله وجهه حيث لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق
بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية فلهم اجرهم عند ربهم على اعمالهم
ولا خوف عليهم فى مآلهم ولا هم يحزنون فى حال من احوالهم الذين ياكلون الربوا
اى ياخذونه ويعاملونه فنبه باكله على غيره ولانه معظم انتفاعه لا يقومون من قبورهم
الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان اى الا قياما كقيام الذى يصرعه من المس
اى من مس الشيطان له المورث لجنونه ذلك العقاب بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا
وعكس القضية للمبالغة القياسية واحل الله البيع وحرم الربوا انكار للتسوية وابطال
للقياس مع النصوص المقوية فمن جاءه موعظة من ربه اى بلغه وعظ من المولى
وزجر بالنهى عن الربوا فانتهى اى تبع النهى واتعظ به فله اى حال وصول الشرع
اليه ونهيه عنه ما سلف اى ما تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وامره الى الله
بان يوفقه بالتوبة او يخذله بالعود الى المعصية ومن عاد الى تحليل الربوا وغيره من الامور
المنهية فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وافاد الاستاد من اعرض عن الامر
ورخص لنفسه بما يسول له خاطره من التأويل فلا استقلال لهم فى الحال ولا انتعاش
فى المآل خسروا فى عاجلهم ولم يربحوا فى آجلهم فمن انتبه بزواجر الوعظ وكبح بلجام الهوى
ولم يطلق عنان الاصرار فله الامهال فى الحال فان عاد الى مذموم تلك الاحوال فلينتظر وشيك
الاستيصال وفجأة النكال يمحق الله الربوا اى يذهب بركته وينقص الاموال التى دخل فيها
ويربى الصدقات يكثرها وينميها وافاد الاستاد ان ما كان باذن منه سبحانه من
التصرفات لمقرون بالخيرات مصحوب بالبركات وما كان بمتابعة الهوى والشيطان
يسلط عليه المحق والنقصان وكان عاقبة امره الخسران والله لا يحب لا يرضى وحكمه
كل كفار مصر على تحليله اثيم فاجر باخذه واكله ان الذين آمنوا اى بالله ورسله
وبما جاءهم من قبله وعملوا الصالحات اى الطاعات الباقيات واقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة اى قاموا بالعبادات البدنية والطاعات المالية وخصا بالذكر لانهما

واصالتها لهم اجرهم عند ربهم من المثوبات ولا خوف عليهم من آت ولا هم
يحزنون على ما فات وافاد الاستاد ان الذين كانوا انما يكفيهم ما يجدون منا
فانا لا نضيع اجر من احسن عملا او رجا من فضلنا املا يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
اى دوموا على تقواه وذروا ما بقى من الربوا اى اتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا
ان كنتم مؤمنين اى ان ايمانكم موقنين وافاد الاستاد ان الاكتفاء بموعود ربه خير للمسلم
من تعليق قلبه بمقصود لكنه مقصود كسه من تسويلات النفس وعادات الخلق وموعوده
ما ضمنه الحق فان لم تفعلوا اى ترك ما بقى من رباكم فأذنوا وفى قراءة شعبة بالمد والكسر
اى فاعلموا بانفسكم ثم اعلموا غيركم بحرب اى بقتال عظيم مبتدأ من الله
ورسوله لكم وافاد الاستاد ان صاحب الاصرار ليس له عندنا وزن ولا
مقدار ولا قدر ولا خطار وان تبتم من افعالكم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون
باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والمنقصة وان كان ذو عسرة
اى ان وقع غريم صاحب عسرة من شدة فاقة وحاجة فنظرة اى فعليكم
انتظار وتأخير فى المطالبة الى ميسرة بفتح السين لغير نافع اى تيسر
يسار بعد عسار وان تصدقوا بالتخفيف لعاصم اى وان تتصدقوا بالابراء
ووضع الاوزار خير لكم اكثر ثوابا من الانتظار من الاعسار الى الايسار
مع ان البراءة سنة والنظر فريضة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل
والاجر الجزيل وقال الاستاد اذا تقرر عند القاضى افلاس المحبوس وفقره فلا
يحل له استدامة حبسه وان لم يظهر لذى الحق حجة المفلس مرتهن بحق خصمه
ولكنه فى امهال وانتظار من ربه لا يحكم بهذا علينا ثم مع علمه باعسارنا وعجزنا
لديه وصدق افتقارنا اليه وانقطاعنا عن غيره عليه الا يرحمنا ولا سيما
مع انه امرنا بالتصدق فى ابرائنا وفى العرائس ادب قوما بتأديبه فى كرمه ورحمته على
المعسرين من الطاعة والمكثرين من المعصية وهذا اخبار عن غاية شفقته على عباده
اذ امر بعضهم ان يمهل بعضنا فى واجب حقوقهم اشار بهذا ان حقيقة المحقوق له
يهب بفضله ما قصروا فى واجب امره وايضا رمز لاصحاب المعانى فى هذه الآية
اى ان كان اهل المعرفة فى عسر من المشاهدة وكشف القربة فلا تطالبوهم باثقال
المعاملات والتماس الكرامات الى ميسرة الكشوف وبروز انوار الحضرة
فى قلوبهم لان للعارف مقامين الاول هو القبض والثانى هو البسط فاذا
كان فى القبض فهو فى هبوط الهجران وهو عسر ظاهر ولا يؤدى فى ذلك المقام حق
الحقيقة واذا كان فى مقام البسط فهو فى رجاء التوحيد ويطيق ان يؤدى ما وجب
عليه من حق الطريقة لانه فى ذلك الحال يلتبس بانوار الربوبية ويتهيأ له ما يريد
كما وصف الله تعالى انبياءه واولياءه فى حال انبساطهم وبسطهم مثل عيسى عليه السلام

واتقوا

واتقوا يوما اى يوم القيمة او يوم الموت او حساب يوم او عذاب وقت
ترجعون بصيغة المجهول لغير البصرى او تردون او تصيرون فيه الى الله اى حكمه
وامره فتاهبوا المصيرة ثم توفى كل نفس ما كسبت اى جزاء ما كسبت من اعمال سبقت
واحوال سلفت وهم لا يظلمون بتنقيص ثواب ولا بتضعيف عقاب روى انها
آخر آية نزل بها جبرائيل عليه السلام وقال ضعها فى رأس المأتين والثمانين من البقرة
وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل سبعة ايام وقيل
ثلث ساعات قال الواسطى هذا ترهيب للعام فاما للخاص فقوله واياى فاتقون
وافاد الاستاد ان الرجوع على ضربين بالابشار والنفوس عند توفى الانفس
وبالاسرار والقلوب فى كل نفس انفس ومحاسبة تقدد وعد فقد مطالبة ادق
ما يحاسبون فى القيمة من وعده وفى العرائس اى خافوا يوم الفصل من الوقوف
مقام الجبار والخجلة بين يدى ملك يمنع المستدرجين عن مشاهدته ويعاتب اولياءه
بالخطرات والاشارات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين اى تعاملتم بسلف
مغيا الى اجل مسمى اى زمن محدود معلوم فاكتبوه لانه اوثق للمطالبة وادفع
للمنازعة والجمهور على استحباب الكتابة وليكتب بينكم اى بين المستدين والمدين
كاتب بالعدل اى من يكتب بالسوية لا بزيادة ولا منقصة ولا يأب كاتب
ان يكتب اى لا يمتنع من ذلك اذا امر كما علمه الله اى مثل ما علمه من كتبة
الوثائق والمعنى انه لا يأب ان ينفعه للناس بكتابته كما نفعه بتعليمها كقوله تعالى
واحسن كما احسن الله اليك فليكتب امرها بعد النهى عن ابائها تأكيدا
فى شأنها وليملل الذى عليه الحق اى وليكن الملى من عليه الحق على طريق الصدق
وليتق الله ربه اى كل من الملى والكاتب عذابه ولا يبخس منه شيئا اى لا ينقص
من الحق شيئا ولو قليلا فان كان الذى عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا
محجورا او ضعيفا صبيا او مجنونا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او
غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس فى لسانه او جهل باللغة فى بيانه فليملل وليه
اى متولى امره من وصيه او وكيله او مترجمه بالعدل اى بالصدق والحق واستشهدوا
شهيدين اى اطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم اى من رجال
المسلمين اذا كانت المعاملة فيما بينهم كقرينة ان الخطاب فى صدر الآية
لهم فلا ينافى ما قاله امامنا ابو حنيفة من ان شهادة الكفار تسمع لبعضهم على
بعض منهم فان لم يكونا اى الشهيدان رجلين فرجل اى فيشهد رجل وامرأتان
وهذا المخصوص بالاموال عندنا فقية وبما عدا الحدود والقصاص عند الحنفية
ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر بالتخفيف
للمكى والبصرى احديهما الاخرى اى لاجل ان احديهما ان نسيت الشهادة ذكرتها

الاخرى وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وفى قراءة حمزة بكسران على الشرط
فتذكر بالرفع مع التشديد اذ الفاء مانعة من الجزم ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا للتحمل
الشهادة واداءها اذا تعينوا ومنه علم ان تحمل الشهادة فرض كفاية ثم ما بعد اذا فى الكلام
مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه اى ولا تملوا من كثرة المداينة بين الاصحاب ان تكتبوا الدين
او الحق او الكتاب صغيرا او كبيرا قليلا كان الحق او كثيرا الى اجله اى وقت حلوله ذلكم
اى الكتاب اقسط عند الله اعدل فى حكمه واقوم للشهادة اى اثبت لها واعون على
اقامتها وادنى ان لا ترتابوا واقرب فى ان لا تشكوا فى جنس الدين وقدره واجله
ونحوه الا ان تكون اى تقع تجارة حاضرة وفى قراءة عاصم بنصبها اى الا ان تكون المعاملة
تجارة حاضرة وهو استثناء من الامر بالكتابة اى الا ان تتبايعوا مبايعة ناجزة
وهذا معنى قوله تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها فلا بأس ان لا تكتبوها
لبعده عن النسيان والمنازعة واشهدوا اذا تبايعتم والاوامر فى هذه الآية
للاستحباب عند جمهور الائمة وكذا النواهى محمولة على الكراهة التنزيهية على خلاف فى
احكامها ونسخها ولا يضار يحتمل البنائين كاتب ولا شهيد فنهيهما على الاول عن ترك
الاجابة والتحريف بالنقصان والزيادة والنهى عن الضرار بهما بان يكلف الخروج
عما حد لهما وان تفعلوا الضرار وسائر ما نهيتم فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة
لاحق بكم واتقوا الله اى فى اوامره ونواهيه ويعلمكم الله اى احكامه المتضمنة لمصالحكم
والله بكل شئ عليم واظهار الجلالة فى مواضع اضمارها لانه ادخل فى التعظيم من الكناية
مع عدم الكلالة بتكرار الجلالة اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع وقد قيل
ان آية المداينة ارجى آية فى القرآن لانها دالة على غاية رحمة من الرحمن حيث امرهم فى المعاملة
الدنيوية مع انها ليست من الامور الدينية بما لا يتشوش عليهم من الاحوال العارضية والدنيوية
مع انه قد ورد ان الدنيا لو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة
وتوضيحه ما قاله الاستاذ امر الله سبحانه الخلق بالقيام بالصدق وعلمهم كيفية معاملاتهم
فيما بينهم بالحق والاخذ بالاحتياط والاستظهار لئلا يجرى من بعضهم على بعضهم حيف
فى المطالبة او الانكار وذلك من مقتضى رحمته سبحانه عليهم وموجب رفقه بهم لئلا
يتخاصموا فيما بينهم فامر بتحصين الحقوق بالاشهاد والكتابة وامر الشهود بالتحمل ثم بالاداء
ومن شرع اليوم ما ينقطع الخصومات به بينهم فبالحرى ان يجرى ما يرتفع فى الآخرة آثار
الحكومة عنهم وفى الخبر المنقول تواهبوا فيما بينكم فقد وهبت منكم مالى عليكم فان الكريم
اذا قدر غفر وفيما شرع من الدين مع ان الدين شين الدين روح لارباب الحاجات
لانه يمسه الحاجة فيحمله الحال على الاحتيال ويضيق به الصبر على الاحتمال ويمنعه حفظ
التجمل عن الكدية والسؤال فاذن له فى الاستدانة ليجبر امره فى الحال وينتظر فضل الله
فى المآل وقد وعد على الاداء المثوبة الكبرى وذلك كله من لطفه تعالى وان كنتم على سفر

اى على جناح

اى على جناح سفر يعنى مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان اى فعليكم او فالوثيقة رهان
مقبوضة من يد صاحب الحق وفى قراءة المكى والبصرى فرهن بضمتين وكلاهما جمع رهن
بمعنى مرهون فان امن بعضكم اى من الدائنين بعضا من المديونين واستغنى بالامانة
عن الارتهان والكتابة فليؤد الذى اؤتمن امانته اى دينه الذى بمنزلة الامانة وليتق الله
ربه فى الخيانة ولا تكتموا الشهادة فانها من جملة الامانة ومن يكتمها فانه اى الكاتم
آثم قلبه واسناد الاثم اليه لانه رئيس الاعضاء واشرف الاجزاء وكأنه قيل تمكن الاثم
فى نفسه وفاق سائر ذنوبه والله بما تعملون عليم وعد ووعيد وفى العرائس ولا تكتموا الشهادة
اى لا تكتموا ما اشهدكم الله من مقام اهل الولاية بان تجحدوا ذكرهم حسدا عليهم ومن يكتمها
يعنى ما خصهم الله به فانه آثم قلبه اى جزاء كتمانه قساوة قلبه واثم القلب الحسد باهل الولاية
وجزاء الحسد الطبع والختم وسواد الخاتمة لله ما فى السموات وما فى الارض ملكا وملكا قال
ابن عطاء الكونان هو مبدئهما من غير شئ سبقهما فمن اشتغل بهما قطعاه عن الله ومن
اقبل على الله وتركهما ملكهما الله اياه وقال صاحب العرائس اى لله خزائن ملكوت الكونين
واسرار غيب العالمين لا يكشفهما الا لخواص احبته من العلماء العاملين وان تبدوا ما فى
انفسكم او تخفوه من السوء والعزم عليه يحاسبكم به الله فى الدنيا بالمكروهات
او فى العقبى بالعقوبات وفى العرائس اى ان تظهروا ما فى قلوبكم من حقايق
المكاشفات والمخاطبات ليقتدى به اهل الارادة او تخفوا عجايب الغيب
التى ترى عيون الارواح المقدسة تورعا لئلا يفتتن بها اقوام من ضعفاء
المؤمنين لقلة فهمهم يحاسبكم الله بتمكين الظاهر بما اظهرتم حتى لا تفتتنوا به من
طرائق الرياء والسمعة وبيقين الباطن بما اخفيتم من الخلق اخلاصا وصدقا
لتذوقوا حلاوة صفاء الاخلاص فى كتمان الاسرار فيغفر لمن يشاء مغفرته
ويعذب من يشاء عقوبته وجزمهما عطفا على جواب الشرط وفى قراءة الشامى
وعاصم برفعهما على الاستيناف والله على كل شئ قدير من الاحياء والمحاسبة
والغفران والمعاقبة قال الواسطى من اراد الكون او المكون يحاسبه الله فيغفر
لمن اراد له الجنة ونعيمها الفضلة ويعذب من آثر الدنيا على الآخرة وقال الاستاذ
ان تبدوا ما فى انفسكم من المعاصى والدواعى او المقصود والرغائب وفنون الحوائج
والمطالب او ما تبديه العبادة وما تخفيه الارادة او ما تبديه السكنات والحركات
وما تخفيه الخطرات ويقال الاشارة فيه الى استدامة المراقبة واستصحاب
المحاسبة فلا تغفل خطرة ولا لحظة ولا تهمل وقتك نفسا ولا لمحة وفى العرائس
فيغفر لمن يشاء لمن يدفع خطرات الباطن ترغيبا ويعذب من يشاء
لمن يتبع هواه بدخوله فى الزلات تهذيبا آمن الرسول بما انزل اليه
من ربه والمؤمنون تنصيص من الله على صحة ايمانه وتخصيص للاعداء

بسنانه وتعنيه على كل حال اتباعه في اتباع تصديقه وبرهانه كل آمن بالله وملائكته
وكتبه وفي قراءة حمزة والكسائي كتابه على ارادة جنسه ورسله والترتيب باعتبار
حصوله وافرد ضميرا من للفظ كل لا نفرق بين احد من رسله اي بالتصديق والتكذيب
ملاينا في الفصل بالتفضيل والتقدير قالوا هذا القول وقالوا سمعنا ذلك
واطعنا امرك غفرانك اي نسألك غفرانك او اغفر لنا غفرانك ربنا
بحذف حرف النداء واليك المصير اي المرجع بعد الموت والفناء بالبعث
والجزاء والبقاء وقال الاستاد شهادة الحق سبحانه لنبيه عليه السلام
اتم من اخباره عن نفسه بشهادة الاسلام ويقال آمن الخلق كلهم من حيث
البرهان وامن الرسول بالعيان وفي العرائس ان الله قدس باطن رسوله
عليه السلام من شوائب النفسانية وخطوات الشيطانية وكحل عين سره
بنور الملكوت حتى تجلى بالصدق والاخلاص ما كشف له من عجائب الجبروت
ورأى بمصابيح القرآن اسرار الازل والابد وما جرى في بطنان الغيب وغيب
الغيب رؤية عيان وامن بها ايمان المشاهدة والعرفان ثم المؤمنون على قسمين
منهم العارفون والصادقون والمشاهدون والمقربون والمكاشفون المحدثون
والمحسنون والراضون والمتوكلون والمحبون والمريدون والمرادون كل شاهد وا بعض
ما شاهد الرسول عليه السلام ولولا ذلك لم يتبرعوا في بذل الارواح ومجاهدة
الاشباح لكن للنبي عليه السلام مشاهدة الصرف خاصة له بلا زحمة الخطرات
ولهم مشاهدة اليقين بوسائط الالتباس ممتحنين بالوساوس القسم الثاني
من المؤمنين هم الذين آمنوا ايمان الفطرة بارشاد العلم والعقل والبيان
والبرهان لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما يسعه من قدرتها بل وما دون
غاية طاقتها الا ما لا يملك دفعه من حديث النفس وخطواتها وفي العرائس لو
اظهر من جمال عز الازل صفة من صفاته لا يطيق الخلق ان يستقيموا عند
كشف ذرة منها لكن اواسيهم بلوائح التجلي بنعت الالتباس لئلا يفقدوا
مثل تجلي موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وايضا لا يكلف الله حق عبودية
نفوس اوليائه الا قدر ما يطيقون من جهة التقصير والضعف عند تحمل حقيقة
العبودية لان من حق الربوبية ان يذوب الارواح والاشباح في اول تكبيرة
كبروا تعظيما واجلالا وان الله تجلى ما اظهر للخلق من معرفة الا مقدار ما يعيشون
من جهلهم بربوبية ربهم ولو ايقنوا انهم في معزل من حقيقة العبودية وادراك
صرف الربوبية لماتوا حسرة على ما فاتوا لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت
من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعصيتها غيرها وفي العرائس لها ما كسبت
ارواحهم من مقاساة الهجران في دار الامتحان وعليها ما اكتسبت نفوسهم من جرائم

للخطرات

الخطرات عند مكاشفة الغيب للخفيات فيجازي الله النفوس في الدنيا بالذوب
في المجاهدات ويجازي الارواح في الآخرة لصرف المشاهدات ربنا لا تؤاخذنا
اي قولوا ذلك وهو تعليم للعباد من آداب الدعاء من تصديره بالنداء والثناء والمعنى
لا تحاسبنا ولا تعاقبنا ان نسينا بخلاف ما كان من قبلنا فانهم اذا نسوا شيئا
من الشريعة عجلت لهم العقوبة او اخطأنا اي بادى بنا الى نسيان او خطأ من تفريط
وقلة مبالاة فان النسيان والخطأ ليسا من الامور الاختيارية ثم هذان بالنسبة الى
الى الحقوق الالهية دون الآدمية وافاد الاستاد انه تعالى لا يلقنهم الدعاء في الدنيا
ثم يمنعهم الاجابة في الاخرى وفي العرائس لا نحتجب بك عنك ان نسيناك او خطأنا
بالالتفات الى غيرك ربنا ولا تحمل علينا اصرا اي امرا يثقل لدينا كما حملته على الذين
من قبلنا من قتل النفس وقطع موضع النجس وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف
ربع المال للزكوة وسائر ما اصابهم من الشدة والمحنة ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من
البلية او العقوبة او التكاليف التي لا تفي بها الطاقة فالدعاء به للاستعاذة وعبد اذا
بالبغة واعف عنا بمحو ذنوبنا واغفر لنا بستر ذنوبنا وارحمنا بالتعطف بنا والتفضل
علينا انت مولانا اي ناصرنا ومتولي امرنا فانصرنا على القوم الكافرين من الاعداء
الظاهرة والباطنة في امر الدين وقال الاستاد اعف عنا في الحال واغفر لنا في المآل
وارحمنا في جميع الاحوال اذ ليس لنا احد سواك فانت مولانا فاجعل النصرة على ما شغلنا
عنك وبذهلنا منك وفي العرائس واعف عنا قلة المعرفة بك واغفر لنا التقصير في
عبادتك وارحمنا بمواصلتك ومشاهدتك فانصرنا على القوم الكافرين هذا نجوى اهل
الامتحان من المكاشفين والمشاهدين اي نحن اسراء معرفتك وضعفاء محبتك فارحمنا
بتجلي العظمة حتى يقوى منك بك في تحمل العبودية وكشف الربوبية وانصرنا بمعاونة المعرفة
وجند حقائق الالهام عن منشاء الالوهية على القوم الكافرين اي على اوباش الطبيعة
حتى يهربوا عن ميادين معارفك بتأييد معرفتك ونستريح من تشويشهم في صرف
عبوديتك وطلب مشاهدة حضرتك سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان
بسم الله الرحمن الرحيم بينا من باسم ذاته ووسم صفاته كل بائن
في كل زمان ومكان وفي تكرار البسملة اشعار بان كل سورة في كل قضية وصورة
ما نزلت الا ناشئة عن عموم الرحمة الالهية الشاملة للعموم في الدنيا وللخصوص في
العقبى فتعم الآخرة والمؤمن العلماء اختلفوا في ان الله اسم مرتجل او مشتق
من اله بمعنى عبد فاله مصدر بمعنى معبود او من وله ثم ابدل واوه همزا بمعنى تحير فاله بمعنى
متحير فيه سبحان من تحير في ذاته سواه حتى تحير ارباب العقول في تحقيق اسمه
ايضا كما تحير الكل في مسماه وقيل من لاه بمعنى احتجب فلاه مصدر بمعنى الفاعل
اي محتجب عن الابصار في هذه الدار وعن مشاهدة الاغيار في جميع الاعصار واما

الاستاذ ان اهل التحقيق اختلفوا فی ان اسم الله هل هو مشتق من معنی ام لا فكثير
منهم قالوا انه ليس بمشتق من معنی وهو له سبحانه علی جهة الاختصاص تجری فی وصفه تجری
اسماء الاعلام فی صفة غيره فاذا قرع هذا اللفظ اسماع المعرفة لم يذهب فهو كهم لا علومهم
الی معنی غير وجوده سبحانه وحقه تحت هذه القالة ان تكون مقرونة بشهود القلب فی
كل حاله فاذا قال بلسانه الله او سمع باذنه الله شهد بقلبه الله وكما لا تدل هذه الكلمة علی
معنی سوی الله لا يكون مشهود قائله الا الله فيقول بلسانه الله ويعلم بفواده الله ويعرف
بقلبه الله ويحب بروحه الله ويشهد بسره الله ويتملق بظاهره بين يدی الله ويتحقق بسره
بالله ويتخلق باحواله لله وفی الله فلا يكون فيه نصيب لغير الله واذا اشرف علی ان
يصير محوا فی الله لله بالله يتداركه الحق سبحانه برحمته ويكاشفه بقوله
الرحمن الرحيم استبقاء لمهجتهم ان يتلف وارادة فی قلوبهم ان يبقی فيتلطف
سنة منه سبحانه ان لا يفنی اولياءه بالكلية الم اكثر ارباب العبارة علی ان
الحروف المقطعة فی اوايل السور لا يعلم دقائق مبناها وحقايق معناها غير
منزلها وعبروا عن ذلك بقولهم الله اعلم بمراده مع ان هذه العبارة لا تخلو
ايضا عن الاشارة وهو الله اعلم او الم بصيغة المتكلم وحده او بصيغة الامر
بمعنی انا اعلم فانت اعلم اتيانا ببعض الحروف ايماء واسقاطا لبعضها اكتفاء
ليكون من رموز المحبوب للاحباء علی وجه لا يشعر به الرقباء والاعداء وفی تفسير
السلمی قيل الالف من الاحدية واللام من اللطف والميم من الملك ومعناه ان من وحد
علی الحقيقة باسقاط العلائق والاعراض عن الاعواض تلطفت له واخرجته من رق العبودية
الی الملك الاعلی وهو الاتصال لمالك الملك دون الاشتغال بشیء من الملك وقال
الاستاذ اشارة بقوله الف الی قيامه بكفايتك علی عموم احوالك فانت في اسر الغفلة
لا تهتدی الی صلاحك ورشدك وهو مجبر ما يجبرك وكاف ما يضجرك فبغير سؤالك
بل بغير علمك بحالك يكفيك من حيث لا تشعر ويعطيك من غير ان تطلب والاشارة
من اللام الی لطفه بك فی خفی السر حتی انه لا يظهر عليك محل المنة فی مقام البر والاشارة
من الميم موافقة جريان القضاء بمتعلقات الطلبة من الاولياء فلا يتحرك فی العالم
شیء ولا يظهر فی الكون ذرة الا وهو بمحل الرضاء منهم حتی ان قائلا لو قال فی قوله
كل يوم هو فی شان ان ذلك الشان تحقيق مراد الاولياء لم يكن ذلك ببعيد عند ارباب
الاتباع ويقال تفرق عن القلوب باستماع هذه الحروف المقطعة التی هی خلاف عادة
الناس فی التخاطب كل معلوم ومرسوم ومعتاد وموهوم من ضرورة او حس او اجتهاد حتی
اذا خلا القلب عن الموهومات والمعلومات وصفا السر عن المعتادات والمعهودات يرد هذا الاسم
وهو قوله الله علی قلب مقدس عن كل غير وسر مصفی عن كل كيف لا اله الا هو
ای لا معبود بل لا موجود فی نظر ارباب الشهود الا الذات الواجب الوجود وصفاته

من الكرم

من الكرم والجود الحی القيوم ای الذی حيوته بذاته وقيامه بتدبير مصنوعاته علی
وفق صفاته سرمدا وقال الاستاذ هو الذی لا يلهو فيشغل عنك ولا يسهو فيبقی عنك
فهو عليم بعموم احوالك رقيب سرك ان خلوت فهو رقيبك وان توسطت الخلق فهو
قريبك وفی الجملة كيف ما دارت بك الاحوال فهو حبيبك وقال صاحب العرائس
الحی الذی لا يقاس حياته ببعد الاوهام ولا يدرك سرمدية ذاته بغوص فطر الانام وايضا
الحی الذی حياته الذی قام بها العالم واستنارت بنورها روح آدم والقيوم الذی
يبقی ببقائه اهل الفناء ويفنی بقهر قيوميته اهل البقاء نزل ای انزل الله منجما
مدرجا عليك الكتاب بالحق ای بالصدق والصواب ليقع فيه كثرة الخطاب
ويسع السؤال والجواب ويكون الرسول والمرسل اليهم دائما فی انتظار الوحی الربانی
وفی التوجه الی نزول السفير السبحانی وهو اشتغال بالحق لما ورد ان انتظار
العبادة عبادة بخلاف ما لو نزل جملة واحدة فانه ما كان حينئذ مراجعة ولا مراودة
بل كان ياسا وانقطاعا عن ذلك بالكلية قال الاستاذ وما كنت يا محمد تدری ما الكتاب
ولا قصة الاحباب ولكن صادفك اختيار ازلی واصطفاء اولی فالقاك فی امر عجيب
شانه جليل برهانه عزيز محله ومكانه مصدقا لما بين يديه ای موافقا لما تقدمه من الكتب
ومطابقا لما سبق به الرسل وقال الاستاذ محققا لموعوده لك فی الكتب علی السنة
الرسل عليهم السلام وانزل ای جملة مكملة التورية والانجيل ای علی موسی وعيسی
عليهما السلام من قبل ای قبل القرآن هدی للناس ای الموجودين فی ذلك
الزمان وهو حال من كل من المفعولين مجازا او من الفاعل حقيقة وانزل الفرقان
ای ما فرق به بين الحق والباطل من التبيان والمراد به جميع الكتب المنزلة علی الامم
فی سائر الاديان فهو تعميم بعد تخصيص لمزيد البرهان وقال الاستاذ ای انا وان
انزلنا قبلك كتبا علی المرسلين فما خلينا كتابا من ذكرك قال قائلهم شعر
فعندی لاحبابی الغائبين صحائف ذكرك عنوانها وكما تممنا بك انوار
الانبياء زينا بذكرك جميع ما انزلنا من الذكر والانباء ان الذين كفروا ای انكروا
الحق او ستروا وجحدوا بآيات الله ای من كتبه وانبيائه ومعجزات انبيائه
وكرامات اصفيائه لهم عذاب شديد وحجاب اكيد والله عزيز
ای ذو عزة وغلبة علی اوليائه ذو انتقام ای ذو عقوبة ونقمة من اعدائه
قال الاستاذ عزيز يطلبه كل احد ولكن لا يجده كثير عدد ان الله لا يخفی عليه
شیء من الاخفاء فی الارض ولا فی السماء افاد الاستاذ انه لا يتنفس عبد
نفسا الا والله سبحانه محصيه ولا يحصل فی السماء والارض ذرة الا وهو سبحانه
مجريه ومبديه ولا يكون احد بوصف ولا نعت الا وهو متوليه هذا علی العموم واما
علی الخصوص فلا يرفع احد بوصف ولا نعت اليه حاجة الا وهو قاضيها ولا يراجعه

احد فی منازله الا وهو کائن فیها هو الذی یصورکم فی الارحام ای ارحام الامهات
کیف یشاء من انواع التصویرات وفی تفسیر السلمی قیل یصور کل احد منکم
عالما به وبصفاته وباوامره وسائر حالاته لئن لم یصحبه حزن ما قدر علیه فی وقت
تصویره من الشقاوة والسعادة فهو الجاهل والامن مکره المقتضی ابعاده وقال
الاستاذ هذا فی لا یزال من حیث الخلقة وهو الذی قدر احوالکم فی الازل کیف
یشاء وهذا فیما لم یزل من حیث القضاء والقسمة لا اله الا هو اذ لا یعلم غیره ما
یعلمه ولا یقدر علی مثل ما یفعله وافاد الاستاذ انه لا اله الا هو فیتعقب حکمه
بالنقض او یعارض تقدیره بالاهمال والرفض العزیز الحکیم ایماء الی غایة
قدرته ونهایة حکمته هو الذی انزل علیک الکتاب ای جملة القرآن باحسن
الخطاب منه آیات محکمات ای بعضه دلالات محکمة العبارات محفوظة
من نشأة الاحتمالات هن ام الکتاب ای تلک الآیات اصل الخطاب
الذی یرجع الیه ویتفرع علیه بقیة آیات الکتاب واحکام الابواب وفی افراد
الام ایماء الی ان الکل بمنزلة آیة واحدة فی هذا الباب واخر متشابهات
ای وبعضه آیات آخر اشارات محتملات لا یتضح مقصودها الا بالاجتهاد
فی تدبر مبانیها وتفکر معانیها لیحصل المطابقة بین متشابهاتها ومحکماتها او
لیظهر العجز عن ادراک کنه حقائقها ودقائقها فی بعض دلالاتها ولا ینافی هذا
التقسیم قوله تعالی کتاب احکمت آیاته فان معناه انها حفظت من کساد المبنی
وفساد المعنی ولا قوله سبحانه کتابا متشابها اذ المراد انه یشبه بعضها بعضا فی
غایة الفصاحة ونهایة البلاغة فاما الذین فی قلوبهم زیغ ای میل وعدول عن
الحق کالمبتدعة من المجسمة والمعطلة والمتعمقة بالشک والشبهة فیتبعون
ما تشابه منه فیتعلقون بظاهره المنافی للمحکمات او بتأویل باطل یکون من
الممتنعات ابتغاء الفتنة لاجل طلب افتتان الناس عن دینهم بالتشکیک
والتلبیس المقتضی للغوایة عن یقینهم وابتغاء تأویله ولقصد طلب تأویله
علی ما یشتهونه ویبنون مذاهبهم الباطلة علیها ولارادة حقیقته وما یؤول امره
الیه وما یعلم تأویله الذی یجب ان یحمل علیه الا الله اکثر القراء والعلماء ذهبوا
الی الوقف علی الجلالة وان قوله والراسخون فی العلم مبتدأ خبره یقولون آمنا به
ویؤیده قوله سبحانه اخبارا عنهم کل من عند ربنا ای کل من المحکم والمتشابه من عنده
مولانا وما لنا الا الایمان بانه من کلامه والعجز عن ادراک مرامه ویؤیده قراءة ابن مسعود
وان تأویله الا عند الله وکذا قراءة ابن عباس ویقول الراسخون فی العلم آمنا به کما
اخرجه سعید بن منصور عنه باسناد صحیح عن عائشة انها قالت فی قوله تعالی والراسخون
انتهی علمهم الی ان آمنوا بمتشابهه ولم یعلموا تأویله وفی صحیح البخاری عن عائشة انه علیه

تلا هذه

تلا هذه الآیة وقال فاذا رأیت الذین یتبعون ما تشابه منه فاولئک الذین سمی الله
فاحذروهم واخرج ابن ابی حاتم ان رسول الله صلی الله علیه وسلم سئل عن الراسخین فی العلم
فقال من برت یمینه وصدق لسانه واستقام قلبه وعف بطنه وفرجه فذلک من الراسخین
فی العلم وبعضهم ذهبوا الی ان الواو للعطف وجملة یقولون استئنافیة بیانیة ویقویه
قوله وما یذکر ای ما یتذکر مقصود الخطاب من الکتاب الا اولوا الالباب والتحقیق
ان بعض الآیات المتشابهات لا یعلم حقیقة معناها احد الا الله وبعضها یعلم معناه
الثابتون فی العلم المجتهدون فی تحقیق مبنی القرآن ومعناه وبه یرتفع النزاع ویحصل
الاجتماع ثم الرابطة بین هذه الآیة وما قبلها ان الاولی فی تصویر الاشباح وتسویتها
والاخری فی تصویر الارواح بالعلم وترتیبها وافاد الاستاذ ان الله سبحانه
انزل الکتاب وجنس فیه الخطاب فمن ظاهر واضح تنزیله ومن غامض مشکل
تأویله القسم الاول لبسط الشرع واهتداء اهل الظاهر والقسم الثانی لصیانة
الاسرار عن اطلاع الاجانب علیها فسبیل العلماء الرسوخ فی طلب معناه علی ما یوافق
الاصول فما حصل علیه الوقوف فمقابل بالقبول وما امتنع من التأثر فیه بمجاول الفکر
سلموه الی عالم الغیب وسبیل اهل الاشارة والفهم القاء السمع بحضور القلب فما
یسنح لفهومهم من لوائح التعریفات بنوا علی اشارة الکشف ان طولبوا باستدامة
الستر وطی السر تخارسوا عن النطق وان امروا بالاظهار والنشر واطلقوا فی بیان الحق
نطقوا عن تعریفات الغیب فاما الذین ایدوا بانوار البصائر فمستضیئون بشعاع
شموس الفهم واما الذین البسوا غطاء الریب وحرموا لطائف التحقیق فیتقسمهم
الاحوال ویتزاحم بهم الظنون ویطیحون فی اودیة التلبیس فلا یزدادون الا جهلا علی
جهل ونفورا علی شک وما یعلم تأویله الا الله ومن وجد علمه من الله فیکون ایمانهم بلا
احتمال لجولان خاطر التجویز بل عن صریحات الظهور وصافیات الیقین واما اهل
العقول الصاحیة ففی صحبة التذکر ظهور وجه البراهین وسر احکام التحصیل فالذین
ربنا لا تزغ قلوبنا الظاهر انه من مقال الراسخین ویحتمل ان یکون استئناف
تعلیم للسالکین والمعنی لا تمل قلوبنا عن نهج الهدی الرضی الی اتباع المتشابه بالتأویل
الغیر المرضی فعنه صلی الله علیه وسلم قلب ابن آدم بین اصبعین من اصابع
الرحمن ان شاء اقامه علی الحق وان شاء ازاغه عنه بعد اذ هدیتنا
الی الحق والصواب والایمان بالقسمین من الکتاب وهب لنا من
لدنک ای من عندک ومن طریق فضلک رحمة تزلفنا الیک
وتدلنا علیک وتنزلنا بین یدیک لنفوز بها لدیک وافاد الاستاد
انهم ما ازدادوا قربا الا ازدادوا ادبا والتجاء الی التباعد اقوی اسباب
رعایة الادب ویقال حین صدقوا فی حسن الاستغاثة امدوا بانوار

الكفاية انك انت الوهاب لكل مسؤل من كل باب ربنا انك
جامع الناس ليوم اى لحساب يوم او لجزائه او الى يوم او فى يوم لا ريب
فيه اى فى وقوع اليوم وما فيه ان الله لا يخلف الميعاد اى عدة
ووعيده فى حق العباد الا ان وعيد الفساق تحت المشية كما ان وعيد
الكفار مشروط بعدم التوبة وكذا وعد مثوبة الابرار موقوف على حسن
الخاتمة وافاد الاستاذ ان اليوم جمع الاحباب على بساط الاقتراب غدا
جمع الكافة لمحل الثواب والعقاب اليوم جمع الاسرار لكشف الجلال والجمال
وغدا جمع الابشار لشهود الاهوال ومقاساة ما اخبر عنه من تلك الاحوال
ان الذين كفروا لن تغنى اى لن تدفع عنهم ولن تنفعهم اموالهم بل ولا
اعمالهم واحوالهم ولا اولادهم بل ولا آباؤهم واجدادهم من الله
اى بدل رحمته او طاعته او من عذابه وعقوبته شيئا من الاغناء
واولئك هم وقود النار اى حطبها فانهم حملوا الاوزار باختيار الاغيار
قال الاستاذ فلا فداء ينفعهم ولا غنى يرفعهم ولا مال يقبل منهم ولا
حجاب يرفع عنهم ولا مقال يسمع فيهم لهم بسعر الجحيم ولهم الطرد الاليم والبعد
للجحيم كداب آل فرعون اى دأب قومك وعادتهم وكفرهم وجهلهم كداب
آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا استيناف بيانا لصنيعهم فاخذهم الله
بذنوبهم والله شديد العقاب اى شديد عقابه كما انه سريع حسابه
وقال الاستاذ اصروا فى العتو على سنتهم وادمنا لهم فى الانتقام سنتنا
فلا من الاصرار اقلعوا ولا فى المبار طمعوا ولعمرى انهم هم الذين ندموا وتحسروا
على ما قدموا ولكن حين ما وجدوا الباب مسدودا والذم عليهم مردودا قل
للذين كفروا اى مشافهة ستغلبون فى الدنيا وتحشرون الى جهنم
فى العقبى وفى قراءة حمزة والكسائى بالغيبة اى قل فى شانهم وقد حقق الله
ذلك فى بدر وقضايا آخر من قتل بنى قريظة واجلاء بنى النظير وفتح خيبر ووضع
الجزية عليهم ممن ظهر فانه من دلائل النبوة وشواهد المعجزة وبئس المهاد اى
فراش البعاد وما مهدوه ليوم المعاد وقال الاستاذ اى اخبرهم انهم يفوتهم
حديث الحق فى الاجل ولا يكون لهم لذة سميش فى الاجل والذين يلقونه فى الآخرة
من شدة العقوبة بالحرقة ليس فوق ما يصيبهم فى الدنيا من الغيبة عن الله
والفرقة ولكن سقمت بصائر اهل الحجاب فلم يحسوا باليم العقاب قد كان لكم
ايها الكفار او الابرار او جملتكم آية اى معجزة فى فئتين التقتا اى فى جماعتين
مجتمعتين يوم بدر اجتمعتا فئة اى طائفة عظيمة تقاتل فى سبيل الله
واخرى كافرة تقاتل فى طريق نفسه وهواه يرونهم مثليهم اى يرى المشركون

المؤمنين

المؤمنين مثلى عدد المشركين وكانوا قريب الف فاراهم الغين ليحصل لهم الرعب
او يرى المؤمنون المشركين مثلى المؤمنين وكانوا ثلثة امثالهم فان اهل بدر ثلثمائة
وثلاثة عشر ليثبتوا اليهم ويستيقنوا بالنصر الذى وعدهم ويؤيده قراءة نافع ترونهم
بالخطاب وكلا المعنيين صدق وصواب اذ قللهم الله فى اعين المشركين
اولا حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا فى اعينهم حتى غلبوا امدادا
من الله لهم وذلك قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم فى
اعينهم ليقضى الله امرا كان مفعولا رأى العين رؤية ظاهرة معاينة بلا شبهة
ولا مرية ولا احتياج الى روية والله يؤيد بنصره من يشاء اى له النصرة كاهل
بدر وفى تفسير السلمى قيل يوفق من يشاء من عباده بلزوم السنة وترك البدعة
ولا يبعد ان يقال بلزوم الحضرة وترك الغفلة ان فى ذلك اى فيما ذكر من كون
الواقعة آية لعبرة لاولى الابصار لعظة معتبرة لذوى البصائر تعبر صاحبها
من منزلة الجهلاء الفجار الى رتبة العلماء الابرار وافاد الاستاذ انه سبحانه اذا
اراد امضاء امر قلل الكثير فى اعين قوم وكثر القليل فى اعين قوم واذا التبس على
بصيرة قوم لم ينفعهم نفاذ ابصارهم واذا فتح اسرار آخرين فلا يضرهم
انسداد ابصار آخرين قلت واذا اراد الله بقوم فتح باب علم او عمل هون عليهم طريقه
وحسن لهم تحقيقه واذا اراد بقوم خلاف ذلك طول عليهم سبيله وبعد لهم
تحصيله ليقضى الله امرا كان مفعولا كما قدر لكل سالك ان يكون لامر مخلوقا ومجبولا
زين للناس اى من ذوى الغفلات حب الشهوات اى المشتهيات والمزين
على الحقيقة هو الله المتعالى فانه خالق الافعال والدواعى او الشيطان على طريق
السببية والاسناد المجازى ابتلاء ليتميز من يختار حب الله ممن يحب
سواه من النساء وحواء والبنين وخصوا لكراهة البنات طبعا
فى غالب الناس ولا يبعد ان يكون من باب الاكتفاء او نوع من التغليب
والقناطير المقنطرة اى الاموال الكثيرة من الذهب والفضة وما يشترى
بهما من سائر الاشياء المرغوبة والخيل المسومة المعلمة او المرعية او المطهمة
والانعام من الابل والبقر والغنم والحرث اى الزراعة ويدخل فيه سائر
الصناعة ذلك اى جميع ما ذكر متاع الحيوة الدنيا وهى مع كونها قليلة ناقصة
مكدرة منغصة وزائلة فانية والله عنده حسن المآب اى المرجع بالمثوبة
فى الجنة التى نعيمها كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة بل دائمة باقية ودل عليه ما بعده
من الآية الآتية والحاصل انه تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية
الابدية بالشهوات الناقصة الفانية الردية وقد قيل من مال الى هذه الاشياء
واستحسنها قطعه عن طريق الحق وعوقه العوائق ومن استصغرها واعرض عنها

عوض عليها السلامة منها وفتح له الطريق الى الحقايق وقال الاستاذ نبه بذكر بعض
الشهوات على ما سواها مما هو في معناها وفي الجملة ما يحجبك عن الشهود فهو من جملتها
واصعب العوائق في هذا الطريق الشهوة الخفية واداء الطاعات على وجه الاستحلا
سعد وعندهم في جملة الشهوة الخفية ومن المقاطع المشكلة السكون الى ما يلقيك به
من فنون تقريبك وكان في حال ما يناجيك به يناغيك فانه بكل لطيفة يصفك ويطلبك
تحتها خدع خافية ومن ادركته السعادة كاشفه لشهود جلاله وجماله لا شائبة في لطيف احوالم
وما يخصه به من افضاله وافاته قل اؤنبئكم بخير من ذلكم اي من الذي ذكرت لكم وفيه تقرير
ان ثواب الله في العقبى خير وابقى من مستلذات الدنيا لاهل التقوى كما قال للذين
اتقوا عند ربهم خبر مقدم مبتداه جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
حال مقدرة والجملة استينافية مبينة لما هو خير ولمن لا يكون له الخير وازواج مطهرة
ورضوان من الله بضم الراء الشعبة حيث جاء ما عدا رضوانه سبل السلام
في المائدة والله بصير بالعباد اي عالم باعمالهم واحوالهم فيثيب محسنهم ويعاقب
مسيئهم وقد نبه الله سبحانه في هذه الآية على مراتب نعمه جملة فادناها متاع الدنيا
واوسطها نعيم العقبى واعلاها رضاء المولى ولذا قيل من عمل لرجاء الجنة وحصولها
فان غايته بلوغها ووصولها ومن كانت معاملته على رؤية الرضاء فان له الرضوان
وقد قال عز وجل ورضوان من الله اكبر والله بصير بالعباد وعباداتهم وعالم بهممهم
العاملين وارادتهم وقال الاستاذ بين فضيلة اهل التقوى على ارباب الدنيا
فقال هؤلاء لهم متابعة المنى وموافقة القوى واولئك لهم الدرجات العلى
والله بصير بالعباد انزل كل قوم واوصله الى ما له اهله الذين يقولون بلسان القال
او بيان الحال ربنا اننا آمنا اي صدقنا بما يجب علينا فاغفر لنا ذنوبنا اي نغفر لنا
التي صدرت عنا وقنا عذاب النار بانضمام الاغيار في دار البوار والجملة منصوبة
باعني ليلايم قوله الصابرين على بلياتهم والصادقين في نياتهم والقانتين
اي الخاشعين في طاعاتهم والمنفقين اموالهم في خيراتهم والمستغفرين بالاسحار
اي في افضل اوقاتهم واواخر عباداتهم عن تقصيراتهم وزلاتهم او عن جميع معاملاتهم
وقال بعضهم الصابرين مع الله على موارد قضائه فيهم والصادقين في توحيدهم
ومحبتهم والقانتين الراجعين الى الله في سرائهم وضرائهم والمنفقين ما سواه له
حال بذلهم والمستغفرين بالاسحار من افعالهم واقوالهم او افاد الاستاذ ان الصبر
حبس النفس وذلك على ثلاث مراتب صبر على ما امر به العبد وصبر عما نهى عنه وصبر
هو الوقوف تحت جريان حكمه على ما يريد اما في فوات محبوبك او هجوم ما لا تستطيعه
فاذا ترقيت عن هذه الصفة بان لا تجيبك مشقة او تنال راحة فذلك رضا لا صبر
ويقال الصابرين على ما امر الله والصادقين فيما عاهدوا الله والقانتين بنفوسهم

بالاستقامة

بالاستقامة في محبة الله والمستغفرين عن جميع ما فعلوا لرؤية تقصيرهم في الله
ويقال الصابرين بقلوبهم والصادقين بارواحهم والقانتين بنفوسهم والمستغفرين
بالسنتهم ويقال الصابرين على صدق القصود والصادقين في العهود والقانتين بحفظ
الحدود والمستغفرين عن اعمالهم واحوالهم عند استيلاء سلطان التوحيد ويقال
الصابرين الذين صبروا على الطلب ولم يتعللوا بالهرب ولم يحتشموا من التعب وهجروا
كل راحة وطرب فصبروا على البلوى ورفضوا الشكوى حتى وصلوا الى المولى ولم يقطعهم
شيء من الدنيا والعقبى والصادقين الذين صدقوا في الطلب ثم وردوا ثم صدقوا
حتى شهدوا ثم صدقوا حتى وجدوا ثم صدقوا حتى فقدوا فافترقهم قصود ثم ورود
ثم شهود ثم وجود ثم خمود والقانتين الذين لازموا الباب وداوموا على تجرع
الاكتساب وترك المحاب ورفض الاصحاب الى ان تحققوا بالاقتراب والمنفقين الذين
جادوا بميسورهم من الاموال ثم جادوا بقلوبهم بصدق الاحوال ثم جادوا بترك
كل حظ لهم في العاجل والآجل استهلاكا عن القرب والوصال بما اتوا به من الاصطلام
والاستيصال والمستغفرين عن جميع ذلك اذا رجعوا الى الصحو عند الاسحار يعني
ظهور الاسفار وهو فجر القلوب لا فجر يظهر في الاقطار وفي العرائس الصابرين عن جميع
حظوظهم لله والصادقين في معاملة الله والقانتين بتحت الرضا عن الله
والمنفقين نفوسهم لله وبالله والمستغفرين عن التفاتهم الى غير الله بالاسحار
حين اشرقت انوار المشاهدة واسرار المكاشفة شهد الله انه لا اله الا هو بين
الوهيته وعلى وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة
بها وقال الاستاذ اي علم الله واخبر الله وحكم الله بانه لا اله الا هو فهو شهادة الحق للحق
بانه الحق واول من شهد انه الله هو الله فشهد في آزاله بقوله وكلامه الازلي
واخبر عن وجوده الاحدي وكونه الصمدي وعونه القيومي وذاته الديمومي وجلاله السرمدي
وجماله الابدي فقال شهد الله اي بين الله بما نصب من البراهين واثبت من
الدلائل اليقين واوضح من الآيات وابدى من البينات فكل جزء من جميع ما خلق وفطر
ومن كتم العدم اظهر وعلى ما شاء من الصفات الذاتية حصل من اعيان متفلة
واثار في ثاني وجودها مضمحلة وذوات للملاقاة قابلة وصفات في المحال متعاقبة
فهو لوجوده مفصح ولربوبيته موضح وعلى قدمه شاهد وللعقول مخبر بانه احد عزيز
ماجد شهد سبحانه بجلال قدره وكمال عزه حين لا جحد ولا جهل ولا عرفان لمخلوق ولا
عقل ولا وفاق ولا كفر ولا حدثان ولا غير ولا الحاد ولا شرك ولا فهم ولا افلاك ولا سماء
ولا فضاء ولا ظلام ولا ضياء ولا وصول للمزدوجات ولا فصول باختلاف فلا وحي
والملائكة اي وشهدت الملائكة بمعنى اقرت بالوهيته واعترفت بتوحيده في
ربوبيته وافاد الاستاذ انه سبحانه لم يؤيد شهادته لوحدانيته بشهادة الملائكة

بل اسعدهم وايدهم حين وفقهم بشهادته وسددهم الى معرفة وحدانيته
واولوا العلم اى من الانبياء والاولياء والعلماء والاصفياء والعبرة بشهادتهم
وشهاداتهم دالة على سبق عناياتهم وسعاداتهم وفيه شهادة على ان من لم يشهد عن
جهل او جحد او عناد او ارتداد فهو من الذين غلبت عليهم شقاوتهم وافاد الاستاذ
ان المراد باولى العلم اولاد آدم اذا علموا جلال قدره وعز نعته اكرمهم حيث قرن
شهادتهم بشهادته وشهدوا عن شهود وتعيان لا عن ظنون وتخمين ان لم يدركوه
اليوم ضرورة وحسا لم يعتقدوه ظنا وحدسا تعرف اليهم فعرفوه واشهدهم فلذلك
شهدوا ولم يقل لهم انه من هو لما عرفوا من هو ولكن العلماء يشهدون بحجج
عقولهم والموحدون يشهدون بعد جحودهم فهم كما قيل مستهلكون بقهر الحق قد هدوا
واستنطقوا بعد افناء بتوحيد فالمجرى عليهم ما يبدا منهم سواهم والقائم
عنهم بما هم عليه وبه غيرهم ولقد كانوا لكنهم بانوا واولوا العلم على مراتب فمن
عالم لغته ودقائق ورهبانية ومن عالم وصفه فناء وربانية وعالم يعرف
احكامه وحلاله وحرامه وعالم يعلم اخباره وسننه واثاره وعالم يحفظ كتابه
وتفسيره وتأويله ومحكمه وتنزيله وعالم يعلم نعوته وصفاته ويستقر حججه
وتوحيده وعالم لاطفه حق احضره ثم كاشفه فقهره فالاسم باق والعين محو
والحكم طار والعبد محق قال قائلهم بنو حق غدوا بالحق صرفا فنعت الحق فيهم مستعار
ليست الاشارة من هذا الا الى فنائهم عن احساسهم وعن علومهم بانفسهم
فاما اعيانهم مخلوقة وما يقوم بذواتهم من احوالهم مسبوقة وذات الحق لا يتصف
بقبول حدثان وصفات ذاته لا تقبل اتصالا بالغير ولا انفصالا عن الذات
تقدس الحق عن كل ضد وند ووصل وفصل وجمع وفرق وعين وخلق وملك وفلك
ورسم واثر وعبد وبشر وشمس وقمر وشخص وغير قائما بالقسط اى مقيما
للعدل في قسمه وحكمه او ثابتا بصفات الكمال من نعوت الجلال والجمال ونصبه
على المدح او الحال لا اله الا هو اى في الحقيقة والمال ويشهد به جميع الكائنات
بلسان القال او ببيان الحال العزيز الحكيم الموصوف بنعت القوة والقدرة
ووصف الحكم والحكمة ان الدين عند الله الاسلام اى الدين المرضى في حكم
الملك العلام انما هو الاستسلام للاحكام على وفق ما جاء به الرسل الكرام
عليهم السلام وقرأ الكسائى بفتح ان على انه بدل من انه وافاد الاستاذ
ان الدين الذى يرتضيه والذى حكم لصاحبه بانه يجازيه ويعليه وبالفضل
يلقاه هو الاسلام والاسلام هو الاخلاص والاستسلام وما سواه فمردود
وطريق النجاة على صاحبه مسدود وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
من اليهود والنصارى وغيرهم من اهل الخطاب الا من بعد ما جاءهم العلم

بحقيقة

بحقيقة الاسلام واحكامه في جميع الابواب بغيا بينهم اى لطلب اغراض
فاسدة واعواض كاسدة من اخذ الرشوة وطلب الرياسة والحسد على النبوة
ومن يكفر بآيات الله واختار طريقا سوى رضاه فان الله سريع الحساب
وشديد العقاب وقال الاستاذ جاءهم العلم الذى عليهم حجة لا المعرفة
التى لهم بيان ومحجة فاصروا عن الجحود لانهم حجبوا عن محل الشهود فان حاجوك
اى جادلوك في الدين وخاصموك بعد تبيان اليقين فقل اسلمت وجهى لله
اى اخلصت ذاتى واصلحت صفاتى لحكمه بتحقيقه ولطلب رضائه بتوفيقه
ومن اتبعن اى واسلم من اتبعنى وتبع امرى وجهه كوجهى في مقصدى
وتوجهى وقل للذين اوتوا الكتاب اى اليهود والنصارى ونحوهم
والاميين اى المشركين من العرب وغيرهم ءاسلمتم اى كما اسلمت
انا واتباعى ام انتم باق على كفركم ونزاعى والمراد التحضيض على الاسلام والامر
بالاستسلام فان اسلموا فقد اهتدوا طريق الصواب في الدنيا وحسن
المآب في العقبى وان تولوا اى اعرضوا عن الباب بعد دعائك الى الجناب
ورفع الحجاب فانما عليك البلاغ وقد بلغت وحصل لك الاجر والثواب
والله بصير بالعباد في جميع الابواب وقال الاستاذ فان حاجوك فقل
اى قطالعهم بعين التعريف كيلا يفترق بك الحال في شهود اختلافهم وتباين
اطوارهم فان من طالع الكائنات بعين القدرة علم ان المثبت للكل على ما
اختص به كل واحد من الكل واحد فادعهم جهرا بجهر واشهد تعريفنا اياهم
سرا بسر واشغل لسانك بنصحهم وفرغ قلبك عن حديثهم وافرد سرك عن شهودهم
فليس الذى كلفناك من امورهم الا البلاغ والمجرى للامور والمبدى نحن ان الذين
يكفرون بآيات الله التى انزلت اليهم ويقتلون النبيين بغير حق حتى في زعمهم
ويقتلون وقرأ حمزة يقاتلون الذين يأمرون بالقسط بالعدل والحق والصدق
الواضح لديهم من الناس اى من علمائهم وفضلائهم فبشرهم بعذاب اليم تهكما بهم
نعى الحديث المرفوع قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة
واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف
ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم ولم ينقطع سوقهم من قساوة
القوم قال الاستاذ ان الذين ربطناهم بالخذلان ووسمناهم بوصف الحرمان اخبرهم
بان اعراضنا عنهم مؤبد في الزمان وان حكمنا سبق بنقلهم عن دار الجنان الى دار الهوان
والى العقوبة والنيران اولئك الذين حبطت اى بطلت اعمالهم التى يدعونها
ويحسبون انهم يحسنونها في الدنيا والآخرة اى مما تعلقت بالامور الدنيوية او بالاحوال
الاخروية وما لهم من ناصرين يرفع عنهم العقوبة الابدية وافاد الاستاذ ان اولئك
الذين ليس لهم اليوم توفيق باعمال ولا بدا تحقيق الآمال وانما ذلك لانهم فقدوا في الدارين

نصرتنا ولم نشهد واعززتنا وقدرتنا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا اى حظا
قليلاً من الكتاب وهو مجرد القراءة ومحض الرواية دون الدراية والعمل
بكل آية يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم اى الكتاب فيما وقع لهم
من الخلاف فى باب من الابواب ثم يتولى فريق منهم اى يعرضون عن
القبول والامتثال ويدبرون بدل الاقبال مع انهم يدعون العلم والكمال
وهم معرضون اى قوم عادتهم الاعراض والاعتراض فى جميع الاحوال وقال
الاستاد الحناك بدعوة من سبق علمنا بانهم لا يستجيبون فاصبر على ما امر
فيهم واعلم سرى فى احوالهم فانهم اهل التولى عن الاجابة لانهم فقدوا منا حسن
التجلى بسابق الارادة ذلك اى التولى عن الانبياء والاعراض عن قبول الآيات
بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من
ان النار لن تصيبهم الا ازمنة قليلات وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فيما صدر
عنهم من السيئات وقال الاستاد عاقبناهم فى الدنيا بالاستدراج حتى حكموا لانفسهم
بالنجاة وتخفيف للعقاب والاخراج وسوف يعلمون تضاعف البلاء عليهم
ويظهر خلود العذاب ودوام الحجاب الهم فكيف حالهم فى مالهم اذا جمعناهم
ليوم لا ريب فيه او المعنى حينئذ كيف يصنعون وعن عذابنا كيف يتخلصون
ووفيت كل نفس اى جزاء ما كسبت فى كل ساعة ونفس على وفق ما يعملون وهم
لا يظلمون بتنقيص الحسنات ولا بتضعيف السيئات وافاد الاستاد
ان هذه كلمة تعجيب بما اخبر به عن تعظيم الامر وتفخيم الشان عند بهت عقولهم
ودهشة اسرارهم وانقطاع دعاويهم وانخلاع قلوبهم عن مكانها وترقيها
الى تراقيهم ثم ما يلقونه من الحساب والعذاب وعدم الاكرام والايجاب وما فى
هذا الباب قل اللهم قيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف
النداء واسقاط همز الوصل وترك الفضلة مالك الملك نداء ثان او نعت
للاول وافاد الاستاد ان معناه يا الله فالميم فى آخر اللهم بدل عن حرف
النداء وهذا تعليم الحق للخلق كيف الثناء اى صفنى بما استحقه من جلال
القدر فقل يا مالك الملك لا شريك لك ولا معين ولا ظهير ولا قرين ولا وزير
ولا مقاسم له فى الذات ولا مساهم له فى الصفات تؤتى الملك اى
من ملك الذى هو ملكك من تشاء من خلقك وعبيدك ما تشاء من فضلك
وبرك وهو شامل لملك النبوة والولاية والسلطنة والمعرفة والقناعة والعبادة
والطاعة والعزلة وترك المذلة وتنزع الملك ممن تشاء على وفق ما تعلق به
المشية وتعز من تشاء باتيانه او نزعه وتذل من تشاء باعطائه او منعه
وقد قال ابن عطاء الله رحمه الله ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فاعطاك

مطولی

مطولی لمن ملک ربه قلبه على نفسه وهواها حتى يسلم من شرورها ويخلص من غرورها
وينجا من فجورها وقال الاستاد تؤتى الملك من تشاء بشد نطاق خدمتك
وتنزع الملك ممن تشاء بنفيه عن بساط حضرتك وتعز من تشاء باقامته بالارادة
وتذل من تشاء برده الى ما عليه اهل العادة وتعز من تشاء بعرفانك وتذل
من تشاء بخذلانك وتعز من تشاء بان يشهدك ويوحدك وتذل من تشاء
بان يجحدك ويفقدك وتعز من تشاء بيمن اقبالك وتذل من تشاء بوحشة
اعراضك وتعز من تشاء بان تونسه بك وتذل من تشاء بان توحشه عنك
وتعز من تشاء بان تشغله بك وتذل من تشاء بان تشغله عنك وتعز من تشاء
بطوالع انسه وتذل من تشاء بطوارق نفسه وتعز من تشاء ببسطه بك
وتذل من تشاء بقبضه عنك ومن نفائس العرائس خص الله نفسه بالالوهية
ومدحه بملك الربوبية وانه ذو الملك والملكوت والعز والجبروت وهو موصوف به
فى الازل وباق عليه فيما لا يزال ثم خص بملكه الذى هو بعض صفاته من يشاء
من انبيائه وصفوته واوليائه من اهل طاعته فالملك الذى خص به الانبياء
هو الاصطفاء والاجتباء والخلافة والخلة والمحبة والتكليم والرسالة والنبوة
وظهور الآيات والمعجزات والمنهاج والمعراج فكسى الله صفوة الانبياء عليهم السلام
كسوة الربوبية والسلطنة فظهر منهم الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة
وقهروا بعز ملك الرسالة والنبوة جبابرة الارض وعتاة الظلمة وهذا
موهبة خاصة سبقت لهم العناية وحرم عنها اهل الخذلان والغواية واما الملك
الذى خص به اولياءه فعلى اقسام اربعة منها قسم الكرامات والآيات كطى
المسافات واستجابة الدعوات وهؤلاء اهل المعاملات ومنها قسم
المقامات وهو اشرف مما قبلها كالزهد والورع والتقوى والصبر والشكر
والتوكل والرضاء بالقضاء والتسليم والتفويض والتقويم والصدق
والاخلاص والطمانينة والاستقامة وهؤلاء اهل الدرجات وقسم
منها وهو اشرف من الثانى هو الوجد والنجوى والمراقبة والحياء والخوف
والرجاء والمحبة والشوق والعشق والسكر والصحو وهؤلاء اهل الحالات
وقسم منها وهو اشرف من الثالث هو الكشف والمشاهدة والمعرفة والتوحيد
والتفريد والفناء والبقاء وهؤلاء اهل المعاينات بيدك الخير الخير الدنيوى
والاخروى والملك الصورى والمعنوى والمعنى انه بتصرفك الخير والشر
فحذف الثانى للاكتفاء او اقتصر على الخير لانه المرغوب فيه بالدعاء او لانه
المقتضى بالذات والشر مقتضى بعرض الحادثات اذ لا تلقى شر اجزئيا ما لم
يتضمن خيرا كليا او لان الشر لا ينسب اليه تادبا لما ورد من ان الخير بيديك

والشر اليك او نبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شئ قدير اى من الخير والشر
وغيرهما وقال الاستاد اى من الحجب والكرب والاخذ والرد والفرق والجمع والقبض والبسط تولج الليل
فى النهار وتولج النهار فى الليل اى تدخل احدهما مكان الآخر بالتعقيب فى الزمان
او بالزيادة والنقصان وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى خفف ياء الميت
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وشعبة والمراد باخراج الحى من الميت وعكسه انشاء الزروع
والاشجار من الحبوب والاثمار وابداء الحيوان من النطفة والبيض من الطير واخراج
المؤمن والصالح من الكافر والفاجر وعكس ذلك كله وكان عليه السلام اذا رأى عكرمة
بن ابى جهل يقول يخرج الحى من الميت وقال الاستاد تولج الليل فى النهار حتى يغلب
سلطان ضياء التوحيد فلا يبقى من آثار النفس وظلماتها شئ وتولج النهار فى الليل
حتى كان شموس القلب كسفت اركان الليل دام وكان الصبح فقد وتخرج الحى
من الميت حتى كان الفترة لم تكن وعهد الوصال رجع فتيا وعود القرب صار غصنا
طريا وتخرج الميت من الحى حتى كان شجرة البرم اورق شوكا وازهر شركا وكان البائس
لم يجد خيرا اولم يشم ريحا ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ومن
نفائس العرائس تولج دخان ظلمة البشرية فى سلطان ضياء الربوبية او ظلمة الاشباح
الكثيفة فى انوار الارواح القدسية وايضا تحرق سجوف ليالى الهجران بطلوع شمس
العرفان وايضا تحرق حجب فضاء انس الحدوثية عند ظهور سناء قدس الصمدية
وتولج النهار فى الليل اى تسبل حجاب الفناء على وجوه اهل البقاء وايضا تولج النهار
فى الليل حين كسفت شمس المعرفة فى منازل النكرة وغلبت ظلمة الفترة على نور المعاملة
وتخرج الحى من الميت اى تخرج اشجار انوار المعرفة بكشف جمال المشاهدة من القلوب
الميتة بنوائر الفترة وايضا تخرج ارواح القدسية باصوات جرس الوصلة عند
غلبات الوجد من الاشباح المضمحلة تحت اثقال سلطان كشف توحيد الوحدانية
الى فضاء السرمدية ليجول فى سرادق الكبرياء وخيام الملكوت طلبا لمشاهدة جمال الجبروت
تخرج مياه دموع العارفين بنيران الوجد من قلوبهم الخالية عن آثار المشاهدة
واذا يبست عيون المعرفة فى قلوب العارفين من حرارة اليقين واورقت فيها اشجار
الغفلة باوراق هموم المذمومة ويبست رياضها بالانقطاع عنها مياه صفاء المعاملة
وترزق من تشاء اى ما تشاء من الارزاق الحسية والاخلاق الانسية والحالات
الدنيوية والاخروية والمقامات العلية الصفية بغير حساب اى بكثرة زائدة
عن دائرة الحساب او بدون محاسبة وعذاب وقد روى مرفوعا انه صلى الله
عليه وسلم ذكر عقيب هذا من الدعاء المصدر بحسن الثناء حيث قال رحمن الدنيا
والآخرة ورحيمهما تعطيهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء ارحمنى رحمة تغنينى بها
عن رحمة من سواك وفيه تنبيه على ان احدا لا يوجد ممنوعا من عطائه سبحانه بالكلية

فيوافق ما جاء فى الآية كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك محظورا وافاد الاستاد
بعد قوله وترزق من تشاء بغير حساب حتى لا كد ولا جهد ولا عرق جبين ولا تعب
يمين ليله روح وراحة ونهاره طرب وبهجة وساعاته كرامات ولحظاته قربات واجناس
افضاله على التفصيل لا يحصره لسان ولا يأتى على استقصاء كنهه عبارة ولا بيان ومن عرائس
النفائس ترزق العارفين مقام المشاهدة وترزق المشتاقين مقام المكاشفة وترزق
المحبين مقام المداناة وترزق الموحدين مقام البقاء والفناء والصحو والسكر والمحو
وترزق العاشقين مقام الجمع والتفرقة وترزق الاحرار مقام التلوين والتمكين بغير
حساب اكثر من ان يحصى عدد اسرارها ويعد حقايق انوارها لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اى من المشركين والمنافقين اولياء اى انصارا واعوانا واحبابا واخوانا
من دون المؤمنين اى متجاوزين المخلصين الموافقين كقوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والحاصل انهم نهوا عن موالاتهم لقرابة
او صداقة جاهلية ونحوها من اغراض نفسية حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا فى الله
ولا يقع الاستعانة والاستغاثة الا باهل الله وافاد الاستاد من حقايق
الايمان الموالاة فى الله والمعاداة فى الله واولى من تسومه الهجران والاعراض
من اهل الخذلان نفسك فانها مجبولة على المجوسية حيث تقول لى وعنى وبى وقد قال
تعالى يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وان الايمان بهذه الطريقة عزيز
ومن لا ايمان له بهذه الطريقة من العوام وان كانوا قد بلغوا فى الزهد والجهد مبلغا عظيما
فليس باهل لموالاتك والشكل بالشكل اليق والمثل بالمثل احق ومن يفعل ذلك اى
اتخاذهم اولياء فليس من الله اى من ولايته فى شئ يصح ان يسمى ولاية فان المتعاديين
لا يجتمعان موالاة وافاد الاستاد ان صحبة الحق سبحانه وقربه لا تكون مقرونة
بصحبة الاضداد وقربهم البتة الا ان تتقوا منهم تقاة اى الا ان تخافوا من جهتهم
ما يجب اتقاؤه او اتقاء ويؤيده انه قرئ تقية والحاصل انه سبحانه منع اولياءه
عن موالاة اعدائه ظاهرا وباطنا فى الاوقات كلها وفى الحالات جميعها الا وقت
المخافة فان اظهار الموالاة للضعفاء رخصة وقد روى عن عيسى عليه السلام كن وسطا
وامش جانبا اى كن متوسطا ومختلطا فى معاشرتهم ومخالفتهم وامش جانبا
بعيدا عن موالاتهم وموافقتهم ومنه قول الشاطبى قريبا غريبا مستمالا مؤملا اى
قريبا بالقالب مع الخلق ظاهرا فى الجلوة وغريبا بالقلب عنهم باطنا فى الخلوة
وكما قيل ودارهم ما دمت فى دارهم وقد صرح ابن عباس انه سبحانه يريد مداراة
ظاهرة ويحذركم الله نفسه اى يخوفكم الله عن مخالفة ذاته تعالى فى نفوسكم
وما يتبعها من الهوى والميل الى سوى المولى والى الله المصير اى المرجع والمأوى
فلا تتعرضوا السخطة بموالاة اعدائه او بمعاداة اوليائه قال ابن عطا انما يحذر نفسه

من يعرفه فاما من لا يعرفه فان هذا الخطاب زائل عنه ومائل منه وتوضيحه ما افاد الاستاذ
من ان هذا خطاب للخواص من اهل المعرفة فاما الذين نزلت رتبتهم عن هذا فقال لهم
واتقوا النار واتقوا يوما الى غير ذلك والمعنى ويحذركم الله نفسه ان يكون عندكم
انكم وصلتم فان خفايا المكر تعترى الاكابر قال قائلهم فامنته فاتاح لى من مأمنى •
مكرا كذا من يأمن الاحبابا • ويقال ويحذركم الله نفسه ان يجرى فى وهم احد
انه يصل اليه مخلوق او يطأ بساط العز قدم هم بشر جلت الاحدية وعزت
الصمدية ان من ظن انه اقربهم اليه ففى الحقيقة انه ابعدهم عنه قل ان تخفوا
ما فى صدوركم من موالاة الكفار او معاداة الابرار او تبدوه اى تظهروه من
جنانكم على لسانكم يعلمه الله لان عنده يستوى اخفاءكم واعلانكم خصوصا
ويعلم ما فى السموات وما فى الارض عموما جزئيا وكليا مظهرا ومخفيا وهو
اتمام للتحذير لانه اذا كان لا يخفى عليه شئ منها فكيف يخفى عليه ما فى الضمير
والله على كل شئ قدير زيادة تقرير للتحذير من عقاب من لا يعجزه شئ مما
تعلق به المشية والتقدير وقال الاستاد لا يعزب معلوم عن علمه فلا تحتشم
مع علمه بحالك من نازلة بك تشكوك وعن قريب سيأتيك الغوث والاجابة
وعن قريب سيزول البلاء والمحنة ويتعجل المدد والكفاية يوم تجد كل نفس
ما عملت اى صحيفة عملها او جزاء فعلها من خير اى طاعة وذكر وفكر
محضرا اى معينا مبينا وما عملت من سوء اى وكذا تجد ما اكتسبت من
معصية وغفلة مستحضرا تود اى تتمنى كل نفس فى كل نفس حينئذ لو ان
بينها وبينه اى وبين سوء عملها او وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا
مسافة بعيدة ومباعدة عميقة لئلا ترى سوء اعماله او جزاء قبح افعاله او شدة
احوال ذلك اليوم واهواله ويحذركم الله نفسه اى فى العقبى كما يحذركم
نفسه فى الدنيا والله رؤف بالعباد وعطوف بالعباد فيرجى رحمته
وثوابه كما يخشى سخطه وعقابه قال الاستاد ود اهل الطاعات ان لو
استكثروا منها فى دنياهم وود ارباب المخالفات ان لو كبحوا لجامهم عن الركض
فى ميادينهم قال قائلهم • ولو اننى اعطيت من دهرى المنى • وما كل من يعطى المنى بمسدد •
لقلت لايام مضين الا ارجعى • وقلت لايام اتين الا ابعدى • والاشارة
من قوله ويحذركم الله نفسه للعارفين ومن قوله والله رؤف بالعباد
للمستأنفين فهؤلاء اصحاب العنف والعنوة وهؤلاء اصحاب التخفيف والسهولة
ويقال لما قال ويحذركم الله نفسه اقتضى سماع هذا الخطاب تهويلهم فقال مقرونا به
والله رؤف بالعباد ليحقق تاميلهم وكذا سنته يطمعهم فى عين ما يروعهم
ويقال افناهم بقوله ويحذركم الله نفسه ثم احياهم وابقاهم بقوله والله رؤف

بالعباد

بالعباد قل ان كنتم تحبون الله وتدعون بغض ما سواه فاتبعونى فى طريق المحبة
وتحقيق الطاعة يحببكم الله اى كما احبنى فانه يحب من احبه بل ولولا انه احبه
ما احبه فمحبته سابقة ولاحقة فالمرتبة المحبيبية وهى المرتبة الجامعة بين المحبية
والمحبوبية خالصة له صلى الله عليه وسلم اصالة ولاتباعه على قدر اتباعه تبعية ويغفر لكم
ذنوبكم بان يستر عنكم عيوبكم ويطهر عن محبة الغير قلوبكم فيبوئكم فى جوار قدسه ويقربكم
الى حظائر انسه والله غفور لتقصيرات المحبين رحيم متفضل على المحبوبين
ثم من المعلوم ان الكمال الحقيقى ليس الا لله وان كل ما يرى كمالا فيما سواه فهو من الله
ابتداء وبالله بقاء والى الله انتهاء فلا ينبغى لاحد ان يكون حبه الا لله وفى الله
وذلك يقتضى ان لا يطيع الا اياه ومن نفائس العرائس ان حقيقة المحبة عند
العارفين والمحبين احتراق القلب بنيران الشوق وروح الروح بلذة العشق
واستغراق الحس فى بحر الانس وطهارة النفس بنهر القدس ورؤية الحبيب بعين
الكل وغمض عين الكل عن الكونين وطيران السر فى غيب الغيب وتخلق المحب
بخلق المحبوب وهذا اصل المحبة واما فرع المحبة فهو موافقة المحبوب فى جميع ما يرضاه
وتقبل بلائه بنعت الرضاء والتسليم فيما قدره وقضاه بشرط مراعاة الوفاء ومتابعة
المصطفى عليه افضل الصلوة واكمل الثناء واما آداب اهل المحبة فالانقطاع عن
الشهوات واللذات والمسارعة فى الخيرات والمبرات والسكون فى الخلوات
والجلوات ومراقبة الانفاس والساعات واستنشاق نفحات الصفات
والتذلل حال المناجات ومداومة النوافل من العبادات حتى صاروا متصفين
بصفات الحق ومنورين بنور الحق بين الخلق وفى الحديث القدسى والكلام الانسى
لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا
وجنانا ويدا ومؤيدا وصرف المحبة لا يكون الا بعد ان ترى الروح الناطقة بعين
السر مشاهدة الحق بنعت الجمال وحسن القدم لا بنعت الالاء والنعماء لان المحبة
اذا كانت من تولد رؤية النعماء يكون محبة معلولة وحقيقة المحبة ما لا علة فيما بين
المحب والمحبوب شئ سوى المحبوب وقال ابو عمرو بن عثمان المكى محبة الله هى موافقته
ودوام خشيته واشتغال القلب واشتغاله وانتصابه بذكره ودوام انسه وفكره
وقال محمد بن خفيف المحبة الموافقة لله فيما يحبه ويرضاه وافاد الاستاذ ان
قوله سبحانه تحبون الله فرق يحببكم الله بلا علة بل هو حقيقة الوصلة محبة العباد
لله حالة لطيفة يجدها السالك من نفسه تحمله تلك الحالة على موافقة امره بالرضاء
دون الكراهة ويقتضى منه تلك الحالة ايثاره سبحانه على كل شئ وعلى كل احد وشرط
المحبة ان لا يكون فيها حظ بحال فمن لم يفن عن حظوظه بالكلية فليس له من المحبة
شظية ومحبة الحق سبحانه للعبد ارادته احسانه اليه ولطفه به واثنائه عليه وهى

ارادة فضل مخصوص فيكون من صفات ذاته وقد يكون بمعنى ثنائه عليه ومدحه له وايصال
جزائه اليه فعلى هذا يكون من صفات فعله ويقال شرط المحبة اتحاد كليتك عنك لاستهلاكك
في محبوبك وهذا فرق بين الحبيب والخليل قال الخليل فمن تبعني فانه مني وقال الحبيب
فاتبعوني يحببكم الله ان كان تابع الخليل نال منه افضالا فان متبع الحبيب محبوب للحق
سبحانه مالا وكفى بذلك قربة وحالا ويقال قطع اطماع الكافة ان يسلم لاحد نفس
الا ومقتداهم وامامهم سيد الاولين وسند الآخرين محمد صلى الله عليه وسلم ويقال
في هذه الآية اشارة الى ان المحبة غير معلولة وليست باجتلاب لطاعة وتجرد عن آفة
لانه قال يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وبين انه يجوز ان يكون عبد له ذنوب كثيرة ثم
يحب الله ويحبه الله ويقال قال اولا يحببكم ثم قال ويغفر لكم والواو يقتضي الترتيب
ليعلم ان المحبة سابقة للغفران اولا يحبهم ويحبونه ثم يغفر لهم ويستغفرونه
والمحبة توجب الغفران لا العفو يوجب المحبة انتهى كلامه وكانه اراد ان الترتيب
الذكري يفيد الترتيب الوجودي ولا منع ان يكون الواو لمطلق الجمع كما عليه الجميع
وان المغفرة مقدمة على المحبة لانه سبحانه يحب التوابين ويحب المتطهرين فيطهر
المحب المذنب اولا بالتوبة وغيرها من اسباب المغفرة ثم يجعله في مرتبة المحبوبية
لان هذه المنزلة مرتبة على المتابعة والمتابعة هي الموافقة وترك المخالفة كما قيل ان المحب
لمن يحب مطيع نعم المحبة الازلية سابقة على المحبة التنجيزية المبنية على تحقق المتابعة
كما يشير اليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه ثم افاد الاستاذ ان المحبة تشير الى صفاء
الاحوال ومنه حبب الاسنان وهو صفاؤها والمحبة توجب الاعتكاف بحضرة
المحبوب في السر ومنه احب البعير اذا استناخ فلا يبرح بالضرب والحب حرفان
حاء وباء فالحاء اشارة الروح والباء الى البدن فالمحب لا يدخر من محبوبه لا بدنه ولا قلبه
قل اطيعوا الله والرسول اى كونوا على وفق الكتاب والسنة فان تولوا يحتمل
المضي بمعنى اعرضوا والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين
لا يرضى عنهم ولا يثيبهم بل يغضب عليهم ويعاقبهم والعدول عن المضمر الى المظهر
للتنبيه على ان غير الكافرين من عصاة المؤمنين لا يخرجان عن درجة المحبوبين لكن فيه
ايماء الى ان المعرضين يحومون حول وادي الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا
وآل ابرهيم اى اسمعيل واسحق واولادهما معه وآل عمران اى موسى وهرون
ابني عمران او عيسى وامه مريم بنت عمران وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة
على العالمين اى اصطفاهم بالرسالة الربانية والفواضل الروحانية والفضائل
الجسمانية على المخلوقات السفلية والعلوية قيل اصطفى الخواص للمشاهدة والتقريب
واصطفى المؤمنين للمطالعة والتهذيب واصطفى العامة للمجاهدة والتاديب كذا
في تفسير السلمي وقال الاستاذ اتفق آدم وذريته في الطينة وانما الخصوصية بالاصطفاء

الذي هو

الذي هو من قبله لا بالنسب ولا بالسبب ومن نفائس العرائس ان الله اصطفى
آدم بعلم الصفات وكشف جمال الذات قبل خلق الخلق في ازل الازال فلما اراد خلق
روحه نظر بجماله الى جلاله وبجلاله الى جماله فظهر بين النظرين روح آدم فخلقها بصفة
الخاص ونفخ في روحه روحا وهو علم الصفات بفعل الخاص الذي يتعلق بالذات
فلا يؤثر في نعوت الازل اولا طوارق الحدوث آخرا وايضا اصطفاهم لنفس
خلقه لموقع الخطاب وكشف النقاب لاستعدادهم تحمل اثقال امانته والتعمق في
بحار ازليته والسيران في ميادين وحدانيته والطيران والطيران في هواء فردانيته لطلب
كشف احديته وجمال سرمديته والاشارة في نوح وآل عمران ان الاصطفائية من
اسباب المحبة الازلية لا من جهة الانساب الحدثية ذرية بعضها من بعض حال
من كل آل والمعنى انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض في الملة والله سميع
بالاقوال عليم بالافعال والاحوال اذ قالت امرأة عمران وهي حنة ام مريم جدة
عيسى عليه السلام حين رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت
ان لك على نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه
فحملت بمريم وهلك عمران رب اني نذرت لك اى اوجبت على نفسي ان اجعل
لاجلك ما في بطني محررا اى معتقا لخدمة بيتك او مخلصا لعبادتك فتقبل
مني اى نذري او منذوري انك انت السميع العليم بقولي ونيتي ومقدوري وافاد
الاستاذ ان المحرر هو الذي ليس في رق شيء من المخلوقات حرره الحق في
سابق حكمه عن رق الاشتغال بجميع الوجوه والاحوال فلما وضعتها اى ما في بطنها
وتانيثه لانه كان انثى قالت رب اني وضعتها انثى اى وهي لا تصلح ان تكون
محررا فذكرته تحزنا واعتذارا وتحسرا والله اعلم بما وضعت اى بالشيء الذي
وضعت وبالامر الذي نذرت فالجملة استئناف تعظيما لموضعها وتجهيلا
لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر بصيغة المتكلم على انه من كلامها تسلية لنفسها
في عدم حصول مرامها اى ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وليس الذكر كالانثى بيان
لقوله والله اعلم اى وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت في القضية التي
نذرت قال الاستاذ لعمري وليس الذكر كالانثى في الظاهر ولكن اذا تقبلها الحق سبحانه
طاح عنه كل الحجبة في الخاطر واني سميتها مريم تفاؤلا لعود فائدة اذ هي في لغتهم بمعنى
عابدة واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها اى اولادها على فرض وجود
اولادها من الشيطان الرجيم اى المطرود من باب الكريم الرحيم والله عصمهما ببركة
هذه الاستعاذة من امها كما روي عنه صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان
يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها والحديث يفيد ان الاعاذة صدرت
من حنة قبل وضع مريم وان الواو لمطلق الجمع من غير مراعاة الترتيب الذكري نكتة

لدعائها فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر المحرر المقرر محلها
بقبول حسن بوجه حسن مقبول وقال الاستاذ حيث بلّغها فوق ما تمنّت
امها ويقال حتى افردها لطاعته وتولّيها بما تولّى به اولياءه من خاصته وقضى
العجب جميع من في عصرها من حسن تولية امرها ويقال القبول الحسن حسن تربيته لها
مع علمه سبحانه بانه يقال فيه تشبيها ما يقال فلم يبال بقبح مقال الاعداء
اجد الملامة في هواك لذيذة ٭ حبا لذكرك فليلمني اللوّم ٭ وكما قيل
ليقل من شاء ما شاء فاني لا ابالي ويقال القبول الحسن ان رباها
على نعت العصمة تقيا حتى كانت تقول اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا
وانبتها نباتا حسنا اي رباها تربية صالحة لها مصلحة لاعمالها في جميع
احوالها وقال الاستاذ انبتها نباتا حسنا حتى استقامت على
الطاعات واثرت رضاه سبحانه في جميع الاوقات وحتى كان
الثمرة منها عيسى عليه السلام ابنها وهذا هو النبات الحسن والثمر المستحسن
وكفلها زكريا قرأ الكوفيون بتشديد الفاء وقصر زكريا الا ان شعبة يقرأ
مهموزا منصوبا على انه مفعول ثان وان الفاعل هو الله تعالى فالمعنى جعله كافلا لها
وضامنا لمصالح حالها وخفف الباقون ومدوا زكريا مرفوعا فالمعنى ضمن زكريا
القيام بامرها فبنى غرفة تسمى محرابا بالمسجد لها لا يرقى الا بسلم اليها وافاد الاستاذ
ان من القبول الحسن والنبات الحسن ان جعل كافلها والقيّم بامرها وحفظها
نبيا من الانبياء عليهم السلام مثل زكريا وقد اوحى الله الى داود اذا رأيت لي طالبا
فكن له خادما كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا روي انه كان لا يطلع
غيره اليها واذا خرج اغلق الباب عليها ثم كان يجد فاكهة الصيف في الشتاء
وبالعكس لديها فعند ذلك قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا المرزوق
والحال ان الباب عليك مغلق قالت هو من عند الله فانه لا رزاق سواه
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب اي بغير احتساب او بغير محاسبة
وعتاب وافاد الاستاذ ان من امارات القبول الحسن انها لم تكن توجد
الا في المحراب ومن كان مسكنه وموضعه الذي فيه يتعبد ويتفقد هو المحراب
فذلك عبد عزيز في الباب وقوله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ايضاح
عن عين التوحيد وان رزقه للعباد واحسانه اليهم بمقتضى مشيته وارادته دون ان
يكون معللا بطاعة احد ووسيلة عبادته هنالك اي في ذلك المكان او الزمان دعا زكريا ربه
قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة اي كما وهبتها لحنة او كما رزقت مريم
الفاكهة انك سميع الدعاء مجيب للنداء وقال الاستاذ لما رأى كرامة الله
سبحانه معها ازداد يقينا على يقين ورجاء على رجاء فسأل الولد على كبر سنه

وكان ذلك

وكان ذلك الاجابة نقضا للعادة ويقال ان زكريا عليه السلام سأل الولد ليكون
عونا له على الطاعة ووارثا من نسله في النبوة ويكون قائما بحق الله فلذلك استحق الاجابة
فان السؤال اذا كان لحق الحق لا لحظ النفس لا يكون له الرد وكان زكريا عليه السلام
يرى الفاكهة الصيفية عند مريم في الشتاء وبالعكس فسأل الولد حال الكبر ليكون له
آية ومعجزة اي كما كان وجود الفاكهة لها آية وكرامة فنادته الملائكة قرأ حمزة
والكسائي بالتذكير والامالة لان الفاعل مؤخر وهو مؤنث غير حقيقي والباقون
بالتأنيث باعتبار جماعة من الملائكة وهو جبريل ومن معه وهو قائم يصلي
في المحراب افاد الاستاذ ان من له الى الملوك حاجة فعليه بملازمة الباب
الى ان يستجاب ويقال ان الله سبحانه حكم انه انما يقبل بالاجابة على من هو
معانق للخدمة فاما من اعرض عن الطاعة فانه القاه في ذل الوحشة ومن نفائس
العرائس ان المحراب مقر العباد وملجأ الزهاد ومعصم المتوكلين ومجلس المشتاقين
ومسند الراضين وبستان المحبين وسرور المريدين ورياض العاشقين وكعبة
المستأنسين وحرم المؤمنين ونور التائبين وقيد الموحدين وستر السلاطين
ان الله يبشرك اي بان الله وقرأ ابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول
او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة
من الله اي بعيسى عليهما السلام وسميت بها لانه وجد بكلمة كن فشأنه او
لتكلمه في غير اوانه وهو حال مقدرة ويحيى اسم عجمي وقيل عربي قال الاستاد
سمي يحيى به لحيوة قلبه بالله ولسان التفسير انه حيي به عقر امه وقيل لانه سبب
حيوة من آمن به بقلبه وسيدا كريما على ربه ويسود قومه ويفوقهم ومن سيادته
المحققة انه قط ما هم بالمعصية ولا يبعد ان يقال السيد هو الحر الذي لم يستعبده
هواه ولم يسترقه دنياه فيكون عبدا مختصا لله معتوقا عن قيد ما سواه وافاد
وافاد الاستاد انه قيل له سيدا لانه لم يطلب لنفسه مقاما ولا شاهد لنفسه
قدرا ولما اخلص في تواضعه لله بكل وجه رقاه على الجملة وجعله سيدا للجميع
وحصورا اي مبالغا في حبس النفس عن الشهوات ومنعها عن اللهوات
مع القدرة على حصول اللذات روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى
اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين اي الكاملين
في الصلاح الواصلين الى كمال الفلاح ممن لم يأت كبيرة ولا صغيرة من الجناح
قال رب انى يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما
وتعجبا من هذه الحالة وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في ضعف القوى
وكان له من السن تسع وتسعون او مائة وعشرون وامرأتي عاقر وكان لها من
العمر ثمان وتسعون قال اي الله او الملك كذلك الله يفعل ما يشاء

اى يفعل ما يشاء من العجايب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان
وعجوز عاقر فانه على كل شئ قادر قال رب اجعل لى آية علامة اعرف بها حبل المرأة
لاستقبله بالشكر والبشاشة قال آيتك الا تكلم الناس اى الا تقدر
على تكليم الناس ثلثة ايام مع انك صحيح سوى تقدر على الحمد والتسبيح والذكر وانما
حبس لسانه عن مكالمة الخلق خاصة لتخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة
فكانه قال آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر والذكر فان احسن الجواب ما اشتق
عن السؤال الا رمزا اى الا بالرمز والاشارة بنحو يد او رأس او حاجب واذكر
ربك بلسانك وجنانك كثيرا اى ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا فان الاذكار ليس لها
وقت معين ولا قدر مبين وسبح بالعشى من الزوال الى الغروب والابكار
من طلوع الفجر الى الضحى فما بينهما وقت القيلولة من النهار وزمان المشغلة المقتضية
للغفلة واذ قالت الملائكة بان سمعت كلامهم وشاهدتهم او هتفوا بها
وما راتهم يا مريم ان الله اصطفاك اى بالطف لك واجتباك حتى انقطعت
الى طاعته وتجردت الى عبادته وطهرك اى من ملامسة الرجال وعن مساوى
الاحوال واصطفيك اى فضلك واختارك على نساء العالمين اى مطلقا
او عالمى زمانها لما صح من ان مريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها يا مريم
اقنتى اى قومى لربك اى لطاعته او لمرضاته واسجدى واركعى مع الراكعين
امرت بالصلوة مع الجماعة بذكر اركانها مبالغة فى المحافظة على شانها وقدم
السجود مع انه مؤخر فى الوجود لكونه كذلك فى شريعتهم او للاهتمام بشان السجود
والركوع مع ان الواو لا توجب الترتيب فى الوقوع او المراد بالقنوت ادامة
الطاعة وبالسجود الصلوة وبالركوع الخشوع والخضوع قال الاستاد اى لازمى
بساط العبادة وداومى على الطاعة ولا تقصرى فى استدامة الخدمة شكرا لما قدرك
الحق بمقامك وتعظيم شانك كونى فى عبادته اوحد زمانك ذلك اى ما ذكر من
قصة مريم وزكريا من انباء الغيب الى اخبار ما غاب عنك نوحيه اليك
اى نمليه عليك وما كنت لديهم اى عندهم اذ يلقون اقلامهم اى اقداحهم
بالاقتراع ليعلموا ايهم يكفل مريم اى فى تربيتها وحضانتها وما كنت لديهم
اذ يختصمون تنافسا فى كفالتها وذلك ان حنة لما ولدت مريم اتت بها
سدنة بيت المقدس وقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار
وتنازع فيه الاخيار حتى اقترعوا عليها فخرجت القرعة لزكريا وقال الاستاد
اى هذه القصص نحن عرفناكها وخاطبناك بمعانيها وان قصصنا نحن عليك
هذا بعزيز خطابنا اعز واتم من ان لو كنت مشاهدا لها اذ قالت الملائكة
يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اى بمن حصل بمجرد كلام من الله من غير اب

اسمه المسيح

اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح بمعنى المبارك لقبه وعيسى علمه وفى الخطاب بها
تنبيه لها على انه يولد من غير اب اذ الولد لا ينسب الى الام الا عند فقد الوالد
وجيها اى ذا وجاهة ومكانة وهو حال مقدرة فى الدنيا والآخرة بالنبوة
والشفاعة ومن المقربين اشارة الى علو درجته فى الجنة ويكلم الناس
فى المهد وكهلا حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت فى مراتب
الاسنان وفيه الايماء بانه يعيش سالما من كيد الاعداء ومن الصالحين اى
الكاملين فى الصلاح القائمين بحقوق الله وحقوق عباده فى الدين قال الاستاد
لم يبشرها بنصيب لها فى الدنيا ولا بحظ لها فى الاخرى ولكن بشرها بما
اثبت فى ذلك من عظيم الاية وكونه نبيا لله مؤيدا بالمعجزة ويقال ربط على
قلبها بما عرفها انه اذا لم ينطق لسانها بذكر براءة ساحتها ينطق الله عيسى عليه السلام
بما يكون دلالة على صدقها وجلالتها قالت رب انى يكون لى ولد
ولم يمسسنى بشر استفهام تعجب واستعظام او استبعاد عادى لما فى
ما بين الانام قال كذلك الله يخلق ما يشاء افاد الاستاد ان المعنى كما
شاهدت ظهور الاشياء ناقضة للعادة فى رزقنا لك فكذلك ينقض العادة
فى خلق ولد من غير مسيس اذا قضى امرا اراد امضاء حكم او وجود شئ فانما
يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجة
مرتبة يقدر ان يخلقها دفعة واحدة فلا يتعسر عليه ابدا ولا يصعب عليه
انشاء ونعلمه اى نحن وقرا نافع وعاصم بالياء اى ويعلمه الله الكتاب
اى الكتابة او جنس الكتب المنزلة عموما والتورية والانجيل خصوصا
ورسولا اى ونرسله مرسلا الى بنى اسرائيل معلما انى قد جئتكم باية
من ربكم اى بمعجزة ظاهرة ودلالة قاهرة وعلامة باهرة انى اخلق لكم
وقرا نافع بالكسر اى قائلا انى اقدر لاجلكم واصور من الطين كهيئة الطير
اى شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه اى فى ذلك المماثل فيكون اى فيصير
طيرا وقرا نافع طائرا باذن الله اى بامره وتيسيره وابرئ الاكمه الذى
ولد اعمى والابرص ونحوهما مما عجز عنه الاطباء واحيى الموتى اى الحقيقية
والحكمية باذن الله اعاده لدفع توهم دعوى الالوهية فان الاحياء ليس
من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون الان وما تدخرون لاشغال
الزمان فى بيوتكم من المغيبات التى لا تشكون فيها من افعالكم واحوالكم
ان فى ذلك اى فى كل ما ذكر لاية اى علامة عظيمة على صدق دعوى الرسالة
ان كنتم مؤمنين اى مصدقين للحق غير معاندين او مريدين للايمان موفقين
ومصدقا عطف على رسولا اى وموافقا لما بين يدى من التورية النازلة

اليكم لامركم بما في كتاب لديكم ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم في شريعة موسى
نبيكم من الشحوم والسمك ولحم الابل والعمل في السبت ونحو ذلك وجئتكم بآية من ربكم
اي بحجة على صدقي في اخباري لكم وافردها مع انها آيات متعددة لانها في جنس الدلالة
متحدة فاتقوا الله ولا تبالوا بما سواه واطيعون فيما امركم وانهاكم على وفق
هداه ان الله ربي وربكم فاعبدوه اي وحدوه هذا اي طريق التوحيد الدين
القويم صراط مستقيم الموصل الى جنة النعيم وقرب الرب الكريم وختم الكلام
بالاستقامة فانها افضل من الف كرامة فلما احس عيسى منهم الكفر اي ادرك
من قومه آثار اصرار الكفر وعدم رجوعهم الى التوبة بالايمان والشكر قال من انصاري
اي من اعوان ديني وخلان يقيني ممن يقيني من اعدائي ملتجئا الى الله
غير ملتفت الى ما سواه قال الحواريون اي اصحابه المخصوصون في محبتهم الثابتون
في ملتهم بخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم نحن انصار الله اي انصار دينه واعوان
نبيه آمنا بالله وتبرأنا مما سواه واشهد بانا مسلمون اي منقادون
مخلصون وافاد الاستاد انه حين بلغهم الرسالة اختلفوا في اختيار الموافقة فمنهم
من صدقه ومنهم وهم الاكثرون من كذبه علم انه لا ينفك امر النبوة من البلاء
وتسليط الاعداء فقطع عنهم قلبه وصدق الى الله قصده وقال لقومه من انصاري
الى الله اي من يساعدني على التجرد لحقه والخلوص في قصده فقال من انبسط عليه
آثار العناية واستخلص بآثار التخصيص بالهداية ما ظهر من كلامه انه تعلق به
الرعاية ربنا آمنا بما انزلت اي علينا واعلانا واتبعنا الرسول فيما
امرنا ونهانا فاكتبنا مع الشاهدين بوحدتك والقائمين بخدمتك او من
امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون يوم القيمة على سائر الامم قال
ابن عطا آمنا بما نورت به قلوب اصفيائك من علوم غيبك واتبعنا
الرسول فيما ظهر من اوامرك ونواهيك رجاء ان يوصلنا اتباعه الى محبتك
فاكتبنا مع من يشهدك ولا يشهد معك سواك ومكروا اي الذين احس
منهم الكفر من اليهود بان سلطوا عليه من يقتله خفية خيفة من الحواريين ومكر الله
اي عاملهم معاملة مكرهم بان رفع عيسى والقى شبهه على من قصد قتله حتى قتل بدله
والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على
سبيل المقابلة والمشاكلة او بمعنى المجازاة او مماثلة المعاملة والله خير الماكرين
اي اقواهم واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يتصور قال محمد بن علي مكروا انفسكم
محسن الله مكرهم عندهم وكان في الحقيقة هو الماكر بهم لتزيينه ذلك عندهم الا ترى
يقول افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ومن نفائس العرائس سقطوا عن مشاهدة
سابق مكر الحق فاحتالوا مع اهل الولاية بتدبير النفس فكان مكرهم مكر الحق عليهم

وهم لا يعلمون

وهم لا يعلمون انهم مخدوعون وسئل بعض اهل الحقيقة كيف ينسب المكر الى الله
بقباح وقال لا علة لصنعه وانشأ يقول • فديتك قد جبلت على هواكا •
فنفسي لا تنازعني سواكا • يقبح من سواك الفعل عندي • وتفعله فيحسن منك ذاكا •
احبك لا ببعضي بل بكلي • وان لم يبق حبك لي حراكا • وحاصله ان في الصفات السبحانية
ما هو مستحسن كالتكبر والتجبر والمنة على خلاف النعوت الانسانية اذ قال الله
يا عيسى اني متوفيك اي قابضك من غير موت لك وافيا تاما لم ينالوا شيئا
منك او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى العلويات ورافعك
الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم
وقصدهم اذاك بامكارهم وافاد الاستاد بقوله متوفيك عنك وقابضك
منك ورافعك عن نعوت البشرية ومطهرك من ارادتك بالكلية حتى تكون مصرفا
بنا لنا ولا يكون عليك شيء من اختيارك ويكون اسبال القوى عليك قائما عنك
وبهذا الوصف كان يظهر على يده احياء الموتى وما كانت تلك الاحداث حاصلة
الا بالقدرة جلت ويقال طهر قلبه عن مطالعة الاغيار ومشاهدة الآثار والامثال
في جميع الاحوال والاطوار وجاعل الذين اتبعوك اي ومصير اتباع دينك من
المؤمنين بك ولو في الصورة فوق الذين كفروا الى يوم القيمة بغلبة الحجة
او بقوة الشوكة اذ لم يتفق لليهود ملك ودولة ثم الي مرجعكم اي مرجعك ومرجعهم
من مؤمنهم وكافرهم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر دينكم وبيان الحكم
قوله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالحجاب والآخرة
بالعقاب وما لهم من ناصرين اي مانعين ودافعين في كل باب واما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات من ارتكاب المأمورات واجتناب المحظورات
فنوفيهم اجورهم بالنون لغير حفص اي فنجازيهم جزاء وافيا باعطاء المثوبات
والله لا يحب الظالمين ولا يرفع لهم الدرجات بل يوقعهم في الدركات ذلك
اي ما سبق من نبأ عيسى وغيره نتلوه اي نقرؤه عليك على لسان جبريل
من الآيات حال كونه من الدلالات الواضحات على نبوتك والمعجزات اللائحات
على رسالتك فانه من العلوم المغيبة التي لا يطلع عليها الا الذي اطلعك واعلمك بها
والذكر الحكيم اي من الذكر المشتمل على الحكم والاحكام على وجه الاتقان والاحكام
والمراد به القرآن او اللوح المحفوظ وقال الاستاد نعرفك يا محمد معانيه بما يوحى
اليك لا بتكلفك ما تصل الى علمه وتعلمك من الامثال او استنباطك بنوع من
الاستدلال ان مثل عيسى اي شانه الغريب عند الله اي في الخلق
والانشاء كمثل آدم بل قضية آدم اغرب وخلقته اعجب بان عيسى خلق من ام
بلا اب وآدم من غير اب وام بل خلقه من تراب جعله طينا ثم صلصالا

ثم قال له كن بشرا بنفخ الروح اذ خالافيه فيكون اى فكان والعدول لحكاية الحال
الماضية مع مراعاة الفواصل الماضية والاتية وافاد الاستاد انه سبحانه خصهما
بتطهير الروح عن التناسخ في الاصلاب وافراد آدم بصفة اليد وعيسى بنفخ الروح فيه
على وجه الاعزاز والاغراب وهما وان كانا كبيرى الشان فنقص الحدثان والمخلوقية
لازمة لهما الحق المطابق للصدق المطلق من ربك فلا تكونن من الممترين من جملة
الشاكين فضلا عن ان يقع منك شك في الدين وهذا نهى تكوين له عليه السلام مفيد
للتمكين ومانع من التلوين ولذا قال عليه السلام لما نزل فان كنت في شك مما انزلنا
اليك فسئل لا اشك ولا اسال وحاصله الامر بالثبات على اليقين او الخطاب له
والمراد غيره من المؤمنين وقال الاستاد فلا تشكن يا محمد في انه لا يدانيه في الايجاد احد
ولا على اثبات سنته سنيه لمخلوق قدرة والموجودات التي حقت بوجودها عن كتم
العدم من الله بدؤها واليه عودها فمن حاجك فيه اى خاصمك وجادلك من النصارى
وغيرهم في شان عيسى ونحوه من بعد ما جاءك من العلم اى من الآيات المبينات
للعلوم اليقينيات فقل تعالوا اى هلموا بالراى والعزم منا ومنكم ندع ابناءنا
وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة
اهله الى المباهلة وقدمهم على الانفس فيها تهم لان الشخص يخاطر بنفسه لهم ويحارب عنهم دونهم
ثم نبتهل اى نتباهل ونتضرع الى الله في الدعاء ليجعلنا من المقبولين فنجعل لعنة الله
على الكاذبين اى طرده وابعاده على من يكذب منا ليتبين المحق والمبطل على من
حضر مجلسنا روى ان وفد نجران جادلوه صلى الله عليه وسلم في امر عيسى عليه السلام
فدعاهم الى المباهلة فقالوا حتى ننظر فلما تخالوا وتشاوروا قالوا للعاقب وهو صاحب
رأيهم اثاقب ما ذا ترى في هذا الامر فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالبيان
الفصل في شان صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم
فصالحوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين
آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلى خلفهم رضي الله عنهم وهو يقول اذا انا دعوت
فامنوا فقال اسقفهم وهو اعلمهم يا معشر النصارى انا لارى وجوها لو سالوا الله
ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا الرسول صلى الله عليه وسلم
وبذلوا له الجزية الفى حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذى نفسى
بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله
نجران واهله حتى الطير على الشجر وفيه دليل عظيم على تحقق نبوته وفضل من اتى بهم من
اهل بيته وقال الاستاد يعني بعد ما ظهرت على صدق ما يقال لك وتحققت بقلبك
معرفة ما خاطبناك فلا تحتشم من حملهم على المباهلة وثق بان لك القهر والنصرة فانا توليناك
وفي كنف قربنا آويناك ولو انهم رغبوا في هذه المباهلة لاضرمت الاودية عليهم نيرانا

موجهة ولكن اخر الله سبحانه ذلك عنهم لعله بمن في اصلابهم من المؤمنين والاشارة
في هذه الاية لمن نزلت حالته عن احوال الصديقين فانه اذا ظهرت انوارهم انخنس آثار
هؤلاء فلا قرار ولا عنهم اثار ان هذا الذي اوحينا اليك لهو القصص الحق اى الاخبار
الصدق الدال على التوحيد المطلق وما من اله الا الله اى ليس من يستحق ان
يعبد سواه وان الله لهو العزيز الحكيم اى المنعوت بالقدرة التامة والحكمة البالغة
فان تولوا اى هم او انتم فان الله عليم بالمفسدين اى بهم وبكم من اهل الفساد في
امر دنياكم ودينكم وافاد الاستاد انه لا يتسلط على شواهد التوحيد غبار شبهة
ولا يدرك سر حكمه سبحانه وهم مخلوق ولا يدانيه معلوم حصره الوجود او موهوم يصوره
التقدير فان تولوا يا محمد فانه لا ثبات عند شعاع نورك لشبهة مبطل فان الله
عليم بالمفسدين الا ان يجتاحهم او يحلم عنهم حتى اذا استمكن ظنونهم ياخذهم
بغتة وهم لا يشعرون ولا يبصرون قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين ومن يجرى
مجراهم في الخطاب تعالوا الى كلمة سواء اى مستوية بيننا وبينكم مما لا يختلف
فيه الرسل الواردة عليكم والكتب المنزلة اليكم والكلمة تطلق على الجملة وتفسيرها ما بعدها
وهي ان لا نعبد الا الله اى نوحده بالعبادة ونخلصه في الطاعة ولا نشرك به شيئا
من الاشراك لا جليا ولا خفيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله اى ولا نطيع
الرهبان والاحبار فيما احدثوا من الاخبار والمقصود انقطاع الرؤية عن المكونات كما
قال السلمي فان تولوا اى اعرضوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
منقادون الطاعة على طريق التفريد وافاد الاستاد ان الكلمة هي كلمة التوحيد
وافراد الحق سبحانه في انشاء الاشياء بالشهود وقوله الا نعبد الا الله لا تطالع
بسرك مخلوقا فكما لا يكون غيره معبودك لا يكون غيره مقصودك ولا مشهودك
وهذا انتفاء الشرك وهنت اول الاغيار الذين يجب ان لا تشهدهم وقوله ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا فيظهر صدق هذا بترك المدح والذم لهم ونفي الشكوى
والشكر عنهم وتنظيف السر عن حسبان ذرة من المحو والاثبات منهم
قال صلى الله عليه وسلم اصدق كلمة قالها العرب الا كل شئ ما خلا الله باطل
يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم اى لم تخاصمون في حقه وتصرفونه عن الملة
الحنيفية وتنسبونه الى اليهودية والنصرانية وما انزلت التورية والانجيل
الا من بعده لجملة حالية والمعنى ان ابراهيم كان قبل موسى بالف سنة وقبل
عيسى بالفين فكيف يكون ابراهيم تابعا لهما ومتبعا لدينهما افلا تعقلون
قبح المقال وادعاء المحال وافاد الاستاد انه سبحانه ضرب على خليله نقاب
الصنة وحجاب الغيرة فقطع سببه عن جميعهم بعد ادعاء الكل فيه وحكم
بتعارض شبههم ها انتم هؤلاء اى تنبهوا انتم المخاطبون الغافلون

يا هؤلاء المجادلون الجاهلون حاججتم فيما لكم به علم اى فجاز تمسكتم به فى الجملة
فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم بالكلية كقضية الحنيفية واليهودية والنصرانية
والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون جاهلون به وقال الاستاذ يعنى
ما كان ذكرنا لكم له بيان ويصح ان يكون لكم عليه برهان تخضتم فى ذلك اما بحق
واما بباطل فالذى ليس لكم البتة عليه دليل ولا لكم الى معرفته سبيل فكيف تقدمتم
للحكم فيه وادعاء الاحاطة به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بما علم ضمنا ولكن
كان حنيفا اى مائلا عن العقائد الزائغة وفيه نوع من التعريض والكناية مسلما
اى منقادا لامر الله ومستسلما لما قدره وقضاه وهذا التوحيد المطلوب الذى
اجمع عليه اهل الحق وليس المراد انه على ملة الاسلام فانه مشترك الالتزام وما كان
من المشركين رد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم عليه السلام ان اولى الناس
بابراهيم اى اخصهم منه واقربهم به للذين اتبعوه اى من امته التابعين على ملته
وهذا النبى اى من ذريته والذين آمنوا على طريق موافقته والله ولى المؤمنين
اى ناصر جميع المؤمنين اذا كانوا من ارباب اليقين قال الاستاذ لانهم
تولوا دينه ووافقوا توحيده ثم ولاية الله انما يكون بالعون والنصرة والتخصيص بالقربة ودت
طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم اى تمنوا ان يضلوكم وعن طريق الحق يردوكم
وما يضلون الا انفسهم فان المؤمنين لا يقبلون شيئا من اقوالهم فيرجع
الى انفسهم وبال ضلالهم وقصد اضلالهم وما يشعرون بتثقيل وزره
عليهم وعود وباله اليهم واختصاص ضرره بهم وافاد الاستاذ ان من حلت به
فتنة واصابته محنة واستهوته غواية رضى لجميع الناس ما حل به من البلية فاهل
الكتاب يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره
الكافرون يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اى المنزلة فى الكتب الدالة
على حقية ملة الاسلام وصدق دعوى نبوة محمد عليه السلام وانتم تشهدون
صدقها فى كتبكم او تشاهدون المعجزات الملزمة لكم قال الاستاذ وانتم تشهدون
قبل بعثته على صحة نبوته فما الذى حملكم على غيكم حتى جحدتم ما علمتم يا اهل الكتاب لم تلبسون
الحق بالباطل اى بالتحريف والتزوير وابراز الباطل فى صورة الحق المنير وتكتمون
الحق وانتم تعلمون اى والحال انكم عالمون غير ناسين ولا ساهين ولا جاهلين بل
متعمدين قاصدين ضالين مضلين قال الاستاذ فهل هذا الا حكم الخذلان وقضية
الحرمان ثم اخبر ان منهم من ينافق فى حالته فيريد ان يندفع عنه عوادى المسلمين ولا
يخالف اخوانه من الكافرين فتواصوا فيما بينهم بموافقة المسلمين جهرا والخلوص
فى عقائدهم الفاسدة بعضهم مع بعض سرا بقوله وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا
بالذى انزل على الذين آمنوا اى بالقرآن وما يقتضى امره وجه النهار اى اوله

وصدره

وصدره واكفروا آخره لعلهم يرجعون اى عن دينهم ويشكون فى يقينهم ظنا منهم
ان كفر مخالفيهم بعد موافقتهم صدر عن شبهة توجب وهن امرهم وافاد الاستاذ
انه سبحانه بين ان نفاقهم كشف للمسلمين وان ذلك لا ينفعهم فى الدين اما فى الدنيا
فلاطلاع الله نبيه والمؤمنين عليه واما فى الآخرة فلعقد اخلاصهم فيه ولا تؤمنوا الا
لمن تبع دينكم اى لا تقروا عن تصديق قلبكم ويقينكم الا لاهل دينكم وقال الاستاذ
يحتمل ان يكون هذا ابتداء امر من الله للمسلمين والاشارة فيه ان لا تعاشروا الاضداد
ولا تفشوا اسراركم للاجانب والانداد ويؤيده ما نقله السلمى عن بعضهم لا تعاشروا
الا من يوافقكم على احوالكم وطرائقكم لكن يلائم الاول قوله قل ان الهدى
هدى الله اى الهدى الحقيقى هو الهدى الموصل الى توحيد الحق وتفريده
عما سواه فيخص من عباده من شاء الى هداه والجملة معترضة بين المتعلق والمتعلق وهو قوله
ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم والمعنى لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا يكون لهم حجة
على اتباعكم وقرا ابن كثير بزيادة همزة الاستفهام الانكارى والمعنى ايتصور ايتاء
احد غيركم مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم قل ان الفضل
بيد الله فهو الذى يخص من يشاء بانوار العرفان ويخص من يشاء بحكم الخذلان
والحرمان يختص برحمته اى بانواع نعمته ومن جملتها ادخال جنته وايصال
قربته وافضال رؤيته من يشاء وفق ما يشاء والله ذو الفضل العظيم
على من تعلقت مشيئته باختصاص رحمته وامتياز نعمته بتوفيق ديانته
ورعاية امانته وافاد الاستاذ ان الرحمة تكون بمعنى النبوة والولاية والعصمة
وجميع اقسام الخيرات التى يختص بشئ منها عبدا من عباده يدخل تحت قوله
يختص برحمته اى بنعمته من يشاء فقوم اختصهم بنعمة الاخلاق وقوم اختصهم
بنعمة الارزاق وقوم اختصهم بنعمة العبادة وآخرين بنعمة الارادة وآخرين
وآخرين بتوفيق الظواهر وآخرين بتحقيق السرائر وآخرين بعطاء الابشار
وآخرين بلقاء الاسرار قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ويقال
لما سمعوا قول يختص برحمته من يشاء علموا ان الوسائل ليس بها شئ وانما
الامر بالابتداء والمشيئة ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار اى بمال
كثير ومتاع كبير يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشى الفا ومائتى
اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار اى ونحوه من درهم وشئ
قليل لا يؤده اليك كفنحاص بن عاذورا استودعه قرشى آخر دينارا فجحده
وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون فى القليل
اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما اى الا مدة دوامك قائما

المطالب قائما على راسه مبالغا في مطالبته للمآرب ذلك اى ترك الاداء بانهم قالوا
ليس علينا في الاميين سبيل اى ليس علينا في شان من لم يكن على ديننا عقاب
ولا لزم وعتاب ويقولون على الله الكذب في ادعائهم وهم يعلمون ان هذا من افترائهم
والحاصل انهم استحلوا حرمة من خالفهم وقالوا لم يجعل في كتابنا حرمالهم بلى اى عليهم
سبيل فيهم من اوفى بعهده في الايمان واداء الامانة واتقى بترك العصيان والخيانة
فان الله يحب المتقين للشرك والطغيان فيجازيهم بالاحسان ويعاقب غيرهم
بالخسران والحرمان وقال الاستاذ اخبر انهم مع كفرهم وانواع ضلالهم واضلالهم
متفاوتون في اخلاقهم واحوالهم وكلهم خونة في امانة الدين ولكن منهم من يرجع الى سداد
معاملة وان كانت معاملتهم بالصدق لا تنفعهم في ايجاب الثواب ولكن ينفعهم
من حيث تخفيف العذاب اذ الكفار مطالبون بتفصيل الشرائع فاذا كانوا
في كفرهم اقل ذنبا كانوا بالاضافة الى الآخرين اخف عذابا وان كانت عقوبتهم
ايضا مؤبدة ثم بين انه ليس الحكم اليهم حتى قالوا ليس علينا في الاميين سبيل لتجرى عليهم
هذه الحالة او تنفعهم هذه المقالة بل الحكم لله تعالى كما قال بلى من اوفى بعهده واتقى
فصاحب الوفاء مستوجب للوصلة واهل للكرامة ومستحق للمحبة وصاحب الخطاء
مبعود عن القربة واهل للمهانة ومتعرض للخجلة ان الذين يشترون بعهد الله اى
يستبدلون بما عاهدوا الله عليه من الايمان والوفاء بالامانة وايمانهم اى وبما اكدوا
عهودهم بالايمان المغلظة ثمنا قليلا من اعراض الدنيا واعواضها الدنية اولئك
لا خلاق اى لا نصيب ولا حظ لهم في الآخرة من رحمة الله تعالى وسائر نعيم
الاخروية ولا يكلمهم الله بما يسرهم او مشافهة بلا واسطة ولا ينظر اليهم نظر عناية
ولا يزكيهم اى لا يثنى عليهم ولهم عذاب اليم على افعالهم واحوالهم وافاد
الاستاذ ان الذين اثروا اهواهم على عقباهم وقدموا مناهم على موافقة
مولاهم اولئك لا نصيب لهم في الآجل ولا استمتاع بما اختاروا في العاجل خسروا
في الدارين بقوا من الحق وما استمتعوا بالحظ جمع عليهم فنون المحن السرمدية والعقوبة
الابدية وان منهم اى من المحرفين في الدين لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب
اى يصرفونها بقراءته فيميلونها عن صرافته من المنزل الى المحرف من الكتاب في تعبير
الخطاب وتغيير الباب لتحسبوه من الكتاب اى المنزل من عند رب الارباب
وما هو من الكتاب من جهة المبنى او من طريقة المعنى ويقولون هو من عند الله
وما هو من عند الله زيادة تشنيع عليهم وتسجيل على جراءة عظيمة لديهم في ادعائهم
وافترائهم ويقولون على الله الكذب فكيف على غيره سبحانه وهم يعلمون
انهم كاذبون ويتعمدون فيما يفترون وافاد الاستاذ ان الاشارة من هذه
الآية الى المبطلين في الدعاوى في هذه الطريقة يزينون العبارات ويطلقون

السنتهم

السنتهم بالاخبر لعلوهم من الحالات ولا لهم بذلك تحقيق في بشارة الاشارات
تلبيسا على الاغبياء وتدليسا على الاغنياء حتى العوام واهل البداية يتوهمون ان لهم
تحقيق ما يقولونه بالسنتهم من طى المقامات وحالات ارباب النهاية قال تعالى
في صفة هؤلاء لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب كذلك ارباب التدليس
والتلبيس يروجون قالتهم على المستضعفين في المعرفة فاما اهل الحقائق فاسرارهم
عندهم مكشوفة ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون كذلك اهل
الباطل في هذه الطريقة يتكلمون عن قلوب خربة واسرار محجوبة ونعوذ بالله
من استحقاق المقت في الوقت ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم
اى الحكمة والنبوة او الحكومة والولاية ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله اى خدموا
بالخدمة على وجه العبودية والعبودة تكذيب ورد على عبدة عيسى عليه السلام وفي قوله
من دون الله ايماء الى ان عبوديته لا تجتمع مع عبودية من سواه ولكن يقول كونوا
ربانيين منسوبين الى الرب في العبادة مخلصين له الدين او الى التربية للمريدين
وارشاد السالكين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون فيما بينكم وتداومون
وتحفظون على علمكم وعملكم وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو تعلمون بمعنى عالمين فتدرسون
من الدرس بمعنى التدريس كما قرئ به وفيه حث على الجمع بين العلم والعمل
والتعليم فانه الكمال والتكميل الموجب للتعظيم وقد روى من علم وعمل وعلم يدعى في الملكوت
عظيما وكفى بالله عليما قال الجريرى كونوا ربانيين سامعين من الله تعالى ناطقين
بالله وقال الواسطى هم الذين يملكون الاشياء ولا يملكهم شئ وقال الاستاد
ليس من صفة من اخترناه للنبوة واصطفيناه للولاية ان يدعو الخلق الى نفسه
او يقول باثبات نفسه وحظه لان اختياره اياهم للنبوة والولاية يتضمن عصمتهم
وحفظهم عما لا يجوز من المقالة فتجويز ذلك في مقالهم مناف لحالهم وانما دعاء
الانبياء والاولياء الخلق الى الله سبحانه وهو معنى قوله ولكن كونوا ربانيين وهم
العلماء بالله الحكماء في الله القائمون بالله الفانون عن غير الله المستهلك حظوظهم
المستغرقون في حقائق وجوده عن احساسهم باحوال انفسهم ينطقون بالله
ويسمعون بالله ويبصرون بالله فهم بالله محو عما سوى الله ويقال الربانى من هو
محو في وجوده ومحو عن شهوده لقائم عنه غيره والمجرى لما عليه سواه ويقال
الربانى الذى لا يستفزه محنة ولا تهزه نعمة فهو على حالة واحدة في اختلاف الطوارق
المتعددة ويقال الربانى الذى لا يبالى بشئ من الحوادث بقلبه وسره وان كان
لا يقصر في شئ من الشرع بفعله وامره بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون
من توالى احسانى اليكم وتضاعف نعمتى لديكم ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بالنصب عطفا على يقول ولا

ای بسبب کونکم معلمین لفظ الکتاب ومعناه للطلاب وبسبب کونکم تدرسون
صح

مزيدة لتاكيد معنى النفى والمعنى ليس لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة
نفسه خصوصا ولا ان يأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا عموما ورفعه الباقون
على الاستيناف ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون منقادون لله مخلصون
وهو استفهام تعجيب وانكار وترهيب وافاد الاستاد انهم لا ينسبون
اليهم ذرة من الاثبات فى الخير والشر ويقال يعرفكم حد البشرية وحق الربوبية
وادب العبودية ويقال يأمركم بتوقيرهم من حيث الامر والشريعة وتحقير قدر الخلق
بالاضافة الى مرتبة الربوبية ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ايأمركم باثبات الخلق
بعد شهود الحق ويقال ايأمركم بمطالعة الاشكال ونسبة الحدثان الى الامثال بعد
ان لاح فى اسراركم انوار التوحيد وطلعت فى قلوبكم شموس التفريد واذ اخذ الله
ميثاق النبيين اى الانبياء والمرسلين ومن تبعهم من الامم الاولين لما آتيتكم وفى
قراءة نافع آتيناكم من كتاب وحكمة اللام موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى
الاستحلاف وما شرطية او خبرية ومن بيانية وقرأ حمزة بكسر اللام على ان ما مصدرية
ومن تبعيضية والمراد بالحكمة النبوة والرسالة او الحكومة والمكانة بالولاية ثم جاءكم
رسول اى عظيم وهو محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معكم موافق لاصولكم
المتفق عليه عندكم لتؤمنن به ولتنصرنه اى فى امر دينه ولذا قال عليه السلام
لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى وكذا عيسى اذا نزل من السماء لا يكون الا من اتباعى
ومثل هذا لم يتصور فى حق نبى قبله ولا بعده والظاهر ان هذا الميثاق الخاص كان يوم
الميثاق العام وهو الملائم لان يكون شهادة التوحيد والربوبية مقرونة
بشهادة النبوة والعبودية اظهار الرتبة العلية ومنزلة البهية وقد ورد انه عليه السلام
اول من قال بلى وذلك لظهور نوره اولا بل ولا كان وجود موجود لولا وان هذا الى
عالم الارواح قبل ظهور الاشباح كما يشير اليه قوله عليه السلام كنت نبيا وآدم
وآدم بين الروح والجسد فهو نبى الانبياء فى عالم الابتداء كما صار امام الانبياء
فى ليلة الاسراء ويكون شفيع الانبياء يوم اللقاء حين اجتماعهم تحت اللواء
رزقنا الله ذلك الاياد قال ءاقررتم اى اعترفتم واخذتم على ذلكم اصرى
اى وقبلتم على ما ذكرت لكم عهدى قالوا اقررنا واخذنا وحذف للاكتفاء قال
فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض او اشهدوا اى على انفسكم وامكم او
الخطاب للملائكة وانا معكم من الشاهدين وهو توكيد عظيم وتحذير جسيم فمن
تولى بعد ذلك اى اعرض بعد هذا الميثاق الواقع عليه الاتفاق فاولئك
هم الفاسقون اى المتمردون من اهل الكفر والنفاق وقال الاستاد اخذ الله
ميثاق محمد عليه السلام على جميع الانبياء عليهم السلام كما اخذ ميثاقهم الاقرار
بربوبيته سبحانه وهذا غاية تعظيم ونهاية تكريم حيث قرن اسمه باسم نفسه واثبت قدره

كما انبت

كما انبت قدر نفسه فلا يوجد له فى الخاصة نظير فى الرتبة ثم سهل سبيل الكافة فى معرفة
جلالته بما اظهر على يديه من المعجزة لمن حاد عن سنته او زاغ عن اتباع طريقته بعد
ظهور دليله ووضوح معجزته فاولئك هم الذين خست درجتهم ووجب لعنت عليهم
بجدهم وسقوطهم عن تعلق العناية بهم افغير دين الله يبغون بالغيبة لابى
عمرو وحفص اى ايتولون فيطلبون غير دين الله اجتباه ولانبيائه ارتضاه
وله اسلم من فى السموات والارض اى ولامره وقضائه وحكمه انقاد من فى عالم
العلويات والسفليات طوعا وكرها اى طائعين خاشعين كالملائكة والمؤمنين
وكارهين مسخرين مذللين كالمشركين والمنافقين فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا
عما قضى عليهم فى امر الدنيا والدين فهم ارباب العدل كما ان الاولين اصحاب
الفضل فلا اكراه ولا ظلم فى الفصل فانه سبحانه لا يسئل عما يفعل وهم يسألون
عما فعل كل احد او لم يفعل وفى الحقيقة منشأ الاختلاف الحالية انما هو مقتضى
الصفات الجمالية والنعوت الجلالية فافهم هذه النكتة الايمائية الاجمالية
ولا تلج فى لجة البحار الازلية من الحكومات القضائية والقدرية التفصيلية
واليه ترجعون بالغيبة لحفص على ان الضمير لمن باعتبار معنى الجمعية وافاد
الاستاد ان من لاحظ غير الحقيقة او طالع سواه فى توهم الالهية كراى
السراب يظنه ماء فلما اتاه وجده هباء وله اسلم طوعا لاستيلاء انوار التجلى
على اسرارهم وكرها لاجراء حكم الهيبة قل آمنا بالله وما انزل علينا اى معشر
المسلمين وقدم لان الايمان به مستلزم لما بعده ولاشعار بتقديم رتبة
نبينا وجلالة كتابنا من حيث نسخ ما قبله وما انزل على ابراهيم من الصحف
بطريق الاصالة واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كيوسف وغيره على وجه التبعية
وما اوتى موسى من التورية وعيسى من الانجيل والنبيون من ربهم تعميم
بعد تخصيص يرفع حصر الانبياء وكتبهم ويفيد الايمان الاجمالى بكلهم لا نفرق
بين احد منهم بالتصديق والتكذيب بخلاف اليهود والنصارى حيث
امنوا ببعض وكفروا ببعض ونحن له مسلمون اى منقادون فى طاعته مخلصون
فى عبادته وقال الاستاد اى بالله آمنا لا بنفوسنا ولا بحولنا وقوتنا
ولا بجهدنا واكتسابنا ولانه عرفنا من هو والاتى علمنا انه من هو ومن يبتغ
غير الاسلام دينا اى من يطلب دينا غير دين الاسلام وهو الاستسلام
التام فلن يقبل منه فى جميع الاحكام وهو فى الآخرة من الخاسرين اى الكاملين
فى خسارة التجارة حيث باع العقبى بالدنيا واختار السوى على المولى قال
سهل الاسلام هو التفويض التام فمن لم يفوض الى مولاه فى جميع احواله لن يقبل
شئ من اعماله وافاد الاستاد ان من سلك غير الخمود تحت جريان حكمه سبيلا

زلت قدمه فی وهدة من المغالیط لا مدی لقعرها ویقال من توسل الیه بشیء دون الاعتصام
به لخسرانه اکثر من ربحه ویقال من لم یغن عن شهود الکل لم یصل الی من به الکل ویقال
من لم یمش تحت رایة المصطفی فی قدره العلی فی وصفه لم تقبل منه سیئة ولا ذرة کیف
یهدی الله قوما کفروا بعد ایمانهم وشهدوا ای والحال انهم اقروا ان الرسول حق وجاءهم
البینات ای الدالة علی ان کلامه صدق وهو استبعاد ان یهدیهم بعد الارتداد
فان الحائر عن الحق بعد ما وضح له الامر الصدق بعید عن الرشاد ومستبعد
عن قبول الارشاد او استفهام نفی وانکار لایمانهم ممن علم الله ثباتهم علی
کفرانهم وافاد الاستاذ ان من ابعده عن استحقاق الوصلة فی سابق
حکمه ورفع حکمته متی یقربه الی بساط الخدمة بفضله فی وقته ویقال الذی اقصاه
حکم الازل متی اوناه صدق العمل والله غالب علی امره بحکم قضائه وقدره والله
لا یهدی القوم الظالمین الذین ظلموا انفسهم باختیار الکفر علی الایمان بعد ظهور
الحق وتبیان العیان اولئک جزاؤهم ان علیهم لعنة الله اصالة والملائکة
والناس اجمعین تبعة والمراد بالناس عمومهم فانهم یلعنون منکر الحق ویسبونهم
خالدین فیها ای فی اللعنة او العقوبة او النار الدالة علیها اللعنة الموجبة لا یخفف
عنهم العذاب بل یزاد فوقه الحجاب ولا هم ینظرون ای یمهلون ساعة من
العقاب الا الذین تابوا من بعد ذلک ای بعد الارتداد واصلحوا ای وتدارکوا
ما عملوا من الفساد فان الله غفور یقبل توبة العباد رحیم یتفضل علی العباد
وافاد الاستاذ ان اولئک قصاری حالهم ما سبق لهم من حکمه فی ابتداء امرهم
ابتداؤهم رد القسمة ووسائطهم الصد عن الخدمة ونهایتهم المصیر الی الطرد والذلة
خالدین فی تلک المذلة لا یفتر عنهم العذاب لحظة ولا یخفف الفراق دونهم ساعة
الا الذین تدارکتهم الرحمة ولم یکونوا فی سبق السبق من تلک الجملة وان کانوا فی توهم
الخلق انهم من تلک الزمرة ان الذین کفروا بعد ایمانهم کالیهود کفروا بعیسی والانجیل
بعد الایمان بموسی والتوریة ثم ازدادوا کفرا بمحمد صلی الله علیه وسلم والقرآن
لن تقبل توبتهم لانهم لا یتوبون کما علم الله منهم او لانهم لا یتوبون الا عند حلول الاجل
او نزول الباس وتلک التوبة غیر مقبولة عندهم بل مردودة علیهم واولئک هم
الضالون فی ضلالهم ثابتون وعلی کفرهم مصرون وافاد الاستاذ ان الاشارة
منه ان الذین رجعوا الی احوال اهل العادة بعد سلوکهم طریق الارادة واثروا الدنیا
ومطاوعة الهوی علی طلب الحق سبحانه وتعالی ثم انکروا علی اهل الطریقة وازدادوا
فی وحشة ظلماتهم علی الحقیقة لن تقبل توبتهم واولئک هم الضالون عن طریق الحق
فانه لا تقبل الامانة بعد ظهور الخیانة وعقوبتهم انهم علی ممر الایام لا یزدادون الا نفرة
قلب عن الطریقة ولا یتجسرون الا علی ما فاتهم من صفاء الحالة ولو انهم رجعوا

عن اصرارهم

عن اصرارهم لقبلت توبتهم ولکن الحق سبحانه اجری سنته مع اصحاب الفترة
فی هذه الطریقة اذا رجعوا الی احوال اهل العادة ان لا یتأسفوا علی ما مضی او فاتهم
قال الله تعالی ونقلب افئدتهم وابصارهم کما لم یؤمنوا به اول مرة وان المرتد عن الاسلام
لاشد عداوة للمسلمین من الکافر الاصلی فکذلک الراجع عن هذه الطریقة لاشد
انکارا لها واکثر اعتراضا علی اهلها من الاجنبی عنها ان الذین کفروا ای حال حیاتهم
وماتوا وهم کفار عند مماتهم فلن یقبل من احدهم حین بعثهم واراد دفع
عذابهم ملء الارض ذهبا ای قدر ما یملأها من الذهب ونحوه فداء له
ولو افتدی به ای ولو تحقق افتداؤه بملئها ذهبا لا ینفعه فالاول فرضی والثانی
وقوعی وتحقیقه ان هذه الواو انما یؤتی بها حیث یراد تحقق الحکم السابق علی تقدیر
الشرط وعدمه حتی ذهب بعضهم الی انها للعطف علی محذوف هو نقیض الشرط
المذکور ای لو لم یفتد به ولو افتدی به والمقصود ههنا عدم قبول الفدیة سواء وجدت
او لم توجد والله اعلم او التقدیر فلن یقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به فی الدنیا
ولو افتدی به من العذاب فی العقبی او المعنی ولو افتدی بمثله فی الفداء اولئک لهم عذاب
الیم وما لهم من ناصرین من شفیع ولا حمیم وافاد الاستاذ الاشارة منه لمن مات
بعد فترة وان کانت له بدایة حسنة فلا یحشر فی الآخرة مع اهل هذه القصة ولو
تشفع له الف عارف لرفع الغصة بل من کمال المکر معه ان یلقی شبهه فی الآخرة
حتی یتوهم معارفوه انه هو فلا یخطر ببال احد ان یشفع له لن تنالوا البر ای حقیقة
البر منکم الذی هو کمال الخیر لکم او لن تنالوا بر الله الذی هو الرضاء والرحمة والجنة والوصلة
حتی تنفقوا مما تحبون ای من المال وبذل الجاه فی مرضاة الله واذابة البدن والرافة
المهجة فی طاعته ومن للتبیین ای شیئا تحبونه او للتبعیض ویقویه انه قرئ
بعض ما تحبون وهو یفید ان الکل بالاولی یفید المرتبة الاعلی قال الواسطی الوصول
الی البر بانفاق بعض المحاب والوصول الی البار بالتخلی عن الکون وما فیه
من کل باب وقال ابن عطاء لن تصلوا الی قرب ربکم وانتم منعطفون الی حظ
نفسکم وافاد الاستاذ انه لما کان وجوه البر ذکر فیه من التی هی للتبعیض فمن اراد البر
فلینفق مما یحبه ومن اراد البار فلینفق جمیع ما یحبه ومن انفق محبوبه من الدنیا
وجد مطلوبه من المولی ومن کان مربوطا بحظ نفسه لم یحظ بقرب ربه ویقال اذا
کنت لا تصل الی البر الا بانفاق محبوبک فمتی تصل الی البار وانت تؤثر علیه
حظک وفی العرائس نفائس فی هذا الباب ترکت ذکرها مخافة الاطناب وما تنفقوا
من شیء ای محبوب فیه او مرغوب عنه او قلیل وکثیر او جلیل وحقیر فان الله
به علیم فیجازیکم علیه من فضله الکریم وقال الاستاذ منهم من ینفق علی
ملاحظة العوض والجزاء ومنهم من ینفق علی مراقبة رفع المحن ودفع البلاء

ومنهم من ينفق اكتفاء بعلمه سبحانه وارادة الرضاء وطلب الثناء كما قال
فالمهم كه بهتز للمعروف فى طلب العلى لبذكر يوما عند سلمى شمائله كل الطعام اى
المطعومات من المأكولات والمشروبات والمراد تناولها كان حلا اى حلالا
لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اى يعقوب عليه السلام على نفسه كلحوم الابل والبانها
بامر من ربه او باجتهاد من عنده من قبل ان تنزل التورية لا انها كانت محرمة
على ابراهيم ومن قبله من الانبياء عليهم السلام كما ادعته اليهود واسندوه الى كتابهم
قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين فبهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية
وفيه دليل على نبوته وافترائهم فى جملة فمن افترى اى ابتدع واخترع على الله الكذب
من بعد ذلك اى بعد ما الزمه الحجة بما هنالك فاولئك هم الظالمون اى الكابرون
المعاندون وافاد الاستاد ان الاصل فى الاشياء ان لا شرع فيها بالتحليل والتحريم
فما لا يوجد فيه حد فذلك من الحق سبحانه توسعة ورفق الى ان يحصل فيه امر وشرع
فان الله سبحانه وسع احكام التكليف على اهل النهاية فسبيلهم الاخذ بما هو الاسهل
لتمام ما هم به من احكام القلوب فان الذى على قلوبهم من المشاق اشد واما اهل البداية
فالامر مضيق عليهم فى الوظايف والاوراد فسبيلهم الاخذ بما هو الاشق والاصعب
لفراغتهم بقلوبهم من المعانى فمن ظن بخلاف هذا فقد غلط والاشارة من هذه الآية ايضا
فى قوله فمن افترى على الله الكذب الى احوال اهل الدعاوى والمغاليط فانهم يخلون بنفوسهم
فينسبون الى الله هواجسها والله برى عنها وعزيز عبد يفرق بين الخواطر والهواجس
ومن نفايس العرائس الاشارة فيه الى ان اهل هذه القصة يجوز لهم ان يتركوا شيئا
من المأكولات من جهة المجاهدات واختيار الرياضات لا من جهة تحريم الطيبات
وايضا فيه اشارة الى ترك اللحم على الدوام لما فيها ضراوة كضراوة الخمر من جهة
المجاهدة لا من جهة التحريم والمعاندة وايضا قوم نبى الله يعقوب عليه السلام على نفسه
اشهى طعام فالاخبار عنه تعليم من الله لكل اهل محبته ليتركوا ما احب اليهم من الاطعمة الشهية
وما تشتهى انفسهم من زهرة الدنيا ولذاتها الدنية قل صدق الله اى فى هذه وغيره
فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابراهيم عليه السلام
او مثل ملة الحنفية حتى تتخلصوا من اليهودية المقتضية لافتراء الموجب للاغراض
الدنيوية والاغراض النفسية الدنية وما كان من المشركين بل كان موحدا صرفا فى اعلى
مراتب اليقين وفيه تعريض باليهود وغيرهم من كفار مكة فى دعويهم انهم على ملة ابراهيم
مع اشراكهم فى الدين وافاد الاستاد ان ملة ابراهيم الخروج الى الله بالكلية والتسليم
لحكمه من غير ان تبقى بقية واثبات ذرة فى الحسبان من الاثبات للحدثان شرك
فى التحقيق عند اهل العرفان ومن نفائس العرائس ان ملة ابراهيم الشوق والعشق والمحبة
والخلة والفتوة والمروة والشجاعة والسخاوة والحلم والامانة والديانة والكرامة واكرام الضيف

والصبر

والصبر فى البلاء والشكر فى النعماء والهجرة والخروج عن الله بالكلية والتأوه والصدق
والاخلاص والتوحيد والتجريد والتفريد والسماع والوجد والاتصاف بصفة الحق من رسوم
البشرية وبهذه الخصال صار اماما للعارفين وامر الله احب عباده الى متابعته وموافقته
فى جميع احواله ومن زاغ عن طريقه ولو ذرة فيكون النفس له صنما قال تعالى ومن يرغب
عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه وقوله وما كان من المشركين اى لم يمل من الحق الى جبريل
حيث عرض عليه الاباذة بقوله الك حاجة فقال اما اليك فلا ولم يداهن فى دينه لمحبة
ابويه وقال انى برئ مما تشركون وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين وكسر اصنام
الكفر بفائس الحمية وبذل فى محبته الاموال والاولاد لا يخاف فى الله لومة لائم ولا
ذلك فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وايضا نفى عنه خاطر الشك حيث قال ارنى كيف
تحيى الموتى بقوله وما كان من المشركين ان اول بيت وضع للناس اى لعبادتهم
وجعل متعبدا لطاعتهم والواضع هو الله ويدل عليه انه قرئ بصيغة الفاعل
للذى ببكة اى للبيت الذى بمكة فانها لغة فيها وسميت بها لانها تبك اعناق
الجبابرة عليها او لان زحام الناس اليها وقد روى انه كان فى موضعه قبل آدم بيت
يقال له الضراح لانه صح من الارض وابعد وهو المشهور ببيت المعمور المحاذى الى
البيت المذكور يطوف به الملائكة فلما اهبط آدم امر بان يحجه ويطوف حوله ثم رفع
فى الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به الملائكة كل يوم سبعون الفا لا يحصل لهم
الا عادة وهو لا ينافى ظاهر الآية فان موضع التشريف هو تلك البقعة الكريمة
والجهة المعينة العظيمة وهو لا يمكن رفعها وانما رفع البيت الموضوع محلها المتشرف
بوضعه فى مكانها العلى شانها ثم بناه ابراهيم عليه السلام ثم هدم فبناه قوم من
جرهم وهم حى من اليمن اصهار اسمعيل عليه السلام ثم العمالقة من ملوك مصر او
الشام ثم قريش قبل بعثته عليه السلام ثم عبد الله بن الزبير بناه على حديثه عليه السلام
وعلى طبق ما قصده من المرام من فتح باب غربيا وادخال الحطيم فيه على وجه تمام النظام
فنقضه الحجاج وسد الباب الثانى واخرج الحطيم ورد الجدار الذى عليه الى ما كان
عليه ولعل الحكمة فى ذلك ان كل احد يتمكن من دخول البيت فى الجملة ولو بالدليل
الظنى وان يتميز ما ثبت من البيت بالدليل القطعى عن غيره مراعاة للاحوط المبتغى
فى استقبال الصلوة التى هى الركن الدينى وسبب تعظيم هذه البقعة بعد
اصطفاء الله ما شاء من الافراد الانسانية والحيوانية والاشياء الجمادية
والنباتية والاحوال الزمانية والمكانية ان الله سبحانه على ما ورد فى بعض
الآثار وروى فى بعض الاخبار لما خلق عرشه على الماء قبل خلق الارض
والسماء نظر الى الماء وتجلى على الهواء فتموج واضطرب الماء وخرج منه دخان
مرتفع خلق منه السماء وتزبد فوق الماء قطعة مقدار البقعة فجعلت الارض منها

ودحيت من جوانبها واطرافها ولذا سميت ام القرى ثم لما كانت تميد وتميل مرارا
ولم تستقر قرارا خلق الله الجبال اوتادا والقاها عليها اشتدادا واولها جبل ابو قبيس
المسمى بام الجبال اعتمادا ثم وقع البناء على تلك البقعة للدلالة على الوقعة ارشادا
مباركا كثير الخير المعنوى والنفع الدنيوى والاخروى لمن حجه واعتمره واعتكف دونه
وطاف حوله خصوصا وهدى للعالمين اى عموما لانه قبلة لحيهم وميتهم وسبب
هدايته الى جهة عباداتهم وادب جلستهم فى طاعتهم وافاد الاستاد ان البيت
حجرة والعبد مدرة فربط المدرة بالحجرة فالمدر مع الحجر وتقدس وتعزز من لم يزل
عن الغير ويقال البيت مطاف النفوس والحق سبحانه مقصود القلوب
البيت للطلال واثار ورسوم واحجار ولكن ان اثارنا تدل علينا فانظر بعدنا الى الآثار
ويقال البيت حجر ولكن ليس كل حجر كالذى يجانسه من الحجر فانه لقلوب الاحباب
مزعج لابل لاكباد الفقراء منضج بل القلوب قوم مثلج مبهج هو بيت من مطالعه
مقصد الاحباب ومزارهم وعنده يسمع اخبارهم ويشهد اثارهم بيت من
طالعه بعين التفرقة عاد بسر خراب ومن لاحظه بعين الاضافة حظى بكل تقرب
واحباب بيت كما قيل ان الديار وان طمست فان لها • عهدا باحبابنا اذ عندها نزلوا
بيت من زاره بنفسه وجد الطافه وعناياته • ومن شهد بقلبه نال كشوفاته ومشاهداته
ويقال قال سبحانه وطهر بيتى فاضافه الى نفسه وقال هنا ان اول بيت وضع
للناس وفى هذا طرف من الاشارة الى عين الجمع وسميت مكة بكة لازدحام الناس
عليه فالكل يتباجزون على البدار اليه ويزدحمون فى الطواف حواليه ويبذلون
المهج فى الطريق وهم مقبلون عليه فى التحقيق والبيت لم يخاطب احدا
منذ بنى بسينه ولم يستقبل واحدا بخطوة ولا ارسل عليه برسالة فاذا كان البيت
الذى خلقته الحجر هذا وصفه فى التعزيز فما ظنك بمن البيت له قال صلى الله
عليه وسلم الكبرياء ردائى والعظمة ازارى ويقال اذا كان البيت المنسوب اليه
لا تصل من ناحية من نواحيه والمتاهات فكيف تطمع ان تصل الى رب البيت بالهوينا
دون تحمل المشقات ومفارقة الراحات ويقال لا تعلق قلبك باول بيت وضع لك ولكن
افرد سرك لاول حبيب آثرك ويقال شتان بين عبد اعتكف عند اول بيت وضع له وبين عبد
لازم حضرة اول عزيز كان له ويقال ازدحام الفقراء حول البيت بهممهم ليس باقل من ازدحام
الاغنياء والطائفين بقدمهم ويقال الكعبة بيت الحق سبحانه فى الجهر والقلب بيت الحق
سبحانه فى السر قال قائلهم شعر لست من جملة المحبين ان لم
اجعل البيت بينه والمقاما • وطوافى اجالة السر فيه • وهو ركنى اذا اردت
استلاما • فالطائف تطوف بقلوب العارفين والحقايق تعتكف
فى قلوب الموحدين والكعبة مقصود حج العبد والقلب مقصود للحق بافراده اياه

بالتوحيد والوجد وقوله مباركا وهدى للعالمين بركاته اتصال الالطاف والكشوف
لمن قصده بهمه ونزل عليه بقصده هداه الى طريق رشده فيه آيات بينات كانحراف
الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضوارى السباع تخالط الصيود
فى الحرم بلا اضرار وان كل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل اهلكه وقهره الملك القهار
كذا ذكره المفسرون والمورخون لكن فى الآيتين الاوليين نظر ظاهر لانهما خلاف
مشاهدة الحاضر ولعلهما كانتا ايام الجاهلية للدلالة على تعظيم البقعة العلية ولما جاء
الشريعة السنية والآيات النقلية والدلالات العقلية الدالة على تعظيم
الكعبة البهية ارتفعت العلامات الحسية والصورية اكتفاء بالحقايق المعنوية
على انه قد قيل ان جلوس بعض الطيور فوق البيت الشريف انما هو استشفاء
لما فيه من الداء ببركة ذلك المحل المنيف ويؤيده ما قدمنا قول الاستاد ولكن لا تدرك
تلك الآيات بابصار الرؤس ولكن ببصائر القلوب وقال السلمى فيه آيات
اى علامات ظاهرة يستدل بها العارف على معروفه ولا يبعد ان يقال فيه اى
حواليه آيات اى علامات بينات اى واضحات ودلالات لايحات من المشاعر
العظام منها مقام ابرهيم لانه خارج عن داخل البيت الكريم او بدل من الآيات
بدل البعض من الكل او عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم فى الصخرة الصماء
وغوصها فيها الى الكعبين على وجه الابداء من الابتداء الى الانتهاء وتخصيصها
بهذه الآية لانه من بين الصغار وسائر الاشياء وابقاؤه دون سائر
آثار الانبياء حفظه الوف سنين مع كثرة الاعداء ويؤيد البيان انه فى آية بينة
على توحيد البناء وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام ابراهيم
على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه وظهر هذا الاثر وفى بعض الآثار
انه لما فرغ عن بناء البيت امر بنداء الناس اليه فصعد عليه ونادى الخلق لديه وقال
ايها الناس حجوا بيت ربكم فقالوا فى عالم الارواح والاصلاب والارحام لبيك
لبيك بعدد ما كتب الله لهم من احد النسكين وقال الشبلى مقام ابراهيم الخلة
فمن شاهد مقام الخليل فهو شريف ومن شاهد فى المقام الحق الجليل فهو
اشرف وافاد الاستاد ان مقام ابراهيم فى الظاهر ما تاثر بقدمه وفى الاشارة
ما وقف الخليل عليه بهمه ويقال ان شرف مقام ابراهيم لانه اثر الخليل ولاثر الخليل
عند الجليل اثر جميل وخطر جزيل ومن دخله كان آمنا ليس الضمير راجعا الى
المقام كما يتوهم العوام فانه لا يتصور فيه المرام بل هو عائد الى نفس البيت او
حرمه وهو ابلغ فى احترامه فيفيد ان من التجا اليه لا يجوز الاعتراض عليه وقد ثبت
فى الحديث ان من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا ويدل عليه صريحا
قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم والجملة خبرية

سبنى وانشائية معنى فالمراد من دخله فآمنوه ومن دخله بشرائط آدابه كان آمنا من عذاب الله
وحجابه قال الثورى من دخل قلبه سلطان الاطلاع كان من هواجس النفس ووساوس
امنا، قال الواسطى من دخله على الحقيقة كان امنا من رعونات النفس فى الطريقة
وافاد الاستاد ان مقام ابراهيم التسليم ومن كان مسلما الامور الى الله لم يبق له
اختيار فاذا لم يبق له اختيار كان امنا لان ضد الامن الخوف والخوف انما يكون
على ان يحصل مرادك على ما تريد فاذا لم يكن للعبد ارادة ولا اختيار فاى مساغ للخوف
فى وصفه ويقال انه قيل ان الكناية بقوله دخله راجعة الى البيت فمن دخل بيته على
الحقيقة كان امنا وذلك انه يكون دخوله على وصف الادب ولا محالة دخول
البيت تسليم الامور الى رب البيت فان من لم يكن صاحب التسليم فهو معارض
للتقدير ودخول البيت انما الارب فيه ان يكون دخولا على التسليم دون المعارضة
والنزاع فيؤول الى المعنى المتقدم وان جعلت الاشارة من البيت الى القلب
فمن دخل قلبه سلطان الحقيقة امن من نوازع البشرية وهواجس النفسية
فان من التجا الى ظل الملك لم يتخطا اليه محذور ويقال لا يكون دخول البيت
على الحقيقة الا بعد خروجك عنك فاذا خرجت عنك صح دخولك فى البيت
واذا خرجت عنك امنت ويقال دخول بيته لا يصح مع بقية حجابك اوطانك
ومعاهدتك فان الشخص الواحد لا يكون فى حالة واحدة فى مكانين فمن دخل بيت ربه
فبالحرى ان يخرج عن معاهد نفسه ولله على الناس متعلق بالعامل فى الخبر وهو
لله اى يجب عليهم حج البيت اى قصده للزيارة على الوجه المخصوص فى الشريعة
وقرأ حفص وحمزة والكسائى بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من
الناس مخصص له والضمير فى اليه للبيت او الحج والمعنى من قوى فى نفسه فلا تلحقه المشقة
فى ركوبه وله القدرة على الراحلة وملك النفقة لزمه به واياه فاضلا عما لا بد له منه
فقد وجب عليه الحج وقد فسر رسول الله عليه السلام الاستطاعة بالزاد والراحلة
ومن كفر بامتناعه عن الحج وقبول فرضه او باستحلال تركه فلا يضر الا نفسه
فان الله غنى عن العالمين اى عبادة الخلق اجمعين او المراد بالكفر كفران النعمة
او قرب الكفر بقربان المعصية المؤدية الى سوء الخاتمة وقيل وضع كفر موضع
لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذا ورد من مات ولم يحج فليمت ان شاء
يهوديا او نصرانيا وتخصيصهما بالذكر لانهما لم يقولا بفرضية الحج عليهما وافاد
الاستاد ان شرط الغنى ان لا يدخر عن البيت شيئا من ماله وشرط الفقير
ان لا يدخر عن الوصول الى بيته نفسا من روحه ويقال الاستطاعة فنون
مستطيع بنفسه وماله وهو الصحيح السليم ومستطيع بغيره وهو الزمن المعضوب
وثالث غفل الاكثرون عنه وهو مستطيع بربه وهذا نعت كل مخلص متحقق

فان عطايا

فان عطاياه لا تحملها الا مطاياه ويقال حج البيت فرض على اصحاب الاموال وحج
رب البيت فرض على ارباب الاحوال وقد ينسد الطريق الى البيت ويمنع الحاج عن
البيت ولكن لا ينسد الطريق الى رب البيت ولا يمنع الفقير عن رب البيت ويقال الحج هو
القصد الى من تعظمه فقاصد بنفسه الى زيارة البيت وقاصد بقلبه الى شهود رب البيت
فشتان بين حج وحج هؤلاء تحللهم عن احرامهم عند قضاء نسكهم واداء فرضهم وهؤلاء
تحللهم عن احرامهم عند شهود ربهم فاما القاصدون بنفوسهم فاحرموا عن المعهودات
من محرمات الاحرام واما القاصدون بقلوبهم فانهم احرموا عن المساكنات وشهود
الغير وجميع الانام ويقال ان سبيل من حج البيت انه يقوم باداب الحج فاذا عقد بقلبه
الاحرام يجب ان يفسخ كل عقد يصده عن هذا الطريق وينقض كل عزم يرده عن هذا
التحقيق واذا تطهر تطهر عن كل دنس من آثار الاغيار بماء الخجل ثم بماء الحياء ثم بماء
الوفاء ثم بماء الصفاء فاذا تجرد عن ثيابه تجرد عن كل ملبوس له من الاخلاق
الذميمة فاذا لبى بلسانه وجب ان لا يبقى شعرة من بدنه الا وقد استجاب لله فاذا
بلغ الموقف وقف بقلبه وسره حيث وقفه الحق بلا اختيار مقام ولا تعرض
لتخصيص فاذا وقف بعرفات عرف الحق سبحانه وعرف له تعالى حقه على نفسه
ويتعرف الى الله بتبريه عن منته وحوله والحق سبحانه يتعرف اليه بتوليه له بمنته
وطوله فاذا بلغ المشعر الحرام يذكر مولاه بنسيان نفسه ولا يصح ذكره لربه مع ذكره لنفسه
فاذا بلغ منى نفى عن قلبه كل طلب ومنى وكل شهوة وهوى واذا رمى الجمار رمى
عن قلبه وحذف عن سره كل علاقة فى الدنيا والعقبى فاذا ذبح ذبح هواه بالكلية
وتقرب به الى الحق سبحانه فاذا دخل الحرم عزم على التباعد عن كل محرم على لسان
الشريعة وبيان الطريقة واشارة الحقيقة فاذا وقع طرفه على البيت شهد بقلبه
رب البيت فاذا طاف بالبيت اخذ سره بالجولان فى الملكوت فاذا سعى بين الصفا
والمروة صفا عن كل كدورة بشرية وكل آفة انسانية فاذا حلق قطع كل علاقة بقيت له
فاذا تحلل من احرام نفسه وقصده الى بيت ربه استأنف احراما جديدا بقلبه فكما خرج
من بيت نفسه الى بيت ربه يخرج من بيته الى ربه فمن اكمل نسكه فانما عمل لنفسه ومن
تكاسل فان الله غنى عن العالمين وقال صلى الله عليه وسلم الحاج اشعث اغبر فمن
لم يتحقق بكمال الخضوع والذوبان عن كليته فليس باشعث ولا اغبر ومن نفائس
العرائس اضاف الحج الى نفسه لما فيه من آثار الربوبية وحقايق العبودية وايضا الزم
على عباده حق العبودية لاداء شكر الربوبية وايضا اضاف الحج فى اول الآية
لنفسه ونزه نفسه فى آخرها ليعلم اهل خبرة العبودية له شفقة على عباده لان العبادة
ترجع اليهم بالثواب وهو منزه عن الاسباب والقاصدون الى بيت الله على ثلثة اقسام
قسم منهم قاصدون الى البيت باموالهم وانفسهم لطلب الثواب وقسم منهم

القاصدون الى البيت بقلوبهم الصافية عن الدنيا وما فيها لامتثال الامر ومرضاة
رب الارباب وقسم منهم القاصدون الى مشاهدة رب البيت بارواحهم
العاشقة لطلب حقايق المعرفة والقربة وصفاء الوصلة وزيارة مشهد التجلي والتدلي
فاهل الظاهر يحرمون على المحظورات ويحلون عند فراغ العبادات واهل الباطن
يحرمون عن الكائنات ولا يحلون ما دام هواء الدنيا الى مشاهدة الذات وكشف
الصفات فشتان بين من يحرم من المعهودات وبين من يحرم من المسكنات وشهود
المكونات آه ذهبوا وذهب معهم البركات وغربت بغروبهم في مغارب الابد
شموس الكرامات واقمار الآيات رحمة الله عليهم من الاحياء والاموات وفي النفائس
عرائس لم نذكرها خوفا من الملالة الناشية عن الهواجس قل يا اهل الكتاب لم تكفرون
بآيات الله بآياته النقلية والعقلية والآفاقية والانفسية وتخصيص اهل الكتاب
بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح في هذا الباب وانهم وان زعموا انهم مؤمنون
بالتورية والانجيل فهم كافرون بكل كتاب لا سيما وهم منكرون لحج مردودون عن هذا
الجناب وافاد الاستاد ان الخطاب بهذه الآية تاكيد الحجة عليهم فمن حيث الشرع
يؤكد الحجة عليهم ومن حيث الحقيقة والقهر يبسط الحجة عليهم فهم مدعوون
شرعا وامرا مطرودون حكما وقهرا والله شهيد على ما تعملون اى مطلع على اعمالكم واحوالكم
مجازيكم باقوالكم وافعالكم قل يا اهل الكتاب لم تصدون اى تصرفون او تمنعون الناس
عن سبيل الله من آمن اى دينه وكتابه ونبيه تبغونها عوجا حال كونهم باغين طالبين
لها اعوجاجا عن الحق وميلا عن الصدق بالتلبيس والتزوير والتحريف بين الكبير
والصغير وانتم شهداء اى عارفون انها سبيل الكمال وان الصد عنها
ضلال واضلال وما الله بغافل عما تعملون من الافعال في كل الاحوال وافاد الاستاد
انه كيف يصد غيره من هو مصدود في نفسه ان في هذا التبرى الربوبية الى تسليم العبودية يا ايها الذين آمنوا ان
تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب وهم طائفة من اهل الاضلال يردوكم بعد ايمانكم
كافرين من اهل الضلال فترجعوا بعد علو الكمال الى حضيض النكال والوبال في الحال والمآل
وافاد الاستاد ان الوحشة ليست لازمة لاصحابها بل هي متعدية الى كل من يحوم حولها
فمن اطاع عدو الله ابى شؤم صحبته الا الغلاء في ورطة ثم الآية نزلت في نفر من الاوس
والخزرج حيين من الانصار حين اغرى قوم من اليهود بينهم ليفتنوهم عن دينهم الى ان
تداعى بعضهم بعضا الى القتال فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام والف بينكم
بالاجتماع والتضام فالقوا السلاح واظهروا الصلاح واستغفروا وتعانقوا فخاطبهم
وعاتبهم بقوله وكيف تكفرون اى بعد الايمان وانتم تتلى عليكم آيات الله اى من القرآن
وفيكم رسوله اى بالمشاهدة والعيان فالاستفهام للانكار على وجه التعجب والاستبعاد

مع ظهور ارباب الارشاد والاسعاد وافاد الاستاد انه لا ينبغي لمن اشرق في قلبه
شموس العرفان ان يتوقع الكفر عليه طلة فانه اذا اقبل النهار من ههنا ادبر الليل من ههنا
ومن يعتصم بالله اى يتمسك بدينه ويلتجئ اليه في جميع امره فقد هدى الى
صراط مستقيم اى موصل الى وصله قال الاستاد انما يعتصم بالله من وجد العصمة من الله
فاما لم يهده الله فمتى يعتصم بالله فالهداية منه في البداية توجب اعتصامك به في النهاية
لا الاعتصام منك يوجب الهداية وحقيقة الاعتصام به صدق الالتجاء اليه ودوام الفرار اليه
واستصحاب الاستغاثة اليه ومن كشف عن سره غطاء التفرقة بان لا غيره به ذرة
ولا منه سنية وقد ورد اعوذ بك منك ومن اعتصم بنفسه دون ان يكون محوا عن حوله
وقوته في اعتصامه فالشرك وطنه وهو لا يشعر به ومن نفائس العرائس من اعتصم به
اهتدى به اليه لانه في محل المعرفة ومن عرفه يستعيذ برضاه من سخطه ومعافاته من عقوبته
وبه منه وبهذا استعاذ سيد الانبياء عليه افضل التحية والثناء قال في سجوده حال شهوده
اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي
ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وكان عليه السلام ذلك الوقت في
مشاهدة الجلال والجمال والكمال والقدم والبقاء والجبروت والكبرياء بنعت المعرفة
على بعض اسرار ارادته فخاف به منه واستعاذ منه اليه وايضا من اعتصم بالله
هداه الله الى معرفة عيوب النفس ومكائد الشيطان واخلاق القلب وشمائل الروح
واوصاف العقل وامور المعاملات وحقيقة الحالات وطلب المكاشفات لاطلاع
على المشاهدات ولمة الملائكة وعلوم الالهام والفراسات وايضا الاعتصام انجذاب
القلب عن الاسباب والارباب والتبري الى الله تعالى من الحول والقوة ومن قطع
حبل القلب عن الخلق ارتفع قيام البين بينه وبين الحق والاعتصام قبل المعرفة
محال والمعرفة قبل المشاهدة محال ومن شاهد الله تعالى بنعت المعرفة اعتصم به
في جميع مراده وفي تفسير السلمي عن الواسطي الاعتصام ان ترى نفسك في ظله وكرمه
وحسن قيام نظره لك في ازله وابده يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته اى حق
تقواه وعلى وفق مرضاه من استفراغ الوسع في اكتساب الاوامر واجتناب الزواجر
لقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رض موقوفا ومرفوعا في بيان
تقوى ارباب الكمال في محبة المولى هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى
وعن بعض العارفين هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها
وقال الثوري حق تقواه ان لا يرى في قلبك شيء سواه وافاد الاستاد ان حق التقوى
ان يكون على وفق الامر لا يزيد من قبل نفسه ولا ينقص وهذا هو المعتمد من الاقاويل فيه
والامر على وجهين على وجه الحتم وعلى وجه الندب وكذلك القول في النهي على قسمين
تحريم وتنزيه فيدخل في جملة هذا ان يكون حق تقاته اولا اجتناب الزلة ثم اجتناب

العقلية ثم التقوى عن كل خلة ثم التقى عن كل علة فاذا انقضيت عن شهود تقواك
بعد اتصافك بتقواك فقد اتقيت حق تقواك وحق التقوى رفض العصيان ونفي
النسيان وصون العهود وحفظ الحدود وشهود الالهية والانسلاخ عن الاحكام
البشرية والخمود تحت جريان الحكم بعد اجتناب كل جرم وظلم واستشعار الا نفة
عن التوسل اليه بشيء من طاعتك دون صرف كرمه لك والتحقق بانه لا يقبل احدا بعلة
ولا يرد احدا بعلة ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي كونوا على الاسلام وداوموا على الاسلام
حتى اذا اتاكم الموت صادفكم على حال النظام فهو في الحقيقة نهي عن ترك الاسلام
فالمعنى لا تكونن على حال سوى الاستسلام التام في جميع الليالي والايام فان اتى الموت
انما هو على الابهام وفيه ايماء الى ان مدار السعادة على حسن الخاتمة ولما اريد بالاسلام
كمال الانقياد والاستسلام بمتابعة جميع الاحكام فسر مسلمون بممتزوجون اي كاملون
عاملون بكتاب الله وسنة النبي عليه السلام وقال الاستاذ اي لا تصادفكم الوفاة
الا وانتم بشرط الوفاء واعتصموا بحبل الله اي بدينه الذي ارتضاه او بكتابه المشتمل
على احكامه وما سواه بوصف المبين لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين واستعير له الحبل
من حيث ان التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة
عن التردي ومن حيث انه وسيلة للصعود عن بئر غوايته الى شرف هدايته وقابل
للتنزل من العلو في حالته ولذا ورد القرآن حجة لك او عليك وفي رواية القرآن
شافع مشفع او ماحل مصدق جميعا اي حال كونكم مجتمعين عليه غير متفرقين عنه
فان الاجتماع المشعر بالاجماع من اقوى الحجج عند الاستماع كما يشير اليه قوله ولا تفرقوا
وفي رواية البزي بتشديد التاء والمعنى لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف
في قضية الصدق ثم الاعتصام بالله نسبة حقيقية والاعتصام بحبل الله سببية
اضافية وقال الواسطي من يعتصم بالله للخاصة واعتصموا بحبل للعامة وافاد الاستاذ
ان الاعتصام بحبله سبحانه التمسك بآثار الواسطة وذلك بالتحقق والتعلق
بالكتاب والسنة ويصح ان يقال للخواص يقال لهم واعتصموا بحبل الله وخاص
الخاص قيل لهم واعتصموا بالله ولمن رجع عند سوانحه الى اختياره واحتياله
او فكرته واستدلاله او معارفه واشكاله او التجى الى ظل تدبيره او استظل بنور عقله
وتفكيره فمنزوع عنه ظل العناية وموكول الى سوء حاله في الرعاية والتفرقة اشد
العقوبة وهي قرينة الشرك المعبر عنه بالفتنة ومن نفائس العرائس ان وحشة التفرقة
تكون في الغيبة وحقيقة الجمعية تكون في مشهد المشاهدة وحبل الله انواع الواسطة
للجمعية من الهداية والكفاية والرعاية والعبودية والمعرفة والمحبة والخدمة والادب
والحرمة والحشمة والنبي والكتاب والسنة اوجب على الجمهور الاعتصام بهذه الوسائل
حتى وصلوا اليه ولا تفرقوا عنه لان من رجع الى معاملته ومجاهدته وحيلته وفكرته فهو

بمعزل

بمعزل عن ظل العناية وكنف الكفاية والاعتصام بالله من باب المعرفة ارشد طائفة
الى نفسه بلا وسائط واغرقهم في بحار وجوده حتى يلتجئوا من قعر بحر الذات الى سفن
الصفات لينقذهم من لطمات النكرة بانوار المعرفة وفي مشهد التوحيد الاعتصام
للمحبين جهل بعلم القدم وللعارفين مكر وحجاب برسوم المعرفة عن حقائق الاسرار
وللموحدين كفر لان حقيقة التوحيد حال خمود السر عن الارادة عند ارادة الحق
وفناء الموحد عن الموحد به في رواية الموحد لان من التفت عنه بعد شهوده عن
القدم الى رسوم الربوبية والعبودية فهو شرك في الحقيقة وهذا من غرائب
شطحياتي واذكروا نعمت الله عليكم اي التي من جملتها الهداية والتوفيق للرعاية
المؤدية الى الالفة المألوفة من المعية والحالة الجمعية والهيئة الاجتماعية اذ كنتم
اعداء اي في زمن الجاهلية فالف بين قلوبكم اي فاوقع الالفة واثبت المحبة
فيما بينكم بالاسلام وموافقة الاحكام وفي حقائق السلمي قيل اي كنتم اعداء بملازمة
حظوظ انفسكم فالف بين قلوبكم فازال عنكم حظوظ الانفس وردكم منها الى حظ
الحق فيكم فاصبحتم بنعمته اخوانا اي فصرتم بانعام هدايته واكرام رعايته متحابين مجتمعين
على الاخوة في الله والمحبة في رضاه وقال الاستاذ كانوا اعداء حين كانوا قائمين
بحظوظهم معرجين على ضيق البشرية متزاحمين بمقتضى شح النفوس فالف بين قلوبهم
بالخلاص عن اسر المكونات ودفع الاخطار عن اسرارهم فصار مقصودهم جميعا واحدا
والف المتخصص في طلب واحدهم في الحقيقة واحد فاصبحتم بنعمته التي هي عصمته اياكم
اخوانا متفقي القصد والهمة متفانين عن حظوظ النفس وخفايا البخل والشح
وسائر الدنس وكنتم على شفا حفرة من النار اي طرف محفورة منها والمعنى
وكنتم مشفقين ومشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك
الحالة من التفرقة لوقعتم في نار الهاوية كما ان من ادركه الموت في حال الاسلام
من الجمعية لوقع في روضة الراضية وقد اشار اليهما حديث القبر روضة من رياض
الجنان او حفرة من حفر النيران فانقذكم منها اي خلصكم من الحفرة او النار
بالايمان والاقرار وقيل المعنى كنتم على شفا حفرة من النار برؤية النجاة بالعمل
فانقذكم منها بمشاهدة الفضل كذا في حقائق السلمي وقال الاستاذ كنتم تحت
اسر مناكم ورباط حظوظكم وهواكم فانقذكم منها بنور الرضاء والخمود عند جريان
القضاء وتلك حقائق الحكمة العظمى والدرجة الكبرى ويدخل في جملة هذا ترك السكون
الى ما منك من المناقب والتقى والعقل والحجى والتحصيل والنهى والفرار الى الله
عن كل غير وسوى كذلك اي مثل ذلك التبيين المبين كالعيان يبين الله
لكم آياته اي دلائله المؤيدة بالبرهان لعلكم تهتدون الى مدارج العرفان ومعارج
الايقان ولتكن منكم ايها المؤمنون ومن بيانية متقدمة او تبعيضية مفيدة

ان الامر للوجوب على وجه الكفاية امة اى جماعة يدعون الى الخير اى الى الاسلام
او الاستسلام بالمواعظ واستحسان الكلام ويأمرون بالمعروف وهو امتثال
الطاعات وينهون عن المنكر وهو ارتكاب السيئات واولئك اى الموصوفون
بما ذكر هم المفلحون اى الكاملون فى الفلاح الفائزون بالنجاح وافاد الاستاد ان هذه
الآية اشارة الى اقوام قاموا بالله فى الله لا يأخذهم لومة ولا يقطعهم عن الله استنافة
الى علة وقفوا جملتهم على دلالة امر الله وقصروا انفاسهم واستغرقوا اعمارهم على تحصيل
رضاء الله وعملوا لله ونصحوا الدين لله ودعوا خلق الله الى الله فربحت تجارتهم وما خسرت
صفقتهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا اى فى شأن دينهم واختلفوا اى فى امر
دينهم كاليهود والنصارى وغيرهم من بعد ما جاءهم البينات اى الآيات الواضحات
والدلالات اللائحات الموجبة للاتفاق المبينة لعدم الافتراق والمراد النهى عن
التفرق فى الاحوال الممهدة دون الفروع المرتبة لقوله عليه السلام على ما روى جماعة
من علماء الامة اختلاف امتى رحمة واولئك اى الموصوفون بالتفرق فى الدين
القويم لهم عذاب عظيم حجاب جسيم وهذا وعيد لهم وتهديد لمن تشبه بهم وافاد الاستاد
ان هؤلاء اقوام اظهر عليهم فى الابتداء رقوم طلب الوصلة ثم وسمهم فى الانتهاء بكى الفرقة
فبانوا فى تيه الاحباب واصبحوا فى زمرة الاجانب وراء الحجاب يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه قيل بياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور والنعمة
وكآبة الحزن والمحنة والاظهر انهما على ظاهر معناهما ثم قيل تبيض وجوه بالشهادة
فى سبيله وتسود وجوه بالفرار عن طريقه وقيل تبيض بالقناعة بما اعطاهم الحق
وتسود وجوه بالطمع فى الخلق وقال محمد بن على تبيض وجوه بنظرهم الى مولاهم
وتسود وجوه باحتجابهم عنه كذا فى الحقائق السلمى والاظهر ان يقال تبيض بالعلم
وتسود بالجهل او تبيض بالايمان وتسود بالكفران لقوله فاما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم اى يقال لهم توبيخا اكفرتم بالباطن بعد ايمانكم بالظاهر فالخطاب
للمنافقين او اكفرتم بمحمد عليه السلام بعد ظهور نبوته ووضوح رسالته بعد ايمانكم به قبل
بعثته فالخطاب لاهل الكتاب او اكفرتم بالافتراق بعد ايمانكم جميعا يوم الميثاق فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون اى بالنفاق او الشقاق واما الذين ابيضت
وجوههم فلا يقال لهم بواسطة من العلم والعمل لكونهم من اهل التوحيد والفضل
بل يقال لهم ففى رحمة الله اى فانتم منغمسون فى رحمته ومنطمسون
فى نعمته للاشعار بان المؤمن وان استغرق عمره فى طاعته لا يدخل الجنة الا
بفضله ورحمته ثم قدم ذكرهم فى الاجمال المذكور واخر فى التفصيل المسطور ليكون
مطلع الكلام ومقطع المرام حلية المؤمنين ومثوبة الموقنين هم فيها اى
فى رحمته التى هى كناية عن جنته التى هى محل نعمته خالدون دائمون باقون

بخلاف

بخلاف الكفار فانهم فى العذاب مخلدون ولعله ترك بيان خلودهم لظهور امرهم
او للاكتفاء بضدهم او للاعراض عن ذكرهم ويمكن ان يكون التقدير فذوقوا
العذاب المخلد بكفركم بدل شكركم وافاد الاستاد ان ارباب الدعاوى تسود
وجوههم واصحاب المعانى تبيض وجوههم واهل الكشوفات غدا تبيض
بالاشراق وجوههم واصحاب الحجاب تسود بالحجبة وجوههم فيعلوها
غبرة وترهقها قترة ويقال من ابيض اليوم قلبه ابيض غدا وجهه ومن كان
بالضد فحاله عكسه ويقال من اعرض عن الخلق عند سوانحه ابيض وجهه بروح
التفويض ومن علق بالاغيار قلبه عند حوائجه اسود محياه بغبار الطمع واما الذين
ابيضت وجوههم ففى الانس وروح واما الذين اسودت وجوههم
ففى محن ونوح تلك آيات الله اى الواردة فى وعده ووعيده نتلوها عليك
بالحق اى بالوجه الثابت لصدق وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم
منه لانه لا يجب لشئ عليه فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شئ يكون ملك غيره فيظلم بفعله
لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما فى السموات وما فى الارض ملكا وملكا والى الله
ترجع الامور علما وحكما فيجازى كلا بما وعده واوعده فضلا وعدلا وافاد الاستاد
ان نديم مخاطبتنا معك على دوام الاوقات بالامداد فى كل قليل وكثير عمارة لسبيل
الوداد وما الله يريد ظلما للعباد واى لجواز الظلم فى وصف تقديرا ووجودا والخلق كلهم
خلقه والحكم عليهم حكمه كنتم خير امة اى فى علم الله او فى اللوح المحفوظ او فيما مضى من
الامم او المعنى انتم ايها الصحابة واتباعكم خير امة اخرجت للناس اى اظهرت
لهم على طريقة ينفعهم كما بينه بقوله تأمرون بالمعروف اى ما استحسنه
الشرع او ما نشأ عن المعرفة وقال الصادق المعروف ما وافق الكتاب والسنة
وتنهون عن المنكر اى ما استقبحه الشرع او ما نشأ عن الفكرة او ظهر من اهل البدعة
وهذا مقام التكميل وتؤمنون بالله وبما جاء من عنده على وفق ما قضاه ايمانا
ثابتا فى مقام الكمال غير متقيد بحال من الاحوال ولذا قال بعض العارفين الصوفية
بخير ما تناقروا فى الاقوال والافعال ولعل وجه تأخيره مع اقتضاء الترتيب
تقديمه ليلايم قوله ولو آمن اهل الكتاب اى ايمانا كايمانكم لكان اى ايمانهم
خيرا لهم مما هم عليه من شر احوالهم وسوء اعمالهم منهم المؤمنون
اى الكاملون فى الايمان الداخلون فى الاسلام كعبد الله بن سلام وهم قليل منهم او
بعضهم واكثرهم الفاسقون اى المعاندون او المنافقون قال يحيى بن معاذ
هذه الآية مدحة لهذه الامة وما كان الله ليمدحهم ثم يعذبهم كذا فى الحقائق وافاد الاستاد
انه لما كان المصطفى صلى الله عليه وسلم اشرف الانبياء كان خدمه اشرف الامم
ولما كانوا خير الامم كانوا اشوق الامم فلما كانوا اشوق الامم اليه كانت اعمارهم اقصر

الاعمار وخلقهم آخر الخلائق لئلا يطول مكثهم تحت الارض ثم ما حصلت خيريتهم
بكثرة صلاتهم وعباداتهم ولكن بزيادة اقباله عليهم وتخصيصه اياهم والقد طال وقوف
المتقدمين بالباب ولكن لما خرج الاذن بالدخول تقدم المتأخرون وكم باسطين الى وصلنا
اكفهم لم ينالوا نصيبا والمعروف خدمة الحق والمنكر صحبة النفس والانس بالخلق المعروف
ايثار حق الحق والمنكر اختيار حظ النفس المعروف ما يزلفك اليه والمنكر ما يحجبك عنه
وشرط الامر بالمعروف ان يكون متصفا بالمعروف وحق الناهي عن المنكر ان يكون
منصرفا عن المنكر انتهى وهذا شرط الكمال في مقام الاكمال لقوله تعالى اتأمرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم والا فالاظهر ان العاصي يجب ان ينهى غيره من ولده وعبده
ونحوه عما يرتكبه بنفسه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب
الآخر ثم قال الاستاذ في قوله تعالى ولو آمن اهل الكتاب لو دخل الكافة تحت امرنا
لوصلوا الى حقيقة العز في الدنيا والعقبى ولكن بعدوا عن القبول في سابق الاختيار
فصار اكثرهم موسوما بالشرك والتعلق بالاغيار لن يضروكم اى اعداؤكم من
اهل الكتاب الا اذى اى ضررا يسيرا كطعن وتهديد يوجب لكم بالصبر عليه اجرا
كثيرا وان يقاتلوكم يولوكم الادبار اى ظهورهم عند ظهوركم عليهم بالفرار ثم
لا ينصرون في هذه الدار ويعذبون بالنار في دار القرار وافاد الاستاذ ان الحق
سبحانه لا يسلط اعداءه على اوليائه الا بمقدار ما يصدق الى الله فرارهم فاذا
حق فرارهم اكرم لديه قرارهم وان استطالوا على الاولياء بموجب حسبانهم انعكس الحال
عليهم بصغارهم وهوانهم ضربت عليهم الذلة اى الزمهم الله المهانة والمذلة بهدر
النفس والمال والاهل والجزية اين ما ثقفوا اى وجدوا في جميع الاحوال الا بحبل
من الله وحبل من الناس اى الا معتصمين بذمة الله وعهده الذي عاهدهم او كتابه الذي اتاهم
وذمة المسلمين وعهدهم بالمهادنة لهم او ضرب الجزية عليهم وباؤا اى رجعوا
بغضب من الله اى مستوجبين للسخط واللعنة بعدما كانوا من اهل الرضاء
والرحمة وضربت عليهم المسكنة اى الباطنة والظاهرة حيث سكنوا واطمأنوا
بالدنيا عن الآخرة والمعنى احيطت بهم احاطة الخيمة المضروبة على اهلها
الساكنة ذلك اى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب الموجب
للبعد عن الرحمة بانهم كانوا يكفرون بآيات الله اى المنزلة او دلالة المعجزة
ويقتلون الانبياء بغير حق بغير جرم من الانبياء حتى في زعم الاعداء ذلك
اى ما ذكر من الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون اى بسبب عصيانهم
القاصرة والمتعدية فان الاصرار على الصغائر يفضي الى ارتكاب الكبائر والاصرار
على الكبائر يؤدي الى الكفر الموجب للمقت في الوقت والبعد عن السعد والفرقة والحرقة
وحرمان الوصلة وسائر النعمة وافاد الاستاذ ان علم الهجران لا ينكتم وسمة البعد لا تخفى

ودليل

ودليل القطع لا يستتر فهم في صغار الطرد وذل الرد يعتبر بهم اولوا الابصار ويفتخر بهم
اضرابهم من الكفار والفجار ليسوا اى اهل الكتاب سواء اى مستوين في المساوي
لما سبق من ان منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ولقوله من اهل الكتاب
امة قائمة بالحق مستقيمة في الصدق وهم الذين اسلموا منهم يتلون اى
يقرؤن او يتبعون آيات الله اى من القرآن آناء الليل الظاهر استيعاب
ساعاته واجزائه او يراد استيعاب المجموع لا من كل واحد في اثنائه ولعله لم يذكر
آناء النهار للاكتفاء او للايماء بانه الوقت الاولى والاصفى للتلاوة والعبادة
وهم يسجدون اى والحال انهم يصلون ويتلون القرآن في تهجدهم او انهم
يصلون صلوة العشاء المختصة بالمسلمين لما روى احمد في مسنده انه عليه السلام
اخر صلوة العشاء ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس
من اهل هذه الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم ثم قرأ ليسوا سواء من
اهل الكتاب الآية ولا يبعد ان يقال المعنى وهم ينقادون لحكم ربهم في ما يتعلق
بامرهم ونهيهم ثم مدحهم سبحانه باوصاف جمة من مختصات هذه الامة
بقوله يؤمنون بالله واليوم الآخر اى كايمان المسلمين ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات كاكابر المؤمنين واولئك من الصالحين
اى الموصوفون بالاوصاف المذكورة ممن صلحت احوالهم عند الله
واستحقوا ثناءه ورضاه او المراد بالصالحين القائمون بحقوق الله وحقوق
ما سواه وافاد الاستاذ انه سبحانه كما غاير بين النور والظلام مغايرة تضاد
فكذلك اثبت منافاة بين احوال الاولياء واحوال الاعداء ومتى يستوي الضياء
والظلمة واليقين والتهمة والوصلة والفرقة والبعاد والالفة والمعتكف على
بساط الآداب والمنصرف عن الباب والمتصف بالولاء والمنصرف عن
الوفاء هيهات لا يلتقيان وكيف يتفقان او يستويان وما تفعلوا من خير
فلن يكفروه بالغيبة قراءة حفص وحمزة والكسائي اى فلن يحرموه ولن يضيع
عند الله ثوابه وسمي ذلك كفرانا كما سمي جزاء الثواب شكرا والله عليم
بالمتقين بشارة لهم واشارة الى ان التقوى مبدأ خيرهم وقال
الاستاذ لن يخيب عن بابه قاصد ولن يخسر عليه تاجر ولن يستوحش
معه مصاحب ولن يذل له طالب ان الذين كفروا لن تغني اى لن تدفع عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب فيكون مفعولا به او لن تنفعهم
ولا تكفيهم شيئا من الغنى بمعنى الكفاية فيكون مفعولا مطلقا واولئك
اصحاب النار اى ملازموها في دار البوار هم فيها خالدون اى مخلدون مع
الاغيار وقال الاستاذ لا في الحال لهم بدل ولا في المال لهم عنهم

خلف فيهم في عاجلهم في نقص وخسر وفي آجلهم في قطع وهجر وبلاد وضر وعذاب ونكر
شعر تبدلت وتبدلنا فاخسرنا • من ابتغى عوضا بسلمى فلم يجد • مثل ما ينفقون
اى صفة ما ينفق الكفرة قربة صورية او مفاخرة جاهلية او المنافقون رياء وسمعة
في هذه الحيوة الدنيا اى الازمنة الفانية او في الامور الدنيا الدنية كمثل ريح فيه
نوع من اللطافة المكية فيها صر اى صوت شديد وبرد اكيد اصابت حرث قوم
اى زراعة جماعة في الامور الحسية ظلموا انفسهم اى بالكفر والمعصية فاهلكته
اى عقوبة لافعالهم السيئة بحيث لم يبق لهم منفعة دنيوية ولا اخروية وما ظلمهم الله
اى بضياع نفقاتهم واهلاكه زراعاتهم لان افعاله سبحانه اما عدل واما
فضل لا باطل ولا هزل ولكن انفسهم يظلمون بارتكاب الظلم الموجب للظلمة المانعة
عن رواية نور المعرفة وافاد الاستاذ انهم ما وجدوا ميراث ما بذلوا لغير الله الا حسرات
متتابعة وما حصلوا من حسناتهم الا على محن مترادفة وذلك جزاء من اعرض
وتولى اى عن طريق محبة المولى الى متابعة الهوى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
بطانة من دونكم اى نفسا اجنبية ووليجة دخالة في اموركم واخباركم مطلعة
على افعالكم واسراركم كالبطانة المتصلة بابدانكم كائنة من غير طريقكم وادیانكم
لا يألونكم خبالا اى لا يقصرون لكم في فساد احوالكم ودوا ما عنتم اى احبوا عنتكم
وتمنوا مضرتكم ومشقتكم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم
اكبر اى ظهرت العداوة الكامنة في قلوبهم من كلامهم والسنتهم حيث
لا يتمالكون ضبط انفسهم لفرط بغضهم وعداوتهم قد بينا لكم الآيات اى اظهرنا لكم
العلامات الدالة على موالاة المؤمنين الموافقين ومعاداة الكافرين والمنافقين
ان كنتم تعقلون امر الدين على وجه اليقين وافاد الاستاذ ان الركون الى العدو
بعد تبين المشاقة اعانة على المحال بما لا يبلغه كيد العدو في المال واشار الحق
سبحانه على المسلمين الابرار بالتحرز عن الاغترار واظهار البراءة عن الاغيار
ودوام الخلوص للحق سبحانه بالقلوب والاسرار واخبر ان مضارة القوم للرسول
اصلية غير طارية وكيف لا وهو عليه السلام محل الاقبال وهم في محل الاعراض
والادبار ومتى يجتمع الليل والنهار ها انتم اولاء المخطئون في موالاة الكفار
تحبونهم اى بالاغترار ولا يحبونكم اى في الاسرار الدال عليها بعض الاظهار
وتؤمنون بالكتاب كله اى بجنس الكتب جميعه وهم لا يؤمنون بكتابكم فانتم احق
بالبغضاء لهم منهم لكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم
قالوا آمنا كايمانكم واذا خلوا اى مضوا الى شياطينهم او خلوا في مساكنهم عضوا
عليكم اى على عداوتكم الانامل اى انامل اصابعكم من الغيظ من اجله تأسفا
وتحسرا حيث لم يجدوا اسبيلا اليكم في التشفي والغلبة عليكم قل موتوا بغيظكم

ان الله

ان الله عليم بذات الصدور اى بالحالات المضمرة في قلوبكم كما هو عالم بالامور
المظهرة على افواهكم وقال الاستاذ انتم بقضية كرمكم تصفوا عن الكدورات
قلوبكم فتغلبكم الشفقة عليهم والرحمة اليهم وهم لعتوهم وحنقهم يكيدون لكم
ما استطاعوا ولفرط وحشتهم لا يترشح منهم الا قطرات غيظهم ففرغ يا محمد
قلبك منهم قل موتوا بغيظكم دعهم ينفردوا بمقاساة ما يتداخلهم من الغيظ
بهم واستريحوا بقلوبكم عما يحل بهم فان الله اولى بعباده يوصل الى من يشاء
ما يشاء من مراده ان تمسسكم حسنة اى يصبكم ادنى منفعة تسؤهم اى تحزنهم
وان تصبكم سيئة اى مضرة يفرحوا بها والتغاير بين فعلي الشرطية بعد
اعتبار التفنن في الصفة التعبيرية للايماء بان فرحهم انما يكون باصابة المصيبة
العظيمة وان تصبروا على عداوتهم واذيتهم وتتقوا موالاتهم لا يضركم
كيدهم شيئا من ضر بكيدانهم وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو لا يضركم من ضاره
يضيره بمعنى ضره يضره ان الله بما تعملون اى باعمالهم محيط فيجازيهم
على وفق احوالهم وفي قراءة شاذة بالخطاب على التغليب وافاد الاستاد
ان الاشارة من هذه الآية الى المنصرفين عن طريق الارادة الراجعين الى احوال
العادة لا يتعجبهم ان يكون لمريد نفاذ وان راو فترة لقاصد استروحوا الى
ذلك وان الله تعالى بفضله ومنته يتم نوره على اهل عنايته ويذر الظالمين
الزائغين عن سبيله في عقوبة بعادهم لا يبالي بما يستقبلهم واذ غدوت
اى ذهبت من اهلك اى من حجرة عائشة رض حال كونك تبوئ المؤمنين
اى تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم مقاعد للقتال اماكن ومصاف لقتال
المشركين يوم احد والله سميع باقوالكم عليم باحوالكم وفيه تنبيه على مباشرة
الاسباب والتوكل على رب الارباب في الكفرة وفتح جميع الابواب قال الاستاذ
اقامه صلى الله عليه وسلم بتبوئته الاماكن للقتال فانتدب لذلك بامره ثم
اظهر في ذلك الباب مكنونات سره فالمدار على قضائه وقدره والاعتبار
باجرائه واختياره اذ همت طائفتان اى جماعتان منكم وكانتا جناحي العسكر
فكم ان تفشلا اى تجبنا وتضعفا والله وليهما اى حافظهما عن اتباع
خواطرهما وترك ما يجب عليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون لا على غيره من الاسباب
لا سيما في هذا الباب وافاد الاستاذ انه سبحانه يبرز الجميع في صدار الاختيار
كان الامر اليهم في نفيهم واثباتهم وفعلهم وتركهم وفي الحقيقة لا ينقلبون الا
بتصريف القبضة وتقليب القدرة ولقد نصركم الله اى حال ذلك ببدر
وهذا تذكير ببعض ما افادهم التوكل للنصر وانتم اذلة اى حال كونكم ذليلين
قليلين في العدة والعدد فاتقوا الله في الثبات وطلب النصرة لعلكم تشكرون

بما انعمنا عليكم من النعمة وفى الحقايق لقد نصركم الله ببدر لضعفكم وصحة توكلكم
على ربكم وانقطاعكم عن حولكم وقوتكم وردكم الامر بالكلية اليه وانتم اذلة عند انفسكم
لقلتكم وما كان بذواء قط اى بتذليل النفس بالطاعات ومنعها عن الشهوات
واللهوات وقال الاستاذ تذكير ما سلف من الانعام فتح باب التملق فى اقتضاء
امثاله فى مستانف الايام وما احسن قول الشاطبى اليك يدى منك الايادى
تمدها اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة
منزلين وبالتشديد للشامى بلى اى يكفيكم بل زيادة المدد بزيادة العدد
ثابتكم ان تصبروا على المقاتلة وتتقوا المخالفة ويأتوكم اعداؤكم من فورهم
اى وقتهم وحالهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين معلمين
من التسويم الذى هو اظهار سيماء الشيء كقوله عليه السلام سوموا فان الملائكة
سومت اى بالعمامة وقيل مع العذبة وقال ابن عباس كانت سيماء الملائكة
يوم بدر عمايم بيض قد ارسلوها فى ظهورهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم بكسر
الواو وقال الاستاذ كان تسكين الحق سبحانه لقلب المصطفى صلى الله
عليه وسلم بلا واسطة من الله تعالى والرابط على قلوب المؤمنين بواسطة
الرسول عليه السلام فلولا بقية بقيت عليهم والآثار ردهم فى حديث النصرة
الى انزال الملائكة والا فحديث الملك والامر كله بيد الملك وما جعله الله
اى امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم اى بشارة للنصرة لكم لتستبشروا ولتطمئن
قلوبكم به وتسكن نفوسكم من الخوف اليه وما النصر الا من عند الله لا من
العدة ولا من العدد فى جميع المدة وانما بشارة المدد من حيث ان نظر العامة
الى الاسباب اكثر ليتكلموا ولا يبالوا بمن تقدم وتأخر العزيز الغالب
على مراده الحكيم فى تدبير امر عباده وافاد الاستاذ انه سبحانه اجرى سنته
مع اوليائه انه اذا ضعفت نياتهم او تناقضت اراداتهم اشرف
قلوبهم على بعض فتراتهم اراهم من صنوف عناياته وفنون كراماته ما يقوى به
اسباب عرفانهم وتأكد حقايق ايقانهم فعلى هذه السنة انزل هذا
الخطاب الى الجملة ثم قطع قلوبهم واسرارهم عن الاغيار بالكلية فقال
وما النصر الا من عند الله قلت فهذا تدريج للتوحيد الصرف الذى لا يرى
فى الكون سواه ليقطع طرفا من الذين كفروا اى نصركم يوم بدر ليهلك جمعا من اعدائكم
بقتل سبعين او يكبتهم اى يخزيهم باسر سبعين فاو للتنويع فى مقام التبيين
فينقلبوا اى فينهزم الباقون منهم خائبين منقطعى الآمال خاسرين
وافاد الاستاذ انه سبحانه لا يشمت باوليائه عدوا فالمؤمن وان اصابته نكبة
فعدوه لا محالة يكبته الله فى الفتنة والعقوبة يعنى فى الآية تسلية لقلوب الامة مما اصابهم

فى احد

فى احد من الغم ليس لك من الامر اى من امر النصر وغيره شيء من التصرف
فى فعله او تركه والجملة اعتراضية بين المتعاطفين وهو يكبتهم وقوله او يتوب
عليهم او يعذبهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم ان قاتلوا او
يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا فانهم ظالمون اى كاملون فى ظلمهم
حيث اصروا على كفرهم ومن نفائس العرائس اراد السيد عليه السلام تقديس
حضرة الجلال عن انفاس المجرمين فى قولهم بما لا يليق بجلال الله من الشرك
والكفر لئلا يبقى فى ساحة الكبرياء فى قلبه غير الله غيرة على جمال وجهه نفاد من غيرة
حبه وسفدة ارادته لم يطالع امر القدم الذى جرى بالعناية فى حق المستورين من
عليهم باستار عوارض الامتحان فعاتبه اين انت من مشاهدة سبق عنايتى
لهم النعم بنظرك فى ديوان الازل فانهم سواء وليس لك فى هذه الغيرة من امر
القدم ومشية الازل فى رفعك حين احتجبت بغيرتك على امرهم شيء اذ ان صرفت
منك الى رأيت المشية واستغنيت بالدعاء عليهم وتصديق ذلك قوله
او يتوب عليهم او يعذبهم وافاد الاستاذ ان الاله من له الامر والنهى ولما لم يكن له
تعالى فى الالهية نظير لم يكن اليه صلى الله عليه وسلم عليه من الامر والنهى شيء ويقال
جرده بما عرفه وخاطبه عن كل غير ونصيب ودعوى حيث اخبر انه ليس له من الامر
شيء فانه اذا لم يجز ان يكون سيد الاولين والآخرين شيء من الامر فمن نزلت
رتبته عن منزلته فمتى يكون له شيء من الامر ويقال استأثر بعباده فى حكمه
فقال انا الذى اتوب على من اشاء من عبادى واعذب من اشاء والعواقب
عليك مستورة وانك يا محمد لا تدرى فيهم سرى ويقال اقامه فى وقت مقاما رمى
بقبضة من التراب فاصاب جميع الوجوه وقال وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى وقال فى وقت آخر ليس لك من الامر شيء ثم زاد فى البيان فقال ولله ما فى السموات
وما فى الارض واذا كان الملك ملكه والامر امره والحكم حكمه فمن شاء عذبه ومن شاء
قربه ومن شاء هداه ومن شاء اغواه كما قال يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء يعنى الامر كله لله وليس الامر لاحد سواه وان الامر تابع لمشيته على
وفق قضائه وحكمته فالمعنى يغفر لمن يشاء تائبا كان او غير تائب ويعذب من
يشاء ظالما كان او غير ظالم لحكم ومصالح لا يحيط بها الا هو وحده سبحانه
ولا يجب عليه تعذيب ولا اثابة فى امر عباده لانه الغنى المطلق الذى لا يسأل
عما يفعل فان افعاله لا تخلو عن العدل او الفضل بل الفضل الا ان غالب وصفه
الكرم والرحمة ولذا قال والله غفور رحيم اى يغفر ذنوب العاصين ويرحم
على المطيعين ولا عدوان الا على الظالمين يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا
الربوا اضعافا مضاعفة وقرأ ابن كثير وابن عامر مضعفة اى زيادات

مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع عند نزول الآية والا فانواع الربوا باجمعها
منهية سوآء كانت قليلة او كثيرة واتقوا الله اى مخالفته او معاقبته بترك
الفساد وفعل الصلاح لعلكم تفلحون راجين الفلاح ومتوقعين النجاح واتقوا النار
التى اعدت للكافرين اى بالتحرز عن متابعتهم والاجتناب عن مشابهتهم
وفيه تنبيه على ان النار معدة للكفار بالذات وبالعرض للعصاة وقد افاد الاستاذ
فى هذا الباب ان دليل الخطاب يقتضى ان المؤمن لا يعذب بها وان عذب بها
مدة فلا يخلد فيها ومن دقايق الحقايق قال ابن عطا امر العوام باتقاد النار لخوفهم
منها وتركهم المعاصى لاجلها وامر الخواص بان يتقوه وينظروا اليه دون غيره من الاسباب
حيث قال واتقون يا اولى الالباب قلت وكذا قال فى الآية السالفة واتقوا الله لعلكم
تفلحون فكان الآية الاولى خطاب للسابقين والاخرى عتاب للاحقين ومن نفائس
العرائس ان فى الآية الشريفة اشارة عجيبة لطيفة فى وضوح عيان الحق سبحانه
حقايق الآية ان النار لم تعد للمؤمنين ولم تخلق لهم لقوله اعدت للكافرين
فاذا كانت للكافرين لم تخلق للمؤمنين لكن خوف المؤمنين بها زجرا وعظة كالاب
البار المشفق على ولده الذى خوف ولده بالاسد او بالسيف وانه لا يضربه بالسيف
ولا يلقيه عند الاسد فبقى ان هذه الآية تلطف وشفقة على عباده المؤمنين
الصادقين والعجب من ذلك انه تعالى خوفهم بالنار وان للغير ومقصوده تجلى
القهر من عظمته للنار وعظمة النار من تجلى عظمته اى اتقونى فى النار لا الى خوف
النار واعذبها بى وهذا سر عين الجمع واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع
الوعيد السابق بالوعد اللاحق ترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الموافقة ولعل فى مثل
ذلك وذلك على عزة التوصل الى ماهنالك وافاد الاستاد انه سبحانه قرن طاعة الرسول
بطاعة نفسه تشريفا لقدره وتخفيفا عن الامة فى امره حيث ردهم الى شخص من انفسهم
بل والى ذات من انفسهم فان الجنس الى الجنس اسكن الى غير جنسهم وسارعوا عطف
على ما قبله وفى قراءة نافع وابن عامر سارعوا باستيناف اى بادروا وسابقوا
واقبلوا وتوجهوا الى مغفرة من ربكم الى ما يوجب لكم المغفرة كالاسلام
والاخلاص والتوبة وجنة عرضها السموات والارض اى كعرضهما كما جاء فى آية اخرى
عرضها كعرض السماء والارض وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل
بعضها ببعض ثم اذا كان هذا عرضها فاظنك بطولها ففيه دليل على انها خارجة عن هذا
العالم لانه لا يسعها اعدت للمتقين هيئت بالذات لكمل المتقين وبالعرض لفساق
المؤمنين وفيه وفى ما قبله دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان ردا على المعتزلة وافاد الاستاذ
ان الناس فى المسارعة على اقسام فالعابدون يسارعون بقدمهم فى الطاعات والعارفون
يسارعون بهممهم فى القربات والعاشقون يسارعون بذنهم الى مجترع المسرات فمن سارع

بقدمه

بقدمه وجد مثوبته ومن سارع بهممه وجد قربته ومن سارع بذنه وجد رحمته
الذين ينفقون فى السراء والضراء اى فى حالتى النعمة والشدة الناشئة
منهما المسرة والمضرة او فى الاحوال كلها اذ السالك لا يخلو عن منحة ومحنة اى
لا يخلون فى حال ما باتفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير من المال او بذل جاه وعلم
وحال نافعة فى المآل ومن دقائق الحقايق قيل الذين يتبرؤن من الاملاك
والنفوس والقلوب وينفقونها فى مرضات الله ولا يبخلون بشئ مما سواه
وافاد الاستاد انهم لا يدخرون عن الله شيئا من المال ويؤثرونه على
الاشياء فى كل حال ينفقون ابدانهم فى الطاعات وفنون الاوراد
والاجتهاد بالرياضات واموالهم فى اقتناء الخيرات وابتغاء الخيرات
لوجوه الصدقات وقلوبهم فى الطلب ثم دوام المراعاة وارواحهم
على صفاء المحاب والوفاء على عموم الحالات واسرارهم على المشاهدات
فى جميع الاوقات منتظرين اشارات المطالبات متشمرين للبدار
الى دقيق المطلوبات والكاظمين الغيظ اى الحابسين له الكافين
عن امضائه مع القدرة على اجرائه ففى الحديث من كظم غيظا وهو يقدر
على انفاذه ملاء الله قلبه امنا وايمانا وافاد الاستاد ان اقواما يتجاوزون
عن الخلق لملاحظتهم اياهم بعين النسبة واقوام يحلمون عن الخلق علما
بان ذلك بسبب جرمهم فيشهدونهم بعين التسليط وآخرون يكظمون
الغيظ تحققا بان الحق سبحانه يعلم ما يقاسون فالتحمل عنهم حينئذ يهون
وآخرون فنوا عن احكام البشرية فوجدوا صافى الراحات فى المذلة لان نفوسهم
ساقطة فانية وآخرون لم يشهدوا ذرة من الاغيار من الانشاء والاجراء
فعلموا ان المنشئ الله فزالت خصوماتهم ومنازعاتهم مع غير الله فلما
افردوا الله بالابداع انقادوا للحكم فلم يروا معه وجها غير التسليم لامره واكرمهم
الحق سبحانه ببرد الرضاء فقاموا له بشرط الموافقة وعهد الوفاء والعافين
عن الناس اى المتجاوزين عنهم التاركين عقوبة من يستحقها منهم وفى الحديث
ان هؤلاء فى امتى قليل الا من عصم الله وكانوا كثيرا فى الامم التى مضت
ذكره الثعلبى عن مقاتل بن حيان ولعل وجه حكمته على تقدير صحته ما رواه
الطبرانى عن ابن عباس مرفوعا الحدة تعترى خيار امتى وفى رواية ابن
عدى عن معاذ مرفوعا الحدة تعترى حملة القران لعزة القران فى اجوافهم
فالمعنى انهم لا يعفون عن الخلق فى مخالفتهم للحق لانهم خيار امة اخرجت
للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من غير مراعاة الاستيناس
لقوله تعالى يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون فى الله لومة لائم ذلك فضل الله

بؤتيه من يشاء والحاصل ان حدتهم من الغيرة الالهية لا من الحمية الجاهلية وهذا
فيما يكون متعلقا بحق الله او العباد واما اذا تعلق بانفسهم فرأوا عفوهم عنهم
فرضا على انفسهم لا تفضلا منهم عليهم كما قال قائلهم • رب رام
لي باحجار الاذى • لم اجد بدا من العطف عليه • والله يحب المحسنين اي الى انفسهم
فان مآل احسانهم لغيرهم ايضا اليهم قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وافاد
الاستاد ان الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وهذا في معاملة الحق واما
في معاملة الخلق فالاحسان ان تدع جميع حقك بالكلية كما كان على من كان
وتقبل بقبوله منته ولا تتقلده في ذلك منته والذين اذا فعلوا فاحشة
اي فعلة قبيحة من افراد الكبيرة او ظلموا انفسهم بارتكاب بعض اصناف
الصغيرة او هذا تخصيص بعد تعميم او الاولى في المعصية المتعدية والثانية
في السيئة القاصرة وفي الحقايق تكميل الظلم متابعة النفس ما يشتهيها قلت
وهي الفاحشة الجامعة الصادرة من ام الخبائث الشاملة للمعاصي باجمعها
كما قيل شعر وجودك ذنب لا يقاس له ذنب • واما ما افاد الاستاد ان فاحشة
كل احد على حسب حاله ومقامه وكذلك ظلمهم وان خطور الحلى لفات ببال الاكابر
كفعلها من الاغيار قال قائلهم شعر انت عيني وليس من حق عيني •
غمض اجفانها على الاقذاء وليس الجرم على البساط كالذنب على الباب
قلت ولذا قال العارف ابن الفارض • ولو خطرت لي في سواك ارادة •
على خاطري سهوا حكمت بردتي • ثم قال الاستاد وقد اوحى الله تعالى الى موسى
عليه السلام قل للظلمة حتى لا يذكروني فاني اوجبت ان اذكر من ذكرني وذكري
للظلمة اللعنة وقال لظلمة هذه الامة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم والظاهر ان المراد بالنهي عن الذكر هو الذكر الناشي عن الغفلة الموجب
للطرد واللعنة والمراد باثباته هنا ذكر عذابه وتذكرة عقابه او حكمه الكريم او حقه العظيم
المقتضي للندامة والتوبة ولذا رتب عليه المغفرة والجنة ويقال كما افاد الاستاد
انهم اذا فعلوا فاحشة بركونهم الى افعالهم او ظلموا انفسهم بملاحظة احوالهم
فاستغفروا لذنوبهم وسيئاتهم بالتبري عن حركاتهم وسكناتهم علما منهم
بانه لا وسيلة لهم اليه الا به فخلصهم من ظلمات نفوسهم وان رؤية الاحوال والافعال
كظلمات عند ظهور انوار الحقايق ومن طهره الله بنور العناية الازلية صانه عن التورط
في مغاليط البشرية ومن يغفر الذنوب الا الله اي لا يغفرها سواه والجملة معترضة
بين المتعاطفين للايذان بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد
بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا اي ولم يقيموا على ذنوبهم ولم يديموا على غيهم
غير ذاكرين ولا مستغفرين بل كل ما صدر عنهم معصية اتبعوها توبة فلم يكونوا

فاسقين

فاسقين لعدم صبرهم وتوبتهم مصرين لما في الحديث لما اصر من استغفر وان عاد
في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون قبح اعمالهم الموجبة لنقص احوالهم وان ربهم
يغفر الذنب ويقبل التوب عن عباده بفضله ورحمته ومن نفائس العرائس
ان هذه الآية اشارة الى قوم اخطأوا في السماع ومجالستهم مع حظوظ انفسهم
وبقايا صفات البشرية فيهم حيث جلسوا بغير حضور ولا شهود ولا مراقبة ولا محاسبة
ولا تقديس الاسرار في طلب الانوار فالفاحشة منهم سماع القول واظهار الوجد مع
حظوظ النفس والاهوية البشرية والظلم منهم دعوى المقامات والولايات وهم يعلمون
انهم لبسوا على التحقيق في السماع واظهار الوجد فادركهم الله بفيض رحمته حيث
يعرفهم فضايح انفسهم عندهم ويلقيهم في رؤية التغيير والعتاب وتضييق صدورهم
بتلك الفاحشة والظلم فيذكرون الله بشرط الندم ورؤية التقصير والخجل بين
يديه وسقوطهم عن عيون المشايخ فيستغفرون الله من كذب دعواهم
بنية الصدق في التبري عن دعوى ما ليس لهم واذا كان الامر كذلك ولم يصروا
يغفر الله لهم ما سبق منهم بايوائهم الى قربه فانه مولاهم وصاحبهم لا غير
وذلك قوله ومن يغفر الذنوب الا الله وايضا فيها اشارة الى عشاق الله
الذين استغرقوا في بحار العشق والشوق واحترقوا بلواعج نيران الكبرياء
وبغتة سطوات العظمة فيطلبون روح الانس بالاستراحة في مشاهدة
المستحسنات ويرتادون مشاهدة عروس القدم في مقام الالتباس
وعين الجمع الذي فيه رؤية الحق في مرآة الخلق وذلك الالتباس فاحشة
منهم لانهم في طلب القدم مع رؤية الحدث وليس هذا شرط تجريد حقيقة
العشق واذا كانوا محترقين بنيران التوحيد والتفريد في رؤية الازل
والابد والقدم والبقاء يطلبون النزول من مقام التوحيد الى مقام العشق
وهذا ظلم منهم على انفسهم لانهم نقضوا حظ التوحيد بفرارهم من الفناء
في التوحيد الى بقائهم في العشق والتجريد وقال الجريري الفاحشة
النزول من الربوبية الى العبودية بمعنى الانتقال من المواجيد والاحوال
والمكاشفات الى السلوك في مقام المعاملات من الطاعات والرياضات
وقال الواسطي الطاعات فواحش قال البقلي وهذا تفسير بلسان الشطح قلت
الظاهر ان مراده هو ان رؤية الطاعات من فواحش السيئات او الطاعات
من اصحاب الغفلات الذي لم يصلوا الى مقام الجمع ولم يترقوا عن التفرقة في الحالات
بمنزلة الفواحش من ارباب المقامات فان حسنات الابرار سيئات
المقربين في الاعتبار واما الى توهم الاثنينية من المطيع والمطاع له
وهو شرك في مرتبة صرف الوحدة الربوبية ورتبة العبودية ولذا قيل اياك نعبد

الخرقة واياك نستعين جمع والله الموفق والمعين اولئك جزاؤهم مغفرة
من ربهم لسيئاتهم وجنات تجرى من تحتها الانهار فى مقابلة حسناتهم على
مقدار درجاتهم خالدين فيها لتخليص نياتهم وتصحيح طوياتهم وقال الاستاذ
مغفرة من ربهم برده الى شهود الربوبية وما سبق لهم من الحسنى بسابق
القسمة الازلية وجنات مؤجلة فى فراديس الانس ومعجلة فى روح المناجات ونعم
الانس ونعم اجر العاملين ما ذكر من المغفرة من فضله والجنة من عدله قد خلت من
قبلكم سنن اى مضت وقائع سنها الله تعالى فى الامم الماضية من المكذبة والمصدقة
فسيروا فى الارض اى بسير الظاهر او بسير الباطن فانظروا بنظر الاعتبار كيف كان
عاقبة المكذبين للرسل الاخيار على ما ورد به الآثار والاخبار وقال الاستاذ يعنى
اعتبروا بمن سلف وانظروا كيف فعلنا بمن والى وكيف انتقمنا ممن عادى هذا بيان للناس
وهدى وموعظة للمتقين الاشارة الى القرآن او الى ما ذكر قبله من التتبع والمعنى
انه حجة بينة لعموم العالمين وسبب هداية ومحل عظة لخصوص المخلصين من العالمين
العاملين وافاد الاستاذ انه بيان لقوم من حيث ادلة العقول وللآخرين من حيث
مكاشفات القلوب وللآخرين من تجلى الحق فى الاسرار ولا تهنوا لا تضعفوا
عن المجاهدة فى الامور الدينية ولا تحزنوا على ما فاتكم من النعم الدنيوية ولا على
ما اصابكم من الرياضات البدنية النافعة فى الايام الاخروية وانتم الاعلون
والحال انكم الاغلبون شانا والاظهرون برهانا فانكم على الحق الواضح وغيركم على
البطلان اللائح وجهادكم لله ومعالجة غيركم لما سواه والعبرة بالغلبة فى العاقبة
ان كنتم مؤمنين اى كاملى الايمان فلا يخفى عليكم هذا البيان وقال الاستاذ اذا علمتم
بالله ووصلتم بالله فلا تخافوا من غير الله فان النصرة من عند الله
والغالب الله ومن سوى الله فليس بهم ذرة ولا منهم سبنة
فينبغى للمؤمن ان لا يظله من غير الله مهابة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم
قرح مثله قرأ حمزة والكسائى وابو بكر بضم القاف والمعنى ان اصابوا منكم
يوم احد قتل بعض وجرح فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يجبنوا
فانتم احق بان لا تهنوا لقوله تعالى ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون
وترجون من الله ما لا يرجون وتلك الايام اى الاوقات الدنيوية والوقائع
الكونية نداولها بين الناس نصرفها بين عمومهم وخصوصهم كما قيل فيوما
علينا ويوما لنا ٭ ويوما نساء ويوما نسر بخلاف الايام الاخروية فانها بالنسبة
الى المؤمنين اوقات النعم الابدية وبالنسبة الى الكافرين ازمنة المحن السرمدية
ولذا قال بعض الابرار ما دمت فى هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار وافاد الاستاد
ان المعنى ان نالكم فيه مشقة فالذين تقدموكم لقوا مثل ما لقيتم ومسوا بمثل ما مسستم

فمن صبر منهم ظفر ومن ضجر من تحمل ما يبقى خسر والايام نوب والحالات دول
ولا يخفى على الحق سبحانه شئ اى لا من الآخر ولا من الاول وكانه اشار الى قوله
سبحانه وليعلم الذين آمنوا اى ما يتعلق به الجزاء فانه لا يجازى بمجرد التقدير
والقضاء بل لا بد من ظهور كسب العبد فى دار الفناء ليترتب عليه الجزاء فى دار البقاء
ويتخذ منكم شهداء جماعة فى مرتبة الشهداء وارباب الشهود فى مقام المشاهدة
ورؤية اللقاء والله لا يحب الظالمين اى الكافرين والمنافقين والفاجرين
وانما يجعلهم احيانا غالبين استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين ليميز المخلطين من
المخلصين وليمحص الله الذين آمنوا بتمحيص ذنوبهم وتطهير عيوبهم وتنظيف
قلوبهم ان وقعت الغلبة عليهم ويمحق الكافرين بهلاكهم ان كانت الدولة عليهم
والحاصل ان احوال المؤمنين دائرة بين الصبر والشكر المرتب على كل منهما الثواب
والاجر كما هو مقتضى هذه الدار بتكليف النهى والامر وافاد الاستاد ان اختيار
الغيب سبك للعبد وباختلاف الاطوار يخلصه عن المشايب فيصير كالذهب
الخالص لا خبث فيه كذلك يصفو عن العلل فيخلص لله ويمحق الكافرين فى اودية
التفرقة واما الزبد فيذهب جفاء قلت بل هم كسراب يحسبه الظمآن ماء
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة اى بلا ابتلاء من المنحة والمحنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم اى ولم يتميز بعد فى عالم الوجود ومقام الشهود بين مرتبة
المجاهدين ورتبة القاعدين ويعلم الصابرين اى ولم يميز الصابرين
والشاكرين من حالات الجزعين والفزعين باضمار ان على ان الواو
للجمع والمعنى ولم يكن العلم التنجيزى متعلقا بالمجاهدين والصابرين من المؤمنين
المخلصين وفيه الايماء الى قول بعض الشعراء لولا المشقة ساد الناس
كلهم الجود يفقر والاقدام قتال وقد قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات وفى الحديث ان الله بنى مكة على المكروهات والدرجات
وافاد الاستاد ان من ظن انه يصل الى محل عظيم من دون مقاسات
الشدائد العنية وما امانيه فى مهوات الهلاك وان من عرف قدر مطلوبه
ومقصوده سهل عليه بذل مجهوده وموجوده متى جاد دهر بلذاته على من يضن
بخلع العذار قال قائلهم اذا شام الفتى برق المعالى فاهون فائت طيب الرقاد
انتهى وشام بمعنى ابصر وفى رواية اذا رام الفتى نيل المعالى لكن الاول هو المعول
فتأمل ولقد كنتم تمنون الموت اى الشهادة او الحرب المؤدى الى الموت
فانها من اسباب السعادة من قبل ان تلقوه اى تشاهدوا شدته
وتعرفوا حدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون معاينين له حين قتل دونكم من
اخوانكم ولعل من هنا ورد النهى فى الحديث عن تمنى الموت ولقاء العدو

وافاد الاستاد ان طوارق التمني بعد الصبر على احتمال المشاق ولكن اذا
اشتبكت دموع في حدود تبين من بكى ممن تباكى وما محمد الا رسول اي ليس غاية
مدحته ونهاية محمدته الا كونه موصوفا برسالته لا بامر آخر خاص من بين خليقته
بامتداد مدته قد خلت من قبله الرسل اي فسيخلوا كما خلوا بالموت او القتل او الفوت
افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم بعد اسعادهم وادبارهم بعد
اقبالهم وانقلابهم على اعقابهم بموت رسولهم بعد وصولهم الى معرفة ربهم وحصول
محصولهم ورضي الله عن الصديق الاكبر حيث قرأ هذه الآية على المنبر بعد موت النبي
عليه السلام واضطراب الاصحاب الكرام وقال بعد الحمد والثناء الا من كان يعبد
محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ومن ينقلب على
عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه بابعاده عن مقام اسعاده
وسيجزي الله الشاكرين اي يثيبهم بالثبات على الدين من المؤمنين القاهرين
ومعاقب المرتدين وسائر الكافرين او المراد بالآية التوبيخ على من اراد الفرار من الكفار
حين تفوه بعض الفجار انه قتل النبي المختار فقال انس بن النضر من اكابر الانصار
يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا
على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يفعلون وشد بسيفه فقاتل
حتى قتل رضي الله عنه وافاد الاستاد انه لما توفي المصطفى صلى الله عليه وسلم
سعقت البصائر الا بصيرة الصديق رض فايده الله بقوة السكينة وافرغ
عليه قوة التولي في مرتبة الولاية فقال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات
فصار الكل مقهورين تحت سلطان قالته لما انبسط عليهم من نور حالته كالشمس بطلوعها
يندرج في شعاعها انوار الكواكب فيستتر فيها مقادير مطارح شعاع كل نجم وانما
قال افان مات او قتل لانه عليه السلام مات وقتل ايضا لانه قال ما زالت اكلة خيبر
تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري انتهى فاو للتنويع ولعل الحكمة في الجمع بينهما له صلى الله
عليه وسلم حصول مرتبة سعادة الشهادة مع الشهداء من الانبياء ووصول رتبة
الحفظ والعصمة من الاصابة الظاهرة والغلبة الباهرة للاعداء وما كان لنفس
اي لذات نفس ولو نفيسة ان تموت اي على المفرشة او في المعركة الا باذن الله
اي بمشيته وقضائه او بامره لملك الموت في قبض روحه كتابا اي اذنا مكتوبا في
اللوح او مفروضا على الروح بالتعب او الروح مؤجلا موقتا لا يتقدم ساعة ولا
يتأخر اصلا فان الانفاس محصورة لا زيادة فيها ولا نقصان منها ومن يرد ثواب
الدنيا اي النتيجة العاجلة لمجاهدته العاجلة نؤته منها اي بعضها من الغنيمة
ونحوها وقال الاستاد للصالحين العافية وللآخرين الغفلة الطوائية ومن يرد
ثواب الآخرة اي المثوبة الآجلة بالصبر على المحن العاجلة نؤته منها اي من نعمائها

في الدنيا

في الدنيا وسنجزي الشاكرين جزاء كاملا في العقبى كما قال تعالى من كان يريد حرث الآخرة
نزد له في حرثه اي بان نجمع له بين خيري الدنيا والاخرى وافاد الاستاد ان ثواب الآخرة
اولها الغفران ثم الجنان ثم الرضوان وجزاء الشكر الشكر يعني وهل جزاء الاحسان الا الاحسان
وكأين وقرأ ابن كثير وكائن وهما لغتان بمعنى وكم من نبي وهو بيان له قاتل معه
ربيون كثير اي ربانيون من العلماء الاتقياء او عابدون لربهم من الاولياء
الاصفياء وقال ابو محمد الجريري اي منقطعون الى ربهم فانون عن اوصافهم وارادتهم
مطلعون الى ارادة الله فيهم وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو قتل بصيغة المجهول
اشارة الى انهم جمعوا بين وصول القتال مع الاعداء وبين حصول مراتب الشهداء
فما وهنوا اي ما فتروا لما اصابهم في سبيل الله من الشدة والمحنة وما ضعفوا
اي ما جبنوا عن المقاتلة والمجاهدة او ما ضعفوا عن تحمل اهانة الزبانية وما استكانوا
اي لم يخضعوا للاعداء ولم يظهروا لهم المذلة والمهانة والله يحب الصابرين
على المحنة والمشقة في دار البلية قال الواسطي كانوا كابي بكر لما كانت نسبته الى الحق
اتم لم يؤثر عليه فقدان السبب ولما ضعف نسبة عمر قال ان قال مات محمد ضربت
عنقه وابو بكر نظر الى ما دله عليه المصطفى فقرأ وما محمد الا رسول الآية وافاد الاستاد
ان الذين درجوا على الوفاء وقاموا بحق الصفاء ولم يرجعوا عن الطريق وطالبوا
نفوسهم بالتحقيق واخذوا عليها بالتضييق والتدقيق وجدوا الجنة المحق سبحانه
ميراث صبرهم وكان الخلفة عنهم الحق عند نهاية امرهم فما زاغوا عن شرط
الجهد ولا راغوا في حفظ العهد وسلموا تسليما وخرجوا عن الدنيا وكان كل منهم
للعهد مفيما مستديما وعلى شرط الخدمة والوداد مستقيما وما كان قولهم الا ان قالوا
ربنا اغفر لنا ذنوبنا اي صغائرنا واسرافنا في امرنا اي كبائرنا او المراد
بالذنوب المعاصي القاصرة وبالاسراف المظالم المتعدية وثبت اقدامنا
في مقام العبادة والمجاهدة ودعوى مرتبة المحبة وانصرنا على القوم الكافرين
اي بالحجة والغلبة وافاد الاستاد انهم تحققوا بحقائق المعنى ثم تحرسوا
عن اظهار الدعوى ثم نطقوا بلسان الاستغفار ووقفوا في موقف
الاستحياء والاستصغار كما قيل تجنب الانام ثم تجافيها فكانما حسناتي
اثام قلت وهذا بناء على قال قائلهم من لم يكن للوصال اهلا فكل طاعاته ذنوب
فآتاهم الله اي اعطاهم بسبب التجائهم الى مولاهم ثواب الدنيا اي النصرة
والغنيمة والثناء الجميل والعزة وحسن ثواب الآخرة اي الجنة والقربة والوصلة
وخص بالحسن اشعارا بفضله وان عنده هو المعتد به والله يحب المحسنين
فيحسن الى من قام في مقام الاحسان من مراتب الايقان واعلاه ان يفعل
عما سواه ويعبد الله كانه يراه وافاد الاستاد ان ثواب الدنيا اقله القناعة

ثم الرضا ثم العيش معه ثم الانس في جلوسه بين يديه ثم كمال الفرح ببقائه
ثم استقلال السر لوجوده وحسن ثواب الآخرة دخولهم الجنة وهم
محررون عنها غير داخلين في اسرها ويقال ثواب الدنيا والآخرة الغنية
عن الدارين برؤية خالقهما وخص ثواب الآخرة بالحسن لمزيته دوامها
وتمامها وان لا ينغصها ما ينافيها يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا
في اضلالهم لكم يردوكم على اعقابكم من ايمانكم واعمالكم فتنقلبوا خاسرين اي
فترجعوا عن حسن احوالكم حال كونكم خاسرين في مآلكم وخائبين في آمالكم بل الله
مولاكم ناصركم ومعينكم ومسددكم ومصلح اموركم وهو خير الناصرين فاستغنوا
بنصره عن ولاية غيره وقال ابن عطا بل الله مولاكم معينكم على ما حملكم من اوامره
ونواهيه اياكم وهو خير الناصرين على انفسكم وهواكم وزاد الاستاذ حيث
افاد انه يعينكم على انفسكم فيكفيكم شرها ومن سواه يزيد في بلائكم اذا نصروكم
لانهم يعينون انفسهم عليكم وهو خير الناصرين لان من سواه يمن عليك بنصرته
اياك وهو يجازيك على استنصارك به ويقال كل من استنصرت به احتجت
الى ان تعطيه شيئا من كرائمك ثم قد ينصر وقد لا ينصر فاذا نصرته سبحانه
يعطيك كل لطيفة ولا يرضى بان لا ينصر سنلقي في قلوب الذين
كفروا الرعب قرأ الشامي والكسائي بضم العين وهما لغتان بمعنى الخوف
من الغير والمراد به ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال
ورجعوا من غير سبب الا تغير البال ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم
بدر لقابل ان شئت فتدارك الحال فقال عليه السلام ان شاء الله الملك المتعال
بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة ليس على اشراكها
حجة ولا شبهة ومأويهم النار في دار البوار وبئس مثوى الظالمين اي مأوى
الكفار والفجار وافاد الاستاذ سبحانه خص نبينا صلى الله عليه وسلم بالقاء
الرعب منه في قلوب اعدائه قال عليه السلام نصرت بالرعب وكذلك اجرى
هذه السنة مع اوليائه بطرح الهيبة منهم في قلوب اعدائه فلا يكاد يكون محق الا ومنه
على المبطلين واصحاب الدعوى والتمويه هيبة في صدورهم ومخافة في قلوبهم
ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياكم بالنصر على شرط التقوى والصبر حتى خالف
الرماة يوم احد للاشتغال بالغنيمة كل احد وذلك ان المشركين لما اقبلوا جعلوا
الرماة يرشقونهم والباقون بالسيف يضربونهم حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم ليقتلوا
ويأسروا وهو معنى قوله سبحانه اذ تحسونهم باذنه اي تقتلونهم بامره على وفق قضائه
وقدره حتى اذا فشلتم اي جبنتم لضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة والاكل فان الحرص
من ضعف العقل ولذا قيل السخاوة والشجاعة ليس بينهما فصل وتنازعتم في الامر اي اختلفتم

في امر القتال

في امر القتال او امره عليه السلام للرماة بحفظ مركزهم وحراسة منزلهم فقال بعضهم
ان موقفنا هنا بعد انهزام المشركين واغتنام المؤمنين وقال آخرون لا نخالف امره
عليه السلام في ثبات المقام فوقف لتيسر امرهم مع نفر دون العشرة ونفر الباقون
لاخذ الغنيمة وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون اي اظهر لكم ما تتمنون
من الغنيمة والنصرة وجواب اذا محذوف وهو منعكم النصر او امتحنكم بالكسر بين الامين
والمنافق وتعين المرائي والموافق وطالب الدنيا من طالب العقبى وصاحب
المولى كما قال تعالى منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة
وهم الثابتون على موافقة الامر مخالفة المخالفة قال بعض العارفين يعني منكم من يريد
الدنيا ليستعين به على امر العقبى ومنكم من يريد الآخرة بترك الدنيا لفنائها وقلة
غنائها وكثرة عنائها وخسة شركائها وعملا بقول عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا
تركك للدنيا ابر ولقوله عليه السلام لو ان رجلا في حجره دراهم يقسمها واخر يذكر الله
لكان ذاكر الله افضل ومن دقائق الحقائق قيل قرئ هذه الآية بين يدي الشبلي
فقال اوه قطع الطريق الخلق وردوا الاشباح الى قيمتها وقال ايضا اسقط العظمتين
فقد وصلت قيل وما العظمتان فقال الكونين انتهى وقال غيره خطوتان وقد وصلت
وفي قوله تعالى فاخلع نعليك اشارة الى هذا المعنى وقال بعضهم منكم من يريد الدنيا
ومنكم من يريد العقبى فاين من يريد المولى فقلت الجواب بلسان العبارة ان
من يريد المولى داخل فيمن يريد العقبى شمول العموم للخصوص في المبنى لان لقاء المولى
لا يحصل الا في الجنة المأوى فهم ما يريدون العقبى الا لما فيه من زيادة الحسنى
والحالة الاسنى واما الجواب ببيان الاشارة فان يقال منكم من يريد الدنيا
ومنكم من يريد العقبى واما من يريدنا فهو منا لا يغيب عنا في الدنيا والاخرى
لانهم فانون عن انفسهم باقون بنا كالعرائس مستورون تحت حجابنا وساكنون
تحت قبابنا لا يعرفهم غير قائل لا فرق في مقام الجمع بينهم وبيننا كما قال قائلهم
انا من اهوى ومن اهوى انا ولم اذكر المصراع الثاني لتوهم الحلول والاتحاد المنزه
عنه رب العباد ثم صرفكم عنهم اي كفكم عن قتالهم بتقوية بالهم واعانة
حالهم وردكم بالهزيمة بعد اخذ الغنيمة حتى غلبوكم واهلكوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن
ثباتكم في جميع المراتب وقال محمد بن علي صرف المريدين له عما دونه كذا في الحقائق
والمعنى انه يصرفهم الله عما سواه من حولهم وقوتهم ورؤية شوكتهم وحالة
نصرتهم ولقد عفا عنكم اي ما صدر منكم لما علم من ندمكم او تفضلا عليكم والله ذو فضل
على المؤمنين اي منكم ومن غيركم في جميع احوالكم وافاد الاستاذ ان قوله تعالى
ولقد صدقكم الله وعده الآية الاشارة منه ان الحق سبحانه اقام اولياءه
بحق حقه واقعدهم عن تحصيل حظوظهم وقام سبحانه بكفاياتهم من كل وجه فمن

لازم طريق الاستقامة ولم يزغ عن حده ولم يرغ في عهده فانه سبحانه يصدق وعده
بجميل الكفاية ودوامها ومن ضل عن الاستقامة والخطوة عثرت في مشيته
واضطربت عليه بمقدار جرمه حال وكفايته فمن زاد زيد له ومن نقص نقص له وفي قوله جل جلاله
منكم من يريد الدنيا الآية فيه كل احد ارادته فمن كانت همته الدنيا فقيمته خسيسة حقيرة
كالدنيا ومن كانت همته الآخرة فشريف خطره ومن كانت له همة ربانية فهو سيد وقته
ويقال من صفا عن ارادته وصل اليه واقبل بلطفه عليه وازلفه بمحل الخصوصية لديه وقوله سبحانه
ثم صرفكم عنهم الاشارة منه انه صرف قوما عنه فشغلهم بغيره منه وآخرون صرفهم عن كل
غير فافردهم له بكل خير فالزاهدون صرفهم عن الدنيا والعابدون صرفهم عن اتباع الهوى
والمريدون صرفهم عن المنى والموحدون صرفهم عما هو غير وسوى اذ تصعدون اي تذهبون
في الارض وتبعدون ولا تلوون على احد لا يلتفتون الى احد حين شاع انه عليه السلام
قتل في حرب احد والرسول يدعوكم في اخريكم اي في ساقتكم وجماعتكم الاخرى
منكم يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة فاثابكم عطف
على صرفكم اي فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من غم ذنبكم
وظنكم قتل نبيكم وخوفكم من عدوكم وظفر المشركين عليكم على ما هو منقول عن كثير
من السلف واختاره بعض الخلف لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم
اي لتتمرنوا على الصبر في ابتلائكم فلا تحزنوا على نفع فائت سابق ولا اصابة خير
لاحق والله خبير بما تعملون اي عالم باعمالكم حتى جزئيات احوالكم وافاد الاستاد
ان الاشارة من هذه الآية لاقوام يقع لهم فترة ودواعي الحق سبحانه
من انفسهم ومن جميع الاقطار حتى كان الاحجار من الشوارع واللبن من الجدران
يناديه لا تفعل يا عبد الله وهو مصر في لتيه مقيم على غيه جاحد لما يعلم انه هو الحق
والاولى من حاله فاذا قضى وطره واستوفى نهمته فلا محالة يمسك من ارسال
عنانه ويقف عن ركضه في ميدانه فلا يحصل الا على انفاس متصاعدة وحسرات
متواترة فاورثه الحق سبحانه وحشة على وحشة حتى اذا طال في التحسر مقامه
تداركه الحق سبحانه بجميل لطفه واقبل عليه بحسن عطفه وانقذه عن ضيق اسره
ونقله الى سعة عفوه وفضله وكثير من هؤلاء يصلون الى محل الاكابر ثم يقفون
بالله لله حتى عدموا المعلم والاكرام فقاموا بالله لله بل انتظار تقريب ولا
ملاحظة ترحيب ثم انزل عليكم من بعد الغم اي الحال الذي يغم النفس النفس
من الهم الاهم والحزن الاتم امنة نعاسا اي امنا ذا نعاس حتى قال ابو طلحة
غشينا نعاس في المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه
يغشى اي النعاس وقرا حمزة والكسائي بالتانيث اي تاخذ الامنة طائفة
منكم وهم جماعة المؤمنين وطائفة اي المنافقين قد اهمتهم انفسهم

اوقعتهم في الهموم الفاسدة يظنون بالله غير الحق اي غير الظن الحق وهو
الظن الباطل ظن الجاهلية من الظنون الكاسدة يقولون بناء على ظنهم
واستبعادا في حقية امرهم لنا من وانكار الوعد نصرهم هل لنا من الامر من شيء
اي هل لنا مما امركم الله وحكم ووعد بالنصر والظفر نصيب قط فمن زائدة للمبالغة
في تاكيد النفي وافاد الاستاد ان اهل التوحيد يصلون بعد فتراتهم وتجرع
حسراتهم الى القول بترك انفسهم وغسل ايديهم منهم ورفع قلوبهم عنهم فيعيشون
بالله لله بلا ملاحظة طمع وطلبة بل على عقيدة الياس عن كل شيء من غيره عليه
الكد والعهد وبذلوا به الجهد وتركوا كل نصيب وحظ هذه صفة من انزل عليه الامنة
فاما الطائفة التي اهمتهم انفسهم فبقوا في وحشة نفوسهم ومن عاجل عقوبتهم
سوء عقيدتهم في الطريقة بعد ايمانهم بها قال الله تعالى ونقلب افئدتهم
وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة والاشارة من قوله سبحانه يقولون هل لنا من الامر
من شيء لهؤلاء انهم يتحيرون في امرهم فلا اقبال لهم على الصواب بالحقيقة ولا
اعراض عن الجناب بالكلية يجيلون فكرتهم على سوء اختيارهم ويضيفون صفوة لو كان
لقلوبهم الى اجتهادهم فينسون في الحالين ربهم ولا يبصرون تقدير الحق جاريا عليهم
قل ان الامر كله لله اي امر النصر وغيره من النفع والضر جميعه له سبحانه يفعل ما يشاء
فينقص ويزيد ويحكم ما يريد في حق المريد وقرا ابو عمرو كله بالرفع على الابتداء وخبره
ما بعده والجملة خبر الاول وجملة القول ومقوله معترضة بين السابق واللاحق لان
قوله يخفون في انفسهم من النفاق ما لا يبدون لك وقت الوفاق حال
من ضمير يقولون اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر عازمون
على الصبر مبطنين التكذيب والكفر والنكر يقولون اي بعضهم لبعض او في
انفسهم لو كان لنا من الامر شيء اي كما وعد محمد صلى الله عليه وسلم ان الامر كله
لله واوليائه بقوله الا ان حزب الله هم الغالبون ما قتلنا ههنا اي لما
غلبنا ولما قتل في المعركة من قتل منا قل لو كنتم في بيوتكم مقيمين ومتحصنين
لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل
الى مصارعهم بسبب من الاسباب لبروزهم وظهورهم فانه سبحانه قدر الامور
ودبرها في سابق قضائه ولا معقب لحكمه في ابتلائه لمصالح جمة ولو كانت الحكمة
عند الخلق مجهولة وليبتلي الله فيبين لكم ما في صدوركم من الاخلاص والنفاق
والوفاق والشقاق وليمحص اي يطهر ويخلص ما في قلوبكم من اصناف الوساوس
وانواع الخطور والله عليم بذات الصدور اي بخفياتها قبل ظهور جلياتها
وفيه وعد للمخلصين ووعيد للمخلطين وتنبيه نبيه على انه غني عن ابتلاء المكلفين
وانما هو لظهور حال المنافقين وتمرين دين المؤمنين وافاد الاستاد عند قوله

قل ان الامر كله لله ان من عرف ان المنشئ الله فى امر الدنيا والدين انسلخ من اختياره
واحواله انسلاخ الشعر من العجين وسلم اموره الى الله بالكلية على طريق اليقين وامارة
من تحقق بذلك ان يستريح من كد تدبيره ويعيش فى سعة شهود تقديره وقوله يخفون
فى انفسكم ما لا يبدون لك يشير الى انهم لم يخلصوا فى عقائدهم واضمروا خلاف
ما اظهروا واعلنوا غير ما استسروا واحالوا بالكائنات على اسباب توهموا وفى قوله
قل لو كنتم اخبار ان التقدير لا يزاحم والازل لا يكابر وان الكائنات محتومة وان الله
غالب على امره قضية معلومة وفى قوله وليبتلى الله ما فى صدورهم اما اهل الحقائق
فالله تعالى ينتزع من قلوبهم كل آفة وحجبة ويستخلص اسرارهم للاقبال
والزلفة قلوبهم خالصة عن الشوائب صافية عن العلائق منفردة للحق مجردة
عن الخلق محررة عن النفس والحظ ظاهرة عليها آثار الاقبال والتدلى غالبة عليها
حسن التولى بادية فيها انوار التجلى ان الذين تولوا اى انهزموا منكم يوم التقى
الجمعان يوم احد انما استزلهم الشيطان اى اوقعهم فى الزلة وطلب منهم
زلل المذلة ببعض ما كسبوا من المعصية المتقدمة بترك المركز للحرص على الغنيمة
فمنعوا التأييد وقوة القلب وحصول النصرة فان المعاصى يجر بعضها الى بعض
كالطاعة ولقد عفا الله عنهم لاعتذارهم وتوبتهم عن فرارهم ان الله غفور
لمن تاب عن السيئة حليم لا يعجل بالعقوبة ليتوب من وفق التوبة وافاد الاستاذ
ان الاشارة من هذه الآية الى احوال من سئمت اراداتهم وضعفت نياتهم
وقادتهم الهوى وملكتهم العزة فيقابل لهم انصح الناصحين ودعوى المنى
او وساوس الشياطين وركنوا الى الغيبة وآثروا الهوى على التقوى فبقوا عنه
ولم ينتهوا بما اثروا عليه يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا اى فيما
فعلوا فان التشبه بالكفار من صنيع الفجار وقالوا لاخوانهم اى لاجلهم وفى حقهم
ومعنى اخوتهم اتفاقهم فى نسبتهم وجلدتهم او مذهبهم وملتهم اذا ضربوا
فى الارض سافر اخوانهم فيها للتجارة وغيرها او كانوا غزى اى صار اخوانهم
غزاة فى طريق الآخرة صورة لا حقيقة لو كانوا عندنا اى لو ثبتوا واقاموا ولم
يسافروا ولم يقاتلوا ما ماتوا وما قتلوا والجملة مقول قالوا ويتعلق به ايضا قوله
ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم على ان اللام للعاقبة كقوله تعالى ليكون لهم عدوا
وحزنا وكقول القائل لدوا للموت وابنوا للخراب وافاد الاستاذ ان من تعود
ان يتلهف على ما ضيه وسالفه او يدبر فى مستقبله وآنفه فاقل عقوبته له ضيق قلبه
فى تفرقة وحالته وامتحاء نعت الحيوة الطيبة عن قلبه لغفلته وقالته ليت كذا ولو
كان كذا لكان كذا وثمرة الفكرة فى ليت ولعل الوحشة والحسرة وضيق القلب والتفرقة
انتهى وفى الحديث اياك واللو فان لو من الشيطان ورحم الله الشاطبى حيث قال

تفضلا وكم وليت تورث القلب انصلا والله يحيى ويميت اى على وفق نفاذه
وقدره بحيث لا يتصور تغير فى امره سواء كان العبد فى حضره او سفره لانه هو المؤثر
فى الحيوة والممات لا الاقامة والسفر وسائر الحالات فقد يحيى الله الغازى والمسافر
ويميت المقيم والقاعد المجاور والله بما تعملون بصير قرأ ابن كثير وحمزة والكسائى
بالغيبة ففيه وعيد للكافرين كما ان فى الخطاب تهديد للمؤمنين عن مماثلة المنافقين
ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم فى طريق رضاه وقرأ نافع وحمزة والكسائى
بكسر الميم من مات يمات والباقون بالضم من مات يموت وتلطف ابو عمرو فى القضية
بقوله ان مت لم اقل مت لاختياره اللغة الجلية لمغفرة من الله على السيئة
ورحمة بتوفيق الطاعة وحسن الخاتمة خير مما يجمعون من حطام الدنيا بالغفلة والعيشة
على الجيفة بالمذلة والمعنى ان السفر والغزوة ليس مما يجلب الموت والمحنة ولا
تقديم الاجل ولو ساعة ومع ذلك فلو وقع موت او قتل فى سبيل المولى المترتب
عليه نيل المغفرة فى العقبى خير مما يجمعون من الدنيا لو فرض ان لكم البقاء فان
الفناء فى طريق المولى خير من البقاء مع وجود الهوى والسكون مع السوى
وقرأ حفص بالغيبة على ان الخطاب للمؤمنين اعراضا عن الكافرين المعرضين
المعترضين وافاد الاستاذ ان بذل الروح فى الله خير من الحيوة بغير الله والرجوع
الى الله خير لمن عرف الله من البقاء مع غير الله وما يؤثره العبد على المولى غير
مبارك ان شئت الدنيا وان شئت العقبى ولئن متم او قتلتم على اى وجه
اتفق هلاككم بانتقالكم لالى الله تحشرون فيجازيكم على اعمالكم واحوالكم قال الاستاذ
اذا كان المصير الى الله طاب المسير الى الله وان سفره اليه محط رحالها لمن العمل
احلى مقاساة حالها فبما رحمة من الله لنت لهم ما مزيدة للمبالغة اى فبنعمة عظيمة
ورحمة وسيعة كائنة منه سبحانه تلينت للمنافقين وتعطفت للمؤمنين وهى عبارة
عن ربطه على قلبه وتوفيق الرفق من ربه وفيه ايماء الى انه كان مستغرقا فى بحر
الشهود مع الله فانيا عن شعور وجود ما سواه فى خلوة لى مع الله وقت لا يسعنى
ملك مقرب ولا نبى مرسل مشيرا الى جبريل ونفس الجليل حيث لا يتصور الغير
فى حضرة الجليل فبانعام من الله الى الخلق صرف جبينه الحق عن مقام الجمع الحقيقى
الى حال الفرق الصورى ترقية له الى مرتبة جمع الجمع بحيث لا يمنعه شهود الوحدة من
الكثرة ولا يحجبه مطالعة الكثرة عن وجود الوحدة مع النفع التام للخاص والعام
وبهذا يندفع قول من قال من الاكابر العظام الولاية خير من النبوة لان الاولى هى الاستفاضة
من الحق والثانية حالة الافاضة على الخلق ولا شبهة ان التوجه الى الحق اولى
من الاقبال على الحق لانا نقول هذا انما يكون بالنسبة الى من لم يصل الى مقام جمع الجمع
الذى ليس فيه الدفع والمنع ولذا قال الشبلى ما اقول الا الله ولا اسمع الا من الله

وانا اقول لا والله بل القائل والسامع هو الله حيث يقول الست بربكم قالوا بلى كما قال
بعض الابرار ليس في الدار غيره ديار وقال بعض ارباب الشهود سوى الله والله ما في الوجود
وزاد ابو يزيد حيث قال في نفي ما سواه ليس في جبتي سوى الله ويؤيد هذا المعنى ما اظهره
لبيد اللبيب في المعنى بقوله الا كل شيء ما خلا الله باطل وقد اشار اليه سبحانه كل شيء
هالك الا وجهه لكن هنا مزلة القدم لبعض الجهلة من الصوفية وهم الطائفة الوجودية
القائلة بالعينية فهم شر من الطائفة النصرانية لانهم يخصون القضية بعيسى
بن مريم وهؤلاء يدعون الاعم فهم يعمون ويعمون وفي طغيانهم يعمهون وافاد الاستاذ
انه سبحانه جرده عن اوصاف البشرية وافرده بما البسه من نعت الربوبية واخبر
ان ما يلوح اليه فمن انوار التولي لا من آثار الوفاق والتبري ولولا انه استخلصه
بما البسه من الرحمة والا متى كان بهذه الصفة ويقال ان من خصائص رحمته سبحانه
عليه وعلى امته ان قواه حتى صحبهم وصبر على تبليغ الرسالة اليهم مع الذي كان يقاسيه
من اخلاقهم مع سلطان ما كان مستغرقه وجميع اوقاته من استيلاء الحق عليه
فلولا قوة الهيبة استأثره الحق بها والا متى اطاق صحبتهم الا ترى الى موسى عليه السلام
لما كان قريب العهد بسماع كلامه كيف لم يصبر على مخاطبة اخيه فاخذ برأس اخيه
يجره اليه ويقال لولا انه عليه السلام شاهدهم محوا فيما كان يجري عليهم من
احكام التصريف وتحقق ان منشأها الله لما اطاق صحبتهم ولو كنت فظا
سيء الخلق في معاشرة الخلق غليظ القلب قاسيا جافيا متجافيا
لانفضوا من حولك اي لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فلم يهتدوا بك ولم
ينتفعوا منك فاعف عنهم في تقصيراتهم واستغفر لهم الى سيئاتهم
وشاورهم في الامر اي امور مهماتهم تطييبا لنفوسهم وتسكينا لحالاتهم
وزيادة الفة في تحصيل جمعياتهم فاذا عزمت اي قصدت بالاستخارة
ووافقت معهم في الاستشارة فتوكل على الله لا على ما سواه في امضاء
امرك على وفق ما قضينا والحديث ما خاب من استخار وما ندم من استشار
ان الله يحب المتوكلين على الله في امر دنياه وعقباه قال الواسطي جميع
اوصافك وما يخرج من انفاسك رحمة مني عليك وعلى من تبعك ثم امره
باقامة العبودية كما اقتضاه صدق الربوبية في حسن المعاشرة مع اوليائه وتقريب
منزلتهم والمشورة معهم في محاربة اعدائه ثم قال فاذا عزمت فانقطع منهم جملة وانقطع
الى سيدك كلية وارجع اليه وتوكل عليه وعاشرهم ظاهرا وطالع ربك سرا وافاد الاستاذ
في قوله ولو كنت فظا الآية لو سقيتهم صرف شراب التوحيد غير ممزوج بما فيه لهم حظ
لتفرقوا عنك هائمين على وجوههم غير مطيقين للوقوف معك لحظة فاعف عنهم فيما يكون
تقصيرا منهم في حقك وتوقيرك وما عثرت عليهم من تفريطهم في خدمتنا فانتصب

لهم شفيعا

لهم شفيعا في حضرتنا ويقال فاعف عنهم فان حكمك حكمنا ولا نعفو الا وقد عفونا
ثم رده عن هذه الصفة بما اثبته في مقام العبودية ونقله الى وصف التفرقة فقال ثم قف
في محل التذلل مبتهلا الينا في استغفارهم وكذلك سنته سبحانه مع انبيائه واوليائه
يردهم من جمع الى فرق ومن فرق الى جمع فقوله فاعف عنهم جمع واستغفر لهم
فرق اقول والاظهر ان يقال ان قوله فاعف عنهم هو الفرق لتوجهه الى الخلق واستغفر لهم
هو للجمع لاقباله على الحق بل هو مقام جمع الجمع الذي ليس فيه فرق بالمنع كما قالوا في اياك
نعبد فرق واياك نستعين جمع وانا اقول الحمد لله جمع ورب العالمين فرق ثم قال
ويقال تجنسوا في احوالهم فمن مقصر في حقه بالعفو عنه ومن مرتكب لذنب
امر بالاستغفار له ومن مطيع غير مقصر امر بمشاورته ثم قال فاذا عزمت فتوكل
على الله اي لا تتكل على رأي مخلوق ولا تعتمد على ما سواه وكل الامور الى بالكلية فانا
لا نخليك عن تصريف القبضة في كل قضية من عطية وبلية وحقيقة التوكل
شهود التقدير واستراحة القلب عن كد التدبير ان الله يحب المتوكلين ثم يذيقهم
برد الكفاية ليزول عنهم كل تعب ونصب يوجب الغواية وانه يعامل كلا
بما يستوجبه في البداية والنهاية من الرعاية والحماية فقوم يغنيهم عند توكلهم
بعطائه وآخرون يكفيهم عند توكلهم بلقائه وقوم يرضيهم في عموم احوالهم
حتى يكتفوا ببقائه ويعفوا معه بلا علم نكايات قدره وقضائه ان ينصركم الله
على وفق ما قدره وقضاه فلا غالب لكم احد مما سواه وان يخذلكم بغلبة
العدو عليكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي بعد خذلانه اياكم وعلى الله
لا على ما عداه فليتوكل المؤمنون اي فيما يأتون ويذرون قيل انما يدرك
نصرة الله على عدوه من تبرأ من حوله وقوته واعتمد في جميع اسبابه على ربه كذا
في دقائق الحقائق وافاد الاستاذ ان نصرته بالتوفيق للاشباح ثم بالتحقيق
للارواح ويقال ينصركم الله بتأييد الظواهر وتسديد السرائر ويقال النصرة انما
تكون على العدو واعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك والنصرة على النفس
بان تهزم دواعي فتنتها بعواصم رحمته حتى تنفض جنود الشهوات بهجوم وفود
المنازلات فيبقى الولاية لله خالصة من شبهات الدواعي التي هي اوصاف
البشرية وشهوات النفوس الدنية واما نيتها التي هي آثار المحبة وموانع القربة
فان الخذلان التخلية مع المعاصي والغفلة والفترة ومن نصره قبض على يديه
في تعاطي المكروه من فعله وكسبه ومن خذله القى حبله على غاربه ووكله الى سوء
اختياره من دفعه وجلبه فيتفرق عليه الحالات في اودية المباعدات فمرة
يشرق غير محتشم وتارة يغرب غير محترم الا من سبقه الحق فلا آخذ بيده ولا
مجير له في حقه وعلى الله فليتوكل المؤمنون في وجدان الامان عند صدق الابتهال

وتصديق الايمان وتحقيق الايقان ويقال لما كان حديث النصرة قال فلا غالب لكم
جزما ولما كان حديث الخذلان لم يقل فلا ناصر لكم بل قال بالتلويح والرمز فمن ذا الذي
ينصركم من بعده وفي هذه اللطيفة تنبيه لاولي الالباب في مراعاة دقائق احكام
الخطاب في هذا الكتاب وما كان لنبي ان يغل اي يخون في شيء من الوحي المنزل
وقرأ نافع والشامي وحمزة والكسائي بصيغة المفعول اي وما صح له ان يوجد غالا او
ينسب الى الخيانة اصلا ومن يغلل اي يخن في غنيمة وغيرها من انواع الخيانة
واصناف الجناية يأت بما غل يوم القيمة يحضر بالذي غله يحمل على عنقه وقت
الندامة كما جاء في الرواية او بما احتمل من وبال اثمه فيما يستحقه من العقوبة ثم توفى
كل نفس ما كسبت يعطى جزاء وافيا بسبب ما عملت وهم لا يظلمون بنقص
ثواب وزيادة عقاب ومن دقايق الحقايق للسلمي قال يحيى العلوي ما كان لنبي
ان يضيع اسراره المكنونة الا عند الامناء من امته المصونة وتوضيحه ما افاد
الاستاد بقوله تنزه احوال الانبياء عن التدنس بالخيانات فما حملناه من
الرسالة الى عبادنا يوصلها الى مستحقيها واجبا ولا يعني بشان محبهم له
من دون امرنا ولا يمنع نصيب احد امرناه بايصاله اليه لحقد ينطوي عليه الا ترى
كيف قال اذهب فواره لابي طالب لما قال له علي رض مات عمك الضال
وكيف قبل الوحشي قاتل حمزة لما اسلم في ثاني الحال ويقال ما كان يضيع نبي
من الانبياء اسرارنا في غير اهلها بل ينزلون لكل احد عنده ما يستوجبه كما قيل
الا انا امرنا ان ننزل الناس منازلهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء
بسخط من الله اي كمن رجع بغضب منه بالمعصية ومأويه جهنم اي مسكنه
دار الحرقة والفرقة وبئس المصير مصيرهم الذي اوجبه مسيرهم والمعنى انهما
لا يستويان بل بينهما في المراتب شتان فاولهما في اعلى عليين من درج
الرضوان وآخرهما في اسفل سافلين من درك النيران فآه آه من تفاوت
خلق الله حيث لا يسأل عما قدره وقضاه وافاد الاستاد انه لا يستوي
من رضي عنه في ازاله ومن سخط عليه فخذله في احواله وجعله متكلا على اعماله ناسيا
لشهود افضاله ثم اتباع الرضوان بمفارقة ما زجر عنه ومعانقة ما امر به فمن
تجرد عن المزجور وتجلد في اعتناق المامور فقد اتبع الرضوان واستوجب
الجنان هم اي اهل خيرهم وشرهم درجات اي ذو طبقات مختلفات
عند الله اي في حكمه المقدر لهم من مراتب المقامات والله بصير
بما يعملون من الحسنات والسيئات وافاد الاستاد انهم اصحاب
درجات في حكم الله اي السابق في الازل المطابق لما بدا من سعيد مقرب
ومن شقي مبعد لقد من الله على المؤمنين خصوا بالذكر لزيادة انتفاعهم

ما بين المكلفين او لانهم المقصودون بالذات في انعام بعث المرسلين اذ بعث
فيهم رسولا من انفسهم اي من جنسهم البشري او من نوعهم العربي ليتبعوه
في امره ونهيه ويقتدوا بفعله وتركه او ليفهموا كلامه ويقتفوا مرامه وقرئ بفتح
الفاء اي من اشرفهم لانه صلى الله عليه وسلم كان من افضل قبائل العرب
وبطونهم او لانه افضل جميع المؤمنين من الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين
كما يشير اليه المقام المحمود والمرتبة العظمى من الشفاعة وحديث آدم ومن دونه
تحت لوائي يوم القيمة بل فيه ايماء الى انه مبعوث الى الخلق كافة يتلو عليهم
آياته القرآنية ويزكيهم يطهرهم من الطبايع والاخلاق الدنية وينبههم
بالعقائد والاعمال والاحوال البهية ويعلمهم الكتاب اي يبين مبانيه ويعلم
معانيه والحكمة اي الوحي المخفي بالسنة الدالة على المواعظ الحسنة والحكم المستحسنة
وان كانوا من قبل اي قبل نبوته وظهور بعثته لفي ضلال مبين اي ضلالة مبينة
وجهالة معينة ففي ارساله منة عظيمة ومنحة وسيمة لارباب الهداية واصحاب
العناية في البداية والنهاية وفي دقايق الحقايق قيل اكبر منته سبحانه على
الخلق وسائط الانبياء عليهم السلام اليهم ليصلوا بهم اليه ويطلعوا ببركتهم
عليه لانه تعالى لو ظهر بغيره او سطوة عليهم من صفاته ذرة لاحرقتهم جميعا ولم
تترك منهم بقية وضلوا عن الطريق بالكلية وافاد الاستاد انه سبحانه اجزل
لديهم العارفة العظمى واحسن اليهم النعمى حيث ارسل اليهم المصطفى سيد الورى
وعرفهم دينهم واوضح لهم براهينهم وكان لهم بكل وجه معينهم فلا نعمة شكروا ولا حقه
وقروا ولا بما ارشدهم استبصروا ولا عن ضلالتهم اقصروا هذا وصف اعدائه
الذين جحدوا واستكبروا واما المؤمنون فتقلدوا المنة في الاختيار وقابلوا
الامر بالسمع والطاعة عن كنه الاقتدار فسعدوا في الدنيا والعقبى واستوجبوا
من الله الكرامة والزلفى انتهى ويشير الى هذا المعنى الواقع في المبنى حيث قال
جلت عظمته وعظمت منته لقد من الله على المؤمنين حيث لم يقل على المكلفين
لانه حجة على الكافرين لا نعمة على المنكرين وفيه ايماء الى انه تعالى ليس له نعمة حقيقية
بالنسبة الى غير المطيعين بل كل نعمة صورية دنيوية سبب نقمة اخروية للعاصين
او موجب منقصة عظيمة لدرجة الكاملين واما المصيبة والبلية فبعكس هذه
القضية ولذا قال ابن عطاء ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فاعطاك
اولما اصابتكم مصيبة اي حين حصلت لكم بلية عظيمة قوية وهي قتل سبعين
في احد قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين والجملة
صفة لمصيبة وجواب لما قوله قلتم انى هذا من اين هذا اصابنا وقد وعد الله
سبحانه النصر لنا قل هو من عند انفسكم باختياركم الفداء قبل ان يأذن الله

لكم او بترك بعضكم المركز للميل الى الغنيمة وعدم ملاحظة المخالفة وفقد الموافقة الموجبة
للنصرة الكاملة ان الله على كل شيء قدير من النصر وايصال الضر وعلى ان يصيب بكم
ويصيب منكم وافاد الاستاذ ان عادة الخلق نسيان ما منهم من الخطأ والعصيان
والرجوع بالتهمة فيما يتصل بهم من المحن والخسران وفنون المكاره والافتنان وان
من تعاطى صفوف الاجرام لحقيق بان لا ينسى حلول الانتقام وما اصابكم يوم
التقى الجمعان اى جمع المسلمين وجمع المشركين يوم احد فباذن الله اى بقضائه
وقدره لتؤمنوا به وليعلم الذين نافقوا وليعلم المؤمنين ليميز المنافقين من
المؤمنين المخلصين وقيل لهم اى والحال انه قيل للمنافقين تعالوا اى احضروا
فى المعركة او ارتفعوا عن حالة الحجبة الى مرتبة الوصلة والقربة قاتلوا فى سبيل الله
اى الكفرة او ادفعوا اى ادفعوهم عن الضعفة او بتكثير سواد المقاتلة فانه
يقوى قلوب ارباب المجاهدة ويكسر شوكة الاعداء المقابلة قيل قاتلوا انفسكم على
ملازمة الاوامر والنواهى وارتفعوا عن طرف الشرك الجلى والخفى والظاهرى والباطنى
كذا فى دقائق الحقائق قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم اى لو نحسن قتالا لاتبعناكم
فى المقاتلة ووافقناكم فى المدافعة وانما قالوه للدغل والمداخلة لقوله تعالى هم للكفر يومئذ
اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانه اول امارات ظهرت منهم
معلنة بكفرهم يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم اى بالسنتهم ففيه مجاز بذكر المحل
وارادة الحال وتأكيد كما ذكره بعض ارباب الكمال والمعنى يتفوهون من غير
ما يتفهمون ويظهرون خلاف ما يضمرون والله اعلم بما يكتمون من المؤمنين
فيما يبيتون فانه سبحانه يعلم الاشياء جليها وخفيها مفصلة وغيره يعلم
بعضها مجملة وافاد الاستاذ ان الله سبحانه وتعالى هون على المؤمنين
واصحاب البصائر من ارباب اليقين ما لقوا من عظيم الفتنة يوم احد فى شهادة
المسلمين بغلبة الكافرين بان قال ان ذلك اجمع كان باذن الله وان بلاء يصيب
باذن الله لمن العسل احلى ومن نعيم انتهى انتهى وكما قيل ضرب الحبيب احلى من
الزبيب وكما قال قائلهم اريد وصاله ويريد هجرى • فاترك ما اريد لما يريد ▪
ثم قال فى قوله تعالى وقيل لهم تعالوا الآية اخبر ان الذين لم يكن لهم فى الصحبة
خلوص كيف تعللوا وتكاسلوا وكذا الملول اذا اراد قطيعة ملّ الوصال وقال
كان وكانا يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم فلا جرم سقوا العسل ودس
لهم فيه الحنظل ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين الذين قالوا لاخوانهم اى هم
الذين قالوا ايضا لاجل اشباههم او اتباعهم او اشياعهم فى نفاقهم وشقاقهم
وقعدوا اى والحال انهم قعدوا بانفسهم فى المقابلة عن وفاقهم لو اطاعونا اى قائلين
لو اطاعنا اخواننا فى قعودنا او انصرافنا ما قتلوا كما لم يقتل من كان معنا وقرأ هشام

بالتشديد

بالتشديد للتكثير قل فادرءوا عن انفسكم الموت اى ادفعوه واسبابه عنها
فى ناديكم ان كنتم صادقين فى دعويكم ومقتضى تخويلكم انكم تقدرون على دفع القتل
عمن كتب عليه بعدم خروجكم ولزوم منازلكم بولوجكم والمعنى ان القعود ليس بالدافع
والمانع فان اسباب الموت كثيرة بحسب الوقايع فربما يكون القتال سببا
للهلاك والقعود سببا للخلاص من المهالك وربما يكون الامر بخلاف ذلك فلا تغيير
لشيء مما قدر هنالك وهذا جواب لكلامهم وقد سبق رد آخر لمرامهم وافاد الاستاذ
ان الذين ركنوا الى ما سولت لهم نفوسهم من ايثار الهوى المشتبه بالهواء والهباء
ثم اعترضوا على من صرفهم احكام القضاء وقالوا لو تحرزوا عن البروز للقتال
لم يسقطوا عن درجة السلامة فى الحال والمال لمذمومة تلك الظنون ولذا هبة عن
شهود التحقيق تلك القلوب فى جميع الفنون قل لهم يا محمد استدفعوا لانفسكم
الحيوة وادفعوا عنها هجوم الوفاة ومتى يقدرون على ذلك هيهات هيهات ولا تحسبن الذين
قتلوا فى سبيل الله امواتا وقرأ الشامى بالتشديد وهشام بالغيبة اى لا يحسبن
حاسب كان الخطاب عام لكل حاسب والمراد النهى للحاضر والغائب من جميع
الجوانب عن حسبان ان القتلى كالموتى فى كل المراتب فان قتلهم شهادة دالة
على سعادة موجبة لحياة ابدية ونجاة سرمدية كما قال ابن عطاء المقتول على المشاهدة
باق برؤية شاهده ومولاه والميت من عاش على رؤية نفسه ومتابعة هواه فكأنه
اشار الى ما قيل ليس من مات فاستراح بميت • انما الميت ميت الاحياء
وقد قال قائلهم اقتلونى يا ثقاتى ان فى موتى حياتى لان اولياء الله لا يموتون ولكن ينقلون
دارا الى دار ينتقلون كما قال بل احياء اى بل هم احياء وغيرهم اموات لكونهم
عند ربهم اى فى دار كرامته وقرب مكانته يرزقون من نعيم جنته فى حواصل
طيور خضر تسرح فى سعتها وتأكل من ثمرتها وتأوى الى قناديل معلقة تحت
العرش للاستقرار الى يوم القرار كما ورد فى الاخبار والآثار حال كونهم فرحين
بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة الذى هو اقوى اسباب السعادة
والفوز بالحيوة الابدية والظفر بالمشاهدة الصمدية فى المرتبة العندية التى
هى غاية منى المقاصد العبدية وافاد الاستاذ ان الحيوة بذكر الحق بعد ما تلف
النفس فى مقام الصدق اتم من البقاء بعث للخلق مع الحجبة عن الحق ويقال
ان الذى وارثه الحى الذى لم يزل ليس بميت وان قتل شعر فان كانت
الابدان للموت انشئت • فقتل امرئ فى الله لا شك افضل • ويستبشرون
اى يسرون بقلوبهم بالذين لم يلحقوا بهم وهم اخوانهم الذين بعد لم يقتلوا فيصلوا
بهم كائنين من خلفهم زمانا او رتبة فى شأنهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون
اى لكون الخوف منفيا عنهم والحزن لا يتصور منهم وافاد الاستاذ ان من علم

ان احياء ينظرون وهم فى الترفه والنعمة فى حالهم ومآلهم لا يهنا بعيش دون
التاهب والالمام بهم والنزول عليهم قلت ولعل فى هذا الحال قال بلال
غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه ما افلح من ندم يستبشرون بنعمة من الله اى بمثوبة
عظيمة لاعمالهم جزاء وفاقا بمقتضى العدل وفضل اى زيادة على ما اقتضاه
بطريق الفضل كقوله تعالى فى حق ارباب السعادة الذين هم اتم من اصحاب
الشهادة للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم فى الافادة وتشير
الى ما قاله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وبينه السنة المجملة بقوله فى الحديث
القدسى والكلام الانسى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وان الله لا يضيع اجر المؤمنين اى وبهذا ايضا
يكونون مستبشرين واراد عموم المؤمنين لاقتضائه الاولوية بخصوص الشهداء
المخلصين وقرأ الكسائى بالكسر على الاستيناف تسلية لسائر المؤمنين وفى
دقائق الحقائق قيل يستبشرون بما انعم عليهم من فضله القديم حيث جعلهم اهلاً
لنعمته وفضله الكريم وافاد الاستاذ ان علة استبشارهم وموجبه فضل من الله
ونعمة منه اى لولا فضله عليهم ونعمته بهم والا لما استبشروا وليس استبشارهم
بالنعمة وانما استبشارهم بانهم عباده وانه مولاهم ولولا فضله ونعمته عليهم لما
كانت هذه الحالة لهم الذين استجابوا لله اى بالوحدانية والرسول بالمتابعة
من بعد ما اصابهم القرح اى انواع من الجرح وافاد الاستاذ ان للاستجابة مزية على
الاجابة من حيث الاشارة لا من مقتضى العربية اقول ولا يبعد ان يوجه له وجه ايضا
فى اصطلاح العلوم الادبية بان يقال ان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ولذا
قال تعالى فى مقام العموم اجيب دعوة الداع اذا دعان وفى مرتبة الخصوص فاستجاب
لهم ربهم ثم قال وهو انهم استجابوا طوعا لا كرها استجابوا لله من غير انطواء
على تحمل مشقة بل باشارة القلب ومحبة الفؤاد واختيار الروح واستقبال تحمل
الحكم فاستجابة الحق تعالى بالتحقيق بوجوده واستجابة الرسول عليه السلام بالتخلق
بما شرع من حدوده واستجابة الحق بالصفاء فى حق الربوبية واستجابة الرسول عليه السلام
بالوفاء فى اقامة العبودية من بعد ما اصابهم القرح فى ابتداء معاملاتهم قبل ظهور انوار
التجلى على قلوبهم وابتسام الحقائق فى اسرارهم للذين احسنوا منهم اى بالايمان
واتقوا اى احترسوا من العصيان اجر عظيم لقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان
ومن دقائق الحقائق للذين احسنوا منهم فى اداء الشرايع واتقوا فى التوحيد
ان يخالطوه بشرك جلى او خفى اجر عظيم هو حفظ اسرارهم ووقايتهم عليهم من كل
شاغل يشغلهم عن الحق وقيل للذين احسنوا منهم فى اجابة المصطفى صلى الله عليه
وسلم واتقوا مخالفته سرا وعلانية اجر عظيم هو البلوغ الى المحل العظيم من مجاورة الحق

ومشاهدة

ومشاهدته وافاد الاستاذ ان الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وهو المشاهدة
فان لم تكن تراه فانه يراك وهو المراقبة فى حال المجاهدة فلاصحابهما واربابهما اجر عظيم
لاهل البداية مؤجلا ولاهل النهاية معجلا هذا وروى ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا
من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فندب اصحابه للخروج فى طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج
عليه السلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه
القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر فالقى الله الرعب فى قلوب المشركين
فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس اى بعض منهم ان الناس اى ابا سفيان
واتباعه قد جمعوا لكم جيوشا واجتمعوا لقتالكم فاخشوهم فزادهم اى مقولهم
الصحابة ايمانا اى ايقانا فاخلصوا النية واظهروا الحمية الاسلامية وقالوا
حسبنا الله اى كافينا ليس سواه ونعم الوكيل اى الموكول اليه امرنا فى ما قدره
وقضاه وافاد الاستاذ انه لم يلتبس على ظواهرهم شئ من احوال الدنيا الا انفتح
فى اسرارهم طوالع من المكشوفات فازدادوا يقينا على يقين ومن امارات
اليقين استقلال القلوب بالله عند انقطاع المنى من الخلق فى توهم الامداد
والاعانة هذا وروى ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا
موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان القابل
خرج فى اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب فى قلبه فرجع هو واشياعه
بنقمة من الله فانقلبوا اى فانصرف النبى عليه السلام واتباعه بنعمة من الله
اى مصحوبين بعافية وسلامة وزيادة معرفة وفضل اى فى ربح تجارة صورية
فى ضمن تجارة معنوية لم يمسسهم سوء اساءة جراحة وشدة مشقة واتبعوا
رضوان الله اى لا بطرا واشرا ورياء وسمعة والله ذو فضل عظيم على العالمين
عموما وعلى المؤمنين خصوصا قال الاستاذ وكذا سنة الحق سبحانه مع من صدق
فى التجائه اليه ان يمهد مقيله فى ظل كفايته فلا البلاء يمسه ولا العناء يصيبه ولا
النصب يغلبه انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه اى قائل ان الناس قد جمعوا لكم
يصد اولياء الله عن اعدائه فلا تخافوهم اى الناس باسرهم وخافون اى وخافونى
كما قرأ به ابو عمرو والمعنى واخشونى وحدى واتقوا مخالفة امرى وجاهدوا مع رسولى
ان كنتم مؤمنين بوعدى ووعيدى وقال سهل اى مصدقين انه لا دافع ولا مانع غيرى
وقال جنيد يتوقع العذاب مع كل نفس فى كل باب وقال الواسطى الخوف من شرط
الايمان والخشية من شرط العلم كذا فى حقايق السلمى وكأنه اشار الى قوله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء والى ما ورد انا اعلمكم بالله واخشاكم لله وافاد الاستاذ الاشارة
فى تسليط دواعى الشيطان على قلوب الاولياء صدق فرارهم الى الله كالصبى الذى فيه

عداه يخوف بشئ يفزع به الصبيان فاذا خاف لم يهتد الى غير حجره فاذا التجأ اليها
آوته الى عزه والصقت خده بخدها كذلك العبد اذا صدق فى ابتهاله الى الله ورجوعه
اليه فى مخاوفه آواه الى كنف قربه وتداركه بحسن لطفه ولا يحزنك الذين يسارعون
فى الكفر يقعون سريعا فيه حرصا عليه وغفلة عما ينافيه وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاى حزنه
واحزنه لغتان والمعنى لا تخف فى الحزن مخافة ان يضروك ويعينوا عليك انهم لن
يضروا الله اى اولياءه شيئا او بشئ او شيئا من الضرر بمسارعتهم فى الكفر
وانما يضرون به انفسهم بالخسارة فى التجارة يريد الله ان لا يجعل لهم حظا فى
الآخرة ولهم عذاب عظيم ومعه حجاب جحيم وافاد الاستاد انه سبحانه زاد فى قوة
قلبه بما جدد له من تاكيد عهده بانه لا يشمت به عدوا ولا يوصل اليهم من قبله سوءا
ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اى استبدلوه به واختاروه عليه لن يضروا الله شيئا
بمخالفتهم كما انهم لم ينفعوه سبحانه بموافقتهم فانه سبحانه غنى عن الخلق وطاعتهم
وعباداتهم وانما يرجع نفع اعمالهم وضرر احوالهم اليهم بالاقبال او الوبال عليهم ولهم
عذاب اليم اى مولم بوصف الدوام فيفيد الكمية كما ان ما قبله يفيد بيان الكيفية فلا
تكرار او الكفار فى الآية الاولى مختصر بالمشركين والمنافقين من هذه الامة وفى الآية
الثانية للحكم على كفار سائر اهل الملة وعظم عذاب الاولين عن وفق عظم ثواب اضدادهم
من المؤمنين وافاد الاستاد انهم ان اضروا فما اضروا الا بانفسهم وان احتروا فما احتروا
الا على خسرانهم فانحن عذبنا ببعد ديارهم ولا لكن ساقنا اليهم نوازع ولا يحسبن الذين
كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم قرأ حمزة فيه وفيما بعده بالخطاب والباقون بالغيبة فيهما
اى لا يحسبن حاسب لا مخاطب او غائب من الكفار والفجار ان املاءنا لهم خير لانفسهم
وامهالنا باطالة عمرهم نفع لوجودهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما وزيادة الاثم موجبة
زيادة وبالهم وسوء حالهم ومآلهم ولهم عذاب مهين اى ذو اهانة فى العقبى
وحجاب مبين فى الدنيا وهذا فى حق الكفار بخلاف حال الابرار فانه كما ورد طوبى لمن طال
عمره وحسن عمله كلهم جنة معجلة فى الدنيا وجنة مؤجلة فى الاخرى كما اشار اليه قوله
سبحانه فى سورة الرحمن ولمن خاف مقام ربه جنتان وافاد الاستاد فى اشارة
الآية ان من تمام المكر بهم والمبالغة فى عقوبتهم انا نعذبهم وهم لا يشعرون
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون نملى لهم فيظنون ذلك انعاما ولا يحسبونه انتقاما
فاذا برز لهم كوامن التقدير عن مغار انهم علموا انهم لفى خسران مبين ولقد
اتضح لكل ذى بصيرة ان ما يكون سبب العصيان وموجب النسيان غير معدود من
جملة الانعام والاحسان ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه اى من الاختلاط
والمعنى لا يترككم مختلطين معكم لا يعرف حال مخلصكم وموافقكم من مرائيكم ومنافقكم
حتى يميز الخبيث من الطيب قرأ حمزة والكسائى بالتشديد من التمييز والباقون من الميز

وهما لغتان

وهما لغتان والمعنى حتى يبين المنافق من الموافق والمرائى المخالط من المخلص
الضابط بالوحى الى نبيكم واخباره باحوالكم او بالتكاليف الشاقة من بذل اموالكم
وارواحكم وافاد الاستاد انه سبحانه جمعهم من حيث الاشخاص والمبانى ولكنه فرقهم
فى الحقايق والمعانى فمن طيب سجيته ومن خبيث طينته وانهم وان كانوا فى
رأى عين العوام مختلطون ففى بصيرة الخواص هم ممتازون وما كان الله ليطلعكم
على الغيب لتطلعوا على ما فى القلب من اليقين والريب ولكن الله يجتبى
من رسله من يشاء اى ولكن يختار من يشاء لرسالته فيخبره ببعض مغيباته زاد
الاستاد فان اسرار الغيب لا تظهر للمتلونين بادناس البشرية وارجاس
النفسية وان الحق سبحانه مستأثر بعلم ما جل وقل من الاخبار فيخص من يشاء
من انبيائه بمعرفة بعض الاسرار قلت وكذا اولياؤه لكن ببركة متابعة انبيائه
ولعل وجه الاقتصار على الرسول ايماء الى الاصالة ومشيرا الى ان ما يحصل لغيرهم
انما هو بطريق التبعية والنيابة لقول النبى الاجل اتقوا فراسة المؤمن
فانه ينظر بنور الله عز وجل فآمنوا بالله ورسله اى بصفة الاخلاص
الموجب للخلاص وان تؤمنوا وتتقوا على وفق الوفاق وتتركوا عمل
اهل النفاق فلكم اجر عظيم ونعيم مقيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم
الله من فضله اى بخلهم هو خيرا لهم بل هو شر لهم لاستجلاب العقاب
عليهم واستيجاب الحجاب لديهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة
فيندمون على بخل مالهم وسوء مآلهم حيث لا ينفعهم الندامة ولله ميراث
السموات والارض فيرث منهم ما يبخلونه ويمسكونه عن سبيله ولا ينفقونه
ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والندامة يوم القيمة والله بما تعملون من المنع
والعطاء والبخل والكرم خبير اى عالم بصير فيجازيهم على وفق اعمالهم ونفاد
احوالهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالغيبة وافاد الاستاد ان من آثر شيئا
على الله لم يبارك له فيه فلا يدوم له فى الدنيا بذلك استمتاع ولا للعقوبة عليه فى
الآخرة عنه دفاع والبخل على لسان العلم منع الواجب وعلى مقتضى الاشارة
ابقاء شئ ولو ذرة من المال او نفس من الاحوال ومن دقائق الحقائق قال ابن
عطاء السلوك فى طريق الحق على السخاء واجتناب البخل وهو بذل النفس والمال
والسر والروح والكل فمن نظر فى طريق الحق الى غير لوامع اسرار الرب وسواطع
انوار القرب فهو بخيل روى عن سيد الانبياء وسند الاصفياء ما جبل ولى الله
الا على السخا لقد سمع الله قول الذين قالوا اى من اليهود لكونهم اغبياء ان الله
فقير ونحن اغنياء حين نزل من ذا الذى يقرض الله فى الترغيب والتحريض بالتصدق
على الفقراء وهذا من جهلهم بالله سبحانه وصفاته واحكامه وحكمه فى مخلوقاته

من فقير وغني وصالح وكافر ونعمة ونقمة ومعصية وطاعة ومحنة معنوية ونحو ذلك
حيث يحقرون الفقراء من الاولياء والاصفياء ويفتخرون بكثرة الاموال
وسعة الجاه وان كانا موجبين للبعد عن الله والاشتغال بما سواه مع ما فيهما
من الحساب والعقاب والحجاب والطرد عن الباب وافاد الاستاد
ان هذا الخطاب لو كان بين المخلوقين لكان شكوى اى بالكتاب والعتاب
والشكوى الى الاولياء من الاعداء سنة الاحباب ويقال علم الله سبحانه
ان في المؤمنين من يغتاب الناس وذلك قبيح من مقالتهم فاظهر قبحا
فوق ذلك من حالتهم ليتصاغر قبح قول الابرار بالاضافة الى قول الكفار
وفيه ايضا اشارة الى دعاء الخلق الى حسن الخلق وصفة الحلم بالتجاوز
عن الخصم فان الله سبحانه لم يسلبهم ما اولاهم مع قبيح ما ارتكبوه من التقصير
في حق مولاهم سنكتب ما قالوا وهي تلك المقولة وغيرها من هذه المقولة
وقتلهم الانبياء بغير حق اى بلا جريمة ولا حاجة ومنفعة بل لمجرد كونهم ذوي شوكة
وقوة والسين لتأكيد القضية والكتابة بمعنى اثبات القصة او للتقرير
في صحايف الكتبة ونقول اى على لسان الخزنة ذوقوا عذاب الحريق
اى المحرق للاعضاء الظاهرة الموصل الى الاجزاء الباطنة وقرأ حمزة سيكتب
بالتحتية المضمومة والفوقية المفتوحة وقتلهم بالرفع على النيابة ويقول بياء
الغيبة وافاد الاستاد ان هذه الكلمة من موجبات الخجلة لاهل التقصير
بادق اشارة يعني انهم وان نسوا احوالهم واقوالهم فانا ننشر لهم ما كتبنا عليهم
من قبيح افعالهم كما قيل شعر صحايف عندي للعتاب طويتها
ستنشر يوما والعتاب يطول ۔ ساصبر حتى يجمع الله بيننا
فان نلتقي يوما فسوف اقول ذلك اى العذاب المقترن بالحجاب
بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء او بما عملت انفسكم من احتقار الفقراء
واستعظام الاغنياء وسائر الاسواء وان الله ليس بظلام للعبيد
اى بذي ظلم لعباده مع انه مالك الملك وملك في ملكه ولا معقب لحكمه بل ولا يتصور
وقوع ظلم في حقه لان افعاله كلها اما عدل واما فضل ليس بينهما فصل الذين
قالوا اى هم الذين قالوا ايضا ان الله عهد الينا اى امرنا في التورية
واكد علينا الا نؤمن لرسول اى ممن يأتي بعد موسى حتى يأتينا بقربان تأكله
النار اى بانا لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة التي كانت لانبياء بني
اسرائيل عليهم السلام خاصة وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي عنده فيدعو
فتنزل نار سماوية فتأكله وهذا من مفترياتهم ليتعللوا به عن ايمانهم
ومتابعتهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر

المعجزات سواء في هذه القضية ومع هذا رده سبحانه عليهم بالحجة الالزامية
حيث قال قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات بالمعجزات الواضحات
وبالذي قلتم من خصوص الآيات الموجبة لمتابعة من اتى بها من الرسل
كزكريا ويحيى عليهما السلام بالوجه المبين فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين
اى في هذه الدعوى فان قتلكم اياهم مناقض للمدعى وافاد الاستاد انهم تقولوا
على الله سبحانه فيما تعللوا به من الايمان بنبي آخر الزمان فقالوا لقد امرنا الا
نصدق احدا الا اذا اتانا بقربان يتقرب به فتنزل نار من السماء فتأخذ القربان
عيانا بمحضر قال تعالى قل لهم ان من تقدمني من الانبياء عليهم السلام
اتوكم بما اقترحتم على من القربان ثم لم تؤمنوا فلو اجبتكم اليه لم تؤمنوا الى البعث
فان من اقتضته السوابق فلو خاطبته الشمس بلسان فصيح او سجدت له الجبال
فراها بلحظ صحيح لم يلج العرفان في قلبه وما ازداد الا شكا على شكه انتهى ولعل الحكمة
في عدم اظهار هذه المعجزة مع ان مثل هذه الكرامة قد تجري على ايدي بعض اولياء الامة
لان سنة الله سبحانه ان الاتيان بالمعجزة المقترحة موجب لاستيصال
اهلها بالعقوبة وقد علم الله في بعضهم ولو في اصلاب جماعة منهم حصول الايمان
والمعرفة فانزل الله تعالى لنبيه على وجه التسلية قوله فان كذبوك فقد كذب رسل
من قبلك جاؤا بالبينات المعجزات الواضحات التي من جملتها الآيات
المقترحات والزبر اى وبالزبر كما هو قراءة الشامي والكتاب اى وبالكتاب
كما قرأ هشام المنير المبين للخلق طريق الحق بالوجه الصدق والزبر جمع زبور وهو
الكتاب الذي بيانه على الحكم والمواعظ مقصور دون الاحكام المبينة للمنهي والمأمور
بخلاف الكتاب فانه في عرف القرآن ما يتضمن الشرايع والاحكام في كل باب
والمراد بالكتاب جنسه الشامل لارباب الخطاب وافاد الاستاد ان عادة الفجار
تكذيب الابرار وعلى هذا النحو درج سلفهم وبهديهم يقتدي خلفهم كل نفس ذائقة
الموت اى مرارة كاس سكراته وحرارة بأس غمراته وهذا وعد للمصدق ووعيد
للمكذب وانما توفون اجوركم اى تعطون جزاء اعمالكم وافيا خيرا كان او شرا
بحسب احوالكم يوم القيمة يوم قيامكم من القبور ووقوفكم بين يدي عالم ما في الصدور
فمن زحزح عن النار اى بعد عنها او اخرج منها وادخل الجنة اى التي هي محل الوصلة
والقربة فقد فاز اى نجا وظفر بكل نعمة وبغية وما الحيوة الدنيا اى تمتعاتها ولذاتها
الا متاع الغرور اى ما ينتفع به المغرور وما احسن ما قال بعض ارباب الحال ۔ اضغاث
نوم او كظل زائل ۔ ان اللبيب بمثلها لا يخدع ۔ وعن حيدر الكرار انت نعم الدار لمن لم يرض
بك دارا وكانه رضي الله عنه وكرم وجهه تبع في هذا المقال ما قال صلى الله عليه وسلم
نعم المال الصالح للرجل الصالح ولنعم ما قال بعض العارفين الدنيا ساعة فاجعلها طاعة

وتوضيحه ما قاله سبحانه ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها اى نفسا فكل نفس
يحتمل ان يكون آخر الانفاس فيجب على السالك ان يراعيه ولا يضيعه بالاستيناس
مع الناس فانه موجب لحصول الافلاس وافاد الاستاذ ان كاس الموت توضع كل
كف كل حى مخلوق فمن تحساها طيبة النفس اورثته سكر الوجد ومن تجرعها على وجه
التعبيس وقع فى وهدة الرد ونعم بكى البعد يوم القيمة فمن اجير من النار وصل الى
الراحة الكبرى ومن صلى بالسعير وقع فى المحنة العظمى لتبلون اى والله لتختبرن
فى اموالكم بتكليف انفاقها فى جهات الخيرات وبما يصيبها من الآفات
وانفسكم بالجهاد والقتل والجراحات وبالقيام فى الصلوة والصيام وساير
العبادات وبما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب وتغير الحالات ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم من المخالفين ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
من الطعن فى الدين واهانة المسلمين وقد اخبرهم الله سبحانه اولا بهذا الابتلاء
ليوطنوا انفسهم على الصبر والتحمل فى البلاء ولا يرهقهم نزولها بغتة فلا يكونون
مستعدين للقاء وان تصبروا على انواع البلاء وتتقوا بتحمل اصناف الالاء
فان ذلك ما ذكر من الصبر والتقوى من طريق مرضاة المولى من عزم الامور اى من
معزوماتها ولزوماتها التى يجب العزم عليها لتحصيل الاجور ومن دقائق الحقائق لتبلون
فى اموالكم بحبها ومنع حقوقها وفى انفسكم برؤية اعمالها والاعتماد عليها واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب اى علمائهم القابلين للخطاب على لسان انبيائهم او بما بين
الكتاب من انبائهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه بالتاء الفوقية حكاية لمخاطبة وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وشعبة بياء الغيبة واللام جواب القسم الدال عليه الاخذ والضمير
للكتاب فنبذوه اى الميثاق او الكتاب وراء ظهورهم بعدم الالتفات اليه
وترك الاعتماد عليه واشتروا به اى اخذوا بدله واختاروا على حصوله ثمنا قليلا
من حطام الدنيا واعراضها الفانية فبئس ما يشترون ما اختاروه لانفسهم من الخسارة
فى الدنيا والآخرة بترك العمل بالعلم المؤدى الى الايمان والاحسان ومنعه عن اهله بالبخل
والكتمان وفى الحديث من كتم علما عن اهله الجم يوم القيمة بلجام من نار وعن على رضى الله عنه
ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقيل اخذ الله المواثيق
على عامة اوليائه ان لا يخفوا كرامات الله عندهم لمن لا يفتتن بذلك ولا يتخذه
دعوى وان يعلموا من قصدهم من المريدين الطريق الى الحق كذا فى دقائق الحقائق وافاد
الاستاذ انه سبحانه اخبر عنهم انهم ابرموا عهودهم ان لا يزلوا عن وفائه ولكنهم
نقضوا اسباب الضمان بما صاروا اليه من الكفران ثم تبين ان ما اعتاضوا من ذهاب
الدين باغراض يسيرة واعواض حقيرة لم يبارك لهم فيه لا تحسبن الذين يفرحون
بما اتوا اى فعلوا وقرئ بما اوتوا وبما آتوا اى اعطوا من انفسهم او بذلوا من اموالهم

ويحبون

ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا مع ان من المذموم محبة الحمد على ما فعلوا فلا تحسبنهم بمفازة
بمنجاة من العذاب ومخلص من الحجاب وقرأ الكوفيون بالخطاب فى الاول وما عدا ابن كثير
وابو عمرو فى الثانى وكل على اصله فى فتح السين وكسرها وباقى المخالفات فى الآية من وجوهها
والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون انفسهم او لا تحسب حاسب مخاطب وغائب الفارحين
بما فعلوا من نحو كتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من نحو اظهار الصدق فائزين
بالنجاة مع المؤمنين فانهم معذبون مع المشركين لقوله ولهم عذاب اليم وحجاب عظيم
بوجود كتمانهم وعدم ايمانهم وافاد الاستاذ ان من باشر رؤية الخلق قلبه ولاحظهم سره
وله فلا تظنن ان عقوبتهم مؤخرة الى يوم القيمة بل ليسوا من العذاب فى الحال بمفازة
واى عذاب اشد من الرد الى الخلق والحجاب عن الحق ولله ملك السموات والارض
اى بملكها وما فيهما ومنه اقتداره على حجابهم والله على كل شئ قدير فيقدر على عقابهم
وافاد الاستاذ ان الاشارة من هذه الآية ههنا الى غناه عن جميع الكون وانهم محتاجون اليه
ايجادا وامدادا ابالعون وانهم لا يجدون عنه خلفا ولا عليه بدلا ان فى خلق السموات
والارض اى انفسها ونفوس من فيها واختلاف الليل والنهار بنقص اولهما وزيادة آخرهما
وعكسهما او اختلافهما نورا وظلمة وحرارة وبرودة لآيات لاولى الالباب لدلالات واضحة
لاصحاب العقول السليمة المجلوة الى لصقة عن شوائب الوهم والغفلة على وجود الصانع ووحدته
وكمال علمه وقدرته وفى الحديث ويل لمن قرأها ولم يتفكروا وافاد الاستاذ ان الآيات
التى تعرف الحق سبحانه بها الى العوام هى الآيات التى فى الاقطار من العبر والآثار واما
الآيات التى تعرف بها الى الخواص فالتى فى انفسهم قال سبحانه سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم
فالآيات الظاهرة توجب علم اليقين والآيات الباطنة توجب عين اليقين والاشارة
من اختلاف الليل والنهار الى اختلاف ليالى العباد فليالى اهل الوصال قصيرة وليالى اهل الفراق طويلة
ولهذا يقول شعر يقصين وما شعرنا بانصافهن ولا اسرار • ويقول شعر
صباحك سكر والمساء خمار • نعمت وايام السرور قصار • والثانى يقول شعر
ليالى بعد الظاعنين شكول • طوالا وليل العاشقين طويلا • وثالث ليس له خبر عن
طول الليل ولا عن قصره فهو لما غلب عليه كما قال شعر لست ادرى اطال
ليلى ام لا • كيف يدرى بذاك من يتقلى • لو تفرغت لاستطالة ليلى • ولرعى النجوم كنت مخلى
قلت ولا يبعد ان يكون اختلاف الليل والنهار مشيرا الى اثر صفتى الجلال والجمال وما يترتب
عليهما من الفناء والبقاء والغيبة والحضور والمراقبة والمشاهدة والقبض والبسط
لارباب الكمال كما اشار اليه القطب الربانى الشيخ عبد القادر الجيلانى بقوله
فى فتوح الغيب ما اعظم تسخطك على ربك وتهمتك له عز وجل واعتراضك عليه
واستبطائك له فى الرزق والغنى وكشف الكرب والبلوى اما تعلم ان لكل اجل
كتابا ولكل بلية وكربة غاية ونفادا لا يتأخر ذلك ولا يتقدم ابدا واوقات البلايا

لا ينقلب فقصير عوافيا ووقت البوس لا ينقلب نعمة وحالة الفقد لا يستحيل غنى فاحسن
الادب والزم الصمت والصبر والرضا والموافقة لربك عز وجل لانه سبحانه خلق
الاشياء وخلق مصالحها ومفاسدها وعلم ابتداءها وانتهاءها وعاقبتها وانقضائها
وانتظر الفرج ان عجزت عن موافقته بالرضاء والفناء في فعله الى ان يبلغ الكتاب اجله
فتتغير الحالة عن ضدها بمرور الزمان وانقضاء الآجال كما ينقضي الشتاء فيسفر عن
الصيف وينقضي الليل فيسفر عن النهار فاذا طلبت ضوء النهار ونوره بين
العشائين لم تعطه بل تزداد في ظلمة الليل حتى اذا بلغت الظلمة غايتها وطلع الفجر
جاء النهار بضوئه طلبت ذلك واردته او سكت عنه وكرهته فان طلبت اعادة
الليل ح لم تجب دعوتك ولم تعط لانك طلبت الشيء في غير حينه ووقته انتهى
ولعل هذا المعنى هو المراد بقول الصوفي ابن الوقت او ابو الوقت بالفرق الدقيق
بينهما في تحقيق ارباب الطريق ثم قال الاستاذ واولوا الالباب هم الذين صحت
عقولهم عن سكر الغفلة عن الحضرة ولو لحظة وامارة من كان كذلك ان يكون
نظره بالحق فاذا نظر من الحق الى الخلق استقام نظره واذا نظر من الخلق الى الحق
انعكس نعمته وآثاره وانقلبت افكاره انتهى ولا يخفى ان هذا هو المقام الاعلى
والا فالسالك المجذوب معقول وان كان المجذوب السالك في حال الاعتبار
هو الاولى وبالنظر الى الامرين اختلاف القولين حيث قال بعضهم ما رأيت شيئا
الا ورأيت الله قبله وقال آخرون بعده ولعل رجح المقام الاول لانه ينبئ عن العيان والمشاهدة
والثاني يخبر عن الاستدلال والمجاهدة والحاصل ان اولى الالباب ما بينه الله في الكتاب
بقوله الذين يذكرون الله في جميع احوال الخطاب قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي قائمين
وجالسين ومضطجعين قال الاستاذ استغرق الذكر جميع اوقاتهم فان قاموا فبذكره
قاموا وان قعدوا او سجدوا او ناموا فجملة احوالهم مستهلكة في حقائق الذكر فيقومون
بحق ذكره ويقعدون عن خلاف امره ويقومون بصفاء الاحوال ويقعدون عن ملاحظتها
بعين الكمال وعن الدعوى فيها في مقام الدلال ويذكرون قياما على بساط الخدمة ثم قعودا
على بساط القربة ومن لم يسلم في بدايته قيامه على التقصير لم يسلم له قعوده في نهايته بوصف
الحضور والذكر طريق الحق سبحانه ما سلك المريدون طريقا اصح واوضح من طريق الذكر
وان لم يكن فيه سوى قوله انا جليس من ذكرني لكان ذلك كافيا والذاكرون على اقسام وذلك
لتباين احوالهم فذكر يوجب قبض الذاكر لما يذكره من تقصير سلفه او قبيح حصل منه
فيمنعه خجلة ذلك عن ذكره فذلك ذكر قبض وذكر يوجب بسط الذاكر لما يجد من لذات
الذكر ثم من تقريب الحق اياه بجميل اقباله عليه وذاكر هو محو في شهود مذكوره فالذكر
يجري على لسانه عادة وقلبه مصطلم فيما بدا له وذاكر هو في محل الاجلال يأنف من ذكره
ويستقذر وصفه فكأنه لتصاغره عنده لا يريد ان يكون له في الدنيا والآخرة ثناء

وبقاء ولا كون ولا بهاء قال قائلهم ما ان ذكرتك الا هم يلعنني قلبي وروحي وسري
عند ذكراكا حتى كان رقيبا لي يهتف بي اياك ويحك والتذكار اياكا قلت وتحصيل
هذا الحال في مقام الجمع الاول المعبر عنه بصرف التوحيد لا شعار التذكار بالاثنينية
من الذاكر والمذكور ومقصود اهل الجمع هو الفناء في عين المذكور بحيث لا يكون لهم
عن فنائهم ايضا شعور لاستغراقهم في بحر المشاهدة والحضور ولعل رابعة العدوية
قالت في هذه الحالة استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقال آخر اذ نبت في
مقام الاعتراف والاقرار لاجل الاستغفار وهذا الاعتذار اعظم ذنبا من الاصرار
لاشتماله على دعوى الوجود والفعل والاقتدار ولا حول ولا قوة الا بالله العزيز الجبار
ثم قال والذكر عنوان الولاية وبيان الوصلة وتحقيق الارادة وعلامة صحة البداية
ودلالة صفاء النهاية فليس وراء الذكر شيء وجميع الخصال المحمودة راجعة الى
الذكر ومنشئة عن الذكر قلت ولذا قال تعالى اقم الصلوة لذكري مشيرا الى ان المقصود
من ام العبادات وجميع الطاعات هو الذكر بجميع الهيئات في كل الحالات
الا ان ذكر الله للعبد اتم من ذكر العبد اياه لان ذكره قديم كسائر صفاته وذكر العبد
حادث كباقي حالاته ولان ذكره للعبد هو الباعث لذكر العبد له كما يشير اليه قوله
وما يذكرون الا ان يشاء الله ويومي اليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه ويوضحه قوله
عز وجل ولذكر الله اكبر اي من ذكركم اياه ثم افضل ذكر العبد اياه ان ينسى حال ذكره
ما سواه كما يشير اليه قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت ويدل عليه
قوله عليه السلام افضل الذكر لا اله الا الله ويتفكرون في خلق السموات
والارض اي استدلالا واعتبارا وتذكارا للصفات المتوقف عليها الخلقة من
الوجود والحيوة والعلم والقدرة والارادة ولعل في الآية اشعارا بما ورد تفكروا
في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله لان الخلق كلهم لا يحيطون به علما
وافاد الاستاذ ان التفكر نعت كل طالب وثمرته الوصول بكل مطالب لكن بشرط
العلم المقرون بالحلم فاذا سلم الفكر عن شوائب التعلق والتعليق ورد صاحبه على
مناهل التحقيق واذا حصل الشهود والحضور سما صاحبه عن الفكر فالفكر الى حد
والذكر سرمد ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا وقلة وفائها وكثرة عنائها وخسة شركائها
فيزدادون بالفكرة زهدا فيها وفكر العابدين في جميل المآب وجزيل الثواب فيزدادون
نشاطا عليه ورغبة اليه وفكر العارفين في الآلاء والنعماء فيزدادون محبة للحق سبحانه
ربنا ما خلقت هذا باطلا اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر
فيه او الى الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى
المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان
يكون مبدأ الوجود الانسان وسببا للمعاشة في الابدان ودليلا يدله على الايمان

بوحدانيتك ويحثه على القيام بطاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية
وقد قال فارس الحكمة فى اظهار الكون اظهار حقايق حكمته بالفعل الحكيمى سبحانك
اى انزهك تنزيها لائقا بك من العبث فى فعلك من اظهار خلقك فقنا عذاب النار
اى ما يوجب العذاب وما يجب الى الحجاب ربنا انك من تدخل النار اى مخلدا
فيها فقد اخزيته لقوله تعالى يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه مع ان المؤمن
العاصى ايضا سواء دخلها ام لا لا يخلو عن نوع خزى وفضيحة ومحنة ومشقة لما روى
الحافظ ابو يعلى الموصلى ان العار والخزية يبلغ من ابن آدم فى القيمة بين يدى الله ما يتمنى
العبد ان يؤمر به الى النار وفى الآية ايماء الى ان العذاب الروحانى ابلغ
من العقاب الجسمانى حيث جعل حصول الاول مرتبا على وصول الثانى وما للظالمين
من انصار اى ينصرونهم بالمنع عن دخولهم او بالاقدام على اخراجهم من النار
واما الشفاعة لعصاة المؤمنين فلا يقال لها نصرة لان النصرة دفع بالغلبة والشفاعة
بطريق المسألة وقال الاستاد من ابتليته فى الاجل بالحرقة فقد اخزيته ومن ابتليته
بالفرقة فى العاجل فقد اشقيته ومن اوليته يمن الوصلة فقد آويته وادنيته ربنا اننا سمعنا
مناديا ينادى للايمان وهو الرسول او القرآن ان آمنوا اى بان آمنوا او اى آمنوا
بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا فاستثقلنا وقال الاستاد
يعنى اجبنا الداعى ولكن انت الهادى فلا تكلنا الينا ولا ترفع ظل عنايتك عنا ولا
تسلط غيرك علينا والايمان الدخول فى موجبات الامان وانما يؤمن بالحق من امنه
الحق فايمان الحق للعبد الذى هو اجارته يوجب ايمان العبد بالحق الذى هو تصديقه
ومعرفته وتوفنا مع الابرار جمع بر او بار والمعنى اختم لنا بالخير واجعلنا مخصوصين
بصحبتهم معدودين فى زمرتهم محشورين فى جملتهم وافاد الاستاد انهم المختصون
بحقايق التوحيد القائمون بشرايط التفريد الواقفون مع الله بخصايص التجريد
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اى على تصديقهم من الثواب او على السنتهم من حسن
المآب ولا تخزنا اى لا تفضحنا بسوء اعمالنا وقبح احوالنا يوم القيمة اى حيث
لا تنفع الندامة انك لا تخلف الميعاد اى وعد العباد باثابة المؤمن العاصى واجابة
الداعى وتكرير ربنا للمبالغة بالتضرع فى مقام الثناء وللايماء الى استقلال كل من
افراد الدعاء وفى الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف
وقال الاستاد حقق لنا ما وعدتنا على السنة الوسائط من اكمال النعم وتكفير السوء
وغفران كل ما سبق منا من متابعات الهوى وفى دقائق الحقايق قيل لا تخزنا باعمالنا
وعد بفضلك ورحمتك علينا انك لا تخلف الميعاد بقولك سبقت رحمتى غضبى
فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وحصول بغيتهم واستجاب اخص من اجاب
انى لا اضيع عمل عامل منكم اى بانى وقوله من ذكر او انثى بيان عامل لكون الحكم

بوصف

بوصف شامل بعضكم من بعض جملة حالية معترضة او استينافية مبينة لان
الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لفرط الاتصال والاتفاق فى الدين المعتبر
وافاد الاستاد انه سبحانه كيف لا يستجيب لهم وهو الذى لقن لهم الدعاء
والثناء وهو الذى ضمن لهم الاجابة ووعدهم جميل الثواب على الدعاء زايدا
على ما يدعون لاجله للحوايج من جلب النعماء او دفع البلاء فالذين هاجروا الشرك
او الاوطان او العشائر للدين باختيارهم واخرجوا من ديارهم بالالجاء
الى خروجهم لاضطرارهم واوذوا فى سبيلى بسبب ايمانهم واظهار اقرارهم
وقاتلوا الكفار اولا وقتلوا فى الجهاد اخرا وقرأ حمزة والكسائى بالعكس لان الواو
لا يوجب ترتيبا او لان المراد لما قتل منهم قاتل الباقون ولم يضعفوا جبنا وشدد
ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم اى لامحونها ولاغفرنها ولادخلنهم
جنات تجرى من تحتها الانهار اى من تحت اشجارها اثمارها او من تحت غرفها اهلها
ثوابا من عند الله اى اثيبهم بذلك اثابة تفضلا منه لا واجبا عليه والله عنده
حسن الثواب اى الاجر الحسن ومستحسن المآب وقال الاستاذ فالذين
هاجروا يعنى الديار والمزار وجميع المخالفين والمنافقين من الاغيار واخرجوا من ديارهم
اى اخرجوا الى مفارقة معاهدهم من مالوفاتهم واوذوا فى سبيلى بالفقر والملام
وفتنوا بفنون المحن والآلام وقاتلوا وقتلوا اى فنوا من اختلاف الاطوار للحر والقر والحلو
والمر والنفع والضر لاكفرن عنهم سيئاتهم الآية لنغطينهم وفق آمالهم واكثر مما يتوجهون
باعمالهم واحوالهم لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد خطاب عام لجميع العباد
والنهى للمخاطب وللمبالغة جعل التقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب والمعنى لا تنظر
الى ما للكفرة عليه من السعة وكذا الاخوانهم من النضرة والغلبة وهذا لان ذلك التقلب
متاع قليل يسير زمانه لقصر مدة الدنيا بالنسبة الى العقبى وحقير شانه فى جنب
ما اعد الله لاهل التقوى فى الاخرى كما قال تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير وابقى
وكما ورد فى الحديث ما الدنيا فى الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر
بم يرجع ثم مأويهم جهنم اى مثويهم ومنقلبهم وبئس المهاد اى ما مهدوه لانفسهم
واختاروه لعاقبة امرهم قال بعضهم لا يفتننك الدنيا لو توع للجهال عليها والاغترار
بما فيها والتكثر بنعيمها فانها زادهم الى النار ومعادهم فى دار البوار وقال الاستاذ
لا يتداخلنك تهمة ان لهم عندنا قدرا وقيمة انما هى ايام قلائل وانفاس معدودة ثم بعدها
حسرات مترادفة واحزان متضاعفة لكن الذين اتقوا ربهم اى الشرك الجلى والخفى
وسائر انواع المعاصى لهم جنات تجرى من تحتها الانهار مشتملة على القصور والاشجار
والانهار خالدين فيها مقدرين الخلود فيها مؤبدين آمنين بها نزلا من عند الله
حال كونهم نازلين بها من عنده ومن فضله وجوده وما عند الله لكثرته ودوامه خير

خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلة بقائه وسرعة فنائه وكثرة عنائه وخسة شركائه
وفى الصحيح عن عمر رضى الله عنه قال جئت فاذا رسول الله عليه السلام فى مشربة
وانه لعلى حصير ما بينه وبين شئ وتحت راسه وسادة من ادم حشوها الليف فرأيت
اثر الحصير فى جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هما
فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ومن دقائق الحقائق
قيل وما عند الله خير للابرار مما يطلبونه بافعالهم ولعل المعنى ما عنده من الفضل
خير للابرار مما يطلبونه باعمالهم من الاجر بطريق العدل وافاد الاستاذ ان المراد
الذين وسمناهم بذل الفرقة بئست حالتهم المورثة للحرقة والذين رفعوا قدر ما لا حلينا
فنعمت الحالة والزلفة وصلوا الى الثواب المقيم وبقوا فى الوصال والنعيم وما عند الله
مما ادخرنا لهم حال اضطرارهم خير مما املوه باختيارهم وان من اهل الكتاب
اى من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام واصحابه الذين دخلوا فى الاسلام لمن يؤمن
بالله اى بوجوده ووحدة ذاته وسائر صفاته وما انزل اليكم من القرآن وما انزل
اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمع باعتبار المعنى
وافرد فى يؤمن باعتبار المبنى لا يشترون بآيات الله لا تاخذوا بدلها ولا يجاوزون
عليها ثمنا قليلا من الرشوة وغيرها كما يفعله المحرفون من احبارهم فى تغيير ما مبنى
وتعبير ما معنى اولئك لهم اجرهم عند ربهم زيادة على قدر كسبهم ان الله سريع
الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه العمال يا ايها الذين آمنوا اصبروا على
مشاق الطاعة وصابروا غالبوا اعداء الله فى الصبر على شدة المجاهدة
واعدى عدوكم فى الصبر عن الهوى بالمخالفة ورابطوا ابدانكم وخيولكم فى ثغور
المجاهدين مخافة هجوم اعداء الدين وفى الحديث ان من الرباط انتظار الصلوة
بعد الصلوة واتقوا الله بالتبرى عما سواه لعلكم تفلحون لكى تفوزوا بمقام
رضائه وحصول لقائه وقال بعض ارباب اللسان واصحاب البيان اصبروا
على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا فى دار الاعداء واتقوا اله
الارض والسماء لعلكم تفلحون فى دار البقاء وقال الجنيد فى وصابروا
امرهم بالصبر على الصبر ثم قال ورابطوا وهو ارتباط السر مع الله سرا
والوقوف مع البلاء جهرا وقال ابن عطا الصبر الما من الله فى ارضه واليقين
سيف النفس وان الشيطان ليتعوذ من الصبر كما يتعوذ من الشيطان وقال
الخدرى خير الدنيا والآخرة صبر ساعة اى بتحصيل طاعة وافاد الاستاذ ان الصبر
فيما ينفرد به العبد والمصابرة مع العدو والرباط نوع صبر ولكن على وجه مخصوص
ويقال اول الصبر التصبر ثم المصابرة ثم الاصطبار وهو نهايته ويقال اصبروا
على الطاعات وعن المخالفات وصابروا فى ترك الهوى والشهوات وقطع المنى

والعلاقات

والعلاقات ورابطوا بالاستقامة فى الصحبة فى عموم الاوقات ويقال
اصبروا بنفوسكم وصابروا بقلوبكم ورابطوا باسراركم ويقال اصبروا على ملاحظة المثوبة
وصابروا على ابتغاء القربة ورابطوا فى محل الدنو والزلفة على شهود الجمال والعزة والصبر مر
مذاقته اذا كان العبد يحتساه على الغيبة وهو لذيذ طعمه اذا شربه على الشهود والرؤية

سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم افاد الاستاذ ان العلماء العارفين اختلفوا فى الاسم
عماذا اشتق فمنهم من قال اشتق من السمة وهى الكية ومنهم من قال انه
مشتق من السمو وهو العلو وكلاهما فيه الاشارة لمن قال من السمو فهو اسم من ذكره
سمت رتبته ومن عرفه سمت حالته ومن صحبه سمت همته فسمو الرتبة يوجب وفور
المثوبة والمبار وسمو الحالة يوجب ظهور الانوار فى الاسرار وسمو الهمة يوجب
التحرز عن رق الاغيار ومن قال اصله من السمة فهو اسم من قصده وسم بسمة
العبادة ومن صحبه وسم بسمة الارادة ومن احبه وسم بسمة الخواص ومن عرفه وسم
بسمة الخواص ومن عرفه وسم بسمة الاختصاص فسمة العبادة توجب هيبة النيران
ان ترى صاحبها بشررها وسمة الارادة توجب حشمة الجنان ان تطمع فى صرفها
صاحبها مع شرف خطرها وسمة الخواص توجب سقوط التعجب من استحقاق
القربة للماء والطينة على الجملة وسمة الاختصاص توجب امتحاء الحكم عند
استيلاء سلطان الحقيقة ويقال اسم من واصله سما من الاوهام قدره
ومن فاصله وسم بكى الفرقة قلبه على هذه الجملة يدل اسمه انتهى وبرحمته العام النعم
على العوام كالانعام بانواع الانعام فى هذا المقام وبرحمته الخاص اكرم الانبياء
والاصفياء من ذوى الاختصاص بايصالهم الى مقام الاخلاص الموجب
للخلاص عما سواه يوم لا مفر فيه ولا مناص يا ايها الناس خطاب يعم بنى آدم
من الموجودين ومن سيوجد فى العالم اتقوا ربكم الذى خلقكم اوجدكم من العدم
من نفس واحدة وهى آدم وخلق منها من ضلع من اضلاعها زوجها اى
حواء وبث منهما اى نشر بواسطة ازدواجهما واجتماعهما رجالا كثيرا ونساء
اى ذكورا كثيرا واناثا كثيرا واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء
بها اذ الحكمة تقتضى ان يكن اكثر لجواز ان يكون لرجل واحد اربع منهن وتذكير
كثيرا حمل على الجمع دون الجماعة وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة الكبرى لما فيها
من الدلالة على القدرة القاهرة التى من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التى توجب
طاعة المولى ويقال الاستاد يا من اظهرتكم عن كتم العدم بحكم تكليفى ثم خصصت
من شئت منكم بتشريفى وحرمت من شئت منكم هدايتى وتعريفى ونقلتكم الى
ما شئت بل وصلتكم الى ما شئت بحكم تصريفى اتقوى واطيعونى فالتقوى جماع

الطاعات واوله ترك الشرك وآخره اتقاء كل غير واول الاعتبار لك بنفسك ذي
اتقى لنفسه فيخضع مع الله بلا مقام ولا شهود وحال لله لا لحظ في الدنيا والعقبى ثم حكم الحق
سبحانه بمساكنة الخلق مع الخلق لبقاء النسل والى رد المثل للمثل فربط الشكل
بالشكل وتعرف الى العقلاء على كمال القدرة بما لاح من براهين الربوبية ودلالات الحكمة
الالوهية حيث خلق جميع هذا الخلق من نسل شخص واحد مع اختلاف هيئتهم وتفاوت
صورهم وتباين اخلاقهم وان اثنين منهم لا يتشابهان بكل وجه في الصورة
والخلق والهمة والحالة فسبحان من لا حد لمقدوراته ولا غاية لمعلوماته واتقوا الله
الذي تساءلون به بتشديد السين على ان اصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية
بعد قلبها سينا في السين وقرأ الكوفيون بتخفيفها على حذف احدى التائين والمعنى
يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله والارحام بالجر وهو ظاهر كما قرأ به حمزة
وهذا على عادة العرب انهم كانوا يتوسلون بالارحام ويتوصلون الى ذوي القربى
على وجه العام والباقون بالنصب اي واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها
ففي الحديث الرحم معلقة بالعرش يقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله
ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا فاتقوه ولا تخالفوه او فاذكروه فلا تنسوه
او راقبوه وشاهدوه فان من نسي الحق فلا شيء اخس منه ومن نسي الخلق فلا
احد اخص منه ومن نسي الخلق فلا غاية لمحنته ومن نسي غيره فلا نهاية لمحبته وعلو
حالته وافاد الاستاد انه سبحانه يقول للمذنبين يا من نسيت عهدي ورفضت ودي
وتجاوزت حدي حان لك ان ترجع الى بابي لتستحق لطفي وايجابي ويقول للعارفين
يا من نسيت فينا حظك وصنت عن غيرنا لحظك لقد عظم علينا
حقك ووجب لدينا نصرك وجل عندنا قدرك فانا شهيد على حالك واشغالك
اعد عليك انفاسك واري حواسك وانا متولي خطراتك ومنشئ حركاتك
وسكناتك انتهى والحاصل انكم راقبوا من هو الرقيب عليكم وآتوا اليتامى
اموالهم اي التي بايديكم اذا بلغوا وظهر رشدهم اليكم ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب لا تستبدلوا الحرام لكم من اموالهم بالحلال من اموالكم ولا تأكلوا
اموالهم منضمة الى اموالكم من غير تسوية بينهما وتفرقة في انتفاعها انه
اي الاكل على هذا المنوال والانتفاع بالاموال من غير تفصيل الاحوال كان حوبا
كبيرا اي ذنبا عظيما واثما مبينا وافاد الاستاد ان من اقيم بمحل الرعاية فجار
على رعيته فخصمه ربه فانه لينتقم لعباده ما لا ينتقم لنفسه فولي اليتيم ان
انصف واحسن فتحفه على الله وان اساء وتعدى فخصمه الله انتهى وكانه اشار
الى ما روي كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته واياه الى قوله سبحانه ان السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى ان توقعتم

وظننتم

وظننتم ان لا تعدلوا في امر يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فانكحوا ما طاب لكم
من النساء فتزوجوا ما حل لكم من غيرهن وسهل عليكم من امرهن مثنى وثلاث ورباع
اي ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وافاد الاستاد انه سبحانه اباح للرجال الاحرار
التزوج باربع في حالة واحدة واوجب العدل بينهن في مراعاة القسمة وحقوق النفقة
والكسوة فيجب على العبد ان يراعي الواجب فان علم انه يقوم بحق هذا الواجب آثر
هذا المباح وان علم انه يقصر في الواجب فلا يتعرض لهذا المباح فان الواجب مسؤول عنه
وعما يترتب عليه من الجناح فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة اي فاختاروا واحدة واتركوا
الجماعة او ما ملكت ايمانكم فانهن اليسر عليكم لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن
ذلك التقليل منهن ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا عن الحق فيهن وآتوا النساء
صدقاتهن مهورهن نحلة عطية عن صفاء طوية فان طبن لكم عن شيء منه نفسا
تمييز لبيان الجنس والاصل فيه الافراد والمعنى فان وهبن لكم شيئا من صداقهن عن
طيب انفسهن فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه وانتفعوا به حلالا بلا تبعة في الدنيا
ولا مذمة في العقبى وفي الحديث هنيئا مالا اثم فيه ومريئا لا داء فيه وافاد الاستاد ان
هذا دل على ان طعام الفتيان والاسخياء مريء لانهم لا يطعمون الا عن طيبة انفسهم وطعام
البخلاء ردي لانهم يرون انفسهم وانما ينفقون عن تكلف لا عن طيبة نفس قال صلى الله
عليه وسلم طعام السخي دواء وطعام البخيل داء انتهى وعن علي رضي الله عنه من اراد
الشفاء والدواء فعليه باربعة اشياء مهر المرأة والعسل والقرآن وماء السماء
ولا تؤتوا السفهاء الجهال من الاولاد والعيال المبذرين للاموال المفسدين الاحوال
اموالكم التي جعل الله لكم قياما وقرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه اي ما تقومون بها
وتنتعشون فيها وارزقوهم فيها اي منها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا
يعرفه الشرع ويستحسنه الطبع والمراد تأديبهم بآداب الديانة وزجرهم عن الخيانة
في الامانة قال سهل اسفه السفهاء نفسك فان زجرتها بالعلم والخوف والورع
والا حجزتك عن طريق نجاتك من الخروج عن الدنيا والآخرة كذا في حقائق الرقائق
وافاد الاستاد ان السفيه من يمنعك عن الحق ويشغلك عن الرب والسفيه
من العيال والاولاد من يؤثر حظوظهم على حقوق الله ثم قال وحفظ التجمل في الحال
احرى عليكم من ان تتعرضوا للتبذل والسؤال والكدية والاحتيال وانما يكون البذل
خيرا من الامساك عند تجرد القلب والثقة بالرب وتقويته بالصبر وتأييده بالشكر
فاما على نية الكدية وان تجعل نفسك وعيالك كلا على الناس فحفظك ما جعله الله
كفاية لنفسك اولى ثم الجود لفاضل كفايتك احرى وابتلوا اليتامى اختبروهم
قبل بلوغهم بتتبع احوالهم في امر دينهم وضبط مالهم وحسن تصرفهم في بعض
ما دفع اليهم حتى اذا بلغوا النكاح اي حد البلوغ فانه يصلح للنكاح اعنده

فان آنستم منهم رشدا ابصرتم منهم رشادا وسدادا يصلح احوالهم فادفعوا اليهم
اموالهم وافاد الاستاد ان ايناس الرشد العفة والديانة والسخاء والصيانة وصحبة
الشيوخ والحرص على مشاهدة الخير واداء العبادات على قضية الامر ويقال الرشد
من اهتدى الى ربه عند من سنح له من حوائجه لان يتكل على حوله وقوته وتدبيره
واختياره ولا تاكلوها اى اموال اليتامى اسرافا وبدارا ان يكبروا اى مسرفين ومبادرين
كبرهم ولا مفهوم لهما فى امرهم لقوله ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان
فقيرا فليأكل بالمعروف اى بقدر اجرة سعيه فيها وعند حاجته واضطراره بها
فاذا دفعتم اليهم اموالهم اى بعد بلوغهم ورشدهم احوالهم فاشهدوا عليهم
بقبضهم فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة وكفى بالله حسيبا اى محاسبا رقيبا
للرجال اى الذكور نصيب مما ترك الوالدان والاقربون اى من العصبة وذوى الارحام
وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر بدل مما ترك باعادة العامل
نصيبا مفروضا نصب نصيبا على انه مصدر مؤكد لقوله فريضة من الله اى على الاختصاص
بمعنى نصيبا مقطوعا واجبا وافاد الاستاد ان حكم الميراث لا يختلف بالفضل
والمنقبة ولا يتفاوت بالذنب والعيب والمنقصة فلو مات رجل وخلف ابنين
تساويا فى استحقاق القسمة وان كان احدهما برا تقيا والآخر فاجرا عصيا فلا للتقى
زيادة لتقواه ولا للفجور بخس لفجوره والمعنى فيه ان الميراث ابتداء عطاء من قبل الله
فتساوى فيه البر والفاجر وكذلك حكم الايمان ابتداء عطية للمسلمين قال الله تعالى
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ثم قال فمنهم ظالم لنفسه
واذا حضر القسمة اى قسمة الميراث اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين
اى من الاجانب فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا
عليهم وهو امر ندب للبالغ من الورثة وقيل امر وجوب على خلاف فى نسخه وقولوا لهم
قولا معروفا امرهم بان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم ويلطفوا فى العبارة
معهم وافاد الاستاد ان فى هذا اشارة لطيفة للمذنبين اذا حضروا العرصة غدا
والحق سبحانه يغفر المطيعين ويعطيهم ثواب اعمالهم لمن كان من فقراء المسلمين
لا يحرمهم الغفران ان شاء الله الرحمن بعد ما كانوا من اهل الايمان وكذلك يوم
القسمة لم تكن حاضرا ولا لك استحقاق سابق فبفضله املك المعرفة مع علمه بما يحصل
منك فى المستأنف احوالك من زلتك وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه فى امر اليتامى فيفعلوا
بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد موتهم فليتقوا الله وليقولوا
قولا سديدا امرهم بالتقوى الذى هو غاية خشية المهالك بعد ما امرهم بها مراعاة
للمبدا والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثانى فى العقبى ثم امرهم ان يقولوا لليتامى

مثل ما يقولون

مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب والخصال الحسنى وفى دقائق الحقائق
قيل استعينوا على كثرة العيال وقلة ذات اليد بالتقوى فانه الذى يجبر الكسير ويغنى الفقير
قال جعفر الصادق للتقوى يزيد فى الرزق ويوسع فى المعيشة قال عز وجل فليتقوا الله
قولا سديدا وافاد الاستاد انه سبحانه بين فى هذه الآية ان الذى ينبغى للمسلم ان
يؤخر لعياله التقوى والصلاح لا المال لانه لم يقل فليجمعوا المال وليكنزوا لهم العقار
والاسباب وليخلفوا العقد والاثاث بل قال فليتقوا الله فانه يتولى الصالحين ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما اى ياخذونها على وجه الظلم انما ياكلون فى بطونهم اى ملء بطونها
نارا اى ما يجر الى دخولها او ما يؤول الى حصولها وسيصلون سعيرا قراه ابن عامر
وابو بكر بضم الياء اى يدخلون نارا تسعر بهم وتتوقد منهم وافاد الاستاد انه
سبحانه انما تولى خصمية اليتيم لانه لا احد لليتيم غيره فكل من وكل امره اليه وتبرا من حوله
وقوته واعتمد عليه فالحق سبحانه ينتقم له بما لا ينتقم لنفسه يوصيكم الله فى اولادكم
يامركم ويعهد اليكم فى شان ميراث اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين اى يعد كل ذكر
بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه لحكمة الهية يعجز عنها الاوهام
العقلية ولا يبعد ان يكون وجهها ان الذكر يحتاج الى نفقته ونفقة انثى والانثى
ينفق عليها الذكر بامر المولى فهو بالمضاعفة احرى ويندفع به ما قال بعضهم من ان الامر
لو كان بالقياس لكانت الانثى بالتفضيل اولى لضعفها وعجزها عن الحراك على انه
روعى عجزها باعطاء البعض لعدم دوام استغنائها او لضعف قلبها ومحبة دنياها وفيه رد
على اهل الجاهلية حيث كانوا يحرمون الاناث بالكلية ويقولون انما يحتاج الى المال ارباب
الانفاق من الرجال فان كن نساء اى ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فان
الخنثى قد ذكر وانث الضمير باعتبار الخبر فوق اثنتين اى نساء زائدة على اثنتين
فلهن ثلثا ما ترك اى المتوفى منكم وان كانت المولودة واحدة فلها النصف وقرا
نافع بالرفع على كانت التامة قال ابن عباس حكم البنتين حكم الواحدة لانه تعالى جعل
الثلثين لما فوقهما وهو ظاهر وقال الجمهور حكمها حكم ما فوقهما لانه تعالى بين ان حظ الذكر
مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان حظهما الثلثان
ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد دفع ذلك الوهم بقوله فان كن نساء
فوق اثنتين ولحديث عطاء نزلت بسبب سعد بن الربيع احد النقباء استشهد باحد
عن بنتين وزوج واخ فاخذ الاخ المال فشكت امراة الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال عليه السلام للاخ اعط ابنتى سعد الثلثين واعط امهما الثمن فما بقى فهو لك
رواه الترمذى بسنده عن عطاء عن جابر وكذا اخرجه احمد وابو داود والطيالسى وابن
حبان فى صحيحه والحاكم وغيرهم ولابويه ولوالدى الميت لكل واحد منهما بدل مما قبله
بتكرير العامل وفائدته التنصيص على ان استحقاق كل منهما السدس مما ترك ان كان له

للميت ولد ذكرا او انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفريضة وما بقى من ذوى الفروض ايضا بالعصبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث والباقى للاب فان كان له للميت اخوة فلامه السدس وقرا حمزة والكسائى فلامه بكسر الهمزة فيهما اتباعا للكسرة التى قبلها من بعد وصية يوصى بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اى هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما اتى باو التى للاباحة للدلالة على انهما متساويان فى وجوب التأدية متقدمان على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية وقدم الوصية على الدين وهى متأخرة فى الحكم اهتماما بشأنها لئلا يتسامح فى امرها فانها مشبهة بالميراث من حيث انها تؤخذ بعد الموت وهى شاقة على الورثة والدين انما يكون مقررا عندهم لا سيما والمطالب غالبا موجود لديهم وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد اباؤكم وابناؤكم اى هم ورثتكم غالبا فيكم او من جانبها لكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم فى عاجلكم وآجلكم فتحروا فيه ما وصيكم الله به فى شأنه ولا تقصدوا الى تفضيل بعض او حرمانه قيل اباؤكم ببرهم وابناؤكم بالشفقة عليهم والتأديب لهم هما محل النفع كذا فى دقائق الحقائق وافاد الاستاد ان الابناء ينفعونكم بالخدمة والاباء بالرحمة والاباء فى حال ضعفك فى بداية عمرك والابناء فى حال ضعفك نهاية عمرك والابناء فى حال ضعفك فى نهاية امرك فريضة من الله مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة ان الله كان عليما بما رتب ودبر حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم اى نساؤكم ان لم يكن لهن ولد ذكرا او انثى فان كان لهن ولد اى وارث من بطنها او من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل ضعف ما للمرأة كما فى النسب ويستوى الواحدة والاكثر منهن فى الربع والثمن وان كان رجل اى ميت من نعته انه يورث اى يورث منه كلالة خبر كان وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد او امرأة عطف على رجل وله اى وللرجل واكتفى بحكمه عن حكمها لدلالة العطف على تشاركهما اخ او اخت اى من الام اجماعا ويدل عليه قراءة سعد بن مالك وقراءة ابى من الام فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اى الاخوة اكثر من ذلك اى مما ذكر من اخ او اخت فهم شركاء فى الثلث سوى بين الذكر والانثى فى القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة من بعد وصية يوصى بها او دين واتفق حفص ابا بكر هنا فى فتح الصاد غير مضار اى قاصد للضرر للورثة بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين ليس له فى الذمة وهو حال من فاعل يوصى المذكور على قراءة البناء للفاعل او المدلول عليه على

قراءة البناء للفاعل او المدلول عليه على قراءة البناء للمفعول فانه الفاعل المتروك وصية من الله مصدر مؤكد والله عليم بالموصى وقصده مضرة حليم لا يعجل فى عقوبته وافاد الاستاد ان الاشارة فى ثبوت الميراث للاقربين من الورثة بالنسب والسبب ان الميت اذا مات تحمل القريب لخوانه فعوض الله الوارث على ما يقاسيه ويجامر قلبه من التوجع للميت مال المورث وكذا سنة سبحانه التعويض على مقاساة الاكدار الا وجوبا عليه كما توهم قوم وكل من كان اقرب نسبا او اقوى سببا من الميت كان اكثر استحقاقا للميراث تلك الاحكام المتقدمة حدود الله شرايعه التى كالحدود المحدودة لا تجوز مجاوزتها البتة وافاد الاستاد ان حدوده اوامره ونواهيه وما تعبد به عباده واصل العبادة حفظ الحدود وصون العهود ومن حفظ حده لم يصبه مكروه ولا افة فى الوجود واصل كل بلاء مجاوزة الحدود قلت وكذا اصل كل عطاء ملازمة الحدود كما قال تعالى ومن يطع الله ورسوله بالوقوف على العهود يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها اى مقدرين الخلود وقرا نافع وابن عامر ندخله بالنون فيه وفيما بعده وذلك الفوز العظيم لما يترتب عليه من النعيم المقيم باتصال الجنة المعجلة لا يتصال المؤجلة لما يقترن بها عرة الطاعة ولذة العبادة التى فوق كل رتبة ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها ولعل المغايرة بالجمع والوحدة فى الجمل الجزائية من باب التفنن فى العبارة وله عذاب مهين لاستهانته فى امر الدين المستبين وقال الاستاذ انهما عقوبتان معجلة ومؤجلة ويقترن بهما جميعا الذل والاهانة ولو اجتهد الخلايق على اذلال العاصى بمثل الذى يلحقه بارتكاب معصيته لم يقدروا عليه ولذا قال قائلهم من مات علما بذنب اصبح وعليه مذلة فقلت ومن اصبح مستترا بستر طاعة وعليه مهابته قلت لو قال معزته لكان انسب مبنى ومعنى فى مقابلته واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم اى يفعلن الزنا وسمى فاحشة لزيادة قباحتها ومزية شناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين يشهدون عليهن فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت فاحبسوهن فى بيوتهن واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت اى ملك الموت اى يأخذهن الموت قبل وكان ذلك عقوبتهن فى صدر الاسلام فنسخ بالحد وفيه تسامح لقوله تعالى او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس وقد صح فى حديث مسلم عن عبادة بن الصامت ان النبى عليه السلام قال خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم قال البغوى ثم نسخ الجلد فى حق الثيب وبقى الرجم عند اكثر اهل العلم وعن على انه يجمع بينهما ودليل الجمهور انه عليه السلام رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما ثم التغريب ايضا منسوخ فى حق البكر عند ابى حنيفة او محمول على الزجر والسياسة وثابت عند غيره وافاد الاستاذ انه سبحانه

انما اعتبر في ثبوت الفاحشة التي هي الزنا زيادة الشهود اسبالا لستر الكرم والجود
على جرائم العباد فان اقامة الشهادة على الوجه الذي في الشرع على اثبات تلك الحالة
كالمتعذر في قوله صلى الله عليه وسلم لماعز لما قال يا رسول الله اني زنيت فطهرني
فقال لعلك لامست لعلك قبلت ثم قال في بعض المرات استنكهوه ففي هذا اقوى
دليل لما ذكر من اسباله الستر على الاعمال القبيحة واللذان بتشديد النون لابن كثير
ياتيانها منكم اي يفعلان الفاحشة من الزاني والزانية فآذوهما بالتوبيخ والتقريع
قبل ثبوت امرهما عند الحاكم الشرعي فان تابا عن فعلهما واصلحا في حالهما فاعرضوا
عنهما فاقطعوا عن ايذائهما او اعرضوا بالاغماض والستر عنهما ان الله كان توابا
رحيما لهما ولغيرهما وقيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى
ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى في السحاقات بقرينة صيغة الاناث وهذه في اللوطيين
بقرينة صيغة المذكرين والزاني والزانية في الزناة بكراوانية الرجم فيهم ثيبا وافاد الاستاذ
ان الامر بفنون العقوبات لهن علم فعل ذلك ابلغ شيء في الردع والمنع منه بالرفق الا ثم
لعل العبد يحذر ذلك فلا يستحق التعذيب الاعظم انما التوبة على الله اي قبولها كالواجب
عليه سبحانه بمقتضى وعده للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين فيها سفاهة وقد اطبق السلف
والخلف على ان من عصى الله فهو جاهل ولو كان يزعم انه عالم كامل ثم يتوبون من قريب
اي من زمان قريب وهو قبل حلول الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله
عليه السلام ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة غير بعيد لقوله
تعالى قل متاع الدنيا قليل اي زمانا وشانا كمية وكيفية وقيل هم الذين يتقربون بالطاعة
الى من لا يتقرب اليه الآية او المعنى قبل ان يشرب في قلوبهم حب السوء فيطبع عليها
فيتعذر عليهم الرجوع بها فاولئك يتوب الله عليهم اي يقبل توبتهم ويغفر ذنوبهم
وفاء بما وعده واداء بما كتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله لا على غيره وسواه وكان
الله عليما بنياتهم حكيما في معاملاتهم وافاد الاستاذ ان لا استغفار مع الاصرار
فان التوبة مع غير الاقلاع سمة الكذابين وقوله السوء بجهالة يعني عمل عمل الجهال وذنب
كل احد يليق بحاله فالخواص ذنوبهم حسبانهم انهم بطاعاتهم يستوجبون محلا وكرامة وهذا
وهن في المكان اذ لا وسيلة اليه الآية وقوله ثم يتوبون من قريب على لسان العلم قبل الموت
وعلى لسان المعاملة قبل ان تتعود النفس ذلك فيصير له عادة قال قائلهم شعر
قلت للنفس ان اردت رجوعا فارجعي قبل ان يسد الطريق وليست التوبة اي التوبة
منفي قبولها للذين يعملون السيئات يرتكبونها في كل زمان حتى اذا حضر احدهم الموت قال
اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت
من الفجار وبين من مات من غير توبة من المنافقين والكفار في انتفاء قبول التوبة وعدم
الاعتداد بها في تلك الحالة وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين

يعملون

يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون
الكفار فعلى هذا قيل المراد بالقرب زمن الدنيا وان توبة اليأس من المؤمن مقبولة كما ذهب
اليه بعض الائمة اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما وجيعا عظيما وافاد الاستاذ انه اذا
كشف الغطاء وصارت المعارف ضرورية اغلق باب التوبة فان من شرط التكليف
ان يكون الايمان غيبيا ثم ان في هذه الطريقة اذا عرف بالخيانة لا يستتم بعده حقيقة الصدق
والامانة قال داود عليه السلام في آخر بكائه لما قال له ولم تبكي يا داود وقد غفرت لك
وارضيت خصمك وقبلت توبتك فقال الهي الوقت الذي كان لي رده الي فقال
هيهات يا داود ذاك ود قد مضى وفي معناه انشدوا انحل سبيل العين
بعدك للبكاء فليس لايام الصفاء رجوع يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساء اي ذواتهن كرها وبالضم حمزة والكسائي كان الرجل في الجاهلية اذا مات
وله عصبة القى على امراته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء
زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها او منعها
من الازواج لتموت فيرثها فنهوا عن ذلك بما سبق ولحق بقوله ولا تعضلوهن لتذهبوا
ببعض ما آتيتموهن عطف على لا يحل او على ان ترثوا ولا لتاكيد النفي ويؤيده ان قرئ
ولا ان تعضلوهن وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة
ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعهن لمهرهن ويؤيده قوله الا ان ياتين بفاحشة
مبينة اي ظاهرة وقراه ابن كثير وابو بكر بالفتح وهي كالنشوز والمخالفة وسوء العشرة
وعدم العفة وافاد الاستاذ ان التلبيس على المستضعفين والتدليس على اهل
السلامة من المسلمين غير محمود عند الله فمن تعاطى ذلك انتقم الله منه ولم يبارك
له فيما يختزل من اموال الناس بالباطل والاحتيال ومن استصغر خصمه في الله فاهون
ما يعاقبه الله به ان يحرمه الوصول الى ما يومله من محبوبه وعاشروهن بالمعروف
بالانصاف في الفعل والاجمال في القول وقال الاستاذ اي بتعليم الدين والتادب
باخلاق المسلمين وحسن الصحبة على كراهة النفس وان تحمل اذاهم ولا تحملهم كلفة
خدمتك وتتحامى عن مواضع خجلتهم فان كرهتموهن فاصبروا عليهن ولا تفارقوهن
فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا مثل ان يرزق منها ولد كبير ويكون
فيه خير كثير والاصل عدم متابعة كراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر
خيرا وقد تحب ما هو بخلافه فليكن النظر الى ما هو اصلح للدين وادل الى الخير والتفويض
والتسليم الى ما قدر له من الامر وقد حكي ان امراة جميلة كانت تحت رجل قبيح الصورة
فقيل لها كيف رضيت بهذه الحالة فقالت لعلي اذنبت ذنبا جوزيت بعلي او هو
عمل صالحا كوفي بي وفي حقائق السلمي قيل غيب عنك العواقب لئلا تسكن الى مالوف
ولا تفر من مكروه وقيل السكون الى كراهية النفس جعل فيه خير الدارين اذ الخير الكثير

ما يتصل بالعقبى لانه لاكثير فى الدنيا وافاد الاستاد ان كل ما كان على نفسك
اشق كانت عاقبته اهنا وامرا واعلم ان الحق سبحانه لم يطلع احدا على غيبه فاكثر
ما يعافه الانسان تكون الخيرة فيه انتم وقد حكم الله سبحانه بان مخالفة النفس توصل صاحبها
الى على المنازل وبعكس ذلك موافقتها كما ان مخالفة القلب توجب عمى البصيرة وبعكس
ذلك موافقته انتهى ولعل من هذا المقام ما ورد عنه عليه السلام احبب حبيبك هونا ما عسى
ان يكون بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما ايما الى ان محبة غير الله
وما يتعلق به من السوى لاعبرة بوجود حصولها ولا بفقد وصولها وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج بتطليق امراة وتزوج اخرى وآتيتم احديهن قنطارا مالا كثيرا
فلا تاخذوا منه من القنطار شيئا قليلا اتاخذونه بهتانا ظلما واثما مبينا
ذنبا ظاهرا وافاد الاستاد انه سبحانه يعلمهم حسن العهد فى المحبة ونعت الكرم فى العشرة
نقول لا تجمع الفرقة واسترداد المال عليها فان ذلك ترك الكرام وان خولت واحدة
مالا كثيرا ثم جفوتها بالفراق فما آتيتها يسير فى جنب ما اذقتها من الفراق وكيف
تاخذونه اى المهر منهن وقد افضى بعضكم الى بعض اى وصل اليهن بالجماع او الخلوة
الصحيحة وتقرر المهر لهن واخذن منكم ميثاقا غليظا عقدا وثيقا وعهدا اكيدا وهو حق الصحبة
والممازجة المستفادة من قوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان اى ما اشار اليه
النبى عليه السلام بقوله اخذتموهن بامانة الله اى بالرفق بهن والشفقة عليهن واستحللتم
فروجهن بكلمة الله اى بامره وحكمه وافاد الاستاد ان للصحبة السالفة حرمة اكيدة
فقفوا عند مراعاة الذمام واوفوا بموجب الميثاق كالكرام ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم
من النساء بالعقد او الوطى الا ما قد سلف لكن ما قد سلف فان الله تجاوز عنه
انه اى نكاحهن كان فاحشة عند الله وفى احكام الرسالات ومقتا ممقوتا
عند ذوى المروات وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله على وفق هواه
وافاد الاستاد ان الآية تشير على حفظ الذمام والوقوف على حد الاحترام فان
الصحبة يتداخلها الانفة من ان ينكح فراشه غيره فنهى الابناء عن تخطى حقوق
الاباء فى استقرار منكوحة الاب حرمت عليكم امهاتكم اى نكاحهن وهن
من ولدنك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم اى من ولدتها او ولدت
من ولدها وان سفلت واخواتكم من الاب والام او الاب او الام وكذا الحكم الباقية
فى الوجوه الثلاثة وعماتكم وهى كل انثى ولدها من ولدك ذكرا ولدك قريبا او بعيدا
وخالاتكم وهى كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك كذلك وبنات الاخ وبنات
الاخت يتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة
نزل الله سبحانه الرضاعة منزلة النسب فى النسبة حتى سمى المرضعة اما والمرضعة
اختا وفى الحديث يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثنوا مسئلتين احديهما انه يجوز

للرجل

للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز اخت ابنه من الرضاعة لان المانع
فى النسب وطى امها وهذا المعنى غير موجود فى الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج
ام اخيه من النسب ويجوز فى الرضاع لان المانع فى النسب وطى الاب اياها وهذا
المعنى غير موجود فى الرضاع وامهات نسائكم وربائبكم بنات نسائكم اللاتى فى
حجوركم فى بيتكم وتربيتكم وهذا القيد بناء على الغالب لانه تقييد للحرمة خلافا
لما روى عن على كرم الله وجهه انه جعله شرطا واليه ذهب داود الظاهرى وابن
حزم ونقل عن الامام مالك من نسائكم اللاتى دخلتم بهن اى دخلتم معهن فى الستر
وهو كناية عن الجماع وفى معناه الخلوة الصحيحة وعند ابى حنيفة لمس المنكوحة ونحوه
كالدخول وفى الترمذى انه صلى الله عليه وسلم قال فى رجل تزوج امراة فطلقها قبل ان
يدخلها بها انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة
العلماء غير انه روى عن على رضى الله عنه تقييد التحريم فيهما ثم الامهات والربائب
تتناولان القربى والبعدى فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم فى نكاحهن وهو
تصريح بالمقصود دفعا للقياس على الامهات وحلائل ابنائكم اى موطوآتهم
الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنى لا عن ابناء الولد نسبا ورضاعا وان تجمعوا
بين الاختين اى وحرم عليكم الجمع بينهما والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح
فان المحرمات المعدودة كما هى محرمة فى ملك النكاح فهى محرمة فى ملك اليمين وطئا
ولذا قال عثمان وعلى رض حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت
ايمانكم فى اول السورة فرجح على التحريم احتياطا وعثمان التحليل بناء على الاصل والجمهور
مع على كرم الله وجهه الا ما قد سلف لكن ما مضى مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما
والمحصنات من النساء اى ذوات الازواج احصنهن التزويج الا ما ملكت ايمانكم
يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتى سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين بعد
الاستبراء والنكاح مرتفع بتباين الدارين عندنا وبمجرد السبى عند الشافعى كتاب الله
عليكم اى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا واحل لكم ما وراء ذلكم اى ما سوى ما ذكر من المحرمات
وخص عنه بالسنة ما فى المعنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المراة
وعمتها وخالتها وقراءة حمزة والكسائى وحفص احل بصيغة المفعول عطفا على حرمت
ان تبتغوا اى لان تطلبوا النساء ما وراءه باموالكم بسبب صرفها فى مهورهن
او اثمانهن وانفاقهن حال كونكم محصنين مريدين الاحصان والعفة بالنكاح
وملك اليمين غير مسافحين اى زانين وفيه دليل على ان المهر لابد ان يكون مالا كما
قاله ابو حنيفة فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات فآتوهن
اجورهن اى مهورهن فريضة مفروضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد
الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضى ان الله كان عليما بمصالح

العباد حكيما فيما قضى واراد وافاد الاستاد ان نكلف انتزاع الحكم التي لاجلها
حصل هذا التحريم محال من الامر لان الشرع غير معلل بل للحق ان يحرم ما شاء على من شاء
وكذلك الاباحة ولا علة للشرايع بحال وكانت المحرمات من هولاء محللات والمحللات
محرمات لكان ذلك سائغا وكذا قوله والمحصنات من النساء الآية فاذا حافظت
الحد وراعيت العهد وحصل التراضي بحكم الشرع فلا يكون للخلق فيه خصمية ولا من الحق
سبحانه تبعة فذلك مباح طلق ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء بالقدرة على
مهر النساء ان ينكح المحصنات اى يتزوج التي احصنهن ازواجهن وقرا الكسائي
بكسر الصاد اى حصن انفسهن بالعفة المؤمنات اى الحرائر دون العفائف
والمتزوجات لقوله فما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات وظاهر الآية مع
الشافعي في تحريم نكاح الامة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية
مطلقا واول ابو حنيفة واصحابه طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح
هو الوطء وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الارشاد والافضل كما حمل عليه قوله
المحصنات المؤمنات والله اعلم بايمانكم اى يتفاضل ما بينكم في الايمان فرب امة
تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان والحسب لا فضلية النسب
والمراد تانيسهم بنكاح الامة ومنعهم عن الاستنكاف والانفة على ما كانوا عليه
في الجاهلية ويؤيده قوله بعضكم من بعض اى انتم وارقاؤكم متناسبون في الانتساب نسبكم
من آدم وحسبكم الاسلام فلا تستنكفوا عنهن عند الحاجة بهن فانكحوهن باذن
اهلهن اى مواليهن وآتوهن اجورهن اى مهورهن باذن اهلهن او المعنى آتوا
مواليهن وذهب مالك الى ظاهر الآية وجواز اعطاء المهر للامة وهو خلاف جمهور
الامة بالمعروف اى من غير مطل واستهانة بهن محصنات حال كونهن عفائف
غير مسافحات اى مجاهرات بالسفاح وهو الزنى ولا متخذات اخدان اخلاء واحباب
يزنون بهن في السر وكانت العرب تحرم الاولى دون الثانية فاذا احصن بالتزويج
وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي بفتحتين اى حفظن فروجهن فان اتين بفاحشة
اى زنى فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر الابكار من العذاب اى الحد
لقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد
الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اى نكاح الاماء لمن خشي العنت
منكم اى خاف الوقوع في الزنى بغلبة الشهوة واصل العنت المشقة وسمي الزنا
عنتا لانه سبب المشقة في الدنيا والآخرة وخوف العنت شرط لنكاح الامة عند الشافعي
وهو ليس بشرط عند ابي حنيفة وانما هو بيان الافضل كقوله وان تصبروا خير لكم لئلا
يصير ولدكم عبد الغير كم او المعنى صبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم لما ورد الحرائر
صلاح البيت والاماء فساده قال بعض العارفين الصبر عنهن ايسر من الصبر عليهن

والصبر

والصبر عليهن ايسر من الصبر على النار والله غفور لمن لم يصبر منهم رحيم بان رخص
لهم وافاد الاستاد ان الرخص جعلت للمستضعفين فاما الاقوياء فامرهم الجد والاخذ
بالاحتياط والتضييق اذ لا شغل لهم سوى القيام بحق الحق فان كان بالظاهر يشغلهم
عن مراعاة القلوب فالاخذ في الامور الظاهرة بالسهولة والاخف والايسر احرى من الاستقصاء
فيما يمنع من مراعاة السر لانه ترك بعض الامور لما هو الاهم والاجل فمن نزلت درجته عن
الاخذ بالاوثق والاحوط فمباح له الانحدار الى وصف الترخص ثم قال في آخر الآية وان
تصبروا خير لكم يعني على مقاساة ما فيه الشدة وفي هذا نوع استمالة للعبيد حيث قال
اصبروا بل قال وان تصبروا خير لكم انتهى وقال الجنيد الصبر مفتاح كل خير يريد الله
ليبين لكم ما خفي عليكم من مصالح افعالكم ومحاسن اعمالكم واللام مؤكدة لارادة
التبيين لما في اللام من معنى الارادة نحو جئتك لاكرامك ويهديكم سنن الذين
من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد كملة ابراهيم عليه السلام وسائر مكارم
اخلاق الانبياء عليهم السلام لتسلكوا طريقهم وتدركوا تحقيقهم ويتوب عليكم
يعفو عنكم من المآثم والمحارم والله عليم بها حكيم في وضعها من دقائق الحقائق
يريد الله ليبين لكم فتبينوا ولا تكونوا عميا عما بين لكم وافاد الاستاد انه سبحانه
يريد ان يكاشفكم باسراره فيكم ليظهر لكم ما خفي على غيركم ويهديكم طريقة الانبياء
والاولياء وهو التفويض والرضاء والاستسلام للحكم والقضاء والله يريد
ان يتوب عليكم ان وقع تقصير منكم بتوفيق التوبة لكم وبرجوع الرحمة اليكم ويريد
الذين يتبعون الشهوات اى حظوظ النفس والهوى والركون الى السوى بالغفلة
عن المولى ان تميلوا عن الحق ميلا بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال
المحرمات عظيما بالاضافة الى من اقترف خطيئة على ندرة غير مستحل للخطيئات
وافاد الاستاد ان ارادتهم منكوسة مبعودة وهي عند ارادة الحق سبحانه ضائعة
مردودة فعزل بهذا الحديث المبين حديث الاولين والآخرين لمن اراد الله
توبته وهدايته ورحمته وحمايته فلا يشمت به عدو ولا يبالي في يريد الله ان يخفف
عنكم فلذا شرع الشريعة الحنيفية السمحة السهلة لكم وخلق الانسان ضعيفا
لا يصبر على حر ولا برد من امور الكائنات ولا عن ارتكاب الشهوات ولا في تحمل
مشاق الطاعات مع قبول حمله بظلمه وجهله ومن دقائق المعاني اى ضعيف الراى
خفيف العقل الا من ايد بنور اليقين وقال الاستاد يريد الله ان يخفف
ثقل الاوراد بمواترة الواردات الى قلوبكم او اتعاب المذمة بحلاوات الطاعة
او مقاساة المجاهدات بما يلج لقلوبكم من انوار المشاهدات او كلف الامانات
بحملها عنكم او اتعاب الطلب بروح الوصال والطرب وخلق الانسان ضعيفا
وصف بهذا فقرهم وضرهم ولم يبسط بها عذرهم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم

ای اموال بعضکم بینکم بالباطل ای بانواعه مما لم یبحه الحق فی شرع الانبیاء کالغصب
والربا والسمعة والریاء وقیل یشمل مال غیره ومال نفسه من غیر وجهه الذی شرع له الا
ان تکون تجارة ای تقع مبادلة وقراء الکوفیون بالنصب ای الا ان تکون المعاملة تجارة
عن تراض منکم وهو استثناء منقطع ای لکن اقصدوا کون تجارة صادرة عن تراضی
المتعاقدین منکم او المتعاطین فیما بینکم والمراد بالنهی المنع عن صرف المال فیما لا یرضاه
وبالتجارة صرفه فیما یحبه الله وافاد الاستاذ ان کل نفقة کانت لغیر الله فهی اکل مال
بالباطل ویقال القبض اذا کان علی غفلة والبذل اذا لم یکن بمشهد الحقیقة فکل ذلک باطل
انتهی ویشیر الیه ما ورد من اعطی لله ومنع لله واحب لله وابغض لله فقد استکمل
ایمانه والحاصل ان الدنیا کالحیة فمن امسکها بغیر رقیة اهلکته وهی ان یاخذها من حلها ویضعها
فی محلها ویعلم ان کل ما یمنعه عن مولاه فهو شوم علیه فی دنیاه واخراه ولا تقتلوا انفسکم
کما یفعله جهلة الهند وبعض الحبشة او بالقاء النفس الی التهلکة او بارتکاب ما یؤدی
الی قتلها او باقتراف ما یردیها فان القتل الحقیقی للنفس عند العارفین بها او لا یقتل
بعضکم بعضا والمراد بالانفس من کان من اهل دینهم فان المؤمنین کنفس واحدة فی
حقیقة تکلیفهم ان الله کان بکم رحیما فامره بما فعلکم ونهیه عن مضارکم لفرط رحمته بکم
او معناه کان بکم یا امة محمد بخصوصکم رحیما لما امر بنی اسرائیل بقتل النفس ونهاکم عنه
وقال الاستاذ ولا تقتلوا انفسکم بارتکاب الذنوب ویقال بتجرعها لما حظته سبحانه
ویقال بنظرکم الیها وملاحظتکم ایاها واستحسانکم شیئا منها وبایثارها دون رضی الحق عنها
ومن یفعل ذلک عدوانا تعدیا علی الغیر وظلما علی نفسه بترک الخیر فسوف نصلیه نارا
ای ندخله ایاها وقال الاستاذ فاما لا تخلیه من عقوبة شدیدة وهی ان تکله الی صاحبه
وتلقی حبله علی غاربه وکان ذلک علی الله یسیرا لا عسر فیه ولا صارف عنه ان تجتنبوا
کبائر ما تنهون عنه ای کبائر الذنوب التی نهاکم الله ورسوله عنها نکفر عنکم سیئاتکم
نغفر لکم صغائرکم ونمحها بسبب طاعاتکم والاقرب ان الکبیرة کل ذنب رتب الشارع
علیه حدا او بین فیه وعیدا وقیل ما علم حرمته بقاطع دلیل وعنه علیه السلام انها سبع
الاشراک بالله وقتل النفس التی حرم الله وقذف المحصنة واکل مال الیتیم والفرار من
الزحف وعقوق الوالدین وعن ابن عباس الکبائر الی سبعمائة اقرب منها الی سبع
والاظهر ان یراد بها ههنا انواع الشرک لقوله تعالی ان الله لا یغفر ان یشرک به ویغفر
ما دون ذلک لمن یشاء ویؤیده قراءة ابن مسعود وابن جبیر کبیر ما تنهون عنه بالافراد علی
ارادة الجنس وندخلکم مدخلا کریما الجنة وما وعد من الثوبة او ادخالا مع الکرامة وقراء نافع
بفتح المیم وهو ایضا یحتمل المکان والمصدر فتدبر وافاد الاستاذ ان الکبائر علی لسان
المعلم ههنا الشرک یعنی فالجمع لمقابلة اصحابه او ارادة انواعه وعلی بیان الاشارة ایضا
الشرک الخفی ومن جملة ذلک ملاحظة الخلق واستحلاء قلوبهم والتودد الیهم والاغماض

علی حق الله

علی حق الله بسببهم وندخلکم فی امورکم واحوالکم مدخلا کریما ادخالا حسنا لا ترون
منکم دخولکم ولا خروجکم وانما ترون المصرف لکم ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضکم
علی بعض من الامور الدنیویة کالجاه الوسیع والاموال الکثیرة فلعل عدمه خیر من
وجوده لکم والمقتضی للمنع عن التمنی کونه ذریعة الی التحاسد والتعادی ومعربة عن
عدم الرضاء بما جری من القضاء وانه مجرد تشهیة لحصول الشیء من غیر طلبه واجتهاد
لاجله وهو مذموم وصاحبه ملوم لان تمنی ما لم یقدر معارضة لحکم القدر وتمنی ما قدر له
بکسب وجد وکد بطالة وتضییع حظ وتمنی ما قدر له بغیر کسب فی الحال ضیاع فی المآل
بل معه ودمن المحال وافاد الاستاذ ان لسان المعاملة ان الامر بالتعنی لا بالتمنی
ولسان التوحید ان الامر بالحکم والقضاء لا بالارادة والمنی ویقال اسلکوا سبیل
من تقدمکم فی قیامهم بحق الله ولا تتعرضوا لنیل ما خصوا به من فضل الله قوموا
بحق مولیکم ولا تقوموا بمتابعة هویکم واختیار منالکم ویقال کن طالب حقوقه لا
طالب حظوظک فانک ان قمت تطلب نصیبک علی ای وجه شئت دنیا واخری
اشرکته فی توحیدک من حیث لا شعور لک بک ویقال جمودک تحت جریان حکمه علی ما سبق
اختیاره احظی لک من تعرضک لوجود مناک اذ قد یکون هلاکک فی امنیتک ویقال
من لم یؤدب ظاهره بفنون المعاملات ولم یهذب باطنه بوجوه المنازلات فلا
ینبغی ان یتصدی لنیل المواصلات وهیهات متی یکون ذلک هیهات للرجال نصیب مما اکتسبوا
وللنساء نصیب مما اکتسبن بیان لما سبق والمعنی لکل من الرجال والنساء نصیب
من الفضل بحسب ما کتبه من الکسب وبسبب ما قدر له من القضاء علی طریق العدل
فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمنی والامل کما قال علیه السلام لیس الایمان بالتمنی
وکما صرح به سبحانه فی قوله لیس بامانیکم ولا امانی اهل الکتاب الآیة وقیل المراد نصیب
المیراث وتفضیل الورثة بعضهم علی بعض منه وافاد الاستاذ بقوله لا
تتمنوا مقام السادة دون ان تسلکوا سبیلهم وتلازموا سیرهم وتعملوا عملهم
فان ذلک جور من الظن ویقال لا تتمن مقامات الرجال فان لکل مقام اهلا
عند الله وهم معدودون فما لم یمت واحد منهم لا یورث مکانه غیره قال
تعالی وجعلکم خلائف والخلیفة من یخلف من تقدمه فاذا تمنیت مقام ولی من الاولیاء
فکانک استعجلت وفاته علی ما قدر له من القضاء واسئلوا الله قراء المکی والکسائی
بالنقل والباقون بالاصل ای وادعوه واطلبوه من فضله ان یسوقه الیکم ان الله کان
بکل شیء علیما وبعباده رحیما فیعلم ما یستحقه کل انسان ویتفضل عن علم وتبیان فینبغی
الرضاء بالقضاء والتسلیم فی جمیع مراتب الاحسان وافاد الاستاذ ان الفرق
بین التمنی والسؤال من فضله من وجوه منها کون التمنی للشیء مع غفلتک عن ربک
فتتمنی بقلبک وجود ذلک الشیء من غیر توقعه من الله فاذا سالت الله فلا محالة تذکره

ومنها ان السائل لا يرى استحقاق نفسه فيحمله صدق الارادة على التملق والتضرع والمسئلة
والمتمني يخلو عن هذه الجملة ومنها ان الله تعالى نهى عن تمني ما فضل الله به غيرك ومعناه
ان يسلب صاحبك ما اعطاه ويعطيك اياه واباح السؤال من فضله بان يعطيك مثل
ما اعطى صاحبك ويقال لا تتمن العطاء وسل الله ان يعطيك من فضله الرضاء بفقد
العطاء وذلك اتم من العطاء فان التحرز عن رق الاشياء اتم من تملكها عند الاصفياء
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحرزونها
ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف
مفسر للموالي والذين عقدت والكوفيون عقدت ايمانكم اي بالموالاة فاتوهم
نصيبهم كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض ذكره القاضي وقال التفتازاني فيه نظر لانه لا دلالة على نفي
ارث الحليف لا سيما والقائلون به انما يرثونه عند عدم العصبات واولي
الارحام انتهى وصورة مولى الموالاة عندنا على ما ذكره السيد الجرجاني شخص مجهول
النسب قال لآخر انت مولاي ترثني اذا مت وتعقل عني اذا جنيت وقال الآخر
قبلت فعندنا يصح هذا العقد ويصير القابل وارثا عاقلا ويسمى مولى الموالاة واذا
كان الآخر مجهول النسب وقال للاول مثل ذلك وقبله ورث كل منهما صاحبه وعقل عنه
وكان الشعبي يقول لا ولاء الا لاولياء العتاقة وبه اخذ الشافعي وهو مذهب زيد بن ثابت
وما ذهبنا اليه مذهب عمر وعلي وابن مسعود ان الله كان على كل شيء شهيدا اي عالما
مطلعا فلا تتجاوزوا عن امره ولا تتعدوا عن حكمه وفيه وعد بالعطاء على الوفاء ووعيد
على منع النصيب بالجفاء الرجال قوامون على النساء كقيام الولاة على الرعية والرعاة
على الماشية بامرين احدهما موهبي وثانيهما كسبي كما بينهما فقال بما فضل الله بعضهم
على بعض من كمال العقل والدين وحسن التدبير ومزيد اليقين ولذا خصوا بالنبوة
والامامة ووجوب الجهاد واقامة الجمعة والجماعة وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن
كالمهر والنفقة والكسوة وسائر مطالبهن وقال الاستاد خص الرجال بالقوة
فزيد في الحمل عليهم والحمل على حسب القوة والعبرة بالقلوب والهمم لا بالنفوس
والجثث انتهى والمعنى ان هذا الجنس خير من جنس النساء لوجود هذه الفضائل
في بعض افرادهم دون غيرهم والا فكم من امراة فضلت رجالا في مراتب الفضيلة
فالصالحات قانتات مطيعات لله في اوامرهن قائمات بحقوق ازواجهن
حافظات للغيب اي لموجبات الغيبة كحفظهن في حال الحضرة ما يجب حفظه في النفس
والمال والاسرار الخفية بما حفظ الله اي بسبب حفظه سبحانه اياهن بالعصمة فان المحفوظ
من حفظه الحفيظ في الحقيقة قال السلمي قيل بحفظ الله لهن صرن حافظات للغيب ولو
وكلهن الى انفسهن لهتكن ستورهن وفي الحديث خير النساء امراة ان نظرت اليها

سرتك

سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الاية
والمراد بمالها ماله في تصرفها فالاضافة لادنى الملابسة ولزيادة البعث على المحافظة فكان
ماله مالها او للمبالغة فانها اذا راعته في مالها فبالاولى ان تراعي ماله بعدم صرفها في غير
ضرورة حالها واللاتي تخافون نشوزهن ترفعهن عن الطاعة لازواجهن فعظوهن
انصحوهن وذكروهن بعقاب الله اياهن في عصيانهن واهجروهن في المضاجع اي
مراقدهن بان لا تدخلوا تحت اللحف معهن وقيل كانوا يتبوهن اولا تجامعوهن واضربوهن
اي ضربا غير مبرح لهن والامور الثلاثة مرتبة ينبغي ان تقع مدرجة فالاية تتضمن اداب
المخالطة وحسن العشرة فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اي بالتوبيخ لهن وازيلوا
التعرض عنهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فيهن فان التائب من الذنب
كمن لا ذنب له منهن ومن غيرهن ان الله كان عليا شانه كبيرا برهانه فهو
اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم وافاد الاستاد تبعا للسلمي ان لك عليها
الطاعة بالبدن والقالب فاما المحبة والميل اليك بالقلب فذلك الى الرب فلا
تكلفها ما لم يرزقك الله منها فان القلوب بقدرة الله يحبب اليها من يشاء ويبغض
اليها من يشاء ويقال لا تنس وفاءها بالماضي بنادر جفاء يبدو في الحال فربما
يعود الامر الى الجميل في الاستقبال واستحسان المآل وان خفتم شقاق بينهما
اي ظننتم او توهمتم خلافا فيما بين الزوج والمراة لدلالة السياق عليهما فابعثوا
حكما من اهله وحكما من اهلها اذا اشتبه عليكم حالهما ليتبين امرهما من صلاح
ذات بينهما بجمعهما او تفرقهما وخص اقاربهما لانهما اعرف ببواطن احوالهما
واقرب الى طلب صلاح امرهما وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب
جاز ايضا في هذا الباب والخطاب للحكام والولاة او للازواج والزوجات قيل
واستدل به على جواز التحكيم في الخصومات لكن ليس لهما ولاية التفريق عندنا
على ما ذكره صاحب المدارك الا ان فوض اليهما وقال مالك لهما ان يتخالعا ان
وجدا فيه صلاح حكمهما ان يريدا اي الحكمان اصلاحا يوفق الله بينهما بين الزوجين
والمعنى ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين باصلاح
حالهما ان الله كان عليما بظواهركم خبيرا بسرائركم فيعلم كيف يرفع الشقاق ويقع
واعبدوا الله اي وحدوه واطيعوه ولا تشركوا به شيئا من مخلوقاته او شيئا
من اشراكه جلية او خفية قال ابن عطاء الشرك ان تطالع غيره او ترى ممن سواه
ضره او خيره وقال ايضا العبودية ترك الاختيار وملازمة الذلة والافتقار كذا
في دقائق الحقائق وافاد الاستاد ان العبودية معانقة الامر ومفارقة الزجر
والشرك جلية اعتقاد معبود سوى الله وخفية ملاحظة موجود ما عداه والتوحيد
ان تعرف ان الحادثات كلها حاصلة بالله قائمة به فهو منشئه ومجريه ومبقيه وليس

باحد ذرة ولا شطية ولا سبه ولا شمة من الايجاد والابداع فى كل قضية ودقائق
الربا وخفايا المصانعات وكوامن الاعجاب والعلل على رؤية الخلق واستجلاب مدحهم
والذبول تحت ردهم وذمهم كل ذلك من الشرك الخفى ومن نفائس العرائس اعبدوا الله
لله لا على رؤية العوض والعبادة فانهما شرك العابدين واعبدوه على رؤية التقصير فانه
عبادة الموحدين وايضا شغلهم به منه ولو احبهم الحب البالغ لاسكرهم بشراب القرب
والمشاهدة واوقعهم فى بحار القدم بعد خروجهم من العدم قال ابو يزيد ان الله سبحانه
نظر فى هذا العالم فلم ير اهلا لمعرفته فشغلهم بعبادته اقول ولعل معناه انه لما كان هذا
العالم مكان الفناء ولم يجعل دوام المشاهدة واللقاء فاشغلهم بعبادته ليكون وسيلة
الى مشاهدته ولذا قال بعضهم العبودية فناؤك عن مشاهدتك فى مشاهدة من تعبده
وبالوالدين اى واحسنوا بهما احسانا قال صاحب العرائس المراد بالوالدين مشايخ
المعرفة واحسان المريدين اليهم بوضع اعناقهم عند مساحاتهم بنعت ترك مخالفاتهم
مع نشر فضائلهم عند الخلق والدعاء لهم بمزيد القرب الى الحق قال الجنيد امرنى
ابى امرا وامرنى السرى امرا فقدمت امر السرى على امر ابى وكل ما وجدت فهو من
بركاته وبذى القربى وبصاحب القرابة احق ان المحبة من اهل القربة واليتامى من الاقارب
والاجانب فى العرائس ان اليتامى اهل معرفة الله الذين وقعوا فى الفترة وافتهم
الشهوة واحتجبوا بها عن المشاهد فاحسانهم ترغيبهم الى طاعة مولاهم وتشويقهم
الى مشاهدة سيدهم مع التلطف والظرافة فى دعائهم الى الله ومن مات استاده
قبل بلوغه الى درجة القوم فهو يتيم المعرفة والاحسان اليه تربيته باداب القوم لئلا
ينقطع عن الطريق والمساكين اى الفقراء والضعفاء المعسرين قال البقلى اراد بالمساكين
السالكين غير المجذوبين فان المساكين سلكوا طريق المقامات بالمجاهدات واحسانهم
كشف اسرار المشاهدات عندهم ليقع آثار المحبة فى قلوبهم فيسكنون عن المجاهدات
الظاهرة ويطلبون الحق بالقلوب الحاضرة والاسرار الطاهرة ليصلوا بطرفة عين الى
مقام لا يصلون اليه بالف سنة بالمجاهدة والرياضة والجار ذى القربى الذى قرب جواره
او الذى له مع الجوار قرب واتصال بدين او نسب والجار الجنب البعيد او الذى
لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة
وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق
الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب وفى العرائس ان الجار القريب من كان مقامه موافقا
لمقاماتكم لانه فى طريق المعرفة جار قربة الله وهو قرابتكم فى معرفة الله والجار الجنب هو
المريد المبتدى فاحسانك اليه ان ترغبه الى سلوك مدارج الصديقين العارفين
وتيسر له مطويات اسرار المحبين وفضائل احوال المشتاقين وايضا الجار الجنب
صورتك التى هى حاملة الروح والاحسان اليها ان يعظم جوارحها من حظوظ

المعاصى

المعاصى والشهوات وافى د الاستاد ان من جيرانك ملكاك فلا تؤذهما بعصيانك
وراع حقهما بما تملى عليهما من احسانك فاذا كان جار دارك مستوجبا للاحسان اليه
ومراعاة حقه فجار نفسك وهو قلبك اولى ان لا تضيعه ولا تغفل عنه فلا تمكن حلول
الخواطر الردية بها واذا كان جار نفسك هذا حكمه فجار قلبك وهو معرفتك اولى ان تحامى
على حقها فلا تمكن ما يخالفها فى مساكنها ومجاورتها وجار روحك وهو سرك اولى ان
تراعى حقه فلا تمكنه من الغيبة عن اوطان الشهود على دوام الساعات ثم الاشارة من
قوله وهو معكم اينما كنتم غير ملتبس على قلوب ذوى التحقيق والله ولى التوفيق والصاحب
بالجنب الرفيق فى امر حسن او مباح كتعلم وصناعة ومرافقة فان صحبك وحصل بجنبك
او المرأة وهو قول على وابن مسعود وابن عباس وعكرمة وقال البقلى هو قلبك
واحسانك اليه ان تفرده من الحدثان وتشوقه الى جمال الرحمن وايضا هى النفس
الامارة لما ورد اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك واحسانك اليها ان
تحبسها فى سجن العبودية وتميتها عن الشهوة وتحرقها بنيران المحبة وتذر
ترابها برياح المعرفة حتى لا يبقى فى دار الله غير الله وابن السبيل اى المسافر
او الضيف وقال البقلى اراد بابن السبيل غريب الله فى بلاد الله حيث لا يعرفه
سوى الله الذى يتطرق من نور الافعال الى نور الصفات ومن نور الصفات
الى نور الذات وهو فى غربة الازل والابد لا يسكن روعته ولا ينطفى حرقته يزيد
تحيره وتغربه لا يعرفه احد بو انه قال عليه السلام ان حضروا لم يعرفوا وان غابوا
لم يفتقدوا والاحسان لهم السدد ولا يزوجهم المنعمات انوار قلوبهم من نور الشمس
والاحسان اليهم بذل المهجة بين ايديهم وزيادة الاستطابة فى اوقاتهم ودفع
الاغيار عن صحبتهم حتى لا يطلع عليهم احد يمنعهم ساعة من حالاتهم وقال سهل الجار
ذى القربى هو القلب والجار الجنب هو النفس والصاحب بالجنب العقل الذى
ظهر على اقتداء السنة والشرع وابن السبيل الجوارح المطيعة لله وما ملكت
ايمانكم من العبيد والاماء وسائر الاشياء وفى العرائس هم مريدوكم الذين هم ارقاء
الارادة والاحسان اليهم تربيتهم فى طريق الله باداب الله وتذكار الله عندهم
ودعاؤهم الى طريق الرجاء لان الراجى طيار والخائف سيار وتعليمهم طريق المشاهدة بلزوم
المراقبة ان الله لا يحب من كان مختالا متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ومماليكه
فخورا يتفاخر عليهم او يفتخر بهم على غيرهم مع عدم احسانه اليهم الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل فى اموالهم ان ينفقوها فى مرضاة مولاهم عموما وفيما امرهم الله به من بر الوالدين
والاقربين وغيرهم وقرأ حمزة والكسائى البخل بفتحتين وافى د الاستاد ان البخل على
لسان العلم منع الواجب وعلى بيان الاشارة ترك الايثار فى زمان الاضطرار وامر
الناس بالبخل منعهم عن مطالبات الحقائق فى معرض الشفقة عليهم بموجب الشرع

وبيان هذا ان يقع لسالك الانسلاخ عن العلائق وحذف فضولات حاله فيفضحه
بان يقول ربما لا تقوى على هذا ولان تكون مع معلومك الحلال اولى بك ان تصير مكديا
اذ ربما تحوج الى سؤال الناس وان تكون كلا على المسلمين ويروى له فى هذا الباب
الاخبار والآثار وامثال هذه من حكايات الابرار ولولا تجلد المسكين فى قلبه لاعانه
بهمته فيما سنح لقلب ذلك المسكين بدل ما يمنعه يقول فى معرض النصح ومن كان هذا
صفته ادركه عاجل المقت حين اطفا شرارة ذلك المستضعف بما هو عند نفسه
انه نصيحة وشفقة فى الشريعة ويكتمون ما آتيهم الله من فضله اى المال والعلم والحال
فان البخيل يستر نعمة الله ويجحدها فى المآل وقد ورد ان الله اذا انعم على عبد واحسن اليه
احب ان يظهر اثرها عليه وقيل لا يشكرون نعمة العافية عليهم ويلايمه قوله واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا كما اهانوا النعمة بالبخل ولم يجعلوا آثارها مبينا والآية نزلت فى
طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار نصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر
وعن ابن عباس وغيره انها نزلت فى الذين كتموا نعت محمد عليه السلام وهو من افضل النعم
وافاد الاسناد ان بخل الاغنياء بمنع النعمة وبخل الفقراء بمنع الهمة والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس اى لا لوجه الله ولا فيما يحبه ويرضاه ولا يؤمنون بالله واليوم
ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق ثوابه ويحترزوا بترك البخل عقابه ومن يكن الشيطان
له قرينا يحمله على المناهى ويشغله بالملاهى فساء قرينا اى ابليس واعوانه الداخلة والخارجة
فى الدنيا بالوسوسة وفى العقبى بالمشاركة فى العقوبة وافاد الاسناد انه سبحانه
ادخل هؤلاء ايضا تحت قوله ان الله لا يحب كل من كان مختالا فخورا فعوقبوا فى
العاجل انهم ليسوا من اهل المحبة وكفى بذلك من المحنة والمختال هو الذى ينظر الى نفسه
والمرائى الذى ينظر الى ابناء جنسه وكلاهما موسومان بالشرك الخفى وكذلك الذى
يرى من نفسه حالا ورتبة وهو فى ذلك المدعى وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم
الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اى اى شئ من الضرر عليهم واى تبعة راجعة اليهم
لو استقاموا على صحيح الاعتقاد وقاموا بالانفاق على وجه السداد وكان الله
بهم عليما وما خلاف حالهم حكيما ان الله لا يظلم مثقال ذرة اى لا ينقص من الثواب
ولا يزيد فى العقاب مقدار اصغر شئ من الاشياء كالذرة التى هى عبارة عن جزء
من اجزاء الهباء بل لا يتصور الظلم مطلقا فى حقه فانه عبارة عن وضع الشئ فى غير
موضعه او عن التعدى فى غير ملكه وكلاهما محال فى فعله لانه اما عدل فى امره واما
فضل فى حكمه كما بينه بقوله وان تك اى الذرة من العمل حسنة وقرأ الحرميان
بالرفع اى وان تقع حسنة واحدة فى مقام العدل يضاعفها فى مرتبة الفضل
وقرأ ابن كثير وابن عامر يضعفها ويؤت من لدنه اى يعط من عنده على سبيل
الفضل زائدا على ما وعد فى مقابلة العمل بالعدل اجرا عظيما اى عطاء جسيما

فكيف

فكيف حال هؤلاء الخلق فى معرض الحق اذا جئنا من كل امة بشهيد يعنى يشهد على صدق
احوالهم او قبح افعالهم وجئنا بك على هؤلاء اى من المشهودين والشهداء شهيدا
تشهد على الشهداء او بصدق مقالهم وتزكية احوالهم وعلى المشهودين بما يستحقون
من سوء بالهم وقبح مآلهم على وفق اعمالهم يومئذ يود الذين كفروا وعصوا
الرسول لو تسوى بهم الارض اى ان يدفنوا فيسوى بهم التراب ليتخلصوا من العقاب
والحجاب وقرأ نافع بفتح التاء وتشديد السين وحمزة والكسائى بتخفيفها مع فتح التاء
والباقون بالضم والتخفيف والكل على تشديد الواو ولا يكتمون الله حديثا اى ولا
يقدرون على كتمانه لما عرفوا من علو شانه وظهور برهانه يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا
الصلوة اى مواضعها فضلا عن صنعها وانتم سكارى حال من فاعلها حتى تعلموا
ما تقولون اى تعرفوا قراءتكم وتفهموا عباداتكم وتتركوا عاداتكم روى ان عبد الرحمن بن عوف
صنع مادبة اى ضيافة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا
حتى ثملوا اى سكروا وجاء صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلى بهم وهو على او
عبد الرحمن او غيرهما فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل غلبة النوم فى معنى الخمر وبه ورد
الخبر وفى الاحياء قيل سكارى من حب الدنيا وقيل من كثرة الهموم المتعلقة بالشكوى قال
الواسطى لا تقرب الى مواصلاتى الا وانت منفصل عن جميع الكائنات وافاد الاسناد ان
النهى عن موجب السكر من الشراب لا من الصلوة اى لا تفسدوا صلوتكم وانتم بصفة
السكر اى امتنعوا من شرب ما يسكر فانكم ان شربتم سكرتم ثم اذا صادفكم الصلوة على تلك
الحالة لا تقبل منكم صلوتكم والسكر ذهاب العقل والاشعار ولا يصح معه المناجاة مع الحق
والمصلى مناج ربه فكل ما اوجب للقلب الذهول عن الله فهو ملحق بهذا من حيث
الاشارة ولاجل هذه الجملة حصل السكر على اقسام فسكر من الخمر وسكر من الغفلة لاستيلاء
حب الدنيا واصعب السكر سكرك من نفسك وهو الذى يلقيك فى الغفلة عنه
فان من سكر من الخمر فقصاراه للحرقة ان لم يعف ومن سكر من نفسه فحاله الفرقة فى
الوقت عن الحق فاما السكر الذى يشير اليه القوم فصاحبه محفوظ عليه وقته حتى
يصلى والامر مخفف عليه فاذا خرج عن الصلوة هجم عليه وغالبه فاختطفه عنه ومن لم يكن
محفوظا عليه احكام الشرع فمستسيب فتان ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ
الجملة فى موضع النصب على الحال والجنب هو الذى اصابه الجنابة ويستوى فيه
المفرد والجمع والمذكر والمؤنث لانه يجرى مجرى المصدر وهو الاجناب فالمعنى
ولا مجنبين الا عابرى سبيل استثناء من اعم الاحوال اى لا تقربوا المساجد
التى هى مواضع الصلوة تعظيما لها الا حال كونكم مجتازين فيها غير لابثين بها اذا
كان فيه الماء او الطريق منحصر اليها وقوله حتى تغتسلوا اى من الجنابة وهو غاية
للنهى عن القربان للصلوة حال الجنابة وافاد الاسناد انه سبحانه اذن للمضطر

ان يترخص فى عبور المسجد وهو على وصف الجنابة فاذا عرج زائدا على قدر الضرورة
فمعاتب غير معذور كذلك فيما يحصل من معاذير الوقت فى القيام بشرائط الوقت لموضع
عن صاحبه المطالبة وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه الضرر باستعمال الماء فان
الواجد له حينئذ كالفاقد او على سفر اى على جناح سفر المعنى مسافرين ولا تجدون الماء فيه
او جاء احد منكم من الغائط كناية عن الحدث الاصغر او لامستم النساء اى جامعتموهن
كما فسره به على وابن عباس واكثر الصحابة والتابعين وقراء حمزة والكسائى لمستم وهو
كناية عن الحدث الاكبر فلم تجدوا ماء اى فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه
كالمفقود له فتيمموا صعيدا طيبا اى شيئا من وجه الارض طاهرا او حلالا وما
روى انه عليه السلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان
المراد ههنا وايديكم الى المرافق خلافا للامام احمد بن حنبل بكانه حمل الزيادة على الاستحباب
كما ورد عن ابن الخطاب انه كان يقبل امرأته ثم يصلى ولا يتوضأ كما رواه ابن جرير
وتارة يتوضأ ويصلى كما رواه الدارقطنى ان الله كان عفوا غفورا فلذلك
الامر عليكم ورخص فلكم لكم وافاد الاستاذ انه سبحانه بفضله جعل التيمم بدلا من الطهارة
بالماء عند اعواز الماء كذلك النزول الى ساحات الفرق عن ارتقاء ذروة
الجمع بقدر ما يحصل من الضعف بدلا لاهل الحقايق ثم ان التيمم الذى هو بدل الماء اعم
وجودا من الماء واقل استعمالا من الاصل فان كل من كان اقرب كانت المطالبة
عليه اصعب ثم فى الظاهر امرنا باستعمال التراب وفى الباطن استشعار الخضوع
واستدامة الذبول ورد التيمم الى التقليل وراعى فيه صيانة لراسك من التراب
ولقدمك فان العز بالمؤمن ومولاه باستحقاق الجلال اولى من الذل لما هو مفلس
فيه من الحال ولئن كان افلاسه عن اعماله يوجب له التذلل فعرفانه بجلال سيده
يوجب كل التعزز والتجمل ومن نفائس العرائس هذا خطاب لاهل العشق والمحبة
والشوق الذين اسكرتهم انوار القدوسية وسبحات السبوحية وهم حيارى
سكارى مبهوتون فى نهبة الاحوال تائهون فى مشاهد الجلال والجمال فغالب
احوالهم العبرات والغلبات والزعقات والشهقات والهيجان والهيمان
لا يعرفون الاوقات ولا يعرفون الليل من النهار ولا النهار من الليل لا يقدرون
فى حال سكرهم ان يأتوا على شرائط الصلوة من القيام والقراءة والركوع والسجود
كهشام بن عبدان وبهلول وسعدان وجميع عقلاء المجانين اى ايها العارفون
بذاتى وصفاتى واسمائى ونعوتى السكارى من شراب محبتى وسلسبيل انسى وتسنيم
قدسى وزنجبيل قربى وخمر عشقى وعقار مشاهدتى اذا كشفت لهم جمالى وادنيتكم فى
مقام ربوبيتى فلا تكلفوا انفسكم امر صورة الظاهر لانكم فى جناب مشاهدتى
وليس فى جنة جلالى تعبد حتى اذا سكنتم من سكركم وصرتم صاحين على نعت

التمكين

التمكين فان جنود العشق ترفع قلم التكليف عن جنون محبتى فاذا تصلون وتقربون
مقام البدايات على حد الصحو وان كنتم مضطربين فى خمار ذلك السكر لان السكران
والصاحى ذهبا عن صورة العقل الى عالم العشق عند طلوع جلال عظمتى من مطالع
قدمى فى عيون اسرارهم فعند ذلك يستوى حالهما شعر اذا طلع الصباح لنجم راح
تساوى فيه سكران وصاحى * واذا بقى العقل الالهى فى اشراق انوار سلطان المشاهدة ذرة
فينبغى ان يصلى ويؤدى حق الاوقات فان بعض مشايخنا لما جاء عليهم وقت الصلوة
وهم فى وجد وحاله قاموا الى الصلوة ومريدوهم عدوا ركعاتهم وسجداتهم وركوعاتهم فاذا
سهوا عن شئ ذكروهم ذلك وهذا من كمال ظرافتهم فى المعرفة وايضا خاطب اهل الغفلة
وسكارى الجهل من شراب الهوى والشهوة ان لا يأتوا الى مقام مناجاته وقربه ومشاهدته
حتى يخرجوا منها فان الغافل لا يؤدى فرايضه على شرائط السنة الم تر الم تنظر نظر
تعجب او الم ينته علمك الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى حظا يسيرا من علم
التورية ونحوه بحسب لفظ مبناه او فهم معناه يشترون الضلالة اى يختارونها
على الهداية بنحو التحريف واخذ الرشوة ويريدون ان تضلوا السبيل اى سبيل الحق لانه
بهم فى طريق باطلهم والله اعلم اى منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوتهم اياكم فاحذروهم
فيما يريدون بكم وكفى بالله وليا يلى امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فاكتفوا به عن غيره
والتجوا اليه واعتمدوا عليه والباء تزاد فى فاعل كفى كتوكيد الاتصال الاسنادى بالاتصال
الاضافى وقد يزاد فى مفعوله كقول حسان * وكفى بنا فضلا على من غيرنا * حب النبى محمد ايانا *
يعنى الانصار وافاد الاستاذ انهم مكروا ولم يشعروا وجه مكرهم ان اعطوا الكتاب ثم
حرموا بركات الفهم حتى حرفوا واصروا من الذين هادوا اى من اليهود ومن شيعهم من
اهل الجحود يحرفون الكلم اى قوم يميلونها عن مواضعه التى وضعها فيها بازالته
عنها واثبات غيرها مكانها او يؤولونها على ما يشتهون فيها ويقولون سمعنا
قولك وعصينا امرك سرا او ورودا عليك واسمع غير مسمع اى غير مجاب الى
ما تدعون اليه وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم قولك ليا بالسنتهم اى فتلا بها
وصرفا عن ظاهرها بما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب
والتحقير حيث وضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها وراعنا المشابه
لما يتسابون به موضع انظرنا وطعنا فى الدين استهزاء وسخرية بالامر
اليقين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا بدل عصينا واسمع من غير مسمع وانظرنا
بدل راعنا لكان ما ذكر خيرا لهم واقوم اعدل بهم ولكن لعنهم الله بكفرهم
ابعدهم الله عن رحمته بسبب كفرهم واستحقاق نقمته فلا يؤمنون الا قليلا
منهم آمنوا او سيؤمنون وافاد الاستاذ انهم تركوا حشمة الرسول عليه السلام ونقضوا
حرمة قدره فعوقبوا بالشك فى امره وكذلك لم يترك احد حشمة محتشم الا جهل بهيبته ومن

بركات صحبته وزوائد خدمته ولو انهم عاجلوا في نفي ما داخلهم من الحسد وقابلوا حاله
عليه السلام بالتبجيل والاعظام لوجدوا بركات المتابعة فاسعدوا به في الدنيا
والآخرة ولكن اقصتهم السوابق فاقعدتهم القسمة عن بساط الخدمة وان من قعد به الاقدار
لم ينهض به الاختيار يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا من القرآن مصدقا
لما معكم من التورية والانجيل والزبور في التبيان من قبل ان نطمس وجوها اي نمحو تخطيط
صورها فنردها على ادبارها اي ننكسها الى ورائها في الدنيا او العقبى او نلعنهم على
لسانك المحمود كما لعنا اصحاب السبت على لسان داود فنجعلهم قردة وخنازير وكلابا
من اصحاب السعير وكان امر الله بما حكم الله وقضاه مفعولا نافذا كائنا فيما امضاه
وافاد الاستاذ ان الاشارة فيه الى صرف القلوب عن الارادة الى احوال اهل العادة حتى
كانت دواعيه تتوفر في رفض الدنيا فصار لا يصبر عن جمعها ومنعها بمقتضى الهوى
ان الله لا يغفر ان يشرك به اي لعبد لقيه مشركا به لحكمه على خلود عذابه عدلا ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء احسانا وفضلا وهذا كله في حق من لم يتب عن فعله والا فالتائب من الذنب
كمن لا ذنب له من اصله ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اي ارتكب ما يستحقر دونه الآثام
فان الشرك لظلم عظيم وصاحبه مقيم في عذاب اليم وافاد الاستاذ ان العوام طولبوا بترك
الشرك الجلي والخواص طولبوا بترك الشرك الخفي فمن توسل اليه بعمله وبطلبه منه او توهم
ان احكامه سبحانه معلولة بحركاته وسكناته او رأى خلقا او لاحظ نفسا فوطنه الشرك
عند اهل الحقائق والله لا يغفر ان يشرك به وكذلك من توهم ان مخالفاته حصلت من غير
تقديره فهو ملتحق بهم الم تر الى الذين يزكون انفسهم من اهل الكتاب حيث قالوا نحن
ابناء الله واحباؤه وفي معناهم من زكى نفسه ومدح علمه وعمله قبل ليت النفس بحلي
التزكية فمن استحسن من نفسه شيئا فقد اسقط من باطنه انوار اليقين كذا في دقائق
الحقائق ولعل معناه ان الاحوال المستحسنة والافعال الحسنة كلها وقعت بسبب
الاعانة الالهية والا فالنفس لو خليت بطبعها فهي منبع الحالات الردية والخيالات
الدنية ولذا ورد اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ولا اقل من ذلك فانك ان
تكلني الى نفسي تكلني الى ضعف وعورة وذنب وخطيئة ولا حول ولا قوة الا بالله
يشير الى ما ذكرناه في مبناه ومعناه بل الله يزكي من يشاء وقد افلح من زكيها وقد
خاب من دسيها وفي الحديث اللهم آت نفسي تقويها وزكها انت خير من زكيها
وفيه تنبيه نبيه على ان تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فان العالم بما ينطوي عليه
الانسان من القبيح والاحسان ولا يظلمون فتيلا ادنى ظلم واصغره ولو قليلا والفتيل
هو الخيط الذي في شق النواة او ما فتلت من اصابعك من الوسخ يضرب به المثل
في الحقارة والمعنى لا ينقص من ثواب اعمالهم المحمودة ولا من عقاب افعالهم المردودة شيئا
قليلا ولو كان فتيلا وافاد الاستاذ ان من ركن الى تزكية الناس له او استحلى قبول الخواص حاله

فهو مزكي

فهو مزكي نفسه جاهل بربه وامسه اذ رؤية النفس اعظم حجاب ومن توهم انه بتكلفه
يزكي نفسه بارادته واجتهاده او حركاته وسكناته فهو في غطاء حجابه ومن نقائص
العوائق يشكي سبحانه وتعالى عن اهل الدعاوي الباطلة الذين يراؤن الناس ولا يذكرون
الله الا بالغفلة سمعوا كلام الاولياء وباعوا في سوق السالوس على الفقراء واضافوا
حقائق الصديقين الى انفسهم واشاروا الى مقام الرياضات والمجاهدات بغير علمهم
وعملهم ولم يشموا رائحة الصدق في حالهم ومع هذه العيوب يثنون على انفسهم فرد الله
عليهم بقوله بل الله يزكي من يشاء اي يلبس انوار تنزيهه اولياءه ويقدس عن كل
سوء اصفياءه وعن كل خاطر غير سبيل الحق احباءه انظر كيف يفترون على الله
الكذب بتزكيتهم انفسهم انهم ابناؤه في زعمهم وكفى به اي بافترائهم اثما مبينا
ظاهرا من بين آثامهم وافاد الاستاذ ان من اطلق لسان الدعوى من غير تحقيق
في المعنى فالمفتري في قالته في هذا الامر لا ينطق بشيء الا مجته الآذان وانزجرت له
قلوب الاعيان فاذا سكت عاد الى قلب خراب في البنيان الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب حظا قليلا من مواضع الخطاب وكشفا يسيرا من وراء الحجاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت وهو كل ما عبد من دون الله في كل باب ويقولون
للذين كفروا اي لاجل مشركي مكة وفي حقهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين
آمنوا سبيلا اقوم دينا واعظم يقينا وذلك حين سأل قريش عن احبار اليهود
ادييننا خير ام دين محمد عليه السلام فقالوا دينكم خير وانتم اهدى على ما رواه ابن
عباس وعكرمة وجماعة من السلف اولئك الذين لعنهم الله ابعدهم من رحمته
وادخلهم في نقمته ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنعه من العذاب ويدفع عنه
الحجاب ويقربه الى الباب وافاد الاستاذ ان طاغوت كل احد نفسه وهواه
وجبته مقصوده من الاغيار وما سواه فمن لاحظ شخصا او طالع سببا او عرج
على علة او تابع هوى من بدعة فذلك جبته وطاغوته واصحاب الجبت والطاغوت
يستوجبون اللعن وهو الطرد عن بساط العبودية والحجاب عن شهود الربوبية ام لهم
نصيب من الملك زعمت اليهود ان الملك اليهم يعود والمعنى بل الهم حظ من ملك المولى
نصيبا كثيرا او من ملك الدنيا قليلا يسيرا فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان
لهم نصيب من الملك تقديرا فاذا لا يؤتون احدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة
وهذا بيان لغاية شحهم ونهاية بخلهم فانهم اذا بخلوا بالنقير وهم ملوك مع الجاه العريض
والمال الكثير فما ظنك بهم اذا كانوا فقراء مهانين اذلاء مستفاقرين وافاد الاستاذ
ان من جبل على الشح لا يزداد بسعة ذات يده الا تأسفا على راحة تنال الخلق به كان
من شرب قطرة ماء من حياضه تحتسى بل يرشف من آد حياته ام يحسدون الناس
اي بل يحسدون رسول الله عليه السلام واصحابه واتباعه واحبابه على ما آتيهم الله

من فضله يعنى الكتاب والنبوة والعزة والنصرة فقد آتينا آل ابراهيم اى اسلاف
محمد و ابناء عمه الكريم الكتاب اى صحف ابراهيم الخليل والتورية والانجيل والحكمة النبوة
وآتيناهم ملكا عظيما كداود وسليمان فلا يستنكران يؤتيه مثل ما اتاهم او زيادة على
ما اعطاهم والحاصل انه سبحانه ذمهم على صفتى البخل والحسد وهما شر الرذائل
فى الجسد فمنهم اى من اليهود وغيرهم من آمن به اى بربه او بمحمد عليه السلام او بهذا
الايتاء والانعام ومنهم من صد عنه اعرض ولم يؤمن بقلبه وكفى بجهنم سعيرا
لمن كفر كما انه كفى بالجنة ملكا كبيرا لمن آمن به ومن دقائق الحقائق فى قوله من فضله
قيل هو الكرامات والولايات والمشاهدات فيكذبهم اهل الزمان ولا يطيعون اهل العرفان
كذلك كان الاولياء واصحاب الايقان قبل ذلك باين مكذب لهم ومصدق والنبيا
وافاد الاستاد ان الملك العظيم معرفة الملك الكريم ويقال هو الملك على النفس اى بعدم
تضييع النفس الانفس ويقال الاشراف على اسرار المملكة ويقال الاطلاع على اسرار
الخلق باطلاع انوار الحق ان الذين كفروا بآياتنا اى الآفاقية والانفسية او الآيات
النقلية والعقلية او المعجزات الفرقانية او الآيات القرآنية سوف نصليهم نارا
اى ندخلهم نارا عظيمة وقودها الناس والحجارة كلما نضجت جلودهم احترقت ونضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان نعاد تلك الجلود بعينها او بان يزال اثر الاحراق
عنها ليذوقوا العذاب ويدركوا الم العذاب ان الله كان عزيزا غير ممتنع عن
ارادته حكيما يعاقب على وفق حكمته وافاد الاستاد ان الاشارة منه الى الجاحدين
لآيات الاولياء الكبار يقيمهم بوصف الصغار ويبقيهم فى وحشة الانكار كلما
لاح لقلوبهم شئ من هذه القصة جرهم انكارهم بالغصة الى ترك الايمان بها والازرا
باهلها على وجه الاستبعاد فهم مؤبد عقوبتهم ابد الآباد والذين آمنوا وعملوا الصالحات
من المتقين الابرار سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا مقدرين
للخلود فى دار القرار لهم فيها ازواج مطهرة اى من الاوزار والاقذار وندخلهم ظلا ظليلا
اى دائما لا تنسخه الشمس كثيرا ولا قليلا وفى حقائق السلمى قيل المراد بالظل التفويض
وهو محل الراحة والامن فى الدارين وافاد الاستاد انهم اليوم فى ظل الرعاية وغدا
فى ظل الحماية والكفاية بل هم فى الدنيا والعقبى فى ظل العناية والناس فى هذه الجملة متفاوتون
فمنهم من هو فى ظل رحمته ومنهم من هو فى ظل رعايته ومنهم من هو فى ظل كرامته
ومنهم من هو فى ظل عنايته ومنهم فى ظل قربته ان الله يامركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات كما قاله السلف وان
نزلت فى رد مفتاح الكعبة الى الحجبة فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص مورد الآية
واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اى بالانصاف والسوية اذا قضيتم
بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ان الله نعما اى نعم شيئا يعظكم به وهو المامور

من اداء

من اداء الامانات والعدل فى الحكومات ان الله كان سميعا باقوالكم بصيرا باحوالكم
فيجازيكم على وفق اعمالكم وافاد الاستاد ان رد الامانات الى اهلها تسليم احوال الخلق
لهم بلا اشتراكك عليها بحيث لا تفسد عليهم ويقال لله سبحانه امانات وضعها
عندك فرد الامانة الى اهلها تسليمها الى الله سبحانه سالمة من خيانتك فيها فالخيانة
فى امانة القلب ادعاؤك فيها والخيانة فى امانة السر ملاحظتك اياها والحكم بين
الناس بالعدل بتسوية القريب والبعيد فى العطاء والبذل وان لا يحملك مخامرة
حقد على انتقام لنفس احد ومن نفائس العرائس ان الامانة عهد الله الازلى الذى عاهد به
ارواح اهل القرب فى مشاهدة جمال الرب حيث قبلت الارواح من الربوبية
سمات العبودية ومن المشاهدة لطائف المحبة ووجدت اسرار الملك والملكوت
عند سرادق الجبروت فكتمها عن الاغيار لان صدور الاحرار قبور الاسرار فلما لبست
الارواح بقوالب الاشباح كادت ان يغشيها للضعف عن حملها فامر الله بكتمانها
عن الخلق حتى يؤدوها الى الحق عند كشف جماله فى الآخرة لانه تعالى اهل تلك الامانة وذلك
قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية والحق امرهم الله باظهار
ما لو كشف لهم من احكام الغيب عند العارفين وكتمانها عن الجاهلين قال الجريرى افضل
الامانات امانة الاسرار فلا تظهرها ولا تكشفها الا لاهلها لانهم اهل الامانة العظمى وقال
بعضهم الامانة اسرار الله واهل الامانة هم العارفون بالله والعالمون باسرار الله
وهم الناظرون الى القلوب بانوار الغيوب فيحكمون عليها فحقق الله احكامهم
وهو الذى قال الله تعالى فيهم فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه
من لدنا علما يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله اى بما فى كتابه واطيعوا الرسول بما فى
خطابه واولى الامر منكم فى اجتهاد صوابه ويندرج فيهم الخلفاء والامراء والعلماء
والاولياء فانهم اولوا الامر على المريدين الاصفياء ولا يبعد ان يستدل به على صحة
حجية الاجماع عند عدم النزاع وافاد الاستاد ان الولى من اولى بالمريد ثم النكتة
فى اعادة اطيعوا فى جانب الرسول وعدمها فى جانب اولى الامر للايماء الى ان الرسول
لا يامر بغير طاعة الله واما غيره فقد يامر بغيرها ولذا قال عليه السلام لا طاعة لمخلوق فى
معصية الخالق وقال تعالى فان تنازعتم فى شئ اى انتم واولوا الامر منكم فردوه اى
فارجعوا فيه الى الله اى كتابه وتبيانه والرسول بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى
سنته بعد اوانه واستدل به منكرو القياس والاظهر ان هذا حجة عليهم بلا التباس
فان رد المختلف الى المنصوص عليه من الكتاب والسنة ان يكون بالتمثيل والبناء عليه
على طريق المقايسة فالآية تدل على ان الاحكام ثلاثة آية محكمة وسنة قائمة وفريضة
عادلة كما فى السنة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان بهما هنالك يقتضى
ذلك ذلك اى الرد المقبول خير لكم وافضل لاحوالكم واحسن تاويلا عاقبة لمآلكم

وحكى عن العالم الربانى ابى سليمان الدارانى ان كل ما عرض لى من الخاطر الحسنة فعرضته على الكتاب
والسنة فان وجدتها قبلته والا تركته فهما ميزان العدل وتبيان الفضل الم تر الى الذين يزعمون انهم
آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك اى من الكتب وهم المنافقون واهل الكتب
يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت اى كثير الطغيان ظاهر العصيان وهو من يحكم بغير الكتاب
والسنة ويؤثر الباطل على الحق لاخذ الرشوة ونحوه من المقاصد السيئة وقال ابو عثمان
الى ارائهم واهوائهم وامثالهم واشكالهم وقد امروا ان يكفروا به اى يرفضوه ويتركوه
بالكلية حيث قال تعالى ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله الآية ويريد الشيطان ان يضلهم
ضلالا بعيدا عن طريق المعرفة وسلوك المحبة واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول اى ارتفعوا عن حضيض ظلمات غبار اغيار الغواية الى اوج علويات انوار
الهداية رايت المنافقين اى المذبذبين فى الدين المتحيرين فى امر اليقين يصدون عنك
صدودا اى يعرضون اعراضا مسعودا او يحجبون بذلك عن بابنا حجابا مردودا فكيف اى
حالهم ومآلهم اذا اصابتهم مصيبة اى نقمة او محنة بما قدمت ايديهم بسبب شوم ما عملته
انفسهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك قيل اعظم المصائب اشتغالك عن الله
واعظم الغنائم اشتغالك بالله ذكره السلمى ثم جاؤك عطف على اصابتهم اى ثم
اتوك حين اصابتهم للاعتذار عن قبائحهم حال كونهم يحلفون بالله ان اردنا الا
احسانا وتوفيقا اى ما اردنا بالتحاكم الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين
بالصلح المستحسن روى ابن ابى حاتم وابن مردويه وغيرهما عن ابن عباس ان منافقا
خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى عليه السلام ودعاه المنافق الى كعب الملقب
بالاشرف ثم انهما احتكما اليه عليه السلام فحكم لليهودى فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى
عمر فقال اليهودى لعمر قد قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم
اليك فقال عمر رضى الله عنه للمنافق كذلك قال نعم فقال مكانهما حتى اخرج اليكما فدخل
فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله
ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وافاد الاستاد
ان تضرع غير المخلص عند هجوم الضرورة به لا اصل له فلا ينبغى ان يكون به اعتبار لان
بقاءه الى زوال المحنة والمصيبة العظمى ترك المبالاة بالمعصية ومن المصائب تضييع
وقتك فيما لا يجدى عليك نفعك اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم من النفاق
والشقاق وسوء الاخلاق فلا ينفعهم الكتمان والحلف الكذب واظهار الوفاق
فاعرض عنهم عن جفائهم واقبلهم لمصلحة استبقائهم وعظهم انصحهم بلسانك
لعله ينفعهم وقل لهم فى انفسهم اى فى حقها او خاليا بهم او سرا حيث ليس معهم
غيرهم قولا بليغا يبلغ المراد ويؤثر فيهم وهذا كله لكونه نبى الرحمة لجميع الامة خاصهم
وعامهم وقال الواسطى فاعرض عنهم عن جهالهم وعظ اوساطهم من عقلائهم يعنى وقل

لعلمائهم

لعلمائهم وقال جنيد كلمهم على مقادير عقولهم وقال الاستاد ابسط لهم لسان الوعظ
بمقتضى الشفقة عليهم ولكن انقبض بقلبك عن المبالاة بهم او السكون اليهم واعلم
ان من لا تكون تحن له لا يغنى عن تعينه شيئا وما ارسلنا من رسول الا ليطاع فيما يحكم به
لا ليطلب الحكم من غيره باذن الله اى بسبب اذنه فى طاعته وامره او بتوفيقه وتيسيره
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالمخالفة جاؤك بالمراجعة الى الموافقة فاستغفروا الله
عما صدر عنهم من المعصية والغفلة واستغفر لهم الرسول بالمسئلة والشفاعة لوجدوا الله
توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم باعادة الرحمة اليهم فلا اى فليس الامر
كما يزعمون انهم امنوا بك وهم يخالفون لحكمك وربك لا يؤمنون اى حقيقة الايمان
حتى يحكموك فيما شجر بينهم حتى يجعلوك حكما لهم فى جميع اعمالهم ويقبلوا حكمك فيما اختلفوا
من مقالهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا اى ضيقا مما قضيت اى مما حكمت به او شكا من اجله
فان الشاك فى ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم بتعرضها للقتل بالجهاد او كما قتل بنو اسرائيل من جملة
العباد او اخرجوا من دياركم بترك اوطانكم من البلاد ما فعلوه اى المكتوب من القتل والخروج
عليهم الا قليل منهم وهم المخلصون فيهم ورفع قليل على البدلية من ضميرهم وقرا ابن عامر
بالنصب على الاستثناء ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من المتابعة مع المطاوعة لكان
خيرا لهم فى عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا فى دينهم وحسن حالهم ومآلهم او تثبيتا
لثواب اعمالهم واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما فى العقبى ولهديناهم صراطا
مستقيما الى المولى قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وفى الحديث
من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم قال محمد بن الفضل ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا
انفسكم بمخالفة هواها او اخرجوا من دياركم باخراج حب الدنيا من قلوبكم ما فعلوه
الا قليل منهم فى عدد المبانى كثير فى المعانى وهم اهل التوفيق فى طريق التحقيق وافاد
الاستاد انه سبحانه اخبر عن سقم اخلاصهم وقوة افلاسهم ثم اخبر انه لعلمه
بتقصيرهم خلاهم عن كثير من الامتحانات فى امر تدبيرهم ثم قال ولو انهم جنحوا للخدمة
وشدوا نطاق الطاقة لكان ذلك خيرا لهم من اصرارهم على كفرهم واستكبارهم
ولو انهم فعلوا ذلك لآتيناهم من عندنا ثوابا عظيما ولارشدناهم صراطا مستقيما
ولاولينا هم عطاء مقيما والامر بقتل النفس على بيان الاشارة يرجع على مخالفة الهوى
وذبح النفوس بمنعها عن المالوفات الشاغلة عن المولى والخروج من الديار
مفارقة اوطان ارادة الدنيا ومن يطع الله والرسول فى الفرائض والسنن
الواصلة اليهم فاولئك مع الذين انعم الله عليهم بسبب الموافقة المقتضية
للمرافقة مع كرام المخلوقين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
بيان للذين وقسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم علما وعملا فى الدين وحث كافة

الناس على انه لا يتأخروا عنهم في مراتب اليقين فالانبياء هم الفائزون بكمال العلم والعمل
الواصلون الى مرتبة التكميل لاهل الامل ثم الصديقون الذين بالغوا في التصديق المتعلق
باليقينيات وفي الصدق بالقول والفعل في العمليات ثم الشهداء الذين اوى لهم المبالغة
في الطاعة حتى بذلوا المهجة في اعلاء الكلمة ثم الصالحين الذين صرفوا اعمارهم في طاعته
واموالهم في محبته وقاموا بحقوق الله وحقوق عباده ابتغاء لمرضاته وحسن اولئك
رفيقا اي رفقاء في جنته وقد ثبت بطرق متكاثرة كادت ان تكون متواترة انه عليه السلام
سئل عن الرجل يحب القوم ولا يلحق بهم فقال المرء مع من احب قال انس فما فرح
المسلمون فرحهم بهذا الحديث ذلك الفضل من الله اي من لطفه وكرمه واحسانه ونعمه وكفى
بالله عليما باستحقاق اهله وسائر احوال خلقه وافاد الاستاد انه سبحانه جرد عليهم
محلهم عن كل علة واستحقاق وسبب فان ما لاح لهم واصابهم صرف فضله وابتداء
كرمه يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم ما يحذر به من عدوكم ويحذر من سلاحكم فانفروا
اي اخرجوا مسرعين متنفرين عن اهليكم لجهادكم مع مخالفيكم ثبات جماعات
متفرقة او انفروا جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة والمعنى بادروا الى الطاعات وسائر
الى الخيرات في جميع الاوقات والحالات قبل آوان الفوات وزمان الحسرات ولذا لما
قال تعالى ففروا الى الله وتبتل اليه تبتيلا كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر وافاد
الاستاد ان الفرار الى الله من صفات القاصدين والفرار مع الله من صفات الواصلين
فلا يجد القرار مع الله الا من صدق في الفرار الى الله والفرار من كل غير شان كل موحد لا غير
وان منكم اي صورة كالمنافقين والمرائين لمن ليبطئن اي ليتثاقلنكم في تحمل الدين ويمنعنكم
عن الخروج مع المجاهدين فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله
علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا في القضية فيصيبني ما اصابهم من المحنة والبلية ولئن
اصابكم فضل من الله كنصرة وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط الحسرة كان لم يكن
بينكم وبينه مودة اي ادنى محبة واقل مواصلة والجملة معترضة بين الفعل ومفعوله
وهو يا ليتني كنت معهم في المقاتلة فافوز فوزا عظيما فاخذ نصيبا وافرا من الغنيمة
وكان مخففة من المثقلة وقرا ابن كثير وحفص تكن لتانيث لفظ المودة والمنادى
في يا ليتني محذوف اي يا قوم وافوز نصب على جواب التمني فليقاتل في سبيل الله الذين
يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة اي يبيعونها بها وهم المخلصون الباذلون انفسهم
في سبيل المولى وطريق العقبى ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل بان يموت
على الشهادة او يغلب بالفتح والنصرة فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومكانا كريما
وما لكم مبتدا وخبر لا تقاتلون في سبيل الله جملة حالية والمراد تحريضهم على امر
الجهاد بتاكيد القضية والمستضعفين اي وفي سبيل المأسورين بتخليصهم
عن ايدي اعداء الدين من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين

ويريدبهم

ويريد بهم المسلمين الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتهنين
الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها ارادوا مشركي مكة شر العباد
في خير البلاد واجعل لنا من لدنك وليا يلي امر ديننا ودنيانا واجعل لنا من لدنك نصيرا
ينصرنا على اعدائنا وقد استجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل
لمن بقي منهم خير من تولى الولاية والنصرة بفتح مكة على ايدي الحضرة النبوية فتولاهم
ونصرهم اولا ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد رض بعد فتحها فحماهم ورعاهم
حتى صاروا اعزة اهلها الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله اي فيما يصلون
به الى رضاه والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي فيما يبلغ بهم الشيطان
الى طغيانه وهواه فقاتلوا اي يا اولياء الله اولياء الشيطان ممن تبع هواه ان كيد
الشيطان بالمؤمنين كان ضعيفا بالاضافة الى كيده سبحانه للكافرين فلا تخافوهم
وخافون ان كنتم مؤمنين وقال سهل المؤمنون خصماء الله على انفسهم والمنافقون
خصماء انفسهم على ربهم يبادرون الى اختيارهم ولا يرضون باختيار الله لامرهم
الم تر الى الذين قيل لهم اي من ضعفاء المسلمين كفوا ايديكم عن قتال المشركين
وقال الاستاد اخرجوا ايديكم عن اموركم وكلوا احوالكم الى معبودكم ويقال قصروها
عن اخذ الحرام والتصرف فيه كالقوم ويقال كفوا ايديكم الا عن رفعها الى الله في
السؤال بوصف الابتهال ويقال امتنعوا عن الشهوات واقيموا الصلوة وآتوا
الزكوة اي وسائر العبادات خصتا لانهما من امهات الطاعات فلما كتب عليهم
القتال اذا فريق منهم من المنافقين او من الضعفاء في اليقين يخشون الناس
اي المشركين ان يقتلوهم كخشية الله اي كما يخشون ان ينزل عليهم بأسه فيهلكهم
او اشد خشية معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد منه
على الفرض او بناء على زعمهم وقيل او بمعنى بل مبالغة في تزييف امرهم وقالوا ربنا
لم كتبت علينا القتال في هذا الحال لولا اخرتنا الى اجل قريب وهو استزادة
في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت وصرف المال وافاد الاستاد انهم
استثقلوا امره واستعجلوا لطفه والعبودية ترك الاستثقال ونفي الاستعجال
والتباعد عن التبرم في الانتقال من الحال الى الحال قل متاع الدنيا قليل يسير المنال
سريع الزوال والآخرة خير لمن اتقى اي خاف المولى في جميع الاحوال ولا تظلمون
فتيلا اي ولا تنقصون ادنى شيء من جزاء الاعمال وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بصيغة
الغيبة وفيه تغليبا على كل قراءة قال محمد بن الفضل متاع الدنيا قليل واقل منه من
يطلبها ويفرح بها والآخرة خير لمن اتقى الدنيا واهلها والركون اليها وقال الاستاد
ملكت من الدنيا ثم قال لنبيه النبيه الجليل قل متاع الدنيا قليل فلم يعدها شيئا لك ثم
لو تصدقت منها بشق تمرة لتخلصت من النار وحظيت بالجنة وهذا غاية الكرم والاستقلال

الكثير من نفسك لاجل حبيبك اقوى امارات محبتك ويقال لما زهدهم في الدنيا
قللها في اعينهم ليهون تركها ويقال كل متاع الدنيا بجملته قليل والذي هو نصيبك منها
اقل من القليل لو سلم عهدك من التبديل واذا كانت قيمة الدنيا قليلة فاخس من الخسيس
من رضي بالخسيس به لاعن النفيس وقد اختدع المؤمن من الكون بالتدريج فقال
او لا قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فاختطفهم عن الدنيا بالعقبى
ثم سلبهم عن الكونين بقوله والله خير وابقى اينما تكونوا يدرككم الموت بلا تصور
الفوت ولو كنتم في بروج مشيدة اي قصور مرتفعة او حصون مجصصة وفي
نفائس العرائس ان ظاهره تخويف للمخالفين وباطنه ترجية للمشتاقين اي
لا تحزنوا ايها المشتاقون الى لقائي فاني اتيكم باحسن ما تظنون بي فاريحكم
من سجن الدنيا واوصلكم الى مجلس وصلي في العقبى اين ما كنتم انا معكم فاذا حان
وقت القربة استلبكم من ايدي المنية واوصلكم حركاج ارواحكم بمشاهدتي كحجر المغناطيس
حيث بظهوره يجذب الحديد اليه شعر وبشر احبابي ان الموت راحتهم
والموت وصلتهم والموت تقريب وان تصبهم اي الكفرة حسنة اي نعمة كخصب
وسعة يقولوا هذه من عند الله اي بلا شبهة وان تصبهم سيئة كقحط وبلية يقولوا
هذه من عندك اي اضافوها اليك على وجه السببية وقالوا ما هي الا بشومك كما قلت
اليهود منذ محمد دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها كما قال قوم لنبيهم كما اخبره
سبحانه عنهم بقوله قالوا اطيرنا بك وبمن معك ولا يبعد ان يكون الآية نظير قوله
سبحانه ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة
انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة قل كل من الحسنة والسيئة من عند الله
حاصلة وواصلة يبسط ويقبض على وفق الارادة والمشية وافاد الاستاد ان الموت
فرح للمؤمن فالخبر عن قربه بشارة له لانه سبب يوصل الى الحق ومن احب لقاء الله احب الله
لقاءه ويقال اذا كان الموت لا بد منه فالاستسلام لحكمه طوعا خير لك من ان تحمل
كرها ثم اخبر انهم لضعف بصائرهم ومرض عقايدهم اذا اصابتهم حسنة فرحوا بها
واظهروا الشكر لها وان اصابتهم سيئة لم يهتدوا الى خالقها فتحرك فيهم العرق المجوسي
فاضافوه الى المخلوق فرد الله عليهم بقوله قل يا محمد كل من عند الله خلقا وابداعا وانشاء
واختراعا وتقديرا وتيسيرا فمال هؤلاء القوم الغافلين كانهم في النوم لا يكادون يفقهون
حديثا ولا يتنبهون عن نوم غفلتهم حتى فيتعظون بما يوعظون به من كتاب الله
وكلام رسوله فانهم لو فهموا مبانيه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل منه بل تيقنوا ان
غيره ليس في الوجود كما هو عند نظر ارباب الشهود ما اصابك ايها المخاطب المعاتب
في كل قضية من حسنة اي نعمة ومنحة فمن الله اذ لا منعم سواه وما اصابك من سيئة
اي محنة وبلية فمن نفسك الدنية لانها التسبب فيها باستجلاب الاعمال الردية وهو

لابيان قوله

لابيان في قوله قل كل من عند الله فان الكل ايجادا وايصالا غير ان الحسنة وقعت امتنانا
واحسانا وافضالا والسيئة حصلت مجازاة لما كسبت عمالا فالآية نظير قوله تعالى
وما رميت خلقا اذ رميت كسبا ولكن الله رمى ايجادا وامدادا وهو في الحقيقة مقام
الجمع المنتهى اليه حال اهل الطريقة وافاد الاستاد ان ما اصابك من حسنة فمن الله
فضلا وما اصابك من سيئة فمن نفسك كسبا وكلاهما من الله سبحانه خلقا وفي قراءة
شاذة عن ابن عباس بعد قوله فمن نفسك وانا كتبتها عليك وارسلناك للناس
رسولا يوجب لهم الينا وصولا وكفى بالله شهيدا اي شاهدا ومشهودا وخالقا
ومعبودا من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه مبلغ عن مولاه ولا يأمرهم الا بما يرضاه
وافاد الاستاد ان هذه الآية تشير الى الجمع الاتم لحال الرسول عليه السلام فقال طاعته طاعتنا
فمن تقرب منه تقرب الينا ومقبوله مقبولنا ومردوده مردودنا ومن تولى عن طاعته
واعرض عن محبته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم احوالهم
انما عليك البلاغ في كل باب وعلينا الحساب بالثواب والعقاب ويقولون
اي المنافقون وهم انما يقولون المراءاة اذا امرتهم بامر وبادر اليه المؤمنون طاعة اي امرنا
وشاننا طاعة وهذا حالهم في صحبتك فاذا برزوا من عندك اي خرجوا من خدمتك
بيت طائفة منهم غير الذي تقول زورت خلاف ما قلت لهما من امر الوصول العكس
ما قالت لك من القبول قال الاستاد يعني اذا حضروك استسلموا في مشاهدتك
فاذا خرجوا انقطع عنهم نور اقبالك فعادوا الى ظلمات نفاقهم كما قالوا اذا ارعوى
عاد الى جهله كذا الصبي عاد الى نكسه تمامه والشيخ لا يترك اخلاقه وان توارى في ثرى
رمسه والله يكتب ما يبيتون اي يثبت ما يزورون من الوبل وما يصورون في الليل
فاعرض عنهم بالتجافي منهم وقلة المبالاة بهم وتوكل على الله في الامور كلها لاسيما
في امرهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه ومعتمدا عليه افلا يتدبرون القرآن اي الا
يتأملون في مبانيه ولا يتفكرون في معانيه ولا يتبصرون ما فيه ليعلموا حال موافقيه
ومخالفيه وانه ليس فيه شيء يعارضه وينافيه ولو كان من عند غير الله تعالى عما يقولون
علوا كبيرا لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تفاوت المبنى وتناقض المعنى لنقصان
القوة البشرية وكمال القدرة الالهية ومن دقائق الحقائق انه سبحانه جزاك على
تلاوته ولولا ذاك لكلت الانفس عن قراءته وافاد الاستاد ان التدبر اثارة
المباني بغوص الافكار واستخراج المعاني بدقائق الاستنباط لاظهار الاسرار
واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اي ما يوجب احدهما بسببه اذاعوا به افشوه
واخبروا به وقد قيل من اطلعوه على سر اذاع به لم يطلعوه على الاسرار ما عاشوا وافاد
الاستاد انهم لما كانوا غافلين عن الحق لم يكن لهم يبثوا اليه اسرارهم
فاظهر الستر بعضهم لبعض فاما المؤمنون فعالم اسرارهم مولاهم وما يسنح لهم

خاطبوه فيه فلم يحتاجوا الى اذاعة السر لمخلوق فسلم نجاهم الله وعالم خطابهم الله
ولو ردوه اى ذلك الخبر قبل اظهار الامر الى الرسول اى اذا كان فيهم والى اولى الامر
منهم اى ذوى الرأى من علمائهم او امرائهم لعلمه اى وجه اظهاره او اسراره الذين
يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره لهم قال الواسطى لو اخذوا طريق السنة وسبيل
اكابر الائمة فى اراداتهم الخفية لاوصلهم ذلك الى المقامات الجلية والحالات العلية
من منازل الايمان ومراتب الايقان التى هى محل الاستنباطات وطرق المكاشفات
وقال الحسن استنباط القران على قدر تقوى العبد فى ظاهره وباطنه ولولا فضل الله
عليكم ورحمته بانزال الكتاب وارسال الرسول ليهتدى به امته لاتبعتم الشيطان
بانواع الضلالة الا قليلا من الازمنة النادرة او قليلا منكم ممن تفضل الله عليه
وهداه اليه من غير كتاب ورسول وتبيان بل بعقل اهتدى به الى صوب الصواب
وطريق الاحسان وعصمه من متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن
نوفل وغيرهما من ارباب هذا الشان وافاد الاستاد انهم لو نبذوا اسرارهم عند من هو
محرم باخبارهم ومن هو من اهل القصة وتشريك هذه القصة لازالوا عنهم الاشكال وادواهم
بنور الهداية والارشاد عن الوقوع فى الغواية والضلال ولو فضل الله مع اوليائه لهاموا
فى كل واد من التفرقة كاشكالهم فى الوقت فقاتل فى سبيل الله اى انت وحدك ولو
لم يقاتل احد معك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك اذ ترك غيرك لا يضرك وقال
الاستاد استقم معنا بتسليم الكل منك الى امرنا فانك كما لا يقارنك احد فى رتبتك
لعلوك على الكل فى مرتبتك لا يكلف غيرك بمثل ما تكلف ولا يحمل غيرك ما تحمل لانفرادك
عن اشكالك فى قدرك وحرض المؤمنين على القتال فان حثك يبعثهم على حمل الكمال
عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا اى كن على رجاء ان يمنع الله سبحانه شدة
المخالفين على الموافقين باصلاح الحال والله اشد بأسا اظهر صولة وشدة
وقوة وقدرة واشد تنكيلا اكثر عقوبة ونقمة من يشفع شفاعة حسنة اى مقبولة
فى الشريعة يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة وجزاء الدلالة على الخير والطاعة
ومن يشفع شفاعة سيئة اى مردودة فى الكتاب والسنة يكن له كفل منها نصيب
من وزرها مساو لها فى قدرها وكان الله على كل شىء مقيتا مقتدرا من اقات اذا قدر
فهو من القوة او حافظا ورازقا واشتقاقه من القوت فانه يقوى البدن ويحفظه
من ضعف البنية واذا حييتم بتحية اى من انواع تحية السلام عند ملاقاة الكرام
فحيوا باحسن منها اى اجيبوا الجواب احسن او ردوها بالجواب المستحسن فالجواب
من فروض الكفاية عند وجود الجماعة وقيل المراد بالتحية العطية واوجب المثوبة
او رد الهدية وعن على كرم الله وجهه سلم على اهل الدنيا بترك السلام عليهم وعدم
الاقبال والتوجه اليهم ولعل مقصوده مقام الفناء بالاستغراق فى بحر البقاء

لمشاهدة اللقاء وافاد الاستاد ان الآية تعليم لهم فى حسن العشرة وآداب الصحبة وان
من حياك فضلا صار ذلك فى ذمته له قرضا فان زدت على فعله والا فلا تنقص عن
مثله ان الله كان على كل شىء حسيبا اى محاسبا على التحية والهدية والعطية وغيرها من الامور
الحسية والمعنوية ومجازيا على وفق ما صدر عن صاحبها من تصحيح النية الله لا اله الا هو
مبتدأ وخبر قال الاستاد هذا الخطاب يتضمن نفيا واثباتا فالنفى يعود الى الاغيار ويستحيل
لغيره ما نفاه والاثبات له بالالهية ويستحيل له النفى فيما اثبته ليجمعنكم فى قبوركم الى يوم القيمة
يوم يقوم الناس لرب العالمين فى المحاسبة لا ريب فيه اى فى ذلك الجمع ولا فى ذلك
الجمع ومن اصدق من الله حديثا اى وعدا ووعيدا فما لكم ايها المؤمنون صرتم متفرقين
فى المنافقين اى فى شأنهم فئتين جماعتين متفرقتين فى انهم هل داخلون
معكم فى ايمانكم ام خارجون عن حقيقة ايمانكم والله اركسهم ردهم الى حكم الكفرة من
ضلالتهم وطغيانهم بما كسبوا من نفاقهم وعصيانهم اتريدون ايها المؤمنون ان تهدوا
من اضل الله وتجعلوه من المهتدين الى سبيل مولاه ومن يضلل الله بمتابعة هواه فلن تجد له
سبيلا الى هداه لعدم تخلف ارادة الله وافاد الاستاد انهم افردوا العقد فيهم انهم
اعدائى لا ينالون منى فى الدنيا والعقبى رضائى وانكم لا تنقذون بهم ملم من اهانته واخزائه
بقسمتى فان المدار على القسم دون الهم قلت نعم الهم اذا طابقت القسم ثم
النعم وان كان الهم ايضا من القسم ودوا اى تمنى المنافقون لو تكفرون ايها المؤمنون
كما كفروا اى ككفرهم فى سرهم فتكونون اى انتم وهم سواء مستوين معهم فى غيهم
فلا تتخذوا منهم اولياء ولا تعتمدوا عليهم فى امر دينهم لانهم اعداء حتى يهاجروا فى
سبيل الله بمتاركة افعال الكفرة ومفارقة بلدان الفجرة فان تولوا اعرضوا عن المهاجرة
المعتبرة فخذوهم بالقهر واقتلوهم بالنحر حيث وجدتموهم من البر والبحر ولا تتخذوا
منهم وليا فى جلب النفع ولا نصيرا فى امر الدفع وافاد الاستاد ان الآية فيها الاشارة
الى ارباب التخبيط والاحوال السقيمة يتمنون ان يكون الصديقون منهم وهيهات
ان يكون لما هم تحقق وما دام المخالفون لكم غير موافقين فباينوهم وخالفوهم
ولا تنطابقوهم ولا تعاشروهم الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
اى يتصلون الى قوم فى معاهدتكم بان دخلوا فى مصالحتكم وفارقوا المحاربتكم او جاؤكم
اى او الذين اتوكم كافين عن قتالكم ممتنعين عن قتال قومهم حصرت صدورهم
ضاقت قلوبهم وحارت عليهم امورهم كراهة ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم
فانهم حينئذ لاضطرارهم وترك اختيارهم يستحقون الشفقة عليهم والمرحمة اليهم
شكر النعمة الغلبة منكم لديهم بمشيئة الله تعالى ضعفهم وعجزهم فيكم ولو شاء الله
لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وزال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم ولم يبالوا بكم
وافاد الاستاد ان الاشارة من هذه الآية ان عند الاعذار اذن فى معاشرة

الاغيار بحسب الظاهر لا على وجه الاسرار رفقا بالمستضعفين لنصيب الغير
اى ليحصل له الخير فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام
والانقياد لديكم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بالاذن لكم فى اخذهم وقتلهم دليلا
وافاد الاستاذ ان الاشارة منه الى انه اذا عاشركم من ليس من اهل القصة
متعرجين فى اوطان نصيبهم فلا تدعوهم الى طريقتكم وسلموا لهم احوالهم فان
امثلكم ان تلاحظوهم بعين الرحمة بحيث يعز فيه همتكم والا فسلموا لهم احوالهم ستجدون آخرين يريدون
ان يامنوكم ويامنوا قومهم اى بالمكر والحيلة كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر والقتال
اركسوا فيها رجعوا اليها اقبح رجعة واشنعها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم
ولم ينبذوا اليكم العهد ولم يصالحوكم ويكفوا ايديهم ولم يمتنعوا عن قتالكم
فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى وجدتموهم وتمكنتم منهم واولئكم جعلنا لكم
عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة فى التعرض لهم بالقتل لظهور عذرهم ووضوح كفرهم
والمعنى جعلنا لكم عليهم سبيلا حيث بينا لكم دليلا وافاد الاستاذ ان من رام
الجمع بين الضدين خاب سعيه ولم يرتفع غرضه فكما لا يكون شخص واحد منافقا
مسلما لا يكون شخص واحد مريد الحق مقيما على احكام العادة فان الارادة والعادة
ضدان فالواجب مباينة الاضداد ومجانبة الاجانب فى طريق الرشاد قلت
ومن كلام السادة الارادة ترك العادة ولعل معناه ان عادة النفس الغفلة فالارادة
احضارها الى الحضرة ومن عادتها تعلقها بالخلق وهو اضر عليها من تشتتها
بالخلق فالارادة تعليقها بمتعلقات الحق ومقامات الصدق ومن عادتها
متابعة الهوى فارادتها موافقة الهدى ومن عادتها السمعة والرياء فارادتها
تصحيح النية وابتغاء الرضاء ومن عادتها ارادتها بقاءها فالارادة ارادتها
فناءها فان فى موتها حياتها وحصول لقائها وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا
الا خطأ اى ما صح لمؤمن كامل ان يقتل مؤمنا بغير حق فى حال من الاحوال
الا حال الخطأ وهو ما لا يصاحبه القصد الى الفعل او الشخص او لا يقصد به
زهوق الروح غالبا والاظهر ان الاستثناء منقطع لئلا يوجب اذن الشرع
بالقتل الخطأ لان جهة اللائمة ثابتة فيه بناء على ترك التروى ولهذا تجب فيه الكفارة
اذ لو كان مباحا محضا لما وجب الكفارة ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير
رقبة مؤمنة اى فعليه اعتاق نسمة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة فكانه
احياء مؤمن بدل من افناء مؤمن ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته جبرا
لكسر خواطرهم يقتسمونها كسائر المواريث خلافا لمالك فى الزوجين وهى على
العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففى ماله ودية المرأة نصف دية
الرجل واذا بلغ قيمة العبد المقتول خطأ عشرة آلاف درهم مثلا فانه ينقص عن قيمته

عشرة دراهم

عشرة دراهم الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية بان يعفوا عنها فقد ورد
كل معروف صدقة وافاد الاستاذ انه سبحانه خفف امر الخطاء على فاعله حتى
حمل موجب قتل الخطاء على العاقلة والخواص عاقلة المستضعفين من الامة
واهل المعرفة عاقلة المريدين والشيوخ عاقلة الفقراء فسبيلهم ان يحملوا اثقال
المستضعفين فيما ينوبهم فان كان اى المؤمن المقتول من قوم عدو لكم
كفار محاربين او فى تضاعيفهم ولم يعلم القاتل ايمانه فتحرير رقبة مؤمنة اى فعلى
قاتله الكفارة دون الدية للورثة اذ لا وراثة بينه وبينهم بالكلية وان كان من قوم
بينكم وبينهم ميثاق اى من جماعة كفرة معاهدين او اهل الذمة فدية مسلمة الى اهله وتحرير
رقبة مؤمنة ولعل تقديم الجملة الاولى هنا للمبالغة فيما يتعلق بحقوق اهل العهود
والذمة فحكمه حكم المسلمين فى وجوب الكفارة والدية فمن لم يجد رقبة لا عينها ولا ثمنها
فصيام شهرين فعليه صيام شهرين متتابعين متواليين توبة اى توبة كائنة
من الله وكان الله عليما بحال العباد حكيما فيما دبر واراد ومن يقتل مؤمنا متعمدا
حال من ضمير يقتل فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا
عظيما فيه غاية المبالغة فى التهديد ونهاية التشديد الاكيد واستدل بظاهره
المعتزلة ان صاحب الكبيرة مخلد فى العقوبة وعند اهل السنة والجماعة مخصوص بالمستحل
له ويؤيده سبب ورود الآية وان لم يظهر بين العمد والخطأ حسن مناسبة المقابلة
وقال بعضهم المراد بالخلود المكث الطويل كما هو اصل اللغة فان الدلائل على ان عصاة
المسلمين لا يدوم عذابهم متظاهرة الا انه لابد من قيد ان شاء الله جزاءه لقوله
سبحانه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولو بغير توبة
من بعض عباده وقال الاستاذ كما يحرم قتل غيرك عليك يحرم قتل نفسك عليك
ومن اتبع هواه سعى فى دم نفسه ومن لم يصحح مريد الحسن موعظته ولم يعنه بهمته
فقد سعى فى دمه فهو ماخوذ بحاله وحقيق ان يكون عقوبته الابدية ان لا يستمتع بما ضن به
على المريدين من احواله ولقد قال يا داود اذا رأيت لى طالبا فكن له جسرا قلت هو
ابلغ من رواية فكن له خادما يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله سافرتم وذهبتم
الى الغزو والذى هو طريق رضاه فتبينوا من البيان وقرأ حمزة والكسائى فتثبتوا
من الثبات اى فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه بتحقيق مقدماته ولا تقولوا
لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم
بفتحتين اى اظهر الانقياد والاستسلام باظهار كلمة الاسلام وهى قول لا اله الا الله
محمد رسول الله عند العلماء الاعلام لست مؤمنا اى باطنا وانما فعلت ذلك
للتعوذ ظاهرا تبتغون عرض الحيوة الدنيا حال كونكم طالبين لماله الذى هو حطام
سريع النفاد فى مآله وفيه اشعار بان هذا الحال هو الحامل لهم على ترك التثبت

وتحقق الاستعجال ولا يبعد ان تكون الهمزة الانكارية في الجملة مقدرة ويلايمه قوله سبحانه
فعند الله مغانم كثيرة يغنيكم عن قتل امثاله طمعا لما عنده من امواله كذلك كنتم من قبل
اى اول ما دخلتم فى هذه السعادة حيث تفوهتم بكلمتى الشهادة حصنتم بها دماءكم واموالكم
من غير ان يعلم احد احوالكم فمن الله عليكم بالاشتهار فى ايمانكم والاستوار فى ايقانكم
والاستقامة فى مراتب احسانكم فتبينوا فافعلوا بالداخلين فى الاسلام من الاحكام
ما فعل الله بكم فى اوائل الايام ولا تبادروا الى قتل احد ظنا انه دخل فيه خوفا او تقاء او سمعة
ورياء فان ابقاء الف كافر اهون من افناء مسلم واحد عنده سبحانه وكرر قوله فتبينوا
لتأكيد الحكم وتعظيم الامر وترتيبه على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيرا
عالما باعمالكم وبصيرا باعمالكم فاحذروه فانه لا يخفى عليه شئ من احوالكم روى ان سرية
رسول الله عليه السلام غزت اهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل
الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد خوفا ان يكونوا من غير اصحاب النبى عليه السلام فلما
تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة
واستاق غنمه فنزلت وروى عن اسامة انه قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا
من السلاح قال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم اقالها ام لا وفيه دليل على ان المجتهد
قد يخطئ وان خطاءه مغتفر لما ورد من ان اسامة قال يا رسول الله استغفر لى
فقال فكيف بلا اله الا الله فقالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات ثم
استغفر له وقال له اعتق رقبة وقال الاستاذ عاشروا الناس على ما يظهرون من
احوالهم ولا تتفرسوا فيهم ببطلان اعمالهم فان متولى الاسرار هو الله
العزيز الغفار هذا اذا كان غرض فاسد يحملكم عليه من احكام النفس فاما من كان نظره
بالله ولم يستتر عليه شئ فليحفظ ستر الله فيما لو كشف به ولا يظهرن لصاحبه ما اراه الله
فيه انتهى ولا يخفى انه ليس لارباب الكشف ان يعملوا بموجبه اذا كان على خلاف ظاهر
الشريعة الغراء واما قضية الخضر فمحمولة على انه من جملة الانبياء لا يستوى القاعدون اى
عن القتال من المؤمنين فى موضع الحال غير اولى الضرر بالرفع بدل من القاعدون او
صفة له وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالنصب على الحال او الاستثناء والمجاهدون
فى سبيل الله باموالهم وانفسهم لا مساواة بين من قعد عن الجهاد وبين من قام بامره
من العباد والمراد الحث على المجاهدة رغبة المرتبة والانفة عن حط المنزلة فضل الله المجاهدين باموالهم
وانفسهم على القاعدين درجة اى بدرجة عظيمة تندرج تحت درجات وسيعة وكلا من
القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى الثناء الجميل والجزاء الجميل بحسن عقيدتهم وخلوص
طويتهم وتحسين نيتهم وانما التفاوت فى زيادة الدرجات المترتبة على زيادة الحسنات
وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما ومقاما كريما درجات منه ومغفرة ورحمة
بدل تفصيل عن اجرا باعتبار كل واحدة وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما بما وعد لهم

وقيل فضل الله المجاهدين اى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر على القاعدين
اى التاركين اجرا عظيما كذا فى حقايق السلمى ولا يبعد ان يقال فضل الله المجاهدين
فى طلب العلم وتحصيل المعرفة على القاعدين اجرا عظيما كما قيل • دع المكارم
لا ترحل لبغيتها • واقعد فانك انت الطاعم الكاسى • والحاصل ان حكم الجهاد الاكبر
والاصغر سواء فى عدم تسوية من قام به ومن قعد عنه فلا بد من العمل الا انه لا يعلق بالامل
ان الذين توفيهم الملائكة يحتمل الماضى والمضارع ويؤيد الاخير قراءة البزى بتشديد
التاء وصلا ظالمى انفسهم فى حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة ومساكنة الكفرة
فانها نزلت فى ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة
او ركنا فى اول الوهلة قالوا اى الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم فى اى شئ كنتم
من امر دينكم حيث ما هاجرتم وما اظهرتم اسلامكم قالوا كنا مستضعفين فى
الارض بعدم القدرة على الهجرة واظهار الملة واعلاء الكلمة قالوا اى الملائكة
تكذيبا لهم او تبكيتا بهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اى الى محل آخر
تأمنون بها كما خرج المهاجرون من مكة الى الحبشة والمدينة فاولئك مأويهم جهنم
لتركهم واجب الهجرة وتكثيرهم سواد الكفرة وساءت مصيرا اى مصيرهم
الى العقوبة ومرجعهم الى الحرقة والفرقة قال عبد الله بن المبارك المقام
فى عرصات الشرك والعصيان من اوائل الخذلان وقد امر الله بالفرار منها بقوله
الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقال ابو عثمان ارض الفتنة لا تنبت فيها
الا الفتنة وارض الرحمة تصيب الانسان رحمة ولو بعد حين كذا فى دقايق الحقايق
وافاد الاستاذ ان الاشارة منه الى من ادركه الاجل وهو فى اسر نفسه وفى رق شهوته
ليس له عذر حيث لم يهاجر الى ظل قربته وعزته ليتخلص من هوان نفسه وذلته اذ لا حجاب
بينك وبين هذا الحديث الا هواك انتهى والمعنى هواك يمنعك عن هداك ومولاك
يغنيك عن سواك وهذا معنى ما قال بعض اهل الحال دع نفسك تعال الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان اى المماليك او الصبيان ففيه مبالغة فى امر الهجرة
لا يستطيعون حيلة من وجدان اسباب الهجرة من المال والقوة ولا يهتدون
سبيلا اى لا يعرفون الطريق ولا يجدون دليلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم
يتوقع من فضله ان يتجاوز فى التقصير منهم وكان الله عفوا يمحو العيوب
غفورا يستر الذنوب ومن يهاجر فى سبيل الله ابتغاء لمرضاه مولاه يجد
فى الارض مراغما يصادف فيها متحولا وطريقا يسيرا ومنزلا كثيرا وسعة
فى الرزق واظهار الديانة ومخلصا من الضلالة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
ورسوله ثم يدركه الموت فى سبيله فقد وقع اجره على الله بسبب على مقتضى
فضله وكان الله غفورا لما سلف عنه رحيما بما خلف عنه وافاد الاستاد

من هاجر فی الله عما سوی الله وجد فسحة فی ساحة القرب ووسعة فی کنف الحب
والمهاجر فی الحقیقة من هاجر نفسه وهواه واتبع سبیل مولاه فیما هداه ومن قصده
ثم ادرکه الاجل قبل وصوله فلا ینزل الا بعقوة وصله ولا یکون محط روحه الا اوطان
قربه ومن نفایس العرائس ای من هجر من اوطان نفسه الی فضاء ولایة التفرید
واتلف مهجته فی طریق محبة الله وسبیل التوحید ولم یبق له مسکن یسکن قلبه فیه
من العرش الی الثری یجد فی الارض المشرقة بنور وجه الله سبحانه مواطن الانس
ومساکن القدس وسعة انوار قربة وسناء اسرار وصلته ویستغنی عن کل موطن
ومرقد ومسکن ومقعد وعن کل ما لوف سوی الاحد فی ارض القدم وفضاء الازل
للعارفین المهاجرین منهم الیه مراغم وطامات الصفات ومشارب سواقی
الجلال والجمال فی بحار الذات وایضا لمن هاجر معه فی سبیل الله وصار غریبا
فی بلاد الله مستوحشا عما دون الله یجد فی اکناف اطراف الارض مراغم صحبة اولیاء
التی هناک سعة انوار مشاهدة الله وسعة کنوز ازل الآزال ومشاهدة ابد الآباد
ومن یخرج من طبیعته وهوی نفسه وحوله وقوته واشارته وعبارته وعلمه ورسمه
الی الله فی طلب مشاهدته والی الرسول فی متابعته بنعت المحبة ویدرکه الموت فی تعب
السیر بعد الامتحان والمحنة ویقع فی منزلة الغیرة بعد المجاهدة فقد وقع له اجر الوصلة
لان الله تعالی یجازیه لصدقه بقدم الاول قبل ان یهاجر عما دون الله تعالی وقبل ان
یخرج عن جمیع مراداته متبعا لامر الله ومستغنیا ما یواصله الی مرضاة مولاه واذا
ضربتم فی الارض سافرتم بالسفر فیها فلیس علیکم جناح ان تقصروا من الصلوة
ای التی اطولها وهی الرباعیة فمن تبعیضیة واللام عهدیة ونفی الجناح للتسلیة
لان القصر مظنة المنقصة ونظیره قوله علیه السلام شهرا عید لا ینقصان ان خفتم
ان یفتنکم الذین کفروا شریطة باعتبار الغالب فان اکثر اسفارهم فی مبدا الاسلام
کان مخوفا ولذا علیه السلام قصر فی سفره حال الامن وقد قال علیه السلام لما سأله
عمر رضی الله عنه عن القصر صدقة تصدق الله بها علیکم فاقبلوا صدقته رواه مسلم ولذا
قال ابو حنیفة القصر واجب وقال غیره رخصة ان الکافرین کانوا لکم عدوا مبینا
ولعل وجه ابقاء بعض الافعال مع ارتفاع اسبابها بالاجماع کقصر الصلوة والرمل
والاضطباع تنبیها للمتأخرین اللاحقین من الامة علی ما قاسه الائمة السابقون
من المحنة والمشقة ففیه حفظ سنة الوفاء وتحقیق معنی الولاء واذا کنت فیهم
اماما فاقمت لهم الصلوة ای امرتهم باقامتها تماما فلتقم طائفة منهم معک
ای فاجعلهم طائفتین لادراک فضیلة الجماعة خلفک فلتقم طائفة منهم معک
یصلون وتقوم الطائفة الاخری تجاه العدو یحرسون ولیأخذوا اسلحتهم ای
المصلون او الباقون او کلهم اجمعون فاذا سجدوا یعنی المصلین فلیکونوا ای

غیر المصلین من ورائکم ای خلفکم او قدامکم یحرسونکم والخطاب له ولمن یصلی معه
تغلیبا لشرفه ولتأت طائفة اخری لم یصلوا لاشتغالهم بالحراسة فلیصلوا معک
ولیأخذوا ای الذین اتوا ثانیا للصلوة حذرهم وهو ما یتحصن به الغزاة کالدرع والجنة
واسلحتهم کالسیف وسائر العدة والامر بالاخذ عند الجمهور سنة مؤکدة وتفصیل
صلوة الخوف محله کتب الفقه علی اختلاف الائمة فی الکیفیة وفیه اشارة الی ان العبودیة
لا ترتفع عن کل افراد البشریة لا فی الخوف ولا فی الامنیة ولا حال وصف التفرقة
ولا عند سلطان استیلاء الحقیقة ولو کان زمن الجمعیة فان الصلوة معراج للمؤمن
الی مقام القربة وحضور الحضرة ود الذین کفروا لو تغفلون عن اسلحتکم وامتعتکم ای
بترک تعلقکم باسباب التوکل وتهیئة العدة مع قوله تعالی واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة فیمیلون علیکم میلة واحدة والمعنی انهم تمنوا ان ینالوا منکم فی حال صلوتکم
غرة فیشدون علیکم شدة وحملة ولا جناح علیکم ان کان بکم اذی من مطر او کنتم
مرضی ان تضعوا اسلحتکم وخذوا حذرکم ای علی عذر اسقطنا عنکم ان الله اعد للکافرین
عذابا مهینا وعید متضمن للوعد بان یکون للمؤمنین فتحا مبینا فاذا قضیتم الصلوة ای
اتممتم صلوة الخوف وفرغتم عنها فاذکروا الله قیاما وقعودا وعلی جنوبکم فدوموا علی الذکر
فی جمیع احوالکم فاذا اطمأننتم برجوعکم الی وطنکم او بسکون قلوبهم عن رعبکم فاقیموا
الصلوة ای بالطریقة المعهودة ان الصلوة کانت علی المؤمنین کتابا موقوتا
مفروضا محدود الاوقات لا یجوز اخراجها عن اوقاتها فی جمیع الحالات ولا تهنوا
فی ابتغاء القوم ای لا تضعفوا ولا تجتنبوا فی طلب قتال الذین یکفرون ان تکونوا
تألمون فانهم یألمون کما تألمون وترجون من الله ما لا یرجون والآیة نزلت فی بدر الصغری
امتحانا للمؤمنین الذین یقاتلون وکان الله علیما لیس شیء علیه یخفی حکیما فیما یأمر
وینهی انا انزلنا الیک الکتاب بالحق لتحکم بین الناس بالصدق بما اراک الله
بسبب ما عرفک واوحی به الیک ولا تکن للخائنین خصیما ای لاجلهم ولذب عنهم
خصیما مجادلا للبراء من غیرهم واستغفر الله ای لتقصیرهم ان الله کان غفورا
لمن یستغفره رحیما بمن تشفع له وقیل واستغفر الله مما هممت به لما روی انها نزلت
فی طعمة بن ابیرق من بنی ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان فی جراب دقیق
فجعل الدقیق ینتثر من خرق فیه وخباها عند زید بن السمین الیهودی فالتمست
الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وماله علم بها فترکوه واتبعوا اثر الدقیق
حتی انتهی الی منزل الیهودی فاخذوه فقال دفعها الی طعمة وشهد له ناس
من الیهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الی رسول الله علیه السلام فسألوه ان
یجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلک وافتضح وبرئ الیهودی فهم رسول الله
علیه السلام ان یفعل فنزلت ولعل هذا الهم من الخواطر البشریة والعوارض النفسیة التی

لاتخلو عنها الا نفس القدسية من غير استقرار فى الموطن القلبية فانهم فى اعلى مراتب
الجمعية قال ابن عطا لتحكم فانك ترى بنا وتنطق عنا وانت بمرأى منا ومسمع فى حضرتنا
وقال الاستاد لا تفاصل عن ارباب الحظوظ وكن مع ابناء الحقوق ومن جنح الى الهوى
خان فيما اودع نفسه من التقوى ومن ركن الى نوازع المنى خان فيما طولب به من الحياء لاطلاع
المولى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اى يخونونها بالمعصية وكسب الخطيئة فان
وبال خيانتها راجع اليها فى عقوبتها ان الله لا يحب من كان خوانا ذا خيانة اثيما
ذا اثم وسيئة قيل خيانة النفس اتباع مرادها وترك نصيحتها وافاد الاستاد انهم
المؤثرون حظوظهم على حقوق موليهم والراضون بالتعريج فى اوطان هويهم دون النقلة
الى منازل رضاهم يستخفون من الناس يستترون حياء منهم وخوفا عنهم ولا يستخفون
من الله وهو احق بان يستحيى منه ويحذر عنه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم اذ يبيتون
يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول فيما يخاصمون من رمى البرى واليمين الكاذبة
وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا يحيط علمه بالكليات والجزئيات وافاد
الاستاد ان الغالب على قلوبهم رؤية الخلق ولا يشعرون ان للحق مطلع عليهم
وناظر اليهم اولئك الذين وسم الله قلوبهم بوسم الفرقة ليذوقوا فى الآخرة الم الحرقة
وفى دقائق الحقائق عن محمد بن الفضل من لم يكن ربه اعظم شئ فى قلبه كان جاهلا به ها انتم
هؤلاء مبتدا وخبر جادلتم عنهم خاصمتم عن طعمة وقومه فى الحيوة الدنيا جملة مبينة
لما قبله فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة اذا اخذهم بالعقوبة ام من يكون عليهم وكيلا
يدفع عنهم الفضيحة ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه اى لم يتعده
وخصه ثم يستغفر الله بالتوبة عن سوئه وظلمه يجد الله غفورا لذنبه رحيما بمحو عيبه
ومن يكسب اثما قاصرا او متعديا فانما يكسبه على نفسه لا يتعدى وباله الى غيره وكان الله
عليما بفعله حكيما فى جزائه ومن يكسب خطيئة صغيرة او اثما كبيرة ثم يرم به احدهما
بريئا عن فعله فقد احتمل تكلف فى حمله والكسب بجهله بهتانا افتراء ظاهرا واثما
مبينا ذنبا باهرا وافاد الاستاد من نسب الى البرى ما هو صفته من مجازية
عكس الله عليه الحال فيما نافيه والبس ذلك البرى ثوب محنته من راميه وسحب
ذيل العفو على مساويه وقلب الحال على المتعدى عن منواله بما يفضحه بين اشكاله
فى عامة احواله ولولا فضل الله عليك ورحمته باعطاء رسالته ونبوته وتثبيت حفظه
وعصمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك اى لاثر همهم فيك حين ارادوا ان
يخدعوك وما يضلون الا انفسهم فان وباله عليهم وما يضرونك من
شئ لعصمتك عن موافقة قصدهم وانزل الله عليك الكتاب والحكمة القرآن
والسنة بالوحى الجلى والخفى فى كل قضية وعلمك ما لم تكن تعلم قبل ذلك من خفيات
الامور لك ولغيرك وكان فضل الله عليك عظيما لانه اعظم مظهر الفضل والفضيلة

من افراد

من افراد المملكة من الانبياء والملائكة وافاد الاستاد انه سبحانه كما عصمه عن ترك
حقه عصمه بان كف عنه كيد خلقه والمحفوظ منا محروس عن غيرنا وان الله تعالى قد اختصك
بانزال الكتاب واستخلصك بوجوه الاختصاص والايجاب ولم يمن عليه بشئ
مثل ما من عليه بما خصه به من العلم ويحتمل انه اراد به علمه بالله وبجلاله وعلمه بالعبودية لنفسه
ومقدار حاله فى استحقاق عزه وجماله ويقال علمك ما لم تكن تعلم من آداب الخدمة اذ
لم يكن ملتبسا عليك معرفة الحقيقة ويقال اغناك عن تعليم غيرك حتى لا يكون لاحد نور
الا مقتبسا من نورك ومن لم يمش تحت رايتك لا يصل الى جميل برنا ولا يحظى بقربنا
ووصلنا وكان فضل الله عليك فى الآباد عظيما لانك كنت لنا بشرف العزة وكرم
الرتبة فى الازل معلوما ويقال وعلمك ما لم تكن تعلم من علو رتبتك على كافة ابناء
جنسك ويقال علمك ما لم تكن تعلم ان احدا لا يقدر قدرنا الا بمقدار موافقة لامرنا
لا خير فى كثير من نجويهم مصدر بمعنى الفاعل اى من متناجيهم الا من امر بصدقة فانه
الدال على الخير كفاعله او معروف كالقرض واغاثة الملهوف ونحوهما مما يستحسنه الشرع
ولا ينكره العرف من اهل سلامة الطبع او اصلاح بين الناس بتعهدهم وتفقدهم
ورفع النزاع عنهم وافاد الاستاد ان صدقتك على نفسك حملها على ما ينفعها ومنعها
عما يضرها واما صدقتك على الغير فصدقة بالمال من انفاق النعمة وصدقة بالبدن بالقيام
لهم بالخدمة وصدقة بالقلب بحسن النية وتوكيد الهمة ثم الصدقة على الفقراء ظاهرة والصدقة
على الاغنياء ان تجود عليهم بهم فتقطع رجاءك عنهم فلا تطمع منهم ومن المعروف اسعاد
المسلمين فيما لهم منه قربة الى الله وزلفى عنده واعلاء النواصى بالطاعة ومن تصدق
بنفسه على طاعة ربه وتصدق بقلبه على الرضاء بحكمه ولم يخرج بالانتقام لنفسه وحث
الخلق على ما فيه نجاتهم بالهداية ودلهم عليه وسؤاله واصلح بين الناس بصدقة فى حاله
فان لسان فعله ابلغ من بيان نطقه فهو الصديق فى وقته ومن لم يهذب نفسه لم يؤدب غيره
ومن يفعل ذلك ما ذكر من الامور الثلثة ابتغاء مرضات الله لا لسمعة ورياء ومتابعة
هواه فسوف نؤتيه نعطيه اجرا عظيما فى دنياه واخراه وقرأ ابو عمرو وحمزة بالياء
اى يؤتيه الله اذ لا معطى سواه ومن يشاقق الرسول يخالفه ولم يوافقه من بعد ما تبين
له الهدى اى غير سبيل الهدى عن طريق الهدى باتيان رسول المولى وكتابه الاعلى
ويتبع غير سبيل المؤمنين اى ما هم عليه من اعتقاد اليقين واعمال الصالحين نوله ما تولى
نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلى بينه وبين ما اختاره من تحمل وبال الانفعال
ونصله جهنم ندخله فى مكان الحرقة ومقام الفرقة ازل الآزال وساءت مصيرا اى مرجعا
من سوء المآل على ضد مالهم من الآمال ان الله لا يغفر ان يشرك به اى لمن لقيه مشركا
من غير توبة ويغفر ما دون ذلك اى من معصية لمن يشاء لمن تعلقت مشيته بمغفرته
ولو كان مصرا على سيئة وفيه الوعد والوعيد تكراره لدفع توهم النسخ او للتأكيد ومن يشرك

بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق والهداية فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها
عن صوب الصواب وطريق الاستقامة وافاد الاستاذ ان اثبات الغير في توهمهم
ذرة من الابداء عين الشرك وما دون الشرك فللعفو فيه مساغ ومن توسل اليه سبحانه
بما توهمه من نفسه فقد اشرك من حيث لم يعلم كلا بل هو الله الواحد وما احسن قول بعض
ارباب الاشارة اخذا من هذه العبارة كل ذنب لك مغفور سوى الاعراض عنا ان
يدعون من دونه ما يعبدون من دون الله الا اناثا من اللات والعزى ومنات والشمس
والقمر والكواكب وسائر الجمادات ونحوها من جميع الكائنات وافاد الاستاد انهم
اوقعوا على الجمادات التسمية وانخرطوا في سلك التوهم من عدم المعرفة وركنوا الى مغالط
الحسبان بالغفلة فضلوا عن الحقيقة وان يدعون ما يعبدون بعبادتها الا شيطانا
مريدا لانه الذي امرهم بها واما لهم اليها واغواهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادته والمريد
هو الخارج بالكلية عن الخير والحامل على الضلالة للغير لعنه الله ابعده عن رحمة مولاه وقال
اى الشيطان لاتخذن من عبادك بان اغويهم واضلهم نصيبا مفروضا مقدارا مقدرا
معينا معلوما وقال مقاتل بن حيان من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد
الى الجنة قال الواسطي ان كان اليك شئ من القدرة والقوة فاغوا احدا سوى ما جعل لك
من النصيب المفروض فمن ههنا يظهر عجزه ويتبين ضعفه وافاد الاستاذ ان ما ابليس
الا مقلب في القبضة على ما يريده المنشئ ولو كان به ذرة من الاثبات لكان به شركا
في الالهية وكلا انما يجرى الحق سبحانه على الخلق احوالا ويخلق عقيب وساوسه
للخلق ضلالا فهو الهادى والمضل وهو سبحانه المصرف للكل فيخلق تعالى في قلوبهم
عقيب وساوسه اليهم طول الامل ويحسن في اعينهم قبيح العمل ثم لا يجعل لاماني لهم تحقيقا
ولا يعقب لما املوه تصديقا فهو لكل موجد تلك الاثار جملة ويضيفها الى الشيطان
مرة والى الكافر مرة فهذا معنى قوله ولاضلنهم اى عن طريق الصواب وسبيل الثواب
ولامنينهم الامانى الباطلة بان لا بعث ولا عقاب ولا حشر ولا حساب وبامرهم
بالتسويف في التوبة والتاخير عن الطاعة وبتزيينهم طول الحيوة وادراك
الاخرة من غير العبادة وبدون ترك المعصية وامثال ذلك من انواع الوسوسة
ولآمرنهم بالامور التي بلا منفعة للانام او فيه الاثام فليبتكن اذان الانعام
يشقونها لتحريم ما احل الله من البحيرة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه
صورة او صفة ويندرج فيه ما يفسره به من فقوء عين الحامى والخصاء والوشم
والوشر واللواط والسحق واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمال
من الهدى ولا يوجب لها من الله الزلفى ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله
بايثار ما يدعوه اليه على ما دعاه اليه مولاه وبمجاوزته عن طاعة الله الى طاعة من سواه
فقد خسر خسرانا مبينا لانه ضيع رأس ماله وبدل حسن حاله بسوء ماله يعدهم ما لا يدركون

ويمنيهم

ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا ما يغتر به الغافل ويذهل عنه
العاقل باظهار الخير فيما فيه الشر لا غير وهذا الوعد اما للخواطر الفاسدة بالقائه واما
بلسان اوليائه وقيل يعدهم طول العمر والموت غايتهم ويمنيهم الغنى والفقر سبيلهم
وما يعدهم الشيطان الا غرورا الا ما يغرهم من الدنيا ويبعدهم من الاخرى اولئك ماويهم
مرجعهم ومسكنهم جهنم اى نارها وحرها وعارها ولا يجدون عنها محيصا معدلا ومهربا للخلاص
منها وافاد الاستاد ان الذين قسم لهم الضلالة في الحال حكم عليهم بالعقوبة في
المآل ولولا انه اظهر ما اظهر بقدرته والا متى كانت شظية من الضلالة والهداية
لاربابها والوقوف على صدق التوحيد عزيز وارباب التوحيد قليل كالابريز والذين آمنوا وعملوا الصالحات
سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا اى حال كونهم مقدرين الخلود فيها
سرمدا وعد الله حقا ثابتا وصدقا ومن اصدق من الله قيلا اى قولا وعدا كان او وعيدا
والمقصود من الآية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق
لاوليائه والمبالغة في توكيده مرغبة للعباد في تحصيله وابتغاء تاييده وقال الاستاد
اى الذين اسعدناهم حكما وقولا نجدناهم حتى اوجدناهم كرما وطولا ثم انا نحقق لهم
الموعود من الثواب بل نكرمهم به من حسن المآب ليس اى حصول الدين ووصول
اليقين او ما وعد الله من الثواب بامانيكم بمجرد تمنياتكم ايها المؤمنون من اهل
الخطاب ولا امانى اهل الكتاب بل لابد في الطاعة من الاكتساب وفي المعصية من
الاجتناب من يعمل سوءا صغيرا او كبيرا قليلا او كثيرا زمنا طويلا او يسيرا يجز به عاجلا
او آجلا وقد صح ان المصائب والامراض في الدنيا جزاء لما رواه الترمذى وابن جرير
وروى احمد وابن حبان انه لما نزل قال ابو بكر كيف الصلاح بعد هذه الآية يا رسول الله
فقال عليه السلام غفر الله لك يا ابا بكر الست تمرض الست يصيبك اللاواء اى الشدة
قال بلى يا رسول الله قال فهو ما تجزون به ولا يجد اى لا يصادف عامل السوء قبل جزائه
او العفو عن بلائه له اى لنفسه من دون الله من غيره وليا من يلي امره فيما ينفعه
ولا نصيرا من يلي نصره في دفع ما يضره وافاد الاستاذ ان من زرع الحنظل لم يجتن
الورد والعبهر ومن شار السم الزعاف لم يجد طعم العسل كذلك من ضيع حق الخدمة
لم يستمكن على بساط القربة ومن دنس بالشهوة لم يرزق الصفوة ومن نقض
القضية فلا ناصر له من البرية ومن يعمل من الصالحات بعضها او شيئا
منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها لقوله تعالى لا يكلف الله
نفسا الا وسعها من ذكر او انثى بيان لمن الشرطية وهو مؤمن حال مقيدة
اذ لا اعتداد بالعمل دون الايمان والمعرفة فاولئك يدخلون الجنة وقرا ابن
كثير وابو عمرو وشعبة بصيغة المفعول ولا يظلمون نقيرا مقدار نقير وهو النقرة
التى في ظهر النواة والمعنى لا ينقص ثواب اعمالهم ولا يوضع عليهم من غيرهم

انقالهم وافاد الاستاذ ان من تعنى فى خدمتنا لم يبق عن نيل نعمتنا بل عنينا
فى طلبتنا اكرمناه بوجودنا بل من جرعناه كاس اشتياقنا نولناه انس لقائنا ومن احسن
دينا ممن اسلم وجهه اى اخلص نفسه او قصده او انقاد لله ولا يعرف ربا سواه
وهو محسن آت بالحسنات وتارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام
المتفق على صحتها جميع الانام حنيفا مائلا عن الاديان الباطلة الى دين الحق هو التوحيد
الناشئ عن كمال المعرفة واتخذ ابراهيم خليلا صفيا خالصا ليس فى محبته خلل اصلا وافاد
الاستاذ ان المعنى لا احد احسن دينا ممن افرد قصده الى الله واخلص عقده لله عما
سوى الله ثم استسلم فى عموم احواله لله وبالله ولم يدخر شيئا عن الله لا من ماله
ولا من جسده ولا من روحه ولا من خلده ولا من اهله ولا من ولده وكذلك كان حال
ابراهيم عليه السلام والاحسان بشهادة الشرع ان تعبد الله كانك تراه ولا بد للعبد
من بقية من عين الفرق حتى يصح قيامه بحقوقه سبحانه لانه اذا حصل مستوفى
بالحقيقة لم يصح اسلامه ولا احسانه وهذا اتباع ابراهيم عليه السلام والحنيف الذى
لم يبق له منه شئ وعلى وصف الدوام ثم جرد الحديث عن كل سعى وكد وطلب وجهد
حيث قال واتخذ الله ابراهيم خليلا فعلم ان الخلة لبسة يلبسها الحق لا صفة
يكتسبها العبد ويقال الخليل المحتاج بالكلية الى الحق فى كل نفس ليس له شئ منه
بل هو بالله لله فى جميع انفاسه واحواله اشتقاقه من الخلة التى هى الخصاصة وهى
الحاجة ويقال انه من الخلة التى هى المحبة والخلة ان تباشر المحبة جميع اجزائه ويتخلل
سره حتى لا مساغ فيه للغير ولله ما فى السموات وما فى الارض ملكا وخلقا وملكا يختار
منهما من يشاء ويبعد عن رحمته منهما من اساء وكان الله بكل شئ محيطا احاطة
علم وقدرة بهم فكان عالما باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها فى مآلهم ويستفتونك
فى النساء فى ميراثهن او فى حسن المعاشرة مع اليتامى منهن قل الله يفتيكم فيهن
يبين لكم حكمه فى حقهن وما يتلى عليكم فى الكتاب عطف على اسم الله فالافتاء
مسند الى الله والى ما فى القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين
ونظيره اغنانى زيد وعطاؤه فى ان المسند اليه بالحقيقة شئ واحد هو المعطوف
عليه باعتبار المعطوف فى يتامى النساء اى فى شأنهن اللاتى لا تؤتونهن
ما كتب لهن اى فرض لهن من ميراثهن او اوجب لهن من حسن معاشرتهن
واعطاء صداقهن وترغبون ان تنكحوهن اى فى نكاحهن لجمالهن ومالهن ولا
تعطون مهورهن وتأكلون مالهن او عن نكاحهن لدمامتهن فنهاهم عن عضلهن
والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء اذ العرب ما كانوا
يورثونهم كما لا يورثون الاناث منهم وان تقوموا لليتامى بالقسط
اى ويفتيكم فى ان تقوموا لهم بالعدل فى حقهم وما تفعلوا من خير اى العملى

او العملى

او العملى فان الله كان به عليما فيجازيكم على الجلى والخفى وافاد الاستاذ انه سبحانه نهاهم
عن الطمع الذى يحملهم على الحيف والظلم على المستضعفين من النسوان واليتامى وبين
ان المنتقم لهم الله فمن راقب الله فيهم لم يخسر على الله بل يجد جميل الجزاء ومن تجاسر عليهم قاسى
لذلك اليم البلاء وان امرأة خافت من بعلها اى علمت وتوقعت من زوجها لما ظهر لها من المخائل
بعبوسة الوجه ونحوها نشوزا ترفعا عن صحبتها وتجافيها عن عشرتها كراهة لها ومنعا
لحقوقها او اعراضا بتقليل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما اى على المرأة والزوج
ان يصلحا بتشديد الصاد اى يتصالحا بينهما صلحا بان تحط بعض المهر او القسم او النفقة
او تهب له شيئا تستميله به على طريقة الرفعة وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح
بين المتنازعين والصلح خير اى من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة واحضرت
الانفس الشح اى جعلت حاضرة لخصلة البخل مطبوعة عليها فلا تكاد المرأة تسمح
بالاعراض عنها والتقصير فى حقها بحط شئ من مهرها وقسمها ولا الرجل يسمح
ان يمسكها ويقوم بحقوقها على ما ينبغى اذا كرهها او احب غيرها قال النورى
الزمت الاشباح مخالفة الحق فى جميع الاحوال وشحها ما يضرها من طلب الدنيا
وطول الآمال وان تحسنوا العشرة وتتقوا ما يوجب النفرة فان الله كان
بما تعملون من الاحسان والخصومة عليما به وبالغرض وسببه فيجازيكم على وفقه وافاد
الاستاذ ان محبة الخلق بعضهم مع بعض اذا تجردت عن حديث الحق فانها
بعرض الوحشة والملالة وممازجة النفرة والسآمة فمن اعرض عن الله بقلبه اعرض
الخلق عن مراعاة حقه وخرج الكافة عليه باستصغار امره واستحقار قدره
ومن رجع الى الله بقلبه استوى له فى الجملة والتفصيل امره واتسع لاحتمال ما يستقبله
من سوء خلق الخلق صدره وهو يسحب ذيل العفو على هنات جميعهم واثر الصلح
بترك نصيبه وتسليم نصيبهم قال تعالى والصلح خير اى وانصاعك فى نفسك
عن منازعة من يخاصمك اجدى عليك واحرى بك من تطاولك على خصمك بابتغاء
الانتقام وشهود ما لك فى مزية المقام واكثر الناس فى اسر هذه المحبة وشح
النفس قيام العبد لحظه فلا محالة من حجب عن شهود الحق رد الى شهود
النفس ولن تستطيعوا ان تعدلوا اى لن تطيقوا ان تساووا بين النساء
اى من جميع الوجوه لان العدل هو ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر على الحقيقة
لانه لا بد من التفاوت فى المحبة والشهوة والتفات حسن العشرة ولو حرصتم
اى ولو بالغتم غاية المبالغة فى جهة العدالة ولذا كان رسول الله عليه السلام
يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتى فيما املك فلا تلمنى فيما تملك
ولا املك فلا تميلوا كل الميل اى الى واحدة منها بترك المستطاع والجور
على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها اى الواحدة الاخرى

كالمعلقة اى التى ليست مزوجة ولا مطلقة فعنه صلى الله عليه وسلم من كانت له
امرأتان يميل مع احدهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما افسدتم من
الامر وتتقوا ما يترتب عليه الوزر فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما تقدم من ذنوبكم
ويرحمكم بالحفظ عن الوقوع فى عيوبكم وافاد الاستاذ فى معنى الآية من الاشارة انكم اذا
انتصبتم فى امركم انكسر الحال عليكم وانعكس صلاح ذات بينكم فسادا لكم فاذا قمتم
بالله فى اموركم استوى العيش لكم وصفا عن الكدر وقتكم فلا تزيغوا عن نهج الامر
فقفوا حيث ما وقفتم وانفذوا فيما امرتم وقوله فتذروها كالمعلقة يعنى انكم اذا منعتموهن
عن صحبة اغياركم ثم قطعتم عنهن ما هو حظوظهن منكم اضررتم بهن من الوجهين لا منكم
نصيب ولا الى غيركم سبيل الى حبيب ان هذا الحيف عظيم عند كل لبيب والاشارة
من هذا انه اذا انسد عليك طريق حظوظك منك فتح عليك شهود حقه ووجود لطفه
فان من كان فى الله تلفه فالحق سبحانه له خلفه وان تصلحوا ما بينكم وبين الخلق وتتقوا
فيما بينكم وبين الحق فان الله كان غفورا لعيوبكم رحيما بالعفو عن ذنوبكم وان يتفرقا اى
وان يتفارقا كما قرئ بها يعنى وان تفارق كل منهما صاحبه بقبول الفراق ووقوع الطلاق
يغن الله كلا اى من الزوجين عن الآخر ببدل او ما يتسلى به من سعته من فضله الواسع
وغناه الشامل الشايع وكان الله واسعا فى فضله حكيما ذا حكمة فى حكمه واتقان فى فعله
وافاد الاستاذ ان الصحبة التى لا بد منها صحبة القلب مع دوام الافتقار
الى الرب اذ الحق لا بد منه فى الاول والآخر فلا حاجة لبعضهم الى البعض الا
من حيث الظاهر وذلك فى ظنون اصحاب التفرقة فاما اهل التحقيق والمعرفة
فيعلمون ان حاجة الخلق بجملتها انما هى الى الله سبحانه بلا مرية ولا شبهة
ولله ما فى السموات وما فى الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته فى خلق العلويات
والسفليات من جهة الطول والعرض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم يعنى اليهود والنصارى ومن قبلهم من العلماء وغيرهم والكتاب
لجنس الخطاب واياكم اى ووصيناكم ايضا يا اولى الالباب ان اتقوا الله
اى فى جميع الابواب وان تكفروا اى بالبعد عن هذا الباب بقبول الطرد والحجاب فان لله
ما فى السموات وما فى الارض اى فاعلموا ان الله مالك الملك كله لا يتضرر بمعاصيكم
وكفركم كما لا ينتفع بتقويكم وشكركم وانما وصاكم لرحمته بكم واصلاح امركم لا لحاجته
بعبادتكم وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا فى ذاته وصفاته حمد او لم يحمده
احد من مخلوقاته وافاد الاستاذ انه سبحانه كلف الكافة بالرجوع الى الله والحاجة
من سواه والوقوف على حد امره على وفق ما يرضاه وطبق ما قضاه ولكن فريقا
وفق وهدى وفريقا خذل واردى ثم عرف اهل التحقيق انه غنى عن طاعة كل ولى وبرئ
عن زلة كل غوى ولله ما فى السموات وما فى الارض كرره تأكيدا للدلالة على كونه غنيا

حميدا

حميدا وكفى بالله وكيلا فكلوا امركم اليه وتوكلوا فى جميع اموركم عليه وافاد الاستاذ
انه تعالى قطع الاسرار عن التعلق بالاغيار بان عرفهم انفراده بملك ما فى السموات
والارض مع الطول والعرض ثم اطمعهم فى حسن توليه ورعاية الحمية وقيامه بما يحتاجون
اليه بجميل اللطف وحسن الكفاية بقوله وكفى بالله وكيلا يصلح بملكه حالك ولا يختزل
مالك ان يشأ اى اذهابكم يذهبكم اى يفنكم ويأت بآخرين اى ويوجد قوما آخرين
مكانكم وكان الله على ذلك اى من اعدامكم وايجاد غيركم قديرا تام القدرة كامل القوة
والخطاب لمن عادى نبيه عليه السلام من العرب فمعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل
قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم لما رواه الطبرانى انه لما نزل ان يشأ يذهبكم ضرب رسول الله
عليه السلام يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا وافاد الاستاذ ان من استغنى
عنه فى آزاله فلا حاجة له اليه فى آباده ويقال لا نهاية للمقدورات فان لم يكن
عمرو فزيد وان لم يكن عبد فعبيد والذى لا بدل عنه ولا خلف فهو الواحد الاحد
من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة والعابد يجتهد للرياء والسمعة
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة اى فماله يطلب اخسهما فليطلبهما او انفسهما فان من
جاهد مخلصا لم تخطئه الغنيمة وله ما هى فى جنبه كلا شئ فى الآخرة او المعنى فعند الله
ثواب الدارين فيعطى كلا ما يريده من الامرين كقوله سبحانه من كان يريد حرث
الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب
فليختر العاقل اللبيب ما يحبه من عطاء الحبيب وكان الله سميعا عليما عالما باغراض
عباده فيجازى كلا بحسب مقاصده ومراده وافاد الاستاذ انهم لما علقوا قلوبهم
بالعاجل من الدنيا ذكرهم الله حديث العقبى فقال فعند الله ثواب الدنيا
والآخرة تعريفا لهم ان فوق هممهم من هذه الخسيسة ما هو اعلى منها من نعيم الآخرة
النفيسة فلما سمت قصودهم الى العقبى قطعهم عن كل مرسوم ومخلوق بقوله والله
خير وابقى يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط اى مبالغين فى القيام
بالعدل مواظبين على اقامته مجتهدين فى ادامته شهداء لله اى مقيمين
شهاداتكم لابتغاء رضاه ولو اى وان كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا
عليها وتعترفوا بها ولا يبعد ان يكون المراد بانفسكم اولادكم او الوالدين والاقربين
تعميم بعد تخصيص ان يكن اى المشهود عليه غنيا او فقيرا فكلوا امره الى الله ولا ترحموا
فقره ولا ترهبوا غناه فالله اولى بهما اى بالغنى والفقير وحسن حالهما ومآلهما
قال الجنيد لن يصل الى قلبك روح التوحيد وله عندك حق لم تقضه او لم
تؤده من حق العبيد فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اى كراهة ان تعدلوا عن الحق
والهدى وقيل اتركوا الهوى لاجل ان تصيروا موصوفين بالعدل والهدى وان
تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل والصدق بتحريفها او تغييرها من

اللى وقرأ ابن عامر وحمزة وان تلوا من الولاية اى ان تقبلوا على اقامة الشهادة
والحكومة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه قليلا او كثيرا
صغيرا او كبيرا وافاد الاستاد ان اصل الدين ايثار حق الحق على حق الخلق فمن اثر على
سبحانه اما ولدا او اما والدا او قريبا او ادخر عنه نصيبا فهو بمعزل عن القسط يا ايها الذين
آمنوا آمنوا اى دوموا على الايمان واثبتوا على الايقان لتصلوا الى مقام الاحسان
والعرفان بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله وهو القرآن والكتاب الذى
انزل من قبل اى وجنس الكتب التى انزلت من قبل ذلك المشتملة على الايمان بجميع انبيائه
ورسله وقال الاستاد يا ايها الذين آمنوا من حيث البرهان آمنوا من حيث
البيان اى ان تؤمنوا من حيث الكشف والعيان ويقال آمنوا انه
وراء كل وصل وفصل ووجد وفقد ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا وصار عن باب المقصود طريدا ان الذين آمنوا ثم كفروا
ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا اى الذين تكرر منهم الارتداد وتركوا القرب واختاروا
البعاد واستمروا عليه حتى دخلوا طريق الميعاد لم يكن الله ليغفر لهم فى تقصيرهم
ولا ليهديهم سبيلا لمقصدهم ومصيرهم فى مسيرهم بشر المنافقين بان لهم عذابا
اليما فيه اشارة الى ان الولاية السابقة فى المنافقين المترددين والمرائين
آمنوا فى الظواهر وكفروا بالسرائر وماتوا على الكفر فى الاواخر وافاد الاستاد
ان الذين تبدلت بهم الاحوال فقاموا وسقطوا ثم انتعشوا ثم عثروا ثم ختم
بالسوء احوالهم اولئك الذين قصمتهم سطوات العزة حكما وادركتهم شقاوة
القسمة خاتمة وحالا فالحق تعالى لا يهديهم لقصد ولا يدلهم على رشد فبشرهم
بالفرقة الابدية واخبرهم بالحرقة السرمدية الذين يتخذون الكافرين اولياء
من دون المؤمنين افاد الاستاد ان من اعتصم بمخلوق فقد التجأ الى غير مجير
واستند الى غير كهف وسقط فى مهواة من الغلط بعيد قعرها شديد مكرها ايبتغون
عندهم العزة اى يتعززون بموالاتهم ويتوقعون لهم الغلبة فان العزة لله جميعا
اى له القدرة والقوة فلا يتعزز الا من اعزه وقد كتب الله العزة لاوليائه والذلة
لاعدائه بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فلا يؤبه لغيره عزهم الصورية المجازية
الفانية بالاضافة الى عزتهم المعنوية الحقيقية الباقية قال الحسين من اعتز بغير الحق
فعزه الذل المحقق وافاد الاستاد ان الذى اصابه ذل التكوين متى يكون له عز على التحقيق
والتبيين ومن لا عز له بذاته فكيف يكون له عز يتعدى الى غيره ويقال لا يدرى اى حاليهم
اقبح طلب العز وهم فى ذل القهر واسر قبضة الله او حسبان ذلك وتوهمه مما سواه
ويقال لو شهدوا بوجدان العز لما صرفت قصودهم الى من ليس بيده شئ من الامر
فان العزة لله جميعا والعز على قسمين عز قديم فهو لله وصفا وعز حادث يختص سبحانه به

من يشاء

من يشاء من عباده فهو له تعالى ملكا ومنه لطفا وقد نزل عليكم فى الكتاب ان اذا
سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها اى جاحدين فيها او هازلين منها فلا تقعدوا
معهم اى لئلا تكونوا سببا لكفرهم او شريكا فى وزرهم حتى يخوضوا فى حديث غيره اى حتى
يشرعوا فى كلام على غير ذلك النظام وقال الاستاد لا تجاوزوا ارباب الوحشة ولا تصاحبوا
اصحاب الغفلة فان ظلمات انفسهم تتعدى الى قلوبكم عند استنشاقكم ما يرد من
انفاسهم ومن كان بوصف ما تحققا شاركه حاضره فيه حقا فجليس من هو فى انس
مستأنس وجليس من هو فى ظلمة متوحش ويقال هجران اعداء الحق فرض محتم ومخالفة
الاضداد ومفارقتهم دين لازم والركون الى اصحاب الغفلة قرع باب الفرقة انكم اذا اى
اذا قعدتم معهم مثلهم اى فى الاثم شركاؤهم اذا قدرتم عن الاعراض عنهم
والانكار عليهم وقد ورد المرء على دين خليله فلينظر من يخالله وافاد الاستاد
ان اوضح برهان على سريرة الرجل صحبة من يقارنه وعشرة من يخادنه فالشكل
مقيد بشكله والفرع منتشر عن اصله ان الله جامع المنافقين والكافرين
فى جهنم جميعا اى كما اجتمعوا على الاستهزاء بالآيات جمعا الذين يتربصون بكم
ينتظرون وقوع المكروه لكم فان كان لكم فتح من الله اى نصرة وغنيمة قالوا
اى للمؤمنين منكم الم نكن معكم فى الدين والنصرة فاشركونا فى سهام الغنيمة وان
كان للكافرين نصيب اى حظ من الغلبة والقوة قالوا اى للكفرة الم نستحوذ
عليكم الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم وارضينا الامر اليكم ونمنعكم
من المؤمنين اى بتثبيطهم عنكم وتخويفهم منكم بالهزيمة فشاركونا فيما اصبتم
من نفع الغنيمة فالله يحكم بينكم يوم القيمة بما يعلم منكم من السريرة ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا اى حجة فى العقبى او استيلاء كليا فى الدنيا
وافاد الاستاد ان المنافقين لما عدموا الاخلاص فى الحقيقة وما ذاقوا فيما
استشعروا من العقيدة امتازوا عن المسلمين فى الحكم وباينوا الكافرين فى الاسم
ووجب على اهل الحق التحرز عنهم والتحفظ منهم ثم ضمن لهم سبحانه
جميل الكفاية وجزيل الحماية بقوله ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا
وعدا على العموم فان وبال كيدهم اليهم مصروف وجزاء مكرهم عليهم موقوف والحق من
قبل الحق سبحانه منصور اهله والباطل بنصر الحق مجتث اصله ان المنافقين
يخادعون الله اى بزعمهم او يخادعون اولياءه وهو خادعهم اى يجازيهم على
خداعهم او معاملهم على وفق اعمالهم فى تزيين احوالهم واساءة آمالهم وافاد
الاستاد ان خداع المنافقين اظهار الوفاق فى الطريقة واستشعار الخلاف
فى العقيدة وخداع الحق اياهم ما توهموه من الاخلاص وحكموا به لانفسهم من استحقاق
الاختصاص فاذا كشف الغطاء ايقنوا ان الذى ظنوه شرابا كان سرابا

واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى اى كالمكره على الفعل تعالى يراؤن الناس اى
يبالغون فى رياء الناس من غير حقيقة الاستيناس ولا يذكرون الله الا قليلاً
اى ذكرا قليلا او زمانا قليلا وفيه ايماء الى اهل الرياء لا يوفقهم الله ان يذكروا الله كثيرا
وان ذكرهم ولو كثر فى العدد لا يكون الا قليلا غير معتد وان ذكر اهل الخلاص وان كان
قليلا فى المبنى فهو كثير فى المعنى وافاد الاستاذ ان علامة النفاق وجود النشاط
عند شهود الخلق وفتور العزم عند فوات رؤية الخلق بخلاف اهل الاخلاص
لا نظر لهم الا الى الحق مذبذبين بين ذلك اى مترددين فى امر الدين
ومتحيرين بين اصحاب الكفر وارباب اليقين لا الى هؤلاء اى منسوبين ولا الى هؤلاء
منسوبين فليسوا بمؤمنين مخلصين ولا بمشركين مصرين ومن يضلل الله
فلن تجد له سبيلا اى الى طريق رضاه وافاد الاستاذ ان اخس الخلق من نزع
صدار العبودية ولم يجد سبيلا الى حقيقة الحرية فلاله من العز شظية ولا
فى الغفلة عيشة هنية يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من
دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين ودأب المرائين اتريدون ان تجعلوا
لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فى عقابكم بموالاتكم لاعداء دينكم وافاد
الاستاذ ان من بقى من الحق بقى مع الخلق فيبطنا عف عليه البلاء ان المنافقين
فى الدرك الاسفل من النار حيث خادعوا المسلمين وباطنوا الكفار وقرأ الكوفيون
بسكون الراء وهو لغة بمعنى الطبقة ولن تجد لهم نصيرا يدفع العذاب عنهم
زمنا يسيرا الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا العمل على وجه الوفاق
واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعته
غير رضاه ولا يلتفتون فى امورهم الى ما سواه فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله
المؤمنين اجرا عظيما اى فى زمرتهم ومعدودين من جملتهم قال ابن عطاء ولم يقل
من المؤمنين فى القدم الاول ليعلم ان الاجتهاد لا يؤثر فى سبق الازل وافاد الاستاذ
ان هذا اشارة الى نقصان رتبتهم وان تداركوا باخلاصهم ما سبق من آفاتهم
ما يفعل الله بعذابكم استفهام وقع انكارا اى يتشفى به غيظا او يدفع به ضررا
او يستجلب به نفعا وهو الغنى المتعال ذاتا ووصفا ان شكرتم اى المنعم الحقيقى على
نعمه وآمنتم به وفيه ايماء الى شكر المنعم واجب على العبد ولعل تقديمه على الايمان لانه
وسيلة اليه وبمنزلة حجة عليه وكان الله شاكرا مجازيا بالعطاء الجزيل على
العمل القليل عليما بظاهركم وباطنكم وشكركم وايمانكم وقال الحسن ما يفعل الله
بعذابكم انفسكم فى المجاهدات ان شكرتم اى طالعتم الحسانى اليكم وقطعتم
الهمم عن مراقبة غيرى عليكم وافاد الاستاذ ان معنى الآية لا يعذبكم الله عذاب
التخليد ان شكرتم فى الحال وآمنتم فى المآل ويقال ان شكرتم وامنتم صدقتم

بين نجاكم

بين نجاكم بالله وحسانه بكم لا بشكركم وايمانكم ويقال الشكر شهود النعمة من الله والايمان
رؤية الله فى النعمة فكانه قال ان شاهدتم النعمة من الله ثم لا يقطعكم شهود النعمة عن شهود
المنعم وكان الله شاكرا عليما اى مادحا للعبد ومثنيا عليه مع ما يعلم من اعماله الصادرة
اليه فان الله يثنى على العبد بما يفعله من الطاعة مع علمه بما يصدر عنه من المعصية
ويقال يشكره لانه يعلمه انه لا يعصى لامره وقصده لمخالفة ربه ولكنه يذنب لاستيلاء
احوال البشرية من غلبة الشهوات الخفية ويقال يشكره لانه يعلم ان العبد يعلم
فى حال عيوبه ان له ربا غافر الذنوب لا يحب الله الجهر بالسوء من القول اى من الكلم
الصادرة عن كل احد الا من ظلم او الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه
عند الحاكم وكان الله سميعا لاقوالكم عليما باحوالكم وافاد الاستاذ ان قول المظلوم
فى ظالمه على وجه الاذن ليس بسوء فى الحقيقة لكنه يصح وقوع لفظ السوء عليه للمشاكلة
لقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والجزاء ليس سيئة ويقال ان من علم ان مولاه
يسمع ويعلم ما يجرى عليه استحيى من النطق بكثير مما تدعوه نفسه اليه ويقال من لم يؤثر
مدح الحق على قدح الخلق لمغبون فى الحال عن درجة اهل الكمال ويقال من طالع الخلق
بعين الاضافة الى الحق بانهم عبيد الله لم يبسط فيهم لسان اللوم فان الرجل
من القوم يقول لصاحبه انا احتمل من ادون خدمك حرمة لك ما لا احتمله من ولدى
فاذا كان امثل هذا معهودا بين الخلق فالعبد بمراعاة هذا الادب بينه وبين مولاه اولى
ويقال لا يحب الله الجهر بالسوء من القول من العوام ولا يحب ذلك بخطوره ببال
خواص الكرام ان تبدوا خيرا اى تظهروا طاعة وبرا او تخفوه تفعلوه فان الله
كان به عليما خبيرا او تعفوا عن سوء يقتضى لكم خيرا ويوجب لامركم سترا فان الله
كان عفوا قديرا يكثر العفو عن عصاة الانام مع كمال قدرته على الانتقام فتخلقوا
باخلاق الملك العلام ومعنى الآية بطريق الاشارة ان تبدوا خيرا تخلقا بآداب
الشريعة او تخفوه تحققا باحكام الطريقة او تعفوا عن سوء تعلقا بابواب
الحقيقة فان الله كان عفوا لعيوبكم وذنوبكم قديرا على تحصيل محبوبكم وتحقيق
مطلوبكم ان الذين يكفرون بالله ورسله كاليهود والنصارى فى فعلهم ويريدون ان
يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض
اى من الرسل والانبياء ونكفر ببعض اى من اهل الاصطفاء ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك اى بين ما ذكر من الامر سبيلا طريقا زائغا عن الحق المر متوسطا
بين الايمان والكفر اولئك هم الكافرون اى الكاملون فى كفرهم حيث لا ينفعهم
بعض ايمانهم وشكرهم حقا اى يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا
لاهانتهم بعض اهل الحق جزاء وفاقا والذين آمنوا بالله ورسله اى بجميعهم ولم يفرقوا
بين احد منهم فى الايمان بهم لا فى تفضيلهم لقوله سبحانه تلك الرسل فضلنا

بعضهم اولئك سوف نؤتيهم اجورهم اى بعظمتنا اجورهم الموعودة من رحمتنا وقرا حفص
بالغيبة على تلوين المخاطبة وكان الله غفورا لهم فيما فرط من سيئاتهم رحيما عليهم
بتضعيف حسناتهم وافاد الاستاذ ان فى الآية من الاشارة ان من لم يخرج عن عهدة
الالتزام بالكلية فليس له من حقيقة الوصل شظية قال صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقى
عليه درهم يسألك اهل الكتاب اى ممن اخطأ فى مسلك الخطاب ان تنزل عليهم
كتابا من السماء اى جملة كما اتى به موسى على ما اخبر سبحانه عنهم بقوله فلما جاءهم الحق
من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل فقد سألوا
موسى اكبر من ذلك فيه تقبيح لاقوالهم وتنقيص مرتبتهم واحوالهم والسؤال الثانى وان
كان من آبائهم لكن اسند الى ابنائهم لانهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لمشربهم
والمعنى ان عرقهم راسخ فى ذلك وان ما اقترحوا هنالك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم
فى تلك المسالك والتقدير ان استعظمت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اعظم
من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة اى معاينة فاخذتهم الصاعقة اى نار نازلة من السماء
مهلكة بظلمهم اى بسببه وهى تعنتهم وعنادهم او سؤالهم ما يستحيل شرعا بالنسبة الى حالهم
ثم اتخذوا العجل اى الها لميلهم الى المحسوس دون المعنى المانوس من بعد ما جاءتهم
البينات اى المعجزات الواضحات فعفونا عن ذلك حيث قبلنا توبتهم ولم نستأصلهم
هنالك وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا ونصرا باهرا عليهم حين امرهم بان
يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم العجل وكفرهم قيل اعلى سلطانا على نفسه فى مخالفتها
حالة انسه وقال قوة عظيمة فى استماع المخاطبة من كلام الحضرة وافاد الاستاذ ان الاشارة
فى الآية ان من يكتفى بان يكون العجل معبوده متى يسلم له ان يكون الحق مشهوده ورفعنا
فوقهم الطور بميثاقهم بسبب اخذ ميثاقهم ليقبلوه عند امتناعهم قبول الشريعة التورية
فى ما كلفوه من الامور الشاقة وقلنا لهم اى على لسان موسى عليه السلام عند دخول
القرية المعروفة ادخلوا الباب اى بابها سجدا اى ساجدين او متواضعين او منحنين
وقلنا لهم اى على لسان داود عليه السلام لا تعدوا فى السبت اى لا تظلموا فى تعظيمه
بترك صطياد السمك فيه وقرا نافع بتشديد الدال على ان اصله لا تعتدوا فادغمت
التاء فى الدال بعد نقل حركة التاء الى العين فيروى قالون باخفاء الحركة وورش
باتمامها واخذنا منهم ميثاقا غليظا عهدا مؤكدا على جميع ذلك وهو قولهم سمعنا
واطعنا اولا ثم نقضهم بقولهم سمعنا وعصينا اخرا فبما نقضهم ميثاقهم ما مزيدة
للتاكيد فى القضية والباء للسببية متعلقة بفعل محذوف والفاء عاطفة على
مقدر اى فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا ببعضهم والاولى ان يقدر لعناهم
كما جاء مصرحا به فى قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية والمراد
بالميثاق المنقوض هو كتمانهم بعث محمد عليه السلام فى كتابهم او تركهم العمل بما خطابهم

وافاد الاستاذ ان المعنى لارتكابهم هذه المناهى واتصافهم بهذه المخازى
احللناهم منازل الهوان وانزلنا بهم من العقوبة والخذلان فنون الالوان وكفرهم
بآيات الله اى المتلوة او المعجزة او الآفاقية والانفسية وقتلهم الانبياء بغير حق
اى بغير جناية شرعية بل لمجرد عناد وشهوة نفسية وقولهم قلوبنا غلف اوعية
للعلوم لا تحتاج الى شئ آخر من المرقوم او فى اكنة مما تدعونا اليه اى فى غطاء لا تسمع
ما تقول وتدل عليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلنا محجوبة عن العلم بالذات مقفلة
او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر فى الآيات والتذكر بالموعظات فلا يؤمنون الا
قليلا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه او ايمانا قليلا لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم
بعيسى وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعنى بنسبتها الى الزنى بعد ثبوت براءتها على خلاف
جماعة آخرين من اهل الضلالة حيث عظموها فوق مرتبتها قال الاستاذ كانت مريم
ولية الله فشقى بها فرقتان اهل الافراط واهل التفريط وكذلك كل ولى الله فمنكرهم يشقى
بترك احترامهم والذين يعتقدون فيهم ما لا يستوجبون يشقون بالزيادة فى اعظامهم
وقولهم اى افتخارا انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله اى بزعمه او سموه رسولا
استهزاء او استيناف من الله له ثناء وما قتلوه وما صلبوه اى حقيقة كما فى زعمهم
كذبة ولكن شبه لهم اى وقع التشبيه بين عيسى والمقتول لهم حيث القى الله شبهه
على رجل منهم ممن اراد قتله فيهم فقتلوه وصلبوه من غير علمهم وقد قيل من حفر لاخيه
وقع فيه وان الذين اختلفوا فيه فى شان عيسى لفى شك منه اى تردد من قتله ما لهم به
من علم الا اتباع الظن اى لكنهم يتبعون الظن فى امره وما قتلوه يقينا بل رفعه الله
اليه اى الى محل ظهور سلطانه والمراد به رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله
عزيزا اى غالبا على امره حكيما فى قضائه وقدره وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به
اى بعيسى قبل موته اى الكتابى وهو وقت البأس وزمان اليأس حيث لا ينفع
ايمان الناس وقيل الضمير ان لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل
الملل جميعا بلا مراء ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا بانه قد بلغ الرسالة واقر على نفسه
بالعبودية فبظلم من الذين هادوا اى بسبب ظلم عظيم صدر منهم حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم وهى المذكورة فى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر
الآية وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اى وبمنعهم عن طريق الحق ناسا كثيرا او منعا
كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه اى فى التورية واكلهم اموال الناس بالباطل
بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم دون التائبين من المؤمنين
عذابا اليما وجيعا مستديما وافاد الاستاذ ان ارتكاب المحظورات يوجب تحريم
المباحات فمن ركب محظورا بظاهره حرم ما كان يجده من الاحوال المباحة له
والالطاف الحاصلة له فى سرائره لكن الراسخون فى العلم منهم اى الثابتون

فی علم الیقین کابن سلام واصحابه والمؤمنون ای سائر المؤمنین منهم لان الکلام
معهم او من غیرهم بمومهم یومنون بما انزل الیک وما انزل من قبلک الجملة خبر المبتداء
والمقیمین الصلوة نصب علی المدح والمؤتون الزکوة سفدیرهم علی سبیل القطع مفیدا
للمدح ایضا لهم والمؤمنون بالله والیوم الآخر ای اجمالا او تخصیصا کما آمنوا
بما سبق تفصیلا او تعمیما اولئک سنوتیهم ای بعظمتنا اجرا عظیما حیث جمعوا بین
الایمان الصحیح والعمل النصیح وقرأ حمزة بالغیبة علی تلوین العبارة قیل الراسخون
فی العلم هم العلماء بالله ذاتا ووصفا والعلماء بامر الله وجوبا ونهیا والمتبعون سنة
رسول الله ثبوتا ونفیا وافاد الاستاد ان الراسخ فی العلم هو ان یکون فی الدلیل
مجتهدا وان لایکون فی الحکم مقلدا بل یضع النظر فی موضعه الی ان ینتهی حدا لایکون
مساغ للشک فی عقده ویقال الراسخ فی العلم من یرتقی عن حد تامل البرهان ویصل
الی حقائق البیان ویقال الراسخ فی العلم ان یکون عاملا بعلمه حتی یفیده علمه علم ما خفی
علی غیره ففی الخبر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم یعلم انا اوحینا الیک کما اوحینا الی
نوح والنبیین من بعده ای عموما ولعل الابتداء بنوح لانه اول من کفر به امته بخلاف
آدم وشیث وادریس علیهم السلام واوحینا الی ابراهیم واسمعیل واسحق ابنی
ابراهیم ویعقوب ای ابن اسحق والاسباط اولاد یعقوب او احفاد ابراهیم
وعیسی وایوب ویونس وهرون وسلیمان خصهم بالذکر مع اشتمال النبیین علیهم فان
ابراهیم اول اولی العزم منهم وعیسی آخرهم والباقین مشاهیرهم وآتینا
داود زبورا وقرأ حمزة بالضم ای کتابا مزبورا فیه انواع الوعظ مسطورا ورسلا
ای وارسلنا رسلا قد قصصناهم علیک من قبل ای من قبل هذه السورة او هذه
المدة ورسلا لم نقصصهم علیک ای قبل ذلک او مطلقا لقوله سبحانه ولقد ارسلنا
رسلا من قبلک منهم من قصصنا علیک ومنهم من لم نقصص علیک وافاد الاستاد
ان سنة الله فی اولیائه ستر قوم وشهر قوم وبذلک جرت سنة ایضا فی انبیائه
اظهر اسماء قوم واجمل تفصیل ذکر آخرین والایمان واجب بجمیع الانبیاء علیهم السلام
جملة تفصیلا کما ان الاحترام واجب لجمیع الاولیاء تعمیما وتخصیصا وکذلک احوال
العباد ستر علیهم بعضها واظهر لهم بعضها وکلم الله موسی تکلیما وهو منتهی مراتب
الوحی خص به موسی من بینهم کما ان الخلیل بالخلة من جملتهم وقد اعطی نبینا صلی الله علیه
وسلم مثل ما اعطی کل واحد منهم رسلا مبشرین بالثواب علی الطاعة ومنذرین
بالعقاب علی المعصیة لئلا یکون للناس علی الله حجة ای معذرة بعد الرسل فیقولوا لولا
ارسلت الینا رسولا فنتبع آیاتک ونکون من المؤمنین وافاد الاستاد انه سبحانه وقف
الخلق عند مقادیرهم وبین انه ارسل الیهم الرسل لیتوفر دواعیهم الی اجتناب ذنوبهم اجتنابا
ما فیه استحقاق عذابهم وانه لیس للخلق سبیل لا الی راحة یطلبونها ولا الی آفة یجتنبونها

اما فی الحال

اما فی الحال واما فی المآل ومن له الی الله حاجة فانی یکون له علی الله حاجة وکان
الله عزیزا غالبا علی امره حکیما فی قضائه وقدره ونزل فی جماعة من الیهود قال
رسول الله صلی الله علیه وسلم ای والله اعلم انکم لتعلمون ای رسول الله فقالوا
ما نعلم ذلک لکن الله یشهد بما انزل الیک انزله بعلمه ای ملتبسا بعلمه الخاص به اراد به ان
یطلع علیه بعض عباده من صفاته ومغیباته او اوامره ونواهیه او انزله الیک عالما بانک
اهل لانزاله علیک والملائکة یشهدون ایضا بنبوتک وکفی بالله شهیدا قیل هو
الشاهد علیک وعلی خواطرک وانفاسک فانه فیها وافاد الاستاد انه سبحانه
سلاه عند تکذیب الخلق ایاه بما ذکره من علم الله بصدقه فیما ادعاه ان الذین کفروا ای بانفسهم
وصدوا ای عن سبیل الله ای منعوا غیرهم عن سلوک دینهم قد ضلوا ضلالا بعیدا ای عن الحق
فی الحال والمآل لانهم جمعوا بین الضلال والاضلال ان الذین کفروا وظلموا ای استمروا
علی کفرهم واصروا علی ظلمهم لم یکن الله لیغفر لهم ای بعد ما ماتوا علی قبیح حالهم وسوء مآلهم
ولا لیهدیهم طریقا الی الحق فی الدنیا الا طریق جهنم فی العقبی خالدین فیها ابدا لجری حکمه
السابق علی وفق علمه اللاحق وکان ذلک علی الله ای ما ذکر من عدم الغفران المرتب
علی الهدایة ووجود الخلود المسبب علی ثبوت الضلالة یسیرا سهلا لا یصعب علیه
ولا یستعظم لدیه یا ایها الناس قد جاءکم الرسول بالحق بالامر الثابت والقول الصادق
من ربکم فآمنوا خیرا لکم ای ایمانا خیرا لکم او یکن الایمان خیرا لکم وافاد الاستاد انه سبحانه
اخبر انه غنی عنهم فان آمنوا فحظوظ انفسهم اکتسبوها وان کفروا فبلایا هم لانفسهم
اجتلبوها والحق تعالی منزه الوصف عن التجمل بالوفاق والتنقص بالخلاف والشقاق
وان تکفروا فهو غنی عنکم لا یتضرر بکفرکم کما لا ینتفع بشکرکم فان لله ما فی السموات والارض
ملکا وملکا کرها وطوعا وکان الله علیما باحوالکم حکیما فیما دبر لکم وافاد الاستاد ان
المراد به انهم ان خرجوا عن استعمال العبودیة فعلا لم یخرجوا عن حقیقة کونهم عبیده
خلقا کما قال ان کل من فی السموات والارض الا آتی الرحمن عبدا انتهی ولعل اختیار
ما فی آیة تغلیبا لافراد الاکثر من غیر ذوی العقول واختیار من فی اخری تغلیبا لاشرف
الخلق من ذوی العقول یا اهل الکتاب لا تغلوا فی دینکم ای لا تتجاوزوا عن صوب الصواب
ولا تقولوا علی الله ای ولا تنقلوا عنه الا الحق ای نقل الحق وقول الصدق المنزه عن
عن الصاحبة والولد حیث انه صمد لم یکن له کفوا احد انما المسیح عیسی بن مریم
ای لا انه ولد الزنی کما بهتت الیهود ولا ابن الله کما تفوهت النصاری رسول الله
وکلمته ای اوجده بکلمة کن علی ما قیل وجعله رسولا الی بنی اسرائیل القاها الی مریم
اوصلها الیها وحصلها فیها بنفخ جبریل فی جیب درعها وروح منه ای وذو
روح شریف صدر عنه لا بتوسط ما یجری مجری الاصل والمادة له وقیل سمی روحا لانه
لانه کان یحیی الموتی الحسیة او القلوب القسیة فآمنوا بالله ورسله ای جمیعا

من غير تفرقة ولا تقولوا ثلثة اى الهتنا ثلثة الله والمسيح ومريم انتهوا اى عن التثليث
خيرا لكم نصبه كما سبق انما الله اله واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما فى جميع الكائنات
سبحانه ان يكون له ولد اى اسبح تسبيحه وانزه تنزيهه من ان يكون له ولد فانه انما يكون
لمن له مثل وكفاء ويتطرق اليه فناء له ما فى السموات وما فى الارض والملائكة تنافى
الولدية وكفى بالله وكيلا اى موكولا اليه امر من يخالفه ويوافقه فى القضية لن يستنكف
المسيح اى لن يأنف ان يكون عبدا لله فان عبوديته شرف يتباهى به من سواه
ولا الملائكة المقربون اى باجمعهم مع كمال قربهم ووقوفهم فى مرتبة جمعهم وكونهم اقوى من
غيرهم فى نحو قلع الجبال والتصرف فى سائر الاحوال وما احسن من قال لا تدعنى الا بياها
فانه اشرف اسمائيا ومن يستنكف عن عبادته اى ولو على توهم استحقاق كرامته ويستكبر
اى يتكبر عنها مع انفه من غير توهم فضيلة فسيحشرهم اى مع غيرهم اليه جميعا فيجازيهم جزاء بديعا
منيعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم اى يعطيهم ثوابهم كلا
ويزيدهم من فضله زيادة على ما يقتضيه عدلا واما الذين استنكفوا واستكبروا
فيعذبهم عذابا اليما اى على وفق ما كان سبحانه بهم عليما ولا يجدون لهم من دون الله
اى من ما سواه وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم يا ايها الناس قد جاءكم
برهان اى دليل عقلى وتبيان جلى من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فالمعجزات هو
البرهان والنور هو القرآن اى جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا
علة ولا وجه من وجوه الحجة فان لله الحجة البالغة فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به
اى لم يعتمدوا على ما سواه فصاروا ممن قام فى مقامى العبادة لله والتوكل على مولاه
فسيدخلهم فى رحمة منه اى ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه وعدلا وفضل اى احسان
زائد على قدر استحسانه كرما وفضلا ويهديهم اليه اى الى قربه او مكان وعده صراطا
مستقيما بالجمع بين العلم النافع والعمل الرافع وقيل هو الاسلام والطاعة فى الدنيا
وطريق الجنة فى العقبى وافاد الاستاد انه يحفظ عليهم ايمانهم عند التوفى فى المال
كما اكرمهم بالايمان والعرفان فى الحال ويهديهم حتى اكرامهم بان عرفوا ان هذه الهداية
من الله تفضل بهم لا انهم استوجبوها بطلبهم وجهدهم ولا بتعبهم وكدهم يستفتونك
اى فى الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه على وجه الجلالة فقد روى فى الصحيحين وغيرهما
ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله عليه السلام فقال انى كلالة
فكيف اصنع فى مالى فنزلت وهى آخر ما نزل من الاحكام قل الله يفتيكم فى الكلالة سبق
ان الكلالة من لا والد له ولا ولد وهو اعم من ان يكون رجلا او امراة فالاخت لا بد ان
تكون كلالة لانها مذكورة فى جواب فتوى الكلالة ان امرؤ هلك اى مات ليس له ولد
اى لا ذكر ولا انثى ولا والد ايضا فان الاخت لا ترث مع الاب وله اخت اى من الابوين
او الاب فان ولد الام مضى حكمه فى اول السورة فلها نصف ما ترك وهو يرثها اى والمراد

برث جميع

برث جميع مال اخته ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد اى ذكر وانثى ولا والد
ايضا فان كانتا اى الاختان اثنتين اى فصاعدا على ما فى المدارك وغيره فلهما الثلثان
مما ترك اى الاخ وان كانوا اى من يرث بالاخوة اخوة اى واخوات فغلب المذكر
او اكتفى به رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم طرق هدايتكم فى امر دينكم
ومعيشتكم ان تضلوا كراهة ان تقعوا فى الضلالة وتميلوا عن
الهداية والله بكل شئ عليم فهو عالم بمصالح العباد فى المعاش والمعاد

سورة المائدة آيها مائة وخمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم افاد الاستاد ان سماع اسم الله يوجب الهيبة والهيبة تتضمن
الفناء والغيبة وسماع الرحمن الرحيم يوجب الحضور والاوبة والحضور يتضمن البقاء والقربة
فمن اسمعه بسم الله ادهشه فى كشف جلاله ومن اسمعه الرحمن الرحيم عيشه بلطف افضاله
يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الايفاء والوفاء هو القيام بمقتضى العهود وهى تعم
العقود التى عقدها الله تعالى على عباده والزمها اياهم من التكاليف على وفق مراده
وما يعقدون بينهم من عقود الامانات وعهود المعاملات مما يجب الوفاء به فى جميع
الحالات قيل اول عقد عقد عليك عقد اجابتك له بالربوبية فلا تخالفه بالرجوع الى
سواه فى العبودية والعقد الثانى تحمل الامانة لله فلا تخن بها فى مبتداه ومنتهاه
وافاد الاستاد انه سبحانه ناداهم قبل ان ابداهم وسماهم قبل ان رآهم الهمهم فى
ازاله لما اوصلهم اليه فى آباده وشرفهم بقوله يا ايها الذين آمنوا وكلفهم بقوله
اوفوا ولما علم ان التكليف يوجب المشقة والبلاء قدم التشريف بالثناء على التكليف
الموجب للعناء ويقال بان فتحت بصيرتهم بشهود الحق لا تكونوا كمن اعرضت
عنهم من خلق احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل حى لا يميز فى القضية والاضافة
بيانية اى البهيمة التى هى الانعام وهى الازواج الثمانية والحق بها الظباء وبقر
الوحش لتصحيح الحال الآتية الا ما يتلى عليكم اى تحريمه او الا محرم ما يتلى عليكم من قوله
حرمت عليكم الميتة الاية غير محلى الصيد حال من الضمير فى لكم والصيد يحتمل المصدر
والمفعول وانتم حرم حال مما استكن فى محلى والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله
يحكم ما يريد اى من تحليل وتحريم للمريد ومن نفائس اللطائف ان المحرم الذى ذكر انه
من اكتسى احرام انوار غيرته فى حرم مشاهدة قربه وحضرته قد منعه ان يصيد فى ميدان
العبودية صيود الحظوظ النفسية لانه صيده هو بنفسه تعالى لا غيرانه ومن كان
هو صيده حرم عليه سواه وافاد الاستاد ان تحليل بعض الحيوانات واباحتها من غير
جرم سبق منها والمنع من ذبحها من غير طاعة حصلت لها دليل على انه لا علة لصنعه
وحرم الصيد على المحرم بخصوصه لديه لان المحرم متجرد عن نصيب نفسه لقصده اليه
فالاليق بصفاته كف الاذى عن كل حيوان واجتنابه عن شهواته وقوله ان الله

يحكم ما يريد معناه لا حجر عليه في افعاله فيخص من يشاء بالنعمى ويعذب من يشاء بالبلوى
فهو يمضي الامور في ابادة على حسب ما اراد واخبر وقضى وعلم في ازاله يا ايها الذين آمنوا
لا تحلوا شعائر الله جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا او يعني بها مناسك
الحج من اعماله ومواقفه لانها علامات واعمال نسكه وقيل المراد معالم دينه وقيل فرائضه
التي حدها لعباده وقيل جميع محارمه وافاد الاستاد ان احلال الشعائر هو الاخلال
بالاوامر ولا الشهر الحرام اي ولا تحلوه بعدم تعظيمه او بالنسيء فيه او القتال به والجمهور
على انه منسوخ يجوز ابتداء القتال مع اهل الشرك في اشهر الحرم ولو في الحرم المحترم
ولا الهدي اي بعدم التعرض لما اهدي الى الكعبة ولا القلائد اي ذوات القلائد
من الهدي تخصيص بعد تعميم لشرفها وهي جمع قلادة وهي ما قلد بها الهدي من نحو
نعل او لحاء شجر ليعلم به انه هدي وافاد الاستاد ان تعظيم المكان الذي عظمه الله
واكرام الزمان الذي اكرمه الله وتشريف الاعلام على ما امر به الله هو المطلوب
من العبد امرا والمحبوب منه حالا ولا آمين البيت الحرام اي لا تستحلوا قتال قوم
قاصدين الى بيت الله وزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا اي يطلبون ان
يثيبهم ويرضى عنهم بزعمهم وهذا الحكم منسوخ الآن ايضا فيهم وقد حكى ابن
جرير الاجماع على ان المشرك يجوز قتله وان ام البيت الحرام اذا لم يكن له امان من اهل
الاسلام وقال الاستاد ولا تجري لمن يقصد البيت اي لا تخالف رب البيت
وابتغاء الفضل والرضوان بتوقي موجبات السخط ومجانبة العصيان واذا حللتم
فاصطادوا امر اباحة من غير الالزام وقال الاستاد واذا خرجتم عن اسر حقوقنا
فارجعوا الى استجلاب حظوظكم فاما ما دمتم تحت قهر بطشتنا فلا نصيب لكم
منكم لانكم لن قلت وفي الآية اشارة الى ما روي عنه عليه السلام روحوا قلوبكم
ساعة فساعة ولا يجرمنكم شنآن قوم بسكون النون ابن عامر وابو بكر اي لا يحملنهم
شدة بغضهم وعداوتهم ان صدوكم عن المسجد الحرام اي لان منعوكم عند عام الحديبية
ان تعتدوا اي على الاعتداء والتجاوز عن الحد بالانتقام وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر
الهمزة على انه شرط معترض بين العامل ومعموله اغنى عن جوابه بلا يجرمنكم والآية نزلت
حين اراد الصحابة منع بعض المشركين عن العمرة انتقاما من اصحابهم لما صدوهم
عن البيت بالحديبية على ما رواه ابن ابي حاتم عن زيد بن اسلم وقال الاستاد اي
كونوا قائمين بنا متجردين عن كل نصيب وحظ مما سوانا وتعاونوا على البر
اي المامورات والتقوى اي عن المنهيات وحاصلهما العفو والاغضاء
او متابعة الهدى ومخالفة الهوى وافاد الاستاد البر فعل ما امرت به والتقوى
ترك ما زجرت عنه ومن المعاونة على البر والتقوى الانصاف بجميل الخصال على الوجه
الذي يقتدي به اهل الكمال وكذا قوله ولا تعاونوا على الاثم اي المعصية القاصرة

اي حللتم كما قرئ به
والمعنى صرتم حلالا وخرجتم
من الاحرام صح

والعدوان

والعدوان اي المعصية المتعدية وقيل ما اطمأن اليه القلب من غير ان ينكر بسبب
ولا جهة من الريب والاثم بخلافه ومن نفائس العرائس معنى البر المحبة والتقوى
المعرفة والاثم طلب حظ المشاهدة من المشاهدة والعدوان دعوى الانانية في
في الاتحاد ولانه احتجب بحظ الربوبية عن الربوبية في العبودية واتقوا الله احذروا
عقابه واحترسوا عتابه ان الله شديد العقاب وانتقامه اشد في كل باب
وافاد الاستاد ان العقوبة ما يتعقب الجرم مما يسوء صاحبه وشدة العقوبة
حجاب المعاقب عن شهود المعاقب فان تجرع كاسات البلاء على شهود المبلي
احلى من العسل والشهد حرمت عليكم الميتة اي ما فارقه الروح من غير التذكية والدم
اي المسفوح لقوله تعالى او دما مسفوحا ولحم الخنزير وافاد الاستاد ان من الميتة
المحرم تناولها اي تناول من عرض اخيه على وجه الغيبة ويقال كما ان في الحيوان ما يكون
الذكي منه مباحا والميتة منه حراما فكذلك من ذبح نفسه بسكاكين المجاهدات فطاهر
نفسه مباح قربه حلال صحبته ومن ماتت نفسه في ظلمة غفلته حتى لا احساس له
بالامور الدينية فخبيث نفسه محظور قربه حرام معاشرته غير مبارك صحبته فان السلف
سموا الدنيا خنزيرة وراوا ان ما يلهي قربه ويشغل عن المعبود كونه ويحمل على العصيان
حصوله فهو محرم على القلوب ففي طريقة القوم حب الدنيا حرام على القلوب
وان كان امساك البعض حلالا على الابدان والنفوس قلت ومن كلام الدنيا
حرام على اهل العقبى والآخرة حرام على اهل الدنيا وهما حرامان على اهل المولى وفي
الحديث اتقوا مجالسة الموتى قيل من الموتى قال الاغنياء وما اهل اي ذبح لغير الله به
اي من صنم ونحوه والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب
او حجر حتى تموت والمتردية التي تردت وطاحت من علو او في بئر فماتت
والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت وما اكل السبع اي منه فماتت الا ما ذكيتم اي
ادركتم ذبحه من هذه الاشياء وفيه حيوة مستقرة فانه حلال والذكوة في الشرع
قطع الحلقوم والمرئ بمحدد وما ذبح على النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت
منصوبة حول الكعبة يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة فحرم اكل هذا اللحم وان ذكر
عليها اسم الله لما فيه من الشرك وان تستقسموا بالازلام اي وحرم عليكم الاستقسام
بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا كسفر ونكاح مثلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب
على احدها امرني ربي وقيل افعل وعلى الآخر نهاني ربي وقيل لا تفعل والثالث غفل
لا شيء عليه فان خرج الامر فعلوه وان خرج النهي تركوه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا
فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو
استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة فالمراد به جنس القمار ذلكم فسق
اشارة الى الاستقسام ووجه كونه فسقا انه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد

ان ذلك طريق اليه وفي معناه الزجل والفال من القران فان الحروف الهجائية
لا دلالة لها على شيء من الامور المستحسنة او المستقبحة نعم ان كان الفال بالمعنى القرانى
المشير الى المعنى المراد في الجملة فلا باس الا انه عليه السلام كان يحب الفال الحسن ويكره الطيرة
والله سبحانه اعلم او اشارة الى تناول ما حرم وتعاطيه فانه فسق وضلال وجهالة وافاد
الاستاد ان المذبوح على غير اسمه كانه ليس بطيب فمن بذل روحه فيه وجد روحه ومن نهارشته
كلاب الدنيا وقتلته مخالب الاطماع واسرته مطالب الاغراض والاعواض فحرام ماله على
اهل الحقايق واما المنخنقة فالاشارة منه الى الذى اربك في حال المنى والرغائب
واخذه خناق الطمع وخنقته سلاسل الحرص فحرام على السالكين سلوك سنتهم ومحظور على
المريدين متابعة طريقتهم واما الموقوذة فالاشارة فيها الى نفوس حبست على طلب الخسائس
حتى استهلكت اكلها فهى التى ذهبت بلا عوض حصل منها والاشارة من المتردية الى
من هلك في اودية التفرقة وعمى عن استبصار رشد الحقيقة فهو يهيم في مفاوز الظنون
ويتيهك في متاهات المنى والاشارة من النطيحة الى من صارع الامثال ونازع
الاشكال وناطح كلاب الدنيا فخصموه بطلب حظهم وهزموهم بزيادة تكلبهم واكيلة
السبع ما ولغ فيه كلاب الدنيا فان الدنيا جيفة واكلة الجيف الكلاب واستثنى
منه المذكى وهو ما تفرد من متاع الدنيا لله لان زاد المؤمن من الدنيا وما كان لله
فهو محمود وما كان للنفس فهو مذموم والاشارة من قوله وما ذبح على النصب فهو
ما ارصد لغير الله ومقصود كل حريص بموجب شرهه معبوده من حيث هويه قال تعالى
افرأيت من اتخذ الهه هويه يعنى هويه الهه وان تستقسموا بالازلام اشارة
الى كل معاملة ومصاحبة بنيت على استجلاب الحظوظ الدنيوية لا على وجه الاذن
اذ القمار ذلك معناه وقلت المعاملات المجردة عن هذه الصفة فيما نحن فيه من الوقت
ذلكم فسق اى ايثار هذه الاشياء انسلاخ من الدين وخروج عن مرتبة اليقين اليوم
يئس الذين كفروا من دينكم اى من ابطاله ورجوعكم عنه ومن ان يغلبوكم فيه نزلت
بعد عصر يوم الجمعة في عرفة عام حجة الوداع فلا تخشوهم اى بعد ما ظهرت دينكم ان يظهروا
عليكم واخشون اى اخلصوا الخشية لى في امرى ونهيى واتباع دينى قال سهل الخذلان من
من خشى ما لا ينفعه ولا يضره والذى بيده النفع والضر كله يخاطبه بقوله فلا تخشوهم
واخشون وقال الاستاد اى بعد ما انهتك عن قلوبكم استار الحسبان وتحققتم
بان المتفرد بالابداع انا فلا تلاحظوا سواى ولا يظلن قلوبهم اشفاق من غيرى ويقال
اذا كانت البصائر متحققة بان النفع والضر والخير والشر لا يحصل شظية منه الا بقدر
الحق سبحانه فمن المحال ان ينطوى على مخلوق على عيب اليوم حرف التعريف للمعهود
الحاضر وما يتصل به من الوقت الحاضر اكملت لكم دينكم اى فلا زيادة بعده ولذا
لم ينزل حرام ولا حلال بعدها او بالنصر والاظهار على الاديان وافاد الاستاد ان الكمال

الدين

الدين تحقيق القبول في المال كما ان ابتداء الدين توفيق الحصول في الحال فلولا توفيقه
لم يكن للدين حصول ولولا تحقيقه لم يكن في الدين قبول وانما اراد بذكر اليوم وقت نزول هذه
الآية وتقييد الوقت في الخطاب بقوله اليوم لا يعود الى عين اكمال الدين ولكن الى تعريفنا
ذلك في ذلك الوقت فالدين موهوب ومطلوب فالمطلوب ما امكن تحصيله والموهوب
ما سبق منه حصوله واتممت عليكم نعمتى اى بتوفيقى وهدايتى وافاد الاستاد ان النعمة
ما لا يقطعك عن المنعم على الحقيقة بل يوصلك اليه في الطريقة والنعمة المذكورة هنا الدين
واتمامها وفاء المال واقتران الغفران وحصوله فاكمال الدين تحقيق المعرفة واتمام النعمة
تحصيل المغفرة وهذا خطاب لجماعة المسلمين ولا شك في مغفرة جميع المؤمنين
وانما الشك يعترى في الاحاد والافراد بل يبقى على الايمان في الاباد ورضيت
اخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان فلا اسخطه ابدا في سالف الازمان
وافاد الاستاد ان ذلك لما قسم للخلق اديانهم فخص قوما باليهودية وقوما بالنصرانية
الى غير ذلك من النحل والملل وافراد المسلمين بالتوحيد والعرفان ومزيد اليقين فقدم
قوم الكمال على التمام فقالوا التمام تقبل الزيادة وصفة النعمة لقبول النعم الزيادة
ولا رتبة بعد الكمال ولذلك وصف به الدين ويقال لا فرق بين الدين والنعمة المذكورة
هنا وانما ذكر بلفظين على جهة التاكيد ثم اضافه الى نفسه والى العبد ايضا حيث قال
دينكم ونعمتى فوجه اضافته الى العبد من حيث الاكتساب ووجه اضافته الى نفسه
من جهة الخلق فالدين من الله عطاء ومن العبد غناء وحقيقة الاسلام الاخلاص
والانقياد والخضوع لجريان الحكم بلا نزاع في السر فمن اضطر متفرع على ذكر المحرمات
وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة
الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء
من هذه المحرمات في مخمصة اى في حال قحط وزمان مجاعة غير متجانف لاثم
اى غير مائل لمعصية بان ياكلها للذة او يجاوز حد الرخصة فان الله غفور لا يؤاخذه
باكله رحيم حيث رخص له بنفعه وافاد الاستاد ان الاشارة من هذه الآية انه
لو وقع لسالك فترة او لمريد في السلوك وقفة لعظيم الوقعة فبادر الى جميل الرجعى
باستشعار التحسر على ما جرى تداركته الرحمة ونظر الله سبحانه اليه بقبول الرجعة
يسئلونك ماذا احل لهم اى من المطاعم المستحسنات قل احل لكم الطيبات
اى الحلالات والمستلذات مما لم تستخبثه الطبايع المستقيمة وافاد الاستاد
انها الحلال الذى يحصل من تناوله طيبة القلوب فان اكل الحرام يوجب قسوة
القلب والوحشة مقرونة بقسوة القلب وصفاء القلوب وطيبة الاوقات
متصل بصون الخلق عن تناول الحرام والشبهات وفي نفائس العرائس
قال يوسف بن الحسين الطيب من الرزق ما يبدو لك من غير تكلف ولا اشراف

نفس وسئل ابو الحسين النوري عن القوت قال القوت هو الله اوّل القوت
ذكر الحيّ الذي لا يموت وما علّمتم من الجوارح اى واحلّ لكم صيد ما علّمتم من كواسب
الصيد على اهلها من السباع من ذوات الاربع والطير مكلّبين حال كونكم معلّمين
اياه الصيد وهو المبالغة والتأكيد لما علم من قوله وما علّمتم والمكلّب مؤدّب الجوارح
ومضرّيها بالصيد مشتق من الكلب وان كانت عامة فى الجوارح على سبيل التغليب او لانّه
غالبا يوجد فيه التأديب تعلّمونهنّ ممّا علّمكم الله من الحيل فى الترتيب وطرق التأديب
فانّ العلم بها الهام من الله المجيب وممّا علّمكم ان تعلّموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه
وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك الصيد عليه ولا يأكل منه فكلوا ممّا امسكن عليكم
وهو ما لم يأكل منه الا السباع الطير لانّ تأديبها الى هذا الحدّ متعذر وقال آخرون لا يشترط
مطلقا لكن كثير من السلف على انّ الجوارح اذا اخذت الصيد واكلت شيئا منه
ولم يدركه صاحبه فيذبحه فهو حرام وبعض آخر منهم على ابن عباس على حليته وان اكل
منه ثلثه على ما رواه ابن جرير ويؤيد الاول قوله عليه السلام لعدى بن حاتم وان اكل منه
فلا تأكل انّما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك
وكذا مذهبنا على ما ذكره صاحب المدارك واذكروا اسم الله عليه اى على ما علّمتم والمعنى
سمّوا عليه عند ارساله وهذا الامر للندب عند الجمهور خلافا للامام احمد فان ذكره عنده شرط
للحلية وقيل اذكروا اسم الله على اكله ولا تكونوا من الغافلين فى فعله واتّقوا الله اى
مخالفته الموجب للعقاب انّ الله سريع الحساب وافاد الاستاذ فيما اجاد بقوله
لمّا كان الكلب المعلّم ترك حظّه وامسك ما اصطاده على صاحبه حلّت فريسته وجاز افتراسه
واستغرق فى ذلك حكم نجاسته وخساسته كذلك من كانت اعماله واحواله لله
سبحانه مختصة بجمل رتبته وبعلو حالته ويقال حسن الادب يلحق الاخسة برتبة
الاكابر وسوء الادب يرد الاعزة الى حالة الاصاغر وهو تعالى سريع الحساب فى القيمة
بحيث لا يشغله شأن عن شأن وهو سريع الحساب اليوم مع الاحباب والاولياء
فهم لا يسامحون فى خطرة ولا فى لحظة معجّل حسابهم مضاعف فى الوقت ثوابهم
وعقابهم اليوم احلّ لكم الطيّبات ذكر ما هو معلوم ليعطف عليه ما هو مجهول بقوله
وطعام الذين اوتوا الكتاب حلّ لكم وهو يتناول الذبايح وغيرها وطعامكم حلّ لهم
اى فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرّم عليهم لم يجز ذلك فيهم والمحصنات
من المؤمنات اى الحرائر العفائف وتخصيصهنّ بعث على ما هو الاولى منهنّ
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وان كنّ حربيات حلالا لابن عباس فيهنّ
واكثر السلف على انّه لا يجوز تزوّج الذمية الزانية اذا آتيتموهنّ اجورهنّ
وتقييد الحلّ باتيانها لتأكيد وجوبها والحثّ على المبادرة فى ادائها محصنين اعفاء
بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالسفاح ولا متّخذى اخدان مسرين فى الجناح نعم بعض

السلف لا يصحّ نكاح البغية من عفيف وعقد الفاجر على عفيفة حتى يتوبا وهو مذهب
الامام احمد ويؤيده ظاهر قوله تعالى الزانى لا ينكح الا زانية الآية ومن يكفر بالايمان اى بشرايع
الاسلام بان ينكره ويمتنع منه فقد حبط عمله اى فى الدنيا وهو فى الآخرة من الخاسرين اى ان
مات على طريق الكافرين وفى دقايق الحقايق من لم يشكر الله على ما وهب له من المعرفة واليقين
فقد كفر بمعالى درجات الايمان والدين فيه احبط ما موله من الاجتهادات والرياضات فى الشهور
والسنين وسائر الاوقات وافاد الاستاذ فى قوله اليوم احلّ لكم الطيّبات انّ الطيّب
ما تستطيبه النفوس لكن الطيّب ما يوجد فيه رضى الحق سبحانه فيوجد عند ذلك راحة القلوب
وفى قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حلّ لكم القدر الذى بيننا وبينهم من الوفاق فى اثبات
الربوبية لم يعر من اثر القربة فقال تعالى لتجدنّ اقربهم مودّة وكذلك الامر فى المحصنات
من نسائهم وحلّ الطعام لهم والذبيحة بيننا وبينهم فيحلّ لنا اكل ذبايحهم ويجوز لنا ان
نطعمهم من ذبايحنا ولكنّ التزوّج بنسائهم يجوز لنا ولا يجوز مناكحتهم بنسائنا لانّ
الاسلام يعلو ولا يعلى قلت ولانّ النساء غالبا يتبعن الرجال فى حسن الحال وقبح الفعال
ويشعلون لهم فى المآل يا ايّها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اى اردتم القيام اليها
وانتم محدثون مشتغلون عنها وفى التوضيح انّ فى الآية من الاشارة الى انّ الوضوء عند
عدم الحدث سنة لكونه اعتبار الظاهر الامر وعند الحدث واجب بخلاف الغسل
فانّه ليس سنة لكلّ صلوة يعنى وان كانت مستحبّة فانّه الطهارة الكاملة وانّما لم
يجب ولم يسنّ سنّة مؤكّدة لدفع الحرج عن الامّة ورحمة على العامّة فاغسلوا
وجوهكم امرّوا الماء عليها وزاد الامام مالك الدلك على ذلك وايديكم الى المرافق
اى معها او مضافة اليها وهذا عند الجمهور خلافا لزفر ومن معه وامسحوا برؤسكم
الباء مزيدة او للالصاق او تبعيضية فابو حنيفة اوجب ربع الرأس لانّه عليه السلام
مسح على ناصيته للتبيين ومالك مسح كلّه اخذا بالاحتياط فى الدين والشافعى اقلّ
ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين والتحقيق انّ مطلق مسح الرأس فرض والربع
واجب عندنا بالدليل الظنّى والاستيعاب سنة لتركه حال مسحه على ناصيته فالاحتياط
فى الفعل لا فى الحكم وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائى
عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشايعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة وجرّه الباقون
على الجوار كقوله تعالى عذاب من رجز اليم وقولهم جحر ضب خرب والتحقيق ان
ظاهر قراءة النصب يفيد وجوب الغسل كما ان ظاهر قراءة الجرّ يوجب المسح فغايته
انّ الآية تصير بمنزلة المجمل او تدلّ على جواز الامرين والاحاديث الصحاح بيّنت الغسل
حال عدم لبس الخفّ والمسح حال لبس الخفّ فالقراءتان محمولتان على الحالتين واما
جواز المسح بدون الخفّ فيردّه الحديث الصحيح فى الآثار ويل للاعقاب من النار ثم
فى الفصل بينه وبين اخواته تنبيه على استحباب الترتيب او ايجابه والله اعلم

بمراده وفي نفائس العرائس بدأ بغسل الوجه لانه منبت انوار تجلي الحق التي
برزت من الوحدانية للارواح فعكست لطائفها على الوجوه من جملة الاشباح
وايضا خص الوجه بالغسل ابتداء لانه تعالى خلقه بنفسه ونقشه بنقش خاتم ملك الصفات
والاشارة في الآية الى تطهير الاسرار من الالتفات الى الاغيار لاقتباس الانوار بمياه
الحزن التي تجري من عيون قلب المجروح بالمحبة على سواد في العين فاذا كان مطهرا من غير
الحق فصلاته مواصلة وحركاته قربة وقربه زلفة وقيامه محبة وركوعه خشية وسجوده شهود
وتحياته انبساط ودعواته مستجابة اي اذا قمتم عنكم الى وصلي ومشاهدتي طهروا انفسكم
من المدونية في بحار الربوبية حتى تصلوا الى لانّ الحدث كالعدم لا يقوم بازاء القدم
وقال ابو عثمان شرائط الطهارة معرفة وحقيقتها لا ينالها الا الموفقون من طهارة
السر واكل الحلال واسقاط الوساوس عن القلب وترك الظنون والاقبال على الامر والطاعة
بحسب الطاقة وقال سهل افضل الطهارات ان يطهر العبد من رؤية طهارته وقال الاستاذ
كما انّ في الشريعة لا تصح الصلوة بغير الطهور لا يصح في الحقيقة الصلوة بغير الطهور وكما انّ
للظاهر فللسرائر ايضا طهارة وطهارة البدن بماء السماء وطهارة القلب بماء الندم والخجل
ثم بماء الحياء والوجل وكما يجب غسل الوجه عند القيام الى الصلوة وجب في بيان الاشارة
صيانة الوجه عن التبذل للاشكال عند طلب خسائس الاغراض وكما يجب غسل
اليدين في الطهارة يجب قصرهما عن الحرام والشبهة وكما يجب غسل الرجل في الطهارة
يجب صونها في الطهارة الباطنة عن النقل فيما لا يجوز وان كنتم جنبا فاطهروا اي بالغوا
في غسل جميع الاعضاء ولذا اوجب ابو حنيفة غسل الفم والانف في الحدث الاكبر
وسنهما في الحدث الاصغر وان كنتم مرضى او على سفر اي مسافرين او جناح سفر او جاء
او بمعنى الواو كما قال الرازي اي وقد جاء احد منكم من الغائط كناية عن الحدث الاصغر
او لامستم النساء اشارة الى الحدث الاكبر فلم تجدوا ماء اي حقيقة او حكما فتيمموا صعيدا
طيبا اي فاقصدوا التراب وما في معناه من هذا الباب فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه
على وجه الاستيعاب ولعل التكرير لاستقصاء التطهير ولئلا يتوهم نسخ التيمم في
التأخير ولفظ منه دال على المسح ببعضه وهو لا ينافي جواز التيمم على الحجر الذي لا تراب
عليه وقال بعض العارفين اذا خطر لي خاطر الدنيا اتوضأ واذا حدث لي خاطر العقبى
اغتسل وافاد الاستاذ انه كما يجب الطهارة الاعلى فيقتضي غسل جميع البدن فقد يقع
لمريد فترة توجب عليه الاستقصاء في الطهارة الباطنة وذلك بتجديد عقد وتأكيد عهد
والتزام غرامة واستدامة ندامة ثم كما انه اذا لم يجد المتطهر الماء فرضه التيمم فكذلك
اذا لم يجد المريد من يفيض عليه صوب همته ويفعل ببركات اشارته وتعيينه ما ينوب
عنه من زيادة حالته اشتغل بالتيسر له من اقتفاء آثارهم والاسترواح الى ما يجد من
سالف سيرهم وما نور حكاياتهم ثم كان فرض التيمم على الشطر والنقصان فكذلك

المطالبات على صفاء صاحب هذه الحالة يكون اخف لانه وقت الفترة وزمان
الضعف والعلالة ما يريد الله اي بالامر بانواع الطهارة للصلوة ليجعل عليكم
من حرج اي تضييق لكم ولكن يريد ليطهركم اي من الاحداث او من الذنوب فان الطهارة
تكفير للعيوب وتنظيف للقلوب وافاد الاستاذ انه يطهر ظواهركم عن الزلة بعصمته
ويطهر قلوبكم عن الغفلة برحمته او يطهر سرائركم عن ملاحظة الاشكال ويفرغ ظواهركم
عن الوقوع في شباك الاشتغال او يطهر عقائدكم عن ان يتوهم تدنس المقادير بالاعلال
ويلوح من جملة ما يريد الله الآية اشارة الى انه اذا ابقى المريد عن احكام الارادة فليحط رحله
بساحة العبادة واذا عدم اللطائف في سرائره فليستدم الوظائف على ظواهره واذا
لم يتحقق باحكام الحقيقة فليتخلق بآداب الشريعة وليتعلق باصحاب الطريقة وان لم
ينجح عن ترك الفضيلة فلا يدنس بفرقه بالحرام والشبهة وليتم اي بشرعه ما هو مطهر
لابدانكم عن الاحداث ولقلوبكم عن الآثام ومكفرة لذنوبكم فيما بين الانام نعمته عليكم
اي في الدين لتبلغوا الى اعلى مراتب اليقين لعلكم تشكرون نعمته فيزيدها عليكم فيما تستقبلون
وافاد الاستاذ ان اتمام النعمة لقوم بنجاة نفوسهم وعلى آخرين بنجاتهم عن نفوسهم
فشتان بين قوم وبين قوم ويقال اتمام النعمة وفاء العاقبة فاذا خرج من الدنيا
على وصف العرفان والايمان فقد تمت سعادته وصفت نعمته ويقال اتمام النعمة
في شهود المنعم فان وجود النعمة يكون لكل احد ولكن اتمامها في شهود المنعم
الاحد الصمد واذكروا نعمة الله عليكم اي بالاسلام لتذكركم المنعم بكل الانعام
وترغيبكم في شكره على الدوام وميثاقكم الذي واثقكم به اي خصوصا من بين
الانام كليلة العقبة وبيعة الرضوان او الميثاق العام الذي اخذ عليهم حين
اخرجهم من صلب آدم عليه السلام اذ قلتم سمعنا قولك واطعنا امرك اي
فاثبتوا عليه بمتابعة امره ونهيه واتقوا الله في نسيان نعمه ونقض عهده ان الله
عليم بذات الصدور اي بخفيات احوالكم فضلا عن جليات اعمالكم قال ابو عثمان
النعم كثيرة واجل النعم المعرفة والمواثيق كثيرة واجل المواثيق الايمان وافاد الاستاذ
ان الاشارة منه الى التعريف السابق الذي لمولاه لما علمت انه من هو ويقال امركم
بتذكر ما سبق لهم من القسم وهم في كتم العدم فلا للاغيار منهم خبر ولا لهم عين ولا اثر
ولا وقع لاحد عليهم بصر وقد سماهم بالايمان وحكم لهم بالغفران قبل حصول العيان ثم
لما اظهرهم واحياهم عرفهم التوحيد قبل ان كلفهم الحدود وعرض عليهم بعد
ذلك الامانة وحذرهم الخيانة فقابلوا قوله بالتصديق ووعدوا من انفسهم الوفاء
بشرط التحقيق فامدهم بحسن التوفيق ونبههم على سواء الطريق ثم شكرهم حيث
اخبر عنهم بقوله اذ قلتم سمعنا واطعنا ثم قال واتقوا الله يعني في نقض ما ابرمتم
من العقود والرجوع عما قدمتم من العهود وان الله عليم بذات الصدور لا يخفى عليه

من خطرات قلوبكم ونيات صدوركم يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله اى قائمين
بالحق لله لا للرياء والسمعة بما سواه شهداء بالقسط اى بالعدل وللحق لا بالجور
والميل عن الصدق قيل كونوا اعوانا لا ولياءه على اعدائه وقال الاستاذ يعنى لا يعوقنكم
حصول نصيب لكم فى شىء من الوفاء لنا والقيام بما يتوجه عليكم من حقنا ولا يجرمنكم
شنآن قوم على ان لا تعدلوا اى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم
فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد
تشفيا مما فى قلوبكم اعدلوا هو اى العدل الذى هو موافقة الهدى ومخالفة الهوى
اقرب للتقوى اى فى الدنيا والعقبى واذا كان هذا مع الكفار فما ظنك به مع الابرار
واتقوا الله فى جميع الاطوار ان الله خبير بما تعملون اى فى الليل والنهار وقال
الاستاذ اى لا يحملنكم ضغائن صدوركم على الحلول بجنبات الحيف فان
مرتع الظلم وبى وموضع الزيغ مهلك دنى ثم صرح الامر بالعدل فقال اعدلوا
ولا يكون حقيقة العدل الا بالعدول عن كل حظ ونصيب والعدل اقرب الى
التقوى والجور يقرب من الردى ويوقع عن قريب فى عظيم البلوى
قلت وما احسن قول العارف ابن الفارض • عليك بها صرفا وان شئت مزجها
فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم • وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم الجملة فى موضع المفعول الثانى على طريق الحكاية وافاد
الاستاذ ان الله سبحانه وصفهم بالاعمال الصالحة ووعدهم المغفرة
ليعلم ان العبد يكون له اعمال صالحة وان كانت له ذنوب يحتاج الى غفرانها
بخلاف ما توهمه من قال ان المعاصى تحبط بالطاعات ويقال بين ان العبد
وان كانت اعماله صالحة فانه يحتاج الى عفوه وغفرانه ولولا ذلك لهلك خلافا
لمن قال انه لا يجوز ان يعذب البرى ويجب اثابة المحسن ويقال لو كان ثواب المحسن
واجبا وعقوبة البرى غير حسن لكان التجاوز عنه واجبا ولم يكن حينئذ فضلا يمن به
عليهم قلت وفى هذا رد بليغ على المعتزلة وسائر المبتدعة والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اى بكتبنا او بمعجزاتنا او بدلالات مصنوعاتنا اولئك اصحاب الجحيم
ملازموا عقوبا تنا قال الاستاذ لهم عقوبتان معجلة وهى الفراق
ومؤجلة وهى الاحتراق يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم
قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم باهلاككم واتلافكم فكف ايديهم عنكم بمنعها ان تمد
اليكم ورد مضرتها عليكم واتقوا الله فيما يامركم وينهاكم وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فان من توكل على الله كفاه فى ايصال الخير ودفع الشر عما سواه وقد روى عن ابن
عباس وكثير من السلف ان المشركين راوا رسول الله عليه السلام واصحابه بعسفان
قاموا الى الظهر جميعا فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم

اذا قاموا

اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلوة الخوف والاية اشارة
الى ذلك وقيل اشارة الى ما روى انه عليه السلام اتى بنى قريظة ومعه الخلفاء
الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو ابن امية الضمرى يحسبهما مشركين
فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد
عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يديه فنزل جبرائيل عليه السلام
فاخبره فخرج او فى قوم ارسلوا اعرابيا لقصده فجاء وهو عليه السلام را قد تحت شجرة
فسل سيف رسول الله عليه السلام وقال من يمنعك منى فقال الله فاسقطه جبرئيل
من يده واخذه عليه السلام ذكره محمد بن اسحق وعكرمة وغير واحد وفى رواية فلما اخذه
عليه السلام قال من يمنعك منى فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله فنزلت وافاد الاستاذ ان الآية تذكرهم ما سلف لهم من نعمة دفع البلاء
وهو ما قصر عنهم ايدى الاعداء وذلك من امارات العناية بالاولياء ولقد بالغ
فى الاحسان اليك من كان لك بظهر الغيب من غير التماس منك او سبق
شفاعة فيك او رجاء نفع فى المستانف منك او حصول ربح فى الحال عليك
او وجوب حق فى السالف لك ثم قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون يعنى كما احسنت
اليكم فى السابق من غير سابقة استحقاق ثواب فانتظروا جميل احسانى
فى اللاحق من غير رابطة استيجاب ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا
منهم اثنى عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها
او كفيلا ضمنوا عن قومهم الوفاء بالاحكام التى امروا بها روى ان بنى اسرائيل
لما فرغوا عن فرعون واستقروا بمصر امرهم الله تعالى بالمسير الى اريحاء ارض الشام
وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال انى كتبتها لكم دارا وجعلتها لكم
قرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا فيها فانى ناصركم بها وامر موسى عليه السلام ان ياخذ
من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه للوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق بالوفاء واختار
منهم النقباء وسار بهم الى اريحاء فلما دنا من ارض كنعان ومكان اهل العدوان بعث
النقباء يتجسسون اخبار الاعداء ونهاهم ان يحدثوا قومهم بالانباء فراوا اجراما
عظيمة واحوالا شديدة فهابوا فرجعوا فحدثوا قومهم بما طالعوا فنكثوا الميثاق
الا كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف
عليه السلام وسياتى تتمة القصة فى بقية السورة وقال ابو بكر الوراق لم يزل فى
الامم الاخيار والابرار والابدال والاوتاد من الزهاد والعباد على مراتب العباد
كما قال سبحانه وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وهم الذين كانوا مرجوعين اليهم
عند الضرورات وفى المصائب والعاهات والبليات كما ذكر عن النبى عليه السلام
قال فى هذه الآية اربعون على خلق ابراهيم وسبعة على خلق موسى وثلثة على خلق

عيسى وواحد على خلق محمد عليه السلام فهم على مراتبهم سادات الخلق وهداة الحق الذين
ذكره عليه السلام ان بهم يمطرون ويرزقون وبهم يرفع البلاء ويحصل النصر على الاعداء
كذا فى حقايق السلمى وفى نفائس العرائس ان الله سبحانه لما اراد امر اعظيما فى الربوبية
بين عباده وبلاده وضعه على اوليائه ليقوموا به على وفق مراده معذرة لضعف الخلق
ونيابة عن تقصيرهم فى الحق فاذا خرجوا من ذلك بنعت الرضاء فى العبودية سهل الله
ذلك بعده على العامة لان العامة خلقوا بنعت الضعف واولياءه بوصف القوة.
وروى عن عبد الله بن مسعود انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى
فى الارض ثلثمائة قلوبهم على قلوب آدم وله اربعون قلوبهم على قلب موسى وله سبعة
قلوبهم على قلب ابراهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبرئيل وله ثلثة قلوبهم على قلب ميكائيل
وله واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد ابدل الله مكانه من الثلاثة واذا مات
من الثلاثة ابدل الله مكانه من الخمسة ابدل الله مكانه من السبعة واذا مات من السبعة
ابدل الله مكانه من الاربعين واذا مات من الاربعين ابدل الله مكانه من الثلثمائة
واذا مات من الثلثمائة ابدل الله مكانه من العامة بهم يحيى ويميت قال لانهم
يسئلون الله اكثار الامة فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون
فينبت لهم الارض ويرفع عنهم انواع البلاء والمناسبة بين الآية وما قبلها
من الدلالة انه لما امر الله المؤمنين بالوفاء بعهده وامرهم بالعدل والحق فى حكمه
وذكرهم بانواع نعمه شرع يبين لهم كيفية اخذ العهود فى القيام بالحدود على من
كان قبلهم ولما نقضوها طردهم ولعنهم ليتعظ المؤمنون ويتنبه الغافلون
وافاد الاستاذ انه ذكرهم حسن فضله معهم وقبح فعلهم فى مقابلة احسانه لهم بنقضهم
فى عهدهم وعرف المؤمنين بحالهم تحذيرا عن ان يتنزلوا فى منزلتهم فيستوجبوا
مثل ما استوجبوه من عقوبتهم وقال الله انى معكم اى بالنصرة والمعونة لكم لئن اقمتم
الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلى اى صدقتموه بما جاؤا به من حكمى قيل اليهود
مقرون بان الصلوة والزكوة لا تنفعان الا مع ايمان لكنهم مكذبون ببعض
الرسل فذكر بعدهما الايمان بجميع الرسل لانه لا تحصل النجاة الا بالايمان
بجميعهم وعزرتموهم اى نصرتموهم وعظمتموهم وقويتموهم واصله الذب
ومنه التعزير وقال الاستاد اى لئن قمتم بحقى وتركتم حظوظكم لاوصلن اليكم
حظوظكم ولئن اجللتم امرى فى العاجل لاجللتم قدركم فى الآجل واقامة الصلوة
ان يشهد من تعبده بها كما قال عليه السلام اعبد الله كانك تراه ويقال شرطها
ان تقبل على من تناجيه كما تستقبل القطر الذى هو قبلة الكعبة فيه واما ايتاء الزكوة
فحقه ان يكتسب المال من وجهه وتصرفه فى حقه ولا تمنع الحق الواجب فيه عن اهله
ولا تؤخر الايتاء عن وقته ولا تحوج الفقير الى طلبه فان الواجب عليك ان توصل

ذلك الى

ذلك الى مستحقه وتعزير الرسل الايمان بهم على وجه الاجلال واعتناق امرهم بتمام الجد
والاستقلال وايثارهم عليك فى جميع الاحوال قلت وفيه ايماء الى ذكر الايمان
بالرسل وتعزيرهم للتعميم بعد التخصيص ببعض امورهم من العبادة البدنية والمالية
او المركبة منهما فى بعض القضية الفرضية ثم خص النفقة النفلية بقوله واقرضتم الله
بالانفاق فى السبل المرضية والطرق الالهية قرضا حسنا يحتمل المصدرية والمفعولية
وافاد الاستاذ ان الاغنياء ينفقون اموالهم فى سبيل الله والفقراء يبذلون
مهجهم وارواحهم فى طلب الله فهؤلاء من مائتى درهم يخرجون خمسة وهؤلاء
لا يدخرون عن امره نفسا ولا ذرة لاكفرن عنكم سيئاتكم اى ببركة وجود حسناتكم
فان الحسنات يذهبن السيئات لان المعاصى تحبط الطاعات ولادخلنكم
جنات اى بساتين مشتملة على الاشجار والاثمار والازهار تجرى من تحتها الانهار
على وفق اعمال الابرار وافاد الاستاذ ان التكفير هو الستر والتغطية فهو سبحانه
يستر ذنوب العبد فيمحوها من ديوانه وينسى الحفظة سوالف عصيانه وينفى تذكر
ما اسلفه من قلبه ولا يوقفه فى العرصة على ما قدمه من ذنبه ثم بعد ذلك يدخله الجنة بفضله
فمن كفر بعد ذلك منكم اى بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم لكم فقد ضل
سواء السبيل اى جادة الطريق لاجل عدم التوفيق الموصل الى مقام التحقيق
فان الضلال بعد العهد اظهر فى استحقاق العقوبة كالذنب بعد التوبة فبما
نقضهم ما زائدة مؤكدة اى فبسبب نقضهم ميثاقهم اى نوع من انواعه
قال ابو عثمان نقض الميثاق الرجوع الى الخلق بعد الاقرار الاول بالحق
لعناهم طردناهم من رحمتنا وابعدناهم من قربتنا وجعلنا قلوبهم قاسية
اى غليظة يابسة لا تتاثر فيها الموعظة وقرا حمزة والكسائى قسية وهى مبالغة
قاسية او بمعنى ردية وافاد الاستاذ انه سبحانه جعل جزاء العصيان
الخذلان بالزيادة فى العصيان يحرفون الكلم اى كلام الله عن مواضعه اى يبدلونه
ويغيرونه عن اماكنه او يؤولونه بغير وجهه وافاد الاستاذ ان قسوة القلب اولها
فقد الصفوة ثم استيلاء الشهوة ثم جريان الغفوة ثم استحكام القسوة
فان لم يتفق اقلاع من هذه الجملة فهو تمام الشقوة ويقال قسوة القلب عدم التوجع
بما يمتحن به من الصد وبعد الصد محنة الرد وذلك غاية الفراق ونهاية البعد ونسوا
حظا مما ذكروا به تركوا نصيبا وافرا مما وعظوا به من التورية ونحوها حيث لم يعملوا بها
وقيل معناه انهم حرفوها فنزلت بشومه عن حفظهم اشياء كما روى ان ابن مسعود
قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وافاد الاستاذ ان اول
آفاتهم نسيانهم اذ ما عصوا الا بعد ما نسوا فالنسيان اول العصيان والنسيان
حاصل من الخذلان قلت واول الناس اول الناسى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى

ولم نجد له عزما فالنسيان والغفلة يوجب البعد عن الحضرة كما ان الذكر والفكر
يقتضيان السعد بالقربة ولا تزال تطلع على خائنة منهم اى خيانة فهى فاعلة
بمعنى المصدر كالعافية او فرقة خائنة او فعلة ذات خيانة والمعنى ان الخيانة عادتهم
ودأب سالفهم لا تزال ترى ذلك منهم وتشاهده فيهم لا ينفك عنهم فاعف عنهم
واصفح ان اظهروا ايمانهم او دخلوا فى ايمانهم الا قليلا منهم اى لم يخونوا فهم الذين
آمنوا منهم فالاستثناء من ضمير منهم ان الله يحب المحسنين وافاد الاستاذ ان
للصفح على العفو مزية وهو ان فى العفو رفع الجناح وفى الصفح اخراج ذكر الاساءة من القلب
فمن تجاوز عن الجانى ولم يلاحظه بعد التجاوز بعين الاستحقار والازراء فهو صاحب
الصفح والاحسان تتميم للجود باسداء الفضل ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا
ميثاقهم اى واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم من اليهود وغيرهم
وفيه ايماء الى انهم سموا انفسهم نصارى ادعاء لنصرة الله كما زعمهم فنسوا حظا مما
ذكروا به كامثالهم فاغرينا اى الزمنا والصقنا واوقعنا بينهم العداوة والبغضاء
الى يوم القيمة اى بين فرق النصارى من النسطورية واليعقوبية والملكائية او بينهم وبين
وبين الطوائف اليهودية وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون اى يخبرهم بتشنيع
صنيعهم وجزاء خطيئهم وافاد الاستاذ ان من الاشارة فى هذه الآية ان النصارى
اثبت لهم الاسم بدعويهم فقال قالوا انا نصارى لتناصرهم واما المسلمون فقال
هو سماكم المسلمين فلاجرم لما تسموا بالتناصر بدعويهم خونوا وبدلوا فلما سماهم الحق بالاسلام
صانهم عن التبديل فعصموا ولما استمكن منهم النسيان ابدلوا على العداوة فيما بينهم وارباب
الغفلة لا الفة بينهم واهل الوفاق لا مباينة لبعضهم من بعض قال عليه السلام المؤمنون
واحدة وقال تعالى فى صفة اهل الجنة اخوانا على سرر متقابلين يا اهل الكتاب يعنى اليهود
والنصارى ووحد الكتاب للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب كنعت محمد عليه السلام وآية الرجم فى التورية وبشارة عيسى باحمد
فى الانجيل ويعفو عن كثير اى مما كنتم تخفونه وتحرفونه حيث لا يخبر به اذ لم يتعلق به
امر دينى او عن كثير منكم فلا يؤخذه بجريمة الدنيوى وافاد الاستاذ انه سبحانه وصف
الرسول عليه السلام باظهار بعض ما اخفوه وذلك علامة صدقه اذ لولا صدقه لما عرف
ذلك ووصفه بالعفو عن كثير من افعالهم وذلك من امارات خلقه اذ لولا
خلقه لما غفل ذلك فاظهار ما ابدا دليل علمه والعفو عما اخفى برهان حلمه قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين يعنى بهما القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك
والضلال والكتاب الواضح الاعجاز فى غاية من الاجلال وقيل يريد بالنور
محمدا عليه السلام لانه نور العالم وقيل بعناية الازل وصلتم الى نور الكتاب
المبين ونور التوحيد وانوار الظاهرة والباطنة وقال ابن عطاء العبد ينال

بهذا النور ما هو اجل من النور كمن اخذ سراجا فى بيت مظلم يدور به فى البيت
فيجد به اجل من السراج يهدى به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما
فى الحكم متحد من اتبع رضوانه سبل السلام طرق السلامة والنجاة من العقوبة
والملامة او سبل الله المنزه عن كل منقصة ويخرجهم من الظلمات الى النور
اى من انواع الكفر الى الاسلام والتوحيد باذنه اى بارادته او توفيقه
ويهديهم الى صراط مستقيم هو اقرب الطرق الى الله الكريم الموصل الى النعيم المقيم
وافاد الاستاذ ان انوار التوحيد ظاهرة لكنها لا تغنى عمن فقد البصيرة فمن استخلصه
بقديم العناية اخرجه من ظلمات التفرقة الى ساحة الجمعية فانمحى عن سره شهود الاغيار
وذلك نعت كل من وقف على المحجة المثلى من الابرار لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح بن مريم هو اليعقوبية من النصارى الذين قالوا المسيح هو الله وقالوا
باتحاد اللاهوت والناسوت قل فمن يملك من الله اى فمن يمنع من قدرته وارادته
شيئا اى من المنع او من الدفع ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه
ومن فى الارض جميعا عطف على المسيح عطف العام على الخاص فكل من المسيح
وامه مذكور مرتين مرة بالتصريح ومرة بالتلويح وقيل فائدة عطف من فى الارض
عليه للدلالة على انهما من جنس ما فى الارض من الرتبة السفلية لا تفاوت بينهما
وبينهم فى العوارض البشرية والحاصل انه سبحانه احتج بذلك على فساد مقولهم
وضعف تصور عقولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر
الممكنات فى قبضة الربوبية ومن كان كذلك فهو بمعزل عن مرتبة الالوهية وافاد
الاستاذ ان من اشتمل عليه ارحام الطوامث متى يفارقه نقص الخلقة ومن لاحت
عليه شواهد التغير انى يليق به نعت الربوبية ولو قطع البقاء عن جميع ما اوجد فاى
نقص يعود الى الصمدية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق
ما يشاء اى فيهما او فى غيرهما والله على كل شئ قدير ومنه المسيح وامه ونحوهما وقالت
اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل
لاتباع ابن زبير الخبيبيون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم
وقيل نحن ابناء انبياء الله وعن ابن عباس ان النبى عليه السلام دعا جماعة من اليهود
الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا بعقاب الله ونحن
ابناؤه واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم اى فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان
من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم فى الدنيا بالقتل والاسر
والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودات ومن المعلوم ان الحبيب لا يعذب
حبيبه افتح تعذيب والوالد لا يعذب ولده بل يؤدبه ويزكيه بنوع تهذيب والمسخ
والخسف وامثالهما من قبيل تعذيب لا طريق تاديب بل انتم بشر ممن خلق اى

من خلقه الله لسائر المخلوقات يغفر لمن يشاء اى فضلا وهم من آمن بالله ورسله ويعذب من يشاء اى عدلا وهم من كفر بما يجب الايمان به ولله ملك السموات والارض وما بينهما اى كلها سواء فى كونه خلقا له وملكا وملكا واليه المصير اى المرجع والمسير فيجازى المحسن بحسناته والمسئ بسيئاته وافاد الاستاد ان النبوة يقتضى المجانسة والحق سبحانه منزه عن المناسبة والمحبة التى بين المتجانسين توجب الاختلاط والموانسة وذات الحق سبحانه عن ذلك مقدسة فقال بل انتم بشر ممن خلق والمخلوقات متى يصح ان يكون بعضا للقديم والقديم لابعض له لان الاحدية حقه فاذا لم يكن له عدد لم يجز ان يكون له ولد ويقال فى الآية اشارة لاهل المحبة بالامان من العذاب والعقوبة لانه قال فلم يعذبكم بذنوبكم ويقال بين فى هذه الآية ان قصارى الخلق اما عذاب واما غفران ولا سبيل الى شئ وراء ذلك فى العيان والبيان يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اى الدين وحذف لظهوره او ماكتمتم وحذف لتقدم ذكره على فترة من الرسل اى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحى ومبان الاحوال ان تقولوا اولئلا تعتذروا وتقولوا ما جاءنا من بشير يرغبنا ولا نذير يرهبنا فقد جاءكم اى لا تعتذروا فقد جاءكم بشير ونذير اى الجامع بين البشارة والنذارة والحاوى بوصف الكتاب ونعت الرسالة والله على كل شئ قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام اذ بينهما الف وسبعمائة سنة على ما ذكره ابن سعد فى الطبقات عن ابن عباس والزمخشرى عن الكلبى والف نبى عليهم السلام وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة سنة وعشرون على ما ذكره وهب وقيل سبعمائة وقال مقاتل وقتادة والضحاك ستمائة ونقل عن ابن عباس ان بين ميلاديهما خمسمائة سنة وتسع وستون واربعة انبياء ثلاثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسى على ما ذكره البيضاوى وفى الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحى وكانوا احوج ما يكونون اليه وافاد الاستاذ ان فى كل زمان يقع فترة فى سبيل الله ثم يجدد الحال ويعمر الطريق بابداء السالكين من كتم العدم ولقد كان زمان الرسول عليه السلام اكثر الازمنة بركة فاحيى بظهوره ما اندرس من السبيل واضاء بنوره ما انطمس من الدليل وبذلك عليهم وذكرهم عظيم نعمته فيهم واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم افاد الاستاد انه كان الامر لبنى اسرائيل على لسان نبيهم بان يذكروا نعمة الله عليهم وكان الامر لهذه الامة بخطاب الله لا على لسان مخلوق ثم امر بان يذكروه فقال فاذكرونى اذكركم فشتان بين امره بذكره سبحانه وبين من امر بذكر نعمته ثم جعل جزاءهم ثوابه الذى هو فضله وجعل جزاء هذه الامة خطابه الذى هو قوله اذكرونى اذكركم اذ جعل

اى كراهة ان تقولوا صح

فيلم

فيلم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم وايدكم كلما هلك نبى قام نبى فيكم من لدن ابراهيم حتى ختم بعيسى عليه السلام ولم يبعث فى امة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء الكرام وجعلكم ملوكا اى وجعل منكم او فيكم سلاطين العظام امتنانا بان منهم سادة الدنيا وقادة العقبى وقيل لما كانوا مملوكين فى ايدى القبط انقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وقيل المعنى جعلكم اصحاب الخدم والحشم وهم اول من ملك الخدم او كان الرجل من بنى اسرائيل اذا كان له منزل وخادم سمى ملكا رواه ابن ابى حاتم عن رسول الله عليه السلام وهو المنقول عن ابن عباس وغيره وقال ابو سعيد القرشى ملككم سياسة انفسكم وحراسة انفاسكم وقيل اى قانعين وقيل وزراء انبيائكم وقال الحسين احرارا من رق الكون وما فيه وافاد الاستاذ ان الملك من المخلوقين من عبد الملك الحقيقى ويقال الملك من ملك هواه والعبد من هو فى رق شهواته او جعلكم ملوكا لم يكلكم الى امثالكم ولم يحجبكم عن نفسه باشغالكم وسهل سبيلكم اليه فى عموم احوالكم وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين اى من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها من سائر الانعام او من الفضل والشرف فى الدين ايام آبائهم والمراد بالعالمين عالمى زمانهم وافاد الاستاذ انه سبحانه لما اتى بنى اسرائيل بمقتضى جوده فقد اغنى عن الاباء هذه الامة فاستقلوا بوجوده والاستقلال بوجوده اتم من الاستغناء بمقتضى جوده يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت دار الانبياء وقرار الاصفياء مطهرة من اهل الشرك والاعداء التى كتب الله لكم قسمها وقدرها لكم او كتب فى اللوح المحفوظ انها تكون سكنا لكم ان آمنتم واطعتم مولاكم فاثبتوا على آثاركم لتدخلوا فى داركم ولا ترتدوا على ادباركم اى ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبارين وجاهدوهم فتكونوا غالبين وقيل لا ترتدوا من دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله المستعان فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين وجزم تنقلبوا على العطف او نصب على الجواب وقيل متحيرين بانفسهم غير راجعين الى ربهم فى احوالهم وافاد الاستاذ ان الارتداد على قسمين عن الشريعة واقامة العبودية فذلك يوجب عقوبة النفوس بالقتل وعن الارادة وذلك يوجب العقوبة التى هى الفراق على القلب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين اقوياء متغلبين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم ولا مقاومة لنا معهم وافاد الاستاذ انهم لاحظوا الاغيار بعين الحسبان فتوهموا منهم الحدثان فداخلهم هواجس الرعب فاصروا على ترك امر الرب ومن طالع الاغيار بانوار البصائر شاهدهم فى اسر التقدير والبسة منزهة عن الكان الايجاد فلم يقع على قلبه ظل التوهم من العباد قال رجلان

هو كالب ختن موسى على اخته مريم بنت عمران ويوشع بن اخت موسى على ما قال
ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم من الذين يخافون اي الله ويتقونه لا يخافون
امر الله وعقابه انعم الله عليهما بالايمان والثبات على الايقان ادخلوا عليهم الباب
اي باب قريتهم والمعنى باغتوهم في المضيق وامنعوهم من فضاء الطريق فاذا
دخلتموه اي وانتم متوكلون فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في مضايق بلادهم
من عظم اجسادهم او لانهم اجسام لا قلوب فيها او لتيقن انجاز وعده في نصرة نبيه
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي موقنين به ومصدقين لوعده اذ من شأن
المؤمن ان يتوكل على ربه قيل لذي النون ما التوكل في هذا الباب قال خلع الارباب
وقطع الاسباب وقال الاستاذ يحتمل ان يقال التوكل من شرط الايمان وظاهر
التوكل الذي لعوام المؤمنين العلم بان ما قضاه فلا مرد له وحقائق التوكل ولطائفه التي
لخواص المؤمنين شهود الحادثات بالله ومن الله والله فان فقد ذلك انتفى عنه اسم الايمان قالوا يا موسى انا
لن ندخلها ابدا ما داموا فيها بيان للابد الواقع بها فاذهب انت وربك اي بعونك
او واخوك الاكبر فقاتلا اي الجبارين من اعدائك انا ههنا قاعدون ننتظر نصرك
وما احسن ما قال بعض الصحابة يوم بدر حين المشورة انا لا نقول كما قالت بنو اسرائيل
بل نقول اذهب انت وربك انا معكم مقاتلون رواه البخاري في المغازي والامام
احمد والنسائي وابن ابي حاتم قال رب اني لا املك الا نفسي اي فبذلها لله واستعملها
في رضاه واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم
ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون عليه السلام فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
اي الخارجين عن دائرة اليقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون
في امر الدين قال فانها اي الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها بسبب المعصية
اربعين سنة يتيهون في الارض روي ان موسى عليه السلام سار بعد الاربعين بمن
بقي من بني اسرائيل ففتح بيت المقدس واقام فيه ما شاء الله ثم قبض قال البغوي
وهو الاصح وقد نقل عن كثير من السلف ان موسى وهرون ماتا في التيه ولم يبق احد
من التيه سوى يوشع وكالب الا مات فيه ويوشع سار باولادهم وفتح الشام كما رواه
ابن ابي حاتم عن ابن عباس وهو منقول عن مجاهد وغيره فلا تأس على القوم الفاسقين
اي لا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة
فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم حيث ارتحلوا عنه والاكثر على ان موسى
وهرون عليهما السلام كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في
درجتهما وعقوبة لهم وافاد الاستاذ انه سبحانه حيرهم في مفاوزهم حتى عموا عن مقاصدهم
فصاروا يبيتون حين يصبحون وكذلك من حيره الحق في مفاوز التفرقة بالقلب يتقلب
ليلا ونهارا في مطارح الظنون ثم لا يحصل الا على مناهل الحيرة فيحطون حيث يرحلون

فلا وجه

فلا وجه للرأي الصائب يلوح لهم ولا خلاص من نقص التجويز يساعدهم والذي
التجأ الى شهود الصمدية استراح عن الغفلة فكده ووقع في روح الاستبصار روحه
واتل عليهم نبأ ابني آدم اي خبرهما وهما قابيل القاتل وهابيل المقتول بالحق اي بالنبأ
الصدق وكان من شأنهما على ما ذكره ابن جرير عن ابن عباس انه لم يكن مسكين يتصدق
عليه فقالا نقرب قربانا فقرب هابيل خير غنمه وقرب الآخر ابغض زرعه فجاءت نار
من السماء واكلت الشاة وتركت الزرع وكان هذا علامة القبول والرد وهذا الكبش هو الذي
فدي به اسمعيل عليه السلام اتي به من الجنة فحسد قابيل اخاه وذكر اكثر المفسرين ان الله
قد شرع لآدم ان يزوج بناته من بنيه وكان يولد له في كل بطن ذكر وانثى وكان يزوج انثى
هذا البطن ذكر البطن الآخر فكانت اخت هابيل ذميمة واخت قابيل جميلة فاراد
ان يستأثر بها على اخيه فابى آدم ذلك وامرهما ان يقربا قربانا فمن تقبل فهي له
فتقبل من هابيل فحسده وهذا معنى قوله اذ قربا قربانا اي ما يتقرب به الى الله تعالى
من ذبيحة او غيرها ولم يثن لانه في الاصل مصدر فتقبل من احدهما وهو هابيل
ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم ربه ولم يخلص في تقربه وقصد الى اخس ما عنده
قال لاقتلنك توعده بقتله لفرط حسده على تقبل قربانه قال انما يتقبل الله
من المتقين اي المعاصي والمعنى انك اتيت من قبل نفسك بترك التقوى
وعدم الرضا بحكم المولى لا من قبلي فلم تقتلني ولا ذنب لي لئن بسطت الي يدك
لتقتلني اي لمخالفة لامر ربي ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك خوفا من الله
في فعلي وتحريا لما هو الافضل عندي ولذا قال عليه السلام كن عبد الله المقتول
ولا تكن عبد الله القاتل كما اخرجه ابن سعد في الطبقات وفي رواية كن خير ابني
آدم وفي اخرى كن عبد الله المظلوم ولا تكن عبد الله الظالم اني اريد ان
تبوء باثمي اي باثم قتلي واثمك اي الذي عليه قبل ذلك حتى لم يتقبل من اجله قربانك
وهذا قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي على ما رواه ابن جرير عنهم
فتكون من اصحاب النار لاستحلال دمي او لعدم الرضا بقضاء ربي وذلك
جزاء الظالمين قال ابن عباس خوفه بالنار فلم ينته بالانزجار وافاد الاستاذ
انه تحقق بان العقوبة لاحقة به على ما يسلفه من ذنبه فرضي بانتقام الله دون
انتصافه لنفسه فانه اذا رأى المظلوم ما يحل بالظالم من اليم بلائه هان عليه
ما يقاسيه من عنائه ويطيب قلبه برضائه فطوعت له نفسه اي سهلته وزينته
وهونته للقاتل قتل اخيه اي قتله اياه مع كونه اخاه فقتله فاصبح اي صار
من الخاسرين دنيا ودينا اذ بقي بقية عمره مطرودا حزينا قال ممشاد الدينوري كان
معصية آدم من الحرص ومعصية ابليس من الكبر ومعصية ابن آدم من الحسد فالحرص
يوجب الحرمان والكبر يوجب الخذلان والحسد يوجب الخسران فبعث الله غرابا

اى الى غراب ميت وخص لانه يتشام به يبحث فى الارض اى التراب حتى واراه ليريه اى الله
او الغراب كيف يوارى سوءة اخيه اى جيفته لما روى انه حين قتله تحير فى امره ولم يدر ما يصنع
بل قيل انه حمله على عنقه قال يا ويلتى كلمة هلكة وجزع وحسرة والالف فيها بدل من ياء المتكلم
والمعنى يا ويلتى احضرى فهذا اوانك وظهور شانك اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب
لا اهتدى الى ما اهتدى اليه من بحث التراب فاوارى سوءة اخى عطف على اكون فاصبح
من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير فى امره وحمله سنة على رقبته وتبرا ابويه منه
لفعله واسوداد لونه وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك اى بسبب قتله اخاه ظلما
كتبنا على بنى اسرائيل اى حكمنا عليهم وقضينا لهم بعدهم انه من قتل نفسا بغير نفس
اى بغير قتل نفس يوجب القصاص او فساد فى الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع
الطريق ونحوهما فكانما قتل الناس جميعا لان من استحل دم مسلم فكانما استحل دماء الناس
اذ لا فرق عنده بين نفس ونفس كما قاله ابن عباس رض ومن احياها اى حرم قتلها
وكف عنها او انجاها عن مهلكة وقعت فيها فكانما احيا الناس جميعا والمقصود من التشبيه
تعظيم النفس من جهة افنائها وابقائها ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا فى المحاماة
عليها وانما خص بنى اسرائيل بالذكر من بين الامم وان كان القتل محرما من لدن آدم
على طريق الاعم لانهم على ما روى اول امة نزلت عليهم الوعيد من الانبياء وغلظ
عليهم الامر بحسب طغيانهم على الانبياء وبسبب سفكهم الدماء والحاصل انه كما ورد
عنه صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة
ومن سن سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وقد جاء فى الحديث
ما قتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل منها وذلك لانه سن القتل ولقد
جاءتهم اى بنى اسرائيل خصوصا رسلنا بالبينات بالمعجزات الظاهرات
على صدق ما ذكروا من الاخبار والواقعات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك اى ما كتبنا
عليهم هذا التشديد وبينا هذا الوعيد الاكيد فى الارض لمسرفون بالقتل ولا يبالون
وفيه ايماء الى ان الصلحاء فى كل زمان قليلون انما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله اى يحاربون اولياءهما او يخالفون امرهما ونهيهما من قاتل النفس
وقاطع الطريق ونحوهما ويسعون فى الارض فسادا بالشرك والمعاصى والفتنة
والاغراء بين اهلها بالعداوة ان يقتلوا اى يبالغ فى قتلهم حتما من غير صلب
ان افردوا القتل او يصلبوا اى مع القتل ان قتلوا واخذوا المال فقال ابو حنيفة
ومالك يصلب حيا ويطعن حتى يموت وقال الشافعى يقتل ثم يصلب نكالا
لغيره من نحو فعله او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف بقطع ايديهم اليمنى وارجلهم
اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا وحصل لكل نصاب القطع فيما اخذوا او ينفوا
من الارض اى يحبسوا ان اقتصروا على الاخافة كما قاله ابو حنيفة او ينفوا من بلد

الى بلد

الى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار فى موضع ذلك لهم خزى فى الدنيا اى ذل وفضيحة
ولهم فى الآخرة عذاب عظيم افاد الاستاذ ان السعى بالفساد على ضربين بالظاهر وعقوبته
معلومة فى مسائل الفقه بلسان العلم وفى الباطن وعقوبته واردة على الاسرار وذلك
بقطع ما كان متصلا من واردات الحق وكسوف شموس العرفان والستر بعد الكشف
والحجاب بعد البسط واستشعار الوحشة بعد الانس وتبديل توالى التوفيق
بتتابع صنوف الخذلان والنفى عن بساط العبادة والاخراج الى متابعة
النفوس وذلك والله خزى عظيم وعذاب اليم الا الذين تابوا من قبل ان
تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى كما يدل عليه قوله فاعلموا
ان الله غفور رحيم وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة
لا يسقط الحد وان اسقطت العقوبة وان الآية فى قطاع المسلمين لان توبة
المشرك تدرا عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها هذا وعمل كثير من السلف كعلى
وابى موسى وغيرهما يدل على انه يسقط ايضا حقوق الانسان الا اذا اخذ مالا عينا
فيجب الضمان وافاد الاستاذ ان من اقلع عن معاصيه وارتدع عن ارتكاب
مساويه قبل ان ينتهك عنه ستر السداد لا يقام عليه فى الظاهر حدود الشريعة لاستبهامها
على الامام ولا يؤاخذه الحق سبحانه بقضايا اجرامه اخذا بظاهر ما ثبت من حاله
فى استصحاب السداد فاذا بدا للامام صفحة جرمه اقيم عليه الحد وان تقنع بنقاب
التقوى وكذلك اذا سقط العبد عن عين الله لم يصل بعده الى
ما كان عليه من معاودات تقريب الحق سبحانه يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة اى القربة بطاعته كذا فسره جميع من تكلم فى التفسير من
السلف والمعنى اطلبوا ما تتوسلون به الى ثوابه وقرب جنابه من فعل الطاعة
وترك المعصية وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة وقال جعفر اطلبوا منه
القربة اليه وافاد الاستاذ ان ابتغاء الوسيلة هو التبرى عن الحول والقوة
والتحقق بشهود الطول والمنة ويقال الوسيلة ما سبق لك من العناية القديمة
ويقال ابتغاء الوسيلة تجريد الاعمال عن الرياء وتجريد الاحوال عن الاعجاب وتخليص
الانفاس عن الحظوظ وفى نفائس العرائس اتقوا الله فى النظر الى السوى وابتغوا
اليه الوسيلة بنعت التقوى ولا يكون عنده كم الوسيلة اليه شيئا دونه لانه
هو الوسيلة اليه الا ترى الى قول الشاعر • ابا جود معن ناج معنا بحاجتى •
فليس الى معن سواه شفيع وسيلة محبته ومعرفته والاستعانة بطاعته
وجاهدوا فى سبيله بمحاربة الاعداء الظاهرة والباطنة المانعة عن وصوله لعلكم
تفلحون بالقرب اليه والمكانة لديه ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض
من صنوف الاموال جميعا من انواع المال ومثله معه على هذا المنوال ليفتدوا به

ليجعلوه فدية لانفسهم في الوبال من عذاب يوم القيمة في المال ما تقبل منهم في حال
من الاحوال ولهم عذاب اليم مولم بكمال النكال وانواع الانكال وافاد الاستاذ ان اليوم
يقبل من الاحباء مثقال ذرة وغدا لا يقبل من الاعداء ملء الارض ذهبا وفضة يريدون
ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها بالاضطرار ولهم عذاب مقيم في دار البوار
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما اي يمانهما كما قرئ بها وتفصيل المسئلة في الكتب
الفقهية جزاء بما كسبا اي من اخذ مال الغير بغير امر المولى نكالا من الله اي عقوبة في الدنيا
والله عزيز اي في الانتقام حكيم فيما شرع من الاحكام فمن تاب من السارق وغيره
من بعد ظلمه على نفسه وتعديه على مثله واصلح في امره بالتخلص عن عهدة التبعة في حكمه
فان الله يتوب عليه اي يرجع بالرحمة اليه ان الله غفور رحيم يغفر ذنبه ويرحمه
بالعصمة بعده وافاد الاستاذ ان من استوفى احكام التوبة فتدارك ما ضيعه وندم
على ما صنعه واصلح من امره ما افسده اقبل الله عليه بفضله فغفره وعاد اليه باللطف
وجبره الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض خلقا وملكا يعذب من يشاء ولو مطيعا
ويغفر لمن يشاء ولو عاصيا والله على كل شيء قدير اي تام القدرة بما تعلقت به المشية
والمعنى الم تعلم انك عاجز عن الخروج من ملكي ولم تقدر من الهرب مني ومن عذابي واني
اعذب من اشاء وهم المخالفون لامري واغفر لمن اشاء وهم المراجعون لحكمي وافاد
الاستاد انه سبحانه بين انه لا يعذب من يعذب بعلة ولا يرحم من يرحم بعلة وانه
انما يتصرف في عبيده بحق ملكه وان الحكم حكمه والامر امره يا ايها الرسول لا يحزنك
لا يوقعك في الهم والحزن الذين يسارعون في الكفر اي صنيع الذين يقعون في اظهار
الكفر سريعا اذا وجدوا فيه فرصة من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم
اي من المنافقين ومن الذين هادوا اي ومن اليهود ونحوهم من الكافرين سماعون
للكذب اي هم سماعون والضمير للفريقين او من اليهود قوم سماعون واللام للعلة
والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك سماعون لقوم آخرين لم ياتوك
لم يحضروا مجلسك تكبرا من الاغنياء او افراطا في البغضاء ولو كانوا من الفقراء يحرفون
الكلم من بعد مواضعه اي بعد ان وضعه الله مواضعه اما لفظا باهماله او تغيير بيانه
واما معنى بحمله على غير مراده واجرائه في غير مورده يقولون ان اوتيتم هذا المحرف فخذوه
فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بان افتيتم بخلافه فاحذروا قبول ما افتيتم به نزلت
على ما في الصحيحين وغيرهما في رجل وامراة محصنين من اليهود زنيا قد بدلوا الرجم
في التورية بمائة جلدة والتحميم والاركاب على حمار مقلوبا فلما وقعت تلك الكائنة
بعد الهجرة فارسلوا الى رسول الله عليه السلام واستفتوا وقالوا ان حكم بمثل ما قلنا
اعملوا ويكون نبي من انبياء الله قد حكم بذلك فيكون حجة بينكم وبين الله وان حكم بالرجم
فلا تتبعوه فامر عليه السلام بالرجم والزمهم انه حكم التورية فرجما واعلم من ذلك للعباد

ان كونهم

ان كونهم للعباد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك فلن تستطيع له
من الله شيئا في دفع فتنته قال الخواص من يرد الله فراقه اوقاته لن تملك جمع حالاته
اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من خبائث الشرك والمعصية والآية حجة
على المعتزلة وقال ابو عثمان يطهر قلوبهم بالمراعاة والمراقبة بالحياء من ربهم
في المخالفة لهم في الدنيا خزي فضيحة وخذلان للمنافقين وجزية وهوان لليهود ومن
يحاكيهم من الكافرين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار ابد الآبدين
وافاد الاستاذ في اشارة الآية ان من اقصاه الحق عن محل التقريب وارخى له
عنان الامهال وكله ومكره ولبس عليه حاله وستره فهو يتهتك في اودية حسبانه وانما
يسعى في امر نفسه ويعمل بما يعود اليه وباله فامر نبيه عليه السلام بترك المبالاة بامثالهم
وقلة الاهتمام باحوالهم وعرفه انهم بمعزل عن رحمته وان من ردته القسمة
الازلية لا ينفعه الاعلال في الاستقبال فقال ومن يرد الله فتنته فلن تملك له
من الله شيئا يعني ان من اهله الله للحرمان وقيده بشكال الخذلان فشفاعة الاغيار
فيه غير مقبولة ولطائف القبول اليه غير موصولة اولئك الذين لم يرد الله ان
يطهر قلوبهم اولئك الذين لم يعجن طينتهم بماء السعادة فجبلوا على نجاسة
الشرك والمعصية فان عدم الطهارة الاصلية لا ينتفي بفنون الغلالات العارضة
ويقال من ارسل اليه غاغة الهوى وسلط عليه نوازع المنى واذله بسوء القضاء فليس
يلقى عليه غير الشقاء لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ردوا من
الهوان الى الهوان وغصوا بالفراق وعذبوا بالافتراق فلا يدرى اي حالتيهم
اقرب من استيجاب الذل بدايتهم في الرد ام نهايتهم في الشرك والجحد قلت
الاول اقرب والثاني انسب سماعون للكذب كرره للتاكيد واللام مزيدة
للتاكيد اكالون للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت
البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بضمتين وهما لغتان قيل سماعون
للدعاوى الباطلة اكالون للسحت اي بدينهم وعباداتهم العاطلة وفي نفائس
العرائس وصف الله سبحانه اهل الناموس الذين في هذا الزمان يجلسون في الزوايا
ويظهرون الزهد والتقشف في الجنايا ويطرحون على اعناقهم الطيالسة يسمعون
مدائح اهل الدنيا بالمخايلة لهم مثل قولهم ليس في الدنيا مثلك يا شيخ وانت كذا
وكذا وهو يشتري غرورهم وافادتهم الباطلة وهم يمدحونه لاجل الشفاعة عند الاتراك
والظلمة ويجعلونه وسيلة الى السلطان ويعطونه رشوة لاستجلاب مرادهم بحكم الشيطان
فهو سميع الكذب ويأكل السحت طهر الله وجه الارض منهم ورزقنا من صحبتهم
وسوء افعالهم فانهم قوام الدين واكلوا الدنيا بالدين فان جاؤك فاحكم بينهم
او اعرض عنهم تخيير لرسول الله عليه السلام اذا تحاكموا بين الحكم والاعراض وهو قول

للشافعی والاصح وجوبه اذا کان المترافعان ذمیین لانا التزمنا الذب عنهم ودفع
الظلم منهم لان الآیة لیست فی اهل الذمة بل فی اهل العهد کما صرح به الرازی وعند
ابی حنیفة یجب مطلقا اما لو ترافعوا الینا مع مسلم فوجب اجماعا وقال کثیر من السلف
کابن عباس ومجاهد وقتاده وغیرهم ان الآیة منسوخة بقوله وان احکم بما انزل الله لان
الجزم بالحکم رفع التخییر بینه وبین الاعراض عنه وان تعرض عنهم فلن یضروک
شیئا بان یعادوک لاعراضک عنهم فان الله یعصمک منهم ومن غیرهم وان حکمت
فاحکم بینهم بالقسط بالعدل الذی امر الله تعالی به للتأدیب وان کانوا ظلمة
مستحقین للتعذیب ان الله یحب المقسطین ای یرضی عنهم ویثیبهم ویحفظهم عما نابهم
وکیف یحکمونک ای یجعلونک حکما بینهم وعندهم التوریة فیها حکم الله منصوص
فی قضیتهم نفسه تعجیب من تحکیمهم من لا یؤمنون به وتنبیه علی انهم ما قصدوا بالتحکیم
معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما یکون اهون علیهم وان لم یکن حکم الله
فی زعمهم ثم یتولون ای یعرضون عن حکمک الموافق لکتابهم من بعد ذلک
بعد التحکیم فیما بینهم وما اولئک بالمؤمنین لا بک ولا بکتابهم فیستحقون ما قدر الله
من عذابهم انا انزلنا التوریة فیها هدی یهدی الی الحق علی طریق الصدق ونور
مبین ما استبهم من الحکم فیما بین الخلق علی وجه العدل یحکم بها النبیون ای انبیاء
بنی اسرائیل او موسی ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرعنا ما لم ینسخ وبهذه الآیة
تمسک القائل به الذین اسلموا ای انقادوا لحکم الله وانقطعوا عما سواه للذین هادوا
والربانیون والاحبار عطف علی النبیون ای وکذا حکم لهم زهادهم وعلماؤهم
السالکون طریقة انبیائهم فی احکامهم وانبائهم بما استحفظوا من کتاب الله
بسبب امر الله ایاهم بان یحفظوا کتابه عن التضییع والتحریف وان یظهروا ما فیه
من الاحکام علی وجه التوصیف وکانوا علیه شهداء ای رقباء لا یترکون ان یغیروا
شیئا منه او شهداء یبینون ما یخفی منه او شهداء بانه من عند الله لا من عند
غیره فلا تخشوا الناس واخشون خطاب لعلماء الیهود علی وجه یتناول علماء هذه
الامة ایضا بان لا یخافوا غیر الله فی حکوماتهم ولا یداهنوا فی حکم الله مراعاة
لظالم او مداراة لحاکم ولا تشتروا بآیاتی لا تستبدلوا باحکامی التی انزلتها فی کتابی
ثمنا قلیلا وهو الرشوة والجاه المانع من جنابی قال محمد بن الفضل لا تطلبوا الدنیا
بعمل العقبی ومن لم یحکم بما انزل الله ای مستهینا به منکرا له فاولئک هم الکافرون
ففی مسلم عن البراء ان الآیات الثلاث نزلت فی الکفار فکفرهم لانکارهم به وظلمهم
بالحکم علی خلافه وفسقهم بالخروج عنه وفی حقایق السلمی قیل من لم یحکم للناس کحکمه لنفسه فقد
کفر نعم الله عنده وظلم نفسه بذلک وخرج عن طاعة ربه وقال جماهیر السلف نزلت
هذه الآیة فی اهل الکتاب دون من اساء من هذه الامة وقال الحسن البصری من لم یحکم به

من اهل الکتاب

من اهل الکتاب فهو کافر وقیل ان هذه الآیة فی هذه الامة واطلاق الکفر للتغلیظ والشدة
او المراد به کفر النعمة فیکون کفرا دون کفر کما روی ابن ابی حاتم عن ابن عباس رض ورواه
الحاکم فی مستدرکه وقال صحیح علی شرط الشیخین وهو قول عطاء وطاوس وغیرهم وافاد الاستاد
ان من الاشارة فی الآیة علی وجه البشارة انه سبحانه یخبر انه استحفظ بنی اسرائیل
التوریة فحرفوا فلما وکل حفظ التوریة الیهم ضیعوا بالتغییر والتحریف بخلاف هذه فانه
سبحانه تولی حفظه علیهم کما قال انا نحن نزلنا الذکر وانا له لحافظون فلا جرم
لو غیر واحد من القرآن حرکة او سکونا نادی علیه الصبیان بتخطئته فمن اتخذ غیره
حکما لم یجعله تحت جریان حکمه استسلاما فعن شرک خامر قلبه وکفر فاربا ستره وهیهات
ان یکون مع الله سواه وکتبنا علیهم فرضنا علی الیهود فیها ای فی التوریة ان النفس
بالنفس ای تقتل بها والعین بالعین ای تفقأ والانف بالانف یجدع والاذن
بالاذن تقطع وقرأ نافع بالاسکان حیث یقع والسن بالسن یقلع وقد رفع الکسائی
العین وما عطف علیه علی انها جملة مستأنفة والجروح قصاص ای ذات قصاص
او فیها قصاص او مقتصة بها فیما یمکن الاقتصاص منها وقرأ ابن کثیر وابو عمرو وابن
عامر والکسائی برفعها علی انها اجمال للحکم بعد التفصیل فمن تصدق من المستحقین
بالقصاص بمعنی لمن عفا عنه فهو ای التصدق والعفو کفارة له للمتصدق
والعافی یکفر الله به ذنوبه لما روی ابن مردویه عن رسول الله علیه السلام
وفیه فان کان ربع الدیة فربع خطایاه وان کان الثلث فثلث خطایاه وان کان
الدیة حطت عنه خطایاه وکذلک روی ابن ابی حاتم عن جابر عن عبد الله وهو قول
الحسن البصری وقتادة والنخعی وقیل للجانی ای لا یؤاخذه الله به کما ان القصاص
کفارة لذنبه وهذا قول ابن عباس ومجاهد والشعبی ومن لم یحکم بما انزل الله من
القصاص وغیره فاولئک هم الظالمون حیث لم ینصفوا المظلوم من الظالم
بالعدل الواجب علی الحاکم قیل نزلت لما اصطلحوا ان لا یقتل شریف بوضیع
وضعیف ورجل بامرأة ونحو ذلک وقفینا علی آثارهم ای اتبعنا النبیین
بعیسی بن مریم مصدقا لما بین یدیه من التوریة حاکما بما فیها وآتیناه الانجیل فیه هدی
ونور ای بیان وبرهان والجملة فی موضع النصب بالحال ولذا قال ومصدقا لما بین
یدیه ای موافقا لما سبقه فی اصول الدین واکثر احکامه وهدی وموعظة للمتقین
خصوا لکونهم منتفعین ولیحکم ای وآتیناه الانجیل وقلنا لهم لیحکم وقرأ
حمزة بکسر اللام وفتح المیم ای وآتیناه لیحکم اهل الانجیل بما انزل الله فیه ومن لم یحکم بما
انزل الله فاولئک هم الفاسقون الخارجون عن طاعة ربهم وانزلنا الیک الکتاب
بالحق ای القرآن متلبسا بالصدق مصدقا لما بین یدیه من الکتاب من جنس
الکتب المنزلة ای مطابقا لما فیها من القواعد المقدرة والاصول الممهدة ومهیمنا

عليه اى رقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد له بصحة الثبات والتقرير فاحكم
بينهم اى بين اهل الكتاب وغيرهم بما انزل الله اى عليك وكذا بما اوحى اليك ولا تتبع
اهواءهم اى مقاصدهم التى يحرفونها ويذكرونها بين يديك عما جاءك من الحق وظهر امره
لديك لكل امة جعلنا منكم ايها الناس شرعة اى شريعة ظاهرة لائحة ومنهاجا
طريقة واضحة واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة قال بعض الصوفية
الطرق الى الخالق بعدد انفاس الخلائق وقيل كل قد فتح له طريق الى الله فمن استقام
على الطريق وصل الى الله سبحانه ومن زاغ وقع فى سبيل الشيطان واتباعه ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على ملة واحدة وطريقة متحدة فى جميع الازمنة
من غير نسخ وتحويل فى بعض الاقضية ولكن ليبلوكم فيما اتاكم اى لكن اراد ليختبركم
فيما اتاكم من الشرائع المختلفة لمناسبة لكل عصر وقرن من الازمنة هل تعملون
بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن
الحق وتفرطون فى العمل بالاحكام الدينية فاستبقوا الخيرات اى فابتدروا الى
الطاعات وسارعوا الى العبادات انتهازا للفرصة الاوقات وافاد الاستاد
ان استباق الزاهدين برفض الدنيا واستباق العابدين بقطع الهوى واستباق
العارفين بنفى المنى واستباق الموحدين بترك الورى ونسيان الدنيا والعقبى فى
محبة المولى الى الله مرجعكم جميعا وعد للمبادرين ووعيد للمقصرين فينبئكم بما كنتم
فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المقصر والعامل وفى نفائس العرائس ان الله
تعالى جعل فى بحار القدم والبقاء شرائع لورود الارواح القدسية ومشارب
القلوب العارفة وسواقى العقول الصادرة من انواره الواردة ولكل واحد
منها شرعة من تلك البحار فلبعض شرعة العلم والمعرفة ولبعض شرعة القدرة
والقوة ولبعض شرعة الصمدية ولبعض شرعة الحكمية ولبعض شرعة المحبة ولبعض
شرعة العظمة ثم جعل لها منهاجا من الصفات الى الذات ومن الصفات الى الصفات
ومن الذات الى الذات ومن الاسماء الى النعوت ومن النعوت الى الاسماء ومن الاسماء
الى الافعال ليعرفه كل احد بقدر ذوقه وشربه وجعل بينهم تباعدا وتقاربا فى مراتب قربه
وقد قال تعالى قد علم كل اناس مشربهم فمن وافق شربه شرب صاحبه لم يقع بينهم الخلاف
فى الشرعة والمنهاج ومن لم يكن شربه موافقا لشرب صاحبه لم يعرف احدهما مكان الآخر
ويكون بينهما نزاع وذلك من غيرة الله عليهم على نفسه لئلا يركن بعضهم الى بعض ولئلا يطلع
عليه احد سواه وذلك رحمة على الجمهور قال عليه السلام اختلاف العلماء رحمة لاختيارهم
فى طريقتهم بحقائق العبودية وعرفان الربوبية وهذا معنى قوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة يعنى شيوخا واكابر بغير المريدين والسالكين ولكن ليبلوكم فيما اتاكم
من المقامات البهية والحالات السنية كيف تخرجون من دعويكم بحقيقة عبوديتى

وتخرجون

وتخرجون جواهر العلم بى وحكمتى ثم خاطبهم جميعا بقوله فاستبقوا الخيرات عرفهم
مكان تقصيرهم اى ما ادركتم منى فى جنب ما عندى لكم كقطرة فى بحار فسارعوا الى خيرات
مشاهدتى وجميل عطياتى ثم افردهم بما وجدوا الى عين جلاله بقوله الى الله مرجعكم جميعا
اى اليه مرجع افتقاركم من مقاماتكم لزيادة القربة والمعرفة فى حالاتكم وهناك يظهر
تفاصيل درجاتهم وما غاب عنكم من حقائق انوارى ودقائق اسرارى وهذا معنى قوله
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان احكم اى وامرنا بان احكم بينهم بما انزل الله فيهم
ولا تتبع اهواءهم اى مشتهياتهم على خلاف مذهبهم فى حكوماتهم واحذرهم ان يفتنوك
عن بعض ما انزل الله اليك اى يضلوك ويصرفوك عنه فيما يحيلون عليك وقال
الاستاد قم بالله فيما تحكم واتم حقوقه فيما تقدم وتؤخر ولا تلاحظ الاغيار فيما
تؤثر وتذر فان الكل محو فى التحقيق عند نظر اهل التوفيق فان تولوا عن الحكم
المنزل بهم فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وهو ذنب التولى عن حكم ربهم وفيه
اشارة الى ان ذنوبهم كثيرة وان هذا بجنبها يسيرة وان كثيرا من الناس
لفاسقون اى وان قليلا منهم لصالحون افحكم الجاهلية اى الملة الجاهلية من
الميل والمداهنة بمقتضى المشتهيات النفسانية يبغون يريدون وعن
حكم الله يعدلون وقرأ ابن عامر بالخطاب فى تبغون اى انعودون فى ظلمة
الحجاب بعد ما انكشف لكم النقاب ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون
اى بانه احكم الحاكمين وارحم الراحمين يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء اى لا تعاشروهم معاشرة الاحباء فانهم
لكم اعدى الاعداء بعضهم اولياء بعض اى على مخالفتهم ومعاداتكم لاجماعهم
على مضادتكم ومنادتكم وقال الاستاذ لا تجنحوا الى الملاينة مع اعدائه سبحانه
ايثار السكون الى حظوظ احتشاما من قيام بحق او ركونا الى قرابة نسيب او استعطافا
لمودة حميم او تهيبا من استيحاش صديق بل صمموا عقودكم عن التبرى منهم
بكل وجه فانهم بعضهم اولياء بعض والضدية بينكم وبينهم قائمة الى الابد ومن يتولهم
منكم فانه منهم اى من والاهم منكم فانه من جملتهم ويحشر فى زمرتهم وهذا للتشديد
فى وجوب مجانبتهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين اى الذين يوالون الكفار
من المنافقين او الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصى من الفاسقين وقيل
الظالم من ابى ان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الظالم من وضع
فى قلبه غير ذكر الله وسوى محبة مولاه فترى الذين فى قلوبهم مرض اى شك ونفاق
وغرض فى معاملتهم يسارعون فيهم اى فى موالاتهم ومعاونتهم
يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة بان ينقلب امر الدولة للكفرة فعسى الله
ان يأتى بالفتح اى ان يظهر للمؤمنين النصرة الظاهرة او امر من عنده

كضرب الجذبة واجلاء بعض ارباب العداوة فيصبحوا يعني هؤلاء المنافقين
على ما اسروا في انفسهم نادمين اي على ما حدثت به انفسهم من انه لا يتم امر المؤمنين
وقال الاستاد يعني ان الذين سمت ضمائرهم وضعفت في التحقيق بصائرهم
سبق الى قلوبهم هوادة الاعداء خوفا من معرتهم وطمعا في المأمول من صحبتهم
ولو استيقنوا انهم في اسر العجز وذل الاعراض منه سبحانه لا ملوا الموعود من كفايته
والمعهود من جميل رعايته ولكنهم حجبوا عن محل التوحيد ومقام الاحسان فتفرقوا
في اودية الظنون والحسبان وعن قريب ياتيكم الفرج ايها المؤمنون وترزقون
الفتح بحسن الاقبال والظفر بالسؤال بسابق الاختيار فيشترون الندم
ويساقون الالم ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة الكوفيين على انه كلام مستأنف
ويؤيده قراءة نافع وابن كثير وابن عامر مرفوعا بغير واو وقرأ ابو عمرو بالنصب
مع الواو عطفا على ان ياتي باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان ياتي الله بالفتح ويقول
الذين آمنوا اي بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم
حيث جعلهم من المخلصين اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم اي حلفوا
اغلظها في ايمانهم انهم لمعكم في باطنهم كظاهرهم وانهم احباؤكم حبطت
اعمالهم فانهم اعداؤكم فاصبحوا خاسرين في امر الدنيا والدين يا ايها الذين آمنوا
من يرتد منكم عن دينه قرأ نافع من يرتدد اي من يرجع الى عقبه فسوف ياتي الله
اي بدلا عنهم بقوم يحبهم اي يهديهم الى سبيل محبته ويثبتهم في طريق طاعته
ويحبونه حيث يعظمونه ويطيعونه ويذكرونه ولا ينسونه ويشكرونه ولا يكفرونه فقيل
هم اهل اليمن كما رواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس وقيل الاشعريون لما روى ابن جرير
انه عليه السلام قال قوم هذا مشيرا الى الاشعري وقيل الفرس لانه صلى الله عليه وسلم
سئل عنهم فضرب بيده على عاتق سلمان هذا وذووه وقيل هم ابو بكر واصحابه
كما روى ابن ابي حاتم عن الحسن البصري وهو قول علي وقتادة وقال الواسطي كما انه
بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات
وقال بعضهم بفضل حبه لهم احبوه وللصفا وكذلك بفضل ذكره لهم ذكروه اذلة
على المؤمنين متذللين لهم عاطفين عليهم متواضعين اليهم مع علو شانهم
لديهم اعزة على الكافرين اي متغلبين اشداء على الكفار والمنافقين متكبرين
على الظالمين يجاهدون في سبيل الله اي باموالهم وانفسهم والسنتهم
وقلوبهم باختلاف احوال اجتهادهم في افعال جهادهم فقيل الجهاد ثلثة
مع نفسك وعدوك وقلبك والجهاد في سبيل الله هو مجاهدة القلب لئلا
يتمكن فيه غفلة الرب ومجاهدة النفس ان لا ترتكب المعصية ومجاهدة الشيطان
ان لا يفتر في حاله عن الطاعة ولا يخافون لومة لائم اي لتصلبهم في دينهم

وقطع

وقطع الرجاء والخوف من غير ربهم ذلك اي ما سبق من احوال الاولياء
فضل الله يؤتيه من يشاء فيوفقه طريق الاحباء ويرزقه متابعة الانبياء والله واسع
كثير الفضل والعطاء عليم بمن هو اهله من ارباب الشكر والثناء واصحاب الصبر
في حال الابتلاء وفي نفايس العرائس ان الآية فيها ذكر شرف الصحابة والتابعين
ومن بعدهم من المؤمنين وبين تعالى ان المحبة من خواص صفة الازلية لانه كان بذاته
يحب احباءه وكان ذاته موصوفا بالمحبة الازلية وكانه تعالى يحب الاولياء بذاته
وصفاته فهم يحبون الله بذواتهم وصفاتهم في جميع حالاتهم لان مصدر
المحبة القدم وليس هناك فعل ومحبة العباد مصدرها قلوبهم وليس هناك
فعل واصل المحبة وقع بغير العلة من الآلاء والنعماء والافعال والحركات في البناء
كان سبحانه احبهم بعلمه في الازل قبل ايجادهم اصطفائية فكانه قد احب نفسه
لان كونهم لم يكن الا بكون وجوده وسبب وجودهم وهو تعالى احب فعله
ومرجع الفعل صفته ومرجع الصفة ذاته فكانه احب ذاته ولم يكن الغير في البين
فكان هو المحب وهو المحبوب وصفته المحبة وهم يحبونه بتجلي الصفة في قلوبهم
وهو مباشرة نور محبته في فؤادهم فلما تجلت عيون ارواحهم بنور محبته وطلبت
مصدر اصل الصفة وجدت مشاهدة الازل عيانا بلا حجاب فاحبتها بالمحبة
الاصلية التي لا تتحول من مصرف الازل ابدا فاذا كان كذلك فالمحب والمحبوب
والمحبة في عين الجمع واحد وهذا اشارة الى قوله سبحانه بلسان نبيه عليه السلام
حيث اخبر عن المحب المتحد المتصف بصفاته حيث قال في اثناء الحديث
فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا وفي هذا المعنى انشد المجنون انا من اهوى
ومن اهوى انا نحن روحان حللنا بدنا فاذا ابصرتني ابصرته واذا ابصرته ابصرتنا
وافاد الاستاد فيما افاد انه سبحانه جعل صفة من لا يرتد عن الدين ان يحب الله
ويحبه الله ففيه بشارة عظيمة للمؤمنين لانه يجب ان يعلم ان من كان غير مرتد
فان الله يحبه وفيه اشارة دقيقة فان من كان مؤمنا يجب ان يكون لله محبا
فاذا لم يكن له محبة فبالخطر صحة ايمانه وفي الآية دليل على جواز محبة العبد لله
وجواز محبة الله للعبد فمحبة الحق للعبد لا تخرج من وجوه اما ان يكون بمعنى
الرحمة عليه او بمعنى اللطف والاحسان اليه او المدح له والثناء عليه او يقال
انه بمعنى ارادته لتقريبه وتخصيص محله فكان رحمته ارادته لانعامه فمحبته ارادته
لاكرامه والفرق بين المحبة والرحمة على هذا القول ان المحبة ارادة انعام مخصوص
والرحمة ارادة كل نعمة فتكون المحبة اخص من الرحمة واللفظتان تعودان الى معنى
واحد فان ارادة الله سبحانه واحدة وبها يريد ساير مراداته وتختلف اسماء الارادة
باختلاف اوصاف المتعلق بها واما محبة العبد لله سبحانه فهي حالة لطيفة يجدها

فى قلبه وتحمله تلك الحالة على ايثار موافقة امره وترك حظوظه فيه وايثار حقوقه
سبحانه بكل وجه وتحصل العبارة عن تلك الحالة على قدر ما يكون صفة العبد فى
الوقت الذى يعبر عنه فيقال المحبة ارتياح القلوب بوجود المحبوب ويقال المحبة
ذهاب المحب بالكلية فى ذكر المحبوب ويقال المحبة خلوص المحب لمحبوبه بكل وجه من وجوه
المحبة تنحو الهمة لمن كانت همته اعلى كانت محبته اصفى بل اوفى بل اعلى ويقال
المحبة سكر لا صحو فيه ويقال المحبة بلاء لا يرجى شفاؤه وسقم لا يعرف دواؤه
ويقال المحبة غريم يلازمك لا يبرح ورقيب من المحبوب يستوفى له منك دقائق
الحقوق فى دوام الاحوال ويقال المحبة موجب المحبة محبة الحق اوجبت محبة العبد
لقوله تعالى يحبهم ويحبونه ولولا انه يحبهم والا لما احبوه ويقال لولا انه اخبر عن المحبة
والا ان يكون للطينة جسارة ذكر المحبة ثم بين الله سبحانه صفة المحبين فقال
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يبذلون المهج فى المحبوب من غير كراهة ويبذلون
الارواح فى الذب عن المحبوب من غير ادخار شظية من الميسور ثم قال فى صفتهم
يجاهدون فى سبيل الله بنفوسهم من حيث استدامة الطاعات ويجاهدون
بارواحهم بحذف العلاقات ويجاهدون باسرارهم بالاستقامة على الشهود فى دوام
الاوقات ثم قال ولا يخافون لومة لائم اى ولا يلاحظون نصح حميم ولا يركنون
الى استقلال حكمى ولا يحتجون الى استجلاب حظ ونصيب ولا يتركفون عن
سنن الوفاء بحال ثم بين سبحانه ان جميع ذلك اليهم لا منهم فقال ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء والله واسع متفضل عليم بمن يختص بذلك من عبيده انما وليكم الله
ورسوله والذين آمنوا اى ايمانا كاملا كما بينه بقوله الذين يقيمون الصلوة
ويؤتون الزكوة اى يقومون بامهات العبادات البدنية والمالية المستلزمة
ان يقوموا بالبقية وهم راكعون اى خاشعون للحق متواضعون مع الحق
وافاد الاستاذ ان الولى الناصر ولا موالاة بين المؤمنين وبين اعداء الحق
سبحانه فاعداء الحق هم اعداء الدين وانما حرف التحقيق يقتضى ان ما عداه
بخلافه واعدى عدوك نفسك كما فى الخبر ومن عادى نفسه لم يخرج بالمخاصمة
عنها مع الخلق وبالمعارضة فيها مع الحق ومن يتول الله ورسوله والذين
آمنوا اى من يتخذهم اولياء ويجعل من عاداهم اعداء فان حزب الله هم الغالبون
كما ان حزب الشيطان هم الخاسرون والغلبة بالبرهان والحجة وباعتبار العاقبة
قال سهل الغالبون لاهوائهم وافاد الاستاذ ان حزب الله هم الغالبون عن خطوطهم
الذين هم خصماء الحق على انفسهم لا خصماء انفسهم على مولاهم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا اى يهزؤا به ويتلعبا فى امره من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم والكفار بالنصب عطف على الموصول الاول اى ولا تتخذوا سائر الكفار

ايضا اولياء لان جميعهم لكم اعداء وقرأ ابو عمرو والكسائى بالجر عطفا على
الموصول الثانى ثم الكفار وان عم اهل الكتاب لكن يطلق على المشركين كثيرا لضعف
كفرهم وتزايد عداوتهم لاهل الدين وفى الآية اشارة الى الحب فى الله والبغض فى الله
كما ورد فى الحديث من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل ايمانه
وافاد الاستاذ انه سبحانه نبههم عن موجب التحذير عنهم والتميز منهم وان المخالف
فى العقيدة لا يكون موافقا فى الحقيقة ويقال امرهم ان يلاحظوهم بعين الاستصغار
كما لاحظوا دين المسلمين بعين الاحتقار واتقوا الله فى مراعاة امره ونهيه ان كنتم
مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم اى الناس الى الصلوة اتخذوها اى الصلوة
او المناداة هزوا ولعبا فان اليهود وكذا المشركون كانوا حينئذ يستهزؤن ويضحكون
ذلك بانهم قوم لا يعقلون افاد الاستاذ ان الاذان دعاء الى محل النجوى فمن تحقق
بعلو المحل فسماع الاذان يوجب له روح القلب واسترواح الروح ومن كان
محجوبا عن حقيقة الحال لاحظ ذلك بعين اللعب وادركه بسمع الاستهزاء وذلك حكم الله
غابر بين عباده على ما شاء قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تعيبون منا وتنكرون علينا الا
ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل اى من الكتب على من قبلنا وهذا عين المدح
والمعروف اجماعا بيننا وان اكثركم فاسقون اى خارجون عن ديننا وهذا هو
الحق ايضا لو انصفتم من قبلنا فالاستثناء من قبيل ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب وكما قال تعالى وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز
الحميد الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد ايذانا بان الايمان
لاهل الكتاب لانهم من اهل الحجاب وقال الاستاذ يعنى ما لنا عندكم عيب الا انا
تحققنا انا محو فى الله وان الكائنات حاصلة بالله ولا اثر لما سوى الله والله
وهذا والله عيب زائل ونقص له ليس له فى التحقيق حاصل اقول بل هذا نقص فى التحقيق
كمال وعيب فى نظر ارباب الكمال جمال قل هل انبئكم بشر من ذلك اى نقمتكم
مثوبة جزاء ثابتا عند الله والمثوبة فى اصلها مختصة بالخير كالعقوبة بالشر
ونصبها على التمييز عن بشر برفع توهم المخبر من لعنه الله وغضب عليه
اى هو من بعدهم الله عن رحمته وسخط عليهم بارتكاب معصية وجعل منهم القردة وهم اصحاب
السبت من اليهود والخنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى من النصارى وعبد الطاغوت
اى ومن عبد ما سوى الله من المشركين وقرأ حمزة بضم الباء وجر الطاغوت عطفا على القردة
للاشعار بالمسخ فى السيرة اولئك الملعونون شر مكانا لانهم فى مقام التذليل واضل
عن سواء السبيل اى قصد الطريق الموصل الى الرب الجليل والمراد الزيادة مطلقا
من صيغتى التفضيل وقال الاستاذ يعنى اخس المذكورين منا قدرا واقلهم خطرا
من سقط عن عين الله فاذله وابعده عن نعت التخصيص فاضله ومنعه عن

وصف التقريب فابعده وحجبه عن شهود الحقيقة فطرده واذا جاؤكم
اى منافقوكم قالوا آمنا بما انزل اليكم واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم
وقد دخلوا بالكفر فى باطنهم وخيالهم وهم قد خرجوا به على حالهم جملة حالية والمعنى
دخلوا وخرجوا كافرين ما اثر فيهم من صحبة المؤمنين والله اعلم بما كانوا يكتمون
اى من الكفر والكيد بالمسلمين بدخولهم عليهم حينا بعد الحين وافاد الاستاد انهم
اظهروا التصديق وفى التحقيق نافقوا فافتضحوا من حيث اوهموا ولبسوا فلا حالهم
بقيت مستورة ولا اسرارهم كانت عند الحق مكتومة وهذا نعت كل مبطل عند ارباب
الحقايق احوالهم ظاهرة فى انوار فراستهم وترى كثيرا منهم اى من المنافقين وغيرهم
يسارعون فى الاثم اى الحرام وقيل الكذب لقوله تعالى عن قولهم الاثم والعدوان
الظلم او مجاوزة الحد عن المعاصى او الاثم ما يختص بهم والعدوان بما يتعدى الى
غيرهم واكلهم السحت اى الرشوة وخص بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون
لبئس شيئا ما عملوه والى آخرتهم قدموه لولا ينهاهم الربانيون زهادهم وعبادهم
والاحبار علماؤهم ورؤساهم عن قولهم الاثم اى عن كذبهم وافترائهم واكلهم السحت
اى الحرام فى بيعهم وشرائهم لبئس ما كانوا يصنعون من عدم النكير عليهم ووجود الميل
اليهم وخص الصنع بخواصهم والعمل بعوامهم لان الصنع عمل بعد تدرب فيه
وتروّ واجادة تحرّ ولان ترك الحسنة اقبح من موافقة المعصية من حيث ان النفس
تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم فيها قال
ابن عباس وغيره ما فى القرآن اية اشد توبيخا للعلماء منها وافاد الاستاذ
ان الربانى من كان لله وبالله ولم يبق منه بقية لغير الله ويقال الربانى من توقى
عن الافات ثم ترقى الى على الساحات ثم تلقى ما كوشف به من زوائد القربات
تخلا عن نفسه وصفا عن وصفه وقام لربه بربه وقد جعل الله الربانيين نائبين
عن الانبياء والمرسلين الذين هم اولوا الدين فهم خلفاء ينهون الخلق بهممهم
واحوالهم اكثر مما ينهون باقوالهم فانهم اذا اشاروا الى الله حقق
الله ما يرمون اليه ويحقق ما يعلقون هممهم عليه وقالت اليهود يد الله مغلولة
وذلك حين كف الله عنهم نعمة الدنيا بعد ما جحدوا القرآن وانكروا الدين وكانوا
قبل ذلك فى خصب ورخاء فقالوا هو ممسك مقتر بالرزق وغل اليد وبسطها
مجاز عن البخل والجود ولا قصد الى اثبات يد وغل وبسط فى عالم الوجود وقيل
معناه فقير كقولهم ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا
دعاء عليهم بالبخل والنكد وبالفقر والمسكنة والكبد او المراد بغل الايدى حقيقة
يغلون اسارى فى الدنيا ومسحبين الى الجحيم فى العقبى فيكون المطابقة من
حيث اللفظ دون المعنى وملاحظة الاصل فى المبنى بل يداه اى نعماه الدنيوية

والاخروية

والاخروية او الظاهرية والباطنية مبسوطتان اى لا ابهما مبذولتان فاليد بمعنى
النعمة وقيل تثنية اليد مبالغة فى الرد ونفى البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله
السخى من ماله ان يعطيه بيديه ينفق كيف يشاء اى هو مختار فى انفاقه فيوسع تارة
ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته وقال الاستاد اى بل قدرته بالغة
ومشيئته نافذة ونعمته سابغة وارادته ماضية ويقال بل يداه مبسوطتان يرفع
ويضع ويدفع ولا يمنع ولا يخلوا احد عن نعم الدفع وان خلا عن نعم النفع قلت وكذا لا يخلو
احد عن نعم النفع لما سبق فى قوله من عدم المنع ولقوله سبحانه كلا نمد هؤلاء وهؤلاء
من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا اى ممنوعا ولعل الاستاد اراد
بالنفع المنفعة الاخروية او الدنيوية النافعة للامور الدينية ولذا قال ابن عطا
ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فاعطاك فالحق تارة يعطى الاكرام واخرى
للاستدراج فى مذلة الاقدام وليزيدن كثيرا منهم اى من اليهود ما انزل اليك
من ربك اى من الاحكام والحدود طغيانا وكفرا فى الوجود والمعنى كلما نزلت آية
كفروا وازدادوا طغيانا وكفرا بخلاف المؤمنين فانهم يزيدون بكل آية ايمانا
وشكرا قال تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا كما يزداد المريض داء من الادواء
من تناول الغذاء الصالح للاصحاء فهو كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين
كما قال صلى الله عليه وسلم القرآن حجة لك او عليك وفى رواية القرآن شافع
مشفع او ماحل مصدق والقينا بينهم اى اوقعنا بين طوائف اليهود او
بينهم وبين النصارى على ما قاله الحسن ومجاهد العداوة اى الظاهرة
والبغضاء الكامنة الى يوم القيمة فلا تتوافق قلوبهم واحوالهم ولا
تتطابق اراؤهم واقوالهم كلما اوقدوا اى اليهود نارا للحرب اى مع المسلمين
او مع احد ولو من المشركين اطفاها الله بان اوقع بينهم منازعة مانعة لهم
من الغلبة ويسعون فى الارض فسادا اى للفساد وهو اجتهادهم فى كيد العباد
وهتك المحارم واثارة الفتن فى البلاد والله لا يحب المفسدين اى لا يكرمهم
ولا يرضى عنهم ويجازيهم على فسادهم يوم الدين ولو ان اهل الكتاب مع
جرائمهم العظام آمنوا بمحمد عليه السلام ودخلوا فى الدين الاسلام واتقوا المعاصى
والآثام والظلم للانام لكفرنا عنهم سيئاتهم التى فعلوها ولم نؤاخذهم بها
ولادخلناهم جنات النعيم فيه تنبيه على عظمة عيوبهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام
يجب ما قبله من كفرهم وعصيانهم وبعض العلماء على ان من آمن ولم يراع
التقوى لم يكفر سيئاته التى عمل بها فى الكفر وفى الآية نوع اشعار اليه وكذا فى
حديث الصحيحين دلالة عليه فعن ابن مسعود قلنا انؤاخذ باعمالنا فى الجاهلية

والاسلام فقال عليه السلام اما من احسن منكم اسلامه فلا يؤاخذ بها ومن اساء اخذ بالجملة
في الجاهلية لكن قال النووي المراد بحسن الاسلام ايمان صحيح لا نفاق فيه والمراد من
الاساءة النفاق انتهى وهذا تاويل حسن وان قيل هو خلاف المتبادر وفيه ان التاويل
لا يكون الا كذلك وان ابقاءه على ظاهره مخالف لقواعد اهل السنة ومقو لمذهب
المعتزلة وافاد الاستاد انه سبحانه وتعالى انما وعدهم الغفران بشرط التقوى ودليل
الخطاب ان لا يغفر لمن لم يتق منهم في العقبى وقال لمطلق هذه الامة ثم اورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ثم قال في آخر الآية بعد ذكر الاقسام جنات
عدن يدخلونها وقال هو اهل التقوى واهل المغفرة اي اهل ان يتقى فان تركتم التقوى فهو
اهل لان يغفر انتهى وهذا يشير الى الفرق بين مسلمة اهل الكتاب وبين مؤمني هذه الامة في
الخطاب ثم قال الاستاد ويقال لو انهم راعوا امرنا اصلحنا لهم امرهم ولكنهم وقفوا
فوقفوا ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما واطاعة احكامهما وما انزل
اليهم من ربهم اي القرآن او سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بها
كالمنزل اليهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي لوسع عليهم ارزاقهم بان
يفيض عليهم بركات من السماء والارض بان ينزل اليهم المطر ويخرج لهم نبات الارض
قيل اراد به التوسعة كما يقال فلان في الخير من فرقه الى قدمه وعبر عن الاخذ والانتفاع
بالاكل لانه اجل منافعهم وايماء الى ان محط نظرهم انما هو في شبع بطنهم وحرصهم
وشرههم وفي الآية اشارة الى قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب وفي الحديث ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب
وقال الاستاد اي لو سلكوا سبيل الطاعة لوسعنا لهم اسباب المعيشة وسهلنا لهم
الحال الطيبة حتى ان ضربوا يمنة فالقوا غير اليمن وان ذهبوا يسرة ما وجدوا الا اليسر
منهم امة مقتصدة جماعة عادلة متوسطة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين صاروا
في هذه الامة وساروا في هذه الملة وافاد الاستاد ان المقتصد هو الواقف
على حد الامر لا يقصر فيه فينقص ولا يجاوز فيزيد ويقال المقتصد الذي يتساوى
في همته الفقد والوجود في الحادثات وكثير منهم وهم كفارهم يقال في حقهم
ساء ما يعملون اي بئس ما يعملونه يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك اي
جميع ما اوحي اليك غير مراقب من احد نفعا ولا ضرا ولا خائف مكروها وشرا وفي
حقايق السلمي قيل بلغ ما انزل اليك من الرسالة ولا تبلغ ما خصصناك به
من محل الكشف والمشاهدة فانهم لا يطيقون سماع ما اطقت حمله من مشاهدة
الذات والتجلي بالصفات وقال الاستاد اي ولا تكتم شيئا مما اوحينا اليك
ملاحظة لغير اذ لا غير في التحقيق الا رسوم موضوعة واحكام القدرة عليها جارية
وان لم تفعل اي لم تبلغ جميعه كما امرتك به فما بلغت رسالته وقرا نافع وابن عامر

وابوبكر

وابوبكر رسالاته اي فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها
كترك بعض اركان الصلوة فان حكمة الدعوة ينتقض به والله يعصمك
من الناس اي انا ناصرك وحافظك فلا تخف احدا غيري في تبليغك او عدة
وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض اعدائه اطمينانا لقلبه وسره فروى الترمذي
وقال الحاكم صحيح الاسناد انه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس من قبل
ذلك فلما نزلت هذه الآية ترك الحراسة وقيل المائدة اخر ما نزلت من القرآن فلا
يشكل بشج راسه الاشرف والمراد حفظ روحه عليه السلام وفي الحقايق قيل
يصون سرك عن الاشتغال بهم والنظر اليهم وقال الاستاد جمعا بين
العينين يحفظ ظاهرك من ان يمسك اذاهم فلم يتسلط بعد هذا عدو عليه
ويصون سرك عنهم حتى لا يقع فيه احتشام منهم ويقال يعصمك من الناس
حتى لا تغرق في بحر التوهم بل تشاهدهم كما هم وجودا بين طرفي العدم ان الله
لا يهدي القوم الكافرين اي لا يمكنهم مما يريدون من الاهلاك بك وبالمسلمين والمعنى
بلغ انت رسالتك والله الهادي وليس عليك هداهم قل يا اهل الكتاب
لستم على شيء اي معتد به من الدين حتى تقيموا التورية والانجيل المراد اقامة اصولها
وما لم ينسخ من فروعها وما انزل اليكم من ربكم من سائر الكتب المنزلة ومن جملة
اقامتها الايمان بمحمد عليه السلام والاذعان لحكمه وقال الاستاد اي ليس انتعاشكم
ولا نظام معاشكم ولا قدركم في الدنيا والعقبى ولا مقداركم ومنزلتكم في حال من
حالاتكم الا بمراعاة الامر والنهي والمحاماة على احكام الشرع وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا كرره ليتعقب عليه قوله فلا تأس على القوم
الكافرين اي فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم
فان ضرر ذلك لاحق بهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين آمنوا
اي باللسان كالمنافقين او المراد بهم الكاملون من المؤمنين والذين هادوا
والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة ورفع الصابئون
هنا على الابتداء والخبر محذوف اي كذلك والجملة معترضة بين صاحبي الكتابين
والنكتة انهم طائفة مائلة الى كل من الملتين وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع
الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتح فانه كما جوز بالياء جوز بالواو
من آمن بالله واليوم الآخر اي بجنانه او ثبت على ايمانه ومات على ايقانه وعمل
صالحا اي قام باحكام الاسلام واركانه ومن في محل الرفع بالابتداء وخبره
فلا خوف عليهم في العقبى ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا والجملة خبر ان
لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل ليقوموا بوعدهم وليوفوا بعهدهم وارسلنا
اليهم رسلا ليبينوا لهم امر دينهم وليذكروا لهم طريق يقينهم كلما جاءهم رسول

بما لا تهوى انفسهم اى بما لا تشتهى نفوسهم وتخالف اهواءهم من الشرايع وشاق
التكاليف التى تكون دواءهم وقال الاستاذ داروا مع الهوى فوقعوا فى البلاء ومن
امارات الشقاء الاصرار على متابعة الهوى فريقا اى من الانبياء كذبوا وفريقا
يقتلون عدل عن قتلوا مراعاة للفاصلة وبناء على حكاية الحال الماضية استحضارا
لتلك الحال الشنيعة وتنبيها على ان ذلك دأبهم وحالهم فى الاوقات الماضية وتصدهم
فى الازمنة الآتية وحسبوا ان ظنوا انهم مع هذه الافعال القبيحة ان لا تكون
فتنة اى لا يصيبهم عقوبة وبلية وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى برفع تكون على
ان ان هى المخففة عن المثقلة واصله انه لا تكون فتنة وقال الاستاذ اغتروا بطول
الامهال فاصروا على قبيح الاعمال فلما اخذتهم بحارة النقم لم ينفعهم الندم واشتد بهم
الالم فعموا عن الدين ودلائل اليقين وصموا عن استماع الحق من النبيين كعبدة
العجل وغيرهم من المذنبين ثم تاب الله عليهم اى ثم تابوا فقبل الله توبتهم
او وفقهم بالتوبة فتابوا عن معصيتهم والمعنى ثم انهم تمادوا فى الضلالة الى ان
حصل لهم الهداية بالتوبة ثم عموا وصموا اى كرة بعد اخرى كثير منهم بدل من
ضمير الجمع او من قبيل لغة اكلونى البراغيث والله بصير بما يعملون فيجازيهم على
وفق اعمالهم وطبق احوالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم
وهم طائفة من اهل الحلول والاتحاد المسمون باليعقوبية وافاد الاستاذ انهم
سقمت بصائرهم والتبس امارات الحدوث عليهم فخلطوا فى عقائدهم استحقاق
اوصاف القدم بنعوت الحدوث وصفات العدم وقال المسيح يا بنى اسرائيل
اى عبد الله ورسوله اليكم اعبدوا الله ربى وربكم اى انا عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقى وخالقكم انه من يشرك بالله اى فى عبادته او ما يختص من افعاله وصفاته فقد
حرم الله عليه الجنة اى منعه من اللذات الابدية والمراتب السرمدية ومأويه النار
اى منزله نار الفرقة ودار الحرقة ومسكنه مقام الحجاب ومحل العقاب وما للظالمين
من انصار اى وليس للكفار نصار من الاغيار فى دار البوار لقد كفر الذين قالوا ان الله
ثالث ثلثة اى احد ثلثة من الالهة هو والمسيح والله فلا ينافى قوله سبحانه ما يكون
من نجوى ثلثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكائية القائلون بالاقانيم الثلثة
وقال الاستاذ بلغ الخذلان بهم حدا كابروا الضرورة فحكموا الواحد بانه ثلثة ولا
يخفى فساد هذا على مجنون فى القضية فضلا على عاقل له ادنى مزية وما من اله الا اله واحد
من مزيدة الاستغراق والمعنى ما فى الموجودات ذات واجب مستحق العبادات من
حيث انه مبدأ جميع الكائنات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة
فى المراتب الربانية من الصفات الصمدانية وان لم ينتهوا عما يقولون اى بالتوبة
عن مقولهم ليمسن الذين كفروا منهم اى ممن بقى على كفرهم او مات على شركهم

عذاب

عذاب اليم مؤلم فى جميع احوالهم افلا يتوبون الى الله اى يجانبهم ويستغفرونه
بلسانهم عن عقائدهم الفاسدة واقوالهم الكاسدة ويرجعون بالتنزيه والتوحيد
بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم مع هذا الذنب الجسيم والمعنى يغفر لهم ان تابوا
ويمنحهم من فضله ان اتابوا وفى هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم بعدم توبتهم
واستغفارهم وقال الاستاذ لم يغلق باب التوبة عليهم مع قبيح
اقوالهم وفساد عقائدهم واحوالهم تضعيفا لرجال المؤمنين بخصائص رحمته
وامالهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل الجملة وصف لرسول
او استيناف بيان لاحوال كل رسول اى ما هو الا رسول من جنس الرسل
الذين خلوا ومضوا من قبله فانه خصه الله تعالى بآيات كما خصهم بها فانه
سبحانه ان خلق عيسى من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب
وان احيى الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهو
اعجب وامه صديقة صدقت بكلمات ربها وكتبه كسائر النساء التى يلاز
من التصديق والصدق بالتوفيق كانا يأكلان الطعام ويفتقران اليه
كسائر الانعام وقيل هو كناية عن يتغوطان ويبولان انظر نظر تعجب فى عالم
البيان كيف نبين لهم الآيات اى العلامات الفارقة بين ذوات القدم
والحدثان ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق فلا يتأملون
ولا يؤمنون وافاد الاستاذ ان من اشتملت عليه الارحام المنتنة وتناوبه
الاثار المتعاقبة انى يليق بوصف الالهية ثم من مسته الحاجة حتى اتصف
بالاكل واصابته الضرورة الى ان يخلص من قضايا الطعام فانى يليق به استيجاب
العبادة واستحقاق التسمية بالالهية انظر يا محمد كيف نزيد فى ايضاح
الحجة وكيف يلتبس عليهم سلوك المحجة قل اتعبدون من دون الله
ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعنى عيسى عليه السلام وان ملك بعض ذلك انما هو
بتمليك الله له هنالك فهو لا يملكه من ذاته ولا فى جميع حالاته ولا يملك مثل
ما نصر الله به من البلاء والمصيبة وما يقع به من الصحة والسعة واختير ما فى
العبارة نظرا الى ما هو عليه فى ذاته من نسبة الجمادية توطئة لنفى القدرة
عنه بالكلية وايماء الى انه بمعزل عن الالوهية وقدم المضرة لان التحرز عنها اهم
من تحرى المنفعة والله هو السميع بالاقوال العليم بالاحوال والاعمال والعقائد الصحيحة
والآية الفاسدة والنيات الخالصة والكاسدة وافاد الاستاذ ان تعليق
القلب بدون الرب فى استدفاع الشر واستجلاب الخير تحقيق الوقت بما
لا يجدى واذهاب العمر فيما لا يغنى اذ المتفرد بالايجاد برئ عن الانداد قل يا اهل
الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق اى غلوا باطلا فى جميع الابواب ولا تجاوزوا

عن صوب السداد والصواب فتزعموا عيسى عليه السلام الى ان تدعوا له الالهية
او تنقصوا فتزعموا انه لغير رشدة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم
وائمتهم الذين ضلوا قبل بعثة محمد عليه السلام في شريعتهم واضلوا كثيرا اي خلقا كثيرا
ممن تابعهم على ضلالهم وضلوا اي داموا كلهم عن سواء السبيل الموصل الى
رجاء الجليل ولقاء الجليل وافاد الاستاد التعمق في الباطل قطع لآمال الرجوع الآيل وكلما
كان بعد المسافة من الحق اتم واشد كان اليأس من الرجعة اوجب واسد ومتبع
الضلال شر من مبتدعه في المآل لان المبتدع يبني الحال والمتبع يتم البناء به [illegible]
ومن به كمال الشر شر ممن منه ابتداء الشر قلت ولعله من هذه الحيثية والا فينا قصة من
سن سنة سيئة لعن الذين كفروا من بني اسرائيل اي لعنهم الله او وقع لعنهم
على لسان داود في الزبور وعيسى بن مريم في الانجيل ذلك اي اللعن الشنيع المفضي
للحال الفظيع بما عصوا وكانوا يعتدون اي بسبب عصيانهم واعتدائهم في طغيانهم
وافاد الاستاد انه سبحانه امر الانبياء عليهم السلام حتى ذكروا الكفار بالسوء
واما الاولياء فاستخصهم بذكر نفسه فقال هو الذي يصلي عليكم فلعنة الكفار بلسان
الانبياء وذكر المؤمنين ببيان الحق على احسن الانبياء فانه لو كان ذلك ذكرا بنقيصة
لكان فيه استحقاق فضيلة فكيف وهو ذكر بالجميل والمدحة ولقد قال قائلهم
لئن ساءني ان نلتني بمساءة • قد سرني اني خطرت ببالكا كانوا لا يتناهون عن
منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن ارتكاب منكر ارادوا فعله
وتهيئوا له او لا ينتهون عنه ولا يمتنعون منه بل يصرون عليه لبئس ما كانوا يفعلون
وافاد الاستاد ان الرضاء بمخالفة امر الحبيب موافقة للمخالف ولا الفة بعد تمييز
الخلاف والسكوت عن جفاء يعامل به كرم ومروة والاغضاء على ما يقال في محبوبك
دناءة ترى كثيرا منهم يعني المنافقين يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا
للمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيمة مما
هيأوه وهو ان سخط الله عليهم اي وهم جاحدون وفي العذاب هم خالدون
فالمبدأ ان هو المخصوص بالذم والمعنى جنس موجب سخط الله وهو الحجاب وسبب
الخلود في العذاب قال الواسطي ما اظهر من الوسم المكروه على خلقه جعل ذلك سببا فا
الى غضبه وسخطه من غير ان يؤثر عليه شيء في عقبه الا ترى الى قول الحكيم كيف يؤثر
عليه ما هو اجراه ام كيف تغضبه ما هو ابداه وكيف يجري عليه الغضب على نحو ما يعرف
من الآدميين ولا يكره شيئا خلقه وتولى اظهاره وان كان نفس ما اظهره مكروها
في ذاته اذ لا ضرر عليه في شيء من خلقه كما لا زينة له في شيء من خلقه وافاد الاستاد
ان شر خصال اللئام مطابقة اضداد الصدقاء الكرام فاذا كان سخط الله في موالاة
اعدائه فرحمته ورضوانه في معاداة اعدائه وموالاة احبائه ولو كانوا يؤمنون بالله

والنبي

والنبي اي نبيا او نبيهم وما انزل اليه اي من القرآن والتورية ما اتخذوهم
اولياء لان الايمان الكامل يمنع عن محبة الاعداء ولكن كثيرا منهم فاسقون
خارجون عن الدين بالاعتداد خلون في مقام الاعداء لتجدن اشد الناس عداوة
للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا فانهم متفقون على الانهماك في حسدهم
والتمادي في عنادهم والقساوة في قلوبهم وحرصهم على طول
عمرهم وقلة رجوعهم الى الحق وعدم رحمهم على الخلق ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا
الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم وحسن تواضعهم ووفور كرمهم واحسانهم
وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل للعقبى كما اشار اليه بقوله
ذلك بان منهم قسيسين اي علماء ورهبانا اي زهادا وانهم لا يستكبرون
عن قبول الحق حين يفهمون او يتواضعون خلاف اليهود فانهم مستكبرون وفيه
دليل على ان الاوصاف الجميلة محمودة وان كانت في كفرة مبعودة وقد قال الامام
الحجة ان الكافر الفقير اخف عذابا في النار من الكافر الغني ولو اشتركا في دار البوار
وقال بعضهم اثبتت عليهم حرمات للخدمة وان كانوا على طريق المخالفة لانهم لما
اظهروا لزوم الباب صح لهم التزهد والرهبانية بنوع من الانتساب وان
قصروا في تحقيق مقام الاكتساب وافاد الاستاد انه سبحانه بين ان صفة
العداوة وان كان يجمعهم في المخالفة فمرة بعضهم تزيد على بعض في المقابلة
وبقدر ما للنصارى من الترهب اثر فيهم بالمقاربة من اهل القرب وانهم
وان لم ينتفعوا به من حيث الخلاص للنصارى فقد ذكرهم الله سبحانه بمقاربة اهل
الاختصاص واذا سمعوا ما انزل الى الرسول اي سماع القبول باعتبار بعضهم من
اهل الوصول ترى اعينهم تفيض من الدمع كالسيول مما عرفوا من الحق اي النازل
على الرسول وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم يقولون ربنا آمنا
بمحمد عليه السلام فاكتبنا مع الشاهدين من امته فانهم شهداء على الامم يوم
القيمة قيل نزلت في سبعين رجلا من قوم النجاشي وفدوا على رسول الله عليه السلام
فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا فقال لهم لعلكم اذا رجعتم الى ارضكم
انتقلتم الى دينكم فقالوا وما لنا اي واي مانع حاصل لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق
ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين اي في الجنة فاثابهم الله بما قالوا اي
جزاهم واعطاهم بسبب قولهم عن صميم قلوبهم جنات اي بساتين
مشتملة على الاشجار ذوات الاثمار والازهار تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها اي مقدرين الخلود في دار القرار وذلك جزاء المحسنين اي الابرار في هذه
الدار والذين كفروا عموما وكذبوا باياتنا خصوصا اولئك اصحاب الجحيم
اي ملازمون في العذاب الاليم والحجاب المقيم يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا

طيبت ما احل الله لكم اى من المشتهيات المستلذات والمباحات ولا
تعتدوا اى لا تجاوزوا عن الحد بالتضييق على انفسكم فى تحريم الحلالات كما فعل بعض
المترهبين من النصارى كسرا للنفس ورفضا للشهوات ومبالغة فى حصول
الرياضات ان الله لا يحب المعتدين بل يحب المقتصدين او معناه لا تعتدوا
حدود ما احل لكم الى تعاطى ما حرم عليكم او لا تعتدوا فى تناول الحلال وخذوا منه بقدر
الكفاية المعينة على عبادة ذى الجلال فان الزيادة على هذا الحال وبال فى المآل وقال
ابو عثمان لا تحرموا على انفسكم المكاسب وطلب قوت الحلال من تلك المراتب ولا
تعتدوا اى لا تعتقدوا رازقا سوى الخلاق فانه الرزاق لكنه ربما اوصل اليك
رزقك بكسب وربما حصل لك الرزق بلا سبب وافاد الاستاد ان من
امارات السعادة الموقوف على حد العبادة ان اباح الحق شيئا قبل وقابل
بالخشوع وان حظر وقف ولم يتعرض للحظوظ ومما اباحه من الطيبات الاسترواح
الى نسيم القرب فى اوطان الخلوة وتحريم ذلك ان يستبدل تلك الحالة بالخلطة
دون العزلة والعشرة دون الخلوة وذلك هو العدوان العظيم والخسران الجسيم
هذا والاية نزلت فى جمع من الصحابة منهم على بن ابى طالب كرم الله وجهه
تبتلوا واعتزلوا النساء وطيبات الطعام وهموا بالاختصاء ولذلك قيل
الاعتداء هو الاختصاء وروى ان رسول الله عليه السلام وصف القيمة لاصحابه يوما
وبالغ فى انذارهم فرقوا واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا
صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والدسم ولا يقربوا النساء
والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انى لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا
وقوموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتى النساء فمن رغب عن
سنتى فليس منى فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اى كلوا ما احل لكم وطاب
مما رزقكم واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون فى مخالفة ما امركم به وما نهاكم عنه فيما تفعلون
وفيما تاكلون وتشربون وتلبسون قال بعضهم رزقه الذى رزقك ما هو من غير حركة
منك ولا استشراف فيك وهو الطيب الحلال يحل محل الدعوة ويطيب قلبك بتناول
تلك اللقمة وافاد الاستاد ان الحلال الصافى بان ياكل على شهوده فان نزلت
الى انه عن هذا فعلى ذكره فان الاكل على الغفلة حرام فى شريعة الارادة هذا وقيل لما نزلت الاية
السابقة فى منعهم عما اتفقوا عليه من انواع الرياضة والمجاهدة عن مراعاة طريقة
السنة قالوا يا رسول الله انا قد حلفنا على تلك الحالة فنزل قوله لا يؤاخذكم الله باللغو
فى ايمانكم هو الحلف على ما يظن انه كذلك فلم يكن واليه ذهب ابو حنيفة واحمد وقيل
هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعى

ولكن

ولكن يؤاخذكم اى اذا حنثتم بما عقدتم الايمان اى بما وثقتم الايمان عليه بالقصد
والنية وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالتخفيف وابن ذكوان عاقدتم فكفارته
اى فكفارة نكثه وجزاء حنثه اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم
اى من اعدله او امثله او من اقصده فى النوع او القدر وهو نصف صاع من بر
او صاع من شعير وتمر ونحو هما وهو قول عمر وعلى وعايشة ومجاهد والشعبى وسعيد بن
جبير وغير واحد من السلف واختاره ابو حنيفة او مد لكل مسكين كما هو مذهب
الشافعى او كسوتهم وهى ثوب جامع يستر عامة البدن كقميص او ازار ورداء عندنا
وقيل ما يستر به العورة وبه قال مالك والشافعى واحمد وهو قول محمد من اصحابنا
او تحرير رقبة اى اعتاق انسان مسلما كان او كافرا صغيرا او كبيرا ذكرا او انثى وشرط
الشافعى فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او فى الاية ايجاب احدى
احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف فى التعيين والعتق افضل ثم
الكسوة ثم الاطعام فبدئ بالايسر فالايسر على الانام فمن لم يجد اى واحدا منها
بان لم يفضل ما يطعم عشرة مساكين من قوته وقوت عياله فى يومه وليلته
فصيام ثلثة ايام اى فعليه صوم ثلاثة ايام اى متتابعات كما قرئ بها وبه قال
ابو حنيفة لان قراءة الشاذة بمنزلة السنة فى الرواية خلافا للشافعية حيث
قالوا لم تثبت كتابا ولم تروسنة وفى تفسير المعين الصفوى الشافعى انها قراءة
ابى وابن مسعود والشواذ وان كانت ليست بحجة فلا اقل ان يكون خبر واحد
وتفسير من الصحابة وهو فى حكم المرفوع وعليه ابو حنيفة واحمد ونص الشافعى رحمه الله
فى موضع من الام على وجوب التتابع ذلك اى المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم
اى وحنثتم وترك ذكر الحنث للعلم بان الكفارة تجب بالحنث لا بنفس الحلف
واحفظوا ايمانكم اى بان لا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت
خيرها كذلك اى مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شرايعه وامور
ومنهياته لعلكم تشكرون اى نعمة التعليم وسائر تفضلاته وافاد الاستاد
ان الاشارة فى الاية الى وقت تغلب على قلبك التعطش الى شىء من
اقباله او وصاله فتقسم عليه بجماله او جلاله ان يرزقك شظية من افضاله فذلك
فى شريعة الرضا لغو من اليمين فيعفى عنك رحمة عليك لضعف حالك
والاولى هو الذوبان والمحو بحسن الرضا تحت ما يجرى عليك من احكامه فى الرد
والصد وان تؤثر استغاثتك فى اداء حقوقه على كرامتك بحسن تقربه واقباله
كما قال قائلهم ◦ اريد وصاله ويريد هجرى ◦ فاترك ما اريد لما يريد ▪ ومن اللغو
فى اليمين عندهم ما يجرى على لسانهم فى حال غلبات الوجد فى تجديد العهد
وتاكيد العقد فيقول وحقك لا نظرت الى غيرك ولا قمت لغيرك ولا حلت

عن عهدك واشال هذا وهذا كله فى حكم التوحيد محو فى مقام التفريد سهو ومن امت
فى الرقعة حتى تغدو من نفسك وان فى الدار غيره ديار حتى تقول بتركه او تتحقق بوصله
او هجره كلا بل هو الله الواحد القهار وكان الكفارة الشرعية اما عتق واما كسوة او
اطعام فان لم تستطع فصيام ثلثة ايام فكفارتهم على موجب الاشارة اما بذل
الروح بحكم الوجد او بذل القلب بصحة القصد او بذل النفس بدوام الجهد فان عجزت
فامساك وصيام عن المناهى والزواجر والملاهى يا ايها الذين آمنوا انما الخمر انواع
المسكر والميسر اصناف القمار والانصاب اى الاصنام التى تنصب للعبادة او حجارة
كانوا يذبحون قرابينهم لآلهتهم عندها طلبا للقربة والازلام سبق تفسيرها
فى اول السورة رجس اى ذوات قذر يعاف عنه العقول او موجبات سخط او
اسباب اثم فى المعقول والمنقول من عمل الشيطان لانه سبب فى تسويله وتزيينه
فاجتنبوه اى الرجس او ماذكر لعلكم تفلحون اى تفوزون بالمقاصد الدينية والمراتب
الاخروية وافاد الاستاذ ان الخمر ما خامر العقول والخمر حرام باجماع ارباب النقول
والاشارة فيه انه يزيل نفاذ العقل بما يوجب عليه من الالتباس ومن شرب من خمر
الغفلة يوجب البعد عن الحقيقة فمن سكر من خمر الدنيا فهو ممنوع عن الصلوة
ومن سكر من شراب الغفلة فهو محجوب عن المواصلات وكان من شرب الخمر
وجب عليه الحد فكذلك من شرب شراب الغفلة فعليه الحد بضرب سياط الخوف
وكان السكران لا يقام الحد ما لم يفق فالغافل لا ينجع فيه الوعظ ما لم ينتبه وكما
ان مفتاح الكبائر شرب الخمر فاصل كل زلة وسبب كل بعد وحجبة هو الغفلة عن
الحضرة وحرم الميسر فى الشرع وفى شريعة الحب القوم مقهورون ومن حيث الاشارة
فابدانهم مطروحة فى شوارع التقدير بطاؤها كل عابر سبيل من الصادرين من عند
المقادير واردا واجسامهم مستباحة بحكم القهر عليها فخرجت القرعة من غلبات الحكم لديها
قوله تعالى فما هم تكان من الممتحنين انما يريد الشيطان بوقوع هذه الاشياء ان يوقع بينكم
العداوة والبغضاء فى ظاهركم وباطنكم خصوصا فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله
يشغلكم بالخلطة والجلوة عن العزلة والخلوة ويمنعكم عن الحضرة وعن الصلوة اى وعن
صلات الموصلة فهل انتم منتهون منها ام انتم مصرون عليها وبهذا التقدير فى
المبنى قبل المعنى فانتهوا كما قيل فى قوله تعالى وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين
أأسلمتم اى اسلموا وافاد الاستاذ انهم طال عهدهم بالحقيقة فقاسموا الهوان
فى مطارح الغربة فصاروا سخرة الشياطين والفجرة فبقوا عن الصلوة التى هى
محل النجوى وكمال الرحمة وفسدت ذات بينهم بما تولد بينهم من الشحناء والبغضاء
والعداوة واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا ما نهيا عنه فان توليتم
اعرضتم عن الطاعة وترك المراقبة فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين وقد ادى الرسالة

واثبت

واثبت الحجة واوقع النصيحة فيرجع اليكم مضرة المعصية والمخالفة قال الواسطى
الحذر لا يزول عن العبد وان كان مدرجا تحت الصفات ولولا ذلك لبسط العلم
الى قلة المبالاة بالافعال والمقالات ولكن الادب فى اقامة المقامات هو المراعاة
والموافقات كلما ازدادت السرائر للعلماء الآخرة ازدادت لهم الخشية وقال ايضا
احذروا الا تلاحظوا طاعاتكم فتسقطوا عن درجة كمالاتكم وقال الاستاذ كلما كان العبد
اعرف بربه كان اخوف بقلبه من جهة حجبه وانما ينتفى الحذر عن العبد عند تحقق
الوعد بقوله اولئك لهم الامن وذلك عند دخول الجنة وحقيقة الحذر نهوض القلب
بدوام الاستغاثة مع مجارى الانفاس فى كل ساعة هذا وروى احمد عن ابن عباس
لما نزل تحريم الخمر قالوا كيف بمن كان يشربها قبل التحريم وبعض الذين قتلوا يوم احد
شهداء والخمر فى بطونهم فانزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جناح اى اثم فيما طعموا اى مما لم يحرم عليهم بعد لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا
الصالحات اى اتقوا المحرم من الشرك وسائر المعصية وثبتوا على الايمان
والاعمال الصالحة ثم اتقوا اى ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا
اى استمروا على اتقاء المعاصى واحسنوا اى وتحروا الاعمال الجميلة وبها
اشتغلوا ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باختلاف
الحالات الثلاث من استعمال العبد التقوى بينه وبين نفسه اولا وبينه وبين
الناس ثانيا وبينه وبين الله ثالثا ولذلك بدل الايمان فى الكرة الثالثة بالاحسان
اشارة الى قوله عليه السلام فى تفسير الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
او باعتبار المراتب الثلاث من المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار انواع
ما يتقى فانه ينبغى ان يترك المحرمات توقيا من اصناف العقوبات والشبهات
تحرزا للنفس عن الوقوع فى المحرمات وبعض المباحات الشاغلة عن الطاعات
والعبادات المانعة عن الوصول الى مقامات ارباب الارادات واصحاب
القربات فى علو الحالات والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بما يؤاخذ المسيئين
وفيه ان من فعل ما ذكر صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا ومن خالف
شيئا من ذلك كان لله مغضوبا وقال سهل فى قوله ليس على الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا اى اذا طلبوا الحلال ولم يأخذوا فوق الكفاية
من المال تخشيا للحال وتحصينا للمآل وافاد الاستاذ ان من حافظ على الامر والنهى
فليس للقمة تبعة ولهاء الخطر ما يضايق فيها وانما المقصود من العبد التأدب
لصحبة طريقه سبحانه فاذا اتقى الشرك فوقف ثم اتقى الحرام فيما تصرف ثم اتقى
الشح فاثر وما اسرف او يقال ثم اتقوا المنع وآمنوا بالخلف وهذا للعوام ثم اتقوا
شهود الخلق واحسنوا بشهود الحق وهذا للخواص والله يحب المحسنين اعمالا

والمحسنين آمالا والمحسنين احوالا يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله
اى ليعاملنكم معاملة المختبر وانتم محرمون بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم
اى يتناول بعض منه بالايدى لقربه او انسه وبعض منه بالرماح لنفرته وبعده فان
الآية كما قال مقاتل بن حيان نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت
الوحوش والطيور تغشاهم فى رحالهم لم يروا مثلها قط بحيث يتمكنون من
صيدها اخذا بايديهم لان فيها صغارا وفراخا على ما نص عليه مجاهد وطعنا برماحهم
لان فيها كبارا ليعلم الله اى يرى ويميز من يخافه بالغيب اى من يخاف الله
ولم يره من يخاف عقاب الله وهو غائب غير مشاهد فيتميز ممن لا يخاف
لضعف ايمانه وقلة ايقانه والتقليل والتحقير فى شيء اما للتنبيه على انه ليس
من العظائم التى تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال وارتكاب
الامور العظام فمن لم يثبت عنه فكيف يثبت عند ما هو اعظم منه او للاشارة الى
ان ما يقع به الابتلاء بعض من كل بالاضافة الى مقدوره سبحانه فانه قادر
على ان يبتلى باعظم من ذلك ليبعثهم على الصبر ويهون عليهم الامر ويؤيده انه
سبق الاعلام به قبل حلوله ليوطن النفس عليه بعد نزوله فمن اعتدى بعد ذلك
اى الابتلاء بالصيد او الانذار والاعلام فله عذاب اليم اى فالوعيد لاحق به
وهو ملام وافاد الاستاد انه سبحانه اباح الصيد لمن كان حلالا وحرم الصيد
على المحرم الذى قصد زيارة البيت مآلا والاشارة فيه ان من قصد بيتنا فينبغى
ان يكون الصيد منه فى امان لا يتأذى منه بحال من الاحوال حيوان ولذا قالوا
البر من لا يؤذى الذر ولا يضمر الشر يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم اى محرمون جمع حرام والمراد بالصيد هنا المصيد وهو عام لكل حيوان
متوحش فى اصل الخلقة كما عليه الجمهور ومنهم ابو حنيفة واستثنى الشارع
كما ورد خمس يقتلن فى الحل والحرم الحداءة والغراب والعقرب والفارة
والكلب العقور وفى رواية اخرى الحية بدل العقرب والمراد بالغراب الذى
ياكل الجيف دون الذى ياكل الزرع وعند الشافعى يجوز للمحرم قتل ما لا يؤكل
لحمه من الصيد ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه غير مكره على فعله عالما بانه حرام
عليه قتل ما يقتله والاصح عند السلف والخلف وعليه ابو حنيفة ان العمد والخطأ
والنسيان سيان فى لزوم الكفارة دون الاثم والعصيان فليس قوله متعمدا للتقييد
وجوب الجزاء بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية نزلت فيمن تعمد اذ روى
انه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء
مثل ما قتل من النعم برفع جزاء منونا ورفع مثل مضاف قراءة الكوفيين بمعنى
فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتله من النعم ومن بيان للجزاء او للمثل وقرا الباقون

على اضافة

على اضافة المصدر الى المفعول والمعنى فعليه ان يجزى مثل ما قتله وهذه المماثلة باعتبار
الخلقة والهيئة عند مالك والشافعى واحمد ومحمد من اصحابنا ويجب القيمة عند
ابى حنيفة وابى يوسف وهو المروى عن ابن عباس وقول ابراهيم وعطاء ومجاهد والقاسم
فيقوم الصيد حيث صيد او بقربه فان بلغت ثمن هدى يخير بين ان يهدى من النعم
ما قيمته الصيد وبين ان يشترى بقيمته طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر او
صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ يخير بين الاطعام
والصيام واللفظ للقول الاول اوفق وللثانى اتم واعم والله اعلم يحكم به
اى بالجزاء ذوا عدل اى رجلان صالحان منكم اى من المسلمين والجملة صفة
جزاء او استئناف بيان وهو يؤيد قول ابى حنيفة لان التقويم احق بالاجتهاد
والنظر من المماثلة فى الخلقة والهيئة اليهما وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام
كما هو مذهب الشافعى هديا حال مقدرة من الضمير فى به بالغ الكعبة اى واصلا
الى حرمها بان يذبح فيه ويتصدق به ثم وهو الافضل او يتصدق به حيث يشاء
كما هو مذهبنا او كفارة عطف على جزاء طعام مساكين عطف بيان وقرأ نافع
وابن عامر كفارة طعام بالاضافة البيانية كقولهم خاتم فضة او عدل ذلك
صياما اى او ما ساواه من الصيد فيصوم عن طعام كل مسكين يوما والعدل فى الاصل
مصدر اطلق للمفعول وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل واو للتخيير
فى الآية عند الاكثر ومنهم ابو حنيفة وهو الصحيح من قول الشافعى ليذوق وبال امره
متعلق بمحذوف اى اوجبنا عليه ذلك ليذوق ثقل فعله وجزاء هتكه لحرمة احرامه
عفا الله عما سلف اى من قتل الصيد محرما الصيد محرما فى الجاهلية او قبل التحريم
او فى هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا الفعل فينتقم الله منه اى فهو ينتقم الله منه
ومع ذلك عليه الكفارة فيه وعن ابن عباس لا كفارة عليه فان الامر اشد بالنسبة
اليه والله عزيز اى قوى قادر غالب على امره ذو انتقام ممن اصر على مخالفة حكمه
وافاد الاستاد ان الاشارة فى هذه الآية ان من قصدنا فعليه بحسم الاطماع جملة
ولا ينبغى ان يكون له بحال من الاحوال نوع مطالبة وكما ان الصيد حرام على المحرم
الى ان يتحلل بقالبه فكذلك الطمع والطلب والاختيار على الواجد حرام ما دام
محرما بقلبه ويقال العارف صيد الحق ولا يكون للصيد صيد فاذا قتل المحرم الصيد
فعليه الكفارة واذا لاحظ العارف الاغيار او طمع فى شيء او اختار لزمته الكفارة
ولكن لا يكتفى منه بجزاء المثل ولا باضعاف امثال ما تصرف فيه او طمع او رغب
بل كفارته تجرده على الحقيقة عن كل غير قليل وكثير وصغير وكبير احل لكم صيد البحر
اى مصيده وقيل اصطياده فى حال الاحرام وعدم الحرم وهو الاصح المنقول
عن اكثر السلف والمراد به ما صيد منه مما لا يعيش الا فى الماء وهو حلال كله

لقوله عليه السلام فی البحر هو الطهور ماؤه والحل میتته وقال ابو حنیفة لا یحل منه
الا السمک وقیل یحل السمک وما یؤکل نظیره فی البر وطعامه ای اکل ما قذفه البحر
او نضب عنه بخلاف ما طفا فانه لا یحل عندنا متاعا لکم نصب علی المفعول له
والمعنی منفعة لکم ایها المقیمون من المؤمنین وللسیارة ای ولسیارتکم من
المسافرین حیث یتزودونه قدیدا وحرم علیکم صید البر ای ما صید فیه او الاصطیاد
فیه فعلی الاول یحرم علی المحرم ما صاده الحلال وان لم یکن له مدخل بالدلالة والاشارة
ونوع من السببیة والجمهور علی حله لقوله علیه السلام لحم الصید حلال لکم ما لم تصطادوه او
یصد لکم ما دمتم حرما ای محرمین واتقوا الله الذی الیه تحشرون ای الی موضع
حکمه تجمعون وافاد الاستاد ان حکم البحر بخلاف حکم البر فاذا غرق العبد فی بحار
الحقایق سقط حکمه من بین الخلائق فصید البحر مباح له لانه اذا غرق صار محوا فالیه
لبس به ولا منه اذ هو محو فیه والله غالب علی امره جعل الله الکعبة ای صیرها
وسمیت کعبة لتکعبها وارتفاعها البیت الحرام ای المحترم فی کل مقام وهو
عطف بیان للکعبة علی جهة المدح والمفعول الثانی قیاما للناس ای قواما لدینهم
ودنیاهم وسبب انتعاشهم فی امر معادهم ومعاشهم یلوذ به الخائف
الضریر ویأمن فیه الضعیف والکسیر ویربح فیه الفقیر وقرأ ابن عامر قیما بالقصر
علی انه مصدر اعل عینه کما اعل فعله قال الشبلی الکعبة امام اعین الناس والحق
والحق امام قلوب الاولیاء من اهل الاستیناس والبیت لزام قیل ای حرام فی
مجاورته ارتکاب المخالفة ازید من سائر المقام وقیل حرام علی من یراه ان یری وضعه دون
واضعه وهو الله وفی حقایق السلمی قوله قوله قیاما للناس ای من ذل عن قیامه واعوج
بالنفس بمعصیته واثامه فتعلق به افاق ببرکاته وآثار الانبیاء فیه الی حال استقامته
ومن نفائس العرائس انه سبحانه البس الکعبة سناء قدس آیاته ونورها بصبح مشارق
صفاته من مطالع ذاته وصیرها مرآة حسنه وجماله لینظر انظار نظار معارفه وابصار
عشاق کواشفه رداء عظمته وکبریائه لقیامهم علی مشاهد قربه ومواقف قدسه
لیطلبوا منها رؤیة ببراهین کمال صفته ومشارق صبح جلال قدمه وحرم تلک
المنازل علی الاغیار دون الاخیار ومنع الاخیار عن الدخول منها مع بقاء نفوسهم
لیعلموا انها ممنوعة من تناول الکل لهم لیعرفوا عین القدم انه منزه عن
خطوة کل حادث جعل الکعبة بیته وجعل بیته قلب العالم وظهر بجلاله لعیون العارفین
کما ظهر لموسی من طور سیناء هکذا جعل قلب العارف کعبة مشاهدته فی حرم صونه
وسد بابه عن کل طائف غیر نظره فیظهر آثار جلاله من صورهم والشهر الحرام
والهدی والقلائد معطوفات علی الکعبة والمراد بالشهر الحرام ما یؤدی فیه
الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرائنه فالالف واللام للعهد وقیل للجنس ویصرف

الی الکل

الی الکل لانتفاء قرینة البعض فالمعنی جعل الله الاشهر الحرم قیاما للناس
فی الحج والامن من القتال والمراد بالهدی ما اهدی الی الکعبة ومن القلائد ذوات
القلائد من الهدی وهی ما قلد به من نعل او لحاء شجرة لیعلم انها هدی وکانوا یأمنون
بتقلید الهدی ویحصل به القیام فی امرهم علی وجه النظام ذلک ای الجعل
المذکور او ما ذکر فی السورة من الامور لتعلموا ان الله یعلم ما فی السموات
وما فی الارض فان شرع الاحکام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع
المترتبة علی وجودها دلیل کمال حکمة الشارع فی حکمه وبیان احاطة علمه وان الله
بکل شیء ای جزئی وکلی علیم ختم للتخصیص بالتعمیم لافادة التکمیل والتتمیم
وافاد الاستاد ان حکم الله سبحانه بان یکون بیته الیوم ملجأ یلوذ به کل مؤمل
ویستقیم ببرکات زیارته کل جائر وحائد عن نهج الاستقامة ویستنجح بالآمال
هناک کل ذی ارب من صاحب ادب والبیت حجر والعبد مدر والحق سبحانه
ربط المدر بالحجر لیعلم انه الذی لم یزل لا سبیل الیه للحدثان والغیر فسبحان
من یغیر ولا یتغیر اعلموا ان الله شدید العقاب لارباب الحجاب وان الله
غفور رحیم بمن هداه الی الصواب واعطاه الثواب وافاد الاستاد انه
شدید العقاب للاعداء غفور رحیم للاولیاء ویقال شدید العقاب
للخواص بتعجیل الحجاب ان زاغوا عن الشهود لحظة غفور رحیم ان رجعوا
الیه توبة وحسرة ما علی الرسول الا البلاغ ای التبلیغ وقد بلغ وعلی الله
هدایة من وصل الیه وبلغ وقال الاستاذ ای المنفرد بالالهیة الله والرسول
وان جل قدره فلیس علیه الا البلاغ وهو ایضا بتیسیره سبحانه والله
یعلم ما تبدون وما تکتمون ای تظهرون وتسترون قل لا یستوی الخبیث
والطیب ای الحرام والحلال والکافر والمؤمن والعاصی والمطیع والجاهل
والعالم والغافل والذاکر وافاد الاستاد ان الخبیث ما اکتسبه الغافل عن
الله فی حال اکتسابه والطیب ما اکتسبه علی شهود الحق وتحت انتسابه
ویقال الخبیث ما لم یخرج منه حق الله تعالی والطیب ما اخرج منه حقه سبحانه
ویقال الخبیث ما ادخرته لنفسک والطیب ما قدمته لامره من عملک
او مالک ولو اعجبک کثرة الخبیث ای وان سرک قلة الطیب فان العبرة
بالجودة والردائة دون القلة والکثرة ولان ما قل وکفی خیر مما کثر والهی
علی ما ورد عن النبی المصطفی والخطاب فی اعجبک لکل معتبر من ارباب
العقول السلیمة بدلیل قوله فاتقوا الله یا اولی الالباب ای فاحذروا
العقاب وما یترتب علیه من الحجاب فی تحری الخبیث وان کثر وایثار الطیب
وان قل لعلکم تفلحون ای راجین ان تبلغوا مقام الفلاح بالملازمة علی حال

الفلاح والاصلاح يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم
اى ان تظهر لكم تحزنكم او تغمكم وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم اى على
لسان رسولكم عفا الله عنها اى عن اشياء لم يكلف بها كما فى حديث ان الله
فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها وسكت
عن اشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها على ما رواه الدارقطنى وغيره عن ابى
ثعلبة الخشنى مرفوعا وروى الترمذى وابن ماجه والامام احمد وابن جرير انه لما نزلت
ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله
عليه السلام حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم
فاتركونى ما تركتكم والله غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبة ويعفو عن كثير من المخالفة وعن
ابن عباس انه عليه السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسئلون عنه مما لا يعنيهم
فقال لا اسئل عن شئ الا اجبت فقال رجل اين ابى فقال فى النار فقال آخر من ابى
فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت رواه ابن جرير وغيره قد سألها اى المسئلة
المفهومة دون المسائل المهمة او سأل عن الاشياء الملية قوم من قبلكم متعلق بسألها
ثم اصبحوا بها كافرين اى بسببها حيث تركوها واتخذوها ولم يعملوا بها او انكروها وفى الحديث
الصحيح اتركونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على
انبيائهم قال بعضهم لا تسئلوا عن مقامات الصديقين ودرجات الاولياء العارفين
المحققين فانه ان بدا لكم منهم شيئا فانكرتم ذلك هلكتم وافاد الاستاد انه سبحانه
اذا اسبل عليكم ستر العطف فلا تتعرضوا لعلم ما خفى عنكم باللطف فيتنغص بالتجسس
عليكم عيشكم ويقال لا تتعرضوا للوقوف على محل الاكابر فلا تستوجبون ذلك فيسوءكم
تقاصر رتبتكم ويقال اذا بدا من الاغراض علم فاطلبوا له عندكم وجها من التفال ولا
تطلبوا ستر البارى واركنوا الى روح المنى فى استدفاع ما اظلكم ولا تبحثوا عن سر ذلك
ودعوا الامر مجملا وقوله قد سألها قوم يعنى توهم قوم انهم يحترزون عن التأثير بما يصادفهم
من مجاراة التقادير وذلك ظن كما قال بعضهم تبين يوم البين ان اعتزامه على الصبر
من احدى الظنون الكواذب ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد لما كان
عليه اهل الجاهلية من انهم اذا ولدت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى
شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب الا لخدام الاصنام ومن انهم يقول
الرجل منهم ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع
وعدم احتباسها عن كلاء وماء حيث وجدتا ومن انهم اذا ولدت الشاة انثى
فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها
فلا يذبح الذكر لاجلها ومن انهم اذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا
ظهره ولم يمنعوا من ماء ولا كلاء وقصد سره اورعيه والمعنى ما شرع الله بحيرة ولا سائبة

ولا وصيلة

ولا وصيلة ولا حاميا مشروعة لديه ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب
بتحريم ذلك ونسبته اليه افتراء عليه واكثرهم لا يعقلون اى قوم جهلة كالانعام لا يفرقون
بين الحلال والحرام وبعضهم عقلاء فى الجملة لكن يمنعهم تقليد آبائهم مع حب
الرياسة والعناد عن الاعتراف بالقضية وافاد الاستاد ان هذه احكام ابتدعوها
فردهم الحق سبحانه عن الابتداع وامرهم بحسن الاتباع واخبر ان ما صدر
عن عاداتهم لا يعد من جملة عباداتهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول اى الى متابعة حكمهما وموافقة امرهما ونهيهما قالوا حسبنا
يكفينا ما وجدنا عليه آباءنا على امر ديننا ودنيانا بناء على قلة علمهم وكثرة
جهلهم واختيار تقليد من قبلهم اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا
ولا يهتدون الهمزة للانكار عن تقليد غير العلماء الابرار والمعنى ايقتدون بآبائهم
الجاهلين ولو كانوا لا يعقلون شيئا من امر الدين ولا يهتدون الى طريق اليقين
ويتركون متابعة الانبياء والمرسلين واتباعهم من العلماء العاملين يا ايها الذين
آمنوا عليكم انفسكم اى احفظوها والزموا اصلاحها لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
بالقيام بما وجب عليها من فعلها وتركها فلا ينافى قوله صلى الله عليه وسلم
من رأى منكم منكرا اى واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده وان لم يستطع
فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه فمعنى اهتديتم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم
عن المنكر ونهيتم عنه حسب طاقتكم فيه كما رواه ابن جرير عن سعيد بن المسيب
وروى عن غير واحد من السلف والخلف وذهب كثيرون من السلف وتبعهم
بعض الخلف على ان فيه رخصة لترك الحسبة اذا علم عدم قبولها او كون فيها
مفسدة او اضرار له منها ويدل عليه حديث اذا رأيت شحا مطاعا وهوى
متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك ودع عنك
امر العام فان وراءكم ايام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر
خمسين رجلا يعملون مثل عمله قالوا يا رسول الله اجر خمسين منهم قال اجر خمسين منكم
ولذا قال بعض العارفين هذا زمان السكوت وملازمة البيوت والقناعة بالقوت
الى ان تموت الى الله مرجعكم جميعا اى يوم تحشرون فينبئكم بما كنتم تعملون وعد للمهتدين
ووعيد للمتمردين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره فى امر الدين فالاولى
هو الاشتغال بالله عما سواه وافاد الاستاد ان الفقير يكفيه ان يمسى وقد
جبر بعض كسره فاما اذا ادعى التقدم على غيره والطمع فى اتخاذ من سواه فى امره فمحل
من الحدس والظن فى تخيله ويقال من تفرغ الى غيره لم يتشاغل عن نفسه ومن اشتغل
بنفسه لم يتفرغ الى غيره ومن نفائس العرائس انه سئل ابو عثمان عن هذه الآية
فقال عليك نفسك ان اشتغلت باصلاح فسادها وستر عوراتها وترويج كسادها

شغلك ذلك عن النظر الى الخلق والاشتغال بهم عن الحق وقال محمد بن علي عليك نفسك
ان كفيت الناس شرها فقد اديت حقها ودخل خادم الحسين بن منصور عليه في ليلة
توعد من الغد لقتله فقال له اوصني فقال عليك نفسك ان لم تشغلها شغلتك اي ان لم
تشغلها بعبادة مولاها شغلتك في مشتهياتها وهواها يا ايها الذين آمنوا شهادة
بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد في الوصية واضافتها الى
الظرف على التوسعة اذا حضر احدكم الموت اي شارف حالة وظهرت امارته وهو
ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة اي فيما فرض
عليكم ان يشهد اثنان ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف اي شهادة بينكم
شهادة اثنين من نعتهما انهما ذوا عدل منكم من اقاربكم كما نقل عن عكرمة وروى ابن
جرير عن الحسن البصري والزهري واختاره صاحب المدارك او من المسلمين او آخران
من غيركم اي من غير اقاربكم او من غير المسلمين فيكون منسوخا لان شهادة الذمي
على المسلم لا تسمع اجماعا على ما ذكره البيضاوي ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم
فيها فاصابتكم مصيبة الموت اي قاربتم الاجل عطف على ضربتم وجواب الشرط
محذوف اي ان كنتم مسافرين ولم تجدوا المسلمين فيجوز شهادة غيرهم من الذميين
تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران من بعد الصلوة اي صلوة العصر
كما روي عن ابن عباس في رواية العوفي وهو قول اكثر السلف او بعد اي صلوة
كانت وهو قول الزهري فيقسمان بالله اي يحلفان به ان ارتبتم اي شك احد
الوارثين فيهما واراد حبسهما لايمانهما والجملة معترضة بين المقسم به وبين المقسم عليه
وهو قوله لا نشتري به ثمنا اي لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا والمعنى
لا نحلف كاذبا لطمع ولو كان اي المقسم له ذا قربى قريبا منا دفعا لما يتوهم
من انه قد يسامح في حقه ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها
وتعظيمها انا اذا اي ان كتمنا لمن الآثمين فان عثر اي اطلع على انهما اي الآخرين
استحقا اثما اي فعلا ما اوجبا اثما بيمينهما فآخران اي فشاهدان آخران يقومان
مقامهما خبر لقوله فآخران ثم بينهما لابهامهما بقوله من الذين استحق عليهم
بصيغة المجهول اي جني عليهم وهم الورثة فضمير استحق للاثم والمعنى ارتكب الذنب
بالقياس اليهم وقرأ حفص مبنيا للفاعل وهو الاوليان اي من الورثة الذين استحق
عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهر
وا بهما كذب الكاذبين والاوليان يراد به الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما
وقرأ حمزة وابو بكر الاولين بصيغة الجمع على انه صفة للذين او بدل منه وسموا
اولين لانهم كانوا اولين في الذكر في قوله شهادة بينكم فيقسمان عطف على
يقومان اي يحلفان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اي اصدق واولى بالاعتبار

القبول

والقبول من يمين هذين الوصيين الخائنين وما اعتدينا بيميننا اي ما تجاوزنا الحق
فيها انا اذا اي ان اعتدينا لمن الظالمين انفسهم او الواضعين الباطل موضع
الحق ومحصل الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي
نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان الوصي الواحد يكفي اتفاقا فان لم
يجدهما بان كان في سفر فآخران من غير المسلمين او من غير قرابتهم ثم ان وقع نزاع
وارتياب فيهما اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت او على رؤس
الاشهاد فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء
الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا
يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة
اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي لامانته او لتغيير الدعوى فان
سبب نزول الآية على ما رواه الترمذي وابو داود ان رجلا من المسلمين خرج
مسافرا ومعه رجلان من اهل الكتاب ومات بارض ليس بها مسلم فلما قدموا
بتركته فقدوا اناء مخوصا بذهب فاتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
فاحلفهما بعد صلوة العصر فحلفا على انهما ما اطلعا على الاناء ثم وجد الاناء عند
من اشتري منهما فقام رجلان من اوليائه فحلفا ان الاناء لنا واخذا والظاهر
من هذا الحديث انهما كانا وصيين لا شاهدين ويؤيده ما رواه ابن ابي حاتم عن
ابن مسعود من ان المراد بالشهادة الوصاية فلا يكون نسخ في الآية وعليه
غير واحد من الصحابة والتابعين ورأى الامام احمد والقاضي شريح قالا في خاصة سبيل
هذه الواقعة شرطان لجواز استشهاد الذميين عند فقد المؤمنين ان يكون
في سفر وان يكون في وصية لكن قال الزهري وابن زيد ان حكم الآية منسوخ ان اريد
من الغير الكافرون فان شهادة الكافر كانت بدء الاسلام ثم نسخت ذلك
اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها
اي اقرب الى ان يأتي الشهداء بشهادتهم على نحو تلك الحادثة وفق ما حملوها من
غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي ترد اليمين على المدعين
وهم اولياء الميت بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وجمع الضمير
لانه حكم يعم الشهود كلهم والمعنى انه اقرب الى احد الامرين اداء الشهادة على الصدق
او الامتناع عن ادائها بالكذب وايهما وقع كان فيه الصلاح واتقوا الله اي فيما نهيتم
عنه بالمخالفة واسمعوا ما امرتم سمع الاجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين
الخارجين عن الطاعة الى الحجة او المحجة او طريق الجنة او سبيل الجنة وان ذا الاسناد
ان حكم هذه الآية كان ثابتا في الشرع فنسخ وبيان التفسير يخبر عن تفصيله والنسخ هو الازالة
وذلك في العبادات جائزة ومعنى النسخ يوجد في سلوك المريدين لان في الابتداء

وصفهم القيام بالظواهر من حيث المجاهدات فاذا الهمهم الله احوال القلوب بشيء
آلت احوالهم الى مراعات القلوب فيسقط عنهم اوراد الظاهر وتجنس القرب
فهو كالنسخ من حيث الصورة اذ اتصافهم بمراعات القلوب والحالات اتم من
تأدبهم باحكام المعاملات يوم يجمع الله الرسل منصوب باضمار اذكر اى اذكر
يوم يجمعهم فيقول اى لهم ماذا اجبتم اى اجابة من اقرار او انكار اجبتم وهذا السؤال
لتوبيخ قومهم او لتعظيم يومهم قالوا لا علم لنا اى بما انت تعلمه منا ومن غيرنا
انك انت علام الغيوب فتعلم ما اجابونا واظهروا لنا واضمروا الخلاف عنا وقيل
المعنى لا علم لنا الى جنب علمك فاقروا بالجهل واعترفوا بالعجز وقيل ذلك
من اقامة الادب لا لجهل بما اجابوا وقال سهل لا علم لنا بمرادك فى سؤالنا وقيل
لا علم لنا الا ما علمتنا فانك انت اعلم بهم منا وليس علمنا كعلمك بنا وقال
الاستاذ يكاشفهم بنعت الجلال فيستجنس فهومهم وعلومهم حتى ينطقوا
بالبراءة عن التحقيق ويقولوا لا علم لنا وكذا تكون الحالة غدا من قال بشيء الكمال الى
شيء مما يكون نعت المخلوق فعند ظهور اوائل العز تتلاشى الجملة فالملائكة يقولون
ما عبدناك حق عبادتك والانبياء يقولون لا علم لنا اذ قال الله يا عيسى بن
مريم افاد شيخنا عطية رحمه الله ان عيسى اما منصوب تبعا لما بعده وهى اللغة
السائغة واما مرفوع محلا اى وما بعده صفة له وهى تكون منصوبة ان كانت مضاف
اذكر نعمتى عليك اى بالنبوة والرسالة وعلى والدتك اى بالصديقية والمعنى
انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن الاجابة وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات
المتعددة فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون واتخذوهم آلهة اذ ايدتك
قويتك واعنتك بروح القدس اى بجبريل يسير معك حيث سرت او بالنفس التى
تحيى به النفس حيوة ابدية ويؤيده قوله تكلم الناس تدعوهم الى الله فى المهد كائنا فيه
وكهلا والمعنى تكلمهم فى حالتى الطفولية والكهولية بالتسوية والمراد الحاق حاله فى
الطفولية بحال الكهولة فى كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل
ان يكتهل واذ علمتك الكتاب اى الخط والكتابة والحكمة اى الفهم والحذاقة والتورية
والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير اى هيئة مثل هيئة الطير باذنى اى لك
فى ذلك فتنفخ فيها اى فى تلك الهيئة فتكون طيرا وقرأ نافع طائرا باذنى اى يطير بامرى
وارادتى وتبرئ الاكمه الذى ولد اعمى والابرص الذى عجز عنه الاطباء باذنى اى بتيسيرى
واذ تخرج الموتى بان تدعوهم فيقومون من قبورهم باذنى اى بقدرتى وحكمى قال ابو على
الروذبارى غاية الربوبية فى غاية العبودية فمن استقام على بساط العبودية اظهر الله
عليه من اوصاف الربوبية بقضائه وقدره قلت وفى هذا المعنى ورد من كان لله
كان الله له واذ كففت بنى اسرائيل عنك اى منعتهم عن قتلك اذ جئتهم بالبينات

اى حين

اى حين اتيتهم بالمعجزات الواضحات فقال الذين كفروا منهم ان هذا اى ما هذا
الذى جئت به الا سحر مبين واضح وقرأ حمزة والكسائى الا ساحر فالاشارة الى عيسى
عليه السلام قال الاستاذ تذكير وجوه النعم يستخرج خلاصة الحب للمستور والمهيما
فى حديث المذكور وكل وقت للاحباب بمعنى اصالهم حديثا يتلى من بعدهم اما
عليهم واما عنهم واذ اوحيت الى الحواريين اى الهمت الى علماء الدين وارباب
الزهد واليقين الواصلين الى مقام المخلصين فالوحى بمعنى الالهام كما قاله الحسن البصرى
والسدى وغيرهما من العلماء الاعلام ان آمنوا بى وبرسولى يجوز كون ان مصدرية
ومفسرة قالوا آمنا اى بك وبرسولك واشهد اى انت وكفى بك شهيدا
باننا مسلمون اى منقادون مطيعون وافاد الاستاذ انه سبحانه انما خصهم بالوحى
الهمهم الهاما لانبساط ضياء عليه السلام اكراما وفى الاثر هم القوم
لا يشقى بهم جليسهم اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان
ينزل علينا مائدة من السماء قيل هذه الاستطاعة على ما يقتضيه الحكم والارادة
لا على ما يقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك باجابة سؤالك اى هل يجيبك
واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائى بتاء الخطاب
ونصب ربك اى هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف
لك قال اتقوا الله اى فى سؤال المائدة واقتراح المعجزة فانها سبب للمهلكة ان كنتم
مؤمنين بكمال القدرة وصحة النبوة قالوا نريد ان نأكل منها اى نتبرك بالاكل منها
والانتفاع للتقوى على الطاعة بها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم الاستدلال على
كمال القدرة بعلم المشاهدة فانه ليس الخبر كالمعاينة ونعلم اى علم عيان وايقان بعد
ما علمنا علم ايمان وبرهان ان قد صدقتنا اى فيما وعدتنا من ادعاء النبوة واجابة
الدعوة ونكون عليها من الشاهدين اى عند من لم يحضرها من الناس لكن وافاد الاستاذ
انهم طلبوا المائدة ليسكن قلوبهم بما يشاهدونه من عظيم الآية وعجيب المعجزة
فعذروا واجيبوا اليه اذ كان مرادهم حصول اليقين وزيادة البصيرة ويقال كل
يطلب سؤاله على حسب ضرورته وحالته فمنهم من كان سكونه فى مائدة من الطعام
يجدها ومنهم من كان سكونه فى فائدة من الكلام يردها ومنهم عزيز من يجد الغناء
عن برهان يتأمله او بيان يتطلبه قال عيسى بن مريم اى لما رأى لهم غرضا
صحيحا فى هذا المعنى وانهم لا ينقلعون عن هذا المعنى اللهم ربنا انزل علينا مائدة
من السماء تكون لنا عيدا اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه فضمير يكون للمائدة على حذف
مضاف والعيد اسم ليوم فيه سرور مخصوص وقيل العيد السرور الذى يعود فلا حذف
لكن فى الاسناد مجاز لانها سبب للسرور لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل
اى عيد السابقين منا واللاحقين روى انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى

عيدا وآية منك اى آية كائنة منك والّا على كمال قدرتك وصحة نبوة عبدك
وهى معطوفة على عيدا وارزقنا المائدة والشكر عليها وانت خير الرازقين اى خير المعطين
لانه خالق الرزق بلا عوض ومعطيه بلا غرض وافاد الاستاد انه شتان بين انه طلب نبيهم
سكونا بانزال المائدة عليهم وبين انه ايدهم الله سبحانه بانزال السكينة عليهم
فى قلوبهم ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وفرق بين من زيادة ايمانه بآياته التى تتلى عليهم وبين
من سكونهم الى كرامات وعطايات تتاح لهم قال الله انى منزلها عليكم اى اجابة لسؤالكم
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى بالتخفيف فمن يكفر اى بى وبرسلى او بنعمتى بعد
اى بعد نزول المائدة منكم اى من المقترحين فانى اعذبه عذابا اى تعذيبا كائنا
بناءا على ان العذاب اسم للتعذيب كالسلام للتسليم والمتاع للتمتيع او لو جعل اسما
لما يعذب به لقيل بعذاب لان التعذيب يتعدى الى مفعولين وجاز ان يكون مفعولا
على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر فيكون فى موقع المفعول المطلق ويقوم مقام
العائد الى الموصوف فان لا اعذبه صفة عذابا او للعذاب ان اريد ما يعذب به
على الحذف والايصال اى لا اعذب به احدا من العالمين اى عالمى زمانهم روى
انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى وقعت بين ايديهم
فبكى عيسى عليه السلام خوفا على المقترحين وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين
اللهم اجعلها رحمة ونعمة ولا تجعلها نقمة ومحنة ثم قام فتوضأ وصلى ثم كشف
المنديل عن وجه المائدة وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس
ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها الوان البقول
ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث
سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا
ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا
على نعمه يمددكم الله ويرزقكم من فضله وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا
عن طلب المائدة فلم تنزل كما على ما رواه ابن ابى حاتم وابن جرير باسناد صحيح عن
الحسن ومجاهد والجمهور على انها نزلت وانهم كفروا بها وعصوا بعدها فمسخوا قردة
وخنازير لاجلها وكيف لا وقد قال تعالى انى منزلها وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله
لمقترح المعجزة وعن بعض الصوفية ان المائدة هنا عبارة عن حقائق المعارف فانها
غذاء روح العارف كما ان الاطعمة غذاء البنية قيل وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا
فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه السلام ان حصلتم الايمان
فاستعملوا التقوى بترك العصيان وثبات الايقان حتى تمكنوا من الاطلاع عليها
والوصول اليها فلم يقلعوا عن سوء الفعال والحوا فى السؤال فسأل عيسى ربه
لاجل اقتراحهم بيان للحال فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر لهم وخوف

عاقبة

عاقبة امرهم فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لا يحتمله ويزل فيه بعض
قدمه فيضل ولا ينفعه اظهار ندمه وافاد الاستاد انه سبحانه اجابه الى سؤاله لهم
ولكن توعدهم بالبليم العقاب لو خالفوا بعده ليعلم العالمون ان المراد اذا حصل والكرامة
اذا تحققت والخطر اشتد والحال من الآفة اقرب ومهما كانت الرتبة اعلى كانت
الآفة اخفى ومحن الاكابر اذا حلت جلت واذ قال الله اى يوم القيامة تقريعا وتوبيخا
للنصارى على رؤس الاشهاد او حين رفع عيسى الى السماء وقالت النصارى
ما قالته على ما قاله السدى وغيره واختاره الطبرى يا عيسى بن مريم أانت قلت للناس
اتخذونى وامى الهين من دون الله صفة الهين او متعلق باتخذونى اى من غيره
معه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة لمن عبده مع عبادتهما كانه
عبدهما ولم يعبده قيل لما سمع عليه السلام هذا الخطاب المتضمن للعقاب ارتعدت
مفاصله وانفجرت عين من الدم من اصل كل شعرة فى بدنه قال سبحانك اى انزهك
تنزيها من ان يكون لك شريك فى ملكك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق اى ما ينبغى لى ان اقول
قولا لا يحق لى ان اقوله ولا يجوز لى ان اتقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى
اى ما اخفيه كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما فى نفسك اى ما تخفيه من معلوماتك فى ذاتك
فالمراد بالنفس الذات مأخوذا من النفاسة لا من النفس بفتحتين حتى يحتاج الى
القول بالمشاكلة فانه جاء لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك من دون
المزاوجة والمقابلة قال جنيد تعلم ما انا عليه وما لك عندى ولا اعلم ما لى عندك الا
ما اطلعتنى عليه انك انت علام الغيوب اى المطلع على الذنوب والعيوب
وافاد الاستاد ان المراد من هذا السؤال اظهار براءة ساحته عما نسب اليه من
الدعاء الى القول بالتثليث فهذا ليس خطاب تعنيف بل خطاب تشريف
ثم ان عيسى عليه السلام حفظ ادب الخطاب فلم يترك نعته بل بدأ بالثناء
على الحق سبحانه فقال سبحانك تنزيها لك اى انزهك تنزيها عما لا يليق
بوصفك ثم قال ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق اى انك كنت مخصصا من
قبلك بالرسالة ومن شرط النبوة العصمة فكيف تجوز ان اقول ما لا يجوز لى
ثم قال ان كنت قلته فقد علمته وكان وانقا بان الحق سبحانه علم منه نزاهته
من تلك المقالة تعلم ما فى نفسى اذ علمك محيط بكل معلوم ولا اعلم ما فى نفسك
اى لا اطلع على غيبك الا بقدر ما تعرفنى باعلامك انك انت علام الغيوب الذى
لا يخرج معلوم عن علمك ولا مخلوق عن حكمك ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله
ربى وربكم عطف بيان للضمير به او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعنى وكنت عليهم
شهيدا ما دمت فيهم اى رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا
لاحوالهم من كفر وايمان وطاعة وعصيان فلما توفيتنى بالرفع الى السماء لقوله

انی متوفیک ورافعک الیّ والتوفی فی الاصل اخذ الشیء وافیا والموت نوع منه قال الله
الله یتوفی الانفس حین موتها والتی لم تمت فی منامها کنت انت ای وحدک الرقیب
علیهم المراقب لاحوالهم والمطلع علی اقوالهم وافعالهم وفی دقائق الحقائق کنت مراقبا
لهم بما اجریت علیهم من محتوم قضائک بهم وانت علی کل شیء شهید ای مطلع علیه ومراقب
الیه وافاد الاستاذ فی معنی الآیة ما دعوتهم الا الی عبادتک ولا امرتهم الا بتوحیدک
وتقدیسک وطاعتک ومادمت حیا فیهم کنت اجدالهم علی هذه الجملة فلما فارقتهم
کان تصرفهم فی قبضتک علی مقتضی مشیتک فانت اعلم منی بما کانوا علیه من وصفی
وفاقهم وخلافهم ونفی اقتصادهم واسرافهم ان تعذبهم فانهم عبادک ولا اعتراض
علی المالک المطلق ان یفعل فی ملکه بملکه ما شاء من امره وفیه تنبیه نبیه علی انهم
استحقوا ذلک لانهم عبادک وعبدوا غیرک وان تغفر لهم ای مع کفرهم فلا یمتنع
جوازه عقلا فانک انت العزیز الغالب علی مرادک الحکیم فی احکامک علی عبادک
وقیل تقدیره ان تعذبهم ای من کفر منهم فانهم عبادک وان تغفر لهم ای من اسلم
منهم فانک انت العزیز الحکیم غالب علی امرک حکیم فی حکمک لا یجب علیک شیء فان
عذبت فعدل وان غفرت فتفضل وقال الوراق ان تعذبهم بتقصیرهم فی طاعتک
فانهم عبادک مقرین لک بالتقصیر فی عبادتک وان تغفر لهم ذنوبهم فانت
اهل العز والکرم وافاد الاستاد انه سبحانه بیّن ان حکم المولی فی عبیده نافذ بحکم
اطلاق ملکه فقال ان تعذبهم یحسن منک تعذیبهم وکان لک ذلک فانهم
عبادک وان تغفر لهم فانک انت العزیز الحکیم ای العز لهم بمغفرتک لهم
ویقال انت العزیز القادر علی الانتقام منهم فالعفو عن القدرة سمة الکرم
وعن العجز امارة الذل ویقال ان تغفر لهم فانک اعز من ان تتجمل بطاعة مطیع
او تنتقص بزلة عاص وقوله الحکیم رد علی من قال غفران الشرک لیس بصحیح
فی الحکمة وذکر صاحب العرائس عن ابن مسعود انه قال لیأتین علی جهنم زمان
تخفق ابوابها لیس احد فیها وذلک بعد ما یلبثون فیها احقابا اقول ان
صح عنه فیجب ان یحمل علی ان مراده بجهنم طبقة من طبقات النار یعذب
فیها عصاة المؤمنین دون الکفار للاجماع علی ان الکفرة مخلدون فی النار
لا یخرجون منها ولا یخفف عنهم من عذابها قال الله هذا یوم ینفع
الصادقین صدقهم وقرأ نافع بنصب یوم علی انه ظرف مستقر وقع خبرا والمعنی
هذا الذی من کلام عیسی واقع یوم ینفع الصادقین صدقهم فی الدنیا وافاد
الاستاذ ان من تعجل میراث صدقه فی دنیاه من قبول حصل له من الناس
او رابطة عقدت له او نفع وصل الیه من جاه او مال فلا شیء له فی اجله من ثواب
صدقه لان الحق سبحانه خص یوم القیمة بان ینفع فیه للصادقین صدقهم لهم جنات

تجری

تجری من تحتها الانهار ای من تحت الاشجار او من تحت تصرف اهلها الابرار خالدین
فیها ابدا مقدرین الخلود فی دار القرار رضی الله عنهم ورضوا عنه ذلک الفوز العظیم ای مقام
الرضا وهو الظفر الجسیم والآیة بیان النفع المقیم وافاد الاستاد ان رضاء الحق سبحانه
اثبات محل لهم وثناؤه علیهم ومدحه لهم وتخصیصهم بافضاله وفنون نواله ورضاهم
عن الحق سبحانه فی اخر بهم وصولهم الی مناهم لله ملک السموات والارض وما فیهن
ای من العلویات والسفلیات جمیعهن وفیه تنبیه نبیه علی کذب النصاری وغیرهم وفساد
دعویهم فی المسیح وامه والاصنام وامثالهن قال الاستاد تمدح الحق سبحانه بقدرته القدیمة
الشاملة لجمیع المقدورات الصالحة لایجاد المصنوعات ولم تتجمل باضافة غیر الی نفسه من رسم اثر
وعین طلل وهو علی کل شیء قدیر من الابعاد والاسعاد والصد والرد والنفع والصنع والقمع والمنع

سورة الانعام مائة وسبع آیة مکیة بسم الله الرحمن الرحیم

افاد الاستاد انه سبحانه باسمه استنارت القلوب واستقلت وباسمه زالت
الکروب واضمحلت وبرحمته عرفه الارواح دار راحت وبالهیبته انخسفت العقول
فطاحت ویقال بسم الله نال کل مؤمل سؤله وبرحمة الله وجد کل واجد وصوله
الحمد لله الذی خلق السموات والارض ای اوجد العلویات والسفلیات وجمع السموات
دون الارض وهی مثلهن فی الطبقات لظهور تعددها ولان طبقاتها مختلفة
بالذات متفاوتة الاثار والحرکات وقدمها لشرفها وعلو مکانها وتقدم وجودها زمانا
وفی دقائق الحقائق وقیل السموات سموات المعرفة والارض ارض الخدمة وقیل حمد
نفسه بنفسه حین علم عجز الخلق عن بلوغ حمده وقیل حمد نفسه علی ما ابدا للخلق من مصالحهم
ومعاشهم لغفلة الخلق عن ذلک ویشیر الیه قوله وجعل الظلمات والنور ای انشاهما
واحدثهما وفیه تنبیه علی ان الظلمة والنور لا یقومان بانفسهما ردا علی الثنویة وجمع
الظلمات لکثرة اسبابها من الاجرام الحاملة لها فان لکل جرم ظلمة ولو فی الجملة ولیس
لکل جرم نورا ولان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدی والهدی واحد والضلال
متعدد کما یومی الیه قوله سبحانه الله ولی الذین آمنوا یخرجهم من الظلمات الی النور وتقدیمها
لتقدمها فی الوجود کما یشیر الیه قوله وآیة لهم اللیل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ویدل علیه
قوله صلی الله علیه وسلم ان الله خلق الخلق فی ظلمة ثم رش علیهم من نوره فمن اصابه منه فقد اهتدی
ومن اخطأ فقد ضل وغوی وقال بعضهم ابداء الظلمات فی الهیاکل والاشباح والنور
فی القلوب والارواح وقیل الظلمات الجهل والنور المعرفة وقیل جعل الظلمات فی التدبیر والنور
فی التفویض وتحقیق ذلک فی کتاب التنویر لاسقاط التدبیر الذین کفروا بربهم
یعدلون عطف علی خلق علی معنی انه خلق ما لا یقدر علیه احد سواه ثم هم به یسوون
ما لا یقدر علی شیء کما یظنون کما قال تعالی ایشرکون ما لا یخلق شیئا وهم یخلقون اموات
غیر احیاء وما یشعرون ایان یبعثون وثم لاستبعاد عدولهم بعد وضوح قدرته عند عقولهم

وافاد الاستاد انه سبحانه بدأ بالثناء على نفسه فحمد ذاته بثنائه الازلى واخبر عن سنائه الصمدى وعلائه الاحدى فالذى اشارة وخلق السموات والارض عبارة واستقلت الاسرار بسماع الذى الى سماع الصلة لان الذى من الاسماء الموصلة لكون القلوب تحت ستر الغيوب فقال خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور اى خلق ظلمة الليل وضياء النهار ووحشة الكفر والشرك والعصيان ونور الايمان والعرفان والايقان والاحسان ويقال جعل الظلمات نصيب قوم لاجرم سلف والنور نصيب قوم لا لاستحقاق سبق ولكنه حكم به جرى وقضاء به تم ويقال جعل ظلمة العصيان محنة قوم ونور العرفان نزاهة قوم هو الذى خلقكم من طين اى بدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان ادم الذى هو اصل البشر خلق منه اولا او خلق اباكم منه اولا ثم قضى اجلا اى قدر مدة الموت لكل احد وهو القيامة الصغرى فان من مات فقد قامت قيامته واجل مسمى عنده لا يعلمه الا هو وهو اجل القيمة الكبرى كذا فسره ابن عباس وغير واحد من السلف وقال الحسن الاول ما بين الخلق والموت من مدة العمر والثانى ما بين الموت والبعث من مدة البرزخ فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملة وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن ياتى وقيل اجلا مدة الدنيا واجل مسمى عمر الانسان كما روى عن ابن عباس ومجاهد ثم انتم تمترون فى امر الساعة تشكون وثم استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى اجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء او لا كان قادرا على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى دليل التوحيد والثانية برهان البعث وافاد الاستاد انه سبحانه اثبت القوالب من الطين واودعها عجائب السر واظهر عليها ما يظهر على مخلوق فالعبرة بالوصل لا بالاصل الوصل قربة والاصل تربة الاصل من حيث النطفة والقطرة والوصل من حيث القربة والنصرة ثم قال وجعل للامتحان اجلا ثم جعل للامتنان اجلا واجل الامتحان فى الدنيا واجل الامتنان فى العقبى ويقال ضرب للطلب اجلا وهو وقت المهلة ثم عقبه باجل بعده وهو وقت الوصلة فالمهلة لها مدى ومنتهى والوصلة بلا مدى ولا منتهى فوقت الوجود له الابتداء وهو حين تطلع شمس التوحيد بتسرمد فلا غروب لها بعد الطلوع وهو الله الضمير يعتد او للذى خلق والله خبره وقوله فى السموات وفى الارض متعلق باسم الله باعتبار المعنى الوصفى الذى ضمنه اسم الله وهو معقولية هذا الاسم عليه خالصة والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله ولولا هذا الاعتبار لم يصح ان يقال هو الله لانه هو راجع الى الله ولا يصح ان يقال الله الله الا باعتبار معنى وصفى ومن اجل دفع هذه الشبهة قيل ضمير للشان لا انه راجع الى الله ومحل معناه هو المعبود فيهما او المعروف بالالوهية فيهما وافاد الاستاد انه سبحانه هو الذى هو

معبود من فى السماء ومقصود من فى الارض وهو الموجود قبل كل سماء وفضاء وظلام وضياء وشمس وقمر وعين واثر وغير وغير يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون من خيركم وشركم فيجازيكم بما ينفعكم ويضركم قيل اريد بالسر والجهر ما يخفى ويظهر من احوال الارواح وبالمكتسب اعمال الجوارح من الاشباح وما تاتيهم من اية من ايات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض وقيل للتبيين والمعنى ما يظهر لهم دليل قط من الادلة الواضحة فى البرهان او معجزة من المعجزات فى مقام التبيان او اية من ايات القرآن الا كانوا اى الكفار والفجار عنها معرضين اى تاركين للنظر فيها غير ملتفتين اليها قيل اياته فى خلقه اولياؤه واهل صفوته وعلماؤه كذا فى السلمى وقال الاستاذ اى لا نزيدهم كشفا ولطفا الا قابلوه جحدا وكفرا وعنفا ولا نولهم اقبالا الا قابلوه باعراض يقتضى ادبارا واخلالا ولا نلقيهم بسطا الا جازوه فقد كذبوا بالحق اى بالكلام الصدق لما جاءهم وهو القرآن او بالنبى الصادق وهى نبى آخر الزمان حيث كذبوا به وبكتابه واستهزءوا بخطابه وتحريف عزائمه فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اى سيظهر لهم ما كانوا يستهزءون به عند نزول العذاب بهم فى الدنيا او العقبى او عند ظهور الاسلام وارتفاع امر كلمة العليا الم يروا كم اهلكنا من قبلهم اى مبتدا من قبلهم من قرن اى من اهل زمان بعض القرون والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهى سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة وهو الاظهر وعليه الاكثر ويدل عليه انه عليه السلام قال فى شان احد من الصحابة ان يعيش قرنا فعاش مائة وقيل القرن اهل عصر فيه نبى او فائق فى العلم قلت المدة او كثرت مكناهم فى الارض جعلنا لهم فيها مكانا او قررنا لهم فيها شانا او آتيناهم من الآلات والقوى ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم اى ما لم نجعل لكم فى السعة وطول المدة يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة فى المال والاستظهار بالعدد والاسباب ثم الالتفات فى الكلام لدفع الايهام وارسلنا السماء عليهم اى المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا مغزارا كثير الدر والصب ويستوى فيه المذكر والمؤنث وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فعاشوا فى الخصب والريف بين الانهار والازهار والاشجار والاثمار فاهلكناهم اى بانواع من العذاب كالقحط والصواعق وغيرها بذنوبهم اى بسببها ولم يغن عنهم شيئا تمكنهم فيها وانشانا احدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا من المهلكين فلكى فوان تفعل بهم كما فعلنا بهؤلاء الكافرين وقال الاستاد يعنى من تقدمهم كانوا اشد تمكنا من امهالنا واكثر نصيبا فى الظاهر من نوالنا سهلنا لهم اسباب المعاش ووسعنا عليهم ابواب الانتعاش فخرجوا وطنوا على كواذب المنى قلوبهم وادركوا من احوال الدنيا محبوبهم ومطلوبهم

نفخنا عليهم من مكامن التقدير وابرزنا من غوامض الامور ما فزعوا عليه من
الندم وذاقوا دونه طعم الالم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين واورثناهم مساكنهم
واملاكهم واماكنهم فلما انكر طوائف الغي من سلكهم الحقناهم في الاهلاك بهم سنة
منا في الانتقام امضيناها عن اعدائنا وعادة في الاكرام اجريناها لاوليائنا ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بايديهم اي مسوه باعضائهم
وادركوه باجزائهم وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يطلق على الفحص
كقوله وانا لمسنا السماء وتخصيص اللمس دون الاستماع والابصار لان التزوير
لا يقع فيه غالبا فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا والحاصل ان اللمس ابلغ
في ايقاع العلم من المعاينة فان اكثر السحر والتزوير في المرئي لقال الذين كفروا اي
في علم الله على ما اصروا ان هذا الا سحر مبين لتعنتهم وعنادهم في الدين قيل نزلت
حين قالوا لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملك
يشهدون انه من عند الله وافاد الاستاذ انه سبحانه يخبر عن كمال قدرته في ابداء
ما يريدونه بعد ما قضى لهم الضلال فلو اشهدهم كل دليل واوضح لهم كل سبيل
ما ازدادوا الا تماديا في الضلال والنفرة وانهماكا في الجهل والغيبة وقالوا لولا انزل
عليه ملك اي هلا انزل معه ملكا يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
ولو انزلنا ملكا لقضي الامر اي امر هلاكهم واستيصالهم فان سنة الله جرت بذلك
فيمن قبلهم وهو ان من اقترح آية ولم يؤمن بها استوصلوا بالعذاب بعد نزولها
او لعدلوا الى اقتراح امر آخر ويؤيد الاول قوله ثم لا ينظرون اي بعد نزوله طرفة عين لا
يمهلون وقيل معناه لماتوا من هول رؤية الملك لضعف القدرة البشرية عن رؤيتهم
في الصورة الملكية وانما رآهم كذلك افراد الانبياء باقدارهم القدسية وانوارهم
الانسية ويؤيده قوله ولو جعلناه ملكا اي لو قدرنا الرسول الذي انزل معه ملكا يشهد
على صدقه لجعلناه رجلا اي في صورة رجل لعدم قدرتهم الا على رؤية صورتهم كما
مثل جبرائيل على شكل دحية في نظر الصحابة وقيل نزل جوابا لقولهم لو شاء ربنا
لانزل ملئكة ويدل عليه قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون اي لخلطنا عليهم ما يخلطون
على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلنا وافاد الاستاذ انه سبحانه بين ان
العبرة بالقسمة دون الاعتبار والحجة فكما لا يغني السراج عمن فقد البصر كذلك ما يغني
الحجج عمن فقد عناية الازل ومن لم يقدس سره لبس عليه امره ولقد استهزئ برسل
من قبلك اي كما استهزأ قومك بك بنحو الاقتراح منك فمع التقسيم على عنادك
فحاق اي احاط بالذين سخروا منهم اي من الرسل من الكفار ما كانوا به يستهزؤن
حيث اهلكوا لاجله او نزل بهم وبال استهزائهم وفي هذا تسلية له عليه السلام على ما يرى
من قومه ووعيد لاعدائه وقال الاستاذ اي سبقك يا محمد من كذب كما كذبت

فحق لهم

فحق لهم نصرنا فانتقمنا ممن ناواهم فعاد اليهم وبال كيدهم قل سيروا
في الارض اي بالاقدام او بالفكر في الاعلام ثم انظروا اي نظر اعتبار كيف كان
عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كي تعتبروا بالاحوال
قيل معناه اباحة السير للتجار وسائر السالكين وايجاب النظر في آثار الهالكين
وقال الاستاذ يعني قل لهم دوخوا الارض وامسحوا بالسير كم منها الطول والعرض
ثم انظروا هل نفلت من حكمنا احد وهل وجد من امرنا ملتحدا قل لمن ما في السموات
والارض اي ملكا وملكا وخلقا وهو سؤال تبكيت في معرفة الخالق قل لله تقرير له وتنبيه
على انه المتعين للجواب بالاتفاق وافاد الاستاذ انه سبحانه سائلهم هل في الدار
ديار وهل يكون في التحقيق عند الحق مقدار فان بقوا عن جواب يشفي فقل الله
في الربوبية يكفي كتب على نفسه الرحمة اي اوجبها على ذاته واثبتها في صفاته والتزمها
من تفضلاته فمن اقبل اليه مع عظم ذنبه قبله وقربه لديه وفي الآية ايماء الى الحديث
القدسي والكلام الانسي من قوله سبقت رحمتي غضبي والمراد بالرحمة ما يعم الدارين
ويشمل اهل الكونين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بانزال الكتب
ونصب الادلة وارسال الرسل واظهار المعجزة وافاد الاستاذ انه سبحانه اخبر وحكم واراد
على حسب ما علم فمن تعلق بنجاته علمه سبق بدرجاته حكمه ومن علم في ازله انه يشقى
فبقدر شقائه في البلاء يبقى ليجمعنكم اي في القبور الى يوم القيمة اي وقت البعث والنشور
فيجازيكم باعمالكم على وفق احوالكم لا ريب فيه اي في اليوم او الجمع الذين خسروا
انفسهم بتضييع رأس مالهم من صرف انفاسهم بغير ما ينفعهم في مآلهم لما ورد ليس
يتحسر اهل الجنة يوم القيمة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها والموصول
مبتدأ خبره قوله فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب على خسرانهم
وله ما سكن في الليل والنهار اي ولله سبحانه ما استقر في الازمنة المتضمنة للامكنة
تسكن من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتمل
الملوان عليه او من السكون والمعنى ما سكن فيهما وتحرك واكتفى باحد الضدين عن
الآخر كما في قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد وهو السميع لكل مسموع العليم بكل
معلوم فلا يخفى عليه شيء من موجود ومعدوم وافاد الاستاذ في اشارة الآية ان
الحادثات لله ملكا وبالله ظهورا ومن الله بداء واليه رجوعا وهو السميع
لانين المشتاقين العليم بحنين الواجدين قل اغير الله اتخذ وليا نصب غير على انه
مفعول اول لاتخذ والتقديم لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي والمراد
بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض اي مبدئهما
ومبدعهما ومخترعهما لا عن مثال سبق فيهما وجره على انه بدل من الله او نعت له
فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر فالاضافة معنوية فتكون معرفة فجاز ان يكون

صفة لمعرفة وافاد الاستاذ ان المعنى المراد ابعد ما اكرمنى بجميل ولايته اتخذ وليا غيره
وابعد ما وقع على نظر عناية النظر فى الدارين الى احد سواه ان هذا محال من الظن
والتقدير فى حق اهل التحقيق من ارباب التغيير وهو يطعم ولا يطعم اى يرزق ولا يرزق
او ينفع ولا يجرى النفع عليه وتخصيص الطعام لشدة الاحتياج اليه والا
فلا احد الا انه يحتاج لديه وهو غير محتاج الى احد حتى فى افتقار ما سواه اليه افاد الاستاذ
انه سبحانه له نعت الكرم فلذلك يطعم وله حق القدم فلذلك لا يطعم قل انى امرت ان اكون
اول من اسلم اى من هذه الامة او من البرية حيث قال فى الميثاق الاول قبل كل احد
بلى عند قوله تعالى الست بربكم او فى العهد الازل كما يشير اليه قوله كنت نبيا وآدم
بين الروح والجسد ولقوله اول ما خلق الله نورى او روحى ولا تكونن من المشركين
عطف على امرت اى وقيل لى ولا تكونن من المشركين فى شركا جليا ولا خفيا
والمراد تثبيته او الخطاب له والمقصود امته قل انى اخاف ان عصيت ربى
عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى فى قطع طمعهم من ان يكون مثلهم فى شركهم
وعصيان ربهم والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجواب الشرط محذوف
دل عليه الجملة وقال الاستاذ اى انى بجرمى متحقق ومن عذاب ابى مشفق وبمتابع
امره متحقق من يصرف اى العذاب عنه يومئذ فقد رحمه اى الله بمعنى انعم
عليه ونجاه وقراء حمزة والكسائى وشعبة يصرف مبنيا للفاعل على ان الضمير فيه
لله وقد قرئ باظهاره والمفعول وهو العذاب محذوف او يومئذ بحذف
المضاف وذلك اى الصرف والرحمة بمعنى الانعام هو الفوز المبين اى
الظفر الظاهر عند ارباب اليقين وافاد الاستاذ ان من ادركه سابق عنايته
صرف عنه لاحق عقوبته وان يمسسك الله بضر اى يصبك ببلية موجبة لتضرر
كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه وازالته ورفعه الا هو وان يمسسك
بخير اى بنعمة مقتضية لشكر كصحة وغنى فلا قادر على بقائه ولا ارتفاعه الا هو
وترك هذا الظهور تقديره ولدلالة نظيره واذا كان الامر كذلك من غير تغيير فهو
على كل شئ قدير اى من مس الضر ورفعه ومس الخير ودفعه فلا يقدر غيره على تغييره
لقوله تعالى فلا راد لفضله وفيه ايماء الى انه الداء والدواء وما سواه كالهباء فى الهواء
وافاد الاستاذ انه انما ينجيك من البلاء من يلقيك فى العناء اذ المتفرد بالابداع
واحد فالاغيار كلهم اغفال وان الايجاد لا يحصل من الاغفال وفى نفائس العرائس
اى ان يمسسك بضر الحجاب فلا كاشف لضره بك الا ظهور مشاهدة جماله لك
قلت وان يمسسك بخير الخطاب فلا دافع لخيره بك الا ظهور مشاهدة جلاله لك
وقال الجنيد معبودك اول خاطر يخطر لك عند نزول ضر وعناء او ظهور بلاء ان
رجعت فيه الى الله فهو معبودك وهو الذى يكفيك وان رجعت الى غيره تركك

وما رجعت

وما رجعت اليه وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة
فى جميع بلاده والمعنى ان قهره استعلى عليهم فهم مسخرون مقهورون فيما نسب
اليهم وهو الحكيم فى امره وتدبيره الخبير العالم بجميع ما يجرى على وفق قضائه
وتقديره قيل قهرهم على الايجاد والابداء كما قهرهم على الموت والفناء وقيل
الآمر بالطاعة من غير حاجة والناهى عن المعصية من غير كراهة والمثيب من
غير عوض والمعاتب من غير غرض لا يتشفى بالعقوبة ولا يتعزز بالطاعة كذا
فى حقائق الدقائق وقال الاستاذ علت رتبة الاحدية صفة البشرية فهذا
لم يزل وهذا لم يكن فحصل وحتى يكون بقاء للحدثان مع وضوح سلطان التوحيد
وما معه من البرهان قل اى شئ اكبر شهادة نزل حين قال قريش يا محمد لقد
سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة
فارنا من يشهد لك انك رسول الله نقله محيى السنة والواحدى وغيرهما
والشئ يقع على كل موجود لا على المعدوم خلافا للمعتزلة ويطلق عليه سبحانه
بناء على ان الشئ مصدر بمعنى الفاعل فالله شاء ومريد او يقال انه شئ
لا كالاشياء قال الحسين لا شهادة اصدق من شهادة الحق لنفسه بما شهد
فى الازل به قل الله شهيد اى هو شاهد بينى وبينكم واوحى الى هذا القرآن
لانذركم به اى لاخوفكم بالقرآن ايها الحاضرون او اهل مكة الموجودون ومن بلغ
اى وسائر من بلغه القرآن من الاسود والاحمر الى يوم الحشر واكتفى بذكر الانذار عن ذكر
البشارة لان المقام مقامه او من باب الاكتفاء بذكره عن ذكر ضده او بناء على الاشارة
الى البشارة فى ضمنه وافاد الاستاذ انه غلبت شهادة الحق سبحانه كل شهادة
منهم اذا قبلوا ان يشهدون فلا يحيط بحقائق الشئ علومهم والحق سبحانه هو الذى لا يخفى
عليه شئ من امورهم ومنهم ثم اخبر انه مبعوث الى الكافة ومن سيوجد الى يوم القيمة
ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى تقرير لما سبق وانكار واستبعاد للعدول
عما تحقق قل لا اشهد اى بما تشهدون من الامر المتعدد قل انما هو اله واحد اى انا له
عابد بل ولا لغيره مشاهد واننى برئ مما تشركون اى به معه فى العبادة واعتقاد الربوبية
الذين آتيناهم الكتاب اى من اليهود والنصارى يعرفونه اى الرسول الجليل
بنعته المذكور فى التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم اى بصفاتهم وابنائهم والمعنى
انهم متحققون فى معرفته بحيث لا يشكون فى رسالته فعدم ايمان بعضهم لعنادهم وحسدهم
الذين خسروا انفسهم حيث جحدوا كتابهم وتركوا خطابهم فهم لا يؤمنون
واختاروا عذابهم وحجابهم وافاد الاستاذ انه احاط علمهم بصدق المصطفى
فى نبوته لكن ادركتهم الشقاوة الازلية فعقل السنتهم عن الاقرار
برسالته فجحدوه جهرا وعلموا صدقه سرا ومن اظلم ممن افترى على الله

لذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وعزير ابن الله
والمسيح ابن الله اوكذب بآياته اى بكتبه وخوارق عاداته والمعنى لا اظلم ممن ذهب
الى احد الامرين فكيف بمن جمع احد الوصفين انه اى الشأن لا يفلح الظالمون
فكيف يفلح الاظلم منهم وافاد الاستاذ ان شؤم الخذلان بلغ بالنكاية فيهم
ما جسرهم على الاصرار على الكذب على الله ثم لم يستحيوا من اطلاعه ولم يخشوا
من عذابه ويوم نحشرهم اى العابد والمعبود او اياهم وجهنم جميعا تاكيد وحال
اى مجتمعين والظرف منصوب باذكر مقدرا ثم نقول للذين اشركوا اولا نعاتبهم
اين شركاؤكم اى آلهتكم التى جعلتموها شركاء لله الذين كنتم تزعمون اى تزعمونهم
شركاءكم حينئذ يشاهدونهم فى غاية من المهانة بهم فالسؤال عنهم تقريع وتوبيخ لهم
وقيل تقديره اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون انها تشفع لكم عند الاله حيث
كانوا يقولون فى حق الاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله وافاد الاستاذ
انه يجمعهم يوم الحشر والنشر ولكنه يفرقهم فى الحكم والامر فالبعث يجمعهم
لكن الحكم يفرقهم ثم لم تكن فتنتهم اى عاقبة كفرهم وشركهم فى الدنيا او عذرهم
التى يتوهمون ان يتخلصوا بها فى العقبى او مآل محبتهم للاصنام ومآل
اليه الهوى الآن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين اى الا التبرى على سوى
الولى وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتأنيث وفتنتهم بالرفع
على انها الاسم والباقون بالنصب وقرأ نافع وابو عمرو وابو بكر بالتأنيث
والنصب على ان الاسم ان قالوا والتأنيث للخبر وحمزة والكسائى بالتذكير
والنصب وكذا بنصب ربنا على النداء او المدح والحاصل انهم يكذبون من فرط
الحيرة والدهشة ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع فى تلك الحالة كما
يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون مع انهم بالخلود موقنون
وحينئذ يختم على افواههم وتشهد عليهم السنتهم وجميع اعضائهم وافاد الاستاذ
ان هذا الذى اخبر عنهم غاية التمرد حيث جحدوا واصروا على ما كذبوا فيه اقسموا
ولو كان لهم بالله علم لتحققوا ان الله يعلم سرهم ونجواهم ولا يخفى
عليه شئ من اولاهم وعقباهم لكن الجهل الغالب عليهم استنطقهم بما فيه
فضاحتهم انظر كيف كذبوا على انفسهم اى فى العقبى بنفى شركهم فى الدنيا
وضل عنهم اى غاب وبطل فى نظرهم ما كانوا يفترون فى حال كفرهم من اثبات
الالهية او ادعاء الشفاعة والمعنى ان الحيرة اوقعتهم فى عدم التميز بين ما ينفعهم
وما لا ينفعهم ومنهم من يستمع اليك حين تلاوة ما نزل عليك وجعلنا على قلوبهم
اى قلوب المستمعين او قلوب جميعهم اكنة اغطية ان يفقهوه اى كراهة
ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا اى ثقلا وصمما مانعا عن ان يسمعوه قال الواسطى

منهم من يستمع اليك بنفسه ويتردد فى ظلمات حسنه ومنهم من يستمع منك بنا
فهو يتقلب فى انوار انسه قال ابن عطا لانه لم يجعل له سمع فهم الصواب
وانما جعل له سمع الخطاب وقال الاستاذ بين ان السمع فى الحقيقة سمع القبول
وذلك عن عين اليقين يصدر لا من سمع الظاهر فلا عبرة به عند ارباب البصائر
ويقال من ابتلاه الحق بقلب مطبوع ووضع فوق بصيرته غطاء مغلوق فالتلبيس
لم يزده فى ذلك الا نفرة على نفرة وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم
واستحكام تقليدهم بعد مشاهدتهم انواع المعجزة للبشر كانشقاق القمر
ونبع الماء من بين الاصابع وتسبيح الحجر وغيرها مما لا يحصى ولا يحصر قال الاستاذ
يعنى من اقصته القسمة الازلية لم ينعشه الحيلة الابدية حتى اذا جاؤك اى بلغ تكذيبهم
الآيات المفهوم من قوله لا يؤمنوا الى انهم اذا جاؤك يجادلونك فى حق الكتاب المبين
يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين اى اباطيل المتقدمين واكاذيب
السابقين وهم ينهون عنه اى عن الايمان او القرآن وينأون عنه ويتباعدون
عما يؤديهم الى الايمان والعرفان او ينهون عن التعرض لرسوله وينأون عنه
بعدم الايمان به كابى طالب ونحوه وهذا يدل على انهم مقهورون وفى اسر
تصرفنا مسخرون وان يهلكون اى وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون
ان وبال ضررهم لا يتعداهم الى غيرهم او ما يميزون بين ما ينفعهم وما يضرهم
او فالبهائم احسن منهم وافاد الاستاذ ان فى هذه الآية اشارة صعبة
لمن يدعو الى الحق جهرا انه لا يأتى ذلك سرا ويقال لما خالفت قضايا احوالهم
اجراهم يجرى من التقى حبالهم على غابرهم ويقال من ابعده عن القسمة فضله لم
يقربه فعله ولو ترى اى حالهم عند المصائب اذ وقفوا على النار اى عاينوا ما فيها
من العذاب او دخلوها وذاقوا انواع العقاب لرأيت امرا فظيعا وحالا
شنيعا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا
ونكون من المؤمنين عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون فى حكم المتمنى
فالمعنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين وقوله الآتى وانهم لكاذبون
راجع الى مفهوم التمنى من ارادة المعنى وما تضمنه من الوعد به ونصبهما حمزة وحفص
على الجواب باضمار ان بعد الواو وكان بعد الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف
ونصب الثانى على الجواب وقال الاستاذ يعنى به حين يحجز للعبد ما وعده له
من القربة ويشغل من شاء بنوع من العلة حتى لا يطلع احد على محل الاسرار الالهية
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عن ارادة ايمانهم المفهوم من تمنيهم
والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم وقبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا
لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا اى الى الدنيا بعد الوقوف على عقوبة

العقبى وظهور امر المولى لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي لما سبق لهم
من الشقاء بحكم القضاء وانهم لكاذبون فيما وعدوا انفسهم بالقيام بحق الوفاء
وترك الجفاء وفي الحقائق اي ظهر لهم من عيوب اسرارهم ما كان يخفيه عنهم فانه
علمهم اي وهم ما علموا انفسهم ولا عرفوا رتبهم وافاد الاستاذ ان غدا يوم الكشف
ينهتك الاستار ويظهر الاسرار فكم من متجلل بثوب تقواه وحكم له معارفه انه
زاهد في دنياه راغب في عقباه محب لمولاه مفارق لهواه ينكشف الامر على
خلاف ما يوهموه وافتضح عندهم بغير ما ظنوه وكم من منهتك ستره بما اظهر
عليه طرق الكل انه خليع العذار رهين الاغلال مشوش الاسرار ظهر لذوي البصائر
جوهره وبرز من خفايا الستر حقيقته ثم قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه
اخبر عما علم انه لا يكون انه لو كان كيف كان يكون فقال لو رد اهل العقوبة الى
دنياهم لعادوا الى جحدهم وانكارهم فكذلك لو رد اهل الصفاء والوفاء الى دنياهم
لعادوا الى احسن اعمالهم اقول بل عادوا الى احسن افعالهم واحوالهم
وانهم لصادقون وقالوا ان هي اي وما الحيوة الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
في العقبى ولو ترى اي سوء حالهم وقبح مآلهم اذ وقفوا على ربهم اي حين سؤاله
عن افعالهم وتوبيخهم على اعمالهم قال اليس هذا اي البعث للثواب والعقاب
بالحق بالامر الثابت على وفق الخطاب الصواب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد
باليمين بعد البلاء والجلاء اذ الامر غاية الجلاء فلا يرفع عنهم الفناء قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون ليوم الحساب قال الاستاد يا حسرة عليهم من موقف الخجل ومحل
مقاساة الوجل وتذكر تقصير العمل منهم ويقفون على اقدام الحسرة يقرعون اسنان
الندم حين لا ندم ينفعهم ولا شكوى يسمع منهم ولا رحمة تنزل عليهم قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم نوال النعيم وادركهم نكال الجحيم حتى اذا جاءتهم الساعة
غاية للتكذيب لا للخسارة لان خسرانهم ليس له غاية ومن مات فقد قامت له
القيامة قالوا يا حسرتنا اي تعالي فهذا اوانك نتاسف على ما فرطنا فيها اي
قصرنا في امر الساعة بعدم الايمان بها وفقد الاهتمام بشأنها وهم يحملون اوزارهم
على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم اثقال الاثام او تمثل ذنوبهم من بين الانام باقبح
صورة وانتن رايحة فتركب عليهم وتسوقهم الى النار كما روي في بعض الاخبار والاثار
الا ساء ما يزرون اي بئس شيئا يزرونه وزرهم وافاد الاستاذ انهم لم يخسروا ماء
ولا ولدا ولا مقاما ولا حالا ولكن كما قيل • لعمري لئن انزفت دمعي فانه •
لعزفة من افنيت في ذكره عمري • المصيبة لهم والحسرة على غيرهم ومن لم يعرف جلال
قدره متى يتاسف على ما يفوته من حديثه وامره وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو
اي وما اعمالها الا لعب ولهو لاهلها تمنعهم عما يعقب منفعة ابدية وتلهيهم عما يوجب

لذة

لذة حقيقية قال محمد بن علي لعب لمن جمعه ولهو لمن ورث عنه بعده وافاد الاستاذ
ان ما يشغل عن الحق كونه فغير مبارك لونه وللدار الاخرة خير اي لدوامها وخلوص منافعها
ولذاتها بتمامها وقرأ الشامي ولدار الاخرة خير للذين يتقون اي يجتنبون المناهي
والملاهي افلا تعقلون اي الا يتأملون فلا يميزون بين الخير والشر فيما يفعلون وقرأ نافع
وابن عامر وحفص بالتاء على خطاب المخاطبين او تغليب الحاضرين على الغائبين ولذا
قال بعض العارفين فيه تعزية للفقراء بما جز مواعيدها وتقريع للاغنياء بما ركنوا اليها
قد نعلم انه اي الشان ليحزنك الذي يقولون اي فينا او فيك او في كتابنا فانهم
لا يكذبونك وقرأ نافع والكسائي بالتخفيف من الاكذاب والمعنى لا ينسبونك الى
الكذب لعلمهم بصدقك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون اي يكذبون تكذيبا لما فيه
من الآيات الدالة على وحدانيتنا وظلموا انفسهم بانكار آياتنا وافاد الاستاذ ان هذه
تعزية للرسول عليه السلام وتسلية فقال قد نعلم ما قالوا فيك وانما قالوا ذلك بسببنا
ولاجلنا ولقد كنت عظيم الجاه فيهم قبل ان اوقعنا عليك هذا الرقم وكانوا يسمونك
محمد الامين وانما اصابك ما يصيبك لاجل تحديثنا فغير ضائع لك هذا عندنا جالك
فينا كما قيل اشاعوا لنا في الحي اشنع قصة وكانوا لنا سلما فصاروا لنا حربا ولقد
كذبت رسل من قبلك اي على منوالك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا
فتأس بهم واصبر فان النصر مع الصبر ولا مبدل لكلمات الله اي لمواعيده التي من
جملتها قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا
لهم الغالبون وقيل لا مغير لما اجرى به في الازل بتغيير ظهورها في الابد اذ الازل والابد
عنده واحد بل ولا ازل ولا ابد حقيقة ولقد جاءك من نبأ المرسلين اي من
اخبارهم ما يكفي للمعتبر بآثارهم وقال الاستاذ يعني ان من سلك سبيلنا وصبر على
ما اصابه من حديثنا فلا خسرت فينا صفقتهم ولا خفيت علينا حالتهم وان كان
كبر عليك اي شق وعظم لديك اعراضهم عن الايمان بك وبما انزل اليك فان استطعت
ان تبتغي نفقا في الارض اي تطلب سربا ومنفذا تنفذ فيه الى جوف الارض
او تحت الثرى او سلما في السماء اي مصعدا تصعد فيه الى السماء والثريا
فتأتيهم بآية اي فتطلع لهم من الارض او تنزل من السماء آية ملجئة لايمانهم
فافعل والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان يأتيهم
بآية من تحت الارض او فوق السماء لاتى بها رجاء لهدايتهم وفيه ايماء الى ان
الامر كله لله كما اعقبه بقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ووفقهم على سلوك
سبيل رضي المولى فلا تكونن من الجاهلين اي الغافلين عن هذا المعنى وافاد
الاستاد انه صلى الله عليه السلام لفرط شفقته عليهم استقصى في التماس
الرحمة من الله لهم وحمل على قلبه العزيز بسبب ما علم من سوء احوالهم ما اثر

فيه من فنون الاحزان فعرف انهم مبعدون عن القربة منكوبون بسالف
القسمة ولو اراد الحق سبحانه ان يخفف عنهم او لو شاء ان يهديهم لكان لهم
مقيل في صدر الانبساط ومثوى على البساط ولكن من كعبة العزة لم تنعشه الجبلة
انما يستجيب الذين يسمعون اي انما يجيب دعوتك ويقبل نبوتك الذين
يسمعون كتابنا بفهم وتامل بتاهلهم من اسماعنا واحياء قلوبهم بنا وهؤلاء
كالموتى غافلون عنا والموتى اي انهم ومن على مثل حالهم يبعثهم الله اي فينتبهون ويعلمون
ثم اليه اي الى جزائه وحكمه يرجعون قال ابن عطاء اخبر الله تعالى ان اهل السماع
هم الاحياء وهم اهل الخطاب والجواب واخبر ان الآخرين هم الموتى لقوله
والموتى يبعثهم الله وافاد الاستاذ ان من فقد الاسماع في سرائره عدم توفيق
الاتباع لظواهره والاختيار السابق في متعلقاته غالب اي فهو الناجح وقالوا
لولا نزل عليه آية من ربه اي آية معينة او معجزة مقترحة كقولهم حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا الآيات قل ان الله قادر على ان ينزل آية وقرأ ابن كثير بالتخفيف اي
آية مما اقترحوه بلسانهم او آية ملجئة تضطرهم الى ايمانهم كنتق الجبل لمن قبلهم
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم
وبالها وافاد الاستاذ انهم من جهلهم استزادوا من المعجزات ولم يعلموا ان المانع
لهم من الايمان بالآيات ما سكرت من بصائرهم لا ما توهموه من عدم دلائلهم وما من
دابة في الارض تدب على وجهها او جوفها الى ما تحت الثرى ولا طائر يطير
بجناحيه اي في جانب الهواء وجهة السماء الا امم امثالكم محفوظة احوالها
مقدرة ارزاقها وآجالها واتيان الصفة لدابة وطائر لزيادة التعميم والمبالغة
المفهوم من الزائدة بحيث لا يبقى وهم خروج شيء من الافراد لكون الوصفين
من اوصاف الجنس دون النوع فيشعر بان القصد فيهما الى الجنس ولذا جمع الامم
للحمل على المعنى مع افراد لفظ الدابة والطير فكانه قال وما من دواب وطيور الا امم
امثالكم في ان احوالها تشبه احوالكم وقال الاستاذ تساوت المخلوقات وتماثلت
المصنوعات في الحاجة الى المنشئ في حال الابتداء ثم في حال البقاء وكذلك في
جميع الصفات النفسانية والنعوت الذاتية توقفت الى الايجاد والاختيار
فما من شيء واثر ورسم وطلل الا وهو على وحدانيته شاهد ظاهر وعلى كونه في نفسه
مخلوقا دليل باهر ما فرطنا في الكتاب من شيء اي ما اهملنا في اللوح المحفوظ شيئا مما
يجري في الارض ولا في السماء من جليل وقليل وقبيح وجميل وجماد وحيوان وملك
وانسان او في القرآن فانه دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا
لقوم يعلمون ثم الى ربهم يحشرون اي الى جزائه وحكمه على وفق قضائه يبعثون
ويجمعون جميع الامم فينصف بعضها من بعض بمقدار الالم كما قال تعالى واذا الوحوش

حشرت

حشرت وكما ورد في الاحاديث انه يأخذ للجماء من القرناء وما روي عن ابن عباس
رض وغيره ان حشر البهائم موتها محمول على ان موتها يعقب حشرها لقوله تعالى
حكاية عن الكفار انهم حين يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيقول
الكافر يا ليتني كنت ترابا والذين كذبوا باياتنا اي المتلوة او المصنوعة وقيل
المعنى لم يصدقوا اظهار كرامتنا على المقربين في حضرتنا صم عن سماع اياتنا
بسمع قبول وبكم عن نطق بحق وصدق في الظلمات اي خابطون في ظلمات
انواع الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد وهو كناية عن عمي البصيرة
فكانه قال وعمي عن مشاهدة الحق وهذه الصفات حقيقة في حقهم يوم القيمة
لقوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما مأويهم جهنم والله اعلم
وافاد الاستاذ ان الذين فاتتهم العناية الازلية سد الحرمان اسماعهم وغشي
الخذلان ابصارهم والارادة لا تناقض والمشية لا تزاحم والله المتعال غالب
في جميع الاحوال من يشاء الله يضلله اي يخذله فيميته على الكفران ويعذبه
بنار الفرقة والحرقة ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى
ويحفظه من الردى ويميته على الايمان فيدخله الجنة ويقربه الى مقام الوصلة
قل اي للكفرة ارايتكم اي اخبروني عن هذا الامر الغريب والشان العجيب
ان اتيكم عذاب الله اي كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة اي نفخة القيمة بالفرض
والتقدير عندكم اغير الله تدعون اي في صرف العذاب عنكم وهو متعلق الاخبار
المتضمن للتوبيخ والانكار ان كنتم صادقين ان الاصنام الهة فاخبروني
لم لا تدعونها في تلك الحالة بل اياه تدعون اي بل تخصونه بالدعاء كما حكي عنهم
في مواضع من نحو قوله واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين
وتقديم المفعول لافادة التخصيص وبل للانتقال من حال الى حال بدون الابطال
فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ودفع ضره ان شاء ان يتفضل
عليهم في الدنيا ولكن لم يشأ كشف عذابهم في العقبى كما اخبر عنه بقوله
سبحانه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وتنسون
ما تشركون اي ما تشركونه مع الله او تتركون حينئذ عبادة ما سواه قال الجريري مرجع
العارفين الى الحق اوائل البدايات ومرجع العوام اليه بعد الاياس من الخلق في
اواخر النهايات وقال الاستاذ يعني اذا مستكم ضر او نابكم امر فمن ترومون
كشفه ومن الذي تؤملون لطفه المخلوق شرقيا او شخصا غربيا او ملكا سماويا او
عبدا ارضيا ثم قال بل اياه تدعون اي انكم وان ترددتم بنفوسكم او فكرتم طويلا
بقلوبكم لم تجدوا من دونه ولا عن حكمه ملتحدا فتعودون اليه في استكشاف
الضر واستلطاف الخير والبر كما قيل ۞ وترجعني اليك وان تناءت ۞

ويارى عنك معرفة الرجال وكما قيل ؛ فدتركناك الذين تريد ؛ فعسى ان تملهم فتعود ؛
واذا جربت الكل وذقت الحلو والمر افضى بك الضر الى بابه والالتجاء الى جنابه
فاذا رجعت بنعت الانكسار وشواهد الذل والاضطرار فانه يفعل مايريد ويحكم
مايشاء ان شاء اتاح اليسر وازال العسر وان شاء ضعف الضر وعوض الامر
وان شاء ترك الحال على ما قبل السؤال والابتهال ولقد ارسلنا اى رسلا
الى امم من قبلك اى الى طوائف كائنة من قبل ظهورك ومتقدمة من قبل نورك
والفاء فى فاخذناهم فصيحة اى فكفروا وكذبوا رسلهم فاخذناهم بالبأساء
اى شدة الفقر والحاجة والضراء اى مضرة المرض والآفة لعلهم يتضرعون يتذللون
لنا وينقادون بنا ويعتمدون علينا وقال ابن عطاء اخذنا عليهم الطرق كلها ليرجعوا
الينا وافاد الاستاذ انه يخبر عن سالف سنته فى ابداء الامم وما اوجب لمن اطاعه منهم
من النعم والكرم وما احل بمن خالفه من انواع الالم واصناف النقم فلولا اذ جاءهم
بأسنا تضرعوا معناه نفى تضرعهم لديهم مع قيام ما يدعوهم اليه ولكن قست قلوبهم
اى ما رقت فما تضرعت لان قساوة القلب توجب مباعدة الرب وزين لهم
الشيطان ما كانوا يعملون فاصروا عليه فلا يتوبون وافاد الاستاذ انهم لما اظلهم
البلاء فلو رجعوا بجميل التضرع والثناء وحسن الابتهال والتملق بالدعاء لكشفنا
عنهم المحن ولانحنا لهم المنن ولكن صدهم الخذلان عن العتبى فاصروا على تمردهم
فى متابعة الهوى فقست قلوبهم بترك عباداتهم وتضاعفت اسباب شقاوتهم
فلما نسوا ما ذكروا به من البلاء الموجب للولاء ولم يتعظوا بالبأساء فتحنا عليهم
ابواب كل شئ من انواع النعماء مراوحة عليهم بين نوبتى الضراء والسراء
وامتحانا لهم بالشدة والرخاء وابتلاء بالقبض والبسط والفناء والبقاء
وتربية بصفة الجلال ونعت الجمال من اظهار الكرم والكبرياء او استدراجا لكون
الاخذ افظع والهلاك اشنع لما روى انه عليه السلام قال مكروا ورب الكعبة
ويؤيده قوله حتى اذا فرحوا بما اوتوا اى اعجبوا بما اعطوا وحسبوا انهم اكرموا ولم
يقوموا بحق النعمة والشكر عليها كما لم يستقيموا فى وقت المحنة حيث لم يصبروا
فيها ولم ينظروا فى كل حالة الى المبلى بها اخذناهم بغتة فجاءت تعقب حسرة
فاذا هم مبلسون متحيرون فى وادى الغفلة وآيسون من بوادى الرحمة وقانطون
من حصول التوبة لما خامر قلوبهم من وصول الوحشة فقطع دابر القوم
الذين ظلموا اى اصلهم او آخرهم بحيث لم يبق منهم عاين ولا اثر ولم يرو عنهم حديث
ولا خبر والحمد لله رب العالمين على اهلاك الظالمين الذين من شومهم يقطع الرحمة
على العامة حتى تحزن الطير فى وكره والسمك فى بحره والبوم فى بره قل ارايتم اخبرونى
ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم بان اغواكم فى طريق

هواكم

هواكم من اله غير الله يأتيكم به اى بما اخذ من الاعضاء ويخلصكم من البلاء والعناء
قال الترمذى ان اخذ الله سمعكم عن فهم خطابه وابصاركم عن الاعتبار بصنايع
قدرته وختم على قلوبكم بسلب معرفة عنكم هل يقدر احد فتح باب من هذه الابواب
سواه كلا بل هو المبدى بالنعمة فضلا المتم فى الانتهاء كرما وافاد الاستاذ انه سبحانه
عرفهم محل عجزهم وحقيقة حاجتهم الى القدرة القديمة لدوام فقرهم وضرهم فقال
ان لم يدم عليهم نعمة اسماعهم وابصارهم ولم توجب لهم ما البسهم من الحواشى
بكل وجه فى كل لحظة فمن الذى يهب ما سلبه او يصنع ما منعه او يعيد
ما نفاه او يرد ما ابداه كلا بل هو الله ولا رب سواه قلت ولهذا المعنى ورد
فى الدعاء اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا انظر كيف
نصرف الآيات نكررها ونبينها تارة من جهة المقدمات العقلية والنقلية
واخرى من جهة الترغيب والترهيب فى الامور الدينية والاخروية ثم هم يصدفون
اى يعرضون عنها ولا ينتفعون منها قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله بغتة اى فجاءة
من غير مقدمة بل على غفلة او جهرة معاينة بظهور امارة وعلامة وقيل ليلا او نهارا
هل يهلك اى ما يهلك به الا القوم الظالمون على انفسهم بالكفر والمعصية وما نرسل
المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة والقربة ومنذرين الكافرين بالحرقة والفرقة
فمن آمن اتقى عليه واصلح عمله فلا خوف عليهم من القنوط عن الوصلة
ولا هم يحزنون من جهة القطيعة والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب
يصيبهم الم العقاب وذم الحجاب بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم
عن الطاعة من كل باب قل لا اقول لكم عندى خزائن الله اى مقدوراته فى خلقه
وخزائن رزقه فاعطيكم ما تريدون ولا اعلم الغيب اى ما لم يوح الى فاخبركم
بكل ما سيكون وهو عطف على عندى والمعنى ولا اقول اعلم الغيب فلا زائدة
لتاكيد النفى والمبالغة وقيل عطف على لا اقول ولا اقول لكم انى ملك اى من
جنس الملائكة او اقدر على ما تقدرون عليه بحسب العادة ان اتبع الا ما يوحى الى
تبرا عن دعوى ما تستبعده العقول الرضية من دعوى الالوهية والملكية
وادعى النبوة التى هى من الكمالات البشرية ردا لاستبعادهم دعواه وتصميمهم
على فساد مدعاه وقال الاستاذ يعنى قل لهم انى لا اتخطى خطى ولا اتعدى حدى
فما يقال لى ثبت وما حمل على اوصلت قل هل يستوى الاعمى والبصير مثل للضال
والمهتدى او الجاهل والعالم وقال الاستاذ هل يتشاكل الضوء والظلام وهل يتماثل
الجحد والتوحيد افلا تتفكرون فتهتدوا بانهم لا يستوون وانذر به اى خوف
بما يوحى اليه وهو القرآن الذى انزل عليه الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
اى هول يوم حشرهم وطول وقوفهم لحسابهم واحتمال عذابهم وهم المؤمنون المفرطون

فيما يعملون فان الانذار ينفعهم فيتعظون لا المنكرون ليس لهم من دونه ولي يتولى
امرهم ولا شفيع يشفعهم بغير اذنه ان اراد العذاب بهم والجملة في موضع الحال من ضمير
ان يحشروا لعلهم يتقون لكي يتقوا عن كفرهم وكفرانهم قال ابو عثمان اهل المعاملات
وارباب الصدق في المجاهدات خائفون في ذلك مما يبدو منهم من الايمان والعرفان
والتوكل والايقان وانواع البر والاحسان وعرض ذلك على ربهم يشغلهم خوفه عن
رؤية شيء من اعمالهم في آمالهم او من التلذذ بها او الاعتماد عليها وقال ابو سعيد
الخراز اي انذرهم ان يجعلوا الى وسيلة غيري او شفيعا الى نفسي سواي وافاد
الاستاذ ان الانذار اعلام بمقام الخوف وانما خص الى نفين بالانذار كما خص
المتقين باضافة الهدى اليهم حيث قال هدى للمتقين لان للانتفاع والاتباع
بالتقوى والانذار اخص بهم ويقال الخوف ههنا العلم وانما يخاف من علم
فاما القلوب التي هي تحت غطاء للجهل فلا يباشرها طوارق الخوف وقوله ليس
لهم من دونه ولي ولا شفيع يعني كانه لا ناصر لهم من الاغيار فلا معتمد لهم من
افعالهم ولا مستند من احوالهم ولا يؤملون شيئا سوى صرف العناية
وخصوص الرحمة ولا تطرد الذين يدعون ربهم اي شوقا اليه واعتمادا عليه بالغداة
والعشي اي يذكرونه على الدوام او يصلون المكتوبات في الليالي والايام ولا يشغلهم
شاغل من الانام رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والحضور عن الحضرة في
الغدوة بعزم خدمته الى العشية وفي العشية بعزم خدمته الى الغدوة حتى يكون
اوقاتهم سرمدة بغير فترة فكانوا اصحاب المراقبة وارباب المشاهدة وفي العرائس
فيه لطيفة شريفة حيث وصفهم بالحضور بالغدو والآصال لا على تسرمد الاحوال
لتروحهم سويعات باحكام الظاهر لاصلاح البال وهذا منة منه كيلا تحرقهم
نيران محبتهم ولا تبزلهم حدة اراداتهم يريدون وجهه حال من يدعون
اي يدعون ربهم حال كونهم موحدين مخلصين ما عليك من حسابهم من شيء
وما من حسابك عليهم من شيء اي حسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك
عليك لا يتعداك اليهم فتطردهم بالنصب على جواب النفي اي فتبعدهم من
قربك فتكون من الظالمين جواب النهي روي كفار قريش وصناديد المشركين
قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب
جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا
قال نعم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون
فدعا بالصحيفة وبعلي كرم الله وجهه ليكتب فنزلت هذا وسئل ابو يعقوب النهرجوري
عن المريد فقال صفته ما ذكر الله في كتابه المجيد ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية
وهو دوام ذكر واخلاص عمل من البداية الى النهاية وقد اوحى الله بهذه الآية اكابرهم

في التعطف

في التعطف عليهم والصفح عن زللهم والتلطف بهم وافاد الاستاذ ان هذه
وصية له صلى الله عليه وسلم في باب الفقراء والمستضعفين وذلك انه لما
قصر لهم لسان المعارضة واستد فاع ما كانوا يصدونه من اخلاء الرسول عليه السلام
مجلسه عنهم سكتوا استضعافا لقلوبهم بين يدي الله واعين لم يحسن الا ابتهال فتولى
الحق سبحانه خصومتهم فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه اي لا تنظر يا محمد الى خرقتهم على ظواهرهم وانظر الى حرقتهم في سرائرهم
ويقال كانوا مستورين بحالتهم فشهرهم بان اظهر قصتهم ولولا انه سبحانه
قال يريدون وجهه فشهد لهم بالارادة والا فمن كان يتجاسر ان يقول ان مخلوقا
مخلوقا يريد الحق سبحانه والتحقيق ان الارادة اهتياج يحصل في القلب يسلب
القرار من العبد حتى يصل الى الله فصاحب الارادة لا يهدأ ليلا ولا نهارا ولا يجد
من وصوله اليه سبحانه سكونا ولا قرارا ويقال تقيدت دعوتهم بالغدوة والعشي
لانها من الاعمال الظاهرة والاعمال الظاهرة موقتة ودامت اراداتهم فاستغرقت
جميع اوقاتهم لانها من الاحوال الباطنة والاحوال الباطنة سرمدة غير موقتة ويقال
اصبحوا ولا سؤال لهم من دنياهم ولا مطالبة من عقباهم ولا هم سوى حديث
مولاهم فلما تجردوا لله تمحضت عناية الحق لهم فتولى حديثهم وقال ولا تطردهم يا محمد
ثم قال ما عليك من حسابهم من شيء ولا تطالب بحسابهم ولا يطالبون بحسابك بل
كل يتولى الحق سبحانه وتعالى حسابهم فان كان امره خيرا فهو ملاقيه وان شرا
فهو مقاسيه وكذلك اي كما فتنا احوال الناس في امر الدنيا فتنا اي ابتلينا
بعضهم ببعض في امور الدين فقدمنا هؤلاء الفقراء على اكابر الكفار والاغنياء
ليقولوا اي الرؤساء أهؤلاء اي الضعفاء من الله انعم عليهم من بيننا
بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا وهو انكار منهم بان يخص هؤلاء
من بينهم باصابة الحق وسبق الخير لهم في طريق الصدق كقولهم لو كان خيرا
ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او العلة أليس الله باعلم بالشاكرين اي بمن
يقع منه الشكر والايمان فيوفقه وبمن يصدر منه الكفر والكفران فيخذله
قال الحسين قطع الخلق بالخلق عن الحق فقال فتنا بعضهم ببعض وقال ابو بكر
الوراق هو فتنة الرجل بولده وزوجته والاشتغال بهم وباكسابهم وقد ذكر
عن بعض السلف انه قال ما شغلك عن الله فهو مشئوم وكهو بلاء وفتنة
وسبب به ملوم وقال الاستاذ اما الفاضل فليشكر واما المفضول فليصبر وفي نفائس
العرائس الفقير الصادق اذا من الله عليه بمعرفته وكشف مشاهدته وكساه
رداء هيبته يكون متجليا عند جميع خلقه لبروز نوره جلال الله من وجهه بحيث
يجيء بقوم العالم بحقه لصولة حاله وغلبة وجده ولطائف كلامه وشرائف مرامه

ویکون سالب قلوب الخلق بما یجری علیه احکام ربوبیته الحق فیظهر لهم منه سنی کرامانه ولطیف آیاته فیحسد علیه اهل الدنیا من المغرورین بزخرفاتها الواقعین فی ورطاتها ویقولون عند العامة اهؤلاء الذین لهم آیة وکرامة وارادوا بذلک صرف وجوه الناس عنهم الیهم حسدا علیهم فاجاب الله رغما لانوفهم الیس الله باعلم بالشاکرین ای هو تعالی یعلم صدقهم واخلاصهم فی کرمهم وبذل وجودهم شکرا لانعامه وحمدا لما من علیهم من اکرامه حیث خصصهم بالدرجات الرفیعة والحالات الشریفة المنیعة وفی الآیة نکتة اخری وهی ان فتنة الفقیر طمعه الی الغنی وفتنة الغنی للفقیر لئلا یؤدی حقه واذا جاءک الذین یؤمنون بآیاتنا ای بالقرآن فقل سلام علیکم کتب ربکم علی نفسه الرحمة امره بان یبداءهم بالتسلیم علیهم او یبلغ سلام الله الیهم ویبشرهم بسعة رحمة ربه وکمال فضله لهم بعد النهی عن طردهم ایذانا بانهم الجامعون بین فضیلتی العلم والعمل بسبب الایمان والقرآن ومن کان کذلک ینبغی ان یقرب ولا یطرد ویعز ولا یذل ویبشر من الله بالسلامة فی الدنیا وبالرحمة فی العقبی قال الواسطی برحمته وصلوا الی عبادته لا بعبادتهم وصلوا الی رحمته وقیل سلم انت علی الذین یؤمنون بآیاتنا فانا نسلم علی الذین آمنوا بنا بلا واسطة وذلک قوله سلام قولا من رب رحیم وافاد الاستاذ ان السلام السلامة ای فقل لهم سلام علیکم منا سلمتم فی الحال عن الفرقة وفی المآل عن الحرقة ثم ان وکل بلغ کتب علیک الزلة افقد تولی بنفسه لک کتابة الرحمة وکتابته لک ازلیة وکتابته علیک وقتیة والوقتیة لا تبطل الازلیة انه من عمل منکم سوءا ای سیئة وهو استیناف لتفسیر الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالفتح علی البدل منها وقوله بجهالة فی موضع الحال ای من عمل سیئة جاهلا بحقیقة ما یتبعه من المضرة وملتبسا بفعل الجهلة ثم تاب من بعده ای بعد العمل او السوء واصلح ای عمله او خلص توبته واحسن اعماله فانه غفور رحیم ای فامره ان یغفره ویرحمه البتة فانه غفور رحیم فجواب الشرط محذوف والمذکور دلیله اقیم مقامه وقرأ الشامی وعاصم بالفتح علی اضمار مبتدا او خبر ای فامره او فله غفرانه البتة وعلی کل دلت الآیة علی ان لزوم المغفرة لا یکون الا بالتوبة واما المغفرة من غیر التوبة فهی تحت المشیة ٭ قال الاستاذ یعنی من تعاطی شیئا من اعمال الجهال ثم سوف فی الرجوع والاوبة فی الحال او الاستقبال قابلناه بحسن الامهال وجمیل الافضال فاذا عاد بتوبته وحسرته اقبلنا علیه بلطف وقبول فی رحمته وکذلک ای مثل ذلک التفصیل الواضح والتبیین اللائح نفصل الآیات التی یحتاج الناس الی بیانها جمیع الاوقات فی القرآن المبین ببیان صفة المطیعین والمجرمین المصرین منهم والاوابین ولتستبین سبیل المجرمین ای نفصل الآیات لیظهر الحق للکاملین ولیستبین سبیل المجرمین

وقرأ نافع

وقرأ نافع بالخطاب ونصب سبیل ای ولتستوضح یا محمد سبیلهم وتعرف طریقهم فتعامل کلا منهم بما یحق له وقرأ ابن کثیر وابو عمرو وابن عامر وحفص برفعه علی معنی ولتستبین سبیلهم والباقون بالیاء والرفع علی تذکیر السبیل وقال الاستاذ ونزیل الاشکال ونوضح طریق الاستدلال ونطلع شموس التوحید ونمد اهله بحسن التایید ونسم قلوب الاعداء بوسم الخذلان ونذیقهم شوم الحرمان لئلا یبقی لاحد عذر فی حال ولا فی الطریق اشکال قل انی نهیت ای صرفت وزجرت بما نصب لی من ادلة التوحید وبما کشف لی من حقایق التفرید ان اعبد الذین تدعون من دون الله ای عن عبادة ما سواه بخلاف من اتخذ الهه هواه قل لا اتبع اهواءکم ای لا اوافق اراءکم قد ضللت اذا ای ان اتبعت رضاءکم وما انا من المهتدین فی امر الدنیا والدین وقال الاستاذ یعنی صرح بالاعتراف بجمیل ما خصصناک به من وجوه العصمة وصنوف النعمة واخبرهم انک فی کنف الایواء تتقلب وفی قبضة الصون تتصرف فلا للهوی علی سلطان ولا لی من محل التحقیق تباعد ولا عن الحضور غیبة قل انی علی بینة ای بصیرة واضحة وحجة لائحة من الحجج العقلیة والادلة النقلیة من ربی ای من جهته او من معرفته وکذبتم به ای بربی حیث اشرکتم غیره او بما بین لی من توحیده وتفریده وقال الاستاذ قل ان الله سبحانه لم یغادرنی فی تیه الطلب والتماس التحیر واغنانی عن کد الاستدلال وروحنی بشموس التحقیق ولئن بقیتم فی ظلمة الالتباس فلیس لی قدرة علی ازالة ما ابتلیتم به من التحیر ونفی ما امتحنتم به من الجهالة والتردد ما عندی ما تستعجلون به یعنی العذاب الذی استعجلوه بقولهم ائتنا بما تعدنا ان کنت من الصادقین ان الحکم الا لله فی انزال العذاب وایصال الصواب یقص الحق ای یظهره ویبینه ویمیزه ویعینه وهو خیر الفاصلین ای الفارقین بین الخطاء والثواب وما یتفرع علیهما من العقاب والثواب وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة والکسائی یقض الحق من القضاء وهو مرسوم بدون الیاء والمعنی یقضی القضاء الحق ویحکم الحکم الصدق فیما یقضی ویحکم من تاخیر وتعجیل وهدایة وتضلیل وهو خیر الحاکمین وارحم الراحمین قل لو ان عندی ای فی قدرتی وتمکنی ما تستعجلون به ای من العذاب لقضی الامر بینی وبینکم قبل یوم الحساب والله اعلم بالظالمین ای بما یلیق لهم من حصول الامهال او نزول العقاب وقال الاستاذ یعنی لو قدرت علی ابداء ما طلبتم من اقامة البراهین لکم لاجبتکم الی کل ما اقترحتم علی شفقة علیکم لکن المتفرد بالحکم هو الله فلا یعارض فیما یرید مما سواه وعنده مفاتح الغیب ای خزائنه جمع مفتح بفتح المیم وهو المخزن او ما یتوصل به الی الغیبات مستعار من المفاتح الذی هو جمع مفتح بکسر المیم وهو المفتاح ویؤیده انه قرئ مفاتیح وفی البخاری مفاتیح الغیب خمس ان الله عنده

علم الساعة وينزل الغيث الآية والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط بها
علمه لا يعلمها الا هو فيظهرها على ما اقتضت حكمته وتعلقت به مشيته وافاد الاستاذ
ان المفتاح ما يرتفع به الغلق فالذي يحصل به مقصود كل احد قدرة الحق فان
التأثير لها في الايجاد عند ما تعلقت المشية بالمراد ويقال عندك مفاتح الغيب
وعنده مفاتح الغيب فان آمنت بغيبه اسبل السجف على عيبك ويعلم ما في البر
والبحر اي يتعلق علمه بالمشاهدات كما يختص علمه بالمغيبات وما تسقط من ورقة
الا يعلمها اذ لا تسقط الا بعد تعلق الارادة بها فهو مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات
ولا حبة في ظلمات الارض اي مما تحت الارض السابعة من السفليات او من
البذور المدفونة في اراضي الزراعات ولا رطب ولا يابس اي من جميع الكائنات
والثلاثة معطوفة على ورقة وقوله الا في كتاب مبين اي اللوح المحفوظ صفة المذكورات
كما ان قوله لا يعلمها صفة ورقة ويؤيده انها قرئت بالرفع على الابتداء والخبر الا
في كتاب مبين وقال ابو سعيد القرشي في هذه الآية ما من دابة الا ولها ورقة خضراء
معلقة من تحت العرش فاذا يبست الورقة وقعت بين يدي ملك الموت مكتوب
عليه اسمه واسم ابيه يعلم ملك الموت انه قدام يقبض روحه قال صاحب العرائس
وفي الحديث المروي عن النبي عليه السلام قال ما من زرع على الارض ولا ثمار على
الاشجار الا عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم هذا رزق فلان بن فلان
وذلك قوله تعالى في محكم كتابه وما تسقط من ورقة الآية وهو الذي يتوفاكم
بالليل اي ينيمكم فيه وعبر عن الاماتة بالتوفي لان النوم اخو الموت ولما
بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز ففيه نوع من الاستعارة
ويعلم ما جرحتم بالنهار اي كسبتم فيه من الاوزار ثم يبعثكم اي يوقظكم فيه
في النهار ليقضى اجل مسمى اي اجل الحيوة الى الممات والمعنى ليستوفوا
مدة آجالكم وتنقضي جملة اعمالكم ثم اليه مرجعكم اي مآلكم ثم ينبئكم بما كنتم
تعملون اي يجازيكم باعمالكم على وفق احوالكم وافاد الاستاذ انه يتوفى الانفس
في حال النوم وفي حال الوفاة فكما انه لا يعاقبك بالليل ولا يعذبك اذا توفيك
على ما جرحت بالنهار مع علمه بافعالك فبالحري ان لا يعذبك غدا اذا ما توفيك
على ما علمه من قبيح احوالك وفي النفائس توفيهم في الليل لطيران ارواحهم
في اسرار الملكوت وسيرانها في انوار الجبروت ليزيد شوقها الى معادنها ونوفر
ما يجازي به باعمال الاشباح التي كسبتها بالنهار من الثواب والعقاب
وتعلم قدرة الله بالاحياء والاماتة مباشرة ومعاينة لتحيى عليها وقت انقطاعها
من الحدثان الى مشاهدة الرحمن وهو القاهر فوق عباده اي الغالب على عباده
في مراده فهو تصوير لقهره وعلوه بالقدرة والقوة وافاد الاستاذ ان فوق

عباده بالقهر والغلبة والرفعة وفوقهم بالقدرة على ان يعذبهم من فوقهم بانزال
العقوبة عليهم والسخط ويرسل عليكم حفظة اي يحفظ ابدانكم كما قال تعالى له معقبات من
بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله او يحفظ اعمالكم وهم الكتبة الكرام البررة ولعل
الحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد لديه
كان ازجر عن السيئات واحرى في العبادات فان العبد اذا وثق بلطف
سيده وبره اعتمد على لطفه وستره واغتر بفضله وكرمه فلم يحتشم منه احتشام
من خدمه المتطلعين على علمه وعمله حتى اذا جاء احدكم الموت اي حان اجله
وانقطع امله وارتفع عمله توفته رسلنا اي ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة
توفاه بالف ممالة وهم لا يفرطون فانهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون ثم ردوا اي جميع الخلق الى الله مولاهم الحق اي الى حكمه وجزائه
وهو متولي امرهم وحاكم بالعدل في حقهم وافاد الاستاذ انه سبحانه
ردهم الى نفسه فما غابوا عن القبضة لحظة ولا خرجوا عن المشية نفسا ولمحة
والرد الى من رباك واولاك خير من البقاء مع من ابلاك واغواك وقال
بعضهم هي ارجى آية في كتاب الله لانه لا مرد للعبد اعز من ان يكون مرده
الى مولاه الا له الحكم اي اولا وآخرا وباطنا وظاهرا وهو اسرع الحاسبين
حيث لا يحتاج الى ضرب وقسمة وفكر وروية فيحاسب الخلائق في مقدار ساعة
قل من ينجيكم اي يخلصكم من ظلمات البر والبحر اي شدائدهما او من الخسف والغرق
بهما تدعونه جملة حالية تضرعا وخفية اي علانا واسرارا او معلنين ومسرين وقرأ
ابو بكر بكسر الخاء حيث جاء لئن انجيتنا من هذه اي يقولون لئن انقذتنا
من هذه الشدة المبتلى بها في تلك الحالة لنكونن من الشاكرين لا من الكافرين
وقرأ الكوفيون انجانا وافاد الاستاذ ان تذكير النعمة يوجب زيادة في المحبة
فانه اذا عرف جميل ما اسدى اليه ربه تمكن في قلبه حبه قل الله ينجيكم بتشديد الجيم
للكوفيين وهشام منها اي من هذه الشدة ومن كل كرب اي غم سواها مما ينزل
بالقلب ثم انتم تشركون ولا تشكرون الرب كما هو حق العبد او
تعودون الى الشرك ولا تفون بالعهد قل هو القادر على ان يبعث
عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط وعاد وثمود واصحاب الفيل
او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابر
ظلمتكم وارباب حكومتكم ومن تحت ارجلكم عبيدكم وخدمكم وسفلتكم او يلبسكم
شيعا يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى فيقوم القتال بينكم ويذيق بعضكم
بأس بعض اي يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات نوضحها ونبينها
بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون لكي يفهموا ويتدبروا ويعلموا بما يعلمون وافاد

الاستاذ انه لاظلم ادوى للانسان من ظلم الانسان ان شئت فى الولاية والمحبة
وان شئت فى العداوة والبغضة فمن منى بالبغضية مع اشكاله تنغص عليه
عيشه فى الدنيا ومن منى بمحبة امثاله تكدر عليه حاله مع المولى ومن صانه الله
عن الخلق فهو المحفوظ المعانى وكذب به اى بالعذاب او بالكتاب قومك وهو الحق
اى الصدق والصواب قل لست عليكم بوكيل اى بموكول الى امركم انما انا منذركم
والله هو الولى المتصرف فيكم وقال الاستاذ يعنى قل لهم انما على تبليغ الرسالة
فاما تحقيق الوصلة بالوجود والحالة الرضية فمن خصائص القدرة القوية واحكام
المشية الازلية لكل نبإ مستقر اى لكل خبر من الاخبار وقت استقرار وسوف
تعلمون بعضه فى الدنيا وبعضه فى العقبى وفيه تهديد شديد ووعيد اكيد قال الواسطى
لكل دعوى كشف وقال بعض الاخيار • سوف ترى حين ينجلى الغبار •
افرس تحتك ام حمار • واذا رايت الذين يخوضون فى آياتنا بالتكذيب
لها والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم واترك المجال معهم
حتى يخوضوا فى حديث غيره اى غير ما ذكر من الآيات او اعاد الضمير على معنى
الآيات وهو القرآن وقال الاستاذ لا توافقهم فى الحالة ولا ترد عليهم ببسط
المقالة ذرهم ووحشتهم بحسن الاعراض عنهم وتصاون عن الاصغاء اليها ومنهم
بحسن الانقباض منهم واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بالوسوسة
حتى ينسيك النهى عن المجالسة وقرأ ابن عامر بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى
اى بعد ان تذكره وهو مصدر والفه للتانيث مع القوم الظالمين اى معهم فانهم
ظلمة بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين
يتقون من حسابهم من شئ اى ما على المتقين شئ من حساب آثام الخائضين
ولكن ذكرى اى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض مرة اخرى
لعلهم يتقون اى يجتنبون الخوض حياء منهم وكراهتهم او كراهة لمساءتهم
روى انه لما نزل النهى عن مجالستهم قال المسلمون اذا لم نستطع ان نجلس فى الحرم ونطوف
بالبيت الكرم فانهم يخوضون ابدا فنزلت رخصة لهم فى العقود بشرط التذكير
وقال كثير من السلف هذا منسوخ بآية النساء المدنية وهى قوله انكم اذا مثلهم
وفى رواية قال المسلمون نخاف الاثم حين نتركهم ولا ننهاهم فمعنى الآية ولكن
عليكم التجنب وتذكر النهى لعلهم يتقون حين يرون اعراضكم عنه وصح عن سعيد
ابن جبير على ما نقله ابن ابى حاتم عنه ان معناه ما عليكم ان تخوضوا فى آيات الله
شئ من حسابهم اذا تجنبتم واعرضتم عنها فالمعنى عليكم الاعراض والحاصل انه اذا
كان المراد بالآية رخصة مجالستهم بشرط وعظهم فهو منسوخ فان آية سورة النساء
مدنية متاخرة وان كان المراد رفع الاثم عن المتقين بشرط التجنب عن صحبتهم

حين

حين خوضهم فهو عين ما فى سورة النساء فلا نسخ وعليه كلام سعيد بن جبير والله اعلم
بحقيقة الحال وافاد الاستاذ ان من كان نقى الثوب عن ارتكاب الاجرام
كان بمعزل يوم نشره من ملاقات تلك الآلام وذر الذين اتخذوا
دينهم لعبا ولهوا اى بنوا امر دينهم على التشهى واسسوا بناء تعينهم على التلهى
وتدينوا بما يضرهم آجلا ولا ينفعهم عاجلا كعبادة الاصنام وتحريم البحيرة
من الانعام والمعنى اعرض عنهم ولا تنظر اليهم فى ادبارهم واقبالهم ولا تبال
وافعالهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى اطمأنوا بها عن العقبى وذكر به اى عظهم
بالقرآن واحكام المولى ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تفتضح او تحبس
وترتهن او تسلم الى الهلاك بسوء ما عملت ليس لها من دون الله ولى يتولى
امرها فى جميع الابواب ولا شفيع يرفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل
اى ان تفد النفس كل فداء لدفع بعض بلاء لا يؤخذ منها اى لا ينفعها ولا يدفع
شيئا عنها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا من العقائد الفاسدة والاعمال
الكاسدة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل متضمن
لتهديد ووعيد والمعنى هم بين ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم
بسبب كفرهم وكفرانهم فلهم حجاب الفرقة وعذاب الحرقة والحجاب اشد العذاب
وفى النفائس اترك البطالين الذين شغلوا عنا بحظوظ الكونين حتى لا يزاحموا
مجالس الصديقين فانهم محجوبون بحظوظهم من لذة خطابنا وحقايق كتابنا
ولذة صحبة احبابنا وقال الاستاذ اى كلهم وما اختاروه لانفسهم فانا اعتدنا لهم
من خفى مكرنا فيهم ما اذا احللناه بهم كسرنا عليهم خمار الغفلة وكشفنا عنهم خمار
الوهم والغلطة قل اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ان عبدناه ولا يضرنا ان تركنا
والمعنى ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا بارتكاب الشرك والمعصية
بعد اذ هدينا الله بتوفيق الايمان والطاعة والمعنى لا يقع شئ من ذلك فان
المخالف لما هنالك كالذى استهوته الشياطين وقرأ حمزة استهوته
بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى انتكص مشبهين
الذين استهوته الشياطين وذهبت به مردة الجن والغيلان واضلته
فى الارض حيران اى فى المهامه والمهالك حال كونه متحيرا ضالا عن طريق
الهداية واقعا فى سبيل الغواية له اصحاب اى لهذا المستهوى رفقة
يدعونه الى الهدى اى من طريق الهوى ويقولون ائتنا اى اتبعنا فى طريقنا
واسلك سبيل تحقيقنا فلا يلتفت اليهم ولا يعرج ويتبع الغول فيهلك لديهم
قال صاحب الانتصاف ومن انكر استهواء الجن واستيلاءهم على بعض
الانس بقدرة الله الملك المتعال فهو ممن استهوته الشياطين فى مهامه الفلسفة

والضلال قل ان هدی الله ای الذی هدی به من یشاء من عباده هو الهدی وحده وما عداه ضلال لکن علی وفق مراده وقال الاستاذ فی معنی الآیة قل لهم یا محمد اتؤثر الضلالة علی الهدی بعد طلوع شموس البرهان وندع الطریقة المثلی بعد ظهور البیان ونترک ساحة الجنة وقد نزلناها ونطلب فی الجحیم مثوی بعد ما کفیناها ان هذا بعید من العقول ومحال من ظنون الفحول وفی نفائس العرائس ان هدی الله الذی بسط شرایعه وحقایقه وطرائقه للانبیاء والاولیاء والصدیقین المقربین وذلک طریق عرفانه والوصول الی جنان مشاهدته وعیانه وذلک الطریق لاهل اصطفائه یدل لاصفیائه علی الرضاء بقضائه والصبر فی بلائه والشکر علی نعمائه والتسلیم لمراده بحیث لا یکون لهم معارضة فی بلاده وهذا معنی قوله وامرنا لنسلم لرب العالمین عطف علی ان هدی الله واللام بمعنی الباء ای بان نسلم ونختار الهدایة ونخلص له العبادة قال ابو عثمان امر العبد بالتسلیم والتسلیم ترک التدبیر فی التأخیر والتقدیم والرضاء بمجاری القضاء وان اقیموا الصلوة واتقوه عطف علی نسلم ای وامرنا بالاسلام والاستسلام وباقامة الصلوة وسائر الاحکام وبالاتقاء عن الآثام قیل اقامة الصلوة حفظ حدودها والدخول فیها بشرط الحرمة والقیام بها علی سبیل الهیبة والمناجاة بلسان الافتقار والذلة والخروج منها علی رؤیة التقصیر والحرقة فهذه اقامة صلوة المعبود لا الترسم بمجرد الرکوع والسجود وهو الذی الیه تحشرون ای تجمعون وعلی وفق اعمالکم تجزون وهو الذی خلق السموات والارض بالحق ای قائما بالعدل والحکم فی الخلق ویوم یقول کن فیکون قال الاستاذ یعنی انه لا یتعاصی علی قدرته سبحانه حدوث مقصود ولا یتقاصر حکمه عن تصریف موجود قوله الحق ای الواقع الصدق النافذ فی الخلق قال الحسین هو الحق ولا یظهر من الحق الا الحق قال الله قوله الحق وله الملک ای ظاهرا وباطنا ویکون ظهور ذلک النور یوم ینفخ فی الصور حین یقول الملک الجبار لمن الملک الیوم لله الواحد القهار عالم الغیب والشهادة ای هو عالم ما غاب وظهر للعباد وهو الحکیم الخبیر بما یقع فی البلاد من الصلاح والفساد علی طبق ما قضاه واراده والجملة بمنزلة الفذلکة للآیة واذ قال ابرهیم لابیه آزر عطف بیان لابیه سواء یکون اسمه او لقبه واسمه تارخ علی ما فی التواریخ ومنع صرفه للعجمة والعلمیة ویؤیده انه قرأ یعقوب من العشرة آزر بالضم علی النداء اتتخذ اصناما آلهة ای من دون الله الذی یستحق العبادة انی اریک وقومک فی ضلال مبین ای فی ضلالة ظاهرة عن طریق الیقین فی امر الدین وافاد الاستاذ ان الاصل منهمک فی الجحود والنسل متصف بالتوحید والحق سبحانه یفعل ما یرید ای تارة کذا واخری کما فعل عکس ذلک

فی قضیة نوح وولده البلید والیهما الاشارة بقوله تعالی یخرج الحی من المیت ویخرج المیت من الحی وکذلک ای مثل هذه الارادة الآتیة نری ابرهیم علی حکایة الحال الماضیة ملکوت السموات والارض ای عجائبهما وبدائعهما او دلائل الربوبیة وصنائعهما وفی البحر عن علی رضی الله عنه مرفوعا قال کشف عن السموات والارض حتی العرش واسفل الارضین وقال ابو سعید الخراز اراه ذلک لیطیق الهجوم علی عظمته ولیکون من الموقنین فی امر الدین وقیل التقدیر لیستدل ولیکون من الموقنین بان لها صانعا وقیل اراه ملکوت السموات والارض انها محدثة وان لها مدبرا فصار من الموقنین بان لا دافع ولا مانع سوی الله وقیل اری الخلیل الملکوت فاشتغل بالاستدلال للخلق علی الحق فلما کشف له تبرأ عن الکل اجمالا فقال لجبریل اما الیک فلا وافاد الاستاذ انه سبحانه لاطفه بسابق العنایة ثم کاشفه بلاحق الهدایة فاراه من دلالات توحیده ما لم یبق فی قصده ستره قال بنفی الاغیار جملة وتبرأ عن الجمیع ولم یغادر منها تهمة فلما جن علیه اللیل ای اظلم علیه وستر حالة بظلامه لربه رأی کوکبا نورانیا منسوبا الیه قال هذا ربی ای اهذا الحادث ربی وهو محتاج الی الرب مثلی او علی زعمکم فانهم کانوا یعبدون الاصنام والکواکب العظام فلما افل ای غاب ونزل قال لا احب الآفلین فضلا عن ان اعبدهم کالغافلین فان الانتقال من حال الکمال الی حال الزوال والاحتجاب بالانوار تحت الاسرار یعارض المرتبة الالوهیة ویناقض الرتبة الربوبیة ولم یستدل بطلوعه علی انه لیس بربه مع ان تغیره بظهوره کتغیره بغروبه لان فی الطلوع نوع عظمة واشراف نور وسطوة لاسیما فی حال ظلمة ووقت غفلة ولان حال الزوال فی مقام الاستدلال بالنسبة الی ارباب الضلال اوراد تعدد الدلالة عند الانتقال والله اعلم بالاحوال فلما رأی القمر بازغا طالعا قال هذا ربی فلما افل قال لئن لم یهدنی ربی لاکونن من القوم الضالین اظهر عجز نفسه فی التحقق واستعان بربه فی ادراک الحق علی جهة التوفیق وارشدوه الی الطریق الحقیق قال الواسطی لئن لم یعنی ربی علی الهدایة التی شاهدتها باعلام انواره لاکونن من القوم الضالین فی نظری الی نفسی من بقائی وصفائی فلما رأی الشمس بازغة قال هذا ای الشیء الطالع ربی فذکر اسم الاشارة صیانة للرب عن شبهة التأنیث فی العبارة او لتذکیر الخبر هذا اکبر ای جرما واضاءة فالضلالة اکثر فلما افلت قال یا قوم انی بریء مما تشرکون ای من الاجرام المحدثة المحتاجة الی محدث یحدثها ومخصص یخصصها بما تختص به من طلوعها وغروبها وقال السلمی بری من الاستدلال بالمخلوقات علی الخالق بعلمی بان لا دلیل علی الله سواه ثم لما تبرأ عنها توجه الی موجدها الذی دلت هذه الممکنات وسائر الکائنات

على ابداعه لها فقال انى وجهت وجهى اى وجه ذاتى وتوجه صفاتى للذى فطر
السموات والارض اى ابدع العلويات والسفليات من الموجودات حنيفا
حال كونى مائلا عن الشرك الى التوحيد وعن رؤية الغير الى التفريد وما انا من
المشركين اى لله باشراك ماسواه لا جليا ولا خفيا فى امر الدين وتحت اليقين
قال الامام جعفر الصادق يعنى اسلمت قلبى للذى خلقها وانقطعت اليه من كل
شاغل وشغل للذى فطر السموات والارض فان الذى رفع السموات بغير عمد
واظهر فيهما بدايع صنعه قادر على حفظ قلبى من الخواطر المذمومة والوساوس التى
لا تليق بالحق وافاد الاستاد ان الخليل الجليل احاطه سجوف الطلب ولم يتجل له
بعد صباح الوجود فطلع له نجم العقول فشاهد الحق سره بنور البرهان فقال
هذا ربى ثم زيد فى ضيائه فطلع له قمر العلم فطالعه بشرط البيان فقال هذا
ربى ثم اسفر الصبح ومتع النهار وطلع شمس العرفان من برج شرفها فلم
يبق للطلب مكان ولا للتجويز حكم ولا للتهمة قرار فحينئذ قال يا قوم انى برئ
مما تشركون اذ ليس بعد شهود الغيب ريب ولا عقب الظهور ستر ويقال انه
عند شهود الكوكب والشمس والقمر هذا ربى انه كان يلاحظ الاثار والاغيار بالله
ثم كان يرى الاشياء لله ومن الله ثم طالع الاغيار محوا فى الله فقال انى
وجهت وجهى الاية اى افردت قصدى لله وطهرت عقدى عن غير الله
وحفظت عهدى فى الله لله واخلصت وجدى بالله فانا لله بالله بل
محو فى الله وبالله ولله وحاجه قومه اى جادلوه فى التوحيد وخاصموه فى التفريد
قال اتحاجونى فى الله وقرا نافع وابن عامر بخلاف عن هشام بتخفيف النون
اى اتجادلونى فى وحدانيته وصمدانيته وقد هدان اى دلنى على توحيده وهدانى
الى تجريده ولا اخاف ما تشركون به اى معبوداتكم فى وقت من اوقاتكم لانها
لا تنفع ولا تضر بنفسها الا ان يشاء ربى شيئا ان يصيبنى من جهتها وسع
ربى كل شئ علما اى احاطه علما كاحاطه علما افلا تتذكرون اى تتعظون
فتعتبرون فتؤمنون ولا تنكرون وقال الاستاذ يعنى قال لهم انتم تزمون
ستر الشموس باسبال الكالكم عليها او تريدون ان تجروا ذيولكم اليها وقد تعالى
سلطانه وتوالى بيانه وكيف اخاف ما اشركتم وهو لا يملك نفعا ولا ضرا
ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو خالق الخير والشر والنفع والضر ما لم ينزل
اى باشراكه عليكم سلطانا اى حجة وبرهانا لا من جهة النقل ولا من طريق العقل
فان العقل السليم لم يجوز اشراك المصنوع بالصانع وتسوية المقدور العاجز
بالقادر الضار النافع فاى الفريقين اى من الموحدين والمشركين احق بالامن
ان كنتم تعلمون اى تميزون بين الحق والباطل وقال الاستاذ واى خوف تقع

على قلبى

على قلبى خلقه ولم الم بشرك ولم اجنح قط الى جحد وانتم ما شممتم رائحة التوحيد
فى طول عمركم ولا ذقتم طعم الايمان فى سالف دهركم ثم بسوء ظنكم تجاسرتم
وما راعيتم وخسرتم فما ليتم فاينا اولى بان يلاحظ بعين ستره ما هو بصدده
من سوء مكره وعاقبة امره الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اى لم يخلطوه
بشرك سابق ولا بشك لاحق اولئك لهم الامن من العذاب وهم مهتدون
الى طريق الصواب وسبيل الثواب وفى تفسير السلمى الذين آمنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اى لم يرجعوا فى النوائب والمهمات الى غير الله فى جميع الحالات
اولئك لهم الامن من الآفات وهم مهتدون الى معرفة الذات والصفات
حيث يرجعوا الى من اليه المرجع والمآب فى المنافع والمضرات
وافاد الاستاد انهم الذين اشاروا الى الله ثم لم يرجعوا الى غير الله
فان من قال الله ثم رجع بالتفصيل عند حاجاته او سطا لبانه او شئ من حالاته
الى غير الله فحظه فى الدنيا والعقبى هو الله والظلم فى التحقيق وضع الشئ
فى غير موضعه واصعبه حسبان الحدثان مما لم يكن بمكان فان المنشئ الله
والمجرى الله ولا اله الا الله وسقط ما سوى الله وتلك حجتنا آتيناها
ابراهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها واظهرناها له وبيناها على قومه اى حجة عليهم
ان لم يقبلوها وهدية اليهم ان قابلوها نرفع درجات من نشاء وقرا الكوفيون
بالتنوين فمن نشاء مفعول ودرجات منصوب بنزع الخافض اى الى
درجات او مصدر اى نرفعه درجات او ظرف اى فى درجات عاليات
ان ربك حكيم فى رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه ويخفضه واستعداده له
وافاد الاستاذ انه سبحانه اشار الى ترقيه من شهود آياته الى اثبات
ذاته وكذلك الترتيب لاهل السلوك فى وصولهم الى الله فانما هو تحقق
بالآيات التى هى افعاله وهذه مرقاة لهم وهى الاولى ثم اثبات صفاته
وهى الرتبة الثانية ثم التحقيق بوجوده وذاته وهو غاية الوصول فبرسومه
يعرف العبد نعوته وبنعوته يعرف نبوته ووهبنا له اسحق ولده ويعقوب
حافده كلا منهما هدينا اذ الهداية سبب النجاة وباعث العبادة وموجب
السعادة ونوحا هدينا من قبل اى من قبل ابراهيم وعد هدايته نعمة على
ابراهيم من حيث انه جده وشرف الوالد يتعدى الى ولده ومن ذريته
اى وهديناه من ذرية نوح ايضا داود وسليمان وايوب ويوسف
وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين اى وكانوا فى مقام الاحسان وكمال
العرفان وزكريا ويحيى وعيسى اى ابن مريم ايماء الى ان الذرية تتناول
اولاد البنت والياس وهو من اسباط هرون اخى موسى كل من الصالحين

اى الكاملين فى الصلاح العاملين بالفلاح واسمعيل خص بالذكر منفردا عنهم اشارة
الى انه جد الفرد الاكمل منهم وهو نبينا عليه السلام وعليهم واليسع اى ابن اخطوب
ابن العجوز او يوشع بن نون وقرأ حمزة والكسائى الليسع وعلى القرائتين علم اعجمى
دخل عليه اللام كما دخل على اليزيد فى قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا ويونس
اى ابن متى ولوطا وهو ابن هاران اخى ابراهيم وكلا فضلنا على العالمين
وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق اجمعين فيدخل فيه ملائكة المقربين
وفى البحران الله ذكرهم على سلك مراتب السلطنة والقدرة لداود وسليمان والبلاء
والشدة لايوب والجمع بين الابتلاء والوصول الى الملك ليوسف وقوة المعجزة
والصولة لموسى وهرون وزيادة الزهد والعصمة ليحيى وعيسى والياس وعدم بقاء
اهل التبعية لاسمعيل واليسع ويونس ولوط ومن آبائهم يعنى وفضلنا بعض
آبائهم اى اصولهم وذرياتهم اى فروعهم ونبينا عليه السلام فرد اكملهم واخوانهم
اى حواشيهم واتباعهم واجتبيناهم اى اخترناهم للنبوة والولاية وهديناهم
الى صراط مستقيم اى طريق موصل الى وصول الرعاية وحصول العناية قال
الجنيد اخلصناهم لقربنا وادبناهم لحضرتنا ودللناهم على الاتقاء بنا عما سوانا
ذلك هدى الله اشارة الى ما هم عليه يهدى به من يشاء من عباده اليه ولو
اشركوا اى هؤلاء الانبياء مع علو شانهم بالفرض والتقدير لتحقق عصمتهم
فى ايمانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون اى لكانوا كغيرهم فى حبوط اعمالهم وسقوط
احوالهم فى حالهم ومآلهم وقال الاستاذ ذكر عظيم المنة على كافتهم
صلوات الله والسلام عليهم وبين انه لولا تخصيصه اياهم بالتعريف وتفضيله لهم
على من سواهم بغاية التشريف والا لم يكن لهم استيجاب ولا استحقاق ثم قال
ذلك هدى الله الخ يعنى لولا حظوا غيرا وشاهدوا من دوننا شيئا لتلاشى ما سلكوه
من عرفانهم واحسانهم اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد بهم الجنس والحكم
اى الحكمة او الحكومة بمعنى فصل القضية والنبوة وهى اعم من الرسالة فان يكفر بها
اى بهذه الثلاثة او بالنبوة هؤلاء يعنى بعض قريش فالاشارة الاولى للتعظيم وهذه
للتحقير ممن علم الله منهم التقصير فقد وكلنا بها اى وفقنا بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين
يعنى المهاجرين والانصار والتابعين لهم الى يوم الدين رضى الله عنهم اجمعين او يريد
الانبياء والمرسلين او الملائكة المقربين او اهل الفرس المتفرسين او اهل اليمن
المباركين وقال الاستاذ يعنى ان اعرض قومك يا محمد فليس كل من انبتناهم فعلى الجحود
اظهرناهم بل كثير من عبادنا نزهناهم عن الجحود قلوبهم وعجنا بماء السعادة طينتهم فهم
لا يحيدون عن التوحيد لحظة ولا يزيغون عن التحصيل شمة اولئك الذين هدى الله
يريد بهم الانبياء الذين تقدم ذكرهم فبهداهم اقتده بهاء السكت واثبتها فى الدرج

نافع وابن كثير

نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم اجراء للوصل مجرى الوقف وحذفها حمزة والكسائى
فى الوصل على الاصل وقرأ ابن عامر بهاء الضمير الا انه اشبعها فى رواية عن ابن
ذكوان فهو كناية عن المصدر والمعنى اختص طريقهم بالاقتداء فان الاهتداء فى متابعة
الانبياء والمراد ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين ومكارم الاخلاق المجمع
عليها دون الفروع المختلف فيها وقال الاستاذ اولئك الذين طهر الله عن المجد
اسرارهم ورفع عن الكافة اقدارهم فاقتد بالحد بهم وآثارهم قلت ومن جملتها
قوله قل لا اسئلكم عليه اى على التبليغ اجرا اى جعلا من جهتكم كما لم يسئل من قبلى
من النبيين بل ان اجرى الا على رب العالمين وفيه ايماء الى ان الانبياء واتباعهم
من العلماء الاولياء العالمين لم يكونوا فى الخلق طامعين ان هو اى التبليغ الا
ذكرى للعالمين اى تذكير وموعظة لهم فى امر الدين وما قدروا الله حق قدره
اى ما عظموه حق عظمته او ما عرفوه حق معرفته فى الرحمة والانعام على الانام اذ قالوا ما انزل
الله على بشر من شئ من الكتاب والوحى والالهام مع تضمن بعثته عظائم رحمته وجلائل
نعمته او فى السخط على الكفار والقهر بهم حتى جسروا على هذه المقالة وتصمموا
على هذه الحالة ولذا قال السلمى لو عرفوا ذلك لذابت ارواحهم فيفنت اشباحهم
والقائلون هم اليهود والبالغون فى الجحود كما يدل عليه نقض كلامهم والزامهم بما لا بد
لهم من الاقرار به فى مرامهم قل اى لهم من انزل الكتاب الذى جاء به موسى
نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس اى ذا قراطيس اى كالقراطيس تبدونها
تظهرون ما تحبون وتخفون كثيرا مما لا يشتهون مثل نعت محمد صلى الله عليه
وسلم وآية الرجم روى ان قائله مالك ابن الصيف قاله لما اغضبه النبى صلى الله
عليه وسلم بقوله انشدك بالذى انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض
الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين وقراءة الجمهور بالخطاب فى الافعال
الثلاثة يؤيد ان الآية فى اليهود اللهم الا ان يقال ان قريشا واليهود والنصارى
يتشاركون فى انكار القرآن ولم يبعد ان يكون الكلام الواحد بعضه خطاب
مع قريش وبقيته مع اليهود والنصارى كانهم طائفة واحدة واما على
قراءة ابن كثير وابى عمرو بالغيبة فهو التفات من الخطاب الى الغيبة عند
من يقول الآية فى اليهود اهانة بهم وقيل هو حمل على ما قالوا وما قدروا وقال
ابن عباس ومجاهد واختاره ابن جرير ان الآية نزلت فى قريش وهم يسمعون
كتاب موسى من اليهود ويسلمونه ويقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى
منهم والحاصل ان صدر الآية مناسب لان يكون نازلة فى المشركين وجعل التورية
قراطيس متعين ان يكون فى حق اليهود ويمكن الجمع كما تقدم والله اعلم ويؤيده
خطاب العموم بقوله سبحانه وعلمتم اى على لسان محمد او بسبب القرآن

مالم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة على مافى التورية والانجيل وخبر من قبلكم ونبا من
بعدكم قل الله انزله او انزله الله امره بان يجيب عنهم ولا ينتظر للجواب منهم اشعاراً
بان هذا الجواب هو الصواب وتنبيها على انهم تحيّروا حتى لم يقدروا على الجواب
والمعنى قل هذا الكلام لهم ثم ذرهم فى خوضهم اى اتركهم فى اباطيلهم يلعبون
فى اضاليلهم حيث لايعلمون ويحسبون انهم يحسنون ثم هذه العبارة التفسيرية ما ينافى
الاشارة الصوفية حيث قالوا قل الله ثم اترك ما سواه كما لايخفى على اهل الانتباه
وفى معناه استغفر الله مما سوى الله وافاد الاستاد فى قوله وما قدروا الله
حق قدره ان من توهم ان العلوم تحيط بجلاله فالاحاطة غير سائغة فى نعته كما
ان الادراك غير جائز فى وصفه وكما ان الاشراف محال على ذاته ثم قال قل من
انزل الكتاب اى سائلهم عن الاحوال وخاطبهم فى معانى احكام الرسوم والاطلال
فان بقوا فى ظلمة الحيرة فقل الله ثم ذرهم يعنى صرّح بالاخبار عن التوحيد
ولا يهولنك تماديهم فى الاباطيل فان تمويهات الباطل لاتاثير لها فى الحقائق
وقال صاحب العرائس قطع الله بقوله وما قدروا الله حق قدره اطماع الحدثان
عن ادراكه كنه قدمه وعزة ازله لان الحدثان لايبقى اثرها فى جمال سطوات عزة
الرحمن كيف يعرف قدره من يعرفه وكيف يعرفه من لا يعرف نفسه وكيف يعرف
نفسه من لا يكون خالق نفسه وكيف يكون خالق نفسه والازلية منزهة عن الاضداد
والانداد لان سطوات عظمته لايبقى للحدثان اثر فى ساحة كبريائه وهذا القران
كتاب جامع البيان انزلناه اى على قلب على الشان مبارك كثير البركة والمنفعة
للانسان مصدق الذى بين يديه مطابق لما فى التورية وموافق لما فى الكتب
السماوية قبله ليتباركوا به وليؤمنوا بجميع ما جاء من عنده ولتنذر ام القرى
اى لتخوف اهلها من المشركين ومن حولها من اهل الشرق والغرب اجمعين
وسميت مكة ام القرى لانها مشتملة على مكان اجتماعهم وموضع حجهم واعتمارهم
او لان الارض دحيت من تحتها فهى اصلها ولان فيها قيام العالم ونظام بنى
ادم وقرأ شعبة بالغيبة اى لينذر النبى او الكتاب والذين يؤمنون بالآخرة
يؤمنون به فى العاقبة ثم بين ان الايمان بالنبى والكتاب نوع من الملازمة وكذا اكتفى بتوحيد
الضمير فى به وهم على صلوتهم اى وسائر عباداتهم يحافظون وخصت الصلوة لانها
ام العبادات واساس الطاعات الموجبة للصلات وافاد الاستاد ان كتاب الاحباب
عزيز الخطر جليل الاثر فيه سلوة عند غلبة الوجد والجذبة ومن بقى عن الوصول تذلل للرسول
كما قيل شعر وكتبك حولى لاتفارق مضجعى • وفيها شفاء للذى انا كاتم •
كان ملحوظ من الحق نظرة • وهن حوالى الرقى والتمايم • ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا فزعم انه بعث نبيا كمسيلمة والاسود العنسى او اختلق عليه احكاما من السوائب

وغيرها

وغيرها كعمرو بن لحى وفى معناه من كذب فى رؤياه او فى دعواه بالتلبيس فى مبناه
وقال سهل من ذكر بالغفلة فقد افترى على الحضرة او قال اوحى الى ولم يوح اليه شئ جملة
حالية من فاعل قال كمسيلمة فانه كان يدعى الوحى والنبوة على ما قاله عكرمة وقتادة او
كعبد الله بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله عليه السلام فلما نزلت ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين وبلغ قوله ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله
احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتب فتبارك الله
احسن الخالقين فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى
كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ثم تاب ومات مسلما ساجدا وكان ما ظهر
له انعكاسا من مراءة النبوة فى مقابلة الحضرة فتوهم انها مكاشفة له مستقلة
ولم يعرف انها عارية مردودة واو فى الآية للتنويع او بمعنى الواو ولذا قال ومن قال
سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا وتسمية انزالا مجاز
والمعنى ما نظم كلاما يماثل ما ادعيتم ان الله انزله او هو من قبيل المشاكلة والمقابلة قال
الاستاد يلحق الذين ينزلون منزلة المحدثين ولم يلق الى اسرارهم خصائص خطاب
المحققين فالحق عنهم برئ والمتشبع بما لم ينل كلابس ثوبى زور وفى معناه انشدوا
اذا اشتبكت دموع فى خدود • تبين من بكى ممن تباكى • ولو ترى اذ الظالمون
فى غمرات الموت اى لو ترى زمان سكرات الظلمة وشدائد حالهم من ظلمة المعصية
والغفلة لرايت امرا فى غاية الفظاعة ونهاية من الشناعة والملائكة باسطوا
ايديهم لتعذيب اشباحهم بضرب مقاعدهم او لقبض ارواحهم كالمتقاضى المتسلط
عليهم وقد ورد ان ارواح الكفار تتفرق فى اجسادهم وتابى الخروج فتضربهم الملائكة
بمقامعهم حتى تخرج رواه ابن ابى حاتم وغيره ويؤيده قوله اخرجوا انفسكم اى يقولون
او قائلين لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا لهم وتعنيفا عليهم او اخرجوها من
العذاب وخلصوها من ايدينا تهكما بهم اليوم يريد به وقت الاماتة او زمن
القيمة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما ليس له نهاية تجزون عذاب الهون
اى الذل والهوان والمراد به العذاب المشتمل على المذلة والاهانة بما كنتم تقولون
على الله غير الحق من ادعاء الولد والشريك مطلقا ودعوى النبوة والوحى والرسالة
كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون فالهوان والصغار
جزاء الاستكبار والاستحقار جزاء وفاقا وعلى وفق احوالهم طباقا ولقد جئتمونا
للحساب والجزاء بالثواب او العقاب فى العقبى فرادى منفردين عن الاموال
والاولاد والشفعاء وسائر ما آثرتموه علينا من الدنيا كما خلقناكم اول مرة
وقد كنتم تنكرون ذلك بالمرة وهو بدل من فرادى اى متشابهين ابتداء خلقكم حفاة
عراة غرلا بهما وتركتم ما خولناكم اى ما تفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن

العقبى وغفلتم بسببه عن المولى وراء ظهوركم اى ما قدمتم منه شيئا يسيرا ولا قدمتم
فيه نقيرا ولا قطميرا بل جئتم مفلسين مبلسين وما نرى معكم شفعاءكم اى من الاصنام
الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اى شركاء لله فى تربيتكم واستحقاق عبادتكم لقد
تقطع بينكم اى تقطع وصلكم وتحقق فصلكم وتشتت جمعكم فان البين من الاضداد
يستعمل للوصل والفصل عند ارباب الفضل وقراء نافع والكسائى وحفص بالنصب
على اضمار الفاعل فاسند التقطع الى ضمير الامر لتقرره فى النفوس اى تقطع الامر بينكم
واصله لقد تقطع ما بينكم كما قرئ به وضل عنكم اى ضاع وبطل وغاب منكم ما كنتم
تزعمون انها شفعاء او لا بعث ولا جزاء قال بعضهم اجل مقام العبد اظهار افلاسه
من جميع حالاته والرجوع اليه خاليا عن عباداته وجميع طاعاته وقيل لابى حفص بما
ذا تقدم على الله قال وما للفقير ان يقدم على الغنى سوى فقره قال الله لقد جئتمونا
فرادى خالين عن اعمالكم واحوالكم وقال الاستاذ دخلت الدنيا بخرقة وخرجت
عنها بخرقة الا وتلك الخرقة ايضا لبسته وما دخلت الا بوصف التجرد ولا خرجت
الا بحكم التفرد ثم الاثقال والاوزار والاحمال والاوضار لا يأتى عليها حصر ولا مقدار
فلا مالكم اغنى عنكم ولا حالكم يدفع منكم ولا لكم شفيع يحاطبنا فلكم تقطع بينكم وتفرق
وصلكم وتبدد شملكم وتلاشى ظنونكم وخابكم فى التحقيق وسعكم وفنونكم ان الله فالق
الحب والنوى اى شاقهما وخالقهما بسبب نبات الزرع فى الحال وانشجار الاشجار
فى المآل وقال ابن عطاء مظهر ما فى حبة قلب الاحباب من الاخلاص والرياء يخرج
الحى اى ما ينمو من الحيوانات والنباتات من الميت مما لا ينمو كالنطفة والبذر وأ
ومخرج الميت من الحى اى ومخرج ذلك من الحيوان والنبات وهو عطف على فالق
الحب فان قوله يخرج الحى وقع موقع البيان له ومخرج الميت لا يصلح ان يكون بيانا
لان فلق الحب ليس الا اخراج الحى من الميت ذلكم الله اى فاعل هذه الاشياء
هو الله فلا تعبدوا الا اياه فانى تؤفكون اى فكيف تصرفون عنه الى ما سواه وافاد
الاستاذ ان موجد ما فى هذا العالم من الاعيان والآثار والرسوم والاطلال يبسط
العدم على ما يريد من مصنوعاته ويحكم بالبقاء لما يريد من مخلوقاته فلا لحكمه راد ولا لحقه
جاحد فالق الاصباح اى هو شاق عمود الصباح عن ظلمة الليل المحتاج الى المصباح
والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصبح سمى به الصبح وجعل الليل
سكنا يسكن الشخص اليه ويستأنس به ومنه قوله تعالى لتسكنوا اليها او يسترح
فيه ومنه قوله تعالى لتسكنوا فيه واعمل اسم الفاعل لانه بمعنى الدوام التجددى نحو ولقد
امر على اللئيم يسبنى لا بمعنى الثبوت الدائمى كمالك يوم الدين وقال القاضى
نصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه فى معنى الماضى ويدل عليه قراءة الكوفيين
وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به والشمس

والقمر عطف على محل الليل ويدل عليه انه قرئا بالجر حسبانا بنزع الخافض لقوله
الشمس والقمر بحسبان اى يجريان بحساب معين لادوار مختلفة على اطوار
مؤتلفة يحسب بها الاوقات والازمنة ذلك اى ما ذكر من الفلق والجعل
او كل واحد منهما ونحوه تقدير العزيز الغالب على امره العليم بتقديراته وقدره وقال
الاستاذ كما فلق صبح الكون فاشرق الاقطار كذلك فلق صبح القلب فاستنار
الاسرار وكما جعل الليل سكنا لتسكن فيه النفوس من كل التصرف عن اسباب
المعاش كذلك جعل الليل سكنا لروح الاحباب يسكنون فيه الى روح المناجاة
اذا هدأت العيون من الاغيار وجعل الشمس والقمر يجريان بحسبان معلوم على حد
مفهوم والشمس بوصفها مذ خلقت لم تنقص ولم تزد والقمر لا يبقى ليلة واحدة
على حالة واحدة بل ابدا فى النقصان والزيادة على جرى العادة فلا يزال ينمو حتى
يصير بدرا ثم يتناقص حتى لا يرى قدرا ثم يأخذ فى الظهور بدءا كذلك دائبا
ابدا الى تنقض عليه العادة يعنى فى مقدمات يوم القيامة وهو الذى
جعل لكم النجوم اى ظاهرة لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر اى فى ظلمات
الليل فيهما والاضافة لملابستها اليهما او فى مشتبهات الطرق وسماها ظلمات
على الاستعارة قال ابو على الجرجانى جعل الله الليل مطية ودليلا فالمطية يركبها
فى النصف حال الابتلاء والدليل يستدل به الى ابواب الرضاء قال الله لتهتدوا
بها الطريق الى الجنة العليا وقال الاستاذ كما ان نجوم السماء يهتدى بها
فى الفلوات كذلك نجوم القلب يهتدى بها فى معرفة رب الارضين والسموات
قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا او مفصلا لا مجملا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون
وهو الذى انشأكم من نفس واحدة هو آدم خلق منها حواء وخلق منهما اولادهما قال الاستاذ
ذكرهم وصفهم حين خلقهم من آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اى فلكم استقرار
فى الاصلاب او فوق الارض واستيداع فى الارحام او تحت الارض او موضع
استقرار واستيداع فيهما وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر القاف على انه اسم
فاعل والمستودع مفعول اى فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار اسناد دون
الاستيداع لنا ولا يجوز ان يكون المستقر بفتح القاف اسم مفعول لان استقر
فعل لازم لا يبنى المفعول الا من المتعدى والتحقيق ان الاستقرار والاستيداع
حالان يعتوران على الانسان فى الزمان والمكان من الظهر الى الرحم الى الدنيا الى
موضع البلى الى العقبى الى النار او الجنة العليا ففى كل رتبة يحصل له استقرار
واستيداع استقرار بالاضافة الى ما قبلها واستيداع بالاضافة الى ما بعدها
كما قال تعالى وان الى ربك المنتهى كان منه امر المبتدأ ولعلهم قالوا النهاية هى الرجوع
الى البداية لهذا المعنى وقال الاستاذ كان للنفوس والاشباح مستقرا او مستودعا

فللاسرار والضمائر مستقر ومستودع فمن عبد مستقر قلبه وطان الشهوات والمنى
ومن عبد مستقره مربع الزهد والتقى ومن عبد مستقره حيث لا مسكن ولا مثوى وراء
الورى وفي نفائس العرائس انه سبحانه انشاء الكل من جوهر الفطرة وجوهر
الفطرة منشأ نور فعل الخاص ومنشاء نور فعل الخاص ظهور الصفة وظهور الصفة
بظهور الذات بتجلي القدم فاخرج الكل من العدم وتخصيص لطائف الكتاب
بالاشارة الى نفس واحدة اى بظهور نفس وحدانيته ازلية ابدية منزهة عن
الاجتماع والافتراق فبعض القلوب مستقرها عالم الملكوت ومستودعها عالم الجبروت
وبعض العقول مستقرها الايات ومستودعها الصفات وبعض الارواح مستقرها
الصفات ومستودعها الذات بنعت البقاء في الصفات والفناء في الذات
لان القدم منزه ان يحل فيه الحدث وايضا مستقر القلوب المقامات ومستودعها
الحالات ومستقر العقول العبادات ومستودعها الكرامات ومستقر الارواح انوار المعرفة
من تجلي الصفات ومستودعها انوار التوحيد من تجلي الذات قد فصلنا الايات
لقوم يفقهون الفقه تدقيق النظر فهو اليق بالاستدلال بالانفس لدقته بخلاف
الاستدلال بالآفاق لظهوره وهو الذي انزل من السماء ماء اى من جانب السماء
ماء طهورا فاخرجنا على تلوين الخطاب بالالتفات من الغيبة الى التكلم بصيغة العظمة
تعظيما للقضية به اى بسبب الماء او بسبب انزاله نبات كل شيء اى نبت كل
صنف مما ينبت والمراد اظهار القدرة في انبات الانواع المتفننة والاصناف
المختلفة بماء واحد كما قال تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا اى شيئا اخضر وهو الخارج من الحبة
المتشعب زرعا او شجرا نخرج منه من الخضراء الماء حبا متراكبا بعضه على
بعض كسنابل البر وغيره ومن النخل اى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها وهو اول
ما يخرج من ثمرها قنوان اى عراجين جمع قنو كصنوان جمع صنو دانية قريبة
من التناول سهلة للمجتني لقصر النخل اللاصقة عروقها بالارض او ملتفة قريب
بعضها من بعضها وهو من باب الاكتفاء عن نقيضها وانما اقتصر على ذكرها ولم يذكر
مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات
كل شيء او على خضرا او حبا او هو اقرب ثم المراد من الاعناب ان الكروم تسمية
للشجر باسم الثمر فلا حاجة الى تقديره والا فلا بد ان يقدر من نبات اعناب لان
البستان لا يكون من العنب نفسه بل من الاشجار والزيتون والرمان اى شجرهما
وهو عطف على جنات مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اى بعض ذلك
مشتبه ببعض آخر منه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم والافتعال
والتفاعل يشتركان كثيرا يقال اشتبه وتشابه واستويا وتساويا انظروا الى ثمره

اى الى ثمر

اى الى ثمر كل واحد مما ذكر وقرا حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع كخشبة وخشب
او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اى اذا خرج ثمره كعنب اثمر حينئذ لا يكاد ينتفع به
وينعه اى والى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة والمراد به نظر
استدلال واعتبار حيث صار عنبا ورطبا بعد ما كان نباتا وحطبا ان في ذلكم اى
فيما ذكر لكم لآيات دلالات على كمال قدرته لقوم يؤمنون بوحدانيته في الالهية
وقال الاستاد تجانست اجرام الارض وتفاوتت اقطار الكون واختلف
الاشياء وتباين النبات في الطعم واللون فدل كل مخلوق بلسان فصيح
وبيان صريح انه بنفسه غير مستقل في فعله وجعلوا اى صيروا وهم مشركوا
مكة لله شركاء الجن اى الملائكة وعبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم
جنا لاجتنانهم واختفائهم من اعين الانس تحقيرا شانهم او الشياطين لانهم
اطاعوهم كما يطاع الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم واغوائهم فكانهم عبدوهم
او قالوا الله خالق الخير وكل نافع كالنور والشيطان خالق الشر وكل ضار كالظلمة
كما هو رأي الثنوية ومفعول جعلوا شركاء الجن ولله متعلق بشركاء وقدم للاهتمام
وخلقهم حال بتقدير قد يعني وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من
يخلق كمن لا يخلق فالضمير الى الكفار او الضمير الى الجن او اليهم جميعهم ففيه تنبيه
تنبيه على ان المخلوق لا يصلح ان يكون شريكا للخالق وهذا هو الاظهر فتفكر وتدبر
وقال الاستاذ سدت بصائرهم فالتفوا بكل منقوص ان يعبدوه وتلك
عقوبة ارباب الغفلة عن الله عجلت لهم وخرقوا له وقرا نافع بالتشديد للمبالغة
والمعنى افتروا واختلقوا له بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم اى من غير
روية ودلالة بل عن جهالة وضلالة من جهة تلك المقالة سبحانه اى سبح سبحانه
وتعالى عما يصفون اى اعداؤه به وهو ان له ولدا او شريكا في ملكه بديع السموات
والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اى هو بديع سمواته وارضه
او الى الظرف فالاضافة حقيقية بمعنى في اى انه عديم النظير فيهما او هو
مبدعهما ومحدثهما على غير مثال سبق عليهما وهو قول مجاهد والسدي وغيرهما
انى يكون له ولد اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها
الولد والولد انما يكون بين المتجانسين ولا يجانسه شيء فانه خالق الاشياء
واين الخالق من المخلوق في باب الاكفاء ولذا قال تعالى قل هو الله احد الله
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد واشار اليه بقوله تعالى وخلق كل شيء
وهو بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية من موجود ومعدوم وافاد الاستاذ ان
الواحد يستحيل له الولد لاقتضائه البعضية والتوحيد ينافيه يعني لدلالة وجود

الولد الا تثنية ولان القديم لايكون محلاً للحوادث الكونية ذلكم اى الموصوف
بما ذكر لكم من صفات الكمال وهو مبتداء وقوله الله ربكم لا اله الا هو خالق
كل شئ اخبار مترادفة او التقدير هو خالق كل شئ فاعبدوه اذ لا يستحق العبادة
غيره وهو على كل شئ وكيل اى هو كل الناس كل شئ فكلوا الامور اليه وتوكلوا
واعتمدوا فى جميع الاحوال عليه وقال الاستاذ تعرف اليهم بآياته ثم تعرف اليهم
بصفاته ثم كاشفهم بحقايق ذاته فقوله لا اله الا هو تعريف السادة الاكابر وقوله
خالق كل شئ تعريف العوام والاصاغر لا تدركه الابصار اى لا تراه حاسة البصر
والعين التى هى محل النظر فى دار الدنيا الفانية حين وجود غبار الاغيار بل تراه
العين الباقية فى دار القرار الذى محل مشاهدة الانوار او لا تحيط به الابصار
فان الادراك اخص من الابصار فيؤل حكما الى معنى قوله ولا يحيطون به علما او
لا يراه جميع الابصار لاحتجاب الكفار فى دار البوار كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون مفيد ان الله تعالى يتجلى على قوم هم عنه محجوبون او لا يراه
احد على ما هو عليه لا بشر مرسل ولا ملك مقرب لديه لكن اذا تجلى بوجه يمكن رؤيته
تدركه الابصار على ما فسره ابن عباس ونقل عنه الترمذى وابن ابى حاتم وصححه
الحاكم على شرط الشيخين وهو يدرك الابصار اى يحيط علمه بها ويريها بكالها قال
ابن عطاء لا تحيطها وهو يحيط بها وقال ابو يزيد ان الله احتجب على القلوب
كما احتجب على الابصار فان اوقع التجلى فالبصر والفؤاد واحد اقول بل حينئذ
جميع الاجزاء مشاهد وهو اللطيف اى بالابرار والاخيار الخبير اى العالم
بالاخبار فيدرك ما لا يدركه الابصار كالابصار والابصار وجوز ان يكون من
باب اللف والنشر اى لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار
لكونه الخبير قال الحسين لطف عن الكنه فانى له الوصف ومن لطفه ذكره لعبده
فى الدهور الخالية اذ لا سماء مبنية ولا ارض مدحية وقال الاستاذ تقدست
الصمدية عن كل لحوق ودرك واتى بالا دراك ولا حد له ولا طرف وهو اللطيف
الذى لا يخفى عليه شئ الخبير الذى احاط علمه بكل معلوم وفى نفائس العرائس لا تدركه الابصار
الا بالابصار مستفادة من ابصار جلاله وكيف يدركه الحدثان ووجود الكون عند
ظهور سطوات عظمته عدم وهو يدرك الابصار ببصره القديم تنزه عن المشابهة بالحدثان
يكسيها انوار صفاته ليراه به لا بنفسها لانه بلطف ذاته ممتنع عن مطالعة خلقه مع
علو شأن علمه واحاطته بجميعهم وجودا وعدما فقوله وهو اللطيف الخبير من لطف جماله
انجذب القلوب بنعت العشق الى ضياء وجهه الكريم عجزا واضطرارا ومن لطفه غرقت
الارواح فى بحار محبته وفنيت الاسرار فى فضاء هويته ودهشت القلوب فى معارك
اشواقه واضمحلت العقول فى بيداء الوهية من ادراك غوامض علمه قد جاءكم بصائر

من ربكم

من ربكم البصائر جمع البصيرة وهى للقلب كالبصر للقالب سميت بها الدلالة
لانها تجلى بها الحق والمعنى قد جاءتكم الآيات القرآنية والدلالات الفرقانية
التى هى للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وشاهد الصدق فلنفسه ابصر ونفعه له
اظهر ومن عمى عن الحق الحقيق وضل عن سواء الطريق فعليها وباله فى التحقيق قال
الخواص انزل الله البصائر مطوبى لمن رزق بصيرة منها واد فى البصائر ان يبصر
الانسان رشده فى الظواهر والسرائر وما انا عليكم بحفيظ اى حفظ عليكم فاجازيكم
فانما انا منذر والله تعالى هو الحفيظ لاعمالكم والمجازى على وفق احوالكم وهذا الكلام ورد
على لسانه عليه السلام وافاد الاستاذ انه سبحانه اوضح السبيل والاح الدليل وازاح العلل
وانار السبل ولكن قيل • وما انتفاع اخى الدنيا بمقلته • اذا استوت عنده الانوار والظلم
وكذلك نصرف الآيات اى ومثل ذلك التبيين نبينها ونكررها ونعينها وقال الاستاذ
اوقع الفتنة فى قلوبهم فجنس عليهم الاحوال فمن شبهة داخلتهم ومن حيرة ملكتهم
ومن تحقيق ادرك قوما ومن توقيف توقف على قوم وليقولوا درست صرفناها
واللام لام العاقبة والدرس التعلم والقراءة اى وليقول المشركون من اهل الجحود درست
وتعلمت من اليهود ثم تزعم انه نزل عليك من عند الملك المعبود وقرأ ابن كثير وابو
عمرو دارست اهل الكتاب وذاكرتهم فى الخطاب وقرأ ابن عامر درست من الدروس
اى قدمت هذه الآيات وعفت واندرست هذه البينات كقولهم اساطير الاولين
ولنبينه اللام هنا على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات
باعتبار انه القرآن او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون فهم المقصود دون بالذات
فى تصريف الآيات وان كان بحسب الظاهر سبب شقاوة قوم مدبرين وسعادة جمع
مقبلين كما قال عز وجل يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا فالقرآن حجة لك او عليك فانه شافع
مشفع او ماحل مصدق فهو كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين قال ابن عطا لقوم
يعلمون حقيقة البيان وهو الوقوف معه حيث وقف والجرى معه حيث جرى
اتبع ما اوحى اليك من ربك اى باعتقاده والعمل به وقال الاستاذ اى انظر ما الذى
يرد على قلبك به الاشارة فلازمه ودع اقاويل الاغيار فى طى العبارة وتأمل
لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع واجتناب الابتداع واعرض
عن المشركين اى لا تلتفت الى اقوالهم ولا تحتفل بآرائهم ولو شاء الله
اى توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه لا يريد ايمانهم لان مراده
واجب الوقوع وقال الاستاذ العجب ممن اقر بقصور حاله عن استحقاق
المدح ببقائه عن مراده كيف يصف معبوده بجواز ان يرتفع فى ملكه مراده وما
جعلناك عليهم حفيظا رقيبا على اعمالهم حافظا لافعالهم وما انت عليهم بوكيل

تقوم بامورهم واحوالهم والمعنى لست مأمورا منا بان تكون حفيظا عليهم ولا
انت من تلقاء نفسك وكيلا للنظر اليهم فاعرض عليهم ولا تخضع لديهم ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله اى ومن جملة النصايح اى لا تذكروا بالقبايح آلهتهم التى يعبدونها
من غير الله ويدعونها ممن سواه فيسبوا الله عدوا اى تجاوزا عن الحق والباطل
بغير علم جاهلين بالله وبما يجب ان يذكر به روى انه عليه السلام كان يطعن فى
آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت على ما رواه
ابن جرير وابن ابى حاتم عن السدى وروى عبد الرزاق عن قتادة ان المسلمين كانوا
يسبونها وهم يسبون الله عدوا فنهوا عنه لئلا يكون سبهم سببا لسب الله سبحانه
وفيه دليل على ان اداء الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة على معصية اخرى وجب
تركها فان ما يؤدى الى الشر شر والمعنى ان سب آلهتهم وان كان حقا فيه فائدة لكن
فيه عظيم مفسدة وقال الاستاذ يعنى خاطبهم بلسان الحجة والزام الدليل ونفى
الشبهة ولا تكلمهم على موجب نوازع النفس والعادة فيحملهم ذلك على ترك
الاجلال لذكر ذى الجلال ويقال لا تطابقهم على قبيح فعلهم فيزدادوا اجتراء فى
غيهم فيكون فعلك سببا وعلة لزيادة كفرهم وفسقهم اقول ولا يبعد ان يقال فيه
الايماء الى مقام الفناء وهو الاشتغال بذكر الله والنسيان لما سواه كما قال تعالى
واذكر ربك اذا نسيت اى نفسك وغيرك وكما قال سبحانه قل الله ثم ذرهم
كذلك اى مثل ذلك التزيين لهم زينا لكل امة عملهم اى من الخير والشر باحداث
ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ثم الى ربهم مرجعهم وعد لمحسنهم ووعيد
لمسيئهم فينبئهم بما كانوا يعملون اى فيجازيهم باعمالهم على وفق احوالهم
قال الواسطى زينت الاعمال عند اربابها فسقطوا عن درجة المحققين لا ابالها
الا من عصم بنور مشاهدته على وجه البيان فشاهد منه التوفيق بل شاهد المنان
وقيل سهلنا ويسرنا له ما هو فيه واليه حتى يستوفى ما قدرناه له وعليه وقال الاستاذ
لبسنا عليهم حقايق الاشياء حتى ظنوا القبيح جميلا ولم يروا السوء حالهم تبديلا
فركنوا الى الهوى ولم يميزوا بين العافية والبلاء وفى نفائس العرائس ان الله
سبحانه وتعالى ابتلى العموم بالدنيا واعمالها فى نفع الجاه والمال وساير اغراضها
وابتلى الخصوص برؤية معاملات العقبى وحصول اعواضها فمن كان من غير اهل
البقاء فى اعماله وحجبهم بها عن لذة قربه ووصاله ومن كان اهلا له من العارفين فيغها
عن عينه حتى لا يرى لها وزنا ومقدارا عند رؤية امتنانه بما سبق لهم
من اصطفائيته بالولاية والمعرفة وزين للبطالين سرورا عمالهم النفسية
حتى يروها مستحسنة قال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وزين للمجاهدين
اعمالهم فى العبادة حتى يزيد رغبتهم فيها كل حزب بما لديهم فرحون وسبحانه

من اقام

من اقام العباد فيما اراد واقسموا بالله جهد ايمانهم اوكدها واغلظها وشدها
لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم كجعل الصفا ذهبا ليؤمنن بها من غير توقف
فيها قل انما الآيات عند الله اى فى قدرته لا تحت ارادتى حتى اتيكم بها متى اريد
بل هو قادر عليها يظهر ما يشاء منها متى شاء وما يشعركم استفهام انكار اى
وما يدريكم انها اى الآية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اى لا تدرون انهم لا يؤمنون
والله يعلم ذلك ولذا لم ينزلها ففيه انكار السبب مبالغة فى نفى المسبب مع التنبيه
على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وابو بكر بالكسر على ان الكلام قد تم قبله كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم
بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم كانوا متمنين فى مجئ الآية لهم طمعا فى
ايمانهم او للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالخطاب فتقديره وما يشعركم
ما يكون منكم وافاد الاستاذ انهم وعدوا من انفسهم الايمان لو شاهدوا البرهان
وله يعلموا انهم تحت قهر حكم السلطان بتسليط الشيطان وما يغنى وضوح الادلة لمن
لم يساعده سوابق الرحمة ولواحق العصمة بموجبات القسمة ونقلب افئدتهم
وابصارهم عن الحق فلا يفقهونه ولا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به بما
انزل من الآيات اول مرة من انشقاق القمر وساير المعجزة او كما لم يؤمنوا بما
انزل على ساير الانبياء لقوله تعالى اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل او فلا يؤمنون
لو ردوا من الآخرة الى الدنيا كما لم يؤمنوا به اول مرة فى الدنيا لقوله سبحانه ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ونتركهم فى
ضلالتهم متحيرين لما نهديهم هداية المؤمنين قال ابو حمزة اقبل على قلوب فاقبلت
عليه واعرض عن قلوب فاعرضت عنه وقال الاستاذ العجب ممن يبقى على قلبه
شبهة فى مسئلة القدر والحق سبحانه يقول ونقلب افئدتهم وابصارهم
لا بل من حقايق التقلب بقاء اشكال هذا الامر مع وضوحه على قلوب من هو من
جملة العقلاء فسبحان من يخفى مثل هذا الامر مع وضوحه هذا هو قهر القادر وحكم
الواحد ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة اى فرأوهم عيانا وكلمهم الموتى بان شهدوا
لك بيانا وحشرنا عليهم كل شئ اى جمعنا لهم كل شئ من الطيور والسباع
والدواب قبلا بضمتين جمع قبيل بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلا القراءة
نافع وابن عامر بكسر وفتح والمعنى انهم لو اتوا بجميع ما اقترحوا من قولهم
لولا انزل علينا الملائكة وقولهم فأتوا بآبائنا ونحو ذلك ما كانوا ليؤمنوا لما
سبق عليهم القضاء الذى ضاق معه الفضاء الا ان يشاء الله استثناء
من اعم الاحوال والمعنى لما آمنوا فى حال من احوالهم الا حال مشية الله ايمانهم
وارادته ابقائهم فيبدل طبعهم عن تمردهم فى كفرهم وقيل الاستثناء منقطع اى

ولكن مشيئة الله اذا تعلقت آمنوا وهذه حجة واضحة وبينة لايحة على المعتزلة
وسائر المبتدعة فى ان كفرهم وابتداعهم تحت المشيئة واضطر الزمخشرى هنا وتعسف
بقوله اراد المشيئة بالآية الملجئة ولكن اكثرهم يجهلون اى لايعلمون انهم
لو اتوا بكل آية لايؤمنون فيقسمون بالله جهد ايمانهم على مالايشعرون وافاد الاستاذ
انه سبحانه بين ان الآيات وان توالت وشموس البرهان وان تعالت
لمن قصمته العزة وكبسته القسمة لم يزده ذلك الا حيرة وضلالا ولم يستجد الا
للشقوة حالا ومآلا وكذلك اى كما جعلنا لك عدوا من المشركين جعلنا لكل
نبى عدوا من المجرمين شياطين الانس بدل من عدوا لانه بمعنى الاعداء والمراد
منهم مردة الفريقين يوحى بعضهم الى بعض اى يوسوس شياطين الجن الى شياطين
الانس او بعض الجن الى بعض منهم وبعض الانسان الى بعض منهم زخرف
القول اى الاقوال المزخرفة والآراء المزينة والاهواء المموهة غرورا اى للغرور
او حال كونهم مغترين والمعنى ان الشياطين يغرون الضالين بالاعتقادات
الكاسدة والخيالات الفاسدة وفى الحديث الصحيح ان اباذر سأل هل للانس
شياطين فقال نعم هم شر من شياطين الجن ولو شاء ربك ايمانهم او عدم وجود
عدو لهم ما فعلوه اى ما وقع منهم ما ذكر من معاداة الانبياء وايحاء زخرف
الانباء وفيه ايضا حجة على المعتزلة فذرهم وما يفترون اى افتراءهم وكفرهم ولا
تبال بهم وافاد الاستاذ ان كل ما كان المحل اعلى كانت البلايا اولى والمطالبات
اقوى فلما كانت رتبة الانبياء عليهم السلام اشرف واسعد كانت العداوة معهم
اصعب واشد ولتصغى اليه عطف على غرورا على جعله مفعولا له اى ليغتروا
باحوالهم ولتميل الى زخرف اقوالهم افئدة الذين لايؤمنون بالآخرة اى قلوب
المائلين الى العاجلة العادلين عن الآجلة وليرضوه ليحبوه لانفسهم وليقترفوا
اى ليكتسبوا ما هم مقترفون من آثامهم وقال الاستاذ وكلت اسماع الكفار باللغو
وقلوبهم بالسهو فرضوا لانفسهم اخس الانصباء اى لكونهم من الاغبياء فى صورة
افغير الله ابتغى حكما اى قل لهم افغير الله اطلب من يحكم بينى وبينكم ويفصل المحق
منا من المبطل منكم وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا مبينا فيه الحق والباطل
وقال الاستاذ قل لهم اترون انى بعد ظهور البيان ووضوح البرهان اذر اليقين
واوثر التخمين وافارق الحق واختار الخطأ ان هذا محال من الظن والذين آتيناهم
الكتاب اى من اليهود والنصارى يعلمون انه اى القرآن منزل من ربك بالحق
لان وصفه مذكور فيما بينهم ومسطور فى كتبهم مع انه عليه السلام لم يخالط علماءهم
ولم يمارس كتبهم ولا اخبارهم وانما وصف جميعهم بالعلم بناء على ان اكثرهم او المراد
بهم فقهاؤهم حيث لم يعتبر سفهاؤه وقرأ ابن عامر وحفص منزل بالتشديد ايماء الى

ان نزوله منجما فلا تكونن من الممترين اى الشاكين فى كونهم عالمين وهو من باب التهييج
والتعريض كقوله ولا تكونن من المشركين وكقوله وان كنت فى شك مما انزلنا اليك
فسئل الذين يقرؤن القرآن الآية فقال عليه السلام حين نزوله لا اشك ولا اسأل
وقيل المراد نهى الامة على ان الخطاب لكل احد بناء على الادلة لما تعاضدت على صحته
فلا ينبغى لاحد ان يمترى فى حجته وتمت كلمت ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه
ومواعيده واثاره صدقا فى اخبار ما سبق ومواعيد الانام فيما يحق وعدلا
فى الاقضية واحكام الحق فيما بين الخلق قيل صدقا للاولياء تفضلا عليهم وعدلا
على الاعداء لاخذهم بميزان العدل فيهم لا مبدل لكلماته لا راد لقضائه ولا
مغير لحكمه ولا مخلف لوعده وقال الاستاذ تقدس عن تغير ذاته وتنزه عن التبدل
صفاته والتمام ينفى النقصان وكل نقص فمن الحدوث اصله وانى بالنقص
المتصف وصفه وقرأ الكوفيون كلمة ربك اى ما تكلم به او القرآن المشتمل على
البرهان وهو السميع باسرارهم العليم باخبارهم فيمهلهم فى ديارهم ولا يهملهم
فى آثارهم وان تطع اكثر من فى الارض اى اكثر الخلق من الجن والانس وهم طوائف
الكفرة والمشركين كقوله سبحانه وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين او المراد
بهم الجهال او اتباع الهوى والضلال يضلوك عن سبيل الله اى عن الطريق
الموصل الى رضاه قيل من نظر الى سوى الحق خاب وضل من الخلق ان يتبعون
الا الظن وان هم الا يخرصون اى لايرجعون فى عقائدهم الى علم يقين بل يبنون
دينهم على ظن وتخمين من جهالتهم فى آرائهم وتقليدهم لآبائهم وتتبعهم
لاهوائهم ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله اى بمن يضل عن سبيل
الحق وهو اعلم بالمهتدين الى صوب الصواب والصدق فلا تغتر بكثرة
السفهاء البطالين ولا تهتم بقلة العلماء العاملين لقوله تعالى وقليل من عبادى
الشكور وقوله سبحانه الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم افاد
الاستاذ ان اهل الله قليلون عددا وان كانوا كثيرين وزنا وخطرا وعددا واما
الاعداء ففيهم كثرة فان لاحظتهم فتنوك وان صاحبتهم منعوك من الحق وقلوبك
وتقاصر علوم الخلق عن ادراك غيبه الا بقدر ما عرفهم من امره فكلوا مما ذكر اسم الله
عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام
بالظن والتخمين والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم
غيره او مات حتف انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضى استباحة
ما احل الله واجتناب ما حرم الله تعالى لا احلال شيء وتحريمه بموجب الطبيعة والظن
والهوى وافاد الاستاذ ان هذه الآية فى حكم التفسير تختص بالذبيحة وفى معنى الاشارة
منع من الاكل بحال الغفلة فمن اكل على الغفلة فادامت تلك القوة باقية فى الابدان

لخواطره اما هو احبس النفس او وساوس الشيطان وما لكم الا تاكلوا مما ذكر
اسم الله عليه اى واى غرض لكم فى ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله وحده عليه
وتاكلوا من غيره كالميتة وما لم يذكر اسم الله عليه وما ذكر عليه اسم غيره وخلاصته مالكم
ان لا تجعلوا ماكولكم من اللحم منحصرا فيما ذكر اسم الله عليه وقد فصل اى بين الله وقرأ
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بصيغة المجهول اى والحال انه عين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم
بقوله حرمت عليكم الميتة الآية وقرأ نافع وحفص حرم بصيغة الفاعل الا ما اضطررتم
اليه اى مما حرم عليكم فانه ايضا حلال لكم حال الضرورة فما موصولة والاستثناء
من ضمير حرم وقال الاستاذ يعنى اى شئ عليكم لو تركتم الغفلة وما الذى يضركم
لو استدمتم على الذكر فى الحضرة من ضع الغيبة وقد تبين لكم التفرقة بين انس الذكر
ووحشة الغفلة فى الوقت والحال الى ان تعرفوا حكم الثواب والعقاب فى المآل
وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال وقرأ الكوفيون بضم الياء اى ليضلون
غيرهم من اتباعهم باهوائهم بغير علم اى بتشهيهم اى غير متعلقين بدليل
يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال
الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه اى اتركوا ما يعلن وما يستر من الذنوب
اوما بالجوارح والقلب وقيل الزنى فى الحوانيت واتخاذ الاخدان فى البيوت
وقيل ظاهر الاثم حظوظ النفس وباطن الاثم حظوظ القلب وقيل ظاهر الاثم
رؤية الاعمال وباطنه الركون اليها فى سر الاحوال وقيل ظاهر الاثم طلب الدنيا
وباطن الاثم طلب الجنة ونعيم العقبى اذ هما جميعا يشغلان عن المولى وما يشغل
عن المولى فهو بالاثم اولى وافاد الاستاذ ان ظاهر الاثم ما للاغيار اطلاع بوجه
اليه وباطن الاثم ما هو ستر بينك وبين الله لا وقوف للمخلوق عليه ويقال باطن
الاثم خفى العقائد ومسترقات اللحاظ ويقال باطن الاثم ما تلتبسه على نفسك
بنوع تأويل ويقال باطن الاثم على لسان المجاهدات الركون الى تتبع الرخص ويقال
باطن الاثم على لسان اهل المحبة رسوم التفقى عن مطالبات المحبة قال قائلهم •
اذا قلت ما اذنبت قالت مجيبة • وجودك ذنب لا يقاس به ذنب • ويقال
اسبغت عليكم النعم ظاهرا وباطنا فذروا الاثم ظاهرا وباطنا فان من شرط
الشكر استعمال النعمة فيما لا يكون فيه الاثم والمخالفة ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه وانه اى اكل ما لم يذكر اسم الله عليه لفسق اى خروج عن الطاعة فالضمير
لما على تقدير مضاف والآية ظاهرة فى تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واذهب
اليه ابن عمر ونافع وعامر ومحمد بن سيرين وهو اختيار ابى ثور وداود الظاهرى
وعن احمد مثله وذهب بعض السلف كابن عباس وابى هريرة الى ان التسمية مستحبة
وهو مذهب الشافعى وقالوا الآية فيما ذبح لغير الله وقيل الواو فى وانه لفسق

حالية

حالية والفسق ما اهل لغير الله بدليل قوله او فسقا اهل لغير الله به وقال بعض
منهم المراد من الآية الميتة كما رواه ابو زرعة عن عطاء بن السائب وذهب اكثر
السلف كعلى وابن مسعود وغيرهما وهو المشهور عن مذهب مالك واحمد وعليه
ابو حنيفة واصحابه وقيل الاجماع منعقد على ان ترك التسمية نسيانا لا يضر واما عمدا
فالذبيحة حرام واستثناء النسيان لحديث وارد بذلك يحمل عليه ما تعلق به الشافعى
من حديث ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه اذ لا دلالة فيه على جواز تعمد
ترك التسمية لديه وان الشياطين من الانس والجن ليوحون ليوسوسون ويلقون
الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تزعم ان ما قتلت انت واصحابك
والصقر والكلب حلال وما قتله الله حرام كما روى فى التفسير ابو داود وابن
ماجه وابن جرير عن السدى عن ابن عباس وغيره واتفق اكثر المفسرين على ذلك
وقال ابو عثمان المغربى يلقون على السنة المدعين ما يقطعون به الطريق على المحققين
وان اطعتموهم فى استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة
غيره واتبعه فى دينه فقد اشرك به وافاد الاستاذ ان ما كان مكتسبه من الاموال
عاصيا اوربه ناسيا فتوقيه شرط عند اصحاب المراعاة ثم قال وان الشياطين
ليوحون الى اوليائهم فهذا يدل على ان من توقى ذلك اتحدث لله خواطره وانقطع
عنه خواطر الشيطان فاصل كل قسوة متابعة الشهوة ومن تعود متابعتها فليودع
صفوة القلب وحالتها اومن كان ميتا بالجهل والكفران وقرأ نافع بالتشديد فاحييناه
بالعلم والايمان وجعلنا له نورا بالاسلام والقرآن يمشى به فى الناس اى يهتدى به
كيف يسلك ويتصرف فيما بينهم كمن مثله اى صفته انه كائن فى الظلمات
اى فى ظلمات الجهالات او فى شدائد الواقعات ليس بخارج منها والحاصل
انه سبحانه مثل به من هداه الله المتعال وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج الآيات
يتأمل بها فى الحادثات ويميز بين الحق والباطل فى الواقعات وبين المحق والمبطل
من ارباب الكائنات ومن بقى سنه فى ظلمات المغارات وتاه فى ميدان الجهالات
والضلالات لا يفارقها فى حال من الحالات كذلك اى كما زين للمؤمنين ايمانهم
زين للكافرين ما كانوا يعملون مما يقتضى كفرانهم والآية نزلت فى عمر او عمار او حمزة
وابى جهل وقال جعفر الصادق اومن كان ميتا عنا فاحييناه بنا وجعلناه اماما يهتدى
بنوره الاجانب والاقارب فى جميع المراتب كمن ترك مع شهوته واهواه واشتغاله
بما سواه ولم يؤيد بروائح مطالعة قرب الانس ونوافح مؤانسة حضرت القدس
وقال ابن عطاء اومن كان ميتا بحياة نفسه وموت قلبه فاحييناه باماتة نفسه
واحياء قلبه وسهلنا عليه سبل التوفيق وكحلنا بانوار القرب التحقيق فلا يرى
غيرنا ولا يلتفت الى ما سوانا وقيل اى ميتا بالاعتماد على الطاعة فاحييناه وجعلنا له نور التضرع

ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون

والمعذرة وقال القاسم احياه لياده بنور الانتباه كما احيى الاشباح بالارواح وقال
ابن عطا من كان ميتا بالانقطاع عنا فاحييناه بالاتصال بنا وجعلنا له نورا فى غاية
الالماع كمن تركناه فى ظلمة الانقطاع وقال شاه الكرمانى علامة الحيوة ثلثة وجدان الانس
بفقدان الوحشة والامتلاء من الخلوة بادمان الذكر فى الحضرة واستشعار الهيبة بخلوص
المراقبة وافاد الاستاذ ان الايمان عند هولاء القوم حيوة القلب بالله فاهل الغفلة
اذا الهمهم الذكر فقد صاروا احياء بعد ما كانوا امواتا وارباب الذكر لو اعترتهم نسيان
فقد ماتوا بعد الحيوة والذى هو فى انوار العزة وتحت شعاع العرفان وفى روح الاتصال
لا يدانيه من هو فى اسر الظلمات وقيد الشهوات ورهين الآفات وكذلك جعلنا فى كل قرية
اكابر مجرميها ليمكروا فيها اى كما جعلنا فى مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا فى كل قرية
اكابر مجرميها ليمكروا فيها بصد الناس عن الهدى وحملهم على متابعة الهوى وجعلنا
بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثانى اى صيرنا مجرمى كل قرية
رؤساها ومترفيها او اكابر مجرميها بالاضافة هى المفعول الاول والمفعول الثانى
فى كل قرية وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيط بهم وما يشعرون ذلك لجهلهم وقال
الاستاذ لبسنا عليهم حقايق التوحيد وسول لهم ظنونهم شطية من المحو والاثبات
فى القضية فانهكوا ظانين انهم يمكرون وهم فى التحقيق مخادعون ويستعملون
علمهم حاين لا ينفعهم علمهم واذا جاءتهم آية دالة على صدق محمد فى النبوة
قالوا اى اهل مكة لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله من انزال الوحى ونزول
الملائكة روى ان اباجهل قال زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا
كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نؤمن به ابدا الا ان يأتينا وحى كما يأتيه
فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالته وقرا ابن كثير وحفص بالافراد والجملة
استينافية للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال والعصبية الجاهلية وانما
هى بالفضائل القدسية والفواضل الانسية يختص بها من تعلق به المشية
الالهية فيجتبى لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذى فيه يضعها
قال النصرابادى الله يعلم الاوعية التى تصلح لمنازلاته ومكاشفاته فيزينها بجواهر
الانوار ويقدسها بلطائف الاسرار سيصيب الذين اجرموا صغار اى ذل
وحقارة بعد ظهور الكبر والعظمة عند الله اى فى حكمه او يوم القيمة او التقدير
من عنده وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم وافاد
الاستاذ ان بعد ازاحة العلة وبيان الحجة وزوال الشبهة فالتعلل باستتار
البصيرة اقدام على سوء الادب وقلة الحرمة وذلك محال من المحال والتصدى
لمساواة من جاءه للاستحقاق نوع من تسويلات النفس الانسان بل موجب
لمقاساة الهوان لما تعلق به الخذلان فمن يرد الله ان يهديه يوفقه طريق

الايمان ويعرفه سبيل الايقان يشرح صدره للاسلام يوسع قلبه لقبول التوحيد
والانقياد للاحكام والتسليم بالاذعان وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق
ومهياة لحلوله فيها مصفاة عما ينافيه ويمنعه منها عن قبولها وقد روى ابن جرير
وابن ابى حاتم بروايات متنوعات انه عليه السلام تلا هذه الآية فقالوا يا رسول الله
ما هذا الشرح قال نور يقذف به فى القلب قالوا وهل لذلك من امارة قال نعم
الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله
والظاهر ان هذا بيان شرح حال اهل الكمال وقال سهل ان الله تعالى ينظر الى
القلوب فما كان اشدها تواضعا لله خصه بما شاء من هداه ثم بعد
ذلك ما كان اسرع رجوعا عن ارادة ما سواه وافاد الاستاذ ان آية من
شرح الله للاسلام صدره ان لا يتحرك فى باطنه عرق للمنازعة مع تقدير صاحب
القدرة فان الاسلام يقتضى تسليم الكل بلا استثناء فى القضية فمن استثقل
شيئا مما كلف به فبعد غير مستسلم لحكمه ويقال نور فى البداية هو نور العقل
ونور فى الوسائط هو نور العلم ونور فى النهاية هو نور العرفان فصاحب العقل
مع البرهان وصاحب العلم مع البيان وصاحب المعرفة فى حكم العيان ويقال
اول اثر لانوار الغيب فى العبد تنبهه عن نقايص قدره ومساوى عيبه ثم تشاغله
عن شهود نفسه بما يلوح بقلبه من شهود ربه ثم غلبات الانوار على سره
حتى لا يشهد الشر بعد ما كان يشهد كالناظر فى قرص الشمس يستهلك انوار بصره فى
شعاع الشمس كذلك يستهلك انوار البصيرة فى حقايق الشهود فيكون صاحب
الوجود دون الشهود ثم بعده خمود العبد بالكلية وبقاء الاحدية بنعت السرمدية ومن
يرد ان يضله اى يجعله ضالا عن الطريق عوجا يجعل صدره ضيقا حرجا فلا يبقى
فيه للخير منفذا اصلا وقد سال عمر رضى الله عنه رجلا من اهل البادية ما الحرجة فقال
الشجرة تكون بين الاشجار التى لا تصل اليها راعية ولا وحشية فقال عمر كذلك
قلب المنافق لا يصل اليه شئ من الخير وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع
وابو بكر حرجا بكسر الراء اى شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر للمبالغة
او بتقدير ذا حرج كانما يصعد فى السماء شبهه مبالغة فى ضيق صدره بمن يزاول
ما لا يقدر عليه من امره فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ولذا يعد
من فوق العادة فنبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع الصعود عليه او معناه كانما
يتصاعد الى السماء هربا من الايمان وتباعدا من الايقان والعرفان واصل يصعد
يتصعد وقد قرئ به شاذا وقرا ابن كثير بالتخفيف وابو بكر يصاعد بالتشديد بمعنى
يتصاعد وقال الاستاذ يجعل صدره ضيقا حتى لا يسع فيه غير مراده وحده البشرية
ضيق القلب والبال وصاحبه فى اسر الحدثان والاغلال ولا عقوبة اشد من الغفلة

عن الحضرة كذلك اى كما يضيق الله صدره ويظلم عليه امره ويجعل الله الرجس
اى العذاب او الخذلان او يسلط الشيطان على الذين لا يؤمنون اى عليهم ووضع
الظاهر موضع المضمر ايماء الى ان تحقق خذلانهم لعدم ايمانهم وهذا اى البيان
الذى جاء به القرآن او ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك اى طريقه
الذى ارتضاه ويختاره من اجتباه وهداه او طريقته وعادته التى اقتضتها
حكمته واوجبتها مشيته مستقيما لا عوج فيه ابدا او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة
كقوله وهو الحق مصدقا قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون يتعظون بالآيات ويفهمون
الدلالات وافاد الاستاذ ان الصراط المستقيم اقامة العبودية مع التحقق للربوبية
فهو فرق مؤيد بجمع وجمع مقيد بشرع واثبات للموافقة بغاية الوسع والقدرة ونفي
من المخالفة بغاية الجهد والطاقة والتحقق بان المجرى واحد لا شريك له ثم ترك
الاعتماد ونفى الاستناد فلا على حركاته يعتمد ولا الى سكناته يستند ينتظر ما يفتح
من التقدير مما يوجب التبديل والتغيير فان زاغ صاحب الاستقامة لحظة او
التفت يمنة او يسرة سقط سقوطا لا ينتعش البتة لهم دار السلام اى دار الله
الملك العلام فالاضافة لتشريف الجنة او دار السلامة من وقوع الكراهة والملامة لانها
متضمنة لانواع الكرامة او دار تحيتهم فيها سلام فيما بينهم او من الله اليهم تعظيما لهم
وقال سهل دار السلام هو الذى يسلم فيه من هواجس نفسه ووساوس عدوه وقيل
هو السلامة من القطيعة وافاد الاستاذ ان دار السلام دار السلامة ومن كان فى رق
شيء من الاعواض والمخلوقات والاغراض لم يجد السلامة والآية تشير الى ان القوم فى
الجنة لكنهم لبسوا فى اسر الجنة بل تحرزوا عن رق كل قطيعة ويقال كل من لم يسلم اليوم
على نفسه وروحه وكل ماله من كريمه وعظيمه تسليم وداع لا يجد غدا تلك الفضيلة فمن اراد
ان يسلم عليه ربه غدا فليسلم على الكون بجملته اولا على نفسه وروحه نقدا ويقال
دار السلام غدا لمن سلم اليوم لسانه من الغيبة وجنانه من الغيبة واشاره
وظواهره من الزلة واسراره وضمائره من الغفلة وعقيدته من البدعة ومعاملته
من الحرام والشبهة واعماله من الرياء والمصانعة واحواله من الاعجاب والملاحظة
عند ربهم اى الحكمة فى حقهم او يوم القيمة بعد فصل امرهم او ذخيرة لهم
عنده لا يعلم كنهها غيره كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين
وكما ورد اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر وافاد الاستاذ انه سبحانه شرف قدر تلك الدار
لكونها فى محل الكرامة واختصاصها بعندية الزلفة والا فالاقطار كلها ديار ولكن قيمة
الدار بالجار قال قائلهم • انى لاحسد جاركم لجواركم • طوبى لمن اضحى لدارك جارا •
يا ليت جارك باعنى من داره • شبرا لاعطيه بشبر دارا • ويقال الحقيقة وان كان

منزهة

منزهة عن قبول الجوار • وليس القرب منه تدانى الاقطار • فاطلاق هذا اللفظ
لقلوب الاحباب مونس بل لو جاز القرب فى وصفه من حيث المسافة لم يكن
لهذا كثير اثر وانما حيوة القلوب بهذا لان حقيقته مقدسة عن هذه الصفات
ثم لاجل قلوب احبابه يطلق هذا ويوقع العلماء فى كد انه ولكن هذا هو امارة الحب
قال قائلهم انا من اجلك حملت الذى لا استطيع وهو وليهم اى مولاهم
وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متولى امرهم فيجازيهم على وفق حوائجهم
وافاد الاستاذ انه سبحانه بهذا شرف قدر تلك المنازل حيث قال وهو وليهم
فانه اذا كان وليهم كانت المنازل باسرها طابت كيف كانت واين كانت
قال قائلهم • اهوى هواها لمن قد كان ساكنها • وليس فى الدار لى هم ولا وطر •
وهو وليهم فى دنياهم وهو وليهم فى عقباهم وليهم فى اوليهم واخريهم وليهم
الذى استولى حديثه على قلوبهم فلم يدع فيها لغيره نصيبا ولا مثوى وليهم
هو اولى بهم منهم وليهم الذى اثرهم على اضرابهم واشكالهم وآثرهم
فى جميع احوالهم وليهم الذى يطلب رضاهم لم يكلهم الى هواهم ولا الى
دنياهم ولا الى عقباهم وليهم الذى بافضاله يلاطفهم وبجماله وجلاله يكاشفهم
وليهم الذى اختطفهم عن كل حظ ونصيب وحال بينهم وبين كل حميم وقريب
وحرزهم عن كل موهوم ومفهوم ومطلوب ومحبوب وليهم الذى هو مونس
اسرارهم ومشاهد مكتنف ابصارهم وحضرته مربع ارواحهم وليهم الذى
ليس لهم سواه ولا يشهدون الا اياه ولا يجدون الا اياه لا فى بداياتهم يقصدون
غيره ولا فى نهاياتهم يجدون غيره ولا فى وسائطهم يشهدون غيره ويوم نحشرهم
جميعا بنون العظمة وقرأ حفص بالغيبة اى اذكر يوم نحشر الثقلين ونقول
يا معشر الجن اى الشياطين قد استكثرتم من الانس اى من اغوائهم كما قاله
ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن وغيرهم والمعنى اضللتم كثيرا منهم وقال
اولياؤهم من الانس اى مطيعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اى انتفع
الانس بالجن حيث دلوهم عن الشهوات وما يتوصل به اليها من الحالات
والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وشاركوهم فى فسادهم
وحاصله ان بعضهم مطاع وبعضهم مطيع وهذا قول ابن عباس ومحمد بن كعب
والزجاج وقيل استمتع بعض الانس ببعضه وبعض الجن ببعضه او كان من
الجاهلية اذا نزلوا مفازة قالوا اعوذ بكبير هذا الوادى فيفتخر كبير الجن بتعوذ
الانس بهم ويقولون نحن سيد الانس والجن وهذا هو الاستمتاع وبه قال ابن
جريج ويؤيده قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم
رهقا اى طغيانا وضلالا وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا اى القيمة الصغرى والكبرى

وهو اعتراف ما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى ومخالفة الرحمن وتحسر
على حالهم من الطغيان والخذلان قال الاستاذ يعتذرون فلا يسمع ويحتجون بما
لا ينفع ولقد كانوا من قبل لو اتوا باقل منه قبل منهم لكنهم سبقت العقوبة تحققت لهم
النقمة قال اى الله او قائل بامره النار مثويكم منزلكم ومأويكم خالدين فيها الا ما
شاء الله الا الاوقات التى ينقلون من السعير الى الزمهرير وقيل الا ما شاء الله
قبل الدخول وهو مدة حياتهم فى الدنيا والبرزخ او الموقف فكانه قيل النار مثويكم
ابدا الا ما امهلكم وقيل الخطاب فى النار مثويكم لكل كافر وفاسق والاستثناء للفساق
وما بمعنى من والمراد به بعض الفجار الذين دخلوا النار وليسوا من الكفار ولا يبعد ان
يكون الخطاب عاما للثقلين والاستثناء للمؤمنين من الفريقين والتقدير
الا من شاء الله منكم انقاذه منها بان هداه فى دار الدنيا ويؤيده عموم قوله سبحانه
ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن والانس ولعل هذا المحمل ما رواه ابن جرير
وابن ابى حاتم عن ابن عباس ان معنى هذه الآية انه لا ينبغى لاحد ان يحكم على الله
فى خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا ان ربك حكيم فى فعله عليم بخلقه وكذلك اى
كما ولينا بعض الانس بعض الجن نولى بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى
بعض فيغويهم اولياء بعض ويكونا هم فى العقبى كما كانوا فى الدنيا او نسلط
بعضهم على بعض كما ورد من اعان ظالما سلطه الله عليه قال الفخر الرازى وهذا
دال على ان الرعية اذا كانوا ظلمة فالله يسلط عليهم ظالما مثلهم قلت
وقد ورد كما تكونوا يولى عليكم او نهلك بعضهم بيد بعض وننتقم من بعضهم ببعض
جزاء على ظلمهم وبغيهم ويشير الى هذا المعنى قوله تعالى ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض وهذا قول مالك بن دينار وغيره بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصى
يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم هذا توبيخ وتقريع للكافرين من رب العالمين
والمعنى انه قد اتاكم رسل منكم فى الجملة اذ الاصح بل الصحيح ان الرسل من الانس
وللجن تبع لهم كما ان النساء تبع للرجال فى احكامهم الا ما خص بهن مخرجين
من عموم اعمالهم قالوا ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهما يخرجان
من الملح دون العذب وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم كقوله تعالى
ولوا الى قومهم منذرين ونظيره قوله سبحانه اذ ارسلنا اليهم اثنين الآية وتعلق
قوم بظاهر هذا الكلام وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم
ولعله محمول على غير زمان نبينا عليه السلام اذ الاجماع على انه مبعوث الى جميع الخلق
جنهم وانسهم يقصون عليكم آياتى اى يتلون مبانيها ويبينون معانيها وينذرونكم
لقاء يومكم هذا اى ويخوفونكم البعث وملاقاة يوم القيمة بالحساب والعذاب
قالوا اى فى الجواب شهدنا على انفسنا باستيجاب العقاب وغرتهم الحيوة

الدنيا

الدنيا من المال والجاه وسائر الاسباب وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين فهذه شهادة من الله عليهم انهم شهدوا على انفسهم
بالكفر والشهادة الاولى حكاية لقولهم والمقصود من الثانية ذم حالهم وتخطئة
رأيهم وسفاهة نظرهم تحذير السامعين من مثل كلامهم وفساد مرامهم وجملة
وغرتهم الحيوة الدنيا حالية معترضة اجاءها الى انهم اغتروا بالحيوة الدنيوية
واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى آل امرهم من الحال الى سوء المآل وفوت المنال
وافاد الاستاذ انه سبحانه يعرفهم انه ازاح لهم العلة من حيث الزام
الحجة لكن حكم لهم فى الازل بالشقوة فليس عليهم الحجة ذلك ان لم يكن ربك
مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ان مصدرية او مخففة من المثقلة اى الامر
ذلك لانتفاء كون ربك الخ او لان الشأن لم يكن ربك مهلك اهل القرى
بسبب ظلم صدر منهم وهم غافلون لم ينتبهوا بارسال رسول اليهم كقوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واما ما قال بعض المفسرين من ان التقدير
ظالما وانه لا يهلكهم بدون التنبيه بالرسل والآيات فانه ظلم فخروج من مذهب
اهل السنة وشائبة من بدعة المعتزلة كما يستفاد من كلام الاستاذ فيما افاد
بقوله متى يصح وصفه بوسم الظلم والملك ملكه والخلق خلقه ومتى يقبح منه
تصرف فى شخص بما اراد والعبد عبده والحكم حكمه ولكل من المكلفين درجات
مراتب مختلفات ناشئات مما عملوا فى اوقات وحالات وما ربك
بغافل عما يعملون فيخفى عليه خافية او قدر ما يستحق به من مثوبة او عقوبة
وقرأ ابن عامر بالتاء لتغليب الخطاب على الغيبة وافاد الاستاذ ان المحسن
فى روح الثواب متنعم والمذنب فى نوح العذاب متألم وربك الغنى
عن العباد والعبادة ذو الرحمة فلا يعجل لهم بالعقوبة قيل الغنى عن طاعات
المطيعين ذو الرحمة على المسيئين وافاد الاستاذ ان الغنى يشير الى
عزه وذو الرحمة يومى الى لطفه اخبرهم بقوله الغنى عن جلاله وبقوله ذو الرحمة
عن جماله فبجلاله يكاشفهم فيفنيهم وبجماله يلاطفهم فيحييهم ويبقيهم
ويقال سماع غناه يوجب محاهم وسماع رحمته يوجب صحاهم فهم فى سماع
هذه الآية مترددون بين بقاء وبين فناء وبين اكرام وبين اصطلام وبين
تقريب وبين تذويب وبين اجتياح وبين ارتياح ان يشأ يذهبكم
ايها العصاة والضلال بان يعذبكم عذاب الاستيصال ويستخلف من بعدكم
ما يشاء من الخلق يعملون بطاعته كاهل الفرس وطبقته ونظيره قوله ان
تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم كما انشأكم من ذرية قوم
آخرين اى قرنا بعد قرن يعنى فهو قادر على ذلكم لكنه ابقاكم ترحما عليكم والاظهر

ان الخطاب عام للخلق ايماء الى الاستغناء المطلق واشارة الى القدرة
التامة والمشيئة الكاملة كما قال ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين
والمعنى انه ان يشأ اذهاب هذا العالم واستخلاف ما يشاء من الخلق غير بنى آدم
فعل على الوجه الاتم والله سبحانه اعلم ان ما توعدون من البعث والجزاء على
الطاعة والمعصية لآت لكائن البتة وما انتم بمعجزين الله فى قدرته على المطالبة
وافاد الاستاذ ان الاشارة من هذه الآية الى قصر الامل ومن قصر امله حسن عمله
وكل ما هو آت فهو قريب اجله قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اى على غاية تمكنكم
واستطاعتكم او على ناحيتكم وجهتكم وقرأ ابو بكر حيث جاء فى القرآن مكاناتكم
والامر للتهديد او للمبالغة فى الوعيد الشديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم
انى عامل ما كنت عليه من الثبات على الاسلام والمداومة على مخالفتكم فسوف تعلمون
من تكون له عاقبة الدار اى الذى يكون له العاقبة الحسنى التى خلقها الله لهذه
الدنيا او المعنى فسوف تعلمون ايما يكون له الغلبة والاستيلاء فى الدنيا
والمثوبة والاستعلاء فى العقبى او من تكون له دار البوار ومن يحصل له دار
القرار وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وحسن ادب فى مقام الجدال
وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق فى الحال ومحق فى المال وقرأ حمزة والكسائى
يكون بالتذكير لان تأنيث العاقبة ليس على الحقيقة انه اى الشأن لا يفلح
الظالمون اى لا يسعدون حيث يظفر المطيعون وجعلوا اى مشركو العرب
لله مما ذرأ اى مما خلقه من الحرث والانعام نصيبا اى حصة وحظا وسهما
فقالوا هذا لله بزعمهم متعلق بقالوا وفيه تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم
يأمرهم الله به ولم يصل اليه وهذا لشركائنا والاشارة فى الموضعين الى النصيبين
المعهودين وفى الكلام حذف دل عليه التقسيم اى ونصيبا لشركائهم لقوله فما كان لشركائهم فلا
يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روى انهم كانوا يعينون شيئا
من الحرث والنتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما
لآلهتهم وينفقون على خدم اصنامهم ثم ان رأوا ما عينوا لله ازكى بدلوه
بما لآلهتهم وان رأوا ما لآلهتهم ازكى تركوها لها حبا لآلهتهم واذا سقط شئ
من الثمر مثلا من نصيب الصنم فيما سمى للصمد ردوه الى ما جعلوه للصنم وقالوا
انه فقير وسدنته يحتاجون الى نفقة وان هلك او انتقص منه شئ اخذوا بدله
مما جعلوه لله وان سقط من نصيب الله فى نصيب الاوثان خلطوه او مات
شئ منه لم يبالوا به قالوا الله غنى وفيه تنبيه على فرط جهالتهم وكثرة
حماقتهم حيث اشركوا الخالق فى خلقه جمادا لا يقدر على شئ من امره ثم رجحوه
عليه بان نسبوا النصيب الاوفر اليه وقرأ الكسائى بضم الزاى فى الموضعين

وهو لغة

وهو لغة وقد جاء الكسر فيه ايضا فهو مثلث كالود ساء ما يحكمون حكمهم هذا ودابهم
وافاد الاستاذ انهم لما بنوا قاعدة امرهم على موجب الهوى صارت فروعهم
لائقة باصولهم فهو كما قيل اذا كان القضاء الى ابن آوى فتعديل الشهود الى
القرود وكذلك اى مثل ذلك التزيين فى قسمة القربات بين الله وآلهتهم واشارة
الى نفس هذا التزيين وهو تزيين قتل الاولاد زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
بوأدهم ونحرهم لاصنامهم شركاؤهم من الجن فان الشياطين امروهم بان يقتلوا
من اناثهم وهو فاعل زين مجازا فى النسبة والا فالفاعل هو الله فى الحقيقة
وقرأ ابن عامر زين على البناء ورفع قتل على النيابة ونصب اولادهم وجر
شركائهم باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وقول من قال بضعفه ضعيف
مردود عليه لوروده فى كلام الفصحاء من الشعراء البلغاء ولان القرآن مما
يستشهد به لا له لصحة الرجوع فى كل باب اليه ولهذا قال صاحب التسهيل اذا كان
المضاف مصدرا جاز ان يضاف نظما ونثرا الى فاعله مفصولا بمفعوله قال
ابو حيان واصحابنا يقولون ان الزمخشرى غير نحوى ولا يلتفتون الى خلافه
للنحاة انتهى ومن طعن فى القراءة المتواترة يخشى عليه من الكفر لان القراء
لا يقرؤون من عند انفسهم واذا ثبت شئ بالدليل القطعى فانكاره والطعن عليه
من صنيع الغوى وان وقع من النحوى اللغوى ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء
وليلبسوا عليهم دينهم ليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام
او ما وجب عليهم ان يتدينوا من دين الاسلام ولو شاء الله ما فعلوه اى ما فعل
المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم
وما يفترون اى ما يختلقون على الله من الكذب وهم لا يعلمون وافاد الاستاذ
ان الآية صرحت بان المدار على المشيئة والاعتبار لسابق القضية وقالوا هذه
اى ما جعل للآلهة انعام وحرث حجر حرام ممنوع فعل بمعنى مفعول يستوى فيه
الواحد والجمع والذكر والانثى لا يطعمها الا من نشاء من رجال خدم الاوثان
بزعمهم من غير حجة لديهم وانعام حرمت ظهورها من البحائر والسوائب والحوامى
وانعام لا يذكرون اسم الله عليها فى ذبحها وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها
افتراء عليه اى لاجل الافتراء على الله فيما نسبوا اليه سيجزيهم بما كانوا يفترون
اى بسبب افترائهم والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا هذه حجر وهذه محرمة
الظهر وهذه لا يذكر اسم الله عليها فجعلوها اجناسا باهوائهم ونسبوا
ذلك الى الله بافترائهم وقالوا ما فى بطون هذه الانعام اى اجنة البحائر والسوائب
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا اى نسائنا ان ولد حيا وان يكن ميتة
فهم فيه شركاء اى فذكورهم واناثهم فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فان

ما فی معنی الاجنة ولذا وافق عاصم فی روایة ابی بکر ابن عامر فی تکن بالتاء وخالفه
هو وابن کثیر فی میتة فنصب کغیرهم سیجزیهم الله وصفهم ای جزاء وصفهم الکذب
علی الله فی التحریم والتحلیل من قوله سبحانه وتصف السنتهم الکذب انه حکیم باحکام
فعله علیم باحوال خلقه وافاد الاستاذ ان الاشارة فیه الی انّ من نحا نحوهم
فی زیادة شئ فی الدین او نقصان شئ من شرع المسلمین فمضاه لهم فی البطلان
منخرط لسلکهم فی الطغیان قد خسر الذین قتلوا اولادهم ای بالوأد مخافة السبی
والفقر وقرأ ابن کثیر وابن عامر بالتشدید للتکثیر سفها بغیر علم لقلة عقلهم
وکثرة جهلهم بانّ الله رازق اولادهم لا هم بانفسهم وحرموا ما رزقهم الله
من البحائر ونحوها افتراء علی الله قد ضلوا وما کانوا مهتدین الی الحق والصواب
فی امر الدین قال الاستاذ علیهم طریقة التفقه بما قدرت العباد فحملتهم خشیة
الفقر علی قتل الاولاد ولذا قال اهل التحقیق من امارات الیقین وحقایق
الدین کثرة العیال علی وثوق الاتکال وهو الذی انشا جنات ای ابدع بساتین
من الکروم ونحوها معروشات مرفوعات علی ما یحملها وغیر معروشات ای
متروکات علی وجه ارضها ومحلها والنخل والزرع مختلفا اکله ای اکل کل واحد
منهما یعنی ثمره فی الکیفیة والهیئة ومختلفا حال مقدرة ای مقدرا اختلافه
لانه لم یکن کذلک حال انشائه والزیتون والرمان متشابها وغیر متشابه یتشابه
بعض افرادها فی اللون والطعم ولا یتشابه بعضها منهما وافاد الاستاذ انه سبحانه
کما انشا فی الظاهر جنات وبساتین کذلک انشا فی السر جنات وبساتین فی
القلوب والسرائر اتم من جنات الظواهر فازهار القلوب مونقة وشموس
الاسرار مشرقة وانهار المعارف زاخرة وکما تتشابه الثمار کذلک تتماثل الاحوال وکما
یختلف طعومها وروائحها مع تشاکلها من وجه فکذلک الاحوال مختلفة القضایا
وان اشترکت فی کونها احوالا کلوا من ثمره ای ثمر کل واحد من ذلک اذا اثمر
وان لم ینضج بعد وآتوا حقه یوم حصاده وهذا شئ کان واجبا قبل وجوب الزکوة
وعن بعض السلف انه الزکوة والآیة مدنیة او الآیة مکیة وتفصیل الزکوة علم
بالمدینة وقرأ ابن کثیر ونافع وحمزة بکسر الحاء وافاد الاستاذ انّ حقه الواجب
یوم الحصاد اقامة الشکر فاما اخراج البعض فبیانه علی لسان العلم وشهود
المنعم فی عین النعمة اتم من الشکر علی وجود النعمة ولا تسرفوا فی التصدق لقوله
ولا تبسطها کل البسط او فی الاکل بان تأکلوا فوق الشبع او فی البخل بان لا تعطوا
حق الله انه لا یحب المسرفین ای لا یرتضی فعلهم وعن ابن عباس ان احدا من الصحابة
جرم خمسمائة نخلة فقسمها فی یوم واحد ولم یترک لعیاله شیئا فنزلت تلک الآیة
وقال الازهری الاسراف فی المعصیة وقال مجاهد لو کان لاحد مثل احد ذهبا فانفقه

فی طاعة

فی طاعة الله لم یکن مسرفا ولو انفق درهما فی المعصیة لعد من المسرفین ومن
القول الالطف فی الشرف لا سرف فی خیر ولا خیر فی سرف وافاد الاستاذ
انّ الاسراف علی لسان العلم مجاوزة الحد وعلی بیان الاشارة فکل ما انفقته فی
حظ نفسک فهو اسراف ولو کان سمسمة وما انفقته فی سبیله فلیس باسراف
ولو اربی علی الالف ومن الانعام ای وانشا من الانعام حمولة وفرشا ما یحمل الاثقال
وما یفرش للذبح وافاد الاستاذ ان تسخیر الحیوان للانسان آیة مزیته فی الفضیلة
علی سائر البریة وکما سخر الاعیان للانسان کذلک سخر الازمان فی تصاریف الحدثان
لخواص الانسان کلوا مما رزقکم الله مما حل لکم من الثمار والزروع والانعام ولا تتبعوا
خطوات الشیطان ای طرائقه واوامره کما اتبعها المشرکون فی التحلیل والتحریم
من عند انفسهم انه لکم عدو مبین ظاهر العداوة لمبالغته فی ارادة الغوایة وافاد الاستاذ
انّ الرزق لا یختص بالمأکولات بل هو سائغ فی جمیع ما یحصل به الانتفاع وینقسم
الرزق الی رزق الظاهر ورزق السرائر فهذا وجود النعم وذلک شهود الکرم
بل الخمود فی وجود القدم وللقلب رزق وهو التحقیق من حیث العرفان وللروح
رزق وهو المحبة بصدق التحرز عن الاکوان وللسر رزق وهو الشهود الذی هو قرینة
العیان ثمانیة ازواج بدل من حمولة وفرشا وما بینهما معترضة والمراد بالزوج هنا
ما معه آخر من جنسه یزاوجها وان کان قد یقال لمجموعهما من الضأن اثنین ای
زوجین اثنین الکبش والنعجة وهو بدل من ثمانیة والضأن اسم جنس
کالابل وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فیه ومن المعز اثنین التیس والعنز وقرأ
ابن کثیر وابو عمرو وابن عامر بفتح العین وهو جمع ماعز قل آلذکرین ذکر الضأن
وذکر المعز حرم ای الله علیکم ایها المشرکون ام الانثیین ای انثییهما ونصب
الذکرین والانثیین بحرم اما اشتملت علیه ارحام الانثیین او ما حملت اناث
الجنسین ذکرا کان او انثی کما قالوا ما فی بطون هذه الانعام الآیة نبئونی بعلم
اخبرونی بامر معلوم یدل علی انّ الله حرم شیئا من ذلک ان کنتم
صادقین فی دعوی التحریم علیه ومن الابل اثنین ومن البقر اثنین
قل آلذکرین حرم ام الانثیین اما اشتملت علیه ارحام الانثیین المقصود انکار
نفی التحریم لکنه اورد فی صورة انکار المفعول لیطابق ما کانوا یدعونه من التفصیل
فی المفعول والتردید فیه فیکون الانکار بطریق برهانی من جهة انه لا بد للفعل من
متعلق فاذا نفی جمیع متعلقاته علی التفصیل لزم نفی الفعل علی وجه التکمیل
ام کنتم شهداء بل اکنتم حاضرین مشاهدین اذ وصاکم الله بهذا حین وصاکم
بما ذکر من تحریم بعض وتحلیل بعض وهذا من باب التهکم فمن اظلم ممن افتری علی
الله کذبا فنسب الیه تحریم ما لم یحرم والمراد کبراؤهم المقررون لذلک وعمرو بن لحی

الموسس له فانه اول من غير دين اسمعيل عليه السلام ليضل الناس
بغير علم ملتبسا بغير دليل يفيد علما او حال كونهم جاهلين ان الله لا يهدي القوم
الظالمين وافاد الاستاذ ان الذي ينبغي للعبد ان يتأدب به عند سماع
ذكر الضان استدامة السكون بالتزام حسن الخلق فان الضانية مستسلمة
لمن يلي عليها فلا بصياحها تؤذي ولا بعدوها تعيي كذلك سبيل من وطئ بهذا
البساط وكذا في الابل ايات منها انقيادها لمن جر زمامها واستناختها
حيث ما تناخ بلا نزاع ولا اختيار ومنها بروكها عند الحمل وصبرها على
مقاساة العطش ودؤوبها في السير قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن
او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى
محرما اي لا اجد شيئا من الطعام محرما على طاعم يطعمه وفي وقت الا ان
يكون اي الا في وقت ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة بالتاء والنصب
الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا
عطف على ان يكون مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي سائلا
مصبوبا كالدم في العروق لا الكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس اي
فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة قال الماوردي ضمير فانه للخنزير
لانه اقرب مذكور ونازعه في ذلك ابو حيان وقال انه عائد على اللحم لانه
المضاف وهو المحدث عنه والمضاف اليه ذكر لتعريف المضاف وتخصيصه
فقيل ما قاله الماوردي اولى من جهة المعنى لان تحريم اللحم قد استفيد من قوله
او لحم خنزير فلو عاد الضمير عليه لما كان في الكلام تأسيس فوجب عوده
الى الخنزير ليفيد تحريم الكبد والشحم وسائر اجزائه قلت الاول موافق
لمذهب مالك والثاني مطابق لما عليه الجمهور والله اعلم بمراده بذلك
او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به
صفة موضحة له وسمي فسقا لتوغله في الفسق فمن اضطر فمن دعته الضرورة
الى تناول شيء مما ذكر غير باغ على مضطر مثله او غير طالب للذة ولا عاد
قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه حيث عمل بالرخصة والاية
محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك
لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر بعد هذا ويمكن ان يكون الحصر اضافيا اي لا
اجد فيما اوحي الي في القرآن بخلاف ما اوحي الي من السنة على طبق البيان
وافاد الاستاذ انه سبحانه بين ان الشارع هو الله والمانع عن الخلق هو الله
وما كان من غير الله فهو ضايع باطل عند الله ثم بين انه اذا جاء الاضطرار
زال حكم الاختيار وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر اي حرمنا على اليهود ما لم يكن

مشقوق

مشقوق الاصابع كالابل والنعامة والبط او كل ذي حافر كما قاله ابن عباس
ومجاهد وسعيد بن جبير وقيل كل ذي مخلب من الطير ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما اي جميع شحومهما من الثروب وشحوم الكلى الا ما حملت ظهورهما
الا ما علقت من الشحوم بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء او ما اختلط
بعظم اي ما اختلط من الشحوم بالعظام فانه حلال واو هنا كما في قولهم جالس
الحسن او ابن سيرين كذا قاله بعضهم وفيه او للاباحة في المثال فجاز ان يجالسهما
معا وان يجالس احدهما بخلاف التحريم هنا فانه يعمهما فالصواب في هذه الاية
ان او للتفصيل والتنويع فصل بها ما حرم عليهم من البقر والغنم وهي ابلغ من
الواو فانها تدل على التساوي في الحكم كانه قال كل واحد من الثلاثة مستقل بحكم
الحلية على ان الواو قد يتوهم منها معنى المعية والجمعية مع انه ليس المراد من الاية
المبهمة ذلك اي التحريم او الجزاء او التضييق جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم
امر نبيهم وانا لصادقون في اخبارنا من تحريمنا ذلك عليهم لا كما زعموا ان
اسرائيل حرمه علينا وليس من عمل ذنب صدر عنا وقال الاستاذ بين ما حرم
عليهم ضيعوه وما لم يأتهم عليه لم يشهدوا مكره العظيم فيه وما ابتدعوه
من قبل انفسهم اهملوه ولم يحافظوا عليه فاستوجبوا اعظم الوزر والم الهجر فان كذبوك
فقل ربكم ذو رحمة واسعة لا يعجل بالعقوبة على المعصية ولكنه يمهل ولا يهمل في
الاخرة ولا يرد بأسه عذابه عن القوم المجرمين اذا نزل عليهم بسبب اجرامهم او ذو رحمة
واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين وقال سهل قيل للنبي عليه السلام من اعرض
عنك فرغبه فينا فانه من رغب فينا نجعلك رغب لا غير قال عز وجل فان كذبوك
فقل ربكم ذو رحمة واسعة اي اطمعهم في الرحمة ولا تقطع قلبك عنهم بالمرة وقال
الاستاذ الاشارة منه بيان تخصيص الاولياء بالرحمة وتخصيص الاعداء
بالطرد واللعنة فالصورة الانسانية جامعة لهم والقسمة الازلية فاصلة بينهم
سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل في احوالهم ووقوع مخبره يدل على اعجازه
لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة
ارتضاء كقوله سبحانه فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا اباؤنا وارادوا
بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله مأمور به فان ما لم يشأ لم يكن وما
شاء فهو مرضي مأمور به ولم يريدوا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة
الله تعالى اياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة وحاصل القضية ان
الكفرة اعتقدوا عدم التفرقة بين المأمور والمراد كما اعتقدت المعتزلة فاحتجوا
على حقية الاشراك ابتداء وسائر ما يرتكبون من القبائح بانها ليست بمعصية
لانها موافقة للمشيئة التي تساوق الامر وينادي على ذلك قوله كذلك كذب الذين

من قبلهم فانه لو كان المراد ان الكل بمشيئة الله لما كانوا الا كاذبين لا مكذبين
فالمعنى كذب الامم السالفة بهذه المشيئة الداحضة انبياءهم وعلماءهم السابقة
واللاحقة حتى ذاقوا بأسنا الذى بتكذيبهم عليهم انزلنا فعلموا انهم
على دين مبغوض غير مرضى عندنا قل هل عندكم من علم اى من امر معلوم لكم يصح
الاحتجاج به على زعمكم فتخرجوه لنا اى تظهروه لاجلنا ان تتبعون اى ما تتبعون
فى ذلك الا الظن لا العلم وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وافاد الاستاذ
فيما بين الاشارة على ظاهر العبارة حيث قال كذبت قالتهم لانها لم تصدر
عن التصديق فذموا على قالتهم وان كان صدقا فى التحقيق انتهى وحاصله ان هذه
كلمة حق اريد بها الباطل لانه موافقة للمعتزلة ومخالفة لاهل السنة فلله الحجة
البالغة اى البينة الثابتة التى بلغت غاية المتانة وهى الكتاب والسنة فلو
شاء اى الهداية الشاملة لهديكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن
شاء هداية قوم وضلالة آخرين وله فى ذلك مصالح وحكم لا يهتدى اليه الا من اكحل
عينه بنور اليقين قال جنيد اثار مشيئة الهداية عند اهل الهدى بينة وقال
النصراباذى الخلق كلهم منعهم شدة الحاجة عن معانى رؤية الحجة ولو اسقط
عنهم الحاجة لكشف لهم براهين الحجة وقال ايضا رؤية الحاجة حسنة
ورؤية الحجة احسن وافاد الاستاذ ان ارادته سبحانه لا تتقاصر عن مراد
وليس عليه شىء معاص فى العباد والبلاد قل هلم اى احضروا شهداءكم الذين
يشهدون ان الله حرم هذا يعنى قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويثبت
بانقطاعهم لهم الضلالة فان شهدوا للعناد والمكابرة فلا تشهد معهم
فلا تصدقهم فيه لان التصديق ملزوم الشهادة وقيل نفى الشهادة كناية
عن اثبات المفسدة وقيل مشاكلة والمعنى اثبت على ما انت عليه
من الحجة المقرونة بالهداية ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا منهم ومن غيرهم
والذين لا يؤمنون بالآخرة من امثالهم وهم بربهم يعدلون اى يسوون
الاصنام وغيرها بخالقهم وافاد الاستاذ ان فى الآية اشارة الى ان ما
تجرد عن برهان يصححه وبيان يوضحه فغير مقبول من قائله ولا عذر لقابله قل
تعالوا امر من التعالى واصله ان يقوله من كان فى علو لمن كان فى سفل فاتسع
فيه بالتعميم وههنا للتخصيص وجه وهو ان العالم يقول للجاهلين ارتفعوا
عن حضيض مقامكم السفلى الى ادراك مقالى المتعالى اتل ما حرم ربكم اى
اقرأه وابينه وما يحتمل الخبرية والمصدرية عليكم متعلق بحرم او اتل الا
تشركوا به شيئا اى لا تشركوا فان مفسرة ولا ناهية ليصح عطف الامر
عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع

الى اضدادها

الى اضدادها وبالوالدين اى احسنوا بهما احسانا زائدا بالنسبة الى غيرهما
ولا تقتلوا اولادكم من املاق اى من اجل فقر حال او مستقبل او من خشية
كقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم قدم نرزقكم هنا بخلاف سورة الاسراء
ليكون كالدليل فى القضية فان رازق الاصيل رازق التابع بالاولوية واختير
هنا التقديم لان التقدير من املاق بكم فناسب نحن نرزقكم واياهم وهناك
زيدت الخشية المتعلقة بالمستقبلة فالتقدير خشية املاق يقع بهم
فلائم نحن نرزقهم واياكم ولا تقربوا الفواحش اى كبائر الذنوب لاستشناعها
اللهم من العيوب ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه
وقد سبق بيانه وقد سبق المحاسبى الفواحش ما اريد به غير الله وقيل ما ظهر
من الفواحش فى الافعال هو الرياء والسمعة وما بطن منها الدعاوى الكاذبة
ولا تقتلوا النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق وهو القود وقتل المرتد ورجم
المحصن كما ورد ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصيكم به اى بحفظه مجملا
لعلكم تعقلون اى امره ونهيه علما وعملا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن
اى الا بالطريقة التى هى احسن طرق ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده
جمع شدة وهى القوة والجلادة كنعمة وانعم وقيل مفرد لا جمع له وقيل جمع لا واحد له
والمعنى حتى يصير بالغا رشيدا يعتمد عليه فادفعوا اليه واوفوا الكيل والميزان
بالقسط اى العدل والسوية بقدر الوسع والطاقة لا نكلف نفسا الا وسعها
اى ما يسعها ولا يعجز عنها فان اخطأت بعد بذل جهدها فلا حرج واذا قلتم فى حكومة
ونحوها فاعدلوا اى فى القضية وما يتعلق بها او اذا تكلمتم بكلمة فلا تجوروا فيها
قال ابو سليمان اذا تكلمتم فتكلموا بذكره يعنى واذا سكتم فتفكروا فى امره ولو كان
المقول له او عليه ذا قربى صاحب قرابة منكم ومناسبة بينكم وبعهد الله اى
بما عاهدكم الله عليه او بما عاهدتم الله عليه اوفوا اعملوا به ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون
اى تتعظون وتنتفعون منه وقرأ حفص وحمزة والكسائى بتخفيف الذال حيث
اتى وان هذا اشارة الى ما فى الآيتين او الى ما فى السورة او الى الكتاب جميعه
صراطى دينى مستقيما لا عوج فيه عن الوصول الى ربى وقال جعفر طريقى من القلب
الى الله بالاعراض عما سواه وقرأ حمزة والكسائى ان بالكسر على انها جملة مستأنفة
وابن عامر بالفتح مخففة والباقون به مشددة بتقدير اللام على انه علة لقوله
فاتبعوه او هو عطف على لا تشركوا والجمع بين حرفى العطف الواو والفاء عند تقدم
المعمول بفصل بينهما شائع وسائغ نحو وربك فكبر وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله
احدا وقرأ ابن عامر صراطى بفتح الياء ولا تتبعوا السبل اى الاديان المختلفة او الطرق
التابعة للهوى فان مقتضى الهدى واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع

والعادات فی تتبع الشهوات فتفرق بکم الباء للتعدیة ای فتفرقکم وتزیلکم
عن سبیله الذی هو اتباع الحق واقتفاء البرهان المحقق ذلکم الاتباع للحق لا
عن الابتداع وصیکم به لعلکم تتقون الضلالة وتتبعون الهدایة وافاد الاستاذ ان
هذه اشیاء عشرة تتضمنها هذه الآیات اولها الشرک فانه راس المحرمات
والذی لا یقبل معه شیء من الطاعات وینقسم ذلک الی جلی وخفی فالجلی
عبادة الاصنام والخفی ملاحظة الانام بعین استحقاق الاعظام والثانی
من هذه الخصال ترک العقوق وتوقیر الوالدین بحفظ ما یجب لهم من اکید الحقوق
الحقوق وبعد ذلک قتل الاولاد خشیة الاملاق واراقة دمائهم بغیر استحقاق
ثم رکوب الفواحش ما بطن منها وما ظهر وما بدا واستتر ویدخل فی ذلک جمیع
اقسام الآثام ثم قتل النفس بغیر الحق وذلک انما یکون لفقد شفقة الخلق ثم
مجانبة مال الیتیم والنظر الیه بعین التکریم ثم الصدق فی القول والعدل
فی الفعل ثم بذل الانصاف فی المعاملات والتوقی من جمیع التبعات ثم متابعة
السبیل بما یشیر الیه لوایح الدلیل فمن قابل هذه الاوامر بحسن الاعتناق سعد
فی داریه وحظی بعظایم منزلته بالاتفاق ثم آتینا موسی الکتاب عطف علی
ذلکم وصیکم وثم للتراخی فی الاخبار فان الانباء قبله ما تعلم بالاخبار تماما ای
کاملا جامعا لما یحتاج الیه فی باب الدیانة او تماما للکرامة والنعمة علی الذی احسن
القیام به فی الطاعة وتفصیلا لکل شیء ای وبیانا مفصلا للامور السابقة ولاحقة
وهدی ورحمة ای وهدایة تامة ونعمة خاصة لعلهم ای بنی اسرائیل بلقاء ربهم
ای بلقائه للجزاء یؤمنون وللقیام بامره یستعدون وعن الاقبال الی غیره
یعرضون وبحقایق العوارف ودقایق المعارف یوقنون وافاد الاستاذ انه سبحانه
یهون علینا مشقة مقاساة التکلیف ببیان التوقیف فان الذین کانوا قبلنا
کانوا فی الضعف والعجز مثلنا ثم صبروا فظفروا واخلصوا فتخلصوا وهذا القرآن
کتاب جامع انزلناه مبارک کثیر النفع والخیر فاتبعوه فی طاعته واتقوا فی
مخالفته لعلکم ترحمون بواسطة متابعته وهو العلم بمبانیه ومعانیه والعمل بما یجب
والحذر عما ینافیه ان تقولوا ای انزلناه کراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا انما انزل
الکتاب علی طائفتین من قبلنا ای الیهود والنصاری وان کنا ای وانه کنا عن
دراستهم قراءتهم لغافلین ما نفهم ما یقولون فانه لیس بلساننا او تقولوا لو انا
انزل علینا الکتاب بلغتنا لکنا اهدی منهم لحدة اذهاننا وثقابة انهامنا فقد
جاءکم بینة من ربکم حجة واضحة تعرفونها وهدی ورحمة لمن تامل فیها وعمل بمقتضاها
فمن اظلم ممن کذب بآیات الله بعد معرفة صحتها والتمکن من معرفتها وصدف
عنها ای اعرض او صد غیره فضل واضل سنجزی الذین یصدفون عن آیاتنا

سوء

سوء العذاب شدته بما کانوا یصدفون بسبب اعراضهم بانفسهم او صدهم لغیرهم
وافاد الاستاذ ان انزال الکتاب علیهم تحقیق الایجاب فاذا بقی العبد عن
سماع الخطاب یتسلی بقراءة الکتاب ومن لم یجد فی قراءة القرآن کمال العیش الآن
فانه بقراءة تستمر تحققا فی قوله ان یقولوا ازاح کل علة وبدا بکل وصلة فلم یبق
لک متعلل ولا فی ایثار الالتجاء الی العذر موضعا وفی قوله فمن اظلم عقوبة
کل جرم مؤجلة وعقوبة التکذیب معجلة وهی ما یوجب بقاءهم فی اسر الشک
حتی لا یستقر قلبهم علی شیء هل ینظرون ای اهل مکة وهم ما کانوا منتظرین
لکن لما کان یلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرین والمعنی ما ینتظرون الا ان
تاتیهم الملائکة ای ملائکة الموت او العذاب وقرا حمزة والکسائی بالتذکیر
او یاتی ربک ای یظهر تجلیه والمراد یوم القیمة او له اتیان لیس کاتیان غیره
نؤمن به ولا نعرف کیفه او کل آیاته یعنی آیات القیمة والهلاک الکلی لاربات
الملائکة لقوله او یاتی بعض آیات ربک یعنی اشراط الساعة او طلوع الشمس
من مغربها وهو الصحیح لقوله یوم یاتی بعض آیات ربک ای التی تضطرهم
الی الایمان لا ینفع نفسا ایمانها کالمحتضر فان الامر حینئذ عیانی والمطلوب
ایمان برهانی لم تکن آمنت من قبل صفة نفسا او کسبت فی ایمانها خیرا
عطف علی آمنت والمعنی لا ینفع الکافر ایمانه فی تلک الحالة ولا الفاسق
الذی ما کسب خیرا فی ایمانه بالتوبة وحاصله انه من باب اللف التقدیری
ای لا ینفع نفسا ایمانها ولا کسبها فی الایمان ان لم تکن آمنت من قبل او کسبت
فیه والمعنی لا ینفعهم تلهفهم حینئذ علی ترک الایمان بالکتاب ولا علی ترک
العمل بما فیه من الخطاب قل انتظروا انا منتظرون امر تهدید ووعید شدید
والمعنی انتظروا احد الامور الثلثة فانا منتظرون بها فان لکم الویل بها ولنا
الفوز بها وقال الاستاذ اخبر انهم بعد ما ازیح العلل عنهم اقترحوا ما لیس
لهم واغتروا بطول السلامة فیهم ثم بین انه اذا امضی بعقوبة عبد حکما مؤبدا
فلا معارض لتقدیره ولا مناقض لتدبیره اصلا ابدا ان الذین فرقوا دینهم
ای من الیهود والنصاری حیث اخذوا ببعض ما امروا وترکوا بعضه کما قاله
ابن عباس وغیره او المراد بهم اهل البدع من هذه الامة کما نقل عن عائشة
وابی هریرة او یراد المعنی الاعم کما روی عنه علیه السلام افترقت الیهود علی
احدی وسبعین فرقة کلها فی الهاویة الا واحدة وافترقت النصاری علی ثنتین
وسبعین فرقة کلها فی الهاویة الا واحدة وتفترق امتی علی ثلث وسبعین
کلها فی الهاویة الا واحدة وفی روایة فسر تلک الواحدة بمن یکون علی
ما هو علیه من اصحابه من الطریقة المؤیدة بالکتاب والسنة وقرا حمزة والکسائی

فارقوا ای باینوا وکانوا شیعا فرقا تتبع کل فرقة امام ضلالة لست منهم
فی شیء ای من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت بریء منهم
انما امرهم الی الله یتولی جزاءهم ثم ینبئهم بما کانوا یفعلون ای یعاقبهم علی
وفق اعمالهم وقال الاستاذ اتفقوا بابدانهم وافترقوا بقلوبهم فکانوا
مجتمعین جهرا بالجهر مفترقین فی التحقیق سرا بالسر من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
ای عشر حسنات امثالها فضلا من الله وکرما وهذا اقلها وعدلا ینقص
منه شیئا وقد جاء الوعد بسبعین وبسبعمائة وبغیر حساب ولذا قیل
المراد بالعشرة الکثرة وفی تفسیر السلمی قیل من لاحظها من نفسه فعشر امثالها
ومن لاحظها من موصلة الحق لها فهو ممن تضاعف له بغیر حسابها وافاد
الاستاذ ان هذه الحسنات للظاهر واما حسنات القلوب فللواحد
مائة الی اضعاف مضاعفة ویقال الحسنة من فضله تصدر وبلطفه تحصل
فهو یجری ثم یقبل ویثنی ثم یجازی ویعطی ویقال احسانه الذی هو التوفیق
یوجب احسانک الذی هو الوفاق واحسانه الذی هو خلق الطاعة یوجب لک
نعت الاحسان الذی هو الطاعة فالعناء منک فعله والجزاء لک فضله
ویقال احسان النفوس توفیة الخدمة واحسان القلوب حفظ الحرمة واحسان
الارواح مراعاة آداب الحشمة ویقال احسان الظواهر یوجب احسانه فی السرائر
والذی منک مجاهدتک والذی الیک مشاهدتک ویقال احسان الزاهدین
ترک الدنیا رفض الهوی واحسان العارفین قطع المنی واحسان الموحدین
التخلی عن الدنیا والعقبی والاکتفاء بوجود المولی ویقال احسان ارباب البدایة
صدق الطلب واحسان اصحاب النهایة حفظ الادب فشرط الطلب
ان لا یبقی میسورا الا بذلته وشرط الادب ان لا یسمو ولا یبدو لک شیء الا قطعته
وترکته ویقال للزاهد عشر امثالها من حیث الجزاء وذلک بوعد وللعارف
آلاف آلاف امثالها من حیث اللقاء وذلک بنقد ویقال للزهاد والعباد
واصحاب الاوراد وارباب الاجتهاد جزاء محصور محدود ولاهل العرفان والایقان
محصول غیر مقطوع ولا ممنوع ولا معدود وفی نفائس العرائس اصل الحسنة
اخلاص العبودیة عند ظهور الربوبیة لما ورد من ان الاحسان ان تعبد الله
کانک تراه ومن جاء بالسیئة فلا یجزی الا مثلها لا تضاعف علیها عدلا وهم
لا یظلمون بنقص ثواب او زیادة عقاب اصلا وقال الاستاذ یعنی بالکیل علیه
بالکیل الذی یکیل فیما اوفی ویوقف حیث رضی لنفسه ان یکون له موقفا قل اننی
هدانی ربی ای ارشاده وهداه الی صراط مستقیم یوصلنی الی رضاه ویقطعنی
عما سواه دینا ای اعنی دینا عظیما قیما ای قویما ومن الاعوجاج سلیما وهو

فیعل

فیعل من قام کسید من ساد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والکسائی بکسر ففتح
مخفف علی انه مصدر نعت به ملة ابراهیم عطف بیان لدینا لما فیه من التلویح
الی زیادة التوضیح حنیفا حال من ابراهیم ای مائلا الی الصواب الصریح وما کان
من المشرکین کما یقوله المشرکون فان الشرک لظلم قبیح والدین من حیث الانقیاد
والجزاء فی المعاد یسمی دینا ومن حیث انه یبین وعلی الخلق ومن حیث انه یرده
المتعطشون الی زلال الکمال شرعة وشریعة فهی الفاظ متقاربة ومعان متناسبة
وافاد الاستاذ ان الصراط المستقیم ان لا تری من دونه منشئا لا بذره ولا شیئه
والدین القیم ما لا تمثیل فیه ولا تعطیل ولا نفی للفرق الذی یشیر الی العبودیة ولا رد
للجمع الذی هو شهود الربوبیة والحنیف المائل الی الحق الزائغ عن الباطل
الحائد عن ضد الحقیقة الی جادة الطریقة فمن سلک الی المخلوق سبیلا او ابرم
فیهم تأمیلا او قدم علیهم تعویلا فقد استشعر تسویلا وتجرع تضلیلا قل ان صلاتی
ونسکی عبادتی او قربانی وذبیحتی او حجی وعمرتی ومحیای ومماتی ای وما انا علیه
فی حیاتی وموتی من ایمانی وطاعتی وجمیع حالاتی او حیاتی وموتی بانفسهما
مع ما یضاف الی حالهما لله رب العالمین ای خالص له وهو خالقه ومالکه
لا شریک له ای فی خلقه وملکه وبذلک الاخلاص الذی هو طریق الخلاص
امرت فی مقام الاختصاص وانا اول المسلمین من هذه الامة او من مطلق
البریة لانه اول من قال بلی فی یوم المیثاق ووقت الابتلاء بل کان نبیا وآدم
بین الماء والطین وفی تفسیر السلمی اسلمت بتصاریف قدرته متبریا من حولی
وقوتی فی طاعته وافاد الاستاذ ان من کوشف بحقایق التوحید ودقایق
التفرید شهد ان القائم علیه والمجری الیه والممسک لدیه والمنقل له من وصف
الی وصف واحد لا یشارکه قسیم وماجد لا یضارعه ندیم ویقال من علم انه بالله
علم انه لله فاذا علم نفسه لله لم یبق فیه نصیب لغیر الله فهو مستسلم لحکم الله
غیر معترض علی تقدیر الله ولا معارض لاختیار الله ولا معارض عن اعتناق
امر الله قل اغیر الله ابغی ربا فاشرکه فی عبادتی او اجعله الها وهو رب کل شیء
ای موجده بالکرم من کتم العدم الی میدان الوجود لاظهار الجود وقال الاستاذ کیف
اوثر علیه بدلا وانی لاحد عن حکمه حولا وکیف اول لغیرا وصدا او شریکا او ندا
بدونه من معبود او لغیره من مقصود وان لاحظت یمنة ما شاهدت الا ملکه وان
طالعت یسرة ما عاینت الا ملکه بل ان نظرت یمنة وجدت عندی یمنة وان نظرت
یسرة وجدت تحتی یسرة ولا تکسب کل نفس الا علیها لا یتجاوزها اثمها الی
غیرها ولا تزر وازرة وزر اخری باختیارها ثم الی ربکم مرجعکم فی معاشکم
ومعادکم فینبئکم بما کنتم فیه تختلفون فی اعمالکم واعتقادکم وهو الذی جعلکم

جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في الارض تتصرفون
فيها بامره ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى بحسب قضائه
وقدره ليبلوكم فيما اتاكم ليختبركم فيما اعطاكم من المال والجاه فيمتحن الغني من جهة
شكره والفقير من جهة صبره قال السلمي قيل يخلف الولي ولي والصديق صديق
ويرفع درجات البعض على البعض لئلا تخلوا الارض من حجة الله وقيل رفع
بعضهم فوق بعض درجات ليقتدي الادنى بالاعلى ويتبع المريد درجة المراد ليصل
اليه ان اراد خالق العباد ان ربك سريع العقاب لمن عصاه وخالف امره من
ارتضاه فان ما هو آت قريب عذاب الله او لانه سريع اذا اراده وقضاه وانه لغفور رحيم
لمن اطاع مولاه ولم يلتفت الى ما سواه وافاد الاستاد انه سبحانه صير التوبة
الكيم وقصر حكم عصركم عليكم فانتم المقصودون اليوم دون من سواكم ثم انه جعلكم
اصنافا وخلقكم اخيافا ومن كم منظر ومسخر له ومن مرفه مروح التعب لاجله لتنير
ومن معن وذي مشقة ادير على رأسه رحى البلاء ليختبركم فيما اتيكم ويمتحنكم
في ما اعطيكم ان حسابه لكم لاحق وحكمه فيكم سابق وفي نفائس العرائس درجة بعضهم
المعاملات ودرجة بعضهم الحالات ودرجة بعضهم المقامات ودرجة بعضهم المكاشفات
ودرجة بعضهم المشاهدات ودرجة بعضهم الفراسات ودرجة بعضهم الكرامات ودرجة
بعضهم المواجيد والواردات ودرجة بعضهم الحكايات ودرجة بعضهم اللدنيات ودرجة
بعضهم المعرفة ودرجة بعضهم التوحيد ودرجة بعضهم التلوين ودرجة بعضهم التمكين ودرجة
بعضهم اليقين ودرجة بعضهم الفناء ودرجة بعضهم البقاء ودرجة بعضهم الحيرة ودرجة
بعضهم السكر ودرجة بعضهم الصحو ودرجة بعضهم المحو وما فوق ذلك الا رسوم مندرسة
وطرق منطمسة لان هناك ظهور كنه القدم ولا يبقى مع القدم العدم ابتلاهم بهذه
المقامات لفناء علة الحدث في القدم فمن خرج بنعت الربوبية منها وتدعى بها
يضرب ويقتل ويصلب ويحرق كما فعل بالحسين ابن منصور روح الله روحه ومن خرج
منها بنعت العبودية ويبقى بنعت الاستقامة كالنبي صلى الله عليه وسلم حيث قال
انا العبد لا اله الا الله عصمه من فورة السكر وغلبة خطراتها في اثناء الطريق وهو قوله
ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم في المآب

سورة الاعراف

بسم الله الرحمن الرحيم افاد الاستاد ان الباء مكسورة في نفسها وعملها الخفض
لما يليها وهي صغيرة القامة ونقطتها التي بها تتميز عن غيرها واحد وهو نهاية القلة
ثم موضع هذه النقطة اسفلها فهي مشيرة الى التواضع والخضوع والمسكنة في الذات
والهيئة والسين من اسم الله ساكن فالاشارة من الباء ان لا تذر في الخضوع
والتذلل والجهد والتوسل ميسورا ثم يسكن للتقدير منتظرا مأمورا فان من بالقبول
بفضله فذلك المأمول وان رد بحكمه فله الحكم متوافق لتقديره بالموافقة في الرضاء به

اذ الميم

اذ الميم تشير الى المنة ان شاء ثم الى موافقتك لتقديره بالرضاء به اذا لم يشاء
ويقال الباء تشير الى بيان قلوب الحقايق بلطائف المكاشفات مما خصهم
الحق سبحانه بذلك من دون الحق فهم على بيان مما يخفى على الخلق ببرهان فالغيب لهم
كشف والخبر لهم عيان وما للناس علم فلهم وجود وحكم والسين يشير
الى سرور القلب عند توسيات البسط بما يهيتهم فيه من وجود المناغات
وصنوف لطايف المناجاة فهم في جنات ونعيم وعيش بسيط وتكريم ودوام
روح مقيم والميم يشير الى محبة الحق سبحانه لهم بدئا فانها هي الموجبة
لمحابهم اذ عنها صدر كل حب فبمحبته لهم احبوه وبقصده اليهم
طلبوه وبارادته لهم ارادوه ويقال نزهة اسرار الموحدين في الاباحة بعزة
البسملة فمن حل بتلك الساحة حصل له الراحة ورتع في حدائق القدس
واستروح الى نسيم الانس ويقال قالة بسم الله ربيع المحبة وازهارها لطائف
الوصلة وانوارها زوائد القربة قلت واسرارها موائد المعرفة المص
اي انا الله اعلم واصدق في قول الحق قال الحسين الالف الف المألوف
واللام لام الآلاء والميم ميم الملك والصاد صاد الصدق وقال في القرآن
علم كل شيء وعلم القرآن في الاحرف التي في اوائل السور وعلم الحروف
في لام الف وعلم لام الف في الالف وعلم الالف في النقطة وعلم
النقطة في المعرفة الاصلية وعلم المعرفة الاصلية في علم الازل وعلم الازل
في المشية وعلم المشية في غيب الهو وغيب الهو ليس كمثله شيء وقال ايضا
الالف الف الازل واللام لام الابد والميم ما بينهما من الامد والصاد
اتصال من اتصل به وانفصال من انفصل عنه وفي الحقيقة لا اتصال
ولا انفصال ولا اتحاد ولا حلول وهذه الفاظ تجري على حسب العادات
ومعادن الحق مصونة عن الالفاظ والعبارات كذا في دقايق الحقايق
وافاد الاستاد ان هذه الحروف من المتشابهة في القرآن على طريق من
السلف فالحق سبحانه مستأثر بعلمه دون خلقه وعلى طريقة قوم فلها
معاني تعرف وفيها اشارات الى اشياء توصف فالالف تشير الى
الفة الارواح وسكونها في دار الغربة الى اشكالها فان الغريب للغريب
نسيب ولولا الاشتراك في الغربة لما وقع بين الاشخاص في هذه الدار نوع من
الالف ثم الشكلية تجمعهم فاذا كانت الارواح المعطرة اصابت الشكلية
فهي في التحقيق في ذلك المعنى كالمتحدة ثمة تقع الالفة بين المتشاكلة
ولاجل اتحاد المقصود يتفق القاصد يقال الف من عرف وتلف من
وقف والف عن حدث غيره من الف ويقال الالف تجرد من قصده

عن كل غير فلم يتصل بشيء وحين استغنى عن كل شيء اتصل به كل شيء على
جهة الاحتياج اليه ويقال صورة اللام كصورة الالف ولكن لما اتصلت
بالحروف تعاقبها الحركات كسائر الحروف فمرة اصبحت مفتوحة ومرة اصبحت
مكسورة ومرة مرفوعة واما الالف التي هي بعيدة عن الاتصال بالعلاقات
فباقية على وصف التجرد عن تعاقب الحركات فهي على سكونها الاصلي واما الصاد
فتشير الى صدق احوال المستانسين في الصدق ويقال الصاد تنذر بمحنة الصد
وهو بلاء اهل الود لان امارة الصدق في المحبة ان لا يزيد بالمنحة ولا ينقص بالمحنة
كتاب اي هذا او هو كتاب جامع لكل باب انزل اليك من بين الاحباب
فلا يكن في صدرك حرج منه ضيق وقبض من تبليغه الى الاصحاب لتنذر به
الكافرين والمتحيرين وذكرى للمؤمنين اي وتذكر ذكرى للموقنين وافاد الاستاذ
ان كتاب الاحباب تحفة الوقت وشفاء عما يقاسيه من البعد ويهم المقت
اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم من اوامره ونواهيه ومتابعة السنة مستفاد من الآية
وهي قوله وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولا تتبعوا من دونه
اي من غير ربكم اولياء من الجن والانس فيضلوكم وقرئ ولا تبتغوا اي تطلبوا
سواه وقال الاستاذ استسلموا لمطالبات التقدير وقفوا حيث وقفتم
وتحققوا بما عرفتم وطالعوا ما به كوشفتم ولا تلاحظوا غيرا ولا تركنوا الى علة ولا
تظنوا ان لكم من دونه وسيلة قليلا ما تذكرون اي تتعظون اتعاظا قليلا
او زمانا يسيرا وما مزيدة لتاكيد القلة وقرأ حفص وحمزة والكسائي تذكرون
بحذف احدى التائين وابن عامر يتذكرون بالغيبة على ان الخطاب بعد مع صاحب
النبوة والباقون غير ابن عامر بادغام التاء في الذال المعجمة وكم من قرية اي وكثير
من اهل القرى اهلكناها بالعذاب لمخالفة رسلها او اردنا اهلاك اهلها لقوله
فجاءها اي فجاء اهلها فجاءة باسنا عذابنا بالشدة بياتا اي بائتين ليلا
كقوم لوط وهو مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطفا عليه اي قائلين نصف
النهار كقوم شعيب وهو ماخوذ من القيلولة وكلا الوقتين وقت الغفلة والاستراحة
فالعذاب فيهما افظع واوقع في الشدة وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم
من العقوبة فما كان دعويهم اي دعاؤهم واستغاثتهم او ادعاؤهم من ديانتهم اذ جاءهم
باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم واستحقاق العذاب بفعلهم
وتحسرهم حين لا ينفعهم وقال الاستاذ يعني كم من قرية ركنوا الى الغفلة واغتروا
بطول المهلة فباتوا في خفض الدعة واصبحوا وقد صادفتهم البلاء بغتة وادركتهم
القضية فجاءة فلا بلاء كشف عنهم ولا دعاء سمع لهم ولا فرار نفعهم ولا صريخ
انقذهم فما زالوا يقرعون الى الابتهال ويصيحون بالويل ويدعون

الى كشف

الى كشف الضر ويكون على مس السوء حتى بادوا فكان لا عين ولا اثر ولا لاحد منهم خبر
فتلك سنة الله في الذين خلوا من الكافرين وعادته في الماضين من المارقين فلنسئلن
الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابة اهل النبوة ولنسئلن المرسلين عما
اجيبوا به في تلك الحالة والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريع الفجرة كما ان المقصود
من السؤال الاول تشريف ارباب الرسالة وتقريب اصحاب النبوة وقال الاستاذ
فلنسئلن الذين ارسل اليهم عن القبول فيفتضحون بذل الخجالة ولنسئلن
المرسلين عن البلاغ فيتكلمون ببيان الهيبة فالكل بسمة العبودية من اهل
التقصير والتوفير للحق تعالى بنعت الكبرياء والتعزز في التقدير فلنقصن
عليهم اي على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه من عمل قليل او جليل لديهم
بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلوماتنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى
علينا شيء من احوالهم قال ابن عطاء في حال عدمهم ووجودهم وقال
الاستاذ فلنخبرنهم يوم الحشر تفصيل ما هم عليه اليوم عملوه ونوقفهم على ما سلفوه
ونقيمنهم في مقام صغارهم ومحل خزيهم فليما ندموا وسيعلمون انه لم يشذ
عن علمنا صغير ولا كبير ما عملوه وجهلوه ويقال اجرى الحق سنة تخويف
العباد بعلمه مرة كما يخوفهم بعقوبته تارة فقال تعالى واتقوا يوما اي العذاب
الواقع في ذلك اليوم وقال في موضع ويحذركم الله نفسه وهذا ابلغ في التخويف
وقال الم يعلم بان الله يرى والوزن اي وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء
او القضاء يومئذ اي يوم السؤال وهو خبر مبتدا الذي هو الوزن وقوله
الحق صفته اي العدل السوي والاظهر انه هو الخبر ومعناه الثابت الصدق
وما قبله ظرف له ومتعلق به والجمهور على ان صحايف الاعمال توزن بميزان له
لسان وكفتان ينظر اليه الخلايق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم
عن اعمالهم مع علمه بتفاصيل احوالهم فتعترف السنتهم وتشهد بها جوارحهم
وقيل يوزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه ليأتي العظيم السمين يوم القيامة
لا يزن عند الله جناح بعوضة لكن الظاهر المتبادر انه ليس له قدر ومنزلة عنده
سبحانه لا انه يوزن له وقيل توزن الاعمال بنفسها مع كونها اعراضا بايجادها
وتقليبها اجساما فمن ثقلت موازينه اي حسناته او اعماله او ما يوزن به
افعاله وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات او تعداد الوزنات فهو جمع موزون
او ميزان فاولئك الذين خسروا هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب
ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم باقتراف ما عرضوها
للعقاب بما كانوا باياتنا يظلمون بسبب تكذيبهم بالكتاب وظلمهم على
انفسهم بانكار الحساب قال الاستاذ يوزن اعمالهم بميزان الاخلاص واحوالهم

بميزان الصدق فمن كانت اعماله بالريآء مصحوبة لم تقبل اعماله ومن كانت احواله
بالاعجاب مشوبة لم ترفع احواله وفی دقایق الحقایق للسلمی من وزن نفسه بميزان
العدل كان من المحبين ومن وزن خطراته وانفاسه بميزان الحق الكنى بمشاهدة
والموازين مختلفة ميزان للنفس والروح وميزان للقلب والعقل وميزان للمعرفة
والسر فميزان النفس والروح الامر والنهی وكفتاه الكتاب والسنة وميزان
العقل والقلب الثواب والعقاب وكفتاه الوعد والوعيد وميزان المعرفة
والسر الرضآء والسخط وكفتاه الهرب والطلب وفی نفائس العرائس
للحق سبحانه موازين يزن بها الاعمال والاحوال فيزن بميزان الاخلاص المعاملات
ويزن بميزان الصدق الحالات فكل عمل برؤية الاغراض والاعواض ورؤية
العمل والالتفات فيه الى غير الله فهو ساقط عن محل القبول وكل حالة صاحبها
يعجب بها فهى ساقطة عن درجة الوصول فالثبات ميزان المعاملات والصدق
ميزان الحالات ثم ههنا يزن نفسه بميزان الرياضات والمجاهدات ويزن
قلبه بميزان المراقبات ويزن عقله بميزان الاعتبارات ويزن روحه بميزان
المقامات ويزن سره بميزان المحاضرات ومطالعة الغيبيات ويزن صورته
بميزان المعاملات الذى كفتاه الحقيقة والطريقة ولسانه الشريعة وعموده
العدل والانصاف يوزن نفسه يوم القيمة بميزان الشرف ويوزن قلبه بميزان
اللطف ويوزن عقله بميزان النور ويوزن روحه بميزان السرور ويوزن سره
بميزان الوصول ويوزن صورته بميزان القبول فاذا ثقلت موازينه بما ذكرنا فجزاء
نفسه الامن من الفراق وجزاء قلبه مشاهدة الشوق فی الاشواق وجزاء عقله مطالعة
الصفات وجزاء روحه كشف انوار الذات وجزاء سره ادراك اسرار القدميات
وجزاء صورته الجلوس فی مجالس وصال الابديات وافهم يا صاحبى ان حكمة وزن
الاعمال يوم القيامة للعباد ان الله يبين لهم ما كان مكتوبا فی اللوح المحفوظ
قبل الخلق ما يجرى عليهم من القضآء والقدر والرضاء والسخط والشقاوة والسعادة
مقابلة بما جرى عليهم فی الدنيا الذی فی اوراق الحساب التی فی ايدى الملائكة
ليزيدهم برهانا وعيانا وعلما بعلمه المحيط على كل شئ وليكون حجة عليهم فی اخراج
اعمالهم على وفق ما كان مكتوبا عليهم وافهم يا صاحبى ان الاعمال اعراض كيف
تكون موزونة ليس هذا فی علم الخلق بل ان ميزانه الحقيقى رده وقبوله وهو قادر
ان يخرج الاعراض بصور الجواهر فيزن بميزانه الذى يظهره لهم يوم القيمة وذلك
على لسان الشرع يوجب الايمان به قال ابن عباس يوزن الحسنات والسيئات
فی ميزان له لسان وكفتان فاما المؤمن فيؤتى بعمله فی احسن صورة فيوضع فی كفة
الميزان فتثقل حسناته على سيئاته فيوضع عمله فی الجنة فيعرفها بعمله فذلك قوله

فمن ثقلت

فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون وهم اعرف بمنازلهم فی الجنة اذا
انصرفوا اليها من اهل الجمعة اذا انصرفوا الى منازلهم واما الكفار فيؤتى باعمالهم
فی اقبح صورة فيوضع فی كفة الميزان وهی الباطل فيخف وزنه حتى يوضع فی
النار ثم يقال للكافر الحق بعملك ولقد مكناكم فی الارض بان سكنتم بها وتصرفتم
فيها وفی نفائس العرائس من الله على عباده تمكينهم فی الارض بنعت تسهيل
عبادته لهم حيث يسر لهم عبودية بقدرة جبلتها فيهم بعد ان كلفهم ذلك
وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة اى اسبابا تعيشون بها وفی العرائس
جعل فيها لابدانهم معايش الغذاء ولقلوبهم معايش الذكر ولعقولهم
معايش الفكر ولارواحهم روح رؤية ظهور جلاله فی ملكوت الارض من
كل زهرة وخضرة لعرفان المنعم القديم بنعت عجزهم فی شكره قليلا ما تشكرون
ما زائدة لمبالغة القلة اى تشكرون شكرا قليلا ويسيرا فيما انعمت عليكم
جليلا كثيرا وهو لا بما فی قوله سبحانه وقليل من عبادى الشكور اى كثير الشكر
فان شكره مع كثرته قليل فی مقابلة نعمته لقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها اى لا تقدروا على احصائها فضلا عن القيام بشكرها ولذا قال
بعض العارفين العجز عن الشكر هو الشكر كما قال بعضهم العجز عن درك
الادراك ادراك ولقد خلقناكم ثم صورناكم اى خلقنا اباكم آدم طينا
غير مصور ثم صورناه فنزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او
خلقناكم يا بنى آدم فی اصلاب الرجال ثم صورناكم فی ارحام الامهات
او صورناكم فی ظهر آدم او يوم الميثاق حين اخرجكم كالذر فيهم للتراخی
فی الاخبار ومن العرائس خلقنا اشباحكم جمعا فی آدم ثم صورناكم فی
حوا او خلقناكم هياكل وصورناكم ارواحا وفی التعرف خلقنا ارواحكم
ثم صورنا اشباحكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن
اى لم يكن فی العالم الموجود او فی علم واجب الوجود من الساجدين اى
مع انه كان من المأمورين سواء كان الاستثناء متصلا او منقطعا وقيل
لم يكن من اهل شهود الصفات ورؤية جلال الذات واقول بل كان من مظاهر
الجلال وقال الاستاذ اى اثبتناكم على النعت الذى اردنا واقمناكم فی النشوة
التی اخترنا فمن قبيح صورته خلقا ومن مليح وسقيم حالته خلقا ثم انا نعرفكم
سابق اياديناالى ابيكم ثم لاحق خلافه بابقى عرف منه فيكم ثم ما عاملنا به
من كان يحسدكم ويناويكم قال ما منعك ان لا تسجد اى ان تسجد كما فی ص
ولا صلة مؤكدة معنى الذى دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك
السجود والاظهر فی مقام التحقيق وبيان التدقيق ما قيل انه الممنوع عن الشئ

مضطر الی خلافه فکانه قیل ما احوجک الی عدم السجدة وما حملک علی ترکها اذ امرتک
بها وفیه دلیل علی ان مطلق الامر للوجوب علی الفور وقال الاستاد لولا قهر الربوبیة
جری علیک والا فما موجب امتناعک عن سجود آدم علیه السلام لو کنت تعظم امری
فلیتحقق الموحدون ان موجب امتناعه عن السجود الخذلان لان الحاصل ولو ساعة
التوفیق لم یبرح بعد من السجود انتهی وقد قال ندیم الباری الشیخ عبد الله الانصاری
الٰهی قلت لآدم لا تأکل واطعمته وقلت لابلیس اسجد ومنعته قلت فالامر کله
لله ولا حول ولا قوة الا بالله وقال العارف البقلی ادخل عشاق المحبة من
الملائکة فی مقام المحنة لکنه تجلی لهم بنور جماله وکماله فی آدم فسجدوا ولم یسجد
ابلیس لانه کان محجوبا من ذلک الجمال بنظره الی نفسه وقیاسه لجهله وکذا من نظر
من الحق الی النفس احتجب بها عن حضرة القدس قال انا خیر منه جواب من
حیث المعنی یعلم منه المانع فی المبنی واستانف استبعادا لان یکون مثله
مأمورا بالسجود لمثله کانه قال المانع انی خیر منه ولا یحسن للفاضل ان یسجد للمفضول
فکیف یحسن ان یؤمر به فهو الذی سن التکبر وقال بالحسن والقبح العقلیین
اولا حیث قابل النص بالمعقول وقد اخطأ برأیه فی قیاسه واستدلاله حیث
قال خلقتنی من نار وخلقته من طین والنار الطف والنور فان من الطین الحلم
والوقار والرزانة والصبر وهو محل النبات والنمو ومن النار الاهلاک والطیش
والسرعة والدفع ومع هذا غلط فی نظره ایضا بان رأی الفضل کله باعتبار
العنصر وغفل عما یکون باعتبار الامر وذهب عنه ان مظهر الجمال افضل من مظهر
الجلال لقوله سبحانه فی الحدیث القدسی والکلام الانسی سبقت رحمتی غضبی
وفی روایة غلبت وافاد الاستاد انه ادعی الخیریة فکان الواجب علیه
لولا الشقوة ان یؤثر التذلل علی التکبر لاسیما والخطاب الوارد علیه من الحقیقة
ثم انه وان سلک طریق القیاس فلا وجه له مع النص فلو لم یخطأ فی قیاسه
لم یزد فی استحقاق محوه ونفیه لانه ادعی الخیریة بجوهره ولم یعلم ان الخیریة بحکم
سبحانه وقسمه وقال ابو حفص عرف الله سبحانه الملائکة استغناءه عن عبادتهم
فقال اسجدوا لآدم ولو کان سجودهم یزن عنده مثقال ذرة لما امرهم بذلک
ولا صرف وجوههم الی آدم فان سجود الملائکة وسجود جمیع الخلق لا یزید فی ملکه لانه
عزیز قبل ان یخلقهم وعزیز بعد ان یفنیهم وعزیز حین یجمعهم وله العزة جمیعا ثم عیّر
ابلیس بامتناعه عن السجود لآدم وقلة عرفانه بشرفه حیث قال ما منعک ان لا تسجد
اذ امرتک ای ای شیء یمنعک من متابعة امری ولم یبق فی البین ای یمنعک من ذلک
قهر سابق منی علیک وخذلان وارد فی المشیئة متوجه الیک والآن الحدثان
بامتناعهما عن متابعة امری ولیس لهما قدرة ولا مشیئة وکلها عاجزة فی قبضة

فهی

فهی من سبق له الشقاء من العباد لا یسبق بالمراد وان کان جمیع عبادة
الثقلین مصحوبة معه فی استیاقه الی الحضرة وقال الواسطی من استصحب کل
نسک فی الدنیا والآخرة وللجهل وطنه والاعتراض عرضه والبعد من الله سببه
لا تقرب منه لان العبادات تنقطع عن الرعایات ورؤیة النسک آیة الاعمال
والنفوس ولا [illegible] علی انه اشد من طالع نفسه بعین الرضا فلما کلم الله ابلیس
بکلام التعبیر وقهر السلطنة ابدی من خطابه قدره فی الجواب لولا الباس الحق ایاه لکان
مبهوتا عند وارد قهر الخطاب علیه ولم یطق بجواب الامر ولکن اجابه اجبارا لا اختیارا
وذلک قوله انا خیر منه خلقتنی من نار وخلقته من طین لما رای الملعون لباس قهر
الخطاب علیه لا یفوته انا ولولا ذلک لما قال انا واین انانیته وکان هباء فی انانیة
الحق ونظر الملعون الی جوهر النار الصادر من قهر القدم فانتسب الی قهر القدم وقال
انا خیر منه ولم ینظر بنظر المعرفة الی الطین الذی صدر من لطف القدم والرحمة الازلیة
فالنار من غضبه والطین من رحمته والرحمة سابقة علی الغضب للحدیث
القدسی سبقت رحمتی غضبی فنظر الی صفة واحدة ولم ینظر الی صفة اخری
واحتجب بالصفة عن الصفة فقال انا خیر منه ولو رای مصدر جمیع الصفات
لذاب تحت رؤیة الکبریاء وانوار العظمة ولم یکن بعد فنائه ابدا الا ان من عرف
وصف القدم صار عدما فی القدم واین النار من الطین الذی هو معیض فیض
الطاف العزة مخلوق بید الصفة الخاصة بقوله خلقت بیدی ومسقط الارواح
التی صدرت من تجلی القدس بقوله ونفخت فیه من روحی وذلک محل التواضع
والعبودیة الخالصة ومنبت اجسام الانبیاء والرسل والاولیاء والصدیقین
ومنبت اغذیة الخلائق ومرجع الکل وهو موثقة الاجسام والارواح فی العالم
لیخرج منه سنابک القدس بمجالس الانس والنار عذاب قهره یجازی بها من خلقه
ناریا کابلیس وجنوده قال فاهبط منها من الجنة او السماء او منزلتک او
هیئتک فما یکون ای ما یستقیم ویصح لک ان تتکبر فیها وتعصی بها فانها مکان
الخاشع الخاضع ومنزلة الطائع المتواضع فاخرج انک من الصاغرین ای الاذلاء
المهانین لما فی الحدیث من تواضع رفعه الله ومن تکبر وضعه الله قال الاستاد
ای فارق بساط القربة فان التکبر والترفع علی البساط ترک الادب فی مقام
الانبساط وترک الآداب یوجب الطرد عن الباب ویقال من رأی لنفسه محلا
وقیمة فهو متکبر والمتکبر بعید من الحق سبحانه ورؤیة المقام قدح فی الربوبیة
اذ لا قدر لغیره تعالی فمن ادعی لنفسه محلا فقد نازع الربوبیة وفارق العبودیة
قال انظرنی الی یوم یبعثون ای امهلنی الی یوم القیمة ووقت بعثة البریة فضمیر
یبعثون عائد علی ما دل علیه المعنی اذ لیس ما یعود الیه شیء فی المبنی ولا یبعد ان یراد به

آدم وذريته بل هو الظاهر لما سيأتي من ضمير لاقعدن لهم قال انك من المنظرين اى الى يوم
الوقت المعلوم كان آية اخرى وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه وفي اسعافه
اليه ابتلاء للعباد وتعريضهم للثواب بمخالفته في المعاد وافاد الاستاذ ان الملك
المتعال اجاب دعاءه في الحال لكن كان ذلك مكرا به لانه مكنه من مخالفة امره الى يوم
القيمة فلم يزدد بذلك التمكين الا شقوة على شقوة ليعلم الكافة انه ليس كل اجابة
الدعوة نعمة ولطفا بل يكون بلاء ومكرا قلت ولهذا قال بعض العارفين لو كان نظر
عناية سبحانه اليه لقال في سؤاله لديه انظرني ولم يقل انظرني وفي الحديث اللهم
احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واجعل الحيوة زيادة
لي في كل خير واجعل الموت راحة لي في كل شر قال فبما اغويتني اى بعد ما امهلتني
فاقسم بسبب اغوائك اياي بواسطتهم لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني
فيهم وهذا معنى قوله لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك
المستقيم اى في طريق القويم او على سبيلك القديم وافاد الاستاذ انه جاهر
الحقيقة بالخلاف بعد ما اظهر من نفسه الخلوص في العبودية فعلم ان جميع ما كان عنه
في سالف حاله لم يصدر عن اخلاص وصدق وفي العرائس ههنا قسم اى بارادتك
السابقة في اغوائك اياي لاقعدن لهم صراطك المستقيم كما قال فبعزتك
اى بما البستني لباس قهرك في الازل اقدر ان اقعد في طريقهم المستقيم والا فلا
اقدر ان امر لهم في وراء العالم اى بقوة قهرك اوسوس في صدورهم التي هي
طريقك المستقيم الذي يسلك فيه عساكر انوار تجليك وفي قوله لهم نكتة عجيبة
اى لاقعدن لهم لا عليهم فان وسوستي لهم تزيد تنفرهم عنا خناسي عن
صدورهم ببعث اياهم على الظفر بهم ويتضرع هنالك ايمانهم وايقانهم
عن نعوت الاضطراب وطوارق علة الوساوس وغبار الشرك الا ترى
الى قوله عليه السلام حين شكاه الصحابة بما وجدوا في صدورهم من الوسوسة فاستبشر
عليه السلام بقوله ذلك صريح الايمان وقال محمد بن عيسى الهاشمي لو نجا ابليس بشيء
لنجا برؤية القدرة عليه والاقرار على نفسه بقوله رب بما اغويتني وقال بعضهم
ابليس اعقل من المعتزلي حيث قال رب بما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم
ثم لآتينهم من بين ايديهم اى من قبل آخرتهم فاشككهم فيها ومن خلفهم
اى من قبل دنياهم فازين لهم اعمالهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم
وسيئاتهم ولم يقل من فوقهم لان رحمة الله تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان
منه فيه توحش وهو لا يريد الا اغترارهم لا توحشهم وفرارهم وهذا التفسير ماثور عن
ابن عباس رض وعدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما يتوجه اليهم والى
الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم وافاد الاستاذ

انه اخبر

انه اخبر بانه ياخذ عليهم جوانبهم ويتسلط عليهم من جميع جهاتهم ولم يعلم ان الحق سبحانه
قادر على حفظهم عنه فان ما يكيدهم من القدرة يحصل وبالمشية يوجد ولو كان الامر به
او اليه لكان اولى الخلق بان يؤثر فيه كدحه نفسه فحيث لم ينفعه جده في سالف احواله لم يضرهم
كيده بما توعدهم به من سوء افعاله وهي نفائس العرائس من بين ايديهم من جهة النفس
والهوى ومن خلفهم من جهة الشهوة والمنى وعن ايمانهم من طريق الدعوى وعن شمائلهم
من طريق اظهارهم الشكوى في البلوى او من بين ايديهم من طريق الطاعات ومن خلفهم
من طريق رؤية الاعواض وعن ايمانهم من طريق العلم وعن شمائلهم من طريق الجهل او من
بين ايديهم من طريق القلب ومن خلفهم من طريق العقل وعن ايمانهم من طريق الروح
وعن شمائلهم من طريق النفس ولم يذكر الفوق والتحت لان التحت موضع الفناء
في العبودية عند السجود الذي يوجب القربة وذلك السجود شهود والشهود محل
رعاية الحق ولا يقدر ان يمر على باب رعايته احد دونه والفوق محل الكشف ومشاهدة
وارد التجلي وظهور سبحات وجه القدم ولو دنا منه جميع الشياطين من الثرى
الى الثريا بقدر رأس ابرة لاحترقوا في اقل لمحة وقال الشبلي لم يقل من فوقهم ومن
تحتهم لان الفوق نظر الملك الى قلوب العارفين والتحت موضع الساجدين وموضع
نظره وموضع عبادتهم لا يكون الشيطان هناك موضع ولا فيه طريق اقول ولا
يبعد ان يقال لم يقل من فوقهم لان الله سبحانه لم يجعل له استيلاء عليهم واستعلاء
لديهم لقوله سبحانه ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ولم يقل من
تحتهم لتكبره عليهم وانفة لديهم ان يكون من تحتهم وقال ابو عثمان المغربي
ان الشيطان ياتي الانسان من بين يديه بالاماني والكرامات ومن خلفه بالبدع
والضلالات وعن يمينه بالطاعات من غير المراعات ومن يساره بالكفر وسائر
السيئات ولا تجد اكثرهم شاكرين وانما قاله قياسا وظنا لقوله تعالى ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل
سمعه من الملائكة وهم راوا في اللوح المحفوظ قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور
فاخذ بمفهومه وقال بعض العارفين فالاكثر من هلك باطاعته والاقل من ادركته
السعادة فنجا من ضلالته وشقاوته قال اخرج منها مذؤما اى مذموما كما قرئ به
من ذامه اذا ذمه مدحورا مطرودا عن بابه مبعودا عن جنابه وافاد الاستاذ انه سبحانه
اخرجه من درجته ومن حالته ورتبته ونقله الى مقام طرده ولعنته ثم يخلده ابدا في عقوبته
ولا يذيقه ذرة من برد رحمته فاصبح وهو مقدم على الجنة وامسى وهو ابعد من الزمرة
وهذا اثار قهر العزة فاي كبد يسمع هذه القصة ثم لم يلتفت من هذه القصة
لمن تبعك منهم اللام لتوطئة القسم وجوابه الساد مسد جواب الشرط قوله
لاملان جهنم منكم اجمعين اى منك ومنهم فغلب المخاطب لانه رئيسهم وفي مقام

التلبيس ابليسهم ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما اى اكلا رغدا
ولا تقربا هذه الشجرة من بين اشجارها فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا
وهو يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب والثانى هو الاقرب الى الصواب
وقال الاستاذ لما اسكن آدم الجنة خلق معه سبب الفتنة وهو ما اكرمه به من الزوجة
واى نقص كان يكون فى الجنة لو لم يخلق فيها تلك الشجرة التى هى شجرة المحنة لولا ما اقتضى
من سر القسمة فوسوس لهما الشيطان كما سبق فى البقرة والمعنى فعل الوسوسة
لاجلهما او وقع حديث النفس وحكاية الشهوة اليهما وافاد الاستاذ ان نسبة
ما حصل منهما الى الشيطان من امارات العناية لهما حيث كانت الخطيئة منهما
لكنه تعالى قال فوسوس لهما الشيطان ويقال التقى آدم عليه السلام بعد ذلك فقال له
يا شقى وسوست الى وفعلت فقال ابليس يا آدم هب انى كنت ابليس
فلست ممن ابليسى قلت وقد ورد فى حديث اشارة الى هذا المعنى حيث قال
صلى الله عليه وسلم لمن اعدى الاول ليبدى اى ليظهر لهما ما ووري عنهما اى غطى
وستر من سوآتهما عوراتهما بلباس الجنة عليهما وكانا لا يريانها من انفسهما
ولا احدهما من الآخر وقال الاستاذ فيه دلالة على عناية بهما حيث قال ليبدى لهما
فلم يطلع على سوآتهما غيرهما وقال ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة اى قربانها او اكلها
الا ان تكونا اى كراهة ان تصيرا ملكين او تكونا كملكين من الملائكة المقربين
او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او من الدائمين فى الجنة لا يخرجون وانما كانت
رغبتهما فى ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والقوة الزائدة
والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم على آدم عليه السلام فى الجملة
وقال الاستاذ ما نفت انفسهما الى ان تكونا ملكين لا لان رتبة الملائكة كانت اعلى
من رتبة آدم ولكن لانقطاع الشهوات والمنى عنهما ويقال لما طمعا فى الخلود وقعا
فى الجحود ووقعا فى البلاء والعناء ويقال اذا كان الطمع فى الجنة وهى دار الخلد والبقاء
اوجب كل تلك المحن فالطمع فى الدنيا التى هى دار الفناء متى يسلم صاحبه من الفتن
ويقال يحتمل انهما ركنا الى الخلود لا لنصيب انفسهما ولكن لاجل البقاء مع ربهما
وهذا اولى لانه يوجب تنزيه محل النبوة عن المقام الادنى وقيل ساعات الوصال قصيرة
وايام الفراق طويلة فما لبثا فى دار الوصلة الا بعضا من النهار وخلا ضحوة النهار وخرجا
نصف النهار ويقال ان الفراق عين تصيب اهل الوصلة وفى معناه قال قائلهم ان
تكن عين اصابتك فلا زالت العين تصيب الحسنا ويقال حين تم لهما اسباب الوصلة
ووطنا نفوسهما على دوام القربة بدا الفراق من مكامنه فاباد من شملهما ما انتظم كما قيل
حين تم الهوى وقلنا سررنا • وحسبنا من الفراق امنا • بعث البين رسله فى خفاء •
فابادوا من شملنا ما جمعنا ■ وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين اى اقسم لهما انى

من ان صحين لكما وصيغة المقاسمة للمبالغة فهو كقولهم اللهم شاركنا فى دعاء الصالحين
فدليهما اى خدعهما فنزلهما عن علو منزلتهما الى رتبة سافلة لهما بغرور بما غرهما به من القسم
لهما فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كذبا وقد ورد المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم
وافاد الاستاذ ان حسن ظن آدم على الجملة حمله على سكون قلبه الى يمين العدو لانه
لم يخطر بباله ان يكذب فى يمينه بالله ثم لما بان له انه دليهما بغرور تاب الى الله
بصدق الندم واعترف بانه اساء واحترم نعلم انه صدقه فيما قدم فتداركه بجميل العفو
والكرم فلما ذاقا الشجرة اى وجدا طعمها وشرعا فى اكلها وابتدأت لذة شهوتهما
بدت لهما سوآتهما اخذتهما ملامة العقوبة وشآمة المعصية وتساقط عنهما كسوتهما
وظهر لهما عورتهما وافاد الاستاذ انه لم يحصل لهما استيفاء من الاكل بها ولا
ولا استمتاع به للتنفس منها حتى ظهر تباشير العقاب وتنغص الحال من جميع
الابواب وكذا صفة من اثر على الحق سبحانه شيئا يبقى عنه بلا امتناع ولا يكون له بما آثر
امتناع ويقال له لما بدت لهما سوآتهما احتالا فى سترهما وطفقا اخذا وشرعا
يخصفان عليهما من ورق الجنة اى يرقعان ورقة فوق ورقة على سوآتهما من
اوراق اشجار الجنة التى كانت بقربهما قال الاستاذ فبعد ما كانت كسوتهما
حلل الجنة ظلا يستتران بورق الجنة كما قيل لله درهم من فتية بكروا •
مثل الملوك وراحوا كالمساكين ■ وانشدوا الا تعجبوا لمذلتى فانا الذى غبطت
الزمان بمهجتى فاذلتها ثم ان آدم عليه السلام رضى بان يساعده الامكان فى الاستتار
بورقة وكانت الاشجار تتطاول من آدم برفعه وتابى ان يأخذ آدم منها حبة وقبل
ذلك كان يلاحظ الجنة وكان يتيه على الكون باسره فى الجنة فصار كما قيل وكانت
على الايام نفسى عزيزة فلما رأت صبرى على الذل ذلت وكان لا تصل يده الى الاوراق
حين قطعها ليخصفها على نفسه فلو لم تصل يده الى تلك الشجرة التى هى شجرة المحنة لكان
ذلك فى شأنه من المنحة ولكن وصلت يده الى شجرة المحنة ثمة للبلاء والفتنة ولم
تصل يده الى شجرة الستر ابلاغا فى القهر لما خالف الامر وناديهما ربهما قائلا لهما الم انهكما عن
تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين كما قال لكا فى طه يا آدم ان هذا عدو لك
ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها
ولا تضحى والمقصود ان هذا عتاب على مخالفة النهى لهما وتوبيخ على الاغترار بقول العدو
فيهما وقال الاستاذ وكان ما داخلهما من الخجالة اشد من كل عقوبة لو كانت فى الغيبة
عن سماع نداء الحضرة فان الحضور يوجب الهيبة فلما ناديهما بالعتاب حل بهما من الخجل
ما حل فى باب ذلك الجناب وفى معناه انشدوا واخجلنا من وقوفى وسط دارهم
اذ قال لى مغضبا من انت يا رجل قالا ربنا ظلمنا انفسنا بكسب المعصية التى هى
سبب خروج الجنة وقال الحسين الظلم هو الاشتغال عنه بغيره على وجه الغفلة لكونه

وان لم تغفر لنا بقبول التوبة وتحكم الايمان
وترحمنا بالعفو والعصمة ع

من الخاسرين الهالكين في مقام الحسرة وحالة الحيرة وافاد الاستاذ انهما اعترفا بالظلم
جهرا وعرفا الحكم في ذلك سرا فقولهما ربنا ظلمنا انفسنا اعتراف من حيث الشريعة
والعرفان بان المدار على الحكم من حيث الحقيقة فمن لم يعترف بظلم الخلق طوى الشريعة ومن لم
يعرف جريان حكم الحق فقد جحد الحقيقة ثم نطقا بقولهما وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين عن عين الطريقة حيث لم يقولا بظلمنا خسرنا بل قالا فعلنا ما فعلنا وان لم
تغفر لنا خسرنا فبترك غفرانك نخسر لا بارتكاب ظلمنا يعني لان وجود فعلنا كالعدم في جنب
كرم القدم قال اهبطوا الخطاب لآدم وحوا وما اشتملا عليه من البنات والابناء بعضكم
لبعض عدو اي حال كونكم متعادين في مقام البلاء حالة العناء وافاد الاستاذ انه سبحانه
اهبطهم ولكن ابليس اهبط عن رتبته فوقع اللعنة وآدم اهبط عن بقعته فتداركته
الرحمة ويقال لم يخرج آدم عن رتبة الفضيلة وان اخرج عن دار الكرامة ويدل عليه قوله
ثم اجتباه ربه واما ابليس فانه اخرج من الحالة والرتبة ولم ينتعش بعد عن تلك السقطة
ولكم في الارض مستقر اي مقرا وقرار ومتاع اي تمتع بلا مدار الى حين اي حين انقضاء
اجالكم وانتهاء اعمالكم ثم ترجعون الينا وتحاسبون لدينا والعود احمد لمن كان في كان
في حال التجرد وافاد الاستاذ ان آدم عليه السلام لما اخرج من الجنة واسكن ارض المحنة
كلف العمل والسقي والزرع والغرس للمعيشة وكان لا يتجدد حالة الا تجدد بكاؤه
وجبرئيل عليه السلام يأتيه ويقول هذا الذي قيل ذلك ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى
فلم توف قيده وقدر حالك فذق قضا باخلافك وكان يسكن عن الجزع ويقابل الحكم
بالخضوع كما قيل ٭ وجائت الى النفس اول مرة ٭ وزيدت على كرهها فاستقرت ٭ قال فيها
تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يوم القيمة للمجازاة على وجه المعدلة وقراء ابن
ذكوان وحمزة والكسائي بصيغة المعلوم وافاد الاستاذ انه سبحانه اخبر انهم بسبيلهم
في الدنيا اختلاف الاحوال ويتعاقب عليهم تفاوت الاطوار فمن يسر ومن عسر
ومن خير ومن شر ومن حياة ومن موت ومن ظفر ومن فوت يا بني آدم قد انزلنا
عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات الهية واسباب سماوية يواري سوءاتكم
يغطي عوراتكم التي قصد الشيطان ابداءها واحتاج والداكم الى خصف الورق موجب
اخفاءها روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بثياب
عصينا الله فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم تقدمة لذلك وتوطئة لما هنالك حتى
يعلم ان انكشاف العورة اول سيئة اصابت الانسان من الشيطان وانه اغواهم كما اغوى
اباهم وريشا اي ولباسا خاصا مما تجملون به في الاحوال من الريش وهو الجمال والمراد به
ثياب الزينة زيادة على ستر العورة ولباس التقوى اي خشية الله وهو حلل المعنى ذلك
خير لاشتماله على ذلك المبنى وقراء المكي والبصري وعاصم وحمزة برفع لباس على انه
مبتداء خبره جملة ذلك خير ذلك اي ما ذكر من انزال اللباس والريش والتقوى من

آيات الله الدال على فضله ورحمته لعلهم يذكرون يتعظون بموعظته او يعرفون قدر
نعمته وقال الاستاذ سترناكم بالاسباب الظاهرة المنابع ويسرنا لكم ما تدفعون
بها صنوف المضار عنكم بما مكناكم من وجوه المنافع ولباس التقوى ذلك خير
فان لباس الظاهر يقي آفات الدنيا ولباس التقوى يصون عن الآفات التي
توجب سخط المولى فلباس التقوى بجميع اجزاء العبد واعضائه وللنفس لباس
من التقوى وهو بذل الجهد والورع وللقلب لباس من التقوى وهو صدق
القصد بنفي الطمع وللروح لباس وهو ترك العلايق وحذف العوايق وللستر
لباس من التقوى وهو نفي المساكنات والتصاون من الملاحظات ويقال تقوى
العابدين ترك الحرام وتقوى العارفين نفي مساكنة الانام ويقال للعوام وجود التقوى
وللخواص التقوى عن شهود التقوى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يضلنكم
بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما فتنهما فاخرجهما مما كانا
فيه من النعمة والنهي في المبنى للشيطان وفي المعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به
ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من فاعل اخرج والاسناد اليه للتسبب
وافاد الاستاذ ان من اصغى الى وساوس نفسه باستماع الهوى وجد الشكاية
من وساوس الشيطان وهو اجابة النفس فيتناصر الوساوس والهواجس
فتصير خواطر القلب وزواجر العلم مقهورة مغمورة فعن قريبا يستحيل تلك الوساوس
والهواجس صاحبها وينخرط في سلك موافقة الهوى فيسقط في مهواة الذلة فاذا
لم يحصل تدارك بوشك التوبة صارت الحالة قسوة والقلب اذا قسا فارقته الحيوة
وتم له البلاء انه اي الشان او الشيطان يريكم هو وقبيله جنوده من حيث
لا ترونهم تعليل للنهي عن متابعته وتاكيد للتحذير من فتنته فان عدوا يراك
ولا تراه لشدة في مؤنته لا يغلب عليه الا بنصرة الله ومعونته وافاد الاستاذ
انه لا يحصل للعبد احتراس من رؤية الشيطان اياه وهو عنه غائب الا برؤية
العبد الحق سبحانه بقلبه فيستغيث اليه من كيده فيدخله في كنف عنايته
وحصن حمايته فيجد الخلاص من حيلة الشيطان ومكره انا جعلنا الشياطين
اولياء احباء للذين لا يؤمنون لما اوجدنا بينهم من المناسبة والمشاكلة
والآية فذلكة القصة ونخبة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في
القباحة كعبادة الصورة وكشف العورة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله
امرنا بها حيث اعتقدوا ان فعل ابائهم مستند الى امر من الله وشرع لهم
قل ان الله لا يأمر بالفحشاء فلا يجوز فيه تقليد الاباء لان عادته سبحانه جرت
على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الاخلاق والاحوال اتقولون
على الله ما لا تعلمون انكار متضمن للنهي عن الافتراء وعلى ما يترتب عليه من

تقليد الآباء قال الاستاذ استروحوا في التعلل الى سلوكهم نهج اسلافهم ما تمسكوا
بحبل واه فزلت بهم اقدام الغرة ووقعوا في وحدة المحنة قل امر ربي بالقسط بالعدل
وهو التجافي عن طرفي الافراط والتفريط والثبات على التوسيط مما امره به الانبياء
وامر عليه الاصفياء قال الجنيد امر بحفظ السريرة وعلو الهمة وان ترضى بالله عما سواه
وافاد الاستاذ ان القسط العدل ويقع ذلك في حق الله وفي حق الخلق وفي
حق نفسك فالعدل في حق الله الوقوف على حد الامر من غير تقصير في المامور به ولا
اقدام على المنهي عنه ثم ان لا تدخر عنه شيئا مما خولك ثم لا تؤثر عليه شيئا مما ملكك
واما مع الخلق فعلى لسان العلم بذل الانصاف وعلى موجب الفتوة ترك الانتصاف
واما في حق نفسك فادخال العنف عليها وسد ابواب الرخصة بكل وجه اليها والنهوض
على عموم الاحوال في كل نفس لخلافها واقيموا وجوهكم اى توجهوا بذواتكم الى عبادته
مستقيمين غير عادلين عنها الى غيرها عند كل مسجد في وقت كل سجود او مكانه
وهو الصلوة وادعوه اى اعبدوه مخلصين له الدين الطاعة والعبادة فان اليه
مصيركم يوم القيمة ولا تقبل عبادة الا اذا كانت موافقة للشريعة وخالصة عن الرياء
والسمعة قيل الاخلاص دوام المراقبة وملازمة المحاسبة ونسيان الحظوظ في حالة المشاهدة
وافاد الاستاذ ان الاشارة منه الى استدامة المشاهدة في كل حالة وان لا ينساه
لحظة في كل ما يأتيه ويذره ويقدمه ويؤخره كما بدأكم انشأكم ابتداء تعودون اليه انتهاء
او كما بدأكم بايجادكم وانشأكم تعودون الينا بعد موتكم وفناكم فيجازيكم على اعمالكم بحسب
احوالكم وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه في هذا الباب وقيل كما بدأكم حفاة
عراة غرلا تعودون حالا وقيل كما خلقكم مؤمنا وكافرا يعيدكم موقنا ومكابرا ويبينه
قوله فريقا هدى بان وفقهم للايمان والعرفان وفريقا حق عليهم الضلالة ثبت عليهم
العصيان والنكران بمقتضى القضاء السابق والقدر اللاحق قال الثوري يجري
عليكم في الابد كما قضينا عليكم في الازل انهم اى الفريق الثاني فان الفريق الاول
اتخذوا الله وليا اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله فيتبعونهم ويحسبون
انهم مهتدون فيما يتخذونهم وافاد الاستاذ ان من كانت قسمته سبحانه وتعالى
له السعادة كانت فطرته على السعادة ومن كانت فطرته على السعادة كانت حالته
بنعت السعادة ومن كانت حالته بنعت السعادة كانت عاقبته الى السعادة ومن
كانت له القسمة بالعكس فالحالة بالضد قال صلى الله عليه وسلم من كان بحالة
لقى الله بها وجملة العلم بالقضاء والقدر ان يتحقق انه علم ما يكون انه كيف يكون
وكما علم الحادثات انها يكون اراد ان يكون كما علم ان يكون وما علم انه لا يكون مما جاز ان يكون اراد
ان لا يكون وكما اراد ان يكون او لا يكون اخبر انه يكون او لا يكون وعلى الوجه الذي اخبر
وقضى على العبد وقدر فاجرى عليه ما سبق به الحكم وعلى ما قضى عليه حصل العبد على ذلك

الوصف

الوصف يا بني آدم خذوا زينتكم ثيابكم التي تستر عورتكم عند كل مسجد لطواف
او صلوة ومن السنة ان يكون الرجل حالة الصلوة في احسن الهيئة وافاد الاستاد
ان لسان العلم يوجب ستر العورة في الصلوة بهذه الآية وعلى موجب الاشارة زينة
العبد بحضور الحضرة ولزوم السدة واستدامة شهود الحقيقة ويقال زينة نفوس
العابدين آثار السجود وزينة قلوب العارفين انوار الوجود فالعابد على الباب بنعت
العبودية والعارف على البساط بحكم الحرية فشتان بين عبد وبين عبد في القضية
وكلوا واشربوا ما طاب لكم ولا تسرفوا بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام او بتحريم
الحلال وتحليل الحرام وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاءك
خصلتان سرف ومخيلة اى ما دام تعدم ولا تجد فيك الخصلتين اللتين هما السرف
في الاكل والخيلاء في اللبس وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف
آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين المعتدين حده في حلال او حرام
وافاد الاستاد ان الاسراف ما تناولته لك ولو بقدر سمسمة ويقال الاسراف هو
التعدي عن حد الاضطرار فيما يتضمن نصيبا لك او حظا باى وجه كان قل من
حرم زينة الله من الثياب وسائر ما ابيح لكم في كل باب التي اخرج لعباده من النبات
كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع والطيبات
من الرزق المستلذات من الماكل والمشرب وفيه زجر الكفار حيث حرموا على
انفسهم لبس الثياب حالة الطواف والتمتع بالمستلذات ايام الحج ولما لم يتصور
الفعل بدون الفاعل فانكار الفاعل بالكلية انكار الفعل في الجملة وفيه دلالة
على ان الاصل في الاشياء الاباحة قل هي اى الطيبات مخلوقة للذين آمنوا
في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة انما شاركوهم على سبيل التبعية خالصة
يوم القيمة لا يشاركهم غيرهم في النعمة وفيه اشارة ايضا الى نعمتهم في العاقبة
خالصة من كدورات الغصة التي هي واقعة في الدنيا عاجلة ثم خالصة حال مقدرة
وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر او هي خبر هي والظرف متعلق بها ومقدم
عليها كذلك نفصل الآيات اى كتفصيلنا هذا الحكم نبين ساير الاحكام لقوم
يعلمون ان الله هو الذي يحل الحلال ويحرم الحرام او لقوم عالمين غير جاهلين
وافاد الاستاذ ان الاشارة منه الى زينة السرائر فزينة العارفين آثار التوفيق
وزينة النفوس صدور الخدمة وزينة القلوب حفظ الحرمة وزينة الاطراف الخدمة
باستدامة الهيبة والحشمة ويقال زينة اللسان الذكر وزينة القلب الفكر وزينة
الظاهر السجود وزينة الباطن الشهود ويقال زينة النفوس حسن المعاملة من حيث
المجاهدات وزينة القلوب دوام المواصلة من حيث المشاهدات ومعنى قوله قل من حرم
زينة الله ان الله لم يمنع هذه الزينة عمن تعرض لوجدانها فمن تصدى لمطالبتها فهي

مباحة له من غير تأخر ولا قصور لهاثم ارزاق النفوس بحكم افضاله وارزاق القلوب
بموجب قبله ويقال ارزاق اهل دين الالهام بذكرا لله وارزاق العارفين الاكرام
بنسيان ماسواه قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه كالكبائر ما ظهر منها وما بطن
جهرها وسرها والاثم كل ما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص او اريد به الصغائر والبغي
الظلم او الكبر وللمبالغة افرده بالذكر بغير الحق متعلق بالبغي مبني ومؤكد له معنى وان
تشركوا بالله عطف على الفواحش ما لم ينزل به سلطانا حجة وبرهانا ومن المحال ان يكون
البرهان على الاشراك بالله فيكون هذا تهكما على اهل الطغيان واستهزاء باهل العدوان
وتنبيها على تحريم ما لم يدل عليه البرهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون من الشريك والولد
والصاحبة ونحوها من الالحاد في الذات والصفات سبحانه وتعالى عما يصفون وافاد
الاستاذ ان ما ظهر منها الزلة وما بطن الغفلة ويقال فاحشة الخواص تتبع ما لانفسهم
فيه نصيب ولو بذرة او حبة ويقال فاحشة الاحباب الصبر عن المحبوب ويقال
فاحشة قوم ان يلاحظوا غير العين الاستحسان قال قائلهم يا قرة العين سل عيني هل اكتحلت
بمنظر حسن مذ غبت عن عيني ويقال فاحشة قوم ان يبقى لهم قطرة من الدمع لم
يسكبوه لفرقة او يبقى لهم نفس لم يتنفسوا به في حسرة وفي معناه انشدوا
لئن بقيت في العين مني دمعة فاني اذا في العاشقين دخيل ولكل امة اجل مدة
مضروبة لها بداية ونهاية والاجل يطلق على مجموع المدة مرة وعلى آخرها تارة فاذا
جاء اجلهم حان وقتهم او انقرضت مدتهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا
يتأخرون ولا يتقدمون او لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الاهوال او لموقتهم في
تلك الحال انه من طلب المحال وقيل المراد بالاجل اجل العمر فاذا كل امتنع فيه التقدم
عقلا والتأخير نقلا وقيل التقدير لا يستقدمون قبل ذلك فهو معطوف على مجموع
الشرط والجزاء وقال الاستاذ لكل قوم مدة معينة فاذا تناهت تلك المدة زالت
تلك الحالة فنعمة المترفين مدة فاذا زالت فليس بعدها الا الشدة ومحنة المستضعفين
مدة فاذا انقضت تلك المدة زالت تلك الشدة ويقال اذا سقط قرص الشمس
زال سلطان النهار فلا يزداد بعده الا تراكم الظلمة واذا ارتحل عسكر الظلام بطلوع
الفجر فبعد ذلك لم يبق في تعالي النهار تهمة يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم اي من
جنسكم يقصون عليكم بلسانكم آياتي التي فيها الفرائض والاحكام اليكم فمن اتقى
المخالفة واصلح الموافقة فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة لا بوقوع عقاب
ولا بفوت ثواب وافاد الاستاذ ان المعنى اذا اتاكم الرسل فلا تركنوا الى الظن
والتخمين واحملوا الامر على الجد واليقين فانا مع استغنائنا عن الاغيار وتقدسنا
عن المنافع والمضار نطالب بالقليل والكثير ونحاسب على النقير والقطمير والذين
كذبوا بآياتنا اي لم يصدقوها او لم يلتفتوا اليها واستكبروا عنها فتركوا العمل بها

اولئك

اولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون اي دائمون لها وقال
الاستاذ من قابل ربوبيتنا بالجحد وحكمنا بالرد لقي الهوان وقاسى الالام
والاحزان ثم العجز ملجئه الى ان يخضع بعد ان لا ينفع ولا يسمع فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا بان تقول على الله ما لم يقله او كذب بآياته اي كذب ما قاله
اولئك ينالهم يصيبهم نصيبهم حظهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق
والاجال والاعمال والاخلاق والاحوال او مما اثبت لهم في اللوح المحفوظ
من الخير والشر بحسب القضاء والقدر وافاد الاستاذ ان نصيبهم من الكتاب
ما سبق لهم به الحكم على وفق الحكم فمن جرى بسعادته القلم وقع عليه رقم السعادة ومن رقم
بشقاوته الحكم حق عليه علم الشقاوة ويقال من سبق له قسم السعادة فلو وقع في
قولظى تداركته العناية واخرجته الرحمة ومن سبق له قسم الشقاوة فلو نزل الفردوس
تداركته السخطة واخرجته اللعنة حتى اذا جاءتهم رسلنا ملك الموت واعوانه يتوفونهم
يقبضون ارواحهم واخيا بالامانة والجملة حال من الرسل وحتى غاية نيلهم اي ينالهم
نصيبهم الى وقت وفاتهم وهي التي يبتدا بعدها الكلام وجواب اذا قالوا اي
سؤال توبيخ اين ما كنتم تدعون من دون الله اي اين الالهة التي كنتم تعبدونها
واين الاغيار التي كنتم تدعونها فما موصولة وهي في الكتابة مفصولة قالوا ضلوا
عنا غابوا منا فلا نراهم ولا ننتفع منهم وشهدوا على انفسهم انهم كانوا
كافرين باتباعهم قال اي احد من الملائكة او الله يوم القيمة ادخلوا في امم قد خلت
من قبلكم من الجن والانس في النار متعلق بادخلوا او بخلت نفي بمعنى مع كلما دخلت
امة اي في النار لعنت اختها اي شبيهتها من جهة ضلالها التي ضلت لاقتدائها
بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا في النار قالت
اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله
لا معهم وهم المتبوعون ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال وتسببوا لنا
في الوبال فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا من النار
لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع
فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكل فريق منكم من العذاب والنكال وقرا
ابو بكر بالغيبة على الانفصال من الاقبال وقالت اولاهم لاخراهم مشافهة لهم
فما كان لكم علينا من فضل بل لكن واياكم متساوون في العذاب بطريق عدل
فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول الله للفريقين من جميع الامة او من قول
القادة للسادة وافاد الاستاذ ان اعراض الحق عنهم اورثت وحشة الحق
لهم حتى تبرم بعضهم من بعض وضاق كل احد منهم عن كل شيء حتى عن نفسه
فدعا بعضهم على بعض وتبرأ بعضهم من بعض وكذلك صفة المطرودين الذين

كذبوا بآياتنا وتركوا الايمان بها واستكبروا عنها بعدم التدبر والتفكر فيها
لا تفتح لهم لاعمالهم وارواحهم ابواب السماء كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم
والتأنيث للابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي
به مذكرا لان التأنيث غير حقيقي ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي
ثقب الابرة وذلك مما لا يكون وكذا ما يتوقف عليه وكذلك نجزي المجرمين قال الاستاذ
فلا دعاؤهم يسمع ولا بكاؤهم ينفع ولا بلاؤهم يكشف ويرفع ولا عناؤهم يدفع
لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اي اغطية جمع غاشية وكذلك
نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين مرة وبالظالمين تارة تفننا في العبارة واشارة
الى انهم جامعون لاسباب العقوبة وانهم يستحقون العقاب بكل خصلة وافاد
الاستاذ انه كما احاطت بهم الذلات في الدنيا فقد انس بالغفلة باطنهم وتلوث
بالذلة ظاهرهم كذلك احاطت العقوبات غدا بجوانبهم فمن فوقهم عذاب ومن
تحتهم عذاب وكذلك من سائر جوانبهم ثم في القلب من ضيق العيش واستيلاء
الوحشة ما يوفي على الكل ويربي والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف
نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جمع على عادته سبحانه في كلامه
المجيد بين الوعد والوعيد وجملة لا نكلف نفسا الا وسعها معترضة بين المبتدأ والخبر
للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم معرفتهم وقال الاستاذ
رفعنا عن ظاهرهم وباطنهم كلفة اعمالهم فيسرنا عليهم الطاعات بحسن التوفيق وخففنا
عنهم العبادات بتقليد التكليف ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب
الغل وهو الحقد والحسد او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التودد وقيل من تخطى بساط
قرب الرحمن سقط عنه رعونات النفس وحظوظ الشيطان وقد روى ابن جرير عن علي
اني لارجو ان اكون انا وعثمن وطلحة والزبير من الذين قال تعالى ونزعنا ما في صدورهم
من غل تجري من تحتهم اي تحت منازلهم او اشجارهم او تحت تصرفهم الانهار في
بساتينهم وقصورهم زيادة في لذتهم وسرورهم وقال الاستاذ طهرنا قلوبهم
عن كل غش واستخلصنا اسرارهم عن كل آفة فطهر قلوب العارفين عن كل حظ
وعلاقة كما طهر قلوب الزاهدين عن كل رغبة ومنية وطهر قلوب العابدين عن كل نهمة
وشهوة وطهر قلوب المحبين عن محبة كل مخلوق وغل صدر كل احد على قدر مرتبته
ويقال لما خلق الجنة وكلها في تزيينها الى الرضوان والعرش ولى حفظه الى الحملة والكعبة
سلم مفتاحها الى بني شيبة واما تطهير صدور المؤمنين فتولاه بنفسه فقال
ونزعنا ويقال اذا كان نزع الغل من الصدور من قبله فلا محالة العزم الذي لزمهم بسبب
الخصوم كان منه سبحانه وجه ادائه وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه
هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اي لولا هدايته وتوفيقه لنا بالايمان والعمل

الصالح

الصالح وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها
مبينة للاولى وتقدير ولولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا وهذه الآية حجة لنا
لا علينا وافاد الاستاذ ان هذا اعتراف منهم واقرار بانهم لم يصلوا الى ما وصلوا اليه
من جزيل تلك العطيات وعظيم تلك الرتب والمقامات بجهدهم واستحقاق فعلهم وانما
كان ذلك اجمع ابتداء فضل منه ولطف لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا
بارشادهم للخلق في امر معاشهم ومعادهم وفيه تنبيه نبيه على ان ما علموه يقينا في الدنيا
صار لهم عين اليقين في العقبى ونودوا اي من قبل الله او الملائكة ان تلكم الجنة
اذا رأوها من بعدها او بعدما دخلوها والمنادى له بالذات اورثتموها اعطيتموها
بلا تعب كالميراث بما كنتم تعملون بمقابلة اعمالكم وحسب درجات اعمالكم فضلا
ورحمة لانه لا يجب على الله شيء لا عقوبة ولا مثوبة وقد ورد في الحديث الصحيح لن
يدخل احد منكم الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله
برحمته والظاهر ان دخول الجنة بسبب الايمان الحاصل من اثر رحمة الرحمن ودرجات
الجنان على وفق مراتب الاحسان وافاد الاستاذ ان هذا تسكين لقلوبهم وتطييب
لنفوسهم والا فاذا رأوا تلك الجنات علموا ان اعمالهم المشوبة بالتقصيرات لم توجب
تلك الدرجات ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
في الدنيا من الثواب في العقبى فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا من اصناف العذاب
وانواع الحجاب وانما قالوه تبجحا بحالهم وحسن مآلهم وشماتة باعدائهم وتحسيرا
لهم في اعمالهم قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان وافاد الاستاذ
ان اهل النار بحقيقة الدين اعترفوا واقروا بسوء ما عملوا حين لا ينفعهم اقرار
بما صنعوا ولا اعتذار بما فعلوا فاذن مؤذن بينهم نادى مناد بين الفريقين
ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بتشديد ان
ونصب ما بعدها الذين يصدون عن سبيل الله اي يعرضون عن طريق صلاح
او يمنعون الناس عن دين الله ويبغونها عوجا اي يطلبون لتلك الطريقة
من الشريعة والحقيقة زيغا وميلا عما هو عليه من ظهور الحقيقة وهم بالآخرة هم كافرون
جاحدون ومنكرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين سور الاعراف لقوله
تعالى فضرب بينهم بسور له باب او بين الجنة والنار حاجز يمنع وصول اثر احدهما
الى الاخرى من الثواب والعقاب وافاد الاستاذ ان ذلك الحجاب الذي
بينهما حصل من الحجاب السابق في الكتاب ولما حجبوا في الابتداء بسابق القسمة
عما خص به المؤمنون من القربة والزلفة حجبوا في الانتهاء عما خص به السعداء
من المغفرة والرحمة ويقال حجاب لا يرفع بحيلة ولا ينفع معه وسيلة حجاب سبق به الحكم
قبل الطاعة والجرم وعلى الاعراف اي اعراف الحجاب وهو اعاليه المشرفة على الباب

رجال طائفة استوت حسناتهم وسيئاتهم فيحبسون بين الجنة والنار حتى
يقضي الله فيهم ما يشاء ثم يؤول لهم القرار يعرفون كلا من الابرار والفجار بسيماهم
بعلامتهم التي اعلمهم الله بها من بياض الوجوه وسوادها وافاد الاستاد ان هؤلاء
اصحاب الاشراف خصوا بانوار البصائر اليوم فاشرفوا على مقادير الخلق باسرارهم
واشرفوا غدا على مقامات الكل وطبقات الجميع بابصارهم ويقال عرفوهم غدا
بسيماهم التي وجدوهم عليها في دنياهم فاقوام موسومون بانوار الود والقرب
وآخرون موسومون بانار الرد والحجب ونادوا اي اصحاب الاعراف اصحاب الجنة
ان سلام عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم وتمنوا ما لديهم لم يدخلوها لعدم
اذنهم فيها وهم يطمعون دخولها وما اطمعهم الا واراد ان يطعمهم وافاد الاستاذ انهم
سلموا اليوم عن الكدورة والجحد واكرموا بالعرفان والتوحيد وسلموا غدا من فنون
الوعيد وسعدوا بلطائف المزيد وتحققوا انهم بلغوا من الرتب ما لم يسم اليه
طرف تاميلهم ولم يحط بتفصيلها كنه عقولهم واذا صرفت ابصارهم اي من غير
رغبة منهم اليهم والى آثارهم قالوا تعوذا بالله من ديارهم ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين اي مشاركين لهم في دخول نارهم قال الاستاذ وانما يصرف ابصارهم اليهم
تعزيزا عليهم عظيم المنة التي بها نجاتهم فيزيدون في الاستغاثة وصدق الابتهال لتكمل
لديهم العارفة بادامة ما لاطفهم به من الايواء والمحافظة ونادى اصحاب الاعراف
رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة والاشراف من اهل الظلم والاسراف ممن ظهر
لهم على طريقة الاشراف قالوا لهم ما اغنى عنكم جمعهم لم ينفعكم كثرتكم وجاهكم او جمعكم
اموال ومحبتكم وما كنتم تستكبرون اي واستكباركم بالجاه وعظمتكم وقيل استفهام
توبيخ وتقريع اي اي شيء اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق
في زمانكم اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة الاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين
كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة على فرض ثبوت
العقبى وافاد الاستاد ان سيماهم ما يرون عليهم من غبار الرد وامارة البعد فيقولون
لهم هل يغني عنكم ما ركنتم اليه من اباطيلكم وسكنتم اليه من فاسد ظنكم وباطن تأويلكم
فشاهدوا اليوم تخصيص الحق بمن ظننتم انهم ضعفاؤكم وانظروا هل يغني عنكم
الذين زعمتم انهم اولياؤكم وشركاؤكم ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم
تحزنون اي فقيل على لسان الملائكة لاصحاب الاعراف بعد هذا الايقاف حصول
الاشراف ادخلوا الجنة بالفضل والرحمة وقيل الخطاب للضعفاء وانه من
تتمة قول اصحاب الاعراف والمعنى قالوا لرؤساء الكفار اهؤلاء الذين نظرتم
اليه بعين الاحتقار قيل لهم ادخلوا الجنة مع الابرار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة
ان افيضوا علينا من الماء اي صبوا علينا بعض الماء من انهاركم الجارية او مما

رزقكم الله

رزقكم الله من سائر الاشربة ليخفف عنا نوعا من العقوبة او المراد بالماء انواع الشرب
وبالرزق المأكول من كل باب وقال بعضهم ماء الرحمة ورزق القربة كذا في دقائق الحقائق
وهذا الطلب يحتمل ان يكون على رجاء وطمع من الفريق او من باب تعلق الغريق
بكل حشيش في الطريق قالوا ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهما عنهم عادة واباحهما
للمؤمنين خاصة لما سبق من ان النعم في الآخرة لهم خالصة وافاد الاستاد ان الآية دلت
على ان من اوفر ما يبقى على الانسان هم الاكل والشرب وانهم في تلك العقوبات الشديدة
يقع عليهم الجوع والعطش في المدة المديدة فيتضرعون في ذلك المقام ويطلبون شربة
من الماء او لقمة من الطعام وهم في غاية من الآلام والعادة اليوم ان من كان في الم شديد
لا يأكل ولا يشرب وهذا اشد ثم العجز كيف لا يسقيهم قطرة مع استغنائه عن العقوبة
ولكن قهر الربوبية وعز الاحدية وانه فعال لما تعلق به الارادة الازلية فكما لم يرزقهم
اليوم من عرفانه ذرة لا يسقيهم غدا في تلك الاحوال قطرة وفي معناه انشدوا وحسن
لا يسقيننا الدهر قطرة * ولو زخرت من الحضن بحور * الذين اتخذوا دينهم اي الذي
شرع الحق للخلق لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصفيق حول الكعبة واللهو صرف
الهم بما لا يحسن بان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به
وغرتهم الحيوة الدنيا اي الفانية فتركوا طلب الحيوة الباقية فاليوم ننسيهم
اي نجازيهم على نسيانهم او نعاملهم معاملة الناسين بهم فنتركهم في عذابهم كما نسوا
لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له في حاله وما كانوا بآياتنا يجحدون
اي وكما كانوا في حق آياتنا المتلوة والمنصوبة مصرين على انكارهم وافاد الاستاذ
انهم كما تركوا امره وضيعوا حقه تركهم في العقوبة و [illegible] يشكيهم فيما يشكون من المشقة
فيأتي عليهم مرور احقاب بلا كشف عذاب ولا برد شراب ولا حسن جواب ولا
ولا اكرام خطاب ذلك جزاء من لم يعرف قدر الوصلة في اوقات المهلة ولقد
جئناهم بكتاب قرآن عظيم الشأن كريم البرهان فصلناه بيناه معاينة مفصلة
لكل ما يحتاج الانسان الى البيان على علم اي مشتمل على علم منا باهل كل زمان ومكان
هدى ورحمة لقوم يؤمنون حالان من الهاء في فصلناه او منصوبان على المفعول له
وقال الاستاذ انزل عليهم الكتاب واوحينا اليهم من الخطاب ما لو قابلوه
بالتصديق وصاحبوه بالتحقيق لوجدوا الشفاء من محنة البعاد ونالوا الضياء
بقرب الوداد ووصلوا في الدنيا والعقبى الى جميل المراد ولكن ابى القسمة في نصيبهم
الا الشقوة هل ينظرون الا تأويله اي ما ينتظرون الا ما يؤول اليه امر الكتاب من
تبين صدقه بظهور ما نطق به من الثواب والعقاب يوم يأتي تأويله وهو يوم
القيمة وتهويله يقول الذين نسوه تركوا الايمان به والعمل ترك الناسين للمهم
الاولى وهو خدمة المولى من قبل اي قبل اتيانه يعني في الدنيا قد جاءت رسل

ربنا بالحق ونحن كذبناهم بالباطل وقد تبين لنا انهم جاؤا بالصدق فهل لنا من شفعاء
اى من الالهة التى كنا نسميها شركاء ونظن انها عند الله شفعاء فيشفعوا لنا
اليوم عند نزول البلاء وحصول العناء او نرد اى هل نرد الى الدنيا لنتدارك ما فاتنا
من الاشياء فنعمل غير الذى كنا نعمل جواب الاستفهام الثانى قد خسروا
انفسهم بصرف اعمارهم فى سوء اعمالهم وضل عنهم ما كانوا يفترون اى بطل عنهم
وغاب منهم فلم ينفعهم ما توهموا النفعة لهم وافاد الاستاذ انه اذا كشفنا
جلال الغيب وانتفى من قلوبهم اغطية الريب فلا بكاء لهم ينفع ولا دعاء
لهم يسمع ولا شكوى عنهم يرفع ولا بلوى من دونهم ينقطع ان ربكم الله الذى خلق السموات
والارض فى ستة ايام اى فى ستة اوقات او فى مقدار ستة ايام من ايام
الدنيا او ايام الآخرة كل يوم الف سنة او المراد بالستة يوم الاحد الى الجمعة
واما يوم السبت فلم يقع فيه خلقه ومنه سمى السبت سبتا وهو القطع هذا وفى
خلق الاشياء مدرجة مع القدرة على ايجاده دفعة دليل الاختيار واعتبار
للنظار وحث على التأنى فى الامور للابرار ثم استوى اى امره على العرش
او استولى عليه او استوى الخلق بمعنى استتم اذ ما خلق فوقه شيئا واجمع السلف
وجمع من الخلف على ان استواء العرش صفة بلا كيفية نؤمن بها ونكل علمها الى عالمها
وقد قال الامام مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال
عنه بدعة فالمعنى ان له سبحانه استواء على العرش بالوجه الذى عناه منزها عن
الاستقرار والتمكن وسائر صفات الحدوث من اثبات الجهة والجسم والحلول
التى توجد فى الكائنات والعرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام سمى به لرفعته
او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه الى عالم الخلق وقيل المراد
الملك يغشى الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما
وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالتشديد فيه وفى الرعد للدلالة على التكرير والاشارة
الى التكثير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
اى وخلقها حال كونهن مذللات منقادات بتيسيره وتدبيره وقضائه وتقديره
وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر وافاد الاستاذ انه سبحانه تعرف
الى الخلق باياته الظاهرة الدالة على قدرته وهى افعاله وتعرف الى الخواص
منهم باياته الدالة على نصرته التى هى افضاله واقباله وظهر اسرارا خص الخواص
بنعوته الذاتية التى هى جماله وجلاله فشتان بين قوم وقوم ثم كما يدخل فى
الظاهر الليل على النهار والنهار على الليل فكذا يدخل القبض على البسط والبسط
على القبض ومنه الاشارة الى ليل القلوب ونهار القلوب لمن غلب احواله
اجمع قبض ومن غلب احواله اجمع بسط فمن غلب يكون مرة بعين القبض ومرة

بعين البسط كما ان فى العالم فى بعض الاقطار نهار بلا ليل وفى بعضها ليل
بلا نهار وفى بعضها ليل تدخل على نهار ونهار يدخل على ليل الا له الخلق اى المخلوق
الارض والسماء والامر لا يجرى فى ملكه الا ما يشاء ويقال الخلق يختص بالتدريج
والامر بضده قال الواسطى اذا كان له ثمنه وبه واليه لان الامر صفة الآمر وافاد الاستاذ
ان منه الخير والشر والنفع والضر والتصرف والامر تبارك الله رب العالمين
تعالى بالوحدانية فى الالوهية وتعظم بالفردانية فى الربوبية حيث خلق العالم
على ترتيب قويم وتدبير حكيم والجملتان الاخيرتان فذلكة التقرير ونتيجة التحرير وفى الجملة
الاخيرة ايماء الى افادة معنى قدمه وثبوت دوامه واشارة الى اسداء انعامه
على خواص الخلق وعامه ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا
وخفية اى وذوى تضرع وخفية وتذلل ومسكنة وفى خفية ايماء الى ان الاخفاء
دليل الاخلاص فى الدعاء انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به فى الدعاء
وغيره نفيه تنبيه على ان الداعى ينبغى ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء
والصعود الى السماء وقيل هو الصياح والاطناب فى الدعاء وفى مسند الامام
احمد وغيره ان احدا من الصحابة سمع احدا يقول اللهم انى اسألك الجنة
ونعيمها واستبرقها ونحوا من هذا واعوذ بك من النار وسلسلها واغلالها
وفى رواية اللهم انى اسألك قصرا ابيض فى يمين الجنة فقال له انى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه سيكون اقوام يعتدون فى الدعاء
وقرأ هذه الآية وقال بحسبك ان تقول اللهم انى اسألك الجنة وما قرب اليها من
قول او عمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول او عمل وقد رواه ابو داود
ايضا وافاد الاستاذ ان الامر بالدعاء اذن فى التملق لارباب المحبة فانهم
الى ان يصلوا الى كشف المحنة ووجود المأمول والمنحة استروحوا الى روح المناجاة
فى حال الدعوات فالدعاء نزهة لارباب الحاجات وراحة لاصحاب الطلبات
وسجل من الانس بما يتأدى الى القلب من عاجل قربه وما اخلص عبد فى دعائه الا
روح الله سبحانه فى الوقت قلبه ويقال علمهم آداب الدعاء حيث قال
تضرعا وخفية وهذا ادب الدعاء ان يدعو بوصف الافتقار والانكسار ونشر
الاضطرار ومن غاية ما يتقرب لديك بعث كرمه به انه جعل مسألتك عين عبادته
الذى لا بد لك منها اعتداء منك انتهى وفيه اشارة الى حديث من لم يدع الله
يغضب عليه ولله در قائل الله يغضب ان تركت سؤاله وابناء آدم حين
تسأل يغضب ولا تفسدوا فى الارض بالمعاصى والآثام بعد اصلاحها ببعث
الانبياء عليهم السلام وشرعهم الاحكام وقيل لا تفسدوا بالمعاصى فان من
شؤمها يمسك المطر فتخرب الارض بعد ما كانت تخضر وافاد الاستاذ ان

من الفساد بعد الاصلاح اهمال النفس عن المجاهدات بخلع عذارها حتى تتبع هواها بعد
ما لبثت لجامها عن العدو في ميدان الخلاف ومن ذلك ارسال القلب في اودية المنى
بعد امساكها على اوصاف الارادة ومن ذلك الرجوع الى الحظوظ بعد القيام بالحقوق
ومن ذلك استشعار محبة مخلوق بعد تاكيد العهد معه بان لا يحب سواه ومن ذلك الجنوح
الى تتبع الرخص في طريق الطلب بعد حمل النفس على ملازمة الاكد والاشق ومن ذلك
الانحطاط الى طلب مقام منه او اكرام بعد القيام معه بترك كل نصيب وفي الجملة
الرجوع من الاعلى الى الادنى افساد في الارض بعد الاصلاح انتهى وفيه ايماء الى ما ورد
في الدعاء اللهم اني اعوذ بك من الحور بعد الكور اي من النقصان بعد الزيادة او
من الشقاوة بعد السعادة او من المعصية بعد العبادة وادعوه خوفا وطمعا
اي خائفين من عقابه وطامعين في ثوابه او خائفين من رده عدلا وطامعين
في قبوله فضلا وقيل خوفا من بعده وطمعا في قربه ان رحمة الله قريب
من المحسنين المطيعين في امره ونهيه وفيه ترجيح للطمع حال الاحسان لئلا يغتر
الانسان وان دأب الانسان انه يقال المحسنين عملا والمحسنين املا فالاول العابدون
والثاني العاصون ويقال المحسن من كان حاضر القلب غير لاه عن ربه لا ناسي لحظة
وفي العرائس ذكر في قوله تعالى ان ربكم الله الى هنا كثير من النفائس احببت ان اذكرها
ملخصا واحررها مخلصا فبين انه سبحانه خاطبهم بالتربية بجذب قلوبهم بالمحبة
ثم اشار اليهم بالالوهية لفناء الحدث في القدم ثم صرفهم من المحو الى الصحو ومن
الحضور الى الغيبة بقوله الذي اشاره وان ربكم عبارة الاول للبسط والثاني للقبض
ثم صرفهم من الصفات الى الافعال كما صرفهم من الذات الى الصفات كيلا يحترقوا
في انوار الالوهية الاول خطاب القلب والثاني خطاب الروح والثالث
خطاب العقل الاول قوله ان ربكم والثاني قوله الله والثالث قوله الذي ثم
انزلهم من الشهود الى الشواهد وخاطبهم على قدر عقولهم حيث احالهم من
القدم الى الحدث لعلمه بضعفهم عن حمل بوادي طارقات سطوات الوحدانية
فقال الذي خلق السموات والارض جعل الآيات مرآت الصفات لاهل
المشاهدات خلقها في ستة ايام ايام الله قضاؤه وقدره حصرها بايام مخصوصة
وهي الستة وفي كل يوم من ايامه ظهور صفة من صفاته من مطلع القدم طلعت
للعدم بكون الحدوث في هذه الايام الستة ظهور ست صفات من صفاته اولها
العلم والثاني القدرة والثالث السمع والرابع البصر والخامس الكلام والسادس
الارادة كلت الاشياء بظهور انوار الصفات الستة ولما اتمها صارت
الحدثان كجسد آدم بلا روح فتجلى من صفته السابعة وهي حياته القديمة الازلية
الباقية المنزهة عن همهمة الانفاس والمشابهة والقياس فبقي الاشياء

بصفاته القائمة بذاته ويكون الى الابد حياتها بروح حياته المقدسة عن الاتصال
والانفصال وفي ادق الاشارة السموات الارواح والارض الاشباح والعرش
القلوب بدا بكشف الصفات للارواح وبدا بكشف الافعال للاشباح ثم بدا
بكشف الذات استوى قهر القدم بنعت الظهور للعدم ثم استوى تجلي الصفات
على الافعال واستوى تجلي الذات على الصفات فاستوى بنفسه لنفسه على نفسه
المنزهة عن المباشرة بالحدثان والاتصال والانفصال على الاكوان وبالاكوان الاستواء
صفة ذاتية على الحقيقة خارجة عن مطالعة الخليقة السموات والارض جسد العالم
والعرش قلب العالم والكرسي دماغ العالم خص جميع العالم بالافعال والصفات
وخص العرش بظهور الذات لانه قلب الكل وهو غيب الرحمن وعلمه وحكمته رأيت في المكاشفة
انوارا تشعشعانيا بلا جسم ولا مكان ولا صورة بتلألاء فسألت عن ذلك فقيل لي هذا
عالم يسمى عرشا قيل في التفسير عرشه علمه لقول ابن عباس في تفسير قوله تعالى وسع كرسيه
اي وسع علمه ثم رجع الى ذكر الافعال والاشباح بقوله يغشي الليل والنهار يطلبه
حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بدا بذكر الليل لانه ستر الاولياء ومجال
الاصفياء وملجأ النقباء وقيام عرائس اهل المناجات بلبس القبض والبسط لانهما
ضدان يقبض ويبسط الليل قبض العارفين والنهار بسط المشاهدين يكون احدهما
طالب الآخر لان من وصف الحضور والغيبة من خفاء التجلي وبداية الليل النفس
والنهار القلب والشمس الروح والقمر العقل والنجوم العلوم مسخرات في سماء
الملكوت وهواء الجبروت بامره بقدرته الكاملة وعزته الشاملة ومحبته القديمة
التي تؤلف ارواح القدسية الى مشاهد الازلية ثم ان الله سبحانه اضاف
الكل الى امر مشيئته ونفاذ قدرته واخرج الجميع من تكلف الحدثان وعلة الاكوان
بقوله الا له الخلق والامر الخلق فعله والامر صفته الخلق في الاشباح والامر في الارواح
بنور الخلق سلب العقول وحيرها من ادراك كنه الآيات وبتجلي الامر جذب القلوب
الى عالم الصفات وعشقها بجمال الذات ثم اثنى على نفسه حيث الا فهام عن وصف
صفاته وتعجز الالسن عن بلوغ مدح ذاته بقوله فتبارك الله اي تقدس عن كل ما يجري
في خاطر خلقه رب العالمين ربي الجميع بظهور صفته في خلقه ورب العارفين بظهور ذاته
في صفته ولما عرفهم اعلام الربوبية امرهم بخالص العبودية وادبهم باحسن التاديب بقوله
ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي اذا عرفتموه بنعوت الكبرياء وجلال العظمة وعز القدم
والبقاء كونوا في رؤية هذه الصفات عند احتياجكم الينا بنعت الفناء بحيث
لا يطلع على اسراركم نفوسكم فان دعوة المضطر تقع على مسامع الغيوب حين
ما جبت بوصف اللطف من لسان القلوب وان اصفى الوقت في التضرع دعوة
الخفية وذكر الخفي الذي وصفه عليه السلام بالخيرية حيث قال خير الذكر الخفي قال ابو عثمان

التضرع في الدعاء ان لا تقدم اليه افعالك وصلاتك وصيامك وقرائتك ثم
تدعو على اثره انما التضرع ان تقدم افتقارك وعجزك وضرورتك وفاقتك وقلة حيلتك
ثم تدعو بلا سبب ولا علة فيرفع دعاؤك وقال الواسطي تضرعا بذل العبودية وخفية
اي اخفت ذكري صيانة عن غيري الاثري قوله عليه السلام خير الذكر الخفي واعلم ان الدعاء
مقامات فبعضهم يدعوه بلسان الظاهر وبعضهم يدعوه بلسان الباطن وبعضهم
يدعوه باشارة العقل وبعضهم يدعوه باشارة القلب وبعضهم يدعوه باشارة
الروح وبعضهم يدعوه باشارة السر نعت اهل الظاهر التضرع ونعت اهل
الباطن الافتقار والتخشع ونعت اهل العقل الفكر ونعت اهل القلب الذكر
ونعت اهل الروح الشوق ونعت اهل السر الفناء يدعونه بالاذن ولا يكون
الاذن في الدعاء الا في مقامين مقام القبض ومقام البسط الدعاء في مقام
القبض بنعت العبودية والدعاء في مقام البسط بحكم الانبساط من ادراك
مباشرة صولة الربوبية ولا بد للعارفين من هذين المقامين والدعاء على احوال
شتى دعاء اهل البلاء لكشف الهموم ودعاء اهل النعماء لكشف الوجود ودعاء
المحبين لتسلي القلوب ودعاء المشتاقين للبلوغ الى الوصول ودعاء العاشقين
لنيل المأمول ودعاء العارفين لوجدان البقاء ودعاء الموحدين لمحوهم
في الفناء وفيه انس المستأنسين وتضرع العارفين وبهاء المحبين وزيادة
قرة عيون الموحدين ما اطيب الحانهم في السجود لكشف شهود الوجود وما احلى
روح مناجاتهم بالعبرات وحركات ضمائرهم بالزفرات ثم حذرهم عن الرجوع
من الاعلى الى الادنى ومن متابعة الحق الى متابعة النفس من تخريب ارض
القلب بمسحاة الهوى بعد اصلاحها بصفاء المراقبة والحضور والمشاهدة
بقوله ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ثم زاد سبحانه في ادب الدعاء وقرن
بالتواضع والاخلاص فيه مقام الخوف والرجاء بقوله وادعوه خوفا وطمعا اي ادعوه
بوصف الاجلال في رؤية جلاله وبنعت البسط في رؤية جماله فان حقيقة الدعاء
في الشهود الوصل في العبودية لمعرفة الربوبية والسرور من رجاء الوصول الى المقصود
وايضا ادعوه خوفا من اطلاعه على جريان كل مأمول سواه في القلب اي خافوا
من طريان ذكر الحدث في رؤية القدم وطمعا في مقام قربه اشرف من مقام الدعاء
لان الدعاء وسيلة فاذا حصل الوصول انقطعت الوسيلة وايضا خوفا من رد
الدعاء وطمعا في استجابة الدعاء ثم بين تعالى ان من كان هذا وصفه يكون من المحسنين
الذين يقربون منه به بقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين وهو الذي يرسل
الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على وحدة الجنس نشرا بضم النون
والشين جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر بسكون الشين تخفيفا وحمزة

والكسائي

والكسائي بفتح النون وسكون الشين على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات
السحاب الثقال وعاصم بضم الموحدة وسكون الشين على انه تخفيف بشر جمع
بشير وقد قرئ به بمعنى مبشرات بين يدي رحمته اي قدام اثر رحمته ومقدمة نعمته وهو
المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تعصره وتدره والدبور تفرقه
وافاد الاستاذ ان تباشير التقريب تتقدم فينادي نسيمه الى مشام الاسرار وكذلك
اثار الاعراض تتقدم فيوجد ظلمة القبض في الباطن وظل الوحشة يتقدمها ونسيم الوصل
بعدمها في قريب منه قال قائلهم • ولقد تنسمت النجاح لحاجتي • فاذا لها من راحتيك نسيم •
حتى اذا اقلت اي حملت الرياح سحابا ثقالا بالماء وجمعه لان السحاب بمعنى السحائب
سقناه اي السحاب وافرد الضمير باعتبار اللفظ والفعل مأخوذ من السوق لبلد
ميت اي لاجل مكان لا نبات فيه او لاحيائه او لسقيه او الى جانبه فانزلنا به الماء
اي بسبب السحاب او السوق او في البلد فاخرجنا به اي بالماء من كل الثمرات اي من
كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة الى اخراج الثمرات وهو اقرب او الى
احياء البلد الميت وهو انسب اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه ونطريتها
بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس
الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس المدركات لعلكم
تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على ما هنالك وافاد الاستاذ
ان الاشارة منه يحصل لمهجور تمادى به البعد وبرح به الوجد فاندرس رسمه بل بطل
كله البعد فيأتيه بشير القرب فيعود عوده وصلا بعد الذبول طريا ويصير دارس حاله
عقيب السقوط قويا قال قائلهم • كمن البس اكفانه • وقرب النعش من الملحد
فجال ماء الروح في جسمه فرده الاهل الى المولد تبارك الله سبحانه ما كل هم هو
بالسرمد والبلد الطيب اي المكان الكريم التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره
كثيرا سريعا غزيرا حسنه والذي خبث كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا
بطيئا عديم النفع وافاد الاستاذ انه اذا زكى الاصل العنصر فالجزء يحاكي اصله فالاسرة
تدل على السريرة فمن صفاء ساكن قلبه زكا ظاهر فعله فمن كان بالعكس فبالضد حاله
كذلك نصرف الايات نرددها ونكررها لقوم يشكرون على نعمائه ويتفكرون في
الائه ويعتبرون بما في الدنيا من قلة بقائها وسرعة فنائها والاية مثل للابرار والفجار
ممن تدبرها وانتفع بها ومن لم يرفع رأسه اليها ولم يتأثر منها وفي ما بيناه ايماء الى
قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه ولما ذكر قصة آدم عليه السلام في اول السورة
من الابناء شرع هنا في قصص بقية الانبياء فقال لقد ارسلنا نوحا الى قومه
وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول رسول من بعده بعث وهو ابن خمسين
سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي وحده واطيعوه ما لكم من اله غيره

بالرفع على انه صفة آله باعتبار محله لان من زائدة وهو اسم ما وقرأ الكسائي بالجر
بناء على لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء انى اخاف عليكم ان لم تؤمنوا عذاب
يوم عظيم وهو يوم القيمة او يوم العقوبة وهو وعيد على مخالفته وبيان للداعي الى عبادته
وموافقته وافاد الاستاذ انه بلغ الرسالة فلم ينجع فيهم ما ظهر لهم من الدلالة
لان محروم القسمة لا ينفعه مجهود الحيلة قال الملأ من قومه اي الاشراف الاكابر فانهم
يملؤن عيون الاصاغر انا لنريك في ضلال اي زوال عن الحق مبين اي بين القصد في
باستاعك واباك عن دين ابائك قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال
الموجب للوبال ولكني رسول من رب العالمين وثابت على دين المتين وطريق اليقين
وافاد الاستاذ ان نوحا عليه السلام نسب الى الضلالة فتولى جوابهم بنفسه
في المقالة فقال يا قوم ليس بي ضلالة ونبينا صلى الله عليه وسلم نسب الى ما نسب اليه
من الضلالة فتولى الحق سبحانه الرد عنه فقال ما ضل صاحبكم وما غوى فشتان
بين من نضح عن نفسه وبين من دفع عنه ربه قلت ولعله اشارة الى ان نوحا عليه
السلام كان سالكا مريدا ونبينا عليه السلام مجذوبا مرادا ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم
لتصلوا الى مقام قربه واعلم من الله بوحيه ما لا تعلمون من صفات لطفه وقهره
ونعوت جماله وجلاله وقرأ ابو عمرو وابلغكم بالتخفيف والمعنى اوصلكم الى ما ارسلني
اليكم وجمع الرسالات باختلاف الاوقات وتنوع الجهات من العقايد والعبادات
والمعاملات واريد لكم الخير بالموعظة في المأمورات والمنهيات وقال الاستاذ
اي علمي اني بالغت في تبليغ الرسالة لكن من لم يسبق له القسمة بالسعادة لا ينفعه نصحي
ولا يؤثر فيه قولي فان من اسقطته القسمة لم تنعشه النصيحة او عجبتم الهمزة للانكار
والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم كذا قاله جماعة وقال صاحب البحر
هذا مخالف لكلام سيبويه والنحاة فانهم مصرحون بان الواو تعطف ما بعدها على ما قبلها
من الكلام ولا حذف في المقام وكان الاصل واعجبتم لكنه اعتني بهمزة الاستفهام
فقدمت على حرف العطف لصدارة الاستفهام وقد رجع الزمخشري الى الجماعة
انتهى وهو اظهر في المعنى وابعد من التكلف في المبنى ان جاءكم اي من ان جاءكم ذكر
من ربكم رسالة او موعظة على رجل منكم على لسان رجل من جملتكم او من جنسكم لا من
الملائكة لينذركم ليخوفكم الذكر او الرجل او ربكم عاقبة الكفر والاوزار ولتتقوا منهما
بحسب الانذار ولعلكم ترحمون بالدخول في الجنة مع الابرار وفي ايراد الترجي ايماء الى
انه لا يجب على الله سبحانه شيء من الثواب والعقاب وافاد الاستاذ انهم عجبوا
من كون شخص رسول الله ولم يتعجبوا من كون الصنم شريكا لله وهذا فرط الجهالة وغاية
الغباوة والضلالة فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك وهم من آمن به وكانوا
ثمانين على رواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس اربعين رجلا واربعين امرأة منهم بنوه

سام وحام ويافث واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان اجمعين انهم كانوا قوما
عمين عمي القلوب غير مستبصرين هو مخفف عميين وافاد الاستاذ انهم لم يسعدوا
بما علموه ولم يصلوا الى ما املوه والى عاد اخاهم اي وارسلنا اليهم وقوله هودا
عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب وانما جعل منهم لانه
افهم بمقاله واعرف بحاله وارغب بالاقتداء في افعاله قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره افلا تتقون من عقابه ونكاله في الدنيا وعذابه في العقبى قال الملأ
الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به انا لنريك في سفاهة
اي متمكنا في خفة عقل وسخافة حيث ادعيت الها واحدا وخالفت دين
قومك في جعلهم الالهة متعددا وانا لنظنك من الكاذبين في دعوتك دعونك
عذابا سرمدا قال يا قوم ليس بي سفاهة تحملني على الجهالة والكذب والضلالة ولكني
رسول من رب العالمين كامل العقل والديانة ابلغكم رسالات ربي على طريق النصيحة
وانا لكم ناصح مريد للخير والمصلحة امين مأمون على الرسالة او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
على رجل منكم لينذركم وفي اجابة الانبياء للكفرة عن كلماتهم الفضيحة بما اجابوا وقابلوه
بالنصيحة والاعراض مقابلة مقالتهم بالخشونة بيان لكمال الحلم والشفقة والرحمة وهضم
النفس وحسن المجادلة وافاد الاستاذ انه سبحانه اخبر انهم سلكوا طريق سلفهم
واخوانهم فوقعوا في وهدتهم ومنوا بمثل حالتهم فاخسر من آثر على هواه رضاء الله
ولا ربح من قدم هواه على حق الله واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في
مساكنهم حيث اخلفكم او في الارض بان اخذ منهم واعطاكم وزادكم في الخلق بسطة
قامة وقوة كان طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين خوفهم اولا من عقاب الله
وانتقامه ثم ذكرهم بزيادة احسانه وانعامه بقوله فاذكروا آلاء الله اي سائر الائه
لعلكم تفلحون تفوزون بمقام الرضاء في قضائه والصبر على بلائه والشكر على نعمائه
وافاد الاستاذ انه سبحانه جعل الخلق بعضهم خلفاء عن بعض فلا يبقى فوجا منهم
في جنس الا اقام فوجا عنهم في ذلك الجنس فاهل الغفلة اذا انقرضوا اخلف
عنهم قوما واهل الوصلة اذا ادرجوا اخلف عنهم قوما ولا ينبغي للعبد اي من الاصاغر
ان يسمو طرف تأميله الى محل الاكابر فان ذلك المقام مشغول باهله وما لم ينته نوبة
اولئك لا ينتهي النوبة الى هؤلاء وكما زاد قوما على من تقدمهم في بسطة الخلق زاد
قوما على من تقدمهم في بسطة الخلق فكما اوقع التفاوت بين شخص وشخص فيما
يعود الى المباني اوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع الى المعاني وقوله فاذكروا
آلاء الله عام والاول خاص فهذا يتضمن ترويح الظواهر والثاني يتضمن التلويح
في السرائر والترويح بوجود المبار والتلويح بشهود الاسرار قالوا اجئتنا
لنعبد الله وحده اي منفردا عن سائر الهتنا ونذر ما كان يعبد اباؤنا اي نترك

عبادة اصنامنا التي كان يعبدها اباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة لما
كتب عليهم من الشقاوة دون السعادة فأتنا بما تعدنا اي من العذاب المدلول
عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين في وعيدك للمكذبين وافاد الاستاد
انهم طاحوا في اودية التفرقة فلم يجدوا قرارا في ساحة الوحدة فشق عليهم الاعراض
عن الاغيار اي ورضوا ان يكونوا تحت حجب الاستار وفي معناه قال قائلهم
اراك بقية من قوم موسى • فهم لا يصبرون على طعام • ويقال شخص لا يخرج
عن عش التفرقة لمحة وشخص لا يحيد عن سنن التوحيد لحظة فلا يعبد الا واحدا ولا يشهد
الا واحدا قال قائلهم • لا يهتدي قلبي الى غيركم • لانه سد عليه الطريق •
قلت والله ولي التوفيق قال قد وقع وجب وحق عليكم من ربكم رجس عذاب
وغضب يترتب عليه عقاب وحجاب والمراد بالغضب في هذا المقام ارادة الانتقام
وافاد الاستاد انه سبحانه اذا اراد هوان عبد طرحه في مفازة التفرقة والانكار وان
من علامة غضبه واعراضه رد العبد الى شهود الاغيار وتوفيقه اياه في بحار الظنون
والافكار اذ لا تحصيل للاغيار في معنى الاثبات والاقرار اتجادلونني في اسماء سميتموها
اي في اشياء ما هي الا اسماء احدثتموها وليس في مسمياتها معنى يوجب الالهية
وسميتموها الهة انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي ما جعل في عبادتها
من حجة وبرهان بل هي من موضوعاتكم ومخترعاتكم لان المستحق للعبادة بالذات هو
المستجمع لكمالات الصفات فانتظروا امر الله فينا وفيكم اني معكم من المنتظرين
حتى تروا حالنا وحالكم فانجيناه والذين معه اي في الدين والطاعة برحمة
منة منا عليهم ونعمة منا اليهم ومنحة من لدينا وافاد الاستاد ان لا رتبة
فوق رتبة النبوة ولا درجة اعلى من درجة الرسالة فاخبر سبحانه انه نجى هودا
عليه السلام برحمته وكذلك نجى الذين آمنوا معه برحمته ليعلم ان النجاة لا يكون
باستحقاق العمل في عبادته وانما يكون بابتداء فضل من الله ورحمته فما نجا من
نجا الا بفضل من الله سبحانه قلت ومن هذا المقام نطق عليه السلام حيث قال
لن يدخل احد منكم الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله برحمته وفيه ايماء الى كبريائه وعظمته واستغنائه عن وجود عبيده وعبادته
وانه لا يجب عليه شيء من مثوبته وعقوبته وقطعنا دابر الذين كذبوا
باياتنا اي استأصلناهم واهلكناهم عن آخرهم وما كانوا مؤمنين تعريض
بمن آمن منهم ودخل في الدين وتنبيه على ان الفارق بين من نجا
ومن هلك هو الايمان واليقين والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم حجة ظاهرة الدلالة على صحة
نبوتي وصدق دعواي لكم بالرسالة من عند ربكم هذه ناقة الله اضافة

تعظيم لكم آية نصبها على الحال والعامل فيها معنى الاشارة اي معجزة عظيمة فانها
خرجت من الصخرة يوم عيدهم بمحضر منكم حين اقترحوا تلك المعجزة وعهدوا ان
يؤمنوا به بعد ظهور تلك الآية فذروها تأكل في ارض الله من عشبها وتشرب
من مائها ولا تمسوها بسوء من ضربها وطردها فيأخذكم عذاب اليم بالنصب على
جواب النفي وافاد الاستاد انه سبحانه غاير بين الرسل من حيث الشرائع
وجمع بينهم في التوحيد الذي هو اصل المنابع واساس المنافع فالشرائع التي هي
العبادات مختلفة الحالات والكل مأمورون على وجه واحد بتوحيد الذات ثم
اخبر عن امضاء سنته تعالى بارسال الرسل عليهم السلام وامهال اممهم في ما لهم
من المقام ريثما ينظرون في معجزات الرسل عليهم السلام ثم اخبر عما ادرجوا عليه
من مقابلتهم الرسل الكرام بالتكذيب تسلية للحبيب فيما كان يقاسي من بلاء قومه
في البلاد واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد في مساكنهم وبوأكم في الارض اي
اسكنكم في ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون القصور في سهولها
قصورا اي تبنون القصور في سهولها وتسكنون في الصيف بها وتنحتون
الجبال بيوتا تنقبون بيوتا في جبالها وتسكنون في وقت الشتاء فيها فاذكروا
آلاء الله بشكرها والتأمل فيها وفكرها ولا تعثوا في الارض مفسدين لا تفسدون
فيها حال كونكم قاصدين الفساد للبلاد والعباد وافاد الاستاد انه سبحانه
ازاح في بسط الدلالة علتهم ووسع عليهم حالتهم بتمكينهم من السقيا على ما دعت
اليه حاجتهم فلا الدليل تأملوه ولا السبيل لازموه ولا النعمة عرفوا قدرها
ولا المنة قدموا شكرها فصادفهم من البلاء ما ادرك اشكالهم قال قراء ابن عامر
وقال الملأ الذين استكبروا من قومه تكبروا عن الايمان واستنكفوا من الايقان
ورضوا بجهلهم وتقليد اهل الطغيان للذين استضعفوا لمن استذلوهم
من الرعايا لمن آمن منهم بدل كل ان كان ضمير منهم وبدل ان كان للذين
فان المستضعفين كثيرون واربعة آلاف منهم مؤمنون اتعلمون ان صالحا
مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء بهم او بناء على زعمهم قالوا انا بما ارسل به
مؤمنون عدلوا عن نعم من الايجاز في الجواب الى الاطناب تلذذا بالاستنطاق
في الخطاب وتشهيرا بوجه الصواب قال الذين استكبروا انا بالذي
آمنتم به كافرون وافاد الاستاد انه سبحانه اجرى سنته انه لا يخص بافضاله
جميع صنعه واقباله في الغالب من عباده في جميع بلاده الا من لا يسموا اليه
طرف بالاجلال ولا يوضع له قدر بين الاضراب والاشكال فانظر كل نبي انما
هو ضعفاء وقته ثم ان من لاحظه اهل الغفلة بعين الاحتقار فليس كما يذهب
اليه الاوهام ولا كما يعتقد فيه الانام بل الجواهر مستورة في معادنها وقيمة الحال بساكنها

قال قائلهم • وما ضر نصل السيف اخلاق غمده • اذا كان عضبا حيث وجهته بدا
قال عليه السلام كم من اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله لابره فعقروا
الناقة اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم في القضية
والمعنى فنحروها وعتوا عن امر ربهم اي استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم
صالح بقوله فذروها وقالوا حين قال لهم ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم
يا صالح ائتنا بما تعدنا اي من العذاب ان كنت من المرسلين اي من الصادقين
في دعوى الرسالة واظهار المعجزة فاخذتهم الرجفة الزلزلة من الارض والصيحة
من السماء حتى تقطعت قلوبهم في صدورهم فلا ينافي ما وقع في موضع آخر فاخذتهم
الصيحة فبين في كل محل نوعا من العقوبة فاصبحوا لانكارهم في دارهم اي مساكنهم
وارضهم مع طولهم وعرضهم جاثمين خامدين ميتين من غير شعورهم لازمين لمكانهم وقبورهم
واقعين على صدورهم فتولى اي اعرض وادبر عنهم وقال في حقهم يا قوم لقد
ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بما اوحي الى قلبي ولكن لا تحبون الناصحين اي المريدين
للخير لكم وافاد الاستاذ ان الجبلة تدعو الى وفاق الهوى وخلاف الهدى فتستثقل
النفس قول الناصحين فتخرج عليهم فكانها تعدهم الواشين قال قائلهم
وكم سقت في آثاركم من نصيحة • وقد يستفيد البغضة المتنصح • ولوطا اي وارسلنا
لوطا اذ قال لقومه اي وقت قوله لهم اتاتون الفاحشة استفهام توبيخ وتقريع
على تلك الفعلة المتمادية في القباحة ما سبقكم بها من احد من العالمين اي ما عملها قبلكم
احد من ذوي العقول والباء للتعدية ومن الاولى زائدة لمزيد الاستغراق في النفي
والثانية للتبعيض والجملة استيناف انكم لتاتون الرجال شهوة من دون
النساء الاستفهام للانكار وقرا نافع وحفص بالاخبار وفي جعل الشهوة علة
وصفهم بالبهيمة الصرفة وتنبيه لهم على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة
طلب الولد وبقاء النوع لا مجرد قضاء الشهوة واقتضاء اللذة مع قطع النظر
عن القباحة بل انتم قوم مسرفون اي عادتكم عن الحد في القضية وهو اضراب انتقال
من حال الى حال لا اضراب ابطال وافاد الاستاذ ان الحق سبحانه اباح
في الشرع ما ازاح به العذر فمن تخطى حد الامر وجرى على مقتضى الهوى استقبل
هوانه واستوجب اذلاله باختياره صغاره وما كان جواب قومه الا ان
قالوا اي بعضهم لبعض في حق لوط ومن آمن به اخرجوهم من قريتكم انهم
اناس يتطهرون يبالغون في الطهارة ويراعون الديانة قالوه على وجه الاستهزاء
والسخرية او يتطهرون من دبر الرجال والنسوة على ما فسره ابن عباس ومجاهد
وقتادة وغيرهم من الائمة فانجيناه واهله ممن آمن به فانه ما آمن به احد
سوى اهل بيته الا امراته وابنه فانها كانت الكفر من اهله كانت من الغابرين

الباقين

الباقين في عذاب الكافرين والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا نوعا من المطر
عجيبا في الوبل وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان
عاقبة المجرمين وقيل خسف بمقيميهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين قبيلة
او المراد بلد مدين اي وارسلنا اليهم اخاهم شعيبا وكان يقال له خطيب الانبياء
لحسن مراجعته قومه في الاشياء قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي فاوفوا الكيل
اي آلته على الاضمار او اراد بالكيل الذي هو المصدر ما يكال به لقوله والميزان ولما
في سورة هود اوفوا المكيال والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم لا تنقصوهم
في غيرها ايضا حقوقهم وانما قال اشياءهم ليعم القليل والكثير تنبيها على انهم
كانوا يبخسون الجليل والحقير وافاد الاستاذ ان قوم شعيب خست مرتبة همتهم
فقنعوا بالتطفيف في المكيال والميزان عند معاملتهم ثم ان الحق سبحانه
لم يساهلهم في ذلك المقدار ليعلم ان الاقدار ليست من حيث الاخطار ولا تفسدوا
في الارض بالكفر والمكر والمكس والجور بعد اصلاحها اي اصلاح امرها واهلها
ببعث الانبياء واتباع شرايعهم في جميع الاشياء ذلكم اي العمل بما امرتم
ونهيتم خير لكم في الدنيا والعقبى ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بما اقول لكم
من اهل اليقين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اي في كل طريق من طرق الدين كالشياطين
المانعين او كانوا يجلسون على ممر المسافرين ويحذرونهم بان شعيبا من الكذابين
ويوعدونهم بالقتل وغيره لمن تبعه من المؤمنين وهذا المنقول عن ابن عباس
وغيره من اكابر المفسرين او كانوا يقطعون الطريق على المارين او كانوا مكاسين
كما قال السدي وبعض العلماء المعتبرين وتصدون عن سبيل الله اي تمنعون
عن اتباعه واظهار دينه من آمن به اي بالله او برسوله وتبغونها تطلبون
لسبيل الله عوجا بالقاء الشبهة او وصفها للناس بانها معوجة وافاد
الاستاذ ان شر المعاصي ما لا يكون لازما لصاحبه وكان متعديا عنه الى
غيره ثم بقدر الاثر في التعدي يحصل الضرر للمبتدي واذكروا اذ كنتم قليلا
في العدد والعدد فكثركم بالمدد والمدد في النسل والمال وسعة الحال وفراغ
البال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم في المآل فاعتبروا
بهم واختاروا حسن المقال وجميل الفعال وقال الاستاذ من عليكم بتكثير
الاعداد لان التناصر والتعاون يتمشى الامور ويحصل المراد ويقال كمال كل امر
في الخير والشر بالاعوان والانصار فلا نعمة فوق اتفاق الانصار في الخير ولا محنة
فوق اتفاق الاعوان في الشر وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به
وطائفة لم يؤمنوا بترك متابعته فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله

بيننا بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمصدقين ووعيد للمكذبين وهو
خير الحاكمين اذ هو اعلم العالمين واعدل العادلين قال الملاء الذين استكبروا
من قومه اى المكذبين لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من
قريتنا او لتعودن فى ملتنا اى لتصيرن او لترجعن بناء على التغليب فان
الانبياء لا يجوز عليهم الكفر لا فى الابتداء ولا فى الانتهاء قال اولو كنا كارهين
اى انعود فى ملتكم وان كنا كارهين والهمزة للانكار او التعجب اى كيف نعود
فيها ونحن كارهون لها قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ
نجينا الله منها وقال الاستاذ كما ان اهل الخير لا يميلون الا الى اشكالهم
فاهل الشر لا يرضون لمن راوا الا بان يساعدهم على ما هم عليه من احوالهم والا وحد
فى بابه من باين نهج اضرابه وما يكون اى يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله
ربنا خذلاننا وارتدادنا فانه مقلب القلوب وعلام الغيوب واذا اراد الله
بعبد سوءا فلا مرد له والمعنى لا يمكن ولا يكون الارتداد ونحن على هذا الطبع من
الوداد نعم لو اراد الله لنا البعاد عن مقام الاسعاد فهو قادر على ان يغير
كلا بيعنا وقلوبنا ويصرفنا عن سبيل السداد ولكن الله رؤف بالعباد وسع
ربنا كل شئ علما فسبحان من اقام العباد فيما اراد على الله توكلنا فيما قضى علينا
من المراد ربنا افتح احكم بيننا وبين قومنا بالحق اى باظهاره ونجاة اربابه
وبيان الباطل واهلاك اصحابه او المراد بالحق ما يستحق كل من الخلق وانت
خير الفاتحين اى الحاكمين من الفتاحة وهى الحكومة او فتح باب العدالة واظهار
القضية المغلقة وافاد الاستاذ انهم نطقوا عن صحة عزائمهم حيث قالوا
قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم ثم اقروا بالشكر منه حيث قالوا بعد
اذ نجانا الله منها ثم تبرؤا عن حولهم وقوتهم حيث قالوا وما يكون لنا ان نعود
فيها الا ان يشاء الله ربنا اى بان يلبسنا لباس الخذلان ويردنا الى مقام الهوان
ثم استناموا الى جميل التوكل فقالوا على الله توكلنا اى به وثقنا ومنه الخير املنا
ثم فوضوا امرهم الى الله فقالوا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فتداركهم
الحق سبحانه عند ذلك بجميل العصمة وحسن الكفاية وقال الملاء الذين
كفروا وهم حالفون لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم دينه
الباطل بدين ابائكم الحق على زعمهم وهم جاهلون وعن معرفة الحق غافلون وقال
الاستاذ تواصوا فيما بينهم بتكذيب نبيهم واشار بعضهم على بعض باستشعار
وقوع الفتنة بمتابعة مرشدهم وكانوا مخطئين فى حكمهم مبطلين فى ظنهم فعلم
ان كل نصيحة لا يجب قبولها وكل اشارة لا يحسن اتباعها فاخذتهم الرجفة
الزلزلة وفى سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مبادى العقوبة وكان فى

انانها

اثنائها سحابة فيها شرر من النار ولهبها وهو قوله تعالى فى الشعراء عذاب يوم الظلة
فاصبحوا اى دارهم جاثمين زهقت ارواحهم وخمدت اشباحهم وهو وعيد
لامثالهم واشباههم الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها اى كانهم لم يقيموا
بها حيث استوصلوا منها شباهة تعالى حال هؤلاء المكذبين فى مآلهم بحال من لم
يكونوا قط فى ديارهم ومنازلهم الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا
ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما قالوه زعما وظنا فانهم هم الراجحون فى الاولى
والاخرى وقال الاستاذ كانت لهم غلبة فى وقتهم ولكن لما اندرست ايامهم سقط
صيتهم وخمل ذكرهم وتقشع سحاب من توهم شيئا منهم ثم قال الحق غالب فى كل امر
والباطل زاهق فى كل وصف واذا كانت العزة نعت من هو ازلى الوجود والجلال
حق من هو الملك المعبود فاى اثر للفطرة مع القدرة واى خطر للعلل مع الازل
ولقد انشد واحد فى قريب من هذا استقبلنى وسيفه مسلول وقال لى واحد ما
معزول فتولى عنهم اى اعرض عنهم لما ايس منهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالات ربى ونصحت لكم من صميم قلبى قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم
انكر على نفسه فى توجعه اليهم بقوله فكيف اسى احزن على قوم كافرين ليسوا
باهل حزن فى الدين اذ كانوا للعذاب مستحقين وافاد الاستاذ انه سبحانه
بين انه عليه السلام رائى حد الامر فاذا خرج عن عهدة التكليف فى التبليغ فما
عليه من اقرارهم وانكارهم وتوحيدهم وجحودهم شئ ان احسنوا
فالميراث للجميل راجع اليهم وان اساؤا فالضرر بالتالم عايد عليهم ومالك
الاعيان اولى بها من الاغيار فالخلق خلقه والملك ملكه ان شاء هداهم
وان شاء اغواهم فلا تاسف على نفى وفقد ولا اثر من كون ووجد وما
ارسلنا فى قرية من نبى فكذبه اهلها الا اخذنا اهلها المكذبين بالانبياء
بالباساء والضراء بالشدة والحاجة والوباء والغلاء وانواع البلاء
لعلهم يضرعون كى يتضرعوا ويتذللوا ويرجعوا الى امر رب السماء وقبول
متابعة الانبياء قال بعض من الاصفياء من الاولياء دعاك الى ما به من
الشفقة والرحمة والعطايا والمزايا فلم تجبه ولم ترجع اليه فصب عليك
انواع البلايا والرزايا لترجع كرها اذا ابيت الرجوع اليه طوعا فلم تجبه ولم
تتوكل عليه ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من
البلاء والمحنة انواعا من الرخاء والمنحة ابتلاء بالامرين واستدراجا
فى الحالين حتى عفوا اى كثروا نفرا ومالا وتوهموا انهم نالوا امانا وحصلوا
كمالا وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء فاصابنا مثل ما اصابهم من البلاء
والعناء كفرا بالنعمة الله وشكره ونسيانا لحمده وذكره واعتقادا بان هذا

من عادة دوران الفلك ودهره فاخذناهم بغتة فجاءة وهى حال النعمة اشد
فظاعة وهم لا يشعرون بنزول العقوبة وافاد الاستاذ ان رب العباد والبلاد حكمهم
بالبلاء الادون تحذيرا من البلاء الاصعب فاذا تمادوا فى غيهم ولم ينتبهوا من
غفلتهم مد عليهم ظلال الاستدراج وصب عليهم اسباب الترفه بمنع الاحتياج مكرا
بهم فى الحال واستدراجا لهم فى المآل فاذا وطنوا على مساعدة الدنيا قلوبهم
وركنوا الى ما سولت لهم من امتداد ايامهم مع كثرة انامهم ابرز لهم من مكامن
التقدير ما نغص عليهم طيب الحيوة واذاق بغتة عنق السرور وكشرفوا بما كانوا
يتحسون من كاسات الامانى فتبدل ضياء نهارلهم بظلمة الوحشة وتكدر ما فى
شرابهم بيد النوائب كما سبق به القسمة ولو ان اهل القرى اى تلك القرى التى
ارسلنا اليهم رسلا آمنوا واتقوا بدل ما كفروا وعصوا لفتحنا عليهم بركات من
السماء والارض بانزال المطر واخراج النبات او وسعنا عليهم الخيرات ويسرناها
لهم من جميع الجهات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد للتكرير والتكثير ولكن
كذبوا رسلنا فاخذناهم بما كانوا يكسبون من مخالفة امرنا وقال الاستاذ
لو آمنوا بالله واتقوا الشرك بما سواه لفتحنا عليهم اسباب العطاء
فان سبق بخلافه القضاء فابواب الرضاء والرضاء اتم من العطاء ويقال
ليس العبرة بالنعمة بل العبرة بالبركة فى النعمة ولذا لم يقل لضعفنا لهم النعم ولكن
قال باركنا لهم فى ما خولناهم قلت وفى الحديث اللهم متعنى بما رزقتنى وبارك
لى فيه افامن اهل القرى اى ابعد ذلك امنوا ان ياتيهم باسنا عذابنا بياتا
اى تبييتا او مبيتا او مبيتين او وقت بيات وهم نائمون حال كونهم غافلين
اوامن اهل القرى قرأ نافع وابن كثير وابن عامر او بالسكون على الترديد
للتنويع ان ياتيهم باسنا ضحى ضحوة النهار وهم يلعبون يلهون من فرط
الغفلة او يشتغلون بما ليس فيه المنفعة وافاد الاستاذ ان اكثر ما ينزل البلاء
ينزل فجاءة على غفلة من اهله وقلته ومن حذر البيات لم يجد روح الرقاد
ويقال رب ليلة مفتتحة بالفرح مختتمة بالترح ويقال رب يوم تطلع شمسه من
اوج السعادة فامست ظهيرته على قيام القيمة افامنوا مكر الله وهو استدراج
العبد بنعمة واخذه من حيث لا يشعر به فلا يامن مكر الله الا القوم الخسرون
خسروا بالكفر ولم يعتبروا بالامر وافاد الاستاذ ان من عرف علو قداره خشى
خفى مكره ومن امن اخفى مكره نسى عظيم قدره ومن نفائس الوائس بكل قوم مكره فمكره
بالعموم ممزوج بالقهر وهو ان يعطيهم اسباب العبودية ولم يوفقهم بها ويعطيهم
النعمة ولا يعطيهم لسان الشكر عليها ولا يعرفهم حقايق الاستدراج بسلب
النعمة عنهم واخلائهم بلا نعمة ولا شكر منهم ومكره بالخصوص ان يلذذ ما وجدوا منه

فی قلوبهم

فى قلوبهم وتحجبهم بتلك الحلاوة عن ادراك فوق مقاماتهم من مكاشفة الغيوب
فى القلوب ومكره بالمحبين والعاشقين ظهور الصفات فى الآيات وهو
مقام الالتباس ومكره بالعارفين والموحدين ان يريهم نفسه على قدر قوة المعرفة
والتوحيد ولا يعرفهم مكان المكر هناك بان يعلموا ان ما وجدوا منه عند ما لم
يجدوا منه كقطرة فى بحار وذلك من حلاوة مباشرة انوار القدم والبقاء فى اسرار
ارواحهم وقلوبهم وعقولهم ولو اطلعوا على حقايق مكره حيث حجبهم به عنه لذابوا
من الحياء تحت انوار سلطان كبريائه وعظمته ومكره باهل الاتحاد ان يريهم جلاله
وجماله فى مرآة قلوبهم فيرونه بحسن الازل وجمال الابد بنعت فنائهم فيه
فيبقيهم من حد الفناء فيرون انفسهم كانهم هو من حدة مباشرة الصفة بالفعل
فيحتجب عنهم ويبقيهم فى حلاوة تاثير انوار الصفات فيرون انفسهم فى
محل الربوبية فيدعون هناك بالانانية كحسين بن منصور وابى يزيد قدس الله ارواحهما
فهناك اخفى المكر والطف الاستدراج ولولا فضله وكرامته عليهم لابقاهم
فيما هم فيه ولكن بلطفه الخفى وانعامه الجلى اخرجهم من ذلك واغرقهم فى بحار
عظمته حتى اقروا بانهم ليسوا على شئ منه وانهم فى اول درجة من عبوديته
الاترى قول ابى يزيد فى آخر عمره حيث قال ما ذكرتك الا عن غفلة ولا عبدتك
الا عن فترة والى قول حسين بن منصور فى وقت قتله تقتلون رجلا ان يقول
ربى الله وهذا لطف الله بنبينا صلى الله عليه وسلم حيث حرسه فى هذا
المكر الخفى فى مقام رؤية الاعلى وشهود قاب قوسين او ادنى بقوله لا احصى
ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك ذوقه طعم الربوبية واوقفه فى مقام
العبودية حتى افتخر بعبوديته بعد وجدان ربوبيته بقوله انا العبد لا اله الا الله
وكل صنيع منه لطيف باوليائه ان مكر بهم وان لم يمكر بهم ومن نجا من مكره
والكل فى قبضة العزة متحيرون وكيف يامن مكره من يعرفه بالربوبية ويعرف
نفسه بالعبودية حكى ان رجلا سأل الشبلى عن معنى مكر الله فانشد الشبلى يقول
احبك لا ببعض بل بكلى • وان لم يبق حبك لى حراكا • ويقبح من سواك
الفعل عندى • وتفعله فيحسن منك ذاكا • فقال السائل سألتك عن آية
من كتاب الله وتجيبنى ببيت شعر فعلم الشبلى انه لم يتفطن لما قال فقال
يا هذا مكره بهم تركه اياهم على ما هم فيه قال الحسين لا يامن من المكر الا من هو غريق
فى المكر ولا يرى المكر به مكرا واما اهل اليقظة فانهم يخافون المكر فى جميع
الاحوال اذ السوابق جارية والعواقب خفية وقال ايضا من لا يرى الكل
تلبيسا كان المكر منه قريبا قال ابو الخير الديلمى كنت يوما عند الجنيد فارتعدت
فرائصه وتغير لونه وبكى وقال ما اخوفنى ان ياخذنى الله قال له بعض اصحابنا

نخلهم فی درجات الواصلین و احوال المشتاقین قال یا بنی ایاک ان تأمن مکر الله
فلا یأمن مکر الله الا القوم الخاسرون قال سهیل المکر تدبیر الله تعالی بسابق العلم فلا ینبغی
لاحد ان یأمن مکر الله و ذلک ان من امن مکر الله یدعی رفع القدرة فلا یجوز ان یخرج
نفسه من قدرة الله علیه اولم یهد ای الم یبین للذین یرثون الارض من بعد
اهلها ای یرثون دیارهم ویعقبون اثارهم ان لو نشاء اصبناهم ان الشان لو نشاء
اصبناهم بالبلاء والجزاء بذنوبهم کما اصبنا من قبلهم بعیوبهم ونطبع ای ونحن نختم
علی قلوبهم فهم لا یسمعون الموعظة ابدا اسماع قبول وتفهم وحصول وقال الاستاذ
ای اولم یعلم المغترون بطول سترنا ان لو اردنا لعجلنا عنهم الانتقام و ابلغنا فیهم الاصطلام
ثم لا ینفعهم ندم ولا ینکشف عنهم الم تلک القری ای قری الامم التی مر ذکرها و بیانها
نقص علیک من انبائها نحکی الیک بعض اخبارها ولقد جاءتهم رسلهم بالبینات
بالمعجزات الظاهرات والآیات الباهرات فما کانوا لیؤمنوا بها عند مجیئها ولم
یصلوا الایمان عند ظهورها بما کذبوا من قبل بما کذبوه من قبل الرسل بل کانوا مستمرین
علی التکذیب بجمیع الانبیاء او من قبل رؤیتهم تلک المعجزات من الانباء والمعنی ان
کفرهم السابق سبب کفرهم اللاحق وعن کثیر من السلف وهو مختار بعض الخلف
ان المراد من قبل یوم اخذ المیثاق فانهم اقروا باللسان و اضمروا التکذیب فی
الجنان وافاد الاستاذ انهم سلکوا طریقا واحدا فی التمرد و اجتمعوا فی خط واحد
فی الجحد و التبلد فلا الی الایمان جنحوا ولا من العدوان رجعوا وکذلک صفة من
سبق بالشقاء قسمته وحق بالعذاب علیهم کلمته کذلک ای مثل ذلک الطبع الشدید
والختم التشدید والحتم الاکید یطبع الله علی قلوب الکافرین فلا تلین شکیمتهم بالآیات
ولا تدخل فیهم شیء من اثر العنایات وما وجدنا لاکثرهم ای لاکثر الامم السابقة
من عهد وفاء بالعهود السالفة او بالعهد الذی عاهدهم یوم المیثاق او عهدهم
مع انبیائهم علی وفق الوفاق ورفع الشقاق وان وجدنا اکثرهم ای وان الشان
علمنا جمهورهم لفاسقین خارجین عن طاعتنا وافاد الاستاذ انه نجم فی الغدر
طارقهم وافل من سماء الوفاء شارقهم فعدم اکثرهم رعایة العهد وحق من الحق لهم
تسمیة الرد والصد ویقال شکا عن اکثرهم الی اقلهم فالاکثرون من ردتهم القسمة
والاقلون من قبلتهم الوصلة وقال صاحب العرائس کان هذه الآیة نزلت فی
شان مع هؤلاء البطالین الذین سلکوا الطریقة و احتظوا بما وجدوا فیها
من الجاه والمال والسمعة ونقضوا عهد الارادة و اشتغلوا بالریاسة وخالفوا
فی الشریعة وانکروا علی المشایخ من اهل الحقیقة اعمی الله قلوبهم ما اشد انکارهم
علی الحق وما اشد خروجهم عن طریق الصدق جمعهم الله فی الاستدراج وطردهم
عن انوار المنهاج کانه تعالی عاتب الجمهور حیث لم یفوا عهد الازل حیث وقف

الکل علی

الکل علی ما وجدوا وهذا شان من لم یلتفت فی مشاهدة المحبوب الی غیر المحبوب
ولکنهم معذورون لان الحدثان لا یستقل بحمل محامل الکبریاء وسطوات القدم
والبقاء فی اودیة الفناء قال الجنید احسن العباد حالا من وقف مع الله علی حفظ الحدود
والوفاء بالعهود قال تعالی وما وجدنا لاکثرهم من عهد وان وجدنا اکثرهم لفاسقین
ای متجاوزین عن الحد و خارجین عن العهد ثم بعثنا من بعدهم ای بعد الرسل
او الامم موسی بآیاتنا ای المعجزات الی فرعون وملائه ای قومه من هو علی دینه او خص
الاشراف لانهم مدار رایه وحصار مجلسه فظلموا بها بان کفروا بها مکان الایمان
الذی هو حقها لوضوحها فانظر کیف کان عاقبة المفسدین لتعتبر بما لهم
فی سوء فعالهم وقبح حالهم وقال الاستاذ لما انقرض اباهم وتقاصر عن
بساط الاجابة اقدامهم بعث الله الیهم موسی علیه السلام نبیه وضم الیه
هارون علیه السلام صفیه فقوبلا بالجحود والتکذیب فسلک بهم مسلک اخوانهم
فی التبعید والتعذیب وقال موسی یا فرعون انی رسول من رب العالمین قیل لم
یقل الیک لانه لم یرسل الحبیب الی العدو فهو فی الحقیقة رسول الی المؤمنین
لیکون موعظة للعابدین وحجة علی المعاندین کان القرآن هدی للمتقین وخسارا
للظالمین کالنیل ماء للمحبوبین ودماء للمحجوبین وقد یقال ان رب العالمین
ارسل افضل المحبین الی اجهل الضالین تخلیصا للضعفاء المساکین حقیق
علی ان لا اقول علی الله الا الحق صفة رسول او خبر بعد خبر وعلی بمعنی الباء نحو
قولهم جئت علی حال حسنة ویؤیده قراءة ابی بالباء وفی قراءة نافع علی تشدید
الیاء فقوله ان لا اقول فاعل حقیق قال ابن عطاء من تحقق بالحق فلا یقول
علی الحق الا ما یلیق بالحق وافاد الاستاذ ان الرجوع الی دعاء فرعون الی الله
بعد سماع کلام الله بلا واسطة صعب شدید ولکنه لما ورد الامر قابله بحسن القبول
فلما ترک اختیار نفسه امده الحق سبحانه بنور التأیید حتی شاهد فرعون
محوا فی التقدیر فقال حقیق علی ان لا اقول علی الله الا الحق فاذا لم یصح
ان یقول علی الحق الا الخلق والخلق محو فیما هو الموجود الازلی فای سلطان للآثار
المتفرقة فی حقایق الجمع قد جئتکم ببینة من ربکم ای العصا او الید البیضاء
فارسل معی بنی اسرائیل ای تخلهم لکی یرجعوا معی الی الارض المقدسة التی
هی موطن الانبیاء ومسکن الاصفیاء وکان فرعون قد استعبدهم واقامهم
فی مقام الاهانة واستخدمهم فی الاعمال الشاقة واحوال المهانة قال ان کنت
جئت بآیة ای من عند رب العالمین فأت بها ای احضرها لیثبت صدقک
بها ان کنت من الصادقین فی دعوتک النبوة والرسالة بارسال هؤلاء
الجماعة وافاد الاستاذ ان من ان مجرد الدعوی لا حجة فیه ولکن اذا ظهر البرهان

لم يبق غير الانقياد لما هو الحق الثابت كالعيان فمن استسلم سلم ومن جحد المعاين
بعد لوح البيان سقط سقوطا لا ينتعش فى مكان ولا زمان فالقى عصاه اى بامر الله
فاذا هى ثعبان اى حية عظيمة مبين ظاهر الهيئة روى انه لما القيها صارت
ثعبانا فاتحا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على
سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه فاحدث فزعا منه وانهزم الناس مزدحمين
فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك
خذه وانا اومن بك وارسل معك بنى اسرائيل فاخذه فعاد عصا على سيرتها
الاولى وافاد الاستاذ ان الله سبحانه انما اظهر المعجزة من عصاه لطول مقارنته اياه
فان الانسان الى ما الفه اسكن بقلبه فلما رأى ما ظهر فى العصا من الانقلاب
اخذ موسى عليه السلام فى الفرار لتحققه بان ذلك من قهر الحقائق وفى هذا اشارة الى ان
السكون الى الشئ غرة وغفلة اى شئ كان فان تقلب العبد فى قبضة القدرة
وهو فى اسر التقليب فليس للطمع فى السكون مساغ بحال ونزع يده اى اخرجها
من جيبه او من تحت ابطه فاذا هى بيضاء للناظرين اى بيضاء بياضا خارجا
عن العادة يجتمع عليها النظارة والمعنى انها بيضاء نورانية غلب شعاعها
شعاع الشمس ثم اعادها الى كمه فعادت الى لونها الاول على ما قاله مجاهد
وغيره فلا ينافى ما روى انه كان آدم شديد الادمة وافاد الاستاذ ان العصا
وان كانت معه فى زمان فيده اخص به لانه عضو له فكاشفه اولا بسمة من رسم ثم
استشهده من ذاته فى ذاته ليعرف انه اولى به منه صغارا اى انقلاب
وصف فى يده علم انه ليس بيده شئ من امره قال الملأ من قوم فرعون ان
هذا لساحر عليم فى صنعته قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور فى
امره فحكى عنهم هنا وعنه فى الشعراء وقال الملأ بطريق التبليغ من لسان فرعون
الى قومه وهم القبط يريد ان يخرجكم يا معشر القبط من ارضكم اى مصر فماذا
تأمرون اى تشيرون فى امره بان نفعل به او اى امر تأمرون به وعلى كل تقدير تشم
من هذا الكلام رائحة الدهشة والحيرة فى مقام المرام وقال الاستاذ اذا اراد الله هوان
عبد لا يزيد للمحق حجة الا ويزيد لذلك المبطل فيه شبهة فكلما ازداد موسى عليه السلام
فى اظهار المعجزات ازدادوا حيرة فى روم التأويلات قالوا ارجه واخاه من الارجاء
وهو التأخير اى آخر امره وامر اخيه او احبسهما وفيه ست روايات متواترة
فى السبعة كلها معتبرات محل بيانها كتب القراءات وارسل فى المدائن حاشرين
اى جمعا يحشرون اليك من فى مدائن صعيد نواحى مصر من السحرة يأتوك بكل ساحر
عليم وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى يونس سحار عليم كما هو المجمع عليه فى الشعراء
كانهم اتفقت عليه آراؤهم الكاسدة فاشاروا بها الى فرعون على وفق عقيدته

الفاسدة

الفاسدة وبالجملة اشارة الى عجزه بالاستنصار الى غيره المنافى لدعوته بالالوهية وقال
الاستاذ توهم الناس انهم بالتأخير وتقديم التدبير وبذل الجد والتشمير يغيرون شيئا
من التقدير ولم يعلموا ان القضاء غالب والحاكم سابق وعند حلول الحكم فلا سلطان
لعلم ولا فهم كلا بل هو الله الواحد القهار وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل الشرط
اليهم فى طلبهم غضبا عليهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين اى على موسى
ومن كمال عقلهم ما جزموا بالغلبة فى فعلهم وقرأ نافع وابن كثير وحفص بلفظ
الاخبار وتقدير الاستفهام لحمل المخاطب على الاقرار قال فرعون نعم ان لكم لاجرا
من عطاء المال وانكم لمن المقربين بزيادة الجاه فى المال قيل دعا فرعون السحرة
الى القرب منه وجرى لهم فى الازل مقام القرب من الحق وقال الاستاذ
وظنوا انهم يغلبون بما يسحرون ولم يعلموا ان تأثير القدرة فيهم ابلغ من تأثير سحرهم وانه
لا يرد عنهم ما زوروه فى انفسهم من فنون حيلهم ومكرهم فكادوا وكيد لهم فهو كما قيل
ورمتنى بالسهم صائبات ٭ فتعمدته بسهم فطاشا ٭ فبينا هم فى توهم ان
الغلبة لهم فتح عليهم من مكامن القدرة جيش فوجدوا انفسهم فى فخ القدرة
مقهورة بسيف المشيئة قالوا يا موسى اما ان تلقى ما بيدك من العصا واما ان
نكون نحن الملقين ما بايدينا من الحبال والعصى خيروا موسى مراعاة للادب
والمروءة او اظهارا للجلادة قال القوا ما تلقونه كرما وتسامحا لهم وازدراء بهم
ووثوقا على الله فى شأنهم فليس امرهم بالالقاء قبله من قبيل الاباحة للسحر
ولا من باب الرضى بالكفر بل لتوقف ظهور الحق فى الامر فلما القوا سحروا
اعين الناس بان خيلوا اليها ما لا حقيقة لها او ما الحقيقة بخلافها
واسترهبوهم اى ارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاءوا
بسحر عظيم فى فنه الذميم روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها
حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا من كثرتها قيل خمسة عشر الف
ساحر وقيل اكثر مع كل عصى وحبال غلاظ طوال قال السدى كانوا بضعة
وثلاثين الف رجل ونقل ابن جرير انهم سبعون الف ساحر واوحينا الى
موسى ان الق عصاك فالقاها اى فصارت حية فاذا هى تلقف وقرأ
حفص بتخفيف القاف اى تبتلع ما يأفكون اى ما يزورونه من الافك
وهو صرف الشئ وقلبه عن وجهه روى انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم
وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين وحملت على الكافرين فهربوا وازدحموا
حتى هلك جمع عظيم من خوف ذلك المقام او من كثرة الزحام ثم اخذها موسى
فعادت كهيئتها الاولى فقالت السحرة لو كانت هذا سحرا لبقيت حبالنا
وعصينا جهرا فوقع الحق ثبت ظهوره وتبين نوره وبطل ما كانوا يعملون

اى السحر وزوره قال بعض العارفين اظهر الحق تعالى لطيفة من صنعه فى خشية
عجز السحرة عنها وجعلها سبب نجاتهم فيها فقال وقع الحق اى باظهار القدرة
فى جماد وبطل ما كانوا يعملون من الاباطيل فى عناد فغلبوا هنالك وانقلبوا
صاغرين صاروا اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه الحاضرين والقى السحرة
ساجدين لله بالوحدانية عابدين وجعلهم ملقين على وجوههم الجاء الى ان
الحق غلبهم والى السجود جذبهم من غير تمالك لهم قال الواسطى ادركتهم سابقة
ما قضى لهم فى الازل فاظهر منهم سجود العبادة وقال جعفر الصادق وجدوا
نسيم رياح العناية القديمة بهم فالتجأوا الى السجود شكرا لما انعم عليهم
قالوا آمنا برب العالمين لا رب القبط على زعم فرعون رب موسى وهارون
ابدل لرفع وهم انهم ارادوا به فرعون وقال الاستاذ موهوا السحر بهم انهم
غلبوا فادخل الله سبحانه على تمويهاتهم قهر الحق فطاحت تلك الحيل وخاب
منهم الرجاء والامل وجذب الحق سبحانه اسرارهم على الوهلة فاصبحوا فى صدار
العداوة وكانوا فى التحقيق من اهل المودة فسبحان من يبرز العدو فى نعت الولى
ثم يغلب الكتاب ويظهر الولى فى صورة العدو ثم يأبى الحال الا حصول المقضى
فى الباب قال فرعون آمنتم به بالله او بموسى او بكل منهما والاستفهام فيه
للانكار وقرأ حفص بلفظ الاخبار وبيان تحقيق الهمزة وتسهيلها محلة
كتب القراءة قبل ان آذن لكم فى الايمان به ان هذا لمكر مكرتموه ان هذا الصنع
لحيلة صنعتموها انتم وموسى فى المدينة مدينة مصر قبل ان تبرزوا للميعاد
لتخرجوا منها اهلها من القبط بالافساد فيبقى البلد لكم ولبنى اسرائيل معكم
فسوف تعلمون عاقبة فعلكم وهو تهديد مجمل تفصيله قوله لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف اى من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم
وتنكيلا لامثالكم قال سمنون يحمل الهيكل من البلايا على المشاهدة
ما لا يحمل فى حال الغيبة الا ترى كيف لم يبال سحرة فرعون بما هددهم به من غير
عون وقال الاستاذ خاطبهم فرعون لمعتقدا انهم هم الذين كانوا ولم يعلم
ان تلك الامراء قد حررت عن رق الاشكال وان قلوبهم طهرت عن توهم
التفرقة وان شمس العرفان طلعت فى سماء اسرارهم فاشهد والحق بنظر
صحيح لم يبق لتخويفات النفس فيهم سلطان ولا لشئ من العلل فيهم مساغ
قالوا انا الى ربنا منقلبون اى لا محالة بالموت اليه راجعون فلا نبالى بوعيدك
ولا نهتم بتهديدك او الى حكم ربنا لا الى حكمك منصرفون فان الامر كله لله ولا
قدرة ولا قوة لمن سواه وافاد الاستاذ انه لما كان مصيرهم الى الله سهل عليهم
ما لقوا فى مسيرهم الى الله وما تنقم منا اى ما تنسب عيبا الينا ولا تنكر بشئ

علينا

علينا الان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو افضل المواهب واكمل المناقب
فلا ينبغى العدول عنه طلبا للدنيا فالاستثناء من قبيل المدح بما يشبه الذم كما قيل
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ثم فزعوا الى الله
واعرضوا عما سواه فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا ويعمرنا
الى آخر عمرنا وتوفنا مسلمين ثابتين على الدين واليقين قال ابن عباس وغيره
كانوا اول النهار اعداء سحرة وفى آخره شهداء بررة وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى
انتما ومن اتبعكما الغالبون وافاد الاستاذ انهم لما علموا الله وارادوا فى الله
صدقوا القصد الى الله فطلبوا المعونة من قبل الله كذا سنة من كان كله
لله ان يكون كله على الله وقال الملاء من قوم فرعون اى لفرعون اتذر موسى وقومه
اى بنى اسرائيل ليفسدوا فى الارض بتغيير الناس عليك وتنفيرهم عنك
ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك وآلهتك اى وليترك عبادتك واصنامك
التى امرت الناس بعبادتها نيابة عنك وتقربا اليك ولذا قال انا ربكم الاعلى
وقيل كان يعبد الكواكب وقيل كان لفرعون بقرة يعبدها ويأمران يعبدوا
بقرة حسنا نقله ابن عباس وقيل علق على عنقه صليبا يعبده قاله الحسن البصرى
قال اى فرعون سنقتل ابناءهم قراء الحرميان بالتخفيف ونستحيى
نساءهم نستبقى بناتهم ابقاء للنسل وابداء للخدمة والمعنى انا نفعل ما كنا
نفعل من قبل حين حكمت الكهنة بوجود مولود له على يده ذهاب ملكنا ليعلم
انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة لنا ولا يتوهم احد انه المولود الذى حكم المنجمون
بانه السبب لذهاب تصرفنا وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم تحت ايدينا
مقهورون وقال الاستاذ لما استزاد وا من فرعون فى التمكن من موسى
عليه السلام وقومه استنكف بعجزه ويعترف بقصور قدرته فتوعد موسى وقومه
بما عكس الله عليه تدبيره وقلب عليه تقديره قال موسى لقومه حين شكوا اليه
من تهديد فرعون وامره استعينوا بالله واصبروا على حكمه ان الارض لله
ملكا وملكا يورثها من يشاء من عباده فلربما يأخذ منهم ويعطيكم بسهولة
كالميراث بان يهلكم ويخلفكم ففيه تسلية لهم فى تلك الحالة وتقدير للامر بالاستعانة
والعاقبة للمتقين اى عاقبة الامر بالظفر والنصر للمتقين الله ولمن لا يلتفت
الى ما سواه فتعلقوا به ولا تبالوا بغيره وقال بعضهم معناه الآخرة للمتقين خاصة
فانها بالشركة بين المسلمين والكفرة وقال الاستاذ احالهم على من كان رجوعه
اليه فقال لهم ان رجوعى عند تحيرى فى امورى الى ربى فليكن رجوعكم اليه
وتوكلكم عليه وتعرضوا لنفحات نشره ورشحات بسره فانه حكم لاهل الصبر بجميل
العقبى وحصول النصر قالوا اى بنوا اسرائيل اوذينا بقتل الابناء من قبل

ان تأتينا بالرسالة والانباء بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته على يد الاعداد
قال موسى عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض ارضهم وملكهم وهذا تصريح
بما علم منا لما راى انهم لم يتسلوا بما كنى فينظر كيف تعملون من شكر وكفران وطاعة
وعصيان ليجازيكم على اعمالكم بحسب احوالكم وافاد الاستاذ انه خفي عليهم شهود
الحقيقة وغشي على بصائرهم وجود الطريقة حتى قالوا توالى علينا البلايا ففي
حالك بلاء وقبلك شقاء فالفصل بين الاعداء والاحياء فجاءهم موسى
عليه السلام بما علق لهم الرجاء بكشف البلاء فقال عسى ربكم ان يهلك عدوكم
الآية فربطهم على الانتظام ووقفهم في نظام المقام ومن شهد بعض الاسرار
شهد تصاريف الاقدار ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة
الامطار والنبات والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويورخ منه
ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون يتعظون فيترق قلوبهم
بالبلاء على سبيل الولاء ليتضرعوا الى المولى بحسن الالتجاء في طريق الولاء
قال محمد بن الفضل اول رياضة يروض الانسان بها نفسه الجوع لان الله تعالى
اخذ الاعداء بذلك فقال ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين وآخر رياضة يروض
الانسان بها نفسه التقوى لان الله تعالى قال واياى فاتقون وافاد الاستاذ
انه سبحانه شدد عليهم وطاءة القدرة بعد ما ضاعف لديهم اسباب النعمة
فلا الوطاءة اصحاهم شدتها ولا النعمة نبههم كثرتها لا بل ان مسهم يسر لاحظوه
بعين الاستحقاق وان مسهم عسر حملوه على التطير لموسى عليه السلام بمقتضى الاغترار
في الشقاق فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا لاجلنا هذه
اى هذه النعمة ونحن مستحقوها ولم يشكروا منعمها وان تصبهم سيئة
جدب وبلية يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولون ما اصابتنا الا
بشومهم وافاد الاستاذ ان الكفور لا يرى فضل المنعم فيلاحظ الاحسان بعين
الاستحقاق ثم اذا اتصل به شيء مما يكرهه تجنى وحمل الامر على ما يتمنى وكذا الملول
اذا اراد قطيعة مل الوصال وقال كان وكان الا انما طائرهم عند الله اى شومهم
من قبل الله كما قاله ابن عباس والمعنى ان سبب خيرهم وشرهم عنده وهو مشيئته
وحكمه او سبب شومهم وهو اعمالهم القبيحة المكتوبة عنده فانها التي ساقت
اليهم ما يسوءهم ولكن اكثرهم لا يعلمون اى ما يصيبهم من حكم مولاهم او من شوم
اعمالهم وافاد الاستاذ ان المتفرد بالايجاد هو الواحد ولكن بصائرهم مسدودة
وعقولهم عن شهود الحقيقة مصدودة وافهامهم عن ادراك المعاني مردودة
وقالوا مهما تأتنا به من آية مهما اصلها ما الشرطية والحقت بها ما المزيدة ثم قلبت
الفها هاء استثقالا لتكرارها ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره

ما بعده اى اى شيء تحضرنا به من خرق عادة لتسحرنا بها اى لتسحر بها اعيننا
وتخيل بها علينا فما نحن لك بمؤمنين بمصدقين لك في دعويك بالرسالة الينا
وافاد الاستاذ انهم جعلوا الاصرار على الاستكبار شعارهم وهتكوا بالسنتهم
في العتو استارهم فارسلنا عليهم الطوفان اى ما طاف بهم وغشي اماكنهم
من مطر او سيل وفسر الطوفان بالجدري وبالموتان وبالوباء وبالطاعون
والجراد حتى اكلت حروثهم وافسدت زروعهم والقمل قيل هو كبار
القردان وقيل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقيل هو القمل بفتح القاف
حتى اكلت ابدانهم ومصت دماءهم والضفادع اى في مياههم وما كلهم
ودنياهم والدم الرعاف الدائم على ما رواه ابن ابي حاتم عن زيد بن اسلم
او جعل النيل دما للمحجوبين وابقى ماء للمحبوبين آيات حال كون المذكورات
معجزات وعلامات على صدق موسى عليه السلام مفصلات مبينات
لا يشكل على عاقل انها آيات واضحات او منفصلات لوقوعهن في حالات
لما قيل من ان بين كل آيتين منها شهرا وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا
وقيل ان موسى عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم
هذه الآيات على اختلاف الاوقات فاستكبروا عن الايمان او تكبروا
على اهل اليقين وكانوا قوما مجرمين في علم الله المبين او صاروا مجرمين بامتناع
قبول الدين وافاد الاستاذ انه سبحانه جانس عليهم العقوبات لما نوعوا انواع
المخالفات فلا في التكفير رغبوا ولا الى التطهير قصدوا وعقوبتهم بصرف
قلوبهم عن شهود الحقايق ابلغ مما اتصل بظواهرهم من فنون البلايا
التي هي العلايق والعوائق ونعوذ بالله من السقوط عن عين الله ولما
وقع عليهم الرجز اى العذاب المفصل قالوا يا موسى ادع لنا ربك
بما عهد عندك اى متوسلا بحق ما عهده عندك وهو النبوة لئن كشفت
عنا الرجز اى العذاب النازل بنا لنؤمنن لك ولنرسلن معك
بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز اى ازلنا ورفعنا عنهم ذلك العذاب
الى اجل هم بالغوه اى الى حد من الزمان هم واصلوه فمعذبون فيه او مهلكون
وهو وقت الغرق او الموت اذا هم ينكثون ينقضون عهدهم ويخلفون
وعدهم وهو جواب لما وفي ايراد اذا المفاجأة الى انهم فاجأوا النكث من
غير تأمل فيه وتوقف عنه وافاد الاستاذ انهم لم يقولوا ادع لنا ربنا بل
قالوا ربك لانهم ما ازدادوا بزيادة تلك المحن الا بعدا واجنبية ثم انهم
ابرموا العقد ونقضوه وقدموا العهد ورفضوه كما قيل اذا ارعوى عاد الى جهله
كذا الضنى عاد الى نكسه فانتقمنا فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم

البحر الذي لا يدرك قعره بانهم كذبوا باياتنا حين جاءهم رسولنا وكانوا عنها
غافلين اي غير ملتفتين اليها قبل ارسالنا قال القاسم من لم يحفظ اسرار الاولياء
في جميع الاوقات لا ينفعهم اللجاء اليهم في ازمنة البليات الا ترى كيف لم يؤثر على
اصحاب فرعون اللجاء الى موسى وطلب العون فقال عز من قائل فانتقمنا منهم بعد
ما كشفنا عنهم واورثنا الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد في تحمل البلاء
وذبح الابناء واستخدام النساء من مستضعفهم مشارق الارض ومغاربها عن
الحسن البصري وقتادة وغيرهما ان المراد بمشارق الارض ومغاربها ارض الشام
ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فيها مثل الورثة التي باركنا
فيها بالخصب والرخاء وسعة العيش بها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل
اي مضت عليهم واستمرت بهم وانتقلت اليهم انجاز وعده سبحانه اياهم بالنصر
والظفر وهي كما قاله مجاهد وابن جرير معنى قوله تعالى ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا
يحذرون بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد وافاد الاستاذ ان من صبر
في الله على مقاساة المذلة وضع الله على راسه قلنسوة العزة فان العزيز
سبحانه لا يشمت باوليائه اعداءهم ولا يضيع من جميل عهده جزاءهم ودمرنا
وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون
اي يرفعون الكروم في الجنات وقرأ ابن عامر وابو بكر بضم الراء هنا وفي النحل
وجاوزنا اي عبرنا ببني اسرائيل البحر واغرقنا فرعون وقومه ففيه تسلية لرسول
عليه السلام مما راى من المخالفين وايقاظ للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة
انفسهم ومراقبة احوالهم ومحافظة اعمالهم لئلا يقعوا فيما احدثه بنو اسرائيل من
الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الايات العظام
فاتوا امروا على قوم من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم يعكفون بكسر الكاف
لحمزة والكسائي اي يقيمون على اصنام لهم اي عبادتها قيل كانت تماثيل
بقر وذلك اول شان العجل ومبداء للجهل بتصور ان يكون الاله بالجعل قالوا
يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده بحسب الظاهر كما لهم الهة يعبدونها
على وفق الخاطر وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون اي لا تعرفون ذاته
وصفاته فان العاقل لا يطلب معبودا مخلوقا لا ينفع ولا يضر ابدا وفيه تنبيه
ان ايمانهم كان تقليدا او وقع لهم هذا ارتدادا ان هؤلاء القوم الجهلاء
متبر مكسر مدمر ما هم فيه اي يهدم الله دينهم الذي هم عليه من الابتداء
ويحطم اصنامهم في الانتهاء وباطل مضمحل من اصله في نظر العقلاء ما كانوا
يعملون من عبادتها البتة ليس فيها ريبة ولا شبهة ولو قصدوا بها القربة
والوصلة وافاد الاستاذ انه لم يخلص قلوبهم حقايق التوحيد ولم يصل الى الصدر هم

القوم صح

دقايق

دقايق التفريد فانت نفوسهم الى عبادة غير المولى حتى قالوا الموسى اجعل لنا
الها كما لهم الهة وكذا صفة من لم يتحرر قلبه عن اثبات الامثال والاعلال ساكنا
الى الاشكال والامثال ويقال انه من اكتفى بالفهم ان يكون معبوده متى يتوهم
في وصفه ان يخلص منه فتصوره قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا
وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وقال الاستاذ
ذكرهم انفراده سبحانه بانشائهم وابدائهم وان الاله هو المنفرد بالايجاد ونبههم
ايضا على عظيم نعمته عليهم وانه ليس له حق انعامه عليهم مقابلتهم اياه
بالتولي لغيره والعبادة لمن سواه واذ انجيناكم وقرأ الشامي انجاكم من ال
فرعون اي اذكروا هذا اللطف العظيم له معكم يسومونكم اي حال كونهم يذيقونكم
او يكلفونكم او يبغون لكم سوء العذاب شدته يقتلون ابناءكم بالتشديد لغير
نافع ويستحيون نساءكم بيان لما قبله او بدل بعض منه مبين له وفي ذلكم الانجاء
او العذاب بلاء من ربكم عظيم منحة جسيمة او محنة عظيمة وقال الاستاذ
ما ازداد موسى عليه السلام في تعديد انعام الله عليهم وتنبيههم على عظيم الاية الا ازدادوا
جحدا على جحد وبعدا بالقلوب عن محل الوفاق على بعد وهذه امارة من ابلاه الله
سبحانه في سبق السبق بالقطع والرد وواعدنا باثبات الالف لغير البصري
موسى ثلثين ليلة للمناجاة وارسال كتاب من عنده لامته وهي ذو القعدة على
ما قاله ابن عباس ومجاهد ومسروق وابن جريج واتممناها بعشر من ذي الحجة في امر
الا فانه تعظيما للحجة فتم ميقات ربه اي كمل بالغا اربعين ليلة او فصار اربعين
وافاد الاستاذ ان عدة الاحباب عزيزة فاذا حصلت المواعدة من الاحباب
فهي عذبة حلوة كيف ما كانت وفي هذا المعنى انشدوا امطليني وسوفي وعديني
ولا تفي ويقال عجل الحق سبحانه موسى بالوعد الذي وعده بان يسمعه مرة اخرى
كلامه وذلك انه في المرة الاولى ابتداه بالاسماع من غير وعد ولا انتظار ولا توقع ولا
امل فاخذه سماع الخطاب بمجامع قلب موسى عليه السلام فعلق قلبه بالميقات المعلوم
ليكون تاميله تعليلا له ثم ان وعد الحق سبحانه لا يكون الا صدقا فاطمان قلب
موسى للميعاد ثم لما مضى ثلثون ليلة التي بها سلف العهد زاد له عشرا في الوعد
والمطل في الانجاز غير محبوب الا في سنة الاحباب فان المطل عندهم
اشهى من الانجاز وفي قريب من هذا المعنى انشدوا رقي لعمركم لا تهجرينا ومنينا
المنى ثم امطلينا عدينا موعدا ما شئت انا نحب وان مطلت الواعدينا
فاما تنجزي عدتي واما نعيش بما نؤمل منك حينا انتهى وحاصل ان كلام المولى
لموسى اولا كان على طريق الجذبة التي توازي عمل الثقلين وهو نعت المراد وهذا
المقام في حصول المرام انما هو على سبيل السير والسلوك كما هو وصف المريد فهو

مجذوب سالک کسائر الانبیاء وبعض الاصفیاء وهناک طائفة من الاولیاء
یسمی سالکا مجذوبا لم یحصل له الکمالات الا بالریاضات کما هو طریقة الحکماء وفی الجملة
لعدد الاربعین فی العبادة قوة تاثیر فی تاثیر الباطن من الصفاء والضیاء کما یشیر
الیه حدیث خمرت طینة آدم بیدی اربعین صباحا وحدیث من اخلص لله
اربعین صباحا اظهر الله ینابیع الحکمة من قلبه علی لسانه وحدیث من حفظ علی امتی
اربعین حدیثا من امر دینها بعثه الله فقیها عالما وامثال ذلک وقال موسی
ای عند ذهابه الی میقات ربه لاخیه هرون اخلفنی کن خلیفتی فی قومی واصلح
ارفق بهم واحملهم علی طاعة ربی ولا تتبع سبیل المفسدین بالسکوت
عن امرهم والرضی بحالهم وافاد الاستاذ ان هرون علیهم السلام کان حمولا حسن
الخلق فلما کان المرور الی فرعون استصحب موسی علیه السلام هارون فقال الله
سبحانه اشرکه فی امری بعد ما قال اخی هرون هو افصح منی لسانا ولما کان المرور
الی سماع الخطاب افرده عن نفسه فقال اخلفنی فی قومی وهذا غایة الحمل من هارون
ونهایة التهذیب والرضاء فلم یقل لا اقیم فی قومک ولم یقل هلا حملتنی مع نفسک
کما استصحبتنی حال المرور الی فرعون بل صبر ورضی بما الزم وهذه من شدائد
بلاء الاحباب وفی قریب منه انشدوا قال لی من احب والبین قد جد ودمعی
موافق لشهیق ما تری فی الطریق تصنع بعدی قلت ابکی علیک طول الطریق
ثم ان موسی علیه السلام لما رجع من سماع الخطاب ورأی من قومه ما رأی من عبادة
العجل فتح باب العتاب واخذ برأس اخیه یجره الیه حتی استلطفه هارون
علیه السلام فی الخطاب فقال یا ابن ام لا تاخذ بلحیتی ولا برأسی ویقال لو
قال هرون ان لم تعوضنی عما فاتنی من الصحبة فلا تعاتبنی فیما لم اذنب فیه بحال ذرة
ولا حبة لکان موضع هذه المقالة ویقال الذنب کان من بنی اسرائیل والعتاب
جری مع هرون کذا الحدیث والقصة ما کل من عصی وجنی استوجب العتاب
العتاب ممنوع عن الاجانب ولما جاء موسی لمیقاتنا لوقتنا الذی وقتناه
واللام للاختصاص ای اختص مجیئه لمیقاتنا الذی عیناه وکلمه ربه من غیر
واسطة الملائکة وروی ان موسی علیه السلام کان سمع ذلک الکلام من کل جهة
من جهاته وبکل ذرة من اجزاء ذاته ففیه تنبیه علی ان سماع کلامه القدیم لیس
من جنس سماع کلام الحدیث وایماء الی مقام کماله فی مرتبة الجمع بخلاف حالته
الاولیة فی ابتداء الجذبة حیث سمع الکلام من جانب الشجرة قال ابو سعید الخراز
من غیرة الله تعالی انه لم یکلم موسی الا جوف اللیل وغیبه عن کل ذی جنس حتی
لا یحضر کلام الله معه احد سواه ولما سمع کلامه فی اثناء ابنائه اشتاق الی جماله ولقائه
لا قبل فالاذن تعشق قبل العین احیانا قال رب ارنی انظر الیک ای تتجلی لی

فارک

فاراک واغیب عما سواک وهذه المقام المعبر عنه بالفناء والبقاء والمحو والصحو
قال لن ترانی ای لن تشاهد ذاتی بل الیک انظر الی مطالع مظاهر صفاتی فان تجلی الذات
لم یتصور لاحد فی الدنیا لانها دار الفناء وانما محلها دار البقاء کما قال تعالی وجوه
یومئذ ناضرة الی ربها ناظرة وکما ورد ستروون ربکم کما ترون القمر لیلة البدر
لا تضامون الاحادیث متواترة لثبوت رؤیة الله فی الآخرة وعلیه
اجمعت ائمة الامة سوی المعتزلة وکفی بهم حسرة ان عوملوا بمعتقدهم فحرموا
هذه النعمة ولکن انظر الی الجبل استدراک یبین ان بنیته فی الدنیا لا تطیق رؤیة
المولی قال الحسین فی قوله لن ترانی لو ترکه علی ذلک لتقطع شوقا ولکنه سلاه بقوله ولکن
قال الواسطی لن الی وقت لا الی الابد فکان موسی غائبا عن طبع البشریة حتی
استطاع المقام وقت المناجاة والکلام فلما وجد حلاوة الکلام طلب کشف المرام
فی الحال غائبا عن المآل فان استقر الجبل مکانه عند تجلی الحق سبحانه
علیه مع کونه اعظم جسما واقوی جسدا فسوف ترانی والتعلیق بالممکن دال علی
انه جائز غیر محال فلما تجلی ربه للجبل ای ظهر له نور عظمته وتبین له ظهور قدرته
وقوته جعله دکا مدکوکا مدقوقا وقرأ حمزة والکسائی دکاء ممدودا ای ارضا
مستویة وخر موسی صعقا ای سقط مغشیا علیه من هول ما رأی وقد ورد
وما تجلی الا قدر الخنصر وهذا عبارة ما نقل عکرمة عن ابن عباس لکن فی الترمذی
وغیره ما یدل علی انه مرفوع قال عطا شغله بالجبل ثم تجلی ولو لم یشغله بالجبل
لمات وقت التجلی فلما افاق ای موسی قال تعظیما لما رأی سبحانک
ای انزهک عما لا یلیق بک تبت الیک من الجراءة علیک فی مسألة
الرؤیة بغیر اذن منک علی ما فسره مجاهد وغیره وانا اول المؤمنین اول قومی
ایمانا واسبقهم ایقانا وقال ابن عباس ومجاهد وابو العالیة معناه انا اول
من آمن بانک لا تری فی الدنیا وانما محل رؤیتک العقبی وهذا لا ینافی مقام
الاسراء ورؤیته صلی الله علیه وسلم ربه بعین بصره علی ما قاله بعض العلماء
فانه مقام من مقامات الاخری قال جعفر الصادق فی قوله سبحانک تبت
الیک رجعت الیک من نفسی فلا امیل الی علمی فالعلم ما علمتنی والفعل
ما اکرمتنی وانا اول المؤمنین بانک لا تری فی الدنیا وانما جوز الکلام ولم یجوز
الرؤیة لان الرؤیة هی الاشراف علی الذات والکلام صفة من الصفات
ولا سبیل لاحد من خلقه الی ذاته قال عز وجل ولا یحیطون به علما وافاد الاستاذ
فی مقام بسط المراد انه جاء موسی کمجیئ المشتاقین ومجیئ المهیمین جاء موسی
بلا موسی جاء موسی ولم یبق من موسی شیئ لموسی الاف الاف رجل قطعوا مسافات
طویلة فلم یذکرهم احد وهذا موسی خطی خطوات فالی القیمة یقرأ الصبیان

ولما جاء موسى لميقاتنا ويقال لما جاء موسى للميقات باسطه الحق سبحانه
باسماع الخطاب فلم يتمالك حتى قال ارنى انظر اليك فان غلبات الوجد عليه
استنطقه بطلب كمال الوصلة من الشهود ولذا قالوا وابرح ما يكون الشوق
يوما اذا دنت الخيام من الخيام ويقال صار موسى عند سماع الخطاب بعين
السكر فنطق بما نطق والسكران لا يؤاخذ بقوله الا يرى انه ليس في نص الكتاب
معه بحرف من العتاب ويقال انه لما تمكن لم يكن ويقال اخذته عزة السماع فخرج لسانه
عن طاعته جريا على مقتضى ما صحبه من الات المحبة وبسط الوصلة ويقال جمع موسى
عليه السلام كلمات كثيرة يتكلم بها في تلك الحالة فان في القصص انه كان يتحمل في ايام
الوعد كلمات الخلق ويقال لمعارفه الكم حاجة الى ربه الكم كلام معه فاني اريد ان
امضى الى مناجاته ثم انه لما جاء وسمع الخطاب لم يذكر مما دبره في نفسه به وتكلمه
من قومه وجمعه في قلبه شيئا ولا حرفا بل نطق بما صار في الوقت غالب قلبه
فقال رب ارنى انظر اليك وفي معناه انشدوا فيا ليل كم من حاجة لي مهمة •
اذا جئتكم لم ادر يا ليل ما هيا • ويقال اشد الخلق شوقا الى الحبيب اقربهم
من الحبيب هذا موسى عليه السلام كان غريق الوصلة واقفا في محل المناجات محرقا به
سجوف التولي غالبا له بديهات الوجد ثم في عين ذلك كان يقول رب ارنى
انظر اليك كانه غائب عن الحقيقة لا ولكن اذا ازداد القوم شربا الا ازدادوا
عطشا ولا ازدادوا قربا الا ازدادوا شوقا لانه لا سبيل الى الوصال بالكمال
والحق سبحانه يصون اسرار اصفيائه عن مداخلة الملال ويقال نطق موسى
عليه السلام بلسان الافتقار فقال رب ارنى انظر اليك ولا اقل من نظرة والعبد
قتيل هذه القصة فقوبل بالرد وقيل لن تراني وكذا قهر الاحباب لذا قال قائلهم
جور الهوى احسن من عدله • وبخله اظرف من بذله • ويقال لما صرح بسؤال الرؤية
جهارا صريحا رد صريحا جهارا فقيل له لن تراني ولما قال نبينا عليه السلام بسترة في هذا
الباب واشار الى السماء منتظرا لورود الجواب من حيث الرمز نزل قوله تعالى
قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضيها فرده الى شهود الاحجار
والاطلال اشارة الى انه اعز من ان يطمح الى شهوده اليوم بطرف بل الالحاظ مصروفة
عنه موقوفة اليوم على الاغيار فقوله ارنى سمو الهمة الى الرتبة العلية وقوله تبت اليك
اناخة بعقوة العبودية وشرط الانصاف ان لا تبرح محل الخدمة وان حيل بينك وبين
وجود القربة لان القربة حق نفسك والخدمة حق ربك ولان تكون بحق ربك اتم من
ان تكون بحظ نفسك وفي معناه انشدوا • اريد وصاله ويريد هجري • فاترك ما اريد لما يريد •
قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك
برسالاتي وفي قراءة الحرميين برسالتي اي بوحي احكامي لك وبكلامي اي بتكليمي اياك

فخذ

فخذ ما آتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على هذه النعمة
ولا تطلب ما ليس لك به طاقة روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء
التورية يوم النحر وافاد الاستاد ان هذا الخطاب لتدارك قلب موسى عليه السلام
بكل هذا الذي كانه قال يا موسى ان منعتك عن شيء واحد هو الرؤية فلقد
خصصتك بكثير من الفضائل اصطفيتك بالرسالة واكرمتك بشرف الحالة
فاشكر هذه الجملة واعرف هذه النعمة وكن من الشاكرين ولا تتعرض لمقام الشكوى
وفي معناه انشدوا ان اعرضوا فهم الذين تعطفوا لم قد وفوا فاصبر لهم
ان اخلفوا وفي الآية اشارة لطيفة يعني ان منعتك مسؤلك ولم اعطك
مأمولك فاذا انصرفت منا لا تكن من الشاكرين عنا وكتبنا له في الالواح من
كل شيء بعض كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا
لكل شيء اي للموعظة واراد الخبر في المرام ولتبيين الحلال والحرام قال الاستاد وفي
الاثر ان موسى عليه السلام كان يسمع صرير القلم وفي هذا نوع لطف لانه ان منعه من النظر
فقد علله بالاثر فخذها اي فقلنا له خذ الالواح بقوة اي جد وعزيمة قال بعضهم
سر الله عند عباده واهل خصوصيته لا يحمله الا الاقوياء بابدانهم وقلوبهم الا ترى
ان الله يقول فخذها بقوة والقوة هو الثقة بالله وترك الاعتماد على ما سواه
ولذا قال بعضهم عطاياه لا يحمل الا مطاياه وقيل اي خذها ولا تأخذها بنفسك
والقوى بل بمن لا حول ولا قوة الا به ومن يكون حوله وقوته بالقوى وافاد الاستاد
ان فيها بشارة لان في الاخذ اشارة الى غاية القرب وهو الكمال والمراد به هنا
صفاء الحال لان قرب المكان محال على الله المتعال وأمر قومك يأخذوا باحسنها
باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار في العقوبة والقصاص
منها ففيه الحث على الافضل وندب العمل بالاكمل كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل
اليكم اذ المراد من الاحسن الواجبات والمندوبات فانها احسن من الرخص
والمباحات وافاد الاستاد ان قوله باحسنها اي بحسنها وان الهمزة للمبالغة
او معنى باحسنها ان لا يعرج على تأويل في المعنى فيدور مع الاولى قلت وهو
المقام الاعلى سأريكم دار الفاسقين قال مجاهد والحسن البصري سترون عاقبة
من خالف امري وقال الاستاد يعني عليها غبرة العقوبة خاوية على عروشها
ساقطة على سقوفها منهدما بنيانها والاشارة من دار الفاسقين الى النفوس
المتابعة للشهوات والقلوب التي هي معادن المنى ومفاسد الخطرات فان
الفسق يوجب خراب المحل الذي يجري فيه فمن جرى على نفسه فسق خربت نفسه
وآية خراب النفوس انتفاء ما كان عليها وفيها من سكان الطاعات فكما
يتعطل المنازل عن قطانها اذا تداعت للخراب فكذلك اذا خربت النفوس

بعل المعاصي ينتفي عنها لوازم الطاعات ومعتادها فبعد ما كان العبد يتيسر عليه
فعل الطاعات لو ارتكب شيئا من المحظورات شق عليه فعل العبادة حتى لو خير بين
ركعتي صلوة وبين مقاساة كثير من المشاق اثر تحمل المشاق على الطاعة وعلى هذا
النحو ظلم القلوب وفسادها في انجاب خراب محالها ساصرف عن آياتي اي عن
شهود مظاهر صفاتي في الآفاق والانفس من مخلوقاتي الذين يتكبرون في الارض
بان اطبع على قلوبهم واعميهم عن عيوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
بغير الحق اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل فهو متعلق بيتكبرون وجوز
ان يكون حالا من فاعله فان تكبر المحق على المبطل حق والتكبر على المتكبر صدقة وقال
الاستاذ معناه ساحرم المتكبرين بركات الاتباع حتى لا يقابلوا الآيات التي يكاشفون
بها بالقبول ولا يسمعون ما يخاطبون به بسمع الايمان والتكبر جحد الحق على لسان العلم
ممن جحد حقايق الحق بجحوده تكبره وباعتراضه على التقدير ما يتحقق جحوده في القلب
ويقال التكبر توهم استحقاق الحق لك ويقال من راى لنفسه قيمة في الدنيا والآخرة
فهو متكبر ويقال من ظن ان به شيئا او منه او له او اليه شيئا من النفي والاثبات
لا على وجه الاكتساب فهو متكبر في هذا الباب وان يروا كل آية منزلة او معجزة
لا يؤمنوا بها لعنادهم اولانهماكهم في تقليد اجدادهم وفي الحقيقة لما قضى عليهم
من بعادهم وان يروا سبيل الرشد وقرا حمزة والكسائي بفتحتين اي طريق
السداد لا يتخذوه سبيلا في سبيل المعاش والمعاد وان يروا سبيل الغي الضلالة
يتخذوه سبيلا لما فيهم من كمال الجهالة ذلك اي مصيرهم الى هذه الحالة بانهم كذبوا
باياتنا وكانوا عنها غافلين اي غير متدبرين فيها ولا ملتفتين اليها وافاد الاستاذ
انه سبحانه بين بهذا انه ليس يكفي شهود الحق حقا وشهود الباطل باطلا بل لابد
مع شهود الحق من وجود التوفيق للحق ومع شهود الباطل من وجود العصمة من الباطل
قلت ولهذا يدعى اللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا
اجتنابه ويقال ان الجاحد للحق مع تحققه اقبح حالا من الجاهل به المقصر في تعرفه قلت
وقد ورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات وورد اشد الناس عذابا يوم
القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه وكذا عند العقلاء ليس من يلحس العسل مع علمه بانه
مسموم كمن يلعقه وسمه عنده غير معلوم والذين كذبوا باياتنا
ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة او لقاء ما وعد الله في العاقبة من
جزائهم حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها في جميع احوالهم هل يجزون الا ما كانوا
يعملون اي ما يجزون الا جزاء افعالهم واتخذ قوم موسى اي السامري ومن
تبعه ولو بالرضاء من بعده اي بعد ذهابه للميقات ربه من حليهم التي استعاروها
من القبط حين هموا بالخروج واضافته اليهم لانها كانت بايديهم او لما آل

ملكها

ملكها اليهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرا حمزة والكسائي بالكسر للاتباع عجلا
جسدا بدنا ذا لحم ودم كما قال ابن عباس والحسن وقتادة او جسدا مجسدا من
الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل من عجلا له خوار صوت البقر يدخل في
جوفه الريح فيصوت وروي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب
اثر فرس جبريل فصار حيا وهذا هو ظاهر ما في سورة طه وملايم لما سبق من
كلام الحبر وغيره فقيل كانوا يسجدون له حين خواره ويرفعون رؤسهم عند سكوته
وافاد الاستاذ انه لم يطهر قلوبهم في ابتداء احوالهم عن توهم الظنون
ولم يتحققوا بخصايص القدم وشرط الحدوث فعثروا عن اقدام فكرهم في وهاد
المغاليط لما سلكوا نهج الستر ويقال ان اقواما رضوا بالعجل ان يكون معبودهم متى
شمت اسرارهم نسيم التوحيد هيهات لا ولا من لاحظ جبرئيل او ميكائيل او
العرش او الثرى او الجن او الورى فان ما لحقه ذل لذا ووجد من قبيل ما لا يقبل
نعوت الحدثان او صح في التجويز ان يرتقي عليه صواعد التقدير وشرايط الكيفية
فغير صالح لاستحقاق الالهية ويقال شتان بين امة وامة امة خرج نبيهم
عليه السلام من بينهم اربعين يوما فعبدوا العجل وامة خرج نبيهم صلى الله عليه
وسلم من بينهم واتى نيف واربعمائة سنة فلو ذكر بين ايديهم ان الشموس
والاقمار وشيئا من الرسوم والاطلال يستحق الالهية لاحرقوهم بهممهم
ويقال اجهل بقوم رضوا بان يكون مصنوعهم معبودهم ولولا قهر الربوبية
وانه يفعل ما يشاء والا فمن اي عقل يستقر مثل هذا التلبيس الم يروا انه
لا يكلمهم بما يكون على كماله دليلا ولا يهديهم سبيلا بل راوه حيوانا بليدا ذليلا
عند احاد البشر فكيف حسبوا انه خالق الاجسام القوى والقدر وهذا استفهام
توبيخ على نهاية جهالتهم وتفريع على غاية ضلالتهم اتخذوه اي العجل الها
وكانوا ظالمين حيث وضعوا الاشياء في غير مواضعها وافاد الاستاذ
انه سبحانه جعل من نعوت استحقاق الالهية صحة الخطاب وان يكون منه
الهداية فهذا يدل على استحقاق الحق النعت بانه متكلم في ازاله وانه منفرد
بهداية العبد لا هادي سواه وفيه اشارة الى مخاطبته سبحانه للخلق وتكليمه مع
العبد فان الملوك اذا جلت رتبتهم استنكفوا ان يخاطبوا خدمهم
بلسانهم حتى قال قائلهم • وما عجب تناسي ذكر عبد •
على المولى اذا كثر العبيد • وبخلاف هذا اجرى الحق سبحانه سنته
مع عباده المؤمنين اما الاعداء فيقول لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
واما المؤمنون فقال عليه السلام ما منكم من احد الا ويكلمه ربه ليس بينه
وبينه ترجمان ولما سقط في ايديهم كناية من اشتد ندمهم فان

النادم يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها والظرف نائب الفاعل
وقيل سقط الندم في انفسهم ورأوا علموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل
الها قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بتوفيق التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن المعصية
لنكونن من الخاسرين الكاملين في الخسران المبين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء
ونصب ربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان عليهم اسفا حزينا لانهم
لما قد اعلمه الله تعالى بذلك وهو فوق الطور بقوله انا قد فتنا قومك من بعدك
واضلهم السامري وقال الاستاذ لو وجد موسى قومه بالف الف وفاق لكان
متنغص العيش لما بني به من حرمان سماع الخطاب والرد الى شهود الاغيار
فكيف وقد وجد قومه قد ضلوا وعبدوا العجل ولا يدرى اى المحن كانت اشد
على موسى عليه السلام فقدان سماع الخطاب او بقاؤه عن سؤال الرؤية او ما شاهد
من افتتان بني اسرائيل واستيلاء الشبهة على قلوبهم في عبادة العجل سبحان الله
ما اشد بلاءه على اوليائه قال بئسما خلفتموني من بعدي اى فعلتم من الخلافة
بعد ذهابي عنكم والخطاب للعبدة أعجلتم امر ربكم اى وعده الذي وعدنيه من الاربعين
او اسبقتم امر ربكم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب حمية لمخالفة الرب
واخذ برأس اخيه اى بشعر رأسه يجره اليه خوفا من ان قصر في كفهم عن فعلهم
وهرون اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذا كان احب الى بني اسرائيل
قال ابن ام وبكسر الميم شامي وكوفي غير حفص وكانا اخوين من اب كما صرح به
مجاهد والسدي وابن جرير وغيرهم فذكر الام ليرققه اليه ويعطفه عليه ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت
وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي
الاعداء اى لا تفعل بي شيئا يفرحون به ولا تجعلني مع القوم الظالمين
معدودا في عدادهم بنسبة التقصير لنوع من المخالفة قال رب اغفر لي ما صنعت
باخي ولاخي ان وقع له تقصير في امر ضمه اليه نفسه في طلب المغفرة للترضية
ودفع الشماتة واظهار التذلل في العبودية واثبات استغناء الربوبية
وادخلنا في رحمتك بمزيد نعمتك او بادخال جنتك وانت ارحم الراحمين
فانت ارحم بنا على انفسنا منا وافاد الاستاذ ان موسى عليه السلام وان كان سمع
من الله انه فتن قومه لكن لما شاهدهم فيه المشاهدة ما لم يؤثر فيه السماع وان
علم قطعا انه كما سمع فان للمعاينة تأثيرا آخر ثم ان موسى عليه السلام لما اخذ برأس
اخيه يجره اليه استلطف هرون موسى في الخطاب فقال له يا ابن ام فذكر
الام ههنا للاسترفاق والاسترحام وكذلك قوله تعالى لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي
يريد بهذا انه قد توالت المحن علي فقد رئتني وما انا فيه ولا تزد في بلائي خلفتني

فيهم ولم

فيهم ولم تستصحبني وتلك علي شديدة ولقيت بعدك منهم ما اساءني ولقد
علمت انها كانت علي عظيمة كبيرة وحين رجعت اخذت في عتابي وجر رأسي
وقصد ضربي وكنت اؤمل منك تسليتي وتعزيتي فزدت عقابي فلا تشمت بي الاعداء
ولا تضاعف علي البلاء فعند ذلك رق له موسى عليه السلام ورجع الى الابتهال الى الله
والسؤال بنشر الافتقار فقال رب اغفر لي الى آخره وفي هذا اشارة الى وجوب
الاستغفار على العبد في عموم الاحوال والتحقق له بان له سبحانه تعذيب البرى
اذ الخلق كلهم ملكه وتصرف المالك في ملكه نافذ ان الذين اتخذوا العجل
الها سينالهم سيصيبهم وينيلهم غضب من ربهم وهو ما امر به للتوبة
من قتل انفسهم وقيل غضب في العقبى وذلة في الحياة الدنيا وهو اخراجهم من
ديارهم وهوانهم الى الابد في آثارهم وكذلك نجزي المفترين على رب العالمين
حيث قالوا هذا الهكم واله موسى فنسي وقيل الآية في اولادهم ووصف الابناء
بقبح فعل الآباء لكونهم في مقام الرضاء قال الحسين بن الفضل لا ترى مبتدعا الا
ذليلا لان الله يقول وكذلك نجزي المفترين وقال الاستاذ يعني ان الذين
اتخذوا العجل معبودا سينالهم في مستقبل احوالهم جزاء اعمالهم والسين في
قوله سينالهم للاستقبال ومن لا يضره عصيان العاصين لا يبالي بتأخير العقوبة
عن الحال وفرق بين الامهال والاهمال فالحق سبحانه يمهل ولكنه لا يهمل فلا ينبغي
لمن اذنب ولم يؤاخذ في الحال ان يغتر بالامهال والذين عملوا السيئات من الكفر
وسائر المنهيات ثم تابوا من بعدها اى من بعد ارتكابها وآمنوا اشتغلوا
بالايمان والمعرفة وما يتبعه من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها اى بعد تحقق
التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل او كثر كجرائم بني اسرائيل
او غفور لذنوبهم رحيم باصلاح قلوبهم وقال الاستاذ الايمان الذي هو بعد التوبة
يحتمل آمنوا بانه يقبل التوبة او آمنوا بان الحق سبحانه وتعالى لم يضره عصيان
او آمنوا بانهم لا ينجون بتوبتهم من دون فضل الله او آمنوا بان عدوا ما سبق
منهم من نقض العهد شركا فآمنوا من الرأس او يقال استداموا الايمان
وكانت موافاتهم على الايمان او آمنوا بانهم لو عادوا الى ترك العهد وتضييع الامر
لسقطوا من عين الله اذ ليس كل مرة تسلم الجرة ولما سكت اى سكن كما قرئ به
عن موسى الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم اخذ الالواح التي القاها وافاد
الاستاذ ان الآية تشير الى حسن امهاله سبحانه للعبد اذا تغير عن حد التمييز
وغلب عليه ما لا يطيق رده من بواده الغيب واذا كانت حالة الانبياء
عليهم السلام انه يغلبهم ما يعطلهم عن الاختيار فكيف الظن بمن دونهم
وفي نسختها اى فيما نسخ منها بعد تكسرها فهي فعلة بمعنى مفعول كالخطبة او في

الالواح فانها نسخت من اللوح المحفوظ او فيما كتب فيها نفسها كما يدل عليه هذا
هدى بيان للحق ورحمة ارشاد للخلق او نعمة خاصة للذين هم لربهم يرهبون
اى يخشون ويتقون خلافه وتقديم المعمول لافادة الحصر والاختصاص واختار
موسى قومه اى من قومه فنصبه بنزع الخافض سبعين رجلا لميقاتنا روى ان موسى
عليه السلام امران يختار من بنى اسرائيل سبعين ليدعو ربهم فلما دعوا قالوا اللهم
اعطنا مالم تعطه احدا من قبلنا ولا من بعدنا فكره الله ذلك منهم فاخذتهم الرجفة
وهذا قول ابن عباس او اختار سبعين ليعتذروا من عبادة العجل فلما سمعوا
كلام الله تعالى قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة
فماتوا وهذا قول السدى ومحمد بن اسحق واخذتهم الرجفة لانهم علماء وما نهوا
بنى اسرائيل عن عبادة العجل وهذا قول مجاهد وقتاده وابن جريج فلما اخذتهم
الرجفة اى الصاعقة او رجفة الجبل وصعقوا منها قال بعضهم ماماتوا
ثم بعد تضرع موسى كشف عنهم الرجفة فاطمانوا وقال بعضهم انهم ماتوا
لكن احياهم الله تعالى بدعاء موسى عليه السلام ويؤيد الاول قال رب
لو شئت اهلكتهم من قبل واياى اتهلكنا اى جميعنا بما فعل السفهاء منا
من التجاسر على طلب الرؤية من بعض السبعين وقيل المراد بما فعل السفهاء
عبادة العجل لان علماءهم ما عبدوه لكنهم ما انكروا عليهم ولا نهوهم وقيل السبعون
اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجعوا
حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليهم
فبكا ودعا فكشفها الله عنهم ان هى الا فتنتك ابتلاؤك واختبارك
حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا فى الرؤية او اوجدت فى العجل خوارا فضلوا
تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده وتهدى من تشاء هداه فتقوى
بها ايمانه انت ولينا اى متولى امرنا فاغفر لنا ذنوبنا الماضية وارحمنا
بالعصمة فى الازمنة الاتية وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة
بلا غرض ولا عوض فى القضية وافاد الاستاد ان موسى عليه السلام جاهر الحق
بنعت التحقيق ففارق الحشمة فقال صريحا ان هى الا فتنتك ثم وكل الحكم اليه
فقال تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ولقد قدم الثناء على الدعاء
فقال انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا ثم عقبه ببيان التضرع فقال وانت
خير الغافرين واكتب اى اثبت لنا فى هذه الدنيا حسنة اى حسن معيشة
وتوفيق طاعة وفى الآخرة اى الجنة والقربة انا هدنا اليك اى تبنا ورجعنا
من هاد يهود اذا رجع وتاب وقال الاستاد اى ملنا الى دينك وصرنا لك
بالكلية من غيران نترك لانفسنا من بقية قال اى الله مجيبا لموسى فى قوله

ان هى الا

ان هى الا فتنتك عذابى اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتى اى العامة وسعت
كل شئ من المؤمن والكافر وسائر الموجودات فى الدنيا فساكتبها اثبتها
خاصة فى العقبى للذين يتقون الكفر والمعاصى ويؤتون الزكوة خصها بالذكر
لانافتها او لانها تشق على اصحابها والذين هم باياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشئ
منها قال ابو عثمان لا اعلم فى القرآن آية اقنط من قوله ورحمتى وسعت كل
شئ والناس يرونها ارجى آية وذلك ان الله يقول فساكتبها للذين يتقون
ومن يمكنه تصحيح التقوى فيكون بشرط الآية وافاد الاستاذ ان فى هذه اللطيفة حيث
لم يقل عذابى لا اخلى منه احدا بل علقه على المشية وفيه اشارة ايضا الى ان افعاله سبحانه
غير معللة باكتساب الخلق لانه لم يقل عذابى اصيب به العصاة بل قال من اشاء
وفيه اشارة الى جواز الغفران لمن اراد لانه قال اصيب به من اشاء فاذا شاء
ان لا يصيب به احدا كان له ذلك والا لم يكن حينئذ مختارا ثم لما انتهى الى الرحمة
قال ورحمتى وسعت كل شئ لم يعلقها بالمشية لانها نفس المشية ولانها قديمة
والارادة لا تتعلق بالقديم ولما كان العذاب من صفات الفعل علقه بالمشية
وبعكسه الرحمة لانها من صفات الذات ويقال فى قوله تعالى وسعت كل شئ
مجال لآمال العصاة لانهم وان لم يكونوا من جملة المطيعين والعارفين العابدين
فهم شئ وقوله فساكتبها للذين يتقون اى سأوجبها لهم فيجب الثواب للمؤمنين
من الله تعالى ولا يجب لاحد على الله شئ وانما يجب منه لصدقه فى قوله ولا يجب
عليه شئ لعزة فى ذاته وقوله تعالى ههنا للذين يتقون اى يجتنبون ان يروا الرحمة
بحكم استحقاقهم فاذا اتقوا هذه الظنون ان يكون احكامه سبحانه معللة باكسابهم
استوجبوا الرحمة بحكمه بها لهم والذين هم باياتنا يؤمنون ما يكاشفهم بها
فى الافطار مما يقفون عليها بوجوه الاستدلال وما يلاطفهم بها فى الاسرار مما يجدونه
فى انفسهم من فنون الاحوال الذين يتبعون الرسول النبى والمراد من آمن منهم
بمحمد عليه الصلوة والسلام او عامة امته الصالحين ولعله سماه رسولا بالاضافة
الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد ولذا آخر والا فالنبوة قبل الرسالة باعتبار
تحقق الوجود فى الرتبة وان كانت الرسالة اخص بالنسبة الى مرتبة النبوة
الامى الذى لا يكتب ولا يقرا وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع نعت حاله
احدى معجزاته وقال الاستاذ اى انه لم يكن شئ من فضائله وكمال علمه وتهديه
الى تفصيل شرعه من قبل نفسه وتعلمه وتكلفه واجتهاده وتصرفه بل ظهر عليه
كل ما ظهر من قبله سبحانه والافكان هو اميا غير قارئ للكتب ولا متبع للسير انتهى
كلامه وقال ابن عطا الامى هو الاعجمى قال اعجميا عما سوانا عالما بنا وبما نزل عليه
من كلامنا وحقائقنا الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل اسما وصفة

ورسما وسما يأمرهم النبي بالمعروف الخير وينهيهم عن المنكر الشر ويحل لهم
الطيبات مما حرموا على انفسهم من البحيرة والسائبة والوصيلة ومما حرم عليهم
في التعدية من لحوم الابل والشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير والميتة
ونحو اكل الربوا والرشوة وافاد الاستاذ ان المعروف هو القيام بحق الله
والمنكر هو البقاء بوصف الحظوظ واحكام الهوى والتعريج في اوطان المنى وما
تصوره العبد من تزويرات الدعوى والفاصل بين الجنسين والمميز للقسمين
الشريعة فالحسن من افعال العباد ما كان بنعت الاذن من مالك الاعيان فلهم فعل
ذلك والقبيح ما كان موافقا للنهي والزجر فليس لهم الا رفض ذلك ويضع
عنهم اصرهم وقرأ الشامي آصارهم بمد الهمزة اى عهودهم الثقيلة والاغلال
التي كانت عليهم والمعنى يخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة التي كانت
في دينهم كتعيين القصاص في العمد والخطاء وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض
موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اى يحبسه من الحراك
لثقله قال الاستاذ الاصر الثقل ولا شئ اثقل من كد التدبير فمن نقل من كد التدبير
الى روح شهود التقدير فقد وضع عنه كل اصر وكفى كل وزر وامروا الاغلال التي
كانت عليهم ما ابتدعوه من قبل انفسهم باختيارهم في التزام طاعات الله لم يفرض
عليهم فوكلوا الى حولهم وقوتهم فيه فاهملوها ونقضوا عهودهم ومن لقى بخصائص
الرضا بما يجرى من المقادير وشهود الحق في اجناس الاحداث فقد خص
بكل نعمة وفضل فالذين آمنوا به بهذا الرسول وعزروه عظموه بالتقوية
وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير اى منعوه وحفظوه ونصروه
على عدوه او نصروا امر دينه وافاد الاستاذ انهم اعتزوه بنصرته عليه السلام
والا فهو كان الله حسبه ومن كان استقلاله بالحق لم يقف انتعاشه على
نصرة الخلق قلت واليه الاشارة في قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله الآية
واتبعوا النور الذي انزل معه اى مع نبوته وسمى القرآن نورا لانه باعجازه
ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف للحقايق ومظهرها للخلايق اولئك
هم المفلحون الفائزون في الدارين قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم اى بالاصالة
والى الجن والى غيرهم بالتبعية لكونه عليه السلام مبعوثا الى الثقلين بل في
صحيح مسلم بعثت الى الخلق وهو على عمومه كما بين في محله ثم حكم المجنون والصبي
ومن لم تبلغه دعوته ايضا علم من امر دينه جميعا حال من اليكم وفي اطلاق الناس
ايماء الى انه رسول لمن قبله ايضا على تقدير وجوده فيهم او فرض وجودهم
في زمانه لما ورد لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي ولهذا يحكم عيسى عليه السلام
بعد نزوله باحكام هذا الدين من اصوله وفروعه ويشير الى عموم رسالته ايضا الى العلويات

والسفليات قوله الذي له ملك السموات والارض فانه صفة لله وان حيل بينهما
بما هو متعلق المضاف وهو الرسول اليه وهو الله فالفصل ليس باجنبي ولان المتعلق
كالمتقدم على لفظ الجلالة لا اله الا هو بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره
يحيى ويميت مزيد تقرير لخصوصية الالوهية بناء على اظهار الربوبية المقتضية للخلق
ان يقوموا بحق العبودية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله اى بذاته
وصفاته وكلماته اى التي انزلت عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه واتبعوه
لعلكم تهتدون وقال الاستاذ صرح بما رقيناك اليه من المقام وافصح عما القيناك
به من الاكرام وقل اني لجماعتكم مرسل وعلى كافتكم مفضل ودينى لمن نظر واعتبر
واعتبر وسبر مفصل والهى الذى له ملك السموات والارض لا شريك ينازعه
ولا شبيه يضارعه فله حق التصرف في ملكه بما يريد من حكمه ومن جملة ما حكم وقضى
ونفذ به التقدير وامضى ارسالي اليكم لتطيعوه فيما يأمركم وتحذروا عن ارتكاب
ما يزجركم وان مما امركم به انه قال لكم امنوا بالنبي الامى واتبعوه لتفلحوا في الدنيا
والعقبى وتستوجبوا الزلفى والحسنى وتخلصوا به من البلوى والسوءى
ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق جماعة يهدون الناس
محقين او يدلون بكلمة الحق وطريقة الصدق وبه يعدلون وبالحق يسوون الحكم
بينهم قيل يدلون الخلق على طريق الحق واياه يسلكون على قدم الصدق والمراد
بهم الثابتون على الحق من اليهود قرنا بعد قرن وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل
قوم وراء الصين رآه رسول الله ليلة المعراج فآمنوا به فهم على الحق آمنوا
بمحمد عليه السلام لا يصل احد منهم الينا ولا منا اليهم وهذا قول ابن جريج ونقل
عن ابن عباس والسدي وقال الاستاذ هم الذين سبقت لهم العناية
وصدقت فيهم الولاية فبقوا على الحق من غير تحريف ولا تحويل وادركتهم
الرحمة السابقة فلم يتطرق اليهم مفاجاة تغيير ولا خفي تبديل وقطعناهم
اى صيرنا بني اسرائيل قطعا متميزا بعضهم عن بعض فرقناهم اثنتي عشرة
مفعول ثان اسباطا بدل منه ولذلك جمع امما نعت الى قبائل وافاد
الاستاذ انهم فرقهم اصنافا وجعلهم في التحزب احيانا ثم كفاهم ما اهمهم
واعطاهم ما لم يكن لهم بد منه فيما نابهم واوحينا الى موسى اذ استسقاه
قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست الفاء فصيحة اى فضرب
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وفي حذف ما ذكر ايماء الى ان موسى عليه السلام
لم يتوقف في الامتثال وتحصيل المرام وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه
الفعل في ذاته بحسب تحقيق المقام قد علم كل اناس سبط مشربهم موضع
شربهم ومحل شربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وقال الاستاذ

ما وقيهم اذى الحر والبرد وانزلنا عليهم المن شيئا كالترنجبين والسلوى طيرا
كالسماني وقال الاستاذ اى ما نفى عنهم تعب الجوع والجهد والشغب والكد كلوا
اى وقلنا لهم تمتعوا من طيبات ما رزقناكم اى حلالاته او مستلذاته قال الاستاذ
فجرنا لهم العيون عند النزول حتى كانوا يشاهدونه عيانا والجأنا لقلوبهم من البراهين
ما اوجب لهم من قوة اليقين ولكن ليست العبرة بافعال الخلق ولا باعمالهم والمدار
على مشية الحق سبحانه وتعالى فيما يمضي عليهم من فنون احوالهم وما ظلمونا
ما رجع ضرر كفران نعمهم الينا ولكن كانوا انفسهم يظلمون يضرون انفسهم ولا عليها
فوبال فعلهم راجع اليهم فلا يتعدى ضرره عنهم واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية
اى اذكر ذلك الزمان وتعجب في ظهور هذا الشان والقرية بيت المقدس
او اريحا وكلوا منها حيث شئتم اى رغدا واسعا من غير حرج عليكم ولا نسبة مع
اليكم وقولوا حطة اى مسألتنا ان تحط عنا سيئاتنا وادخلوا الباب باب
القرية سجدا ساجدين متواضعين منقادين شكر الرب العالمين على الفتح
النبيه والخلاص من محن التيه وايراد واو الجمع ههنا في وكلوا لا ينافي فاء التعقيب
في فكلوا في سورة البقرة وكذا تقديم قولوا على وادخلوا هنا نغفر لكم خطاياكم
قرأ نافع وابن عامر بالتأنيث على بناء المفعول ورفع ما بعده والشامي وحده
خطيئتكم بالتوحيد وابو عمرو خطاياكم سنزيد المحسنين ولم يأت بالعطف هنا
بخلاف البقرة للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به من دخول الباب
والله اعلم بالصواب وافاد الاستاذ انه سبحانه يخبرهم عما الزمهم من مراعاة
الحدود وما حصل منهم من نقض العهود التي الزمهم من التكليف ووفيهم به من
صنوف التشريف واكرام من اراد منهم بالتوفيق والتصديق واذلاله
من شاء منهم بالخذلان وحرمان التحقيق ثم ما عاقبهم به من فنون البلاء
واذاقهم من سوء الجزاء حكما من الله حتما وقضاء جزما فبدل الذين ظلموا منهم
بيان لما ابهم في البقرة قولا غير الذي قيل لهم حيث بدلوا حطة بحنطة استهزاء
ودخلوا الباب على استاههم جبنا فارسلنا عليهم رجزا عذابا مقدرا من السماء
بما كانوا يظلمون بسبب ظلمهم على انفسهم وقال الاستاذ جاء في التفسير انهم زادوا
حرفا في الكلمة التي قيل لهم فقالوا حنطة بدل حطة فلقوا من البلاء ما لقوا تعريفا
ان الزيادة في الدين والابتداع في الشرع عظيم الخطر ومجاوزة حد الامر شديد الضرر
ويقال اذا كان تغيير كلمة هي عبارة عن التوبة يوجب كل ذلك العذاب فما الظن
بتغيير ما هو خبر عن صفات رب الارباب ويقال ان القول انقص من العمل
بكل وجه فاذا كان التغيير في القول يوجب كل ذلك العذاب فما الظن بتغيير
ما هو خبر عن صفات رب الارباب ويقال ان القول انقص من العمل بكل وجه

فاذا كان

فاذا كان التغيير في القول يوجب كل هذا فكيف التبديل والتغيير في الفعل وسئلهم
اى اليهود الذين بحضرتك سؤال توبيخ وتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم ليكون لك معجزة
على تحقيق نبوتك وتصديق رسالتك عن القرية اى خبرها وما وقع باهلها التي كانت
حاضرة البحر اى قريبة منه ايلة بين مدين والطور على ساحل البحر اذ يعدون في السبت
يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت الذي حرم الله عليهم الاصطياد فيه والمعنى
يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة اذ تأتيهم حيتانهم
يوم سبتهم شرعا حال من الحيتان اى ظاهرة على وجه الماء ويوم لا يسبتون اى
لا يعظمون سبتهم وهو غير يوم السبت من الاحد وغيره لا تأتيهم اى مطلقا او لا تأتيهم
مثل اتيانهم يوم سبتهم بقوله كذلك متصل بما قبله او هو منقطع عنه والتقدير
مثل ذلك الامتحان الشديد نبلوهم بما كانوا يفسقون نختبرهم بسبب فسقهم
وخروجهم عن طاعة ربهم وافاد الاستاذ ان دينهم كان الاخذ بالتأويل وذلك
روغان في التحقيق فان الحقائق تأبى الا الصدق وان التعريج في اوطان
الحظوظ والجنوح الى محتملات الرخص فسخ لأكيد مواثيق الحقيقة ومن شاب
شيب له ومن صفا صفي له واذ قالت امة منهم اى جماعة من اهل القرية وهم
بعض صلحائهم الذين اجتهدوا في الموعظة بعد ما آيسوا من قبولهم النصيحة
او لانهم افترقوا على ثلث فرق فرقة عاصية وفرقة ناهية وفرقة ساكتة
فقالت الساكتة للناهية لم تعظون قوما الله مهلكهم مستأصلهم في الدنيا
او معذبهم عذابا شديدا في العقبى لتماديهم في عصيان المولى قالوا اى الفرقة
الناهية في جواب الساكتة السائلة هذه معذرة الى ربكم اى موعظتنا
انها اعذار الى ربنا حتى لا ننسب الى التفريط في النهي عن المنكر فيما بيننا
وقرأ حفص موعظة بالنصب على المصدر او العلة اى اعتذرنا به معذرة او
وعظناهم معذرة الى ربكم ليرضى عنا ولعلهم يتقون عن الاصطياد في السبت
فلا نتأيس من ان يدركهم الرحمة اذ لا يحصل اليأس الا بالهلاك ووقوع العقوبة
وافاد الاستاذ ان الحقايق وان كانت لازمة فليس للعبد عنه لوازم الشرع
عاذرة بل الوجوب يفترض شرعا وان كان التقدير غالبا بكل وجه فلما نسوا
تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما وعظهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن
السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء في مخالفة امر الله بعذاب بئيس
شديد على وزن فعيل وقرأ ابو بكر بخلاف عنه على وزن فيعل كضيغم وابن عامر
بكسر الموحدة وسكون الهمزة كلبد في كبد ونافع بقلب الهمزة ياء بما كانوا
يفسقون بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة ربهم والاصح ان الفرقة المرتكبة
صاروا قردة دون الفرقتين الاخريين وهذا قول ابن عباس والحسن وغيرهما

وقد نقل عن ابن عباس انه توقف في الفرقة الساكتة ثم صرح بعد بانهم من الناجين
وعند بعضهم كابن زيد ان الفرقة الساكتة ايضا مسخوا وافاد الاستاذ انه اذا
تمادى العبد في تهتكه ولم يبال بطول الامهال والستر لم يهمله يد التقدير عن استيصال
العين ومحو الاثر وسرعة الحساب وتعجيل العذاب الادنى قبل هجوم الاكبر ثم البرى
في منفذا والسلامة وتحت ظل الحفظ ودوام روح التخصيص وبرد عيش التقريب
فلما عتوا تكبروا عن ما نهوا عنه اى عن ترك ما نهوا عنه لقوله وعتوا عن امر
ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ذليلين والمراد من امرهم سرعة التكوين وانهم
صاروا كذلك لا حقيقة الامر كقوله سبحانه انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون فالمراد بالقول الحكم المتعلق بالارادة وعن بعض السلف انهم
سمعوا مناديا لهم كونوا قردة خاسئين ثم الاصح ان المسخ صوري ومعنوي
وانهم هلكوا بعد ثلثة ايام ولم يبق منهم نسل كما صرح بذلك ابن عباس وغيره
من جماهير السلف وبعض الاحاديث يدل على ذلك ثم العذاب البئيس
هو هذا المسخ فهذه الآية تقرير وتفصيل للماضية وقيل المسخ معنوي لا صوري
فعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم وقيل العذاب البئيس غير المسخ وهو قد كان
اولا ثم كان المسخ آخرا والله اعلم وافاد الاستاذ انه اذا انتهى مدة الامهال
فليس بعده الا حقيقة الاستيصال واذا سقط العبد عن عين الله لم ينتعش بعده
الى الابد ومن اسقطه حكم الملوك فلا قبول بعد الرد وفي معناه انشدوا اذا انصرفت
نفسي عن الشيء لم تكد اليه بوجه آخر الدهر تقبل واذ تأذن ربك اى اعلم او قال
او امر او حكم واجرى مجرى فعل القسم ولذا اجيب بجوابه وهو قوله ليبعثن
عليهم الى يوم القيمة اى اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود وليرسلن
اليهم الى آخر الدهر من يسومهم يعذبهم سوء العذاب اشد انواعه
كالاهانة بالسبي وضرب الجزية فقد بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام
بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذريتهم وضرب
الجزية على بقيتهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا عليه السلام
ففعل بهم ما فعل من المهانة ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة عليهم
الى نزول عيسى عليه السلام فاما السيف واما الاسلام ان ربك لسريع العقاب
لمن اصر على المعصية وانه لغفور رحيم لمن تاب واناب الى الطاعة قيل
ما كان في القرآن من قوله سريع العقاب فانها عقوبة القلوب بالحجاب
عن علام الغيوب وافاد الاستاذ ان الحق سبحانه امضى سنته بالانذار
وتقديم التعريف بما يستحقه كل احد على ما يحصل منه الآثار ابلاء للعذر وان
جلت رتبته عن كل عذر فان نجع فيهم القول والا دمر عليهم بالفعل

وقطعناهم

وقطعناهم في الارض امما اى صيرناهم جماعات متفرقة وفرقناهم في البلاد
بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم عبرة للعباد وتتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم
قط شوكة ولا تجتمع لهم كلمة منهم الصالحون كمن آمن بالمدينة ونظرائهم ومنهم
دون ذلك اى منحطون عن الصلاح من كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم اختبرناهم
وامتحناهم بالحسنات اى النعم والسيئات اى النقم لعلهم يرجعون اى
ينتهون عما كانوا عليه من المخالفات وافاد الاستاذ انه سبحانه اجرى على
ما علم انهم يكونون عليه من صلاح وسداد ومعاص وفساد ثم ابتلاهم بفنون
الافعال من محو ازاحها ومن متن ازاحها فطالبهم بالشكر على اسدى والصبر
عند ما ابلى ليظهر للمعتبرين من الملائكة وللخلائق اجمعين جواهرهم في الخلاف
والوفاق والاخلاص والنفاق واما الحسنات فهو ما يشهدهم المجرى والجاههم
عن المبدي واما السيئات فالتردد بين الانجاز والتأخير والباحة والتقصير
ويقال الحسنة ان تنسيك نفسك والسيئة ان تشهدك نفسك ويقال
الحسنات ان يحطهم عن شهود الاغيار والاعيان والسيئات ان يطرحهم
في مفاوز الظنون والحسبان ويقال الحسنات تيسير وقت عن الغفلات خال
وتسهيل يوم عن الآفات بائن والسيئات التي ابتلاهم بها خذلان حاصل
وحرمان متواصل فخلف من بعدهم من بعد ذلك الجيل الذى وجد فيهم
الصالح والطالح خلف بدل سوء والمراد بهم الذين كانوا في عصر رسول الله
عليه السلام ورثوا الكتاب اى علم التورية او نفسها من اسلافهم يقرؤن
مبانيها ويقفون على معانيها ومن جملتها ذم الدنيا وما فيها ومع هذا يأخذون
عرض هذا الادنى يختارون حطام هذا الشيء الادنى وهو الدنيا المأخوذ
من الدنو او الدناوة والمراد منه ما كانوا يأخذون من الرشوة في تبديل
الحكومة وعلى تحويل الكلمة وتحريف البينة ويقولون سيغفر لنا اى الله لا يؤاخذنا
بل يتجاوز عنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه جملة مستأنفة مشيرة الى انهم مصرون
على ذلك غير تائبين عما هنالك فلا ينفعهم الاستغفار اللساني مع وجود
الاصرار الجناني وافاد الاستاذ انهم استوجبوا الذم بقوله سبحانه فخلف من بعدهم
خلف لانهم آثروا العرض الادنى وركنوا الى عاجل الدنيا وجعلوا نصيبهم من
الآخرة المنى فقالوا سيغفر لنا ويقال من امارات الاستدراج ارتكاب الزلة
والاغترار بزمان المهلة وحمل تأخير العقوبة على استحقاق الوصلة ثم اخبر
عن اصرارهم على الاغترار بالمنى وايثار متابعتهم الهوى بقوله وان يأتهم
عرض مثله يأخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اى في التورية وهو ان لا يقولوا
على الله الا الحق والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة

على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق التورية والاستثناء منقطع البتة فان من
قال عليه افتراه واختلقه واخترعه اللهم الآن يقال معناه ان لا يقولوا على الله الا الحق
فالاستثناء متصل وافاد الاستاذ ان الاستفهام فى معنى التقرير اى امروا ان لا يصفوا
الا بنعت الجلال واستحقاق صفات الكمال وان لا يتحكموا عليه بما لم يأت منه
خبر ولم يشهد لصحته برهان ولا نظر ودرسوا ما فيه اى وقد علموا ما فى الكتاب فهم ذاكرون
للميثاق فى هذا الباب وقال الاستاذ يعنى تحققوا بمضمون الكتاب ثم جحدوا بعد لوح
البيان وظهور البرهان والدار الآخرة خير للذين يتقون اى لا للذين يخالفون فانما
مصيرهم الى النار ومال المتقين الى دار القرار افلا تعقلون ان الآخرة خير وابقى
لمن اتقى فلا يستبدلوا الادنى المودى الى العقاب بالاعلى المورث للثواب
وقرا نافع وابن عامر وحفص بالتاء على تلوين الخطاب وقال الاستاذ يعنى التعرض
لنفحات فضله سبحانه خير لمن امل جوده من مقاساة التعب لمن بذل تحصيل
هواه موجوده والذين يمسكون وقرا ابو بكر بالتخفيف اى يتمسكون ويعتصمون
بالكتاب اى بكتاب الله والمراد به جنسه او القران واقاموا الصلوة اى التى هى
ام العبادات وناهية عن السيئات والموصول عطف على الاول وافلا تعقلون
اعتراض او مبتداء خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر
موضع ضميرهم وافاد الاستاذ ان قوله يمسكون بالكتاب ايمان واقاموا الصلوة
احسان فبالايمان وجدوا الامان وبالاحسان وجدوا الرضوان فالامان
معجل والرضوان موجل ويقال يمسكون بالكتاب سبب النجاة واقاموا الصلوة
تحقيق المناجاة فالنجاة فى المال والمناجاة فى الحال ويقال افراد الصلوة ههنا
بالذكر من جملة الطاعات ليعلم انها افضل العبادات بعد معرفة الذات والصفات
وقوله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين اى من امل سبب انعامنا لم يخيب له صفقة
ولم يخفق له فى الرجاء رفعة ويقال من نقل الى باب قدمه لم يعدم فى الآجل نعمه
ومن رفع الى ساحات جوده همه نال فى الحال كرمه ويقال من توسل اليه بجوده
نال فى الدارين شرفه ومن اكتفى بوجوده كان الله عنه خلفه واذ نتقنا الجبل
اى قلعناه ورفعناه فوقهم اى فوق رؤسهم كانه ظلة سقيفة او سحابة
وظنوا تيقنوا من كمال قربه اليهم انه واقع بهم ساقط عليهم ان خالفوا فى عهدهم
وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم
لقبولها وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم باسره فسجدوا وقبلوا
خذوا اى قلنا لهم اقبلوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد واجتهاد فى العمل
وعزم على تحمل مشاقه واذكروا ما فيه من المعارف والاحكام وسائر الاقوال
لعلكم تتقون بسببه رذائل الاحوال وفضائح الاعمال وافاد الاستاذ انه ليس من

يأتي طوعا

من يأتي طوعا كمن يأتي جبرا ان الذى يأتى قهرا لا يعرف للحق سبحانه قدرا
وانشدوا فى معناه شعرا • واذا كان لا يرضيك الا شفاعة • فلا خير فى ود يكون بشافع •
ويقال فصارى من ابى جبرا ان ينكص على عقبيه طوعا كذلك لما قبلوا الكتاب
بالاجبار ما لبثوا حتى قابلوه بالتحريف فى الاخبار واذ اخذ ربك من بنى
آدم اى بعد ما اخذ اولاد صلبه من ظهره من ظهورهم بدل اشتمال ذريتهم
وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر بالجمع اى ان الله سبحانه اخرج ذرية آدم بعضهم
من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الابناء من الآباء بالترتيب فى عالم وجود
القضاء على وفق سبق القضاء واشهدهم على انفسهم اى اشهد بعضهم
على بعض بمضمون قوله لهم الست بربكم قالوا بلى وقد وردت الاحاديث الصحاح
بما يدل على ان الله استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين اهل الجنة والنار
بوضعهم بيضاء وسوداء فى يمينه ويساره واما الاشهاد عليهم هناك بانه
ربهم ففى حديثين موقوفين على ابن عباس وابن عمر كما حققه الثقات
من المحدثين ووافقهما اكثر السلف كابى بن كعب ومجاهد وعكرمة وسعيد
بن جبير وقتادة والسدى وغيرهم ويؤيده ما فى الصحيحين عن النبى عليه السلام
يقال للرجل من اهل النار ارايت لو كان لك جميع الدنيا اكنت مفتديا به
فيقول نعم فيقال قد اردت منك اهون من ذلك اخذت عليك فى ظهر ابيك
آدم ان لا تشرك بى شيئا فابيت الا ان تشرك بى وقال الحسن البصرى وتبعه
جمع من الخلف واختاره المعتزلة ان المراد بهذا الاشهاد انه خلقهم على
فطرة الاسلام ونصب لهم دلائل التوحيد فى مقام المرام فصارت هذه
الخلقة فى مقام الابتلاء بمنزلة انه قيل لهم الست بربكم قالوا بلى لكن لا يخفى
انه لا منع من الجمع ليكون الثانى دالا على الاول فتامل ثم قيل المؤمنون
فهموا من قوله الست بربكم الاثبات فقالوا بلى والكافرون فهموا النفى فقالوا
بلى هذا وقد قال ابو سعيد الخراز من كان حين قال ومن اين اجابوا وكيف
كانوا ما اجابت عنهم الا القدرة النافذة والمشية التامة وهل كانوا الا
رسما لاحكام ملك تقديره وهل هم الا اشباح تختلف عليهم تصاريف
تدبيره قال الحسين لا يعلم احد من الملائكة والمقربين كما اظهر الخلق وكيف
الابتداء اذ الالسنة ما نطقت والعيون ما ابصرت والاذان ما سمعت
كيف اجاب من هو عن الحقايق غائب واليه آئب فى قوله الست بربكم
فهو المخاطب وهو المجيب وقال الحسين ايضا فى قوله قالوا بلى القائل
عنكم سوالكم والمجيب عنكم غيركم وسقط انتم وبقى من لم يزل كما لم يزل قال
الواسطى فى قوله الست بربكم هو تقرير فى صورة السوال وافاد الاستاذ

واجاد فیما افاده انه سبحانه اخبر بهذه الآیة عن سابق عهده وصادق وعده ما بجد
عباده وده بتعریف عبده وفی معناه انشدوا سقیا للیلی واللیالی التی کنا بلیلی
نلتقی فیها وانشدوا افذلک بل ایام دهری کلها بفدین ایاما عرفتک فیها
ویقال فاجابهم بتحقیق العرفان قبل ان وقع لمخلوق علیهم بصر او ظهر فی قلوبهم
مصنوع اثر او کان لهم حمیم او قریب او صدیق وشفیق خبر وفی معناه انشدوا
اتانی هواها قبل ان اعرف الهوی فصادف قلبی خالیا فتمکنا ویقال جمعهم
فی الخطاب لکنه فرقهم فی الحال فطائفة خاطبهم بوصف القربة فعرفهم فی
نفس ما خاطبهم وفرقة ابقاهم فی اوطان الغیبة فاقصاهم عن نعت
العرفان وحجبهم ویقال اقوام لاطفهم الی عین ما کاشفهم فاقروا بنعت
التوحید وآخرون ابعدهم فی نفس ما اشهدهم فاقروا عن رأس الجحود
ویقال وسم بالجهل قوما فالزمهم بالاشهاد بیان الحجة واکرم بالتوحید
آخرین فاشهدهم وضح المحجة ویقال تجلی لقلوب قوم فتولی تعریفهم فقالوا
بلی عن حاصل یقین وتعزز علی آخرین فاثبتهم فی اوطان الجحد فقالوا بلی عن ظن
وتخمین ویقال جمع المؤمنین فی الاسماع ولکن غایر بینهم فی الرتب فجذب
قلوب قوم الی الاقرار بما اطمعهم فیه من المبار وانطق آخرین بصدق الاقرار بما اشهدهم
من العیان وکاشفهم به من الاسرار ویقال فرقة ردهم الی الهیبة فهاموا وفرقة
بلطفهم بالقربة فاستقاموا ویقال عرف الاولیاء انه من هو فتحققوا بتحصیلهم
ولبس علی الاعداء فتوقفوا لحیرة عقولهم ویقال اسمعهم وفی نفس ما اسمعهم حضرهم
لما اسمعهم ثم اخذهم عنهم فیما احضرهم وقام عنهم فانطقهم بحکم التعریف
وحفظ علیهم بحسن التولی احکام التکلیف فکان سبحانه لهم مکاشفا وعلی ما اراد
مصرفا وبما استخلصهم له معرفا وبما رقاهم الیه مشرفا ویقال کاشف قوما فی حال
حال الخطاب بجماله فطوحهم فی هیمان حبه فاستکنت محابهم فی کوامن اسرارهم
فاذا سمعوا الیوم تجدد لهم سلم تلک الاحوال فالانزعاج الذی یظهر فیهم لتذکر
ما سلف لهم من العهد المتقدم فی الازال ویقال اسمع قوما بشاهد التربیة فاصحاهم
عن عین الاشهاد فاجابوا عن عین التحقیق والشهود واسمع آخرین بشاهد
الربوبیة فمحاهم عن التحصیل فاجابوا بوصف الجهود ویقال اظهر آثار العنایة
بدءا حین اختص بالانوار التی رششت علیهم وما قوم حرم تلک الانوار
لم یجعله اهلا للوصلة ومن اصابته تلک الانوار افصح بما خص به من غیر مقاساة
الکلفة شهدنا قال بعضهم شهدنا قول الملائکة وهو انه قال الله للملائکة اشهدوا
علی اقرارهم قالوا شهدنا والاظهر انه تتمة کلام بنی آدم ویحتمل ان یکون
ابتداء کلام من الله سبحانه ویتعلق به ان تقولوا والمعنی شهدنا لما القی الیکم

واظهرناه حجة علیهم کراهة ان تقولوا او لئلا یقولوا یوم القیمة انا کنا عن هذا
ای من انک ربنا غافلین لیس علم بهذا لنا ولا یکون لهم عذر حصلا
لوقوع المیثاق اولا ونصب الادلة علی الربوبیة ثانیا وارسال الرسل لتذکیر العهد
الاول آخرا وقراء ابوعمرو بالغیبة علی الالتفات وکذا قوله او تقولوا انما اشرک
اباؤنا من قبل ای قبل زماننا وکنا ذریة من بعدهم فاقتدینا بهم فی افعالنا لان
التقلید عند قیام الدلیل والتمکن من العلم به لا یصلح ان یکون عذرا فی خطاء السبیل
افتهلکنا بما فعل المبطلون یعنی آباؤهم المبطلین بتأسیس الشرک فی الاولین
وکذلک مثل ذلک التبیین نفصل الآیات الدالة علی الیقین لیستیقنوا فیما یعلمون
ولعلهم یرجعون الی طریق الحق فیما یعملون وافاد الاستاذ انه اذا سدت عیون
البصیرة فیما ینفع وضوح المحجة ای ولا شروح الحجة واتل علیهم علی الیهود او علی
قومک نبأ الذی آتیناه آیاتنا احد علماء بنی اسرائیل والاکثرون علی انه بلعم بن
باعوراء اوتی علم بعض کتب الله وهو عالم باسم الله الاعظم فساله قومه ان
یدعو علی موسی وجنوده فابی ثم الحوا فالحوا وجاؤه بالرشوة فقبل ودعا وقبل
دعاءه فبقوا فی التیه ثم دعا موسی علیه فنزع عنه الایمان والاسم الاعظم کما
صرح بذلک ابن مسعود وابن عباس وقال بعضهم ما تیسر الله الدعاء علی موسی
لکن قال لهم اخرجوا النساء الیهن فعسی ان یزنوا بهن ففعلوا فوقع واحد
من بنی اسرائیل فی الزنی فنزل علیهم الطوفان فقتل احد علمائهم الزانی
فکشف عنهم العذاب قیل بحسب من هلک فی الطاعون فی ساعة من النهار
فوجد سبعین الفا هکذا رواه ابن جریر وابن عساکر ومحمد بن اسحق وغیرهم وروی
عن ابن عمر وابن عمرو ان المراد امیة بن الصلت وکان قد قرأ التوریة والانجیل
وکان یعلم بامر النبوة قبل البعثة فلما بعث النبی علیه السلام حسده لطمعه ان یکون
هو المبعوث فلذا فقیل مراد بها انه یشبهه فی کثرة علمه وتتبعه کتب الاوائل ومع
ذلک صار الی موالاة ومناصرتهم اولا والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
فتشمل الآیة جمیع علماء السوء وجهلة الصوفیة فانسلخ منها ای من الآیات بان
کفر بها او اعرض عنها فاتبعه الشیطان ای حتی لحقه او استتبعه فکان من
الغاوین ای فی علم الله او فصار من الضالین فی طریق هداه لاجل متابعة
هواه وترک امر الله ورضاه وافاد الاستاذ ان الحق سبحانه یظهر الاعدائه
فی صدار الخلة ثم یردهم الی سابق القسمة ویبرز الاولیاء بنعت الخلاف
والزلة ثم یغلب علیهم مقسومات الوصلة ولو شئنا لرفعناه الی اعلی
منازل درجات العلماء بها بسبب تلک الآیات وملازمتها ولکنه اخلد
الی الارض ای مال الی مال الدنیا الدنیة وزخارفها الفانیة او الی مرتبة السفالة

والرذالة والجهالة والضلالة واتبع هواه في ترك طريق مولاه ومتابعة رضاه
قال القاضي وانما قيد رفعه بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على
ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب
على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشية وان ما نشاهده من الاسباب
انما هي وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشية تعلقت به كذلك
هذا وقال ابن عطا سوابق الازل يؤثر على انتهاء الابد ولو جرى له في حكم الازل
السعادة لاثر ذلك عليه في عواقب سعيه وكدحه واواخر احواله وافاد الاستاذ
انه لو ساعدته المشية بالسعادة الازلية لم تلحقه الشقاوة الابدية ولكن من
قصمته السوابق لم تنعشه اللواحق وفي قوله ولكنه اخلد الى الارض اذا
كان مساكنة آدم للجنة وطبعه في الخلود فيها اوجب خروجه عنها فالركون
الى الدنيا متى يوجب البقاء بها وفي قوله واتبع هواه موافقة الهوى
ينزل صاحبها من سماء العز الى تراب الذل ويلقيه في وهدة الهوان
ومن لم يصدق علما وشهودا عن قريب يقاسيه وجودا فمثله كمثل
الكلب في اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث
دائما سواء حمل عليه بالطرد والزجر او ترك ولم يتعرض له بالنهي والامر واللهث
امداد اللسان من التنفس الشديد وخص من بين الحيوانات بذلك
لضعف فؤاده وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل
يلهث كالكلب وقد روي انه يدخل النار بصورة كلب اصحاب الكهف ويدخل
كلب اصحاب الكهف بصورة بلعم في الجنة وافاد الاستاذ ان من اخلاق
الكلب الوقوع في من لم يجنه على جهة الابتداء من الرضا عنه بلقمة كذلك
الذي ارتد عن طريق الارادة يصير ضيق الصدر سيئ الخلق يبدا
بالجفاء كل بريء ثم بهذا طباشته بنيل كل عوض خسيس وفي قوله
ان تحمل عليه يلهث كذلك المحجوب عن الحقيقة فسيان عنده الاحسان والاذاة
فهو في الحالتين اما صاحب ضجر او صاحب بطر لا يحمل المحنة الا على زوال الدولة
ولا يقابل النعمة الا بالنهمة فهو في الحالتين محجوب عن الحقيقة ويقال للكلب
نجاسة اصلية وخساسة كلية كذلك للمردود في الصفة نقصان القيمة
وحرمان القسمة ويقال اقامه في محل القربة ثم ابرزه من مكامن المكر بما اعدله من
سابق التقدير فاصبح والكل دون رتبته واسمى والكلب فوقه مع خساسته وفي
معناه انشدوا ۰ فبتنا بخير والدنيا مطمئنة ۰ فاصبحت يوما والزمان تقلبا
ويقال ليست العبرة بما يلوح في الحال وانما العبرة بما يؤول اليه في المآل ذلك
اي هذا المثل مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا بان كفروا بها واعرضوا

عنها

عنها فاقصص القصص اي القصة المذكورة على اليهود او على كفار مكة
لعلهم يتفكرون اي يتدبرون فيتعظون فيؤمنون ويتقون ساء مثلا القوم
اي مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وثبوت علمهم بها
وانفسهم كانوا يظلمون بمخالفتها من يهد الله اي هداية موصلة فهو المهتد
من اكتفى في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تنبيها على ان الاهتداء
جمال عظيم وكمال جسيم فالكلام من قبيل انا ابو النجم وشعري شعري ونظيره
ما ورد فمن هاجر الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله اي فيكفيه هذا ان
يقال في حقه وان يوصف به او معناه فاولئك هم الراجون لما يستفاد
من مقابلته بقوله ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران
ولعل وجه الافراد في الاول والجمع في الثاني في تحقق المعنى بعد اعتبار اللفظ
والمبنى هو الايماء الى قلة ارباب الهداية وكثرة اصحاب الضلالة والغواية كما يؤخذ
من الاشارة بهو للقريب وبذلك للبعيد في العبارة هذا وقيل ليس الناجي من
سعى وحسن السعي انما الناجي من سبقت له الهداية من الهادي قال الله عز وجل
من يهد الله فهو المهتدي وقال الاستاذ ليست الهداية من حيث السعاية الهداية
من حيث البداية ليست الهداية بفكر العبد ونظره انما الهداية بفضل الحق وجميل
نظره ولقد ذرانا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر
في علمه تعالى وهو لا ينافي قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان
المراد بها المعهودون وهم المؤمنون في علمه تعالى والا لزم تخلف ارادته سبحانه
ويدل على ذلك قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين يعني المعهودين من العاصين
ويؤيده حديث خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وهؤلاء للنار ولا ابالي وهذا معنى قوله
تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وقيل اللام في هذه الآية للعاقبة نحو لدوا للموت
وابنوا للخراب لهم قلوب لا يفقهون بها اي لا يفهمون معرفة الحق وطريق الصواب
ولهم اعين لا يبصرون بها اي الآيات الدالة على معرفة رب الارباب ولهم آذان
لا يسمعون بها مواعظ الكتاب اولئك كالانعام في عدم الابصار للاعتبار
وفقد الاستماع للتدبر في الاخبار او في ان قواهم متوجهة الى اسباب المعيشة
الدنيوية وهممهم مقصورة على الامور الشهوية بل هم اضل فان الانعام تعقل
ما خلقت له من المرام اما بالطبع واما بتسخير الانام فتدرك منافعها ومضارها
في الليالي والايام بخلاف الكفار فانهم خلقوا لعبادة الرحمن وهم يطيعون
الشيطان اما جحودا واما عنادا وقيل لهم قلوب لا يفقهون بها شواهد الحق
ولهم اعين لا يبصرون بها دلائل الحق ولهم آذان لا يسمعون بها دعوة الحق
اولئك كالانعام بل هم اضل لان الانعام لا تختص بالاستتار والتجلي والارواح

نعيمها في التجلي وعذابها في الاستتار اولئك هم الغافلون اي الكاملون في الغفلة
عن انواع الاذكار وافاد الاستاذ ان من خلقه لجهنم متى يستوجب الجنان ومن اهله
للسخط اني يستحق الرضوان ولولا انسداد البصائر والا فاي اشكال يبقى بعد هذا
الايضاح الظاهر ويقال هم اليوم في جحيم الجحود مقرنين في اصفاد الخذلان ملتبسين
ثياب الحرمان طعامهم ضريع الوحشة وشرابهم حميم الفرقة وغدا هم في جحيم الحرقة
كما فصل في الكتاب شرح تلك الحالة لهم قلوب لا يفقهون بها اي لا يفهمون معاني
الخطاب كما يفهمه المحدثون وليس لهم تمييز بين خواطر الحق وبين هواجس النفس
ووساوس الشيطان ولهم اعين لا يبصرون بها شواهد التوحيد وعلامات اليقين
ولا ينظرون الا من حيث الغفلة ولا يسمعون الا دواعي الفتنة ولا ينخرطون الا في
سلك ركوب الشهوة اولئك كالانعام بل هم اضل لان الانعام دفع عنها التكليف
فان لم يكن لها وفاق الشرع فليس منها ايضا خلاف الامر وان الانعام لانه لها
الا علف وما يدعو الجبلة من مباشرة الجنس فكذلك من اقيم بشواهدها واظهر على وصفها
من المربوطين باحكام النفس وفي معناه انشدوا • نهارك يا مغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والردى لك لازم • وتسعى لما سوف تكره غبه • كذلك في الدنيا تعيش البهائم
ولله الاسماء الحسنى اي احسن اسماء المباني لانها دالة على معان هي احسن المعاني
والمراد الالفاظ الدالة عليها او الصفات بنفسها فادعوه بها بتلك الاسماء
وتخلقوا بتلك الصفات وتعلقوا بجهة الذات فكل اسم يصلح للتخلق الا لفظة الله
فانه للتعلق قال بعضهم كل اسم من اسمائه يبلغك مرتبة من المراتب فاسمه الله يبلغك
الى الوله في حبه والرحمن الرحيم يبلغانك الى رحمته وكذلك جميع اسمائه اذا دعوته
بها من خلوص ضميرك وصفاء عقلك وتحقيق هذا المبنى في المقصد الاسنى وكذا
في شرح الاستاذ للاسماء الحسنى وافاد ههنا من جملة ما اجاد ان الحق سبحانه تعرف
الى اوليائه بنعوته واسمائه فعرفهم انه من هو باي وصف هو وما الواجب في وصفه
وما الجائز في نعته وما الممتنع في حقه وحكمه فتجلى لقلوبهم بما كاشفهم به من اسمائه
وصفاته وان العقول محجوبة عن الهجوم بذواتها على ما يصح اطلاقه في وصفه
فان كانت واقفة على الواجب والجائز والممتنع في ذاته فللعقل العرفان في الجملة
وبالشرع الاطلاق والبيان في الاخبار والقالة فما ورد به التوقيف يطلق وما سكت
عنه التوقيف يمنع ويقال من كان الغالب عليه وصفا من صفاته كان غلب
على هجيراه فمن كان مكاشفا بعطائه مربوط القلب بافضاله فالغالب على قالته
الثناء عليه بانه الوهاب والبار المعطي وما جرى مجراه ومن كان مجذوبا عن شهود
الانعام مكاشفا بنعت الرحمة فالذي يغلب على ذكره وصفه بانه الرحمن الرحيم
الكريم وما في معناه ومن سمت همته عن شهود وجوده واستهلك في حقائق

وجوده فالغالب على لسانه الحق ولذلك كثر اقوال العلماء في الاخبار عن الباري
لانهم في الترقي من شهود الفعل الى شهود الفاعل واهل المعرفة الغالب على لسانهم
الحق لانهم مختطفون عن شهود الآثار متحققون بحقائق الوجود ويقال ان الحق
سبحانه وقف الخلق باسمائه فهم يذكرونها قالة وتعزز بذاته فالعقول وان
صفت لا تهجم على حقائق الاشراف اذ الادراك لا يجوز على الحق فالعقول عند
بواده الحقائق متقنعة بنقاب الحيرة عن التعرض للاحاطة والمعارف
تائهة عند قصد الاشراف على حقيقة الذات والابصار حسيرة عند طلب الادراك
في احوال الرؤية فالحق سبحانه عزيز وباستحقاق نعوت التعالي متفرد
وذروا الذين يلحدون وقرأ حمزة بفتح الياء والحاء اي واتركوا الذين يزيغون
ويميلون من الحق الى الباطل في اسمائه اي من جهة مبانيها او طريقة معانيها
ومن جملتها اشتقاق اسماء الالهة منها كاللات والعزى ومناة ونحوها
وقيل الالحاد فيها تسميته بما لم يرد في الكتاب والسنة اطلاقها كيا سخي ويا مكار
ويا عاقل واشباهها او يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم ويا ابيض الوجه
وامثالها سيجزون ما كانوا يعملون وافاد الاستاذ ان الالحاد هو الميل
عن الاقتصاد وذلك على وجهين بالزيادة والنقصان فاهل التمثيل زادوا
فالحدوا واهل التعطيل نقصوا فالحدوا وممن خلقنا امة يهدون بالحق اي
يقولون به ويدعون اليه وبه يعدلون اي يقضون ويعملون وهم الصحابة
والتابعون وفي الحديث لا يزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله
فالاية دالة على صحة اجماع الامة وافاد الاستاذ ان الحق سبحانه اجرى سنته
بان لا يخلي البسيطة من اهل لها هم الغياث وبهم دوام الحق في الظهور وفي
معناه قالوا اذا لم يكن قطب فمن ذا بل بدلا وهدايتهم بالحق انهم يدعون
الى الحق ويدلون على الحق ويتحركون بالحق ويسكنون للحق بالحق هم قائمون
بالحق يصرفهم الحق للحق بالحق اولئك هم غياث الحق بهم يسقون اذا قحطوا
ويمطرون اذا اجدبوا ويجابون اذا دعوا والذين كذبوا باياتنا الدالة على تحقق
ذاتنا وصفاتنا سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى الحجاب ونستنزلهم
ساعة فساعة الى العذاب من حيث لا يعلمون اي ما يريد بهم رب الارباب
او من حيث لا يشاهدون الاسباب فكلما جددوا معصية جدد الله لهم نعمة
وانساهم التوبة عن تلك المعصية فانتقلوا من النعمة الى النقمة ومن المنحة
الى المحنة وافاد الاستاذ ان الاستدراج هو ان يلقي في اوهامهم انهم من اهل
الوصلة في الحقيقة والسابق لهم من القسمة حقائق الفرقة ويقال الاستدراج
انتشار الصيت بالخير في الخلق والانطواء على الشر في السر مع الحق ويقال

ای امهلهم فی ضلالهم المبين ان كيدی متين

الاستدراج الرجوع من توهم صفاء الاحوال الى ركوب قبيح الاحوال ولو كان
صادقا فی حاله لكان معصوما فی الحاله ويقال الاستدراج دعاو عريضة صادرة
عن معان مريضة ويقال الاستدراج ای ضنة البر مع انشاد الشكر واملی لهم
ای اخذی شديد ومكری اكيد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان
وصورته منحة ونعمة وحقيقته محنة ونقمة فای نعمة آخرها النار وای محنة آخرها
الجنة وفی الحديث امهلناهم فظنوا انا اهملناهم اولم يتفكروا ای فيعلموا
ما بصاحبهم من جنة ليس بنبيهم شیء من الجنون بل هو اعقل العقلاء من ارباب
الفنون ان هو الا نذير مبين موضح انذاره ومظهر انواره اولم ينظروا نظر
اعتبار ولم يتأملوا تأمل استظهار فی ملكوت السموات والارض فی عجايب المخلوقات
من عوالم العلويات والسفليات وما خلق الله من شیء ای وفيما يقع عليه
اسم الشیء من المصنوعات الموجودات والممكنات التی لا يمكن حصرها ولا يتصور
احصاؤها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها وموجد
امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه نبيهم صلى الله عليه وسلم عليه بتفسير
ما الذی بمعنى شیء بشیء للاشارة الى ان المراد بما عام ای ای شیء كما قال بعض
ارباب الحال ففی كل شیء له شاهد يدل على انه واحد وقال بعض ابدع الله الاوليات
من لا شیء ثم اخترع خلق البقيات بعد تلك الاشياء من السابقات كالسماء
من دخان والملائكة من نور وآدم من تراب على سلسلة الموجودات فنبه على ان الملكوت
اوليات وما سواها خلق من موجودات سابقات فعلى هذا من شیء متعلق بخلق
لا بيانية كما فی وجوه الاعرابات هذا وقيل النظر فی الملك والملكوت يورث الاعتبار
والنظر الى الملك وصفاته الجبروت يسقط عنك الاشتغال بالاغيار مع انه
فی نظر الاحرار ليس فی الدار غيره ديار وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف
على ملكوت وان مصدرية او مخففة واسمه ضمير الشان وكذا اسم يكون فی معرض
البيان والمعنى اولم ينظروا فی اقتراب اجالهم وتوقع حلولها فی كل حال من احوالهم
فيسارعوا الى تدارك الفوت قبل مفاجاة الموت ويبادروا الى التوبة عن
الحوبة قبل نزول العقوبة وافاد الاستاذ ان الناس فی مغاليط امالهم ناسون
لوشك اجالهم فكم من ناسج لاكفانه وكم من بان لاعدائه وكم من زارع لم يحصد
زرعه هيهات الكبش يعتلف والقصاب مستعد له ويقال سرعة الاجل
تنغص لذة الامل فبای حديث بعده بعد القران يؤمنون اذ لم يؤمنوا به والمعنى
لعل اجلهم سبق املهم فالهم لا يبادرون الى الايمان بالقران وماذا ينتظرون
بعد وضوح هذا التبيان فان لم يؤمنوا به فبای حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا
به من يضلل الله فلا هادی له تقرير وتعليل لما قبله ونذرهم بالرفع على الاستيناف

وقرأ ابو عمرو

وقرأ ابو عمرو وعاصم بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائی به وبالجزم
عطفا على محل فلا هادی له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد غيره ويتركهم فی
طغيانهم ای ضلالتهم وكفرانهم يعمهون حال كونهم مترددون وافاد الاستاذ
ان من حرمه انوار التحقيق لغمره فی ضباب الجهل فهو ينزل يمينا ويسقط شمالا
يسألونك عن الساعة القيمة وهی من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها
اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها كانه ساعة او لانها على طولها عند الله
كساعة او من باب التسمية باضدادها ايان مرسيها ای متى يكون ارساؤها
وای آن يوجد اثباتها نزلت فی قريش يسألون عن وقتها استبعادا لوقوعها
قل انما علمها عند ربی استأثر به ذاته لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا
لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها فی زمانها الا هو والمعنى ان الخفاء بها
مستمر على غيره الى وقت وقوعها وافاد الاستاذ ان السائل من الساعة
رجلان منكر متعجب لفرط جهله وعارف مشتاق يستعجل لفرط شوقه والمحقق
بوجوده ساكن فی حاله فشتان عنده قيام القيمة ودوام السلامة والا بما
بها غيب ويقين اهل التوحيد صاف عن شوائب الريب ثقلت
فی السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لشدة
هولها وكانه اشارة الى اخفائها وهذا قول ابن عباس واختاره ابن
جرير او شقت عليها عند وقوعها حتى انهدمت وانشقت وهذا قول ابن
عباس ايضا ووافقه ابن جريج او ثقل خفاؤها على اهلها وهو قول قتادة
او خفيت فيها لا يعلمها احد من اهلها وكل خفی ثقيل وعلى الخاطر وبيل
وهذا قول السدی وعلى الوجوه كلها كلمة فی استعارة منبهة على تمكن
ثقلها لا تأتيكم الا بغتة ايتانا فجاءة على حال غفلة كما روی عنه عليه السلام
ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقی ماشيته والرجل
يقوم سلعته فی سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه وهذا عند النفخة الاولى
وهی مبدأ القيمة الكبرى التی توجد البغتة عند النفخة الثانية هذا وقد قيل
من مات فقد قامت قيمته والموت ان لم تكن بغتة فمقدماته لا تكون الا
فجاءة فرحم الله من تنبه عن نوم الغفلة واستعد الزاد لهذه الرحلة يسألونك
كانك حفی عنها ای عالم بها كذا قاله ابن عباس وغيره وهو فعيل من حفی عن
الشیء اذا سأل عنه فان من بالغ فی السؤال عن الشیء والبحث عنه استحكم
علمه به ولذلك عدی بعن ولما كان المبالغة فی السؤال مستلزما للعلم
اطلق الحفی واريد به العالم او كانك بالغت فی السؤال عنها حتى علمت
وقتها وقيل عنها متعلقة بيسألونك قل انما علمها عند الله لا يطلع عليه

احد سواه وكرره للمبالغة فى ما اخفاه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها مختص به لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسى اى منفصلا عن غيرى نفعا ولا ضرا اجلب خير ولا ادفع شر وهو اظهار للعبودية وتبرء عن ادعاء علم الغيب الخاص بالمرتبة الربوبية الا ما شاء الله بان يلهمنى اياه ولو كنت اعلم الغيب بوقت حصول الخير ونزول الشر لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء اى الشر والمعنى لو كنت اعلم الغيب فى حالى لخالفت حالى من اكتساب المبار واجتناب المضار فلم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى ورابحا تارة وخاسرا اخرى فى تجارة الدنيا ان انا الا نذير وبشير ما انا الا عبد مرسل لانذار الفجار وبشارة الابرار لقوم يؤمنون فى الحقيقة لانهم هم المنتفعون نزلت حين قالت قريش الا تعلم الرخص قبل الغلاء فنشترى فنربح والارض التى تريد ان تجدب ونرتحل الى الارض التى تخصب وافاد الاستاذ انه سبحانه امره بتصريح الاقرار بتبريه عن حوله ومنته وان قيامه وامره ونظامه بطول ربه ومنته ولذلك يتجنس على الاحوال ويختلف فى الاطوار فمن عسر يمتحنى ومن يسر يخصنى فلو كان الامر بمرادى ولم يكن بيد غيرى قيادى لتشابهت احوالى فى اليسر ولتشاكلت اوقاتى فى البعد من العسر هو الذى خلقكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام قال الاستاذ انه سبحانه اخرج النسمة من نفس واحدة واخلاقهم مختلفة وهممهم متباينة كما يخلق الشخص من نطفة واحدة واعضاء الشخص واجزاؤه مختلفة فمن قدر على تنويع النطفة المتشاكلة اجزاؤها فهو القادر على تنويع اخلاق الخلق الذين اخرجهم من نفس واحدة وجعل منها اى وخلق من جسدها وهو ضلع من اضلاعها او جنسها لقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشئ الى جزئه او جنسه وافاد الاستاذ انه سبحانه رد المثل بالمثل وربط الشكل بالشكل ليعلم العالمون ان سكون الخلق من الخلق لا الى الحق ولذلك انس الخلق بالخلق لا بالحق فالحق تعالى قدوس منه كل حظ للحق خلقا وهو منزه عن رجوع شئ الى حقيقته حقا ثم ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ومناسبة للمبنى فى قوله فلما تغشيها اى جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها فمرت به فاستمرت وقامت وقعدت بالحمل لخفته فلما اثقلت صارت ذا ثقل بكبر الولد فى بطنها دعوا الله ربهما لئن اتيتنا اعطيتنا صالحا بشرا سويا او ولدا اصلح بدنه رضيا فانهما اشفقا وخافا ان يكون بهيمة على ما قاله الضحاك ونقل عن ابن عباس لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما اتيهما صالحا جعلا اى اولادهما له تعالى شركاء فيما اتيهما اى اولادهما فسموا عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله تعالى الله

عما يشركون

عما يشركون وافاد الاستاذ ان شر الناس من يبتهل الى الله عند هجوم البلاء بخلوص الدعاء وشدة التضرع والبكاء فاذا ازيل شكايته ورفع عنه افاته ضيع الوفاء ونسى البلاء وقابل الرفد بنقض العهد وابدل العقد برفض الود اولئك الذين ابعدهم الله فى سابق الحكم وخرطهم فى سلك اهل الرد وروى انه لما حملت حوا اتاها ابليس فى غير صورته فقال لها ما يدريك ما فى بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك فجرى فيها مرارا كثيرة وذكرت ذلك لادم فهما منه ثم عاد اليها وقال انى من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك واسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا فى الملائكة فقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث ولم يعرفا انه من تلبيس ابليس وقد صح هذا النقل عن ابن عباس وكثير من السلف والخلف على ما رواه ابن ابى حاتم وابن جرير والسدى وذكر الترمذى والنسائى والامام احمد والحاكم فى مستدركه وابن مردويه وابن ابى حاتم حديثا مرفوعا عن ابن عباس لكن فى رواية الكل نوع ضعف على ما ذكره المحققون فى الجملة له اصل ثابت وهذا ليس بشرك حقيقى لانهما ما اعتقدا ان الحارث ربه بل قصدا الى انه سبب صلاحه فسماه الله تعالى شركا للتغليظ فان الذنب من العارفين المقربين اشد واعظم من عامة المؤمنين فان الاولى بهما ان لا يفعلا ما اتيا به من الشرك الخفى كما يفعله الجهلة فى زماننا من تسميتهم بعبد النبى وعلى هذا يكون لفظ شركا من اطلاق الجمع على الواحد تجوزا وقرا نافع وابو بكر شركا اى شركة بان اشركا فيه غيره او ذوى شرك وهم شركاء قيل ويحتمل انهما لما فعلا هنالك قتدى بهما بعض الناس فى ذلك فسموا اولادهم عبد شمس ونحوه فنسب اليهما كل ذلك لتسببهما ثم قال فتعالى الله عما يشركون اى اشراكا خفيا او جليا ايشركون ما لا يخلق شيئا اى الاصنام وهم يخلقون اى جميعهم كسائر الانام ما فاد الاستاذ انه كما لا يجوز ان يكون الرب مخلوقا لا يجوز ان يكون غير الرب خالقا فمن وصف الحق بخالص وصف الخلق فقد الحد ومن نعت الخلق بما هو من خصائص حق الحق فقد جحد ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا نصرة ومنفعة ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها شيئا من المضرة وان تدعوهم اى المشركين الى الهدى اى الاسلام وترك الهوى لا يتبعوكم وقرا نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين لانه عليه السلام واتباعه من المسلمين وهم فى يدعوهم ضمير الاصنام لا المشركين والمعنى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم ويلايمه قوله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ساكتون لهم وافاد الاستاذ انه سبحانه بين ان المعبود هو القادر على هداية داعيه وعلم العبد بقدرة معبوده يوجب

تبريه من حوله وقوته وافراد الحق تعالى بالقدرة على قضاء حاجته وازالة
ضرورته فيتقاصر عن تقيد الخلق خطاه وينقطع آماله عن غير مولاه ان الذين
تدعون من دون الله اى تدعونهم عباده وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث
انها مملوكة له مسخرة لا شباهكم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انها آلهة
وتستحق العبادة وافاد الاستاد انه اذا قرنت الضرورة بالضرورة تضاعف
البلاء وترادف العناء فالمخلوق اذا استعان بمخلوق مثله ازداد بعد المراد من
النجح وكيف يشكيك من هو اخيذ شكاته هيهات ان ذلك خطاء
من الظن وباطل من الحسبان الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم
اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها فيه تنبيه على ان الاصنام المنحوتة بايديكم
وقوة افعالكم لو كانوا احياء عقلاء امثالكم ما كانوا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق
بعضكم عبادة بعض ولا يستوجب طاعتكم فكيف وهم دونكم فى المرتبة وهل
يتصور ان يكون المعبود انقص رتبة من العابد واعجز فى تحصيل المقاصد
وقد اجاد الاستاذ فيما افاد بقوله بان هذه الآية ان الاصنام التى عبدوها ذمهم
فيما اعتقدوا فيه صفة المدح ثم لم يعبد بعضهم بعضا فكيف استجازوا
عبادة ما فوقهم فى النقص قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم فى عداوتى ثم
كيدون اى بالغوا انتم واياهم فيما تقدرون عليه من مكروهى فلا تنظرون اى
فلا تمهلون ولا تمهلون فانى بكيدكم لا ابالى لوثوقى على ولاية ربى المتعالى
قال الاستاذ صدق التوكل على الله يوجب ترك المبالاة بغير الله كيف لا
والمتفرد بالقدرة على النفع والضر والخير والشر هو الله ان وليى الله الذى
نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين بتوفيق الايمان وتحقيق
الاحسان والصالحون يتناول الانبياء والمؤمنين الاصفياء وقال الواسطى
يتولى الصالحين بالوقاية ويتولى الفاسقين بالغواية وافاد الاستاذ ان من
قام بحق الله تولى الله اموره على وجه الكفاية فلا يحوجه الى امثاله ولا يدع شيئا من
احواله الا اجراه على ما يريده بحسن افضاله فان لم يفعل ما يريده جعل العبد راضيا
بما يفعله وروح الرضا على الاسرار اتم من راحة العطاء على قلوب الابرار والذين
تدعون من دونه من شمس او قمر او كوكب او نبى مرسل او ملك مقرب لا يستطيعون نصركم
ولا انفسهم ينصرون لعدم استقلالهم فى افعالهم واحوالهم فكيف هؤلاء الجماد من
الاصنام التى فى ادنى مراتب الانام وان تدعوهم اى المشركين الى الهدى والخطاب
له عليه السلام والمؤمنين لا يسمعوا سماع قبول وتراهم ينظرون اليك
وهم لا يبصرون انوار الحق عليك لقصور نظرهم الحاصر على الحاضر من غير ترق
الى عالم الستر وافاد الاستاذ انهم شاهدوه بابصار رؤسهم لكنهم حجبوا عن رؤية

ببصائر

ببصائر اسرارهم وقلوبهم فلا يعتد برؤيتهم ويقال رؤية الاكابر ليست اشخاصهم
لكن بما يحصل للقلوب من مكاشفات الغيب وذلك على تقادير الاحترام وحصول
الايمان انتهى واما جعل ضميرهم الى الاصنام فبعيد عن المرام فى هذا المقام خذ العفو
عن المسيئين وأمر بالعرف اى بالمعروف من افعال المحسنين واعرض عن الجاهلين
اى اصفح عن اعمال الغافلين وهذه لمكارم الاخلاق جامعة وقد جاء فى تفسيرها
حديث قدسى وكلام انسى وهو ان تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من
قطعك وافاد الاستاذ ان العفو من خصائص سنة الله تعالى فى الكرم فامر
نبيه عليه السلام بالاخذ على الوجه الاتم اذ الخبر ورد بان المؤمن آخذ من الله
خلقا حسنا وكلما كان الجرم اكثر فالعفو عنه اجل واكمل واعظم وعلى قدر عظم
رتبة العبد فى الكرم يوفق للعفو عن الاصاغر والخدم وقد قال عليه السلام فى الجراحات
التى اصابتهم فى حرب احد اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ثم افضل العرف
ان يكون اكمل العطاء لاكثر اهل الجفاء وبذلك عامل رسول الله عليه السلام
عامة الناس ثم الاعراض عن الاغيار بالاقبال على من لم يزل ولا يزال وفى ذلك
النجاة من الحجاب والتحقق بما يتقاصر عن شرحه الخطاب واما ينزغنك من
الشيطان نزغ اى وان يحسنك منه نخس بوسوسة تحملك على خلاف ما امرت به
من طاعته كاعتراء غضب وكراهة فاستعذ بالله فى تلك الحالة انه سميع
بمقالك عليم بحالك وقال الاستاذ ان سنح فى باطنك من الوسواس اثر
فاستعذ بالله يدركك بحسن التوفيق وان هجس فى صدرك من الحظوظ خطرة
فاستعذ بالله يدركك بازالة كل نصيب وان لحقتك غرة فى بذل الجهد وفترة
فاستعذ بالله يدركك بادامة التأييد وان اعترتك فى الترقى الى محل الوصول
وقفة فاستعذ بالله يدركك بادامة التحقيق وان تقاصر عنك فى خصائص القرب
صيانة لك عن شهود المحل فاستعذ بالله يثبتك له بدلالك بك ان الذين
اتقوا مخالفة الله او مخالفة ما سواه اذا مسهم طائف لمة وقرأ ابن كثير وابو
عمرو والكسائى طيف اى خيال ووسوسة من الشيطان تذكروا تنبهوا وتصوروا
ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطاب وموضع
الحجاب فيحترزون منها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله
سبحانه واخوانهم يمدونهم وقرأ نافع من الامداد اى واخوانهم الشياطين
الذين لم يتقوا فى الدين يمدهم الشياطين ويزيدونهم فى الغى اى الضلالة بالتزيين
ثم لا يقصرون لا يمتنع الشياطين ولا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم الى ورائهم
او لا يكف الاخوان على الغى والهوى ولا يقصرون كالمتقين التابعين للهدى
وقال الاستاذ انما يمس المتقين طيف الشيطان فى ساعات غفلتهم عن ذكر الله

ولو انهم استداموا ذكر الله بقلوبهم لما مسهم طيف الشيطان فان الشيطان
لا يقرب قلبا في حال شهودهم الله لانه يخنس عند ذلك ولكل صارم نبوة ولكل
عالم هفوة ولكل عابد شرة ولكل قاصد فترة ولكل سائر وقفة ولكل عارف حجبة
قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي الخبر فاخبر انه يعتريه ما يعتري غيره وقال صلى الله
عليه وسلم الحدة تعتري خيار امتي فاخبر ان خيار الامة وان جلت رتبتهم لا يتخلصون
عن حدة تعتريهم في بعض احوالهم فتخرجهم عن دوام الحلم ثم اخوان الشياطين ارباب
دوام الغفلة فهم في كمال الغفلة يدوم بهم الحجبة فمن هم بالزلة ولم يلم او الم ولكن
لم يصر فهم الخيار ومن غفل او اغتر وعلى دوام الغيبة اصر فهم المحجوبون قطعا والمبعدون
عن محل القرب صدا وردا واذا لم تاتهم باية من القران او مما قترحوه في معارضة
العدوان قالوا لولا اجتبيتها اي هلا جمعتها واتيتها من عند نفسك او هلا
طلبتها من ربك قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق لاية ولا بمقترح
من حجة هذا بصائر من ربكم اي حجج بينة ظاهرة تبصر بها القلوب صوب صواب
المحجة وهدى ورحمة لقوم يؤمنون لا للذين هم في طريق الحق معاندون وافاد
الاستاذان من شاهد الخلق من حيث الخلق سقط في مهاة المغاليط فهو
في مقامات الشك يجوب منازل الريب ولا يزداد الاعمى على عمى ومن طالع الخلق
بعين تصريف القدرة اياهم تحقق بانهم لا يظهرون الا في معرض اختيار الحق لهم
فهو ينظر بنور البصيرة وتستديم شهود التصريف بوصف السكينة واذا قرئ القران
فاستمعوا له وانصتوا اسكتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا
يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له بها وظاهر اللفظ
يقتضي وجوبها حيث يقرأ القران مطلقا وعامة العلماء على استحبابها خارج الصلوة
واستدل به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ظاهر وجهلا فالمن خالفه
وضعف هذا والاصح انها نزلت في ترك التكلم في الصلوة على ما قاله مجاهد
وسعيد بن جبير والضحاك وجمع كثير من السلف او في ترك القراءة
مع الامام اذا جهر فيها على ما قاله الزهري ولا شك انه يستحب الاستماع
والانصات عند قراءة القران مطلقا وعن ابن عباس ومجاهد لا بأس اذا
قرأ الرجل في غير الصلوة ان يتكلم ثم الخطبة حكمها كالصلوة وقال الاستاذ
استمعوا له بسمع الايمان والتصديق وانصتوا بالسنة الخواطر عن معارضات
الاعتراض ومطالبات الانكشاف ومن باشر التحقيق سره لازم التصديق
قلبه والانصات في الظواهر من آداب اهل الباب والانصات بالسرائر
من آداب اهل البساط قال الله تعالى في نعت نوحي الجن بعضهم لبعض عند
شهود الرسول عليه السلام فلما حضروه قالوا انصتوا فاذا كان حضرة الواسطة

توجب هذه

توجب هذه الهيبة فلزوم الهيبة وحفظ الادب عند حضور القلب لشهود
الرب اولى واحق قال الله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا
واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما تضرعا
وخيفة اي متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول اي ومتكلما كلاما دون الجهر
وفوق السر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص والخضوع وقال ابن عباس
ان تسمع نفسك دون غيرك بالغدو والاصال باوقات الغدو والعشيات
ولا تكن من الغافلين في جميع الانفاس والساعات وافاد الاستاذان التضرع
اذا كوشف بوصف الجمال في اوان البسط والخيفة اذا كوشف بنعت الجلال
في احوال الهيبة وهذا للاكابر فاما من دونهم فتتنوع احوالهم من حيث الخوف
والرجاء والرغبة والرهبة ومن فوق الجميع فاصحاب البقاء والفناء والصحو
والمحو ووراءهم ارباب الحقائق مثبتون في اوطان التمكين فلا تلون
لهم ولا تجنس لقيامهم بالحق وامحائهم عن شواهدهم ان الذين عند ربك
اي الملاء الاعلى من المقربين عنده لا يستكبرون عن عبادته بل يفتخرون
بطاعته ويسبحونه ينزهون من جهة ذاته وصفاته وله يسجدون
ويخصونه بالعبادة ولا يشركون به غيره في الطاعة وهو تعريض بمن عداهم
من خليقته ولذا شرع السجود لقراءته والمعنى انهم مع كونهم آمنين من خوف سوء
العاقبة وعذاب يوم القيمة متوجهون الى عبادته وقائمون بطاعته ومنقادون سجدة
فانتم مع خوفكم كيف تتمادون في الغفلة وتطيعون غيره في السجدة وهذا اول سجدة
في القران لتاليها ومستمعها بالاجماع على خلاف في وجوبها واستحبابها وعنه
عليه السلام اذا قرأ ابن آدم فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا
بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وافاد الاستاذ انه سبحانه
اثبت لهم عندية الكرامة وحفظ عليهم احكام العبودية لئلا ينفك حال جمعهم عن نعت
فرقهم وهذه سنة الله تعالى مع خواص عباده يلقيه بخصائص عين الجمع ويحفظ
عليهم حقائق عين الفرق لئلا يخلوا بآداب العبودية في اوان وجود الحقيقة

سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاذ بسم الله اخبار عن قدرته على الابداع والاختراع الرحمن الرحيم
اخبار عن نصرته بالاستناع وحسن الدفاع فبقدرته اوجد ما اوجد من مراده وبنصرته
وحد من وحد من عباده يسألونك عن الانفال اي الغنايم وسميت الغنيمة
نفلا لانها عطية من الله وفضيلة زائدة كما سمي به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية
له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول اي امرها مختص بهما يقسمها الرسول
عليه السلام على ما يامره الله به وافاد الاستاذ ان الانفال ههنا ما آل الى المسلمين

من اموال المشركين وكان سؤالهم عن حكمها فقال تعالى قل لهم الانفال لله ملكاً
والرسول الحكم فيها بما يقضي به امرا او شرعا فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم اى الحال التى
بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله ورسوله فيما يأمره وينهاه
واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك بحكم اليقين او ان كنتم
كاملى الايمان فادام الدين وعن انس رضى الله عنه قال بينا رسول الله عليه السلام جالس
اذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما اضحكك يا رسول الله قال رجلان جثيا من
امتى بين يدى رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لى مظلمتى من اخى قال الله اعط اخاك
مظلمته قال يا رب لم يبق من حسناتى شئ قال يا رب يحمل عنى من اوزارى وفاضت
عينا رسول الله عليه السلام بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس الى ان
يتحمل عنهم من اوزارهم فقال الله للطالب ارفع بصرك فانظر فى الجنان فرفع
رأسه فقال يا رب ارى مداين من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لاى
نبى هذا لاى صديق هذا لاى شهيد هذا قال هذا لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن
يملك ثمنه قال انت قال بماذا قال بعفوك عن اخيك قال يا رب قد عفوت
عنه قال خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قرأ رسول الله عليه السلام اتقوا الله واصلحوا
ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيمة وعنه رضى الله عنه قال قال رسول الله
اذا كان يوم القيمة نادى منادٍ يا اهل التوحيد ان الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم
عن بعض وعلى الثواب كذا فى الدر المنثور فى التفسير المأثور وقال الاستاذ قوله
فاتقوا الله اى اجتنبوا لامر الله ان تطيعوا دواعى مناكم والحكم بمقتضى هواكم
والتقوى ايثار رضى الحق على مراد النفس واصلحوا ذات بينكم بالانسلاخ
عن شح النفس وايثار حق الغير على ما لكم من النصيب والحظ وتنقية القلوب
عن خفايا الحسد والحقد واطيعوا الله ورسوله اى فى الاجابة الى ما يأتيكم من الارشاد
والهداية ان كنتم مؤمنين اى سبيل المؤمنين ان لا يخالفوا هذه الجملة انما
المؤمنون اى الكاملون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره وخافت
لفكره استعظاما لجلاله وقدره قال بعضهم الوجل على مقدار المطالعات
فان طالع السطوة هابه مخافة موته وان طالع وده هابه مخافة فوته وجملة ذلك
من طالع التقريب بالتأديب وجل ومن طالع التهديد بالتبعيد وجل ومن
طالعه مغيبا عن مشاهده قائما بسرمده خاليا من ازله وابده فلا وجل حينئذ
ولا اضطراب ولا تباعد ولا اقتراب فانه تحقق بالذات ونسى الصفات وفنى
بالذات عن الذات كما هرب رسول الله عليه السلام عن الصفات الى الذات فقال اعوذ
بك منك كذا فى حقايق السلمى وافاد الاستاذ ان الوجل شدة الخوف ومعناه
ههنا انه يخرجهم الوجل عن اوطان الغفلة ويزعجهم عن مساكن الغيبة فاذا انفصلوا

عن اودية التفرقة وفاؤا الى مشاهد الذكر نالوا السكون الى الله فيزيدهم ما يتلى عليهم
من آياته تصديقا على تصديق وتحقيقا على تحقيق فاذا طالعوا جلال قدره وايقنوا
قصورهم عن ادراكه توكلوا عليه فى امدادهم برعايته فى نهايتهم كما استخلصهم
بعنايته فى بدايتهم ويقال سنة الحق سبحانه مع اهل العرفان ان يزدد هم بين كشف
جلال وبين لطف جمال فاذا كاشفهم بجلاله وجلت قلوبهم واذا لاطفهم بجماله سكنت
قلوبهم قال الله تعالى وتطمئن قلوبهم بذكر الله وجلت قلوبهم بجذب ذاته ثم تطمئن
وتسكن اسرارهم بروح وصاله فذكر الفراق يفنيهم وذكر الوصال يحييهم ويحييهم
ويقال الطالبون فى نوح رهبتهم والواصلون فى روح قربتهم والموحدون فى
محو غيبتهم استولى عليهم الحقايق فلا لهم تطلع الى وقت مستأنف فيستفزهم
خوف او يهزهم طمع ولا لهم باحوالهم احساس فيهلكم لذة او الم اصطلموا البوادة
ما ملكهم فهم محو عنهم والغالب عليهم سواهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم
ايمانا اطمينانا بالدين ورسوخا باليقين او لزيادة المؤمن به فى كل حين قال
جنيد زادتهم بان لا سبيل لهم الى الوصول الى الله الا به وقال بعضهم اظهر
عليهم ببركة التلاوة زيادة يقين فى بواطنهم وزيادة طاعة فى ظواهرهم كذا
ذكره السلمى وعلى ربهم يتوكلون يعتمدون فيما يذرون ويفعلون ولا يخشون الا الله
ولا يرجون الا اياه ولا يلتفتون الى ما سواه الذين يقيمون الصلوة اى يديمونها
ويحافظون على شروطها واركانها ومما رزقناهم ينفقون فى سبيل الله
وطريق رضاه فهم الجامعون بين العبادة البدنية والطاعة المالية وافاد الاستاذ
انهم لا يرضون فى اعمالهم باخلال ولا يتصفون بجمع مال من غير حلال ولا يعرجون
فى اوطان التقصير بحال اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم
صدقا بان ضموا اليه مكارم الاحوال القلبية من الخشية والاخلاص والتوكل
ونحوها ومحاسن افعال البدنية التى مدار الطاعة عليها ومعيار العبادة لديها
من الصلوة والزكوة والصدقة وامثالها وقال الاستاذ اولئك صفتهم
ان لا يكون للشريعة عليهم نكير ولا لهم عن احكام الحقيقة معدل ومحيد هم المؤمنون
حقا اى حققوا حقا وصدقوا صدقا او حق لهم حقا لهم درجات كرامة
وعلو منزلة ورفعة قربة عند ربهم على قدر مراتبهم ومغفرة لما صدر عنهم وفرط
منهم ورزق كريم نعيم مقيم لا ينقطع عدده ولا ينتهى امده ولا مدده وقال الاستاذ
لهم درجات عند ربهم على حسب ما املهم به من الرتب فسابق قسمته لهم ستوجبوها
ثم بصادق خدمتهم حين وفقهم لها بلغوها ولهم مغفرة فى المآل لمسيئهم وفى الحال
لمحسنهم والمغفرة الستر والحق سبحانه يستر مثالب العاصين ولا يفضحهم
لئلا يحجبوا عن مأمول افضاله ويستر مناقب العارفين عليهم لئلا يحجبوا باعمالهم

واحوالهم وفرق بين ستر وبين ستر وشتان ما بينهما واما الرزق الكريم فيحتمل انه الذى يعطيه من حيث لا يحتسب ويحتمل انه الذى لا ينقصه باجرائهم ويحتمل انه ما لا يشغلهم بوجوده عن شهود الرزاق ويحتمل انه رزق الاسرار بما يكون مستقبلاً لها به من المكاشفات كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اى هذه الحال فى كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب فى كراهتهم له وان فريقا من المؤمنين لكارهون حملة حالية وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا ابدا فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما فى السنة وكان رسول الله عليه السلام بوادى دفران فنزل عليه جبريل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما النفير فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فرد عليهم وقال ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله عليه السلام فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فيه فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو امض بما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله ثم قال اشيروا علىّ ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف رسول الله عليه السلام ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطينا على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكانى انظر الى مصارع القوم هذا وفى حقايق السلمى قال بعضهم افناك عن اوصافك موضع سكونك واعتمادك وما كان يميل اليه قلبك لئلا تلاحظ محلا ولا تسكن الى مالوف

اصلا فاخرجك من المالوفات فيكون بالحق قيامك وعليه اعتمادك وان فريقا من المؤمنين لكارهون ظاهر خروجك ومفارقتك وطنك ولا يعلمون ان خروجك منه الخروج عن جميع الرسوم المالوفة والطبايع المعهودة وانك بمفارقة هذا الوطن المعتاد يصير الحق وطنك يجادلونك فى الحق اى فى ايثارك للجهاد باظهار الحق وايثارهم تلقى العير عليه طلبا للحظ وميلا الى التسهل بعد ما تبين اى ظهر لهم الحق بانهم ينصرون اينما توجهوا باعلام رسول الله عليه السلام اياهم كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم عددهم اذ روى انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان فكان مجادلتهم لفرط فزعهم ورعبهم لا لمخالفة امره عليه السلام لهم وافاد الاستاد انه سبحانه بين ان الجدال منهم عادة وسجية وفى كل شئ لهم اختيار وجدال فكرهوا خروجه الى بدر فجادلوه فيه كما جادلوه فى حديث الغنيمة فى قوله تعالى يسالونك عن الانفال وما يكون من خصال العبد افرادا غير متكرر او يكون على وجه الندرة كان اقرب الى الصفح والتجاوز عنه واما اذا صار ذلك عادة فهو اصعب ويقال ما لم يباشر خلاصة الايمان القلب لا يوجد كمال التسليم وترك الاختيار وما دام يتحرك فى العبد عرق فى الاختيار فهو بعيد من ذوق راحة الايمان ولقد اجرى الله سنته مع اوليائه وكذلك كانت سنته سبحانه مع انبيائه انه لا يتيح لهم كمال النعمى الا بعد مفارقة مالوفات الاوطان ومساكنة ما لهم فيه حظ ونصيب من كل معهود ويقال فى هجرة الانبياء من اوطانهم امان لهم عن عادية الاعادى واحياء قلوب قوم تقاصرت اقدامهم عن المسير اليهم وكذلك هجرة الاولياء من خواصه فيها لهم خلاص من البلايا واستخلاص لكثير من المزايا ثم جحود الحق بعد وضوح برهانه علم الاستكبار صاحبه وهو فى الحال فى وحشة غيبة معاقب بحرج الصدر وتنغص العيش كل حيانه وبقية وفاته كما قال سبحانه كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين اى العير او النفير انها لكم بدل اشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة اى صاحبة الحدة مستعارة من واحدة الشوك يكون لكم اى العير لقلتهم دون النفير لكثرتهم وافاد الاستاذ ان التعريج فى اوطان الكسل ومساكنة مالوفات الراحة من خصائص احكام النفس فهى بطبعها تؤثر فى كل حال نصيبها وتتعجل لذة حظها ولا يبل احد جلائل النعم الا بتجرع كاسات شدائد الالم والانسلاخ عن معهودات النصيب والرضى بالقسم وفى دقايق الحقايق من ظن انه يصل الى الحق بالجهد فمتعن ومن ظن انه يصل بغير الجهد فمتمن وقال بعضهم لا يصل احد الى حيوة القلب ما لم يمت نفسه بنزع الشهوات عنها ومخالفتها فى جميع احوالها وهو معنى

قوله وتودون ان غير ذات الشوكة يكون لكم ويريد الله ان يحق الحق اى يثبته
ويبينه ويعليه ويغلبه بكلماته الموحى بها فى هذا المراد او باوامره للملائكة بالامداد
ويقطع دابر الكافرين اى باستيصالهم من البلاد والمعنى انكم تريدون ان
تصيبوا مالا ومنالا ولا تلقوا مكروها ولا ملالا والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق
اليقين وابطال امر الكافرين وقال الاستاذ اذا اراد الله سبحانه تخصيص عبد
بولايته قضى لطوارق نفسه بالافول وحكم لفصن شهواته بالذبول وابى لطوالع المغاني
الاشراقها ولجوامع الموانع الا امتحاقها والحاصل انه سبحانه فعل ما فعل ليحق الحق ويبطل
الباطل ولو كره المجرمون ذلك فى الاوائل قال الواسطى يحق الحق بتجلى انواره ويبطل
الباطل باستاره وقيل يحق الحق بالبراهين ويبطل الباطل بالدعاوى كذا ذكره السلمى
وقال الاستاذ ليحق الحق بالتوفيق فيما يحصل ببذل المجهود والتحقيق لما يظهر من
عين الجود ويقال ليحق الحق بنشر اعلام الوصل ويبطل الباطل بقهر اقسام الهزل اذ
تستغيثون ربكم حين علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اى رب
انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضى الله عنه انه عليه السلام
نظر الى المشركين وهم الف والى الصحابة وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد
يديه يدعو اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض
فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك
فانه سينجز لك ما وعدك قيل من صدق اللجاء فى استغاثته اجيب فى الوقت
وحالته فاستجاب لكم اى ربكم انى ممدكم اى بانى معينكم ومغيثكم بالف من
الملائكة اى بارسال الف منهم مردفين متبعين بعضهم بعضا او متبعين
المؤمنين وقراء نافع بفتح الدال اى متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة
او ساقة وما جعله الله اى الامداد الا بشرى بشارة بالنصر لكم ولتطمئن به قلوبكم
فيزول بها ما فى صدوركم من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله
واما امداد الملائكة وكثرة العدد والعدد ونحوها فوسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا
النصر منها ولا تيأسوا بفقدها ان الله عزيز حكيم وافاد الاستاذ ان الاستغاثة
على حسب شهود الفاقة وعدم المنة والطاقة والتحقق بانفراد الحق بالقدرة على
ازالة الشكاية وتيسير المسؤول وتحقيق المأمول فاذا صدق الاستغاثة يعجل الاجابة
وحصل الامان وقضيت الحاجة بذلك جرت سنة العادة ويقال بشرهم بالامداد
بالملك ثم رقاهم عن هذه الحالة باشهادهم ان الانجاز من الملك ولم يذرهم فى
المساكنة الى الامداد بالملك فقال وما النصر الا من عند الله ثم قال ان الله
عزيز حكيم فالنجاة من البلاء حاصلة وفنون الانجاز والامداد بالطاقة متوصلة والدعوات
مسموعة والاجابة غير ممنوعة وزوائد الاحسان متاحة ولكن الله عزيز فالطالب

واجد

واجد ولكن لعطائه والراغب واصل ولكن الى مبارة والسبيل سهل ولكن
الى وجدان لطفه فاما الحق فهو عزيز وراء كل فصل ووصل وقرب وبعد وما وصل
احد الا الى نصيبه وما بقى احد الا عن حظه وفى معناه قيل وقلن لنا نحن الاهلة انما
نضئ لمن يسرى بليل ولا نؤوى فلا بذل الا ما نزور ناظر ولا وصل الا بالخيال الذى
يسرى اذ يغشيكم النعاس وقراء نافع بالتخفيف من اغشيته اياه والفاعل على القرائتين
هو الله وقراء ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله
وهو مفعول له فى المعنى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة
ويذهب عنكم رجز الشيطان اى وسوسته وتخويفه اياهم من العطش وليربط على
قلوبكم بالوثوق على لطف الله بكم ويثبت به الاقدام اى بالمطر حتى لا تسوخ فى الرمل
اقدامكم او بالربط اقدامكم اقدامكم حال اقدامكم قيل القلوب ثلثة قلب مربوط
بالكائنات وقلب مربوط بالاسامى والصفات وقلب مربوط بالذات وافاد
الاستاذ انه غشيتهم النعمة تلك الليلة فازالت عن ظواهرهم ونفوسهم كد الاعياء
والكلال وانزل على قلوبهم روح الامن وامطرت السماء فاغتسلوا بعد ما ازمنتهم الطهارة
الكبرى بسبب الاحتلام واشتد الارض بالمطر فلم ترسب الاقدام فى رملها وانتفى
عن قلوبهم ما كانت الشياطين توسوس بها اليهم انه يصيبهم العناء بسلوك
الرمل والبقاء عن الغسل فلما نابتهم الاحساس واستمكن النعاس وتداركتهم
النصرة والعناية استيقنوا بان الكفاية من قبل الله لا بسكونهم وحركاتهم وانهم
صرف التأييد واتمام الكفاية ولما طهر ظواهرهم بماء السماء طهر سرائرهم بماء
التحقيق عن شهود كل غير وكل علة وصان اسرارهم عن الاصغاء الى الوساوس
وربط على قلوبهم بشهودهم جريان التقدير على حسب ما يجرى به الحق سبحانه من فنون
التصريف وثبت به الاقدام الظواهر فى مشاهد القتال واقدام السرائر
على نهج الاستقامة بشهود مجارى التقدير اذ يوحى ربك الى الملائكة
انى معكم فى اعانتهم وتثبيتهم فثبتوا الذين آمنوا اى بتبشيرهم وتسكين
فؤادهم او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم سالقى فى قلوب الذين
كفروا الرعب كالتفسير لقوله انى معكم وافاد الاستاذ انه سبحانه عرفنا
ان الملائكة محتاجون الى تعريف الحق اياهم قضايا التوحيد وتثبيتهم
المؤمنين قيل كانوا يظهرون للمسلمين فى صورة الرجال ويخاطبونهم بالاخبار
عن قلة عدد المشركين واستيلاء المسلمين عليهم وهم لا يعرفون انهم ملائكة
وقيل تثبيتهم اياهم بان كانوا يلقون فى قلوبهم ذلك من جهة الخاطر ثم ان الله
تعالى يخلق لهم فهما لذلك كما يوصل الحق سبحانه وساوس الشيطان الى القلوب
يوصل خواطر الملك وامدهم بالقاء الخوف والرعب فى قلوب الكفار فاضربوا

فوق الاعناق اى اعاليها التى هى المذابح والرؤس واضربوا منهم كل بنان اصبع او
مفصل والمعنى جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم وقال الاستاذ وذلك بامر الله وتعريفه
من جهة الوحى والكتاب ويكون معناه اباحة ضربهم وقتلهم على اى وجه كان كيف اصابوا
اسافلهم واعاليهم ويحتمل فاضربوا فوق الاعناق ضربا يوجب قتلهم لانه لا حياة بعد
ضرب العنق ولفظ فوق يكون صلة والا فاضربوا منهم كل بنان اى ضربا يعجزهم عن
الضرب ومزاولة المسلمين لانه لا مزاولة تحصل بعد فوات الاطراف ذلك اى القتل
او الامر به بانهم شاقوا الله ورسوله اى خالفوهما وقال الاستاذ بين انهم زعم مغالبة
حسبانهم واكاذيب ظنونهم والمنفى بكل وجه لله تعالى لانفراده بتقدير الايجاد ومن يشاقق الله
ورسوله فان الله شديد العقاب وعيد لهم بما اعد لهم فى العقبى بعد ما حاق بهم
فى الدنيا وافاد الاستاذ انه سبحانه يمهل المجرم اياما ثم لا يهمله بل يذيقه باس فعله ويزيل
عنه شبهة ظنه ذلكم العذاب فذوقوه ايها المشركون معجلا وان للكافرين
عذاب النار مؤجلا فللعاصين عقوبتان تحصل بنقد ومؤخر بوعد والمعنى
ذوقوا ما عجل لكم فى الدنيا مع ما اجل لكم فى الاخرى يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم
الذين كفروا زحفا حال كونهم كثيرين فلا تولوهم الادبار بالانهزام وقصد الفرار ومن
يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر او متحيزا الى فئة اى مجتمعا
الى جماعة من المسلمين ليستعين بهم على اعداء الدين وانتصابهما على الحال والا لغو
لا عمل له او على الاستثناء من المولين اى الا رجلا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء رجع
بغضب من الله ومأويه جهنم وبئس المصير وهذا اذا لم يزد العدو على الضعف لما سيأتى
من قوله تعالى الآن خفف الله عنكم وقيل الآية مخصوصة باهل بدر وقال الاستاد اذا
لقيتم الذين كفروا فى المعركة زحفا مجتمعين فاثبتوا قبالهم ولا تنهزموا والشجاعة
ثبات القلب كما قيل الشجاعة صبر ساعة وفى الجهاد مع العدو بالظاهر فالواجب
الثبوت عند الصولة الاولى وكذلك فى جهاد الباطن مع الشيطان فمن الواجب
منه الوقوف عند دواعيه الى الزلة فمن وقف على حد الامساك عن اجابته بالكلية
فيما يدعوه بوساوسه فقد وفى للجهاد حقه وكذلك فى مجاهدة النفس فاذا وقف
العبد عند اجابة النفس فيما تروعه بهواجسها ولم يطع شهوته فيما تحمله النفس عليه
من البدار الى ابتغاء حظه فقد وفى الجهاد حقه والاشارة فى قوله الا يعنى غير
متحرف للقتال بايثار بعض الرخص ليتقوى على ما هو اشد كاكله مثلا ما يقيم صلبه
ونومه ليقوى على السهر وكرفقه بنفسه بايثار بعض راحات شبحه من ازالة عطش
او نفى مقاساة جوع او برد او غيره لئلا يبقى عن مراعاة قلبه واستدامة اقتبال
قلبه بربه فان ترك بعض اوراد الظاهر لئلا يبقى به عن الاستقامة فى احكام واردات
السرائر اخذ فى حق الجهاد بالحزم والاشارة فى قوله او متحيزا الى فئة الى اعتضاد المريد

بصحبة

بصحبة اقرانه فيما يساعدونه فى المجاهدة ويتقوى بشهود ما هم فيه من المكابدة على
الاقامة على مجاهدته ثم باستمداده من هم الشيوخ فان المريد ربيب همة شيخه فالاقوياء
من الاغنياء على خدمهم من نعمهم والاصفياء من الاولياء يشفقون على مريديهم من هممهم
يجبرون كسرهم ويتوبون منهم ويجدونهم بحسن ارشادهم ومن اهمل مريدا وهو
يعرف صدقه او خالف شيخا وهو يعرف فضله وحقه فقد باء بغضب من الله
من سخطه والله تعالى حسبه فى مكافاته على ما حصل من قبيح وصفه فلم تقتلوهم
بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصرتكم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم روى انه
لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها
يكذبون رسولك اللهم انى اسئلك ما وعدتنى فاتاه جبريل فقال له خذ قبضة من
التراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها فى وجوههم
وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون
يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت
واسرت فنزلت والتقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت حقيقة وخلقا اذ رميت صورة وكسبا ولكن الله رمى اى اتى
بما هو غاية الرمى من ايصالها الى اعينهم جميعها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى
بتخفيف لكن ورفع ما بعده فى الموضعين هذا وقال الفارسى ما كنت راميا
الا بنا ولا مصيبا الا بمعونتنا وافاد الاستاذ ان الذى نفى عنهم من القتل
هو افاتة الروح واثبات الموت وهو من خصائص قدرته والذى يوصف به
الخلق من القتل هو ما يفعلونه فى انفسهم الذى يحصل ذهاب الروح عقيبه
وفائدة الآية قطع دعاويهم فى قول كل واحد منهم على جهة التفاخر قتلت
فلانا فقال فلم تقتلوهم اى لم يكن افعالكم مما انفردتم بايجادها بل المنشئ
والمبدع هو الله عز وجل فصانهم بهذه الآية وصان نبيه عليه السلام
عن ملاحظة افعالهم واحوالهم ولذلك قال وما رميت اذ رميت اى ما رميت
بنفسك ولكن رميت بنا فكان منه قبض التراب وارساله من يده ولكن من
حيث الكسب وكسبه موجد من الله بقدرته وكان التبليغ والاصابة من قبل الله
خلقا وابداعا وليس الذى اثبت ما نفى ولا ما نفى هو الذى اثبت والفعل
فعل واحد والتغاير فى جهة الفعل لا فى عينه وقوله اذ رميت فرق ولكن الله رمى
جمع والفرق صفة العبودية والجمع نعت الربوبية وكل فرق لم يكن مضمنا بجمع وكل
جمع لم يكن فى صفة العبد مؤيدا بفرق فصاحبه غير سديد الوتيرة وان الحق سبحانه
يكل الاغيار الى ظنونهم فيتيهون فى اودية الحسبان ويتوهمون انهم متفردون
باجراء ما منهم وذلك منشأ مكرهم قال الله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا

واما ارباب التوحيد فيشهدهم مطالع التقدير و يعرفهم جريان الحكم و يريهم نفسهم في اسر الربوب
وقهر الحكم واما الخواص من الاولياء واصحاب العرفان فيجري عليهم ما يجري وهم عن احساس
ذلك ماخوذون بشهودهم شواهد النظارة بالتقدير ويتولى حفظهم عن مخالفة الشرع
وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وينعم عليهم نعمة عظيمة بنصرة وغنيمة ومشاهدة آيات
جسيمة ان الله سميع باقوالهم عليم باحوالهم قال رويم البلاء الحسن ان يكون رؤية الحق
اسبق اليه من نزول البلاء فيمر به البلاء وهو لا يشعر لاستغراقه في رؤية الحق وافاد
الاستاذ ان البلاء الاختبار فيختبر مرة بالمنن ليظهر شكرهم اوكفرانهم ويختبرهم
اخرى بالمحن ليظهر صبرهم او ضجرهم ونسيانهم والبلاء الحسن توفيق الشكر في المنحة
وتحقيق الصبر في المحنة وما يفعل الحق فهو حسن من الحق لان له ان يفعل وهذا حقيقة
الحسن وهو ما للفاعل ان يفعله ويقال حسن البلاء لانه منه وطاب البلاء لانه فيه
ويقال البلاء الحسن ان يشهد المبلي في عين البلاء ويقال البلاء الحسن ما لا دعوى لصاحبه
ان كانت نعمة ولا شكوى له ان كانت محنة ويقال البلاء الحسن ما ليس فيه زجران كان
عسرا ولا بطر ان كان يسرا ويقال بلاء كل احد على حسب حاله ومقامه فاصفاهم ولاء
اوفاهم بلاء قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل
ان الله سميع تنفيس لقوم وتهديد لقوم اصحاب الرفق يقول لهم ان الله سميع لانينكم
فيروح عليهم بهذا وقتهم ويحل عنهم محنتهم وانشدوا اذا ما تمنى الناس روحا وراحة
تمنيت ان اشكو اليك فتسمعا • وقالوا قل لي بالسنة التنفس كيف انت وكيف
حالك واما الاكابر فلا يؤذن لهم في التنفس ويكون المطالبة متوجهة عليهم بالصبر
والوقوف تحت جريان التقدير من غير اظهار ولا شكوى فيقول لو ترشح منك
ما كلفت تشتر به توجه عليك الملامة فلا يكن منك بيان ولا شبه فاني سميع
لقالتك عليم بحالتك ويقال في قوله عليم تسلية لارباب البلاء فان من علم ان مقصوده
يعلم حاله سهل عليه ما يقاسيه فيه قال سبحانه لنبيه عليه السلام ولقد نعلم انك
يضيق صدرك بما يقولون ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي المقصود ذلكم
من ابلاء المؤمنين وان الله موهن كيد الكافرين والمعنى ان المقصود من ذلك البلاء احسان
المؤمنين وايهان الكافرين وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بتشديد موهن وقرا حفص
بالاضافة وقال الاستاذ موهن بتقوية قلوب المؤمنين والثبات على انتظار
النصرة من قبل رب العالمين وموهن كيد الكافرين بان ياخذهم من حيث لا يشعرون
ويظفر عليهم جند المسلمين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة حيث
تعلقوا باستار الكعبة حين خروجهم للغزوة قائلين اللهم انصر اعلى الجندين واهدى
الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن كفركم ومعاداة رسولكم فهو خير لكم لتضمنه
سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لمناصرته ولن تغني عنكم فئتكم

لن ترفع جماعتكم عنكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله
مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرا نافع وابن عامر وحفص بفتح ان فالمعنى ولان الله
مع المؤمنين كان ذلك الفتح المبين وافاد الاستاذ انهم سالوا بالسنتهم هلاك انفسهم
وذلك لانجرارهم في مغاليط ظنونهم ثم توهموا استحقاق القربة وكانوا في عين الفرقة
وحكم الشهوة موسومين باستيجاب اللعنة فدعائهم وقعوا في شقائهم وباختيارهم
منوا ببوارهم ويقال ظنوا انهم اهل الرحمة فدعوا فلما كشف الستر خابوا وذلوا فعند ذلك
علموا انهم زاغوا في ظنهم وضلوا انه ليس المراد من خير المبالغة لانه قد يقال هذا خير لك من
هذا اذا كان الثاني ليس فيه شر وترك سوء فعلهم الرسول عليه السلام بكل وجه هو شر لهم لكنه
اراد به في الاحوال الدنيوية وعلى موجب ظنونهم وان تعودوا نعد يعني ان عدتم الى الجميل
من السيرة عدنا لكم بجميل السنة وان عادوتم الاقدام على الشر اعدنا عليكم ما اذقناكم
من الضر ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت من غلبته قدرة الاحد لن تغن عنه
كثرة العدد يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي لا تتولوا عن الرسول
ولا تعرضوا عن طاعته فان طاعة الله في متابعته وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي
دل عليه المصدر او التقدير عن احدهما وانتم تسمعون القرآن وسائر البراهين ونصائح
الاخوان وافاد الاستاذ ان الناس في طاعة الله على اقسام فمطيع لخوف عقوبته
ومطيع طمعا في مثوبته وآخر تحقيقا لعبوديته وآخر لربوبيته وكم بين مطيع ومطيع
كما قيل احبك يا شمس الزمان وبدره • وان لامني فيك السها والفراقد •
وذاك لان الفضل عندك باهر • وليس لان العيش عندك بارد •
وفي قوله تعالى اطيعوا الله ورسوله ولم اطيعوا الله واطيعوا الرسول نوع تخصيص وضرب
تفضيل يلطف عن العبارة ويبعد عن الاشارة ولا تولوا عنه وانتم تسمعون
اي تسمعون دعاءه اياكم وتسمعون ما انزل عليه من دعائه اياكم ولا تكونوا كالذين
قالوا سمعنا وهم الكفرة او المنافقون الذين ادعوا انهم يسمعون وهم لا يسمعون
سماعا به ينتفعون فكانهم من راس الشئ لا يسمعون قبل من سمع ولم ير عليه فوائد
السماع وزيادة في احواله فهو غير مستمع ولا سامع ذكره السلمي وقال الاستاذ لا تكونوا
ممن يشهد جهرا ويجحد سرا ويقال لا تقروا بلسانكم وتصروا على كفرانكم ويقال من
نطق بتلبيسه شهد الخبرة بتكذيبه ان شر الدواب اي ما يدب على الارض عند الله
اي في حكمه الصم عن الحق البكم عن الصدق الذين لا يعقلون لا يميزون بنظر
البصر ولا بعين البصيرة بين الحق والباطل وبين الباقي والزائل وانما كانوا شرا
من البهائم لابطالهم ما تميزوا به وفضلوا لاجله وافاد الاستاذ ان دواعي الحق
بحسن البيان ناطقة والسنة البرهان فيما ورد به التكليف صادقة وخواطر الغيب
بكشف ظلم الريب مفصحة وزواجر التحقيق عن متابعة التمويه للقلوب ملازمة ومن

صمّ عن ادراك ما خوطب به سرّه وعمي عن شهود ما كوشف به قلبه وخرس عن اجابة
ما ارشد اليه من مناجة فهمه وعقله فدون رتبة البهايم قدره وفوق كل خسيس من خلق الله
ذلّه وصغره ولو علم الله فيهم خيرا سعادة مكتوبة لهم او منفعة للآيات المنزلة
عليهم لاسمعهم سماع تفهم وتبصرهم ولو اسمعهم اي فرضا وتقديرا وقد علم ان لا خير
فيهم لتولّوا لاعرضوا عنه ولم ينتفعوا به او ارتدّوا بعد التصديق وقبوله وهم معرضون
عادتهم الاعراض ودأبهم الاعتراض ومقصدهم الاعراض وطلبهم الاغراض لحرموا
الاعواض وافاد الاستاذ ان من اقصته سوابق القسمة لم تدنه لواحق الخدمة ومن
علم الله شقوته حرمه ما يوجب عفوه ويقال لو كانوا من معقولات الرحمة
لالبسهم صدار العصمة ولكن سبق بالحرمان حكمهم فختم بالضلالة امرهم يا ايها الذين
آمنوا استجيبوا لله اي بالعبادة وللرسول اي بالطاعة افاد عالم وحّد الضمير
لما تقدّم من التقرير وفي حقايق الدقايق استجيبوا لله بسرائركم وللرسول
بظواهركم انتهى ولعلّه اشار الى مقامي الجمع والفرق كما لا يخفى لما يحييكم من العلوم
الدينية النافعة في الاحوال الاخروية المورثة للحيوة الابدية والمعيشة الرضية الشرعية
من العقائد والاعمال والاحوال البهية السنية قيل حيوة النفس بمتابعة الرسول
وحيوة القلب بمشاهدة الرب وقال الاستاذ اجاب واستجاب بمعنى واحد
كما وقدوا استوقد وقيل للاستجابة مزية وخصوصية كانه يكون طوعا لا كرها اقول
لا بد للفرق بينهما لان زيادة المبنى تفيد زيادة المعنى فهو اما محمول على المبالغة او
على الاجابة الخاصة ثم قال وفرق بين من يجيب لخوف او طمع وبين من يستجيب
لا لغرض ولا عن ملاحظة عوض وحق الاستجابة ان يجيب بالكلية من غير ان يذر
من المستطاع بقية والمستجيب لربه محو عن كله باستيلاء الحقيقة والمستجيب
للرسول قائم بشرعه من غير اخلال بشيء من احكام الشريعة والطريقة وقد امر الله
سبحانه بالاجابة له سبحانه وبالاستجابة للرسول عليه السلام فالعبد المستجيب
على الحقيقة من قام بالله سرا واتصف بالشرع جهرا يفرده الحق سبحانه
بحقايق الجمع ويصطلمه في مشاهد الفرق فلا يكون للحدثان بمشرب حقايقه تكدير
ولا لمطالبات الشرع على احواله نكير وقوله لما يحييكم اذا افناهم عنهم احياهم ويقال
العابدون احياهم بطاعته بعد ما افناهم عن مخالفته واما العالمون فاحياهم
بدلائل ربوبيته بعد ما افناهم عن الجهل وظلمته واما المؤمنون فاحياهم بنور
موافقته بعد ما افناهم بسيف مجاهدته واما الموحّدون فاحياهم بنور توحيده
بعد ما افناهم عن الاحساس بكل غير والملاحظة لكل حدثان واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من عبده كقوله في مقام المزيد للمزيد ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد او تخييل لتقليبه على العبد قلبه فيفسخ عزايمه ويغير مقاصده

ويحول

ويحول بينه وبين الكفران اذا اراد اسعاده وبينه وبين الايمان ان شاء ابعاده
وانه اليه تحشرون على وفق ميعاده للمرء في معاده وافاد الاستاذ ان المعنى
يصون القلب من تقليب اربابها بل يقلبها كما يشاء من هداية وضلال وغيبة
ووصال وحجبة وقربة ويقين ومرية وانس ووحشة ويقال صان قلوب العابدين
عن الجنوح الى الكسل فجدّوا في معاملتهم وصان قلوب المريدين عن التعريج
في اوطان الفشل فصدقوا في منازلتهم وصان قلوب العارفين على
حد الاستقامة عن الميل فتحققوا بدوام مواصلتهم ويقال حال بينهم وبين قلوبهم
لئلا يكون لهم رجوع الا الى ربهم فاذا سنح لهم امر فليس لهم الى الاغيار سبيل
ولا على قلوبهم تعويل وكم بين من يرجع عند سوانحه الى قلبه وبين من لا يهتدي
الى شيء الا الى ربه كما قيل لا يهتدي قلبي الى غيركم لانه سدّ عليه الطريق
ويقال العلماء هم الذين وجدوا قلوبهم قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن
كان له قلب والعارفون هم الذين فقدوا قلوبهم قال تكا واعلموا ان الله يحول بين المرء
وقلبه واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي اتقوا ذنبا يعمّكم
ضرره في الاثر كالمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكافتراق الكلمة
وظهور البدعة والتكاسل في الجهاد مع الكفرة على قوله لا تصيبن جواب الامر
بمعنى ان اصابتكم الفتنة لا تصب الظالمين منكم خاصة بل تلحقكم عامة
واعلموا ان الله شديد العقاب اذا اراد العقوبة وقد يقال في معنى الآية
ان الخاصة من العلماء والمشايخ اذا مالوا الى المباحات وقعت العامة
في الشبهات واذا ارتكبوا الشبهات وقع اتباعهم في المحرمات واذا وقعوا
على المحرمات وقع مقتديهم في الكفر والمنكرات وعلى هذا القياس سائر
الحالات وقال الاستاذ اي احذروا ان ترتكبوا ما يوجب لكم عقوبة لا تختص
بمرتكبها بل يعمّ شؤمها من يتعاطيها ومن لا يتعاطيها وغير المجرم لا يؤاخذ
بجرم من اذنب ولكن قد ينفرد احد بجرم فيحمل اقواما من المختصين بفاعل هذا
الجرم على ان يتعصبوا له اذا اخذ بحكم ذلك الجرم فبعد ان لا يكونوا ظالمين
يصيرون ظالمين بمعونتهم وتعصبهم لهذا الظالم فتكون فتنة لا تختص بمن كان
ظالما في الحال بل يصيب الظالم ومن يصير ظالما في الاستقبال بسبب تعصبهم
للظالم ومطابقتهم معه ورضاهم به هذا معنى التفسير من حيث الظاهر والعبارة
فاما من جهة الاشارة فان العبد اذا باشر بنفسه الزلة عاد الى القلب منه الفتنة
وهي القسوة المعجلة ويصيب النفس من الفتنة العقوبة المؤجلة والقلب
اذا حصل منه زلة وهو همّه بما لا يجوز تعدّى فتنته الى السرّ وهي الحجبة وكذلك
المقدّم في شانه اذا فعل ما لا يجوز انقطعت البركات التي كانت تتعدّى منه الى

متبعيه وتلامذته فكان انقطاع تلك البركات عنهم نصيبهم من الفتنة وهم لم يعملوا ذنبا ويقال ان الاكابر اذا سكتوا عن النكير على الاصاغر اصابتهم فتنة تركهم الانكار عليهم فيما فعلوه من الاجرام ولقد قيل ان السفيه اذا لم ينه مامور فعلى هذا يصيب فتنة الزلة مرتكبها ومن ترك النهي عن المنكر اخذ بجرم نفسه من ترك الامر بالمعروف ويقال ان الزاهد اذا لحظ الى رخص الشرع في اخذ الزيادة من الدنيا ما فوق الكفاية وان كان من وجه حلال تعدى فتنته الى من يتخرج به من المبتدئين فيحمله ما راى منه على الرغبة في الدنيا وترك التقليل فيؤديه الى الانهماك في اودية الغفلة من الاشتغال الدنيوية والعابد اذا جنح الى رخص وترك الاوراد تعدى ذلك الى من كان ينشط في المجاهدة فيستوطن الكسل ثم يحمله الفراغ وترك المجاهدة على متابعة الشهوات فيصير كما قيل ان الشباب والفراغ والجدة • مفسدة للمرء اي مفسدة فهكذا يكون نصيبهم من الفتنة والعارف اذا رجع الى ما فيه حظ له نظر اليه المريد فيتداخل له فترة فيما هو به من صدق المنازلة فيكون ذلك نصيبه من فتنة العارف وفي الجملة اذا غفل الملك وتشاغل عن سياسة رعيته تعطل الجند والرعية وعظم فيه الخلل والبلية وفي معناه انشدوا • رعاتك ضيعوا بالجهل منهم ▪ غنيمات فساستهم ذئاب • واعلموا ان الله شديد العقاب يعجل ذلك في مقام الحساب ومن شدة عقوبته انه اذا اخذ عبدا بعقوبته لا يمكنه من تلافي موجب تلك العقوبة واذكروا اذ انتم قليل اي في العدد مستضعفون في المدد في الارض ارض مكة تخافون ان يتخطفكم الناس بالنهبة فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بامداد الملائكة ورزقكم من الطيبات كالغنيمة لعلكم تشكرون هذه النعمة وترزقون الزيادة وافاد الاستاد انه سبحانه يذكرهم ما كانوا فيه من القلة وصنوف الخلة ثم ما تقدم اليه من الامكان والبسطة ووجود الاحسان والحيطة وندبهم الى اقامة الشكر على جزيل تلك القسم واداء الحمد على جميل تلك النعم فمهد لهم في ظل ايوائه مقيلا ولم يجعل للعدو اليهم بيمن رعايته سبيلا ورزقكم من الطيبات رزق الاشباح والظواهر من طيبات الغذاء ورزق الارواح والسرائر من صنوف الضياء وحقيقة الشكر على هذه النعم الغيبة عنها بالاستغراق في شهود المنعم بها يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بمخالفتهما او تعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون وتخونوا اماناتكم اي فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف او منصوب على الجواب وانتم تعلمون انكم تخونون قال ابو عثمان من خان الله في السر هتك الله في العلانية سره ذكره السلمي وافاد الاستاد ان الخيانة هي الانحطاط بخلاف

مايؤول

مايؤول منك بحق التوكل فخيانة الله بتضييع ما ائتمنك عليه وذلك بمخالفة النصح في دينه وخيانة الرسول بالاتصاف بمخالفة ما تبدي من متابعته والخيانة في الامانات بترك الانصاف والاتصاف بغير الصدق وخيانة كل احد على حسب ما وضع عنده من الامانة فمن اؤتمن في مال فتصرف فيه بغير اذن صاحبه خيانة ومن اؤتمن على حرم فلاحظه ايا هن خيانة فعلى هذا الخيانة في الاعمال الدعوى فيها بانها من قبلك دون التحقق بان منشئها الله والخيانة في الاحوال ملاحظتك بها دون غيبتك عن شهودها باستغراقك في شهود الحق ان لم يكن استهلاكك في وجود الحق واذا خالفت سنة من السنن او ادبا من آداب الشرع فذلك خيانة للرسول عليه السلام والخيانة في الامانات بينك وبين الخلق فما يتارك نصيب نفسك على تطييب المسلمين بارادة القلب فضلا من المعاملة بالفعل واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلية لانها سبب للوقوع في الاثم والعقوبة او محنة من الله لارباب المنحة قال ابو صالح حمدون من اعتمد على شيء سوى الله فهو عليه فتنة ذكره السلمي وان الله عنده اجر عظيم لمن اثر رضى الله عليها وراعى حدوده فيها وافاد الاستاد ان اموالكم واولادكم سبب فتنة لكم لان المرء لاجل ماله ورعاية اولاده يرتكب ما هو خلاف الامر فيورثه فتنة العقوبة ويقال الفتنة الاختبار فيختبرك بالاموال هل تؤثرها على حق الله وبالاولاد هل تترك لاجلهم ما فيه رضاه فان اثرتم حقه على حظكم ظهرت به فضيلتكم وان انصفتم بضده عوملتم بما يوجب من عكس محبوبكم ويقال المال للكفاف والعفاف نعمة وما للتكاثر والتفاخر نقمة وفي الجملة ما يشغلك عن الله فتنة يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقوا بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عن الظلمات او نورا يبين امركم وظهورا يعين قدركم ويكفر عنكم سيئاتكم بسترها ويغفر لكم بمحوها وقيل بالعفو عن الصغاير وبالتجاوز عن الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر كما في الخبر والله ذو الفضل العظيم يتفضل على عبده بما يشاء من عنده ولا يتعاظم ذنب في جنب عفوه وافاد الاستاد ان الفرقان ما يفرقون بين الحق والباطل من علم وافر والهام باهر فالعلماء فرقانهم مجلوب برهانهم والعارفون فرقانهم موهوب عرفانهم فهؤلاء مع مجهود نفسهم وهؤلاء بمقتضى جود ربهم فالفرقان تعريف من الله والتكفير تخفيف من الله والغفران تشريف للعبد من الله قلت وذلك كله فضل من الله اذ لا يجب للعبد شيء على مولاه واذ

يمكر بك الذين كفروا تذكار له عليه السلام لما مكر قريش به حين كان بمكة قبل هجرته
الى المدينة ليشكر نعمة الله فى خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم فى آخر امرهم
والمعنى اذكر حين يمكرون بك ليثبتوك بالحبس او الوثاق او يقتلوك بسيوف
الاتفاق او يخرجوك من مكة على وجه الوفاق ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم
وسوء كيدهم اليهم او بمجازاتهم عليه اذ رجوعهم اليه او بمعاملة الماكرين معهم
بان امرك بالهجرة فى الخفية واخرجهم الى بدر فى معزة فقتلوا واسروا فى مذلة
والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره بهم فاسناد امثال هذه الافعال
انما هو للمزاوجة والمشاكلة فى الاقوال ولا تجوز اطلاقها ابتداء عليه سبحانه لما فيه
من ايهام ذم عز شانه هذا وقد قال الشبلى المكر فى النعم الباطنة والاستدراج
فى النعم الظاهرة ذكره السلمى وافاد الاستاد ان المكر اظهار الاحسان وقصد الاساءة
فى الستر والمكر من الله هو الجزاء على المكر ويكون مكره بهم انه يلقى فى قلوبهم انه يحسن اليهم
ثم فى التحقيق يعذبهم واذا اشغل قوما بالدنيا وصرف هممهم اليها حتى نسوا الآخرة
فذلك مكره بهم يوطنون نفوسهم عليها فيتيح لهم من مأمنهم بالسوء فيأخذهم بغتة هذا
مكره بالقوم ومن جملة مكره اغترار قوم بما يرزقهم من الصيت الجميل بين الناس واجراء
كثير من الطاعات عليهم مع ما يوجب لهم من قبول الناس اياهم ثم اسرارهم
تكون بالاغيار منوطة وهم عند الله غافلون وعند الناس انهم عند الله مكرمون
وفى معناه وقد حسدونى قرب دارى منكم وكم من قريب الدار وهو بعيد واذا تتلى عليهم
آياتنا قالوا قد سمعنا اى سمعناها وفهمنا مكنونها لو نشاء لقلنا مثل هذا اى فى
مبناها ومعناها ان هذا الا اساطير الاولين اى ما هذا اى ما سطره المتقدمون
من القصص فاكتتبها ويتلوها وهذا مقالة النضر بن الحارث واسندت اليهم
رضاهم بها وهذا غاية مكابرتهم ونهاية معاندتهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم
ان يشاؤا وهاهنالك وقد تحداهم باقصر سورة اظهارا للمعجزة ثم قارعهم بسيف
المجاهدة فلم يعارضوه مع استنكافهم ومبالغتهم فى الانفة ان يغلبوا فى مضمار
الفصاحة وميدان البلاغة فما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى وافاد الاستاد ان فرط جهلهم
وشؤم جحدهم ستر على عقولهم قبح دعاويهم فى القدرة على معارضة القرآن فافتضحوا عند
الامتحان لعدم البرهان والعجز عما وصفوا من انفسهم من الفصاحة والبيان وقديما قيل
من تحلى بغير ما هو فيه • فضحه الامتحان ما يدعيه • ويقال لما لاحظوا القرآن بعين
الاستصغار حرموا بركات الفهم فعدوه من جملة اساطير الاولين وكذلك من لا
يراعى حرمة اوليائه يعاقب بان يستر عليه حالهم فيظنه مثله فى استحقاق مثالبه
فيطلق فيهم لسان الوقيعة وهو بذلك احق واذ قالوا اللهم ان كان هذا اى القرآن
هو الحق اى الثابت المنزل من عندك فامطر علينا حجارة من السماء للعقوبة على

انكاره

انكاره او ائتنا بعذاب اليم اى من عنده وهذا الكلام الباطل من كلام ذلك القائل مما
ليس تحته طائل الا انه اراد به التهكم باهل الاسلام واظهار اليقين والجزم التام
على كونه باطلا فى مقام المرام وقال الاستاذ دل سؤالهم العذاب على تصميم عقدهم
على تكذيب الرسول عليه السلام فاستيقنوا عند انفسهم انه لا يستجاب فيهم ما يدعونه
على انفسهم وفى هذا اظهر دليل على ان سكون النفس الى الشئ ليس بعلم لانه كما يوجد
مع العلم يوجد مع الجهل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم بيان لما كان الموجب
لامهالهم والتسبب للتوقف فى اجابة سؤالهم واللام لتأكيد النفى فى تغيير حالهم
والدلالة على ان عذاب استيصالهم والنبى بين اظهرهم خارج عن عادته وغير
مستقيم فى حكمته سبحانه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بقولهم اللهم غفرانك
وفيه اعتناء بشأن الاستغفار ولو صدر من الكفار او باستغفار من بقى فيهم
من المؤمنين الابرار وافاد الاستاد ان المعنى وما كان الله ليعذب اسلافهم وانت
فى اصلابهم وليس يعذبهم اليوم وانت فيما بينهم اجلالا لقدرك واكراما لمحلك
واذا خرجت من بينهم فلا يعذبهم وفيهم خدمك الذين يستغفرون فالآية تدل على
تشريف قدر الرسول عليه السلام ويقال للجوار حرمة فجار الكرام فى ظل انعامهم
فالكفار ان لم يتمتعوا بقرب رسول الله عليه السلام منهم فقد اندفع العذاب بمجاورته
لهم واحبتها واحب منزلها الذى نزلت به واحب انزل المنزل ويقال اذا كان
كون الرسول عليه السلام فى الكفار يمنع العذاب عنهم فكون المعرفة فى القلوب اولى
بان يدفع العذاب عنهم وفى قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ايماء الى انه
سبحانه علم انه صلى الله عليه وسلم لا يتأبد مكثه فى امته اذ قال له وما جعلنا لبشر
من قبلك الخلد فقال انى لا اضيع امته وان انقضى فيهم مدته فما دامت السنتهم
بالاستغفار منطلقة فصنوف العذاب عنهم مندفعة ويقال ان العذاب
وان تأخر عنهم مدة مقامهم فى الدنيا فلا محالة يصيبهم العذاب فى العقبى فالاعتبار
بالعواقب لا بالاوقات الطوارق اقول ولعل هذا هو المعنى بقوله تعالى وما لهم الا
يعذبهم الله اى واى شئ لهم مما يمنع تعذيبهم وكيف لا يكون العذاب تعقيبهم وهم يصدون
عن المسجد الحرام اى وحالهم فى ذلك المقام منع اهل الاسلام وارباب الكرام عن
البلد الحرام ومن جملة صدهم عنه الجاء رسول الله عليه السلام والمؤمنين الى الهجرة
واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه اى مستحقين ولاية امره مع
شركهم بربه وفيه رد لهم بما كانوا يقولون نحن ولاة البيت المعظم والحرم المحترم فنصد
من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون اى من الشرك الملة والذين
لا يعبدون فيه سواه وقيل الضمير لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه
ويراد بالاكثر الكل كما يراد بالقلة العدم او فيه تنبيه على ان فيهم من يعلم ويعاند والله

اعلم وافاد الاستاذ ان فی الآیة دلیلا علی انه سبحانه لا یعذب اولیاءه لقوله
وما کانوا اولیاءه فاذا عذب من لم یکونوا اولیاءه دل علی انه لا یعذب من کان من جملة
اولیائه والمؤمنون کلهم اولیاء الله لانه قال الله ولی الذین آمنوا والمؤمن وان عذب
بمقدار جرمه زمانا فاذا لم یخلد فی دار العقوبة فما یقاسون بالاضافة الی الابد جلل اذا
سلم العهد الذی کان بیننا فودی وان شط المزار سلیم وما کان صلاتهم ای دعاؤهم
او ما یسمونه صلاة او ما یضعون موضعها والاظهر انهم المتصدین للصلوة عند
البیت ای بیت الله الحرام المعظم عند الخاص والعام الا مکاء ای صفیرا وتصدیة
ای تصفیقا وسیاق الکلام لتقریر استحقاقهم العذاب والملام او عدم
ولایتهم للمسجد الحرام فانها لا تلیق بمن هذه صلاته وعبادته وصلاته روی انهم کانوا
یطوفون عراة الرجال والنساء مشبکین بین اصابعهم یصفرون فیها ویصفقون
بها وقال الاستاذ تجردت اعمالهم بظواهرهم عن خلوص عقایدهم فلم یوجب سبحانه
لها احتسابا ولم یجعل لهم فیها ثوابا فزکاء الحالة لا یکون الا مع صفاء الحالة
وعناء الظواهر الا مع ضیاء السرائر فذوقوا العذاب اما العذاب الدنیوی الذی
بهم کما وقع یوم بدر من قتلهم واسرهم او العذاب الاخروی العام لهم ولامثالهم
بما کنتم تکفرون اعتقادا او عملا ان الذین کفروا ینفقون اموالهم لیصدوا
انفسهم او غیرهم او لیعرضوا عن سبیل الله ای طریق رضاه او عن دینه
واتباع نبیه فسینفقونها ای فی غیر محالها ثم تکون علیهم حسرة ای ندما وغما
ووبالا فی مآلها لفواتها فی غیر حصول مقصودها ثم یغلبون فی آخر ما هنالک
وان کان الحرب بینهم سجالا قبل ذلک وقال الاستاذ یرومون بانفاقهم صنوف
اموالهم صلاحا ونظاما لاحوالهم ثم لا یحظون الا بالخسران ولا یحصلون الا علی
نقصان لخسروا وهم لا یشعرون وخابوا وسوف یعلمون ٭ سوف تری اذا انجلی الغبار
افرس تحتک ام حمار ٭ والذین کفروا ای ثبتوا علی کفرهم لا ایمان بعضهم الی جهنم
یحشرون ای فی عذاب الخلد یجمعون وافاد الاستاذ انهم وان الهتهم
آمالهم فالی الهوان والذلة مآلهم ولم یغن عنهم اموالهم ولا ینفعهم اعمالهم
بل ختم بالشقاوة احوالهم لیمیز الله الخبیث من الطیب الکافر من المؤمن
والمنافق من المخلص والفاسق من الصالح واللام متعلقة بیحشرون وقرأ حمزة
والکسائی لیمیز من التمییز وهو ابلغ من المیز ویجعل الخبیث بعضه علی بعض فیرکمه
جمیعا فیجمعه ویضم بعضهم الی بعض حتی یتراکموا لفرط ازدحامهم فیجعله ای کله فی جهنم
تکمیلا له اولئک الفریق الخبیث هم الخاسرون الکاملون فی الخسران لانهم خسروا
انفسهم واموالهم وضیعوا اعمالهم واحوالهم وخابوا آمالهم فبل الطیب من الاحوال
ما وافقت ارفاق الفقراء فی اوقات الضرورات والخبیث ما دخل علیهم فی اوقات

استغنائهم

استغنائهم عنها فاشتغلت خواطرهم بها کذا ذکره السلمی وافاد الاستاذ
ان الخبیث ما لا یصلح لله والطیب ما یصلح لله والخبیث ما حکم الشرع بقبحه وفساده
والطیب ما شهد العلم بحسنه وصلاحه ویقال الخبیث ما شغل صاحبه عن الله والطیب
ما اوصل صاحبه الی الله والخبیث ما یاخذه المرء وینفقه بحظ نفسه والطیب ما ینفقه
بامر ربه والخبیث عمل الکافر یصوره ویعذب بالقائه الیه والطیب عمل المؤمن
فیصوره فی صورة جمیلة فیحمل المؤمن علیه قل للذین کفروا ای لاجلهم ان ینتهوا
عن معاداة رسولهم یغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وان یعودوا الی الکفر الذی
سبق عنهم فقد مضت سنة الاولین الذین تحزبوا علی انبیائهم بتدمیرهم بسوء
تدبیرهم وقال الاستاذ ان کبحوا لجام التمرد والعناد واقلعوا عن الرکض فی میدان
التجبر والفساد ازلنا عنهم صفو الهوان واوجبنا لهم روح الامان ویقال ان
حلوا نطاق العناد اطلقنا عنهم عقال البعاد ویقال ان ابصروا قبح افعالهم
جدنا علیهم باصلاح احوالهم ویقال ان جنحوا للاعتذار القینا علیهم حلة الاغتفار
ویقال ان عادوا الی التنصل اکتنا لهم حسن التفضل ٭ اناس اعرضوا عنا ٭
بلا جرم ولا معنی ٭ اساؤا ظنهم فینا ٭ فهلا احسنوا الظنا ٭ فان کانوا لنا کنا ٭
وان عادوا لنا عدنا ٭ وان کانوا قد استغنوا ٭ فانا عنهم اغنی ٭ وقاتلوهم
حتی لا تکون فتنة لا یوجب شرک یوجب فتنة ویکون الدین کله لله ای جهرة وعلانیة
بان تضمحل الادیان الباطلة فان انتهوا عن کفرهم فان الله بما تعملون بصیر
فیجازیهم علی انتهائهم وابتداء اسلامهم وصلاح اعمالهم واحوالهم وافاد الاستاذ
انه سبحانه امرهم بمقاتلة الکفار حتی یستاصل شافتهم بحیث یامن المسلمون
معرتهم ویطفئون بالکلیة فتنتهم ازحة الوادی لا تؤمن ما دام یبقی فیها
الحرکة وان تولوا ای اعرضوا وما انتهوا فاعلموا ان الله مولیکم متولی
امورکم فیها او لاکم فثقوا به ولا تبالوا بغیره نعم المولی لا یضیع من تولاه
ونعم النصیر لمن اعرض عمن سواه وقال الاستاذ فان ابوا الا عتوا عن الایمان
الا ثبوا فلا یقعن علی قلوبکم ظل مخافة منهم فان الله سبحانه ولی نصرکم ومتولی
کفایتکم ان لم تکونوا له بحیث یقال نعم العبید انتم فنعم المولی هو لکم ونعم
النصیر هو لکم ویقال نعم المولی کان لکم یوم فتنة الکفران ونعم النصیر
یوم نعمة الغفران ویقال نعم المولی لک حین لم تکن ونعم النصیر لک حین کنت
ویقال نعم المولی بالتعریف قبل التکلیف ونعم النصیر لک بالتخفیف والتضعیف
یضعف لکم الحسنات ویخفف عنکم السیئات ٭ هواک اول ما عرفت من الهوی
والقلب لا ینسی الحبیب الاولا ٭ واعلموا انما غنمتم ای الذی اخذتموه من
الکفار الحربیین قهرا من شیء ای مما یقع علیه اسم الشیء حتی الخیط والمخیط

او من شيء معتد به مما لم يتغير بفساده فان لله خمسه مبتدا خبره محذوف
اي فثابت لله خمسه والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم وان المراد قسم الخمس
على الخمسة المعطوفين في قوله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف على هؤلاء الاخصين به وحكم
باق غير ان سهم الرسول عليه السلام يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح
المسلمين كما فعله الشيخان وقيل الى الخليفة وقيل الى الاصناف الاربعة
وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته عليه السلام وصار الكل
مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك الامر فيه مفوض الى راى الامام
يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة
اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روي انه عليه السلام كان يأخذ منه
قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب
وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل
هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى
والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية
نزلت ببدر ان كنتم آمنتم بالله اي فاعملوا بما علمتم لان المقصود من العلم
هو العمل وما انزلنا اي وبما انزلنا من الآيات والملائكة والنصرة على
عبدنا اي الخاص وهو محمد القائم بمقام الحمد والاخلاص يوم الفرقان يوم بدر
فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان جمع المؤمنين وجمع الكافرين
والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير وافاد الاستاد ان الغنيمة
ما يجد المؤمنون من اموال الكفار اذا ظفروا به عند المجاهدة بهم والقتال
معهم فاذا لم يكن قتال او ما في معناه فهو فيء والجهاد قسمان جهاد الظاهر مع اهل
الكفر والطغيان وجهاد الباطن مع النفس والشيطان وهو الجهاد
الاكبر كما جاء في الخبر وكما ان في جهاد الاصغر غنيمة عند الظفر فكذا غنيمة في
الجهاد الاكبر وهو ان يملك نفسه التي كانت في يد العدو من الهوى والشيطان
فكانت ظواهره مقرا للاعمال الذميمة وباطنه مستقرا للاحوال الدنية فيصير
محل الهوى مسكن الرضا ومقر الشهوات والمنى مسلما لما يرد عليه من مطالبات
المولى فتصير النفس مستلبة من اسر الشهوات والقلب مختطفا من وصف
الغفلات والروح منتزعة من ايدي العلاقات والسر مصونا عن
الملاحظات وتصبح غاغة النفس منهزمة ورايات الحقوق بالاستجابة
لله خافقة وكما ان من جملة الغنيمة سهما لله وللرسول وهو الخمس فما هو
غنيمة على لسان الاشارة سهم خالص لله وهو ما لا يكون للعبد فيه نصيب الا من كرائم

العقبى

العقبى ولا من ثمرات التقريب ولا من خصائص الاقبال فيكون العبد عند ذلك
محررا عن رق كل نصيب خالصا لله بالله نحو ما سوى الله كما قيل حر لم يكن بك فانيا
عن حظه وعن الهوى والانس بالاحباب فلانه بين المراتب واقف لمنال حظ او لحسن
ثواب اذ انتم بالعدوة الدنيا العدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ
بها في الموضعين الا ان الضمة شاذة والكسرة لابن كثير وابي عمرو وهم بالعدوة
القصوى البعدى من المدينة تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا
والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا
من القصيا ولعل السبب قلة استعماله بخلاف الدنيا والعليا والركب اي العير
او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف
واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم
بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا
منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين واختلاط امرهم واستبعاد غلبتهم
عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها
الارجل ولا يمشى فيها الا بالتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى
وكذا قوله ولو تواعدتم اي انتم وهم للقتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم
انتم في الميعاد هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من
الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا بزيادة
العبادة ولكن جمع بينكم على هذه الحال ليقضي الله امرا كان مفعولا اي حقيقا
بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه قال جعفر الصادق ما قضاه في الازل
يظهره في الحين بعد الحين والوقت بعد الوقت ذكره السلمي وافاد الاستاد انه
سبحانه اخبر عما جرى يوم بدر من القتال وما حصل من فنون الاحوال بحكم
التقدير لا بما يحصل للخلق من التدبير وحكم ما يقتضيه روية التفكير بل لو كان
ذلك عن اختيار وتواعد كنتم عن تلك الجملة على استكراه وتباعد فيجري ما جرى
ليقضي الله ليمضي امرا كان له مقتضيا فحصل من الامور ما سبق به من التقدير
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي وقرا نافع والبزي وابو بكر من حيي عن بينة
اي ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون لاحد
حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الباهرة او ليصدر كفر من كفر وايمان
من آمن عن وضوح وبينة على استعارة الهلاك والحيوة للغواية والهداية
او المراد بهما المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله في قضائه وقال
الاستاد ليضل من زاغ عن الحق بعد لزوم الحجة ويهتدي من اقام على الحق بعد وضوح
الحجة ويقال الحق اوضح السبيل ونصب الدليل ولكن سد بصائر قوم عن شهود

الرشد وفتح بصائر آخرين لادراك طريق الحق والهالك من عمه في اودية التفرقة
والحي من اكتحل بنور المعرفة ويقال الهالك من كان لحظه مربوطا والحي من كان من اسر كل
نصيب مستلبا مجذوبا وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه
ولعل الجمع بين الوصفين لشمول الامرين من الاقرار والاعتقاد في الحالين اذ يريكهم الله
في منامك قليلا اي يقللهم حال رؤياك في عينك لتخبر به اجلة اصحابك فيكون
تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اريكهم كثيرا كما في الحال لا في المآل اذ لا عبرة
بكثرة عددهم مع قلة عددهم لفشلتم جبنتم على حسب العادة ولتنازعتم في
الامر اي اختلفتم في امر الحرب مع الكفار وتفرقت اراؤكم بين القرار
والفرار ولكن الله سلم اي انعم عليكم بالسلامة من الفشل والمنازعة والمخالفة
انه عليم بذات الصدور يعلم ما فيها وما سيكون منها وما يغير احوالها مما يعتريها
بعدها قال الاستاذ وكيف لا اي لا يعلم التغيير ومنه تصدر المقادير واذ يريكموهم
اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم
في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن الى جنبه اتريهم سبعين فقال اراهم
مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرسولهم ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه
اكلة جزور قلل المسلمين في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم
ثم كثرهم حين يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم
آيات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على
هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون
بعض مع التساوي في شروط الرؤية والادراك وافاد الاستاذ ان الله اذا
اراد امرا هيأ اسبابه فقلل الكفار في اعين المسلمين فزادوا جسارة وقلل المسلمين
في اعين الكفار فازدادوا بنشاطهم على القتال صغرا في حكم الله وخسارة ليقضي
الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء
على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور
وافاد الاستاذ انه سبحانه اذا اراد نصرة عبد فلو كاده جميع البشر او اراده الكافة
بكل ضرر لا ينقلب من شباة نجحه حد ولا يحصل بينه وبين مناخ لطفه له سد واذا
اراد بعبد سوءا فليس له رد ولا ينفعه جد ولا ينعشه بعد ما اسقطه حكمه جد يا ايها الذين
آمنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة مخالفة في امر الديانة فاثبتوا للقاء واذكروا
الله كثيرا بالثناء والدعاء مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تفوزون
بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن
ذكر الله وان لا يلتجئ عند الشدائد الا الى مولاه ولا يدعو الا اياه ولا يرجو ولا يخاف
سواه ويتوجه اليه فارغ البال كامل الاقبال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء

من الاهوال وسائر الاحوال وافاد الاستاذ ان الثبات انما يكون لقوة القلب
وشدة اليقين ولا يكون ذلك الا لنفاذ البصيرة والتحقق بالله وشهود
الحادثات كلها منه فعند ذلك يستسلم ويرضى بحكمه ويتوقع منه حسن الاعانة ولهذا
احالهم على الذكر فقال واذكروا الله كثيرا ويقال ان جميع الخيرات في ثبات القلب
وبه يتبين اقدار الرجال واذا ورد على الانسان خاطر يزعجه وهاجس في نفسه يهيجه
فمن كان صاحب بصيرة توقف ريثما يتبين له حقيقة الوارد فيثبت لكونه
رابط الجاش ساكن القلب صافي اللب وهذا نعت الاكابر مع الرب واطيعوا الله
ورسوله ولا تنازعوا اي لا تتنازعوا باختلاف الاراء بعد حكم الامراء فتفشلوا
جواب النهي وتذهب ريحكم اي دولتكم ففيها استعارة او المراد بها الحقيقة
فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله في تلك الساعة وفي الحديث نصرت
بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على محاربة الاعداء ان الله مع الصابرين
بالمعونة والاعلاء وافاد الاستاذ ان الموافقة بين المسلمين اصل الدين واول
الفساد وراس الضلال الاختلاف في الافعال وكما يجب الموافقة في الدين
والعقيدة يجب الموافقة في الرأي والعزيمة قال الله تعالى في صفة الكفار
تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وانما تجد عزائم المسلمين لانهم كلهم تجمعهم التبري
من حولهم وقوتهم ويتحصنون في رجوعهم الى الله وشهودهم التقدير فيتحدون
في هذه الحالة الواحدة واما الذين توهموا الى وثبات من انفسهم وضلوا
في متاهات حسبانهم واجروا الامور على ما يسنح لرأيهم فكل يبني له على ما يقع
ويختار فاذا تنازعوا انشعبت بهم الاراء وافترقت بهم الطرق فينضعفون
ويختلف طرقهم وكما يجب في الدين طاعة الرسول عليه السلام يجب طاعة اولي الامر
ولهذا يجب في كل وقت نصب امام للمسلمين ثم لا يجوز مخالفته وقال عليه السلام
اطيعوه ولو كان عبدا مجدعا وكان رسول الله عليه السلام اذا بعث سرية امر
عليهم اميرا وقال عليكم بالسواد الاعظم فاجماع المسلمين حجة والصلوة
بالجماعة سنة مؤكدة والاتباع محمود والابتداع ضلالة ولا تكونوا كالذين
خرجوا من ديارهم كاهل مكة حين خرجوا لحماية عيرهم بعد عبورهم بخيرهم بطرا
اي اشرا وفخرا ورئاء الناس للثناء عليهم بالشجاعة والسخاوة ويصدون
عن سبيل الله حال كونهم معرضين عن طريق الحق ورضاه ومانعين الخلق
عن اتباع هداه والله بما يعملون محيط فيجازيهم على افعالهم بحسب احوالهم
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس
اليهم بحسن آمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم هذه مقالة
نفسانية ووسوسة شيطانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم

في نفوسهم انهم لا يغلبون لكثرة عددهم ولا يطاقون لقوة عددهم وغفلوا
ان الله سبحانه مع المؤمنين في مددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون
انها قربات عند الله تخير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل المدينين
فلما تراءت الفئتان تلاقى الفريقان والتقى الجمعان نكص على عقبيه رجع القهقرى
عما كان عليه وابطل كيدهم لربه وعاد ما خيل اليه من انه مجيرهم وخلاصهم بسبب هلاكهم
ومناصهم وقال اني برئ منكم متبعد عنكم اني ارى ما لا ترون مما لا طاقة لكم
اني اخاف الله مالا تخافون منه لجهلكم والمعنى انه تبرأ منهم وخاف عليهم وايس
من حالهم لما راى امداد الله المسلمين بالملائكة المسومين المردفين او خاف على
نفسه من ان يصيبه مكروها من جهة الملائكة المقربين قال الواسطي ترك الذنوب
على ضروب منها من تركه حياء كيوسف عليه السلام ومنها من تركها خوفا كابليس
حيث نكص على عقبيه وافاد الاستاذ ان الشيطان اذا زين للانسان بوساوسه
امراء النفس اذا سولت له شيئا على بصائر ارباب الغفلة عن شهود صواب الهداية
فيخبر الغافل معه في قياد وساوسه ثم لحقه هواجم التقدير وكوامن المكر من حيث
لا يرتقب ولا يحتسب في التدبير فلا الشيطان يفي له بما يعده ولا النفس شيئا
بما تمناه تجده كما قال القائل احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف
سوء ما ياتي به القدر وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث
الكدر والله شديد العقاب يحتمل ان يكون من تتمة كلامه وان يكون مستانفا
من عنده سبحانه اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض اي شك وشبهة
وقيل هم المشركون غر هؤلاء يعنون المسلمين دينهم حين تعرضوا لما طاقة
لهم فخرجوا ثلثمائة وبضعة عشر الى الف او اكثر فاجاب الله عنهم بما علمهم
بقوله ومن يتوكل على الله اي يعتمد على قضاه ويلتمس رضاه فان الله عزيز
غالب على مراده ولا يغلب من استجار به وان قل وذل في امره حكيم يفعل بحكمته
البالغة ما يستبعد العقل ويعجز عن ادراكه اصحاب الجيل وافاد الاستاذ
ان اصحاب الغفلة وارباب العزة اذا هبت رياح صولتهم في زمان غفلتهم
يلاحظون اهل الحقيقة بعين الاستحقار ويحكمون لهم بضعف الحال فينسبونهم
الى الضلال ويعدونهم من جملة الجهال وكذلك اهل زمان الفترة في مدة
مهلة الفتنة والذين لهم قوة اليقين ونور البصيرة في الدين ساكنون تحت
جريان الحكم يرون الغائبات من الحواس بعيون البصيرة من وراء ستر رقيق
فلا طوارق الحال تهزهم ولا هواجم الوقت تستفزهم وعن قريب يلوح لهم
علم اليسر وينجلي سحاب العسر ويمحق الله كيد الكائدين ويذهب مكر المعاندين
ولو ترى لو يجعل المضارع ماضيا عكس ان فالمعنى ولو رأيت اذ يتوفى وقرأ

ابن عامر

ابن عامر بالتاء انيث اي حين يقبض ارواح الذين كفروا الملائكة يضربون
اي حال كون الملائكة ضاربين وجوههم وادبارهم اي ما اقبل وادبر منهم بمقامع
من حديد قائلين لهم خذوا هذا وذوقوا عذاب الحريق اي المحرق مع الجلب الشديد وجواب
لو محذوف اي لرأيت امرا فظيعا وحالا شنيعا وافاد الاستاذ انه سبحانه يسليهم عند
ما يقاسون من اختبارات التقدير بما يذكرهم من زوال المحنة ووشك روح اليسر وسرعة
حصول النصر وحلول النقم بمرتكبي الظلم فان المؤمن الكريم الظفر فاذا شاهد ارباب
الجرائم حلول الانتقام رق قلبه لهم فلا ينخرط في سلك الشماتة بل يخلو قلبه عن شهود
الانتقام بل يعفو عن كل احد بحسن الصفح عن الملام كما قيل قوم اذا ظفروا بنا جادوا بعتق
رقابنا ذلك اي ما ذكر من الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم
من الكفر والمعاصي الموجبة للحجاب والعقاب وان الله ليس بظلام اي بذي ظلم
للعبيد لاستغنائه عن ظلمهم ولعدم تصور الظلم في فعله بهم وافاد الاستاذ انه سبحانه
كيف ما يعاملهم به من السراء والضراء فذلك منه حسن وعدل اذ الملك ملكه الخلق
خلقه والحكم حكمه كداب آل فرعون اي دأب هؤلاء وعادتهم مثل دأب آل فرعون
وطريقتهم التي دابوا فيها وداموا عليها والذين من قبلهم اي من قبل آل فرعون
ممن كان على منوال عملهم كفروا بآيات الله تفسير لدابهم فاخذهم الله بذنوبهم
كما اخذ هؤلاء بعيوبهم ان الله قوي على مراده شديد العقاب على من كفر
من عباده وقال الاستاذ لما سلكوا مسلك آل فرعون في الضلال سلكنا بهم
مسلكهم في ما اذقناهم من النكال وسوء الحال ووبال المآل وسنة الله لا تتغير في
الانعام وعادته لا تتبدل في الانتقام ومن لم يعتبر بما يشهده اعتبر به فيما يصنعه ذلك
اي ما حل بهم من زوال حالهم وسوء مآلهم بان الله بسبب انه سبحانه لم يك
مغيرا نعمة انعمها على قوم اي مبدلا للنعمة بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم
وان الله سميع عليم اي ما يبدلوا بهم من الحالة الحسنى الى الغفلة السوأى كتغيير
قريش حالهم في صلة الارحام والكف عن تعرض الانبياء السابقين بمعاداة
الرسول عليه السلام ومن تبعه من اصحابه الكرام والسعي في اراقة دماء اهل الاسلام
الى غير ذلك مما احدثوا بعد بعثة سيد الانام وليس السبب عدم تغيير الله
ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم الذي يقتضي مالهم وهو جري
عادته سبحانه على تغيير ما بهم متى تغيروا في حالهم قال جعفر الصادق ما دام العبد
يعرف نعمة الله عنده فان الله لا ينزعها عنه حتى اذا جهل النعمة ولم يشكرها
فبالحري حينئذ ان ينزع منه كذا ذكره السلمي وافاد الاستاذ فيما اطنب واجاد
وزاد في بيان المراد بقوله اذا انعم الحق سبحانه على قوم نعمة واراد دوامها
لهم اكرمهم بتوفيق الشكر لهم فاذا شكروا النعمة الله قيدها فدامت فيهم واذا

اراد الله تعالى ازالة نعمة عن عبد اذله بخذلان الكفران فاد احاد عن طريق الشكر
عرّض النعمة للزوال وما دام العبد بشكر النعمة مقيما كان الحق لا نعامه عليه مديما فاذا
قابل النعمة بالكفران انتثر سلك نظامه فبقدر ما يزيد فى اصراره يزول الامر عن قراره
كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا
آل فرعون بعيوبهم تكرير للتاكيد ولما ينط به من الوعيد وكل من الغرق المكذبين
كانوا ظالمين فاستحقوا العذاب الشديد وافاد الاستاذ انه تنوع من آل فرعون
المعصية فنوع لهم العقوبة فكذلك هؤلاء عوقبوا بانواع النقمة لما ارتكبوا من انواع
الزلة وفائدة تكرار ذكرهم تاكيد فى التعريف انه لا يهمل المكلف اصلا وان اهمله حينا
ودهرا ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اى اصروا على كفرهم فهم لا يؤمنون
لعدم رجوعهم عن امرهم ولعل هذا فى قوم علم الله منهم عدم الايمان واختيار الكفر
والعصيان وقال الاستاذ قوله عند الله اى فى سابق علمه وصادق حكمه فاذا
كانوا فى علمه شر الخلايق فكيف يسعدون باختلاف السعايات وصنوف الطوارق
هيهات ان تتبدل الحقايق ولذا قال فهم لا يؤمنون وكلامه صدق وقوله حق فلم يبق
لرجاء فيهم مساغ ولم ينجع فيهم نصح وابلاغ الذين عاهدت اى اخذت العهد
منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة اى من المعاهدة او المحاربة والموصول بدل من
الذين كفروا بدل البعض لا للاحتراز بل للتخصيص فى معرض البيان وهم يهود قريظة
عاهدهم رسول الله عليه السلام ان لا يمالؤا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا
نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وهم لا يتقون نقمة العار ولا
عقوبة النار وقال الاستاذ اى الذين صار نقض العهد لهم سجية فلم يذروا
من استفراغ الوسع فى جهادهم بقية وان من الكبائر التى لا غفران لها فى هذا
الطريق ان ينقض العبد عهدا او يترك عقدا التزمه بقلبه مع الله اولئك الذين
سقطوا عن عين رضاه فرفع عنهم ظل العناية وازال منهم حمى الحماية فاما تثقفنهم
اى تجدنهم وتظفرن بهم فى الحرب اى فى وقت حربهم فشرد بهم اى فرق عن
مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من الكفرة فيما وراءهم
لعلهم اى المشردين يذكرون يتعظون وقال الاستاذ يريد ان صادفت واحدا
من هؤلاء الذين دابهم نقض عهدهم فاجعلهم عبرة لمن يأتى بعدهم لئلا يسلكوا
طريقهم فيستوجبوا عقوبتهم كذلك من فسخ عقده مع الله بقلبه برجوعه الى
رخص التأويلات ونزوله الى السكون مع العلالات تجعله الله نكالا لمن بعده
بحرمانه ما كان خوله وتنغيصه عليه ما من حظوظه اهله فيفوته حق الله ولا يكون له
استمتاع بما آثره على رضاه وتبدلت وتبدلنا واحسرتا من ابتغى عوضا يسلى فلم
يجد واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح عليهم فانبذ

اليهم

اليهم فاطرح عهدهم اليهم على سواء على حالة مستوية فى العلم بالنقض
بينك وبينهم ان الله لا يحب الخائنين اى من يناجز المعاهدين بالحرب قبل
اعلامهم ففى الحديث من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقده ولا يحلها حتى
ينقضى امدها او ينبذ اليهم عهدهم على سواء وقال الاستاذ يريد اذا تحققت بخيانة
قوم منهم فصرح بان لا عهد بينك وبينه واذا حصلت الخيانة زال سمة الامانة وخيانة
كل احد على ما يليق بحاله ومن ضن بميسور له ولو بسمسمة او بسينة او لحظة على مطالبات
الحقيقة فقد خان فى عهده وزاغ عن حده وعقوبته معجلة وهو ان لا يحبه الله ومن لا
يحبه الله فانه يذله ويهينه فيكون عقوبته باذلاله واهانته ولا تحسبن ايها النبى
عليه السلام او الى سبب العام الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر
وحفص وحمزة بالياء على ان الفاعل ضمير احدا وحاسب انهم لا يعجزون استيناف
فيه معنى التعليل وفتح ابن عامر همزة والمعنى لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا وتخلصوا
لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وافاد الاستاذ انه
كيف يعارض الحق او ينازعه من فى قبضة تقلبه وبقدرته تصرفه وبتصريفه اياه
عدمه وثبوته واعدوا ايها المؤمنون لهم اى لناقضى عهودهم او للكافرين
بعمومهم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به فى المحاربة وعن عقبة بن عامر
سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمى ثلثا ولعله خصه بالذكر لانه
اقواه وقال ابو على الروذبارى القوة الثقة بالله ذكره السلمى وقال الاستاذ
اعدوا لقتال الاعداء ما يبلغ وسعكم ذلك من قوة وانهما قوة القلب بالله
والناس فيه مختلفون فواحد يقوى قلبه بموعود نصره وآخر يقوى قلبه بان الحق
عالم بحاله وآخر يقوى قلبه لتحققه بانه بمشهد من ربه قال الله تعالى واصبر لحكم
ربك فانك باعيننا وآخر يقوى قلبه بايثار رضاء الله على مراد نفسه وآخر
يقوى قلبه برضاه بما يفعله مولاه ويقال اقوى جنة للعبد تبريه عن حوله
وقوته ومن رباط الخيل اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله فعال بمعنى
مفعول ترهبون به اى تخوفون بما استطعتم او بالاعداد الذى هو سبب
الامداد عدو الله وعدوكم يعنى كفار مكة ولو من اقاربكم وآخرين من دونهم
من غيرهم من الكفرة كاليهود والمنافقين ومشركى الفرس والروم ونحوهم وافاد
الاستاذ ان الاشارة فيه ان لا يجاهد على رجاء غنيمة ينالها او استفاد
صدره من قضية حقد نالها بل قصده ان يكون كلمة الله هى العليا فى حالها
ومآلها لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم ويعرف اصرارهم على
كفرهم وما تنفقوا من شئ من انفاق مال وبذل روح ومال فى سبيل الله
طريق رضاه يوف اليكم اى جزاؤه وانتم لا تظلمون بنقص ثواب

وزيادة عقاب ومغالطة حساب وان جنحوا مالوا للسلم وقراء شعبة
بالكسر اى للصلح والاستسلام فاجنح لها عاهدهم ولا تمل عنهم وتأنيث
ضمير السلم لحملها على نقيضها من الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من انفاسها جرع وتوكل على الله ولا تخف احدا سواه
فانه يعصمك من كيدهم ويحيق بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بحالهم والاية مخصوصة
باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم فى حالهم ومآلهم وافاد الاستاذ انه سبحانه بعث
نبيه عليه السلام بالرحمة والشفقة على الخليقة وفى مسئلة الكفار رجاء ان يؤمنوا
تعلمهم فى المستأنفة فان ابوا فليس احد يخرج عن قبضة العزة ويقال العبودية
هى الوقوف حيث ما وقفت ان امرت بالقتال فلا تقصر فى المجاهدة وان امرت
بالموادعة فمرحبا بالمسالمة وتوكل على الله فى كل حالة فى ان يختار لك ما فيه الخيرة
فيوفقك لما هو الاولى ويختار لك من قسمى الامر فى الحرب والصلح ما هو الاعلى وان يريدوا
ان يخدعوك فان حسبك الله محسبك وكافيك قال جرير انى وجدت من المكارم
حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعهم
والف بين قلوبهم مع ما فيه من العصبية والضغينة فى ادنى القضية والتهالك
على الانتقام بالجزئية حتى صاروا كنفس واحدة من كمال الالفة والوصلة
وزوال الوحشة والفرقة وهذا من اظهر انواع المعجزة وبيانه لو انفقت ما فى الارض
جميعا ما الفت بين قلوبهم لتناهى عداوتهم المبعدة عن حالة الالفة ولكن الله
الف بينهم بقدرته البالغة انه عزيز تام القدرة والغلبة حكيم صاحب الحكم
والحكمة وقال الاستاذ ان لبسوا عليك وراموا خداعك بطلب الصلح منك
ويستبطنون لك بخلاف ما يظهرونه عندك فان الله كافيك فلا تشغل قلبك
بغفلتك عن شر ما يكيدونك فانى اعلم وان لم تعلم واقدر على ما لا تقدر وهو الذى
بنصره افردك وبلطفه ايدك وعن كل سؤال ونصيب طهرك وعن رق الاشياء
حررك وفى جميع الاحوال كان لك وهو الذى ايدك بمن امن بك من المؤمنين
وهو الذى الف بين قلوبهم المختلفة فجمعها على الدين وايثار رضاء الحق
ولو كان ذلك بحيل الخلق لم ينتظم هذه الجملة ولو ابلغت بكل ميسور من الافعال
وبذلت بكل مستطاع من المال يا ايها النبى حسبك الله كافيك ومن اتبعك
من المؤمنين اى وكافى اتباعك بسبب اتباعك او وكافيك من اتبعك
من تمام الاربعين اذ روى انه اسلم مع النبى عليه السلام ثلثة وثلثون رجلا وست
نسوة ثم اسلم عمر فنزلت وقد قال ابن عباس نزلت فى اسلام عمر رضى الله عنه
فمن على الاول مجرور المحل او منصوبة على المفعول معه وعلى الثانى مرفوعة وافاد الاستاذ
ان احسن التأويلات فى هذه الاية ان يكون من ههنا فى محل النصب اى ومن اتبعك

من المؤمنين يكفيهم الله ومن اقوى التأويلات فى العربية الا يكون من فى محل
الرفع اى وحسبك من اتبعك من المؤمنين وقد علم ان استقلال الرسول
عليه السلام كان بالله لا بمن سوى الله اذ كل من هو سوى الله محتاج الى نصرة الله
يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال اى بالغ فى حثهم عليه وحرض فى ترغيبهم
اليه وافاد الاستاذ ان المؤمن من لا يزداد بنفسه ضعفا الا ازداد بقلبه قوة لان
الاستقلال بقوة النفس نتيجة الغفلة وقوة القلب بالله سبحانه على الحقيقة ان يكن منكم
عشرون صابرون يغلبوا مائتين شرط فى معنى الامر بمصابرة الواحد للعشر والوعد
بانهم ان صبروا يحصل لهم الغلبة بالعون والنصر وان يكن منكم مائة وقراء
الحرميان والشامى بالتأنيث يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون
بسبب انهم جهلة بالله والدار الاخرة فلا يثبتون ثبات المؤمنين لرجاء المثوبة
وعلو الدرجة او لا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان والفضيحة وافاد الاستاذ
ان هذا لهم فاما النبى عليه السلام فهو بتوحده كان مأمورا بان يثبت لجميع الكفار لكمال
قوته اذ كانت قوته بالله قال عليه السلام بك اصول وفى تحريضه للمؤمنين على القتال
كانت لهم قوة وبامر الله كانت له قوة فقوة الصحابة كانت بالنبى عليه السلام
وبتحريضه اياهم وقوته عليه السلام كانت بالله وبامره فشتان ما هما الان خفف الله
عنكم قال النصرابادى التخفيف كان لهم دون الرسول عليه السلام لان من لا
يثقله حمل امانة النبوة كيف يخاطب بتخفيف اللقاء للاضداد وكيف
يخاطب به وهو يقول اللهم بك احول وبك اصول ذكره السلمى وعلم ان
فيكم ضعفا بالفتح قراءة عاصم وحمزة قال ابن عطا ما فى السماء لا يؤاخذ الا
بالافتقار وما فى الارض لا يؤاخذ الا بالاضطرار ذكره السلمى فان يكن منكم مائة
صابرة قراء الكوفيون بالتذكير يغلبوا مائتين اى ضعفهم وان يكن منكم الف
يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات
لهم فى مقام المجاهدة فى الاية السابقة وثقل عليهم خوف العجز عن خروج
العهدة خفف عنهم بمقاومة الواحد للاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا
بذلك ثم لما وجد فيهم كثرة خفف عنهم هنالك وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد
المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد فى القضية والضعف ضعف
البنية او ضعف البصيرة اذ كانوا متفاوتين فيها والله مع الصابرين
بالنصرة والمعونة وافاد الاستاذ ان الضعف الذى علمه فيهم كان
ضعف الاشباح فخفف الله عنهم واما القلوب فلا يتداخلها الضعف
فخفف عنهم فى ممارسة القتال بالقدر المذكور فى الكتاب والعوام يحملون
المشاق بنفوسهم وجثتهم والخواص بقلوبهم وهممهم قالوا احملتم القلب

ما لا يحمل البدن والقلب يحمل ما لا يحمل البدن ما كان لنبي ان يكون له اسرى
وقراء البصري بالتأنيث حتى يثخن في الارض ان يكثر القتل ويبالغ فيه
حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويكثر اهله تريدون عرض الدنيا اي
حطامها باخذكم الفداء من الاسرى والله يريد الآخرة اي يريد لكم ثواب
الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز اوليائه واذلال اعدائه والله عزيز
غالب على امره حكيم في حكمه قال الاستاذ اخذ النبي عليه السلام يوم بدر منهم
الفداء وكان ذلك جائز الوجوب القول بعصمة الانبياء ولكن لو قتلهم
كان اولى بحسب الاعتناء فارادتهم عرض الدنيا هو اخذ الفداء والله جعل
رضاه في قتل الاعداء ورحمة الشرع خلاف رحمة الطبع فشرط العبودية ان يرى العبد
منه واذا كان الامر بالغلظة فكما قال تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله
والله عزيز بالانتقام من اعدائه حكيم في جميع ما يصنع باوليائه لولا كتاب
اي حكم مكتوب من الله سبق اثباته في اللوح الاسبق وهو ان لا يعاقب
المخطئ في اجتهاده وان لا يعذب اهل بدر من عباده او قوما لم يصرح لهم بالنهي
عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم في دينه لمسكم لنالكم فيما اخذتم
من الفداء عذاب عظيم روي انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجى عنه
غير عمر بن الخطاب وذلك لما روي انه عليه السلام اتى يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم
عمه العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم وقال ابو بكر قومك
واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك
وقال اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء ومكني من
فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك
رسول الله وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله
ليشدد قلوب رجال حتى يكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم
قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل
نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه بين القتل والفداء
فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله عليه السلام فاذا هو وابو بكر
يبكيان فقال رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي
على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة
قريبة والآية دليل على ان الانبياء مجتهدون وانه قد يكون خطاء منهم
ولكن لا يقرون عليه وزبدة القضية ان الصديق كان مظهر نعوت الجمال
وان الفاروق مظهر صفات الجلال وانه صلى الله عليه وسلم متحل باوصاف
الكمال الشامل للجمال والجلال الا انه لكونه رحمة للعالمين مال الى الجمال وتخلق

باخلاق

باخلاق الملك المتعال حيث ورد في الحديث القدسي والكلام الانسي سبقت
رحمتي غضبي فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنيمة والفاء للسببية
والمعنى لما ازال عنكم العقوبة اباح لكم الغنيمة حلالا حال من المغنوم او اكلا حلالا
وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم بسبب تلك المعاتبة او بسبب حرمتها على الامم
السالفة ولذا زيد في وصفه بقوله طيبا وقال جعفر الصادق الحلال ما لا
يعصى الله فيه والطيب ما لا ينسى الله فيه ذكره السلمي وافاد الاستاد ان
الحلال ما كان ماذونا فيه والطيب ان تعلم ان ذلك من قبل الله فضلا لك
من قبله لا استحقاقا ويقال هو الذي لا يكون صاحبه عن شهود ربه غافلا
عند اخذه واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ان الله غفور غفر لكم ما فعلتم رحيم
اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم اي في تصرفكم من الاسرى وقرأ البصري
من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا اي عوضا من
الاشياء خيرا مما اخذ منكم من الفداء ويغفر لكم في الانهاد والله غفور للمذنبين
رحيم بالمطيعين روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله عليه السلام ان يفدي
نفسه وابني اخويه عقيل بن ابيطالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني
اتكفف قريشا ما بقيت فقال اين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت
خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث
فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به
ربي تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع
عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا
من ذلك فلي الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني
زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة اي الموعودة
وافاد الاستاذ ان الذي يعطيهم خيرا مما اخذ منهم يحتمل ان يكون في الآخرة
من حسن الثواب ويحتمل ان يكون في الدنيا من جميل العوض ويقال هو ما يؤهلهم
له من توفيق الطاعات وحلاوة الايمان وهو خير مما اخذ منهم ويقال هو ما اعطاهم
من الرضا بما كانوا فيه من الفقر بعد ما كانوا اغنياء في حال الكفر وان يريدوا اي الاسرى
خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بنقض ميثاقه المأخوذ بالنقل والعقل
حيث اختاروا الكفر والجهل من قبل اي قبل بعثتك فامكن منهم اي فامكنك منهم
كما فعل يوم بدر بهم والمعنى وان اعادوا الخيانة فيمكنك منهم كما قال تعالى وان
تعودوا نعد وان عدتم عدنا والله عليم باحوال العباد حكيم فيما دبر وقضى واراد
وقال الاستاذ يريد وان عادوا الى قتالك بعدما منت عليهم بالاطلاق وخانوا
في عهدك بالوفاق فالخيانة لهم دابه وطريقة غالبا ثم ان تمكنك منهم ثانيا كما

مناک من اسرہم اولا ان عادت العقرب عدنالها وکانت النعل لها حاضرة
ان الذین آمنوا ای ثبتوا ایمانهم وهاجروا واترکوا وطانهم حبا لله ولرسوله وهم
المهاجرون من الصحابه وجاهدوا باموالهم فصرفوها علی مصالح الجهاد وانفقوها علی المحاویج
من العباد وانفسهم فبذلوها بمباشرة القتال مع اعدائهم فی سبیل الله لاجل رضاه
والذین آووا ونصروا هم الانصار والمهاجرین الی دیارهم ونصروهم علی اعدائهم
اولئک ای مجموع الفریقین بعضهم اولیاء بعض بالنصرة والمظاهرة والذین آمنوا
ولم یهاجروا مالکم من ولایتهم من شیء وقرأ حمزة بکسر الواو ای فلیست لهم هذه الموالاة
حتی یهاجروا وان استنصروکم فی الدین ای ان استعانوا بکم لاجل الدین بسبب غلبة
الکافرین فعلیکم النصر ای فواجب علیکم ان تنصروهم علی اعداء الدین الا علی قوم بینکم
وبینهم میثاق عهد فانه لا ینقض عهدهم بنصرهم علیهم والله بما تعملون بصیر ای عالم
باحوالکم ومطلع علی جمیع اعمالکم من القلیل والکثیر والنقیر والقطمیر وافاد الاستاذ
ان کمال الهجرة مفارقة الاخلاق الدنیة وهجران النفس فی ترک اجابتها الی ما تدعو
الیه من شهواتها الردیة ومن ذلک هجران اخوان السوء والخروج والتباعد عن الاوطان
التی باشر فیها الزلة ثم الهجرة من اوطان الحظوظ والنصیب الی اوطان رضاء الحق
واما قوله والذین آووا ونصروا فهم الذین یؤثرون اخوانهم علی انفسهم ولو کان بهم
خصاصة وعوام هؤلاء فی الامور الدنیویة وخواصهم فی الکرائم الاخرویة وخاص الخاص
فی کل ما یصح فیه الایثار من الاحوال السنیة والذین کفروا بعضهم اولیاء بعض فی المناصرة
والموازرة وفی هذا تحریض للمؤمنین علی المعاونة فانهم اولی بالموف بمقتضی الربانیة
وافاد الاستاذ انه سبحانه قطع العصمة بینهم وبین المؤمنین فالمؤمن للمؤمن مجانب
ولا قارب متقارب والکفار بعضهم لبعض بحسب المراتب کما قیل طیر السماء علی الافها
تقع الا تفعلوه ای ما امرتم به من قطع العلایق بینکم وبین الکفار تکن فتنة فی الارض
تحصل فتنة فیها عظیمة من ضعف الایمان وقوة اهل الکفر والعدوان وفساد کبیر
ای عظیم او کثیر ما یترتب علیه فی امر الادیان والذین آمنوا وهاجروا وجاهدوا ای باموالهم
وانفسهم کما سبق فی سبیل الله ای فی طریق هداه وطلب رضاه والذین آووا ونصروا
اولئک هم المؤمنون حقا ای وهم المهاجرون والمجاهدون والناصرون عدلا
وصدقا قال المفسرون لما قسم الله المؤمنین ثلاثة اقسام بین ان الکاملین
فی الایمان منهم الذین حققوا ایمانهم بمقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال
ونصرة الحق فی جمیع الاحوال ووعدلهم الموعود العظیم لهم مغفرة ورزق کریم
لا تبعة له ولا منة فیه من النعیم المقیم ثم الحق بهم فی الامرین من سیلحق بهم
ویتسم بسمتهم بقوله والذین آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معکم فاولئک
منکم ای من جملتکم ای المهاجرین والانصار حیث دخلوا فی ملتکم وانتظموا صفتکم

وفی الحدیث

وفی الحدیث المتفق علی صحته بل المتواتر معنی فی قضیة المرء مع من احب
وفی روایة من احب قوما حشر معهم هذا وتفصیل المراتب وتفضیل المناقب مما یعرف
فی قوله تعالی لا یستوی منکم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئک اعظم درجة
من الذین انفقوا من بعد وقاتلوا وکلا وعد الله الحسنی وفی قوله سبحانه فضل
المجاهدین علی القاعدین اجرا عظیما واولوا الارحام بعضهم اولی ببعض ای فی
التوارث من الاجانب کما کان فی صدر الاسلام ان المهاجرین والانصار کانوا
یتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب فی کتاب الله او فی حکمه او فی اللوح المحفوظ
او فی القرآن المبین وهو دلیل واضح علی توریث ذوی الارحام کما ذهب الیه
علماؤنا الاعلام ان الله بکل شیء علیم من المواریث بین الانام والحکمة فی اناطتها
بنسبة الاسلام وجهة المظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانیا وقال الاستاذ یرید من
سلک مسلککم فی الحال ومن سیلحق بکم فی الاستقبال وثانی الاحوال فالالفة تجمعهم
والولایة تشملهم فلهم من الله فی العقبی جزیل الثواب وجمیل النجاة من العذاب وفی الدنیا التناصر
والولایة والتقارب والمودة

سورة براءة مدنیة وآیها مائة وثلثون

وانما ترکت التسمیة لانها نزلت لرفع الامان بها وبسم الله الرحمن الرحیم امان
فلا یلائم عنوان السورة بکتبها هذا توجیه علی کرم الله وجهه وقیل لما اختلفت الصحابة
فی ان الانفال والتوبة سورة واحدة وهی سابعة السبع الطوال او سورتان ترکت
بینهما فرجة ولم تکتب البسملة وافاد الاستاذ انه سبحانه جرد هذه السورة عن ذکر البسملة
لیعلم انه یخص من یشاء وما یشاء بما یشاء ویفرد من یشاء وما یشاء عما یشاء
ولیس لصنعه سبب ولا له فی افعاله غرض ولا اب واتضح للکافة ان هذه الآیة
اثبتت حیث اثبتت فی الکتاب لانها منزلة وفی الامر هنالک محصلة وافاد ایضا
ان بعض السور المفتتح بذکر الکفار مثل قوله الذین کفروا وقوله تبت یدا ابی لهب
وویل لکل همزة وامثالها مما ثبتت البسملة فی اوائلها الا انها لیس ذکر البراءة
فیها صریحا وان تضمنته تلویحا ویقال اذا کان تجرد السورة عن هذه الآیة یشیر
الی انها لذکر الفراق فبالحری ان یخشی ویمنع تجرد الصلوة عنها عن کمال الوصلة
والاستحقاق براءة ای هذه براءة واصلة من الله ورسوله الی الذین
عاهدتم من المشرکین والمعنی ان الله ورسوله بریئان من العهد الذی عاهدتم به المشرکین
وانما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة بالمسلمین للدلالة علی انه یجب
علیهم نبذ عهود المشرکین الیهم وان کانت صادرة باذن الله لهم واتفاق
الرسول معهم فانهما بریئا منه وهم فی حکمها وتابع لصلحهما وحربهما وذلک انهم
عاهدوا مشرکی العرب فنکثوا الا اناسا منهم بنی ضمرة وبنی کنانة فامرهم
بنبذ العهد الی الناکثین وامهل المشرکین اربعة اشهر لیسیروا این شاؤا بقوله

فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت
في شوال واعلموا انكم غير معجزي الله اي لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي
الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب والحجاب في العقبى فلا يهملكم ولا
يتركهم سدى وافاد الاستاذ ان الفراق شديد واشده ان لا يعقبه وصال
وفراق المشركين كذلك لانه قال ان الله لا يغفر ان يشرك به ويقال من مني
بفرقة احبابه فبئس صباحه انه كان بين رسول الله وبين اولئك المشركين عهد
ولا شك انهم كانوا قد وطنوا انفسهم عليه فنزل الخبر من الغيب بغتة واتاهم
الاعلام بالفرقة فجاءة فقال براءة اي هذه براءة كما قيل • فبتنا بخير والدنيا
مطمئنة • فاصبحت يوما والزمان تقلبا • واما اشد الفرقة لا سيما اذا كانت
بغتة على غير رقبة قال تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وانشدوا
وكان سراج الوصل ازهر بيننا • فهبت به ريح من البين فانطفا • ثم انه سبحانه
وان قطع عنهم الوصلة فقد ضرب لهم المدة على وجه المهلة فامنهم في الحال
ليتاهبوا لتحمل مقاساة البراة فيما يستقبلونه من الحال والاشارة فيه
انهم ان اقلعوا في مدة الامهال عن الغي والضلال وجدوا في المال ما فقدوا
من الوصال وان ابوا الا التمادي في ترك الخدمة انقطع ما بينه وبينهم من
العصمة وفي قوله واعلموا الآية من الاشارة انكم ان اصررتم على قبيح آثاركم
مشيتم الى هلاككم بقدمكم وسعيتم في عاجلكم في دمكم وحصلتم في آجلكم على
خسرانكم وندمكم وما حصلتم الا في صفقتكم وما ظفر بكم سواكم تبدلت
وتبدلنا واحسرتا لمن ابتغى عوضا يسلى فلم يجد واذان فعال بمعنى الافعال
كالعطاء والامان اي وهذا ايذان واعلام من الله ورسوله الى الناس يوم
الحج الاكبر يوم العيد الاضحى لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه
حيث قام علي كرم الله وجهه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس
اني رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال
امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان
ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولما روي انه
عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وانما
وصف بالاكبر لان العمرة تسمى بالحج الاصغر او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل
المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهودهم ورسوله اي
كذلك او هو عطف على المستكن في بريء وقال الاستاذ اي ليكن اعلام من الله
ورسوله للناس بنقض عهودهم واعلان فيهم بانهم قطعوا عن مالوفهم من الاهمال
ومعهودهم فقد برح الجفاء بان ليس لهم ولاء اذا لم يكن لهم فيما عقدوا وفاء

ويعلم الكافة

وليعلم الكافة بانهم اعداء فمن رأى من الاغيار شظية من الآثار ولم ير حصولها
بتصاريف الاقدار فقد اشرك في التحقيق واستوجب هذه البراءة ومن لاحظ
الخلق تصنعا او طالع نفسه اعجابا فقد جعل ما لله لغير الله وظن ما من الله
من غير الله فهو على خطر من الشرك بالله فان تبتم من الكفر والغدر فهو اي
التوب خير لكم اي دنيا واخرى وان توليتم وثبتم على الحرب فاعلموا انكم غير معجزي الله
لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا وهذا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب
اليم في العقبى وقال الاستاذ ان عادوا الى الباب لم يقطع رجاؤهم ومد
الى وضوح العذر رجاؤهم وبين انهم ان اصروا على عتوهم فالى ما لا يطيقون
من العذاب منقلبهم وفي النار مثويهم الا الذين عاهدتم من المشركين
استثناء من المشركين في قوله بريء من المشركين في معنى الاستدراك
كانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم
ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم يظاهروا عليكم احدا اي من اعدائكم ولعل
التخصيص بعد تعميم للاهتمام به فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم اي الى تمام مدتهم
ولا تجروهم مجرى الناكثين لعهدهم ان الله يحب المتقين في ملتهم
وافاد الاستاذ ان من وفى بحق عقده قدره على حفظ عهد اذ لا يستوي
من وفى ومن جفا كما قيل وما سواء اذا خلفتم ترك وفاء وحفظ عهد
فاذا انسلخ الاشهر الحرم اي التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها فاقتلوا
المشركين اي الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم
واسروهم واحصروهم واحبسوهم واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر
لئلا ينبسطوا في البلاد ولا يفسدوا العباد وافاد الاستاذ انه سبحانه
اراد اذا انسلخ المحرم فاقتلوا من لا عهد له من المشركين فانه وان لم يكن
لهم عهد وكانوا حربا جعل لهم من الامان في مدة هذه المهلة شعبا
فكيف يأمر بترك قتال من ابى كيف يرضى بقطع وصال من اتى ثم افاد فيما
اجاد انه سبحانه امرهم بجميع انواع معالجة قتال الاعداء واعدى عدوك
التي بين جنبيك فسبيل العبد في مباشرة الجهاد الاكبر في النفس بتضييق
النفس عليه بالمبالغة في جميع انواع الرياضات واستفراغ الوسع
في القيام بصدق المعاملات ومن تلك الجملة ان لا ينزل برخص
التأويلات او يأخذ بالاشق في جميع الحالات فان تابوا رجعوا عن الشرك
بالايمان واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة اي وقاموا بالعبادة البدنية والطاعة
المالية تصديقا لما بهم من الايقان فخلوا سبيلهم اي فاتركوا سبيل
تعرضهم بالاساءة اليهم واشهدوا اليهم بالاحسان ان الله غفور رحيم

غفر لهم ما مضى من المعصية رحيم بهم فيما بقى بتوفيق الطاعة وتحقيق العصمة وفيه
دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله بل يجب التعرض له بما يقتضى
زجره وافاد الاستاذ ان حقيقة التوبة هى الرجوع بالكلية من غير ان يترك بقية
فاذا اسلم الكافر بعد شركه ولم يقصر فى واجب عليه من تشمى عقله وتركه حصل الاذن فى
تخلية سبيله فكان وجدنا لما ادعيت شهودا لم تجد عندنا الحق جحودا وكذلك النفس
اذا تخنست وآثار البشرية اذا اندرست فلا حرج فى التحقيق فى المعاملات فى
آوان مراعات الخطرات مع الله عند حصول المكاشفات والجلوس مع الله
اولى من القيام بباب الله قال الله تعالى فيما ورد به الخبر الالهى انا جليس من ذكرنى
وان احد من المشركين اى المأمور بالتعرض لهم استجارك استأمنك
وطلب جوارك فاجره فامنه فى ديارك حتى يسمع كلام الله اى يتدبره ويطلع
على حقيقة اخبارك ثم ابلغه مأمنه اى اوصله موضع امنه ان لم يسلم بطيب
قلبه ذلك الامن بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان فلا بد من الامان مقدار ما يسمعون
ويتأملون وافاد الاستاذ ان المؤمن اذا استعاذ طول عمره من الفراق متى
يمنع عن سماع كلام الله ومتى يكون فى زمرة من يقول لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
واذا قال اليوم لاعدائه فاجره حتى يسمع كلام الله وان لم يؤمن بعد سماع كلامه نهى
عن تعرضه بقوله ثم ابلغه مأمنه اترى انه لا يؤمن اولياءه غدا من فراقه وقد
عاشوا اليوم على ايمانه ووفاقه وكلا ان يمتحنهم بذلك قال تعالى لا يحزنهم الفزع
الاكبر ثم قال ذلك بانهم قوم لا يعلمون فاذا كان هذا امره فيمن لا يعلم فكيف
بره بمن يعلم قيل ومتى نطيع من ينيخ ببابنا والموصون لهم نعيم واذ كيف
يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله انكار واستبعاد لان يكون عهد ثابت
مع وغرة صدورهم للمؤمنين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام استثناء منقطع
اى ولكن الذى عاهدتم عند الحرم المحترم منهم فتربصوا امرهم وانتظروا عهدهم
كما دل عليه قوله فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اى فان استقاموا على العهد
فاستقيموا على الوفاء بالوعد وهو كقوله سبحانه فاتموا اليهم عهدهم غير انه
مطلق وهذا مقيد بالاستقامة ان الله يحب المتقين ما يخالف الديانة وقال
الاستاذ كيف يكون المفلس من عرفانه كالمخلص فى ايمانه وكيف يكون المحجوب عن
شهوده كالمستهلك فى وجوده وكيف يكون من يقول انا كمن يقول انت
وانشدوا فاحبابنا شتان واف وناقض ولا يستوى قط المحب وباغض
ثم قال ان تمسكوا بالحبل وفاتنا احللناهم فى ظل ولائنا وان زاغوا عن عهدنا
ابلينا هم ببعدنا ثم لم يرجوا على بعدنا والمتقى هو الذى يستحى محبته ثم من يتقى
المحبة نفسه فاذا اتقى محبة نفسه قال بترك حظه وقام بحق ربه كيف تكرار

لاستبعاد ثباتهم على عهدهم وبقاء حكمهم مع وعدهم وان يظهروا عليكم
اى وحالهم معكم انهم ان يظفروا بكم ويغلبوا عليكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا
فى حقكم الا حلفا او قرابة او تربية ولا ذمة عهدا او حقا او حرمة وافاد الاستاذ
ان الله سبحانه وصفهم بلؤم الظفر وفى هذا اشارة الى ان الكريم اذا ظفر
عفر واذا قدر ما غدر بل ما غادر فيما ستر وبتر يرضونكم بافواههم اى بالسنتهم
والجملة استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم
موافيتهم عند الظفر للوعد وتأبى قلوبهم اى ما يتفوهون به افواههم
واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تردعهم ولا مروة تمنعهم فقليل منهم
وافاد الاستاذ انه لا عجب من صنيعهم فانهم فى حقنا كذلك يفعلون يظهرون
الايمان ويضمرون الكفران كذلك يعيشون معكم فى زى الوفاق ويستبطنون
عين الشقاق وسوء النفاق اشتروا بآيات الله اى اختاروا على طريق رضائه
وسبيل هداه ثمنا قليلا عوضا يسيرا وعوضا حقيرا من لذات الدنيا وشهوات
النفس والهوى فصدوا عن سبيل الله اى فاعرضوا بانفسهم ومنعوا غيرهم
عن الوصول الى دينه الناجح لهم فى الدنيا والعقبى انهم ساء ما كانوا يعملون من
مخالفة التقوى وموافقة الهوى وافاد الاستاذ ان من رضى من الله بغير رضاه ارخص
فى صفقته ثم انه خسر فى تجارته فلا له بما اثر على الله استمتاع ولا فيما دونه سبحانه
له اقناع بقى عن الله ولم يستمتع بغير الله هذا هو الخسران المبين لا يرقبون فى مؤمن
الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون فى عدم المراقبة ونقض المعاقدة قيل الاول
عام فى المناقضين وهذا خاص باليهود والمنافقين وقال الاستاذ من
لا يراعى حق الله كيف يراعى حق الخلق فى الله ان اخلاقهم لتشابهت فى ترك
الحرمة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم اى فهم
اخوانكم فى الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم وقال الاستاذ معناه ان قبلناهم
وصلحوا لولائنا فلحمة النسب فى الدين بينكم وبينهم واشجة والا فليكن الاجتناب
منا على جانب منكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون جملة اعتراضية بين الشرطية
الماضية والآتية للتأمل على ما فصل من احكام المعاهدين وخصال التائبين
وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم اى نقضوا ما بايعوا عليه من ايمانهم او نقضوا
وفاءهم بعهودهم وطعنوا فى دينكم بتصريح الكذب وتقبيح الحكم فقاتلوا
ائمة الكفر اى رؤساءهم فان قتلهم اهم والمنع من اقبههم اتم وفيه دليل على ان
الذى اذا طعن فى الاسلام فقد نكث عهده فى الاحكام ثم محل بيان خلاف
الهمزتين للقراء كتبهم المبسوطة فى بيان كيفية الاداء وتحقيق البناء انهم
لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا العقدة وقرأ ابن عامر

لا ايمان بالكسر بمعنى لا امان ولا اسلام او ليس لهم ايمان فيراقبوا الا جله وقوله
لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضهم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم
عليه من المخالفة لا لمجرد ايصال الاذية وقال الاستاذ اذا جنحوا الى العذر ونكثوا
ما قدموه من ضمان الوفاء بالعهد وبسطوا السنتهم فيكم باللوم فاقصدوا من
رحى الفتنة عليه تدور وغصن الشر من صلبه يتشعب وهم سادة الكفار
وقادتهم وحق القتال اعداد القوة جهرا والتبري من الحول والقوة سرا
الا تقاتلون دخلت الهمزة على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل المختار
فالمعنى بالغوا في ان تقاتلوا قوما نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين
على انه لا يعاونوا عليهم ولا على مخالفيهم المشركين فعاونوا بني بكر على خزاعة بعد
صلح الحديبية وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة
وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم اول مرة
بالمعاداة والمقاتلة فانه عليه السلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة باتيان الكتاب والتحدي
على جهة المعجزة فعدلوا عن معارضته الى المعاداة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم
بالغلبة اتخشونهم اتتركون قتالهم مخافة ان يصيبكم مكروه منهم فالله احق ان
تخشوه فتقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امضاءه ورضاءه ان كنتم مؤمنين فان قضية
الايمان ان لا يخشى العبد الا من مولاه ولا يلتفت الى ما سواه وافاد الاستاذ انه
سبحانه حرضهم على القتال على ملاحظة امر الله بذلك لا على مقتضى الانطواء على
الحقد في احد فان من غضب لنفسه فمذموم الوصف ومن غضب لله فان نصر الله
قريب والخشية من الله تبشير الوصلة والخشية من غير الله نذير الفرقة وحقيقة الخشية
تقبض السر عن ارتكاب الزجر ومخالفة الامر قاتلوهم امرهم بالقتال بعد بيان موجبه
والتوبيخ والتوعيد على تركه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم يذلهم وينصركم عليهم وعد لهم
ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين
يعني بني خزاعة ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم فالآية
من المعجزات حيث تحقق ما خبرت به من المغيبات ويتوب الله على من يشاء ابتداء
اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا كذلك في آخر امره والله عليم
بما كان وما سيكون من القضية حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة وافاد الاستاذ
انه سبحانه هون عليهم كلفة المخاطرة بالمهجة بما وعدهم من الظفر والنصرة فان شهود
خزي العدو يهون مقاساة العناء والتوء والظفر بالارب يذهب تعب الطلب
وشفاء صدور المؤمنين على حسب مراتبهم في المقام ودرجات اليقين فمنهم من شفاء
صدره في قهر عدوه ومنهم من شفاء صدره في نيل مرجوه ومنهم من شفاء صدره في
الظفر بمطلوبه ومنهم من شفاء صدره في لقاء محبوبه ومنهم من شفاء صدره في درك

مقصوده

مقصوده ومنهم من شفاء صدره بلقاء معبوده وكذلك ذهاب غيظ قلوبهم
يختلف اسبابه وتتنوع ابوابه وفيما ذكرنا تلويح لما تركنا ويتوب الله على من يشاء
حتى يكون استقلالهم بحول الاحوال لا بصفاء الاحوال ام حسبتم خطاب للمؤمنين
حيث كره بعضهم القتال وام منقطعة بمعنى بل والهمزة وهي فيها للتوبيخ على الحسبان
ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي ولم يتبين المخلص منكم والذين جاهدوا
من غيركم ونفي العلم واراد المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق
العلم به مستلزم لوقوعه والمراد علم ظهوره وتنجيزه المترتب عليه الجزاء في حكمه وتشير
اليه التعبير بلما المتوقع حصول منفيه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة
من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم
اسرارهم والله خبير بما تعملون اي باعمالكم وبصير باحوالكم وافاد الاستاذ
ان من ظن انه يقنع منه بالدعوى دون التحقق بالمعنى فهو على غلط من حسبانه
والذي طالبهم به من حيث الامر صدق المجاهدة في الله وترك الركون الى غير الله
والتباعد من مساكنة اعداء الله ثقة بالله والاكتفاء بالله والتبري عن غير الله
وهذا هو الذي امرهم بان لا يتخذوا من دون المؤمنين وليجة والمعنى في ذلك كيلا
يفشو في الكفار اسرار المسلمين واولى من يهجره المسلم لئلا يطلع
على اسراره نفسه التي هي اعدى عدوه وفي هذا المعنى قال قائلهم •
كتابي اليكم بعد موتي بليلة • ولم ادر اني بعد موتي اكتب • والذي في الحكاية
انه قال ابو يزيد فيما يخبر انه قال للحق في بعض اوقات مكاشفاته كيف
اطلبك فقال فارق نفسك وتعالى ولا يتم ذلك بل لا يحصل منه شظية الا بمحو
عروق الاطماع والمطالبات لا في الدنيا ولا في العقبى ولا في رؤيته والمقام
ولو بسينه والحرية عزيزة قال قائلهم • اتمنى على الزمان محالا •
ان ترى مقلتاي طلعة حر • ما كان ما صح للمشركين ان يعمروا مساجد الله
شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وجمع لانه قبلة المساجد او لكبره
في المشاهد او لان جهاته الاربع مساجد فعامره كعامر الجميع في خدمة الواحد ويدل
عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر اي باظهار الشرك
وتكذيب الرسول عليه السلام وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا
بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة ما سواه اولئك حبطت اعمالهم
حيث لم يكن على وفق رضائه وفي النار هم خالدون محجوبون عن لقائه وافاد
الاستاذ ان عمارة المساجد باقامة العبادة فيها والعبادات لا تقبل الا
بخلوص النيات والمشرك فاقد الاخلاص فهو بمعزل عن مقام الاختصاص
انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الكتفي بطر في المؤمن به عما ينفي

من انواعه واقام الصلوة واتى الزكوة خصتا بالذكر من الامور الدينية لانهما اما
العبادات البدنية والمالية والمعنى انما يستقيم عمارتها لهولاء الجامعين للفضائل
العلمية والفواضل العملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وتنظيفها
وتطييبها وادامة العبادة والذكر وافادة العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث
الدنيا ومتعلقاتها فقد روى قال الله تعالى ان بيوتى فى ارضى المساجد وان زوارى
فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر من بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور ان يكرم زائره ولم يخش
الا الله اى فى سبيل الله وطريق رضاه فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين الى
وصول لقائه وحصول بقائه وفى التعبير بصيغة التوقع تنبيه نبيه للمؤمنين ان لا يغتروا
باحوالهم ولا يتكلوا على اعمالهم وقال الاستاذ لا يكون عمارة المساجد الا بتخريب اوطان
البشرية فعمارة العابد المساجد بتخريب اوطان شهوته والزاهد يعمرها بتخريب اوطان
منيته والعارف يعمرها بتخريب اوطان علاقته والموحد يعمرها بتخريب اوطان ملاحظته
ومساكنته وكذلك رتبهم فى الايمان مختلفة فايمان من حيث البرهان وايمان من حيث
البيان وايمان من حيث العيان وشتان ما هم قال قائلهم ، لا تعرضن لذكرنا فى ذكرهم
ليس الصحيح اذا مشى كالمقعد ، اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن
بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله اى كايمان من آمن والمعنى انكار ان يكون افعال
المشركين المحبطة مساوية لاعمال المؤمنين المثبتة لا يستوون عند الله تقرير لما سبق
وزيادة تحرير فيما الحق بقوله والله لا يهدى القوم الظالمين الى طريق الحق وكيف يستوى
من هدى الى صوب بساط الصواب ومن طرد عن الباب وبعد بالحجاب والآية نزلت
كما روى انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له على رضى الله عنه
فى القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا نعمر المسجد الحرام
ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العانى وقال الاستاذ ليس من قام بمعاملة ظواهره كمن
استقام فى مواصلة سرائره ولا من اقتبس من سرج معالمه كمن استبصر بشموس معارفه
ولا من نصب بالباب من حيث الخدمة كمن مكن من البساط من حيث القربة وليس من
تكلف بها نعاقا كوصف تحقق بها وفاقا بينهما بون بين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه
الصفات الحميدة واولئك هم الفائزون بحصول المثوبة ووصول القربة وقال الاستاذ
امنوا بان شاهدوا بانوار بصائرهم حتى لم يبق فى سماء يقينهم سحاب ريب ولا فى هواء
معارفهم ضباب شك وهاجروا فلم يعرجوا فى اوطان التفرقة فتمحضت حركاتهم وسكناتهم
بالله ولله وجاهدوا الا لملاحظة عوض او مطالعة غرض فلم يدخروا لانفسهم من ميسورهم
شيأ الا اثروا الحق به عليهم وظفروا بالبغية من قيامهم بالحق بعد فنائهم من الحق يبشرهم
وقرأ حمزة يبشرهم بفتح الشين من البشارة ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها

فى الجنات نعيم مقيم دائم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه
لاجله ولعل اشارة الى الحديث القدسى والكلام الانسى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وافاد الاستاذ ان البشارة من الله على
قسمين بشارة بواسطة الملك عند التوفى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا
بالجنة التى كنتم توعدون وبشارة بلا واسطة بقول الملك يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وذلك عند الحساب يبشرهم بلا واسطة بحسن التولى فعاجل بشارتهم بنعمة الله واجل
بشارتهم برحمة الله فشتان ما هما ويقال البشارة بالنعمة والجنة لاصحاب الاحسان
والبشارة بالرحمة لارباب العصيان فاصحاب الاحسان صلح امرهم للشهرة فاظهر
امرهم للملك حتى بشروهم جهرا واهل العصيان لم يصلح حالهم الا للستر فتولى بشارتهم
من غير واسطة بسترستر ويقال ان كان للمطيع بشارة بالاختصاص فان للعاصى
بشارة بالخلاص وان كان للمطيع بشارة بالدرجات فان للعاصى بشارة بالنجاة
ويقال ان القلوب مجبولة على محبة من بشر بالخير فاراد الحق سبحانه ان يكون محبة
العبد له سبحانه على الخصوص فتولى بشارتهم بعزيز خطابه من غير واسطة فقال
يبشرهم ربهم برحمة منه وفى معناه انشدوا ، لولا تمتع مقلتى بلقائه ،
لوهبتها للبشرى باتيانه ، ويقال يبشر العاصى بالرحمة والمطيع بالرضوان ثم الكافة
بالجنة فقدم العاصى فى الذكر وقدم المطيع فى البر فالذكر قوله وهو قديم والبر طوله
وهو عميم وقوله الذى لم يزل اعز من طوله الذى حصل لا لتقديم العصاة على
المطيعين ولكن لضعفهم والضعيف اولى بالرفع من القوى ويقال تقدم
امر العاصى بالرحمة حتى اذا كان يوم العرض وحضور الجمع لا يفتضح العاصى
ويقال يبشرهم ربهم برحمة يعرفهم انهم لم يصلوا الى ما وصلوا من نيل
تلك الدرجات لسعيهم وطاعتهم ولكن برحمته سبحانه وصلوا الى طاعتهم
لا بطاعتهم وصلوا الى نعمتهم قال رسول الله عليه السلام ما منكم من احد ينجيه عمله
قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته وقوله تعالى
لهم فيها نعيم مقيم قوم نعيمهم عطاء ربهم على وصف التمام وقوم نعيمهم لقاء ربهم
على نعت الدوام فالعابدون لهم تمام عطائه والعارفون لهم دوام لقائه قال
خالدين فيها ابدا الكناية فى قوله فيها كما يرجع الى الجنة يصلح ان يرجع الى الحالة
لاسيما وقد ذكر الاجر بعده فكما لا ينقطع عطاؤه عنهم فى الجنة لا يمتنع عنهم لقاؤه
متى شاؤا فى الجنة قال الله تعالى لا مقطوعة عنهم نعمته ولا ممنوعة منهم رؤيته يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء يمنعونكم عن الايمان او يحملونكم على
العصيان ان استحبوا الكفر على الايمان اختاروا الكفر المقتضى للهجران
على الايمان الموجب للامان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضع

الموالاة موضع المعاداة وافاد الاستاذ ان من لا يصلح لطاعة ربك لا يستخلصه
لصحبة نفسك قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وعشيرتكم اقاربكم مأخوذ من
العشرة وقيل من العشيرة وقرأ ابو بكر عشيراتكم وقرئ عشائركم واموال اقترفتموها
اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت رواجها او تخافون فسادها ونفادها
ومساكن ترضونها تحبون سكناها احب اليكم من الله ورسوله اى من امره وحكمه فى دينه
وجهاد فى سبيله خص للاهتمام بشانه فتربصوا انتظروا عاقبته حتى يأتى الله بامره
اما بلية عاجلة واما عقوبة آجلة والله لا يهدى القوم الفاسقين لا يرشدهم الى طريق
المحبة الحقيقية الموجبة للنعمة السرمدية والمراد بما سبق حب الاختيارى دون
الطبيعى الاضطرارى اذ لا يدخل تحت الحكم التكليفى وافاد الاستاذ ان علامة التفريد
فى التوحيد قطع العلاقات ومفارقة العادات وهجران المعارف والاكتفاء
بالله على دوام الحالات ويقال من نفق سوق دينه كسدت اسواق حظوظه
ما لم يخل منك منازل الحظوظ لا يعمر بك مشاهد الحقوق انتهى وقد قيل من رق ثوبه
رق دينه لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة اى اوقات متعددة كبدر واحد والاحزاب
وفتح مكة ويوم حنين وهو واد بين مكة والطائف اذ اعجبتكم كثرتكم اذ كان المسلمون
يومئذ اثنى عشر الفا والكفار اربعة آلاف فلما التقوا قال بعض اصحاب النبى عليه السلام
لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم فانهزم اكثرهم وكان عمه العباس اخذا بلجام
بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحارث اخذا بركابه وناهيك بهذا شهادة على
تناهى شجاعته فقال للعباس صح بالناس يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة
تعالوا يا عباد الله هلموا الى رسول الله فكروا بعد ما فروا فقال شاهت الوجوه ثم قال
وانهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اى كثرتكم شيئا من الاغناء او لكن
امر الاعداء وضاقت عليكم الارض بما رحبت اى برحبها وسعتها لا تجدون
فيها مفرا تثبتون بها ثم وليتم اى الكفار ظهوركم مدبرين اى قاصدين الفرار منهزمين
والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال وافاد الاستاذ ان النصرة من الله
فى شهود القدرة والمنصور من يأخذ الحق سبحانه بيده فيخرجه عن مهواة
تدبيره ويقفه على وصف التبصر بقضاء شهود تقديره ثم انزل الله سكينته رحمته
التى سكنوا اليها واطمأنوا بها وامنوا فيها على رسوله وعلى المؤمنين وانزل
جنودا من الملائكة لم تروها باعينكم وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبى
وذلك جزاء الكافرين فى الدنيا ولعذاب الآخرة اشد وابقى قال بعضهم السكينة
التى انزلها على المؤمنين هو سكون قلوبهم بما يأتيه بينهم من عند ربهم من وعد
ووعيد وترغيب وترهيب ذكره السلمى ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء
منهم بتوفيقهم للاسلام والله غفور بالتجاوز عنهم رحيم بالتفضل عليهم

وافاد الاستاذ

وافاد الاستاذ ان السكينة هى الطمانينة وخمود آثار البشرية بالكلية والرضاء بما بدا
من عالم القضاء من غير معارضة اختيار ودعوى اقتدار وانزل جنودا لم تروها من وفود
اليقين وزوائد الاستبصار فى امر الدين وعذب الذين كفروا بالتطوح فى متاهات
التفرقة والسقوط فى وهدة ضيق التدبير ومحنة الغفلة والغيبة عن شهود التقدير
ثم يتوب الله بان يردهم من الجهل الى حقايق العلم ثم ينقلهم من تلك المنازل الى
مشاهد اليقين ثم يرقاهم عن تلك الجملة بما يقيمهم به من عين الجمع يا ايها الذين آمنوا
انما المشركون نجس لخبث بواطنهم ولو نظفت ظواهرهم فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم
او للمنع فى دخول الحرم او المراد به النهى عن الحج والعمرة لا عن مطلق الدخول واليه ذهب
ابو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام فى المنع والنهى عن الاقتراب للمبالغة
بعد عامهم هذا يعنى سنة براءة وهى التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وقيل فيه
دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقد يقال المعنى لا تمكنوا الكفار يا اهل الاسلام
من دخول الحرم الحرام ولو بقصد الاحرام وان خفتم عيلة فقرا وحاجة بسبب منعهم
من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والانتفاع بانواع الرفق من
الجوانب فسوف يغنيكم الله من فضله اى عطائه ان شاء اى على وفق قضائه ان الله
عليم حكيم فى منعه وعطائه وافاد الاستاذ انهم فقدوا طهارة الاسرار بماء التوحيد
فبقوا فى قذارات الظنون والاوهام فمنعوا قربان المساجد التى هى مشاهد القرب
واما المؤمنون فطهرهم عن التدنس بسهو والاغيار فطالعوا الحق فردا فيما ينشئه
من الامر ويمضيه من الحكم وان خفتم عيلة توقع الارفاق من الاسباب من قضايا
انغلاق باب التوحيد ومن لم يفرد معبوده بالقسمة بقى فى فقر سرمد ويقال
من اناخ بعقوة كرم مولاه واستمطر سحاب جوده اغناه عن كل سبب وكفاه كل
تعب وقضى له كل سؤل وارب واعطاه من غير طلب قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر فايمانهم كلا ايمان للنقصان فى مراتب الايمان ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله اى ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة على الاعيان ولا يدينون
دين الحق اى الثابت الذى هو ناسخ سائر الاديان من الذين اوتوا الكتاب
بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه من الكلية والجزئية
عن يد قاهرة عليهم بالغلبة وهم صاغرون فى غاية من المذلة وافاد الاستاذ
ان من استوجب الهوان لا ينجيك من شره غير السحقة من الاذلال على صغره ومن
داهن عدوه فبالحرى ان يلقى سوءه ومن اشد الناس عداوة لك نفسك
المجبولة على الشر فلا تفلح معها الا بذبحها بمدية المجاهدة فانها لا تؤمن بالتقدير ولذلك
تخلو الى التدبير ولا يسكن الا بوجود المعدوم يعنى ومن المعدوم ان المعلوم شؤم فانه
فى الحقيقة مجهول وموهوم وقالت اليهود عزير ابن الله وقرأ عاصم والكسائى

بتنوين عزير على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى
لمنع صرفه بالعجمة والعلمية وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك
قولهم بافواههم كانه مجرد قول خال عن بيان البرهان يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في
الاعيان يضاهئون قول الذين كفروا من قبل المضاهاة المشابهة والهمزة فيه لغة وبه قراء
عاصم اى يضاهي قولهم قول الكفار من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر
قديم فيهم قاتلهم الله دعاء عليهم بالهلاك فان من قاتله الله هلك او انشاء للاخبار
بسوء حالهم في مالهم او تعجب من شناعة اقوالهم ويؤيده قوله انى يؤفكون
كيف يصرفون عن الحق الى الباطل المحق اتخذوا احبارهم علماءهم ورهبانهم
عبادهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في غير سبيل هداه وطريق رضاه
والمسيح ابن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا اى المتخذون والمتخذون اجمعون
الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله واما طاعة الرسل وسائر ما امر الله
بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الاله لا اله الا هو استيناف مقرر للتوحيد
ومحرر للتفريد سبحانه عما يشركون قال بعضهم سكنوا الى امثالهم وطلبوا الحق من غير
سلطانه وطريق الحق واضحة لمن كحل بنور التوفيق وبصر بسبل التوفيق ومن عمي ذلك
كان مردودا من طريق الحق الى طريق الاجناس من الخلق ذكره السلمي يريدون
ان يطفئوا يخمدوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته المقرونة بصحة نبوة
محمد عليه السلام ورسالته بافواههم باقوالهم الباطلة وحججهم الداحضة ويابى
الله ان يمتنع ولا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز اهل التفريد
ولو كره الكافرون حذف جوابه لدلالة ما قبله او لو بمعنى ان الوصلية وافاد الاستاد
ان من رام ان يستر شعاع الشمس بدخان ما يوقده من نيرانه او عالج ان يمنع حكم
السماء بمحق تدبيره او يسقط نجم الفلك بسهام قوسه اظهر رعونته ثم لم يحط
بمراده كذلك من توهم ان سنة التوحيد يعلوها وهج شبهه فقد
احال في ظنه وافتضح في وهمه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين
الحق ليظهره اى ليعلي دينه او يغلب رسوله على الدين كله اى على الاديان جميعها
بنسخ احكامها او ينصر رسوله على جميع اهلها ولو كره المشركون والمراد بالكافرون ثمه
اهل الكتاب وقدموا لكونهم اهل الخطاب او تخصيص بعد تعميم في باب الاطناب
وافاد الاستاد انه سبحانه ازاح العلل بما لاح من الحجج وازال الشبه بما اوضح من
النهج فشموس الحق طالعة وادلة الشرع لامعة كما قالوا هي الشمس الان للشمس غيبة
وهذا الذي نعنيه ليس يغيب يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار
والرهبان اى العلماء والمشايخ من اليهود والنصارى لياكلون اموال الناس
بالباطل باخذونها بالرشى في الاحكام ويصدون عن سبيل الله دينه الاسلام

وافاد الاستاد

وافاد الاستاد ان العالم اذا ارتفق باموال الناس عوضا مما يعلمهم زالت
بركات علمه ولم يطب في طريق الزهد مطعمه والعارف اذا انتفع بخدمة المريد او
ارتفق بشيء من احواله واعماله زالت آثار همته ولم يجد في حكم التوحيد اسرار حالته والذين
يكنزون الذهب والفضة منهم ومن غيرهم ولا ينفقونها في سبيل الله اى لا
يصرفون ما يتعلق بها من الحق في مصارفه من الخلق لقوله عليه السلام ما ادي
زكوته فليس بكنز اى مما اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق
فيما امر الله ان ينفق فيه بالاتفاق والضمير الى اجناس الذهب والفضة اوالى
الدنانير والدراهم او الكنوز المستفادة من الفعل او الاموال بقرينة الحال او
للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ما سواها او لكونها اكثر مما عداها
فبشرهم بعذاب اليم في الدنيا والعقبى وقال الاستاد فلهم في الآجل عقوبة والذين
لا يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فلهم في العاجل حجبة وقليل من عباده
من سلم من الحجاب في محتضره ومن العتاب في منتظره يوم يحمى يوقد عليها في نار جهنم
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة
الرضية والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانها اشرف الاعضاء
الظاهرة او لانها اصول الجهات الاربع من مقادم البدن ومآخيره وجنبيه او لانهم
ازوروا عن السائل بجنوبهم واعرضوا عنه بوجوههم وولوه بظهورهم وافاد الاستاد
انهم لما طلبوا الجاه عند الخلق بمالهم وبخلوا باخراج حق الله عنه شان الله وجوههم
ولما استندوا ظهورهم الى اموالهم قال تعالى فتكوى بها جباههم وظهورهم ويقال
عبسوا في وجوه الفقراء وجعدوا في وجوههم حواجبهم فوضعت الكية غدا على تلك
الجباه المقبوضة على الفقراء ولما طووا كشحهم دون الفقراء اذا جالسوهم وضع الكوا
على جنوبهم هذا ما كنزتم لانفسكم اى يقال لهم هذا ما جمعتم ومنعتم لمنفعتها وكان
عين مضرتها وسبب وبالها في مآلها فذوقوا ما كنتم تكنزون اى جزاءه ان عدة الشهور
اى مبلغ عددها عند الله اى في حكمه اثنا عشر شهرا تمييز لما كيد في كتاب الله اى كائنة في
لوح المحفوظ يوم خلق السموات والارض اى ثابت مذ خلق الله الاجرام العلوية والسفلية
واظهر الايام والليالي الزمانية منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم وافاد الاستاد انه سبحانه لما علم انهم لا يداومون على ملازمة القرب
والعبادات منها افرد بعض الشهور بالتفضيل ليخصوها باستكثار الطاعة فيها
فاما الخواص من عباده فجميع الشهور لهم شعبان ورمضان وكذلك جميع الايام لهم جمعة
وجميع ليالي الشهر ليلة القدر وجميع البقاع لهم مكة وجميع المشاهد كالمساجد وفي
معناه انشد بعضهم ❊ يا رب ان جهادي غير منقطع ❊ وكل ارضك لي ثغر وطرسوس ❊
ذلك الدين القيم اى تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم والطريق القديم

وعدة ابراهيم فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان
حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها
في الحرم وحال الاحرام الا انه كيفية لا كمية ومما دل على نسخها ان غزوة حنين وقعت في ذي القعدة
وافاد الاستاذ انه قال للعوام لا تظلموا في بعض الشهور انفسكم يعني بارتكاب الزلة واما
الخواص فمامورون ان لا يظلموا في جميع الشهور قلوبهم باحتقاب الغفلة ويقال
الظلم على النفس ان يجعل العبد زمامه بيد شهواته فتورده مواطن هلكاته ويقال الظلم
على النفس بخدمة الخلق بدل طاعة الحق ويقال من ظلم على نفسه بارتكاب المحظورات
بل بالفترة في الطاعات ومن ظلم على قلبه بالمصاحبات انتهى بعدم الصفوة في مرور
الاوقات وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهي مصدر كف عن الشيء
فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين بشارة
بمعية المعونة وضمان بالنصرة بسبب التقوى عن المعصية والغفلة وافاد الاستاذ
انه لا سلاح امضى على عدوك من تبريك عن حولك وقوتك انما النسيء كانوا اذا جاء
شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا
مجرد العدد والمعنى انما تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله الله
وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا زائدا وقرا حمزة
والكسائي وحفص يضل على بناء المفعول وعن يعقوب يضل على ان الفاعل هو الله
يحلونه المنسي من الاشهر الحرام عاما سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ويحرمونه عاما
فيتركونه على حرمته والجملتان حال او تفسير للضلال ليواطئوا عدة ما حرم الله ليوافقوا
عدة الاربعة المحرمة فيحلوا ما حرم الله بمواطاة العدة من غير موافقة الازمنة زين
لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى فانه المزين الحقيقي وقد نسب
الى الشيطان بالاسناد المجازي والمعنى خذلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي
القوم الكافرين الى تحسين حالهم في الدنيا وتزيين مآلهم في العقبى وافاد الاستاذ
ان الدين ملاحظة الامر ومجانبة الوزر وترك التقدم بين يدي الله ورسوله في جميع
احكام شرعه ورسوم دينه فالآجال في الطاعات مضروبة والتوقيت في عرفانه متبع
والصلاح في الامور بالاقامة على نعت العبودية فالشهر ما سماه الله شهرا والحول
ما اعلم الخلق انه قدر بابتته شرعا يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا
في سبيل الله اخرجوا الى الجهاد في طريق رضاه اثاقلتم وقرئ تثاقلتم على الاصل
والمعنى تباطاتم وتمايلتم الى الارض اي بالتخلف فيها والتوقف بها عن الصعود
الى مكارم الاخلاق ومعاليها كما قيل • دع المكارم لا ترحل لبغيتها •
واقعد فانك انت الطاعم الكاسي • وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها
بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وشدة حر وبعد مسافة وكثرة

اعداء بشوكة فشق على المنافقين وبعض الضعفاء من المؤمنين ارضيتم
بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة اي بدلها من نعيم قصورها وحورها وسائر
سرورها فما متاع الحيوة الدنيا اي التمتع بها او ما ينتفع منها في الآخرة في جنبها الا قليل
يسير حقير وقال الاستاد عاتبهم على ترك البدار عند توجه الامر وانتهاز فرصة
الرخصة وامرهم بالجد في العزم والقصد في الفعل فالجنوح الى التكاسل والاسترواح
الى التثاقل امارات ضعف الايمان اذ الايمان عزيم لازم ولا يرضى من العبد بغير
ممارسة الاشق وملابسة الاحق ثم قال ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة اي وهل
يحمد بالعابد ان يختار دنياه على عقباه ام هل يحسن بالعارف ان يؤثر هواه
على رضاء مولاه غيبة يوم من الزاهد عن الباب تعدل شهورا وغيبة لحظة من العارف
عن البساط تعدل دهورا الا تنفروا اي الا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم
عذابا اليما باهلاككم في الدنيا بسبب فظيع ونوع شنيع كقحط وظهور عدو وقد
ورد اللهم اني اسالك عيشة نقية وميتة سوية وافاد الاستاذ ان العذاب
الاليم هوان لا يعاتبه على تاخير الرجوع واذا اعرض العبد عن الطاعة لا يبعث
وراءه من جند التوفيق ما يرده الى الباب او هوان يسلبه حلاوة النجوى اذا اتى
او هو الصدود يوم الورود او هو الوعيد بالفراق فاما نفس الفراق فهو تمام
التلف للعشاق كما انشد • وزعمت ان البين منك غدا • هذا بذلك من
يعيش غدا • ويقال من تلك النصرة ابقاؤه اياه فيما لقاه به من كشفه فانه
في تلك الحالة ولولا نصرته لتلاشى تحت سطوات كشفه من الحضرة ويستبدل
قوما غيركم اي يستبدل بكم جمعا آخرين مطيعين خيرا منكم كابناء فارس واليمنيين
وقال الاستاذ اي يصرف ما كان عليه من اقباله الى غيره من المشاكلة وليس كل
من حفر بئرا يشرب من معينها • اسقى رياحين للحفاظ مدامعي • وسواي في
روض التواصل يرتع ولا تضروه شيئا فانه الغني عن كل شيء في كل امر
ولا تنصروا دينه او رسوله فان الله وعد له بالغلبة والنصرة وكلامه حق ووعده
صدق والله على كل شيء قدير ومنه التبديل والتغيير على وفق التقدير الا تنصروه
فقد نصره الله اي ان لا تنصروه فسينصره الله كما نصره الله اذ اخرجه
الذين كفروا اي تسببوا لاذن الله بخروجه او هموا باخراجه ثاني اثنين
حال كونه لم يكن معه الا رجل واحد موحد ليس له ثان في الوجود من جهة
الكرم والجود او ثاني اثنين سبقا في ميدان الشهود وفي هذا منقبة
عظيمة للصديق في تخصيص مقام التوفيق وقال السلمي اي نصره الله
حين اغناه عن نصرتكم بقوله والله يعصمك من الناس فمن كان في ميدان
العصمة كان مستغنيا عن نصرة المخلوقين وافاد الاستاذ ان من عزيز

لک النصرة انه لم يستأنس بثانيه الذى كان معه بل ردّ الصديق الى الله
ونهاه عن مساكنته اياه فقال ما ظنك باثنين الله ثالثهما ويقال كان
صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين بظاهر شبحه ولكن كان مستهلك الشاهد
فى الواحد بسره اذ هما فى الغار وهو نقب فى اعلى جبل ثور بمكة على مسافة
ساعة بجنوبيه مكثا فيه ثلاثة ايام قال ابن عطا اى فى محل القرب وكهف
الانوار وغار الاسرار وقال الاستاذ صحيح ما قالوا للبقاع دول ما خطر
ببال احد ان ذلك الغار يصير مأوى سيد الابرار وسند الاخيار ولكنه يختص
بقسمته ما يشاء كما يختص برحمته من يشاء اذ يقول لصاحبه وهو ابو بكر باجماع
المفسرين فمن انكر صحبته صار من الكافرين لا تحزن اى علىّ او عليك او علينا
ان الله معنا بالعصمة والمعونة لنا وقال ابن عطا ان الله معنا فى الازل
حيث وصل بيننا وصلة الصحبة وما انفصل وقال الفارسى انما نهى عن الحزن
لان الحزن لا يحل بمنزلة فى محل قربه وافاد الاستاذ انه علقت قلوب قوم
بالوحى فطلبوا الحق منه وهو كما يقول اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله
معنا انه وان تقدس عن كل مكان ولكنه فى هذا الخطاب حيوة لاسرار ارباب
المواجيد وينشد يا طالب الله فى العرش الرفيع به لا تطلب العرش ان المجد للغار
اقول ولعل هذا الغار حصل له تجلى الجمال فثبت فى مقامه لاصحاب مرامه بخلاف
الطور حيث ما اطاق النور فانه لما حصل له تجلى الجلال جعله دكا وخر موسى
صعقا مع احكامه وايضا فى تسميته بالغار اشارة الى انه سبحانه غار على
حبيبه حتى ستره عن اعين الاغيار ثم قال الاستاذ فى الاية دليل على تحقيق
صحبة الصديق حيث سماه الله صاحبه وعده ثانيه ولما كان فى الايمان
ثانيه كان من جملة اصحابه فى الغار ثانيه ثم فى القبر ضجيعه وفى الجنة يكون رفيقه
فانزل الله سكينته امنه الذى يسكن عنده القلوب وطمانينته عليه
اى على النبى زيادة فى كماله او على صاحبه لانه كان منزعجا فى حاله ولا يبعد ان يقال
على كل منهما بما يليق فى مقامهما لاحتياجهما الى تسكين خاطرهما واطمينان قلبهما
فى كل لحظة ولمحة الى ربهما فتقدير الاية فانزل الله سكينته على النبى بحسب الاصالة
وعلى الصديق بسبب التبعية فانهما كانا فى مقام الضيافة الالهية وفى خصوصية الحالة
المعية وقال بعضهم السكينة سكون القلب الى ما يبدو من محل الاقدار ذكره السلمى
وافاد الاستاذ ان الكناية فى الهاء من عليه تعود الى الرسول ويحتمل ان تكون عائدة
الى الصديق فان حملت على الصديق يكون خصوصية له من بين المؤمنين على الانفراد
قال الله تعالى هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين ويقول للصديق على التخصيص
فانزل الله سكينته عليه كما قال عليه السلام ان الله يتجلى للناس عامة ويتجلى لابى بكر خاصة

وانما كان

وانما كان حزن الصديق ذلك اليوم لاجل الرسول عليه السلام اشفاقا عليه لا لاجل نفسه
ثم انه نفى عليه السلام عنه حزنه وسلاه بان قال لا تحزن ان الله معنا وحزن لا يذهب
الا بمعية الحق لا يكون الا للحق الحق وايده بجنود لم تروها يعنى الملائكة انزلهم ليحرسوه
فى الغار عن الاغيار او ليعينوه يوم بدر والاحزاب وحنين على اعدائه من الكفار
فتكون الجملة حينئذ معطوفة على قوله نصره الله وقال جعفر الصادق ذلك جنود
اليقين والثقة بالله والتوكل عليه والاعراض عما سواه وجعل كلمة الذين كفروا
السفلى يعنى الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هى العليا يعنى التوحيد او دعوة الاسلام
ولا يخفى نكتة اختلاف الجملتين حيث يدل الجملة الفعلية على الحدوث فى المقام
والاسمية على الاستمرار والدوام على وفق المرام والمعنى وجعل ذلك بتخليص سيد الابرار
عن ايدى الكفار بهجرته من مكة الى المدينة او بتأييده اياه بالملائكة فى المواطن
المذكورة المشهورة او بحفظه ونصره حيث حصر من السوء والحصر وقال الاستاذ
باظهار حجج دينه وتمهيد سبيل حقه ويقينه فرايات الحق الى الابد عالية وتموهات
الباطل واهية وحزب الحق منصورون ووفد الباطل مقهورون
والله عزيز فى قدره حكيم فى امره انفروا خفافا حال نشاطكم له وثقالا
حال مشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا
من السلاح او صحاحا ومراضا ولذا لما قال ابن مكتوم لرسول الله عليه السلام انفر قال
نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وافاد الاستاذ انه سبحانه امرهم بالقيام بحق
البدار الى اداء امره على جميع احوالهم خفافا يعنى فى حال حضور قلبكم فلا يمسكم
نصب المجاهدات وثقالا اذا رددتم الكم فى مقاساة تعب المكابدات فان البيعة
اخذت عليهم فى المنشط والمكره ويقال خفافا اذا كنتم محوّلين فى حال الجمع وثقالا
اذا كنتم متحملين فى اوان الفرق لو كان ما دعوا اليه فرضا وتقديرا عرضا قريبا نفعا
دنيويا قريب المأخذ وسهلا يسيرا وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك
ورافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التى تقطع بالمشقة قال الاستاذ
يريد به المتخلفين عنه فى غزوة تبوك بين سبحانه انه لو كانت المسافة قريبة والا
هينا لما تخلفوا عنك وهكذا من كان غير متحقق فى قصده كان غير مبالغ فى جهده
يعيش على حرف ويفر بحرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب
على وجهه واذا رأيت المريد يتتبع الرخص ويجنح الى الكسل ويتعلق بالتأويلات
فاعلم انه منصرف عن الطريق متخلف عن السلوك وانشدوا وكذا الملول اذا اراد قطيعة
مل الوصال وقال كان وكانا وسيحلفون بالله اى المتخلفون اذا رجعت من
تبوك حيث يعتذرون ويقولون لو استطعنا لو كان لنا استطاعة العدة او طاقة
البدن والبنية لخرجنا معكم سد مسد جوابى القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه

وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى
سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون

اخبار عما وقع قبل وقوعه من الحادثات يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك وللحجاب وافاد الاستاذ ان بين المتعلق والمتناول بين فاجرة يشهد بكذبها عيون الفراسة ونور قلوب ارباب الكياسة والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين للخروج هنالك عفا الله عنك حسن خطاب في مبدا عتاب بتنبيه بقوله لم اذنت لهم اي لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب فيما اظهروك وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين حال الاختيار وقال الاستاذ لما لم يكن منه عليه السلام خرق حد محذور ولا تعاطي امر محظور وانما بدر منه ترك ما هو الاولى قدم الله تعالى ذكر العفو على الخطاب الذي هو في صورة العتاب بقوله لم اذنت لهم ومن جوز الزلة على الانبياء اذ لم يكن ذلك في تبليغ امر وتمهيد شرع يقول قابله بالعفو قبل ان وقصه للعذر وكذا سنة الاحباب مع الاحباب قال قائلهم • ما حظك الوا شون عن رتبة • عندي ولا ضرك مغتاب • كانهم اثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا • ويقال حسنات الاعداء وان كانت حسنات فكالمردودة وسيئات الاحباب وان كانت سيئات فكالمغفورة كما قيل من ذا يؤاخذ من يحب بذنبه • وله شفيع في الفؤاد مشفع لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ليس من عادتهم ان يستاذنوك في التخلف عنك ان يجاهدوا اي كراهة ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم وانما قد يستاذنونك لعذر بهم ومانع لهم من اموالهم والله عليم بالمتقين اي باحوالهم واعمالهم وافاد الاستاذ ان المخلص في عقده غير مؤثر شيئا على امره ولا مدخر مستطاعا في استفراغ وسعه وبذل جهده من مقاساة كده واستعمال جده انما يستاذنك اي في التخلف عن الجهاد الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر اي بالمبدا والمعاد وخصصا فان الايمان بهما باعث على المجاهدة وعدمه حامل على نفي المكابرة وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون اي في ميادين شكوكهم وظنونهم يتحيرون وافاد الاستاذ اي من رام من عهدة الالتزام خرجة وانتهز في التاخر والتخلف فرصة فلعدم ايمانه وتصديقه ولما استكن من الريبة في قلبه وسره اولئك الذين يتقلبون في ريبهم ويترددون في شكهم ولو ارادوا الخروج في الغزوة لاعدوا له للخروج عدة اهبة ولكن كره الله انبعاثهم والمعنى ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه سبحانه كره نهوضهم للخروج وقيامهم عن الولوج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل ومنعهم بالخوف والفشل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج اليهم او تقويرهم لوسوسة الشيطان بحكم القعود عليهم او حكاية قول بعضهم لبعضهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لهم وافاد الاستاذ انهم لو صدقوا في الطاعة لاستجابوا ببذل الوسع والطاقة ولكن سبقت ارادتهم بحصلت دون الخروج بلادتهم ولذا قيل لو صح منك الهوى ارشدت للحيل وقوله ولكن

كره الله

ره الله انبعاثهم الزمهم الخروج من حيث التكليف والامتحان ولكن ثبطهم في سرهم بالخذلان فامر الالزام دعاهم وبامر التكوين اقصاهم لو خرجوا اي فرضا وتقديرا فيكم اي فيما بينكم اي في وقت خروجكم ودخلوا في طريقكم معكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا وشرا وغلا وضرا فالاستثناء متصل او ما زادوكم خيرا لكن زادوكم خبالا فالاستثناء منفصل ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة او الهزيمة يبغونكم الفتنة يطلبون لكم ايقاع المخالفة حال المخالطة وترك الموافقة حين المخالفة وفيكم سماعون لهم جماعة ضعفة يسمعون قولهم ويطيعون امرهم او جمع يسمعون حديثكم للنقل اليهم واظهار حالكم عليه والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم كما يعلم ظواهرهم وافاد الاستاذ انه سبحانه اخبر نبيه النبيه عن سابق علمه بهم وذكر ما علم انه لا يكون ان لو كان كيف يكون فقال لو ساعدوكم في الخروج لكان ما يلحقكم من سوء سيرتهم في التضريب بينكم والنميمة فيكم والسعي فيما يسوؤكم اكثر مما لكم بتخلفهم من نقصان عددكم ومن ضره اكثر من نفعه فعدمه خير من وجوده ولا يحصل منه شيء غير شروره فتخلفه انفع من حضوره لقد ابتغوا الفتنة اي طلبوا تشتيت امرك وتفريق قومك من قبل اي يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول عليه السلام الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور اي دبروا الحيل والمكائد لاجلك ودوروا الاراء في ابطال امرك حتى جاء الحق الامر السلطاني والفتح السبحاني لنصرك وظهر امر الله باعلاء دينك وهم كارهون ظهور شانك فوقع الامر على رغم انفهم وفضاحة حالهم وكشف عليهم والآيات لتسلية عليه السلام والمؤمنين على تخلفهم وبيان حسن اختيار الله لهم في تثبيط مخالفيهم وكراهة انبعاثهم وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم وازالة اقتدارهم وافاد الاستاذ انهم وان اظهروا وفاقكم فقد استبطنوا نفاقكم واعلموا انهم يوازرونكم ويعاونونكم ويناصرونكم وراموا بكيدهم تشويش اموركم حتى كشف الله عوراتهم واخبارهم وفضحهم حتى تحرزتم عنهم بما تحققتم من اسرارهم ومنهم اي من المنافقين او المتخلفين من يقول ائذن لي في القعود عن المجاهدة ولا تفتني اي لا توقعني في الفتنة من العصيان والمخالفة بان لا تاذن لي في التخلف عن هذه الغزوة او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني في حالي وفي رحالي الا في الفتنة سقطوا تنبيها على ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف بها وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة او هذه الساعة لان احاطة اسبابها كوجود ما بها وافاد الاستاذ انهم ابرزوا قبيح افعالهم في معرض التحرج

لعذرتهم وراموا ان يلتبسوا على الرسول والمؤمنين خبث سريرتهم وسريرتهم
فبين الله ان الذى منه فروا بزعمهم سقطوا فيه بفعلهم وكذا المتجلد بما يهواه متوضح
فى وادى بلواه بلواه سيلقى فى الآخرة من الهوان ما يغنى عن الحاجة الى البرهان
ان تصبك فى بعض غزواتك حسنة نصرة وغنيمة كما فى بدر تسؤهم لفرط حسدهم
وان تصبك فى بعضها مصيبة شدة ومحنة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا
امرنا من قبل يتبجحوا بانصرافهم ويستحمدوا فى التخلف لرايهم ويتولوا اى ينقلبوا
عن متحدثهم بذلك وعن مجتمعهم هنالك وهم فرحون مسرورون فيما بذالك
وافاد الاستاذ انه هكذا صفة الحسود يتصاعد انين قلبه عند شهود المحنى
ولا يستر قلبه غير حلول البلوى ولا دواء لجرحه فانه لا يرضى بغير زوال النعمة عن صاحبه
ولذا قالوا • كل العداوة قد ترجى اماتتها • الا عداوة من عاداك من حسد •
وان الله عجل عقوبة الحاسد وذلك حزن قلبه بسلامة محسوده فالنعمة للمحسود نقد
والوحشة للحاسد نقد قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا اى ما قدره وقضاه
علينا او اثبته فى اللوح المحفوظ لاجلنا لا يتغير بموافقتكم ولا يتبدل بمخالفتكم
او ما اختصنا باثباته من النصرة او الجاية من الشهادة قال ابراهيم بن ادهم
من رضى بالمقادير لم يغتم ذكره السلمى وافاد الاستاذ ان المؤمن لا يلحقه شماتة
عدوه لانه ليس يرى الا مراد وليه فهو يتحقق ان ما يناله مراد مولاه فيسقط عن قلبه
ما يهواه ويستقل بروح رضاه فيعذب عنده ما كان يصعب من بلواه وانشدوا
فى معناه • ان كان سركم ما قال حاسدنا • فالجرح اذا ارضاكم الم • ويقال شهود
جريان التقدير يخفف عن العبد كل عسير هو مولانا ناصرنا ومتولى امرنا وعلى الله
لا على ما سواه فليتوكل المؤمنون اى ليعتمدوا عليه وليلتجؤا فى جميع امورهم اليه
بل وليكونوا كالميت بين يديه وافاد الاستاذ ان قوله هو مولينا تعريف للعبيد
ان له ان يفعل ما يريد لانه تصرف مالك الاعيان فى ملكه وهو يبدى ويجرى ما يريد بحق
حكمه واول التوكل هو الثقة بالله بوعده ثم الرضاء باختياره ثم نسيان امورك
بما يغلب على قلبك من اذكاره ويقال التوكل سكون السر عند حلول الامر ونهايته
التفويض فهو يساوى الحلو والمر والنفع والضر والنعمة والمحنة قل هل تربصون بنا ما
تنتظرون لنا الا احدى الحسنيين اى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب
وهى المراتب من النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم اى احدى السوءيين ان يصيبكم
الله بعذاب من عنده كقارعة من السماء او بآية سماوية او بعذاب على ايدينا وهو القتل
على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم وافاد الاستاذ
انه سبحانه فى هذه الآية بين الفرق بين الفريقين من المؤمنين والكافرين فقال
الذى تنتظرون ايها الكفار من شان الابرار وقوع الدبرة عليهم فى القتال او القتل

بنالهم

ينالهم فى الحال واى واحد منهما فهو لهم من الله نعمة لانا ان ظفرنا بكم فنصر وغنيمة واعزاز
للدين ورفعة وان قتلنا فشهادة ورحمة ورضوان من الله وزلفة وان كان الذى يصيبنا
فى الدنيا هزيمة ونكبة فذلك موجب للاجر ومثوبة فاذا لا يستقبلنا الا امان وحسنى
ونعمة واما انتم فان ظفرنا بكم فتعجيل ذل لكم ومحنة وان قتلتم عقوبة من الله وسخطه وان
كانت اليد لكم فى الحال فخذلان من الله وسبب عذاب وزيادة نقمة ويقال هل تربصون
بنا الا احدى الحسنيين اما قيام بحق الله فى الحال فيكون بوصف الرضا وهى فى التحقيق
الجنة الكبرى واما وصول الى الله فى المآل بوصف الشهادة ووجدان الزلفة فى العقبى
وهى الكرامة العظمى قل انفقوا طوعا اى بحسب الظاهر او كرها بحسب الباطن فالتنويع
وبضم الكاف الكوفيون لن يتقبل منكم وهو امر فى معنى الخبر اى لن يتقبل منكم نفقاتكم
انفقتم طوعا او كرها وفائدته مع انهم لا ينفقون الا وهم كارهون هو المبالغة فى
تساوى الانفاقين فى عدم القبول ولو وقع طوعا فرضا ونفى التقبل يحتمل الامرين
ان لا يؤخذ منهم او ان لا يثابوا عليه انكم كنتم قوما فاسقين خارجين عن الطاعة
والجملة استيناف بيان وتعليل برهانى لما قبله وافاد الاستاذ ان المردود لا يقبل منه
التوسل ولا يغير حكم شقاوته بتكثير التكلف والتعمل ويقال تقرب العدو يوجب
زيادة المقت له وتجنب الحبيب يقتضى زيادة العطف عليه قال تعالى فاولئك
يبدل الله سيئاتهم حسنات وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم وقرأ حمزة والكسائى
يقبل بالتذكير اى وما منعهم قبول نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اى الا كفرهم بهما
ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلون ولا ينفقون الا وهم كارهون حيث لا يرجون
بفعلهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا وافاد الاستاذ انهم فقدوا الاخلاص
فى اعمالهم فعدموا الاختصاص فى احوالهم وحرموا الخلاص فى عاجلهم ومآلهم ومن
اطاع فى العبادة من حيث العادة من غير ان تحمل عليها لوعة الارادة لم تجد
لطاعته راحة وزيادة ويقال من لاحظ الخلق فى الجهر من اعماله وركن الى الكسل
فى السر من احواله فقد وسم بالخذلان وختم بالحرمان وهذه هى امارة القطيعة
وعلامة الفرقة الموجبة للحرقة فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم اى كثرة مالهم وسعة
جاههم وزيادة رجالهم فان ذلك استدراج لهم فى مبداء حالهم ومعادهم ومآلهم
انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من
المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم اى تخرج
ارواحهم بصعوبة عن اشباحهم لتعلقهم باموالهم واولادهم ولقلة زادهم فى
رحلة معادهم وهم كافرون بنعمة العافية مصروفون عن النظر فى العاقبة وطلب
حسن الخاتمة وافاد الاستاذ انه سبحانه بين ان ما حسبوه نعمة واعتقدوه من الله
منة فهو فى التحقيق محنة وسبب شقاء وفرحة وان تمادى التقدير سهوم الصاب فيما

استلذوه من الشراب الحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات
بل لا يشعرون ويحلفون بالله يعنى المنافقين انهم لمنكم من جملة المؤمنين الموافقين
وما هم منكم فى السيرة وان كانوا معكم فى الصورة ولكنهم قوم يفرقون يخافون ان يكون
للمشركين دولة فيظهرون الاسلام تقية وافاد الاستاذ ان اظهار التلبيس من
اشعار الملبس لا يكسوا الاسرار برد السكون ولا يشيع البصائر برد الثقة واليقين
ما لا يكون فلا يكون بحيلة ابدا وما هو كائن سيكون لو يجدون ملجأ حصنا يلوذون
اليه مهربا يلتجئون اليه او مغارات جمع مغارة وهى مكان الغار اى مكانا عاليا يصعدون
عليه او مدخلا اى نفقا وسربا يختفون لديه لولوا اليه لاقبلوا الى نحوه ومالوا الى صوبه
وهم يجمحون اى يسرعون اسراعا لا يرده شئ كالفرس الجموح فى عدوه وافاد الاستاذ
ان المارق فى الحلة ينسل عن سلكها باضعف خلة ان وجد مهربا ادى اليه رجعة وان
امل ان ينال ما يتعلق به عد ذلك فرصة ومنهم من يلمزك بكسر الميم للسبعة وضمها ليعقوب
من العشرة اى ومن المنافقين من يعيبك فى الصدقات اى فى قسمها باختلاف
الحالات فان اعطوا منها اى شيئا كثيرا رضوا اى استحسنوا واحبوا ومدحوا
وان لم يعطوا منها اى مطلقا او اعطوا يسيرا اذا هم يسخطون اى كرهوا وغضبوا
وذموا وقال الاستاذ اولئك اصحاب الاطماع يتلونون فى الظاهر ما دامت الارفاق
اليهم واصلة فان انقطعت انقلبوا كان لم يكن بينكم وبينهم مودة ويقال من كان رضاه
بوجدان سببه وسخطه فى عدم ما يؤمله من نصيبه فهو ليس من اهل الولاء انما هو قائم
بحظه غير صالح لصحبه واما المتحقق فكما قيل سرت اليك فى طلب المعالى وسار
سواى فى طلب المعاش ولو انهم رضوا ما اتيهم الله من النعم ورسوله من الغنيمة
والصدقة او ذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله النبى النبيه انما كان بحكمه وامره
وعلى وفق قضائه وقدره وقالوا حسبنا الله كافينا ووافينا وانعامه دائم فينا سيؤتينا
الله من فضله ورسوله نعمة اخرى ترضينا انا الى الله راغبون فهو يغنينا فيما يعنينا
ويهنينا فيما يمنينا وجواب الشرط مقدر اى لكان خيرا لهم فى دنياهم واخريهم وافاد الاستاذ
انهم لو قنعوا مع الله بشرط الرضاء لاتتهم فنون العطاء وتحقيق المنى ولو حفظوا
مع الله الادب لسعدوا بوجدان مالهم من الارب من غير معاناة تعب ولا مقاساة
نصب لكنهم عرجوا فى اوطان الطمع فوقعوا فى الذل والحرب انما الصدقات
للفقراء والمساكين اى الزكوة لهؤلاء المعدودين دون غيرهم من الطامعين المردودين
والفقير من ليس له مال يغنيه ولا كسب يكفيه من الفقار كانه اصيب فقاره الكسر
والعار والمسكين من لا شئ له من المال ماخوذ من السكون كان العجز اسكنه عن طلب
معاشه ويؤيده قوله تعالى او مسكينا ذا متربة وقيل بالعكس لقوله تعالى اما السفينة فكانت
لمساكين واجيب بانها كانت عملة لها واستدلوا ايضا بانه عليه السلام كان يسال

المسكنة

المسكنة ويتعوذ من الفقر واجيب بانه كان يتعوذ من فقر القلب او الافتقار
الى غير الرب ويسال السكون والسكينة اللازمة للمسكنة وبانه كان دائما بصفة
الفقر لكن لا من قلة المال وبوصف المسكنة فى جميع الحال بل لان الله اثبت
الافتقار لما سواه من الانبياء والاصفياء بقوله والله الغنى وانتم الفقراء وقد
ورد الفقر فخرى وان لم يصح اسناده عند المحدثين لكنه معتبر فى المعنى عند
المحققين ولذا قال سهل التسترى الفقر معزة والمسكنة مذلة والعاملين عليها
الساعين فى تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم وهو قوم ضعاف اسلموا ونيتهم
ضعيفة فيه فيتالف قلوبهم بنية تقوية يقينهم او جمع اشراف يترتب باعطائهم
اسلام نظرائهم وكان سهم المؤلفة لتكثير سواد الامة فلما اعز الله المسلمين
وكثرهم سقط سهم المؤلفة وفى الرقاب اى وللصرف فى فك الرقاب بان
يعاون المكاتب بشئ منها على اداء نجومه او بان يبتاع الرقاب للعتق وبه
قال مالك واحمد او بان يفدى الاسارى والغارمين اى المديونين لانفسهم فى غير
معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات بين وان كانوا اغنياء لحديث لا تحل
الصدقة لغنى الا لخمسة لغاز فى سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له
جار مسكين فيتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغنى او لعامل عليها وفى سبيل الله
اى منقطع الغزاة عند ابى يوسف ومنقطع الحاج عند محمد والمراد الفقراء منهم
وعند الشافعى يجوز الصرف الى اغنياء المتطوعة الذين يتطوعون الجهاد لظاهر
لظاهر الحديث المذكور وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله
مصدر لما دل عليه الاية اى فرض الله لهم الصدقات فريضة والله عليم بعلم احوال
الكائنات باسرها حكيم يصنع الاشياء فى مواضعها وقد روى عن عمر وحذيفة
وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه
قالت الائمة الثلاثة خلافا للشافعى وقد افتى بعض اصحابه على خلافه على ان الاية
بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب قسمها عليهم واخذ الشافعى بظاهر
الاية المقتضية تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب
الصرف الى كل صنف واحد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك وهو
لا يخفى ما فيه من الحرج المدفوع من هذه الامة وافاد الاستاذ ان الفقهاء تكلموا فى صفة الفقير
والفرق بينه وبين المسكين كما احتاجوا اليه فى قسم الزكوات المفروضة والشافعى
يقول الفقير الذى لا شئ له والمسكين الذى له بلغة من العيش وابو حنيفة يقول
بالعكس واهل المعرفة اختلفوا فيه فمنهم من قال بالاول ومنهم من قال بالثانى واختلافهم
ليس كاختلاف الفقهاء وذلك لان كل واحد منهم اشار الى ما هو حاله او وقته
ووجوده وشربه وحده ومقامه فمن اهل المعرفة من راى اخذ الزكوات المفروضة

اولى وقالوا ان الله سبحانه جعل ذلك ملكا للفقراء فهو حق له مما يتطوع به عليه
ومنهم من قال الزكوة المفروضة مستحقة لاقوام وراوا الايثار على الاخوان اولى
فلم يزاحموا ارباب السهمان وتحرجوا من اخذ الزكوة وقالوا الاولى تسليم ذلك لهم ومنهم
من قال ان ذلك وسخ الاموال وهو لاصحاب الضرورة وقالوا نحن آثرنا الفقر اختيارا
فلم ناخذ الزكوات المفروضة ثم على مقتضى اصولهم في الجملة لا في اخذ الزكوات للفقر
مراتب اولها الحاجة ثم الفقر ثم المسكنة فذو الحاجة من يرضى بدنياه ويسد الدنيا
فقره والفقير هو الذي يكتفي بعقباه ويجبر الجنة فقره والمسكين هو الذي لا يرضى
بغير مولاه لا الى الدنيا يلتفت ولا بالآخرة يشتغل ولا بغير مولاه يكتفي قال عليه السلام
اللهم احيني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وقال عليه السلام اعوذ بك من الفقر
لان عليه بقية فهو ببقيته محجوب عن ربه ويحسن ان يقال ان الفقر المستعاذ منه ان
لا يكون له شيء والمسكنة المطلوبة ان يكون له بلغة ليتفرغ بوجود تلك البلغة الى العبادة
واذا لم يكن له بلغة يشغله فقره عن اداء حقه فلذلك استعاذ منه وقوم سمت هممهم
عن هذا الاعتبار وهذا اولى باصولهم فالفقير الصادق عندهم من لا سماء تظلله
ولا ارض تقله ولا سمة تتناوله ولا معلوم يشغله فهو عبد الله متردد الى التمييز
في اوان العبودية وفي غير هذا الوقت مصطلم عن شواهده وفقره منتسف
عن جملته ويقال الفقير من كسر فقاره وهذا في العربية والفقير عندهم من سقط
اختياره وتعطلت عنه دياره فاندرست في استيلاء من اصطلم آثاره وكانه
لم يبق منه الا اخباره واما المسكين فهو الذي اسكنته حاله بباب مقصوده لا يبرح
عن سدته فهو معتكف بقلبه لا يغفل لحظة عن ربه واما العاملون عليها فعلى لسان
العلم من يتولى جمع الزكوة على شرائطها المعروفة وعلى لسان الاشارة اولى الناس
بالتغافل عن اخذ الزكوات من صدق في اعماله فانهم لا يرجعون على اعمالهم عوضا
عوضا ولا يتطلعون في مقابلة احوالهم غرضا كما قيل وما انا بالباغي على الحب رشوة
قبيح هوى يرجى عليه ثواب واما المؤلفة قلوبهم فعلى لسان العلم من يستمال قلبه
بنوع ارفاق معه ليتوفر في الدين نشاطه فلهم من الزكوات سهم استعطافا لهم
وحاشا ان يكون في القوم من يكون حضوره لسبب طمع او لنيل ثواب او لرؤية
مقام او لتطلع حال وذلك في صفة العوام واما الخواص فكما قالوا من لم
يكن بك فانيا عن حظه وعن الهوى والانس بالاحباب او تيمته صبابة جمعت له
ما كان مفترقا من الاسباب فلانه بين المراتب واقف لمنال حظ او لحسن مآب
واما قوله تعالى وفي الرقاب فهو على لسان العلم المكاتبون وهؤلاء القوم لا يتحررون
ولهم تعريج على سبب او بقي لهم في الدنيا والعقبى ارب او يستفزهم طلب لمن
كان ببقية من هذه الجملة فهو بعد لم يتحرر قال عليه السلام المكاتب عبد ما بقي عليه

درهم

درهم وانشد بعضهم * اتمنى على الزمان محالا * ان ترى مقلتاي طلعة حر * واما قوله تعالى
والغارمين فهم على لسان العلم من ركبهم دين وهؤلاء القوم لا يقتضي علتهم ما لزمهم
امساك الخلق ولهذا قيل المعرفة غريم لا يقضى دينه واما قوله تعالى وفي سبيل الله فعلى لسان
العلم من سلك سبيل الله وجب له في الزكوة سهم وعلى هذه الطريقة من سلك سبيل الله
يتوجه عليه المطالبات فيبذل اولا ماله ثم جاهه ثم نفسه ثم روحه وهذا في اول قدم له واما قوله
تعالى وابن السبيل فهو على لسان العلم من وقع في الغربة وفارق وطنه على اوصاف مخصوصة
وعند القوم اذا تغرب العبد عن مألوفات اوطانه فهو في قرى الحق فالجوع طعامه والخلوة
مجلسه والمحبة شرابه والانس منشوره والحق تعالى مشهوده وسقاهم ربهم شرابا طهورا
لقوم وعد في الجنة ولآخرين نقد في الوقت وهو شراب المحاب وغدا شراب الثواب
وفي معناه انشدوا * ومقعد قوم قد مشى من شرابنا * واعمى سقيناه ثلاثا فابصرا *
واخرس لم ينطق ثلاثين حجة * ادرنا عليه الكاس يوما فاخبرا * ومنهم الذين يؤذون
النبي اي يخالفونه قولا وفعلا وينكرون عليه حالا يكون كما لا ويقولون هو اذن
اي يسمع كل ما يلقى اليه ويصدق كل ما يقال لديه وسمي بالجارحة كرجل عدل للمبالغة كانه
من فرط استماعه جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لهذا المعنى بلا نزاع روي انهم
قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم ناتيه بعذرنا فيصدقنا قل اذن خير لكم يسمع
الخير ويقبله ويعرض عن الشر وينكره * كما فسره بقوله يؤمن بالله اي يصدق به لما
قام عنده من الادلة على موجب تصديقه ويؤمن للمؤمنين اي ويصدقهم لما
علم من خلوصهم به واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان الذي بمعنى التصديق والتسليم
وايمان الامان الذي بمعنى تحقيق التكريم ورحمة اي وهو رحمة للعالمين عموما
وخصوصا للذين آمنوا منكم اي لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف
سره ولا يهتك ستره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم
وترفقا لامثالكم وقرا حمزة بجر رحمة عطفا على خير والباقون برفعها عطفا
على اذن اي هو اذن ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله
لهم عذاب اليم اي في الدنيا بالفرقة وفي العقبى بالحرقة وافاد الاستاذ ان
عين العداوة بالمساوي موكلة وعين الرضا عن المعائب كليلة بسطوا اللسان
اللائمة في صاحب الرسالة فعابوه بما هو امارة كرمه ودلالة فضله فقالوا انه
لحسن خلقه يسمع ما يقال له فقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن غر كريم والمنافق
خب لئيم وقد قيل في العاقل قالوا الفطن المتغافل وفي معناه انشدوا *
واذا الكريم اتيته بخديعة * فرايته فيما تروم يسارع * فاعلم بانك لم تخادع جاهلا *
ان الكريم بفضله متخادع * يحلفون بالله لكم على معاذيرهم في مقالهم او خلفهم
ليرضوكم اي لترضوا عنهم ايها المؤمنون الغافلون منهم والله ورسوله احق ان

يرضوه اولى للارضاء بالطاعة ورعاية الموافقة وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين
فى القضية ان كانوا مؤمنين اى فى ايمانهم صادقين وفى تصديقهم موافقين
وافاد الاستاذ انه سبحانه اخبر ان من تزين للخلق وتقرب اليهم وترام رضاهم
واتبع فى ذلك هواهم فان الله تعالى يسقطه عند الخلق جاههم ويشينهم بما توهموا
انه يزينهم وان الله لا يضيع ما كان لله فاما ما كان لغيره فوبال من اصابه ومحال من
طلبه ويقال ان الخلق لا يصدقك وان حلفت له والحق يقبلك وان تخلفت
عنه فالاشتغال بالخلق محنة غير مأجور عليها والاقبال على الحق نعمة وانت مشكور
عليها فالمغبون من ترك ما يشكر عليه ويؤثر ما لا يؤجر عليه الم يعلموا انه اى الشان
من يحادد الله ورسوله اى يشاققهما ويخالفهما فان له نار جهنم خالدا فيها
على حذف الخبر اى فحق ان له نار جهنم ذلك الخزى العظيم اى العذاب المقيم
وافاد الاستاذ انه يعجل عقوبته فى الحال بالفرقة وفى المآل بالخلود فى الحرقة يحذر
المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما فى قلوبهم تخبرهم بسرائرهم
وتكشف على استارهم قل استهزؤا امر تهديد ووعيد شديد ان الله مخرج
ما تحذرون اى مظهر ما تحذرونه من انزال السورة واظهار السريرة ولئن سألتهم
اى عن سبب استهزائهم ليقولن انما كنا نخوض اى فى الكلام ونلعب فى مقام المزاح قل ابالله
وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن توبيخ على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء فى حقهم
وسبب نزوله ان ركبا من المنافقين مروا على رسول الله عليه السلام فى غزوة
تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات
فاخبر الله به نبيه فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا فى شىء من امرك وامر
اصحابك ولكن كنا فى شىء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض عناء السفر فنزل
فى حقهم ان السفر قطعة من السقر لا تعتذروا اى لا تشتغلوا باعتذاراتكم المؤكدة
بايمانكم قد كفرتم بعد ايمانكم اى اظهرتم الكفر الذى فى بطونكم بعد اظهاركم الايمان بالسنتكم
ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم فى الالتجاء او لتجنبهم عن الايذاء
والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين اى مصرين على النفاق او
مقدمين على الشقاق وقرأ عاصم بالنون فيهما على صيغة المعلوم ونصب طائفة
الثانية وافاد الاستاذ انه سبحانه جرد العفو والعذاب عن علة الجرم وسبب الفعل
من العبد حيث احال على المشيئة اذ لو كان الموجب لعفوه وتعذيبه صفة العبد
لسوى بينهم عند تساويهم فى الوصف فلما اشتركوا فى الكفر بعد الايمان وعفا عن بعضهم
وعذب بعضهم دل على انه يفعل ما يشاء ويختص من يشاء بما يشاء اقول هذا ان كان
المراد عذاب الدنيا فهو ظاهر وان كان عذاب العقبى فصرف بعضهم عن الكفر دون بعض انما
هو من باب الفضل والعدل ولا يسأل عما يفعل فتأمل فانه موضع زلل وخطل ومحل جل وخلل

المنافقون

المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض متشابهة فى النفاق كابعاض الشىء الواحد
فى الوفاق يأمرون بالمنكر بالكفر والمعصية وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة
ويقبضون ايديهم عن الصلة والمبرة وقبض اليد كناية عن الشح والخسة نسوا الله اى
اغفلوا ذكره وتركوا شكره فنسيهم اى تركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم
الفاسقون الكاملون فى الخروج عن دائرة الخير والاحسان حيث صدرت صفاتهم على
خلاف نعوت اهل الايمان قال ابو بكر الوراق يستر المنافق على عوراته والمؤمن مرآة
المؤمن يبصره عيوبه ويدله على سبيل نجاته وقال سهل نسوا نعم الله عندهم فانسيهم
شكر النعمة لهم وافاد الاستاذ ان المؤمن بالمؤمن يتقوى والمنافق بالمنافق
يتعاضد وطير السماء على الافها تقع فالمنافق لصاحبه اس به قوامه واصل به
قيامه يعينه على فساده ويعمى عليه طريق رشاده والمؤمن يبصر المؤمن ويبصره عيوبه
ويبغض لديه ويقبح فى عينيه ذنوبه فهو على السداد يحفظه ومن الفساد ينقذه
ومعنى يقبضون ايديهم لا ينفقون فى سبيل الله ولا يجدون فى اعانة
عباد الله ولا يأخذون بايدى الضعفاء لاجل الله ثم لا يرفعون ايديهم
فى طلب الحوائج الى الله نسوا الله فنسيهم اى جازاهم على نسيانهم وتركوا
طاعته واثروا المخالفة فتركهم وما اختاروه لانفسهم قال الكلبى وتركهم
فى ظلمات لا يبصرون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار اى سائر
الكفار الفجار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فى دار البوار هى حسبهم
اى عقابا وجزاء وفاقا ولعنهم الله ابعدهم عن رحمته وطردهم عن جنته
ولهم عذاب مقيم وحجاب جسيم كالذين من قبلكم اى انتم كمن قبلكم او فعلكم
مثل ما فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم اى فى انفسهم او شوكة وغلبة
فى جاههم واكثر اموالا واولادا اى اتباعا واحفادا والجملة بيان لتشبيههم
بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم الذى خلق لهم
من ملاذ الدنيا فاستمتعتم بخلاقكم اى على طبق اخلاقهم كما استمتع الذين
من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الناقصة من الشهوات
الفانية واشتغالهم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذات
الحقيقية الباقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء سيرتهم
واتباع طريقتهم وخضتم اى دخلتم فى الباطل واستغرقتم فيما لا طائل
كالذى خاضوا اى كالفوج الذى خاضوا اى كالخوض الذى خاضوه
اولئك حبطت اعمالهم الصورية فى الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها
ثوابا لا فى الدنيا ولا جزاء فى العقبى واولئك هم الخاسرون الذين
خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة وحالة الندامة الم يأتهم نبأ الذين

من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود عوقبوا
بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واصحاب مدين اى اهله وهم قوم شعيب
اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات اى قرى قوم لوط ائتفكت بهم
وانقلبت عليهم فصارت عاليها سافلها وامطروا عليها حجارة من
سجيل منضود مسومة اتتهم اى كلهم رسلهم بالبينات اى بالمعجزات الواضحات
والحجج الظاهرات فما كان الله ليظلمهم اى لم يكن من عادته سبحانه ما يشابه
ظلم الناس كالعقوبة من غير الجريمة ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها
للعقاب ووقعوا فى ظلمة الحجاب وقال الاستاذ اى الم ينته اليهم
خبر القرون الماضية وانباء الامم الخالية كيف دمرنا جميعهم وكيف بددنا
شملهم وقضينا فيهم بالعدل وحكمنا عليهم باستئصال الكل فلم نبق فيهم
نافخ نار ولم يحصلوا الا على عار وشنار والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض قال ابو عثمان المؤمنون يتعاونون على العبادة ويتبادرون الى الطاعة
وكل واحد منهم يشد ظهر صاحبه ويقيم على سبيل مرضاة ربه كما قال صلى الله عليه
وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا يأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله فى سائر انواع
العبادة فهم كاملون مكملون فى امر الطاعة وطريق اهل السعادة اولئك
سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة لوقوع الحالة او اراد الرحمة الخاصة الواقعة
بهم يوم القيمة ان الله عزيز غالب فى حكمه حكيم فى صنعه وافاد الاستاذ ان المؤمنين
يعين بعضهم بعضا على الطاعات ويتواصون بينهم بترك المحظورات فتحابهم
فى الله وقيامهم بحق الله وصحبتهم لله وعداوتهم لاجل الله تركوا حظوظهم لحق الله
وآثروا على هواهم رضاء الله اولئك الذين عصمهم الله فى الحال
وسيرحمهم فى المآل وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس المطمئنة ويطيب فيها المعيشة
وفى الخبر انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر فى جنات عدن اى بساتين
اقامة ونزهة دائمة وعنه عليه السلام عدن دار الله لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر
لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى
لمن دخلك ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل كرامة وسعادة والمؤدى الى حصول
الوصول والفوز باللقاء والزيادة وفى الحديث ان الله تعالى يقول لاهل الجنة
هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول
انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واى شئ افضل من ذلك قال احل لكم رضوانى
فلا اسخط عليكم ابدا ذلك الرضوان هو الفوز العظيم الذى يستحقر دونه كل النعيم

وافاد الاستاذ

وافاد الاستاذ انه سبحانه وعدهم جميعهم الجنة ومساكن طيبة ولا يطيب المسكن الا
برؤية المحبوب وكل محب يطيب مسكنه برؤية المحبوب ولكنهم يختلفون فى الهمم فمن مربوط
بحظ مردود الى خلق ومن مجذوب الى الحق موصول بحق وفى الجملة الامر كما قيل ٭
اجيراننا ما اوحش الدار بعدكم ٭ اذا غبتم عنها ونحن حضور ٭ ويقال قوم يطيب مسكنهم
بوجود عطائه وقوم يطيب مسكنهم بشهود لقائه ثم امارة اهل الرضوان وجدان طعمه
نقدا فهو فى روح الانس وروح الانس لا يتقاصر عن راحة دار القدر بل هو اتم واعظم
والله اعلم يا ايها النبى جاهد الكفار بالسيوف الحادة والمنافقين باقامة الحدود
والزام الحجة واغلظ عليهم يوم المحاباة والملاينة ومأواهم جهنم وبئس المصير مصيرهم دار
العقوبة وافاد الاستاذ انه سبحانه دعا الخلق كافة الى حسن الخلق ودعا نبينا
عليه السلام عن حسن الخلق قال لموسى عليه السلام فقولا له قولا لينا وقال لنبينا عليه السلام
واغلظ عليهم اقول وذلك لان موسى عليه السلام كان يغلب عليه صفة الجلال
فامر بالتليين والتهوين لحصول الاعتدال وكان نبينا عليه السلام يغلب عليه نعت
الجمال فامر بالتغليظ والتشديد لوصول الكمال ونظيره انه عليه السلام امر الصديق
برفع بعض الصوت فى القراءة والفاروق بخفض بعضه فى تلك الحالة بناء على هذه
الحكمة الجلية والنكتة العلية ثم قال ويقال انما قال هذا بعد اظهار الحجة لما ازاح عذرهم
بايام المهلة ففى الاول امرهم بالرفق حيث قال قل انما اعظكم بواحدة فلما اصروا
واستكبروا امره بالغلظة فان المجاهدة اولها باللسان بشرح البرهان وايضاح
الحجج والبيان ثم ان حصل من العدو جهد بعد ازالة العذر فبالوعيد والزجر فان لم ينجع
الكلام ولم ينفع الملام فالقتال والحراب وبذل الوسع فى هذا الباب يحلفون بالله
ما قالوا روى انه عليه السلام اقام فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب
المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من
الحمير فبلغ رسول الله عليه السلام فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب
الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وهى شتمهم فى امر دينهم وكفروا بعد
اسلامهم اى اظهروا الكفر بعد اظهار ايمانهم وهموا بما لم ينالوا من قتله عليه السلام
وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه من راحلته الى الوادى
اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها
يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح
فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او من اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او
ما سولت لهم انفسهم انه يخرج الاعز منها الاذل وقال الاستاذ تمنوا زوال الاسلام
فابى الله الا اعلاء امرها بالاتمام وما نقموا اى ما انكروا الا ان اغناهم الله
ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة قبل الهجرة النبوية كانوا محاويج فى ضنك

من جهة المعيشة فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر مالهم بالغنيمة مع زيادة النماء
والبركة والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او اشمل التعاليل فان يتوبوا يك اى
التوب من الحرب خيرا لهم فى الدارين وان يتولوا بالاصرار على فعل الكفار يعذبهم الله عذابا
اليما فى الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم فى الارض من ولى يلى امرهم بان ينفعهم
ولا نصير ينصرهم بدفع الضرر عنهم ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله
لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت فى ثعلبة بن حاطب اتى النبى عليه السلام
وقال ادع الله ان يرزقنى مالا فقال عليه السلام قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه
فراجعه فقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له
فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة
والجمعة فسأل عنه رسول الله عليه السلام فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة
فبعث رسول الله عليه السلام مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم
ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذى فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية
ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيى فلما رجعا قال لهما رسول الله عليه السلام
قبل ان كلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت هذه الآية فجاء ثعلبة بالصدقة فقال
عليه السلام ان الله منعنى ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على رأسه فقال هذا عملك
امرتك فلم تطعنى فقبض رسول الله عليه السلام فجاء بها الى ابى بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر
فلم يقبلها وهلك فى زمان عثمان فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه
وتولوا اعرضوا عن طاعة الله بسببه وهم معرضون اى والمنافقون قوم عادتهم
الاعراض ودأبهم حصول الاعواض ووصول الاغراض سئل ابو حفص عن البخل فقال
ترك الايثار عند الحاجة والاضطرار وقال حمدون من رأى لنفسه ملكا فقد بخل لانه يقصر
عنه ايدى الآخرين كذا فى تفسير السلمى وافاد الاستاذ ان ثعلبة تطلب احسان ربه
وتقرب اليه بابرام عهده فلما حقق الله سؤله وصدق مأموله فسخ ما ابرمه وانسلخ عما
التزمه واستولى عليه البخل فضن باخراج حقه فلحقه شؤم النفاق بما بقى الى الابد فى
اسره وحد البخل على لسان العلم منع الواجب وبخل كل احد على ما يليق بحاله وكل من
اثر شيئا من دون رضاء ربه فقد اتصف ببخله فمن بخل بماله فيزول البركة عنه
حتى يؤول الى وارث او يزول بحادث ومنهم من بخل بنفسه فتقاعس عن طاعته
فيفارقه الصحة حتى لا يستمتع بحياته والذى بخل بروحه عنه عوقب بالخذلان حتى يكون
حياته سبب شقائه فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم اى فجعل الله عاقبة فعلهم سوء
اعتقاد فى صدورهم او فاورثهم نفاقا متمكنا فى قلوبهم الى يوم يلقونه اى الله
بالموت او عملهم بمعنى جزاءه وهو يوم القيامة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم اياه
ما وعدوه من التصدق والتصديق وصلاح اعمالهم وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين

فيه وفي عبرة

فيه وفي عبرة وافاد الاستاذ ان من نقض العهد فى نفسه رفض الود من اصله وكل
من اظهر فى الجملة خيرا واستبطن شرا فقد نافق بقسطه والمنافق فى الصف الاخير
فى دنياه وفى الدرك الاسفل من النار فى عقباه الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ما اسروه فى
انفسهم ونجواهم وما يتناجون فيما بينهم وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شىء
من الغيوب فقد خوفهم بعلمه كما خوفهم فى مواضع بفعله الذين يلمزون المطوعين اى
يعيبون المتطوعين من المؤمنين فى الصدقات ان كانت قليلة او جزيلة روى
انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الله بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لى
ثمانية آلاف فاقرضت ربى اربعة وامسكت لعيالى اربعة فقال رسول الله بارك الله
لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف
الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل
الانصارى بصاع تمر فقال بت ليلتى اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى
وجئت بصاع فامره رسول الله عليه السلام ان ينثره على الصدقات فلمزهم
المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله
لغنيين عن صاع ابى عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات
فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم اى وسعهم وطاقتهم ووجدهم فيسخرون
منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم ولهم عذاب اليم على كفرهم
ومعصيتهم وافاد الاستاذ ان قليل اهل الاخلاص فى الوفاق افضل من كثير اهل
النفاق قلت وقد ورد سبق درهم الف درهم ثم قال ولما احتقروا المسلمين
بسخريتهم وصفه سبحانه بما يستحيل بما وصفه على التحقيق من السخرية باحد تطييبا
لقلوب اوليائه وان تقدس عن ذلك لعزه وكبريائه استغفر لهم او لا تستغفر لهم
يريد به التساوى بين الامرين فى عدم الافادة لهم فى الدارين كما اوضحه بقوله ان تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله روى ان عبد الله بن عبد الله بن ابى وكان من المخلصين
سأل رسول الله عليه السلام فى مرض ابيه ان يستغفر له النبى النبيه فقال عليه السلام
لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن
يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل
فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون
التحديد وقد شاع السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها فى التكثير لاشتمال
السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله
فيه تنبيه على ان يأسهم من المغفرة عنهم وعدم قبول استغفارك لهم ليس
لبخل منا ولا لقصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عن
عن تجاوزتهم والله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة

المتمردين في المخالفة وافاد الاستاذ ان من غلبته شقوته لم ينفعه نفرعه ودعوته ويقال صريع القدرة لا ينعشه الجهد والحيلة فرح المخلفون بمقعدهم بقعودهم عن الغزو خلاف رسول الله اي خلفه او لمخالفته وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثار الدعة والسعة على العبادة والطاعة بخلاف المؤمنين حيث احبوا المجاهدة ببذل المال والمهجة وقالوا للمؤمنين او لبعض الآخر من المنافقين لا تنفروا في الحر اي في شدة الحرارة وكثرة الغبرة قل نار جهنم اشد حرا فينبغي دفعها في العقبى بالمجاهدة في الدنيا لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها ومقرهم عليها تركوا ما بهم من ايثار الدعة على الطاعة مع ان الدنيا في جنب طول القيمة كساعة وقال الاستاذ استفزهم سرورهم بتخلفهم ولم يعلموا ان ثبورهم في تأخرهم وما اثروه من راحة نفوسهم على اداء حق الله والخروج في صحبة رسول الله نزع الله الراحة منهم بما عاتبهم وسيصلون سعيرا في الآخرة بما قدموه من نفاقهم وعاقبهم فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اخبار عما يؤول اليه امرهم في الدنيا والاخرى وقد اخرج على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب الوقوع وافاد الاستاذ انه سبحانه يبدل حبرتهم بحسرة وفرحتهم بترحة وراحتهم بعبرة حتى يكثر بكاؤهم في العقبى كاكثر ضحكهم في الدنيا وذلك جزاء من كفر بربه وعصى فان رجعك الله الى طائفة منهم اي ردك الى المدينة وفيها طائفة المتخلفين من المنافقين فان بعضهم كانوا المؤمنين او من بقي منهم على حيانه او على نفاقه فان منهم من مات ومنهم من تاب فاستأذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة وهي الخرجة الى غزوة تبوك والجملة تعليل لما قبله وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم لتخلفهم فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنسوان والاولاد وقد قال الفرزدق • دع المكارم لا ترحل لبغيتها • واقعد فانك انت الطاعم الكاسي • وافاد الاستاذ انه سبحانه يقول بعد ما ظهرت خيانتهم وشقاقهم وتقرر كذبهم ونفاقهم لا تنخدع بتملقهم ولا تثق بقولهم ولا تمكنهم من صحبتك فيما يظهرونه من وفاقك واذا وهى سلك العهد فلا يحتمل بعده الشد واذا اتسع الخرق بعده الرقع ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله عليه السلام في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم او لانه كان مكافاة لالباسه العباس

قميصه حين اسر ببدر او لانه لم يمنعه عن عذابه بخلاف الصلوة عليه بالدعاء والاستغفار منه عليه السلام فانه مظنة للمغفرة ومئنة لاستحقاق الرحمة وقد طلب مريد من ابي يزيد ان يعطيه فروته ليتكفن به فقال له لو لبست جلدي ما نفعك الا بتبعتي ولا تقم على قبره ولا تقف عليه حال دفنه او وقت زيارته لعدم منفعة دعوته انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي عما تقدم ذكره ولا تعجبك اموالهم واولادهم اكتفي هنا بنفي زيادة للتاكيد لما تقدم فيه من المزيد انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون وفيما سبق ليعذبهم ايماء الى المجاز بعد الاطناب وقد كرر للتاكيد في هذا الباب وجوز ان يكون هذه في فريق غير الاول وهو اقرب الى الصواب وافاد الاستاذ انه سبحانه يقول لا تستحسن ان تمكين اهل النفاق من تنفيذ مرادهم وتكثير اموالهم واولادهم اسداء معروف منا اليهم او اسباغ انعام من لدنا عليهم انما ذلك مكرهم واستدراج لهم واهمال لا اهمال وسيلقونه غبه عن قريب في المآل واذا انزلت سورة اي كلها او بعضها ومنها ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم ذووا الفضل في المال والسعة في رخاء الحال وقالوا ذرنا دعنا في الدعة نكن مع القاعدين بحسب الضرورة ووفق المعذرة قال الاستاذ اولئك الذين خصهم الله بخذلانه وصرف قلوبهم عن ابتغاء رضوانه رضوا بان يكونوا مع الخوالف جمع خالفة وهن النسوان ولعل فيه تغليبا لهن على الصبيان وطبع على قلوبهم اي ختم لهم بالشقاوة فهم لا يفقهون ما في المجاهدة موافقة رسول من السعادة وما في التخلف عنه من فوت الزيادة وافاد الاستاذ انهم ابعدوا عن بساط الطاعة واستطابوا الدعة ورضوا بالتعريج في اوطان الفرقة ومنازل الحرقة ولو انهم رجعوا الى الله بصدق الندم لقابلهم ربهم بالفضل والكرم ولكن القضاء غالب والامر لازب لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء الاغنياء فقد جاهد سيد الانبياء مع اصحابه الاصفياء واولئك لهم الخيرات النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في العقبى واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب العليا او بلقاء المولى وقال الاستاذ ليس من اقبل كمن صد ولا من قبل امره كمن رد ولا من وحد كمن جحد ولا من عبد كمن عند ولا من اتى كمن ابى فلا جرم ربحت تجارتهم وجلت رتبتهم اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية والنعيم المقيم وافاد الاستاذ ان الآية تشير الى ان راحاتهم في المآل موعودة فتدل على ان الالام والاتعاب في الحال لهم موجودة مشهودة ويقال صادق يقينهم بالثواب يهون عليهم مقاساة ما يلقونه في الوقت من الاتعاب وجاء المعذرون اي المقصرون

من الاعراب كاسد وغطفان ليوذن لهم حيث استاذنوا فى التخلف معتذرين
بقلة المال وكثرة العيال وكان اعتذارهم تكلفا لقوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله
ورسوله فى دعوى الاعتذار سيصيب الذين كفروا اى صروا على كفرهم منهم عذاب
اليم وحجاب جسيم ليس على الضعفاء كالهرمى والزمنى ولا على المرضى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون كالفقراء حرج اثم فى التأخر عن المجاهدة اذا نصحوا لله ورسوله
اى خلصوا لهما بالايمان والطاعة فى السر والعلانية وافاد الاستاذ ان فتنة
الفقر تظهر عند سقوط الامر ولو لم يكن فى القلة خير الا هذا لكفى لهما بذلك فضيلة
بقوا فى اوطانهم لم يتوجه عليهم بالجهاد امر ولا بمفارقة المنازل امتحان وخير
اكتفى منهم بنصيحة القلب واعتقاد ان لو قدروا لخرجوا واصحاب الاموال انحوا
اليوم بجمعها ثم بحفظها ثم ملكتهم محبتها حتى شق عليهم الغيبة عنها ثم يتوجه
اللوم عليهم فى ترك انفاقهم ثم ما يعقبه غدا من الحساب والعذاب يربى على الجميع
ما على المحسنين من سبيل ليس عليهم جناح ولا تبعة والله غفور للمسئ فكيف
للمحسن رحيم بجنس المؤمن قيل المحسن من راى احسان الله اليه ولا يرى لنفسه احسانا
ذكره السلمى وافاد الاستاذ ان المحسن هو الذى لا يكون للشرع منه مطالبة لا فى حق الله
ولا فى حق الخلق حتى لو كان طرفى حكمه ومقصرا فى امره لم يكن محسنا فى نفسه ولا على الذين
اذا ما اتوك لتحملهم اى لتعينهم بدابة ونحوها فى سفرهم قلت لا اجد ما احملكم عليه جملة
حالية من المفعول فى اتوك بتقدير قد وجواب اذا قوله تعالى تولوا واعينهم تفيض
من الدمع اى تسيل دمعها فان من للبيان وهى مع المجرور فى محل النصب على التمييز وهو
ابلغ من تفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب
على العلة الا يجدوا لئلا يجدوا متعلق بحزنا او تفيض ما ينفقون فى سبيل مرضاة
ربهم والمراد بهم البكاؤن وهم سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله
ابن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا
رسول الله عليه السلام نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرفوعة والنعال المخصوفة نغز
معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم ابو موسى واصحابه وامرهم كما قال قائلهم
قال لى من احب والبين قد جد • ودمعى موافق لشهيقى • ما ترى فى الطريق تصنع بعدى
قلت ابكى عليك طول الطريق • انما السبيل اى باللوم والمعاتبة على الذين يستاذنونك
اى بلا معذرة وهم اغنياء واجدون الاهبة والمكنة ولهم الاستطاعة والقدرة
فان من صدق فى الولاء لم يحتشم من مقاساة العناء والذى هو فى الولاء ممازق
وللتصدق مفارق يتعلق بما لا اصل له لانهم حرم الخلوص فيما هؤلاء اهل له وكذا الملول
اذا اراد قطيعة مل الوصال وقال كان وكانا رضوا بان يكونوا مع الخوالف استئناف
بيان لما هو سبب استيذانهم من غير علة وهو رضاهم بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف

ايثار

ايثار الدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبة
المعتبة وقال الاستاذ قيل فى تعيير مع الخوالف مع النساء فى البيت دلالة حث
على الشجاعة وذم الجبن ان الله تعالى يحب الشجاع ولو على قتل حية وفى معناه انشدوا
كتب القتل والقتال علينا • وعلى المحصنات جر الذيول • ومن استوطن مركب الكسل
والكسل لباس الفشل وركن الى مخاريق الحيل فلا جرم حرم استحقاق القربة ومن اراد الله
تعالى هوانه واذاق خذلانه فليس له عن حكم الله مناص ولا عن عذابه خلاص يعتذرون
اليكم فى التخلف عنكم اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة لديهم قل لا تعتذروا بالمعاذير
الكاذبة منكم لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اى اخبرنا
باخباره بالوحى الى نبيه بعض اخباركم وهو الشر والفساد مما فى اسراركم وسيرى الله
عملكم ورسوله فكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اى السر
والعلانية فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم على اعمالكم بحسب احوالكم تحت آمالكم سيحلفون بالله لكم اذا
انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم بان لا تعاتبوه وتقبلوا العذر منهم فاعرضوا عنهم بعدم
توبيخهم واظهار تفضيحهم انهم رجس وماويهم جهنم لا ينفع فيهم التعيير فان المقصود منه
التطهير بالحمل على الانابة وقبول التعيير وهؤلاء كانهم عين النجاسة فلا يتصور فيهم الطهارة
فالجملة علة الاعراض وترك المعاتبة جزاء بما كانوا يكسبون نصبه على المصدر او العلة يحلفون
لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تصنعون بهم فان ترضوا عنهم
اى فرضا وتقديرا فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين فان رضاكم لا يستلزم
رضا الله ورضاءكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط ربهم والمقصود من الآية
النهى عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض عنهم وعدم الالتفات
نحوهم وافاد الاستاذ ان من كان مسخوط الحق لا ينفعه ان يكون مرضى الخلق وليس العبرة
بقبول غير الله انما المدار على ما سبق من السعادة فى حكم الله الاعراب اى سكان
البادية اشد كفرا ونفاقا من اهل القرية لتوحشهم وقساوتهم وغلظتهم وعدم
مخالطتهم لاهل العلم والمعرفة وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر ان
يعلموا واحق بان لا يعرفوا حدود ما انزل الله على رسوله من تفاصيل الشريعة
والله عليم يعلم حال اهل الوبر والمدر حكيم فيما خلق ودبر ومن الاعراب
من يتخذ ما ينفق اى يعد ما يصرفه فى سبيل الله مغرما اى غرامة وخسارة حيث
لا ينفقه الا رياء وتقية ولا يحتسب له عند الله اجرا ومثوبة ويتربص بكم
الدوائر اى ينتظر لكم دوائر الزمان لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الهوان
عليهم دائرة السوء جملة اعتراضية للدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه لهم او اخبارية
عن وقوع ما يتربصون به عليهم والدائرة فى الاصل مصدر او اسم فاعل من
دار يدور وسمى بها عقبة الزمان ونوبة الدوران والسوء بالفتح مصدر اضيف

اليه للمبالغة كقولهم رجل سوء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بضم السين هنا وفي ثاني
سورة الفتح والله سميع لمقالهم عليم باحوالهم ومن الاعراب من يؤمن
بالله واليوم الآخر فليسوا سواء في السرائر ويتخذ ما ينفق قربات هي ثاني مفعولي
يتخذ اي سبب قربات عند الله صفتها او تتعلق بعاملها وصلوات الرسول
اي وسبب دعواته لانه كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك للمصدق وهو آخذ
الصدقة ان يدعو للمتصدق عند اخذ الصدقة الا انها اي النفقة قربة لهم شهادة
من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم وقرأ ورش بضم الراء سيدخلهم الله
في رحمته اي مكان رحمة من جنته والسين لتحقيق قضية ان الله غفور رحيم لتقرير
محبة التي هي موجبة رحمة ونعمة والسابقون الاولون من المهاجرين وهم الذين صلوا
الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة
العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين او الذين آمنوا
حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير والذين اتبعوهم باحسان يعني اللاحقين
بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى قيام الساعة رضي الله
عنهم بتوفيق الطاعة وقبول العبادة ورضوا عنه بما نالوا من النعمة الدينية وقال
ابن عطاء السابق من سبق له في الازل من الحق حسن العناية وقد ظهر عليه في وقت
الايجاد انوار تلك السابقة ذكره السلمي وقال الاستاذ السابقون مختلفون فمن سابق
بصدق قدمه ومن سابق بصدق همه ويقال السابق من ساعدته القسمة بالتوفيق
واسعدته القضية بالتحقيق فبسبق عنايته بهم سبقوا بطاعته لهم واقول ولعل هذا
المعنى هو المراد بقوله سبحانه السابقون السابقون اولئك المقربون ويقال
جمع الرضا ضيفهم السابق منهم واللاحق بهم ويقال ليس اللاحق كالسابق فالسابق
في روح الطرب واللاحق في مقاساة التعب ومعاناة النصب حال الطلب ويقال
رضاهم عن الله قضية رضي الله عنهم ولولا انه رضي عنهم في ازاله والا لما وصلوا الى
رضاهم عنه في آباده واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والحظ الجسيم والنعيم المقيم وممن حولكم اي حول
بلدتكم المكينة وهي المدينة السكينة من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة اي قوم
من سكانها مردوا على النفاق اي اصروا واستمروا على ترك الوفاق ودوام النفاق
لا تعلمهم اي لا تعرفهم باعيانهم نحن نعلمهم نطلع على سرائرهم وضمائرهم والمعنى ان قدروا
ان يلبسوا عليكم لم يقدروا ان يلبسوا علينا وقال الاستاذ تشاكل المخلص المنافق
في الصورة فلم يتميزا بالجنس والمباني وان تباينا في الحقائق والمعاني سنعذبهم
مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك البنية
فان مرض المؤمن كفارة ومرض المنافق عقوبة او باتعاب ابدانهم بكثرة الطاعة

وعدم المؤنة

وعدم المثوبة ثم يردون الى عذاب عظيم وحجاب من كريم وآخرون اعترفوا بذنوبهم
ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة لهم وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا
انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله عليه السلام فدخل
المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا انهم لا يحلوا انفسهم
حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وقال الاستاذ
ان اتصفوا بعيوبهم فلقد اعترفوا بذنوبهم والاقرار يؤكد الحقوق فيما بين الخلق في
شاهد الحكم ولكن الاقرار بحق الله سبحانه يوجب اسقاط الجرم في مقتضى سنة
كرم الحق سبحانه وفي معناه انشدوا ۰ قيل لي قد اساء فيك فلان ۰ وجلوس الفتى
على الضيم عار ۰ قلت قد جاء فاحسن عذراه ۰ دية الذنب عندنا الاعتذار ۰
خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا اي خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندامة
والاعتراف بالخطية بعمل آخر سيء هو التخلف وموافقة اهل المخالفة والواو
بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما وللدلالة على ان كل واحد
منهما مخلوط بالآخر وهذا هو الاظهر فتدبر عسى الله ان يتوب عليهم اي يرجع بالرحمة
اليهم فيقبل توبتهم ويغسل حوبتهم وفيه ايماء الى ان اعترافهم كان مقرونا
بالندامة مع العزم على تابيد ترك تلك الجناية ان الله غفور لمن تاب رحيم
لمن آب الى الباب وقال الاستاذ ان في قوله تعالى وآخر سيئا بعد قوله
عملا صالحا دليل على ان الزلة لا تحبط ثواب الطاعة اذ لو احبطته لم يكن
العمل صالحا ويؤكد ذلك قوله تعالى عسى الله ان يتوب عليهم وعسى كما قيل
من الله واجب وقد يجب من الله الشيء ولا يجب عليه شيء فيجب منه لان
قوله صدق فاذا اخبر انه يفعل شيئا يجب ان يفعل ويقال قوله خلطوا
عملا صالحا يحتمل ان معناه انهم يتوبون والتوبة عمل صالح وقوله وآخر سيئا
يحتمل انه نقضهم التوبة فيكون الاشارة في قوله عسى الله ان يتوب عليهم
الى انهم ان نقضوا توبتهم وعادوا الى ما تركوه من زلتهم فواجب منا
ان نتوب عليهم فلئن بطلت بنقضهم توبتهم لما اخلت بفضلنا توبتنا
عليهم خذ من اموالهم صدقة لتشهد على صدق احوالهم روي انهم لما اطلقوا قالوا
يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها فطهرنا عنها فقال ما امرت
ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم اي عن الذنوب او حب المال المؤدي
بهم الى العيوب وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين
ودرجاتهم وصل عليهم اي ادع لهم واستغفر لذنبهم ان صلوتك وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالتوحيد سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد
المدعو لهم وافرادها لارادة جنسها الشامل لكلهم والله سميع لاقوالهم عليم باحوالهم

قال رويم تطهر قلوبهم وتزكي انفسهم وصلّ عليهم اي ادع لهم فان دعاءك يكون
سكوناً لهم الى العقبى وانقطاعاً بهم عن الدنيا ذكره السلمي وقال الاستاذ تطهرهم من
طلب الاعواض عليها وتزكيهم عن ملاحظتهم اياها او تطهرهم عن شح نفوسهم وتزكيهم بها بان
لا يتكثروا باموالهم بل يتعززون بالتجرد عنها ويرون اعظم منة الله عليهم بوجدان
التجرد منها وقوله ان صلواتك سكن لهم اي انتعاشهم بهمتك معهم اتم لهم من استقلالهم
باموالهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد
بصدقاتهم واما لغيرهم والمراد به التحضيض على التوبة وعدم الشك في قبولها بعد حصول
شرائط الصحة والهمزة استفهام تقرير واعلام تحرير فكانه قال اعلموا ان الله هو
يقبل التوبة عن عباده اي بالتجاوز عن السيئات والتبديل بالحسنات ويأخذ الصدقات
اي يقبلها ليزيد لهم في الدرجات ويقربهم الى علو الحالات والمقامات وان الله هو التواب
اي بتوفيق التوبة وقبولها الرحيم بثبوتها بعد حصولها وافاد الاستاذ انه سبحانه
تمدح بقبول توبة العاصين اذ به يظهر كرمه كما تمدح بجلال عزه ونبههم على ان يعرفوا به جلاله
وقدمه وكما توحد باستحقاق كبريائه وعظمته تفرد بقبول توبة العبد عن جرمه وزلته فكما لا شبيه له
في جلاله وجماله لا شريك له في افضاله واقباله ويأخذ الصدقات قلت او كثرت فقدر الصدقة
وخطرها باخذه لها لا بكثرتها وقلتها قلت في الصورة صدقتهم ولكن لما اخذها وقبلها
جلت بقبوله لها كما قيل يكون اجاجاً دونكم فاذا انتهى اليكم تلقى طيبكم فيطيب وقل اعملوا
ما شئتم خيراً او شراً فسيرى الله عملكم خيراً او شراً ورسوله والمؤمنون اطلاعه سبحانه
اياهم على الاعمال كما رأيتم ويتبين لكم من الاحوال وستردون الى عالم الغيب والشهادة
يرجعكم عند الموت اليه فينبئكم بما كنتم تعملون حين المجازاة عليه قيل اعمل واصلح العمل
واخلص النية فان الله يبصرك واضميرك والرسول يراه رؤية المشاهدة والمؤمنون يرون
رؤية الفراسة قال تعالى ان في ذلك لآيات للمتوسمين ذكره السلمي ويؤيده حديث اتقوا فراسة
المؤمن فانه ينظر بنور الله عز وجل وافاد الاستاذ انه سبحانه خوفهم برؤيته تعالى اعمالهم فلما
علم ان فيهم من يتقاصر حالته عن الاحتشام لاطلاع الخلق قال ورسوله ثم قال لمن نزلت
رتبته والمؤمنون وقد خسر من لا يمنعه الحياء ويردعه الاحتشام وسقط عن عين الله من
هتك جلباب الحياء كما قيل • اذا قل ماء الوجه قل حياؤه • ولا خير في وجه اذا قل ماؤه
ومن لم يمنعه الحياء عن تعاطي المكروهات في العاجل سيلقى غب ذلك خسرانه عن
قريب في الآجل وآخرون من المتخلفين مرجون وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص
مرجون بترك الهمزة وهما لغتان اي مؤخرون وفي امرهم موقوفون لامر الله في شأنهم
باحد الكلمتين اما يعذبهم ان اصروا واما يتوب عليهم اي يرحمهم ان تابوا والترديد
بالنسبة الى العبيد وفيه دليل على كلا الامرين بارادة المريد والله عليم باحوالهم كلهم حكيم
فيما يفعل بهم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك هلال بن الربيع ومرارة بن الربيع يجمع اوائل اسمائهم

ووقفة

ووقف مكة لاجل ايانهم وسيأتي قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا تتمة احوالهم وافاد
الاستاذ انه سبحانه لم يصرح بقبول توبتهم ولم يسمهم بالياس عن مغفرتهم بل وقفوا على قدم
الحالة متميلين بين الرغبة والرهبة مترددين بين المخافة والمهابة اخبر الله سبحانه انه ان
عذبهم فلا اعتراض يتوجه عليه وان رحمهم فلا سبيل لاحد اليه وقد قال بعضهم يشبعني من الامال
وعد ومن على بتقصيري وعيد والذين اتخذوا مسجداً عطف على وآخرون مرجون او
منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو على الاستيناف ضراراً لمضارة
المؤمنين وكفراً اي وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقاً بين المؤمنين الذين كانوا
يجتمعون في مسجد قبا من المصلين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا سألوا
رسول الله عليه السلام ان يأتيهم فيصلي فيه فاتيهم فصلى فيه فحسدهم اخوانهم بنو غنم
بن عوف فبنوا مسجداً على قصد ان يؤمهم فيه ابن عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما
اتموه اتوا رسول الله عليه السلام فقالوا قد بنينا مسجداً لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة
والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك
بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد
الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل فاتخذ مكانه كناسة وارصاداً لمن حارب الله
ورسوله اي ترقباً وانتظاراً لابي عامر الراهب الذاهب الى الشام الهارب عن مقام المرام
فانه قال لرسول الله عليه السلام يوم احد لا اجد قوماً يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل
يقاتله الى يوم حنين وانهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب
بهم رسول الله ومات بقنسرين وحيداً من قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا
مسجداً من قبل ان ينافق هؤلاء المذكورون سابقاً بالتخلف لما روي انه بني قبل غزوة تبوك
فسألوا رسول الله عليه السلام ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله
صلينا فيه فلما قفل كرر عليه وليحلفن ان اردنا الا الحسنى اي ما اردنا بهذا البناء الا الخصلة
الحسنى وهي ارادة الصلوة والذكر والتوسعة على المسلمين والله يشهد انهم لكاذبون
في هذا اليمين وافاد الاستاذ من لم يكن مخلصاً ولانه لم يأنس القلب بكذبه وعنايه فتورده
بالظاهر ينادي عليه بالتوانه وتقوّبه بالتكلف شهادة صدق على عدم صفائه من لم
يكن للوصال اهلاً فكل طاعاته ذنوب لا تقم فيه ابداً لمسجد اسس على التقوى
من اول يوم من ايام وجوده احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه قال جماعة
من السلف منهم ابن عباس رضي الله عنهم انه يعني به مسجد قبا اسسه رسول الله
عليه السلام وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة وقال آخرون هو مسجد
رسول الله عليه السلام لقول ابي سعيد سألت رسول الله عليه السلام عنه فقال هو مسجدكم
هذا مسجد المدينة والقول الاول هو الاوفق للقصة والثاني هو الاصح بالقضية
فانه رواه مسلم في صحيحه ومع بيانه عليه السلام لا عبرة بقول غيره ولو كانوا من الصحابة

الكرام فان قيل لا منافاة لانه اذا كان مسجد قبا قد اسس على التقوى فمسجد المدينة بالاولى
والاحرى فليكن المراد من قوله لمسجد اى مسجد موصوف بهذه الصفة ويكون الحديث الصحيح
مبينا للفرد الاكمل منه فالجواب انه يأبى هذا الجمع ما رواه الترمذى والنسائى وغيرهما ان
رجلين تخاصما فى ان المسجد المؤسس على التقوى هو مسجد المدينة او قبا فاتيا رسول الله
عليه السلام وسألاه فقال عليه السلام مسجدى هذا الا ان فيه اشكالا حيث اتفق المفسرون
على ان قوله سبحانه فيه رجال يحبون ان يتطهروا نزل فى اهل قبا لكن يمكن الجمع بان
يقال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فما رواه الترمذى وابو داود وان هذه الآية
نزلت فى اهل قبا لا يعارض ما تقدم مما صح عنه عليه السلام والله اعلم واما ما رواه ابن جرير
عن ابى ايوب وجابر وانس ان هذه الآية لما نزلت فيه رجال يحبون ان يتطهروا قال
عليه السلام واقفا على باب مسجد قبا يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم فى الطهور
فما طهوركم الحديث فلا يدل على اختصاص اهل قبا ولا ينافى حمله على اهل مسجده من الانصار
ايضا والله يحب المطهرين اى المتطهرين من الاحداث والنجاسات او من الذنوب
والسيئات والمعنى يرضى عنهم ويقربهم تقريب المحب الى الحبيب وافاد
الاستاذ فى قوله تعالى لا تقم فيه ابدا ان المقام فى اماكن العصيان والتعرج
فى اوطان اهل الجحود والطغيان من علامة الموالاة مع اربابها وسكانها
وموالاة اصحابها وقطانها والتباعد عن مساكنهم والهجران عن من جنح الى مسالكهم
علم لمن اشرب قلبه مخالفتهم وباشر سره عداوتهم فيه رجال يحبون ان يتطهروا
اى يتطهرون عن وضر المعاصى وذلك سمة العابدين ويتطهرون عن الشهوات
والآثام وذلك سمة العابدين ويتطهرون عن الشهوات والآثام وذلك صفة
الزاهدين ويتطهرون عن محبة المخلوقين ثم عن شهود انفسهم فيما به يتصفون
وذلك نعت العارفين والله يحب المطهرين باسرارهم عن المساكنة الى كل مخلوق
او ملاحظة كل محدث مسبوق افمن اسس بنيانه اى بنيان دينه وحيطان عقيدته
على تقوى من الله ورضوان اى على قاعدة محكمة وهى التقوى وطلب رضا المولى
خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار اى على طرف بئر ساقط والمعنى على
قاعدة هى اضعف القواعد واوهنها وارخاها واوهاها فانهار به فى نار جهنم
اى فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط فى النار وقيل ضمير به راجع الى
البانى وحصل للجرف هو ما جرفه الوادى الهائر ولما جعل الجرف الهائر مجازا
عن الباطل قيل فانهار به على معنى فطاح به الباطل فى نار جهنم وقرأ ابن
عامر وابو بكر وحمزة بسكون الراء تخفيفا وقرأ نافع وابن عامر اسس
بالبناء للمفعول ورفع بنيانه والله لا يهدى القوم الظالمين الى ما فيه نجاة
وصلاح فى امر الدين وافاد الاستاذ ان المريد يجب ان يؤسس بنيانه على يقين

صادق

صادق فيما يعتقده ثم على خلوص فى العزيمة ان لا ينصرف قبل الوصول عن الطريق الذى سلكه
ثم على انسلاخه عن جميع مناه وشهواته ومآربه ومطالباته ثم يبنى بناء امره على دوام ذكره بحيث
لا يفتر من نسيانه بمنعه عن شكره ثم على ملازمة حقوق المسلمين وتقديم جمهورهم بالايثار على نفسه
والذى ضيع الاصول فى ابتدائه حرم الوصول فى انتهائه والذى لم يحكم الاساس فى بنيانه
سقط السقف على جدرانه لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة اى بناؤهم الذى بنوه مصدر
اريد به المفعول ليس بجمع ولذلك وصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة فى قلوبهم اى شكا
ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدم
الرسول عليه السلام اثر ما هنالك رسخ الشك فى قلوبهم وازداد النفاق فى صدورهم بحيث
لا يزول وسمه عنهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك
اصلا وهو فى غاية المبالغة والاستثناء من اعم الاحوال او الازمنة وقرأ ابن عامر
وحفص وحمزة تقطع بمعنى تتقطع والله عليم بخلقه حكيم فى صنعه وافاد الاستاذ
ان عروق النفاق لا تنقلع عن عرصات اليقين الا بمنجل التحقيق بصحيح البرهان فمن ايده
لادامة التيسير ووفق لمقابل البرهان وصل الى ثلج الصدور وروح العرفان ومن اقام على
معتاد التقليد لم يسترح قلبه عن كد التردد وظلمة التجويز وجولان الخواطر المشككة بالقلب ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم
واموالهم فى سبيل المحبة قال ابو عثمان اشترى من المؤمنين انفسهم كيلا يخاصموا
عنها فانها ليست لهم والانسان لا يخاصم عما ليس له كذا ذكره السلمى وافاد الاستاذ
انه لما كان من المؤمنين تسليم النفس والمال لحكم الله ومن الله الجزاء والثواب
شبه الشرى الذى فيه العوض والمعوض فلما بينهما من المشابهة اطلق الاشتراء فهو
كما قال هل ادلكم على تجارة تنجيكم وقال فما ربحت تجارتهم والا ففى الحقيقة لا يصح فى
وصف الحق سبحانه الاشتراء لانه لا مالك سواه وللمقال فى هذه الآية مجال
فيقال البائع لا يستحق الثمن اذا امتنع من تسليم المبيع ويقال لا يجوز فى الشرع ان
يبيع ويشترى شيئا واحدا ويكون واحد بايعا ومشتريا الا اذا كان ابا او جدا
وذلك لوفور الشفقة وانتفاء التهمة والتحقق بانه نظر له واحتياط فى امره وللمولى
عليه فى ذلك غبطة ولما كانت رحمة الله سبحانه بالعباد اتم ونظره لهم ابلغ واعم وكان
للمؤمن فيه ما لا يخفى من الغبطة صح تلك الصفقة وان كان حكمه لا يقاس على حكم غيره ويقال
انما قال انفسهم ولم يقل قلوبهم لان النفس محل الآفات فجعل الجنة فى مقابلتها
وجعل ثمن القلب اعلى من جنة وهو ما يخص به اولياءه فيها من عزيز رؤيته ويقال
النفس محل العيب والكريم يرغب فى شرى ما يزهد فيه غيره ويقال من اشترى شيئا
لينتفع به اشترى خير ما يجده ومن اشترى شيئا لينتفع به غيره يشترى ما رد على صاحبه
لينفعه بثمنه وفى بعض الكتب المنزلة يا ابن آدم ما خلقتكم لاربح عليكم وانما خلقتكم

لتربحوا علي وكان الشيخ ابو علي الدقاق يقول لم يقل اشترى قلوبهم لان القلب
وقف على محبته والوقف لا يشترى ويقال الطير في الهواء والسمك في الماء لا يصح شراؤه
لانه غير ممكن التسليم كذلك القلب صاحبه لا يمكنه تسليمه قال تعالى واعلموا ان الله يحول بين
المرء وقلبه وفي التورية الجنة جنتي والمال مالي فاشتروا جنتي بمالي فان ربحتم فلكم وان
خسرتم فعلي ويقال اخبر انه اشتراها لئلا يدعي العبد فيها ولا يساكنها ولا يلاحظها ولا
يعجب بها يقاتلون في سبيل الله استئناف لبيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى
الامر فيقتلون ويقتلون وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول فان الواو لا توجب
الترتيب وفعل البعض قد يسند الى الكل قال الاستاذ سيان عندهم ان يقتلوا او يقتلوا
قال قائلهم • وان دما اجريته لك شاكر • وان فؤادا رعته لك حامد • وعدا عليه مصدر مؤكد
لما دل عليه الشرى فانه بمعنى الوعد وقوله حقا نعت له في التورية والانجيل والقرآن اي
مذكورا فيهما كما اثبت في الفرقان ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وعدا وتقرير
لكونه حقا والمعنى لا احد اوفى بعهده منه فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به اي فافرحوا
به غاية الفرح والطرب فانه اوجب لكم عظيم المطلب ولذلك قال وذلك هو الفوز
العظيم فانه يشتمل على النعيم المقيم وافاد الاستاذ انه يقال لم يكن متبايع وانما اخبر
عن نفسه بقوله ان الله اشترى من المؤمنين لجعل بيعه بيعا وهذا مثل ما قال في نعت
نبينا وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهذا عين الجمع الذي اشار اليه جميع القوم التائبون
رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون الذين تابوا من الكفر وسائر
المناهي ورجعوا عن الغفلات والملاهي العابدون لله المخلصون في طريق رضاه
الحامدون اي الشاكرون للنعماء السائحون روى الحاكم في مستدركه عن ابي هريرة مرفوعا
السائحون هم الصائمون شبه الصوم بالسياحة من حيث انه يعوق عن جنس الشهوة
وقيل هم السائرون للجهاد او لتحصيل العلم في البلاد الراكعون الساجدون في الصلوة اي
المصلون الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعات والناهون عن المنكر اي عن الكفر
والسيئات وتوسيط العاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة
كانه قال الجامعون بين الوصفين او لتلازمهما باعتبار منطوقهما ومفهومهما واما
العطف في قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من العقائد والشرائع
فللتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجمل الشمائل وبشر المؤمنين الموصوفين
بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام قال بعضهم التائب الراجع الى الله
من كل ما سواه والعابد المداوم على الخدمة مع رؤية التقصير في العبودية والحامد
الذي يحمد سبحانه على الضراء والسراء والسائح الذي يسيح في طلب الاولياء
والراكع الساجد هو الخاضع لله في جميع الاحوال والآمرون بالمعروف هم
المتحابون في الله والناهون عن المنكر المتباغضون في الله والحافظون

لحدود الله

لحدود الله العاملون معه على آداب الكتاب والسنة كذا ذكره السلمي وافاد الاستاذ
انه تعالى مدحهم بعد ما اوقع عليهم سمة الاشتراء بقوله التائبون العابدون ومن
رضي بعيب ما اشتراه فليس له حق الرد ويقال من اشترى شيئا فظهر بالمبيع له
عيب فله حق الرد اذا لم يعلم العيب وقت الشراء فاما اذا كان عالما به فليس له الرد
وقد قال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين ويقال من اشترى شيئا فوجده
عيبا فله حق الرد فاذا رده رده على من اشتراه منه فالمشتري هو نفوسنا منه
سبحانه فان اراد الرد فلا يرد الا على نفسه وكان الرد اليه فلو ردنا كان الرد عليه
ثم التائبون الراجعون الى الله فمن راجع يرجع عن زلته الى طاعته ومن راجع يرجع
عن متابعة هواه الى موافقة رضاه ومن راجع يرجع عن شهود نفسه الى شهود
لطفه ومن راجع يرجع عن الاحساس بنفسه وابناء جنسه الى الاستغراق في
حقائق حقه ويقال تائب يرجع من افعاله الى تبديل احواله فيجد غدا فنون فضله
وصنوف لطفه ونواله وراجع يرجع عن كل غير وضد وند الى ربه بربه لربه بمحو
كل ارب وعدم الاحساس والخبر عن كل طلب ويقال غائب يرجع لحظ نفسه من
جزيل ثوابه او حذرا على نفسه من اليم عقابه وتائب يرجع لامره لا برجوعه اوابه وتائب
يرجع طلبا لفرح نفسه حيث نجا من اوضاره وتخلص من شؤم اوزاره واما قوله
العابدون فهم المخلصون بكل وجه للمولى الذين لا يسترقهم كرائم الدنيا ولا يستعبدهم
عظائم العقبى ولا يكون العبد عبدا له على الحقيقة الا بعد تحرره عن كل شيء حادث
في الطريقة وكل احد فهو له عبد من حيث الخلقة قال تعالى ان كل من في السموات والارض
الا آتي الرحمن عبدا ولكن صاحب العبودية عزيز بالخصوصية الحامدون الشاكرون
له على وجود افضاله المثنون عليه بشهود جلاله وجماله ويقال الحامدون بلا اعتراض على
ما يحصل بقدرته ولا انقباض عما يجب من طاعته ويقال الحامدون على منعه وبلائه كما
يحمدون على نفعه وعطائه ويقال الشاكرون له ان ادناهم والحامدون له ان اقصاهم
السائحون الصائمون ولكن عن شهود غيرته الممتنعون عن خدمة غيره المكتفون
من الله بالله ويقال السائحون الذين يسيحون في الارض على جهة الاعتبار طلبا
للاستبصار ويسيحون بقلوبهم في مشارق الارض ومغاربها بالتفكر في جوانبها
ومناكبها والاستدلال بتغيرها على منشئها ويسيحون باسرارهم في الملكوت فيجدون
روح الوصال ويعيشون بنسيم الانس المتحقق بشهود الحق ذي الجلال والكمال
الراكعون الخاضعون لله في جميع الاحوال بخمودهم تحت سلطان تجلي الجلال وفي الخبر
ان الله اذا تجلى لشيء خضع له وكما يكون في الظاهر راكعا يكون في الباطن خاشعا ففي
الظاهر لاحسان الحق اليه بحسن توليه وفي الباطن كالعيان للحق بانوار تجليه الساجدون
في الظاهر بنفوسهم على بساط العبودية وفي الباطن بقلوبهم عند شهود الربوبية والسجود

على اقسام سجود عند صحة القصود فيسجد بنعت التذلل على بساط الافتقار ولا يرفع
رأسه عن السجود الا عند تباشير الوصال وسجود عند الشهود اذا تجلى الحق لقلبه فلم ينظر
بعد الى غيره في جميع الاحوال وسجود في حال الوجود وذلك بخموده عن كليته وفنائه عن احساسه
بجميع اوصافه وجملته وهذا نهاية مقامات ارباب الكمال الآمرون بالمعروف والناهون عن
المنكر هم الذين يدعون الخلق الى الله ويحذرونهم من غيراته ويتواصون بالاقبال على الله وترك
الاشتغال بغيراته ويأمرون نفوسهم بالتزام الطاعة ويحملهم اياها على سنن الاستقامة وينهون
نفوسهم عن المنى واتباع الشهوة بترك الترخص في اوطان الغفلة وما تعودوه من المساكنة والاستنامة
والحافظون لحدود الله الواقفون حيث وقفهم الله الذين يتحركون اذا حركهم ويسكنون اذا
سكنهم ويحفظون مع الله انفاسهم ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا
اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر روي انه عليه السلام قال لعمه ابي طالب
حين حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه
فنزلت وروي انه لما فتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام باكيا فقال اني استأذنت ربي
في زيارة قبر امي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وانزل علي الآيتين
ومفهوم الآية السابقة يدل على جواز الاستغفار لاحياء الكفار فانه طلب توفيقهم للايمان
وعمل البر وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا
عن موعدة وعدها اياه اي وعدها اياه كافرا به حيث قال له لاستغفرن لك اي لاطلبن
مغفرتك بالتوفيق للايمان او لاطلبن ما تستحق به المغفرة والاحسان او وعدها ابوه
بالرجوع عن الكفران فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه فيه بانه لن
يؤمن تبرأ منه وقطع استغفاره عنه ان ابراهيم لأواه كثير التأوه والقائل آه آه
وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على اذى ابيه وسوء خلقه وافاد الاستاذ
ان اصل الدين هو التبري من الاعداء والتولي للاولياء والولي لا حميم له ولا قريب ولا
صديق له ولا نسيب ثم لما امر سبحانه المسلمين بالتبري عن المشركين والاعراض عنهم والانقباض
عن الاستغفار لهم بين ان هذا سبيل الاولياء وطريق الانبياء وان ابراهيم وان استغفر
لابيه فانما كان من قبل تحققه بانه لا يؤمن فلما علم انه عدو لله اظهر البراءة عنه وما كان الله
ليضل قوما اي ليسميهم الى الضلال ويؤاخذهم مؤاخذة الضلال بعد اذ هداهم للاسلام
وطريق اهل الكمال حتى يبين لهم ما يتقون اي خطر ما يجب اتقاؤه في جميع الاحوال ان الله
بكل شيء عليم ومنه امرهم قبل البيان وبعده فالجملة كالتتميم قال السلمي اي ما كان الله
ليضل قوما في الابد بعد اذ هداهم في الازل وافاد الاستاذ في معناه ان الله لا يحكم بضلالكم
وذهابكم عن طريق الحق باستغفاركم للمشركين الا بعد ان يبين لكم انكم منهيون عنه
فاذا علمتم انكم نهيتم عن استغفاركم لهم فاقدمتم على ذلك فح ضللتم عن الحق بفعلكم
بعد ما نهيتم عنه من استغفارهم هذا بيان التفسير والتأويل للآية والاشارة فيها ان الله

لعطائه

لعطائه الا بترك الادب منكم ويقال من اهله لبساط الوصلة ما مني بعده بعذاب الفرقة
الا لمن سلف عنه ترك الحرمة ان الله له ملك السموات والارض اي جميع
الموجودات من العلويات والسفليات يحيي ويميت وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير فتوجهوا الى الله وتبرأوا عما عداه حتى لا يبقى لكم مقصود سواه
وافاد الاستاذ ان الحق لا يتجمل بوجود مملوكاته ولا يلحقه نقص بعدم مخلوقاته فعيل
ان اوجد شيئا من الحدثان كان ملكا وملكا اكثر مبالغة من مالكا وملكه قدرته على ابداع
ما هو ملكه فالمعدوم مقدوره ومملوكه فاذا اوجده فهو في حال حدوثه مقدوره ومملوكه
فاذا عدمه خرج عن الموجود ولم يخرج عن كونه مقدورا له ثم يحيي من يشاء بعرفانه
وتوحيده ويميت من يشاء بكفره والحاده وترديده ويقال يحيي قلوب العارفين
بانوار المواصلة ويميت نفوس العابدين باثار المنازلة ويقال يحيي من اقبل عليه
بفضله ويميت من اعرض عنه لكثرة بعدله لقد تاب الله على النبي من اذن للمنافقين
للتخلف عنه في غزوة تبوك والمهاجرين والانصار اي الذين كانوا قد فرحوا معه
حين هموا بالانصراف عنه لما اصابهم العسرة من الجوع والعطش والاعياء في تلك
الغزوة والمعنى انه سبحانه وفقهم للتوبة او قبل توبتهم من تلك الحوبة وفيه توطئة
لتوبة الثلاثة وتسلية لهم في هذه البلية وايماء الى ان ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة
لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا لانه ليس احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه
من الرتبة والترقي اليه توبة من تلك النقيصة مع ما فيه من الاشارة الى اظهار فضيلة
التوبة بانها مقام ارباب النبوة واصحاب الولاية الذين اتبعوه في ساعة العسرة
اي في وقت الشدة والمحنة حتى يعتقب على بعير واحد عشرة ويقتسم الرجلان تمرة وشرب
بعضهم ماء الكرش من كثرة العطش وشدة الحرارة من بعد ما كاد تزيغ وحمزة وحفص بالتذكير
اي بعد ما قارب القوم ان يميل قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع
الرسول في ذلك الشأن واراد بالفريق المتخلفين او بعض الضعفاء من المؤمنين قال
الاستاذ فتوبة عليهم ان تدارك قلوبهم حتى لم تزغ وهكذا سنة الحق سبحانه مع اوليائه اذا
اشرفوا على العطب وقاربوا من التلف واستمكن اليأس في قلوبهم من النصرة ووطنوا
انفسهم ان يذوقوا البم البأس يمطر عليهم سحائب الجود بوجود الاجابة فيعود عود الحيوة
بعد يبسه طريا وبرد ورد الانس عقب ذبوله غضا جنيا وتصير احوالهم كما قال بعضهم
كي لمن البس الكعانه وقرب النعش من الملحد فجال ماء الروح في جسمه ورده الاصل
الى المولد تبارك الله سبحانه ما كل هو بالترصد ثم تاب عليهم اي ثبت التوبة لديهم لم
بكل حالهم اليهم انه بهم رؤف رحيم وباحوالهم حكيم وباعمالهم عليم وعلى الثلاثة اي
وتاب على الثلاثة الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرادون
بقوله وآخرون مرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها

لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم وسببه انه
صلى الله عليه وسلم امر اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك خلطوا نياتهم
وطهروا طوياتهم وظنوا علموا ان لا ملجا من الله لا مخلص من سخطه ولا مهرب من عقابه
الا اليه اى الى طلب رضاه والاستغفار عن رؤية ما سواه ففوضوا امرهم الى الله
ثم تاب عليهم اى قبل توبتهم بعد توفيقهم لها ليتوبوا ليعدوا من جملة التوابين او ثبت
التوبة عليهم ليدوموا او رجع عليهم بالرحمة ليستقيموا ان الله هو التواب لمن تاب
وآب ولو عاد فى اليوم بلا حساب الرحيم بالتفضل والاحسان له فى المآب وافاد
الاستاذ انه لما صدق منهم اللجا سبق اليهم الشفاء وسقط عنهم البلاء وكذلك الحق
يكور نهار اليسر على ليالى العسر ويطلع شموس المنة على نحوس الفتنة ويدير تلك السعادة
فيمحو تاثير طوارق النكادة سنة منه تعالى لا يبدلها وعادة منه فى الكرم يجريها ولا يحولها
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين فى ايمانهم وايمانهم
وتوبتهم وانابتهم والصدق كما يكون فى الاقوال يكون فى الاحوال بل هو اتم اقسامه
عند ارباب الكمال ففى الزبور كذب من ادعى محبتى فاذا جنه الليل نام عنى اى اختار
على حضورى غيبتى ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله
اى عن امره وحكمه وهو نهى عبر عنه للمبالغة بصيغة النفى ولا يرغبوا اى ولا ان يميلوا
بانفسهم عن نفسه بان يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه والحاصل انهم امروا بان
يصحبوه على البأساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال فى الاحوال برغبة ونشاط
من غير فتور وملال روى ان اباخيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له
فى الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل
ظليل ورطب يانع اى ناضج وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله عليه السلام
فى الضح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله
طرفه الى الطريق فاذا راكب يزهاه السراب اى يرفعه فقال كن اباخيثمة فكان
ففرح به رسول الله عليه السلام واستغفر له ذلك اى وجوب المتابعة بانهم بسبب
انهم لا يصيبهم ظمأ اى شدة عطش من فقد الماء ولا نصب تعب من
الاعياء ولا مخمصة فى سبيل الله اى مجاعة فى جهاد الاعداء ولا يطؤن موطئا
اى لا يدوسون مكانا وطئه يغيظ الكفار بغضبهم ولا ينالون من عدو نيلا
كالجرح والقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح يستوجبون به الثواب
فى دار المآب ان الله لا يضيع اجر المحسنين اى منهم ومن غيرهم على احسانهم
ولا ينفقون نفقة صغيرة اى قليلة ولو علاقة ولا كبيرة اى كثيرة كمثل ما انفق
عثمان فى جيش العسرة ولا يقطعون فى مسيرهم واديا من الاودية الا كتب لهم
اى اثبت لهم ذلك هنالك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون اى جزاء احسن

اعمالهم

اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وافاد الاستاذ انه لا يجوز لهم ان يؤثروا على النبى
عليه السلام شيئا من نفس وروح ومال وولد واهل وليسوا يخسرون على الله
وان ذلك وانهم لا يرفعون لاجله سبحانه خطوة الا قابلهم بالف خطوة ولا يعلون
فيه قدما الا لقاهم لطفا وكرما ولا يقاسون فيه عطشا الا سقاهم من شراب محابه
كاسا ولا يتحملون لاجله مشقة الا لقاهم لطفا وايناسا وما كان المؤمنون لينفروا
كافة اى وما استقام لهم ان ينفروا جميعهم لنحو غزو وجهاد وطلب علم واجتهاد
فانه يخل بامر المعاش كما لم يستقم لهم ان يتثبطوا عن ذلك جميعا فانه يخل بامر
المعاد فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة اى فهلا خرج من كل جماعة كثيرة كقبيلة
واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا فى الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتعلموا
ما يناسبه وما ينافيه ليكملوا فى انفسهم ويكملوا غيرهم كما اشير اليه بقوله ولينذروا
قومهم اذا رجعوا اليهم اى ليخوفوهم ويرغبوهم فهو من باب الاكتفاء وخص
الانذار بالذكر لانه اهم الاشياء لعلهم يحذرون ارادة ان قومهم يحذرون عما
منه ينذرون وفيه دليل على ان الجهاد وتعلم الفقه وتعليمه من فروض الكفاية
وان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل قرية يقتضى ان ينفر من كل ثلثة تفردوا
بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها فلو لم يعتبر الخبر ما لم يتواتر لم يفد ذلك عموم
ما هنالك وافاد الاستاذ انه سبحانه جعل المسلمين على مراتب فى امر الدين ومقاما
اليقين فعوامهم كالرعية للملك وكتبة الحديث كخزان الملك واهل القرآن
كحفاظ الدفاتر ونفائس الذخائر والفقهاء بمنزلة الوكلاء للملك اذ الفقيه يوقع
عن الله وعلماء الاصول كالقواد وامراء الجيوش والاولياء كاركان الباب وارباب
القلوب واصحاب الصفاء كخواص الملك وجلسائه فشغل قوما بحفظ اركان الشرع
وآخرين بامضاء الاحكام وآخرين بالرد على المخالفين وآخرين بالامر بالمعروف والنهى
عن المنكر وجعل قوما مأخوذين بحضور القلب وهم اصحاب الشهود ليس لهم شغل يراعون
مع الله انفاسهم وهم اصحاب الفراغ لا يستفزهم طلب ولا يهزهم ارب فهم بالله لله
بهم ما سوى الله والا الذين يتفقهون فى الدين فهم الداعون الى الله وانما يفهم
الخلق عن الله اذا كان يفهم عن الله قلت والجامع لهذه المقامات والحاوى لتلك
الحالات انه ولو كان واحدا من الامة كما قال قائل ليس من الله بمستنكر
ان يجمع العالم فى واحد ثم اعلم ان العالم العامل هو الانسان الكامل فان الخلق كلهم
هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون
والمخلصون على خطر عظيم فى الخاتمة لمن تغيير اللاحقة بتقدير السابقة فنسئال الله العافية
يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما
امر رسول الله عليه السلام اولا بانذار عشيرته الاقربين فان الاقرب احق بالشفقة فى حقه

واستصلاح امره وقد ورد اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وفى حديث آخر
اعدى عدوك زوجتك التى تضاجعك وما ملكت يمينك رواه الديلمى وافاد
الاستاذ ان اقرب الاعداء الى المسلم من الكفار الذين يجب عليهم مناواته اعدى عدوه له
وهو نفسه فيجب ان يبدأ بمقاتلة نفسه ثم بمجاهدته للكفار وقال عليه السلام رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر وليجدوا فيكم غلظة اى شدة على المجاهدة وقوة فى المكابدة وافاد الاستاذ
ان من حابى عدوه قهر فكذلك المريد فى حال مجاهدته يجب ان لا يجنح الى رخص التأويلات
ويأخذ فى الامور باشق الحالات فان نزول المريد عن مطالبات الحقيقة الى ما يطلبه من
التأويل فسخ لعهده ونقض لعقده وذلك كالردة لاهل الظاهر واعلموا ان الله مع المتقين
بالحراسة والاعانة ومعية جمعية المحبة واذا ما انزلت سورة فمنهم اى فمن المنافقين
من يقول لامثالهم انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا اى ايقانا
فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان
بها وبما فيها الى ايمانهم فالزيادة باعتبار المؤمن به لا فى نفس الايمان لانه عند المحققين
غير قابل للزيادة والنقصان وهم يستبشرون يفرحون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالاتهم
ورفعة درجاتهم واما الذين فى قلوبهم مرض شك وكفر فزادتهم رجسا الى رجسهم اى كفرا
بها منضما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون لاستحكام ذلك فيهم حتى انتقلوا الى
الآخرة على حالهم فسبحان من جعل بحر القرآن الجليل كنهر النيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين
فانه تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد
الظالمين الا خسارا وافاد الاستاذ انه سبحانه جعل انزال القرآن لقوم شفاء ولقوم
شقاء فاذا ما انزلت سورة جديدة زاد شكهم وتحيرهم فاستعلم بعضهم حال بعض ثم
لم يزدادوا الا تحيرا قال الله تعالى وهو عليهم عمى واما المؤمنون فزادتهم السورة ايمانا فارتقوا
من حد تأمل البرهان الى روح البيان ثم من روح البيان الى روح العيان فشموس العرفان
طالعة على اسرارهم وانوار التحقيق لامعة لاسرارهم فلا لهم تعب الطلب ولا لهم حاجة الى
السير او لا عليهم سلطانا للكفر اولا يرون اى المنافقون وقرأ حمزة بالخطاب فالمعنى ايها
المؤمنون انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات فى كل عام مرة او مرتين ولا يبعد
ان يراد بالتثنية التكثير المقصود به المرات ثم لا يتوبون لا يرجعون عن النفاق وخبث
الطويات ولا هم يذكرون اى لا يعتبرون بانواع المواعظ وافاد الاستاذ انه سبحانه لم يخل ارباب
التكليف من دلائل التعريف والتحريك لهم فى كل وقت بنوع من البيان والتحريك فى كل آوان
بضرب من الامتحان وكما لم يزد لهم الا ايضاح البرهان لم يتجدد لهم من الله الا زيادة الخذلان
والحجبة عن البيان واما اصحاب الحقائق فلا لاعتبار فى كل عام مرة او مرتين فلهم فى كل نفس زواجر
لا يخليهم الحق سبحانه من زواجر توجب لهم بصائر وخواطر واهم تتضمن تكليفا واوامر واذا ما انزلت سورة
نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيونهم غيظا لما فيها من عيوبهم او انكارا او سخرية فيما بينهم

قائلين

قائلين لبعضهم هل يراكم من احد ان قمتم من خدمة الحضرة فان لم يرهم احد قاموا والا فاقاموا
ثم انصرفوا عن الحضرة مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان والجملة اخبارية او
دعائية بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم وعدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من
انفسكم من جنسكم عربى او بشر مثلكم وقرئ من انفسكم اى اشرفكم عزيز عليه شاق شديد
ما عنتم ما المصدرية اى عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم اى على تحصيل ايمانكم وتصحيح
شأنكم بالمؤمنين منكم رؤف رحيم والرأفة اشد الرحمة فتقديم الابلغ مع ان التدرج
انسب محافظة للفاصلة او مراعاة للتتميم فيكون كالتذييل والتتميم قال بعضهم حريص
على هدايتكم لو كانت الهداية اليه مشفق على من اتبعه ان يأتيه نزغة من نزغات الشيطان
رحيم يستجلب برحمته لهم رحمة الله اياه وافاد الاستاذ ان المعنى جاءكم رسول مثلكم
فى البشرية لكنه باينكم فيما افردناه به من الخصوصية البسناه لباس الرحمة عليكم وقمناه
بشواهد العطف والشفقة على جملتكم فذو كل همته بشأنكم اكبر همومه هم ايمانكم فان
تولوا اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبى الله فانه يكفيك ويعينك وينصرك
لا اله الا هو كالدليل لما قبله عليه توكلت اى اعتمدت فيما اخافه وارجوه وهو رب
العرش العظيم اى الملك الفخيم او الجسم الاعظم المحيط بجميع الكائنات الذى منزل منه
الاحكام المقدرات وافاد الاستاذ انه سبحانه قال له يا ايها النبى حسبك الله ثم امره
بان يقول حسبى الله فقوله حسبك الله عين الجمع وقل حسبى الله فرق اى قل بل هو جمع الجمع اى
قل ولكن بنا تقول فنحن المتولى عنك فانت مستهلك فى عين التوحيد منك فانت بنا ومحو عن غيرنا

سورة يونس عليه السلام مائة وتسع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اى باسم المعبود واجب الوجود المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة
جلائلها ودقائقها عمومها وخصوصها وقال الاستاذ بسم الله كلمة سماعها
يوجب شفاء كل عائد ضياء كل قاصد غذاء كل فاقد بلاء كل واجد هدى كل خائف
سلو كل عارف امان كل تائب بيان كل طالب قلوب العارفين لا تروح الا بسماع
بسم الله كروب الخائفين لا تبرح الا عند سماع بسم الله الر فتحها نافع وابن كثير
وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء قيل معناه
انا الله ارى ذكره السلمى تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة
او القرآن من الآى والمراد من الكتاب احدهما فانه يطلق عليهما ووصفه بالحكيم
لاشتماله على الحكم او الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شئ منها وافاد الاستاذ
ان الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف والراء مفتاح اسمه
الرحيم اقسم بهذه الاسماء ان هذا الكتاب هو الموعود لكم يوم الميثاق والاشارة
فيه انا حققنا لكم الميعاد وصيرنا لكم عناج الوداد وانقضى زمان البعاد فالعصا
ملقاة والايام بالسرور متلقاة فبادروا الى شرب كاسات الحباب واستقيموا

بالباب على نهج الاحباب اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان
واسمه ان اوحينا الى رجل منهم اى لاظهار التوحيد وتحقيق التفريد حيث
قالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب وتعجبوا ان يبعث الرسول
بشرا وجوزوا ان يكون الاله حجرا ان انذر الناس ان مفسرة والمعنى خوف
الكفار والفجار بالنار وبشر الذين آمنوا خص البشارة اذ لا يصح للكفرة لم يصح
ان يبشروا به وعمم الانذار لانه قلما احد ليس فيه ما ينبغى ان ينذر منه او لان
فى اول الانذار لم يكن يوجد الا الكفار وافاد الاستاذ ان تعجبهم كان من ثلاثة
اشياء من جواز البعث بعد الموت ومن ارسال الى الخلق ثم من تخصيص محمد
عليه السلام بالرسالة من بين الخلق ولو عرفوا كمال قدرته لم ينكروا جواز البعث
ولو علموا كمال ملكه لم يجحدوا ارسال الرسل الى خلقه ولو عرفوا ان له ان يفعل ما يريد
لم يتعجبوا من تخصيص محمد بالنبوة من بين الخليقة ولكن سدت بصائرهم فتاهوا
فى اودية الحيرة وعثروا من الضلالة فى كل وهدة ان لهم اى بان لهم قدم
صدق عند ربهم سابقة منيعة ومنزلة رفيعة وسميت قدما لان السبق بها
كما سميت النعمة يدا لانها يعطى بها واضافتها الى الصدق لتحققها وللتنبيه على
انهم انما ينالونها بصدق النية فى طلبها وحاصله ان لهم اجرا حسنا بما قدموا
من العبادة او بما سبقت لهم من الله السعادة وافاد الاستاذ انه ما قدموه
لانفسهم من صنوف طاعات اخلصوا فيها وفنون عبادات صدقوا فى القيام
بمقتضيها ويقال ما قدم الحق لهم يوم القسمة من مقتضى عنايته بشانهم
وما حكم لهم من انواع احسانه بهم واجناس ما افردهم به من امتنانهم ويقال
قدم صدق عند ربهم هو ما رفعوه من اقدامهم فى بدايتهم ايام ارادتهم
فان لاقدام المريدين المرفوعة لاجل الله حرمة عند الله ولايامهم الخالية فى حال
ترددهم ولياليهم الماضية فى طلبه وهم فى حرقة تحيرهم حقا يرعاه الله
قال الكافرون ان هذا اى ما هذا الكتاب الحكيم او الذى جاء به الرسول الكريم
لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة للرسول عليه السلام
وفيه اشارة الى اعترافهم فى الجملة بانهم شاهدوا امورا خارقة للعادة معجزة
اياهم عن المعارضة ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض اى اصول الموجودات
فى ستة ايام اى اوقات او فى مقدار ستة ايام كهذه الايام وكل يوم الف سنة
مما يعده الانام تعليما للعباد ان يدرجوا فى امر المعاش والمعاد ثم استوى امره وحكمه
على العرش المحيط للعلو والفرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته
وسبقت به كلمته ومضت به مشيته وحمل التدبير النظر فى دبر الحادث لتجىء محمودة
العاقبة وقال بعضهم يختار للعبد ما هو خير له من اختياره لنفسه كما ذكره السلمى

ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وتحرير لعزته وغلبته ورد على من
زعم منهم ان آلهتهم تشفع لهم واثبات الشفاعة لمن حصل اذن من بهم
ذلكم الله اى الموصوف بتلك الصفات العلية المقتضية للالوهية والربوبية ربكم
لا غيره اذ لا يشاركه احد فى شئ من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون
فى امركم ايها المشركون فتعرفون انه المستحق للعبادة لا ما تعبدونه من الصفر والشبه
والحجارة التى هى اخس مراتب جنس الاشياء الحادثة وافاد الاستاذ انه سبحانه
لا يحتاج فعله الى مدة ولا الى عدة وكيف ذلك ومن جملة افعاله الزمان والمدة فخلق
السموات والارض فى ستة ايام وتلك الايام ايضا من جملة ما خلق الله سبحانه كما
خلق سائر الانام ثم استوى على العرش اى توحد بجلال الكبرياء وبوصف الملكوت والبهاء
ملوكنا اذا ارادوا التجلى والظهور لرعيتهم وحشمهم برزوا لهم على سرير ملكهم فى ايوان
مشاهدهم فاخبر الحق سبحانه بما يقرب من فهم الخليقة بما القى اليهم من هذه الكلمة
ومعناه اتصافه بعز الصمدية وجلال الاحدية وانفراده بنعت الجبروت وعلاء الربوبية
وتقدس الجبار عن الاقطار والمعبود عن الحدود يدبر الامر اى الحادثات صادرة
عن تقديره حاصلة بتدبيره فلا شريك يعضده وما قضاه فلا احد يرده ما من
شفيع الا من بعد اذنه هو الذى ينطق من يخاطبه وهو الذى يحقق ما يشاء
على من يشاء اذا التمس مطالبه ذلكم الله ربكم تعريف وقوله فاعبدوه تكليف
فحصول التعريف بتحقيقه ووصولها به التكليف بتوفيقه اليه مرجعكم جميعا
بالموت والنشور لا الى سوائه فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد
لنفسه لان قوله اليه مرجعكم من الله حقا مصدر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه
وعد الله وافاد الاستاذ ان الرجوع يقتضى ابتداء والارواح قبل
حصولها فى الاشباح كان لها فى مواطن التسبيح والتقديس اقامة
والغائب اذا رجع الى وطنه من سفره فلقدومه اثر عند محبيه وذويه ويقال
المطيع اذا رجع الى الله فله الزلفى والمثوبة الحسنى والعاصى اذا رجع الى ربه
بنعت الافلاس من الطريق والخسران فيلقى لباس الغفران وحلة الصفح
والامان ورحمة مولاه خير له من نسكه وتقواه وعد الله حقا فموعود المطيع
الفراديس العلى وموعود العاصى الرحمة والرضا والجنة لطف الحق والرحمة
وصف الحق فاللطف فعل لم يكن ثم حصل والوصف نعت لم يزل
انه يبدؤ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزى الذين آمنوا وعملوا
الصالحات بالقسط اى بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل فى امورهم
او بما كتب لهم من نصيبهم وحظهم او بحسب اعمالهم ومقتضى احوالهم
والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون اى بانواع

كفرهم واصناف سترکهم وافاد الاستاد ان من كان له فی جمیع عمره نفس علی وصف
ما ابتداه للحق سبحانه ففی الاشارة یکون لذلک اعادة ولقد انشد قائلهم
کل نهر فیه ماء قد جری • فالیه الماء یوما سیعود • قلت ویؤیده حدیث لیس
یتحسر اهل الجنة یوم القیمة الا علی ساعة مرت بهم ولم یذکروا الله فیها ولله
در القائل الدنیا ساعة فاجعلها طاعة • ویناسبه ما قال بعضهم کما تعیشون
تموتون وکما تموتون تحشرون هو الذی جعل الشمس ضیاء ای ذات ضیاء
او وصف بالمصدر مبالغة وقرئ قنبل ضئاء بهمزتین والقمر نورا ای ذا نور
او سمی نورا للمبالغة وهو اعم من الضیاء فان الضیاء قوی النور وقیل
ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلک علی انه خلق الشمس نیرة فی ذاتها
والقمر نیرا بعرض مقابلتها والاکتساب بها والاکتساء منها وقدره ای صیر کل واحد
منهما او القمر منازل او قدر القمر ذا منازل وتخصیصه بالذکر لتعلق احکام الشرع به
ولذا علله بقوله لتعلموا عدد السنین والحساب ای حساب الاوقات من الاشهر
والایام فی المعاملات والتصرفات فی الاحکام ما خلق الله ذلک ای جمیع ما ذکر الا
بالحق ملتبسا بالحق مراعیا فیه مقتضی الحکمة البالغة نفصل الآیات لقوم یعلمون
وهم المؤمنون لانهم المنتفعون بها او لقوم یعقلون بمعنی یستعملون عقولهم
بالتامل فیها وقرأ ابن کثیر وابو عمرو وحفص یفصل بالیاء وقال الاستاذ للعقول نجوم
وللشیاطین رجوم وللعلوم اقمار وهی انوار واستبصار وللمعارف شموس ولها علی
اسرار العارفین طلوع واستظهار کما قیل ان شمس النهار تغرب باللیل وشمس القلوب
لیس تغیب وکما ان فی السماء کوکبین شمسا وقمرا فالشمس ابدا بضیائها والقمر
فی الزیادة والنقصان کما یستر بمحاقه بدا بعد ذلک حتی یکمل بدرا بنعت اشراقه ثم یاخذ
فی النقص الی ان لا یبقی شیء منه لتمام امحاقه ثم یعود جدیدا وکل لیلة یجد مزیدا فاذا
صار بدرا تماما لم یجد اکثر من لیلة لکماله مقاما ثم یاخذ فی النقصان الی ان یخفی شخصه ویتم نقصه
کذلک من الناس من هو متردد بین قبضه وبسطه وصحوه ومحوه وذهابه وایابه لا فناء
فیستریح ولا بقاء له دوام صحیح وقیل کلما قلت قد دنا حل قیدی قدمونی فاوثقوا المسمارا
ان فی اختلاف اللیل والنهار ظلمة ونورا وبردا وحرا وطولا وقصرا وما خلق الله فی السموات
والارض ای فیما اوجده من انواع الکائنات فی جهة العلویات والسفلیات او فی اختلاف ما ابرزه
من المصنوعات لآیات ای دلالات علی وجود الصانع ووحدته وکمال علمه وقدرته لقوم
یتقون یحذرون من مخالفته ویخافون من عقوبته او یتقون عواقب الامر فانه یحملهم
علی التدبر والفکر وافاد ان فی اختصاص النهار بضیائه وانفراد اللیل بظلمائه من
غیر استیجاب لهذا وغیر استحقاق عتاب مع هذا دلالة علی ان الرد والقبول والمنع والوصول
لیس بمعلول بسبب ولا بحاصل لامر مکتسب الا انها ارادة ومشیة وحکم وقضیة والنهار وقت

حضورها

حضورها اهل الغفلة فی اوطان کسبهم ووقت ارباب القربة والوصلة بانفرادهم بشهود
ربهم قال قائلهم شعر هی الشمس الا ان للشمس غیبة • وهذا الذی نعنیه لیس یغیب •
واللیل لاهل التخصیص اما للمحبین فوقت النجوی واما للعاصین فبث الشکوی وفی المثل
لا یعرف قدر اللیل الا صدیق صادق او عاشق فاسق ان الذین لا یرجون لقاءنا
لا یتوقعونه لا رجاء ولا خوفا لانکارهم بالبعث اصلا ورضوا بالحیوة الدنیا لجهلهم بها
وغفلتهم عن کثرة عنائها وقلة غنائها وسرعة فنائها وخسة شرکائها واطمأنوا بها
سکنوا الیها قاصرین هممهم علی لذائذها وزخارفها او سکنوا فیها سکون من لا یرحل عنها
والذین هم عن آیاتنا المتلوة والمنصوبة غافلون لا یتفکرون فیها لانهماکهم فیما
یضادها وینافیها ولاشتغالهم بحب العاجل عن التامل فی امر الاجل اولئک مأویهم
النار بما کانوا یکسبون بما واظبوا علیه من المناهی وتمرنوا به من الملاهی وافاد الاستاذ انهم
انکروا جواز الرؤیة فلم یرجوها والمؤمنون آمنوا بجوازها فاملوها ویقال لا یرجون لقاءه
لانهم لم یشتاقوا الیه ولن یشتاقوا الیه لانهم لن یحبوه ولن یحبوه لانهم لم یعرفوه
ولن یعرفوه لانهم لم یطلبوه ولن یطلبوه لانه اراد ان لا یطلبوه قال الله تعالی وان الی ربک
المنتهی ویقال لو اراد ان یطلبوا لطلبوا ولو طلبوا لعرفوا ولو عرفوا لاحبوا ولو احبوا
لاشتاقوا ولو اشتاقوا لرجوا ولو رجوا لراوا قال تعالی ولو شئنا لآتینا کل نفس هدیها
ثم اصحاب الدنیا رضوا بالحیوة الدنیا فحرموا الجنة والزهاد والعباد رکنوا الی الجنة ورضوا بها فبقوا
عن الوصلة ان الذین آمنوا وعملوا الصالحات یهدیهم ربهم بایمانهم ای بدلهم بسبب ایمانهم
الی سلوک سبیل یؤدی الی الجنة او لما یریدونه فیها من انواع اللذة وهذا بالنسبة الی الآخرة
واما فی الدنیا فالی احوال الطریقة ومقامات الحقیقة فقد ورد عنه علیه السلام من عمل
بما علم ورثه الله علم ما لم یعلم وفی الاکتفاء بسببیة الایمان لدخول الجنان من غیر تعرض لعمل
الاحسان الموجب لزیادة الامتنان رد علی المعتزلة حیث دل علی استقلال الایمان
بالسببیة وان العمل الصالح کالتتمة والتکملة فی القضیة تجری من تحتهم ای من تحت
تصرفهم او تحت قصورهم الانهار ای الانهار الاربعة من جوانب دورهم فی
جنات النعیم ای النعیم المقیم دعویهم فیها ای دعاؤهم فی الجنة سبحانک اللهم
ای نسبحک عن المنقصة فی المدحة وتحیتهم ای ما یحیی بعضهم بعضا او تحیة الملائکة
ایاهم فیها سلام او تحیة الله لهم فی مقام الکریم کما قال تعالی سلام قولا من رب رحیم
وآخر دعویهم ای غایة دعائهم ونهایة مدعاهم ان الحمد لله رب العالمین ای
قولهم هذا الکلام لحصول جمیع المرام فی ذلک المقام وان هی المخففة من المثقلة
کما فی قراءة شاذة وعن کثیر من السلف ان اهل الجنة کلما اشتهوا شیئا قالوا
سبحانک اللهم فیاتیهم الملک بما یشتهونه فیسلم علیهم فیردون علیه وذلک
تحیتهم فاذا اکلوا حمدوا وذلک قوله وآخر دعویهم • ولو یعجل الله للناس

الشر اي لو يسرع اليهم الضر استعجالهم بالخير اي بالنفع المقرر وعدل عن تعجيله لهم بالخير للاشعار بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم وتوضيحه انهم يستعجلون بالخير فيستجيب الله لهم اسرع اجابة حتى كان استعجالهم بنفس تعجيله تعالى لهم فاستعجالهم مثل استعجالهم صفة محذوف لقضي اليهم اجلهم اي لاميتوا واهلكوا لكن بفضله يستجيب لهم سريعا في الخير لا في الشر وفيه ايماء الى انه سبحانه يجيب دعاءهم بسرعة في منفعتهم بخلاف دعائهم في مضرتهم كما يشير اليه قوله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا اي لكونه ظلوما جهولا وفي هذا تسلية لارباب الادعية وتقييد لقوله سبحانه ادعوني استجب لكم الآية وقرأ ابن عامر لقضي على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وفي قراءة شاذة لقضينا وافاد الاستاذ ان المراد لو اجبناهم اذا دعوا على انفسهم واعزتهم من اهلهم عند غيظهم وضجرهم لعجلنا اهلاكهم ولكن بحلمنا لا نجيبهم وبرحمتنا عليهم لا نسمع بالاجابة فيهم دعاءهم وانما يشكو العبد بانه لا يجيب دعاءه ويجيب رجاءه لجهله بان ترك اجابته لطف منه بحاله لما علم الله ان في ذلك بلاءه لو اجابه كما قيل • اناس اعرضوا عنا بلا جرم ولا معنى • اساؤا ظنهم فينا فهلا احسنوا الظنا • فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون اي في ظلمات ضلالهم يتحيرون وفيه ايماء الى ان من يرجو اللقاء لم ييأس من قبول الدعاء واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا لجنبه ملقيا مضطجعا او قاعدا او قائما واو للتنويع مشيرا الى تعميم الدعاء في جميع الاحوال او في اصناف المضار والاهوال فلما كشفنا عنه ضره مر ذهب على طريقته قبل الضر ونسي الامر واستمر على الكفر او مر عن موقف الدعاء وفر عن مقام اللجاء كان لم يدعنا اي كانه لم يدعنا قبل ذلك الى ضر مسه اي الى كشف ضر اصابه كذلك اي مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات وترك الدعوات وقد قال سيد الانبياء من سره ان يستجيب الله له في البلاء فليكثر الدعاء في الرخاء وقال الاستاذ اذا امتحن العبد واصابته الضرورة ازعجته الحال الى روم التخلص عما ناله فيعلم ان غير الله لا يكشفه فتحمله الضرورة على صدق الالتجاء الى الله واذا كشف الله عنه ما يدعو لاجله شغلته راحة الخلاص عن تلك الحالة وزايله ذلك الالتياع وصار كانه لم يكن في بلاء قط • كان الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى • ولم يك صعلوكا اذا ما تمولا • ويقال بلاء يلجئك الى الانتصاب بين يدي معبودك اجدى لك من عطاء ينسيك ويقصيك قلت ومن حكم ابن العطاء ربما اعطاك فمنعك وربما منعك فاعطاك ولقد اهلكنا القرون الامم الماضية من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا انفسهم بارتكاب المناهي والكتاب

اهلاكهم

اهلاكهم وجاءتهم رسلهم بالبينات حال من الواو او عطف على ظلموا قال ابن عطاء اي لما اعتمدوا واسوانا وقال الصادق لما قابلوا النعماء بالكفران وقال ابو عثمان لما لم يعرفوا حقوق اكابرهم ولم يتادبوا بآدابهم ذكره السلمي وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم باختيار كفرهم وعلمه بانهم يموتون على ضلالهم كذلك اي مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيب الانبياء نجزي القوم المجرمين سوء الجزاء وافاد الاستاذ انه سبحانه اجرى سنته باهلاك الظالمين وكما في الخبر لو كان الظلم بيتا في الجنة لسلط الله عليه الخراب والظلم وضع الشيء في غير موضعه فاذا وضع العبد قصده عند حوائجه الى المخلوقين فيتعلق قلبه بهم في الاستعانة وطلب المأمول فقد وضع الشيء في غير موضعه وهو ظلم فعقوبة هذا الظلم خراب القلب وهو انسداد طريق رجوع ذلك القلب الى الرب لانه لو رجع الى الله لاعانه واغاثه وكفاه ولكنه يصير على تعليق قلبه بالمخلوق فيبقى عن الله ولا يرتفع حاجته من غيره فكان من فقره وحاجته في مضرة فانضاف الى مضرة المذلة وحاجة الكريم الى اللئيم ثم لا ترتفع محنة عظيمة وعلى هذا القياس اذا اذا احب مخلوقا فقد وضع محبته في غير موضعها وهو ظلم فعقوبته خراب روحه لعدم صفاء وده ومحبته لله وذهاب ما كان يجده من الانس بالله ثم اذا انقى عن الله يذيقه الحق طعم المخلوقين فلا له مع الخلق سلوة ولا منه الا الجفوة وبينه وبين الله الاستيلاء القسوة وعدم الصفوة ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم اي استخلفناكم فيها بعد القرون التي استهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وبحسب احوالكم وافاد الاستاذ ان معناه عرفناكم سير من كان قبلكم وما اصابهم بسبب ذنوبهم فان اعتبرتم بهم نجوتم وان لم تعتبروا احللنا بكم من العقوبة ما يعتبر بكم غيركم لان من لم يعتبر بمن سبقه اعتبر به من لحقه ومن لم يعتبر بما سمعه اعتبر به من تبعه واذا تتلى عليهم آياتنا بينات اي حال كون تلك الآيات واضحة الدلالة قال الذين لا يرجون لقاءنا من المشركين ائت بقرآن غير هذا اي بكتاب آخر ليس فيه ما نكرهه من معائب آلهتنا او ما نستبعده من البعث بعد موتنا او بدله اي غيره وحوله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ما لا نحبه آية اخرى يكون فيها ما نقول به واو للتخيير بين الامرين او للتنويع باختلاف القائلين قل ما يكون لي ما يتصور لي لعصمتي ان ابدله من تلقاء نفسي اي من قبلها اذ ليس الامر باختياري وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الآخر منهما والمفهوم القضية الاخرى بالاولى والاخرى والمراد بالتبديل لم يشملها كما يدل عليه قوله ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي اي فرضا وتقديرا عذاب يوم عظيم وفيه تعريض بانهم استوجبوا باقتراحهم العذاب الاليم قل لو شاء الله اي غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به اي ولا اعلمكم الله به على لساني وقرأ قنبل والبزي بخلف عنه ولادراكم به بلام التأكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري ثم قرره بقوله فقد لبثت فيكم عمرا

قدر اربعين سنة من قبله اى قبل القرآن لا اتلوه عليكم ولا اعلمكم به افلا تعقلون عقولكم بالتدبر
والتفكر فى امركم لتعلموا انه ليس الا من الله اليكم فما لكم تخوضون فى امركم ما تنظرون فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا فيه براءة مما اضافوا اليه بالكناية او كذب بآياته تعريض لهم فى العقيدة
انه اى الشان لا يفلح المجرمون بالكذب والتكذيب ونحو ذلك مما يفعلونه وافاد الاستاذ
ان من المفترين على الله الذين يظهرون من الاحوال ما ليسوا فيها صادقين وجزاؤهم ان
يحرموا ذلك ابد الآبدين ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم اى اشياء لا يقدر ان
على دفع ضر ولا جلب نفع لهم ويقولون هؤلاء الاصنام شفعاؤنا عند الله تشفع لنا
فى امورنا العارضة فى الدنيا وهذا من فرط جهالتهم وشدة عنادهم وحماقتهم حيث
تركوا عبادة الموحد الضار النافع الى عبادة ما لم يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم
انها ربما تنفع قل اتنبئون الله اى اتخبرونه بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض ان هؤلاء
شفعاء وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات الكائنة فى عالم العلويات والسفليات لا يكون له تحقق
ما فى الموجودات والممكنات فنفى العلم واراد نفى المعلوم سبحانه وتعالى عما يشركون اى عن اشراكهم
او عن الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائى بالخطاب بناء على الالتفات فى الباب وافاد
الاستاذ ان من فرط غباوتهم انهم انتظروا الشفاعة فى المآل ممن لا يوجد منه الضر والنفع
فى الحال ثم اخبرانهم يخبرون عما ليس على الوجه الذى قالوا فقالوه معلوما لله ولو كان كما قالوا
لعلمه الحق سبحانه لانه لا يعزب عن علمه معلوم ومعنى قوله لا يعلم اى يعلم خلافه ومن تعلق قلبه
بالمخلوقين فى استدفاع المضار واستجلاب المسار فكالسالك سبيل من عبد الاصنام
اذ المنشئ والموجد للشئ من العدم هو الله الملك العلام وما كان الناس الا امة واحدة موحدين
على الفطرة او متفقين على طريقة الحقيقة وذلك من عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل
هابيل او بعد الطوفان او على الضلالة فى فترة من اصحاب الرسالة فاختلفوا باتباع
الهوى والاضاع الهدى وببعثة الانبياء فتبعتهم طائفة وكفرتهم اخرى ولولا كلمة سبقت
من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والثواب
الجزاء والعقوبة لقضى بينهم باهلاكهم عاجلا فى الدنيا فيما فيه يختلفون بافناء المبطل
وابقاء المحق وافاد الاستاد انهم انما اختلفوا لان الله خص قوما بقبوله وعنايته وآخرين
بابعاده واهانته ولولا تلك الارادة لما وقعت هذه المخالفة ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه
اى من الآيات التى اقترحوها حيث اعرضوا عن الآيات التى شاهدوها فقل انما الغيب لله
اى هو المختص بعلمه فلعله يعلم فى انزال الآيات المقترحة من مفاسد مانعة عن انزالها ونهايا
تحتم العذاب على منكرها عند ظهورها فانتظروا انى معكم من المنتظرين لما يفعل الله بى
وبكم وافاد الاستاذ ان الآية تشير انه صلى الله عليه وسلم فى ستر الغيب وخفاء الامر عليه
فى الجملة فكانهم فى الانتظار لما يحدث فى المستأنف من التغيير فهو ايضا فى انتظار ما يوجد
من المقادير والفرق بينه وبينهم انه يشهد ما يحصل به ومنه على حسب الارادة وهم مستطوحون

ولا فى الارض ساكن

فى اودية الجهالة يحيلون الامر مرة على الدهر ومرة على النجم ومرة على الطبع وكل ذلك حيرة
وعمى خارجة عن طريق العقل والشرع واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء
مستهم كبلية وشدة اذا لهم مكر فى آياتنا بالطعن فيها والاحتيال فى دفعها واطفائها
قل الله اسرع مكرا منكم حيث دبر عقابكم قبل ان تدبروا الكيد لكم والمكر اخفاء الكيد وهو من الله
سبحانه اما الاستدراج او الجزاء على المكر ويؤيده قوله ان رسلنا يكتبون ما تمكرون حيث يطلعون
على ما يمكرون فتجازون بما تفعلون وقال الاستاذ يعنى اذا اصابهم مضرة ومحنة وحاجة
وكشفنا عنهم احالوا بالامر على غيرنا وتوهموه مما سوانا بقولهم مطرنا بنوء كذا وقولهم
ان هذه بسعادة نجم ومساعدة دولة وتاثير فلك وخيرات دهر فهذا كان مكرهم ومكر الله
بهم جزاؤهم على مكرهم والاشارة فى هذا انه ربما يكون للمريد او للطالب حجبة او فترة
فاذا جاد الحق بكشف وتجل واقبال فمن حقهم ان لا يلاحظوها بفضلهم ان يساكنوها
فاذا لم يرتقوا عن ملاحظة احوالهم الى الغيبة لشهود الحق لهم مكر الله بهم بان يثبتهم
فى تلك الاحوال من غير ترق عنها ووجود الزيادة عليها فهذا المكر بخواصهم وما سبق
فى حق عوامهم هو الذى يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم من السفر وقرأ ابن عامر ينشركم
من النشر اى يبثكم ويفرقكم فى البر والبحر قال ابن عطاء يسير الاولياء بقلوبهم ويسير الاعداء
بنفوسهم ذكره السلمى حتى اذا كنتم فى الفلك اى السفن واريد بها الجمع لقوله
وجرين بهم بمن فيها ولعل حكمة العدول عن الخطاب الى الغيبة هو ان تذكره لغيرهم
على وجه العبرة ليتعجب من حالهم وينكر عليهم فى مآلهم بريح طيبة لينة وفرحوا بها
بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى بلغتها ريح
عاصف اى ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج اضطراب الماء
من كل مكان يتصور منه مجئ الموج وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا بان سدت
عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين اى الانقياد
او الطاعة والجملة بدل مما قبله والمعنى انهم رجعوا الى اصل الفطرة لزوال المعارض
من جهة الشدة لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول
دعوا لانه بمعنى قالوا فلما انجاهم مما ابلاهم اذا هم يبغون فى الارض اى يطلبون
فيها الفساد بغير الحق بل بالظلم فى حق العباد والبلاد على وجه العناد يا ايها
الناس انما بغيكم اى ظلمكم على انفسكم فانه وباله عليكم وضرر راجع اليكم متاع
الحيوة اى منفعة الحيوة الدنيا حاصلة لديكم حيث ينكشف نقابها ويطول
حسابها ويبقى عقابها ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اى تتمتعون متاع الحيوة
الدنيا ثم الينا مرجعكم رجوعكم فى العقبى فننبئكم بما كنتم تعملون فنجازيكم بما تذرون
وما تفعلون وقال الاستاذ يريد انهم يصبحون فى النعم يجرون اذيالهم ثم يمسون
يشكون بلبالهم وقد يبيتون والبهجة ملكتهم ثم يصبحون وخفايا التقدير اهلكتهم

وانشدوا ٭ امنا زمانا والعيون قريرة ٭ واصبحت يوما والجفون سوافك ٭ فاذا
رجعوا الى الله باخلاص الدعاء يجود عليهم بكشف البلاء فلما انجاهم وبالاجابة ارعاهم
اذا هم الى غيهم يرجعون وعلى مناهجهم فى تمردهم يسلكون ثم قال يا ايها الناس الى اى
تمتعكم زمانا قليلا ثم يلقون غب ذلك وبيلا ويقاسون عذابا طويلا انما
مثل الحيوة الدنيا اى حالها العجيبة وصفتها الغريبة فى سرعة زوالها وذهاب
نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بمثالها وغفلتهم عن مآلها كماء انزلناه من السماء
اى وانبتنا به الاشياء فاختلط به نبات الارض اى فاشتبك بسببه حتى تخالط
بعضه ببعض مما ياكل الناس والانعام من اصناف الزروع والاثمار وانواع
الكلاء والحشيش والاشجار حتى اذا اخذت الارض زخرفها اى زينتها باجناس
ازهارها وازينت بمقابس انوارها واشكالها المختلفة والوانها المؤتلفة
كعروس اخذت الثياب الملونة وافنان الحلى المزينة فتزينت بها واصل ازينت
تزينت وقد قرئ بها وظن اهلها اى اصحاب الارض المالكون لها انهم قادرون عليها
اتاها امرنا اى جاءها امرنا بافنائها فضرب زرعها بما يجتاحها ليلا او نهارا لا سوائها
فى امرها فجعلناها اى نباتها حصيدا شبيه زروع حصودها كان لم تغن بالامس اى كان
لم يلبث ولم ينبت زرعها فيما سبق من حالها كذلك نفصل الآيات اى نبينها الكرات
والمرات لقوم يتفكرون فى المصنوعات وعجائب المخلوقات وافاد الاستاذ انه سبحانه
شبه الحيوة الدنيا بالماء المنزل من السماء ينبت به النبات وتخضر الارض بالازهار
وتظهر الثمار ويوطن اربابها نفوسهم فتصيبها جائحة سماوية بغتة وتصير كان لم يكن
كذلك الانسان بعد كمال سنه وتمام قوته واستجماع الخصال المحمودة فيه تخترمه المنية
وتبطل اموره المنتظمة كما قيل ٭ فقدناه لما تم واعتم بالعلا ٭ كذاك كسوف البدر عند تمامه
ومن وجوه تشبيه الاحوال الدنيوية بالماء المنزل من السماء ان المطر لا يستنزل بالحيلة
كذلك الدنيا لا تساعد الا بالقسمة ثم ان المطر وان كان لا يجئ الا بالتقدير فقد
يستسقى كذلك الرزق وان كان بالقسمة فقد يلتمس من الله ويستعطى ومنها
ان الماء فى موضعه سبب حيوة الناس وفى غير موضعه سبب الخراب كذلك المال
لمستحقه سبب سلامته وانتفاع المتصلين به وعند من لا يستحقه سبب طغيانه وسبب
بلاء من هو متصل به كما قيل نعم الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت على انسان وقد ورد
نعم المال الصالح للرجل الصالح ومنها ان الماء اذا كان بمقدار كان سبب الصلاح واذا
جاوز الحد كان سبب الخراب كذلك المال اذا كان بقدر الكفاية والكفاف فصاحبه
متنعم واذا زاد وجاوز الحد اوجب الكفران والطغيان والنقم وقد ورد قليل يكفيك
خير من كثير يطغيك ومنها ان الماء ما دام جاريا كان طيبا فاذا طال مكثه تغير كذلك
المال اذا انفقه صاحبه كان محمودا فاذا ادخره وامسكه كان معلولا مذموما ومنه قولهم

اعرف

اعرف ما فى الجيب ياتيك ما فى الغيب ويشير اليه قوله سبحانه وما انفقتم من شىء فهو
يخلفه ومنها ان الماء اذا كان طاهرا يصلح للشرب وللطهور واذا كان غير طاهر فبالعكس
كذلك المال اذا كان حلالا وبعكسه اذا كان حراما ويومى اليه قوله تعالى قل لا يستوى الخبيث والطيب
ولو اعجبك كثرة الخبيث ويقال كما ان الربيع يتورد اشجاره ويظهر ازهاره ويخضر رباعه
ويتزين بالنبات وهاده وتلاعه ثم لا يؤمن ان يصيبه آفة من غير الارتقاب ويتقلب
الحال بما لم يكن فى الحساب كذلك من الناس من يكون له احوال صافية واعمال بشرط
الخلوص زاكية وغصون انس متدلية ورياض قرب مونقة ثم تصيبه عين فيذبل عود
وصاله وينسد ابواب عوائد اقباله كما قيل ٭ عين اصابتك ان العين صائبة ٭
والعين تسرع احيانا الى الحسن والله يدعوا الى دار السلام اى دار السلامة من الآفة
والملامة او دار الله ولا يخفى ما فى تخصيص هذا الاسم من المناسبة المبينة
لوجه التسمية او دار يكثر فيها بين اهلها السلام او يحصل لهم تحية الملائكة الكرام
او من عند الله الملك العلام والمراد بها الجنة ويهدى من يشاء بالتوفيق للهداية
الى صراط مستقيم اى فى غاية من الاستقامة المؤدية الى وصول الجنة وحصول
الوصلة وهو الايمان والاسلام والتدرع بلباس التقوى فى جميع الاحكام وفى تعميم الدعوة
وتخصيص الهداية بالمشية دلالة على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلال له
لم يرد الله له الهداية ويمكن ان يقال والله يدعوا الى دار السلام جميع الانام بوصف الرحمانية
ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم بنعت الرحيمية او يدعو كلهم عدلا ويهدى بعضهم
فضلا وافاد الاستاذ انه سبحانه دعاهم الى دار السلام وفى الحقيقة دعاهم الى الاسلام
الموجب لهم للوصول الى دار السلام وهو اعتناق اوامره والانتهاء عن زواجره
فالدعاء من حيث التكليف وتخصيص الهداية لاهلها من حيث التشريف ويقال
الدعاء تكليف والهداية تعريف فالتكليف على العموم والتعريف على الخصوص ويقال
التكليف بحق سلطانه والتعريف بحكم احسانه ويقال الدعاء قوله والهداية طوله
دخل الكل تحت قوله وانفرد الاولياء بتخصيص طوله ومعنى دار السلام ان اهلها
فيها سالمون من الحرقة والفرقة سلموا من الحرقة فحصلوا فى لذة عطائه وسلموا
من الفرقة فوصلوا الى عزيز لقائه ويقال تلك الدار درجات للابرار فالذى سلم
قلبه عن محبة الاغيار درجته اعلى من درجة من سلم نفسه من الذنوب والاوضار ويقال
قوم سلمت صدورهم من الغل والحسد والحقد والحرد وقوم سلم الخلق منهم فليس
بينهم وبين احد محاسبة وليس لهم على احد مناقشة فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه
ويده والمحسن من سلم الخلق باجمعهم من قلبه ويقال الصراط المستقيم طريق المسلمين
فهذا للعوام بشرط علم اليقين ثم طريق المؤمنين وهو للخواص بشرط عين اليقين ثم
طريق المحسنين وهو لخواص الخاص بشرط حق اليقين فهؤلاء بنور العقل اصحاب

البرهان وهؤلاء بكشف العلم اصحاب البيان وهؤلاء بضياء المعرفة بالوصف كالعيان
وهو الذى قال عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه للذين احسنوا اى فى مراتب الايمان
والاسلام والاحسان الحسنى المثوبة الحسنى وهى الجنة العليا وزيادة اى وما يزيد على المثوبة
الشاملة للرؤية لكنها لما كانت هى نهاية الوصلة وغاية القربة فسرها النبى عليه السلام
كما فى صحيح مسلم ومسند الامام احمد وسنن الترمذى وابن ماجة وثبت عن الصديق الاكبر
والكثر اكابر الصحابة وائمة اهل السنة السنية خلافا للمعتزلة وسائر المبتدعة المحرومين
من هذه المرتبة العلية ولعل تسميتها بالزيادة لقوله ويزيدهم من فضله ولقوله
ولدينا مزيد وهذا العموم الذى اخترناه لا ينافى ما روى عن ابن عباس من ان الحسنى
مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى اضعافها ولعله مقتبس من مقابلة قوله
الآتى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها ويمكن دفعه بان هذا فى مقابلة
الحسنى كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوآى والمقابل للزيادة الموجبة
لكمال العزة قوله وترهقهم ذلة ويؤيده قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
الآية واما ما نقل عن مجاهد من الزيادة هى المغفرة والرضوان ففيه ان المغفرة مقدمة
على دخول الجنة والرضاء هو موجب للقاء وافاد الاستاذ ان الحسنى الكرامة لهم
هى الجنة وما فيها من صنوف النعمة وقوله تعالى وزيادة فعلى موجب الخبر واجماع السلف
النظر الى الله ويحتمل الحسنى الرؤية والزيادة دوامها ويحتمل ان يكون الحسنى اللقاء
والزيادة البقاء فى حال اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشيها قتر سواد وغبرة
ولا ذلة مهانة والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل الحرقة ولا يلحقهم سوء حالة من
جهة الفرقة كما للملك المغرقة اولئك اصحاب الجنة ملازموها هم فيها خالدون
دائمون لا انقراض لها ولا زوال لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها وافاد الاستاذ
فى قوله سبحانه ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة لا يقع عليها غبار الحجاب بعكسه
حديث الكفار ولو من اهل الكتاب حيث قال وجوه يومئذ عليها غبرة قلت
وسيأتى قوله وترهقهم ذلة قال والذلة التى لا تصيبهم ان لا يردوا من عز
شهوده الى رؤية غيره هم فيها خالدون اى فى فنون افضاله لهم فى جميع
احوالهم والذين كسبوا السيئات اى لهم او جزاؤهم له جزاء سيئة
بمثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هى الفضل وان تركها هو العدل وترهقهم
ذلة اى مذلة تصيبهم منها قترة وغبرة ما لهم من الله من عاصم اى احد يعصمهم من السخط
والعقوبة وقال الاستاذ والذين كسبوا السيئات وعملوا الزلات لهم جزاء سيئة بمثلها
والآفة اى لكل واحد واحد بلا زيادة وترهقهم ذلة آثار الحجاب على وجوههم لائحة فان
الاسرة تدل على السريرة ما لهم من الله من عاصم اى ما لهم عاصم من العذاب ومانع من ذل
الحجاب كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وقرأ ابن كثير والكسائى

قطعا

قطعا بالسكون اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ولعل المراد بالسيئات انواع الكفر
واصناف الشرك لتخصص الآية بالكفار ولا تعم الفساق الفجار كما عليه ائمة اهل السنة خلافا للخوارج
والمعتزلة والظاهر ان الله سبحانه اقتصر على بيان حال الفريقين من المؤمنين والكافرين
من جهة الوعد والوعيد فى جميع القرآن المجيد وستر حال الفاسقين حتى يبقوا بين الرجاء والخشية
ولا يبقوا فى الياس والامنة وليعلموا انهم تحت المشية مع ان بعضهم لهم عقوبة سابقة ونعمة
لاحقة ويوم نحشرهم اى الفريقين جميعا اى جميعهم اى مجتمعين ثم نقول للذين اشركوا
لجميع المشركين مكانكم اى الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل
اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم الضمير
للمشركين اولهم وللمعبودين اى فرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت عندهم وقال
شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون قيل هذا مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما
عبدوا فى الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا والاظهر ان القول على
حقيقته فالمراد بالشركاء الملائكة والمسيح ونحوهم او انه سبحانه ينطق الاصنام فتشافه
منهم بذلك الكلام مكان الشفاعة التى كانوا توقعوا منها فى ذلك المقام او المراد بالشركاء
الشياطين وهو الاظهر ويؤيده خطبة رئيسهم كما اخبر الله عنه بقوله وقال الشيطان لما قضى
الامر الآية ولا يبعد ان يراد بشركائهم من حملهم على الشرك من رؤسائهم كما يدل عليه
قوله سبحانه اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا الآية وفى الجملة يتبرأ بعضهم من البعض لقوله
ويذوق كل وبال فعله قال الاستاذ وفائدة هذا التعريف ان ما ليس لله فهو وبال عليهم
فاشتغالهم اليوم بذلك من المحال ولهم فى المآل من ذلك الوبال انتهى ثم لا يخفى ان
ارادة الاصنام او الملائكة الكرام اولى بالمقام لقوله سبحانه حكاية عن جوابهم فكفى
بالله شهيدا بيننا وبينكم فان العالم بالحال والمآل ان كنا عن عبادتكم لغافلين
ان مخففة واللام فارقة ولا يبعد ان يكون الحكم مجملا والقول مفصلا هنالك اى
فى ذلك المكان او الزمان تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من خير وشر
فتعاين ما يترتب عليه من نفع وضر وقرأ حمزة والكسائى تتلو من التلاوة اى
تقرأ ذكر ما قدمت من صحيفة عملها او من التلو اى تتبع عملها فيقودها الى الجنة او الى
العقوبة وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نعاملها معاملة المختبر
بحالها المتعرف بسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من عبادتها وخطيئاتها
وفى تفسير السلمى قيل المعنى تطلب كل مدع بحقيقة ما ادعى قلت وما ايسر الدعوى
وما اعسر المعنى وردوا الى الله اى رجعوا الى جزائه او انقلبوا الى رضائه مولاهم
الحق اى متولى امورهم على الحقيقة وضل اى ضاع وبطل وغاب عنهم ما كانوا
يفترون من دعوى شفاعة الالهة او من دعوى الصلاح والديانة وقال الاستاذ
انما يقفون على خسرانهم اذا ذاقوا طعم هواهم واذا ردوا الى الله لم يجدوا الا البعد

من الله والطرد من قبل الله وذلك جزاء من آثر عليه غيره قل من يرزقكم من
السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية
اومن لبيان من على تقدير مضاف اومن اهل السماء والارض امّن يملك السمع
والابصار ام يستطيع خلقهما اومن يحفظهما من الآفات مع كثرتهما وسرعة انفعالهما من ادنى
شيء مما يضرهما ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي من ينشئ الحيوان من النطفة
والنطفة منه ومن يدبر الامر اي امر العالم كله وهو تعميم بعد تخصيص له قال الواسطي اذا قال
من يدبر الامر كيف يجوز لقائل يقول فعلي وعلي اي بتدبيري وتحقيق هذا التعبير في التنوير
لاسقاط التدبير فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد لفرط وضوح الامر
من انه لا خالق سواه للعباد ويؤيده قوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فقل
افلا تتقون مخالفته او معاقبته باشراككم اياه ما لا وجود له الا بايجاد الله وافاد الاستاذ
انه سبحانه كما توحد بكونه خالقا تفرد بكونه رازقا وكما لا خالق سواه فلا رازق سواه ثم الرزق
على اقسام فللاشباح رزق وهو للقوم توفيق الطاعات وللافرق خذلان الزلات وللارواح رزق
وهو للقوم حقائق الوصلة وللافرق في الدنيا الغفلة وفي العقبى العقوبة والمهلة وقوله امّن
يملك السمع والابصار فيكحل بعض الابصار بالتوحيد ويعمي بعضها عن التحقيق والتاييد
ومن يخرج الحي من الميت المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن فسيقولون الله ولكن
ظنا لا عن تحقيق ببصيرة ونطقا لا عن تصديق سريرة فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي
لهذه الامور هو المستحق للعبادة هو ربكم الثابت الربوبية حيث انشاكم واحياكم
ورزقكم ودبر امركم على وفق المشيئة والارادة فماذا بعد الحق الا الضلال ليس بعد الحق
الا الباطل فمن يخطي الحق الذي هو عبادة الحق وقع في تيه الضلال الموجب للاغلال
والانكار فاني تصرفون عن الحق الى الباطل مع وضوح ان ليس تحته طائل وافاد الاستاذ
ان الكون موضوعات الحق ومتعلقات الارادة ومتناولات المشيئة ومحتسبات
التقدير ومصرفات القدرة فهي اشباح خالية واحكام التقدير عليها جارية كذلك
حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية له كذا حق كلمة الله وحكمه وعدل على الذين
فسقوا تمردوا في خروجهم عن طاعة ربهم انهم لا يؤمنون علة او بدل من الكلمة والمراد
بها العدة بالعقوبة لقوله تعالى وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة ولكن حق
القول مني لاملأن الآية وافاد الاستاذ انه سبق منه الحكم وصدق فيهم القول
فلا لحكمه تحويل ولا لقوله تبديل وان العلل لا تغير الازل قل هل من شركائكم من يبدؤ
الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا
على بيانها ولذلك خص الرسول عليه السلام في الخطاب بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله
يبدؤ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم وعنادهم فيها يمنعهم ان يعترفوا بها فاني تؤفكون
تصرفون عن طريق الحق وسبيل الصدق قال ابن عطا يبدئ باظهار القدرة فيوجد المعدوم

ثم يعيدها

ثم يعيدها باظهار الهيبة فيفقد الموجود ذكره السلمي قل هل من شركائكم من يهدي
الى الحق بنصب الآيات وارسال الرسل بالمعجزات قل الله يهدي للحق يقال هداه
للحق والى الحق فجمع بينهما تفننا في العبارة واقتصر عليه الزمخشري ويؤيده انه تعالى
قال ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وفي موضع آخر وانك لتهدي الى صراط مستقيم
لكن قد يتعدى بنفسه ومنه قوله سبحانه اهدنا الصراط المستقيم وحقق ابن القيم الجوزي
الفرق في مقام الجمع بقوله اللام يكون للفاعل في المعنى نحو قولك لمن هذا فيقال لزيد فاتى
باللام واما الى فيكون للمفعول في المعنى نحو قولك الى من يصل هذا الكتاب فيقال في الجواب
الى عبد الله ومن ذلك ان اللام في الاصل للملك او الاختصاص او الاستحقاق والملك
والاستحقاق انما يكون للفاعل الذي يملك ويستحق والى للانتهاء والغاية والغاية منتهى
ما يقتضيه الفعل فهي بالمفعول اليق لانها تمام مقتضى الفعل والله اعلم باسرار كتابه
وافاد الاستاذ ان الحق اسم الله سبحانه فهو حق ومعناه انه موجود وانه ذو الحق
ومحق الحق واما الحق من اوصاف الخلق ما حسن فعله وصح اعتقاده وجاز النطق به
والله يهدي للحق اي الى الحق هديته وهديت اليه بمعنى فمن هداه للحق وفقه للحق وعزيز
من هداه الحق الى الحق للحق بلا نصيب له ولا حظ انتهى ولا يخفى ان قوله للحق له مزية على
قوله الى الحق على ما نطق به اهل الحق فينبغي ان يكون التقدير افمن يهدي الى الحق للحق
لان الهداية للحق من خواص الحق بخلاف الهداية المطلق وتوضيحه ان المراد بهدايته
الحقيقية هي الهداية الموصلة بخلاف هداية غيره من الانبياء والكتب المنزلة وهذا هو
المعنى الحقيقي في حق الحق وهو لا ينافي استعمال الهداية في حقه ايضا على الطريق
المجازي كما حقق في قوله واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى فانه بمعنى الدلالة بالوجه
المطلق الى الحق لا بمعنى الدلالة الى المقيد بكونه للحق فتدبر وتحقق والحاصل ان الهداية
بنوعيها منفية عن الشركاء في الالوهية وثابتة لله سبحانه بالنسبة الحقيقية
والمجازية وقد يوجد اسناد المجازية الى غيره سبحانه من الانبياء والعلماء والكلمات القرآنية افمن يهدي
الى الحق احق ان يتبع امّن لا يهدي الا ان يهدى اي ام الذي لا يهتدي من قولهم
هدى بنفسه اذا اهتدى وهو الموافق لما عليه جمهور القراء او لا يهدي غيره الا ان
يهديه الله وهذا حال اشرف الشركاء كالملائكة وبعض الانبياء وقرا ابن كثير
وورش وابن عامر يهدّي بفتح الهاء وتشديد الدال وحفص بكسر الهاء والتشديد
واصله يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء المنقولة اليها او كسرت لالتقاء
الساكنين وقالون باختلاس فتحة الهاء وابو بكر باتباع الياء الهاء المكسورة لما
سبق والباقي وهو حمزة والكسائي بتخفيف الدال كما تقدم فما لكم كيف تحكمون
بما يقتضي صريح العقل بطلانه واظهر العقل والشرع برهانه وما يتبع اكثرهم في
معتقدهم الا ظنا مستندا الى خيالات كاسدة ومقدمات فاسدة كقياس

الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق باد في مشاركة موهومة والمراد باكثرهم جميعهم
ان الظن لا يغني من الحق من العلم الحق والاعتقاد الصدق شيئا من الاغناء
او لا ينفع شيئا من الاشياء ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم الظنون
واعراضهم عن اليقين في الفنون قال ابو جعفر كيف يجوز لنا ان نتكلم في حقائق
الاحوال والله يقول وما يتبع اكثرهم الا ظنا ذكره السلمي وافاد الاستاذ ان العبد
يجب ان يكون على ظن في مآل حاله اذ لا يعرف احد غيب نفسه في ماله وفي صفة الحق
يجب ان يكون العبد على قطع وبصيرة فالظن في الله معلول والظن فيما من الله محمود ولا
يجوز لوجه من الوجوه ان يكون اهل المعرفة به سبحانه فيما يعود الى صفته على الظن كيف
وقد قال تعالى فيما امر نبيه عليه السلام ان يقول على بصيرة انا ومن اتبعني وكما قلنا
طلع الصباح فلات حين سراج • واتى اليقين فلات حين حجاج • حصل
الذي كنا نؤمل نيله من عقد الوية وحل رتاج فالبعد قوض بالدنو خيامه والوصل
وكذا تجلى بعد ناي قد خان ايام السرور وجيئتها لهواجم الاحزان بالازعاج •
وما كان هذا القران ان يفترى اي افتراء او مفترى من دون الله اي مما سوى
ولكن تصديق الذي بين يديه اي ولكن كان تطبيقا او مطابقا لما تقدمه من
الكتب الالهية وموافقا لما سبقه من كلمات الرسل الماضية وتفصيل الكتاب
اي وتبيين ما حقق واثبت من العقائد الدينية والاحكام الشرعية لا ريب فيه
اي منتفيا عنه الشك عند ارباب اليقين من رب العالمين اي كائنا من عند
ارحم الراحمين وافاد الاستاذ ان بصائرهم انسدت فلم يزدادوا بكثرة سماع القران
الا عمى على عمى كما ان اهل الحقيقة ما ازدادوا الا هدى على هدى فسبحان من جعل سماع خطابه
لقوم سبب تحيرهم ولاخرين موجب تبصرهم ام يقولون افتراه بل يقولون اختلقه
محمد فام منقطعة وبل للانتقال والهمزة لانكار المقال قل فاتوا بسورة مثله
في البلاغة المبنى وجزالة المعنى فانكم مثله في العربية والفصاحة واشد تمرنا منه في
النظم والعبارة وادعوا من استطعتم اي استعينوا مع ذلك بمن امكنكم منه الاستعانة
من دون الله اي مما سواه فان له القوة العالية والحجة البالغة ان كنتم صادقين
في تكذيب صاحب الرسالة وقال الاستاذ اعترف كل خطيب بليغ فصيح بالعجز عن
معارضته وما اراد معارضته الا من افتضح في مقالته بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي
بل سارعوا الى تكذيبهم بالقران اول ما سمعوه قبل ان يتاملوا ما فيه ويعلموه ولما ياتهم
تاويله ولم يقفوا بعد على تاويل مبانيه ولم يبلغ اذهانهم تحسين معانيه ولم يتبين حقيقة
اخبار ما فيه ولا تكلموا اجابا فيه كذلك كذب الذين من قبلهم المرسلين فانظر كيف
كان عاقبة الظالمين فيه وعيد للمصدقين وافاد الاستاذ انهم قابلوا الحق بالتكذيب
لتقاصر علومهم عن التحقيق من شرط التصديق وانما يؤمن بالغيب من لوح بقلبه حقائق البرهان

وصرف

وصرف عنه دواعي الريب في جميع الازمان ومنهم من يؤمن به اي ومن المكذبين من
يصدق به في باطنه ولكن يعاند في ظاهره او من سيؤمن به ومنهم من لا يؤمن به لفرط
جهالته وغلبة ضلالته او سيموت على كفره وربك اعلم بالمفسدين اي بالمصرين المعاندين ولا
يبعد ان يكون ضمير منهم راجعا الى الخلق جميعهم كقوله سبحانه هو الذي خلقكم فمنكم كافر
ومنكم مؤمن واختاره الاستاذ حيث افاد بقوله فاما الذين آمنوا فهم الذين كحل
الحق ابصار قلوبهم بنور اليقين واما الذين لم يؤمنوا فهم الذين وسم قلوبهم بالعمى
واذاقوا بالضلالة عن الهدى تلك سنة الله في الطائفتين ولن تجد لسنة الله
تحويلا ولن تجد لسنة الله تبديلا وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم اي فتبرأ منهم
فقد ازلت عذرهم والمعنى فقل تختص لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا
وهذا ارخاء العنان للخصم في معرض البيان انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون
اي لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ولما فيه ايهام
الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بامر القتال معهم وافاد الاستاذ انه
اسناد الطرفان واستبان حقائق العرفان فلا المحسن بجرم المسيء معاقب ولا المسيء
بجرم المحسن معاقب كل على حدة بما يعمله وعلى ما يفعله محاسب ومنهم من يستمعون اليك
اذا قرأت القرآن واوضحت الشرائع بالبرهان ولكن لا يقبلون فصلا كالاصم الذي
لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم اي اتقدر على اسماعهم العلم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم
الى صممهم عدم تعقلهم وافاد الاستاذ ان من استمع بتكلفه ازداد في تكلفه بزيادة تصرفه
ومن اسمعه الحق بتفضله استغنى في ادراكه عن تعلمه والله سبحانه يسمع اولياءه بما يناجيهم
في اسرارهم فاذا سمعوا عاد الواسطة فابلوه بالقبول لما سبق لهم من استماع الحق
ومن عدم سماع الحق اياه من حيث التفهيم لم يزده سماع الخلق الا جحدا على جحد وخبطا
الا بعدا على بعد ومنهم من ينظر اليك يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون
برسالتك افانت تهدي العمي اي اتقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون اي وان
انضم الى عدم بصرهم عدم بصيرتهم فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار
والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن بما لا يدركه البصير
الاحمق حين يتخمن والآية كالتعليل للامر بالتبري منهم والاعراض عنهم وافاد الاستاذ
ان من سدت بصيرته بالغفلة والغيبة لم يزده ادراك البصر الا حجبة على حجبة ومن
لم ينظر الى الله بالله ولم يسمع من الله بالله فقصاراه العمى والصمم فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقد قال عليه السلام فيما اخبر عن الله فبي يسمع
وبي يبصر وانشد قائلهم تامل بعين الحق ان كنت ناظرا الى الحق منه المنظر اليه يعود
ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب سمعهم وبصرهم وعقلهم ولكن الناس وقرأ حمزة
والكسائي بالتخفيف والرفع انفسهم يظلمون بافساد حواسهم وتفويت منافعهم فيه

ودلالة على ان العبد ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت الجبرية وافاد الاستاذ انه نفى عن ذاته ما يستحيل تقديره فى نعته وكيف يوصف بالظلم وكل ما يتوهم ان لو فعله لكان له ذلك اذ الملك حقه والملك ملكه ومن لا يصح تقدير قبح فعل منه انى يوصف بالظلم جوازا ووجودا ويوم نحشرهم وقرأ حفص بالياء كان لم يلبثوا اى نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا لطول هول ما يشاهدونه فى العقبى يتعارفون بينهم اى اول ما حشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم حين نشروا وافاد الاستاذ ان الايام والشهور والاعوام والدهور بعد مضيها فى حكم اللحظة لمن تفكر فيها متى يكون لها اثر بعد تقضيها والاتى من الوقت قريب فكان قد والماضى من الدهر كان لم يعهد قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اى بالبعث والجزاء وما كانوا مهتدين الى طريق الاولياء فى تصديق الانبياء واما نرينك بنصرتك بعض الذى نعدهم اى من العذاب فى حياتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فنرى اصحابك فى الدنيا فالينا مرجعهم فى الدنيا والاخرى فنريكه فى العقبى فهو جواب لهما وقيل هو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف اى فذاك واو للتنويع او التخيير ثم الله شهيد على ما يفعلون اى مطلع على افعالهم ومجازيهم بحسب احوالهم وقال الاستاذ معناه ان خبره صدق ووعده ووعيده حق وبعد النشر لحشر وفى ذلك الوقت مطالبة وحساب ثم على الاعمال ثواب وعقاب وما اسرع ما يكون المعلوم مشاهدا او موجودا ولكل امة اى جماعة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى ما يعود نفعه عليهم فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبه اكثرهم قضى بينهم بين الرسل وتكذيبه بالقسط بالعدل فانجى الرسول والمؤمنون واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وافاد الاستاذ انه سبحانه لم يخل زمانا من شرع ولم يخل شرعا من حكم ولم يخل حكما مما يتعقبه من ثواب وعقاب ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبى والمؤمنين او لمجموع المرسلين وافاد الاستاذ ان الاستعجال بهجوم الموعود من امارات اصحاب التكذيب واما اهل التصديق والتحقيق فليس لهم بوارد يرد عليهم استقبال قبل وروده ولا استعجال على حين كونه ووجوده ولا اذا ورد استثقال لما تضمنه من حكمه فهم مطرحون فى اسر حكمه لنهم لا يتحرك عرق عنهم باختيارهم قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا اى دفع ضر ولا جلب نفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من غيرهما او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لا محالة وافاد الاستاذ ان المملوك من يكون له ملك واذا كان سيد البرايا لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فمن نزلت رتبته وقصرت حالته متى يملك ذرة او يكون باختياره شمة لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم اى قارب وقت اهلاكهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون اى لا يتأخرون ولا يتقدمون لمحة او اذا تحقق انتهاء زمان من هو هالك فلا يستأخرون ساعة هنالك ولا يستقدمون قبل ذلك كذلك او كما

لا يتصور

لا يتصور وجود تقدمهم بعد تحقق مجىء اجلهم بالعقل لا يتصور وقوع تأخرهم بالنقل والمعنى انكم لا تستعجلوا هلاككم فانه سيجىء وقتكم وينجز وعدكم قل ارأيتم ان اتكم عذابه الذى تستعجلونه بياتا وقت بيتوته واشتغال بنوم وراحة او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم فى غفلة ماذا يستعجل منه المجرمون اى نوع من العذاب يستعجلونه وكل انواعه يكرهونه وهو جواب الشرط كقولك ان اتيتك ماذا تعطينى والجملة متعلقة بارأيتم فانه بمعنى اخبرونى وافاد الاستاذ ان من عرف كمال القدرة لم يأمن من فجاءة الاخذ بالشدة ومن خاف البيات لم يستلذ بالسبات ويقال من توسد الغفلة ايقظته فجاءة العقوبة ومن استوطى مركب الزلة عثر به فى وهدة من المحنة اثم اذا ما وقع اى بعد وقوعه امنتم به حين عدم نفعه الان اى قيل لهم فى تلك الحالة اى فى هذا الزمان امنتم به وقد كنتم به تستعجلون قبل مجيئه وقرأ نافع الان بالنقل وقال الاستاذ لا حجة بعد ازاحة العلة ولا عذر بعد وضوح الحجة ويقال بعد انتهاك ستر الغيب لا يقبل تضرع المعاذير فى العيب ثم قيل عطف على قيل المقدر للذين ظلموا بالكفر والاثام ذوقوا عذاب الخلد اى الايلام على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون فى الليالى والايام فان الدنيا مزرعة العقبى وقال الاستاذ لا يكلف نفس الا تجرع ما سقت ولا تحصد الا سنابل ما زرعت ويستنبئونك احق هو يستخبرونك احق ما يقول من الوعيد وحق مبتدأ والضمير مرتفع ساد مسد خبره قل اى وربى اى بمعنى نعم وهو من لوازم القسم انه لحق اى ان العذاب لكائن وما انتم بمعجزين فائتين العذاب الواقع ولو ان لكل نفس ظلمت على نفسها او غيرها والمعنى لو ثبت لنفس عصت بربها ما فى الارض من اموالها وخزائنها لافتدت به اى لجعلته فدية من العذاب لخلاصها وقال الاستاذ لا يقبل منهم عدل ولا صرف ولا يحصل فيما سبق لهم من الوعيد خلف ولانه اته شفعهم وان صدقوها ولا كرامة تنالهم وان طلبوها ولا ظلم يجرى عليهم ولا حيف كلا بل هو انه العدل فى قضائه المفرد فى علائه بنعت كبريائه واسروا الندامة اى اخفوها لانهم بهتوا بما عاينوا فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اظهروها وقيل اخلصوها لما راوا العذاب وقضى بينهم بالقسط اى بالعدل او بحسب الفعل وهم لا يظلمون ولا تكرار فان الاول قضاء بين المرسلين والمكذبين والثانى حكم بين الظالمين والمظلومين ويشعر اليهم دلالة الظلم عليهم الا ان لله ما فى السموات والارض تقرير للقدرة على المثوبة والعقوبة الا ان وعد الله حق اى ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فى هذا الباب ولكن اكثرهم لا يعلمون امور العقبى لقصور نظرهم

على ظاهر الدنيا قيل المغبون من رجع الى غير ربه فى سؤاله لان الكل له فمن طلب بعضها من غيره فقد حجب
فى طريقه الآن وعد الله حق اى يجزم سائل غيره ويبعد عليه وجه طلبه ولا يجيب بمقصود سائله
ويبلغه الى اقصى مسائله ذكره السلمى وافاد الاستاذ ان الحادثات باسرها لله ملكا وبه ظهور
او ملكا ومنه ابتداء واليه انتهاء فقوله حق ووعده صدق وامره حتم وقضاؤه جزم وهو على
على ما يشاء قوى هو يحيى ويميت فى الدنيا فهو قادر عليهما فى العقبى لان القادر
لذاته لا يزول قدرته ولا تحول قوته والمادة القابلة للحيوة والممات قابلة لهما فى
جميع الاوقات واليه ترجعون فى جميع الحالات وقال بعضهم هو يحيى القلوب باماتة
النفوس ويميت القلوب بحيوة النفوس ذكره السلمى وقال الاستاذ يحيى القلوب
بانوار المشاهدة ويميت النفوس بانواع المجاهدة فنفوس العابدين اتلفها فنون كدها
وقلوب العارفين شرفها عيون المجاهدات ويقال يحيى من اقبل عليه ويميت من غفل عنه
ولم يمل اليه يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة
للمؤمنين اى قد جاءكم كتاب ناصح جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال
ومقابح الاحوال المرغبة فى مستحسناتها والمنفرة عن مستقبحاتها وحاو نافع للحكمة
العلمية التى هى شفاء لما فى الصدور من سوء العقائد واخلاق الشرور وهداية للمتقين
الى الحق واليقين ورحمة شاملة لانواع نعمة للمؤمنين والتنكير فيها لتعظيمها وقال
ابن عطا الموعظة للنفوس والشفاء للقلوب والهدى للاسرار والرحمة لمن هذه
صفته من الابرار ذكره السلمى وافاد الاستاذ ان الموعظة للكافة اجمعين لكنها لا تنجع
فى قوم وتنفع فى آخرين لمن صفى سمع سره اتضح نور التحقيق فى صدره ومن استمع اليه
بسمت غيبته ما اتصف الابد وهم حجبته ويقال الموعظة لارباب الغيبة ليؤبوا والشفاء
لاصحاب الحضور ليطيبوا ويقال الموعظة للعوام والشفاء للخواص والهدى لخاص الخاص
والرحمة لجميعهم وبرحمته وصلوا الى جميع ذلك ويقال شفاء كل احد على حسب دائه
فشفاء المذنبين بوجود الرحمة وشفاء المطيعين بوجود النعمة وشهود العارفين بوجود
القربة وشفاء الواجدين بشهود الحقيقة ويقال شفاء العاصين بوجود النجاة وشفاء
المطيعين بوجود الدرجات وشفاء العارفين بالقرب والمناجاة قل بفضل الله
باعطاء الايمان وبرحمته بانجاء القرآن فافرحوا فبذلك اى لا بغيره فليفرحوا وفائدة
التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال للتاكيد مع ما فيه من عموم الحكم للمخاطبين والغائبين
على ما اخترناه من التقدير المفيد للتقييد وعن يعقوب من القراء العشرة فلتفرحوا
بالخطاب على الاصل المتروك فى هذا الباب وقد روى مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا
وهما يقويان ما قدرنا على نهج ما قررنا وافاد الاستاذ ان الفضل هو الاحسان الذى ليس
بواجب على فاعله والرحمة ارادة النعمة وقيل هى النعمة اى بمعنى الانعام فعلى الاول
هى من صفات الذات وعلى الثانى من صفات الافعال والاحسان على اقسام كذلك

النعمة

النعمة ونعم الله اكثر من ان تحصى ويقال فضل الله ما اكرمهم به من انوار الطاعات ورحمته
ما عصمهم من ارتكاب الزلات ويقال فضل الله دوام التوفيق ورحمته تمام التحقيق ويقال فضل الله
ما يخص به اهل الطاعات من صنوف احسانه ورحمته ما يخص به اهل الزلات من وجوه غفرانه
ويقال فضل الله الرؤية ورحمته ابقاؤه فى تلك الحالة ويقال فضل الله الموفقة فى البداية
ورحمة المغفرة فى النهاية وقوله فبذلك فليفرحوا اى بما اتكلهم له لا بما تتكلفون من حركاتكم وسكناتكم
وتصلون اليه بنوع من تكلفكم وتعملكم هو اى ذلك الفضل والرحمة العليا خير مما يجمعون من حطام
الدنيا ومنالها فان مآلها الى زوالها وقرأ ابن عامر بالخطاب اى فبذلك فليفرح المؤمنون
فهو خير مما تجمعون ايها المخاطبون وقال الاستاذ اى ما يتصفون به من الاحوال الزاكية
الباقية خير مما يجمعون من الاموال الوافية الفانية ويقال الذى لك منه فى سابق القسمة
خير لك مما تكلفته من صنوف الخدمة قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لكونه
باسباب من السماء مقدرا او محصلا فجعلتم منه حراما وحلالا اى بعضه حراما عليكم او على بعضكم
وبعضه حلالا لكم من عندكم كقولهم ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا قل آلله اذن لكم اى فى ذلكم فبحكمه تقولون ام على الله تفترون وما ظن الذين
يفترون على الله الكذب اى اى شئ ظنهم يوم القيمة بربهم الجيبون ان لا يجازوا
بذنبهم وفى ابهام الوعيد تهديد شديد ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم
بالعقل وهداهم بالرسل والكتب الى طريق النقل وقال الاستاذ ان الله لذو فضل
على الناس فى امهال من اجرم والعصمة لمن لم يجرم ولكن اكثرهم لا يشكرون بل هم بنعمة
ربهم يكفرون وما تكون فى شأن اى فى امر من الامور مما يظهر شأنه او يستر
فى الصدور وما تتلوا منه اى من عند الله او من اجله من قرآن متعلق بتتلو اى
بعض قراءته وما تعملون من عمل تعميم الاعمال والخطاب بعد تخصيص الحكم بالرسول
والكتاب الا كنا عليكم شهودا مطلعين مراقبين مع الكرام الكاتبين اذ تفيضون
فيه اى تدخلون فيه وتخرجون منه قال شقيق على العبد ان يلزم قلبه دوام نظر الله
عز وجل اليه وقربه منه وقدرته عليه لقوله سبحانه ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم
شهودا وقال بعضهم من شهد شهود الحق اياه قطعه ذلك عن مشاهدة ما سواه
ذكره السلمى وقال الاستاذ خوفهم بما عرفهم من اطلاعه عليهم فى جميع احوالهم
ورؤيته بما يلقونه من فنون اعمالهم والعلم بانه يراهم يوجب استحياءهم وهذه
حال المراقبة لهم فالعبد اذا علم انه يراه مولاه يستحيى منه ويترك متابعة هواه ولا
ولا يحوم حول ما نهاه وانشدوا فى معناه • كانك قبالي منك حال يهيجني
اذا رمت تسهيلا على تصعبا • وما يعزب عن ربك وقال الكسائى بكسر
الزاى اى لا يبعد عن علمه ولا يغيب عن حكمه من مثقال ذرة اى بعض موازن
نملة او هباء صغيرة فى الارض ولا فى السماء اى فى السفليات والعلويات

الشاملة لجميع الموجودات والممكنات وقدمت الارض لان الكلام في اهلها اذ المقصود منه
البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين برفع استيناف مقرر لما قبله ولا نافية
وصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة برفعهما على الابتداء وجوز عطفه على لفظ مثقال ذرة وفتح
بدل الكسرة لامتناع الصرف وعلى محله مع الجار لمن قرأ برفعه وجعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح
المحفوظ او علم الله المسمى بام الكتاب والاول اولى لانه يفهم منه ان في باب الحكم بل علم من الغيبة الا
وملكا فيه من الاشارة الى ان جميع الامور الحادثة قد دخلت تحت احكام الكتابة بحيث العلم والاحكام
وافاد الاستاذ انه كيف يخفى ذلك عليه او يتقاصر عنه علمه وهو منشئه وموجده وببعض احكامه الجائزة
تخصصه وانما قال الا في كتاب مبين ردهم الى كتابة ذلك عليهم لعدم اكتفائهم في الاتساع عما هو
عنه برؤيته وعلمه بما لديهم الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة او يتولاهم بالكرامة وذلك
ما بينهما من الملازمة لا خوف عليهم من لحوق كراهة ولا هم يحزنون بملالة وندامة او لا خوف عليهم
من لحوق عقاب وعتاب ولا هم يحزنون من فوات ثواب والآية كالمجملة يفسرها ما بعدها الذين
آمنوا وكانوا يتقون او بيان لتوليهم من الله وتوليهم اياه والمعنى الذين آمنوا بترك الشرك
الجلي وكانوا يتقون الشرك الخفي وافاد الاستاذ ان الولي على وزن فعيل مبالغة من الفاعل هو
من توالت طاعاته من غير تخللها عصيان ويجوز ان يكون بمعنى مفعول كجريح بمعنى مجروح ومقتول
ليكون المؤمن يتوالى عليه احسان الله وافضاله او يكون بمعنى كونه محفوظا من المعاصي في عامة احواله
فكما ان النبي لا يكون الا معصوما فالولي لا يكون الا محفوظا والفرق ان المعصوم لا يلم البتة بالذنب
والمحفوظ قد يحصل منه هنات وقد يكون له في الندرة زلات ولكن لا يكون له اصرار عليها وثبات
فاولئك يتوبون من قريب ويبدل الله سيئاتهم حسنات فلا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون
في العاقبة وهو حسن ما قيل في الآية الا ان الاولى ان يقال في الخواص منهم من لا خوف عليهم
لا في الحال ولا في المآل لان حقيقة الخوف توقع محذور يصيب في المستقبل او ترقب محبوب يزول
في المستأنف فانهم في حكم الوقت ليس لهم تطلع الى الاستقبال والحزن هوان يناله حزونة
في الحال وهم في روح الرضاء بكل ما يجري عليهم من الاحوال ولا يكون وليا الا اذا كان موفقا
لجميع ما يلزمه من الطاعات محفوظا بكل وجه عن جميع الزلات وكل خصلة حميدة يمكن ان يعبر بها
فيقال هي صفة الاولياء ويقال المؤمن لا يقصر في حق الحق ولا يؤخر القيام بحق الخلق
يطيع لا لخوف عقاب ولا لتوقع ثواب ولا على ملاحظة حسن مآب او تطلع لعاجل اقتراب
ويقضي لكل احد حقا يراه واجبا ولا يقتضي من احد حقا له لا زيادة ولا ينتقم ولا ينتصف ولا
يشمت ولا يحقد ولا يقلد احدا منة ولا يرى لنفسه ولا لما يعمله ويعمله قدرا ولا قيمة الذين
آمنوا في الحال وكانوا يتقون الشرك في المآل ويقال آمنوا بقلوبهم من حيث المعارف
واستقاموا بنفوسهم في اداء الوظائف ويقال آمنوا بتلقي التعريف واتقوا بالتوقي
عن المحرمات بالتكليف لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو ما بشر الله به المتقين في كتابه وعلى
لسان نبيه وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفة ويلمح لهم من المشاهدة

او ما يبشرون به عند النزع على لسان الملائكة كما قال تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور
رحيم وفي الآخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة في دار المقامة وقيل
هذه الآية بيان لتوليهم من قبل الله وما قبلها برهان لتوليهم اياه قبل وفي الاخرى تصديق
تلك البشرى وافاد الاستاذ ان الامر يدل على الصحة فاذا قاموا بما امروا به واستقاموا
بما زجروا عنه بشرتهم الشريعة بالخروج عن عهدة الالزام وبشرتهم الحقيقة باستيجاب
الاكرام بما كوشفوا به من الاعلام وهذه البشرى في عاجلهم واما البشرى في آجلهم فالحق
سبحانه يتولى ذلك التعريف والبيان بقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان ويقال
البشارة العظمى ما يجدونه في قلوبهم من ظفرهم بنفوسهم لسقوط مآربهم واي ملك اتم
من سقوط المآرب والرضا بالكائن اللازب هذه هي النعمة العظمى ووجدان هذه الحالة
هي البشرى الكبرى ويقال الفرق بين هذه البشارة التي لهم وبين البشارة التي لغيرهم
ان التي لهم نقد تحصيل وان التي لغيرهم وعد جميل لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاحكامه ولا خلف
لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم في الدارين من اهل البشارة هو الفوز العظيم فانه الظفر
بالنعيم المقيم ولا يحزنك قولهم اي في جنابنا او فيك او في كتابنا او اشراكهم وتكذيبهم
وتهديدهم ان العزة لله جميعا استيناف فيه معنى التعليل وقرأ الشاذة بالفتح كالدليل
كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بفعلهم ولا تهتم لامرهم لان الغلبة لله جميعا فهو يغلبك عليهم
ويعليك لديهم انه هو السميع لاقوالهم العليم باعمالهم واحوالهم وافاد الاستاذ ان العبد ما دام مستغرقا
يضيق صدره او يستوحش قلبه بما يسمع ويشاهد من الاغيار مما يتقدس عنه صفة الجبار فاذا
صار عارفا زالت عنه تلك الصفة لتحققه بان الحق سبحانه ذرأ كل طاعة وزلة فثناء المثنين
وتسبيحهم لا يوجب في وصفه زينا ومقالات الكفار في نعته لا توجب شينا فلا له من هذا
استيحاش ولا بذلك استيناس ثم يتحقق للعارف بان المجري لطاعة ارباب الوفاق الله
والمنشئ لاحوال اصحاب الشقاق الله فكما لا يبالي بوجود ما يجري لا يبالي العبد بشهود ما يجري
كما قيل • بنو حق غدوا بالحق صدقا ■ ونعت الحق فيهم مستعار • الا ان لله خلقا وملكا
من في السموات ومن في الارض من الملائكة المقربين والانبياء المرسلين واذا كان هؤلاء
الذين هم اشرف الممكنات في مرتبة العبودية ولا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل من الموجودات
اولى بان لا يكون له سبحانه شركة في مراتب الكمالات فهو كالتوطئة المتضمنة للحجة قوله وما يتبع الذين
يدعون من دون الله شركاء على النعت الحقيقي وان كانوا يسمونها شركاء بالوصف المجازي كما يدل
عليه قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله سبحانه وتعالى
ان يتبعون الا الظن ما يتبعون اليقين وانما يتبعون الظن في الدين وقد سبق ان الظن
لا يغني من الحق شيئا واما قول من قال انما يتبعون ظنهم انها شركاء فبعيد لانه يبعده الظن

من العقلاء ولو كانوا جهلاء ولما تقدم عنهم من انهم انما ظنوها شفعاء وان هم الا يخرصون اى يظنون
انهم شركاء ويخرزون ويقدرون انها شفعاء وقال الاستاذ لله من فى السموات ومن فى الارض ملكا يجريها
ويبدى عليهم ما يريد حكما حتما فلا لقبوله علة ولا لموجب رده زلة كلا انها احكام سابقة لم يوجبها اجرام
لاحقة ولا طاعات وعبادات صادقة هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اى تسكنوا مغرما والنهار
مبصرا اى لتبصروا فيه تنبيها على قدرته وتنويها على كمال نعمته وقال بعضهم جعل الليل سكونا لتسكنوا
فيه الى المناجاة والخلوة والنهار مبصرا لتبصروا فيه عجائب القدرة ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون
سماع التدبر والعبرة وافاد الاستاد ان الليل لاهل الغفلة بعد وغيبة ولاهل الندم توبة
وادبة وللمحبين زلفة وقربة فالليل بصورته غير ما نوس لكنه وقت القربة لاهل الوصلة كما قيل
وكم لظلام الليل عندى مزية • تخبر ان المانوية تكذب • قالوا اتخذ الله ولدا اى تبناه
سبحانه اى تنزيها عن التبنى فانه لا يتصور الا ممن يصح ان يكون له الولد وهو فى مرتبة التخذ
وافاد الاستاذ انه لا يجوز له التبنى لتفرده وانه لا شبيه له فى وصفه هو الغنى للجملة تنزيه كالعلة
فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما فى السموات وما فى الارض تقرير لغناه وتحرير لنفى كون
الملوك ولدا لمولاه ان عندكم ما عندهم من سلطان بهذا اى برهان بهذا البيان فثبت ان
قولكم من البطلان ناشئ من قبل الشيطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ على اختلافهم وتفريع
على جهلهم فى شقاقهم قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشرك
ونحو ذلك لا يفلحون لا ينجون من الحرقة والفرقة ولا يفوزون بالجنة والقربة متاع فى الدنيا
اى لهم تمتع فى الحيوة الدنية الفانية ثم الينا مرجعهم اى بالموت او البعث والحشر والنشر
فيلقون العقوبة الدائمة الباقية ثم نذيقهم العذاب الشديد بايقاع الحجاب الاكيد بما كانوا
يكفرون بسبب كفرهم وترك شكرهم الناشى عن عدم فكرهم وافاد الاستاد ان ما فيها من الامال
انما هى ايام قليلة ثم يتبعها الام طويلة فلا قدم لهم بعد ذلك ترفع ولا ندم بهم ينفع واتل عليهم
نبا نوح اى خبر امره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر اى شق وعظم عليكم مقامى
اى قيامى على الدعوة او اقامتى بينكم طول المدة وتذكيرى اياكم بآيات الله للنصيحة والموعظة
فعلى الله توكلت اى اعتمدت فيما ينوبنى من المصيبة فاجمعوا اى فاعزموا امركم اى بالمكيدة وشركاءكم
اى معهم ويؤيده قراءة يعقوب بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد بالمنفصل
لوجود الفصل او منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرا به يعقوب ايضا
فى رواية رويس وقرئ فاجمعوا من الجمع فى قراءة شاذة والمعنى انه امرهم بالعزم او الاجماع
على قصده والسعى فى اهلاكه على اى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم
حالكم فى قصدى عليكم غمة مستورا او مكسوفا بل اجعلوه ظاهرا مكشوفا ثم اقضوا ادوا
الى وامضوا على ذلك الامر الذى تريدون بى ولا تنظرون اى لا تمهلون ولا تؤخروا امرى
وافاد الاستاذ انه سبحانه انزل هذه الآية على وجه التسلية لنبيه عليه افضل الصلوة والتحية لما كان
يمسه من قومه من مقاساة الشدة فان ايام نوح فى المحنة وان طالت فما لبث كثيرا الا وقد

زالت كما قيل

زالت كما قيل • واحسن شئ فى النوائب انها • اذا هى نابت نوبة لم تكن خلدا
ثم بين انه بتوكله على ربه صبر ولم يحتشم عندما وقع بربته من كل ما به نزل ثم ان نوحا عليه السلام
قال انى توكلت على الله وهذا عين التفرقة وقال لنبينا عليه السلام يا ايها النبى حسبك الله
وهذا عين الجمع فبانت المزية وظهرت الخصوصية فان توليتم اعرضتم عن تذكيرى فما سألتكم
من اجر يوجب لكم الاعراض او يجب على الاعتراض بالحمل على تهمة الاغراض ان اجرى الا على الله
اذ لا تعلق لى بما سواه وامرت ان اكون من المسلمين اى المخلصين وطلب رضاه او من
المنقادين لحكمه لا اخالف فى امره ولا ارجو من غيره وافاد الاستاذ ان من كان عمله لله
لم يطلب الاجر عليه من غير الله وهكذا اجرى سنته فى جميع اولياء الله فكذبوه اى فاصروا
على تكذيبه فنجيناه من الغرق ومن معه فى الفلك ونجيناهم وكانوا
ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بسبب الطوفان
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين المخوفين عن الكفر بالنيران وافاد الاستاذ انه
انه سبحانه اغرق قومه بامواج القطرة وفى الحقيقة اغرقهم بامواج القدرة وحفظ نوحا
وقومه فى السفينة وفى الحقيقة نجاهم فى سفينة السلامة كان نوح فى سابق حكمه من
المحروسين وكان قومه فى قديم قضائه من المغرقين فجرت به الاحوال على ما جرت به
القسمة فى الازال ثم بعثنا من بعده اى ارسلنا من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول
الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المبينة لتصحيح الدعوة فما كانوا ليؤمنوا
فما استقام لهم ان يؤمنوا بما كذبوا به من قبل بسبب تعودهم تكذيب الحق قبل بعثة
الرسل الى طريق الصدق وقال الاستاد جروا فى التكذيب على منهاج من
خلافهم فاجرى سنته من غير تحويل فى اتلافهم كذلك نطبع على قلوب المعتدين
لانهماكهم فى الضلالة واهمالهم امر الدين وفى امثال هذه الآية دلالة لامعة
على ان الافعال بقدرة الله واقعة وان للعبد فيها بحسب الكسب نسبة جامعة ثم
بعثنا من بعدهم اى من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا بالآيات
التسع فاستكبروا عن اتباعهما وكانوا قوما مجرمين اى الاجرام معتادين فلذلك
تهاونوا فى امر الدين وصاروا من المعتدين وقال الاستاد قص عليه صلى الله عليه وسلم
انباء الاولين وشرح له جميع احوال الغابرين ثم فضله على كافتهم اجمعين وكانوا النجوم
وهو البدر وكانوا انهارا وهو البحر ثم انتظم عقدهم وبنوره اشرق نهارهم وبظهوره
ختم عددهم كما قيل يومك وجه الدهر من جلة حق عدد التفت الاسس فلما جاءهم
الحق من عندنا وتبين لهم الباطل باظهارنا قالوا ان هذا لسحر مبين اى واضح فى نفسه
الامر او ظاهر انه من نوع السحر قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكى
للقول لدلالة ما قبله عليه او لاشارة ما بعده اليه اسحر هذا ولا يفلح الساحرون من تمام كلام
موسى عليه السلام للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل سريعا ولم يبطل سحر السحرة جميعا

وقال الاستاذ ما زادهم الحق سبحانه بيانا الا ازدادوا طغيانا وذلك انه تعالى اجرى سنته
فى المردودين عن معرفته انه لا يزيد فى الحجج هدى الا ويزيد فى قلوبهم عمى ثم خفى عليهم قصود الشيئين
صلوات الله عليهم اجمعين تعالوا ايريدان يخرجكم من ارضكم بسحره فنظروا من حيث كانوا ولم يعرفوا
طعما غير ما ذاقوا كذا صفة من اقصته السابقة وردته المشيئة قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا
عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الالهة وتكون لكما الكبرياء فى الارض اى الملك دائرياسة
فيها وسمى بها لاتصاف الملوك بالكبر والتكبر على اتباعهم وارباب اطاعهم وما نحن لكما بمؤمنين
اى فلسنا فيما جئتما بمصدقين وافاد الاستاذ انهم ركنوا الى التقليد فيما دانوا واستحوذوا
استدامة ما عليهم كانوا فلحقهم شوم العقيدة وسوء الطريقة حتى توهموا ان الانبياء
عليهم السلام انما دعوهم الى الله ليكون لهم الكبرياء على عباد الله ولم يعلموا انهم انما دعوهم الى
الله لله بامر الله وقال فرعون ائتونى بكل ساحر وقرأ حمزة بكل سحار عليم بالغ فى علمه
حاذق فى فنه وافاد الاستاذ ان فرعون لما استعان فى استدفاع ما استقبله بغير الله لم يلبث
الا يسيرا حتى تبرأ عنهم بقوله لاقطعن لاصلبن وتوعدهم وكذا قصارى كل محبة وولاية
فى غير الله فانها تؤول الى العداوة والبغضة قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اى لا نبالى بسحركم فانا على ربنا متوكلون
وافاد الاستاذ انه عليه السلام امرهم امر اظهار لبطلانهم ليدخل الحق على ما اتوا به من التمويه فى
شانهم لنظر سلطانهم فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اى الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه
فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو السحر بهمزة استفهام ممدودة على ان ما استفهامية
مرفوعة بالابتدائية وجئتم به خبر والسحر بدل مما ان الله سيبطله سيمحق ويحق شانه ويظهر بطلانه
ان الله لا يصلح عمل المفسدين اى لا يثبته صيانة لامر الدين وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه
لا حقيقة فيه وقال الاستاذ لما التقم عصا موسى عليه السلام جميع ما جاؤا به من حبالهم وعصيهم
علموا ان الله ابطل تلك الاعيان وافناها من دائرة المكان ويحق الله الحق اى يثبته بكلماته
اى باوامره فى قضاياته ولو كره المجرمون كلياته وجزئياته وافاد الاستاذ ان من جملة ما حفظ
ايمان السحرة وكان عندهم انهم لفرعون ينصرون وبجاهه كانوا يعتصمون حيث قالوا بعزة
فرعون انا لنحن الغالبون وقال سبحانه بعز الله انكم مغلوبون فكان على ما قال الله لا دون ما قالوا
وفى معناه انشدوا • كم رمتنى باسهم صائبات ▪ فتعدتها بسهم فطاش •
فما آمن لموسى فى مبداء امره الا ذرية من قومه الا طائفة من اولاد بنى اسرائيل دعاهم فلم يظهروا
الاجابة من المخافة او الا طائفة من اهل الفتوة وارباب الفطنة واصحاب الفطرة فانهم
آمنوا على خوف من فرعون وملائهم اى مع خوف منهم ومن اشراف عسكرهم والاضافة
لا دنى ملابسة ان يفتنهم اى يعذبهم فرعون والاكتفاء بالضمير لا باى الى ان الخوف من الملاء
ما كان الا بسببه وان فرعون لعال فى الارض لمتكبر جبارا وغالب قهار وانه لمن المسرفين فى الكبر
والمعصية حتى حملته الجراءة على ادعاء الربوبية واسترقاق اسباط ارباب النبوة وافاد الاستاذ فى صدر الآية

ان اهل الحقيقة فى كل وقت قليل عددهم ولكنه كثير عند الله خطرهم ومددهم قلت وقد
قال الله تعالى وقليل ما هم وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم
بالله فعليه توكلوا اى اليه التجؤا وعنده تضرعوا ان كنتم مسلمين منقادين لامره ومستسلمين
لحكمه ومخلصين فى دينه وافاد الاستاذ انه سبحانه بين ان الايمان ليس من حيث الا قوال
وزوايل لا بد فيه من صدق الاحوال قصدا وحقيقة التوكل توسل بتقديم تفضل ثم يعلم
انه بفضله سبحانه نجاته يحصل لا بما يأتى به من التكلف والتعمل هذا هو حقيقة التوكل فقالوا
على الله توكلنا لانهم كانوا مسلمين فصاروا فى دعائهم مقبولين ربنا لا تجعلنا فتنة
اى موضع فتنة ومحل محنة للقوم الظالمين والمعنى لا تسلطهم علينا فيفتنونا
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من لوم مكائدتهم وشوم مشاهدتهم وقال الاستاد
تبرأنا مما منا من الحول والمنة وتحققنا بما منك من الطول والمنة فلا تجعلنا
غرضا لسهام احكامك فى عقوبتك وانتقامك وارحمنا بلطفك واكرامك
ونجنا ممن غضبت عليهم فاذللتهم وبكى فراقك وسمتهم واوحينا الى
موسى واخيه ان تبوءا اى اتخذا لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها اوترجعون
للعبادة اليها واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم اى تلك البيوت قبلة اى
ذوات قبلة يعنى مواضع صلوة وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة وهى الكعبة
وكان موسى يصلى اليها واقيموا الصلوة فيها وبشر المؤمنين بالغلبة فى الدنيا
وبالجنة فى العقبى وقال الاستاذ اى هيئ لهم بعبادتنا منازل وهى نفوسهم
ولمعارفنا محال وهى قلوبهم ولمحبتنا مواضع وهى ارواحهم ولمشاهدتنا معاهد
وهى اسرارهم فنفوس العابدين بيوت الخدمة وقلوب العارفين اوطان الحشمة
وارواح المهيمين مشاهد القربة واسرار الموحدين منازل الهيبة وقال موسى
ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة ما يتزين به من اللباس والمركب ونحوها
من انواع الجمال واموالا فى الحيوة الدنيا اى اصنافا من الاموال ربنا ليضلوا
عن سبيلك دعا عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غير
الضلال فى احوالهم وقرأ الكوفيون بضم الياء فاللام للعاقبة وهى متعلقة
باتيت ربنا اطمس على اموالهم اهلكها بذنوبهم واشدد على قلوبهم اى واقسها
واطبع عليها فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء ودعاء
بلفظ النهى قال مشايخ ما وراء النهر الرضاء بكفر العدو مع استقباح
نفس الكفر لا يكون كفرا قال تعالى حكاية عن موسى واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا
وانما الرضاء بالكفر مع استحسان الكفر كفر كذا فى كشف الكشاف وبه ينكشف
ما اشكل من القول بان الرضاء بالكفر كفر والرضاء بالقضاء ايمان وان اجيب
بان الرضاء واجب بالقضاء من حيث انه مقتضى وتعلق به تقدير الحق والكفر من حيث

انه فعل الخلق وانه تعالى لا يرضى لعباده الكفر ومحلّ القضية اختلاف الجنبة
وقال الاستاد لما آيس من اجابتهم حين دعاهم الى الله دعا عليهم بانزال
السخطة واذاقة الفرقة ومن المعلوم ان الانبياء من حقهم العصمة فاذا دعا عليهم
بمثل هذه الجملة لم يكن ذلك الا باذن من الله فى الحقيقة قال قد اجيبت دعوتكما
يعنى موسى وهرون لانه كان يؤمّن حال الدعاء فاستقيما فاثبتا على ما انتما
عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فى تحصيل الطلبة فقد روى انه مكث فيهم
بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعانّ سبيل الذين لا يعلمون اى طريق الجهلة فى العجلة وفى رواية
لابن ذكوان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين وفى رواية ضعيفة عنه ايضا بالتخفيف
التاء وفتح الباء وتثقيل النون وافاد الاستاد ان الاستقامة فى الدعاء بترك الاستعجال
فى حصول المقصود ولا يسقط الاستعجال من القلب الا بوجدان السكينة فيه ولا يكون تلك
السكينة الا بحسن الرضاء بجميع ما يبدو من الغيب ويقال من شرط الدعاء صدق الافتقار
فى الابتداء ثم حسن الانتظار فى الانتهاء وكمال هذا الرضاء بجريان الاقدار بما يبدو من المسار
والمضار ويقال فى الآية اشارة الى ان للامور آجالا معلومة فاذا جاء الوقت فلا تاخير
للمقسوم فى الوقت المعلوم وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر وجوّزناهم فى البحر حتى بلغوا الساحل
حافظين لهم وعن ابن مسعود قال قال رسول الله عليه السلام الا اعلمكم الكلمات التى
تكلم بها موسى حين جاوز البحر ببنى اسرائيل فقلنا بلى يا رسول الله قال قولوا اللهم لك
الحمد واليك المشتكى وانت المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال عبد الله
فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله عليه السلام رواه الطبرانى فى المعجم الصغير باسناد
جيد فاتبعهم اى فتبعهم ولحقهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا اى للبغى والمجاوزة عن
الحد حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه اى بانه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل
وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائى بكسر انه على انه استيناف بدل وتفسير لآمنت
او على اضمار قلت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا ينفع الوصول
وقال الاستاد حملت العزة فرعون على تقحم البحر فى اثرهم فلما تحقق المهلكة حملته ضرورة
الجبلة على الاستعاذة فلم ينفعه ذلك الافتقار لفوات وقت الاختيار ويقال لما
شهد صولة القدرة افاق من سكرة الغفلة لكن بعد شهود البأس لا ينفع التخاشع والابتهال
آلآن ان تؤمن الآن حين آيست من نفسك ولم يبق اختيار لك وقد عصيت
قبل اى قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين وفيه ايماء الى
ان حال اليأس يقبل ايمان المرتدين لسبقهم فى امر الدين ولذا قال بعض علمائنا توبة
اليأس مقبولة وايمان اليأس مردود ولكنه مخالف لظاهر قوله تعالى وليست التوبة
للذين يعملون السيئات الآية وقال الاستاد بعد طول الامهال والاصرار على ذميم
الافعال والركض فى ميدان الاغترار وانقضاء وقت الاعتذار هيهات هيهات لقد استوجب

ان تردّ فى وجهك فلا لعذرك قبول ولا لك الى ما تروم وصول فاليوم ننجيك نبعدك
مما وقع فيه قومك من قعر البحر بان نجعلك طافيا على وجه الماء ليراك بنو اسرائيل ببدنك
اى مفقودا ببدنك عاريا عن روحك ولباسك لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك من
بنى اسرائيل علامة تحصل لهم اطمينان وسكينة او لمن يأتى بعدك من القرون اذا سمعوا مآل
امرك ممن شاهدك نكالا عن الطغيان وموعظة وعبرة او حجة تدلهم على ان الانسان
على ما يكون عليه من عظم الملك وكبرياء الشان مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وان
كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا هيأنا
بنى اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من
الطيبات اى المستلذات الحلالات فما اختلفوا اى فى امر دينهم من المحكومات
حتى جاءهم العلم اى الا من بعد ما قرأوا التورية وعلموا احكامها وعرفوا حلالها وحرامها
او فى امر محمد عليه السلام الا بعد ما علموا صدق نبوته بظهور نعوته وصفاته ومظاهرة
معجزاته ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بانجاء المحقين واهلاك
المبطلين وقال الاستاد اى ادلنا لهم الايام واكثرنا لديهم الانعام واكرمنا لهم المقام
واتحنا لهم فنون الحسنات وادمنا لهم جميع الخيرات فلما قابلوا النعمة بالكفران وانهمكوا
على البغى والعدوان اذقناهم سوء العذاب وسددنا عليهم ابوابا فتحنا لهم من الكريم
والايجاب وذلك جزاء من حاد عن طريق الوفاق وجنح الى جانب الشقاق فان
كنت فى شك اى فرضا وتقديرا مما انزلنا اليك مجملا وتفصيلا فاسئل الذين
يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت فى كتبهم والمراد تحقيق المقدمة
والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وان القرآن المصدق لما فيه من الاصول الجملة
او المقصود تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع شك له ولذا قال عليه
السلام لا اشك ولا اسأل وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان
يسارع فى حلها بالرجوع الى العلماء من اهل اليقين وقال الاستاد اى فان نزلت منزلة اهل
الادب فى ترك الملاحظة الى ما خصصناك به فاسئل من ارسلنا قبلك هل بلغنا احدا منزلتك
وهل خصصنا احدا بمثل تخصيصك لقد جاءك الحق من ربك واضحا لا مدخل فيه
للمرية لاشتماله على الآيات المقاطعة فلا تكونن من الممترين اى المتزلزلين عما انت
عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين وهذا
نظير قوله ولا تكونن ظهيرا للكافرين فان المراد بهما التثبيت على امر الدين ان الذين
حقت ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم على الكفر يموتون لا يؤمنون اذ لا ينتقض قضاؤه
ولا يتغير حكمه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلى لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به
مفقود فى شأنهم حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم الايمان اذ خرجوا
من مقام البرهان وشاهدوا بالعيان وافاد الاستاد ان الاعداء حقت عليهم كلمة

العقاب والاولياء حقت لهم كلمة الثواب فالكلمة ازلية والاحكام سابقة والاحوال
فى المستانف على ممر الاوقات على موجب القضية لاحقة فالذين نجبهم من القسمة
الشقوة لا يؤمنون وان شاهدوا كل دلالة وعاينوا كل معجزة فلولا فهلا كانت قرية
من القرى التى اهلكناها امنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر الايمان اليها كما آخر فرعون
الى مشاهدات العقاب فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم
يونس اى لكن قوم يونس لما امنوا اول ما راوا امارة العذاب ولم يؤخروا الى حلول
العقاب كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين اى الى حين اجالهم
المقضية روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه
فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود
ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه
فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا
بين كل والدة وولدها ليكون ارق لقلوبهم واخلص للدعاء واقرب الى الاجابة فحن
بعضها الى بعض وعلت الاصوات واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى
الرحمن فرحمهم وكشف عنهم وكان عاشوراء يوم الجمعة وافاد الاستاذ ان قوم يونس
تداركتهم الرحمة الازلية بما اجرى عليهم توفيق التضرع فكشف عنهم العذاب وصرف
عنهم ما اظل عليهم من العقوبة بعد ما عاينوا من تلك الابواب فبرحمته وصلوا الى
تضرعه لا بتضرعهم وصلوا الى رحمته ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم بحيث لا يشذ
واحد منهم جميعا مجتمعين على الايمان غير مختلفين فى امر الدين افانت تكره الناس
حتى يكونوا مؤمنين روى انها نزلت لما كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به
ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله الا بارادته سابقا وتوفيقه
لاحقا ويجعل الرجس العذاب على الذين لا يعقلون دلائل الشرع لما على قلوبهم
من الطبع وقرا ابو بكر ونجعل بالنون وقال الاستاذ لا يمكن حمل الاذن فى هذه الآية
الا على معنى المشية لانه امر للكافة بالايمان والذى هو مامور بالشىء لا يقال انه غير ماذون
فيه ولا يجوز حمل هذه الآية على ان معناه لا يؤمن احد الا اذا الجاه الحق الى الايمان
واضطره لانه يوجب اذا ان لا يكون احد مؤمنا فى العالم بالاختيار وذلك خطاء
فدل على انه اراد به الا ان يشاء الله ان يؤمن هو طوعا ولا يجوز بمقتضى هذا ان
يريد من احد ان يؤمن طوعا ثم لا يؤمن به لانه يبطل فائدة الآية فيصح قول اهل
السنة ان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن قل انظروا اى تفكروا ماذا فى السموات
والارض من عجائب صنعه لتدلكم على جلال وحدته وكمال قدرته وما تغنى الآيات
والنذر اى ما تنفع ولا تدفع الكتب والرسل عن قوم لا يؤمنون فى علم الله وحكمه
وما نافية او فى موضع النصب استفهامية قال بعضهم لا تصل العقول الخالية عن التوفيق

الى سبيل

الى سبيل النجاة الباقية اذ ما يغنى ضياء العقل مع ظلمة الخذلان وانما ينفع نور
العقل فى التحقيق من كان مؤيدا باسرار التوفيق ذكره السلمى وافاد الاستاذ ان الادلة
وان كانت لامعة فما تغنى اذا كانت البصائر مسدودة كما ان الشموس وان كانت
طالعة فما تغنى اذا كانت الابصار عن الادراك بالعمى مردودة كما قيل • وما انتفاع اخى
الدنيا بمقلته • اذا استوت عنده الانوار والظلم • فهل ينتظرون اى ما ينتظرون
الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم اى مثل وقائعهم ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون
الا مثل ما نزل عليهم قل فانتظروا هلاكى انى معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجى رسلنا
والذين آمنوا اى نهلك الامم المكذبين ثم نخلص المؤمنين المخلصين كذلك حقا
علينا اى بموجب وعدنا ننج المؤمنين اى مثل ذلك الانجاء ننجى محمدا وصحبه حين
نهلك اهل الشرك وحزبه وحقا نصب بفعله المقدر والجملة اعتراض مقرر وقرا الكسائى
وحفص ننج تخفيفا ورسمه بحذف الياء اتفاقا وافاد الاستاذ ان حروف
الصلات يقوم بعضها مقام بعض فقوله تعالى علينا ههنا بمعنى منا والاشياء
تجب من الله اذا اخبر انها تكون لكون كلامه صدقا ولا يجب على الله شىء
لكونه الها مالكا فيجب الشىء من الله لصدقه ولا يجب عليه لعزه قل يا ايها الناس
ان كنتم فى شك من دينى اى من جهة صحته فلا تشكوا فى بطلان دينكم فلا اعبد الذين تعبدون
من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفيكم اى يحييكم ويميتكم وخص التوفى بالذكر
مزيد فى الوعيد وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه النقل وطابقه العقل
والمعنى ان هذا خلاصة دينى من اعتقادى وعملى وهو انى لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه
بل انما اعبد خالقكم وقابضكم فانظروا بعين الانصاف واتركوا طريق الاعتساف
لتعلموا صحة دينى وبطلان دينكم وتتركوا الخلاف وقال الاستاذ ان كنتم فى
غطاء الريب فانا فى ضياء الغيب انتم فى ظلمة الجهل وانا فى شموس الوصل
ويقال قد تميزنا على مفرق الطريق فانتم وقعتم فى وهدة العوج وانا ثابت
على سواء النهج وان اقم وجهك للدين اى وامرت بالاستقامة فى الدين بامتثال
الاوامر والانتهاء عن الزواجر حنيفا حال من الدين او الوجه او من ضمير اقم ولا
تكونن من المشركين لا شركا جليا ولا خفيا قال ابن عطاء صحح معرفتك بالله
ولا تكونن من الناظرين الى ما سواه ذكره السلمى وقال الاستاذ اخلص قصدك
للدين وجرد قلبك عن اثبات كل ما لحقه قهر التكوين وكن مائلا عن الزيغ
والبدعة داخلا فى جملة من خلص على الحقيقة ولا تدع من دون الله ما لا
ينفعك بنفسه ان دعوته ولا يضرك ان خذلته فان فعلت اى دعوته فانك
اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء قال
شقيق الظالم من طلب نفعه ممن لا يملك نفسه واستدفع الضر ممن لا يملك

الاندفاع عن نفسه ومن عجز عن اقامة حاله كيف يقيم امر غيره ذكره السلمی وقال الاستاذ
لا تعبد ما لا ينفعك عبادته ولا يضرك ترك عبادته وذلك صفة كل ما يعبد من دون الله
استعانة الخلق بالخلق تحقيق الوقت بلا طائل ومن لا يملك ضرا ولا نفعا لنفسه كيف
يستعين به من هو فی مثل حاله وان يمسسك الله بضر ای يصيبك به فلا كاشف له
يرفعه الا هو بفضله وان يردك بخير بنفع من انواعه فلا راد لا دافع لفضله الذی
ارادك به ولعل تخصيص الارادة بالخير والمس بالضر مع تلازم الامرين للتفنن فی
العبارة او للتنبيه علی ان الخير مراد بالذات والضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع
الفضل موضع الضمير للدلالة علی انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه
ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو
الغفور للمذنبين الرحيم للمحسنين فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من مغفرته بالمعصية
وافاد الاستاذ انه سبحانه كما تفرد بابداع الضر واختراعه فلا شريك يعضده كذلك توحد
بكشف الضر وصرفه فلا نصير يجده ويقال هون علی المؤمن الضر بقوله وان يمسسك الله
بضر حيث اضافه الی نفسه والحنظل من كف من تحبه قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من
ربكم ای رسوله او كتابه فلم يبق لكم عذر من جانبه فمن اهتدی بالايمان والطاعة فانما
يهتدی لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر والمعصية فانما يضل عليها لان وبال
ضلالها راجع اليها فهذا داؤه وبلاؤه الكسب فهذا ضياؤه وشفاؤه اجتلب
وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الی امركم وانما انا بشير ونذير لكم واتبع ما يوحی اليك
واصبر علی دعوتهم وتحمل اذيتهم حتی يحكم الله بالنصرة او بالامر بالمجاهدة وهو خير الحاكمين
اذ لا يمكن الخطأ فی حكمه لاطلاعه علی السرائر اطلاعه علی الظواهر وقال الاستاذ تقف عند
جريان احكامنا الحقيقية وانسلخ عن مرادك بالكلية ليجری عليك ما نريد لا كما تريد قلت لله
در القائل فی مقام المزيد شعر اريد وصاله ويريد هجری ▪ فاترك ما اريد لما يريد ▪

سورة هود مكية وهی مائة وثلث وعشرون آية ▪

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاذ هذه كلمة استولت علی عقول قوم فبصرها
وعلی قلوب آخرين فحيرها فالتی بصرها فبنور برهانه والتی حيرها فبقهر سلطانه
فعالم سلك سبيل بحثه واستدلاله فسكن لما طلع نجوم عقله تحت ظلال اقباله وعارف
يغوص لنيل وصاله فطاح بلالاح لمعة من تقدسه من الاعلال باستحقاق جلاله
الر ای انا الله اری واری فيا حسرة الكبری لمن لا يری كتاب ای مضمون
هذه السورة كتاب جامع ولباب لامع احكمت آياته ای نسجت نسجا لا يعتريه
خلل من جهة المبنی ولا من طريقة المعنی او منعت نسخها من النسخ فی المنتهی
او احكمت بالحجج والدلائل الدينية او جعلت حكيمة او حاكمة لاشتمالها علی امهات الحكم
النظرية والاحكام العملية ثم فصلت بفرائد الفوائد وزوائد العوائد من المواعظ

والعقائد

والعقائد من لدن حكيم خبير ولذا احكمت ولذا فصلت وبينت باعتبار
ما سطع شانه ولمع برهانه قال الواسطی احكمت بالحلال والحرام وفصلت بالوعد والوعيد
للانام من لدن حكيم فيما انزل خبير بمن اقبل علی امره واعرض عنه وقال بعضهم احكمت آياته
فی قلوب العارفين وفصلت احكامه علی ابدان العالمين ذكره السلمی وافاد الاستاذ ان
الالف اشارة الی انفراده بالوحدانية واللام اشارة الی لطفه باهل توحيده والراء
اشارة الی رحمته بكافة البرية وهی فی معنی القسم ای بانفرادی بالربوبية ولطفی بمن
عرفنی بالاحدية ورحمتی علی كافة البرية ان هذا كتاب احكمت آياته ای حفظت عن
التبديل والتغيير ثم فصلت ببيان نعوت الحق فيما يتصف به من جلال الصمدية
وما تعبد به الخلق من احكام العبودية ثم ما لاح بقلوب المحبين فيه من لطائف القربة
فی عاجلهم والبشری بما وعدهم به من عزيز لقائه فی اجلهم وخصائصهم التی امتازوا بها
عمن سواهم فی منازلهم ان لا تعبدوا ای لا تعبدوا الا الله او لان لا تعبدوا الا ايا
او هی يعنی الآيات ان لا تعبدوا الا الله او تقديره الزموا ترك عبادة ما سواه
اننی منه ای من لدن حكيم خبير نذير وبشير بالعقاب والحجاب علی الكفر والكفران
وبالثواب وحسن المآب علی الايمان والاحسان وقال الاستاذ انی لكم نذير
من الله بالفرقة بشير به وهی الوصلة فالفرقة لمن فی عاجله جحد والوصلة لمن فی آجله
وجد وان استغفروا ربكم عطف علی ان لا تعبدوا ای اعبدوا الحكيم الخبير واستغفروا
ربكم عن رؤية العبادة وقضية التقصير ثم توبوا اليه ای ارجعوا اليه بالاعتماد عليه
فی جميع الامور من النقير والقطمير وثم لتراخی الرتبة وترقی المرتبة قيل استغفروا
من الدعاوی المذمومة وتوبوا اليه من الخطرات الملومة وقال الاستاذ ای توبوا
عن توهم ان نجاتكم بتوبتكم لعلكم بان نجاتكم بكرمه لا بعبادتكم يمتعكم متاعا حسنا
تمتيعا مستحسنا لحصول المعيشة فی امن وسعة وحيوة طيبة فی قناعة وطاعة
الی اجل مسمی وهو آخر الاعمار المقدرة قبل قيام الساعة قال الواسطی المتاع الحسن
هو طيب النفس وسعة الرزق والرضاء بمقدور الحق فيما قسم بين الخلق وقال
الاستاذ يعيشكم عيشا طيبا مباركا فيه وفی عمركم ويقال هو العطاء والكفاية مع
زوال الحرص فی البداية والنهاية ويقال هو القناعة بالموجود والاعتماد علی المعبود
ويقال هو ان لا يحوجه الی مخلوق فلا يجعل لاحد عليه منة لا سيما اللئيم وقيل المروة
وقيل هو ان يوفقه لاصطناع المعروف الی من يعرف حاله من ارباب الحاجة ويقال
هو ان لا يلم حال شبابه فی زلة وفی حال مشيبه لا يتصف عن الله بغفلة ويقال هو
ان يكون راضيا عليه بما يجری عليه من نوع العسر واليسر وصنفی الحلو والمر وجنسی النفع
والضر ويؤت كل ذی فضل فضله ای يعط كل ذی فضل فی دينه جزاء فضله فی دنياه
وآخرته وقال الجرجانی من قدر عليه الفضل فی السابق يوصله الی ذلك عند ايجاده اللاحق

وافاد الاستاذ ان من زادت حسناته على سيئاته اعطاه جزاء ما فضل له من الطاعات
ومن زادت سيئاته على حسناته كافاه بما يستوجبه من زيادة السيئات هذا بيان التفسير ويقال
من يفضله بحسن توفيقه وتأييده اوصله الى ما يستوجبه من لطفه ومزيده ويقال هو ان يحقق له
ما يسمو اليه همته ويبلغه فوق ما يستوجبه رتبته وان تولوا اى تعرضوا فانى او ان اعرضوا فقل
انى اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة ووقت الملاقاة حين لا ينفع الندامة الى الله مرجعكم
رجوعكم فى الدنيا والآخرة وهو على كل شىء قدير ومنه المثوبة والعقوبة وقال الاستاذ
ينقطع الدواعى عند الرجوع الى الله ينتفى الظنون ويحصل اليأس من غير الله بكل وجه من
الفنون ويبقى العبد بنعت الاضطرار فى وصف الانتظار والحق يجرى ما سبق به
القسمة من انواع الاقدار الا انهم يثنون صدورهم يصرفونها عن الحق ويحرفونها عن الصدق
او يعطفونها على الباطل وعلى تحصيل ما ليس تحته طائل ليستخفوا منه اى من الله
بسترهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين على سترهم وقال الاستاذ اى يستترون ما ينطوى
عليه عقائدهم ويضمرون للرسول عليه السلام والمؤمنين خلاف ما يظهرون والحق سبحانه
مطلع على قلوبهم فهو يعلم داء صدورهم فتلبيسهم لا يغنى من الله شيئا عنهم فالله سبحانه
اطلع على رسوله على ما اخفوه اما بتعريف وحى او مكاشفة بقوة نور النبوة والمؤمنين
بصائب الفراسة فكل مؤمن فله بقدر حاله من الله هداية قال صلى الله عليه وسلم
اتقوا فراسة المؤمن فان المؤمن ينظر بنور الله ولذا قال قائلهم ° العينى اراك
ام بفؤادى ° كل ما فى الفؤاد للعين بادى ° الا حين يستغشون ثيابهم اى وقت
ياوون الى فراشهم وما بهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون فى قلوبهم وما يعلنون بافواههم
يستوى فى علمه سرهم وعلنهم وفى تفسير السلمى يعلم ما تسرون من احوالكم وما تعلنون من افعالكم
انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور وما بها او بالقلوب واحوالها وما بها
وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة
لها واتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فى حصوله ويعلم مستقرها
ومستودعها اماكنها فى حياتها ومماتها او يعلم بها فى اصلاب آبائها وارحام امهاتها
او يعلم مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد حين كانت بعد
بالقوة كل من الدواب واحوالها فى كتاب مبين مذكور فى اللوح المحفوظ المكين وفى هذه
الآية اشارة الى بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وفيما بعدها الى برهان كونه قادرا على الممكنات
باسرها تقديرا للتوحيد وتحريرا لما سبق من الوعد والوعيد وافاد الاستاذ ان فى الخبر
اذا احيل احدكم على ملىء فليحتل ويقال اذا كان الرزق على الله فمن المحال طلبه مما سواه
والارزاق مختلفة فرزق كل حيوان على ما يليق بصفته ويناسب بشاكلته ولم يقل
ما يشتهيه ومقدار ما يكفيه فانه موكول الى المشيئة وقيل اراد بمستقرها ومستودعها
الدنيا والاخرى ويقال مستقر المريد بباب شيخه كمستقر الصبى بجانب لبنه ويقال

مستقر

مستقر الفقراء سدة الكرماء ويقال مستقر العابدين المساجد ومستقر العارفين
المشاهد فالمساجد مستقر نفوس العابدين والمشاهد مستقر قلوب العارفين ويقال الكل
له مثوى ومستقر الا الموحد فانه لا مستقر له ولا مأوى ولا منزل ولا مثوى قلت لانه وصل
الى مقام المحمود الفناء وحل له حال البقاء من غير حلول واتحاد كما توهمه اهل الالحاد وان الى
ربك المنتهى ويقال النفوس مستودع التوفيق والقلوب مستودع التحقيق وقيل القلوب
مستودع المعرفة والارواح مستودع المحبة والاسرار مستودع المشاهدة وهو الذى خلق السموات
والارض فى ستة ايام اى خلقهما وما فيهما او خلق العلويات والسفليات وقدم السموات
لسبق وجودها او لشرفها فى اعتبار شهودها وافرد الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات
دون السفليات وكان عرشه على الماء اى قبل خلقهما لم يكن بينهما حائل بينهما الا انه كان
موضوعا على الماء ففيه دليل على امكان الخلاء وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بالصحيح
ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق وما بينهما اعتراض والمعنى ليعاملكم معاملة المبتلى
لاحوالكم فى كيفية اعمالكم واختير احسن على الحسن للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض
على الترقى دائما فى مراتب المكارم من العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح
ولذا ورد عنه عليه السلام فى تفسيره ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى
طاعة الله فالمعنى ايكم اكمل علما وعملا وافاد الاستاذ ان الابتلاء من قبله سبحانه تعريف
للملائكة حال من يبتليه فى الشكر عند اليسر والصبر عند العسر ولم يقل ايكم اكثر عملا
اذ حسن العمل بموافقة الامر ويقال احسنهم عملا ابعدهم عن ملاحظة عمله ورؤيته
بان يستغرق فى شهود معبوده ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن
الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اى ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا
كالسحر فى تخديعه وقرأ الكسائى الا ساحر على ان الاشارة الى القائل به وقال الاستاذ
استبعدوا النشر لتقاصر علومهم عن التحقيق بكمال قدرة الحق ولو عرفوا ذلك لايقنوا انه
ليس بمستحيل فى الايجاد والتقدير لانه على كل شىء قدير ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود
لارباب الجحود الى امة معدودة الى جماعة من ازمنة قليلة محدودة ليقولن استهزاء
ما يحبسه ما يمنعه عن وقوعه الا يوم يأتيهم كيوم بدر ونحوه ليس العذاب مصروفا
مرفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس ومقدم عليه وحاق احاط بهم ما كانوا به يستهزءون
اى العذاب الذى كانوا به يستعجلون ووضع الماضى موضع المستقبل مبالغة فى التحقيق
وتاكيد للتهديد فان ما هو آت فكانه الآن كان ولئن اذقنا الانسان منا رحمة
اى اعطيناه نعمة يجد لها بعض اللذة ثم نزعناها سلبنا تلك النعمة منه اى فى حالة
من الحالات انه ليؤس قطوع رجاءه من فضله لقلة الصبر وعدم الثقة كفور مبالغ
فى كفران النعمة قال ابو سعيد الخراز من اذيق حلاوة الذكر وصفاء السر ثم نزع ذلك
منه ولم يظهر عليه الاهتمام لفقده ولا يرى مطالبته من سره فليحكم بالموت لقلبه ولسره

بالنعمى عن طريق الهدى قال تعالى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة وهو محل القربة ثم نزعناها
منه وهو حجاب النعمة ذكره السلمي وافاد الاستاذ ان تغير ما صفا من النعم حالة المهود
فلا احد الا وله منه حصته فمن لم يتجرع بالتأسف قلبه ولم يتضاعف في كل نفس لهفه
وكربه ادرج في ديوان النسيان واثبت اسمه من جملة اهل الهجران ومن استمسك بعروة القراقة
واعتكف بعقوة المذلة وتحسى كاس الحسرة علا بعد نهل مرة بعد مرة طالعه الحق
بنعت الرحمة وجدد له ما اندرس من احوال القربة وطلع عليه شمس الاقبال بعد الافول
والغيبة كما قيل • تقشع غيم الهجر عن قمر الحب • واشرق نور الصبح في ظلمة العتب
وليس للاحوال الدنيوية كثير خطر في التحقيق ولا يعذر والها وتكدرها من جملة المحن عند
ارباب التوفيق لكن المحنة الكبرى والرزية العظمى ذبول غصن الوصال وتكدر مشرب
القرب وافول شوارق الانس ورمد بصائر ارباب الشهود فعند ذلك تقوم القيمة اهلها
تنسكب انواع العبرة وهي ارواح تذوب عندها فتقطر من العيون بتصاعدها فاذا نعق
في ساحات هؤلاء غراب البين ارتفع الى السماء رباح اسرارهم بالويل ولئن اذقناه
نعماء بعد ضراء مسته اي نعمة بعد شدة كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم ليقولن ذهب
السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور مغتر لا شاكر
في السراء ولا صابر في الضراء وفي لفظ الاذاقة والمس ايماء الى ما يجده الانسان من المحن
والمحن في الدنيا انموذج لما يجده في العقبى واشارة الى ان الانسان يقع في الكفران بادنى
شيء من الاحسان لان الذوق ادراك طعم المحصول والمس مبداء الوصول وقال القائم
لو رددنا عليه ما قبضناه منه ليقولن ذهب السيئات عني آمنا من مكري سطوتنا بغيري
انه لفرح بغير مفروح به فخور بما لا يفتخر به ذكره السلمي وقال الاستاذ آمنوا بغتات
مكرنا ولم يخافوا فجاءة ما ياخذهم من قهرنا الا الذين صبروا على الضراء استسلاما
بالرضاء للقضاء وعملوا الصالحات شكر السابق الآلاء ولاحق النعماء اولئك
لهم مغفرة لما صدر عنهم من المعصية واجر كبير اي مثوبة عظيمة لما ظهر منهم الطاعة والاستثناء
متصل ان اريد بالانسان الجنس فاذا كان محلى باللام افاد استغراق العام ومن حمله
على الكافر وجعل اللام للعهد لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض
ما يوحى اليك بترك تبليغ ما انزل عليك وهو ما يخالف رأي المشركين وقربانهم مخافة ردهم
واستهزائهم ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه
وهو عصمة صاحب النبوة عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ وافاد الاستاذ
انهم اقترحوا عليه من ضلالتهم بان ياتي بكتاب ليس فيه سب آلهتهم فبين الله سبحانه انه
عليه السلام لا يترك تبليغ ما انزل اليه لاجل كراهتهم ولا يبدل ما يوحى اليه لاجل محابتهم وضائق به
صدرك اي وعارض لك احيانا ضيق صدر لاجلهم بان تتلوه عليهم مخافة ان تقولوا لولا
انزل عليه كنز ينفعه في الاستتباع كالملك او جاء معه ملك يصدقه في القبيل والكثير

انما انت

انما انت نذير ليس عليك الا انذارك بما اوحي اليك ولا عليك غير ذلك ردوا او اقترحوا
او قبلوا او اعتقدوا فما بالك يضيق صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه في جميع امورك
فانه عالم بحالهم وحالك وفاعل بهم وبك ما يناسبهم ويناسبك ولعله كان يحصل له ضيق
الصدر قبل تيسير الامر وتكميل القدر فلما ترقى من مقام التفرقة الى مقام الجمع ثم الى جمع الجمع وهو
الحالة التي لا تمنع الوحدة عن الكثرة ولا تدفع الكثرة عن الوحدة استراح في بحر الشهود واستغرق
عن الشعور بغير وجود المعبود وافاد الاستاذ ان هذا على وجه الاستبعاد اي لا يكون منك ترك
ما اوحي اليك ولا يضيق صدرك بما يبدو من الغيب ومن شرح الله للتوحيد صدره ونور بشهود
التقدير سره متى يلحقه ضيق صدر او استكراه ام يقولون افتراه بل يقولون اختلق القرآن
الدال عليه ما يوحى اليه قل فأتوا بعشر سور مثله في لطافة المباني وظرافة المعاني وتوحيد المثيل
باعتبار كل واحد ولذا لم يقل امثاله تحداهم بعشر سور اولا ثم تحداهم بسورة ثانيا ثم قال فليأتوا
بحديث مثله اي بكلام منتظم عند اهل اظهار المعجزة ودفعا للشبهة وقوله مفتريات
اي مختلقات من عند انفسكم ان اختلقته من عند نفسي فانكم فصحاء وبلغاء مثلي بل انتم
بحسب الظاهر اقدر مني لتعلمكم القصص والاشعار دوني وادعوا اي الى المعاونة على المعارضة
من استطعتم من دون الله اي ما سواه من الجن والانس اجمعين ان كنتم صادقين اي
من المفترين فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله
وسلم عليه ويؤيده آية فان لم يستجيبوا لك او لان المؤمنين ايضا كانوا من المتحدين لقوة
يقينهم في الدين ولذا رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا
يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون اي منقادون حث على ثبات الاسلام
وبعث على الرسوخ في متابعة الاحكام من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها بعلمه وبره لها
نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم وافيا جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة
وسعة الرزق وكثرة الاولاد ودفع المكاره ونحوها وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون
شيئا من اجور اعمالهم والآية نزلت في اهل الرياء كما قاله ابن عباس ومجاهد وضحاك وغيرهم
من الكبراء وقال ابن الحسن في اليهود والنصارى وقيل في المنافقين وقيل في المشركين
وبرهم الى المساكين اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار في مقابلة ما عملوا
من الاوزار لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اثقال العزائم
السيئة وحبط ما صنعوا فيها اي في الدنيا لانه لم يبق له ثواب في العقبى اولم يكن
اجر في الاخرى لانهم لم يريدوا به وجه الله تعالى فان العمدة في اقتضاء الثواب
هو الاخلاص في الاحتساب وباطل اي في نفس الامر ما كانوا يعملون لعدم وجود شرط
صحة العمل حيث ما كانوا يؤمنون وقال الاستاذ اولئك الذين خابت آمالهم
وظهرت لهم بخلاف ما احتسبوه مالهم حبطت اعمالهم وحاق بهم محالهم انتهى وفي الحديث
اشد الناس عذابا من يرى الناس فيه خيرا ولا خير فيه افمن كان على بينة من ربه اي حجة

وبرهان من عنده يدله على الحق فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شانه
في طريق العقبى هؤلاء المقصرين همم وانكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة
العليا وهو اكد اغنى عن ذكر الخبر هنا وتقديره افمن كان على بينة ودلالة على الهدى وترك
الهوى كمن كان يريد الحيوة الدنيا واتباع الردى وهو حكم يعم كل مؤمن وقيل المراد به النبي
صلى الله عليه وسلم لقوله ويتلوه اى ويتبع تلك البينة التي هي حجة العقل شاهد دليل يشهد
بصحته من النقل وهو القران المنعوت بالفرقان منه اى من قبل الرحمن ومن قبله قبل
القران كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا تتلوه في التصديق والتحقيق او البينة هو
القران ويتلوه بمعنى يقرأه والشاهد جبرئيل والضمير في يتلوه لمن ومن قبله كتاب موسى
جملة مبتداة اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة نازلة على المؤمنين وقال الاستاذ الكلام
اضمار ومعناه افمن كان على بينة كمن ليس على بينة اى لا يستويان والبينة لاقوام برهان للعلم ولا قوم
بيان الامر بالقطع والجزم يشهدهم الحق ما لا يطلع عليه غيرهم والشاهد الذي يتلوه فهو شاهد به
وفي الخبر اولياء الله الذين اذا رأوا ذكر الله وقال تعالى ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم
اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون به اى بالله او بكلامه او برسوله والايمان بواحد منها
ايمان بغيره والمعنى يؤمنون بكل وجه مما سبق ذكره او بجميع ما يجب الايمان به ومن يكفر به
من الاحزاب اى انواع الكفار الذين تحزبوا على النبي المختار فالنار موعده مثواه ومنزله
فلا تك في مرية منه اى في شك من الموعد او القرآن انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ولانهم لا يوفقون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
بان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في موقف حسابهم بان
يحبسوا على مراتب احوالهم ويعرض عليه سبحانه جميع احوالهم ويقول الاشهاد من الملائكة
والنبيين او من جوارحهم ان نطقين هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين
قال بعضهم المفتري من اتخذ حال السادة يدعيه لنفسه حالا واظهر من نفسه مشاهدة ما لا
يشهده ذكره السلمي وزاد الاستاذ فيما افاد ان من عقوبته انه لا يرزق تلك الحال ابدا في
الاستقبال ثم انه يكشف للشهداء عيوبه فيفتضح بين الحق والشهداء قلوب الاولياء
ومن شهد قلوبهم عليه بالرد فغير مقبول عند الحق الذين يصدون يعرضون بانفسهم او
يمنعون غيرهم عن دين ربهم ويبغونها عوجا ويطلبون سبيله ان يكون معوجا او يصفونها
بالانحراف عن الحق والصواب والانصاف او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة والخلاف وهم
بالآخرة هم كافرون اى والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم وتحقيق
اختصاصهم وافاد الاستاذ ان هذه الآية من جملة صفات المفترين ومن صدهم عن السبيل
ان يظهروا من انفسهم احوال الاسنية ثم يخلون باحكام الشريعة العلية ولا يرى ذلك كبيرا في الطريقة
المرضية فيوهمون المستضعفين من اهل الاغترار بهم ان لهم في ذلك رخصة فيضلون ويضلون
ومن جملة صدهم الناس عن السبيل تغريرهم الناس وايقاعهم في الغلط كي يرتفقوا بشيء

لما في ايديهم

لما في ايديهم من حطام الدنيا ويمدحون غير اهله ويستحون من لا يستوجبه لاخذ شيء منهم من غير
وجهه ويداهنون في دين الله من امره ونهيه اولئك لم يكونوا معجزين في الارض الله ان
يعاقبهم في الارض اى في الدنيا وما كان لهم من دون الله من اولياء يدفعون عنهم العقاب بل
يرفعون عنهم الحجاب ولكنه اخر العذاب الى يوم الحساب ليكون اشد وابقى يضاعف
لهم العذاب اى يزاد لهم عذاب فوق العذاب ما كانوا يستطيعون السمع لتصامّهم عن سماع
الصدق وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن رؤية الحق وقال بعضهم كيف يستطيع السمع من لم
يفتح مسامعه بسماع الحق وكيف يبصر من لم يكتحل بنور التوفيق اذ لا يسمع الا عن اسماع ولا يبصر
الا عن ابصار ذكره السلمي اولئك الذين خسروا انفسهم باشترائهم عبادة الالهة بعبادة
الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا بما بذلوا وضاع
عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم يوم القيمة سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الآخرة
هم الاخسرون وقال الاستاذ اولئك الذين هذه صفاتهم لم يربحوا في
تجارتهم ولا لحقوا غاية ما طلبوها في غيهم وضلالتهم فبقوا عن الحق ولم يبارك
لهم فيما اعتاضوا به من صحبة الخلق اولئك الذين لحقتهم صفقتهم وبارت
بضاعتهم لقوا الهوان وذاقوا اليأس والحرمان فلا محالة انهم في الاخرة
الاخرة لاشد الناس خسرانا واوفرهم من الخيرات نقصانا ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا لديه اولئك اصحاب
الجنة هم فيها خالدون دائمون في النعمة قال شاه الكرماني علامة الاخبات ثلثة
عدم الاياس مع التوبة لكثرة العود الى المعصية وخوف الاستدراج في اسباب
الستر والمهلة وتوقع العقوبة في كل وقت وساعة حذرا واشفاقا من العدالة
ذكره السلمي وافاد الاستاذ ان الاخبات هو التخشع للرب بالقلب بدوام الانكسار
ومن علامة المخبتين الابرار الذبول تحت جريان الاقدار والخمول بدوام الاستغفار
في الاسرار مثل الفريقين من المؤمنين والكافرين كالاعمى والاصم والبصير والسميع
شبه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله المنصوبة وبالاصم لتصامه عن اياته
المتلوة والمؤمن بالسميع والبصير لان امره بضد مخالفه فكل منهما مشبه
باثنين باعتبار وصفين متغايرين وهذا من باب اللف وصنعة الطباق هل يستويان
اى الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتأمل
في الاحوال فتعملون بما يستوجب لكم حسن المآل وحصول الآمال في الاستقبال
وافاد الاستاذ ان مثل الكافر في كفره كالاعمى والاصم ومثل المؤمن في ايمانه كمثل
السميع والبصير هذا بيان التفسير وفي الاشارة الاعمى من عمي عن ابصاره رشده
والاصم الذي طرش بسمع قلبه فلا باستدلاله يشهد سر تقديره في افعاله ولا بنور
فراسته يتوسم ما وقف عليه من مكاشفات الغيب بقلبه ولا يسمع القبول استجاب

لدواعي الشريعة ولا لحكم الانصاف نقادا لما توجه عليه من مطالبات الوقت بما يلوح بسره
من تلويحات الحقيقة واما البصير فهو الذي يشهد تعالى سبحانه بعلم اليقين ويشهد
صفاته بعين اليقين ويشهد ذاته بحق اليقين والغيبات لها حضور والمستورات
له كشف والذي يسمع فصفته ان لا يسمع هواجس النفس ولا وساوس الشيطان فيسمع
من دواعي العلم شرعا ثم من خواطر التعريف قدرا ثم يكاشف بخطاب من الله سرا فهو لا
لا يستويان ولا في الطريق يلتقيان وانشدوا ، راحت مشرقة ورحت مغربا
وشتى التقاء مشرق ومغرب ، ولقد ارسلنا نوحا الى قومه قال الاستاذ كان نوح
عليه السلام اطول الانبياء عمرا واشدهم بلاء لكثرة نياحته على نفسه سمي نوحا وسبب ذلك
انه مر بكلب فقال ما اقبحه فاوحى الله اليه ان اخلق انت احسن من هذا فاخذ يبكي وينوح على
نفسه حتى اوحى الله اليه يا نوح كم تنوح فاذا كان في طول عمره فعل مرة ما لم يكن مرضيا
فاحتاج ان ينوح على نفسه كل تلك النياحة فكيف حال من لم يذكر يوما مضى من عمره في مدة
تكليفاته ولم يحصل منه فيه الا الكثير من زلاته اني لكم اي باني قال الزمخشري صلة حال
يعني متلبسا بالانذار وقال مكي ثاني مفعولي ارسلنا وعدل عن انه التفاتا وقرأ
نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بالكسر اي قائلا او قال اني لكم نذير مبين ناصح ابين لكم
موجبات العذاب ووجه الخلاص من الحجاب ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني او
مفعول مبين او ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اي لا تعبدوا الا اياه ولا
تعتمدوا على ما سواه اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم اي مولم مديم فقال الملأ الذين كفروا
من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا في اصلنا تخصك بوجود الرسالة
ووجوب الطاعة وافاد الاستاذ انهم انكروا صحة النبوة لمشاكلته اياهم
في الصورة ولم يعلموا ان المباينة بالسرائر وما نريك اتبعك الا الذين هم
اراذلنا اي اخساؤنا واسافلنا بادي الراي اي ظاهره من غير تعمق ومبادره
من غير تحقق من البدو او اول الراي من البداءة والياء مبدلة من الهمزة لانكسار
ما قبلها في هذه الحالة ويؤيده انه قرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف
المضاف اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم
لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظ منها
عندهم اشرف وافضل والمحروم منها اخس وارذل وجهلوا ان الامتياز
يحصل بالمعاني لا بالمباني ومن استصغر احدا ونظر بعين الحقارة اليه
سلطه الله عليه واهلكه لديه او على يديه وما نرى لكم اي لك ولاتباعك علينا
من فضل اي مزية وخصوصية توجب اهليتك للنبوة وتقتضي لاصحابك استحقاق
المتابعة بل نظنكم كاذبين انت في دعوى النبوة وهم في دعوى العلم بصدق
الرسالة فغلب المخاطبة على الغائبين قال يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت على

بينة

بينة من ربي اي على حجة شاهدة بصحة دعوى وآتاني رحمة باعطاء البينة او النبوة من
عنده من فضله فعميت اي خفيت البينة او النبوة او كل واحد او الرحمة عليكم ولم تهدكم
الى ما تنفعه راجع اليكم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بضم عين فتشديد ميم اي اخفيت
انلزمكموها اي انلزمكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاملون
فيها وافاد الاستاذ ان الصبح لا خلل في ضيائه لكون الحاضرين عميانا والسيف لا خلل
في مضائه لكون ضاربه صبيانا فكيف للبشر قدرة على هداية من اضله الله وان كان
نبيا ههنا لا ينفع مع الجاحد نصح ولا ينجع في المصر وعظ ويا قوم لا اسألكم عليه اي على
اظهار البينة او على التبليغ بقرينة المقام ولو لم يجر له ذكر في الكلام مالا جعلا ان اجري
الا على الله لا على ما سواه فانه المامول منه مطلوب العبد ومتمناه وافاد الاستاذ
ان سنة الانبياء عليهم السلام ان لا يطلبوا على رسالتهم اجرا ولا املوا لانفسهم
عند الخلق قدرا بل عملوا لله فلم يطلبوا شيئا مما سواه فمن سلك من العلماء على
طريقتهم حشر في زمرتهم ومن اخذ على صلاحه من احد عوضا او اكتسب بسداده جاها لم يزد
من الله الا هوانا وبعدا وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوه طردهم
انهم ملاقوا ربهم فيتخاصمون طاردهم او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم
ولكني اريكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم ويا قوم من ينصرني
من الله اي يدفع انتقامه مني ان طردتهم عن الصحبة والمتابعة وهم بتلك الصفة والمثابة
افلا تذكرون فتعرفون ان طردهم ليس من الحكمة قال ابو عثمان ما انا بمعرض عمن اقبل
على الله فان من اقبل على الله على الحقيقة فقد اقبل الله عليه ومن اعرض عمن اقبل على
الله فقد اعرض عن الله ذكره السلمي وافاد الاستاذ ان مجالسة الفقراء اليوم وهم جلساء
الحق غدا احرى واجدى من مجالسة قوم من الاغنياء الاغبياء وهم من اهل الردى فطرد
من قربه الله وادناه يوجب لصاحبه الخزي في دنياه والعقوبة في عقباه ولا
اقول لكم عندي خزائن الله اي خزائن رزقه حتى تجحدوا فضلي وانكرتم قولي ولا اعلم
الغيب عطف على عندي اي ولا اقول لكم اني اعلم الغيب حتى تكذبوني وتجربوني ولا
اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا وقال الاستاذ لا اتعدى حدي ولا
اتخطى خطي ابلغكم ما حملت من رسالتي ولا انقص كما كلفت ولا ازيد فيما به امرت
ولا اقول للذين تزدري اعينكم في شأن من استرذلتموهم لفقرهم وغناكم لن يؤتيهم
خيرا فان ما اعده الله لهم في العقبى خير مما اتيكم في الدنيا وابقى الله اعلم بما في انفسهم
من قصد الهدى او نية الردى اني اذا لمن الظالمين الواقعين في ظلمات الهوى ان قلت
شيئا من ذلك سدى والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس
الزاي في صفة الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة وللاشارة الى انهم عابوهم
بادي الرؤية من غير الروية لما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة مالهم دون تامل في

معاني كمالهم وفيه ايماء الى ما ورد في الحديث القدسي والكلام الانسي اوليائي تحت قبابي
لا يعرفهم غيري قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا اي اطلت فيه
او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العقوبة ان كنت من الصادقين في دعوى النبوة
واخافة المخالفة فانه لا يؤثر فينا المناظرة ولو ظهر لك المغالبة وقال الاستاذ
اوضح لهم البراهين بما لو امعنوا النظر فيه اثمر لهم اليقين ولكنهم اصروا على الجحود وقنعوا
من الموعود بغير المشهود قال انما يأتيكم به الله بموعوده الله ان شاء عاجلا او اجلا
او من غير وجوب عليه الا انه بمقتضى حكمه بوقوعه لا خلف لوعده وما انتم بمعجزين
لدفع العذاب او رفع الحجاب اقر بالعبودية وتبرأ من الحول والقوة واحال الامر
على المشية ولقد انصف من لم يتجاوز حده في الدعوى والانبياء عليهم السلام
وان كانوا اصحاب التحدي للناس بمعجزاتهم فهم معترفون بانهم موقوفون عند
حدهم ومرتبتهم ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب
والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقديره ان كان الله
يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي اياكم وفيه دلالة على ان
ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده من محال الاشياء هو
ربكم اي خالقكم ومربيكم والمتصرف فيكم واليه ترجعون فيجازيكم باعمالكم على حسب احوالكم
وافاد الاستاذ ان من لم يساعده توفيق الحق بحكم العناية لم ينفعه نصح الخلق في النهاية
ويقال من لم يؤهله الحق للوصال في ازاله لم ينفعه نصح المخلوق في احواله ويقال من سبق الحكم
بالضلالة له لم ينفعه النصح وبسط الدلالة ويقال ان كان الله يريد ان يغويكم ومن
المحال اجتماع الهداية والغواية فاذا اراد بقوم الغواية لم يصح ان يكونوا من اهل
الهداية ثم بين المعنى فيه بقوله هو ربكم ليعلم ان الرب هو ان يفعل بعباده ما يشاء
بحكم الربوبية اي وليس لهم الا التسليم في مقام العبودية ام يقولون افتراه
اي افترى الكذب على الله قل ان افتريته لا يضركم فعلي اجرامي اي وباله وقرئ
بفتح الهمزة اي اثقال اعمالي وانا بريء مما تجرمون اي من اجرامكم على انها مصدرية
او اجرامكم على انها موصولة واوحي الى نوح انه لن يؤمن اي ابدا من قومك الا
من قد امن وهم ثمانون فلا تبتئس اي لا تحزن عليهم بما كانوا يفعلون فانهم
لما ينزل بهم مستحقون وقال الاستاذ عرفه الحق انه غني عن ايمانهم فكشف لهم
احكام مآلهم وانهم ممن سبق لهم الحكم بشقائهم فعند ذلك دعا باهلاكهم واصنع
الفلك باعيننا بمرأى منا وحال حضورنا لا في غفلة عنا والتعبير بكثرة آلة الحس
الذي به يحفظ الشيء ويصان من الخلل والنقصان للمبالغة في الحفظ والصيانة
على طريق التمثيل وقال الواسطي اسقط عن نفسك تدبيرك واصنع ما انت
صانع من افعالك على مشاهدتنا دون مشاهدتك لنفسك ومشاهدة احد ممن سوانا

ووحينا

ووحينا اليك كيف تصنعها ومتى تركبها ولا تخاطبني في الذين ظلموا لا تراجعني
فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق
فلا سبيل الى كفه منهم قال ذو النون ان كنت ايدت بشيء من العناية فقد نجوت
من الغواية والا فالدعاء والنداء لا ينقذ الغرقى وقال الاستاذ اي تمم بشرط
العبودية في صنع السفينة بامرنا وتحقق بشهودنا وانك بمرأى منا ولكن
من علم باطلاع الحق عليه لم يلاحظ نظر نفسه ولا غيره اليه لا سيما وقد تحقق
بان المجري هو سبحانه ثم قال له راع حد الادب فما لم يكن لك اذن منا بالشفاعة لاحد فلا
تخاطبني فيه ويقال سبق لهم الحكم بالغرق وامواج بحر التقدير متلاطم وكل في بحار القدرة
مغرقون الا من اهله الحق بحكمه لحمله في سفينة العناية ويقال كان قوم نوح عليه السلام من الغرقى
في بحر القدرة قبل كونهم غرقى في بحر القطرة ويصنع الفلك حكاية حال ماضية بالنسبة الى
الامم الآتية والا فلا صباح عنده سبحانه ولا رواح وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه
استهزاءا به في عمله فانه كان يعمل السفينة في برية التي بعيدة عن الماء وان غرقه وكانوا
يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وافاد الاستاذ انه لما تحقق
بما امر الله به لم يبال في امضاء ما كلف بما سمع من الغير ونظر الى الموعود بطرف التصديق
فكان كالمشاهد له قبل الوجود قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم
الغرق في الدنيا والحرق في العقبى فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه في دنياهم
ويعني بالموصول اياهم ويحل عليه عذاب مقيم دائم في اخراهم قال الاستاذ فلا طاقة
لمخلوق بمقاساة تقديره الا من يحمل عنه بفضله ما يحمله بحكمه حتى اذا جاء امرنا حتى هي
التي يبتدأ بعدها الكلام ولا يحتاج الى معنى لنظام المرام وفار التنور اي نبع الماء فيه
وارتفع كالقدر يفور والمراد بالتنور تنور الخبز وابتداء النبع منه على خلاف العادة
وكان في موضع مسجد الكوفة وقيل غير ذلك قلنا احمل فيها اي في السفينة من كل اي من
كل نوع من الحيوانات زوجين اثنين ذكرا وانثى وهذا على قراءة حفص والباقون
اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك
عطف على زوجين عند حفص وعلى اثنين عند الباقي والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم
الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه على خلاف في اسمه
وامرأته واعلة بالعين المهملة فانهما كانا من الكافرين ومن آمن عطف على اهلك
اي وغيرهم من المؤمنين وما آمن معه الا قليل من الكثيرين وكانوا تسعة وسبعين
زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام ابو العرب والعجم ويافث ابو الترك وحام ابو السودان
واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم وقد روي انه عليه السلام اتخذ السفينة في
سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلثون وجعل لها
ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اعلاها الطير وفي اوسطها الانس

قال بعضهم السبق قید العواقب فمن اجری له فی السبق السعادة کانت عاقبته الی السعادة
ومن اجری له فی السبق الشقاوة ختم له بالشقاوة والسنة الانبیاء والاولیاء قاصرة
عن السؤال لمخالفة ما جری فی الازال لانه حکم القاهریة وسلطان الجباریة ذکره السلمی وافاد الاستاذ
ان ابلیس جاء الی نوح علیه السلام وقال احملنی فی السفینة فابی نوح علیه السلام فقال ابلیس اما
علمت انی من المنظرین الی یوم الوقت المعلوم ولا مکان الیوم الا فی سفینتک فاوحی الله
الیه احمله یا نوح معک فیقال لم یکن لابن نوح معه مکان وهو اقرب الاحباء وامر بحمل ابلیس
وهو اصعب الاعداء لان اسرار تقدیر الحق لا تجری علی قیاس الخلق فکانه قیل له یا نوح ان
ابنک لا تحمله والعدو فادخله فانه سبحانه فعال لما یرید فمن نجاه جده لم یثنه کده ومن
اقصاه ربه لم یدنه نسبه ولا حسبه ولا ابوه ولا جده وما امن معه الا قلیل بورک
فیهم فلم یدخل خلل فی الکون من هلاک من اهلکه منهم وقال ارکبوا فیها ای فی السفینة
بسم الله ای ملازمین للتسمیة ومستعینین بالبسملة مجریها ومرسیها ای زمان
اجرائها وارسائها او مکانهما علی ان المجری والمرسی اسما الزمان او المکان
روی انه علیه السلام کان اذا اراد ان تجری قال بسم الله فجرت واذا اراد
ان ترسو قال بسم الله فرست وقرأ حمزة والکسائی وحفص مجریها بالفتح
من جری وقری مرسیها ایضا من رسی وکلاهما یحتمل الوجهین ان ربی
لغفور رحیم بالمؤمنین من المذنبین والمطیعین قال الاستاذ عرفه ان نجاته
من القطرة لما تقاطرت لیست بالحیل وان تنوعت وتکاثرت فنبهه ان
سلامته وتوکله علی الله نجاته وراحته لا بل بتفضله سبحانه خلاصه وعاقبته
وهی تجری بهم ای فرکبوا فیها وهی تسری بهم فی موج من الطوفان وهو ما یرتفع
من الماء عند اضطراب البحر کالجبال ای کل موجة منها کجبل فی تراکبها و
ارتفاعها والمشهور ان الماء علی شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا ونادی
نوح ابنه کنعان وکان فی معزل عزل فیه نفسه عن ابیه او عن دینه مفعل للمکان من عزله عنه
ابعده منه وافاد الاستاذ انه کان فی معزل عن ابیه بظاهره وکان فی سر تقدیره ایضا بمعزل
عما سبق لنوح وقومه من فضله ثم انه ینطق بلسان الشفقة وقال بیان النصیحة یا بنی
ارکب معنا فی السفینة مصاحبا لنا بالدخول فی دیننا کما یدل علیه قوله ولا تکن مع
الکافرین فی الدین او فی الانعزال فانهم من المغرقین وقال الاستاذ لم یقل له لا تکن
من الکافرین لانه کان حاله ملتبسة علی نوح علیه السلام وکان ابنه ینافقه فقیل له یا نوح انه
مع الکافرین لانه فی سابق حکمنا من الکافرین هذا والجمهور کسروا الیاء لتدل علی یاء الاضافة
المحذوفة وعاصم فتح الیاء هنا وحفص حیث جاء اقتصارا علی الفتح من الالف المبدلة
من یاء الاضافة وقد ادغم الباء فی المیم ابو عمرو والکسائی وحفص لتقاربهما قال
ساوی الی جبل یعصمنی من الماء یحفظنی من ان یغرقنی قال الاستاذ اخطأ من وجهین

رای الهلاک

رای الهلاک من الماء وکان من الله ورای النجاة من الجبل وهو من الله قلت وکذا حال من یکل
علی جبل العقل ظنا منه انه یمنعه ویعقله عن الخلل ویابی عن رکوب سفینة الشریعة الموضوعة
علی متن الطریقة الجاریة بین امواج بحر الحقیقة قال لا عاصم الیوم من امر الله الا
من رحم ای لکن من رحمه الله عصمه او لا معصوم الا من رحمه قال الانطاکی لا اعتصام لاحد
من خلق الله الا بالله ذکره السلمی وحال بینهما الموج بین نوح وابنه او بین ابنه والجبل
الذی قصده فکان فصار من المغرقین لکونه کان فی علم الله من المهلکین وقیل یا ارض
ابلعی ماءک ویا سماء اقلعی وغیض الماء نقص وقضی الامر ای وکل امر انجاز ما وعد
من انجاء المؤمنین واهلاک الکافرین وقال الاستاذ لما غرق ابن نوح سکن الموج
ونضب الماء واقلع السماء فکانه کان المقصود من الطوفان ان یغرق ابن نوح وهو
کنعان کما قیل ■ عجبت لسعی الدهر بینی وبینها • فلما انقضی ما بیننا سکن الدهر • واستوت
استقرت السفینة وثبتت علی الجودی جبل بالموصل وغیره روی انه رکب السفینة عاشر
رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلک الیوم فصار سنة للانام وقیل بعدا للقوم
الظالمین هلاکا لهم ونادی نوح ربه ای اراد نداءه فقال رب ان ابنی من اهلی وان
وعدک الحق لی ولغیری وقد وعدت ان تنجی اهلی فما حاله او فما له لم ینج ولعل قوله سبحانه الا من
سبق علیه القول کان مبهما عنده او فهم ان المراد به امرأته فقط لا سیما وقد کان ینافقه
ولده کما سبق وانت احکم الحاکمین لانک اعلمهم واعدلهم واکثرهم حکمة قال یا نوح انه لیس
من اهلک الذی وعدته فانه داخل فی المستثنی او لیس من اهل دینک انه عمل غیر صالح
ای ذو عمل فاسد او سمی بالمصدر مبالغة کرجل عدل وقرأ الکسائی عمل بصیغة المضی
ونصب غیر ای عمل عملا غیر صالح وقال الاستاذ ای انه لیس من اهل الوصل قسمة وان
کان من اهلک نسبا ولحمة وان خطابک فی بابه عمل غیر صالح او انه عمل غیر صالح فلا
تسألن ما لیس لک به علم اصواب هو او غیره وقال الاستاذ ای سترت عنک فی
حال اولیائی واعدائی ولا تعلم غیری سر تقدیری هذا وقرأ ابن کثیر بفتح اللام والنون
المشددة وکذا نافع وابن عامر الا انهما کسرا النون کغیرهما علی ان اصله تسألننی فحذف
نون الوقایة لاجتماع النونات وکسرت الشدیدة لمحافظة الیاء ثم حذفت بکسر
ما قبلها للاکتفاء واثبت ورش وابو عمرو فی حال الوصل الیاء انی اعظک
ان تکون من الجاهلین قال الاستاذ تلطف له فی الجواب بقوله انی اعظک لانه
لما لم یستجب له فی ولده تدارک بحسن الخطاب قلبه قیل ان ابن نوح بنی من الزجاج
بیتا وقت اشتغال ابیه بالسفینة فلما رکبها نوح دخل ابنه فی البیت الذی
اتخذه من الزجاج فسلط الله سبحانه علیه البول حتی اخذ یبول بها امتلأ وذلک
البیت من بوله فغرق کل فی ماء البحر وغرق ابن نوح فی بوله لیعلم انه لا مفر من القدر
او لیعلم ان من اراد النجاة بعقله وبفعله فهو محجوز مسجون ببوله قال رب سلنی

اعوذ بك ان اسئلك اى من سؤالى عنك ما ليس لى به علم امن عندك والا تغفر لى
ما صدر عنى وترحمنى بتوفيق التوبة وقبولها منى اكن من الخاسرين اعمالا والخاسرين
آمالا قال الاستاذ نسى نوح حديث ابنه فى حديث نفسه فاستعاذ بفضله
واستجار بلطفه فوجد السلامة من ربه قيل يا نوح اهبط بسلام منا اى انزل من السفينة
مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك من عندنا وفى كلامنا وعلى السنة عبادنا
حتى ينقاد لك الجن المردة والحيوانات الموذية عند ذكرك المقرون بسلام منا وبركات
عليك اى انواع بركات حاصلة لديك وراجعة اليك او وزيادات فى نسلك
حتى تصير آدم ثانيا فيمن بعدك وعلى امم ممن معك اى وعلى امم هم الذين معك
فمن بيانية سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم من نسلهم او على امم ناشئة
ممن معك فمن ابتدائية والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اى فى الدنيا
بانواع النعيم ثم يمسهم منا عذاب اليم فى الدنيا والعقبى وافاد الاستاذ انه سبحانه
طهر وجه الارض من اعدائه وخص نوحا عليه السلام بالسلامة من بلائه ومن معه
من اصدقائه واقربائه والامم التى اخبر انه سيمتعهم ثم يمسهم العذاب هم الذين
ليسوا من اهل السعادة بل انهم من اهل الشقاوة واصحاب الحجاب تلك اى
قصة نوح من انباء الغيب بعض الاخبار المغيبة نوحيها اليك ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا الانباء والايحاء فاصبر فى السراء والضراء
ان العاقبة الحسنى او الموعودة بالظفر فى الدنيا وبالفوز فى العقبى للمتقين الشرك
والمعصية والغفلة عن ذكر الله بل وعن تصور ما سواه وقال الاستاذ اى علمناك
بهذه الجملة وانباناك بهذه القصة المجملة لما خصصناك بتعريفنا اياك من غير ان
تعلمته من شخص او قراته من كتاب فان قابلك قومك بالتكذيب فاصبر فانه ينقلب
هذه الامور عن قريب والى عاد اى وارسلنا الى عاد اخاهم اى واحدا منهم هودا
عطف بيان لما قبله قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره ان انتم الا
مفترون على الله فى اشراك عبادة ما سواه يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا اى جعلا على تبليغى
ان اجرى الا على الذى فطرنى خاطب به كل رسول للامة ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة
فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالطمع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق
من المبطل وخطاكم من صوابكم وقال الاستاذ لم يات نبى من الانبياء الكرام عليهم السلام
الا واخبر انه ليس لهم فى مالهم طمع ولا لهم مطالبة اجر وان الذى يعمل لله لا يطلب
الاجر من غير الله بل من عمل لله وعرف الله لم يطلب فى الجملة اجرا الا من غير الله ولا من الله
قلت لان الاجر حاصل بفضل الله بل ليس لهم مقصود الا الله ولا مشهود سواه
ويا قوم استغفروا ربكم اى اطلبوا مغفرته بالايمان ثم توبوا اليه اى توسلوا الى مرحمته
بالاحسان وترك العصيان او استغفروا من الاوزار ثم توبوا اليه من الاستغفار

قيل لانه

قيل لانه متضمن لدعوى الوجود والقدرة والفعل لما سوى الله ولا حول ولا قوة
الا بالله ولذا قيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب وقال الاستاذ اى استغفروا ربكم
ثم توبوا اليه بعد الاستغفار من توهمكم بان نجاتكم باستغفاركم بل تحققوا بانكم لا
تجدون نجاتكم الا بفضل ربكم فبفضله وتوفيقه توصلتم الى استغفاركم لا باستغفاركم
وصلتم الى نجاتكم ولولا انه برحمته اهلكم للاستغفار والا لما وصلتم الى توبتكم واستغفاركم
وتنصلكم واعتذاركم يرسل السماء عليكم مدرارا اى ينزل منها عليكم المطر كثير الدر ويزدكم
قوة الى قوتكم اى ويضاعف قوتكم بزيادة قوتكم او يمددكم باموال وبنين كما فى آية
اخرى ومنه قال الحسن بن على رضى الله عنهما من كثر استغفاره كثر نسله اى فى نفسه وماله
قيل وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب الزراعة والعمارة
وافاد الاستاذ ان الاستغفار قرع باب الرزق والاكثار للامطار واذا رجع العبد
الى الله بحسن ضراعته فتح عليه ابواب رحمته ووفر عليه اسباب نعمته وقيل ينزل على
ظواهركم امطار النعمة وعلى ضمائركم اسرار المنة ويزد قوة تحصلون بها توسعة انواع
الرزق وقوة تحصلون بها تحسين اصناف الخلق ولا تتولوا الا تعرضوا عما
ادعوكم مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة
دعواك النبوة وذلك لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزة قال الاستاذ
ما زادهم هود بسطا لآياته وايضاحا لمعجزاته الا ازدادهم عمى على عمى ولم يرزقهم بصيرة
ولا هدى وما نحن بتاركى آلهتنا من جهة العبادة عن قولك اى لاجل قولك لنفى
دعوى الرسالة وما نحن لك بمؤمنين اقناطه من التصديق والاجابة ان نقول
الا اعتريك ما نقول الا قولنا اصابك بعض آلهتنا بسوء اى جنون لسبك اياها
وصدك عنها قال الاستاذ كيف ظنوا ان الهتهم تمس اعداءهم بضر وهى لم تمسهم
بخير فالاصنام لا تضر اعداءها ولا تنفع اولياءها قال انى اشهد الله اى الذى لا اشاهد
سواه واشهدوا انى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون اى لا تمهلونى ولا
تؤخروا امرى وهذا من كمال ثقته بالله وامتناعهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك
عقبه بقوله انى توكلت على الله ربى وربكم اى لا اعتمد على من سواه قال الاستاذ اخبر انه
بموعود الله له من نصرته واثق وانه فى خلوص طاعته وصفا معرفته صادق ما من دابة الا
هو آخذ بناصيتها اى مالك لها وقادر عليها ومتصرف فيها على ما يريد بها والآخذ بالنواصى
تمثيل لذلك قال بعضهم كيف يكون لك محل وانت لغيرك قائمك ولذلك قيل من قال
نفذ نازع القبضة ذكره السلمى ان ربى على صراط مستقيم اى انه على العدل القويم لا يضيع
عنده معتصم ولا يفوته ظالم ومن تفسير بحر الحقائق فى قوله انى توكلت على الله ربى
وربكم اى هو الذى يربينى على طلب الحق ويربيكم على طلب الباطل ما من دابة تدب
فى طلب الخير والشر الا هو آخذ بناصيتها يجرها الى النفع والضر وهى فى قبضته

قدرته مذللة له ان ربى على صراط مستقيم فى اصلاح حال اهل الخير وافساد حال اهل الشر او معناه
من يطلبه فليطلبه على صراط مستقيم وهو الشريعة على قدم الطريقة فانه يصل اليه بالحقيقة وايضا
يعنى الصراط المستقيم هو الذى ينتهى اليه لا الى غيره لقوله تعالى وان الى ربك المنتهى فان تولوا اصله
تتولوا ولذا قرئ البزى بتشديد التاء وصلا اى فان تعرضوا عما نفعه عائد اليكم فقد ابلغتكم
ما ارسلت به اليكم فلا تقصير منى ولا عذر لكم عنى ويستخلف ربى فى دياركم واموالكم قوما غيركم
ثم لا يكونون امثالكم بل يكونون اطوع منكم مع ان فناءكم وبقاءكم مستويان عند ربهم اذ
الحق سبحانه بوجود الاعيان لا يلحقه زين وبفقدهم لا يمسهم شين فلا فرق ان وحدوا وعبدوا
او جحدوا ولحدوا ويستخلف مستأنف او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة الشاذة
بالجزم على المحل ولا تضرونه شيئا من الضرر ان ربى على كل شئ حفيظ رقيب ومطلع فلا يخفى
عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم وفق احوالكم ولما جاء امرنا بالعذاب او عذابنا المأمور
من عندنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف قال الاستاذ
لم يقل باستحقاقه النجاة بوسيلة نبوته او لحشمة طاعته ورسالته بل قال برحمة منا ليعلم
الكل ان الانبياء عليهم السلام ومن دونهم غريق رحمته وغريق منته لا استحقاق لاحد ولا
وجوب على الله لبشر قلت ويدل عليه حديث البخارى وغيره لن ينجو احد منكم بعمله قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا ان يتغمدنى الله برحمته ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجى
منه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة فتقطع اعضاءهم وتخرج من ادبارهم او المراد
تنجيتهم ايضا من عذاب الاخرى والتعريض بان المهلكين كما عذبوا فى الدنيا فهم معذبون
بالعقبى وتلك عاد اى تلك القبيلة قبيلة عاد جحدوا بآيات ربهم كفروا بها واعرضوا عنها وعصوا
رسله الذين ظهروا ومن عصى رسولا فقد عصى الرسل لانهم امروا بطاعة الكل واتبعوا امر كل
جبار عنيد اى متكبر معاند والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا
من دلهم على الكفران وما يرديهم وافاد الاستاذ ان انزال قصصهم تسلية للرسول
عليه السلام فيما كان يقاسيه من البلاء وتقوية للمؤمنين فيما ندبوا اليه من حسن الرجاء
فالعدة فى تبديل ما كانوا يلقونه من الشدة بالرخاء واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم
القيمة اى جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدنيا والآخرة تكبهم فى محنة الفرقة وعقوبة
الحرقة وافاد الاستاذ انه سبحانه اخبر انهم خسروا فى الدنيا والعقبى اما فى هذه الدنيا
فالاستيصال بالم الشدة ثم ما اتبعوا به من اللعنة ثم ما يلقونه فى الآخرة من تأبيد
الشقوة وبقائهم من الرحمة صعبه صنوف كل تلك المحنة كما قيل شعر
تبدلت وتبدلنا واخسرنا • من ابتغى عوضا يسلى فلم يجده • الا ان عادا كفروا
ربهم اى جحدوا ربوبيته او كفروا النعمة الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالابعاد وكرر
الا وذكر اربابا البلاء تفظيعا لامر مآلهم وتحثينا على الاعتبار بحالهم قوم هود
عطف بيان لتبيان انهم عاد الاولى دون عاد الثانية وهى عاد ارم والله اعلم وقيل

ينادى يوم القيمة بقوله الا ان عادا الى آخر الآية والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض هو كونكم منها ومكنكم فيها لا غيره فانه خلقهم من آدم وآدم
خلق منها ومواد النطف التى خلق نسله ايضا منها والمراد منها التراب هنا والتقدير من ترابها
واستعمركم فيها اعمركم فيها فاستعمر بمعنى اعمر كاستهلك بمعنى اهلك او اقدركم على عمارتها ومن الضحاك
اطال عمركم فيها فان الواحد كان يعيش ثلثمائة الى الف سنة فاستغفروه لما مضى ثم توبوا اليه
فيما بقى ان ربى قريب يسمع كلام مناجيه مجيب مرام راجيه قالوا يا صالح قد كنت فينا اى بيننا
مرجوا فيك الخير لما والصلاح والرشاد فيما بين العباد من قبل هذا فلما سمعنا هذا القول منك
انقطع رجاؤنا عنك اتنهينا ان نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه
من توحيد الله والتبرى عما سواه مريب موقع فى الريبة وموجب للشبهة قال يا قوم ارأيتم
ان كنت اى فرضا وتقديرا على بينة بيان وبصيرة او حجة ومعجزة من ربى من عنده ولطفه
وآتانى منه رحمة اى نبوة من فضله فمن ينصرنى من الله من يمنعنى من عذابه ان عصيته
فى تبليغ المنع عن اشراكه فما تزيدوننى حينئذ باستتباعكم غير تخسير غير ان تخسرونى بابطال
ما منحنى الله به ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية نصبها على الحالية وعاملها معنى الاشارة ولكم حال
منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تأكل فى ارض الله فاتركوها ترعى نباتها وتشرب ماءها
ولا تمسوها بسوء بما يسوءها فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم بالسوء لها
الا يسيرا وهو ثلثة ايام ولياليها فعقروها فقال تمتعوا فى داركم عيشوا فى منازلكم السفلى
او فى داركم الدنيا ثلثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم العقوبة ذلك وعد غير مكذوب
اى غير كذب او غير مكذوب فيه لانه وقع بالنقد فى الحال لا بالوعد فى المآل فلما جاء امرنا
نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا كما قدمنا ومن خزى يومئذ اى ونجيناهم من خزى
يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وقرأ نافع يومئذ بالفتح على اكتساب
المضاف البناء من المضاف اليه ان ربك هو القوى القادر على امضاء حكمه العزيز
الغالب على قضاء امره واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين اى هالكين كأن
لم يغنوا فيها لم يقيموا فيها سالمين الا ان ثمود كفروا ربهم قرأ حفص وحمزة بمنع
صرفه للعلمية وتأنيث القبيلة والباقون بالتنوين باعتبار الحى الا بعدا لثمود نونه الكسائى
وحده ولقد جاءت رسلنا اى الملائكة وكانوا تسعة او ثلاثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل ابرهيم
بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط او بان نسبة الخلة ثابتة وانها لا تنقطع
وقيل بخروج محمد عليه السلام من نسله ذكره السلمى وقيل كانت البشارة باسحق وبقائه
حتى يولد له ولد لقوله ومن وراء اسحق يعقوب يعنى من نسله ذكره الاستاد ولا منع من الجمع
فى مقام المراد قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما او ذكروا سلاما قال سلام اى امركم
سلام او جوابى سلام او عليكم سلام رفعه فى اجابتهم ليكون احسن من تحيتهم وقرأ حمزة
والكسائى قال سلم بالكسر والسكون وهما لغتان قال ابن عطاء قالوا الك رتبة

الخلة السالمة من الزلة قال سلام اى هذا السلام الذى يوجب السلامة من السلام وقال الزهري
كان الملائكة قصدوا اهلاك قوم لوط فلما رآهم الخليل عليه السلام فزع منهم فقالوا سلاما اى سلمت
انت واهلك من قصدنا بالاهلاك فقال سلام اى الحمد لله الذى انجاني واهلي من الهلاك وافاد الاستاد ان
تلك البشارة هو قولهم سلاما وان ذلك كان من الله واى بشارة اتم من سلام الخليل على الخليل وان
صباحا يكون مفتتحا بسلام الحبيب فصباح مبارك وكذا اذا كان مساء فما لبث ان جاء
بعجل حنيذ اى مشوى وسمين لآية اخرى والمعنى فما ابطأ مجيئه به وفيه اشارة الى انه اذا نزل
الضيف يجب المبادرة الى تقديم السفرة فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم لان الامتناع
من اكل ما تقدم الى الضيف معدود من الجفاء فى مذهب ارباب الوفاء قال جعفر الصادق
من لم يتناول طعام الفقراء فقد اظهر الكبرياء ذكره السلمي واوجس منهم خيفة اى ادرك
من جهتهم مخافة او اضمر من اجلهم خشية كما هو من لوازم البشرية او خاف خوف الرحمة
والخشية على الامة ويشير اليه قوله تعالى قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وامرأته
قائمة على رؤسهم للخدمة او وراء الستارة تسمع المحاورة فضحكت سرورا بزوال
الخيفة فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل
يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب ورفعه الباقون على انه
مبتدأ وخبره الظرف اى ويعقوب مولود من بعده يعقبه من صلبه قالت يا ويلتى اصلها
فى الشر فاطلق فى كل امر فظيع اى يا عجبا ءالد وانا عجوز ابنة تسع وتسعين وهذا بعلى
زوجى شيخا ابن مائة وعشرين ونصبه على الحالية والعامل فيها معنى الاشارة ان هذا لشئ عجيب
وامر غريب ومستعجب من حيث العادة لا من جهة القدرة واليه الاشارة بقوله قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله
وبركاته عليكم اهل البيت بالهمزة الانكارية فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة
ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس مما يستغرب به عاقل فضلا عمن
نشأت وشابت فى ملاحظة الآيات ونصب اهل البيت على المدح او النداء انه حميد
محمود بذاته وحامد لصفاته مجيد كريم باظهار مصنوعاته فلما ذهب عن ابراهيم الروع اى
ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بالمعرفة وجاءته البشرى بدل المخافة يجادلنا فى قوم لوط
اى يجادل رسلنا فى شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو جواب لما جئ بالصيغة
المضارعية على حكاية الحال الماضية وقال الاستاد لما كان مراجعته مع الله تعالى
فى حق لوط عليه السلام بحق الله لا لحظ نفسه سلم له الجدال وهذا يدل على علو
شانه حيث سومح له فى هذا الحال ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام
اواه كثير التأوه من الآثام والتأسف على الانام منيب راجع الى ربه
فى جميع الليالى والايام وفيه ايماء الى رقة قلبه وفرط رحمته حمله على مجادلته
لانه حق غيره مع انه كان يقابل ما يرد على ماله ونفسه وولده باحتمال حلمه يا ابراهيم
اى وحى اليه ونودى به او قالت الملائكة له اعرض عن هذا الجدال اوعن هذا الحال

اوتوقع

وتوقع الحال انه قد جاء امر ربك بعذابهم على وفق تقديره المحتم بمقتضى قضائه المبرم وانهم
آتيهم عذاب غير مردود غير مصروف بجدال ولا دعاء فان الحكم بعذابهم قد نزل ووقت
الانتقام منهم قد حصل ولما جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤا
فى صورة غلمان فظن انهم ناس ضيفان فخاف ان يقصدهم قومه فيعجز عن دفعهم
بنفسه وضاق بهم ذرعا صدرا وهو كناية عن شدة انقباض الحالة للعجز عن المدافعة
وقال هذا يوم عصيب شديد مأخوذ من العصب او العصابة قال الاستاد مقاساة
الحزن بحق الله محمود ولذا احمده المعبود وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون
عليه لطلب الفاحشة من النازلين للضيافة لديه ومن قبل قبل تلك الحالة كانوا يعملون
السيئات انواع الفاحشة فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا مجاهرين لها قال يا قوم
هؤلاء بناتى اراد نساءهم فان كل نبى ابو امته من حيث شفقته وحسن تربيته وفى
قراءة ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم او هؤلاء بناتى تزوجوهن وكانوا
يطلبونهن ولا يجيبهم لخباثتهم وعدم كفاءتهم فبذلهن اضيافة كرامة وحمية
لمراعاتهم قال الاستاد القى جلباب الحشمة واغرق الله على ما هو مقتضى البشرية
فلم يراع حق الكفاءة بعد ما كان فيه ترك المعصية هن اطهر لكم انظف فعلا وافعل
للمبالغة فى كمال الطهارة كقولهم العسل احلى من الخل والمعنى انهن فى غاية من
الطهارة والحلية لاجلكم فاتقوا الله فى مخالفة امرى ولا تخزون ولا تفضحون
فى ضيفى اى فى شانهم او لاجلهم فان اخزاءهم اخزائى اليس منكم رجل رشيد
يهتدى الى سبيل سديد قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق حاجة ولا ميل
الى النسوان وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران قال الاستاد اصروا على
عصيانهم واستمروا على طغيانهم وزهدوا فى المأذون لهم شرعا وانجرهم على ما قادهم
الهوى اليه طبعا وهذه صفة البهائم لا يردعهم عقل قائم انتهى وقال جنيد سمعت
السرى يقول رأيت رب العزة فى المنام فقال يا سرى خلقت الخلق وخلقت الدنيا
فذهب مع الدنيا تسعة اعشار الخلق وبقى معى عشر منهم ثم خلقت الجنة فذهب
مع الجنة تسعة اعشارهم وبقى معى منهم العشر ثم سلطت عليهم البلاء ففر من البلاء
تسعة اعشار ما بقى وبقى معى عشر العشر فقلت ماذا تريدون لا الدنيا اردتم ولا الجنة
طلبتم ولا من البلاء فررتم فاجابونى وقالوا انك لتعلم ما نريد ذكره السلمي فانظر الى
اختلاف المرادين وفرق المريدين من الفريقين فى قول واحد وهو انك لتعلم ما نريد وقد
نودى ابو يزيد وقيل له ما تريد فقال اريد ان لا اريد فقال بعض ارباب المريد هذا ايضا ارادة
غير لائقة من العبيد فانه سبحانه هو المريد ولله در القائل ⁕ اريد وصاله ويريد هجرى
فاترك ما اريد لما يريد ⁕ قال لو ان لى بكم قوة لو قويت بنفسى على دفعكم او آوى الى
ركن شديد اى الى قوى امنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى شدته وثباته فى مرتبته وجواب

لو محذوف تقديره لدفعتكم او لو للتمني وقال ابن عطا لو ان لى المعرفة بيدي لا وصلتها اليكم
ذكره السلمي وقال الاستاد لو ان لى بكم قوة لمنعتكم عن ارتكاب المعصية وان اهم الانبياء
على الاولياء انه لا يجري من الخلق ما ليس فيه رضاء الحق انتهى وعن النبي عليه السلام رحم الله
اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد رواه الشيخان والركن الشديد في الحقيقة نصر الله
ومعونته فكان النبي عليه السلام استغرب من لوط عليه السلام قوله او اوى وعدة نادرة اذ لا ركن
اشد من الركن الذي كان ياوي اليه ويعتمد عليه وروي انه اغلق بابه دون اضيافه
واخذ يجادلهم من وراء بابه فتسوروا جدار سطحه فلما رات الملائكة ما على لوط من الضجر
قالوا يا لوط ان ركنك لشديد انا رسل ربك لن يصلوا اليك الى اضرارك باضرارنا فهون
عليك ودعنا واياهم فخلاهم فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم
فخرجوا يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بهمز القطع من الاسراء
وقراء نافع وابن كثير بالوصل حيث جاء في القران من السري وهو السير بالليل بقطع
من الليل بطائفة منه وفي تجريدا وتاكيد ولا يلتفت اي لا يتخلف منكم احد والنهي في
اللفظ لاحد وفي المعنى للوط ولذا قال الا امراتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل
عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك ولا يلتفت منكم احد وقراء ابن كثير
وابو عمرو بالرفع على البدل من احد والاظهر انه استثناء منقطع منهما اي لكن امراتك
لا تسري بها وانها تسير بنفسها وتلتفت الى ما وراءها لميلها اليهم انه مصيبها ما اصابهم
لمشاركتها في المعصية معهم ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب
كانه جواب لوط في الاستبطاء حكي عن السري انه قال فقرب الاحرار لا تحتمل الانتظار
وقال بعضهم انتظار ما هو كائن قريب خصوصا اذا كان ذلك من قائل صدق وموعد حق
وقال الاستاذ لما ضاق به الامر كشف الله عنه الضر فتعرف اليه الملائكة فقالوا ان عليك
فانهم لا يصلون الينا بسوء ولا اليك انا رسل ربك جئنا باهلاكهم فاخرج انت واهلك
من بينهم واعلم ان من شاركهم في عملهم بنوع ما له من العذاب حصة معهم ومن جملتهم امراتك
التي كانت تدل القوم على تلك الفعلة الفاحشة وان العقوبة لاحقة بها مدركة لها
فان الجسارة على الزلة وخيم العاقبة ولا ينفع الاتصال بالانبياء والاولياء اذا كان في
الحكم والقضاء من جملة الاشقياء فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به جعلنا عاليها سافلها
فقد روي ان جبرائيل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع
اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها وامطرنا عليها على المدن او اهلها او
على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله في آية اخرى حجارة من طين واصله
سنك كل معرب منضود نضد معدا لعذابهم مسومة معلمة لعقابهم او معلمة
باسم من يرمى بها عند ربك في خزائنه وحكم قضائه وما هي اي تلك العقوبة او الحجارة
من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وفي تفسير السلمي

الظالم

الظالم من وضع ما امر في غير موضعه قلت فالظالم من وضع في قلبه غير محبة الله واعتمد في
حاله على من سواه وعنه عليه السلام انه سأل جبرائيل فقال يعني ظالمي امتك فقال ما من ظالم
منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وفي تفسير السلمي لما ادركهم الحكم السابق
الجاري في الازل قلبنا بهم ارضهم كما حكمنا عليهم بتقليب قلوبهم وصرفهم عن طريق الحق وسبيل
الصدق وافاد الاستاذ ان سنة الله في عباده قلب الاحوال عليهم والانقلاب
من سمات الحدوث والذي لا يزول ولا يحول فهو الذي لم يزل ولا يزال بنعوته الصمدية
وان من عاش في السرور دهرا ثم بدل بيسره عسرا فكمن لم ير قط خيرا والذي قاسى طول
عمره ضرا ثم اعطي يسرا فكمن لم ير عسرا ولذا قيل اي محنة آخرها الجنة واي نعمة آخرها النار
قال الله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة والى مدين اخاهم
شعيبا اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان المعروفين نفسهما او حدهما اني اريكم
بخير بسعة تغنيكم عن البخس الذي هو غاية الخسة واني اخاف عليكم عذاب
يوم محيط لا يشذ منه احد منكم والمراد عذاب الاستيصال في الدنيا وعقاب العقبى
واضافة العذاب الى اليوم ظرفية ونسبة الاحاطة الى اليوم مجازية قال بعضهم
اقرب حالكم الى الاستدراج ايام الامن والدعة وزمان تواتر النعمة قال بعضهم اني
اريكم بخير بسعة واني اخاف عليكم بتقصيركم شكر النعمة ذكره السلمي وافاد الاستاذ
انه سبحانه اخبر عن قصتهم وما اصابهم من العذاب الاليم والبلاء العظيم وفي
الظاهر اجرامهم كانت يسيرة ولعل العوام يعدون امثالها صغيرة ولا يقولون
انها كبيرة اذ ذاك تطفيف في المكيال وليس لذلك كثير اثر في نقص المال
وليس قدر الاجرام لاعيانها ولكن بمخالفة الجبار حيث عظم شانها قال الله
تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم قلت ولهذا المعنى قيل ليس
في الذنوب من صغيرة وقيل احتقار كل صغيرة كبيرة ويا قوم اوفوا المكيال
والميزان صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة في الاعتناء وتنبيها
على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد طلب التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو
بزيادة لا يتاتى دونها ولا يتصور بغيرها او المراد بالاول نقص نفسهما وبالثاني
نقص ما فيهما بالعدل اي بالسوية من غير النقصان والزيادة فان الازدياد
تفضل وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا كما في بيع مثله بمثله ولا تبخسوا
الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المكيل والموزون او غيرهما
كالمعدود والمذروع ونحوهما وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو
يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس اخذ العشور من المعاملات
المسمى بالمكس او تقطيع الدراهم والدنانير والفلس والعثو السرقة الكبرى والصغرى

والفائدة وفائدة الحال اخراج ما یقصد به اصلاح المال کما فعل الخضر علیه السلام وقیل
معناه لا تعثوا فی الارض مفسدین امور دنیاکم ومصالح اخرتکم بقیة الله ای ما ابقاه
من مال حلالکم بل التنزه عما حرم علیکم خیر لکم مما تجمعون بالتطفیف ونحوه من
اعمالکم ان کنتم مؤمنین مصدقین لی فی نصیحتی لکم وما انا علیکم بحفیظ
احفظکم عن قبایحکم او احفظ علیکم اعمالکم وعلیها اجازیکم وانما انا نذیر وقد
اعتذرت حین انذرت وقال بعضهم ما ادخره الله لکم من الکرامات خیر لکم
مما تسألونه من المرادات ان کنتم موقنین ان اختیار الحق لعبده خیر من اختیاره
لنفسه ذکره السلمی وقال الاستاذ یعنی القلیل من الحلال اجدی من الکثیر المعقب للوبال
فلم یقابلوا النصیحة لهم الا بالعقود وبالتمادی فیما هو دابهم من الجحود قالوا یا شعیب
اصلوتک تامرک ان نترک ما یعبد اباؤنا من الاصنام والانداد وقرأ حمزه والکسائی
وحفص صلوتک بالافراد والمعنی اصلاتک تامرک بتکلیف ان نترک فحذف
المضاف للعلم بان الرجل لا یؤمر بفعل غیره وترکه او ان نفعل فی اموالنا ما نشاء عطف
علی ما ای ونترک فعلنا ما نشاء فی اموالنا من تقطیع الدراهم والدنانیر ونحو ذلک
انک لانت الحلیم الرشید تهکموا به وقصدوا وصفه بضده کما تهکموا بصلاته الزائدة
علی سائر عباداته قال یا قوم ارایتم ان کنت علی بینة من ربی ای معرفة وحکمة ونبوة
من فضل ربی ورزقنی منه رزقا حسنا من المال الحلال من عنده وکرمه بلا کد منی
فی تحصیله او فی حصول اصله قدر ما یکفینی وعن اموالکم یغنینی وجواب الشرط
محذوف تقدیره فهل یسع لی مع هذا الانعام الکلی الجامع للسعادات الروحانیة والجسمانیة
ان اخون فی وحیه واخالفه فی امره ونهیه وهو اعتذار عما انکروا علیه من تغییر المالوف
من النهی عن المنکر والامر بالمعروف وافاد الاستاذ ان البینة نور یستبصر به ما خفی
علی ما هو تحت غطاء الغفلة والرزق الحسن ما به دوام الاستقلال وما ذلک
الا بمقتضی عنایة الازلیة وحسن تولیه لشانه فی جمیع ما فیه صلاحه من اتمام النعمة
وادامة العصمة ویقال الرزق الحسن ما کفی لصاحبه کد طلبه ولم یصبه نصب بسببه
او هو ما وجد غیر مرتقب ولا محتسب ولا مکتسب فیصل الیه بلا تعب او هو ما یسوق به
شهود الرزاق ویحفظه من النعم بوجود الارفاق او هو ما لا ینسی الرزاق ویحمل
صاحبه علی التوسعة فی الانفاق وما ارید ان اخالفکم الی ما انهیکم عنه ای ما ارید
ان اتی ما انهاکم عنه لاستبد به فلو کان صوابا لاثرته ولم اعرض عنه فضلا عن انهی
عنه قال ابو عثمان لیس بواعظ من کان وعظا دون عمله وقال الاستاذ لا یمکن
للناصح ان یساعد المامور فی کل ما یامره به ولکن یجب ان لا یحوم حول ما ینهاه عنه
فان الاتیان بجمیع الطاعات غیر ممکن والتجرد عن جمیع المزجورات واجب ویقال
من لم یکن له حکم علی نفسه فی المنع عن الهوی لم یمض له حکم علی غیره فیما یرشد الیه من الهدی

ان ارید الا الاصلاح ما استطعت ای ما ارید الا ان اصلحکم بالامر بالمعروف والنهی
عن المنکر ما دمت استطیع اصلاحکم وما توفیقی جعل الاسباب متوافقة ای وما
کونی موافقا لاصابة الحق وسلوک صوب صواب الصدق الا بالله ای الا
بهدایته ومعونته قیل مرادی اصلاحکم ان ساعدکم التوفیق وما توفیقی الا بالله
فی التحقیق وقیل التوفیق حسن عنایة من الحق سبق الی بعض الخلق لیس فیه
سبب ولا منه مطلب وافاد الاستاذ ان حقیقة التوفیق ما یتفق به الشیء
وفی الشریعة التوفیق ما یتفق به الطاعة وهو قدرة الطاعة ثم کل ما یقرب
العبد من الطاعة من توفیر الدواعی وفنون التنبیهات یعد من جملة التوفیق
علی التوسع والاستعارة والتوفیق بالله ومن الله وهو سبحانه متفضل
باعطائه علیه توکلت فانه القادر علی کل شیء وما عداه عاجز فی حد ذاته بل
معدوم ساقط عن درجة اعتباره وفیه اشارة الی محض التوحید الذی هو
اقصی مراتب العلم بالمبداء والیه انیب ایماء الی معرفة المعاد وافاد الاستاذ
ان التوکل تفویض الامر الی الله وامارته ترک التدبیر بشهود التقدیر والثقة
بالموعود عند عدم الموجود ویتبین ذلک بانتفاء الاضطراب عند عدم
الاسباب ویقال التوکل سکون القلب بضمون الرب ویا قوم لا یجرمنکم
لا یکسبنکم شقاقی مخالفتی ومعاداتی ان یصیبکم مثل ما اصاب قوم نوح من
الغرق او قوم هود من الریح او قوم صالح من الرجفة وما قوم لوط منکم
ببعید زمانا ومکانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم وافراد بعید للفظ
قوم او ارید اهلاکهم علی تقدیر مضاف واستغفروا ربکم استعدوا للمغفرة
بالایمان والمعرفة ثم توبوا الیه عما انتم علیه بتجدید التوبة فی کل لمحة عن الغفلة
وافاد الاستاذ ان الاستغفار هو التوبة فالمعنی توبوا الیه ثم دوموا علیه
فانه اذا لم یتصل وفاء المال بصفاء الحال لم یحصل القبول وکانه لم یکن لما سلف
حصول ان ربی رحیم عظیم الرحمة لاهل التوبة ودود لارباب المودة واصحاب المحبة
والمعنی فاعل بهم من لطفه واحسانه ما یفعل البلیغ المودة بمن یوده من اهله
وجیرانه وقال الاستاذ یرحم العصاة لانه یودهم ویقال یرحمهم ولذلک یودونه
والودود یکون بمعنی المودود وکالحلوب بمعنی المحلوب والرحمة تکون لصاحب المعصیة
فان المطیع یستحق المثوبة علی الطاعة ثم لیس کل من یحب السلطان فی محل
الاکابر فان من الجند اصاغرهم قد یحبون الملک علی ضعفهم وانشدوا
الا رب من یدعو ویزعم انه • یودک والنائی اود واقرب قلت ونظیره
قوم فی صحن الحرم بوصف الغیبة عن الرب وجمع فی تیه الیمن بنعت الحضور
بحسب القلب قالوا یا شعیب ما نفقه کثیرا مما تقول ای ما نفهم صحة

تقول من وجوب التوحيد وحرمة البخس ونحوهما وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور
عقلهم وعدم تفكرهم والا فكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وفصيح الاذكياء وانا
لنريك فينا ضعيفا اى مهينا لا عز لك فينا وقيل قليل العقل بمصالح الدنيا ذكره السلمي
ولولا رهطك اى عزة قومك عندنا لكونهم على ملتنا لرجمناك لقتلناك برمي الاحجار
وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن رجمنا اياك وهذا داب السفيه
البليد يقابل الحجج بالسب والتهديد قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه
وراءكم ظهريا اى جعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر بان اشركتم به واهنتم برسوله فلا
تبقون علي لله وتراعون جانب من سواه والهمزة للتوبيخ وظهري منسوب الى
الظهر وظهر الكسر من تغيير النسب ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها فيجازي
عليها بحسب اتيانهم فيها قال الاستاذ ان ربي يكافئكم على اعمالكم وهو
اعلم بما تستحقون حيوته في جميع احوالكم ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل
سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفارق بين فسوف
تعلمون هنالك للتصريح بان الاصرار والتمكن عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب
سائل قال فما يكون بعد ذلك فهو ابلغ في مقام التهويل عن المهالك ومن هو كاذب
عطف على من ياتيه لا لانه قسيم له بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون
من المعذب والكاذب مني ومنكم وارتقبوا انتظروا ما يفعل بي وبكم انى معكم رقيب
مراقب لحكم ربي وربكم وهذا من باب ارخاء العنان مع اهل العدوان ولما جاء امرنا
بمجيء عذابنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ذكره بالواو كما في قصة عاد
اذ لم يسبقه ذكر وعيد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد
الوعيد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح ولذلك جاء بفاء السببية
ويقال فلما واخذت الذين ظلموا الصيحة روي ان جبرئيل صاح بهم فهلك جميعهم
فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين جامدين خامدين كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا
في منازلها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة
الا ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وافاد الاستاذ ان شعيبا
عليه السلام وثق بكون الموعود في الاستقبال فارخى لهم ستر الامهال فلما حلت بهم العقوبة
وانتهى آجالهم في الغواية صاروا كان لم يكن منهم نافخ نار ولا في ديار الظالمين من
ديار قال تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار ولقد ارسلنا موسى باياتنا المعجزات وسلطان
مبين وحجة ظاهرة وهي العصا او اليد البيضاء وافردها لانها ابهرها الى فرعون
وملائه اتباعه فاتبعوا امر فرعون بالكفر بموسى وربه وذلك لفرط غوايتهم وكثرة
جهالتهم وما امر فرعون برشيد اى مرشد او ذي رشد يؤدي الى طريق السداد
وانما هو غي محض يفضي الى الفساد وافاد الاستاذ انه سبحانه كرر قصة موسى عليه السلام

تفخيما

تفخيما لشانه وتنبيها على علو قدره ومكانه فالآيات التي ارسل بها معجزاته الباهرة وبراهينه
القاهرة وصعب عدوه وقهره اولا نفسه دله سبحانه على ذلك كما قال الى اين اطلبك
فقال عند المنكسرة قلوبهم من اجلي فنبهه على استصغاره لنفسه انكساره لربه بقلبه فزالت
صولته وصار معصوما عن شهود فضيلته والسلطان الذي خصه به استيلاؤه على قلوب من
رآه كما قال والقيت عليك محبة مني فلم يره الا احبه ثم لم ياخذه في الله ضعف ولا فشل
لطم وجه فرعون وهو رضيع كما في القصة ولطم وجه ملك الموت لما طالبه بقبض روحه
كما في الخبر واخذ براس اخيه يجره اليه لما رجع من سماع الخطاب عند المعاينة واقدم بالجواب
على سؤال الرؤية وقتل القبطي لما استعان به من وافقه في العقيدة وقال لله تعالى
ان هي الا فتنتك لما اخبره الحق بما عمل قومه من عبادة العجل بحكم الضلالة ففي جميع هذا
تجاوز الله عنه لما اعطاه من السلطان والقوة يقدم قومه يوم القيمة اى يتقدمهم الى نار
العقبى كما كان يتقدمهم الى الضلالة في الدنيا فاوردهم النار ذكر بلفظ الماضي مبالغة
في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا بئس الورد المورود اى
بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد والنار لتحريق الاجساد وتقطيع
الفؤاد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اى يلعنون في الدنيا والآخرة
او تقديره ويوم القيمة يقال لهم بئس الرفد المرفود بئس العون المعان والعطاء
المعطى والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة في العقبى او في الدنيا والاخرى
وقال الاستاذ ابعدوا في عاجلهم من الايمان والامان وفي آجلهم من الغفران والجنان
والذي في الحال من الفرقة اعظم في التحقيق من الذي في المآل من الحرقة هذه صفة من
امتحنه الله باللعنة ذلك اى النبأ من انباء القرى المهلكة في الدنيا نقصه عليك
منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عاف الاثر كالزرع المحصود
والجملة مستانفة وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم باختيار الكفر لهم
فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله
من شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابهم وحصل حجابهم ونزل عليهم ما اصابهم
وما زادوهم غير تتبيب اى هلاك او تخسير وتخييب وكذلك اخذ ربك اذا
اخذ القرى اى اهلها وهي ظالمة حال منها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم المؤدي
الى الظلمة والانذار لكل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد
صعب غير مرجو الخلاص والمناص وهو كناية عن المبالغة في التحذير عن المخالفة
وافاد الاستاذ ان الحق سبحانه يمهل ولا يهمل ويحلم ولكن لا يجهل ويعلم ثم لا يعجل
وانه لا يسئل عما يفعل ويقال اذا اخذ النفوس بالتوفيق فلا سبيل للخذلان اليها
واذا اخذ القلوب بالتحقيق فلا طريق للحرمان عليها قال تعالى ان بطش ربك لشديد
ان في ذلك اى فيما نزل بالامم المعذبة اى فيما قصه الله من القصة المقرونة بالعقوبة

لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به من جهة الموعظة لعلمه بان ما حاق بهم من العقوبة
فى الدنيا انموذج مما اعد الله للمجرمين فى العقبى ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الآخرة
يوم مجموع له الناس اى يجمع له الخلق ومعنى يجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة بالمثوبة
والعقوبة وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه الكائنات من اهل الارضين والسموات قال ابو سعيد
الخراز من غاب فى حقيقة عين لا يهوله ما جمع له من ذلك المقام ومن كان فى كشف المشاهدة
لم يتعجب من شهود ذلك اليوم كذا ذكره السلمى وافاده الاستاذ ان الايام ثلثة مفقود وهو امس
ليس بيدك منه شئ ويوم مقصود وهو غد لا تدرى تدركه ام لا ويوم مشهود وهو اليوم الذى
انت فيه والمقصود ربما لا تبلغ فالمشهود وقتك وهو بعرض الزوال فاشغله بما يفيدك
فى الحال والمآل وما نؤخره اى اليوم الموعود الا لاجل معدود اى لانتهاء مدة معدودة
وغاية متناهية معلومة والمراد بالاجل هنا مدة التأجيل كلها لا منتهاها فانه غير معدود
فى عالم الوجود وافاد الاستاذ ان الاجل لا يتقدم ولا يتأخر والحيل متقاصرة والآجال
على ما علمها الحق واراد بها جارية فللطلب وقت اذا جاء اجله وكذلك للوصول وقت
اى وان كان قبل اجله فالطلب مع رجاء الوصال والوجود مع خوف الزوال ولقد قال
بعض ارباب الحال عيب السلامة ان صاحبها متوقع لقواصم الظهر وفضيلة البلوى
ترقب اهلها عقب الرجاء ونوبة الدهر يوم يأتى اى الجزاء او القضاء وقرأ ابن عامر
وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع
وينجى من جواب وشفاعة الا باذنه اى الا باذن الله وهذا فى موقف وقوله هذا
يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر او المأذون فيه هى الاجوبة
الحقة والممنوع عنه هى الاعذار الباطلة كما يشير اليه قوله سبحانه لا يتكلمون الا من اذن له
الرحمن وقال صوابا فمنهم اى من الناس اى من اهل الجمع وهو المناسب لمقام التفرقة المشير
اليه عبارة الحشر والنشر والمعنى ان من جملتهم شقى وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد
وجبت له الجنة بموجب الوعد فعنه صلى الله عليه وسلم السعيد من سعد فى بطن امه والشقى
من شقى فى بطن امه رواه الطبرانى فى معجمه الصغير عن ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا وقال جنيد
الشقى من حرم الرحمة والسعيد من رزقه وقال ابراهيم الخواص الشقى من اعتمد على نفسه
فى تدبيره والسعيد من فوض امره الى ربه وافاد الاستاذ ان الشقى من قسم له الحرمان فى
ازاله والسعيد من رزق له الايمان فى مآله ويقال الشقاء على قسمين قوم شقاؤهم
غير مؤبد وقوم شقاؤهم على التأبيد وكذلك القول فى السعادة فالشقى لا على التأبيد
من هو فى اسر التدبير ونسيان جريان التقدير والسعيد من رجع من ظلمات التدبير
وحصل على وصف شهود انوار التقدير واما الشقى على التأبيد فهم اهل الخلود فى مقتضى
الوعيد والسعيد على التأبيد هم الذين قال الله فيهم لهم ما يشاؤن والدينا مزيد فاما الذين
شقوا ففى النار لهم فيها زفير اخراج النفس اولا وشهيق رد النفس آخرا كما فى طرفى

اصوات

اصوات الحمير من النهيق شبه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه
من شدة كربه خالدين فيها ما دامت السموات والارض عبارة عن التأبيد والمبالغة
فان النصوص دالة على دوام العقوبة او المراد سموات الآخرة وارضها كما يدل عليه
قوله سبحانه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات او المراد بهما العلويات
والسفليات ولا يخلو عنهما الكائنات الا ما شاء ربك استثناء من الخلود
فى النار لان بعض اهلها وهم فساق الموحدين يخرجون منها فى وقت شاء ربها
وذلك كاف فى صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض
وهم المراد بالاستثناء الثانى فانهم مفارقون عن الجنة ايام العقوبة فان التأبيد
من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء
وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك على
الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التى لا آخر لها
على مدة بقاء السموات والارض قبل قيام الساعة وهذا معنى قول الاستاذ الا ما شاء
ربك ان يزيد على مدة السموات والارض ثم قال او الا ما شاء ربك ان ينقلهم الى
نوع آخر من العذاب غير الزفير والشهيق يعنى وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى
من الجنة وهو الفوز بنعمة الرؤية ثم قال او الا ما شاء ربك ان لا يلحقهم تلك العقوبة
قبل ان يدخلهم النار فالاستثناء لبعض اوقاتهم من العقوبة قبل ادخالهم النار
لا بعد ادخالهم فيها يعنى وكذلك استثناء اهل الجنة لبعض الازمنة المتقدمة من الخالية
من النعمة الحاصلة بدخول الجنة قبل ادخالهم فيها لا بعد استقرارهم بها ان ربك
فعال لما يريد وهو المحمود فى كل فعاله ولو لم يظهر لنا حكمة بعض افعاله وقال الاستاذ
فيه اشارة الى ان الذى يحصل كما يحصل كل بمشيته لا باستحقاق عمل ولا بايجاب
مثوبة واما الذين سعدوا وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالبناء للمفعول من
سعده الله بمعنى اسعده ففى الجنة قال الاستاذ اليوم فى جنان القربة وغدا فى
جنان المثوبة ولضدهم الكفار اليوم فى عقوبة الفرقة وغدا فى عقوبة الحرقة خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ اى اعطوا عطاء غير مقطوع وهو تصريح
بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد بالاستثناء فى الثواب ليس الانقطاع
ولاجله فرق بين الثواب والعقاب فى التأبيد وقال الاستاد فيه دلالة على ان تلك
النعمة غير مقطوعة ولا ممنوعة فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء المشركون الحمقاء اى من
بطلان عبادتهم وبرهان ضلالتهم ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل بان آلهتهم كما
لا تنفع ولا تضر لعبدتهم مع زيادة افادة ان الآباء فى حضيض تقليد الآباء
وانا لموفوهم نصيبهم حظهم جميعهم من تعذيبهم فى العقبى ومن رزقهم فى الدنيا
غير منقوص من النصيب وهو تأكيد لتقييد التوفية ولقد آتينا موسى الكتاب

فاختلف فيه اي في الكتاب او في موسى فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت
طائفة كما اختلف امتك في القران من جهة الايمان والكفران ولولا كلمة سبقت
من ربك اي حكم ازلي من ربك بتاخير العقاب الى العقبى عن قومك لقضي بينهم
لحكم عليهم في الدنيا بتمييز ما بينهم بانزال ما يستحقه المبطل منهم ليتبين حال المحق
فيهم وانهم اي كفار قومك لفي شك منه من القران مريب موقع في الريب
وموجب للشبهة وان كلا قراء نافع وابن كثير وابو بكر بتخفيف ان مع العمل اعتبارا
للاصل وتنوين كلا بدل من المضاف اليه والمعنى وان جميع المختلفين من المؤمنين والكافرين
لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد وما مزيدة
للفصل بينهما وقراء ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد الميم على ان اصله لمن ما
فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن
انه بما يعملون خبير فلا يفوت عنه شيء وان خفي على غيره فاستقم كما امرت
من الاستقامة في العقائد بالتوسط بين التشبيه والتعطيل وفي القيام بوظائف
العبادات وكذا في الاتصاف بتحسين الاخلاق من غير افراط وتفريط في مرتبة الكمال
والتكميل ولصعوبة هذا الامر وغايته في العسر قالوا الاستقامة خير من الف كرامة
وعنه عليه السلام شيبتني سورة هود والحاصل ان الاستقامة هي ملازمة صراط
المستقيم وملاحظته في كل حالة وهو كالصراط الموعود والجسر الممدود وادق من الشعر
في معرفة الحدود واحد من السيف المحدود ولهذا المعنى وجب طلب الثبات
على هذا المبنى في فاتحة الكتاب التي هي فصل الخطاب وافاد الاستاذ ان السين
في الاستقامة سين الطلب اي سل من الله الاقامة لك على الحق وحقيقة الاستقامة
على الطاعة المداومة على القيام بحقها من غير اخلال بها ويقال المستقيم من لا ينصرف
عن طريق الله مالم يصل الى الله ويصل سيره بسراه وورعه بتقواه ويبلغ
في ترك هواه ويقال استقامة النفوس في ترك الزلة واستقامة القلوب
بنفي الغفلة واستقامة الارواح بنفي العلاقة واستقامة الاسرار بنفي الملاحظة
ومن تاب معك اي من شركه وامن بك فالمعية بالمشاركة في الجملة وهو عطف على
المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لما قام مقامه من فاصل وقال الاستاذ
اي فليستقم ايضا ولا تطغوا اي لا تخرجوا عما حد لكم من الطاعة بالدخول في
المعصية والاخول في الغفلة انه بما تعملون بصير فيجازيكم على القليل والكثير
ولا تركنوا الى الذين ظلموا اي لا تميلوا ادنى ميل اليهم كالتزيي بزيهم فتمسكم
النار بركونكم اليهم وبكونكم لديهم واقبالكم عليهم قال حمدون لا تصاحب الاشرار
فان ذلك يحرمك صحبة الاخيار وسئل ابن المبارك عن الخياطين للظلمة
هل هم من اعوانهم فقال لا هم منهم وانما اعوانهم من يبيع الخيط والابرة لهم

وقال الاستاذ

وقال الاستاذ لا تعلموا اعمالهم ولا ترضوا باعمالهم ولا تمدحوهم على اعمالهم ولا تتركوا
الامر بالمعروف عليهم ولا تاخذوا شيئا من حرام اموالهم ولا تمكنوهم من قلوبكم ولا
تخالطوهم ولا تعاشروهم اي لئلا تشاركوهم في مآلهم بما يلحق من صاحبهم من بالهم
فان من احب قوما حشر معهم وما لكم ايها الكفار من دون الله من اولياء من انصار
يمنعون العذاب عنكم في دار البوار ومستقر البوار ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله
من عنده اذ سبق في حكمه ان يعذبكم به وفيه اشارة الى من طلب النصرة من
غير الله حرم نصرة مولاه واقم الصلوة طرفي النهار في غدوه وعشيه وزلفا من الليل
في ساعات منه قريبة من النهار وصلوة الغدوة صلوة الفجر لانها اقرب الصلوات
من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان اول العشي ما بعد
الزوال وصلوة الزلف المغرب والعشاء وكذا التهجد في اوقات الاسحار
لانها من آخر الليل قريبة من النهار وقال الاستاذ اي استغرق جميع الاوقات
بالعبادات فان اخلاء لحظة من الزمان عن فرض يؤديه او نفل ياتيه حسيرة
عظيمة وخسارة وخيمة انتهى وقد قيل الدنيا ساعة فاجعلها طاعة وورد عنه عليه السلام
ليس يتحسر اهل الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها ان الحسنات
يذهبن السيئات اي يكفرنها والمراد بها الصغائر مع ما يرجى من الكبائر وفي
الحديث الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر
رواه ابو نعيم في الحلية بسند صحيح عن انس وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي
عليه السلام فقال اني اصبت من امراة غير اني لم آتها فنزلت قال الواسطي انوار
الطاعات تذهب بظلم الخطيئات وقال بعضهم رؤية الفضل تسقط عن
العبد رؤية العمل ذكره السلمي وافاد الاستاذ ان الحسنات ما يجود به الحق والسيئات
ما يذنب به العبد فاذا دخل حسنات عفوه على قبائح العبد وجرمه محاها وابطلها
ذلك اي قوله فاستقم وما بعده او القرآن جميعه ذكرى للذاكرين موعظة للمتعظين
من الصابرين في البلية والشاكرين على العطية واصبر على الطاعة وعن المعصية
فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي المخلصين لما ورد من ان الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه وافاد الاستاذ ان الصبر حبس النفس على معانقة الامر ومفارقة
الزجر والمحسنون هم العاملون الذين يعلمون ان الاجر على الصبر بالفضل لا
باستحقاق العمل فلولا فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية من العقل
او الفضل وجوزان يكون مصدرا كالتقية اي ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة
لها من عذاب ربهم ويؤيده انه قرئ بقية في الشواذ بفتح فسكون وهي المرة
من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون الناس بالسنتهم او ينكرون عليهم
بقلوبهم او يمنعون انفسهم عن الفساد في الارض من الكفر والمعاصي الا قليلا

ممن انجينا منهم اى لكن قليلا منهم انجيناهم من المهالك لانهم كانوا كذلك وهم الذين اطاعوا انبياءهم واما غيرهم فلم ينهوا عن الفساد فى البلاد وفيما بين العباد واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا من الشهوات واهتموا بتحصيل اللذات واللهوات واعرضوا عن ملازمة الطاعات وكانوا مجرمين مصرين على ارتكاب الاجرام والسيئات وفيه تنبيه لنبيه صلى الله عليه وسلم واتباعه ان السبب لاستيصال الامم السالفة فى اهلاكهم هو فشو الظلم من الكفر والمعاصى فيهم وتركهم للهدى واتباعهم للهوى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم اى بمجرد شرك وكفر واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون فسادا وبغيا الى كفرهم وذلك لفرط رحمته ومسامحته فيما يتعلق به ولهذا قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حق العباد على حقه لانه غنى عن عبادة العبد وايمانه وصلاحه وقد قيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم قيل المعنى واهلها ينصف بعضهم بعضا وقال ابو سعيد الخراز الصلاح هو الرجوع الى الحضرة فى كل نفس وخطرة كذا ذكره السلمى وافاد الاستاد انه سبحانه لم يهلك احدا كان مصلحا وانما اهلك من كان ظالما ويقال معناه لو اهلك اهل القرى وهم مصلحون كلهم ما كان ذلك ظلما منه لان الملك ملكه ويقال المصلح من قام بحق ربه دون طلب حظه ويقال مصلح يصلح نفسه لطاعة حسبه لكن لا كمصلح اصلح قلبه بمعرفة سيده او اصلح سره لمشاهدة ربه ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين اجمعين ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق اليقين وآخرون على الباطل المبين الا من رحم ربك مما بينهم بان هداهم الله من فضله فآمنوا به وبرسله واتفقوا فى دين الحق على اصوله وان وقع لهم اختلاف فى فروعه ولذلك الاختلاف خلقهم واللام للعاقبة كما فى حديث لدوا للموت وابنوا للخراب قال جنيد خلقهم للاختلاف فوقعوا فى المخالفة ولو خلقهم للموافقة لما رجعوا عن الله الى ما سواه وقال الاستاذ لو شاء لجعلهم ارباب الوفاق ثم لم يوجبوا للملكة وجلاله زينا ولو شاء لجعلهم اصحاب الخلاف ثم لم يوجبوا للسلطنة وجلاله شينا ثم قال ولا يزالون مختلفين لانه كذلك ارادهم الا من رحم ربك فى سابق حكمه فعصمه عن الخلاف فى حاصل عمره ولذلك خلقهم اى خلق كلا لما اقامهم به ونصبهم له واثبتهم فيه من توحيد ووفاق وجحد وشقاق وتمت كلمة ربك اى ثبت حكم وعيده فلا تبديل لقوله ولا تحويل لحكمه اذ هى قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اى من عصاتهما اجمعين اى منهما اجمعين لا من احدهما واللام للعهد فيهما وكلا اى كل نبا نقص عليك نخبرك به من انباء الرسل بيان للكل ما نثبت به فؤادك بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص له وهو زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على تادية الرسالة وتسليته فى احتمال تاذية اهل الضلالة وجاءك

فى هذه السورة او الانباء المقتصة الحق ما هو الحق المطابق والصدق الموافق وموعظة وذكرى للمؤمنين اى ونصيحة وتذكرة لاهل البصيرة وارباب الخبرة واصحاب العبرة الموصوفون بسكب العبرة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالتكم انا عاملون على حالتنا وانتظروا ما يفعل الله بنا وبكم انا منتظرون فى ذلكم معكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه مما فيهما خافية واليه يرجع الامر كله اى امر الكل جميعه وقرا نافع وحفص بصيغة المجهول قيل اليه مرجع الكل لانه منه مبدا الكل ذكره السلمى وتوكل عليه فانه كافيك فيما تستعين اليه وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازيكم بما تستحقون وقرا نافع وابن عامر وحفص بالخطاب والباقون بالغيبة وفى تفسير السلمى وكيف يغفل عنك من قدر عليك عملك وما انت آتيه فى كل نفس الى آخر اجلك وقال الاستاد عمى على قلوبهم العواقب واخفى دونهم السوابق والزمهم القيام بما كلفهم فى الحال فقال واعبده فان تقسيم القلب وتزاحم الظنون وخيم فقال وتوكل عليه اى ليدفع عنك الكاذب الظن ووخيم الامل وكرم الرجاء وما ربك بغافل عما تعملون بل احاط بكل شئ علما واحصى كل امر حكما

سورة يوسف مكية وهى مائة واحدى عشر آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاذ من وسم ظاهره بسمة العبودية وسرائره بمشاهدة الربوبية فقد سمت همته للمراتب العلية وقربت رتبته الى المنازل السنية الر انا الله ارى من فوق العرش الى ما تحت الثرى وارى فى الدار الكبرى واريد جميع ما جرى من الورى تلك آيات الكتاب المبين اى هذه آيات السورة الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبر انها من عند الله لبلاغة مبانيها وافاد الاستاد ان التخاطب بالحروف المتفرقة سنة الاحباب فى ستر المحاب والقران وان كان المقصود منه هو الايضاح والبيان ففيه تلويح وتصريح ومفصل ومجمل يعرفها الاعيان ويقال وقف فهوم الخلق على مراد الحق فيما خاطب حبيبه المطلق بهذه الآية وتعبدهم على الايمان بها فى الجملة وافرده عليه السلام بفهم هذه الاشارة فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب بقول قائلهم بين المحبين سر ليس يفشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه وفى انزال هذه الحروف المقطعة اشارة وهى ان من كان بعين العقل والفهم استنبط من اللفظة اليسيرة ما شاء الله من المعانى الكثيرة ومن كان فى مقام الغيبة والمحو يسمع الكثير فلا يفهم منه اليسير لكمال عقله وهذا التمام وصله وانزل الله هذه الحروف التى لا سبيل على الوقوف الى معانيها ووجه ارتباط مبانيها لتكون للاحباب فرحة حين لم يقفوا على معانيها لعدم السبيل اليها كما عليها فلم يتوجه عليهم مطالبة بفهم ما فيها وكان ذلك لا يقاباح الهم اذ كانوا مستغرقين فى عين الجمع بحسب جمعية بالهم ولذا قيل استراحة من لا عقل له اقول وبجمل والله اعلم ان يكون الحكمة فى ايراد الحروف المقطعة اشارة الى حصول المثوبة لمن قرا واستمع لمبانيها ولم يفهم معانيها ولذا خص صلى الله عليه وسلم حروف الم فى قوله من قرا حرفا من كتاب الله فله به عشر حسنات

لا اقول الم حروف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف ثم افاد الاستاذ ان قوله تعالى
تلك يحتمل ان يكون اشارة الى موعود الخبر بهذا وعده اى اكد وعدناك قبل هذا بتعريف
مثالك من تخصيص وافراد بتقريب فقد حققنا الان فهذه الحروف بيان الانجاز وتحقيق
الموعود والاشارة من الكتاب المبين ههنا الى حكمة الست بل بان يرقيه الى الرتبة التى لا يبلغها
غيره ولقد قال تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اى حين كلمنا موسى اخبرناه بعلو قدرك
وان لم تكن حاضرا واخبرناه بانا نبلغك هذا المقام الذى انت فيه الان من المرام كذا
كل نبى اوحينا اليه ذكرنا له قصتك وشرحنا له حالتك فالان وقت تحقيق ما اخبرنا
وفى معناه انشدوا • سقيا لمعهدك الذى لولم يكن ▪ ما كان قلبى للصبابة معهدا •
وقد قال تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر اى بعد التورية او بعد ذكرك لما قبله
من الانبياء ان الارض يرثها عبادى الصالحون يعنى امة محمد صلى الله عليه وسلم
انا انزلناه اى الكتاب قرانا عربيا وسمى البعض قرانا لانه فى الاصل اسم جنس
وصار علما بالغلبة ونصبه على الحالية وعربيا صفة له وكونه منزلا من اللوح او السماء
ومقروا على السنة القراء ومنسوبا الى العرب العرباء لا ينافى ان اصله كلام قديم
نفسى الهى منزه عن حدوث البقاء وحلول الفناء كما هو طريقة اهل السنة
خلافا للمعتزلة من اهل البدعة وحاصل المسئلة ان هذا الكلام الانسى مظهر الكلام
النفسى القدسى لعلكم تعقلون كى تفهموا مبانيه وتعلموا معانيه وافاد الاستاذ
ان فى انزال الكتاب عليه وارسال الرسول اليه تحقيق لاحكام المحبة وتاكيد لاسباب
الوصلة فان من عدم حقيقة الوصول استانس بالرسول ومن بقى عن شهود
الاحباب تسلى بوجود الكتاب كما قال قائلهم فى هذا الباب شعر
وكتبك حولى لا يفارق مضجعى ▪ ففيها شفاء للذى انا كاتم • نحن نقص
عليك احسن القصص مصدر والمعنى احسن الاقتصاص لانه اقتص ابدع الاساليب
او احسن ما يقص لاشتماله على الحكم والقضايا الاعاجيب بما اوحينا اليك
هذا القران اى بايحائنا اليك هذه السورة التى شانها علية وبرهانها جلية
وان كنت من قبله قبل وحينا اليك بهذه السريرة لمن الغافلين عن معرفة هذه
القصة المشحونة بالغصة حيث ما مرت على سمعك وما خطرت ببالك وان
مخففة من المثقلة واللام هى الفارقة وفى تفسير السلمى قال بعضهم اعجب
القصص من بين القصص وفيه اشارة لما لقى النبى عليه السلام من عشيرة
فلم تخرج عليه منتقما لذاته بل راى ذلك كله من موارد قضاء الحق ومواجب
قدرته فلما رجعوا اليه واعتذروا اليه قال لا تثريب عليكم اليوم كيف يكون عليكم
عيب فيه وكنتم المجبورون عليه انتهى ولا يخفى ان التعلق بالقضاء جائز بعد
الوقوع فى القضية لا قبله ولا حال مباشرة فى البلية كما حقق فى حديث حج آدم

موسى

موسى وافاد الاستاذ انه احسن القصص لانا نحن نقص وعليك نقص وهذا الوحى
لك خص او لخلوه عن الامر والنهى الذى سماعه يوجب اشتغال القلب لما هو بعرض
وقوع التقصير فى حكم الرب او لان فيه ذكر مراتب المحب او لما فيه من ذكر ترك يوسف هواه
واعراضه عن زليخا عند مراودتها اياه او لان فيه بيان عفو يوسف عن اخوته فى حال
شوكته وكمال عظمته وان كنت من قبله لمن الذاهبين عن فهم هذه القصة والمعنى انك
لم تصل اليها بكدك وجهدك ولا بطلبك وجدك بل هذه مواهب لا مكاسب فبعطائنا
وجدته لا بعنائك وبتفضلنا لا بتعلمك وبتلطفنا لا بتكلفك وبنا لا بك
اذ قال يوسف عبرى لا عربى ولذا لم يصرف لابيه كما فى الحديث الكريم بن الكريم بن الكريم
بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابى عوض عن الياء
بالتاء لتناسبهما فى الزيادة كما فى نعمة ورحمة ولذا قلبها ابن كثير وابن عامر هاء
حال وقفها وكسرها الجمهور لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر حيث جاء
لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقى الفتحة انى رايت
من الرؤيا لا من الرؤية اى ابصرت فى المنام احد عشر كوكبا والشمس والقمر
رايتهم لى ساجدين استيناف ببيان حالهم التى راهم عليها فلا تكرار او كرر
لزيادة تحقيق امره فيها وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم او باعتبار
مآل ذويهم قيل العجب حسن رؤياه حتى اعلم اباه فكان فيه اول بليته ومحنته كذا ذكره
السلمى قال يا بنى تصغير شفقة او لا سنة اثنا عشرة لا تقصص رؤياك على
اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة ومكرا وبغيا وحسدا لما فهم من رؤياه
ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه من اذيته ولم يدر انه من لوازم
قضيته فى بليته ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة كما فعل بآدم
وحوا وسائر المذنبين قيل ان يعقوب عليه السلام دبر ليوسف فى ذلك خوفا عليه
ان يقع من اخوته شر لما هنالك فوكل الى تدبيره ووقع له ما وقع فى ضميره ولو ترك تدبيره
وفوض اليه سبحانه فى امره لحفظ لان الكل بتقديره ولذا قال الاستاذ اذا جاء
القضاء والقدر لا ينفع الوعظ والحذر وكذلك اى كما اجتباك لمثل هذه الرؤية
الدالة على العزة والعظمة يجتبيك ربك للملك والنبوة قال ابو الحسين اجتباه
بما منحه من حسن العشرة ولطف الصحبة مع اوليائه واعدائه وترك الانتقام لنفسه
فى بلائه وقيل اجتباه بصرف كيدهن عنه ولولا اجتباؤه لورد عليه منهن ما ورد فيهن
كذا ذكره السلمى ويعلمك من تاويل الاحاديث اى من تفسير غوامض كتب الله
وكلمات الانبياء وروايات الحكماء وتقديره وهو يعلمك من تعبير الرؤيا لانها احاديث
الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة وقال
الاستاذ لتقف على مقدار كل قائل بما تسمع من نطقه فى الحين قوله لحدة كياستك وشدة

فاستك ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرى وافاد الاستاذ
ان من اتمام النعمة توفيق الشكر على النعمة وان يصونك برؤية المنعم عن شهود النعمة ومن
اتمامها رفع الهمة عن مساكنة النعمة وعلى آل يعقوب اى سائر بنيه ولعله استدل بضوء
الكواكب على نبوتهم او ولايتهم ورفعة حالهم كما اتمها على ابويك جديك بالرسالة وقيل
على ابراهيم بالخلة والنجاة من النار واسحق بالنبوة وانقاذه من الذبح في الغار من قبل
اى قبلك او قبل وقتك ابراهيم واسحق عطف بيان ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء
حكيم في وضع الاشياء لقد كان في يوسف واخوته آيات دلالات على قدرته سبحانه
وحكمته او علامات لنبوتك للسائلين لمن سال قصتهم ولمن طلب حقيقة نفسك
وقرأ ابن كثير آية اى آية عظيمة مشتملة على حكم جسيمة وقضايا وسيمة وقال ابن
عطاء هو ان لا يسمع احد قصته الا استروح اليه وارتفعت غصته لديه وقال
الاستاذ آيات لكل ذى محنة حتى يعلم كيف يصبر ولكل ذى نعمة حتى يعلم كيف يشكر
ويقال دلالات لطفه سبحانه لاوليائه بالعصمة وآيات على ان المحبة لا تخلو
من المحنة ويقال فيها آيات على ان من صدق في رجائه تخلص يوما من بلائه اذ قالوا
اى اخوته العشرة ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه
من الطرفين بالاخوة بخلاف بقية الاخوة احب الى ابينا منا ونحن
عصبة والحال انا جماعة موصوفون بالقوة فنكون احق بزيادة المحبة من صغيرين
ليس فيهما لامرهم كفاية ان ابانا لفى ضلال مبين لتفضيله المفضول على من له
الفضيلة الزائدة او لترك التسوية في اصل المحبة ولذا فسر الضلال بالمحبة على وجه
الكمال قيل ومنه قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى وافاد الاستاذ ان المراد منه
الذهاب في حديث يوسف روى انه كان احب اليه لما يرى من لوامع الجمال ولوائح
الكمال عليه فان نور الصورة يدل على اسرار السريرة ولذا قيل الظاهر عنوان الباطن
وكان اخوته يحسدونه لذلك فلما رأى الرؤيا ضاعف لابيه المحبة حتى لم يصبر عنه
ساعة لما هنالك فبلغ حسدهم حتى حملهم على ما تعرضهم له بقول بعضهم اقتلوا
يوسف خفية او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمارة او يحتمل التنويع
والتخيير يخل لكم وجه ابيكم يصف لكم توجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم وينحصر ميله
اليكم وتكونوا من بعده تكمل بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين
تائبين الى الله عن جنايتكم او مع ابيكم بتمهيد اعذار في خيانتكم وافاد الاستاذ
انهم لما حسدوا يوسف في تقديم ابيهم لم يرض سبحانه حتى اقامهم بين يدي يوسف
اخيهم ليعلم ان الحسود لا يسود ويقال اطول الناس همّا واكثر الناس غمّا من اراد
تاخير من قدمه الله او تقديم من اخره الله فان اخوة يوسف ارادوا ان يجعلوه
في اسفل البئر فرفعه الله فوق السرير وايضا قدما ما قيل من طلب الكل فاته الكل

فلما

فلما ارادوا ان يكون اقبال يعقوب بالكلية عليهم قال تعالى وتولى عنهم ويقال عجلوا
الجرم واخروا التوبة في التسويف والعزم فلم يصح ما اجلوا من التوبة ما عجلوا من
الحوبة ويقال لم تطلب نفوسهم ان يذهبوا بالكلية عن باب الله مكنوا فدبروا الحسن
الرجعى قبل ارتكاب ما دعتهم اليه نفوسهم من متابعة الهوى وهذا صفة اهل المعرفة
والهدى قال قائل منهم بعد عزم القتل من اكثرهم وهو يهودا وكان احسنهم فيه
رأيا وقيل انه روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه
في غيابت الجب اى في قعر البئر سمى بها لغيبوبته عن عين من نظر فيها
وقرأ نافع بالجمع كأنه لتلك الجب غيابات باعتبار المكانات يلتقطه يأخذه
بطريق اللقطة بعض السيارة اى السائرين من المسافرين ان كنتم فاعلين بمشورة
الناصحين اذ يحصل مرادكم في تغييبه بدون مبالغة في تعذيبه وقال الاستاذ لما كان
المعلوم لله تبليغه اياه لما قدره وقضاه القى في قلب قائل فى نهيهم ما انهى قالوا
يا ابانا ما لك لا تأمنا بالاخفاء وبالادغام مع الاشمام لجميع القراء وعن ابى جعفر
ادغام بلا اشمام واصله لا تأمننا والمعنى لم تخافنا على يوسف وانا له لناصحون اى لخيره
مريدون وعليه مشفقون وقال الاستاذ من قبل على محبوبه حديث اعدائه لقى ما لقى
يعقوب في يوسف من بلائه وعنائه ارسله معنا غدا الى الصحراء وعالم القضاء
لما قدر في القضاء نرتع نتسع في اكل الثمرات والخضرات ونلعب بالمسابقة
والمناضلة في ميدان المغالبات وقرأ نافع وابن كثير بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي
واثبت الياء قنبل بخلاف عنه الا ان نافعا مع الكوفيين يقرؤن بالغيبة على
اسناد الفعل الى يوسف وحده والباقون بالنون لمشاركتهم فيه معه
وانا له لحافظون من مكروه يناله قال محمد بن على لما لم يزجرهم عن اللعب وسكت
عنهم جاء من ذلك اللعب ما اتصل به الحزن والتعب وقال ابن عطاء ولو ارسله
معهم وسلمه الى القضاء فيهم لحفظ ولكنه اعتمد على حفظهم اذ قالوا وانا له
لحافظون فخانوه ولو ترك تدبيره عليهم وحفظهم له لكان محفوظا كما حفظ
الآخرين قال فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين وافاد الاستاذ انهم
اطمعوا يعقوب في تمكينهم يوسف فيما فيه راحة نفسه من اللعب فطابت
نفسه لاذهابهم اياه من بين يديه ان كان يشق فراقه عليه ولكن المحب يؤثر
راحة محبوبه على محبة نفسه قلت كما قال قائل اريد وصاله ويريد هجرى
فاترك ما اريد لما يريد قال انى ليحزننى ان تذهبوا به لشدة مفارقته على
وقلة صبرى عنه وغربة لدى واخاف ان يأكله الذئب ابدل الهمزة ورش
والسوسى والكسائى مطلقا وحمزة وقفا وانتم عنه غافلون لاشتغالكم
بالرتع واللعب بما يلهيكم او لقلة اهتمامكم بمحافظته او انتم غافلون عن مكانته

وقال الاستاذ لما خاف الذئب عليه امتحن بحديث الذئب لديه ونقل الكذب اليه
ففي الخبر مما معناه انما يسلط على ابن آدم ما يخافه ويقال لما جرى على لسان يعقوب
من حديث الذئب صار كالتلقين لهم ولعلهم لو لم يسمعوه وما اهتدوا الى حديث
الذئب في تصنيف الكذب قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون
ضعفاء مغبونون وجملة ونحن عصبة حالية معترضة بين القسم وجوابه قال الاستاذ
حق اخوة يوسف ما وصفوا به انفسهم من لحوق الخسران لان من باع اخا مثل
يوسف بمثل ذلك الثمن بلا تأسف لحقيق بان يقال خسرت صفقته وخاب
بيعته فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب اي عزموا على القائه
فيها واختلفت في محلها فقيل انه بيت المقدس او بين مدين ومصر او على ثلاثة
فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا من الاذى او فعلوا
ما عزموا وقيل قوله واوحينا اليه على ان الواو صلة قيل اوحي اليه في صغره كما اوحي
الى يحيى وعيسى لتنبئنهم لتحدثنهم بامرهم هذا بما فعلوا بك وهم لا يشعرون
انك يوسف لعلو شانك وبعد عهدك وذلك اشارة الى قوله تعالى فعرفهم
وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا لخاطره واطمينانا لقلبه وافاد
الاستاذ ان الاشارة في الآية انه لما حل به البلوى عجلنا له تعريف ما ذكر من
البشرى ليكون محمولا بالتعريف في غير ما هو متحمل له من البلاء العنيف ويقال
ان انقطع على يوسف مراعاة ابيه اياه تحصل له الوحي من قبل مولاه كذا سنته
تعالى انه لا يفتح على نفوس اوليائه بابا من البلاء الا فتح على قلوبهم صنوف
ابواب الصفاء وفنون لطائف الولاء وجاؤا اباهم عشاء آخر النهار
او اول الليل وهو اظهر ليكون حالهم استر وفي احتيالهم اعذر يبكون اي متباكين
وافاد الاستاذ ان تمكين الكذاب من البكاء سمة خذلان الله اياه وفي الخبر انه
اذا كمل نفاق المرء ملك عينه حتى تبكي متى شاء ولا يبعد ان يقال انهم وان
جنوا عليه ندموا على ما فعلوا به فعلاهم البكاء لندمهم وان لم يظهر والا بهم خوفا
من علمهم بناء على طبعهم قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو
او الرمي وتركنا يوسف عند متاعنا لئلا يقع في العناء فاكله الذئب من
غير قصدنا الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق في حقنا ولو كنا صادقين
في قولنا لسوء ظنك بنا وفرط محبتك لاخينا وجاؤا على قميصه اي فوقه بدم كذب
ذي كذب بمعنى مكذوب فيه او وصف بالمصدر للمبالغة كرجل عدل روي انه لما
سمع بخبر يوسف صاح من غاية التأسف وطلب قميصه فاخذه والقاه على وجهه
وبكى حتى خضب بدم القميص خده وقال ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني
ولم يمزق عليه قميصه ولذلك الحال قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم

وهونت

وهونت في اعينكم امرا عظيما ومنكرا جسيما فصبر جميل وللكل اجمل او فامري صبر
جميل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى الخلق وقال يحيى بن معاذ
هو ان يتلقى البلاء بقلب رحيب ووجه بشير ذكره السلمي وفي الفاء التعقيبية ايماء
الى نكتة جلية وهي ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله الصبر عند الصدمة الاولى
على ما رواه ابو يعلى والله المستعان اي المطلوب منه المعونة على ما تصفون اي على
احتمال ما تصفونه من هول المحنة وحصول الكربة ونزول المصيبة فان المعونة تأتي على
قدر المؤنة وجاءت سيارة جماعة مسافرة من مدين الى مصر فارسلوا واردهم الذي
يرد الماء ويستقي لهم وهو مالك الخزاعي فادلى دلوه ارسلها في الجب ليملأها فتدلى
وتعلق يوسف بها لي خرجه فلما رأى وجهه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى
بشارة لنفسه واشارة لقومه فكانه قال لها تعالي فهذا اوانك فاقبلي وقراء غير الكوفي
يا بشراي بالاضافة واسروه اي خفاه الوارد واصحابه من بقية احبابه بضاعة متاعا
للتجارة والله عليم بما يعملون من اسرارهم واسرارهم وافاد الاستاذ انه سبحانه
لما اراد خلاص يوسف من الجب ازعج خواطر السيارة في قصد المسافرة واعدمهم الماء
حتى احتاجوا الى الاستقاء وقد قيل الارب تشويش في العالم ومقصود منه
سكون واحد ولهذا قيل رب ساع لقاعد وروي ان يهودا كان يأتيه كل يوم
بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده في المقام فاخبر الاخوة فاتوا الرفقة وقالوا هذا
غلام منا ابق منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه وشروه بثمن بخس اي اشتروه
او باعوه بقيمة منجوسة لكونها زيفة او منقوصة او منحوسة دراهم بدل من الثمن
معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية وهي اربعون درهما ويعدون البقية
وكانوا اي الاخوة او الوارد والرفقة فيه في حق يوسف من الزاهدين اي الراغبين
عنه قال ابن عطاء لقلة علمهم بنفاسته وكل من لم يعرف قدر جوهر ومرتبة قيمته فهو
زاهد في حقه كذلك الرجل يبيع الاخرة بالدنيا والجنة بالهوى وربما يبيع الرجل
ايمانه باخس اجنبية وربما فاته الحق بلحظة فليتق الله في كل لمحة كذا ذكره السلمي
وافاد الاستاذ انهم لم يعرفوا خسرانهم في الحال ولكنهم وقفوا عليه في المال كما قيل
كفى للمقصر الحياء يوم اللقاء ويقال ليس العجب ممن يبيع مثل يوسف بثمن بخس
انما العجب ممن يجد مثل يوسف بثمن بخس واعجب منهما من يبيع وقته الذي هو
اعز من الكبريت الاحمر بعوض حقير من الدنيا وترك النعيم الاكبر ويقال ان السيارة
لم يعرفوا قيمة كماله فزهدوا في شرائه بدراهم بخس والذين وقفوا على جماله وشيء من
حسن حاله غالوا بمصر في ثمنه حتى اشتروا بزنته دراهم ودنانير مرات كما ذكر
في خبره وفي معناه انشدوا ۰ ان كنت عندك يا مولاي مطرحا ۰ فعند
غيرك محمول على الحدق ۰۰ وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان

على خزائن مصر وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقى وقد آمن بيوسف
ومات فى حيوته لامرأته زليخا وقيل راعيل اكرمى مثواه اجعلى مقامه كريما واحسنى
تعهده تعظيما عسى ان ينفعنا فى محافظة احوالنا وملاحظة او نتخذه ولدا فانا
حيث لا ولد لنا قال ابن عطا كل من اعتمدت عليه او سكنت اليه نصيبك منه محنة
لديه الا ترى الى صاحب يوسف لما قال لامرأته اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا وركن
الى يوسف صار يوسف محنة عليه وعليها حتى قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
وما بعده من المحن ذكره السلمى وافاد الاستاد انه لما نودى على يوسف فى مصر بالبيع
لم يرض الحق سبحانه حتى اصابتهم الضرورة ومستهم الفاقة الى ان باعوا من يوسف
جميع اموالكهم ثم باعوا كلهم منه انفسهم طلبا للطعام فصاروا باجمعهم عبيده
عليه السلام ثم انه لما ملكهم منّ عليهم فاعتقهم فلئن مرّ عليه بمصر يوم ظل فيه ينادى
عليه بالبيع اصبح بمصر يوما آخر وقد ملك فيه جميع املاكهم وملك رقاب جميعهم فيوم
بيوم قال تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا يومان شتان ما هما ثم انه اعتق
جميعهم كذا الكريم اذا قدر غفر قلت وقد قال تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس
وانشدوا • فيوم علينا ويوم لنا • ويوم نساء ويوم نسر • ولعل فيه اشارة
الى البشارة بما وقع له صلى الله عليه وسلم فى آخر عمره من فتح مكة عليه واذلال قومه له
وعفوه عنهم وقوله للقوم لا تثريب عليكم اليوم وكذلك مكنا ليوسف فى الارض اى
كما مكنا محبته فى قلب سيده مكناه فى منزله ليشكر على نعم ربه ولنعلمه من تاويل الاحاديث
تفسير كتاب الله وتبيين احكامه او تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة فى ايام
والله غالب على امره فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه او على امر يوسف اراد به اخوة
يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده وقد ورد فى حديث قدسى وكلام
انسى عبدى اريد وتريد ولا يكون الا ما اريد فمن رضى فله الرضاء ومن سخط فله البلاء وفى
رواية من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى ولم يشكر على نعمائى فليلتمس ربا سوائى
ولكن اكثر الناس لا يعلمون صنائع حكمه وبدائع لطفه او ان الامر كله بيده وقال الواسطى
يصرفهم فى تدبيره ويدبرهم فى تصريفه ويوجد منهم المفقود ويفقد منهم الموجود فالاضافات
ضرب من الاشراك قلت وهذا معنى قولهم التوحيد اسقاط الاضافات لان الكائنات
باسرها كما قال تعالى لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا وافاد
الاستاد انه لا عبرة لما يرى الخلق فى الحال وانما الاعتبار بما يظهر من سر تقديره فى المآل
ارادوا من حسده ان لا يكون له فضيلة [illegible] نفسه على اخوته واهله واراد الله ان يكون له
ملك الارض باسره فكان ما اراد الله لا ما اراد سواه وارادوا ان يكون عبدا ذليلا واراد
مولاه ان يكون سيدا عزيزا ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف
ما بين الثلاثين والاربعين آتيناه حكما بين الناس او حكمة وهى العلم المقرون بالعمل وعلما

علم تاويل الاحاديث وكذلك اى كما جزيناه على احسانه فى علمه وعمله واتقانه فى عنفوان
امره نجزى المحسنين من سائر المؤمنين على احسانهم بحسب مراتب ابقائهم قيل لما عقل
عن الله فى اوامره ونواهيه واستقام معه على شروطه وآدابه اعطاه حكما على الغيب
فى تعبير الرؤيا وعلما بنفسه فى مخالفة الهوى ذكره السلمى وقال الاستاد يعنى حين استوى
شبابه وكمل قوته وكان وقت استيلاء شهوته وتوفر دواعى مطالبات بشريته اتاه الله
الحكم الذى حبسه على الحق وصرفه عن الباطل والعلم بان ما يعقب اتباع اللذات
من هواجم الندم اشد مقاساة من كلفة الصبر فى الحال للامتناع من دواعى
الشهوة الموجبة للذاة فى المال فآثر مشقة الامتناع على لذة الاتباع وذلك
الذى اشار اليه الحق من جميل الجزاء الذى اعطاه وهو امداده بالتوفيق حتى استقام
فى التقوى والورع على سواء الطريق قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
اى الذين جاهدوا بسلوك طريق المعاملة لنهدينهم سبل الصبر على الاستقامة
حتى نبين لهم حقايق المواصلة وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه طلبت
وتحايلت وتمحلت ان يواقعها وغلقت الابواب ستر الحال ليوافقها وقالت
هيت لك اى هيئت او تهيأت لاجلك والكلمة اسم فعل بنى على الفتح
كاين وقرا ابن كثير بفتح الهاء وضم التاء تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بكسر
الهاء وفتح التاء الا ان هشاما يهمز وقد روى عنه ضم التاء ايضا قال معاذ
اعوذ بالله معاذا انه اى الشان ربى اى سيدى ومالكى احسن مثواى
اى مكانى ومحل تعهدى فليس من جزاء فضله ان اخونه فى اهله وقيل الضمير لله
اى انه خالقى واحسن تربيتى بتحسين منزلى حيث عطف قلب سيدى على حتى
الى فلا اعصيه بمقابلة انعامه لدى انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسىء
وافاد الاستاد انها لما غلقت عليه ابواب الفرقة فتح الله عليه ابواب العصمة
والمعرفة والمروة وفى التفسير انه حفظ حرمة الرجل الذى ادعى انه اشتراه وهو
العزيز وفى الحقيقة اشار بقوله انه ربى الى الحق تعالى فقال احسن مثواى حيث
خلصنى من الجب واوقع لى الحب فى قلب العزيز حيث قال اكرمى مثواه فلا
ينبغى ان اقدم على عصيانه وقد افرد فى تجميل احسانه ويقال لما حفظ حرمة
المخلوق بظهر الغيب منه خوف الوبال اكرمه الحق سبحانه بالامداد بان عصمه
فى الحال ومكنه من مواصلتها فى المآل على الوجه الحلال واما فى تفسير السلمى من انه
قيل لما نظر فى ترك المعصية الى صاحبه وولى نعمته الادنى ولم ينظر الى ربه وولى
نعمه الاعلى عوقب بالهم حتى قيل همت به وهم بها ففيه نظر ظاهر وبحث باهر
اذ شان الانبياء اعلى من ذلك لوصولهم الى مرتبة الجمع الذى لا يتصور ذلك
هنالك وعلى التنزيل انه اراد بربى العزيز انما خاطبها بهذا الجوهر الكثير لتتنبه

عن الغفلة من احسان زوجها اليها الموجب لايجاب احصان نفسها عليها
وايضا ورد فی الحديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله وفيه الصالح بمن جمع بين حقوق الحق
وحقوق ما سواه ولا يلزم من ذكر الخلق نسيان ذكر الحق ولقد همت به وهم بها اى قصد
مخالطته وقصد مخالطتها والمراد بهمه ميل طبعه البشرى لا قصد الاختيارى وذلك
مما لا يدخل تحت التكليف الالهى بل الحقيق بالثناء الجميل والجزاء الجزيل من الله سبحانه
من يكف نفسه عند قيام هذا الهم عن الفعل المهم او المراد بهمه هم المشارفة فيكون
الحمل من قبيل المشاكلة والمقابلة وقد وقف بعضهم على قوله همت به وجعل قوله وهم بها
متصلا بقوله لولا ان راى برهان ربه فلا اشكال حينئذ من جهة المعنى وان كان
هذا الاعراب ضعيفا من نحو المبنى فقيل تمثل له جبرئيل او يعقوب فی نظره عاضا
على اصبعه وقيل جاءه النداء من عالم السماء اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب فی ديوان
الانبياء وفی تفسير السلمی قال ابن عطا همت به هم شهوة وهم بها هم موعظة
تزجرها عن همها لولا ان رآى برهان ربه قال واعظا فی قلبه وهو وعظ الله
فی قلب كل مؤمن وقال جنيد تحرك طبع البشرية فی يوسف ولم يعاون طبع
العادة والعبد فی تحريك الخلقة فيه غير مذموم وقال ابن عطا قالت زليخا ليوسف
اصبر علی ساعة حتی اعود عليك قال اغطی وجه ذلك الصنم فانی استحيی منه
فتذكر يوسف عند ذلك اطلاع ربه فهرب منها فذلك البرهان وقيل التقدير
لولا ان رای برهان ربه لهم بها وفی الآية تقديم وتاخير كذلك مثل التثبيت
ثبتناه لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا ذكره المفسرون
وقيل السوء الهم والفحشاء المواقعة ذكره السلمی او السوء العزم والفحشاء
مقدمة الزنا وهذا المعنى هو المناسب لمراتب الانبياء وقد افاد الاستاد انه سبحانه
صرف عنه السوء حتی لم يوجد منه العزم على ذلك الفعل وان كان منه هم لم يكن ذلك
جرما والصرف عن الطريق اذ بعد الحصول يكون كشفا لا صرفا انه من عبادنا
المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقراء ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بكسر
اللام حيث جاء اى الذين اخلصوا دينهم لله قال جنيد اول ما يبدو من الاخلاص
فی احوال الاولياء خلوص سرائرهم وهممهم وارادتهم واحوالهم ثم خلوص افعالهم
فمن لم يخلص فی سره لا ينال الاخلاص فی فعله وافاد الاستاد انه لم يكن نجاته
وخلاصه فی اخلاصه ولكن فی صرفه عنه السوء واستخلاصه واستبقا الباب تبادرا
الباب البرانی وذلك ان يوسف فر منها ليتخلص عنها واسرعت وراءه لتمنعه
الخروج بناء على غرضها وتعلقت بثوبه واجتذبته من خلفه وقدت قميصه
شقته من طوله والفيا سيدها وجدا زوجها لدى الباب حاضرا فرابها معه
فاستحيت منه واحتالت فی دفع التهمة عنها بايقاعها عليه لنقصان محبتها

وقلة عقلها ومروتها مع عدم ديانتها قالت ما جزاء من اراد باهلك
سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت عنه تبرية لساحتها عند
زوجها واغراء له على يوسف انتقاما منه لحرمانها وفی تفسير السلمی قيل لو فر
الى ربه والتجا اليه لكفى ولكنه لما هرب منها وفر بنفسه عنها احل نفسه محل التهمة
حتی قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا وهذه طريقة الملامتية من السادة الصوفية
عملا بقوله تعالى ولا يخافون اى فی الله لومة لائم وقال ابن عطا لم تستوف هی فی
محبتها بعد فلم تحب بالصدق واثرت نفسها على نفسه فلما استغرقت فی المحبة
اخبرت بالحق واثرت نفسه على نفسها وقالت الآن حصحص الحق انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين وقال الاستاد لم يبصر يوسف ما قدرت من قميص
دنياه بعد ما صح عليه لباس تقواه ويقال لفتنته حديث السجن او العذاب الاليم
لئلا يقصد قتله نفی عين ما سعت به نظرت له وابقت عليه قال هی راودتنی
عن نفسی طالبتنی بالمواطاة وانما قال ذلك دفعا للتهمة لما عرضته له من العقوبة
ولو لم تكذب بمقالها لسكت عن حالها وشهد شاهد صبی فی المهد من اهلها
ابن عمها او خالها وانما القی الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها
وقد قيل اذا كان العبد صادقا فی نفسه لم يبال الله ان ينطق الحجر لاجله ان
كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها
جرت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها وان كان قميصه قد من دبر فكذبت
وهو من الصادقين لانه دال على انها تبعته فجذبت ثوبه فقدته وتسميتها شهادة
لانها ادت مؤداها حيث ثبت قول يوسف وبطل قولها فلما رای قميصه قد من
دبر قال انه ای هذا الامر من كيدكن والخطاب لها ولامثالها ان كيدكن عظيم فان
كيد النساء الطف فی الجلب واعلق بالقلب واشد تاثيرا فی النفس ولانهن
يمكرن الرجال مواجهة والشيطان يوسوس به مسارقة فلا ينافيه قوله سبحانه ان كيد
الشيطان كان ضعيفا ولا يبعد ان يقال ان كيد الشيطان بغير توسطهن ضعيف
لما فی الحديث من ان النساء حبائل الشيطان ای شبكته فی مصيدته وفی تفسير السلمی
قال بعض الحكماء انا اخاف من النساء اكثر ما اخاف من الشيطان لما سمع من
الآيتين وقال الشبلی كيدهن عظيم على من يدركه من رتبة التوفيق والرعاية فاما من كان
بعين الحق فكيف يكيده كانه يوسف حذف منه حرف النداء لكمال قربه وتفطنه لحديثه
اعرض عن هذا استره ولا تظهره واستغفری لذنبك يا زليخا واسقط اسمها لكمال
الاعراض عنها انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين والتذكير للتغليب
وقال الاستاد ليس كل احد اهلا للبلاء ان البلاء من صفة ارباب الولاء فاما الاجانب
فيتجاوز عنهم ويخلی سبيلهم لا لكرامة محلهم ولكن لحقارة قدرهم هذا يوسف عليه السلام

كانه يرى الساحة وظهر للكل سلامة جانبه فابتلى بالسجن وامراة العزيز ظهر سوء فعلها
ثم لم ينزل شظية من البلاء بها وقال نسوة هي اسم لجمع امراة وتانيثه بهذا
الاعتبار غير حقيقي ولذا ذكر فعله في المدينة اي في مصر امراة العزيز تراود فتاها
عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها وتريد موافقته لها في هواها قد شغفها حبا
شق شغاف قلبها وهو حجابه كمال حبها حتى وصل الى فؤادها وقرئ شعفها اي احرق
حبها قلبها ولبها وفي تفسير السلمي قال بعضهم الشغاف في الحب حال الجمود حين لا عبارة
عما به ولا اخبار عن قلبه كما قال تعالى في قصة موسى ويضيق صدري ولا ينطلق لساني
وقال جنيد المحبة ان لا يرى جفاء الحبيب له جفاء بل يرى جفاءه وفاء وقيل دخلها حبه
حتى لم تكن تعرف سواه ولم تكن للملامة عليها من الغير اثر بل ولم يكن لها عن نجره خبر
انا لنريها في ضلال مبين اي بعد ظاهر عن صوب الصواب حيث صارت لعبدها
من الاحباب في وراء الابواب وقيل الضلال هو العشق بالكمال ومنه قوله تعالى
ووجدك ضالا فهدى وفي تفسير السلمي سئل جعفر بن محمد عن العشق فقال ضلال ثم قرا
انا لنريها في ضلال مبين معناه في عشق ظاهر وقال بعضهم في غلبة العشق ضل فيه
بصيرتها وعقلها فلم يبق عليها محل الكتمان من غلبة شوقها وكثرة ذوقها وافاد الاستاذ
ان للحب لا ينكتم ولا يخفى ولا يكون المحبة الا واتيح لها لسان العذول ولما تحقق لها
في يوسف مقام المحبة بسطت النسوة فيها لسان الملامة ثم كل من كان اخس قيمة
كان اسرع الى الملامة كالنسوة وكن من جملة خدمها بلا سلامة فلما سمعت بمكرهن
باغتيابهن وسمي مكرا لانهن قلن ذلك توسلا الى وصل يوسف زعما منهن انها
تريهن ارسلت اليهن تدعوهن واعتدت لهن متكئا ما يتكأ عليها من الوسائد
وغيرها او مجلس طعام فيه نحو الاترج وغيره مما يحتاج الى آلة في قطعه وآتت كل واحدة
منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين في ايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن
نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة لديهن وقالت اخرج
عليهن واشارت الى رفعة مقامه حيث لم تقل اليهن الا استماما وقد قصدت به
اضرارهن فانها صارت كالضرة لهن بملامتهن وعدم ملايمتهن فلما راينه اكبرنه
عظمنه وهبن حسنه وقد ورد في الخبر عن سيد البشر انه رآه ليلة المعراج كالقمر
ليلة البدر وقطعن ايديهن جرحن بما في ايديهن كفوف ايديهن وقلن حاش لله
تنزيها له من عجزه وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قراه ابو عمرو وصلا
فحذف الفه الاخيرة تخفيفا ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود في جنس البشر
موجود ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائع والكمال الفائق والعصمة
البالغة من خواص الملائكة وقال الاستاذ ارادت ان تقلب عليهن استحقاق الملامة
وتنفي عن نفسها ان يكون لها اهلا بالسلامة ففعلت بهن ما عملت فلما راينه تغيرن وتحيرن

وتطفق

وتطفق بخلاف التمييز على حسب ما تصورن فقلن ما هذا بشرا وكان بشرا وقلن ان هذا
الا ملك كريم ولم يكن ملكا قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهذا هو ذلك العبد الكنعاني
الذي لمتنني فيه وفي الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن
لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني في محبته وكمال مودته قال النصرابادي العذر في
طلب العشق من نقصان العشق ذكره السلمي وافاد الاستاذ انه لما اثر في النسوة
رؤية يوسف عليه السلام حتى قطعن ايديهن بدل الثمار ولم يشعرن عن حالهن في
ذلك المقام اوضحت بذلك عذرها عندهن لدفع الملام فقالت هذا اول لقية له
لم يتمالكن حتى قطعن ايديهن فكيف يتصور الصبر لي وهو معي في منزلي ويقال
ان امراة العزيز كانت اتم في حديث يوسف عن النسوة فاثر رؤيته فيهن
ولم يؤثر فيها لانها بطول اللقاء قوي حالها فصارت رؤية يوسف لها غذاء
معتادا بها فلم يؤثر فيها والتغير صفة اهل الابتداء في الامر فاذا دام المعنى زال
التغير قال الصديق لمن رآه يبكي وهو قريب العهد بالاسلام هكذا كنا حتى قست
القلوب اي قويت وصلبت وكذا الظرف اول ما يطرح فيه الماء يسمع له نشيش فاذا
تعود تشرب الماء سكن فلا يسمع له صوت اصلا ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
فامتنع طالبا للعصمة في حاله اقرت لهن حين عرفت انهن يعذرنها حيث
ابتلين ببلائها ولئن لم يفعل ما آمره اي ما امر به او موجب امري له ليسجنن
وليكونا من الصاغرين اي الاذلين قال رب اي يا ربي السجن اي مكان الحبس
وقرا يعقوب بفتح السين اي حبس اي احتباسي احب الي اي آثر عندي
مما يدعونني اليه من الواقعة نظرا الى العاقبة التي هي حالة المعاقبة واسناد
الدعوة اليهن لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او لان كل
واحدة منهن كانت تدعوه اليها بلسان حالها وعرض جمالها قيل انما ابتلى
بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسال الله العافية وفي تفسير السلمي قال
بعضهم مباشرة البلاء الظاهر احب الي من بلاء الباطن وقال بعضهم توهم يوسف
ان السجن ينجيه من الفتنة والبلوى فاوقعه في الفتنة الكبرى حتى قال لصاحب
السجن اذكرني عند ربك قال بعضهم ترك طريق الاضطرار واختار فترك مع اختياره
حتى لبث في السجن ما لبث وتولد له من السجن تلك الخطيئة العظيمة وهو الركون الى
غير الحق بقوله اذكرني عند ربك والا تصرف عني بالتثبيت على العصمة كيدهن
في تحبيب ذلك الي وتحسينه لدي اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى ذاتهن
بحسب طبيعتي وموجب شهوتي واصل الصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبي
وكذا الصبا لان النفس تستطيبها وتميل الى هبوبها واكن من الجاهلين من الذين
لا يعملون بما يعلمون فانهم والسفهاء سواء وافاد الاستاذ ان الاختيار مقرون

بالاختيار ولو تمنى العافية بدل ما كان يدعى اليه لعله كان يعافى مما عليه ويقال انه لطف
عن عين التوحيد حيث قال والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن علم ان نجاته
من البلاء بصرفه سبحانه للطفه لا بتجنبه ولا بتكلفه ويقال لما اثر يوسف الحق
المشقة فى الله على لذة نفسه وهواه اثره على اخوته واهل عصره حتى قيل فى آخر
امره تالله لقد آثرك الله علينا فاستجاب له ربه دعاءه ونداءه ورجاءه
فى الخلاص عنهن فصرف عنه كيدهن اولا بتثبيت العصمة انه هو السميع
لدعاء الملتجئين العليم ببلاء المضطرين وقال الاستاذ لما رجع الى الله بصدق
الاستغاثة تداركه سبحانه بحق الاغاثة كذلك ما عبر لاحد فى سبيل الله قدم الا
لاح عليه كرمه وتوالى لديه نعمه ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات اى ثم ظهر للعزيز واهله
بعد ما راوا الشواهد الدالة على براءة يوسف من شهادة الصبى وقد القميص وقطع
النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين
وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا دفعا للتهمة عنها قال الاستاذ
لما سجن العزيز يوسف مع ظهور براءة ساحته ابقاء على امرأته ان يهتك سترها
وجميل حالته حول الله ملكه وملكه اليه ثم فى آخر الامر حكم الله له بان صارت امرأته
بعد مقاساتها الضر لديه وهكذا جزاء من صبر لله وفى حكم الله وعليه ودخل
معه السجن فتيان اى واتفق ان ادخل حال دخوله السجن خادمان من عبيد الملك
شرابيه وخبازه قال احدهما وهو الشرابى انى ارانى فى المنام وهى حكاية حال
ماضية اعصر خمرا اى عنبا وسماه خمرا باعتبار مآله وقال الآخر اى الخباز انى
ارانى احمل فوق راسى خبزا تاكل الطير منه تنهش من ذلك الخبز نبئنا بتاويله
اى بتعبيره وقال امره انا نريك من المحسنين اى الذين يحسنون تاويل الرؤيا انما
قالا ذلك لانهما راياه فى السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن
فاحسن الينا بتاويل ما رأينا ان كنت تعرفه فانك من العالمين وقال ابن عطا
اى من المائلين الى الفقراء بالاحسان اليهم والقعود معهم والانس بهم
وقيل من المحسنين الى المسيئين وافاد الاستاذ ان شهود الاحسان من المحسن ذريعة بها
يتوصل الى استجلاب احسانه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله اى بتاويل
ما قصصتما على قبل ان ياتيكما اى ذلك التاويل ذلكما مما علمنى ربى بالوحى والالهام
لا بالتكهن والتنجم والازلام انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون
كانه اراد قبل ان يؤول رؤياهما ان يدعوهما الى التوحيد القويم والطريق المستقيم
كما هو سنة الانبياء وعادة الاولياء من علماء الاصفياء فى الهداية من البداية الى
النهاية وقدم الاخبار بالغيب ليكون له معجزة دالة على صدقه فى التعبير والدعوة واتبعت
ملة آبائى اسلافى ابرهيم واسحق ويعقوب اظهر انه من بيت النبوة لتقوى الرغبة

فى استماع

فى استماع الدعوة واستقبال الاجابة ولذلك جوز للخامل من العالم ان يصف نفسه
ليعرف حاله فيقتبس منه كماله وقال ابو عثمان اسلم الطرق من الاغترار طريق الاقتداء
لانها طريق الائمة الابرار ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شىء
اى اى شىء من الاشياء سفليا او علويا او لا شركا جليا ولا خفيا ذلك
التوحيد لدينا من فضل الله علينا بالوحى الينا وعلى الناس سائرهم ببعثنا لارشادهم
الى حسن معاشهم وزاد معادهم ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون
هذا الفضل المنعم عليهم فيعرضون عن الايمان ويسيئون فى مقابل الاحسان
قال الواسطى رؤية الفضل حسن ورؤية المتفضل احسن ورؤية المتفضل والفناء
عن رؤيته احسن واحسن وقيل احسن الناس حالا من راى نفسه تحت ظل
فضله ونعمه لا تحت سعيه وعمله يا صاحبى السجن اى ساكنيه ءارباب متفرقون
آلهة متعددة فى التفرقة متحددة خير ام الله الواحد القهار اى المنفرد الغالب
الذى لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون اى انتما ومن على طريقكما من دونه الا اسماء
سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اى الا اشياء باعتبار اسامى اطلقتم
الالهة عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها لا من جهة العقل ولا من طريق
النقل ان الحكم فى امر العبادة الا لله المستحق لها بالذات المستجمع لكمال الصفات
فهذا بطريق العقل واما بطريق النقل فاشار اليه بقوله امر اى على لسان انبيائه
الا تعبدوا الا اياه ذلك التوحيد الصدق الدين القيم الحق ولكن اكثر الناس
لا يعلمون حيث لا يميزون بين المعوج والمستقيم يا صاحبى السجن اما احدكما
وهو الشرابى فيسقى ربه خمرا يعود الى سقيه اياه واما الآخر فيصلب فتاكل
الطير من راسه على طبق ما رآه فقالا كذبنا فى رؤيانا فقال قضى الامر الذى
فيه تستفتيان قطع ما يؤول اليه امركما وتحقق عاقبة ما نزل بكما على وفق استفتائكما
وافاد الاستاذ انهما اشتركا فى دخول السجن وحصول السؤال وتباينا فى المآل واحد
صلب وواحد وهب له قرب كذا قضايا التوحيد واختيار الحق المريد لما يشاء
بالعبيد فمن مرفوع فوق السماك مطلعه ومن موضوع تحت التراب مضجعه اقول
ولعل فى الآية اشارة الى ان الدنيا سجن الفريقين فى الحال مع اختلافهما فى
العقبى من حيث المآل وقال للذى ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك
عن اجتهاد وان ذكره عن وحى فهو الناجى الآن يؤول الظن باليقين اذكرنى
عند ربك اى اذكر حالى عند الملك كى يخلصنى عن ذلك فانساه الشيطان
ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين اى انسى الشيطان الشرابى ان يذكره او انسى
يوسف ذكر الله فى قوله حتى استعان بما سواه ويؤيده حديث رحم الله اخى يوسف
لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة

بالعباد فی کشف الشدة وان کانت محمودة فی الجملة لکن لا تلیق بمنصب ارباب
النبوة واصحاب الولایة قال ابو سعید القرشی لما قال لصاحب السجن اذکرنی
عند ربک نزل جبرئیل علیه السلام وقال ان الله یقرئک السلام ویقول من
حببک الی ابیک من بین اخوتک ومن قیض لک السیارة ومن طرح فی
قلب من اشتراک مودتک ومن صرف عنک وبال المعصیة وعصمک قال هو الله
سبحانه قال فانه یقول حفظتک فی هذه المواضع اخشیت ان انساک
فی السجن حتی استعنت بغیری اما کان ربک اقرب منک وافدعا اخلاصک
لتلبثن فیه بضع سنین قال یوسف وربی عنی راض قال جبرائیل نعم قال
لا ابالی ولو الی الساعة وقال ابو حفص قال الله تعالی لیوسف انت الذی
طلبت منی السجن لم تستشفع بغیری فی الخلاص منه وقال ابن عطا عاتب
الحق علی یوسف حین غلب علیه البشریة بالرجوع فی حاجة الی البریة فاذکر
الحق لقطع حاجته منهم واتصاله الی حاجته فی ستر الغیب عنهم ذکره
السلمی قال الاستاد بین ان تعبیر الرؤیا وان کان حقا فطریقه غلبة
الظن دون القطع ولو کان صدقا ثم انه عوتب یوسف علیه السلام بان
منی حدیثه من استعان به لئلا یطلب علی نشر ما علم عوضا بعده ففی بعض
الکتب المنزلة یا ابن آدم علم مجانا کما علمت مجانا وقال الملک انی اری
ای رأیت وانا احضر سبع بقرات سمان یاکلهن سبع عجاف وسبع
سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر یابسات وسبعا اخر حصل
کمالها فالتوت الیابسات علی الخضر حتی غلبن علیها وانما استغنی
عن بیان حالها بما قص من حال البقرة ومآلها یا ایها الملاء افتونی فی
رؤیای ای عبروها ان کنتم للرؤیا تعبرون ای کنتم عالمین بعبارة الرؤیا
وهی الانتقال من الصور الخیالیة الی المعانی النفسیة التی هی بمنزلة
المرآة المجلیة وانعکاس صور جمالها فی المراتب المثالیة واللام لتقویة
العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوی باللام کاسم
الفاعل قاله الاستاد کان ابتداء بلاء یوسف بسبب رؤیا رآها فتعبر لها
وسبب نجاته ایضا رؤیا رآها الملک وظهرها لیعلم ان الله یفعل ما یشاء
بالعبید ویحکم ما یرید قالوا اضغاث احلام ای هذه تخالیطها ومظنة تغالیطها
وما نحن بتاویل الاحلام المختلطة بعالمین وقال الذی نجا منهما من صاحبی السجن
وهو الشرابی وادکر اصله اذتکر من الذکر فابدل التاء دالا وادغم والمعنی تذکر حال
یوسف ومقاله بعد امة جماعة من الازمنة مجتمعة ای مدة طویلة والجملة اعتراض
بین القول ومقوله انا انبئکم بتاویله فارسلون الی من عنده علمه فارسل الی یوسف

نجاه وقال له یوسف ایها الصدیق المبالغ فی الصدق لما جربه فی اخباره الحق
افتنا فی سبع بقرات سمان یاکلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر
یابسات ای فی تعبیر رؤیا ذلک لعلی ارجع الی الناس اعود الی الملک ومن عنده
لعلهم یعلمون تاویلها او مرتبتک وتکمیلها وقال الاستاد لما کان المعلوم لله والمحکوم
ان ملک یوسف علیه السلام یکون فی ذلک الوقت قیض الله القلوب حتی خفی
علیها تعبیر تلک الرؤیا ولم یحصل للملک ثلج الصدر الا بتعبیر فانه سبحانه اذا اراد
امرا حکم به سهل تمام اسبابه ویقول ان الله تعالی افرد یوسف من بین اشکاله
بشیئین بحسن الخلق وبزیادة العلم فصار جماله سبب بلائه وصار علمه سبب
نجاته لیعلم مزیة العلم علی غیره ولهذا قیل العلم یعطی ولا یعطی ویقال اذا کان العلم
بالرؤیا یوجب ملک الدنیا فالعلم بالمولی اولی ان یوجب الملک فی العقبی قال
تزرعون سبع سنین دابا ای علی عادتکم المستمرة وقرا حفص بفتح الهمزة
وکلاهما مصدر دأب فی العمل وانتصابه علی الحال ای دائبین والاظهر ان تزرعون
امر اخرجه فی صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه فی سنبله لئلا یاکله
السوس الا قلیلا مما تاکلون فی تلک السنین مما تحتاجون ثم یاتی من بعد
ذلک سبع شداد یاکلن ما قدمتم لهن ما ادخرتم لاجلهن والمراد اهلهن وللمطابقة
بین المعبر والمعبر عنه اسند الاکل مجازا الیهن الا قلیلا مما تحصنون تحفظون
لبذور الزراعة فیما بعدهن ثم یاتی من بعد ذلک عام فیه یغاث الناس من الغیث
ای یمطرون او من الغوث ای یغاثون عن القحط وفیه یعصرون ما یعصر
کالعنب والزیتون لکثرة الثمار فیه وقرا حمزة والکسائی بالخطاب علی
تغلیب المستفتی فی الجواب وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنین مخصبة والعجاف والیابسات بسنین
مجدبة وابتلاع العجاف السمان باکل ما جمع فی السنین المخصبة فی السنین
المجدبة ولعله علم ذلک بوحی الرب او بان انتهاء الجدب یکون بالخصب
او بان السنة الالهیة علی ان یوسع علی عباده بعد ما ضیق علیهم لقوله
سبحانه والله یقبض ویبسط وقال الملک ائتونی به بعد ما جاء الرسول
بنقل تعبیره خشیة تغیره فی کیفیة تصویره فلما جاءه الرسول فی طلبه قال
ارجع الی ربک خوفا من حاسد ان یتوسل الی تقبیح امره فاسئله ای
اطلب منه ان یفتش ویفحص عن موجب الحبس من جهة التهمة ما بال النسوة
اللاتی قطعن ایدیهن لیظهر براءة ساحته فیما اردن من کیدهن لاطلاعهن
علی امتناعه من المیل الیهن ان ربی بکیدهن علیم وانما ارید نفی التهمة کما
هو دأب کل کریم مخافة طعن کل لئیم وفیه الوعید لهن علی کیدهن ووعد لمن

اعترس عن مكرهن وعنه صلى الله عليه وسلم فى مدحه لصبر يوسف بطريق المبالغة
لو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وافاد الاستاذ ان يوسف
عليه السلام اراد ان لا يلحظه الملك بعين الخيانة فيسقط هيبته عن قلبه فلا يؤثر فيه
قوله فلذلك توقف حتى ظهر امره قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن
نفسه لها ولكن قلن حاش لله تنزيه له وتعجيب من قدرته على خلق عفيف مثله
فى براءة ساحته ما علمنا عليه من سوء اى من خطيئة لا صغيرة ولا كبيرة ومن زائدة
للمبالغة فى نفى قليله وكثيره وافاد الاستاذ ان الحقايق لا تكتم اصلا ولا بد ان تتبين
ولو بعد حين مفصلا وفصلا نسب يوسف الى ما كان بريا ولبث على ذلك مليا
وكان امره عليهم خفيا ثم ان الله تعالى رفع التهمة ودفع الظنة وانطق عذاله واظهر
حاله وطهر عما قذف به سرباله حيث قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ثم لما كانت
محبة زليخا مفضة فى يوسف رمت ذنبها عليه وبعد ما تناهت فى محبته واستحكمت
فى مودته اقرت بذنبها ونظافة ساحته فالتناهى فى الحب يوجب هتك الستر
وقلة المبالاة بظهور الامر والسر كما قال قائلهم ليقل من شاء ما شاء فانى لا ابالي
وهذا معنى قوله سبحانه قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ظهر واستقر
انا راودته عن نفسه وانه لمن الكاذبين وانه فى قوله هى راودتنى عن نفسى
لمن الصادقين ولما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن قال ذلك اى الاهتمام باعلام
امرهن ليعلم العزيز وغيره انى لم اخنه بالغيب اى وانا غائب عنه او وهو
غائب عنى او مكان الغيب من وراء الاستار المغلقة والابواب المغلقة وان الله
لا يهدى كيد الخائنين لا ينفذ كيدهم ولا يسدد مكرهم بل يرجع اليهم امرهم
كما فعله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وافاد الاستاذ ان يوسف عليه السلام انما
اراد ان يظهر براءة ساحته لانه علم انهم يستحقون العقوبة على ما يبسطون
فيه من ملامته فلم يرد ان يصيبهم بسببه من قبل الله آفة شفقة منه على عباده
سبحانه وهذه صفة اوليائه ولا يكونون خصم الخلق ولهذا قيل الصوفى
دمه هدر وماله مباح وما ابرئ نفسى لا انزهها عن ذنبى تنبيها على انه لم يرد بذلك
تزكية نفسه ولا اعجاب حاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق بفضله
وكرمه ان النفس لامارة بالسوء من حيث انها مائلة الى الشهوات بطبعها وتستعمل
القوى والجوارح فى اثرها فى جميع الاوقات والحالات الا ما رحم ربى اى مدة
رحمته وحالة عصمته او الا من رحمه الله من النفوس فعصمه عن السوء فى الانفاس
وقال ابن عطا ما ابرئ نفسى بنفسى وانما ابرئ نفسى بربى ان ربى غفور للمسيئين
رحيم للمحسنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه لما قال ذلك ليعلم انى لم
اخنه بالغيب قال له جبرئيل ولا حين هممت فقال وما ابرئ نفسى الاية وافاد الاستاذ

ان قوله

ان قوله ليعلم انى لم اخنه بالغيب بيان الشكر لما عصمه الله وقوله وما ابرئ نفسى
بيان العذر لما قصر فى اداته فاستوجب بشكره زيادة الاحسان واستحق بعذره
العفو والغفران وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى اجعله مصاحبا خالصا
لمجلسى فلما كلمه اى فلما اتوا به وشاهد الملك نظام مرامه من كلامه قال انك اليوم
لدينا مكين ذو مكانة امين ذو امانة قال ابن عطا كيف لم يستخلصه لنفسه
وقد استخلصه الحق من قبله فهو لديه من المخلصين ذكره السلمى وافاد الاستاذ
انه لما اتضح للملك طهارة فعله ونزاهة حاله استخلصه لاستصفائه لنفسه
فلما كلمه وسمع بيانه رفع محله ومكانه وضمن بره واحسانه قال اجعلنى على خزائن
الارض اى ولنى امر ارض مصر الموضوعة للزراعة وضبطها انى حفيظ لها
ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها وانما آثر هذا العمل لعلمه بما يتم فوائده
ويجعل عوايده مع ما يقتضيه من البعد عن مجلس الملك والوزراء والتقرب
الى صحبة الضعفاء وخدمة الفقراء وفيه دلالة على جواز طلب التولية واخذها
واظهار انه مستعد لها اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة
الخلق الا بحصولها وتوليها وعن مجاهد انه اسلم الملك عن يده ببركة صحبته
وقال الواسطى مدح النفس قبيح الا فى وقت الاذن فيه ذكره السلمى وقال
انما سال جعله لوضع الحق موضعه فيوصل نصيب الفقراء اليهم فطلب
حق الله فى ذلك ولم يطلب حظ نفسه هنالك ويقال لم يقل انى حسن
جميل بل قال انى حفيظ عليم كاتب حاسب ليعلم ان الفضل فى السريرة لا فى مجرد
الصورة وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ارض مصر وتوابعها يتبوأ منها
حيث يشاء ينزل من بلادها كل بقعة توافقه هواها وقرأ ابن كثير نشاء بالنون
وفيه ايماء الى ان مشيته تابعة لمشية الله المقتضية لرضاه لا ما وافقه على
مقتضى طبعه وهواه قال الاستاذ لما لم يكن دواعى الشهوات من نفسه مكنه الله
من ملكه قال الله تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا نصيب برحمتنا من نشاء
فى الدنيا والاخرى ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفى اجورهم ونحسن امورهم عاجلا
وآجلا قيل المحسن من يرى جميع ما يجرى عليه من الحق ولاجر الآخرة خير اى لمنه وكيفيته
للذين آمنوا وكانوا يتقون قال الاستاذ اخبر عن حقيقة التوحيد وطريقة
التفريد وبين ان ما يؤتى بعض عباده من الطاعة فبفضله لا بفعلهم وبرحمته
لا بجد منهم فقال نصيب برحمتنا من نشاء ثم رقى هممهم عما اولاهم من نعمهم
فقال ولاجر الآخرة خير ثم بين انه لمن يكون ذلك فقال للذين آمنوا وكانوا
يتقون ليعلم انه لا بد من متابعة التقوى ومخالفة الهوى انتهى وروى انه لما
استوزره الملك اقام العدالة واجتهد فى تكثير الزراعة وضبط انواع الغلة

حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر ونواحيها وتوجه الناس اليه وتذللوا بين
يديه فباعهم اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق شيء معهم ثم بالحلي والجواهر
ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم بالرقاب حتى استرقهم جميعهم ثم عرض على الملك
امرهم ففوض اليه حكمهم فاعتقهم ورد اليهم اموالهم وكان قد اصاب
كنعان ما اصاب سائر البلدان فارسل يعقوب عليه السلام بنيه جميعا غير بنيامين لجلب
الطعام اليه وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم حين وقفوا لديه وهم له منكرون
لطول مدة الغيبة وتغير الهيئة وعظمة الهيبة وافاد الاستاد انه عرف اخوته وانكروا
معرفته لانهم اعتقدوا انه في رق العبودية وهو قد قعد في مرتبة السلطنة فمن طلب
الملك في صفة العبيد متى يعرفه كذلك من يعتقد في صفة المعبود ما هو من صفات الحادث
الموجود متى يكون عارفا بالله الودود ويقال لما جفوه صار جفاؤهم حجابا بينه وبين
معرفتهم اياه كذلك العاصي بخطائه وزلته يقع غيره على وجه معرفته ولما
جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم وقام لحذمتهم واداء حاجتهم قال ائتوني
باخ لكم من ابيكم وذلك لما روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون
طالبون فسادكم قالوا معاذ الله نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء
اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية وهلك قال
فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به عن الهالك
قال فمن يشهد لكم بذلك قالوا لا يعرفنا ههنا من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي
رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان
يعطي يوسف لكل نفر حملا من الطعام فسالوا الحملا زائدا للاخ لهم من ابيهم فاعطاهم
وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم الا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين
للضيف والمضيفين لهم كان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تأتوني به فلا
كيل لكم عندي ولا تقربون اي لا تقربوني ولا تدخلوا دياري معطوف على الجزاء وهو
الماضي او نفي في البناء قال بعضهم من خالف مراد سيده ضيق الله عليه في رزقه وحرم
مقام قربه ذكره السلمي وافاد الاستاذ ان المحب غيور ولما كان ليعقوب تسل
عن يوسف برؤية ابن يامين ابت المحبة الا ان تظهر سلطانها بالكمال فغارت
على ابن يامين ان ينظر اليه يعقوب بعين يوسف ويقال تلطف يوسف في
استحضار اخيه بالترغيب والترهيب اما الترغيب فمن ماله الذي اوصله اليهم
فقال الا ترون اني اوفي الكيل وفي اقباله بالاكرام عليهم فقال وانا خير المنزلين
واما الترهيب فبمنع المال بقوله فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي وبمنع الاكرام
والاقبال بقوله ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه
وانا لفاعلون ذلك من غير تقصير فيه وقال لفتيته لغلمانه الكيالين وقرأ حمزة

والكسائي

والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة اجعلوا بضاعتهم التي شروا بها
الطعام في رحالهم توسيعا لحالهم وتفضلا عليهم برد مالهم وترفعا من ان
يأخذ ثمن الطعام من امثالهم لعلهم يعرفونها حتى ردها او لكي يعرفونها ويشكروا
كونها لهم اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعية رحالهم لعلهم يرجعون لعل
معرفتهم ذلك تدعوهم الى رجوعهم الينا بتحسين حالهم وترتيب
مآبهم فلما رجعوا الى ابيهم وقصدوا ان يأتوا باخيهم قالوا يا ابانا منع
منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا الحين ان لم تذهب ببنيامين فارسل
معنا اخانا نكتل ما نحتاج اليه برفع المانع من الكيل المعلق عليه وقرأ
حمزة والكسائي يكتل بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه فنضم
اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه منا او من غيرنا قال هل
آمنكم عليه على حفظه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له
لحافظون عن ان يناله وقد ورد لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فالله خير حافظا
فافوض امري اليه ولا اتوكل الا عليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه
ولا يجمع على مصيبتين من لطفه وكرمه وانتصاب حفظا على التمييز وقرأ حمزة
والكسائي وحفص حافظا وهو يحتمل التمييز والحال كقولهم لله دره فارسا
وفي تفسير السلمي عن بعضهم قال يعقوب جربت حفظكم في واحد حين قلتم
وانا له لحافظون واعتمدت عليكم ولم ارجع في حفظه الى الله فلقيت فيه
ما لقيت واني في هذا ارجع الى ربي فالله خير حافظا فلما استحفظه به رد
اليه الاول والآخر وافاد الاستاد ان من عرف بالخيانة لا يلاحظ بعين الامانة
ولذا لم يسكن نفس يعقوب بضمانهم لما سبق اليه من شانهم ولما فتحوا متاعهم وجدوا
بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي اي اي شيء نطلب وراء ذلك هل
من مزيد على ما هنالك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا هذه
بضاعتنا ردت الينا رحمة علينا لنستظهر بها لديها ونمير اهلنا بالرجوع
الى من احسن الينا ونحفظ اخانا في ذهابنا وايابنا فانه صغير ونزداد كيل
بعير باستصحاب اخينا على رضى ابينا ذلك الكيل الذي اكتاله لنا من قبل
كيل يسير قليل لا يكفينا وفي تفسير السلمي قال بعضهم الاشارة فيها هذه الآية ان
اعمال الخلق كلها مردودة اليهم فانهم انما عملوا لانفسهم لا لغيرهم قال الله تعالى
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وقال فمن شكر فانما يشكر لنفسه والذي يحقهم
من المثوبات والكرامات انما هو من جهة الجزاء الا ترى ان النبي عليه السلام
قال ليس ينجي احدكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله برحمته وافاد الاستاذ ان يوسف عليه السلام بين لهم انه لم يعاملهم

معاملة محتاج الى عوض اخذه منهم مما باعهم فجمع لهم الكيل وما اعطوه من الثمن واشار
فى هذا الى قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم فكل من خطا لله خطوة كافاه الله وجازاه
فيجمع له بين روح الطاعة ولذة العيش والراحة من حيث الخدمة وبين ما بعده فى
الآخرة من الثواب والنعمة والله سبحانه وراء كل طاعة وخدمة قلت فى الحديث انما هى
اعمالكم احصيها لكم الى واردها اليكم واجازيكم بها على وفق ما لديكم قال لن ارسله معكم
اذا رايت ما رايت منكم حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطونى ما اتوثق به من عهده
اى عهدا مؤكدا بذكره والمعنى حتى تحلفوا بالله لتاتننى به فى جميع احوالكم الا ان يحاط
بكم اى ان تغلبوا هنالك فلا تطيقوا ذلك فلما اتوه موثقهم عهدهم قال يعقوب
الله على ما نقول من طلب الموثق وايتائه وكيل مطلع رقيب فلا اعتماد الا عليه ولا
استناد الا اليه قيل ما اعتمد يعقوب منهم الميثاق لما سبق منهم اليه قبل ذلك
من الشقاق فعلم ان مواثيقهم فى حفظهم معلولة فقال فالله خير حافظا وقال
والله على ما نقول وكيل اى هو الذى يحفظ قلوبكم ولا يكلكم الى ارائكم واهوائكم فى
امركم وافاد الاستاد ان الحذر لا يغنى من القدر عمل يعقوب عليه السلام
معهم فى باب ابن يامين ما امكنه من الاحتياط واخذ الميثاق فلم
يغن عنه اجتهاده وحصل على ما حكم الله مراده وقال يا بنى لا تدخلوا من باب
واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوى جمال وابهة مشتهرين
فى مصر عند الملك بالقربة والكرامة فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا
فى هذه الكرة فان العين حق وتاثيره صدق ويدل عليه قوله عليه السلام فى دعوته
حال عوذته اللهم انى اعوذ بكلمات الله التامة من كل عين لامة اى مصيبة ملمة
وما اغنى عنكم من الله من شىء مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فانه اذا جاء القضاء
ضاق الفضاء قال جعفر الصادق نسى يعقوب اعتماده على العصبية والقوة
وان التقدير يغلب التدبير بقوله لا تدخلوا من باب واحد لكن ساعده التوفيق
واستدركه عن قريب بالتوحيد وتحقيق التفريد حيث قال وما اغنى عنكم من الله
من شىء ذكره السلمى ان الحكم الا لله لا مانع ولا دافع ولا ضار ولا نافع سواه عليه
توكلت اى ما اعتمدت على غيره وعلى الله فليتوكل المتوكلون اذ مدار الكل عليه ولا
ملجا ولا منجا من الله الا اليه وقال ابن عطا كيف يرد عن غيره من لا يرد عن نفسه
وكيف يقوم بكفاية غيره من هو عاجز عن كفاية امره بل ربما يبتدى الحق الاسباب
وان اخذ بالاسباب كالاخذ من مسبب الاسباب وافاد الاستاد انه يحتمل ان
يكون اراد بتفريقهم فى الدخول قصد الحصول والوصول لعل واحدا منهم
يقع بصره على يوسف ان كان الآخر لم يره ويقال ظن يعقوب انهم كما هو فى
شدة العناية لشانه ولم يعلم انهم كارهون لمكانه قلت كان يعلم ذلك برهانه ولكن

حديث

حديث حبك الشىء يعمى ويصم اورده فى حسن الظن باخوانه ولما دخلوا من حيث
امرهم ابوهم اى من ابواب متفرقة حين حولهم ما كان يغنى عنهم راى يعقوب
فيهم ولا اتباعهم له فى امرهم من الله مما قضاه عليهم من شىء اى شيئا من احوالهم
ولذا نسبوا الى السرقة والخيانة حتى اصابوا ما قضى عليهم المصيبة الا حاجة
لكن حاجة فى نفس يعقوب من شفقته عليهم وميله اليهم قضاها اظهرها ووصى
بها وانه لذو علم لما علمناه من ان التدبير لا يغير التقدير ولذا قال وما اغنى عنكم
من الله من شىء اراده بكم من الضرر ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغنى
عنه الحذر قال يوسف بن الحسين اجل العلوم ما اخذه العبد من الحق بغير واسطة الخلق
ذكره السلمى وافاد الاستاد انه ان لم يحصل مقصود يعقوب فى الحال حصل مراده فى المآل
وفى ذلك القدر لارباب القلوب استقلال ويقال على الاصاغر حفظ اشارات
الاكابر والقول فيما يامرون به ان فيه فائدة ام لا ترك الادب فى مقام الطلب ويقال
اذا كان مثل يعقوب يبشر على اولاده ويتمنى فيه حصول مرام ثم لا يحصل مقصوده علم انه
لا ينبغى ان يعتقد فى الشيوخ ان جميع ما يريدون يتفق كونه على ما ارادوا ان الذى لا يكون
الا ما يريد واجبا وما اراد هو كائن لله الواحد القهار ولما دخلوا على يوسف آوى
ضم اليه اخاه بنيامين على اكل الطعام او فى المنزل والمقام روى انه اضافهم
فاجلسهم مثنى فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لجلس معى فاجلسه
معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثانى له فيكون معى فبات عنده
فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال انى لى بذلك ومن يجد
اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال انى انا اخوك اى حقيقة وانتم
ما تعرفون فلا تبتئس اى لا تحزن بما كانوا يعملون فى حقنا وافاد الاستاد ان حديث
المحبة واحكامها اقسام اشتاق يعقوب الى لقاء يوسف فبقى فى بيت الاحزان
سنين كثيرة واشتاق يوسف الى بنيامين فرزق رؤيته فى مدة يسيرة هكذا امر
اصحاب الولاء فمنهم مرفوق به ومنهم صاحب البلاء ويقال لئن سخنت عين
يعقوب بمفارقة بنيامين فلقد قرت عين يوسف بلقائه كذا امر الخلق اجمعين
لا تغرب الشمس عن قوم الا وتطلع على آخرين مصائب قوم عند قوم فوائد ويقال
ان الله تعالى رفق ببنيامين لما اصابه الاسف على فقد رؤية ابيه ناله الفرح
بشهود اخيه فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل اخيه المشربة وكانت من
ذهب او فضة وقد جعلت صاعا يكال به ثم اذن مؤذن نادى منادى ايتها العير
اى القافلة انكم لسارقون اى آخذون السقاية على وجه الخفية باجمعكم او باحدكم
قيل ولعله لم يقل بامر يوسف او كان تعبية السقاية والنداء عليها برضاء بنيامين
وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه والاظهر ان همزة الاستفهام مقدر ليخرج

عن وقوع الكذب في الخبر قالوا واقبلوا عليهم اى والحال انهم التفتوا اليهم ماذا تفقدون
اى اى شئ اضاع منكم قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم
اى ذبه الى من رده وقال الاستاذ لما نسب اليهم شؤم الفعال بان عليه ما وجد من شؤم الوصال
ويقال لما نسب يوسف اخاه الى السرقة جهرا فقد تعرف اليه بقوله انى انا اخوك سرا فكان
متحملا لاعباء الملامة في ظاهره محمولا بوجدان الكرامة في سره وفي معناه انشدوا اجد الملامة في هواك
لذيذة حبا لذكرك فليلمني اللوم قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب بحقيقة باسم الله لقد علمتم ما جئنا
لنفسد في الارض باخذ مال اهلها وما كنا سارقين قبل وصولها استشهدوا بعلمهم على
براءة انفسهم مما يدل على كمال امانتهم وفرط ديانتهم كرد البضاعة التي وضعت في رحالهم
وربطا افواه دوابهم كيلا تتناول زرعا وطعاما لغيرهم وقال الاستاذ يعني حسن سيرتنا
في المعاملة يدلكم على حسن سيرتنا في المقالة قالوا فما جزاؤه جزاء السارق في طريقتكم ان كنتم
كاذبين في دعوى براءة ساحتكم قالوا جزاؤه من وجد المسروق في رحله اى منزله او عنده
فهو جزاؤه اى جزاء سرقته واستحقاقه اخذ من وجد في رحله واسترقاقه قيل وهكذا
كان شرع يعقوب عليه السلام ويشير اليه قوله كذلك نجزي الظالمين بالسرقة من مال
المسلمين والمستأمنين فبدأ المؤذن باوعيتهم في تفتيش السقاية قبل وعاء
اخيه بنيامين نفيا للتهمة وبعدا عن الفطنة ثم استخرجها اى السقاية من وعاء
اخيه قال الاستاذ تجاسر اخوة يوسف ع الرضاء بجريان جزاء السرقة عليهم
بحكم القضاء ثقة بانفسهم انهم لم يباشروا الزلة التي هي موجبة للزلة وكان
بنيامين شاركهم في براءة الساحة فلما استخرج من وعاء السقاية بسط الاخوة
فيه لسان الملامة فلم يكن له جواب البتة لانه ان اقر بالسرقة لم يكن ذلك صدقا
اذ لم يصدر منه فعله ولو قال لم افعل افشى سر يوسف اليه في بابه انه يحتال معهم
لاجله حتى يبقى هو معه فسكت لسانه وتحقق بالحال جنانه ويقال ساء ما ظهر
عليه القالة ولكن حصل بذلك صفاء الحالة قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق
اخ له من قبل يعنون يوسف قيل كان في البيت دجاجة فاعطاها صاحب حاجة
وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره اقتداء بجده لابيه فاسرها يوسف في
نفسه اى اخفاها ولم يبدها لهم اى لم يظهرها وهو تاكيد لاسرها والضمير للقصة
او القالة او الحالة قال بلسان القال او ببيان الحال انتم شر مكانا اى
منزلة في السرقة منه لسرقتكم اخاكم ومخالفتكم اباكم والله اعلم بما تصفون
اى هو يعلم ان الامر ليس كما تقولون وقال الاستاذ كان بنيامين بريئا مما
رمى به فانطقهم الله حتى رموا يوسف بمثله واحدا بواحد ليعلم ان الجزاء
واجب قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في العمر والقدر ذكروا
له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه اى بدله فان اباه مولع به

هنالك

هنالك لان فيه راحة اخيه الهالك انا نراك من المحسنين بعامة الناس
فنحن اولى بذلك قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده
فان اخذه غيره ظلم عندكم بناء على فتواكم فلو ناخذ مكانه احدكم انا اذا لظالمون
في مذهبكم هذا جوابه بحسب الظاهر واراد باعتبار السر ان الله تعالى اذن لنا ان
ناخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحة مقررة لديه وحكمة محررة لمرضاته عليه
فلو اخذت غير من وجد في رحله لوضعت الشئ في غير محله وقال الاستاذ
لم ينفعهم كثرة التنصل وما راموا به من ذكر ابيهم لابتغاء التوسل وما
قبل منهم ما عرضوا عليه من انفسهم باخذ احدهم على سبيل التبدل كذلك
كل من الله مطالب بفعل نفسه فيما اجرى ولا تزر وازرة وزر اخرى فلا
يؤخذ بدل ولد ولا القريب يرضى به عوضا عن احد ولذا قال يوسف معاذ الله
ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ويقال توهموا ان الحديث معهم من حيث
معاملة الاموال فعرضوا انفسهم ان يؤخذ احد منهم بدل اخيهم في الخدمة والابتذال
ولم يعلموا ان يوسف كادهم في تلك الحال ومقصوده ما استكن في قلبه من
حب اخيه وقربه في الاستقبال وكلا ان يكون عن المحبوب بدل او يقوم مقام
احد في مقام الجمال وحال الكمال وانشد في معناه ابى القلب الا حب ليلى
وبغضت الى نساء ما لهن ذنوب فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف
واجابته اياهم عن التلهف خلصوا نجيا انفردوا واعتزلوا متناجين قال
كبيرهم في السن وهو روبيل او في الرأي وهو شمعون الم تعلموا استفهام
تقرير اى قد علمتم ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا عهدا وثيقا من الله اى باذنه اى
حلفا اكيدا من اسمه ومن قبل اى قبل هذا ما فرطتم في يوسف اى ما قصرتموه في
شانه وما قدمتموه في حقه فلن ابرح الارض لن افارق ارض مصر حتى ياذن لي
ابي في الرجوع اليه او يحكم الله لي او يقضي لي موتا او حيوة بالخروج منها او
بخلاص اخي منهم فيها وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق المبين ارجعوا
الى ابيكم واعتذروا عن اخيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شاهدنا من
ظاهر امره وشانه وما شهدنا اى ما تكلمنا عليه الا بما علمنا بان راينا السقاية
اخرجت من وعائه وما كنا للغيب اى لباطن حاله حافظين فلا ندرى انه سرق
او دست السقاية في رحله فسرق واسئل القرية التي كنا فيها يعنون مصر والمعنى
ارسل الى اهلها وسلهم عن القصة التي جرت في محلها والعير التي اقبلنا فيها
اى وكذلك اسأل اصحاب العير من القافلة التي توجهنا فيهم ورجعنا معهم
وانا لصادقون قال الاستاذ ما ازدادوا اقامة حجة الا ازداد يعقوب في قولهم
شبهة فان يقين الجرم في المرة الاولى اوجب التهمة في الكرة الاخرى ويقال في الجملة
مسابلة الاطلال واثار راحة القلوب لاحباب في سلوة الاسرار وهذا الباب

فالشرح فيه مجال للابرار الاحرار قال بل سولت لكم انفسكم امرا اى فلما رجعوا اليهم ونقلوا
اليه قصة اخيهم قال بل زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقدرتموه والا فما ادرى
الملك بان السارق يؤخذ بسرقته وهذه القضية ليست من قواعد ملته فصبر جميل اجمل اكمل او
فامرى صبر جميل واحرى جزاء جزيل عسى الله ان ياتينى بهم جميعا اى يوسف وبنيامين واخيهما
اجمعين او مجتمعين فان تضييق المخرج يوجب توسيع الفرج وقد ورد اشتدى ازمة تنفرجى انه
هو العليم بتقديره الحكيم فى تدبيره وتولى اعرض عنهم كراهة ما صادف منهم وقال يا اسفى
اى يا اسفى وحزنى هذا اوانك فتعالى واقبلى والاسف اشد الحسرة والالف بدل من ياء
الاضافة وفى حديث ضعيف لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد
الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وقال يا اسفى وانما تاسف
على يوسف وحده لانه كان بانفراده اخذ بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما
دون حياته وابيضت عيناه لكثرة بكائه من الحزن اى من جهة حزن بلائه فى مقام
ولائه وكان العبرة محقت سوادهما فقيل ضعف نظره وقيل عمى بصره وفيه دليل
على جواز التاسف والبكاء لصدورهما عن الانبياء ولكونهما من الجبلة البشرية
الصادرة عن الصفة الرحيمية فمن ضحك عند موت ولده لا يعد من اهل الاخلاق
السنية ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع
والعين تدمع ولا اقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم
مملو من الغيظ على اولاده ممسك له فى قلبه غير مظهره او مملو من حزن يوسف
ترشح منه هذا التاسف فكل اناء يترشح بما فيه ولهذا قيل انه عوتب فيه للتنبيه
ففى تفسير السلمى قال ابو سعيد القرشى اوحى الله تعالى الى يعقوب يا يعقوب
تاسف على غيرى وعزتى لاخذن عينيك ولا اردهما عليك حتى تنسانى وسئل
ابو سعيد ايضا لم يذهب عين آدم وعين داود من طول بكائهما وذهب عينا
يعقوب مع قلة زمان بكائه بالاضافة اليهما فقال لان بكاءهما كان من خوفه
سبحانه وبكاء يعقوب كان من فقد ولده فحفظا وعوتب به وقال ايضا بكاء الحزن
يعمى البصر وبكاء الشوق يجلى النظر وافاد الاستاذ ان يعقوب لم يجد مساعدا النفسه
على تاسفه فتولى عن الجميع وانفرد باظهار اسفه وفى معناه انشدوا فريد عن الخلان
فى كل بلدة • اذا عظم المطلوب قل المساعد • قال وسمعت الاستاذ ابا على الدقاق
يقول كان بكاء داود اكثر من بكاء يعقوب فلم يذهب بصره وذهب بصر يعقوب لان يعقوب
بكى لاجل يوسف ولم يكن فى قدرته يوسف ما يحفظ بصر من يبكى لاجله واما داود فكان
يبكى لله وفى قدرته سبحانه ما حفظ بصر الباكى لاجله وسمعته يقول لم يقل الله عمى يعقوب
لانه لم يكن فى الحقيقة عمى وانما كان ذلك حجابا عن رؤية غير يوسف ويقال كان ذهاب
بصر يعقوب عن غيبة يوسف رفقا من الله سبحانه بيعقوب حتى لا يحتاج الى ان يرى

غيره

غيره لانه لا شىء اشد على الاحباب من رؤية غير المحبوب فى حالة فراق المطلوب
وانشدوا فى معناه • لما تيقنت انى لست ابصركم • غمضت عينى فلم انظر الى احد
قال وسمعت الاستاذ ابا على الدقاق يقول كان يعقوب يتسلى برؤية ابن يامين
فى حال غيبته فلما بقى عن رؤيته قال يا اسفى على يوسف لانه لما منع من النظر
كان يتسلى بالاثر فلما بقى عن الاثر كما بقى عن النظر قال يا اسفى على يوسف وعمى البصر
قالوا تالله تفتؤا اى لا تزال تذكر يوسف وتظهر التاسف حتى تكون حرضا مشفيا
على الهلاك وضعيفا نحيفا كالحرض وهو الاشنان او تكون من الهالكين الميتين المستهلكين
قال القرشى كل مشتاق لا يزال يذكر انيس حتى يعيره الناس على حبه فاما ان يموت على بعده
واما ان يفوز الى قربه ذكره السلمى وافاد الاستاذ ان اطيب الاشياء عند اهل الهوى الهلاك
فى حكم الهوى فكيف يخوف بالهلاك من كان احب الاشياء اليه الاهلاك قلت وفى معناه
انشدوا • اقتلونى يا ثقاتى ان فى موتى حيوتى • وفى قوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة اشارة
الى هذا المعنى قال انما اشكوا بثى هى الذى لا قدر عليه الصبر من البث بمعنى النشر وحزنى غمى
الذى اذاب قلبى فى حب ولدى الى الله لا الى ما سواه مع رضائى بقضائه فخلونى وشكايتى
فانكم لم تعرفوا حكايتى واعلم من الله من صنعه ورحمته ما لا تعلمون من انه يجيب من دعاه
ولا يخيب من اشتكاه وفى الحديث اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان اى فى
البلوى ولا حول ولا قوة الا بالله فانه هو المولى وقال السلمى اى على بالله علم حقيقة الحال
اعلمكم به علم الاستدلال وافاد الاستاذ انه شكى الى الله ولم يشك من الله فمن شكى الى الله
وصل ومن شكى من الله انفصل ويقال لما شكى الى الله وجد السلوة من الله ويقال كان
يعقوب متحليا بغشه وقلبه مستريحا محمولا بسره وروحه لانه علم من الله صدق حاله فقال واعلم
من الله ما لا تعلمون اى من صفات كماله الجامعة لنعوت جماله وجلاله وفى معناه انشدوا شعر
اذا ما تمنى الناس روحا وراحة • تمنيت ان اشكوا اليه فيسمع • يا بنى اذهبوا فتحسسوا
من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما ولا تياسوا من روح الله من تفريجه
وتنفيسه او راحته ورحمته وقرئ من روح الله اى من رحمته التى يحيى بها اهل الجنة ولعل فيه
من اشارة الى حديث انى لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن ويؤيده ما روى ان يعقوب
راى ملك الموت فساله عنه فقال هو حى وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت ابدا حتى يبلغ
خرورهم له سجدا انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بذاته وصفاته فان العارف
بهما لا يقنط من رحمته لا فى خلوته ولا فى جلوته قال جنيد تحقق رجاء الراجين عند تواتر النوائب
وترادف المصائب وفى الخبر انتظار الفرج افضل العبادة وقال تعالى انه لا ييأس من روح الله
الآية ذكره السلمى وقال الاستاذ امرهم بطلب يوسف بجميع جوارحهم ليطلبوه بالبصر
لعلهم يرون وجهه وبالاذن لعلهم يسمعون ذكره السلمى وبالشم لعلهم يجدون ريحه
لظن يعقوب انهم مثلهم فى ارادتهم الوقوف على شانه والاطلاع على مكانه ويقال لم يكن

ليعقوب احد من الاولاد بمكان يوسف اظهر من قلة الصبر عنه ما ظهر من التأسف
وآثر غيبة الباقين منهم في طلبه على حضورهم في مجلسه فشتان بين حاله معهم
في حضوره وبين حاله مع يوسف عند فقده واحد لم يره فابيضت عيناه من الحزن لفرقه
منه وآخرون امرهم باختياره لغيبتهم عنه فلما دخلوا عليه بعد ما رجعوا اليه قالوا يا ايها
العزيز مسنا واهلنا الضر شدة المجاعة وكثرة الحاجة وقلة الكفاية الموجبة للقناعة
وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته دفعته قيل كانت
دراهم زيوفا وقيل سمنا وصوفا فاوف لنا الكيل اتمه لاجلنا وتصدق علينا برد اخينا
الينا او بالمسامحة وقبول الامتعة الردية او بالزيادة في الكمية والكيفية ان الله يجزي المتصدقين
احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه حديثه صلى الله عليه وسلم في قصر الصلوة
في السفر هذه صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغي به الثواب او يتقى به
عن العقاب قيل في هذه الآية تعليم آداب الدعاء والرجوع الى ملازمة الاصفياء ومحا
الاسخياء فمن لم يرجع الى سيده بالذل والافتقار ولم يعلم ان ما هو من سيده اليه
انما هو من طريق الصدقة والتفضل عليه لا على سبيل الاستحقاق كان بعدا مطرودا
بالاتفاق وافاد الاستاذ انهم لما دخلوا على يوسف خاطبوه بذكر الضر ومقاساة
الجوع والفقر ولم يذكروا حديث يوسف وما لاجله وجههم ابوهم من اهم الامور ويقال
استلطفوه بقولهم مسنا واهلنا الضر ثم ذكروا بعد ذلك حديث قلة بضاعتهم
في الامر ويقال لما نظروا الى فقرهم نطقوا بقدرهم فقالوا جئنا ببضاعة مزجاة
ولما شاهدوا قدر يوسف سألوا على قدره فقالوا اوف لنا الكيل ويقال جئنا
ببضاعة لا يقبل الا بهذه الحضرة فاوف لنا كيلا يليق بفضلك لا بفقرنا وكرمك
لا بعدمنا ثم تركوا هذا اللسان وانقلبوا من هذا العنوان وقالوا في معرض البيان
تصدق علينا نزلوا اوضع منزل في حصول هذا الشأن كانهم قالوا ان لم نستوجب
معاملة البيع والشراء فلقد استحققنا بذل العطاء وعلى الله المكافاة والجزاء
فان قيل كيف قالوا وتصدق علينا وكانوا انبياء ولا تحل لهم الصدقة قيل
لم يكونوا في ذلك الوقت بعد انبياء او لعله في شرعهم كان لا تحرم الصدقة على
اولاد الانبياء او ارادوا ان من ورائنا من تحل له الصدقة فحينئذ هم يتهيبون
كلهم برية قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف اي قبح فعلكم به واخيه اي وما فعلتم باخيه
من افراده عنه واذلاله في احواله من ادباره واقباله اذ انتم جاهلون قبحه او عاقبته
قاله على طريق النصيحة حملا لهم على التوبة لا للمعاتبة والمعاقبة وافاد الاستاذ ان يوسف
قال لهم انسيتم كلامكم واكثرتم مرامكم فما كان في السنتكم الا ذكر ضرركم فلا يخطر في ضميركم
حديث اخيكم ويقال ان قوله لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف في باب العتاب اعظم
من كل عقاب حيث اخجلهم مشافهة ويقال لما اخجلوا بهذا العتاب لم يرض يوسف حتى

بسط

بسط عذرهم في هذا الباب بقوله اذ انتم جاهلون حيث لم يكن له غير هذا الجواب قالوا
أئنك لانت يوسف استفهام تقرير وتحقيق للمرام ولذلك اكد بان واللام
ويؤيده قراءة ابن كثير بلفظ الاخبار ومعنى الاعلام واختلف فيما عرفوه به من الاعلام
قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه وتفخيما لامره وتوبيخا لغيره
وادخالا له في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة من غير الملامة انه من يتق
وقرأ البزي يتقي باثبات الياء على لغة والمعنى من يخف الله بترك المعصية ويصبر
على الطاعة وفي البلية فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي منا ومن سائر المؤمنين
قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك من بيننا بجمال الصورة وكمال السيرة
وان كنا لخاطئين والحال ان شأننا انا كنا فاعلين للخطيئة الموجبة للقطيعة
قيل المعنى اختارك وقدمك علينا بحسن التوفيق والعصمة وترك المكافاة على الاسائة
وان كنا لخاطئين لمسيئين اليك فقابلت اساءتنا اليك بالاحسان الينا بما تفضل
عليك ذكره السلمي قال لا تثريب لا تعيير ولا تعييب عليكم اليوم اي في يوم الوصل او
في وقت الفضل وقال جعفر الصادق لا عيب عليكم فيما عملتم لانكم مجبورون عليه
وذلك في سابق القضاء عليكم ذكره السلمي يغفر الله لكم دعاء لهم بالمغفرة تصريحا
وبالمرحمة تلويحا حيث قال وهو ارحم الراحمين فيغفر المذنبين ويتفضل على
التائبين وافاد الاستاذ عن ابا القسم القشيري انه سمع الاستاذ بالاستحقاق
ابا علي الدقاق يقول لما قال يوسف انه من يتق ويصبر احال في استحقاق
الاجر على ما عمل في الصبر انطقهم الله حتى اجابوه بلسان التوحيد فقالوا تالله
لقد آثرك الله علينا يعني ان هذا ليس بتقويك وصبرك انما هو باختيار الله اياك علينا
فيه تقدمت علينا لا بجهدك وجدك فقال يوسف على جهة الانقياد للحق لا تثريب
عليكم اليوم اسقط عنهم اللوم لانه كما لم يرتقوه في نفسه حيث نبهوه عليه لم ير جفاءهم
منهم فنطق عن عين التوحيد واخبر عن شهود التقدير وافاد الاستاذ ان يوسف
اسرع التجاوز عنهم ووعد يعقوب الاستغفار لهم بقوله استغفر لكم ربي
لانه كان اشد حبا لهم فعاتبهم واما يوسف فلم يرهم اهلا للعتاب فتجاوز
عنهم في حال الخطاب ويقال لما اصابهم في الحال من الخجلة قام مقام كل عقوبة
ولذا قيل في المثل كفى للمقصر الحياء يوم اللقاء اذهبوا بقميصي هذا اي القميص الذي
كان عليه او القميص الذي كان لديه مما جاء جبرئيل اليه فالقوه على وجه ابي
يأت بصيرا يرجع ذا بصر او يصر مبصرا واتوني انتم وابي على تغليب المخاطبين
باهلكم من نسائكم وذراريكم ومواليكم اجمعين كلكم او مجتمعين وافاد الاستاذ
انه لما كان سبب البلوى والعمى قميص يوسف يكون سبب خلاصه ايضا من التأسف
ولما فصلت العير انفصلت القافلة بان خرجت من مصر وفارقت عمرانها قال ابوهم

لمن حضره اى لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون تنسبونى الى الفند وهو نقصان
عقل يحدث من هرم وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتمونى قالوا تالله انك لفى ضلالك
القديم لفى ذهابك عن الصواب قديما بالافراط فى محبته وفكره والاكثار ذكره وتوقع لقائه افاد
الاستاذ انه مادام البلاء مقبلا كان امر يوسف وحديثه على يعقوب مشكلا فلما زالت المحنة
انقلبت الحالة ورجعت المنحة ويقال كان يوسف عن يعقوب على اقل من مرحلة حيث القوه
فى الجب فاشتبه عليه خبره وحاله ولما زال البلاء وجد ريحه وبينهما مسافة ثمانين فرسخا من
مصر الى محله ويقال انما انفرد يعقوب بوجدان ريح يوسف لانفراده عند فقده بوصف
التأسف ويقال انما وجد ريح يوسف من وجد على فقد يوسف فان ريح الاحباب لا تشم
الا الاصحاب ومسائلة الرياح ومخاطبة الاطلال سنة ارباب الاحوال ومن معنا انشدوا
وانى لاستهدى الرياح نسيمكم • اذا اقبلت من نحوكم بهبوب • واسألها حمل السلام اليكم
فان هى يوما بلغت فاجيبوا • فاستعمال لفظ الريح ههنا توسع كما يقال هبت ريح النصرة
او الفتنة وفى تفسير السلمى قال جعفر الصادق ان ريح الصبا سألت الله تعالى ان يبشره
بابنه فاذن الله له فى مقصده فكان يعقوب ساجدا فرفع رأسه شاهدا فقال انى
لاجد ريح يوسف فقال له بعض اولاده انك لفى ضلالك القديم اى فى حبك القديم
فكان الريح ممزوجا بالعناية والشفقة والرحمة وبزوال النقمة والمحنة والرحمة وكذا المؤمن
برتبة المتحقق فى جنته يجد ريح نسيم الايمان فى قلبه وروح العرفان فى روحه وسرور الرضوان
فى سره لما سبقت له من السعادة الحسنى والعناية العظمى فلما ان جاء البشير اى
يهودا لما راى انه قال كما حزنته بحمل قميصه الملطخ اليه افرحه بحمل هذا والقاه عليه القاه
على وجهه اى طرح البشير على وجه يعقوب او يعقوب نفسه لتقر عينه ويزداد نسيم
فيكثر روحه ويزيد فتوحه فارتد اى رجع وصار بصيرا لما انتعش فيه من نسيم الوصال وروحه قال
الم اقل لكم انى اعلم من الله ما لا تعلمون من وصال يوسف وزوال التأسف قالوا يا ابانا استغفر لنا
ذنوبنا انا كنا خاطئين واقعين فى الخطيئة فاطلب لنا المغفرة وقال السلمى ازل اسم العقوق
منا باظهار الرضا عنا وافاد الاستاذ ان كل انسان وهمته من الشأن فتمتع يعقوب ويوسف
فى السرور والاستبشار واخذ اخوة يوسف فى الاعتذار وطلب الاستغفار كما قيل
فوائد قوم عند قوم شدائد قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم بى اذ من
رجع اليه وتاب عليه روى انه آخره الى السحر بعد اداء العبادة او الى ليلة الجمعة تحريا بالوقت
الاجابة او الى ان يعلم استحلالهم من يوسف فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده
ما فى تفسير السلمى قال ابن عطاء ان يعقوب قال ارجعوا الى يوسف فاسألوه
ان يجعلكم فى حل ثم استغفر لكم فان الذنب بينه وبينكم فلما دخلوا على يوسف اوى
اليه ابويه اى ضم اباه وخالته وكانت ايضا دايته وقد تزوجها ابوه بعد امه
فاعتنقهما وعظم شأنهما وقدمهما ومن كان معهما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله

آمنين

آمنين من القحط واصناف المضرة والمشية متعلقة بالدخول الموصول بالامنية
والدخول الاول كان خارج البلد حتى استقبلهم الولد مع من معه من حشمه وخدمه
وسائر العظماء من الملك وصحبة الوزراء روى انه كان اولاد يعقوب واحفاده يوم دخلوا
مصر اثنين وسبعين رجلا وامراة وصاروا ليلة خرجوا مع موسى ستمائة الف
وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا مقاتلا سوى الذرية والهرمى والمرضى ورفع ابويه
على العرش سريره الخاص به وخروا اى ابواه والاخوة له سجدا تحية وتكرمة وكان
جائزا عندهم فى الشريعة او معناه خروا سجدا لله شكرا لما ولاه او على حياة يوسف
ولقائه وافاد الاستاذ انهم اشتركوا فى الدخول ولكن تباينوا فى حال الايواء ومقام
الوصول فانفرد الابوان بالايواء لبعدهما من الجفاء كذلك غدا اذا وصل المؤمنون
الى دار الغفران يشتركون فيه فى وجود الجنان وشهود الرضوان ولكنهم يتباينون
فى بساط القربة فيختص به اهل الصفاء والوفاء دون من اتصف
اليوم بالجفاء والالتواء وقال يا ابت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا
صدقا وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن اى من الحبس الشامل للجب او من السجن
تصريحا ومن الجب تلويحا وقال الصادق ولم يقل من الجب وهو اصعب لانه لم يرد
مواجهة اخوته باللوم بعد ان قال لهم لا تثريب عليكم اليوم وقال ابن عطاء الحكمة
فيه ان السجن اختاره لنفسه بقوله رب السجن احب الى والجب كان موضع اضطرار
ولم يكن فيه شئ باختياره وبالاختيار آفات بخلاف الاضطرار فشكر الله على تخليصه
من فتنة اختياره لنفسه وقال بعضهم معناه اذ اخرجنى من السجن حين استجرت
الى غيره ولم يكلنى الى من استجرت الى امره وافاد الاستاذ انه ذكر حديث السجن
دون البئر لطول مدة السجن وقلة مدة البئر وقيل لان فيه تذكير جرم الاخوة المتضمن
للتعيير وجاء بكم من البدو اى البادية فانهم كانوا اصحاب الماشية من بعد
ان نزغ الشيطان افسد وحرش بينى وبين اخوتى ان ربى لطيف لما يشاء
فى تدبيره اذ ما من صعب الا ويسهل عند معرفة المشية بتقديره وقال الاستاذ
فبلطفه عصمنى وعصمهم حتى لم يقتلونى انه هو العليم بوجوه مصالح خلقه الحكيم الذى
يفعل كل شئ على ما يقتضى حكمته وحكمه رب قد آتيتنى من الملك اى بعضه وهو
وقال ابو عثمان الملك هو الرضا بما كان جرى عليه القضاء من خالق الضراء والسراء
وقيل هو القناعة وتوفيق الطاعة وعلمتنى من تأويل الاحاديث اى بعض تفسير
الكتب الالهية وتعبير الرؤيا المنامية وافاد الاستاذ ان التأويل للخواص
وتفسير التنزيل للعوام وان الملك على الحقيقة صفاء الخلق مع الخليقة ويقال
الملك الذى اشار اليه يوسف ملكه فى الظاهر من حيث الولاية والامارة وملكه على
نفسه حتى لم يعمل بما هم به من زلة النفس الامارة اقول وهذا هو الولاية الحقيقية

بخلاف الاولى فانها الولاية المجازية الاضافية الوارد فيها نعمت المرضعة وبئست الفاطمة
اذ اولها ملامة وآخرها ندامة فاطر السموات والارض مبدعهما ومخترعهما ومبدئهما وانتصابه
على انه صفة المنادى وتبعه او منادى برأسه انت وليى متولى امرى فى الدنيا والآخرة
فيما قدر لى من النعمة والمضرة توفنى مسلماً كاملا ومستفادا شاملا لان اكون عاملا عاملا والحقنى
فى الرتبة والكرامة بالصالحين من ارباب النبوة والولاية وافاد الاستاد ان قوله فاطر
السموات والارض ثناء وقوله توفنى دعاء فقدم الثناء على الدعاء فانه صفة اهل الولاء
وقوله انت وليى اقرار بقطع الاسرار عن الاغيار ويقال معناه انت الذى تتولانى
فى الدنيا بعرفانك وفى العقبى بغفرانك فليس لى فى الدارين غيرك وقوله توفنى مسلماً
قيل سأل الوفاة لانه علم انه ليس بعد الكمال الا الزوال يعنى الا الكمال المتعال الذى لا يزال
بلا زوال ويقال من امارات الاشتياق فى حالة المحبة تمنى الموت على بساط العافية وتمام
المنحة مثل يوسف القى فى الجب فلم يقل توفنى واقيم فيمن يزيد فلم يقل توفنى وحبس فى السجن
فلم يقل توفنى فلما تم له الملك والفضل واجتمع الشمل قال توفنى فعلم انه كان مشتاقا
الى لقاء المولى وسمعت الاستاذ ابا على الدقاق يقول قال يوسف لابيه قد علمت
انا نلتقى فى الآخرة بعد الموت والفناء فلم بكيت كل هذا البكاء فقال يا بنى ان هناك
طريقين خفت ان تسلك طريقا واسلك طريقا فقال يوسف عند ذلك توفنى
مسلما والحقنى بالصالحين ذلك ما ذكر من نبأ يوسف والخطاب لنبينا عليه السلام
من انباء الغيب نوحيه اليك نوصله عليك وما كنت لديهم عندهم اذ اجمعوا امرهم
وهم فى تبعيد اخيهم عن قرب ابيهم وهم يمكرون بتحذيبهم له لارسال اخيهم وما اكثر
الناس ولو حرصت على ايمانهم بالاستيناس بمؤمنين لعنادهم وانفلابهم كالنسناس
وما تسألهم عليه اى على ابناء الانباء من اجر جعل كما هو طريق حملة علماء الابرار بخلاف
ما يفعله جهلة الاحبار من حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة للعالمين عامة وهداية للعالمين
خاصة وكأين من آية وكم من علامة دالة على وجود الصانع وحكمته وتوحيده وقدرته
فى السموات والارض فى العالم العلوية والسفلية كما قيل وفى كل شئ له شاهد
دليل على انه واحد يمرون عليها على الآيات الآفاقية والانفسية ويشاهدونها ولا
يلتفتون اليها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لغفلتهم عنها
وافاد الاستاذ ان الآيات ظاهرة والعلامات زاهرة وكل جزء من المخلوقات
شاهد على انه واحد ولكن من غمض عينيه لم يستمتع بضوء نهاره وكذلك من قصر فى نظره
واعتباره لم يحظ بعرفانه واستبصاره وما يؤمن اكثرهم بالله فى اقرارهم بوجوده وخلقهم
من كرم وجوده الا وهم مشركون به لعبادة غيره وهو الشرك الاكبر او للعبادة على
قصد الرياء والسمعة وهو الشرك الاصغر قال الواسطى الا وهم مشركون فى ملاحظة
الخواطر والحركات يعنى والتوحيد اسقاط الاضافات وافاد الاستاد

ان الشرك

ان الشرك الجلى يتخذ من دونه سبحانه معبودا والشرك الخفى ان يتخذ بقلبه
عند حوائجه من دونه مقصودا ويقال شرك العارفين ان يتخذوا من دونه مشهودا
او طالعوا سواه موجودا ويقال من الشرك الخفى الحوالة على الاشكال وتجنيس الاحوال
والاخلاد الى الاختيار والاحتيال عند تزاحم الاشغال افأمنوا ان تأتيهم غاشية
عقوبة فى الدنيا تغشاهم جملة او تأتيهم الساعة بغتة فجاءة بدون علامة سابقة
وهم لا يشعرون باتيانها ولا يستعدون لشأنها وقال الاستاذ افامن الذى
اغتر بطول الامهال ان يبتلى بالاستيصال او اغتر بطول السلامة ان يقوم للبلاء
عليه القيامة ويقال الغاشية من العذاب هو نوع من الحجاب يحصل فى القلب
من القسوة اذا قامت الساعة لا يزول بالتضرع ولا يقشع بالتخشع ويقال الغاشية
من العذاب ان يزول عن القلب سرعة الانقلاب الى رب الارباب ومسبب الاسباب
حتى اذا تمادى لصاحبه الغفلة استمكن من قلبه القسوة ويقال اذا قامت الساعة اغلق
باب التوبة كذلك العبد يستقبله فى هذه الطريقة ما يوجب قنوطه من الاوبة كما قيل
قلت للنفس ان اردت رجوعا • فارجعى قبل ان يسد الطريق • قل هذه الطريقة وهى
الدعوة الى الحقيقة من توحيد رب العباد واعداد الزاد للمعاد ادعوا الى الله حجة وقربه
على بصيرة بينة لائحة وحجة واضحة انا ومن اتبعنى ادعوانا واتباعى من غير مخالفة وفيه
ايماء الى انه ليس له واتباعه الا الدعوة واما مفتاح الهداية ففى قبضة رب العزة
فى البداية والنهاية قال الواسطى ايقن له انه ليس اليه من الهداية شئ وقال محمد بن على
اى انا على معاينة وكذا من اتبعنى قلبا وقولا وفعلا وافاد الاستاذ ان الدعاء على
البصيرة ان يكون صاحبه ملاطفا بالتوفيق جهرا ومكاشفا بالتحقيق سرا
وسبحان الله انزهه تنزيها عن الشركاء وما انا من المشركين فانى واتباعى منهم
براء وفى تفسير السلمى اى انزه الحق عن ان يصل احد اليه الا به وما انا من المشركين
ان ارى الهداية من غيره وما ارسلنا من قبلك الا رجالا باظهار النبوة وفيه رد
لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة يوحى اليهم كما اوحى اليك وتميزوا عن
غيرهم بذلك وقرأ حفص نوحى اى نحن نوحى اليهم ونظهر الامور لديهم من اهل
القرى لان اهلها اعلم واحلم من سكان الصحراء وقد ورد من بدا جفا افلم يسيروا
فى الارض بالاقدام ولو بالافهام فينظروا فيبصروا ويتبصروا او يتأملوا ويتدبروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين برسلهم حيث كفروا وادبروا
فيحذروا عن تكذيبك ويظفروا بتصديقك او من المشغوفين فى الدنيا المشغولين
بها المتهالكين عليها فينقلبوا عن حبها ويعرضوا عنها الى حب مولاها ولدار
الآخرة بحذف موصوفها من الحيوة او الحالة او الساعة خير للذين اتقوا
باجتناب المعصية واكتساب الطاعة افلا تعقلون ان ما عند الله ابقى واتقى

لمن اتقى وقرأ نافع وابن عامر وعاصم للالتفات بالخطاب او قصد العموم
في هذا الباب حتى اذا استيأس الرسل غاية لجملة مقدرة اي لا يغررهم تمادي ايامهم
في ارتكاب آثامهم فان من قبلهم امهلناهم على حاله حتى آيس الرسل عن
النصر عليهم في دنياهم او يئسوا عن ايمانهم لانهماكهم في كفرهم وطغيانهم وظنوا
انهم قد كذبوا اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة ووعيد
الوعيد وروى البخاري عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم قد كذبوا واخلفوا
فيما وعدهم الله من النصرة فالمراد بالظن ما يهجس في البال من الخطرة على طريق
الوسوسة وفيه افادة المبالغة في طول الامهال مع عدم الاهمال فالآية كقوله
سبحانه مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا
معه متى نصر الله وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم
في ما اوعدوهم من حصول النصرة او حلول العقوبة جاءهم نصرنا في تلك الحالة
فننجي من نشاء من المؤمنين والانبياء متى ما نشاء وقرأ ابن عامر وعاصم
فنجي بالماضي المبني للمفعول ولا يرد بأسنا لا يدفع عذابنا عن القوم المجرمين الذين
تعلق بهم غضبنا وافاد الاستاذ انه سبحانه حكم بانه لا يفتح للمريدين شيئا من الاحوال
الا بعد يأسهم منها كما قال تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته
فكما انه ينزل المطر بعد اليأس فكذلك يفتح الاحوال بعد اليأس منها والرضا بالافلاس
عنها لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء مع اممهم بل في كل قصة من قصصهم
ومنها قصة يوسف واخوته وخصصهم من غصصهم عبرة ما يعتبر به في جميع
الابواب لاولي الالباب لذوي العقول السليمة المبرأة عن الاخلاق الذميمة وافاد
الاستاذ ان في قصة هذه السورة انواع من العبرة منها للملوك في بسط العدل على
الرعية والاحسان الى البرية ومنها لارباب التقوى ان يوسف لما ترك هواه رقاه الله
الى ما رقاه ومنها لاهل الهوى في اتباع الهوى ان زليخا لما اتبعت هواها لقيت
ما لقيت من شدة بلواها ومنها للمماليك في حفظ حرمة السادة كيوسف حيث
حصل له مرتبة السعادة ومنها العفو عند القدرة كما وقع له التجاوز عن الاخوة
ومنها ثمرة الصبر كيعقوب في تحمله على الضر الى ان ظفر بوصول المراد وحصول
الاجر ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن كان تصديق الذي بين يديه موافقا
لما تقدمه من الكتب الالهية ومطابقا لما سبقه من الاحاديث النبوية
الاولية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الامور الدينية والدنيوية اذ ما
من قضية الا ولها مستند معتمد من الآيات القرآنية من غير واسطة
او بواسطة بيان الاحاديث المصطفوية او استنباط العلماء المفسرة
ولذا قال ابن عباس • جميع العلم في القرآن لكن • تقاصر عنه افهام الرجال •

وهدى

وهدى من الضلالة والجهالة للعامة ورحمة ينال بها كل نعمة لقوم يؤمنون
سورة الرعد مدنية خاصة في الدنيا بالسلامة وفي العقبى بالكرامة وهي خمس واربعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم افاد الاستاذ ان بسم الله كلمة سماعها يورث لقوم طلبا
ولقوم هربا فمن سمع بشاهد الرجا طلب وجود رحمته فاذا نالها طرب ومن
سمع بشاهد الرهبة هرب من خوف عقوبته ثم اليه هرب المر اي انا الله اعلم وارى
جميع الورى من قدامهم والوراء ووراء الورى مما فوق العرش وما تحت الثرى
تلك اي هذه الآيات آيات الكتاب اي القرآن الجامع للابواب او السورة
الكاملة في فصل الخطاب والذي انزل اليك اي مجموع ما نزل عليك من ربك
اي من عنده بره وجوده الحق هو الثابت الصدق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
لاخلالهم بالنظر ولما سبق عليهم من القضاء والقدر وقال الشبلي ما من
حرف من الحروف الا وهي تسبح بلسان وتذكر بلغة وبيان لكل لسان منها حرف
ولكل حرف لسان وبرهان وهو سر الله في خلقه بالعموم وبه يقع زوائد الفهوم وزيادات
الاذكار والعلوم ذكره السلمي وافاد الاستاذ ان الالف يشير الى اسم الله واللام
الى اللطيف والميم الى المجيد والراء الى الرحيم اي بسم الله اللطيف المجيد الرحيم ان هذه
آيات الكتاب الذي اخبرت المتقدمين اني انزله على محمد الامين وهذا الكتاب
الذي انزل عليك حق وصدق لانه سبحانه انزله على نبيه وحبيبه ولكن اكثر الناس
من الكفار لا يؤمنون فهم الاكثرون عددا والاقلون مددا الله الذي رفع السموات
مبتدأ وخبر بغير عمد اي من دون عماد ولا اعتماد باستناد ترونها اي السموات
مرفوعة كذلك مصنوعة ثم استوى على العرش استواء يليق على الطريق المشروعة
لا على وفق اللغة الموضوعة وسخر الشمس والقمر ذللهما جاريا ومنها من الحركة المستمرة
على غاية من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقاء الموجودات كل يجري لاجل
مسمى لمدة معينة وغاية مبينة بقوله سبحانه واذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت
يدبر الامر امر الملك والملكوت من الايجاد والاعدام وسائر القضايا والاحكام يفصل
الآيات ينزلها مفصلة ويبينها مجملة لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها
فتعلموا ان من قدر على تدبير هذه الاشياء قدر على تدبير الاعادة والجزاء وقال السلمي
لعلكم تيقنون ان الذي يجري عليكم هذه الاحوال لا بد لكم من الرجوع له في المآل وافاد
الاستاذ انه سبحانه دل على ذاته وصفاته بما اخبر به من آياته ومن جملتها رفع السماء
وليس تحتها عماد يشدها ولا بجنبها سناد يسدها وقد اخبر في آية انه زين السماء
بكواكبها وحسن الارض بجوانبها ومناكبها واستوى على الارض استواء قهر وتسخير
ومعناه انه استوى على ملكه استواء قدرة وتدبير وسخر الشمس والقمر كل يجري في فلك
ويدل كل جزء من ذلك انه فعل ملك مالكه غير مشترك وهو الذي مد الارض بسطها

بالطول والعرض لينبت عليها الاقدام ويتقلب فيها الانام وجعل فيها رواسي جبالا
ثوابت جمع راسية والتاء للمبالغة وانهارا تثمر اشجارا وازهارا نظهر اثمارا قال بعضهم
كما جعل فيها اوتادا من اوليائه وسادة من عبيدهم والبهم الملجاء لمن ضرب في الارض
بقصدهم فاز وطاب ومن كان سعيه بغيرهم فهلك وخاب ذكره السلمي ومن كل
الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات
صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير ونحو ذلك
يغشي الليل النهار يلبسه مكانه ويغير شانه ويعين زمانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان
مضيئا ومضيئا بعد ما كان مظلما وقرا حمزة والكسائي وشعبة بالتشديد للمبالغة
والتاكيد ان في ذلك المذكور من المصنوعات لآيات دلالات وعلامات على
فعل واجب الوجود من ذات المستجمع لكمال الصفات لقوم يتفكرون في تكون
الموجودات وتخصيصها بالكميات والكيفيات واختلاف الاوقات وفي الارض
قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة
مع اشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها بتوسط ما يعرض لها من
الاسباب السماوية ففيه رد على الحكماء الطبيعية وجنات من اعناب وزرع
ونخيل اي وفيها بساتين من انواع الاشجار المثمرة لاصناف الازهار والاثمار
ولعل تخصيص الاعناب والنخيل باعتبار كثرة وجودها في بعض الديار وتوحيد
الزرع لانه مصدر في اصله وقلة اختلاف المقصد في مورده ومصدره
وقرا ابن كثير وابو عمرو وحفص برفعهما عطفا على جنات وقطع متجاورات
وعلى هذا الخلاف صنوان وغير صنوان اي نخلات اصلها متحد ومتفرقات
اصلها يسقى بماء واحد اي يسقى المذكورات بمادة واحدة في الكل وقرا
عاصم بالتذكير على تاويل ما ذكر ونفضل بعضها على بعض في الاكل اي في
الثمر صفة وقدرا ورائحة وطعما ولونا وطبعا مع ان اجزاءها متماثلة وابعاضها
متشاكلة وقرا حمزة والكسائي يفضل على طبق يدبر الامر ان في ذلك
لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والفكر قال السلمي روي
عن النبي عليه السلام انه قال العاقل من عقل عن الله امره وقال الواسطي العاقل
ما عقلك عن المخازي وان تعجب يا محمد ايها المخاطب من انكارهم البعث
فعجب قولهم خبر ومبتدا اي فقولهم حقيق بان يتعجب منه فان
الآيات المعدودة على الطريقة المشهودة بجملتها الموجودة دالة على وجود
المبداء الحقيقي المفيدة للتوحيد الالهي حيث يبدئ ويعيد ففيها شهادة
على تحقق الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وسائر صفاته
وقبول المواد لانواع تصرفاته وقال الاستاذ اي فهذا موضع ان يتعجب منه الخلق

والعجب

والعجب لا يجوز في صفة الحق لان التعجب هو الاستبعاد وهو لا يستبعد شيئا
مما اراد وحسن ما قالوا انما عجب من تعجب فان من لم يشهد عيون بصيرته لم يتعجب
من شيء صدر عن قدرته وقوم اطلقوا اللفظ بان هذا من باب الموافقة اي المشاكلة
والمقابلة اي انك ان تعجبت فهذا عجب موافقة لك في اطلاق هذا لا يجوز وان كان
فيه اشارة لطيفة اذ الادب هو السكوت عن مثل هذه العبارة الموهمة ولو منيفة
والقوم عبروا عن ذلك بقولهم اعجب العجب قول من لا يجوز في وصفه العجب وان
تعجب فالعجب ثم قوله سبحانه ءاذا كنا ترابا بدل من قولهم او هو مقولهم والعامل
في اذا محذوف دل عليه قوله ءانا لفي خلق جديد والتقدير اذا كنا ترابا نبعث
والمعنى انعود اذا صرنا ترابا فتعجبوا مما لا يقتضي استعجابا فان مبداهم اذا كان
ترابا فلا يبعد ان يصير معادهم ترابا وافاد الاستاذ ان استبعادهم
النشاة الثانية مع اقرارهم بالخلق الاول وهما في معنى واحد موضع للتعجب اذ هو
صريح في المناقضة وكان القوم اصحاب تمييز وتحصيل فالتباس مثل هذا عليهم
موضع العجب فلولا ان الله سبحانه لبس عليهم كما قال فاغشيناهم فهم لا يبصرون
والا ما كان ينبغي لهم ان يخفى عليهم جواز هذا مع وضوحه اولئك الذين كفروا
بربهم اي بقدرته على بعثهم واولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون بانواع
الضلال من غير رجاء خلاصهم وعدم تصور مناصهم او يغلون يوم القيمة باثقال الكمال
اعمالهم واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط
الفصل لتخصيصهم بدوامها وافاد الاستاذ انه سبحانه اخبر انهم وان جروا في فسح
المهلة واغتروا بسلامتهم في الحال لما عليهم من الغفلة ففي مضمار الهلاك ما يجرون
والى سوء المآل ما يصيرون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك
انهم استعجلوا على سبيل الاستهزاء بما هددهم سيد الانبياء من عذاب الدنيا
قبل عقاب العقبى وقد خلت من قبلهم المثلات مضت عقوبات امثالهم من
المكذبين لانبيائهم فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها وافاد الاستاذ
انهم لفرط غيهم استقبلوا بتمنيهم حلول حينهم وكم من اقوام درجوا وكانوا على
مناهجهم ركضوا في ميادين الجهل فعثروا في شكال المقت وان ربك لذو مغفرة
للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم لانفسهم وفي التقييد به دلالة على جواز العفو قبل التوبة
لمن تعلق المشية في حقه بالمغفرة لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن يشاء من الفجار
والآية جامعة بين الوعد والوعيد كقوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم وقد ورد لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا احد العيش
الرغد ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد وقال ابو عثمان انما يرجو المغفرة من الله

من يرتكب الذنوب على خطر وخوف وحذر عنها الا من يقتحم فيها من غير مبالاة بها ذكره السلمي وهذا باعتبار الحالة اللاحقة واما بالبناء على ملاحظة السابقة فكما افاد الاستاذ انه سبحانه يغفر لمن سبق له الحكم بالسعادة والولاية ويعذب لمن سبق له الحكم بالشقاوة والعداوة ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه كعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة من عنده انما انت منذر مرسل للانذار وما عليك الا تبليغ الاخبار والاتيان بما يصح به نبوتك من المعجزات لا بما يقترح عليك الكفار من خصوص الآيات ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم وهو الله سبحانه لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته وسبقت له عناية تعلقت به ارادته وفيه ايماء بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد والا فقدرته ثابتة على وجه الكمال وعلمه محيط للخلق بجميع الاحوال وافاد الاستاذ انه سبحانه انا هم باوضح البرهان واصح البيان فعموا عن شهود الحق وزلت اقدام فكرهم على نهج التصديق فاقترحوا بتمنيهم امورا بعد ما ازيحت عللهم وما ذاك الا لما استولت عليهم غفلتهم ثم قال عز وجل انما انت منذر ليس اليك ولا بك الا الانذار وهو الاعلام بما يتضمن معنى التخويف والحق سبحانه متفرد بالقدرة على الهداية والتعريف الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد اي ما تنقصه وتزداده في الجثة والعدد والمدة واقصى مدة للحمل سنتان عند ابي حنيفة وخمس عند مالك واربع عند الشافعي ونهاية ما عرف من عدده اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقيل خمسة وقيل لا حد له وجاز جعل الفعلين لازمين فما مصدرية واسنادهما الى الارحام مجازية وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا يجوز نقصه قال بعضهم كل شيء بوزن ومقدار ومن لم يزن انفاسه فهو من الغافلين ومن لم يعرف مقداره وقدر عظيم النعمة عنده فهو من المحجوبين عالم الغيب والشهادة السر والعلانية او ما غاب عن العباد وظهر في البلاد الكبير العظيم الشان في صنعته وحكمته المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عن وصف المحدثين وقال السلمي الكبير في ذاته المتعالي في صفاته وقال الاستاذ احاط الحق سبحانه بالمعلومات علما واحصى بالكائنات حكما فلا معلوم يعزب عن علمه ولا مخلوق يخرج من حكمه تعالى قدره عن سمات النقص وتقدس وصفه عن صفات العيب سواء منكم في علمه من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ من الليل مخافة ظهور الويل وسارب بالنهار اي ظاهر لكل ناظر وهو عطف على من وقيل على مستخف والآية مقررة لكمال علمه وشمول حكمه وقال الاستاذ سيان منكم من خاطبنا بوصف الدعاء جهرا ومن خاطبنا بقلبه ببيان النجوى سرا فان لكل واحد منهما اجابة منا في الدعاء اذا ساعده المشية والقضاء ويقال سواء منكم من اخفى ما به من الحال اشفاقا وغيرة واخفاء من الرقيب لكيلا يطلع على سره ومن كان مغلوبا يجهر ويبدي ما به لا باختياره او لانه لا يشهد غيرا في العيان فيتكلف

الكتمان

الكتمان او يكون النطق موجودا منه وهو في ذلك مأخوذ عنه او يكون مستنطقا لا اخبار عما يبديه بل الحق سبحانه ينطقه بذلك ويجريه فالكل منهم لا اصل ومبني وهو صاحب معنى وكذلك سواء في علم الله ورؤيته وسمعه المستسر والذي يجهر والذي يكمن والذي يظهر فالبصر للكل متناول العلم للجميع شامل له لمن اسر او جهر او استخفى او ظهر معقبات ملائكة تعتقب في حفظه والتاء للمبالغة او للارادة للجماعة من بين يديه ومن خلفه من جوانبه يحفظونه من المضار له او يراقبون احواله من امر الله اي بامره او ارادته كما قضاه او من اجل امر الله وقد قرئ به وقال ابن عطا الاسباب تحفظك من امره فاذا جاء القضاء خلى بينك وبينه وكيف يكون محفوظا من هو غير محفوظ من حافظه والمحفوظ على الحقيقة من هو محفوظ بالحافظ الحقيقي ذكره السلمي وافاد الاستاذ ان الكفاية في قوله له معقبات راجعة الى العبد اي لله وكل بكل واحد منهم معقبات وهم الملائكة الذين يعقب بعضهم بعضا بالليل والنهار يحفظون هذا المكلف او هذا العبد من امر الله اي البلاء الذي قدره الله يحفظونهم من امر الله وذلك ان الله سبحانه وكل لكل من الخلق ملائكة يدفعون عنهم البلاء اذا ناموا وغفلوا ولا يقف عليه كثير احد فاذا نام العبد يحفظه الملائكة واذا انتبه وقام ومشى وفي جميع احواله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال السنية بالاحوال الدنية واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له لان خلاف مراد الله محال وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع السوء عنهم قال القاسم اذا اراد الله هلاك قوم حسن في اعينهم موارد هلاكهم حتى يمشوا اليه بارجلهم وتدبيرهم وهو الذي اتى بهم ذكره السلمي وافاد الاستاذ انهم اذا غيروا ما بهم من الطاعة غير الله بهم ما منه من المنة والاحسان والنعمة واذا كانوا في نعمة فغيروا ما بهم من الشكر بالعبادة فان الله يغير عليهم ما من به من الانعام والسعة فيسلبهم من ذلك ما وهبهم واذا كانوا في شدة فلا يغير ما بهم من البلية حتى يغيروا ما بانفسهم من السكون والسكوت واذا اخذوا في التضرع واظهروا العجز فيهم غير ما بهم من المحنة بالتبديل والتحويل ويقال اذا غيروا ما بالسنتهم من الذكر غير الله ما بقلوبهم من الحضور فابدلهم به النسيان والغفلة فاذا كان عبد في بسط وتقريب وكشف بالقلب ووقت وترحيب فالله لا يغير ما بهم حتى يغيروا ما بانفسهم بترك ادب او اخلال بحق او المام بذنب ويقال لا يسلب ما قدره سبحانه لعبد من نعمه الظاهرة والباطنة حتى يترك ويغير العبد ما هو به من الشكر والحمد على النعمة فاذا قابل النعمة بالكفران وابدل حضور القلب بالنسيان وما يطيع بدنه من العصيان ابدل الله كل ما به من النعمة بالحرمان والخذلان وسلب ما كان يعطيه من الاحسان واذا اراد الله بقوم بلاء وفتنة فما تعلقت به المشية يجري لا محالة ويقال اذا اراد الله بقوم سوءا قرر في اعينهم حتى يعملوا ويختاروا ما فيه بلاء وهم يمشون الى هلاكهم

بقدمهم وفي الحقيقة يسعون بهمهم كما قيل ٭ الى حتفي مشى قدمي ٭ ارى قدمي اراق دمي ٭
هو الذي يريكم البرق خوفا من اذية المطر ومضرته وطمعا في اغاثته ومنفعته وقال ابن عطا
خوفا للمسافر وطمعا للمجاور وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وافاد الاستاذ
انه سبحانه كما يريهم البرق في الظاهر فيردهم بين خوف من احتباس المطر وطمع في مجيئه
كذلك يريهم البرق في اسرارهم بما يبدي فيها من اللوايح ثم اللوامع ثم كالبرق في الضياء من
الطوالع وهذه انوار المحاضرة ثم انوار المكاشفة خوفا من ان ينقطع ولا يبقى وطمعا في ان
يدوم ولا يفنى فيرتقي صاحبه عن المحاضرة الى المكاشفة ثم من المكاشفة الى المشاهدة ثم الى
الوجود ثم من دوام الوجود الى تمام الخمود وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال
جمع ثقيلة وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع وافاد الاستاذ انه اذا
تشاورت السحابة في السماء اظلم في الوقت الجو للخلاء ولكنه يعقبه بعد ذلك ضحك الرياض
ولم تبك السماء لم يضحك الرياض ولم تمتلي الحياض كما قيل ٭ وما ثم في السماء ثكلى
والارض من تحتها عروس ٭ كذلك ينشأ في القلب سحابة الطلب فيحصل تردد الخاطر
في القلب ثم يلوح وجه التحقيق فيضحك الروح بفنون راحات الانس وصنوف ارباب
القرب ويسبح الرعد قيل سامعوه وعن ابن عباس انه سئل النبي عليه السلام فقال
ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق به السحاب بحمده اي معه او ملتبسا
والملائكة من خيفته اي من خوف الله وعظمته وقيل من خشية الرعد وهيبته ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله في صفاته من كمال العلم
والقدرة الازلية والتفرد بالالوهية وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة والمعاقبة
لاعدائه وقيل انه مثل في القوة والقدرة كقوله عليه السلام فساعد الله اشد
وموساه احد وافاد الاستاذ ان الصواعق في الحقيقة هي الفترات في هذه
الطريقة فيصيب بها من يشاء من عباده ان يقع في الفترة ويغفل عن الفطرة له دعوة
الحق اي الدعاء الحق والنداء الصدق فانه الذي يحق ان يعبد ويليق به ان يسجد
او يدعى الى عبادته دون غيره من خليقته او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب
وما خسر داعيه وما خاب والحق بمعنى الثابت المستقل ضد الباطل المضمحل او الحق
هو الله وكل دعا اليه دعوة الحق قال ابن عطا اصدق الدعاوي دعاوي الحق
لمن اجاب داعي الحق بلغه الى الحق ومن اجاب داعي النفس رمى به الى
الهلاك المطلق والضلال المحقق وقال بعضهم داعي الحق من يدعو بالحق الى الحق
وقال جعفر الصادق من دعا النفس فالى نفسه دعا وهو الكفر والضلال وافاد
الاستاذ ان داعي الحق صارخة في القلوب من حيث البرهان فتدعو العبد
بلسان الخاطر في البيان فمن استمع اليها بسمع التفهم استجاب ببيان العلم
وفي مقابلتها داعي الشيطان وهي هاتفة بالعبد بتزيين المعاصي الموجبة للعبد

لمن اصغى

من اصغى اليها بسمع الغفلة استجاب بصوت الغي والضلالة وسهما داعي
النفس من الجهالة وهي قائدة للعبد بزمام الحظوظ ومانعة له من قيام الحقوق فمن ركن
اليها دون حظها في جميع الباب وقع في الحجاب ومن الدواعي داعي الحق لا بواسطة
ملك ولا بدلالة عقل ولا باشارة علم ونقل فمن اسمعه الحق ذلك استجاب لا محالة
بالله لله والذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لاشارة المقام اليه ولدلالة
قوله من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من المطلوبات الا كباسط كفيه الا
استجابة كاستجابة من بسط كفيه مائلا الى الماء في بئر عميق او مكان سحيق
داعيا اياه ليبلغ فاه ليصل الماء فيه ويسكن عطشه وهو يبالغ في طلبه منه ان
يبلغه وما هو ببالغه اي ليس الماء بواصله ولا بحاصله فانه جماد لا يشعر بندائه
ولا يقدر على اجابة دعائه وهذا تمثيل من الله لما سواه من شركائه وما دعاء الكافرين
الا في ضلال اي ضياع وخسار اذ ليس في الدار غيره ديار وافاد الاستاذ ان
هواجس النفس ودواعيها ثم عوالي ما في الطريقة شرك وذلك لشهودك شيئا منك
وحسبانك امرك وتعرجك في اوطان الفرق والعمى عن حقائق معنى الجمع ولله يسجد
من في السموات والارض من الملائكة والمؤمنين طوعا حالتي الشدة والرخاء
وكرها من الكفرة والمنافقين حال البلاء والرجاء قال جنيد العارف بالمعرض كرها وظلالهم
تبعا لهم بالغدو والاصال ظرفي الايام او المراد بهما الدوام او حال من
الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص فيهما اظهر من غيرهما
والغدو جمع غداة وهي اول النهار والاصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب
وقيل المراد بالسجود الانقياد لاحداث ما اراد من العباد شاؤوا او كرهوا وافاد
الاستاذ ان الكافر يسجد حالة الضرورة تواضعا مختارا طايعا ولكن لما كان سجوده
لطلب كشف الضر قال الله انه يسجد كرها فعلى مقتضى هذا كل من يسجد لابتغاء عوض
او لدفع شر او كشف محنة فهو ممن يسجد كرها والساجد طوعا من يسجد لاجل الامر
لا لملاحظة عوض او اتقاء محنة وعزيز ذلك ويقال السجود على قسمين ساجد بنفسه
وساجد بقلبه فسجود النفس هو المعهود وسجود القلب من حيث الوجود وفرق بين من يكون
بنفسه ساجدا وبين من يكون بقلبه واحدا واعزهم من جمع بين الوصفين فيكون
ساجدا بنفسه وواحدا بقلبه ويقال الكل يسجدون لله اما من حيث الافعال بالاختيار
واما من حيث الاحوال بنعت الانكسار او الاستبشار وسجود الاحوال من حيث
الدلالة على الوحدانية وكل جزء من عين او اثر فعلى الوحدانية شاهد وعلى هذا المعنى
لله ساجد وسجود الظلول من حيث الشهادة على قدرة الصانع واستحقاقه بصفات
الجمال والجلال والكمال قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما ومربي
اهلهما قل الله اذ لا جواب سواه قل افاتخذتم من دونه اولياء اكرهم عما يعدون اكرامهم

فان اتخذهم اولياء من غير مواليهم اسشنة منكر صدر منهم لعدم عقلهم وقلة فكرهم لا يملكون
لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون على جلب نفع اليها ولا دفع ضر عنها فكيف يستطيعون
شيا من ذلك لغيرها وافاد الاستاذ انه التحق في المعنى بهاكل من هو موسوم برقم الحدوث
في انتهاله تملك النفع والضر والخير والشر ومن علق قلبه بما سواه من الانام ساوى من وجه
من عبد الاصنام قل هل يستوى الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والعالم
المحقق لطريق السعادة او المعبود الغافل عن اعمالكم والمعبود المطلع على احوالكم وقال
ابو حفص الاعمى من يرى الله بالاشياء ولا يرى الاشياء بالله والبصير من يكون نظره من المكون
الى المكونات وقال الاستاذ اى هل لا يستويان والاعمى من على بصيرته غشاوة وحجبة والبصير
من كحل الحق بصيرة سره بنور الوحدة ام هل يستوى وقرا ابو بكر وحمزة والكسائى بالياء تحت
اى لا يستوى الظلمات والنور ظلمات الشرك ونور التوحيد وافاد الاستاذ ان من جملة
الظلمات السكون فى اوطان التدبير ومن جملة النور الخروج الى ضياء شهود التقدير ام جعلوا
لله شركاء خلقوا كخلقه صفة لشركاء اى شركاء معا فى نعت الانكار فتشابه الخلق اى خلق الله
وخلقهم عليهم على عابديهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء ساحانه خالقين مثله حتى يتشابه
عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها خالق العباد
ولكنهم اتخذوا له شركاء اعجز عن جميع الاشياء فى البلاد قل الله خالق كل شىء لا خالق غيره
فيشاركه فى العبادة كما هم مقرون بهذه العبارة وقد اخبر الله عنهم بقوله ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ما نعبدهم الا ليقربونا الى
الله ... بارئها وافاد الاستاذ ان الخطاب يعنى المتكلم لا يدخل فى الخطاب
اى فى عموم الكلام وهذا مبنى على تجويز اطلاق الشىء عليه سبحانه بمعنى الموجود واما اذا كان بمعنى المشىء
فلا مدخل له فى هذا الباب والله اعلم بالصواب وهو الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب
على كل شىء كما يقتضيه الربوبية وافاد الاستاذ ان الواحد الذى فى فضله غنية عن فضل كل
احد وهو المستغنى عن كل احد والقهار الذى لا يجرى نفس بخلاف حكمه انزل من السماء من جانبها
او سحابها ماء فسالت اودية بقدرها بمقدارها الذى قدر لها او بقدرها فى صغرها وكبرها فاحتمل
السيل زبدا رفعه وهو وسخ الغليان رابيا مرتفعا عاليا ومما يوقدون عليه فى النار يعنى
الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها ذكرها على وجه التهاون بها اظهارا
لكبريائه واشعارا باستغنائه ابتغاء حلية لطلب حلى يقصد الزينة او متاع كالانية والمقصود
بيان منافعها العرفية زبد مثله اى ومما يوقدون عليه يحصل او ينشأ مثل زبد الماء ومن
للتبعيض او الابتداء وقرا حمزة والكسائى وحفص بالياء على ضمير للناس واضماره للعلم به كذلك
يضرب الله الحق والباطل اى مثلهما على حذف مضاف فانه مثل الحق فى تمام افادته ودوام
ثباته بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة وطريق المعدلة
المستقيمة فينتفع به انواع المنافع الدينية والدنيوية وبالفلز الذى ينتفع به فى صوغ الحلية

لتحصيل

لتحصيل الزينة واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم كل منهما مدة متطاولة ومثل الباطل
فى سرعة زواله وقلة نفعه فى ماله بزبدهما كما بينهما بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء جفالا كما
قرئ به اى حال كونه يرمى به السيل والفلز المذاب واما ما ينفع الناس كالماء الخالص
وخلاصة الفلز فيمكث فى الارض ينتفع به اصلها كذلك يضرب الله الامثال اى للناس
لعلهم يتذكرون وما يعقلها الا العالمون قال الواسطى خلق الله درة صافية فلاحظها بعين
الجلال فذابت حياء فسالت ماء فصفاء القلوب من وصول ذلك المطلب
وضياء الاسرار من نزول ذلك المشرب وقال ايضا انزل من السماء ماء هو القران
فاحتمل السيل زبدا رابيا لحبك لاعمالك وصولك بها على جيرانك واما الزبد
فيذهب جفاء عند اهل التوحيد واما ما ينفع الناس وهو اليقين فى معرفة
الرب فينبت فى ارض القلب وافاد الاستاذ انه سبحانه شبه القران المنزل بالماء
المنزل من السماء وشبه القلوب بالاودية وشبه وساوس الشيطان وهواجس
النفس بالزبد الذى يعلو الماء وشبه الحق بالجواهر الصافية من الاوساخ الردية
كالذهب والفضة والصفر وغيرها وشبه الباطل بخبث هذه الجواهر وان الاودية
مختلفة فى صغرها وكبرها فبقدرها يحتمل الماء فى القلة والكثرة كذلك القلوب
تختلف فى الاحتمال على حسب الضعف والقوة وكان السيل اذا حصل فى الوادى
يحتمل الزبد فيلفظه ويرميه فكذلك القرآن اذا حصل حفظه فى القلب ينفى الوساوس
والهواجس عنها وكان الماء قد يصحبه ما يكدره ولم يخلص بعضه عما يشوبه فكذلك
فهم القران فى قلوب اهل الايمان قد يختلط به النزغات الدنية الشيطانية والخواطر
الردية النفسانية فمن بين صاف وكدر يظهر فى نظر معتبر وكان الجواهر التى
يتخذ منها الاوانى اذا اذيبت خلص من الخبث كذلك الحق يتميز من الباطل
ويبقى الحق ويضمحل الباطل ويبقى الثابت ويفنى الزائل ويقال ان
الانوار اذا تلالات فى القلوب نفت آثار الظلمة فنور اليقين ينفى ظلمة
الشك ونور العلم ينفى تهمة الجهل ونور المعرفة ينفى اثر النكرة ونور المشاهدة
ينفى آثار البشرية وانوار الجمع ينفى آثار التفرقة وعند انوار الحقايق يتلاشى
آثار حظوظ العلائق وانوار طلوع الشمس من حيث عرفان الاثار تنفى ظلمة
الليل من حيث حسبان آثار الاغيار ثم الجواهر الذى يتخذ منها الاوانى
مختلفة فمن اناء يتخذ من الذهب وآخر من الرصاص الى غير ذلك كذلك
القلوب تختلف هنالك وفى الخبر ان لله اوانى وهى القلوب فمريد قاصد
ومحب واجد وعابد خائف وموحد عارف ومتعبد متقشف ومتجهد متصرف
وانشدوا انى معناه الوانها شتى الفنون وانما يسقى بماء واحد من منهل
وقد ورد الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية

خيارهم في الاسلام اذا فقهوا للذين استجابوا لربهم من المصدقين الحسنى اى
المثوبة الحسنى والذين لم يستجيبوا له من المنكرين وهو مبتدا خبره لو ان لهم ما في الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به ليتخلصوا من العقاب ولو للتمني وهو المحال في هذا الباب
اولئك لهم سوء الحساب فقد ورد من نوقش في الحساب عذب ومأويهم
مرجعهم او مثويهم جهنم وبئس المهاد مستقرهم وافاد الاستاد ان الحسنى الموعودة
على الاستجابة قبول استجابتهم وذلك اجل الاشياء عندهم ولا شئ اعز على
المحب من قبول محبوبه منه شيئا والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض
جميعا ثم انفقوا غدا لا يقبل منهم ولهم سوء الحساب ثم مأويهم جهنم بدوام
العذاب افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمى
القلب فلا يستبصره فيستجيب والهمزة لانكار وقوع شبهة في تماثلهما بعد
حصول ضرب امثالهما انما يتذكر اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة المميزة للاشياء
المختلطة وافاد الاستاذ ان الاستفهام بمعنى النفي في هذا المقام اى لا يستوى البصير
والضرير والمقبول بالوصلة والقربة والمردود بالغفلة والحجبة والمؤهل للتقريب
والمعرض للتعذيب والذى اقصيناه عن شهودنا والذى هديناه بوجودنا
انما يتعظ من العقل له موجب ادناء وتشريف دون من عقله سبب اقصاء وتعنيف
الذين يوفون بعهد الله بما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بوحدانية ربهم ولا ينقضون
الميثاق ما وثقوه من المواثيق الكائنة بينهم وبين الله وبين عباده فهو تعميم وللكمال تتميم
قال بعضهم الموفون بعهدهم القائمون بشرط العبودية من اتباع الاوامر الشرعية وقال
ابن عطا اى الميثاق الاول في قولهم بلى بانه لا رب لهم غيره تعالى فلا يخافون غيره ولا
يرجون سواه ولا يسكنون الا اليه ولا يعتمدون الا عليه والذين يصلون ما امر الله به
ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع النبيين ومراعاة حقوق المسلمين
قيل هم المتحابون في ذات الله ذكره السلمي وقال الاستاذ اى الذين يصلون انفاسهم
بعضها ببعض فلا تتخللهم نفس لغير الله ولا بغير الله ولا في شهود غير الله ويقال يصلون
سيرهم بسراهم في اقامة العبودية والتبرى من الحول والقوة ويخشون ربهم خشية
تعظيم ومهابة وقال الاستاذ الخشية لجام يقف المؤمن عن الركض في ميادين
الهوى وزمام يجره الى استدامة حكم التقوى ويخافون سوء الحساب من المناقشة
في المحاسبة الموجبة للعقوبة فيحاسبون انفسهم قبل القيامة وقال الاستاذ هو ان
يبدو لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون والذين صبروا على الطاعة وعن المعصية وفي
المصيبة ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لغرض سواه قال ابو عثمان صبروا على المناهى
لا لخوف النازل بسبب النهى وعظمة الناهى وافاد الاستاد ان الصبر يختلف باختلاف
الاغراض التي لاجلها يصير الصابر فالعباد يصبرون لخوف العقوبة والزهاد يصبرون

طمعاً

طمعاً للمثوبة واصحاب الارادة هم الذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وشرط هذا النوع
من الصبر رفض ما يمنع من الوصول واستدامة التقوى عن كل حصول فيدخل فيه
ترك الشهوات والتجرد عن جميع الشواغل والعلاقات فيصبر على القلة والذلة وعن
كل شئ يشغل عن الوصلة ومما يجب عليهم الصبر عليه هو الوقوف على حكم تعزز الحق
فانه سبحانه يتفضل على الكافة من المجتهدين ويتعزز خصوصا على المريدين ويمتحنهم
بالصبر في ايام ارادتهم فاذا صدقوا في صبرهم جاد بتحقيق ما طلبوا عليهم
واقاموا الصلوة التي هي ام العبادات البدنية وانفقوا مما رزقناهم وهو
اصل الطاعات المالية سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف بغنى الحال
او بحسب ما تفق لهم وما يليق بالمنفوع عليهم وافاد الاستاذ ان الاغنيا
ينفقون اموالهم والعباد ينفقون انفسهم فيتحملون نفوسهم فنون الاجتهاد
ويصبرون على اداء الفرائض وقضاء الاوراد والمريدون ينفقون قلوبهم
فيتجرعون كاسات الصبر والصبر كاسه اى المر الى ان يلوح علم من الاقبال
عليهم واما المحبون فينفقون ارواحهم وهى كما قيل الست لى خلفا مني كفى شرفا
فما وراءك لى قصد ومطلوب ويدرؤن بالحسنة السيئة اى يدفعونها بها
فيجازون الاساءة بضدها او يدفعون بالطاعة او التوبة المعصية فيمحونها وافاد الاستاذ
انهم يعاشرون الخلق بحسن الخلق يبذلون الانصاف ولا يطلبون الانتصاف
ان عاملهم احد بالجفاء قابلوه بالوفاء وان اذنب قوم اليهم اعتذروا عنهم
وان مرضوا عادوا غيرهم كما قيل ۰ اذا مرضنا اتينا نعودكم ۰ فتذنبون فناتيكم فنعتذر ۰
اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها في العقبى وهى
الجنة المأوى جنات عدن يدخلونها اى بساتين يقيمون فيها ولا يبغون حولا
عنها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم اى يلحق بهم من صلح من اهلهم
وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لمكانهم وتعظيما لشانهم وزيادة لانسهم في
دخول الجنة لما بينهم من القرابة وحصول الوصلة والقربة وفيه دلالة على ان الدرجة
تعلو بالشفاعة وفي التقييد بالصلاح اشارة الى عدم مجرد الانساب وافاد
الاستاذ سبحانه يكمل النعمة عليهم بان يجمع بينهم وبين من يحبون صحبة من اقاربهم
وازواجهم والخبر ورد بقوله المرء مع من احب فمن كان محبوبه امثاله واقاربه حشر
معهم ومن كان اليوم بقلبه مع الله فهو غدا مع الله وفي الخبر انا جليس من ذكرني
هذا في العاجل واما في الآجل ففي الخبر الفقراء الصبر جلساء الله يوم القيمة
والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب الغرفات او ابواب التحفات
قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة وتمام الكرامة بما صبرتم اى هذا
بصبركم فما مصدرية والباء للمقابلة او السببية فنعم عقبى الدار دار القرار

من غير الاغيار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ما اوثقوه به من القبول والاقرار
وقال بعضهم نقض العهد هو لزوم التدبير والاختيار وترك التفويض والتسليم والاستسلام
بعد ان اخبرك انه ليس لك من الامر شيء وافاد الاستاذ ان من كفر بعد ايمانه نقض
عهد الاسلام في الظواهر ومن رجع الى احكام العادة بعد سلوك طريق الارادة فقد
نقض عهده في السرائر فالمرتد جهرا عقوبته قطع رأسه والمرتد سرا عقوبته قطع سره
ويقال نقض العهد هو الاستعانة بالاغيار ويقال هو الرجوع الى الاختيار والتدبير
بعد شهود الاقدار وملاحظة التقدير ويقال هو ان يقول بتركه لنفسه ثم يعود الى ما قال
بتركه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل اي يوصله من صلاح العباد ويفسدون في
الارض بانواع الفساد في البلاد والله لا يحب الفساد اولئك لهم اللعنة الطرد
والابعاد ولهم سوء الدار اي دار البوار الله يبسط الرزق لمن يشاء يوسعه من فضله
ويقدر يضيقه له او لغيره من عدله او لاجل حكمه في حكمه كما قال تعالى في آية اخرى انه كان
بعباده خبيرا بصيرا قال الاستاذ يبسط الرزق للاغنياء وطالبهم بالشكر ويضيق
على الفقراء وطالبهم بالصبر ثم وعد الزيادة للشاكرين والمعصية للصابرين وفرحوا
اي الكفار والفجار بالحيوة الدنيا بما بسط لهم من الجاه والمال وغفلوا عن تفسيح الحال
في المآل قال الاستاذ فرح الاغنياء بزكاء اموالهم وفرح الفقراء بصفاء احوالهم
وما الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب حيوة العقبى الا متاع متعة لا يدوم لها انتفاع
كعجالة الماشي وزاد الراعي قال الاستاذ فاموال الاغنياء وان كثرت قليل بالاضافة
الى ما وعدهم من وجود افضاله واحوال الفقراء وان صفت قليلة بالنسبة الى
الى ما وعدهم من شهود جماله وجلاله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه
لعدم اعتبارهم بما نزل من قبله قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ايضاح
المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل عليه بقلبه وتاب قال جعفر يضل عن ادراكه
ووجوده من تقصده بنفسه ويهدي الى حقايقه من طلبه به الذين آمنوا اي المهتدون
هم الذين صدقوا وايقنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله بكلام ربهم او بمطلق ذكره انسا به
او بذكر رحمته بعد فكر خشيته او بذكر ادلته الدالة على وجوده ووحدانيته الا بذكر الله تطمئن
القلوب اي تسكن به وتميل اليه ولا تمل عنه وقال الاستاذ قوم اطمأنت قلوبهم
بذكر الله ففي الذكر وجدوا سلوتهم وبالذكر صلوا الى صفوتهم وقوم اطمأنت قلوبهم بذكر الله
لهم فذكرهم الله بلطفه واثبتت الطمانينة في قلوبهم على وجه التخصيص لهم ويقال اذا
ذكروا ان الله ذكرهم استروحت قلوبهم واستبشرت ارواحهم واستأنست اسرارهم
فاذا كان عبد لا يطمئن قلبه بذكر ربه فلخلل في قلبه ولان قلبه من القلوب الصحيحة قلب
ملت وقد قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي قلب سليم كما في قصة ابراهيم
اي سالم عن غير حب الرب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم لهم حالة طيبة في الدنيا

وحسن مآب

وحسن مآب منزلة حسنة في العقبى قال الجديري طوبى لمن طاب قلبه مع الله
لحظة من عمره ورجع بقلبه الى ربه في جميع دهره ذكره السلمي وقال الاستاذ طابت اوقاتهم
فطابت انفاسهم واحوالهم ويقال طوبى لمن قال له الحق طوبى له ويقال طوبى لهم في الحال
ولهم حسن مآب في المآل كذلك مثل ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة جماعة مجتمعة
او معدودة معضودة قد خلت من قبلها امم طوائف مختلفة متعددة فارسلوا اليهم فليس
ببدع ارسالك الى امتك لتتلو لتقرأ عليهم الذي اوحينا اليك اي الكتاب الذي
انزلناه عليك وهم يكفرون بالرحمن الذي علم القرآن فلم يعرفوا رحمته ولم يشكروا نعمته
قل هو اي الرحمن ربي خالقي ومتولي امري ومربي حالي لا اله الا هو لا مستحق للعبادة غيره
عليه توكلت لا على من سواه واليه متاب مرجعي في المآب او رجوعي في كل باب
وقال الاستاذ اي ان كفروا بنا فآمن انت فانك انت المقصود من البرية بحسن
اقبال عليه وجميل النظر اليه كما قيل في هذا المعنى • وكنت اطالب الدنيا بحر • فانت الحر وانقطع الكلام
ولو ان قرآنا عند قرائته سيرت به الجبال حركت به عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت
من خشية ربها او كلم به الموتى فتقرؤه او فتسمعه وتجيب لكان هذا القرآن لانه الغاية
في الايجاز والنهاية في البيان مع الايجاز او لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
الآية بل لله الامر جميعا اي بل له القدرة على كل شيء شاءه وقال الاستاذ لو كان شيء من
المخلوقات يظهر بغيرنا في الايجاد لكان يحصل بهذا القرآن ولكن المنشئ الله والخير والشر
من الله والامر لله فاذا لم يكن شيء من الحدثان بالقرآن والقرآن كلام الرحمن فكيف يكون
شظية وذرة من النفي والاثبات لمخلوق كلا ان ذلك محال افلم ييأس الذين آمنوا
من ايمانهم مع ما رأوا من شدة طغيانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس
جميعا الى طريق ايقانهم او معناه افلم يعلم كما هو قول اكثر المفسرين لما روي ان عليا وابن
عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين اي الم يظهر لهم ان نفي
هدايته بعضهم لعدم تعلق المشية بهدايتهم وقال الاستاذ افلم ييأسوا من ايمانهم وقد
علموا انه من يهده الحق فهو المهتدي ولا يزال الذين كفروا يصيبهم بما صنعوا من المعصية قارعة
واعية تقرعهم وداهية تفزعهم او تحل قريبا من دارهم فيقلقون منها ويضطربون بها حيث
لا مخلص لهم عنها حتى يأتي وعد الله القيامة الصغرى او الطامة الكبرى ان الله لا يخلف الميعاد
اي وعده ووعيده لا في المبدأ ولا في المعاد لامتناع الخلف في اخبار رب العباد وافاد الاستاذ
ان شؤم كفرهم لا يزال واصلا اليهم ولوم فعلهم لاحق بهم ونازل عليهم ولقد استهزئ
برسل من قبلك فيه تسلية لنبيه النبيه وتنبيه على وعيد من وقع فيه فامليت للذين
كفروا اي فامهلتهم لكن ما اهملتهم ثم اخذتهم اي عذبتهم فكيف كان عقاب اي
عقابي اياهم وفيه تعجيب لحسن وقوع التعذيب افمن هو قائم رقيب دائم على كل
نفس بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم واحوالهم ولا يفوت عنده

شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك من شركائهم قال جنيد بالله قامت
الاشياء وبه فنيت وبتجليه حسنت المحاسن وباستتاره قبحت وجعلوا لله
شركاء الاظهر انه عطف على الخبر المقدر اي امن بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء
آلهة نعبدونها مع انها ليس لها الا مجرد شركة الاسماء لا حقيقة لمسمياتها ولجعلهم اياها
شركاء معبودين نزلوا منزلة العاقلين في قوله سبحانه قل سموهم باي اسم شئتم وباي
صفة ذكرتم فانهم لا يستحقون العبادة ولا يستاهلون الشركة فانهم احقر من ذلك واخس
ان يذكروا هنالك فاروني اي تاثير منهم واي نفع لكم فيهم واي ضر يتصور منهم
ام تنبئونه بل تخبرونه بما لا يعلم في الارض من شركاء يستحقون العبادة او من صفات لهم
يستوجبونها لها وهو العالم بالكائنات علويها وسفليها وكليها وجزئيها وقال الاستاذ اتخبرون
ما يعلم الله بخلافه ام بظاهر من القول اي ام تسمونهم شركاء بظاهر من المبني من غير ملاحظة الى
حقيقة المعنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب في غاية من الايجاز
ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم اشتغال من حال الى حال فكانه قال دع ذكر
الدليل فانه لا يفيدهم لانه زين لهم كفرهم ومكرهم فلم يلتفتوا الى الدليل وصدوا عن السبيل
اي منعوا عن سبيل الحق وطريق الصدق وقرأه نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر بفتح
الصاد اي منعوا انفسهم او غيرهم عن الايمان الذي يوجب خيرهم ومن يضلل الله يرد وقوع
ضلالته فما له من هاد احد يقدر على هدايته قال بعضهم زين الله طرق الهلاك في عين من قدر
عليه الهلاك فيراه رشدا ليوصله الى المقضي عليه هناك وقال ابو يزيد اجتنب مكر النفس انه له
فانه اخفى من كل خافية وهو اهلك كل من هلك وقال الاستاذ صاروا مصدودين عن الحق
مسدودة عليهم الطرق فان من اضله الله حكما لا يهديه احد قطعا لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل
والاسر ونحوه ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله اي عقوبته من واق
مانع ولا دافع ولو في بعض مدته مثل الجنة التي وعد المتقون صفة الجنة التي وعد المتقون
بها مبتدأ خبره تجري من تحتها الانهار وهو تمثيل لما غاب عنا بما نشاهدها بالمشاركة الاسمية
لا لحقيقة المساواة في الكمية والكيفية لما ورد من الحديث القدسي والكلام الانسي
اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها كذلك اي كاكلها بقوله وظل ممدود وماء مسكوب
وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وقال الاستاذ اي صفة الجنة التي وعد المتقون
هي انها جنة يدوم اللذات فيها متصلة وانما هما جنتان معجلة ومؤجلة فالمؤجلة ما
ذكره الله سبحانه في نص القرآن والمعجلة جنة الوقت بالجنان فالراحات من حيث
البسط فيها متصلة ونفحات الانس لاربابها بالسرمدية لا مقطوعة ولا ممنوعة تلك
الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم الذي يتم به آمالهم وعقبى الكافرين
النار وهي اولى لهم وفي ترتيب الجملتين ايماء الى احوال الفريقين من اطماع

المتقين

المتقين واقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب كابن سلام من علماء اليهود
وامثاله من الاصحاب يفرحون بما انزل اليك لصدق يقينهم بما رأوا من نعتك
في كتبهم ومن الاحزاب اي وبعض كفرة اهل الكتاب ممن هو وراء الحجاب
من ينكر بعضه بعض المنزل عليك وهو ما لا يوافق ما وجدوه من التورية او ما يخالف
شرايعهم المحرفة قل انما امرت ان اعبد الله وحده ولا اشرك به غيره اليه لا الى
غيره ادعو غيري واليه مآب مرجعي او رجوع امري وهذا مما اتفق عليه الرسل من قبلي
وقال الاستاذ ان العبودية هي المبادرة الى ما امرت به والمحاذرة عما زجرت عنه ثم
التبري عن الحول والمنة والتفرد لا اعتراف بالطول والمنة واصل العبودية القيام
بالوظايف ثم الاستقامة عند لوح اللطايف وكذلك اي مثل هذا الانزال المشتمل
على اصول الاعمال انزلناه اي القرآن حكما حكما عربيا يحكم في القضايا والاحكام
بما يقتضيه الحكمة بحسب اختلاف الانام ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك
اليها ويحثونك عليها بعد ما جاءك من العلم بدائهم ودوائهم ما لك من الله
من ولي يدفع العقاب ولا واق يرفع الحجاب ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
بشرا امثالك لا من جنس الملك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا
كما هي لك فلم يك ذلك قادحا في صحة رسالتهم ولا تلك العلاقات كانت شاغلة
لهم عن عبادتهم وقال الاستاذ ان من اشتغل بالله فكثرة العيال وتراكم الاشغال
لا يؤثر في حاله ولا يضره بنقص كماله ويضعف الاموال بتكثر بكثرة الاشغال
وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتي بآية معجزة تقترح عليه او يحكم
يلتمس منه الا باذن الله بمشيته وامره لكل اجل كتاب لكل وقت حكم يكتب على
العباد على ما يقتضيه الحكمة استصلاحهم عن الفساد قال الصادق للرؤية وقال
ابن عطا لكل علم بيان ولكل بيان لسان ولكل لسان عبارة ولكل عبارة طريقة
ولكل طريقة اهل فمن لم يميز بين الاحوال فليس له ان يتكلم في مقامات الرجال وقال
الاستاذ لكل شيء اجل وهو وقت قسم له وكل اجل مثبت في كتاب الله وهو
اللوح المحفوظ لانه لا تفاوت في علمه ولا اقتيات لاحد على حكمه يمحو الله ما يشاء
ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وحكما او يمحو سيئات التائب
عن ديوان عمله بمقتضى عدله ويثبت الحسنات مكانها من فضله وقيل يمحو
قرنا ويثبت قوما وقرأه نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد للمبالغة
والتاكيد وعنده ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب
فيه وعن ابن عباس يمحو ما يشاء الا الشقاوة والسعادة والحيات والممات
وعن كثير من السلف كعمر وابن مسعود وغيرهم انهم كانوا يدعون بهذا الدعاء اللهم
ان كنت كتبتنا اشقياء فامحه واكتبنا سعداء وان كنت كتبتنا سعداء فاثبتنا

فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب فالمراد بام الكتاب هو علم الله تعالى عن التغيير والتحويل في جميع الابواب وقال سهل يمحو ما يشاء من الاسباب ويثبت الاقدار وقال الواسطي منهم من جذبهم الحق بلطفه ومحاهم عن نفوسهم بنفسه وافاد الاستاذ ان صفات ذات الحق سبحانه من كلامه وعلمه وقوله وحكمه لا تدخل تحت المحو والاثبات وانما المحو والاثبات من صفات فعله فالمحو يرجع الى الاعدام والاثبات الى الايجاد واذا تقرر هذا الحال فللمقال في تفصيل المحو والاثبات مجال فيقال يمحو من قلوب الزهاد ويمحو عن قلوب الموحدين شهود الخلق ويثبت بدله شهود الحق ويمحو آثار البشرية ويثبت انوار الاحدية ويقال يمحو العبد فلا يجري عليه حكم التدبير ويكون محوا تحت جريان احكام التقدير ويقال يمحو انس وقت كان اصفى من اللآلي ويثبت ابدا ما هي اشد من الليالي ويقال يمحو العارفين بكشف جلاله ويثبتهم في وقت بلطف جماله وان ما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك قبل ان اعذبهم والمعنى كيف ما دارت الحال سواء اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبل ما عذبناهم فانما عليك البلاغ التبليغ البليغ فقط وعلينا الحساب للجزاء والعقاب لا عليك شيء في هذا الباب فلا تحتفل بعجابهم ولا تستعجل بعذابهم فانه كائن لا محالة ولا شبهة في هذه المقالة وافاد الاستاذ انه سبحانه نفى عنه الاستعجال امرا وحقق في قلبه انه يوشك ان يجعل الموعود جهرا اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها لما نفتحه على المسلمين من اماكنها وقيل المراد بالارض معمورتها وننقصها باخذ طرفها وتخفها من اهل معرفتها ولذا قيل موت العالم فوت العالم وقال محمد بن علي تخرب الارض بذهاب اهل الولاية من بينهم فلا يكون لهم مرجع الى ولي في نوائبهم ومحنهم فيتواتر عليهم النائبات وتتابع المصيبات فلا يكون فيهم من يكشفها الله بدعائه عنهم فتخرب الكائنات وافاد الاستاذ ان الآية فسرت عند اهل التفسير بموت العلماء وفي كلام اهل المعرفة وانما هي بموت الاولياء الذين اذا اصابت الناس بلاء ومحنة فزعوا اليهم فيدعون ربهم ويكشف البلاء عنهم ويقال هو ذهاب اهل المعرفة حتى اذا جاء مسترشد في طريق الله لم يجد من يهديه الى الله ويقال ننقصها من اطرافها بخراب البلدان قال تعالى كل من عليها فان فموعود الحق خراب العالم وفناء اهله من بني آدم ووعده حق لان كلامه صدق والله يحكم لا معقب لحكمه لا مبطل برده ولا بتغييره والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار والاضمحلال وذلك كائن لا يمكن تغييره لا في الحال ولا في الاستقبال وهو سريع الحساب في جزاء الاعمال على حسب الاحوال قال ابن عطاء احكام الحق ماضية على الخلق فيما ساء وسر ونفع وضر وضل وهدى زاد الاستاذ فلا ناقض لما ابرمه ولا مبرم لما نقضه ولا قابل لما رده ولا راد لمن قبله ولا معز لمن اهانه واذله ولا مذل لمن اعزه واذله وهو سريع الحساب في الدنيا لان اولياءه اذا المّوا بمحظور او هموا بمزجور عوتبوا في الوقت وطولبوا بحسن الرجعى خوفا من المقت وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين من علمائهم فعنده المكر

جميعاً

جميعا اذ لا يؤبه بمكر عند مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره فيعاملهم به ويجازيهم عليه قال الحسين لا مكر ابين من مكر الله لعباده حيث اوهمهم ان لهم سبيل وصول اليه وافاد الاستاذ ان مكرهم اظهار الموافقة مع اسرار كفرهم ومكر الله تعالى بهم توهمهم انهم يحسنون في اعمالهم وحسبانهم ان بهم شيئا من احوالهم وظنهم انه لا يحيق بهم مكرهم وتخليته اياهم مع مكرهم من اعظم مكره بهم ويقول الذين كفروا من المشركين او اليهود لست مرسلا من الحق الى الخلق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الآيات الدالة على كوني من اهل الرسالة ما يغني عن شاهد يبين حالي وحالكم من الهداية والضلالة ومن عنده ام الكتاب علم القرآن وما اشتمل عليه من بيان البراهين على وجه اعجز جميع افراد الانسان او علم التورية وهو ابن سلام واضرابه فانهم يشهدون بما شاهدوا في كتابهم من نعت محمد عليه السلام وصفة كتابه واحوال المؤمنين من اصحابه كما وقع هذا الشرح في آخر سورة الفتح وقال سهل علم الكتاب عزيز والعمل بعلمه اعز والعمل عزيز والاخلاص في العمل اعز والاخلاص عزيز والمشاهدة في الاخلاص اعز والمشاهدة عزيز والموافقة في المشاهدة اعز والموافقة عزيز والانس في الموافقة اعز والانس عزيز والادب في محل الانس اعز

سورة ابراهيم وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاذ قلوب العارفين بالله استرافها وقلوب الوالهين بالله احترافها لهؤلاء ذوق الشراب محبته ولهؤلاء اشواق الى لقاء رؤيته فاصحاب الوصول قالوا بالله حصل من الحادثات ما حصل وارباب الوصول قالوا بالله وصل من الطالبين من وصل الر سبحن مرارا كتاب اي هذه السورة كتاب جامع للاسرار ولباب لامع للانوار انزلناه اليك واحلنا بيانه عليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من نفع دنياهم واخراهم من الظلمات من انواع الضلالة وموجبات التفرقة الى النور الى نور الهداية الموصلة الى انوار التوحيد واسرار المعرفة واطوار الجمعية في مقام التفريد ولا يخفى ان النور في الآية يحتمل الافراد والوحدة والجنس الشامل للكثرة فقد قال جعفر الصادق من ظلمات الكفر الى نور الايمان ومن ظلمات البدعة الى نور السنة ومن ظلمات النفوس الى انوار القلوب وقال الاستاذ من ظلمات الجهل الى نور العلم ومن ظلمات الشك الى نور اليقين ومن ظلمات وجود التدبير الى فضاء نور شهود التقدير ومن ظلمات دعاوي النفوس الى معارف القلوب ومن ظلمات التفرقة الى انوار الجمع ومن ظلمات الابتداع الى نور الاتباع باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله وتحقيقه او بارادته ومشيئته وسابق حكمه وقضيته الى صراط العزيز الحميد بدل من الى النور بتكرير عامله واضافة الصراط الى الله لانه مقصده او مظهره وتخصيصه بالوصفين للايمان الى انه لا يذل سالكه ولا يخيب سائله والمراد به الصراط المستقيم والدين القويم وافاد الاستاذ ان صراط الله هو

بح التوحيد بسوابع التوحيد الله الذي له ما في السموات وما في الارض جملة من مبتداء
وخبر على قراءة نافع وابن عامر بالرفع والباقون بالجر على البدل وويل للكافرين من عذاب
شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج من ظلمات الحجاب الى نور مدرك صوب الصواب
وافاد الاستاذ انه سبحانه عرف الخلق بان الله هو الذي له ما في السموات وما في الارض
فمن عرفه فله المآب المجيد ومن جحده فله العذاب الشديد وذلك العذاب هو جهله بانه هو بعينه
والحجاب اشد العذاب الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارون ويؤثرون
اليسير من حطام الدنيا على الخطير من انعام الاخرى وذلك لشدة ضلالهم وكثرة جهالتهم
حيث لم يعلموا ان الآخرة خير وابقى لمن هو اتقى وانقى ويصدون عن سبيل الله اي يعرضون
عن طريق الحق او يمنعون عنه من قدروا عليه من الخلق ويبغونها عوجا اي يطلبون
لها زيغا وميلا عن الحق ليقدحوا فيها وينسبوها الى الباطل وفي الكلام حذف ايصال
والموصول يحتمل الثلاثة من الاحوال اولئك في ضلال بعيد عن الوصال وعن
حسن الحال في المآل وقال الاستاذ اولئك لهم في الدنيا الا فراق وهو اشد
عقوبة وفي الآخرة الا احتراق وهو اجل محنة ومصيبة وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه الا بلغة قومه الذين هو منهم وبعث فيهم ولو ارسل الى غيرهم ليبين لهم
ما امروا به فيفهموه منه بسرعة ثم ينقلوه لغيرهم بترجمة فيحصل لهم مرتبة الكمال ورتبة
التكميل كما اشار اليه قوله السلام خيركم من تعلم القرآن وعلمه هذا ولو نزل على من
بعث الى امم مختلفة كتب على تلك الالسنة استقل ذلك بزيادة من المعجزة لكن كان
يؤدي الى اختلاف الكلمة وفوت فضل المجاهدة في تعلم المباني ومعرفة المعاني المقتضية
لجزيل المثوبة مع بعد اكثر افراد الامة شرقا وغربا عن تلك الحضرة فافراد اللغة بهذه الملاحظة
رحمة عامة ودلالة على نعمة خاصة ولعل وجه تخصيص هذه اللغة كونها لغة اهل الجنة في
الدار الآخرة مع ما فيه من الاشارة الى ان تحصيل هذه المنزلة من الانتفاع بالآيات
المنزلة ليس بمعرفة اللغة ولا بمجرد العلم والمعرفة فكم من جاهل باللسان حصل له الايمان
والعرفان وكم من عالم بمراتب بلاغة المعاني وفصاحة البيان وقع في مقام الكفران
والخذلان كما يومي الى هذا التبيان قوله فيضل الله من يشاء بخذلانه عن الايمان ويهدي
من يشاء بتوفيقه للعرفان وقال الاستاذ انما كان كذلك ليكون اكد في الزام الحجة
واي نفع ذلك اذا لم يوفقوا لسلوك المحجة فاهل الهداية فازوا بسابقة العناية واهل
الغواية وقعوا في ذل العداوة فلا اعتراض عليه فيما يصنع ولا يسئل عما يفعل لم يفعل
يعني وكذا لم لا يفعل فتامل ولقد ارسلنا موسى باياتنا كاليد والعصا ان اخرج قومك
ان مفسرة لا مصدرية لحملها بالنسبة المعنوية والمعنى كن سببا لاخراج قومك
من الظلمات الى النور اي بدعوتك لهم من ظلمات شكهم الى نور اليقين ومن غفلات
حالهم الى الحضور المبين وذكرهم بايام الله انذرهم وعظهم بوقايع التي وقعت

على الامم المؤتلفة او بنعمائه وبلائه في الايام المختلفة وقال الاستاذ ذكرهم بما
سلف لهم من وقت الميثاق واقرارهم وما رفع عنهم من فنون البلاء في سالف
احوالهم ويقال ذكرهم بما سبق من الصفوة لارواحهم قبل حلولها في
اشباحهم سقيا لهم ولطيبها وحسنها وبهائها ايام لم تلج النوى بين العصا
ولحائها وهي الايام التي كان العبد فيها في كتم العدم والحق يقول بقوله الازلي
عبادي ولم يكن للعبد عين ولا اثر ولا لمخلوق عنه خبر ولا وفاق بعد ولا شقاق
ولا وفاء ولا جفاء ولا جهد للسابقين ولا عناء ولا ورد للمقتصدين ولا بكاء
ولا ذنب للظالمين ولا التواء كان متعلق العلم متناول القدرة مقصور الحكم
على الارادة لا علم له ولا اختيار ولا زلة ولا ارضاء ان في ذلك لآيات لكل
صبار شكور اي للمبالغ في الصبر على بلائه والشكر على نعمائه فانه اذا سمع بما نزل
على من قبله من البلاء وافيض عليه من النعماء اعتبر وتنبه وتبصر لما يجب عليه
من الصبر والشكر او لكل مؤمن فقد ورد ان الايمان نصفان نصفه صبر
ونصفه شكر فيصبر عن المعصية ويشكر بالطاعة على ان حاله لا يخلو عن المحنة
والمنحة وافاد الاستاذ ان الصبار غريق المحن لكنه راض بحكمه لذيذ العيش
بسره وان كان مستوجبا للرحمة عند خلقه والشكور غريق المنن لكنه
محجوب بشهود النعم عن استغراقه في ظهور حقه بل هذا واقف مع صبره
وهذا واقف مع شكره وكل ملازم لحده وقدره والله غالب على امره مقدس
في نفسه متعزز بجلال قدسه واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
اذ انجيكم من آل فرعون اي اذكروا انعام الله وقت انجائه سبحانه اياكم في
اصلاب آبائكم او زمان انجاء اسلافكم يسومونكم سوء العذاب يذيقونكم
اشد العقوبة من الاستعباد والمذلة والاستعمال في الاعمال الشاقة
ويذبحون ابناءكم اظهارا للعداوة ويستحيون نساءكم يتركون بناتكم احياء
للنسل وابقاء للخدمة وفي ذلكم بلاء اي في مجموع ذلك ابتلاء وامتحان
من ربكم عظيم ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء فالمراد بالبلاء النعمة
او الى سوء العذاب فالمراد به المحنة وعلى كل تقدير طولبوا بالصبر وعوتبوا بترك
الشكر وافاد الاستاذ ان تذكير ما سلف من النعمة يوجب تجديد ما سبق
من المحبة وفي الخبر جبلت القلوب على حب من احسن اليها فالحق سبحانه امر موسى
عليه السلام بتذكير قومه عزيز ما سبق اليهم من شرائف انعامه ولطائف
اكرامه وفي بعض الكتب المنزلة على بعض الانبياء المرسلة عبدي انا لك محب
فبحق عليك كن لي محبا ثم امره بان يذكرهم بما كانوا فيه من البلاء العظيم من
فرعون وقومه من ذبح الاولاد والاسترقاق وما كان فيه من صنوف العقوبة ثم

تخليص الحق لهم عن ذلك بعجايب الكفاية واذ تأذن ربكم من كلام موسى
او من قوله تعالى والمعنى اعلمكم ربكم حيث قال لكم لئن شكرتم ما انعمت عليكم بالايمان
والطاعة لازيدنكم النعمة على النعمة والمراد الكثرة او نعم الظاهرة والباطنة او نعم
الدنيا والآخرة ولئن كفرتم نعمكم او قصرتم فى شكركم ان عذابى لشديد فيصيبكم
ومن عادة الكريم ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد قال ابن عطا لئن شكرتم هدايتى
لازيدنكم خدمتى ولئن شكرتم خدمتى لازيدنكم مشاهدتى ولئن شكرتم مناجاتى لازيدنكم
ولايتى ولئن شكرتم ولايتى لازيدنكم رؤيتى وقال الاستاذ اعلم ربكم انكم ان شكرتم
انعامى لازيدنكم من اكرامى وان كفرتم احسانى لاعذبنكم اليوم بامتحانى وغدا بفراقى
وهجرانى ولئن عرفتم قدر افضالى لازيدنكم من وجود نوالى الى شهود جمالى وجلالى
ويقال لئن شكرتم وجود توفيق العبادة لازيدنكم تحقيق الارادة ويقال لئن
شكرتم وجود العطاء لازيدنكم شهود اوصافى او لئن شكرتم صنوف نعمى لازيدنكم
كشوف كرمى ثم لارقينكم الى شهود قدمى ويقال لئن شكرتم تحقق نعمائى لازيدنكم منظر
آلائى او لئن شكرتم لحصول نعمى لازيدنكم مأمول كرمى ويقال لئن شكرتم ما خولتكم
من عطائى لازيدنكم ما وعدتكم من لقائى وقال موسى ان تكفروا انتم ومن فى الارض
جميعا من الثقلين وتخصيصهما لانحصار تصور الكفر فيهما فان الله لغنى عن
شكركم حميد مستحق للحمد فى ذاته ويحمده ملائكته واهل سمواته بل وينطق بنعمه ذرات
مخلوقاته فما ضررتم بكفركم وكفرانكم الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد النعمة وعرضتموها
لشديد النقمة كما جاء فى آية ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى حميد
وقال الاستاذ ان اجتمعتم انتم ومن عاصركم وكل من غاب عنكم وحضركم والذين يقفون
اثركم على ان تكفروا بالله جميعا واحدثتم كل يوم شركا فظيعا ما اوجبتم لعزنا شينا
كما لو شكرتم وآمنتم ما حصلتم لملكنا زينا والحق بنعوته ووصف جبروته على وعن العالم
باسره غنى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود كلام مبتدأ من الله تعالى وقيل
من كلام موسى والذين من بعدهم عطف على ما قبله لا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى
انهم لكثرتهم لا يعلمهم الا خالقهم وقد ورد كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات الواضحات والحجج الظاهرات فردوا ايديهم فى افواههم بان عضوها غيظا
من مجىء انبيائهم وافتضاح احوالهم او ردوها فى افواه انبيائهم يمنعونهم عن انبائهم
وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم فى الرسالة وانا لفى شك مما تدعوننا
اليه من الايمان والمعرفة مريب موقع فى الريبة او ذى شبهة يوجب قلق
النفس وعدم الطمأنينة قال الاستاذ الم يأتكم استفهام فى معنى التقرير اخبرهم
انه لما جاءتهم الرسل قابلوهم بالكنود وعاملوهم بالجحود وردوا ايديهم فى افواههم
وجروا على سبيل امثالهم فى الكفر واشباههم وبنوا على الشك والريبة قواعدهم

واستسوا

واستسوا على الشرك والقدرية مذاهبهم قالت رسلهم أفى الله شك دخلت همزة
الانكار على الظرف لان الكلام فى المشكوك فيه لا فى الشك بمجرده والمعنى انما ندعوكم اليه
وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة الظاهرة عليه كما اشار اليها بقوله فاطر السموات
والارض صفة للجلالة وافاد الاستاذ ان المراد بالاستفهام هنا التوبيخ والنفى اى
كيف يشك فى ثبوته من لا تتحرك نفس الا مصرفا بقوته بل كيف يستر جلال قدره
الا من كحله بنور بره يدعوكم الى الايمان ربكم ليغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بين
الحق وبينكم فان الاسلام يجبه دون المظالم ويؤخركم تأخيرا حسنا الى اجل مسمى
الى وقت سماه الله وقدره وقضاه وجعله آخر اعماركم وقال الاستاذ ليس العجب ممن
يكلفه سيده المشاق ويحمله ما لا يطاق ان يهرب من خدمته او يحتج الى شئ راحته انما
العجب من عزيز كريم يدعو عبده ليغفر له ويفيض عليه اذا اجابه سجال احسانه ثم يقابل
امره بالعناد ويؤثر على راحة نفسه فى داريه ما يجمع امره سبب الفساد لا يحمل هذا
الا على قسمة بالشقاوة صادقة واحكام بتيرة سابقة قالوا ان انتم الا بشر مثلنا
لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا تريدون ان تصدونا اى تصرفونا بهذه
الدعوى عما كان يعبد آباؤنا قدماؤنا فأتونا بسلطان مبين بحجة ظاهرة تدل على استحقاقكم
لمزية فاخرة او على صحة ادعائكم بالنبوة بعد اعتدائهم بما ظهر على انبيائهم من المعجزة وتعنتوا
بطلب الآيات المقترحة وافاد الاستاذ انهم شاهدوا من الرسل ظواهرهم ولم يعرفوا سرائرهم
ومالوا الى تقليدهم لاسلافهم على ما اعتادوا من اسلافهم وخلافهم قالت لهم رسلهم ان
نحن الا بشر مثلكم اى ما نحن الا امثالكم فى الصورة البشرية ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده بالسريرة السنية من النبوة والولاية وساير الاوصاف الرضية كالشجاعة والسخاوة
والقناعة وامثالها من الاحوال العلية وفى الآية دلالة على ان النبوة عطية والهية
لا كسبية وان ترجيح بعض الجائزات بالمشيئة الازلية وفى تفسير السلمى قيل يمن على من يشاء
بالمعرفة وقال سهل بتلاوة كلامه وفهم مراده وقال الاستاذ اى الفرق بيننا انه من علينا
بتعريفه واستخلصنا بما افردنا به من تشريفه وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا
باذن الله اى بامر خرق العادة متعلق بالمشيئة وكل نبى مختص بنوع من المعجزة
وعلى الله لا على غيره فليتوكل المؤمنون فى الصبر على معاندتكم والتحمل على معاداتكم
قيل التوكل رد العيش الى يوم واحد واسقاط هم غد وقيل الثقة بالوعد وقيل التوكل
غض البصر عن الدنيا وقطع القلب عن الاذى اعتمادا على كرم المولى وما لنا ان لا
نتوكل على الله اى اى عذر لنا فى عدم توكلنا على مولانا فى جميع ما اولانا من امور
دنيانا واخرانا وقد هدينا ربنا سبلنا طرق معرفته ومنها العلم بان الامور كلها بقبضة
قدرته وتحت مشيئته وقال الاستاذ اى ما لنا ان لا نتوكل على الله وقد رقانا من حد التكليف
البرهان الى روح تكشف البيان بكثرة ما افاض علينا من جميل الاحسان وكنا من بعدما

الشأن ولنصبرن على ما آذيتمونا اكدوا بالقسم المقدر توكلهم وعدم مبالاتهم
بما يجري من الكفار عليهم فالصبر على الايذاء من سنن الانبياء وافاد الاستاذ
ان الصبر على البلاء يهون اذا كان على رؤية المبلي وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت
المتوكلون على توكلهم الناشئ عن ايمانهم بوجوده وايقانهم بكرمه وجوده وقال الذين
كفروا برتبهم رسلهم المرسل اليهم تهديدا وتوعيدا لهم لنخرجنكم من ارضنا بلدنا او لتعودن
لتصيرن في ملتنا فاوحى اليهم الى رسلهم ربهم لنهلكن الظالمين الكافرين منهم
ولنسكننكم الارض في دارهم وديارهم من بعدهم امنين من شرار شرارهم ذلك
اي ما ذكر من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف
الذي يوقف فيه العباد يوم القيمة للحكومة المميزة بين ارباب المثوبة واصحاب العقوبة
او قيامي بالاطلاع عليه وحفظي لاعماله بالنظر اليه وخاف وعيد وعيدي لعبيدي
من تبعيدي فالاول تذكير المحاسبة في الآجل والثاني تحقيق المراقبة في العاجل
وقال الاستاذ لما عجز الاعداء عن معارضة الانبياء اخذوا معهم في الجفاء بانواع
الايذاء والتهديد لهم بفنون البلى ومن ذلك الاخراج عن الاوطان والتشريد
في البلدان فربط الله على قلوبهم بوعد النصر وكفاية ما اظلهم من الامر والتمكين لهم
من مساكن اعدائهم بما قوى قلوبهم للصبر على مقاساة بلائهم واستفتحوا اي
سأل من الله الانبياء الفتح والنصر على الاعداء وخاب كل جبار عنيد وخسر
كل ظالم للخلق معاند للحق او متكبر على الطاعة ومتعنت في الخصومة وافاد
الاستاذ ان الكفار استعجلوا القضاء فلما نزل بهم البلاء لم ينفعهم
التضرع والبكاء ولم يقبل منهم الصدقة والفداء وندموا حين لا ندامة وتضرعوا
بعد ما عدم السلامة ويقال ان الرسل لما ايقنوا باصرار قومهم سألوا من الله
النصرة عليهم فاجابهم الله تعالى باهلاكهم ويقال اذا صدق اللجاء واستعصم البلاء
قرب النجاء من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها ومباشر لاسبابها
وواقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في العقبى او من خلفه بمعنى وراء
حياته وحقيقته ما توارى عنك بمعنى استتر فلفظ وراء يقع على ما بين يديه
وعلى ما خلفه ويسقى عطف على مقدر تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى
ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جروح اهل النار يتجرعه يتكلف
جرعه وبلعه ولا يكاد يسيغه لا يقرب ان يبلعه فكيف يسيغه وهو يغص به فيطول عذابه والسيغ
مرور الشراب على الحلق بسهولة وقبول طبيعة ويأتيه الموت من كل مكان اي اسبابه من المشقات
فتحيط به من جميع الجهات او من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره واصابع يده
وما هو بميت فيستريح ولا هو حي صحيح كما قال تعالى لا يموت فيها ولا يحيى ومن ورائه
من بين يديه او من خلفه او من غير ما ذكر من عذابه عذاب غليظ اي نوع آخر اشد

من هذا

من هذا وهو حبس الانفاس وضيق الاحتباس وضم قرين سوء اليه ويستقبل
في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه مع الخلود فيما بين يديه وافاد الاستاذ ان
هذا الكافر تأتيه العذاب فيما بين يديه من الزمان او من خلفه لاجل ما سلف في الماضي
من العصيان ويسقى من عصارة اهل النار ما يتجرعه جرعة بعد جرعة ولصعوبة مرارته وكراهته
لا يبتلعه بمرة ويأتيه الموت من كل عضو من الشدة وهذا جزاء من اغتر بايام قليلة ساعدته
الامنية فيها وانخدع بها ولم يشعر بما يليها مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره اعمالهم
كرماد اشتدت به الريح وقرأ نافع الرياح والمعنى حملته في يوم عاصف شديد هبوبها
فيه شبه عبادة الكفرة برماد طيرته الريح العاصفة وفي معناها صنايعهم من صلة
الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب والضيافة والصدقة في كونها حبطة لبنائها
على غير اساس من معرفة الله وتصحيح النية والتخليص من الرياء والسمعة مع ان الله سبحانه
جازاهم عليها في دنياهم بطول الاعمار وكثرة الاولاد وسعة الاموال ودوام الصحة
لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء من الجزاء الجميل وهو فذلكة
التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم وطغيانهم في كفرانهم مع حسبانهم
ان لهم ثوابا على صورة احسانهم هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن صراط
العزيز الحميد الم تر ان الله خلق السموات والارض وقرأ حمزة والكسائي خالق
السموات والارض بالحق بالحكمة ان يشأ يذهبكم بعدمكم ويأت بخلق جديد يخلقكم
وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر ولا متعسر فانه على كل شيء مقتدر فمن هذا برهانه تعالى
شانه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد على وفق امره رجاء لثوابه وخوفا من
عقابه يوم حسابه وقال الاستاذ اي الله خلق السموات والارض بالحكم الحق اي له ذلك
بحق ملكه وخلقهما بقوله الحق فجعل كل جزء منها على وحدانيته دليلا ولمن اراد الوصول
الى ربه سبيلا ثم قال ان يشأ يذهبكم بالافناء ويأت بخلق جديد بموتنف من
الانشاء وليس ذلك عليه بعسير واي ذلك وهو على كل شيء قدير وبرزوا لله جميعا
اي يبرزون من قبورهم يوم القيمة لحكمه سبحانه بمحاسبة امورهم وذكر بلفظ الماضي
لتحقق ظهورهم ولسبق تعلق علمه سبحانه بهم فقال الضعفاء اي ضعاف الرأي
من الاتباع الذين قلدوا الرؤساء والاقوياء في اتباع الابتداع للذين استكبروا
من الاغنياء الاعتياء الذين استتبعوهم في الاغواء انا كنا لكم تبعا تبعا والدينا
بتكذيب الانبياء والاعراض عن نصيحة الاولياء فهل انتم مغنون عنا دافعون
عنا في العقبى من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية
للتبعيض واقعة موقع المفعول وانما قالوه توبيخا ان يدفعوا عنهم شيئا من البلاء
او يرفعوا عنهم شيئا من العناء قالوا اي المستكبرون لو هدينا الله للايمان ووفقنا
للعرفان لهديناكم لشاركناكم في الهداية وفي الخلاص من العقوبة للغواية ولكنا غوينا

فاغويناكم كما غوينا والمعنى فاخترنا لكم ما اخترنا لانفسنا فلا عتب لكم علينا ولا مزية لكم لدينا
ولا ملامة من جهتكم راجعة الينا حين تبين حالنا نحن واياكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
ما لنا من محيص ملجأ ومنجأ من عذابنا الذى نزل بنا بامر ربنا روى انهم يقولون تعالوا
نجزع ونتضرع لعله ينفعنا فيجزعون ويتشفعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا
نصبر لعل صبرنا يفيدنا فى هذا المقام فلا يفيدهم فيقولون سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
ما لنا من مدفع عنا وقال الشيطان لما قضى الامر اى احكم وفرغ منه وتم ودخل اهل الجنة الجنة
واهل النار النار خطيبا فى الاشقياء لدفع توهم الاغبياء فى حقه حقيقة اضافة
الاغواء حيث لم يعرفوا حقائق الاشياء بما بين لهم الانبياء من ان الله يضل من يشاء
ويهدى من يشاء ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز لقوله الحق وخبره الصدق
من الوعد بالبعث والجزاء بالثواب والعقاب ووعدتكم وعد الباطل بان لا بعث
ولا حساب فاخلفتكم بتبين خلف وعدى فى المآب وما كان لى عليكم من سلطان
تسلط جبر وقهر الجأكم به الى ارتكاب الكفر والمعصية الا ان دعوتكم لكن دعوتكم الى الضلالة
والجهالة والغفلة فاستجبتم لى اسرعتم فى اجابة دعوتى وما تأملتم فى اول امرى ولا فى مآل عاقبتى
فلا تلومونى بوسوستى فان من صرح العداوة لا يلام بمثل هذه الحالة ولوموا انفسكم حيث
اطعتمونى حين دعوتكم ولم تطيعوا دعوة ربكم على لسان البشير النذير ولم تقبلوا النصيحة لكم
بقوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير قد
قال السلمى فى التفسير انه قيل من لم يلم نفسه على الدوام ويرضى عنها فى حال من احوالها فقد
اهلكها اقول وسببه ان لم يلم نفسه اللوامة فى الدنيا على خلاف الكمال احتاج الى ملامها
فى الاخرى عند مشاهدة العقبى ومحاسبة المولى ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب
وما انتم بمصرخى من طرد الباب ورفع الحجاب وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل فى باب
الالتقاء انى كفرت بما اشركتمون بحذف ياء الاضافة وكون ما مصدرية اى كفرت
اليوم فى العقبى باشراككم اياى من قبل قبل هذا اليوم فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستبعدت
عنه لقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم ان الظالمين لهم عذاب اليم تتميم لكلامه او ابتداء
كلام من الله سبحانه له او لغيره وفى حكاية امثال ذلك مما يقع بانه هنالك تنبيه للسامعين
وايقاظ للغافلين حتى يحاسبوا انفسهم ولا يضيعوا انفاسهم لئلا يحشروا مع حزب
الشيطان واتباعهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات بساتين معمورة
بانواع اثمارها تجرى من تحتها الانهار اى تحت اشجارها او تحت قصورها خالدين
فيها مقدرين الخلود بها باذن ربهم بسبب امره او بقضائه وقدره والمدخلون
هم الملائكة او المعنى اذن لهم بدخولها تحيتهم تحية الملائكة او الله سبحانه لهم او تحية
ما بينهم فيها سلام او ملاقاتهم فيها ذات سلامة من الملامة والكرامة فى تلك المقامة
فانها دار النعمة والكرامة وافاد الاستاذ ان الايمان هو التصديق والعمل الصالح

للتصديق

للتصديق تحقيق ويدخل فى جملة الاعمال الصالحة ما قل وكثر من وجوه الخير حتى الفناة
يميطها عن الطريق قال تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه اى فى
عاقبة امره ثم احوالهم فى دار السلام متفاوتة فى الرتبة فقوم تحييهم الملائكة قال تعالى
وتتلقيهم الملائكة وقوم يحييهم الملك قال تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام سلموا من الاحتراق
ثم من الفراق ثم من العذاب ثم من الحجاب اقول ولا منع للجمع فى مقام السلام للجميع
لانهم وصلوا الى مرتبة جمع الجمع المؤدى الى ذلك المقام ولعموم رحمة رب كريم
بقول مطلق عميم سلام قولا من رب رحيم الم تر كيف ضرب الله مثلا وضعه وبينه
للمتقين من جميع الامة كلمة طيبة اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة فهو تفسير لقوله ضرب
مثلا فابهمه اولا ثم اوضحه ثانيا لانه اوقع للنفس فى تاثيرها لاجل اعادة الجملة وتكريرها
اصلها ثابت فى الارض ثابت عروقه فيها وفرعها اعلاها فى السماء اى الهواء
تؤتى اكلها تعطى ثمارها كل حين عينه الله لاثمارها باذن ربها بامر خالقها وارادة
باريها ويضرب الله الامثال امثال اهل الجنة او امثال هذا المثل لعلهم يتذكرون
بالانتقال من الامثال الى تصور اختلاف الاحوال فيحصل لهم الكمال بتأملهم
فى كلام المتعال ومثل كلمة خبيثة كشجرة اى مثل شجرة خبيثة اجتثت اخذت جثته
بالكلية واستوصلت من فوق الارض لان عروقها قريبة من فوقها ما لها من قرار
لاستقرارها ولا مدار لها للاستمرار عليها وفسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد
ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى عبادة
من سواه وتكذيب الحق واهله والاظهر انه ما يعم ذلك من كل كلمة مليحة او كلمة قبيحة
فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ضدها وقد فسرت
الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا من الطرق الصحيحة وبشجرة طوبى
فى الجنة والخبيثة بالحنظلة ولعل المراد بها ايضا ما يعم ذلك بان يراد كل شجرة يطيب
ثمرها فى جميع دهرها وما يكون بخلاف ذلك امرها وهو لا ينافى ما صح فى الاخبار من
تفسير الشجرة الطيبة بالنخلة حيث يراد بها مثلا او نظيرا كلا لا حقيقة الانحصار
بل فى العموم اشارة الى بيان اختلاف مراتب اخلاق الابرار واحوال الاشجار
بحسب تفاوت مذاق الاثمار وبقائها وثباتها فى الديار والعقار كما اشار
اليه قوله سبحانه والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا وافاد
الاستاذ فيما اجاد من ان هذا المثل ضربه الله للايمان والمعرفة فشبهه بشجرة طيبة اصل
تلك الشجرة ثابت فى الارض زاكية وفروعها باسقة وثمرة تلك الشجرة وافية تؤتى اكلها
كل وقت وزمان وينتفع بها اهلها فى كل حين وآن فالايمان كتلك الشجرة اصلها المعرفة
مصححة بالادلة والبراهين وفروعها الاعمال الصالحة الناشئة عن المعرفة واليقين
من مباشرة الفرائض وسنن المرسلين ثم مجانبة المعصية كصيانة الشجرة عما يفرقها

من كنشط قشر ومقطع عرق واتلاف غصن وما يجرى مجراه واوراق تلك الشجرة قيام باداء
العبودية واثمار تلك الشجرة اخلاقه الجميلة وثمرة تلك الشجرة حلاوة الطاعة ولذة الخدمة ثم الثمار
تختلف في الطعم والطبع والرائحة والصورة كذلك ثمرات الطاعة ومعانى الاشياء التى يجدها
العبد فى قلبه تختلف من حلاوة طاعة وهى صفة العابدين وبسط يجده فى وقته وهو صفة العارفين
ولوعة تدركه فى ضميره وهو صفة المريدين وانس يناله فى سره وهو صفة المحبين وقلق واهتياج
يجده ولا يعرف سببه ولا يجد سبيلا الى سكونه وهو صفة المشتاقين الى ما لا يبقى بشرحه نطق
ولا يستوفيه قول وذكر من لوائح ولوامع وطوارق وشوارق كما قيل
طوارق انوار تلوح اذا بدت فتظهر كتمانا وتخبر عن جمع ثم ان ثمرات الاشجار
فى السنة مرة وثمرة هذه الشجرة فى كل لحظة وكذاكرة وكما قال تعالى فى ثواب اهل
الجنة وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وقلوب اهل الحقائق عنها لا مصروفة
ولا محجوبة وهى لهما فى وقت وتفس ابدا وغير محجوبة ولا مدفوعة وثمرات هذه الشجرة
اشرف وانوارها الطف واظرف واشارات هذه القصة والفاظهم فى مراميهم
ومعانيهم كالرياحين والازهار وهى مختلفة متفاوتة الكمية والكيفية والمقدار
والاستمرار ويقال الكلمة الطيبة وهى الشهادة لله بالوحدانية وللرسول بالنبوة
والرسالة وانما تكون طيبة اذا صدرت عن سر مخلص والشجرة الطيبة المعرفة واصلها
ثابت فى ارض غير سبخة من قلب الكافر والمنافق لا تنبت والايمان فى قلوبهم
لا يثبت ثم لابد للشجرة من الماء وماء هذه الشجرة دوام العناية وانما تورق بالكفاية
وتتورد بالدلالة والهداية وتثمر بالوقاية والرعاية ويقال ماء هذه الشجرة ماء الحياء
والندامة والتلهف والحسرة والخشوع واسبال الدموع والانابة ويقال ثمرات هذه
الشجرة مختلفة بحسب خلاف احوال اهلها فمنها التوكل والتفويض والتسليم
والمحبة الوافية والشوق والرضاء وسائر الاحوال الصافية والاخلاق الزاكية ثم
الكلمة الخبيثة هى كلمة الكفر وخبثها ما صحبها من نجاسة الشرك والمعصية فخبثت
لصدورها عن قلب هو مقر الشرك ومنبعه والشجرة الخبيثة هى الشرك اجتثت
من فوق الارض لان اساس الكفر متناقض متضاد وليس له اصل صحيح ولا برهان موجب
ولا دليل كاشف ولا علة مقتضية انما ذلك شبه واباطيل وضلال اقتضاها
وساوس وتسويلات ما لها من قرار لانها حاصلة من شبه واهية وحصول فاسدة
بادية يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذى يثبت بالحجة عندهم وتمكن
فى قلوبهم فى الحيوة الدنيا فلا يزلون اذا فتنوا فى دينهم كاصحاب الاخدود وامثالهم
وفى الآخرة لن يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم فى القبر ولا يدهشهم اهوال يوم
الحشر والنشر وقد صح عنه عليه السلام انه ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه فى جسده
فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله

ودين الاسلام ونبيى محمد عليه السلام فينادى من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحيوة وفى الآخرة ويضل الله الظالمين
على انفسهم بالكفر والمعصية حيث لم يقدروا على الجواب وتحيروا فى محضر الحساب المؤدى
الى العقاب ويفعل الله ما يشاء من تثبيت المؤمنين واثباتهم وضلال الكافرين
ومعاقبتهم وفى تفسير السلمى قال بعضهم الخلق كلهم مجبورون تحت الارادة والقدرة
مقهورون على لسان الجبروت والعظمة وليس من امورهم شئ راجع اليهم ممنوعين عما يريدون
مقضى عليهم ما يكرهون وهذا من آثار العبودية منشاها والله تعالى يدبر الامور
ويبديها ويخفيها انشاها على ارادته وابداها على مشيته لا ناقض لما ابرم ولا مبرم لما
نقض والافعال على الحقيقة فعله والكون صنعه ولا علة لفعله ولا لصنعه وافاد الاستاذ
ان المثبت هو البقاء على الاستقامة وترك العوج فى الديانة والقول الثابت هو الشهادة
الصادرة عن صفاء العقيدة وخلوص السريرة للحق ويقال القول الثابت هو بيان الجنان
لا نطق اللسان ويقال هو قول الله العزيز القديم الذى لا يجوز عليه الزوال والفناء وهو
بالثبوت اولى من قول العبد لان قول العبد اثر والآثار لا يجوز عليها الثبات والبقاء
عينا وانما يكون حكما فثبات العبد بقول الله وهو حكمه لها لايمان واخباره انه مؤمن
وتسميته له بالايمان والعرفان وقول الله لا يزول فى جميع الازمان ففى الدنيا يثبتهم
حتى لا يدعهم يعتريهم شبهة وفى القبر يثبتهم عند سؤال الملك للفتنة وفى القيمة
يثبتهم عند المحاسبة وفى الجنة يثبتهم لا يزول احدهم لله مع كمال المعرفة ثم اذا تنوعت
عليهم الخواطر وتصنفت عليهم الدواعى فالحق يثبتهم حتى لا يحيدوا عن النهج
المستقيم ولا يزيغوا عن الدين القويم ويقال اذا دعتهم الوساوس الى متابعة الشيطان
وحثتهم الهواجس الى موافقة النفس فالحق يثبتهم على موافقة رضاه ويقال
اذا دعتهم دواعى المحبة من كل جنس لمحبة الدنيا الى اختيارها ومحبة الجاه الى تحصيلها
ومحبة الاولاد والاقارب والاموال والحبائب تركوا الجميع ولم يستجيبوا
الا لدواعى حبه سبحانه كما قيل • اذا وصلت خلة كى تزيلها • ابينا وقلنا الحاجبية اول
الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله شكرها كفرا بها بان وضعوه مكانه كفرانا لها
واحلوا انزلوا قومهم اتباعهم واشياعهم من الكفران وترك الايمان والعرفان
دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر والاشراك جهنم عطف بيان لها يصلونها
يدخلون فيها ويقاسون الم حرها وبردها وبئس القرار دار البوار ومقر الكفار
والفجار قال ابو عثمان اجهل الخلق بنعم الله من استعملها فى المعصية ولم يقم بشكرها
بان يعرف النعمة فى رضى وليها من الطاعة وقال الاستاذ اى وضعوا الكفران
محل الشكر والاحسان كفروا بدلا مما كان ينبغى ان يشكروا واستعمال النعمة فى المعصية
من هذه الجملة واعضاء العبد كلها نعم من الله عليه فاذا استعمل العاصى بدنه فى الزلة بدلا

ماكان الواجب استعماله فى الطاعة فقد بدل نعمته كفرا وكذلك اذا اودع
الغفلة قلبه مكان المعرفة والعلاقة دقته مكان الانقطاع اليه وعلق قلبه بالاغيار
بدل الثقة به ولطخ لسانه بذكر المخلوقين ومدحهم بدل ذكر الله واشتغل بغير الله
دون الفناء فى ذكره كل هذا تبديل نعمة كفرا واذا كان العبد منقطعا الى الله مكتفيا
من قبل الله ووجد فى فراغه مع الله راحة وعن الخلق سلوة ومن اقباله عليه سبحانه
كفاية ثم رجع الى اسباب التفرقة ووقع فى بحار الاشتغال ومعاملة الخلق ومدحهم
وذمهم فقد احل قومه دار البوار على معنى ايقاع قلبه ونفسه وجوارحه فى المذلة من
الخلق والمضرة من الحال وشانه كما قيل • ولم ار مثل من يفارق جنته •
ويقرع بالتطفيل باب جهنم • وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذى
هو التوحيد ومقام التفريد بايقاع غيرهم فى حضيض التقليد وقرا ابن كثير
وابو عمرو بفتح الياء والمعنى ليضلوا هم واتباعهم باتباعهم لاهوائهم عن طريق
الحق وسبيل الصدق واللام للعاقبة كما فى حديث لدوا للموت وابنوا للخراب
قل تمتعوا عيشوا بشهواتكم او بعبادة آلهتكم عن طاعة مولاكم وساعة آخرتكم فان مصيركم
الى النار كسائر الكفار والفجار وافاد الاستاذ انهم رضوا بان يكون معمولهم معبودهم
ومنحوتهم مقصودهم فضلوا عن نهج الاستقامة وزلوا عن مقام الكرامة وسيلقون غب
صنيعهم يوم القيمة حين لم ينفعهم الندامة كما قيل • قد بركماك والذين تريد •
نفسى ان تلقهم فنعود • قل تمتعوا اياما قلائل فى الدنيا فان مالكم الى خلود النار فى العقبى
قل لعبادى الذين آمنوا خصهم بالاضافة التشريفية تنبيها على انهم المقيمون لحقوق
العبودية والمعنى قل لهم ما امرناك به من قولنا اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة او مرهم
باقامة الصلوة وايتاء الزكوة بقرينة قوله يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم وفيه
تنبيه على انهم لفرط مسارعتهم الى مطاوعتهم لا ينفك طاعتهم عن امره عليه السلام باطاعتهم
او التقدير قل لهم ليقيموا وينفقوا كقول القائل شعر محمد تفد نفسك كل نفس •
سرا وعلانية والاحب اخفاء النافلة واعلان الواجبة من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه
فيشترى المقصر ما يتدارك به او ما يفدى به عن نفسه ولا خلال لا مخالة فيه فينفعه احد
بالشفاعة لمن بالغ فى المعصية كما قيل • قلت للنفس ان اردت رجوعا •
فارجعى قبل ان يسد الطريق • وقرا ابن كثير وابو عمرو بالفتح فيهما الله الذى خلق
السموات والارض مبتداء وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم
تعيشون به على وجه المانوس وهو يشمل الماكول والمشروب والملبوس ومن بيانية
مقدمة وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره بمشيته وقدرته او بمقتضى قضائه وقدره
وسخر لكم الانهار معدة لانتفاعكم بها فى الزروع والاشجار المنتجة للاثمار وسخر لكم الشمس
والقمر دائبين دائبان فى مسيرهما ويدومان فى اناراتهما وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان

لاحكم

راحتكم ومعايشكم قال جعفر الصادق سخر لكم السموات بالامطار والارض بالنبات
والفلك بان تتخذوا سبيلا بالبحر والشمس والقمر ليوصلا اليكم منافع الزروع والثمار
وسخر قلب المؤمن لمحبته ومعاريته وحفظ الله من العبد القلوب لا غير لانه موضع
نظره ومستودع امانته وسره ذكره السلمى ولعل المراد بحفظ الله حقه الواجب على العبد
ومراعاته من حفظ قلبه عن حب غير ربه وكثيرا ما يستعمل الحظ بمعنى النصيب فى القسمة
واما الحظ بمعنى اللذة فلا يجوز نسبتها اليه سبحانه وافاد الاستاذ ان معنى الآية
فى الظاهر رفع السماء فاعلاها والارض من تحتها دحاها وخلق بحارا واجرى انهارا وانبت
اشجارا وانبت بها ازهارا وانمارا وامطر من السماء ماء مدرارا واخرج من الثمرات اصنافا
ونوع لها اوصافا واوفد لكل واحد منها طعما مخصوصا ولادراكه وقتا معلوما منصوصا
واما فى الباطن فسماء القلوب زينها بمصابيح العقول واطلع فيها شمس التوحيد
وقمر العرفان ومرج فى القلوب بحرى الخوف والرجاء وجعل بينهما برزخا لا يبغيان
لا الخوف يغلب الرجاء ولا الرجاء يغلب الخوف كما فى الخبر لو وزنا لاعتدلا وهذا
لعوام المؤمنين فاما للخواص فالقبض والبسط ولخاص الخاص الهيبة والانس
والبقاء والفناء وسخر لهم الفلك فى هذه البحار ليعبروها بالسلامة وهى فلك
التوفيق والعصمة والحماية وسفينة الايواء والحفظ والرعاية وكذلك سخر ليالى
الطلب للمريدين وليالى الطرب لاهل الانس من المحبين وليالى الحرب للتائبين
وكذلك نهار العارفين باستغنائهم عن سراج العلم عند طلوع نهار اليقين
وآتاكم من كل ما سألتموه واعطاكم بعض جميع مسؤلاتكم بلسان حالكم او بيان
قالكم من جهة حاجاتكم وفيه تنبيه على ان كل صنف من الموجود بعض ما فى قدرة
واجب الوجود وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة او مصدرية على انها
يكون بمعنى المفعول وقرئ بتنوين كل اى من كل شئ ما احتجتم اليه ويجوز ان يكون
ما نافية فى موقع النصب على الحالية اى واتاكم من كل شئ غير سائليه قال الاستاذ اى
ما سمت اليه هممكم وتعلق به سؤالكم وخطر تحقيق ذلك ببالكم اعطاكم فوق تاملون
واعطيناكم اكثر مما ترجون ومن قرأ بتنوين كل وجعل ما نافية اى من كل شئ ما لم تسألوه
لذلك جاء انه قال يا امة محمد اعطيتكم قبل ان تسألونى هذا لارباب الطاعات
وغفرت لكم قبل ان تستغفرونى وهذا لارباب الزلات على قصور لسان المعاصى
وما منعه من الخجل وما يقبض على لسانه اذا تذكر ما عمله من الزلل فاعطاه غفرانه بدءا
وكفاه حشمة السؤال والتنصل كما قال غفرت لكم قبل ان تستغفرونى ومتى خطر على
على قلب العبد ما اهله الحق سبحانه من العرفان وكيف ذا والحديث قبل ان كان له
امكان او معرفة او ايمان او طاعة او عصيان او عبادة او احسان او كان له اعضاء
واركان او كان للعبد شئ او اثر الا بل كما قيل • اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى •

متصادف قلبی خالیا فتمکننا • وان تعدوا نعمة الله ای انواع النفع من المن وهبات
الدفع من المحن لا تحصروها ولا تضبطوها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا من افرادها
لعدم تناهی اجناسها واصنافها فكيف تقدرون ان تقوموا بشكرها وصرف كل منها
فی طاعة منعمها فلا شكر لذلك الا معرفة العجز عما هنالك وهذا التحقيق كلام الصديق العجز عن
ادراک الادراک ادراک ان الانسان لظلوم كثير الظلم على نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد
الكفران لما فيه من الانعام والاحسان وقيل ظلوم فی الشدة يشكو ويجزع كفار فی النعمة يجمع
ويمنع وقال السلمی ظلوم لنفسه حيث ظن ان شكره يقابل نعمه كفار محجوب عن رؤية فضله
وكرمه وقال الاستاذ ای كيف شكركم يفی بنعمی وشكركم نذر يسير وانعامی وافر كثير وانى لكم بعد
انعامی وعلومكم عن تفصيلها متقاصرة وفهومكم عن تحصيلها متأخرة واذا كان
ما يدفع عن العبد من وجوه المحن وفنون البلايا والفتن من مقدوراته لا نهاية لها فكيف
يأتی الحصر والاحصاء على ما لا يتناهی وكان النفع من نعمه فالدفع ايضا من نعمه وكرمه
ويقال ان توفيق الشكر من جملة ما ينعم به الحق على العبد فاذا اراد ان يشكره عليه لم يمكنه الا
بتوفيق آخر فابدا يبقى عليه من النعم ما لا يشكره واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة
آمنا ذا امن لمن فيها او نزل بها واجنبنی وبنی بعدی واولادی من صلبی ان نعبد
الاصنام واجنبنی وجنبنی منه لغات بمعنی اجعلنی فی جانب عنه وفيه دلالة على
ان عصمة الانبياء بتوفيق الله لهم وحفظه اياهم وفی تفسير السلمی قيل المراد بالاصنام
النفس الامارة فان لكل نفس صنما من الهوى الا من طهر بنور توفيق المولى وقال ابن عطاء
المراد بعبادتها الخلود والركون اليها رب انهن اضللن كثيرا من الناس صرن سبب ضلالة
كثير من الخلق فهذا موجب الاستعاذة بالحق فمن تبعنی على دينی فانه منی بعضی لا ينفك
عنی فيما يتوب بی ومن عصانی فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه من البداوة او بعد
التوفيق للتوبة او بعد التعذيب ان كان المعصية فيما عدا الشرك والكفر وفيه اشارة
الى ان كل ذنب فله سبحانه ان يغفره حتى الشرك غير ان الوعيد فرق بينه وبين غيره وقال
الاستاذ لما سأل ان يجعل مكة بلدا امنا طلب ان يجعل قلبه محلا امنا والبلدان يكون
امنا اذا صبر عن المخالفات والهوى والقلب يكون امنا اذا لم يكن فيه شیء غير
حب المولى ثم الصنم كل ما يعبد من دون الله قال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه
فصنم كل شیء ما يشغله عن مولاه من طاعة وعبادة ومال وولد وجاه ويقال انه
لما بنى بيت ربه استعاذ به ان يجيره من ملاحظة بنائه وفعله ويقال انه عليه
السلام كان مترددا بين شهود فضل ربه وشهود فقر نفسه فلا لحق من
فضله وجوده قال من كمال بسطه واغفر لی ولما نظر من حيث فقر نفسه قال
واجنبنی وبنی ويقال شاهد عزه واستغناه فقال واجنبنی وشاهد شمول
لطفه وعموم رحمته فقال واغفر لی ثم قال ومن تبعنی فانه منی موافق لی

ومن اهل

ومن اهل ملتی ومن عصانی خالفنی وعصاک فانه غفور رحيم كان بعين البسط
فلاحظهم بعين الرحمة واسترحمهم بالاشارة ويقال قال من عصانی ولم يقل من عصاک
وان كان من عصاه فقد عصى الله ولكن تلطف من عصانی ايماء الى انه انما طلب الرحمة
فيما كان نصيب نفسه من ترك حقه فی عصيانهم لربه فلم ينتصر لنفسه بل قال فهم رحمة ربه
ويقال ان قول نبينا عليه السلام ازيد لمعنى انه حيث قال جزما وسال حتما اللهم اغفر
لقومی فانهم لا يعلمون وابراهيم عليه السلام عرض وقال فانک غفور رحيم
ويقال لم يجزم السؤال لانه راعى ادب المقال اول لجزم نبينا عليه السلام للسؤال
يؤدى الى ما له من الكمال فی مقام البسط والدلال ربنا انی اسكنت من ذريتی بعض اولادی
واحفادی بواد غير ذی زرع لئلا يشتغلوا بغير العبادة ويتكلوا على ربهم فی امر المعيشة
عند بيتك المحرم المحترم المكرم الذی حرمت التهاون به والتعرض له روی ان هاجر كانت
جارية لسارة وهبتها ابراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل فغارت
عليها فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم
من جناح جبريل او قدم اسمعيل ثم ان قبيلة جرهم رأوا ثم طيورا فقالوا لا طير الا على الماء
فقصدوه فرأوها وعندها فقالوا اشركينا فی مائک نشركك فی البانا
ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة ای اسكنتهم عند بيتك المعظم لاقامة الصلوة
والمقصود من الدعا توفيقهم للعبادة وقيل اللام لام الامر والمراد هو الدعاء لهم
بالاقامة والاستقامة بتوفيق الطاعة وحسن العبادة قال ابن عطاء اسكنتهم
واديا لا متعلق لی ولا علاقة لهم سواك فاجعل افئدة من الناس ای افئدة
من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذا قال بعضهم لو قال افئدة الناس لازدحمت
عليهم فارس والروم والترك والهند والتجت اليهود والنصارى وغيرهم وفيه اشارة
الى ان الدعوة خاصة والمدعوين زبدة وخلاصة تهوى اليهم تسرع شوقا وحبا عليهم
وارزقهم من الثمرات فواكه المطعومات والملبوسات لعلهم يشكرون ربهم
على تلك الحالات فاجاب الله دعوته وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل
شیء حتى قد يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فی وقت واحد
حتى يوجد تحف الاشياء الحجاج اليها مجموعة فی ايام موسم الحج مسهلة من
الاطراف والاكناف بحلوته قال ابن عطاء من انقطع عن الخلق بالكلية صرف الله
اليه وجوه البرية وجعل مودته فی صدورهم ومحبته فی قلوبهم وذلك من دعاء
الخليل من ربه الجليل لما قطع اهله من الخلق واسباب الرزق ودعا لهم بالرفق
فقال فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم الا به فان من كان لله كان الله
له والاستاذ انه سبحانه اخبر عن صرف توكله وصدق تفويضه بقوله انی
اسكنت من ذريتی ای قوما منهم بواد غير ذی زرع فلا متعلق من الاغيار

لقلوبهم ولا متناول لافكارهم واسرارهم فهم مطرحون بباب سعيون بحضرة
جنابك جار بينهم حكمك ان راعيتهم وكفيتهم كانوا اعز خلق الله وان اقصيتهم ونفيتهم
كانوا اذل خلق الله وانما رأى الرفق بهم في الجوار لا في المبار فقال عند بيتك المحرم
ثم قال ربنا ليقيموا الصلوة اى اسكنتهم لا لحظوظهم بل لاقامة حقك عليهم ليشتغلوا
بعبادتهم فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم فانهم قوما بان يقوموا بكفايتهم
وارزقهم من الثمرات فان من قام بحق الله اقام الله بحقه قوما واستجاب الله
دعاءه واصار القلوب من كل بحر وبر كالمجبول على المحبة ذلك البيت الاجل والميل
الى سكان ذلك المحل ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى
اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب الا اظهار
العبودية والافتقار الى الحضرة الربوبية وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع
والمسكنة وتكرير ربنا للمبالغة في مقام الدعوة قال السلمي وقيل ما نخفي من المحبة وما
نعلن من الوجد وقال ابن عطاء ما نخفي من الاحوال وما نعلن من الافعال وما يخفى على الله
من شيء في الارض ولا في السماء من للاستغراق في نفي الخفاء وافاد الاستاد ان
من عرف هذه الجملة استراح عن التطواف الى الاغيار واستروح قلبه عن ترجم
الافكار الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اى في حال كبري اسمعيل واسحق روى انه ولد
له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة وقيد الهبة بحال الكبر
استعظاما للنعمة واستظهارا لما فيه من الآية واسمعيل جد نبينا عليه السلام واسحق
ابو سائر الانبياء ان ربي لسميع الدعاء اى لمجيبه ومنه قوله سمع الله لمن حمده اى اجابه
رب اجعلني مقيم الصلوة مصيرا في مدجالها وقائما بحقوقها ومن ذريتي ربنا وتقبل
دعاء اى واجعل بعض احفادي مقيمين لها ومواظبين عليها والتبعيض لعلمه اما
باعلامه سبحانه له او باستقراء عادة الله في الامم الماضية من وجود الكفار والفجار
في الذرية وافاد الاستاد ان في هذه الآية دلالة على ان افعال العباد مخلوقة فان الجعل
والخلق بمعنى واحد في اللغة ربنا اغفر لي ولوالدي وقد سبق عذر استغفاره لهما
وقيل اراد آدم وحواء ابويهما وللمؤمنين من السابقين واللاحقين يوم يقوم الحساب
يوم يقوم الناس لرب العالمين وافاد الاستاد ان اجابة الدعاء فضل من الله
يفعل اذا شاء فلا ينبغي للعبد ان يتوكل على دعاء احد من الاعيان وان كان على الشان
بل يجب على العبد ان يعلق قلبه بالله ولا يسكن الى ما سواه فلا دعاء اتم من دعاء
ابراهيم ولا عناية اتم من عنايته بشان ابيه ثم انه لم ينفعه فيه ولا ينبغي للعبد ان يترك
دعاءه وينقطع رجاءه فان ابراهيم دعا لابيه فلم يستجب فيه ثم انه لم يترك الدعاء
في حق سائر الاشياء كالابناء ولا غضاضة على العبد في ان لم يجبه مولاه في شيء
ولا مذلة بل الدعاء عبادة فلا بد للعبد من فعلها والاجابة فضل فله سبحانه فعلها وتركها ولا يحسن

غافلا

غافلا عما يعمل الظالمون فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم الملوم وافاد الاستاذ
ان المظلوم اذا تحقق انه سبحانه عالم بما يلقيه من البلاء بان عليه مقاساته وخفف
عليه تحمله ومراراته والظلم على وجوه ظلم على النفس بوضع الزلة مكان الطاعة وظلم على
القلب بتمكين الخواطر الردية واخطار الغير بالبال وظلم على الروح بمحبة المخلوق فعلى
ويحال الشيطان من جملة الظالمين والعبد المؤمن مظلوم من جهته والحق سبحانه
ينتصف منه غدا وذلك لمن لا يتبع اليوم طايعا فيتأذى بوساوسه ويدفعه بالمجاهدة
عن نفسه انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار اى ابصارهم فلا تقر في اماكنها من
هول ما ترى مهطعين حال كونهم مسرعين الى الداعي وصوب صوت النداء مقنعي رؤسهم
رافعيها الى جهة السماء لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم
بل بقيت عيونهم شاخصة وافئدتهم هواء كالخلاء خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة
او خالية عن الصدق خاوية عن الحق قال ابن عطاء هذه صفة قلوب الحق يعني في الدنيا
لان الهواء قائم بالمشية والارادة غير قائم بالعلائق كذلك قلوب اهل الحق متعلق به
لا قرار الا معه ولا يسكن الا اليه وليس في قلوبهم محل لغير الله قال تعالى وهي تمر مر السحاب
لا تلتفت الى غيره ولا لها قرار مع سواه وقال الاستاذ وهذا العوام المؤمنين لتعلق
قلوبهم بالانتقام لهم واما الخواص فاذا علموا انه سبحانه عالم بهم وبحالهم
فانهم يشتغلون بذلك ويكتفون لما هنالك واما خاص الخاص فاذا علموا
انهم عبيده فانهم لا يرضون بالعفو عمن ظلمهم حتى يستغفروا لهم كما قال
عليه السلام اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون واما اصحاب التوحيد فاذا علموا
ان المنشئ هو الله ولا مخترع سواه فليس بينهم وبين احد محاسبة ولا مع احد
معاتبة ولا منه مطالبة انهم يعدون اثبات الغير في النطق والحسبان شركا نظرا
الى حقيقة الوحدة وانذر الناس خوفهم يوم يأتيهم العذاب وقت اتيان العذاب
لهم وهو يوم القيمة او يوم موتهم فانه اول ايام عذابهم ويؤيده قوله سبحانه فيقول
الذين ظلموا بالكفر والكفران والعصيان والعدوان ربنا اخرنا الى اجل قريب
اخر العذاب عنا وامهلنا على حالنا الى حد من الزمان قريب من آجالنا لنتدارك
احوالنا واصلاح اعمالنا نجب دعوتك ونتبع الرسل باقرار التوحيد واظهار
الدعوة لا لحقيقتها لقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما قيل وما مواعيدها
الا اباطيل ونظيره ما يقع لهم ولامثالهم من الدعاء الا البلاء والعود الى
الجفاء بعد النجاة اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ما لكم جواب القسم
جاء بلفظ المخاطبة على المطابقة دون الحكاية والا لقيل ما لنا والمعنى يقال لهم
اقسمتم بلسان الحال ما لكم من زوال في جاه ومال حيث بنيتم شديدا واملتم بعيدا
وسكنتم ابدا مديدا في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية قيل ارادهم

عادا وثمودا وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون ما نزل عليهم في منازلهم
وآثارهم وبما تسمعون من تواتر اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم تنبيها على امثالهم
قال ابو عثمان مجاورة الفساق واهل المعصية من غير ضرورة فسق كامن ومعصية مستترة
لان الله تعالى ذم قوما من عباده فقال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم ولم يعذر
من اقام بها وقال الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقال الاستاذ اي احللنا بهم
العقوبة واشهدناكم فما اعتبرتم وجريتم على منهاجهم وما انزجرتم وفعلتم مثل فعلهم
وبامهالنا اياكم اغتررتم فانتظروا مثل ما عاملناهم به جزاء لكم على ما اسلفتم وقد مكروا
لابطال الحق واظهار الباطل مكرهم المستغرق فيه جهدهم ومكرهم وعند الله مكرهم
ما يمكرهم به جزاء لمكرهم او مكتوب عنده فعلهم جزاؤهم وان كان مكرهم في العظمة
والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال الثابتة فان وصلية وقضية على
واقعية وقيل مخففة من المثقلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو ثابت كالجبال
الراسية من آيات الله وشرايعه الماضية وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع على
انها المخففة واللام هي الفاصلة والمراد منه المبالغة في تفخيم امرهم وتعظيم مكرهم فلا
تحسبن الله مخلف وعده رسله لقوله انا لننصر رسلنا واصله مخلف رسله وعده فقدم
المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد فاذا
لم يخلف وعده احدا لا يخلف رسله ابدا ان الله عزيز غالب لا يدافع وقادر لا يمانع ذو انتقام
لاوليائه من اعدائه وقال الاستاذ اي لا تحسبنه مخلف رسله وعده لا يخلف الوعد
لصدقه وله ان يعذبهم بما وعدهم لحقه في ملكه وهو عزيز لا يصل اليه احد وان كان وليا
ذو انتقام لا يفوته احد وان كان قويا يوم تبدل الارض غير الارض والسموات غير السموات
والتبديل بالصفة او الذات ويؤيد الاول قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات
ويقوي الثاني ما عن علي كرم الله وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وهو
لا ينافي ما روي عن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ احد عليها
خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض بعينها وانما تغير صفتها ويدل عليه ما روى
ابو هريرة مرفوعا تبدل الارض غير الارض فتبسط مد الاديم لا ترى فيها عوجا ولا امتا
وفي تفسير السلمي قيل فاين الاشياء اذ ذاك قيل عادت الى مصادرها وقيل متى كانوا
شيئا حتى صاروا لا شيء لانهم في جنب الحق اقل من الهباء في الهواء وقال
الاستاذ لا تختلف عينها وانما تختلف صورتها وذلك اذا النجوم انكدرت واذا الجبال
سيرت وانما تبدل المكان والزمان على افراد الانسان باختلاف احوالهم في التردد
والمحن الناشئة عن اعمالهم فمن صار من الرخاء الى البلاء او من البلاء الى الرخاء
يقال تغير الوقت عليهم ويقال ان آدم عليه السلام لما قتل احد ابنيه الآخر قال تغيرت البلاد
ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح فعلى هذه القضية فمن كان صاحب بسط فرد

الى حال قبض او كان صاحب انس فصار صاحب حجاب صح ان يقال بدل له
الارض غير الارض قال بعضهم فما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار
التي كنت اعرف قلت وكما قال تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وكقول القائل
اما الخيام فانها كخيامهم • وارى نساء الحي غير نسائهم • ثم قال وكذا العبد المريد اذا
وقعت له فترة كانت له الشمس له كاسفة والارض به راجفة والنهار له ليل
والليل له ويل وبرزوا لله الواحد القهار اي خرجوا من قبورهم وظهروا وقت نشورهم
وحضورهم محاسبة ربهم ومجازاة كسبهم وفي الوصفين ايماء الى ان الحال في غاية
من الصعوبة والمآل في نهاية من الشدة فان الامر اذا كان لواحد قهار فلا استغاثة
لاحد ولا استجارة ولا خلاص الا لمن ستره الستار وغفره الغفار ورحمه الجبار وترى المجرمين
يومئذ مقرنين قرنوا مع الشياطين من قرنائهم او قرنت ايديهم وارجلهم بالاغلال
الى رقابهم في الاصفاد اي القيود والانكال الثقال على مقدار اعمالهم من سوء
العقائد والاعمال سرابيلهم قمصانهم من قطران وهو ما يتحلب من شجر
الابهل فيطبخ فيطلى به الجربى من الابل فيحرق الجرب بحدته وهو اسود
اللون منتن الرائحة تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار ليقوم مقام خلع
الابرار فيجتمع عليهم الم لذعه ووحشة لونه ونتن ريحه واشتعال النار
في جوهره على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ولعل
اسبابها ما يحيط بجوهر النفس من الاخلاق الردية والعقايد الدنية التي توجب لصاحبها
انواعا من الآثام المورثة للغموم والآلام على الدوام وتغشى وجوههم النار لانهم لم يتوجهوا
الى الحق بها ولم يستعملوا حواسهم التي خلقت لاجله فيها كما تطلع على الافئدة لانها
فارغة عن المعرفة وانما يفعل بهم ذلك ليجزي الله كل نفس مجرمة ما كسبت واكتفى
في الكلام بما يناسب المقام او برزوا ليجزي كل نفس ما عملت من خير او شر ان الله سريع
الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب تعالى شانه وعظم برهانه وافاد الاستاذ
ان الاغلال تجمعهم والاصفاد تفرقهم والسلاسل تقيدهم والقطران ثيابهم والحميم شرابهم
والحرقة عذابهم والفرقة حجابهم وذلك جزاء من خالفوا ربهم هذا اما في هذه الآية او السورة
بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ليتعظوا به ويتيقظوا من نوم الغفلة ولينذروا به
عن المعصية وليعلموا انما هو اله واحد منزه عن نعت المثلية ووصف الشركة وليذكر
اولوا الالباب الميثاق الاول ويوم المآب وافاد الاستاذ ان الحجج واضحة والامارات
لائحة والمهلة متسعة والداعي مبلغ والتمكين من القيام بحق التكليف مساعد ولكن القسمة
سابقة والتوفيق ممنوع عن طائفة والرب سبحانه فعال لما يريد فمن اعتبر نجا ومن غفل تردى

سورة الحجر مكية

ولله الامر من قبل ومن بعد والله اعلم وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاذ سقطت الف الوصل من كتابة بسم الله

وليس لاسقاطها علة وزيد في شكل الباء من بسم الله وليس لزيادتها علة ليعلم
ان الاثبات والاسقاط بلا علة فلم يقبل من قبل باستحقاق وعلة ولا رد من رد
لاستيجاب وعلة فان قيل العلة في اسقاط الالف من بسم الله كثرة الاستعمال
في كتابتها اشكل بان الباء من بسم الله زيد في شكلها وكثرة الاستعمال موجود
في حقها فان قيل العلة في زيادة شكل الباء بركة اتصالها ببسم الله اشكل بحذف
الف الوصل لان الاتصال موجود فيها فلم يبق الا ان الاثبات والنفي ليس علة
يرفع من يشاء ويمنع من يشاء قلت لا يبعد ان يقال النكتة في تطويل الباء ظهور معنى
الاستعانة مخافة اشتباهها بنات طيها في الكتابة فيكون اشارة الى ان
توفيق الايمان فضل له سبب من العمل بخلاف تحقيق الخذلان فانه عدل موجبه
قول لا يسئل عما يفعل وفيه ايضا ايماء الى ان الحكم الالهية منها معلومة ومكشوفة
لنا ومنها مجهولة ومستورة عنا الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين اي هذه السورة
آيات الجامع لكونه كتابا كاملا ومفردا شاملا يبين الرشد من الغي آخرا واولا اظهار
انواره وباهر اسراره لمن اعطي فضلا فاضلا وافاد الاستاذ انه يبين للمؤمنين ما يسكن
قلوبهم وللمريدين ما يقوي رجاءهم وللمحبين ما يهيج اشتياقهم وللمشتاقين
ما يثير لواعج اسرارهم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا يوم القيمة
او حلول الموت او نزول النصرة والغلبة وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف وما نكرة
موصوفة كقوله • ربما تكره النفوس من الامر • له فرجة كحل العقال • ورب هنا للكثرة
في الندامة والقلة لما يدهشهم اهوال القيمة وفي تفسير السلمي قال بعضهم ربما يود الذين
فسقوا لو كانوا مطيعين وقيل ربما يود الذين كسلوا لو كانوا مجتهدين وربما يود الذين
غفلوا لو كانوا ذاكرين قلت وفي الحديث ليس يتحسر اهل الجنة يوم القيمة الا على ساعة
مرت بهم ولم يذكروا الله فيها ومن القواعد الصوفية ان الغفلة كفر وضلالة كما قال العارف
ابن الفارض • ولو خطرت لي في سواك ارادة • على خاطري سهوا حكمت بردتي
وقال الاستاذ اذا عرفوا عمن بقوا علموا كيف شقوا واي كاس سقوا ويقال اذا صارت
المعارف ضرورية احترقت نفوس اقوام عقوبة وتقطعت قلوب آخرين حسرة ذرهم
دعهم واتركهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل يشغلهم توقعهم لطول
الاعمار عن موتهم وعن استعدادهم لمعادهم في عقباهم فسوف يعلمون سوء
صنيعهم اذا عاينوا جزاءهم قال ابو عثمان اسوء الناس في حالاته من كان شغله شغله في
شهواته وافاد الاستاذ ان قيمة كل امرئ همته وهمة كل احد تظهر بها نهمته فاذا كانت
النهمة مقصورة على الاكل والتمتع فصاحبها منعوت بصفة البهيمية ولكن البهيمة لا كسب
وعلى الفعل لا تطلب والتكليف بسبب التعنيف والتشريف وما اهلكنا من قرية اي اهلها
الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح على وجه مفهوم وافاد الاستاذ ان الآجال

معلومة والاحوال مقسومة والمشية في الكائنات ماضية ولا يخفى على الحق خافية ما تسبق
من امة اجلها وما يستاخرون عنه ساعة وقالوا اي المغترون لقلة عقولهم لا عقل
الحق والكلهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي على زعمه ومظنة اصحابه انك لمجنون
حيث تقول قول المجانين من ان الاله واحد لا شريك له وان القرآن كتابه وانك
رسوله وقد وردوا ذكروا الله حتى يقولوا لمجنون لوما تاتينا لولا تحضرنا بالملائكة ليصدقوك
على انذارك ويعضدوك على آثارك ان كنت من الصادقين في اخبارك ما ننزل
اي ما تتنزل الملائكة وقرأ ابو بكر بصيغة المجهول وحفص وحمزة والكسائي
بالنون ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالوجه الذي تحقق ارادته
وتعلق به قدرته واقتضته حكمته ولا في حكمة في ان ياتيكم بصورة المشاهدة فانها
توجب لكم المشابهة ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن نسلكم من سبقت
كلمتنا له بالايمان والمعرفة وفسر الحق بالوحي والعذاب ويؤيده قوله وما كانوا
اذا منظرين اذا جواب وجزاء لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا
مؤخرين وافاد الاستاذ انهم اقترحوا الايات بعدما ازيحت علتهم بما ايده به
من المعجزات فتوجه اللوم عليهم بسوء ادبهم واخبر الحق سبحانه انه اجرى عادته
بانه اذا اظهر الملائكة لابصارهم باعيانهم كان ذلك عند ارادة استيصالهم لانه
تصير المعرفة ضرورية وفي المعلوم انه لم يكن في الوقت اهلاكهم لعلمه ان في اصلابهم
من يؤمن بالله في استقبالهم انا نحن نزلنا الذكر اي القرآن لقوله وانه
لذكر لك ولقومك وانا له لحافظون من التحريف والزيادة والنقص بان نقدر له
حملة وحفظة لما فيه من الحروف والسكون والحركة وفي تفسير السلمي وانا لحافظون في
قلوب اوليائي وافاد الاستاذ انه سبحانه انزل التورية ووكل حفظها الى
بني اسرائيل فقال بما استحفظوا من كتاب الله فحرفوا وبدلوا وانزل القرآن واخبر
انه حافظه فلما تولى حفظه لا جرم انه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد ويقال اخبر انه حافظ القرآن وانما يحفظه بقرائه فقلوب
القراء خزائن كتابه وهو لا يضيع حافظ كتابه فان في تضييعهم تضييع كتابه ولقد
ارسلنا جمعا من النبيين من قبلك في شيع الاولين فرقهم المختلفين المعنى بنا نا
رجالا منهم وجعلناهم رسلا اليهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن
كما يفعل هؤلاء المجرمون والتعبير بالصيغة المضارعية مع ما الموضوعة للزمن
الحالية بناء على حكاية الحال الماضية والمراد به التسلية للذات المصطفوية وافاد
الاستاذ انه سبحانه اخبر ان عادتهم كان التكذيب وادام سنته معهم في التعذيب
كذلك نسلكه ندخله استهزاء النبيين في قلوب المجرمين من الكافرين لا يؤمنون به
اي حال كونهم غير مؤمنين بالذكر المبين وقد خلت سنة الاولين قد مضت عادة

المتقدمين بوقوع سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم وافاد الاستاد
انه سبحانه ازاغ قلوبهم عن شهود الحقيقة فسد بالحرمان عليهم سلوك الطريقة وبين
انه لو اراهم الآيات عيانا ما ازدادوا الا عتوا وطغيانا وان من سبق الحكم له بالشقا
لا يزداد على ممر الايام الا ما سبق به صادق القضاء ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا
فصار المقربون فيه يعرجون اليه يصعدون ويرون عجايبها ويشاهدون غرايبها
لقالوا من غلوهم في عتوهم انما سكرت ابصارنا سدت ومنعت من ابصارنا مأخوذ
من السكر بمعنى سد النهر ويؤيده قراءة ابن كثير بالتخفيف اوحيرت وحبست من
السكرضد الصحو بل نحن قوم مسحورون يخيل فيهم السحر وافاد الاستاد ان من غلبه
التقدير كان بامر التكليف مدعوا وبامر التكوين مقصيا لمن ينجع فيه النصح ومتى
يكون للوعظ فيه مساغ كلا ان البصيرة له مسدودة ومشقات الخذلان بقدم
مشدودة فهم يحملون النصيحة على الوقيعة والحقيقة على الخديعة ولقد جعلنا في السماء
بروجا اثني عشر وزيناها بالتهيات البهية والاشكال السنية للناظرين
المتفكرين فيها المعتبرين بها مستدلين على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها
وحفظناها جعلناها محفوظة من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها
ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع
لكن من استرقه فاتبعه تبعه ولحقه شهاب مبين فيخبله او يحرقه والشهاب
شعلة نار ساطعة لها بريقة لامعة واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به
خطفتهم اليسيرة من الاحوال الكثيرة لسكان السماء لما بينهم من المناسبة المقتضية
للاعلاء الى جهة الهواء وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات
السبع فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد عليه السلام منعوا بالشهب
من كلها قال جنيد قلوب العباد محفوظة من نزغات الشيطان بالتاييد الالهي فمنها ما كانت
محفوظة بالمعرفة ومنها ما كانت محفوظة بالتقوى والاستقامة ومنها ما كانت محفوظة
بلا حول ولا قوة الا بالله وقال بعضهم زين السموات بالكواكب والبروج وجعل فيها
علامات لمن يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وزين القلوب باطلاعه عليها وانواع الانوار
ليهتدي بتلك الانوار الى مقامات المعرفة وان يهتدي بها من كان بصيرا مفتوحا عين
فؤاده الى النظر اليه نظر العيان والمشاهدة وافاد الاستاد ان النجوم للشياطين رجوم
ثم اذا راموا ان يسترقوا السمع المعلوم والمعارف في القلوب والعقول نجوم ثم هي ايضا
للشياطين رجوم فلو دنا ابليس وجنوده من قلب ولي من اولياء الله وحزبه احرقته
بل محقته نجوم عقله واقمار علمه وشموس توحيده وكان نجوم السماء زينة للناظرين اذا
لاحظوها فقلوب العارفين زينة للملائكة اذا نظروا اليها والارض مددناها بسطناها
والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت مثبتة لها وانبتنا فيها اي في سهلها وجبلها من كل

شيء

شيء موزون ما له وزن في ابواب النعمة واسباب المنفعة وافاد الاستاد ان نفوس العابدين
ارض العبادة وقلوب العارفين ارض المعرفة وارواح المشتاقين ارض المحبة والخوف والرجاء
لها رواسي ويقال من الرواسي التي اثبتها فيها الاولياء الذين هم اوتادها بهم يسلم البلاء عن الخلق
يرفع وبهم الغياث فاذا وقع للناس مهم فاليهم الفزع ويقال من الرواسي العلماء الذين هم
قوام الشريعة فالذين هم علماء الاصول فبهم قوام اصل الدين وبالفقهاء نظام احكام الشرع
المتين وبالقراء تمام حفظ الكتاب المبين وقال بعضهم واحسرتي من فراق قوم هم المصابيح
والعيون والمزن والمدن والرواسي والخير والامن والسكون وكما انبت في الارض فنون
فنون النبات من الزروع والاشجار انبت في القلوب صنوفا من الانهار والانوار
اي الازهار من ذلك نور اليقين ونور العرفان ونور الحضور ونور الشهود ونور التوحيد
الى غير ذلك من الانوار اي التي من جملة اسرار الابرار وجعلنا لكم فيها معايش من المطاعم
والملابس تعيشون بها وتنتفعون منها ومن لستم له برازقين عطف على معايش ويراد به
العيال والخدم والمماليك والحشم وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا منهم
فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية ومحصلها مع ما قبلها هو الاستدلال على غاية قدرته
ونهاية حكمته والتفرد في الوهية بجعل الارض ممدودة بمقدار معين وشكل مبين مختلفة الاجزاء
في وضع البنار ومحدثة فيها انواع النبات واصناف الثمار متفاوتة في الخلقة والطبيعة
مع تجويز العقل خلاف هذه الهيئة ليتأملوا في ذلك ويوحدوه ويعبدوه لما هنالك
ويستنبطوا منه ان القادر على ما ذكرا ابتداء قادر على ما يريده من البعث وغيره انتهاء
وافاد الاستاذ ان سبب عيش كل احد مختلف فعيش المريدين بيمن اقباله وعيش
العارفين بلطف جماله وعيش الموحدين بكشف جلاله مربوط بجلاله وكل بنصيب من افضاله
والحق منزه عن التجمل بافعاله وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن
قادرون على ايجاده واظهاره اضعاف ما وجد منه من آثاره فضرب الخزائن مثلا
لاقتداره وما ننزله من بحر القدرة ونهر الارادة الا بقدر معلوم عينته الحكمة وتبينه المشية
فان تخصيص بعضها بالايجاد فيما بين العباد والبلاد بخصوص بعض الاوقات على
بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم ومقدر عليم كما قال في كلامه القديم
ذلك تقدير العزيز العليم قال السلمي كان جنيد اذا قرى هذه الآية وعنده المريدون يقول
فاين تذهبون وقال رجل لابي حفص اوصني قال يا اخي احفظ بابا واحدا ينفتح
لك الابواب والزم سيدا واحدا يخضع لك الرقاب وافاد الاستاد ان خزائنه
في الحقيقة مقدوراته وهو سبحانه قادر على كل ما هو موهوم لمحدثاته ويقال خزائنه
في الارض قلوب العارفين بالله الفارغين عما سواه وفي الخزائنه جواهر من كل صنف
باهر فحقايق العقل جواهر صنعها في قلوب اقوام ولطائف العلم جواهر وبدايع المعرفة
جواهر فاسرار العارفين مواضع سره والنفوس خزائن توفيقه والقلوب خزائن

بحقيقه واللسان خزائن ذكره والجنان خزائن شكره والاركان خزائن بره
ويقال من عرف ان خزائن الاشياء عند رب السماء تقاصرت خطاه عن التردد
الى منازل الخلق فى طلب الرزق وعن التطواف فى الافاق من جهة الرزق وينقطع
آماله عن غيراته وينفرد قلبه لمولاه ويتجرد عن التعلق بما سواه ثم من عرف القسمة
طرب واستراح من كد الطلب فان المعلوم لا يتغير ولا يزيد ولا ينقص فى المقدر
ويقال ارواح قلوب الفقراء منهم شيئا من العطاء فليس للفقير صرف القلب
عن الرب الى احد ولا اعتقاد احسنه لاحد ولا للغنى تقليد منة لاحد اذا الملك كله
لله والامر بيد الله ولا قادر على الابداع الا الله وارسلنا الرياح لواقح حوامل
لسحائب الامطار شبه الريح التى جاءت مبشرة بخبر خير سار لخاطر من انشاء السحاب
ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم الحائل وقراء حمزة بافراد الريح على
تأويل الجنس فانزلنا من السماء من السحاب او من جهة السماء ماء اى طهورا مباركا
فاسقيناكموه جعلناه سقيا لكم اجمعين وما انتم له بخازنين متمكنين من اخراجه نفى
عنهم ما اثبته لنفسه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه
فى السماء وانزاله منها الى الارض وابقائه فيها وما انتم عليه بقادرين لكونكم عن رزقكم
عاجزين فما نافية ويحتمل ان يكون موصولة او موصوفة معطوفة على ماء فخازنين بمعنى حافظين
فى الغدران والابار والعيون من الارضين وقال الاستاد كان الرياح فى الآفاق
مقدمات المطر كذلك الامال فى القلوب من مبشرات الخواطر ويقال اذا هبت
رياح التوحيد على الاسرار كنست عن اثار البشرية غبار الاغيار فلا للخلايق فيها اثر
ولا عن العلائق لها خبر ويقال اذا هبت رياح العناية على احوال عبد عادت مساويه محاسن
ومثالبه محاسن قلت كما قال تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات بخلاف من يكون
عكسه فى الحالات فكل محاسنه عيوب كما قيل من لم يكن للوصال اهلا فكل طاعاته
ذنوب فاسقيناكموه كذلك يجعل الحق سبحانه لاوليائه الطافا معلومة معدودة
لاوقات معهودة ويجعل من شراب القلوب لكل قدرا معلوما ووصفا مفهوما
من شراب يسكر ومن شراب يحضر ومن شراب يصحى ومن شراب يمحو ويعنى كما قيل
فصحوك من لطفى هو الصحو كله • وسكرك من لحظى يبيح لك السكرا • وانا لنحن نحيى
بايجاد الحيوة الكاملة فى بعض الاجسام القابلة ونميت بازالتها عن اجزائها
الشاملة وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات ونحن الوارثون الباقون
اذا مات الخلائق اجمعون قال الواسطى نحيى من نشاء بنا ونميت من نشاء
عنا وقال الخراز الحى من العباد من بالحق حياته والميت منهم من بيقائه حركاته
وسكناته وقيل نحيى القلوب بمشاهدة الانوار ونميت النفوس بالحجب والاستتار
وقال الاستاد نحيى القلوب بالمشاهدة ونميت النفوس بالمجاهدة

ويقال يحيى

ويقال يحيى المريدين بذكره ونميت الغافلين بهجره او نحيى قوما بموافقة الامر
فى الطاعات ونميت قوما بمتابعة النفس فى الشهوات او نحيى قوما بان يلاطفهم
بلطف جماله ونميت قوما بان يحجبهم عن نيل افضاله ولقد علمنا المستقدمين
منكم ولقد علمنا المستأخرين من استقدم ولادة ووفاة ومن استأخر وجودا وشهودا
ومن خرج من اصلاب الرجال ومن تأخر عن هذا الحال او من تقدم فى الاسلام والجهاد
وسبق الى الطاعة من العباد او تأخر حاله فى البلاد من العباد لا يخفى علينا شئ من حقايق
اعمالكم ولا كيفية من دقائق احوالكم فقيل ان امراة حسناء كانت تصلى خلف سيد
الانبياء فيتقدم بعض لئلا ينظر اليها ويتأخر آخر ليطلع عليها فنزلت قال ابن عطاء
من القلوب قلوب همتها مرتفعة عن الادناس والنظر الى الاكوان فضلا عن الناس
ومنها ما هى مربوطة مقترنة بالانجاس لا ينفك عنها طرفة عين من الانفاس قال عز وجل
ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وقال بعضهم عرفنا الراغبين فينا
والمعرضين عنا وقال الاستاد العارفون مستقدمون بهممهم والعابدون مستقدمون
بقدمهم والتائبون مستقدمون بندمهم واقوام مستأخرون بعدهم وهم العصاة وآخرون
مستأخرون بهممهم وهم الراضون بخسائس الحالات وان ربك هو يحشرهم اى
يجمعهم ويبشرهم للحساب والثواب والعقاب انه حكيم باهر الحكمة فى خلقه عليم بما لفهم
لاجله وافاد الاستاد انه سبحانه يبعث كلا فى العقبى على الوصف الذى خرج عليه
من الدنيا لمن مفرد القلب بربه على نعت الجمعية السترية ومن منطوح فى اودية
التفرقة البشرية ثم يحاسبهم على ما يستوجبونه من احوال العبودية او على ما يقتضيه من
نعوت الربوبية ولقد خلقنا الانسان اى اصله المتفرع عليه نسله وفصله وهو آدم
عليه السلام او عبر عنه به كانه جملة الانام من صلصال طين يابس يصلصل اى يصوت
اذا نقر من حماء من طين اسود متغير مسنون مصور وافاد الاستاد انه سبحانه
ذكره نسبتهم لئلا يعجبهم حالهم ويقال لهم القيمة فى التربية لا بالتربة والنسبة تربة لكن
الصفة قربة والجان اى ابا الجن او ابليس او اريد به الجنس وانتصابه بفعل يفسره
خلقناه من قبل قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر النافذ فى المسام
وهو باعتبار العنصر الغالب كغلبة التراب الانسانى فى القالب ومساق الاية
كما هو للدلالة على كمال القدرة المتعلقة فى ابتداء الانشاء فهو للاشارة الى المقدمة
الثانية التى يتوقف عليها امكان الحشر من قبول المواد للجمع واعادة الاحياء
وافاد الاستاد ان النار اذا انطفئت صارت رمادا لا يجئ منه شئ ابدا والطين
اذا انكسر عاد الى ما كان عليه اولا كذلك العدو لما انطفى ما كان يلوح عليه من سراج
الطاعة لم ينجبر بعده وآدم عليه السلام لما عثر جبره ماء العناية كما قال
سبحانه ثم اجتباه ربه واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من

حما مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح في هيكله وهيئته ونفخت
فيه من روحي بمقتضى امري فاجتمع في آدم جميع ما يوجد في العالم من الخلق والامر مع زيادة
خصوص الاضافة التشريفية المشيرة الى ارادة الحالة التكليفية كما يقتضيه نسبة
العبودية الى الربوبية فقعوا له امر من وقع يقع اى فاسقطوا لاجله من حيث انه نسخة
جامعة لمظهر كماله من ظهور جماله وجلاله ساجدين لله شكرا له فيما ابداه فصار آدم قبلة
للملائكة في تلك الساعة كالكعبة فلا سجود الا لله ولا معبود سواه فسجد الملائكة كلهم
اى جميعهم اجمعون اى وهم مجتمعون فاكد بالكل للاحاطة وباجمعون للدلالة على
وقوع السجدة دفعة الا ابليس لكنه ابى ان يكون مع الساجدين حيث لم يكن في علم الله
من الساجدين قال ابو عثمان فتح الله اعين الملائكة بخصائص آدم عليه السلام واعمى
عين ابليس عن مشاهدة ذلك المقام فرجعت الملائكة الى حال الاعتذار وقام
ابليس في منهج الاحتجاج ومقام الاستكبار وافاد الاستاد ان الملائكة لحظوه
بعين الخلقة فاستصغروا قدره وحاله فعصوا التعجب من امره لهم بالسجود فكشف
لهم شظية مما اختصه به فسجدوا له لما امروا واللعين حجب عن حاله وماله فادعى
الخيرية وبقى في ظلمة الحيرة قال يا ابليس مالك الا تكون اى اى غرض لك من
ان لا تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد اى لا يصح من مقامي بل ينافي حالي
ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني لطيف خلقته من صلصال
من حما مسنون وهو اخس العناصر وادناها وخلقتني من نار وهي اشرفها
واعلاها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل ولم يرها اودعه ربه من اسرار
القرب والوصل فنظر الى الصدق وغفل عما فيه من در الشرف قال فاخرج
منها من الجنة العلية او الصورة الملكية فانك رجيم مطرود من رحمة من هو كريم
رحيم وان عليك اللعنة الطرد من الرحمة والبعد عن الحضرة الى يوم الدين وهو
وقت ظهور جزاء المقربين والمبعدين قال رب فانظرني اى اذا لعنتني فاخرني
في حياتي وامهلني في عقوبتي الى يوم يبعثون اراد ان يجد وسعة في الاغواء ونجاة
عن الفناء اذ لا موت بعد وقت البعث فاجيب الى الاول دون الثاني قال فانك
من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله سبحانه وتعالى وهو
النفخة الاولى وهذه المخاطبة وان لم يكن بواسطة انما هي على سبيل الاهانة فقد
قال بعض اهل المعرفة لو كتب له السعادة لقال انظر الى بدل انظرني وافاد الاستاد
انه سبحانه سأله وهو معلوم له حاله ولو ساعدته المعرفة لقال لا تقل لي مالك يا منعك
حتى اقول انت عزيزي لحيث اشقيتني وبقهرك اغويتني ولو رحمتني لهديتني ولى
كنف عصمتك اويتني ولكن للحرمان ادركه حتى قال لم اكن لاسجد لبشر ولما ابعده الحق
سبحانه عن معرفته وازده بلعنته استنظره الى يوم البعث فاجابه وظن اللعين انه

حصل

حصل في الخير مقصودا ومديدا ولم يعلم انه ازداد بذلك عذابا شديدا وكان ذلك
في الحقيقة مكرا مكيدا وان كان اجابة السؤال في صورة الحال يشبه لطفا وبرا اكيدا وبعض
اهل الرجاء يقول ان الحق سبحانه في عين ما لعن عدوه ولم يرده في دعائه في الامهال
ولم يمنعه من الاستنظار فالمؤمن اذا امره ربه بالاستغفار ورسوله بالافتقار اولى
ان لا يقنط من رحمته وهذا وان كان شيئا في صورة المبنى فالذي ذكرناه اليق واولى
بالمعنى لان انظاره للعين زيادة شقاء لا تحقيق عطاء قال رب بما اغويتني
قيل الباء سببية والاصح انها قسمية وما مصدرية والمعنى اقسم باغوائك اياي
لازينن لهم المعاصي في الارض اى في ارض الدنيا التي هي دار الغرور ومنبع الشرور
او في متعلقات الامور السفلية والشهوات البهيمية المانعة من الدرجات
العلوية والمقامات العلية البهية ولاغوينهم اجمعين اى لاتسبب في اغوائهم
فانه لو قدر على اغواء غيره لاستبق على هداية نفسه ورعاية امره الا عبادك
منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من شوائب معصيتك فلا
يعمل فيهم كيدي بناء على عصمتك قال ابو حفص المخلص من لا يخالف سيده
ظاهرا وباطنا وافاد الاستاد ان الاخلاص هو تصفية الاعمال عن الغير وعن
الآفات المانعة من صلاح الاحوال وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بكسر اللام حيث
جاء اى الذين اخلصوا نفوسهم من السمعة والرياء وابتغوا في طاعتهم
وصول الرضاء وحصول البقاء واللقاء قال هذا التخليص صراط على طريق حق
على ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه لمن كان راعيه او هذا الاخلاص طريق على يؤدي الى
الوصول الى وقرأ يعقوب على من علو الشرف والرفعة ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان تسلط وطغيان ولا اغواء وبرهان والمقصود تقرير عصمتهم ودوامها
وانقطاع مطالب الشيطان عن طمع غوايتهم الا من اتبعك من الغاوين اى الذين
اختاروا الغواية وتركوا الهداية واشتروا العقوبة بالمغفرة وافاد الاستاد
ان السلطان الحجة وهي لله على خلقه وليس للعدو حجة في امره كما قال تعالى قل فلله
الحجة البالغة فلو شاء لهديكم اجمعين والسلطان التسلط والمخلوق لا يتعدى مقدوره
محل قدرته فلا تسلط في الحقيقة لمخلوق على مخلوق بالتأثير فيه وفي خالقه واذا سمى الله
واحدا بالعبودية فهو من جملة الخواص فاذا اضافه الى نفسه فهو خاص الخاص فهؤلاء
خواص عباده الذين محاهم عن شواهدهم واختطفهم عنهم وصانهم عن اسباب
تفرقتهم وجردهم عن حولهم وقوتهم وكان النائب عنهم في جميع تصرفاتهم ومجموع
حالاتهم يحفظ عليهم آداب الشرع الشريف ويلبسهم صدار الاختيار في اوان اداء
التكليف ويأخذهم عنهم باستهلاكهم في شهوده واستغراقهم في وجوده فاي
سبيل للشيطان اليهم واي يد للعدو عليهم ومن اشهده الحق حقائق التوحيد

وراى العالم متصرفا فى قبضة التقدير على نعت التوحيد لم يكن نهيا للاغيار بل قال قائلهم ليس فى الدار غيره ديار وقد قالوا فى معناه جحودى لك تقديس وعقلى فيك تهويس فمن آدم لولاك ومن فى البين ابليس وان جهنم لموعدهم اى لموعد الغاوين او المتبعين او لموعدك واياهم اجمعين تاكيدا او حال بمعنى مجتمعين لها سبعة ابواب يدخلونها لكثرتهم او طبقات ينزلونها لتفاوت مراتبهم فى متابعتهم وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وهى اسفلها كذا فى الدر المنثور ولعل تخصيص العدد لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم نصيب معلوم فاعلاها لعصاة الموحدين واسفلها للمنافقين وما بينها لليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين وقرأ ابو بكر بضم الزاى ان المتقين من الكفر فى جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل منهم عدة منهما قال الواسطى من اتقى للعوض جعل ثوابه عليه ما يرجوه ويأمله ومن اتقى لا للعوض فالحق عوض له من كل ثواب وبدله وافاد الاستاذ ان المتقى من وقاه الله بفضله لا من اتقى بتكلفه فى عمله بل لا يتقى بتكلفه فى فعله الا بعد ان وقاه الله سبحانه بفضله فهم اليوم فى جنات بعضها ارفع من بعض فى الدرجات كما انهم غدا فى جنات بعضها فوق بعض فى الدرجات فدرجة قوم حلاوة الخدمة ولذاذة الطاعة ولقوم البسط والراحة ولاخرين الرجاء والرغبة ولاخرين الانس والقربة قد علم كل اناس مشربهم ولزم كل قوم مذهبهم ادخلوها بسلام سالمين او مسلما عليكم من رب العالمين او الملائكة المقربين آمنين من الزوال وتحول الحال وافاد الاستاد ان معناه يقال لهم ادخلوها واجل ذلك ولم يقل من الذى يقول لهم ادخلوها فقوم يقول لهم الملك ادخلوها ويقال اذا وافوا الجنة وقد قطعوا المسافة البعيدة وقاسوا الامور الشديدة فمن حقهم ان يدخلوا الجنة خاصة وقد علموا ان الجنة لهم مباحة ولعلهم يقفون حتى يقال لهم ادخلوها ويقال يحتمل انهم لا يدخلونها بقول الملك حتى يقول لهم الحق ادخلوها كما قيل ٭ ولا البس النعمى وغيرك ملبسى ٭ ولا اقبل الدنيا وغيرك واهب ٭ ونزعنا ما فى صدورهم من غل حقد وغش كان لهم فى الدنيا من جهة الدين او الاخرى وعن على رضى الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضى الله عنهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القربة اخوانا حال كونهم كالاخوان المتحابين مجتمعين موصوفين بانهم على سرر متقابلين قال ابو حفص كيف يبقى الغل فى قلوب ائتلفت بالمحبة واجتمعت على محبته واتفقت على مودته وانست بذكره واطمأنت بشكره ان ذلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبايع بل كحلت بنور التوفيق فصارت اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب لا يصيبهم فيها تعب وما هم منها

مجرمين

بمخرجين فهم دائمون فى طرب لا يلحقهم ذل الزوال وتغير الحال بل هم بدوام عن الوصال على وجه الكمال نبئ عبادى انى انا الغفور للمسيئين الرحيم للمطيعين وان عذابى هو العذاب الاليم للمجرمين مع ما لهم من الحجاب المقيم قال ابن عطا ان عباده بين الخوف والرجاء ليصح لهم سبيل الاستقامة فى اقامة الايمان والطاعة فمن غلب عليه رجاؤه عطله ومن غلب عليه خوفه اقنطه وابطله ونبئهم عن ضيف ابراهيم اى اخبرهم عن خبرهم المشتمل على وعدهم ووعيدهم فى عاقبة امرهم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اى نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال اى سلام كما فى آية اخرى وقدم لهم الطعام فلما رأى امتناعهم من تناول المرام اضمر فى نفسه خيفة من هيبة ذلك المقام وقال انا منكم وجلون خائفون والوجل اضطراب النفس لتوقع ما يكره فى المستقبل قالوا لا توجل انا نبشرك من التبشير وقرأ حمزة نبشرك من البشارة بغلام وهو اسحق لقوله فبشرناه باسحق عليم اى اذا بلغ والمعنى انه يعيش الى حد العلم فكانت البشارة بالولد وبقائه الى مرتبة العلم والحلم قال ابشرتمونى على ان مسنى الكبر تعجب من ان يولد له مع بلوغ الكبر اى انه وقت العبر فبم تبشرون اى فباى اعجوبة تبشرونى فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة غريبة وحالة عجيبة وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين واستدلالا بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بالامر الثابت لا محالة فى وقوعه او باليقين الذى لا لبس فى حصوله او بطريق هو حق من قول الله وامره فلا تكن من القانطين اى الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير اب وام فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر ولما كان استعجاب ابراهيم باعتبار العادة دون القدرة قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة الرحمة وكمال العلم والقدرة وقرأ ابو عمرو والكسائى يقنط بالكسرة قال الجرجانى ايام القنوط من الدنيا والاقبال على الاخرى وما عند المولى الا ترى ان ابراهيم عليه السلام لم يقبل بشرى الولد من الملائكة عند الكبر الى ان ذكروا له ان البشرى له من الله تعالى زال عنه القنوط لعلمه بقدرة الله على الاشياء قال فما خطبكم ايها المرسلون اى ما شانكم الذى ارسلتم لاجله سوى البشارة لانه رآهم على هيئة هيبة مخالفة لسمت الطائفة المبشرة قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنى الى هلاك الكافرين من قوم لوط الا آل لوط لكن آل لوط من بناته ومن اقر بنبوته انا لمنجوهم اجمعين مما نعذب به المجرمين وقرأ حمزة والكسائى لمنجوهم بالتخفيف الا امرأته استثناء من آل لوط قدرنا انها وقرأ ابو بكر بالتخفيف والمعنى قضينا وقلنا انها لمن الغابرين الباقين مع المجرمين المعذبين واصل التقدير جعل الشئ على مقدار غيره واسناد

الملائكة للتقدير الى انفسهم مع انه فعل الله لما لهم من القرب والاختصاص به
ولما وقع لهم من الاذن والامر فيه فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون
وانما نكرهم لانه لم يجدهم على صورة البشر وتفرس فيهم على الجملة انهم لجاؤا الا لمنغص
للشر قالوا بل جئناك بما كانوا اى قومك فيه يمترون يشكون من العذاب والمعنى
ما جئناك بما تنكرنا لاجله ظنا انا نضرك بل جئناك بما يسرك ويتشفى لك من
عدوك واتيناك بالحق باليقين الصدق وانا لصادقون اى بالحكم الحق
فاسر باهلك وقرأ الحرميان بهمز وصل اى اذهب بهم بقطع من الليل في
طائفة منه واتبع ادبارهم اى كن على آثارهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على
احوالهم واخبارهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه
او فيصيبه ما اصابهم وقيل نهوا عن الالتفات بالمرة ليوطنوا انفسهم على
الهجرة وامضوا حيث تؤمرون اى الى حيث امركم الله بالمضى اليه من الشام
او مصر فانا منجوك واهلك الا امرأتك فانا نعذبها لمشاركتها مع قومك في الكفر
والمعصية قال الاستاذ وكانت تدل قومها على اضيافه فاستوجبت العقوبة
وقضينا اليه اى وقدرنا موحيا الى لوط ذلك الامر مبهم تفسيره ان دابر
هؤلاء اى اخرهم مقطوع مصبحين والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم
حتى لا يبقى احد منهم حال كونهم داخلين في الصبح وجمعه للحمل على المعنى فان دابر
هؤلاء بمعنى مدبريهم وفي الابهام اولا والتبيين آخرا تفخيم لامره وتعظيم لشانه
وقال الاستاذ اى اعلمناه وعرفناه انهم مهلكون وبالعقوبة مستأصلون وجاء
اهل المدينة قرية قوم لوط وهي سدوم يستبشرون باضيافه طمعا فيهم قال ان
هؤلاء ضيفي فلا تفضحون اى فلا تتعرضوا لهم فتفضحوني بفضيحة ضيفي فان من
اسئ الى ضيفه فقد اسئ اليه واتقوا الله ذروا مخالفة امره ولا تخزون لا تخجلون
في خلاف حكمه قالوا اى قومه اولم ننهك عن العالمين عن ان تحمى احدا منهم او تمنع
بيننا وبينهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء قومه فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم
فتزوجوهن ان كنتم فاعلين قضاء الحاجة فلم ينجع فيهم نصحه ولم يتأثر لهم وعظه
فاخبروه انهم ملائكة ارسلوا لعقوبتهم وظاهر القرآن ان قوله لعمرك من تتمة كلام
الملائكة خطابا للوط عليه السلام لكن الجمهور على ان الخطاب لنبينا عليه السلام
من الله على انها جملة قسمية معترضة بين اجزاء القصة فقد روى البيهقي وابن ابي شيبة
وابن جرير عن ابن عباس انه قال ما حلف الله بحياة احد الا بحياة محمد قال لعمرك
وقد اخرج ابن مردويه عن ابي هريرة مرفوعا مثله والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر
يختص به القسم ايثارا للاخف فيه لكثرة دورانه على السنتهم وجوابه انهم
لفي سكرتهم اى في سكرة غفلتهم وغمرة غوايتهم يعمهون يتحيرون فلا يسمعون نصحك

ولا يعقلون

ولا يعقلون وعن شركهم لا يقلعون قال الثوري لعمرك اى بالحياة التي خصصت بها
من بين الخلق فحيوا بالارواح وحييت بي فبقاؤك متصل ببقائي لانك باق بي
وقال بعضهم لعمارة سرك بمشاهدتنا وقطع عن جميع مكوناتنا فاخذتهم الصيحة
اى صيحة جبرئيل او غيره من الملائكة او صيحة هائلة مهلكة مشرقين حال كونهم داخلين
في وقت شروق الشمس اى فبينما هم في حيرة سكرتهم وغفلة غمرتهم لا يترقبون
عقوبة ولا يخافون مساءة اخذتهم العقوبة فباتوا في حبرة وسرور والصباح في
محنة وثبور فانهدم صفوفهم وخر عليهم سقوفهم كما قال تعالى فجعلنا عاليها اى عالي المدينة
سافلها بان صارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر
معرب سنك كل ان في ذلك لآيات للمتوسمين المتفرسين المتفكرين بنظرهم
حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته على حسب خبرهم والمعنى ان في ذلك لعبرة
واضحة لمن اعتبر ودلالة لائحة لمن استبصر وفي الحديث اتقوا فراسة المؤمن
فانه ينظر بنور الله تعالى رواه البخاري في تاريخه وافاد الاستاذ انه جاء في التفسير
المتفرسين والفراسة خاطر يحصل من غير ان يعارضه ما يخالفه من غير ظهور برهان عليه
فيخرج من القلب عين ما يقع لصاحب الفراسة اشتقاقا من فريسة الاسد
اذا افترسه بقهر والحق سبحانه يطلع اولياءه على ما خفي على غيرهم وصاحب
الفراسة لا يكون من شرطه التفرس في جميع الاشياء وفي جميع الاوقات بل يجوز
ان تنسد عليهم عيون الفراسة في بعض اوقات المكروه كالانبياء عليهم السلام
فان نبينا عليه السلام كان يقول لعائشة رض في زمان الافك ان كنت فعلت
فتوبي الى الله وكابراهيم ولوط عليهما السلام لم يعرف الرسل اولا وكيعقوب
عليه السلام لم يشم ريح يوسف من بئر كنعان وشمها من مصر وبينهما مسافة بعيدة
من المكان وانها المدينة لبسبيل مقيم ثابت يسلكه المارون عليها ويرون
آثارها ما نسب اليها ان في ذلك لآية للمؤمنين لانهم يعلمون ان الله من المنتقمين وان
كان اصحاب الايكة لظالمين الايكة الغيضة وهي بقعة كثيرة الاشجار الملتفة
كان قوم شعيب يسكنونها فبعثه الله اليهم فظلموا انفسهم بتكذيبه فاهلكوا
بالظلة كما في سورة الشعراء والمعنى ما كانوا الا ظالمين بالكفر والمعصية فانتقمنا
منهم اى انتقمنا منهم بالعقوبة وانهما اى سدوم والايكة او الايكة ومدين فانه
كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر منهما ولذا قال وانهما لبامام
مبين لبسبيل واضح ودليل لائح من قصده بينه ومن اله عنه ولقد كذب اصحاب
الحجر وهو واد بين المدينة والشام كان يسكنه قوم ثمود المرسلين اى صالحا
ومن كذب واحدا من النبيين فكأنما كذبهم اجمعين وآتيناهم آياتنا اى الناقة
كانت معجزة كناقة صالح وغيرها فكانوا عنها معرضين مفترين بطول مدتهم [illegible]

عقوبتهم وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا من الاسراب وكانوا عند انفسهم وفي زعمهم
آمنين من العذاب لفرط غفلتهم او لظنهم ان الجبال تحميهم من كل عزتهم فاخذتهم
الصيحة فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من البيوت الوثيقة واستكثار العدة حيث
جاءتهم الصيحة بغتة فلم يغن حين حل عليهم حينهم حيلة وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما قال الاستاذ دل على ان اكتساب العباد مخلوقة لله
لانها مما بينهما الا بالحق خلقا ملتبسا بالصدق الذي لا يلايم استمرار الفساد ودوام
شر العباد في البلاد فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك هؤلاء بانواع البلايا وازاحة فسادهم
بما جرى به القضاء ان يقع في الحالة الماضية وان الساعة اي ساعة القيمة لآتية
فينتقم الله فيها لك ممن كذبك ليزيد ثوابك ويعظم جنابك فاصفح الصفح الجميل فاعرض
عنهم اعراضا جميلا تسال به اعراضا جميلا قال علي كرم الله وجهه الصفح هو الرضا بلا عتاب
وافاد الاستاذ ان الصفح الجميل الذي لا ينكسر للزلة فيه كما قيل تعالوا نصطلح ويكون بيننا
مراجعة بلا عد الذنوب او هو الاعتذار عن المجرم والاقرار ان الذنب كان منك لا
من العاصي فيك كما قال قائلهم منه بنون فاتيكم فنعتذر ان ربك هو الخلاق
الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم ولقد آتيناك
سبعا سبع آيات وهي الفاتحة فانها سبع آيات بالاتفاق غير ان منهم من عد التسمية
آية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس القضية من المثاني ومن بيانية والمثاني من التثنية
لانها تكرر قراءتها في كل صلوة او لانها نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلوة
ومرة بالمدينة لما حولت القبلة او لان يضاف الى الحق ونصفها يضاف الى الخلق
كما ورد في حديث والقرآن العظيم من عطف الكل على البعض فيكون تتميما بعد
تخصيص او من اطلاق الكل على البعض تفخيما له وتعظيما فيكون من عطف احدى
صفتي الشيء على الاخرى ويدل عليه ما رواه البخاري وغيره مرفوعا الفاتحة اعظم
سورة من القرآن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم وافاد الاستاذ ان اكثر
المفسرين على انه سورة الفاتحة لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح اختيار بل انظر
نظر اعتبار الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من كفار وفجار فانه مستحقر بالاضافة
الى ما اوتيته من الحالات والمقامات فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات
وعن الصديق رض من اوتي القرآن ورأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد
صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه السلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود
بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال
المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله
فقال عليه السلام لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع يعني
قراءتها مع التامل في مبانيها والتعمل بمعانيها خير من تلك القوافل وما فيها بل

لامناسبة

لا مناسبة بين الاحوال الباقية والاموال الفانية كما قيل ◦ رضينا قسمة الجبار فينا
لنا علم وللاعداء مال ◦ فان المال يفنى عن قريب ◦ وان العلم يبقى لا يزال ◦
وقد قال بعضهم لا تنظروا الى زينة ارباب الدنيا فان بريقة اموالهم يذهب
بحلاوة ايمانكم للغفلة عن المولى وفي تفسير السلمي قال بعضهم غار الحق على حبيبه ان يستحسن
من الكون شيئا فان ذلك متعة لا حاصل له في الحقيقة وافاد الاستاذ انه سبحانه
غار على عينه ان يستعملها في النظر الى غيره ويقال اذا لم يسلم له استماع نظر ظاهر الى
الدنيا فكيف يسلم له سكون قلبه الى غير المولى ويقال لما امر بغض بصره عما متع به الكفار
في الدنيا تادب عليه السلام فلم ينظر ليلة المعراج الى شيء مما رأى في امر الاخرى فاثنى عليه سبحانه
اذ مدحه بقوله ما زاغ البصر وما طغى وكان يقول لكل شيء راه التحيات لله اي الملك لله
ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقال الاستاذ ادبه حتى لم يتغير بصفة احد وهذا حال
اهل التمكين واخفض جناحك للمؤمنين الن جانبك لهم وارفق بهم وتواضع
في حقهم وكان من غاية حسن خلقه ونهاية تواضعه انه لو استعان به وليدة على
مواليها في الشفاعة لمضى معها وتولى خدمة الوفد بنفسه تواضعا لهم مع رفعة قدره
وكمال انسه وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم
ان لم تطيعوني بايمان وعرفان وافاد الاستاذ انه لما لم يكن بنفسه وكان قائما بحقه سلم له
ان يقول اني انا اي لا استقلالا لك فينا سلمناك ان تقول اني انا لما كنت بنا ولنا
كما انزلنا على المقتسمين اي مثل العذاب الذي انزلنا عليهم ويعني بهم اهل الكتاب
الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء وابعاضا في الدين اليقين فقالوا عنادا بعضه
حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما في التفسير والتاويل او المشركين
حيث قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين وقال الاستاذ اي قل اني انا لكم
منذر بعذاب كالعذاب الذي عذبنا به المقتسمين وهم الذين تقاسموا بالله لنبيتنه
في قصة صالح عليه السلام فلعله فيكون حينئذ قوله الذين جعلوا القرآن عضين
مبتدأ خبره فوربك لنسئلنهم اجمعين من الكفر والمعاصي قال السلمي وقيل نسألهم
عن كل حركة وسكون فيما اذا كانت حركاتهم ولماذا كانت سكناتهم وقال الواسطي
يطالب الانبياء والاولياء بمثاقيل الذر لسمو رتبتهم ولا يطالب العامة بذلك
لبعدهم عن مصادر الستر وحط همتهم وافاد الاستاذ ان العوام يسألهم عن
تصحيح اعمالهم والخواص يسألهم عن تصحيح احوالهم ويقال يسأل قوما عن حركات
ظواهرهم ويسأل آخرين عن خطرات سرائرهم ويسأل الصديقين عن تصحيح
المعاني تشريفا لهم ويسأل المدعين عن تصحيح الدعاوى تعنيفا عليهم ويقال
سماع هذه الآية يوجب لقوم انسا وسرورا حيث علموا انه يكلمهم ويسمعهم خطابه
لا شيئا فهم اليه فاصدع بما تؤمر اي فاجهر بما تؤمر به من الشرائع او فافرق بين

الحق والباطل ومیز بین الحق والعاطل واعرض عن المشرکین فلا تلتفت الی ما یصدر عنهم ولا تبال بهم من وعدهم ووعیدهم وقال الاستاذ ای کن لنا وقل بنا واذا کنت بنا لنا فلا تحتفل بغیرنا وافرح بما خاطبناک وافصح عما خصصناک واعلن محبتنا ایاک انا کفیناک المستهزئین بک وبکلامنا فنقمعهم بقهرنا واهلاکنا الذین یجعلون مع الله الها آخر فسوف یعلمون عاقبة امرهم فی الدنیا والاخری وقال الاستاذ دفعنا عنک غاویة شرهم ودرأنا عنک سوء مکرهم ونصرناک بموجب عنایتنا بشانک فلا علیک فیما یقولون او یفعلون او یذرون او یفعلون فالعقبی الالک بالظفر فی الدنیا والفوز بالاخری بعنایة المولی ولقد نعلم انک یضیق صدرک بما یقولون فینا او فیک او فی کلامنا فسبح بحمد ربک فنزهه عما یقولون من الباطل حامدا له علی ان هداک للحق وکن من الساجدین شکرا لرب العالمین او من المصلین وقیل من الخاضعین لقضائه المنقادین فی بلائه وقال الاستاذ ان ضاق قلبک بسماع ما یقولون فیک من ذمک فارتع بلسانک فی ریاض تسبیحنا والثناء علینا یکن ذلک سببا لزوال ضیق قلبک وسلوة لک بما تذکر من جلال قدرنا وتقدسنا فی استحقاق عزنا واعبد ربک حتی یاتیک الیقین ای الموت باجماع المفسرین وسمی به لتیقن حی کل مخلوق لحاقه به او لان عین الیقین لم یتصور الا بمعاینة الموت المبین والمعنی فاعبده مادمت فیک من الحیوة بقیة ولا تخل بالعبادة لحظة خفیة ولیس المعنی ان العبادة مغیاة بوصول الیقین ومقام المشاهدة کما یتوهمه بعض الزنادقة والملاحدة قال ابن عطاء لم یرض من نبیه علیه السلام لمحة عین الا فی عبادته وقیل واعبده انقطاعا الیه واعتمادا علیه حتی یاتیک الیقین بان الامر کله لله وتولی اضلال من اضله وهدایة من هداه وافاد الاستاذ ان معناه قف علی بساط العبودیة معتکفا للخدمة الی ان یجلس علی بساط القربة وتطالب بآداب الوصلة ویقال التزم شروط العبودیة الی ان ترقی بل تلقی بصفات الحریة ویقال ان اشرف خصالک قیامک بحقوق العبودیة لا تدعی الا باعبد فانه اشرف سماتنا ویقال کن عبدنا تکن عبدنا

سورة النحل مکیة وقیل مکیة وهی مائة وثمان وعشرون آیة

بسم الله الرحمن الرحیم افاد الاستاد ان الف الوصل فی بسم الله لم یکن لها فی التحقیق اصل اجتلبت للحاجة الیها للتوصل بها الی المنطق بالساکن فاذا وقع الغنی عنها اسقطت فی الادراج ولکن کان لها بقاء فی الخط وان لم یکن لها ظهور فی اللفظ فلما صارت الحاجة بسم الله اسقطت من الخط کذا من لا اصل له کلما ازداد صحبة استاخر رتبة وانشدوا • ادرجت فی اثناء نسیانکم • حتی کانی الف الوصل • ویقال ای سبب للالف فی قولهم قتلوا وفعلوا وای موجب لحذف الالف من السموات طاحت العلل فی الفرق ولیس الا اتفاق فی الوضع کذلک الاشارة فی ارباب الرد

والقول

والقبول من المرید قال الله تعالی فعال لما یرید اتی امر الله فلا تستعجلوه کانوا یستعجلون ما اوعدهم الرسول علیه السلام من قیام الساعة او تمام الغلبة والنصرة ویقولون لو صح ما تقول فالاصنام تشفع لنا وتدفع عنا فنزلت الی قوله سبحانه وتعالی عما یشرکون والمعنی ان الامر الموعود به لتحقق وقوعه کانه جاء به فلا تستعجلوا بمجیئه فانه یاتی لا محالة وحینئذ لا خیر لکم منه ولا مفر لکم عنه وهو سبحانه منزه عن ان یکون له شریک فیدفع مراده وقرا حمزة والکسائی بالخطاب علی وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالغیبة علی تلوین الخطاب والاقرب ان التغلیب معتبر فی الفعلین تخویفا للثقلین لما روی انه لما نزلت اتی امر الله فوثب النبی ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه وافاد الاستاد ان صیغة اتی للماضی والمراد منه الاستقبال ولکنه لسرعة ما یکون وکانوا یستبعدونه من امر الساعة قال تعالی اتی والمعنی سیاتی ویرید بالامر القیمة والکائنات کلها والی دنیا بامرها من جملة امره ای حاصل بامر تکوینه وهو امر من اموره لانه حاصل بتقدیره وتیسیره وقضائه وتدبیره فما یحصل من خیر وشر ونفع وضر وحلو ومر فلذلک من جملة امره ینزل وقرا ابن کثیر وابو عمرو ینزل من انزل والمعنی یرسل الملائکة بالروح بالقرآن فانه یحیی به القلوب المیتة بالجهالة والضلالة او یقوم فی القلب مقام الروح فی القالب کما قال تعالی وکذلک اوحینا الیک روحا من امرنا الآیة من امره ای من جله او بامره علی من یشاء من عباده ان ینذرهم رسلا الی بلاده ویقول ان انذروا ای اعلموا انه ای الشان لا اله الا انا فاتقون اشراک غیری او مخالفة امری وفی الآیة دلالة علی ان نزول الوحی بواسطة الملائکة وان حاصله هو التنبیه علی التوحید الذی هو منتهی کمال القوة العلمیة والامر بالتقوی الذی هو اقصی کمالات القوة العملیة وان النبوة عطیة وهبیة لا قضیة کسبیة قال ابن عطا المحدث من العباد من یکلمه الملک فی سره ویطلعه علی حقایق الغیوب ویفتح لروحه طریقا الی الاشراف علی الموت قال تعالی ینزل الملائکة بالروح من امره علی الانبیاء بالوحی والرسالة للتشریف وعلی ارباب التوحید وهم المحدثون بالتعریف فالتعریف للاولیاء من حیث الالهام والخاطر وانزال الملائکة علی قلوبهم غیر مسدود ولکنهم لا یؤمرون ان یتکلموا بذلک ولا یحملون رسالة الی الخلق واراد بالروح الوحی والقرآن وفی الجملة الروح ما هو سبب للحیاة اما حیاة القلب واما حیوة البدن خلق السموات والارض بالحق اوجدها علی اوضاع مختلفة واشکال مؤتلفة قدرها بقدرته وخصصها بحکمته سبحانه وتعالی عما یشرکون منها او مما یفتقر فی وجوده او بقائه الیها ومما لا یقدر علی خلقها وافاد الاستاد انه خلقها بقوله الحق وبحکمه الحق وخلقها لا مر الحق من تکلیف الخلق وما یعقب التکلیف من الحشر والنشر والثواب والعقاب تقدیسا وتنزیها عن ان یکون له شریک او معه ملیک خلق الانسان من نطفة جماد لا حس

لها ولا حركة بها فاذا هو اى جنس الانسان خصيم مجادل فى الخصومة مبين للحجة الدامغة
بقوله من يحيى العظام وهى رميم وافاد الاستاد انه تعالى لاظهار حكمته تعرف الى العقلاء
بكمال قدرته حيث اخبر انه قدر على تصوير الانسان على ما فيه من التركيب العجيب والتاليف
الغريب من نطفة متماثلة الاجزاء متشاكلة فى وقت الانشاء مختلفة الاعضاء فى وقت الاظهار
والابداء وللخروج من الخفاء ثم ما ركب فيه من التمييز والعقل ويسر عليه النطق والفعل والتدبير
والاستيلاء على الحيوانات بطريق التسخير كما اشار اليه سبحانه بقوله والانعام اى الابل
والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها وقوله لكم يحتمل ان يتعلق بخلقها وما بعده
تفصيل لمنافعها وان يكون خبرا مقدما اى لكم فيها دفء ما يدفأ به فيقى البرد مما يصنع
من صوفها ووبرها وشعرها ومنافع اخر من نسلها ودرها وظهرها وغيرها ومنها تاكلون
اى وتاكلون ما يؤكل منها من لحومها وشحومها والبانها وللمحافظة على رؤس الاى قدم
منها وافاد الاستاد انه سبحانه من عليهم بما اخبرهم وذكرهم من خلق الحيوانات من
النعم وما يسر لهم من صنوف النعم ثم ما لهم فيها من الجمال والانتفاع بها فى جميع احوالها
من الحمل عليها عند قطع المسافات والتوسل بظهرها ونسلها ودرها الى الطلبات ولكم
فيها جمال زينة حال حين تريحون تردونها من مراعاها بالعشى الى مراحها وحين تسرحون
تخرجونها بالغدو الى مرعيها فان الافنية فى الوقتين تتزين بها ويجل اهلها فى اعين
الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال اظهر فيها وانها تقبل ملائة بطونها حافلة
ضروعها وتاوى الى حظائرها حاضرة لاهلها وتحمل اثقالكم احمالكم ان لم تكن حاملكم
الى بلد لم تكونوا بالغيه على ظهوركم الا بشق الانفس اى بكلفة ومشقة تقطع الانفاس
ان الله بكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتسخيرها لكم وتيسير امرها عليكم
وافاد الاستاد ان الغنى له جمال بماله والفقير له استقلال بحاله فشتان ما بينهما فالاغنياء
يتجملون بانعامهم حين يريحون وحين يسرحون والفقراء فيستقلون بمولاهم حين يمشون
وحين يصبحون وهؤلاء يحمل انعامهم اثقالهم وهؤلاء يحمل الحق عن قلوبهم اثقالهم ثم
اقوام يستعملهم فاحوالهم معاساة الشدائد فيصلون سيرهم بسراهم واقوام فى حمل
مولاهم مروحون عن كد التدبير فى تمشية الامور مستريحون بشهود التقدير راضون
باختيار الحق من العسير واليسير والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام اى وخلق
الاجناس الثلاثة لتركبوها وزينة ولتتزينوا بها والمراد بالعلة اظهار الحكمة فان افعال
الله تعالى ليست معللة وافاد الاستاد ان النفوس تعنيها فى حمل جهل الدواب والقلوب
معتقة عن التعنى فى الاسباب ويخلق ما لا تعلمون بالعلوم العادية من الحيوانات
البرية والبحرية وفيه اشعار بان له ما لا علم لنا به من البرية وجوز ان يكون المراد بهذا الاخبار
ما خلق فى الجنة والنار مما لم يخطر ببال بشر من الاخيار والاشرار وافاد الاستاد ان اهل
الجنة كما يجدون فى الآخرة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فارباب الحقائق

اليوم

اليوم يجدون ما لا يخطر لهم قط ببال ولا قرأوا فى كتاب ولا سمعوا من اسناد التكليف
لا حاطة بما اخبر الحق انه لا يعلم تفصيله بحال وكيف يعلم ما اخبر الحق سبحانه انه لا يعلم وعلى الله
قصد السبيل بيان الطريق المقصد المستقيم الموصل الى الدين القويم رحمة وفضلا من
الرحيم الكريم والمراد بالسبيل الجنس ولذا اضيف اليه القصد وقال ومنها جائر عادل
مائل عن القصد او عن الحق او عن الله سبحانه وفيه ايماء الى ان ما عدا طريق الهداية كلها سبل
الغواية كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وكقوله سبحانه وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه
ولو شاء لهداكم اجمعين لهداكم اجمعين الى قصد السبيل هداية مستلزمة الاهتداء الى
وصول الجليل قال الواسطى على الله ان يهدى الى قصد السبيل ومن السبيل ما هو جائر لانه
سبب الجائر والسبيل القصد هو السكون على انوار اليقين وسبيل الجائر سبيل التوهم
والتعادى وقال الاستاد قوم هداهم السبيل وعرفهم الدليل وصرف قلوبهم عن خواطر الشك
وعصمهم عن الجحد والشرك واطلع فى قلوبهم شمس العرفان وازدهم بنور البيان وآخرون
اضلهم واغواهم وعن شهود الحجج اعماهم لا لسابق حكمه من غير سبب اوتيهم والقتهم ولو شاء
لعرفهم وهداهم هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب اى بعضه ما تشربونه ومنه شجر
اى ويحصل من بعضه شجر فيه تسيمون ترعون الدواب ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون
للتعظيم او للملاحظة الاسباب والتوحيد نظرا الى تفريد صنعة رب الارباب والزيتون
والنخيل والاعناب اى اشجارها وازهارها وثمارها ومن كل الثمرات اى وبعض كلها
اذ لم ينبت فى الارض كل ما يمكن وجوده من ثمارها وهو تعميم للثمر بعد تخصيصها ان فى ذلك
لآية اى آية لقوم يتفكرون فيها على وجود الصانع وحكمته وكرمه وجوده وقدرته فان من
تأمل الحبة تقع فى الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق شجرها
وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار
على اشكال مختلفة وانواع مؤتلفة مع اتحاد المواد علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس
عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية بالتفكر اشعار بهذا الايجاد والامداد وافاد
الاستاد انه سبحانه انزل المطر وجعل به السقيا والنبات واجرى العادة بان يديم به الحيوة
وبه ينبت الاشجار ويخرج الثمار ويجرى الانهار ثم قال ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون ثم
قال بعده لآيات لقوم يعقلون ثم قال بعده لآيات لقوم يذكرون وعلى هذا الترتيب تحصيل
المعرفة فاول التفكر ثم العلم ثم التذكر باستدامة العلم بتكراره فلا ينضع النظر موضعه فاذا
لم يقع فى نظره خلل وجب له العلم لا محالة ولا فرق بين العلم والعقل فى الحقيقة ثم بعده
يستديم النظر واستدامة النظر هو التذكر ويقال انما قال لآيات لقوم يعقلون على الجمع
لانه يحصل له كثير من العلوم حتى يصير عارفا اذ كل جزء من العلم يحصل باية ودليل آخر
فالعالم متى يكون عارفا بربه آيات ودلائل لان دليل هذه المسالة خلاف دليل تلك
المسئلة فبدليل واحد يعلم وجوب النظر عليه وبادلة كثيرة يصير عارفا بربه لا بدليل واحد

يعلم انه يجب عليه تذكر علومه وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم
بقضائه وقدره مسخرات بامره حال كونها مسخرات له سبحانه خلقها ودبر كيف
اراد بها. وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر ورفع ابن عامر الشمس والقمر
ايضا ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون جمع الآية هنا وذكر العقل لانها تدل انواعا
من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة من العقائد السقيمة غير محوجة الى استيفاء
فكر كاحوال النبات من الدلالات الخفية المحتاجة الى اثارة الفكر واعادة النظر
ليحصل مجموعها في مواضع موضوعها نتيجة الاستدلال بمصنوعها على كمال صانعها
وما ذرأ لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق فيها من حيوان ونبات
مختلفا الوانه اصنافه واشكاله وخواصه واحواله ان في ذلك لآية لقوم يذكرون
يتعظون بما يشاهدون من الآيات ويرون اختلاف النبات في الطباع والهيآت
الدالة على ان صانعها حكيم عظيم فيما خلقه من الكائنات وافاد الاستاد ان الليل
والنهار ظرف الافعال وان الناس مختلفون في الافعال من جهة الاحوال فالموفق
يجري وقته في طاعة الله والمخذول يجري وقته في متابعة هواه والعابد يكون في فرض
يقيمه او نفل يديمه والعارف في ذكر يحصله او وارد يغلب على قلبه فيؤنسه واما ارباب
التوحيد فهم مختطفون عن الاحساس بالاوقات لغلبة ما يرد عليهم من الحالات
كما قيل لست ادري اطال ليلي ام لا وفي الآية اشارة الى شمس التوحيد وقمر المعرفة
ونجوم العلوم ثم لاقوام خلق لهم في الارض الرياض والغياض والدور والقصور
والمساكن والمواطن وفنون النعم وصنوف القسم وآخرون لا يقع لهم طير
على وكر ولا لهم من الارض شبر فهم لا دبار تملكهم ولا علاقة تمسكهم اولئك
سادات الخلق وصنائع الحق وهو الذي سخر البحر لتتمكنوا من الانتفاع به في
الركوب والغوص والاصطياد لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة
لانه ارطب اللحوم في اللطافة وتمسك بظاهره مالك والثوري على ان من حلف
ان لا يأكل لحما حنث باكل لحم السمك واجاب عنه الجمهور بان مبنى الايمان على
العرف المشهور وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان تلبسونها اي تلبس نساؤكم
فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها من جهتهم وترى الفلك السفن
مواخر فيه جواري في البحر تشقه بوسط صدرها من المخر وهو شق الماء ولتبتغوا
من فضله اي سعة رزقه بركوبها للتجارة او زيادة ثوابه بدخولها للجهاد والحج
والعمرة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله منها ومن غيرها فتقومون بحقها وافاد
الاستاد انه سبحانه خلق صنوفا من الخلق غرقى قوما في بحار الشغل وآخرين في بحار
الحزن وآخرين في بحار اللهو والسهو فالسلامة من بحر الشغل ركوب سفينة التوكل
والنجاة من بحر الغم ركوب سفينة الرضا والخلاص من بحر اللهو والسهو ركوب

سفينة

سفينة الذكر وانشد بعضهم الناس بحر عميق والبعد منه سفينة وقد نصحتك
فانظر لنفسك المسكينة والقى في الارض رواسي اي وجعل فيها جبالا ثوابت
ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب لكم فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن
الحركة المانعة عن مباشرة امر المعاش والمعاد وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون
الى مقاصدكم في معيشتكم او الى معرفة الله في ايصال نعمتكم وعلامات يستدل بها
السابلة من الامارات القابلة كجبل وسهل ونهر وبحر وبالنجم اي بجنسه الشامل
للشمس والقمر وسائر الكواكب هم اي الخليج العرب او الخلق كلهم يهتدون
بالليل والنهار والبوادي والبحار وافاد الاستاد ان الآية في الظاهر لا محالة
وفي الاشارة للاولياء الذين هم غياث الخلق في شدائد الحال بهم يرحمهم ربهم وبهم
يغيثهم فمنهم ابدال ومنهم اوتاد ومنهم القطب وفي الخبر الشيخ في قومه كالنبي في امته
وقد قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وقال ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
لم تعلموهم ان تطؤهم ثم الاولياء وان عيان طرق الى الله بهم يهتدي السالكون والكواكب
نجوم السماء ومنها رجوم الشياطين والاولياء نجوم في الارض وكذا العلماء وهم ائمة
التوحيد والدين وهم رجوم الكفار والملحدين ويقال فرق بين نجوم يهتدى بها لنجاح
الدنيا وبين نجوم يهتدى بهم الى قرب المولى افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة
ادلة على غاية قدرته ونهاية حكمته لان يساوي ما لا يقدر على شيء في استحقاق مشاركته
افلا تذكرون فتعرفوا فساد ما تقولون من اشراك ما لا يخلقون وان تعدوا نعمة الله
من انواع النفع واصناف الدفع لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا
القيام بشكرها في مددها ان الله لغفور لتقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يعاجلكم
بالعقوبة على كفرها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اعمالكم واحوالكم ففيه وعد
للمطيعين ووعيد للمسيئين وقال الاستاد اي ما تسرون من الاخلاص وملاحظة
الاشخاص فلا يخفى عليه الحال وما تعلنون من الوفاق والشقاق والاحسان والعصيان
فالآية توجب تخويف ارباب الزلات وتشريف اصحاب الطاعات والذين
تدعون من دون الله اي الالهة الذين تعبدونهم من سواه وقرأ عاصم بالغيبة
لا يخلقون شيئا اي لا يقدرون على خلق شيء من البرية والجزئيا في صفات الالوهية
ونعوت الربوبية وهم اي بانفسهم يخلقون بخلقه سبحانه اياهم اموات اي هم
اموات حالا ومآلا غير احياء بل غالبهم جمادات والاله يجب ان يكون حيا بالذات
لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون لا يدرون اي آن وقت بعثهم اي وقت
بعث اتباعهم فدل هذا على جهلهم بحالهم ومآلهم والاله لا يكون الا عالما بالماضي
والحال والاستقبال الى ازل الآزال وافاد الاستاد انه سبحانه اخبر ان الاصنام
لا يصح منها الخلق لكونها مخلوقة فدل ذلك ان من وجد منه سمة الخلق لا يصح منه الخلق والخلق

هو الايجاد ففي الآية دليل على خلق اعمال العباد ثم قال فكل من علق قلبه بشئ وتوهم
منه خيرا او شرا او نفعا او ضرا فقد اشرك بالله بطنه واتما التوحيد تجريد القلب
عن حسبان نفي واثبات من غير الرب الهكم اله وحد فذلكة القضية العقلية ونتيجة
الحجج البينة فالذين لا يؤمنون بالآخرة بعد وضوح الادلة الظاهرة قلوبهم منكرة غير
عارفة بالعرف والنكرة ليستدلوا على وقوعها بالفكرة وهم مستكبرون من ان يقبلوا
كلام اهل البصيرة وان تقلدوا ارباب الخبرة لا جرم حقا او لا بد من وقوعه صدقا ان الله
يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم على ما يفعلون وما يذرون انه لا يحب المستكبرين
مطلقا عمن استكبر عن توحيد ربه واتباع رسوله وافاد الاستاد انه لا قسيم لذاته سبحانه
جوازا او وجودا ولا شبيه له ولا شريك فمن يتحقق بهذه الجملة قطعا بشهادة البراهين
له تفصيلا فهو في دركات الشرك واقع وعن حقايق التوحيد بمعزل قال النبي في صفة
الكفار قلوبهم منكرة وهم مستكبرون اي هم في اسر الشرك وغطاء الكفر ثم ليس فيهم
انصاف الطلب ولا مطالبة العرفان والا فالعلة لمن اراد المعرفة مزاحة وادلة الحق
لايحة لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيفضحهم ويبين نفاقهم ويعلن للمؤمنين
كفرهم وشقاقهم وانه لا يحب المستكبرين دليل الخطاب انه يحب المتواضعين المحسنين
وكفاهم فضلا ببشارة الحق لهم بمحبته واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير
الاولين اي ما يدعى انزاله من رب العالمين ليحملوا اوزارهم قالوا ما قالوا اضلالا
لغيرهم ليحملوا اوزار ضلالهم كاملة يوم القيمة فان ضلالهم نتيجة رسوخهم في ضلالهم
ومن اوزار الذين يضلونهم اي وبعض اوزار ضلال من تسببوا الى ضلالهم من غير
ان يحملوا اثقال جميع ما كسبوا من ضلالهم بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا
يعلم انهم ضلال واسباب وبال وفائدته الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم
ان يبحثوا ويميزوا بين ما ينفعهم ويضرهم الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم
وافاد الاستاد انه لحقهم شوم تكذيبهم فاصروا على الاعراض عن النظر فقست
قلوبهم ولم يحتج قلبهم الى الاقرار بالحق فلبسوا على من سائلهم وقالوا هذا الذي جاء به محمد
اكاذيب العجب فضلوا واضلوا ولما سعوا في الدنيا لغير الحق وضيعوا اعمالهم حملوا
في العقبى مع اوزار انفسهم اوزار غيرهم واثقالهم اولئك الذين خسروا في الدنيا
والاخرى قد مكر الذين من قبلهم بان فعلوا حيلا ليمكروا بها رسل ربهم فاتى الله
اي امره او عذابه بنيانهم من القواعد ما بنوا عليه من جهة اساسهم واستنادهم
وعمدهم التي عليها الحق اعتمادهم بان تقطعت اطنابهم وحركت اوتادهم فخر عليهم
السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون لا
يحتسبون ولا يتوقعون قيل وهو على سبيل التمثيل وافاد الاستاذ انهم احتفوا
بالمكر فحاق بهم سوء مكرهم ووقعوا فيما حفروه لغيرهم واغتروا بطول امهالهم فاخذهم

العذاب من مأمنهم واشتغلوا بلهوهم فنغص عليهم بغتة اطيب يومهم قال
والذي وصف نفسه سبحانه في كتابه من الاتيان فبمعنى العقوبة وذلك على عادة العرب
في التوسع في العبارة وانما ينكسف القمر ليلة بدره ويعامل الماكر بما يليق بمكره وفي معناه
انشدوا فامنته فاتاح لي من مأمني مكرا كذا من يأمن الايام ثم يوم القيمة
يخزيهم يذلهم ويعذبهم ويقول اين شركائي اضافهم الى نفسه حكاية لاضافتهم زيادة
لتوبيخهم وتخجيلهم والمعنى اين الهتكم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين
في شانهم وقراء نافع بكسر النون فان مشاقة المؤمنين كمشاقة ربهم وافاد الاستاد
ان هذا عاجل بلائهم وبين ايديهم آجله وحسرة المفلس تتضاعف اذا حوسب شوهد
حاصله قال الذين اوتوا العلم من الانبياء والاولياء الذين كانوا يدعونهم الى
توحيد ربهم فيشاقونهم ويتكبرون عليهم ان الخزي اليوم اي الفضيحة والسوء على
الكافرين وفائدة قولهم هذا اظهار الشماتة وزيادة الاهانة ونتيجة حكايته هي الملاطفة
بمن سمع روايته وقال الاستاذ سيسمع يومئذ قولهم ويبين للكافة صدقهم ويقع الذم
على جاحدهم واما اليوم فعليهم الصبر والتحمل على البلاء وعن قريب ينكشف الغطاء ولقد انشد
بعضهم شعر خليلي لو دارت على رأسي الرحى • من الذل لم اجزع ولم اتكلم •
واطرقت حتى قيل ان يعرف الجفاء • ولكنني افصحت يوم التكلم • الذين تتوفيهم
الملائكة وقرأ حمزة بالتذكير لجماعة الملائكة وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة
ظالمي انفسهم بارتكاب الكفر والمعاصي في الدنيا فالقوا السلم استسلموا وانقادوا للحكم
الولي حين عاينوا الموت وشاهدوا مقدمة عقوبة العقبى وتعللوا بقولهم ما كنا نعمل
من سوء ظنا منهم ان كذبهم ينفعهم وجهلا بان الله يعلم حالهم ولذا يجيبهم الملائكة بقولهم
بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وفق ما تحاسبون من حيث لا يحتسبون
فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابا من ابوابها المعدة في دخولها او وصوله وقيل المراد
من الابواب اجناس العذاب الناشية من اصناف الحجاب خالدين فيها فلبئس
مثوى المتكبرين اي منزلهم ومأويهم جهنم المعدة للكافرين والمنكرين وافاد الاستاد
انهم جحدوا وانكروا ما علموا من مخالفة ربهم وكذلك الذين دنسوا نفوسهم باعراضهم
عن الطاعات اذا نزل بهم الوفاة اخذوا في الجزع والتضرع ثم لم تطب نفوسهم
بان يقروا بتفاصيل اعمالهم عذا منا لهم فيما يتعلق بارضاء خصومهم وما خانوهم
في معاملاتهم ثم الله يؤاخذهم بالكبير والصغير والنقير والقطمير ثم يبقون ابدا
في وبال ما اكتسبوه لان شوم ذلك يلحقهم حتى يكون في آخر احوالهم غلبة شبهة
عليهم فيخرجون من توحيد ربهم والمتكبر من جحد الحق وعاند الصدق وقيل للذين اتقوا
يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا انزل خيرا حيث يتعلق به خير الدنيا والاخرى
كما يشير اليه قوله للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة من حسن حالة وحال راحة

الدلالة والعقوبة

وتوفيق طاعة وتحقيق قناعة ولدار الآخرة خير لمن اتقى اذ ثوابها انقى وابقى ولنعم
دار المتقين دار العقبى جنات عدن بدل او عطف بيان او خبر مبتدا محذوف هى
اى بساتين اقامة حول قصور بلا قصور وافة يدخلونها ويخلدون فيها ولا يتحولون عنها
تجرى من تحتها الانهار من تحت القصور والاشجار او من تحت تصرف سكان الدار
لهم فيها ما يشاؤن جميع ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وفى تقديم الظرف اشارة
الى ان الانسان لا يجد جميع مراده الا فى الجنة ولهذا ورد اللهم لا عيش الا عيش الآخرة
كذلك مثل هذا الجزاء يجزى الله المتقين الشرك والمعصية والغفلة وخطور السواء
بحسب مراتبهم فى مقام الصفاء وحال الصفياء وافاد الاستاد ان الحسنة التى للذين
احسنوا فى الدنيا هى ميراث الطاعات فى عاجلهم من حلاوة الطاعات لصفاء الاوقات
ويصح ان يكون تلك الحسنة زيادة التوفيق لهم فى الاعمال وزيادة التحقيق لهم فى الاحوال ويصح
ان يقال تلك الحسنة ان تبلغهم منازل الاكابر والسادة قال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهدون
بامرنا لما صبروا ويصح ان يكون تلك الحسنة ما يتعدى منهم الى غيرهم من بركات ارشادهم
للمريدين وما يجرى على من اتبعهم مما اخذوه وتعلموه منهم قال صلى الله عليه وسلم لان يهدى
بهداك رجل خير لك من حمر النعم ولدار الآخرة خير لان فى الدنيا مشاهدة وفى الآخرة
معاينة لهم فيها ما يشاؤن كما ان الارادات والهمم تختلف فى الدنيا فكذلك
فى الاخرى وفى الخبر من كان بحالة يلقى الله بها فمن مريد يكتفى من الجنة بوجود الجنة ومن
مريد لا يكتفى من الجنة دون شهود رب العزة ويقال اذا شاؤا ان يعودوا الى الوقائع
من قصورهم وما وجدوا من صحبة الحور العين وسائر احوالهم وامورهم فسلم لهم ذلك ومن
شاء ان يدوم رؤيته ويتابد سماعه وخطابه فلهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وهو
ما لم يخطر ببال احد الذين تتوفيهم الملائكة طيبين طاهرين من دنس الظلم ووسخ
المعصية او فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه
نفوسهم بالكلية الى حضيرة القدس وحضرة الانس والمرتبة العلية وافاد الاستاد ان
منهم من طاب وقته لانه غفر ذنوبه وستر عيوبه ومنهم من طاب قلبه لانه سلم عليه محبوبه
ومنهم من طاب قلبه لانه لم يفته مطلوبه ومنهم من يطيب وقته لانه يعود الى لقاء
ربه ويصل الى حصول ما ربه ومنهم من يطيب قلبه لانه امن من زوال حالة
وحظى بسلامة ماله ومنهم من يطيب قلبه لانه وصل الى افضاله وآخر لانه وصل
الى لطف جماله وآخر لانه قد خلص بكشف جلاله ويقال تتوفيهم الملائكة طيبة
انفسهم طاهرة من الدنس بوسخ المخالفات وطاهرة قلوبهم عن العلاقات
واسرارهم عن الالتفات الى شئ من المخلوقات يقولون سلام عليكم من عندنا
او من عند ربهم ادخلوا الجنة اى بسلام آمنين بما كنتم تعملون من اعمال الحسنات
فالجنة معدة لكم على وفق اعمالكم وبحسب مراتب احوالكم افاد الاستاد ان منهم

من يلاطفه

لمن يلاطفه بذلك الملك هل ينظرون ما ينتظر الكفار والفجار من غاية الامهال
ونهاية الاغترار الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرا حمزة والكسائى
بالتذكير او يأتى امر ربك بظهور القيمة والحساب او لحصول الحجاب او بزوال الغذا
فى الدنيا او العقبى كذلك اى مثل فعلهم فعل الذين من قبلهم فاصابهم
ما اصابهم وما ظلمهم الله باهلاكهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم
المؤدية الى هلاكهم فاصابهم سيئات ما عملوا جزاء سيئات اعمالهم وحاق بهم
ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاء استهزائهم وسوء احوالهم وافاد الاستاذ
ان القوم لم ينتظروا مجئ الملائكة لانهم لم يعترفوا بهم ولم يعتقدوا كونهم ولكن لما
كان عاقبتهم يؤل الى ذلك وعلم الله ذلك منهم هنالك اخبرانهم ينتظرون وهم
كانوا يستعجلون معتقدين ان الرسل غير صادقين ولما سلكوا مسلك امثالهم
من المتقدمين عوملوا بمثل الذى سلفهم وما كان ذلك من الله ظلما عليهم لانه
تصرف فى ملكه من غير حكم حاكم عليه وقال الذين اشركوا لو شاء الله اى توحيدنا ما عبدنا من دونه من
شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ قالوا ذلك منعا لبعثة الرسل من جانب
الحق لتكليف الخلق متمسكين بان ما شاء الله يجب ولم يرتفع وما لم يشا لم يقع
بل يمتنع والحاصل ان مقولهم كلمة حق اريد به الباطل بدليل قوله سبحانه ولو شاء الله
ما اشركوا ولاجماع السلف على ما ورد فى الحديث ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن
لكن ليس للمكلف ان يتعلق بالقضاء والقدر اذا نهاه ربه او امر فقولهم هذا
كقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه ولا خلاف ان الله لو يشاء اطعمهم كذلك فعل
الذين من قبلهم فاشركوا بالله واعتقدوا احله وكذبوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ
المبين ما عليهم الا البلاغ المبين ما عليهم الا التبليغ الموضح للحق فان الله سبحانه
هو الهادى المطلق فيهدى ببعثة الرسل من شاء هدايته ويزيد فى ضلال من اراد
ضلالته كما قال يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا فهو كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج
السليم ويضر الطبع السقيم وقد كان النيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين ولقد بعثنا
فى كل امة رسولا اى نبيا منهم آمرا لهم ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت بعبادة الله
واجتناب ما سواه فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان وارشدهم للعرفان ومنهم من
حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هدايتهم الى مقام الاحسان فسيروا فى الارض
بالاقدام او الافهام فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين للانبياء عليهم السلام وافاد ان
الله سبحانه لم يخل زمانا من شريعة ولم يعر وقتا من حجة ولكن فرقهم فى سابق حكمه فريقا
قربهم وهداهم وفريقا حجبهم واعماهم ان تحرص على هديهم اى ارشاد كل منهم وهدايته فان
الله لا يهدى من يضل اى من تعلق علمه بضلالته وقرا غير الكوفيين لا يهدى على البناء
للمفعول وهو ابلغ والمعنى فان الله من يرد ضلالته لا يقصد احد هدايته وما لهم من ناصرين

من ينصرهم لا منهم ولا من غيرهم برفع العذاب عنهم وافاد الاستاد انه سبحانه الزم
رسوله الوقوف على حد العبودية بان عرفه حقايق الربوبية فقال انك وان كنت بامر
لك حريصا على هدايتهم فان من قسمت له الضلالة لا يجرى عليه غير ما قسمته له لا محالة
واقسموا بالله جهد ايمانهم مبالغة في كفرانهم وطغيانهم لا يبعث الله من يموت فلا حساب
ولا عذاب ولا ثواب قال تعالى في الجواب بلى يبعثهم وينجز لهم وعدا عليه حق
وقوعه لامتناع الخلف في وعده ولان البعث مقتضى حكمته في حكمه حقا حق هذا الوعد
حقا ووقع صدقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون لجهلهم باحكام ربهم ولقصور نظرهم في
عاقبة امرهم ولغفلتهم عن حكمة بعثتهم المبينة بقوله ليبين لهم الذي يختلفون فيه
من الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في ايمانهم فان السبب الداعى الى بعث الخلق
هو مقتضى حكمة الحق من التمييز بين الحق والمبطل والباطل والصواب بالعقاب
والثواب حتى قال في الجاهلية بعض العقلاء ان بعد دارا للجزاء فانا نشاهد في هذه الدار
ان كل من احسن في عمله من اعمال الابرار من كفالة يتيم واطعام فقير واغاثة ملهوف
واعانة ضعيف لا يظهر مجازاته من ربه بل نراه في سوء حاله بخلاف من عمل عمل الفجار من
ضرب ونهب وقتل فانه يطول عمره ويكثر ماله ويسع جاهه ويقل افاته وبلائه وقد اشار
الى هذا المعنى في قوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا
الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون انما قولنا لشيء اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون هو بيان امكانه وبرهان لوقوع شانه وتوضيحه ان تكوين الله بمحض
قدرته وتعلق مشيته من غير توقف على مدد ولا عدد والا لزم التسلسل في خلق خليقته
فلما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة امكن له تكوينها وقت الاعادة
ونصب ابن عامر والكسائي فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر كن وافاد الاستاد
ان بالسمع علم تعلق قوله بما يفعله وحمله قوم على ان معناه انه لا يتعسر عليه فعل شيء اراده ويعنى
الاية على القولين جميعا ان الذي لا يحتاج في فعله الى مادة يخلق منها لا يفتقر
الى مدة يوقع الفعل فيها والاية تدل على ان قوله ليس بمخلوق اذ لو كان مخلوقا لكان
مقولا له كن فذلك القول يجب ان يكون مقولا له بقول آخر وهذا يؤدى الى ان
يتسلسل ولو تسلسل لما تحصل والذين هاجروا في الله اى في سبيل رضاه من بعد
ما ظلموا من جهة كفار قريش وغيرهم واخرجوا من ديارهم واموالهم وفي معناه
من هاجر اهل البدعة وبلاد الظلمة لنبوئنهم في الدنيا حسنة تبوئة حسنة
كالحبشة والمدينة ولاجر الآخرة اكبر اى اعظم درجة واكثر بركة مما يعجل لهم في الدنيا
من الغنيمة لو كانوا يعلمون ما اعد لهم من اجرهم لزادوا في اجتهادهم وصبرهم
وشكروا على امرهم الذين صبروا اى هم الصابرون على البلاء وعلى ربهم يتوكلون
في العطاء وسائر القضاء وافاد الاستاد ان من هاجر عن اوطان السوء في الله

ورضاته

ورضاته ابدله الله جوارا اوليائه بما يكون له في جوارهم معونة على الزيادة في
صفاء اوقاته ومن هجر اوطان الغفلة مكنه الله في مشاهد الوصلة ومن فارق
مجالسة المخلوق في جواره وانقطع بقلبه الى الله باستدامة ذكره فكان الخبر انا جليس
من ذكرني ونهاية هؤلاء القوم نهاية اهل الجنة ففي الخبر الفقراء الصبر جلساء الله
يوم القيمة ويقال القلب مظلوم من جهة النفس لما تدعوه اليه من شهواتها فاذا هجرها
اورث الله للقلب اوطان النفس حتى تنقاد لما يطالب القلب من الطاعة
فبعد ما يكون اوطان الزلة بدواعي الشهوة يصير وطن الطاعة بسهولة اداءها
ثم الصبر الوقوف تحت جريان القضاء والتوكل الثقة بالله بحسن الرجاء وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقولهم ابعث الله بشرا رسولا ومن العجب
انهم رضوا ان يكون الاله حجرا ولم يرضوا ان يكون الرسول بشرا والمعنى ان السنة
الالهية جرت بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة الملائكة لحكمة
تقتضي ذلك فان شككتم فيما هنالك فسئلوا اهل الذكر اى الرهبان والاحبار
او علماء الاخبار ليعلموكم باثار الانبياء الاخيار ان كنتم لا تعلمون وتقرون بانكم
تجهلون ولا تعاندون فيما تقولون وفي الاية دلالة على وجوب المراجعة الى
العلماء في مسائل الواقعة وافاد الاستاد ان اهل الذكر هم العلماء والعلماء مختلفون في
الانباء فالعلماء بالاحكام اليهم الرجوع في الاستفتاء للعوام فمن اشكل عليه شيء من احكام
الامر والنهي فرجوعهم الى العلماء باحكام الله ومن اشتبه عليه شيء من سلوك طريق الله
فرجوعهم الى العلماء بالله فالفقيه يوقع في احكام الشرع عن الله والعارف ينطق في
ادب الطلب واحكام الارادة وشرايط الصحبة مع الله بالبينات والزبر اى
ارسلناهم بالمعجزات اللايحة والكتب الواضحة وانزلنا اليك الذكر اى الذكر العظيم
وهو القرآن الكريم والفرقان الحكيم لتبين للناس ما نزل اليهم اى مما تشابه عليهم
ولعلهم يتفكرون ويتأملون في مبانيه ويستنبطون حقايق معانيه قال ابن
عطا قطع عقول الخلق عن فهم كتابه والاشراف عليه والاطلاع على سره الا على
نبيه عليه السلام فانه قال وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس وان كان فيه احكام
الخلق فالخطاب معك فانت صاحب البيان لهم بما انزل اليك من الحق فانهم
في مقامات الوحشة وانت في محل الحضرة ومحل الايمان ومقر الامان ومقام
الاحسان وكمال العرفان فبيان الكتاب ما تبينه واداب الشريعة ما ترسمه لانك
الامين في جميع الاحوال ولا يؤتمن على اسرار الحق الا الامناء من اهل الكمال لقول
بعضهم صدور الاحرار قبور الاسرار وافاد الاستاد ان البيان اليك والاعتماد
عليك فانك الامين على وحينا والواسطة بيننا افامن الذين مكروا السيئات
المكرات السيئات واحتالوا لهلاك الانبياء وفساد المؤمنين والمؤمنات

ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
بغتة من جهة السماء كما فعل بقوم لوط او من الجهتين كما وقع لقوم نوح او يأخذهم بالهلاك
في تقلبهم في حال ترددهم وتصرفهم في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين دافعين العذاب
عن انفسهم او يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم اي على مخافة بان يهلك قوما
قبلهم فيتخوفوا على انفسهم فيأتيهم العذاب وهم متخوفون والمعنى انه يستوي عنده اخذهم
في كونه بغتة او جهرة كقوله تعالى قل ارأيتم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك
الا القوم الظالمون او على تنقص بان ينقص شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم
حتى يهلكوا بكمالهم وافاد الاستاذ ان سهام تقدير الحق غرضها احوال الخلق ولا تطيش
تلك السهام فاذا صادف الغرض وصابه حق بلا التمام وبين كل نفسين للعبد مخاوف
يجب على العبد فيه صبره وشكره ولا ينبغي ان يأمن في ذلك من الله مكره فاكثر الاسنة تعلق
المواطنين الواطنين نفوسهم وقلوبهم على ما عودهم الحق من عوائد المنة وانشدوا •
يا راقد الليل مسرورا باوله • ان الحوادث قد يطرقن اسحارا • اولم يروا الى ما خلق الله
استفهام تقرير اي قد رأوا امثال هذه الصنائع من آثار التقدير فما لهم لم يتفكروا في
صنعته ليظهر لهم كمال قدرته فيخافوا من مخالفته الموجبة لعقوبته وقرأ حمزة والكسائي
اولم تروا بالخطاب ثم ما موصولة مبهمة بيانها قوله من شيء يتفيؤا ظلاله وقرأ ابو عمرو
بالتأنيث والمعنى اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال من الكائنات متفيئة
ومتمايلة عن اليمين والشمائل عن جانبي كل واحد منها وتوحيد اليمين وجمع الشمائل عنا لا
ختلاف ما في المبنى والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله اي منقادين
له وهم داخرون ذليلون صاغرون والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها
من جانب الى جانب منها منقادة لما قدر لها من تفيؤها او واقعة على الارض
ملتصقة بها على هيئة من سجد عليها والاجرام في انفسها ايضا مستسلمة لفعال
الله فيها قيل ما خلق الله شيئا من الجماد والحيوان ينازع صانعه وخالقه الا الانسان
فانه ادعى لنفسه ما ليس له من قدرة وعلم ذكره السلمي ولذا كان ظلوما جهولا وافاد الاستاذ ان كل
مخلوق من عين او اثر من حجر او مدر فمن حيث البرهان لله ساجد ومن حيث البيان على الوحدانية
شاهد ولله يسجد ما في السموات وما في الارض اي ينقاد لارادته وتأثيره طبعا وتكليفا
طوعا من دابة بيان لما في الارض والملائكة بيان لما في السماء على النشر المعكوس وما يعم
العقلاء وغيرهم وهم لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون
يخافون ربهم من فوقهم اي وهو من فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده ويفعلون
ما يؤمرون من طاعته وفيه ايماء الى ان الملائكة مكلفون واقفون بين الرجاء والمخافة
وافاد الاستاذ ان المراد من السجود هنا سجود شهادة لا سجود عبادة فان امتنع قوم من اقامة
الشهادة في المقالة فقد شهد كل جزء منهم من حيث البرهان والدلالة والملائكة مع جلالة مقام

قربهم

قربهم يخافون ربهم ان ينزل عليهم عذابا من فوقهم ويقال خير الدنيا والاخرى
للعبد خوفه من المولى يمنعه من الزلة ويحمله على الطاعة وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين
تأكيد كواحد في قوله انما هو اله واحد وايماء الى ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية
اذ ليس في الله شك للبرية فاياي فارهبون لان غيري لا يتصور منه الرهبة ولا الرغبة
قال ابو عثمان نهاك ربك ان تتخذ الهين او تدعي معه شريكا فاتخذت آلهة وادعيت
شركاء متعددة بان عبدت نفسك وهواك وطبعك ومرادك وعبدت الخلق في طمع
عطائك فكيف يصح لك التوحيد مع ذلك واني تصل الى محل التوحيد لربك وافاد الاستاذ ان
الحاجة الى اثبات صانع واحد داعية وما زاد على الواحد فالاعداد فيه متساوية وله ما في
السموات والارض ملكا وملكا وله الدين الطاعة والانقياد واصبا لازما ولازبا
للعباد لما تقرر من انه الاله ولا يرجى ولا يخاف سواه او وله الجزاء دائما سرمدا بثواب
من آمن وعقاب من كفر ابدا افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع الا اياه
وما بكم من نعمة فمن الله اي واي شيء اتصل بكم من نعمة دنيوية او اخروية ظاهرية او باطنية
فهو من الله وما شرطية ومن بيانية ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فتتضرعون الا
اليه في دفع المضرة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم وهم كفاركم بربهم يشركون
بعبادة غيرهم ليكفروا بعبادة غيره بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا الكفران
النعمة بشركهم او انكار كونها من ربهم فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيد
قال ابو حفص جميع النعم عليك من ربك وشكرك لغيره ورجوعك في النوائب كلها اليه
وعبادتك لغيره فاذا وافاد الاستاذ ان النعمة ما تقرب العبد من الحق فاما ما يوجب النسيان والطغيان
والغفلة والعصيان فاولى ان يكون محنة ويقال ما للعبد فيه نفع او يحصل به للشكر رفع
فهو على اصح القولين نعمة سواء كان دينيا او دنيويا والعبد مأمور بالشكر عليه مزجور عن
كفرانه واكثر الناس يرون الاحسان من الخلق قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور وفائدة
الآية قطع الاسرار عن الاغيار في حالتي اليسر والعسر والثقة بان الخير والشر والنفع والضر
كلاهما من الله سبحانه ثم اذا اظل للعبد هواجم الاضطرار التجأ الى الله في استدفاع ما مسه
من البلاء بالجؤار فاذا من الله عليه وجاد بكشفه عنه صار كانه لم يمسه سوء ولا اصابه هم
كما قيل • كان الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى • ولم يك صعلوكا اذا ما تمولا •
ويجعلون لما لا يعلمون لآلهتهم التي لا علم لها ولا يتوقع نفع وضر من جهتها نصيبا
مما رزقناهم حصة من الحرث والانعام كما جعلوا نصيبا منها لخالق الانام تالله
لتسئلن عما كنتم تفترون من كونها آلهة تستحق التقرب اليها وتعاقبون على
عبادتها وصرف ارزاقها الى سدنتها ويجعلون لله البنات فان خزاعة وكنانة
كانوا يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من مقالتهم او تعجيب من
جراءتهم ولهم ما يشتهون من البنين جملة حالية من خبر ومبتدأ معترضة بيانية

واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل صار وجهه او دام النهار كله مسودا
من الكآبة والاغتمام والحياء من الخاص والعام وهو كظيم مملوء غيظا من المراة لميلها الى
الغلام يتوارى من القوم يستخفى من اهله من سوء ما بشر به من حزن المبشر به عرفا
وعادة او المخبر به لغة أيمسكه اى حال كونه محدثا فى نفسه متفكرا فى امره من انه هل يتركه
غير مدفون ويحفظه حيا على هون اى مذلة واهانة ام يدسه فى التراب ام يقتله ويخفيه
او يدفنه فيه حيا الى ان يموت وتذكير الضمير للفظ ما الا ساء ما يحكمون بئس حكمهم هذا حيث
يجعلون لله ما يكرهون وافاد الاستاذ ان فرد جهلهم حملهم على وصف معبودهم الاحد
الصمد بالولد ثم انه زاد فى خذلانهم حتى قالوا الملائكة بنات الله وكانوا يكرهون للبنات
فرضوا لله ما لا يرضوا لانفسهم ويلتحق بهؤلاء فى استحقاق الذم كل من اثر حظ نفسه
على حق مولاه فاذا فعل ماله فيه نصيب وعرض كان مذموم الوصف ملوما على ما اختاره
من الفعل ثم انه عابهم على قبيح ما كانوا يفعلونه ويتصفون به من كراهة ان يولد لهم
الاناث فقال واذا بشر احدهم بالانثى الآية استولى عليهم رؤية الخلق وملكتهم الحيرة فانفوا
من البنات لئلا يلحقهم انفة فى تزويجهن وتمكين البعل فيهن وهذه نتايج الآفة ازداد
التفرقة والغيبة عن شهود الحقيقة ثم قال أيمسكه الى آخره وتلك الحيرة فى افعالهم حصلت
من قساوة قلوبهم فى احوالهم ولا عقوبة اشد مما كانت تتعجل لهم من فرط غيظهم وفقد
رضاهم وشدة حيفهم على من لا ذنب لهن اولادهم فهذه صفة اهل النار فى دركات
جهنم من تكدر الوقت واستيلاء الوحشة وتوذ بابه من سوء الحالة للذين لا يؤمنون
بالآخرة مثل السوء اى الصفة السوأى وهى الحاجة اى الولد المنادية بالفناء
والمنافية لمقام الاستغناء والكبرياء ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق
والنزاهة عن صفات الخلق وهو العزيز الحكيم المتفرد بجلال القدرة وكمال الحكمة وافاد
الاستاذ ان من عرفه بنعوت الالهية تمت سعادته الدنيوية والاخروية وتجلت له
الحقيقة راحة فان سره يتنزل عن الدوام فى رياض معرفته وروحه ابدا فى الطرب بين يدى
وجد حضرته والذى وسم بالشرك فهى عقوبة معجلة واهموم محصلة ولو يؤاخذ الله الناس
بظلمهم او يعاقبهم بكفرهم وتعديهم ما ترك عليها على وجه الارض واضمرها من غير ذكرها لما
يدل عليها ما قبله من الناس او ما بعده من دابة اى متحركة قط بشوم اعمالهم وعن ابن مسعود
كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وفيه ايماء الى انه لا يخلو نفس
من نوع ظلم يستحق به المؤاخذة وقيل لو اهلك الآباء لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى
اجل مسمى لانتهاء اعمارهم او لتبدلوا دمار ديارهم كى يتوالد بنو آدم ويتم بهم نظام العالم
ويرزقون العافية ببركة اهل الطاعة فالمراد بالناس غالبهم لعصمة الانبياء وحفظ الاولياء
مع انه سبحانه لو واخذهم لاخذهم وهو عادل بهم فاذا جاء اجلهم فارب بجنبه لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون وافاد الاستاذ انه سبحانه لو عاملهم بما استحقوا عاجلا لخلا البسيط

منهم

منهم اجلا ولكن الحكم سبق بامهالهم دون اهمالهم وسيلقون عن
اعمالهم فى مآلهم ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات اثبات الشريك
فى الرياسة وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى عند الله تعالى لقوله
سبحانه حكاية عنهم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى لا جرم ان لهم النار
وانهم مفرطون مقدمون اليها ودائمون فيها وقرأ نافع بكسر الراء اى لا جرم ان لهم
النار فى العقبى وانهم مفرطون فى المعاصى مصرون عليها فى الدنيا ولعل تاخير هذه
الجملة لمراعاة الفاصلة وقال الاستاذ لما ان لهم العيش ظنوا انهم ينجون وبما يؤملونه
يحظون فحسنت فى اعينهم قبايح صفاتهم ويوم يكشف لهم الغطاء يعضون بنواجذ
الحسرة على انامل الخيبة فلا يسكن عنهم انه ولا يسمع منهم دعوة ولا يتعلق لاحد بهم
رحمة تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك رسلا ليصلحوا احوالهم فزين لهم الشيطان
اعمالهم فاصروا على كفرنا وكذبوا جاحدين برسلنا فهو وليهم اليوم فى الدنيا او العقبى
على ان الآية حكاية حال ماضية او آتية ولهم عذاب اليم يوم القيمة ومن اشد
العذاب وجود الحجاب ومقارنة القرين السوء فى البعد عن باب ذلك الجناب وافاد
الاستاذ انه سبحانه انزل هذه الآية على جهة التسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وذلك انه
اخبر ان من تقدمه من الامم كانوا فى سلوك الضلالة والانخراط فى سلك الجهالة لكن
منى بهم من قومه ولم يعجز الله اخذ منهم والشيطان كما سول لهم سول لامته وكما
كان وليا لهم فهو لهؤلاء وليهم واما المؤمنون فالله وليهم وما انزلنا عليك الكتاب
الا لتبين لهم اى للمنزل اليهم الذى اختلفوا فيه من التوحيد واحوال المعاد وموضع
القدر واحكام افعال العباد وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وللهداية الى طريق الرشاد
وللرحمة فى توفيق اخذ الزاد للمؤمنين المنتفعين دون المحرومين من المجرمين فالبيان
عام كقوله تعالى هدى للناس والهداية خاصة لقوله هدى للمتقين والرحمة اخص لقوله
ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال الاستاذ اى انت الواسطة بيننا وبين اوليائنا
ذلك البرهان الاعلى والنور الاوفى تبلغ عنا وتؤدى منا فانت رحمة من خزائننا
ارسلناك الى اوليائنا فمن تبعك اهتدى ومن عصاك فى هلاكه والله انزل من السماء
ماء فاحيا به الارض بعد موتها بانبات انواع النبات فيها بعد يبسها ان فى
ذلك لآية علامة على صانعها ودلالة على خالق ما فيها لقوم يسمعون سماع تدبر فيها
او قبول لها فضلا عن قوم باعينهم يبصرونها ويشاهدونها وافاد الاستاذ انه سبحانه
احيا بماء التوفيق قلوب العابدين فجنحت الى جانب الوفاق واجتنبت طريق
الشقاق واحيا بماء التحقيق ارواح العارفين فاعتكفت على بساط الوصال فى
دار القرار واحيا بماء التجريد اسرار الموحدين فتحررت عن رق آثار الاغيار وانفردت
بحقايق اتصال انوار الاسرار وان لكم فى الانعام فى خلقها وشهود وجوهها لعبرة

ولانه يعبر بها من حال الجهالة الى مقام المعرفة نسقيكم وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر بفتح النون
وهو استيناف لبيان العبرة مما في بطونه وقال في سورة المؤمنين مما في بطونها رعاية للمبنى وعناية
للمعنى فان الانعام اسم جمع ليس له مفرد من لفظه كما صرح سيبويه به من بين فرث ودم لبنا
فعن ابن عباس ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا
واوسطه لبنا واعلاه دما ومن الاولى تبعيضية والثانية ابتدائية خالصا صافيا من لون
الدم ورائحة الفرث سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم من جملة رفقهم في رزقهم
قال ابو بكر الوراق العبرة في الانعام تسخيرها لاربابها وطاعتها لاصحابها وتمردك على ربك
في مخالفة امره وافاد الاستاذ ان وجه العبرة في الانعام بتسخيرها وتكثير ما فيها من الانتفاع
بلحمها وشحمها وشعرها ودرها ووصلها ونسلها ثم عجيبها اظهر من قدرته اخراج اللبن على لطافة
طعمه وصفاء لونه وكثرة نفعه فالذي يقدر على حفظ اللبن بين الفرث والدم
يقدر ان يحفظ المعرفة الموجبة للعزة بين وجوه وحشة الزلة المقتضية للذلة ومن
ثمرات النخيل والاعناب نوع ثمر تتخذون منه سكرا عصيرا خمرا ورزقا حسنا كالتمر
والزبيب والدبس والخل وسائر ما يكون مستحسنا والآية ان كانت سابقة على
تحريم الخمر فدالة على الكراهة والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل المراد بالسكر
النبيذ وافاد الاستاذ ان الرزق الحسن ما كان حلالا ولا يقتضي وبالا او هو ما اتاك الله
من حيث لا تحتسبه او هو ما لا ينسى انه مكتسبه او هو الذي لا منة لمخلوق به عليك ولا تبعة
منه متوجهة اليك ان في ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر في الكائنات
والتأمل في الآيات البينات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلبها ان اتخذي
اي اتخذي او بان اتخذي فان مفسرة او مصدرية من الجبال بيوتا مساكن ومن الشجر
ومما يعرشون من كرم او سقف ومن تبعيضية في المواضع الثلاثة لانها لا تبني في جميعها
وسمي ما تبنيه لتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء العمارة لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة
يعجز عنها حذاق المهندسة الا بآلات عديدة وانظار دقيقة وقرأ ابن عامر وابو بكر
يعرشون بضم الراء وورش وابو عمرو وحفص بيوتا بضم الباء ثم كلي من كل الثمرات اي من جميع
اصناف ثمرات تشتهينها حلوها ومرها وسائر ما تبتغينها فاسلكي سبل ربك الطرق التي
الهمك في عملك لاخراج عسلك ذللا جمع ذلول مراعاة للمعنى كما ان افراد الخطاب
محافظة على المبنى اي حال كونك مذللة منقادة لما امرك يخرج من بطونها التفات منها
الى الناس لبيان الانعام عليهم من خلق النحل والهامها لاجلهم شراب هو العسل
لانه مما يشرب مختلف الوانه ابيض واصفر واسود واحمر بسبب تفاوت سن النحل او
اختلاف الفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما
في المعاجين الطيبة والاظهر ان تنكيره للتعظيم لا للتبعيض المنافي للمرتبة المدحية وقيل
الضمير للقرآن من مبانيه ومعانيه او لما بين الله من احوال النحل فيه ان في ذلك

لآية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الغريبة والافعال العجيبة
علم انه لا بد من قادر حكيم يلهمها ويحملها على عملها قال ابن عطا الهمها ودلها على
موضعها وعلمها كيف يضع ما في بطنها حتى لا تضع الا على حجر نظيف او خشب
لطيف لا يخلطه طين ولا تراب ثم قال كلي من كل الثمرات مما عليه رزقك بلا حساب
ثم امره بالتواضع في كل باب فقال فاسلكي سبل ربك ذللا منقادة لرب الارباب
ومسبب الاسباب يخرج من بطونها شراب جعل ما يخرج من النحل شيئين لا يصفيهما
الا النار فاذا اصفيتهما صار عسلا وشمعا فالعسل هو غذاء للخلق وشفاء من الحق
والشمع موضوع للحرق كذلك اذا اخلص العبد عمله خلص له نفعه وما خالطه برياء
وشرك فلا يصلح الا للحرق وقال ابو بكر الوراق النحلة لما اتبعت امر ربها وسلكت
سبيلها جعل الله شفاء للناس لعابها كذلك المؤمن اذا اتبع الامر وحفظ السر
واقبل على الحق جعل رؤيته ومجالسته وكلامه شفاء للخلق لمن جالسه سعد ومن نظر اليه
اعتبر ومن سمع كلامه اتعظ وتبصر وافاد الاستاذ انه سبحانه عرف الخلق ان التفضيل
ليس من جهة القياس والاستحقاق فان النحل لم يكن له خصوصية في القامة والصورة
جعل ما وراءه عسلا هو شفاء للناس والانسان في كمال صورته وتمام عقله
وفطنته وما اختص به الانبياء والاولياء من الرتبة جعل ما وراءهم بحيث لا يخفى
من الوحشة فاي فضيلة للنحل واي ذنب للانسان في هذه الدار ليس ذلك
الا صرف الاختيار ويقال ان الله سبحانه اجرى سنته ان يخفي كل شيء عزيز
خطير في شيء حقير جعل الابريسم في الدود وهو اصغر الحيوانات واضعفها
والعسل في النحل وهو اضعف الطير واصغرها وجعل الدر في الصدف وهو اوحش
حيوان من حيوانات البحر واودع الذهب والفضة والفيروزج ونحوها
في الحجر كذلك اودع المعرفة والمحبة في قلوب المؤمنين وهم اضعف الناس
واقلهم اذ فيهم من يعصي ومنهم من يخطئ والله خلقكم باحوال مؤتلفة
ثم يتوفاكم باجال مختلفة ومنكم من يرد الى ارذل العمر يعاد الى اخسه من الهرم
الذي يشابه الطفولية في نقصان العقل وضعف القوة البدنية لكيلا يعلم
بعد علم شيئا لسوء الفهم ونسيان العلم قال عكرمة حافظ القرآن محفوظ من هذه
البلية ان الله عليم بمقادير اعمارهم ومراتب اعمالهم قدير على تغيير احوالهم
وافاد الاستاذ انه سبحانه خلق الانسان في احسن تركيب وازين ترتيب
في الاعضاء الظاهرة والاجزاء الباطنة من النور والضياء والفهم والذكاء
ورزقه من العقل والتفكر والعلم والتبصير وفنون المناقب التي خصه بها من
الرأي والتدبير ثم في آخر عمره جعله الى ارذل العمر ورده واراه كل يوم المأ
جديدا ويقال ارذل العمر في التحقيق هو ان يرد الى الخذلان بعد التوفيق فيكون في

اول احوال عمره مطيعاً ثم يصير في آخره عاصيا او هو ان يرغب في عنفوان شبابه
في الارادة فيسلك طريق الله مدة ثم يقع له فترة فيفسخ عقد ارادته ويرجع الى الدنيا
بهمته وعند القوم ان هذا في السلوك ردة او هو ميل المرء الى محبة الرياسة او اجتماع
المظالم وكثرة الخصومة والله فضل بعضكم على بعض في الرزق كما في بسط الخلق وحسن
الخلق وحصول الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم عزيز ومنكم حقير ومنكم مالك يستولي
رزقه ورزق غيره ومنكم مملوك حاله بخلاف امره فما الذين فضلوا برادّي رزقهم
فليس الذين فضلوا في رزقهم بمعطي رزق انفسهم على ما ملكت ايمانهم اي
مماليكهم وخدمهم فان ما يردون عليهم بعض رزقهم الذي جعله الله في ايديهم
فهم اي الموالي ومماليكهم فيه سواء مستوون في رزق الله اياهم افبنعمة الله
يجحدون حيث يتخذون غيره ربا يعبدون او يعتقدون سواه منعما يشكرون له
ويحمدون وقرأ ابو بكر بالخطاب لمناسبة ما قبله من قوله فضل بعضكم قال ابراهيم
الخواص منهم من جعل رزقه في الطلب والتجدد ومنهم من جعل رزقه
في الكسب والصنعة ومنهم من جعل رزقه في القناعة ومنهم من جعل رزقه في التوكل
طلبا للراحة ومنهم من جعل رزقه في الكفاية ومنهم من جعل رزقه في المشاهدة كما
قال سيد المرسلين ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني وافاد الاستاذ ان ارزاق
المخلوقات مختلفة فمن مضيق عليه رزقه ومن موسع عليه رفقه ومن ارزاق هي
ارزاق النفوس وارزاق هي ارزاق القلوب وارزاق هي ارزاق الارواح
وارزاق هي ارزاق الاسرار فارزاق النفوس لقوم توفيق الطاعات ولآخرين
خذلان السيئات وارزاق القلوب لقوم حضور القلب باستدامة ذكر الرب
ولآخرين اشتغال ارواحهم في احوالهم بالعلاقة بينهم وبين اشكالهم فيكون ولاؤهم
ومحبتهم لامثالهم وارزاق الاسرار لا يكون الا بمشاهدة الحق ومطالعة الانوار
فاما من لم يكن من هذه الجملة فليس من اصحاب اصحاب الاسرار بل هو محجوب تحت
استار اغيار الاغيار والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم نساء قابلة لأن
تتزوجوها وتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة لتأنسوا بها وجعل لكم من ازواجكم
بنين وحفدة اي بنات خادمات او اولاد البنين والبنات فيكون في بنين
تغليب الذكور على الاناث او الاكتفاء بهم لانهم زينة الحيوة الدنيا واصحاب الاناث
وافاد الاستاد انه سبحانه رد الخلق الى الخلق وشغل الخلق بالخلق لان الجنس اولى
بالجنس كاجتماع الجن بالجن والتيام الانس بالانس لزيادة الانس ولما اراد الحق بقاء
جنس الخلق هيأ سبب التناسل من النسل لاستبقاء نسل الاصل ثم من علينا بخلق
البنين وابتلى قوما بالبنات ورزقكم من الطيبات الحلالات او المستلذات ومن
للتبعيض فان ما في الدنيا انموذج من العقبى وقيل الرزق الطيب ما فتح لك من غير

الاستشراف

الاستشراف والطلب وافاد الاستاذ ان الرزق الطيب لقوم ما يستطيبه نفسه
ولآخرين ما يستطيبه قلبه ولآخرين ما يستطيبه سره فمنهم من يستطيب مأكولا ومشروبا
ومنهم من يستطيبه خلوة وصفوة الى غيره من الارزاق المختلفة والارفاق المؤتلفة افبالباطل
يؤمنون وهو حسبان شيء من الاغيار وتعلق القلب بهم في استيفاء مهم واستدفاع
محظور واستجلاب محبوب في هذه الدار وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه
الى غيره مع رجائهم منه خيره ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من
السموات والارض شيئا من المطر والنبات وغيرهما من الطيبات ولا يستطيعون
ان يتملكوا حالا من المحالات ولا يملكوا نعتا من الصفات وافاد الاستاذ ان تعليق القلب
بشيء من الشخص او السبب مضاه لعبادة غير الرب من حيث انه تضييع وقت فيما لا يعنيه
وتضييع زمان فيما لا يجديه فمن ضيع فيما لا يعنيه وقته استجلب من الله في التحقيق مقته
فلا تضربوا لله الامثال لا تجعلوا له مثلا تشركون به او تقيسون عليه فان ضرب الامثال
هو تشبيه الاحوال بالاحوال ان الله يعلم فساد ما تعتقدون ما تعتمدون عليه من القياس
على ان عبادة عبيد الملك وخدمه ادخل في التعظيم من عبادة الملك نفسه وانتم لا تعلمون
ذلك لجهلكم بما هنالك ولو علمتم لما جرأتم او انه سبحانه يعلم كيف يضرب الامثال وانتم
لا تعلمون حقيقة الاحوال وهو المناسب لما بعده من المثال ويؤيده ما افاد الاستاذ
بقوله كيف يضرب الله الامثال لمن لا يساويه شيء في الذات والصفات وكمال
الافعال ومن نظر الى الحق من حيث الخلق وقع في ظلمات تيه التشبيه بعيدا عن مقام
التحقيق والتنزيه ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء يكون تصرفه فيه مستحسنا
ومن رزقناه منا رزقا حسنا خيرا كثيرا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون اي
لا يستوي الاحرار والعبيد نفعا وضرا مثل ما يشرك به سبحانه بالمملوك العاجز عن التصرف
في شانه ومثل ذاته بالحر المالك المتصرف لماله في جميع زمانه واحتج بامتناع الشركة والتسوية
بينهما مع تشاركهما في المخلوقية والجنسية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي
اعجز البرية وبين الله الجامع للصفات الالوهية والنعوت الربوبية او هو تمثيل
للكافر المطلق والمؤمن الموفق وقيد العبد بالمملوك احتراس عن الحر فانه ايضا
عبد الله وسلب القدرة احترازا عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك دال على
ان المملوك لا يملك خلافا لمالك وفي تفسير السلمي قال بعضهم اخبر الله تعالى عن العبد وصفته
فقال لا يقدر على شيء فمن رجع الى شيء من علمه وعمله وحاله وقاله فانه المتبري من العبودية
وهو في منازعة الربوبية فان العبودية هو ان يتخلى عن سوى معبوده ويرى الاشياء
بوجوده ويرى نفسه له في شهوده ومشاهدة كرمه وجوده وافاد الاستاذ انه سبحانه شبه الكافر
في كفران نعمة سيده بالعبد المملوك الذي لا ملك له والمؤمن المخلص فيما حققه بمن رزقه
نعم الخيرات ووفقه ثم وعده الثواب وحسن المآب على ما انفقه ثم نفى عنهما المساواة فليس

کل من کان بنفسه ملاحظا لا بناء جنسه متمادیا فی حسبان غلطه کمن کان قائما بربه منعطیا
عن مشاهدة ان ینب عنه غیره الحمد لله کل الحمد له لا یستحقه سواه لانه مولی النعم کلها ومقدر
اسبابها باسرها بل اکثرهم لا یعلمون فیعبدون سواه ویضیفون نعمه الی غیره مع انهم
یاکلون رزقه ویرجون خیره وضرب الله مثلا رجلین احدهما ابکم ولد اخرس لا یفهم ولا یفهم
لا یقدر علی شیء من تدبیر عمله لنقصان عقله وهو کل علی مولاه ای ثقل وعیال علی الی
امره اینما یوجهه حیثما یرسله مولاه فی امر ینفعه لا یأت بخیر من نجح مهمة هل یستوی
ای ذو الفضل هو ومن یأمر بالعدل ای ومن هو فهیم منطبق علیم ذو کفایة ورشد
ورعایة ینفع نفسه وینصح غیره یحثه علی العدل الشامل لمجامع الفضائل ومکارم الشمائل
وهو علی صراط مستقیم فی دین قویم لا یتوجه الی مطلب الا ویبلغه بسعی اقرب وهذا تمثیل
آخر ضربه الله لنفسه والاصنام لابطال المشارکة بینه وبینها کما وقعت فی الاوهام
او للمؤمن والکافر وبرهان ملة الاسلام وبطلان عبادة الاصنام ولله غیب السموات
والارض ای علم ما غاب فیهما عن العباد مختص به سبحانه لا یعلمه غیره کقوله وعنده مفاتح
الغیب لا یعلمها الا هو وما امر الساعة ای ما امر قیام القیمة فی السهولة والسرعة
الا کلمح البصر کرجع طرف النظر او هو اقرب فی تصور اهل الفکر واو بمعنی بل وقیل
للتخییر فی تخییل المتخیل ان الله علی کل شیء قدیر فیقدر ان یحیی الخلائق دفعة ولو
کان احیاؤهم متدرجة قال الهجویری الحق سبحانه ستر غیبه من خلقه وستر اولیاءه
الا عن الصدیقین من عباده فالاشراف علی الغیب عزیز والاشراف علی الاولیاء اعز
وافاد الاستاذ انه سبحانه استأثر بعلم الغائبات ستر ها علی المخلوقات فیخرج قوما
فی صدار الولایة ثم ینقلهم الی صفة العداوة ویقیم قوما برقم العداوة ثم یردهم الی وصف
الولایة فالعواقب مستورة والخواتیم مبهمة والخلق فی غفلة مما یراد منهم ای غفلة
والله اخرجکم من بطون امهاتکم وقراء الکسائی بکسر الهمزة علی انه لغة فیها او اتباع لما
قبلها وحمزة بکسرها وکسر ما بعدها والهاء مزیدة او لغة لا تعلمون شیئا جهالا حالا ومقالا
وجعل لکم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعرکم جزئیات
الاشیاء فتدرکونها ثم تتنبهون بقلوبکم لمشارکات فی الکلیات ومباینات
فی الجزئیة لتتمکنوا من حصول العلوم البدیهیة والوهبیة ووصول المعالم النظریة
الکسبیة لعلکم تشکرون کی تعرفوا المنعم بنعمه وتقوموا بحق شکره من اجتناب
زجره واکتساب امره قال الواسطی لا تفهمون شیئا مما اخذ علیکم من المیثاق
فی وقت بلی وقال ابو عثمان المغربی جعل لکم السمع لتسمعوا به خطاب الامر والنهی والابصار
لتبصروا به عجائب القدرة والافئدة لتعرفوا به اثار موارد الحقیقة لعلکم تشکرون
تسجدون دون نعمی فترجعوا الی بابی وعتبتی وافاد الاستاذ انه سبحانه خلقهم
من غیر ان شاورهم واثبتهم علی الوصف الذی اراده دون ان اختبرهم ولم یعلموا

بما ذا سبق حکمهم ابالسعادة خلقهم او للشقاوة عن العدم اخرجهم ویقال اخرجهم من
بطون امهاتهم فلا صلاح انفسهم علموه ولا صفة ربهم عرفوه ثم بحکم الالهام هداهم شیئا
قبل الصبی ثدی امه وان لم یسبق له تعریف کذلک اهتدی المؤمن الی ربه بحکم الالهام
والاکرام وان لم یکن قد تقدمه لا تعریف ولا تخویف ولا تکلیف ولا تعنیف وجعل
لکم السمع لتسمعوا خطابی والابصار لتعتبروا بافعالی والافئدة لتعرفوا حق اکرامی فتشکروا
عظیم انعامی الم یروا وقراء ابن عامر وحمزة بالخطاب ای الم تنظروا الی الطیر اسم جنس
بمعنی الطیور حال کونهن مسخرات مذللات للطیران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب
المواتیة فی جو السماء ای فی الهواء والخلاء ما یمسکهن الا الله فان ثقل جسدها یقتضی
نزولها وسقوطها ولا علاقة فوقها تمنعها ولا دعامة تحتها تمسکها ان فی ذلک ای تسخیر
الطیر للطیران لآیات بان خلقها خلقة یمکن الطیران معها وخلق الجو بحیث یمکن
الطیران فیها وامساکها فی الهواء علی خلاف مقتضی طبعها لقوم یؤمنون خصوا
لانهم هم المنتفعون والله جعل لکم من بیوتکم سکنا موضعا تسکنون فیه وقت
الحضر کالبیوت المتخذة من الحجر والمدر وجعل لکم من جلود الانعام بیوتا ای سکنا وقت
السفر وهی القباب المتخذة من الادم وکذا الخیام المتخذة من الوبر والشعر فانها من
حیث انها نابتة علی جلودها یصدق علیها انها منها تستخفونها تجدونها خفیفة تخف
علیکم باعتبار حملها ونقلها یوم ظعنکم وقت رحلتکم ویوم اقامتکم ای وکذلک تخف
علیکم باعتبار وضعها او ضربها وقت الحضر او حال النزول فی السفر وقراء نافع وابن کثیر
وابو عمرو بفتح العین وقال الاستاذ للنفوس وطن والناس علی قسمین مستوطن ومسافر
فکان الناس بنفوسهم مختلفون فکذلک بقلوبهم متقلبون فالمرید والطالب
مسافر بقلبه لانه متلون فیرتقی من درجة الی درجة والعارف مقیم مستوطن لانه واصل
متمکن والطریق الی الله منازل ومراحل ولا تقطع تلک المنازل بالنفوس وانما تقطع
بالقلوب فالمرید سالک مسافر والعارف واصل مجاور ومن اصوافها واوبارها
واشعارها الصوف للضان والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الی ضمیر الانعام
لانها من جملتها فی الانعام اثاثا ما یلبس ویفرش ومتاعا ما یتجر به الی حین وقت
مماتکم او انتهاء وقضاء حاجاتکم والله جعل لکم مما خلق من الشجر والحجر والابنیة
والغمامة ظلالا تتقون بها حر الشمس وسمومها وجعل لکم من الجبال ای من الکهوف
والبیوت المنحوتة فیها اکنانا جمع کن ای مواضع تسکنون بها وجعل لکم سرابیل
ثیابا من الصوف والکتان والقطن وغیرها تقیکم الحر ای والقر وخص بما ذکر
اکتفاء باحد الضدین عن الاخر وایماء الی وقایة الحر لکم کانت اهم عندهم وسرابیل
ما یلبس من الدرع والجوشن تقیکم بأسکم الآفات حربکم کذلک کما تمم هذه النعمة السابقة
یتم نعمته علیکم فی الازمنة اللاحقة لعلکم تسلمون تنقادون لامره وتقومون بحق

شكره قال بعضهم تمام النعمة الانقطاع عن النعمة بالسكون الى المنعم وقال حمدون تمام النعمة
فى الدنيا المعرفة وفى الآخرة الرؤية فان تولوا اعرضوا عنك ولم يقبلوا منك فلا يضرك
فى امر الدين فانما عليك البلاغ المبين وقد بلغت الرسالة وكشفت الغمة ونصحت الامة
وقال الاستاذ اى فما عليك اذا بلغت الرسالة اذ ما جعلنا اليك حكم الهداية والضلالة
يعرفون نعمة الله حيث يتقلبون فيها ويغترفون منها ويعترفون بها ثم ينكرونها
حيث لا يشكرونها ويعرضون عن اداء حقوقها بل يكفرون بعبادة غير منعمها ومن جملتها
نعمة نبوة محمد عليه السلام ومعجزاته عرفوها ومن غاية العناد انكروها ومعنى ثم استبعاد النكرة
بعد المعرفة واكثرهم الكافرون لان بعضهم قد يؤمنون فهم شاكرون وافاد الاستاذ
انهم يعرفون فى حال توبتهم قبح ما كانوا عليه فى حال زلتهم ثم اذا نقضوا توبتهم صاروا
كانهم لم يعرفوا نعمتهم ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد لهم وعليهم بالايمان
والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا فى الاعتذار اذ لا عذر لهم فى العقبى ولا هم يستعتبون
لا يسترضون اذ فاتهم مقام العتبى والرضى فى الدنيا واذا رأى الذين ظلموا العذاب
جزاء لظلمة الظلمة الواقعة فى الحجاب فلا يخفف عنهم اى العقاب ولا هم ينظرون
يمهلون وراء الباب واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اى ما ادعوها شركاء من
اصنامهم او ممن اشركوهم فى الكفر بالحمل عليه من شياطينهم ورؤسائهم قالوا ربنا هؤلاء
شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم من غيرك وهو اعتراف بانهم
مخطئون فى ذلك او التماس بان يشطر عذابهم هنالك فالقوا اليهم القول
انكم لكاذبون اى فاجابوهم بالتكذيب فى انهم شركاء معهم او فى انهم حملوهم على الكفر
والزموهم اياه والقوا اى اظهروا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه فى العقبى
بعد استكبارهم عنه فى الدنيا وضل عنهم اى بطل وضاع منهم ما كانوا يفترون من ان
آلهتهم ينصرون او يشفعون حيث كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
بالمنع عن الايمان والحمل على الكفران زدناهم عذابا فوق العذاب على وفق ضلالهم واضلالهم
بما كانوا يفسدون من اعمالهم واحوالهم ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم
يعنى نبيهم فان نبى كل امة بعث منهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء على امتك من الامم
والانبياء وقيل على هؤلاء الانبياء فانه مزكى لهم كما ان امته مزكى لامهم ونزلنا
عليك الكتاب اى القرآن الجامع للابواب تبيانا بيانا وبرهانا لكل شىء مما يحتاج
اليه فى الحال والمآل بحسب ما يليق به من التفصيل والاجمال المبين بالسنة او قياس
الائمة وهدى للناس من الكافرين والمؤمنين كافة ورحمة للمتقين عامة وبشرى
للمسلمين اى المنقادين من المحسنين خاصة وانما حرمان المحروم من تفريطه فى الطاعة
وفى الآية اشارة الى ما نسب الى ابن عباس رض من قوله جميع العلم فى القرآن لكن
تقاصر عنه افهام الرجال وافاد الاستاذ ان فيه للمؤمنين شفاء وهو لهم ضياء

وعلى الكافرين

وعلى الكافرين بلاء وهو لهم سبب محنة وشقاء ان الله يأمر بالعدل اى بمطلق العدالة
من التوسط فى الامور اعتقادا كالتوحيد بعين التنزيه المتوسط بين التعطيل والتشبيه
وكالقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر وصرف القدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات
والسنن المكملات المتوسط بين البطالة ومبالغة الرهبة وخلقا كالجود المتوسط
بين التقتير والتبذير وكذا فى سائر الاخلاق والاحوال من الاكل والشرب واللباس
المختلفة بحسب الكمية والكيفية الواقعة بين الناس فى العادة المؤتلفة ولذا قالوا
الارادة هى ترك العادة والاحسان اى احسان الطاعة واكملها ما بينه عليه السلام
بقوله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه او الاحسان الى افراد الحيوان واصناف الانسان
وايتاء ذى القربى اى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه على سبيل الندب او الوجوب
ولو كانوا كالعقارب وهو تخصيص بعد تعميم وينهى عن الفحشاء ما يفحش فعله كالكبائر
والمنكر ما انكره الشريعة ولو من الصغائر والبغى وهو شامل لانواع الظلم المتعدى
الى الغير فالآية كما قال ابن مسعود هى اجمع آية للخير والشر وقد صارت سبب اسلام
عثمان بن مظعون اخو الرضاعى للنبى عليه السلام يعظكم ينصحكم بالامر والنهى والتمييز
بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتدبرون فتتعظون ولو لم يكن فى القرآن غير هذه الآية
لصدق عليه انه تبيان لكل شىء وهدى ورحمة وافاد الاستاذ ان الله سبحانه امر عبده
بالعدل فيما بينه وبين ربه بايثار حقه على حظه وتقديم رضاه على هواه والتفرد بملازمة
جميع الاوامر والتجرد عن جميع الزواجر وبالعدل فيما بينه وبين نفسه وهو منعها عما فيه
هلاكها كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى فكمال عدله مع نفسه كى عروق طمعه وبالعدل
فيما بينه وبين الخلق وهو بذل النصيحة وترك الخيانة ونصيب العوام منه بذل الندى
وكف الاذى وصفة الخواص بذل الانصاف وترك الانتصاف واسداء الانعام
وترك الانتقام وكف الاذى والصبر على تحمل ما يصيبه منهم من البلوى واما الاحسان
فى الفعل فالحسن من افعالنا ما امر الله به واذن لنا فيه وحكم بمدح فاعله ويقال الاحسان
ان تقضى ما عليك من حق وتترك كل ما لك عند احد واوفوا بعهد الله اى بقبول
عهده من عهدة القيام بامره ونهيه اذا عاهدتم الله بالايمان فى سماع وعده ووعيده
او بعهده اياكم فى الميثاق باستدامة الايمان ولا تنقضوا الايمان اى ايمان البيعة
او الايمان المتعارفة بعد توكيدها توثيقها بذكر الله عليها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا
شاهدا بتلك المقالة او الحالة ان الله يعلم ما تفعلون ما توفون وما تنقضون قيل
من تحمل العبد بنفسه وحوله نقضه فى اول قدمه ومن تحمله بربه حفظ عليه فى ميثاقه وعهده
وقال الواسطى قد تقدمت العهود فى الميثاق الاول فمن اقام على وفاء ميثاقه فتح له
طرق حقائقه ومن خان اغلق دونه مسالك رشده وقال الاستاذ لكل قوم منهم عهد
بخصوص عاهد والله عليه فهم المطالبون بالوفاء بعهده فالزاهد عهده ان لا يرجع الى الدنيا

فاذا رجع الى ما تركه منها فقد نقض عهده ولم يف بوعده والعابد عاهده فى ترك الهوى
والمريد عاهده فى ترك العادة وايثاره بكل وجه فى العبادة والعارف عهده التجرد له وبكل
ما سواه والمحب عهده القول بترك نفسه معه والموحد عهده الاستحاد عنه وافراده اياه وغيبته
عما سواه والعبد منهى عن نقض عهده مأمور بالوفاء به ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها
اى مغزولها من بعد قوة بعد ابرام واحكام فى غزلها انكاثا طاقات نكث فتلها بقطعها
او حلها وكانت ريطة القرشية تفعل هذه القضية فانها كانت حمقاء وتسمى حمقاء
تتخذون ايمانكم دخلا بينكم اى لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شانها متخذى ايمانكم دغلا
ومفسدة فيما بينكم ان تكون امة هى اربى من امة بان تكون جماعة اكثر عددا واوفر عددا
من جماعة والمعنى لا تغدروا فى بيعتكم بقوم لقلتهم وكثرتكم وافاد الاستاذ ان من نقض
عهده افسد ما آخرا من اوله وهدم بفعله ما استسسه وقطع بيده ما غرسه وكان كما قال تعالى
ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد ما ابرمت فتلها وان السالك اذا وقعت له
فترة والمريد اذا حصلت له فى الطريق وقفة والعارف اذا حصلت له حجبة والمحب
اذا استقبله فرقة فهذه محن قطيعة ومصائب مجيعة وكما قيل • هلا بكين على
الهلال تأسفا • عجل الكسوف عليه قبل تمامه • فهؤلاء كسف شمسهم وانطفا
فى ليلة مظلمة سراجهم وانتثرت من سماء صفائهم نجومهم واصاب ازهار
انسهم وربيع وصلهم اعصار فيه بلاء شديد وعذاب اليم اكيد فان الحق سبحانه
اذا اراد بقوم بلية فكما قال ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول
مرة وانار سخطة الملوك موجة وفتنة اعراض السلطان موحشة وكما قيل •
والصبر يحسن فى المواطن كلها • الا عليك فانه مذموم • هنالك تسكب العبرات
وتشق الجيوب وتلطم الخدود وتعطل العشار وتخرب المنازل وتسد الابواب
وتعلق مسوح المصيبة من جدران المعانى وينوح نايحهم فى جميع المبانى انما يبلوكم
الله به اى يمتحنكم بالقيام للامر بحبل الوفاء او بنقض عهده واظهار الجفاء
وافاد الاستاذ ان لكل احد نوع بلائه على ما يليق بحاله فمن كان بلاؤه بحديث
دنياه او ببقائه عن هواه او بحرمانه لكرامته فى عقباه فاسم البلاء فى صفته مجاز
فى الحقيقة ثم هذا بلاء العوام واما بلاء الكرام فغير هذا المرام كما قيل •
من لم يبت والبين يقرع قلبه • لم يدر كيف تفتت الاكباد • وليبينن لكم
يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب وفق
احوالكم ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة اى متحدة وعلى الاسلام متفقة ولكن يضل
من يشاء ضلالته بالخذلان ويهدى من يشاء هدايته بتوفيق الايمان ولتسئلن
عما كنتم تعملون سؤال توبيخ ومجازاة للانام لا سؤال التعرف والاستعلام وقال
الاستاذ ليس وقفة القوم بحسبان اصابهم فى احوالهم او من جهة تقصير فى اعمالهم

اولما

اولما ضيعوا من احوالهم هذا التغير وجوه واسباب ولكن سر القصة فى هذا الباب
كما قيل • اما صبت لمن هويت ولكن • ما احتيالى بسوء راى الموالى • قال تعالى
ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة فلو شاء الله سعادتهم لرحمهم وعن المعاصى عصمهم
ولدوام ذكره بدل الغفلة الهمهم ولكن سبقت القسمة لمن ذلك حصلت الغيبة
والقسوة وما احسن ما قالوا شكى اليك ما وجدت خانه فيك الجلد حيران لو شئت
اهتدى ظمآن لو شئت ورد ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالعلم ضمنا وتأكيد
لتقبيح المنهى عنه اولا فتزل قدم عن محجة الاسلام ولو كانت واحدة
بعد ثبوتها اى تحققها بالحجة الواضحة وتذوقوا السوء العذاب فى الدنيا بما صددتم
عن سبيل الله باعراضكم عن اموالى او منعكم غيركم عن القيام بحق الوفاء ولكم عذاب
عظيم فى العقبى وقال الاستاذ لئن تصدقتم بايمانكم عن تحقيقكم ببر ايمانكم لانكم
اذا وقفتم على حد التجويز دون القطع واليقين افضى لكم ترددكم الى اوطان شرككم
اذ الشرك فى الله والشك ثابة قربان فى الحكم ولا تشتروا لا تستبدلوا بعهد الله
وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وغرضا حقيرا اسئل جنيد من اخس الخلق قال
من جعل دينه سببا وطريقا للانبساط الى الخلق فى ارتفاق منهم ان ما عند الله
من النصرة والغنيمة فى الدنيا والمثوبة والنعمة فى العقبى خير لكم مما تختارونه من
الادنى ان كنتم تعلمون تتميزون بين الادنى والاعلى وقال الاستاذ لا تختاروا
على القيام بحق الله والوفاء بعهد الله عوضا يسيرا ما تنتفعون به من حطامكم من
حلالكم وحرامكم فان ما اعد الله لكم فى جنانكم بشرط الوفاء منكم على ايمانكم يوفى ويربى
على ما تتعجلون به من حظوظكم فى حسبانكم ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضى ويفنى
وما عند الله من خزائن رحمته وما اعده الله للمؤمنين فى جنته باق لا ينفد الى
الابد وقال الاستاذ اى الذى عندكم بعرض حادث او وارث والذى عند الله فى
من ثوابكم فى مآبكم نعم مجموعة لا مقطوعة ولا ممنوعة ويقال ما عندكم اوصلكم او بكم فافعال
معلولة واحوال مدخولة وما عند الله فثواب مقيم ونعيم عظيم ويقال ما منكم من معارفكم
ومحابكم آثار متعاقبة واصناف متناوبة اعيانها غير باقية وان كانت احكامها غير
باطلة والذى يتصف الحق به من رحمته بكم ومحبته لكم وثنائه عليكم فصفات ازلية
ونعوت سرمدية ويقال ما عندكم من اشتياقكم الى لقائنا فعرض الزوال وقول الافضا
وما وصفنا به نفسنا كما ورد به الاثر الا طال شوق الابرار الى لقائى وانا الى لقائهم
اشد شوقا فذلك قبال لا يتناهى وافضال لا يفنى ولنجزين وبالنون لابن كثير وعاصم
الذين صبروا اجرهم على الفاقة ولحوق سائر المشقة والكلفة باحسن ما كانوا
يعملون بجزاء احسن من اعمالهم لحصول آمالهم فى الجنة ودرجات القربة وافاد
الاستاذ ان جزاء الصبر الفوز بالطلبة والفوز بالبغية والنهم فى الطلبات

مختلفة ويقال من صبر على مقاساة مشقة في الله فثوابه وعوضه عظيم من قبل الله قال الله
تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ومن صبر عن اتباع شهوة لاجل الله وارتكاب
هفوة في مخافة الله فجزاؤه كما قال سبحانه اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون
فيها تحية وسلاما ومن صبر تحت جريان حكم الله متحققا بانه بمرأى من الله فلقد قال تعالى
ان الله مع الصابرين من عمل صالحا موافقا لقواعد الشريعة العليا من ذكر او انثى وهو مؤمن
اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في العقبى لاستحقاق الثواب وانما المتوقع عليها
تخفيف العقاب ان لم يجاوزوا عليها في الدنيا بطول الاعمار وكثرة الاولاد ووفور
الجاه والاسباب فلنحيينه حيوة طيبة تعيش في الدنيا معيشة حسنة فانه ان كان
موسرا فظاهر النعمة وان كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضاء بالقسمة
والفراغ للعبادة وتوقع المثوبة العظيمة في الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا
فظاهر النقمة وان كان موسرا لم يدع حرصه وخوف فوته ان يهنأ بعيشه وقال سهل
هو ان ينزع عن العبد تدبيره ويرد الى تدبير الحق في حقه بحسب تقديره وقال الحريري
هو العيش مع الله والفهم عن الله وقيل القناعة وقيل عيش الفقراء الراضين ذكره
السلمي ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة واختيار القناعة وافاد
الاستاذ ان الصالح ما يصلح للقبول وهو ما كان على وجه امر به الرسول فالعمل الصالح
لا يكون من غير ايمان فقوله وهو مؤمن معناه صالحا في الحال وهو مؤمن في المآل لان
صفاء الحال لا ينفع الا مع وفاء المآل فان الامور بخواتيمها في الاستقبال ويقال
هو مؤمن اي مصدق بان نجاته من فضل الله لا بعمله الصالح ويقال هو مؤمن اي مصدق
بان عمله الصالح بتوفيق الله وانشائه وابداعه ثم قوله فلنحيينه حيوة طيبة الفاء للتعقيب
فهذا في الدنيا معجل وقوله ولنجزينهم الواو للعطف فهو في الآخرة مؤجل ثم ماهية
الحيوة الطيبة لا يعرف ذلك بالنطق وانما يعرف ذلك بالذوق فقوم قالوا
انه حلاوة الطاعة وقوم قالوا ان ذلك القناعة وقوم قالوا هو الرضاء وآخرون
قالوا الزيادة النجوى ويقال الحيوة الطيبة هي الحضور في الحضرة وفي معناه قالوا
نحن في اكمل السرور ولكن ليس الا بكم يتم السرور عيب ما نحن فيه يا اهل ودي انكم
غيب ونحن حضور ويقال الحيوة الطيبة للاولياء ان لا يترك لهم سؤلا الا حققه
ولا مأمولا الا صدقه واما الخواص فالحيوة الطيبة ان لا يكون لهم حاجة ولا سؤال
ولا ارب ولا مطالبة وكم بين من له مراد فيرتفع وبين من لا ارادة له فلا يريد شيئا
الاولون قائمون بشرط العبودية والآخرون معتقون بشرط الحرية فاذا قرأت
القرآن اردت قراءته وقصدت تلاوته فاستعذ بالله اي استحبابا وقيل وجوبا
من الشيطان الرجيم اي من تلقين وسوسته وتزيين خطرته وتحسين متابعته
فانه بمنزلة الكلب على بابه للمنع عما وراء حجابه وللدفع عن قراءة كتابه ولا تتصور

الخلاص

الخلاص عنه الا بالالتجاء الى جنابه وافاد الاستاذ ان شيطان كل احد ما يشغله
عن ربه فمن سلط عليه نفسه حتى تشغله عن ربه ولو كان بشهود طاعة واستجلاء
عبادة او ملاحظة حال ومرتبة فكذلك شيطانه فالواجب عليه ان يستعيذ بالله
من شر نفسه وشر كل ذي شر من خلقه انه ليس له سلطان تسلط او برهان
على الذين آمنوا بطريق العرفان وعلى ربهم يتوكلون في كل آن وزمان فانهم
لا يطيعون الوسوسة الا فيما يحتقرون على طريق الغفلة وسبيل الندرة ولذا
امروا بالاستعاذة للالتجاء بانه ليس له استقلال في السلطنة انما سلطانه
على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم بربهم بسببه مشركون بربه وقيل
من اتبع هواه فقد تولاه الشيطان واغواه قال النصرابادي من صح نسبته
مع الحق لا يؤثر عليه بعد ذلك منازعة المخلوق لا من جهة الطبع الانساني ولا من الوسواس
الشيطاني وقال الاستاذ اني يكون للشيطان سلطان والعبد يعلم ان الحق متفرد
بالابداع متوحد بالاختراع انما سلطانه على الذين هم في غطاء غفلتهم وستر حسبانهم
وظنونهم فاما اصحاب التوحيد فانهم يرون الحادثات بالله ظهورها ومن الله ابتداؤها
والى الله مآلها وانتهاؤها واذا بدلنا آية مكان آية بناء على نسخها وفق الحكمة والله
اعلم بما ينزل من المصالح المختلفة باختلاف احوال الامة قالوا اي الكفرة
انما انت مفتر اي على ربك حيث تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه فان الله
سبحانه منزه عن البداء بان يتغير علمه في الانتهاء بما لم يتبين له في الابتداء وهذا
من عندهم للبناء على معتقدهم ان القرآن لم ينزل من السماء وهو جواب اذا
والجملة فيما بينهما اعتراضية او حالية بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام وانه نازل
من عند الملك العلام وقال الاستاذ انما ازدادوا في طول مدتهم الا شكا على
شكهم وجهلا على جهلهم لم يصدقوه في اصل دينه فجروا على منهاجهم في تكذيبه
فما زادهم سورة ولا آية الا ازدادوا شكا ومرية وكذا الملول اذا اراد قطيعة
مل الوصال وقال كان وكانا قل نزله روح القدس من ربك يعني جبريل الامين
النازل من حظيرة الانس بالحق ملتبسا بالحكمة المناسبة للجن والانس ليثبت
اي الله الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه بالبرهان فانه اذا سمعوا الناسخ في
معرض البيان لما فيه من رعاية المصلحة التي هي غاية الحكمة رسخت عقائدهم
وازدادت فوائدهم وهدى وبشرى للمسلمين اي وليهدي هداية ويبشر بشارة
للمنقادين لحكمه المبين قال الواسطي الارواح ليس لها نوم ولا موت بل هي جواهر
لطيفة للطفها تسمى روحا وللطف جبريل عليه السلام يسمى روحا وافاد الاستاذ
انهم لفرط جهلهم بربهم وبعد رتبتهم عن تحصيلهم احالهم على ذكر الملك لو كانوا
مستغرقين في شهود الملك لما ردوا في حين التعريف اليهم بذكر الملك ولقد نعلم

انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن
التورية والانجيل جهرة وكان عليه السلام اذا مر بهما استمع لقرائتهما لسان الذي
يلحدون اليه وقرا حمزة والكسائي بفتح الياء والحاء اي لغة الذين يميلون بقولهم
عن الاستقامة اليه اعجمي غير بين اللسان وهذا القرآن لسان عربي مبين
ذو فصاحة وبيان وقال الاستاذ لم يستوحش الرسول عليه السلام من تكذيبهم
وخفاء حاله عليهم بعد علمه بان للحق يعلم صدقه ويعلم محله وقدره واي ضرر يلحق من
كان مع السلطان بمجالسته اذا خفي على الاخسة من الرعية حاله ثم انه اقام الحجة
في الرد عليهم حيث قال لسان الذين يلحدون اليه اعجمي وهذا من فرط جهلهم انهم
توهموا ان هذا القرآن الذي عجز كافة الخلق عن معارضته في فصاحته وبلاغته
منقول وحاصل من قبل من هو اعجمي المقالة الكن النطق ان الذين لا يؤمنون بآيات
الله ويظنون انها من عند من سواه لا يهديهم الله الى سبيل نجاه ولهم
عذاب اليم وحجاب مقيم وافاد الاستاذ ان من سبق بالشقاوة قسمته
لم يتعلق من الحق سبحانه به رحمته ومن لم يهده الله في عاجله الى معرفته لا يهديه
الله في آجله الى جنته انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
لانهم لا يخافون عقابا على كذبهم ولا يرجون ثوابا على صدقهم اولئك اي الكافرون
هم الكاذبون على الحقيقة والمفترون في الشريعة والطريقة وافاد الاستاذ انه
من لطائف المعارسين لما وصفوه عليه السلام بالافتراء في الانباء اجاب الحق
سبحانه عنه في الجواب فقال لست انت المفتري انما المفتري من كذب معبوده
وجهل توحيده من كفر بالله من بعد ايمانه بسبب اكراه وقع في شانه الا من اكره
وتكلم بكلمة الكفر من طرف لسانه وقلبه مطمئن بالايمان اي والحال انه لم يتغير
عقيدته من عرفانه فلا عتب عليه من ربه ولا لاحد تعرضه بسببه ولكن من شرح
بالكفر صدرا طاب به نفسه واعتقده قلبه فعليهم غضب من الله ولهم عذاب
عظيم اذ لا اعظم من جرم من كفر بمولاه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه
ياسر وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها
وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين
في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر
فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار
رسول الله عليه السلام وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال مالك ان عادوا
لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان
الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ
رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله فقال ما تقول في فقال

انت ايضا

انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في
قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله عليه السلام
فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له
وافاد الاستاذ انه سبحانه اذا علم صدق عبده بقلبه واخلاصه في عقده ثم لحقته
ضرورة في حالة خفف عنه حكمه ورفع عنه عناءه فاذا تلفظ بكلمة الكفر مكرها
وهو بالتوحيد متحقق صدرا عذر فيما بينه وبين الله وكذلك الذين عقدوا
بقلبهم وتجردوا للسلوك طريق ربهم ثم اعترضت اسباب اتفقت لهم
اعذار فبقدر ما يوجبه الحال لو كان لهم ببعض الاسباب اشتغال او الى شيء
من العلوم رجوع واقبال لم يقدح ذلك في صحة ارادتهم ولا يعد ذلك منهم
نسخا لعهدهم في طريقتهم ولكن من رجع باختياره ورضاه ووضع قدما ورفعه
في طريق الله بحكم هواه فقد نقض عهد ارادته لله وفسخ عقد قصده الى الله
وهو مستوجب للحجبة الى ان يتداركه الرحمة ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان
والمنكر بعد العرفان بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة بسبب انهم
آثروها عليها واستبدلوها بها وان الله لا يهدي القوم الكافرين في علمه سبحانه
الى ما يوجب اليقين ويقتضي ثباتهم على الدين وافاد الاستاذ ان السالك
اذا آثر الحظوظ على الحقوق بقي عن الله ولم يبارك له فيما آثره على حق مولاه
ولقد قالوا فمن تركناك والذي تريد فعسى ان نتركهم فتعود اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن مشاهدة الحق والتامل في آياته من
الخلق واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة حيث غفلتهم الحالة الراهنة
عن تدبر العاقبة لا جرم اي لا بد ولا محالة انهم في الآخرة هم الخاسرون الكاملون
في الخسارة والواقعون في الحسرة والندامة وافاد الاستاذ ان من تمادى به
فترة ولم يترك حالة بملازمة حسرته ازدادت قسوته بعد الصفوة ولم يستمتع بما هو فيه
من الاستلذاذ في ايام الفترة كما قال تعالى لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون
فهؤلاء في الحاضرة قبل الآخرة هم المحجوبون وبذل البعد موسومون ثم ان ربك
للذين هاجروا اي بالولاية والنصرة من بعد ما فتنوا اي عذبوا الكفار واصحابه وقرا ابن
عامر بصيغة المعلوم اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما
وهاجرا ثم جاهدوا باموره وصبروا على حكمه ان ربك من بعدها بعد الهجرة والجهاد والصبر
على المشقة لغفور لما صدر عنهم من المعصية رحيم بقبول التوبة وتوفيق
العصمة قال سهل هجروا قرناء السوء بعد ان ظهر الفتنة منهم في الصحبة ثم جاهدوا
انفسهم على ملازمة اهل الطاعة وصبروا معهم على تلك الحالة وافاد الاستاذ ان من صبر على
عزم الامر المحقق فلم يجنح الى جانب الرخص واخذ في الامر بالاشق اكرمه الله حقه وقربه مكانه

ان نفيه الحق فى محل السيادة ويلقيه فى كل حال بالزيادة ورجحت صفقته حين
خسر اشكاله فيقدم على الجنة وان قل احيانا له يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها
تسعى فى خلاصها لا يهمها شان غيرها فتقول نفسى نفسى وتوفى كل نفس ما عملت بعمل
جزاء عملها وافيا وهم لا يظلمون بزيادة عذاب او نقصان ثواب قال بعضهم ذلك
وقت الخلق اشتغالا بنفوسهم فى الدنيا تجادل عنها فى الآخرة تجادل عنها فمن تفرغ
لعبادة ربها ذكره السلمى وافاد الاستاذ ان غدا كل مشغول بنفسه ليس له فراغ لغيره وعزيز
عبد لا يشتغل بنفسه قال عليه السلام من كان بحالة لقى الله بها انما يكون الفارغ غدا من كان
اليوم فارغا وانما يجادل عن نفسه من كان له اهتمام بنفسه والمؤمن لا نفس له قال الله
تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم فانفسهم اشتريها الحق منهم ثم اودعها
عندهم فليس لهم فيها حق وانما يراعون فيها امر الحق وضرب الله قرية مثلا قرية
جعلها مثلا لمكة او لكل قوم انعم الله عليهم والنعمة فابطرتهم واورثتهم فى
النقمة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج اهلها مخافة وحركة ياتيها رزقها اقواتها
فى اوقاتها رغدا اوسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بترك الاعتداد
بها والقيام باداء شكرها فاذاقها الله لباس الجوع والخوف فاذاقهم ما غشيهم من
الجوع والخوف مآثم بما كانوا يصنعون وافاد الاستاد ان فراغ القلب عن
الاشتغال نعمة عظيمة فاذا كفر عبد هذه النعمة بان فتح على نفسه باب الهوى
وانجر فى قياد الشهوة شوش الله عليه نعمة قلبه وسلبه ما كان يجد من صفاء وقته
فان طوارق النفوس توجب غروب شوارق القلوب فى الخبر اذا اقبل الليل من
هنا وادبر النهار من هنا فكذلك القلوب اذا انقطع عنه معهود ما كان لحق
ناحيه له اصابه عطش شديد ولهب عظيم ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم
العذاب ما اصابهم من الجدب الشديد وهم ظالمون حال التباسهم بالظلم الموجب
للوعيد فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا خالصا او طاهرا او مستلذا واشكروا
نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون وافاد الاستاذ ان الحلال الطيب ما يناله
العبد على شريطة الاذن بشاهد الذكر على تصفية الادب فى ترك الشره وحقيقة
الشكر الغيبة عن شهود النعمة بالاستغراق فى شهود المنعم انما حرم عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم افاد
الاستاد ان تناول المحرمات انما يباح عند هجوم الضرورات فان الجائع الضرورة
فبقدر ما يسد الرمق وتلك الحالة كذلك عند استهلاك العبد بغلبات الحقيقة
فبقدر ما يؤدى الفرض لا بد من رجوعه الى حال الصحو ثم لا يمكن من التعريج فى اوطان
التفرقة والتمييز بعد سعى اوقات الصحو لاداء الشرع وما قيل • فان يك عنه
غيبة بعد غيبة • فان اليه بالرجوع ايابى • ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب

نصب

نصب بلا تقولوا هذا حلال وهذا حرام بدل منه وهذا كما قالوا ما فى بطون هذه
الانعام خالصة لذكورنا الآية لتفتروا على الله الكذب تعليل لما يتضمن من اغراضهم
الفاسدة وقيل اللام للعاقبة ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لا يفوزون
بالمطلب فان الصدق انجى فى تحصيل الارب متاع قليل ما يفترون لاجله منفعة
قليلة منقطع زمنه قريبة ولهم عذاب اليم فى الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا
ما قصصنا عليك من قبل فى سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر
الآية وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه
وفيه تنبيه على ان التحريم كما يكون للمضرة يكون للعقوبة وافاد الاستاذ انه سبحانه بين
ان من تعبدتنا تعبدوا باشياء كما تعبدنا فمنهم من اتى بما امر به ومنهم من تخلف عنه وكل
عومل بما استوجبه من مطيع قبله فقربه ومن عاص رده وحجبه ثم ان ربك للذين
عملوا السوء بجهالة بسببها ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ما افسدوا وتداركوا ما فوتوا
ان ربك من بعدها بعد التوبة المقرونة باصلاح الحالة لغفور لتلك المساءة رحيم
بالاثابة على الانابة وافاد الاستاذ انهم اذا ندموا عن قبيح ما قدموا واسفوا على كثير
ما اسلفوا فيما اسرفوا ومحوا بصوب عبرتهم آثار عثرتهم نظر الله اليهم بالرحمة
وعمهم بانواع المغفرة ان ابراهيم كان امة لانه كان وحده مؤمنا وغيره كافرا او
لكماله واستجماع حالة من شمائل وفضائل لا تكاد توجد متفرقة الا فى جماعة كما قيل •
ليس من الله بمستنكر • ان يجمع العالم فى واحد • قانتا لله مطيعا لامره قائما بحكمه
مداوما على ذكره حنيفا مائلا عن غير دينه ولم يك من المشركين بريئا لكمال تبريه من
الشرك جليه وخفيه قال الاعلى قابلا لعطاياه وشيمة قبول رضاء لا قبول كراهة
شاكرا لانعمه اجتباه للنبوة وهداه للدعوة الى صراط مستقيم الى حصول الجنة
ووصول القربة وافاد الاستاذ ان الشاكر فى الحقيقة من يرى عجزه عن شكره اذا
شكره من اجل نعمه لانه هو الذى خلقه ووفقه به واجتباه واختاره وعظم شانه
حتى كان بالكلية له سبحانه وتحقق بانه عبده وان رفعه الى محل الاكابر من خلقه وآتيناه
فى الدنيا حسنة رزقا اولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة وحببه الى جميع
البرية حتى جميعهم يثنون عليه وينتسبون منهم اليه او النبوة والرسالة او مرتبة
الخلة وانه فى الآخرة لمن الصالحين لمن اشرف اهل الجنة كما سأله بقوله والحقنى بالصالحين
وقيل آتيناه فى الدنيا المعرفة حتى يصلح فى الآخرة لبساط المجاورة وقال الاستاذ اى
آتيناه فى الدنيا حسنة حتى كان لنا بالكلية ولم يكن فيه لغيرنا بقية ثم اوحينا
اليك اى بعده ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فى توحيد الحق ودعوة الخلق عن ونفى
الزيغ وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين وعمدة المحققين الذى جادل
فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائفة بالحجج الدامغة قال الدينوري امر النبى عليه السلام

باتباع الخليل لئلا يأنف احد عن الاتباع بعد ظهور الدليل وملة ابراهيم كان حسن
الخلق والسخاء والايثار والوفاء فزاد عليه السلام حتى جاد بالكونين عوضا عن الكون الكريم
فقيل وانك لعلى خلق عظيم انما جعل السبت تعظيمه والتخلي للعبادة فيه على الذين اختلفوا
على نبيهم فيه في قوله والمراد بهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة
يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم
السبت باختيارهم وشدد الامر عليهم وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون بمجازاة كل فريق بما يستحقون وافاد الاستاد ان الاشارة فيه انهم
حادوا عن موجب الامر ومالوا الى جوانب هواهم ثم انهم لم يراعوا حق رعايته فصار
سبب عصيانهم او جعل العمل في السبت محرما عليهم واحتال بهم فيه ان لا يحرموا ولما
احلوا بمعصية منهم ادع اي الانام الى سبيل ربك اي الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة
وهو الحجة الموضحة للحجة المزيحة للشبهة والموعظة الحسنة الخطابة المقنعة والنصيحة
النافعة فالاولى لدعوة الخاصة والثانية للعامة وجادلهم اي اهل المعاندة بالتي هي
احسن طرق المجادلة من الرفق واللينة وايثار الوجه الايسر والطريق الاشهر
فان ذلك انفع لتسكين لهبهم وتليين شغبهم قيل قدم الحكمة لانها اصابة المقالة
باللسان واصابة الفكر بالجنان واصابة الحركة بالاركان والمعنى ان تكلم تكلم بحكمة وان تفكر تفكر
بحكمة وان تحرك تحرك بحكمة واحسن المجادلة ما ليس له حظ النفس في تلك الحالة وافاد
الاستاذ ان الدعاء الى الله هو الحث على طاعته والزجر عن مخالفته والدعاء بالحكمة
ان لا يخالف بفعله ما يامر غيره به والموعظة الحسنة ما يكون صادرا عن علمه وحلمه
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين الى طريقه ودليله والمعنى
ان تبليغ الدعوة والزام الحجة عليك واما حصول الهداية والضلالة والمجازاة فليس
اليك بل هو اعلم منك بالفريقين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به امر بالمماثلة
وترك المخالفة ومراعاة العدالة ولو مع من يناصبه من ارباب الضلالة والجهالة
من حيث ان الدعوة تتضمن رفض العادة وقيل انه عليه السلام لما رأى حمزة وما به من المثلة
قال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن مكانك بسبعين منهم فنزلت فكفر عن يمينه
ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام المنتقمين ثم خص الامر به
رسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه ووثوقه بربه فقال واصبر وما صبرك الا بالله
الا بمعونته وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين في عقوبتهم او على المؤمنين في بليتهم
ولا تك في ضيق اي ضيق صدر وقلق قلب مما يمكرون وقرأ ابن كثير بكسر الضاد
قال ابو سعيد الخراز اخبر عن موضع الاباحة بالقصاص على وجه المماثلة ونهى النفس
عن هواها من بلوغ مناها وعرف ان الفضل والنصر في احتمال مؤن الصبر بقوله
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين قال النبي عليه السلام من العدالة الى موضع الفضل

تفرض عليه ذلك وقيل له ان الفضل على الخلق نافلة وعليك فريضة ثم اعلمه ان
ذلك لا يتم له مع الخلق الا حين تثبته بالحق فقال واصبر وما صبرك الا بالله
وقال الاستاذ اذا جرى عليكم ظلم من غيركم فاردتم الانتقام والمكافاة فلا تجاوزوا الاذن
بما هو في حكم الشرع مبين لكم ولئن صبرتم وتركتم الانتصاف لاجل مولاكم فهو خير
لمن فعل ذلك منكم والاسباب التي تحمل المرء على ترك الانتصاف تختلف
فمنهم من ترك ذلك طمعا في ان يرضي الله خصومه ومنهم من يترك ذلك
لانه يكتفي بعلم الله بما يجري عليه ومنهم من يترك ذلك لكرم نفسه وتحرزه عن الخطر [illegible]
العفو عند الظفر ومنهم من لا يرى لنفسه حقا ولا يعتقد لاحد حقدا فهو في عقد ارادة
القول بترك نفسه فعند ما يباح ملكه وهدر دمه ومنهم من ينظر الى خصمه بعين التسليط
عليه جزاء له على ما عمله من مخالفته قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفو عن كثير فاشتغاله باستغفاره عن جرمه يمنعه عن انتصافه من خصمه ثم قوله
واصبر تكليف وما صبرك الا بالله تعريف واصبر امر بالعبودية وما صبرك الا بالله
خبر عن حق الربوبية ولا تحزن عليهم بمطالعة تقديرنا فالا تجعله عندنا خطرا
لا ينبغي ان يوجب فيك اثرا فان من اسقطنا قدره استصغرنا امره فاذا
عرفت انفرادنا بايجادهم فلا يضيق قلبك بشدة عداوتهم وعنادهم فانا
اذا ضمنا كفايتك لا نشمتهم بك ولا نجعل لهم سبيلا اليك ان الله مع الذين اتقوا
اي خافوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه وقال الاستاذ
ان الله معهم بالنصرة والمعية الخاصة مع الذين اتقوا رؤية النصر من غيرهم
وهم اصحاب التبري من الحول والقوة والمحسن الذي يعبده كانه يراه وهو حال
المشاهدة

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم افاد الاستاذ ان بسم الله كلمة ما سمعها عابد الا شكر عصمته
وما سمعها تائب الا وجد رحمته كلمة ما تحققها عارف الا تعطر قلبه بنسيم قربته
كلمة ما شهدها واحد الا تعطر ومعه لطف قربته سبحان الذي اسرى بعبده
سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه عن التعطيل والتشبيه وانتصابه بمضمر
ترك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن عجز اسرائه واسرى وسرى بمعنى لكن
اسرى في مبالغة التعدية اسرى وقوله ليلا نصب على الظرفية وتنكيره للدلالة
على تقليل المدة الاسرائية وفيه نوع من الارادة التجريدية او التاكيدية لان الاسراء
مختص بالازمنة الليلية من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه السلام قال بينا
انا بالمسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق
او من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد او لانه محيط به والقول الاول اولى لبطلان
المبتدا والمنتهى وهو قوله تعالى الى المسجد الاقصى حيث لا جرم لذلك المسجد اصلا وبها

المراد ان يا اشار اليه صاحب البردة بقوله سريت من حرم ليلا الى حرم ويقوى القول
الثاني ما قد روي انه كان نائما في بيت ام هاني بعد صلاة العشاء فاسري به وقد جمعت
بين القولين في رسالتي المعراج العلوي في المعراج النبوي مع زيادة فوائد متعلقة بهما
لا يستغني الطالب عن تحقيقها والمراد به بيت المقدس وكونه اقصى لانه لم يكن حينئذ
وراءه مسجد مبارك الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومعبد
الانبياء من لدن موسى ومحفوف بالانهار والاشجار المنتجة للازهار والاثمار لنريه من آياتنا
كمشاهدة بيت المقدس ومكاشفة الانبياء وذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ثم الانتهاء
الى عجائب ملكوت السماء انه هو السميع لاقواله البصير بافعاله فيكرمه ويقربه [illegible]
حاله وافاد الاستاذ انه سبحانه اخبر عن موسى عليه السلام حين اكرمه باسماعه من غير واسطة
كلامه فقال ولما جاء موسى لميقاتنا واخبر عن نبينا عليه السلام فقال اسرى بعبده
وليس من جاء بنفسه كمن اسرى ربه به هذا متحمل وهذا محمول هذا بنعت الفرق وهذا بوصف
الوصف هذا مريد وهذا مراد ويقال جعل المعراج بالليل عند غفلة الرقباء وغيبة الحساد
من غير ميعاد ومن غير استعداد ويقال ارسله الحق سبحانه ليتعلم اهل الارض
منه اداب المجاهدة ثم رقاه الى السماء ليتعلم الملائكة منه آداب المشاهدة قال تعالى
ما زاغ البصر وما طغى ما التفت يمينا وشمالا وما طمع في مقام ولا اكرام حالا ولا مالا
تحرر عن كل طلب وارب الا حب الرب وقوله لنريه من آياتنا كانه تعريف بالآيات
ثم تعريف بالصفات ثم كشف بالذات ويقال اراه تلك الليلة من آياته ان
انه ليس كمثله شيء سبحانه في جلاله وجماله وعزه وكبريائه ومجده وسنائه ثم اراه من آياته
ما عرف به ايضا انه ليس احد من الخلائق مثله في نبوته ورسالته وعلو حالته وجلال
رتبته وآتينا موسى الكتاب التورية وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا اي قائلا
لا تتخذوا وقرأ ابو عمرو بالغيبة اي لئلا تتخذوا من دوني وكيلا ربا تكل الامر اليه غيري
وقال الاستاذ ارسل الله الى موسى عليه السلام كما ارسل الى نبينا عليه السلام ولكن البدر في سمائه
بضيائه وعلائه والشمس في طلوعها واشراقها ما اقربه البدر اذا طلعت من خفائه ذرية
من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص في القراءتين وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء
آبائهم من الغرق وحملهم مع نوح في سفينة الغرق انه اي نوحا كان عبدا شكورا
فيه ايماء الى ان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث الذرية على الاقتداء به
وافاد الاستاذ ان الشكور الذي يكون شكره على توفيق الله له بشكره لا يتقاصر عن شكر
نعمه ويقال الشكور الذي يشكر بماله ينفقه في سبيل الله [illegible] ويشكر بنفسه
يستعملها في طاعته فلا يبقى شيئا من الخدمة يؤخره ويشكر بقلبه لربه بذكره لا يأتي عليه
ساعة الا يذكره انتهى ويؤيده قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور وقضينا الى بني
اسرائيل اوحينا اليهم وحيا مقضيا في الكتاب وهو التورية النازل عليهم لتفسدن

في الارض

في الارض مرتين اوليهما مخالفة احكام التورية وقتل شعيا وثانيهما قتل زكريا ويحيى
وقصد قتل عيسى والجملة جواب قسم تقديرا ولتعلن علوا كبيرا بالاستكبار عن طاعة الله
او بالتجبر على خلق الله وافاد الاستاذ ان الاشارة في تعريفهم ما يكون من المستأنف
منهم وما يستقبلهم ليزدادوا يقينا اذا لقوا ما اخبروا به وليكون ابلغ في لزوم الحجة
عليهم وليحترزوا عن مخالفة الامر بجهدهم وليعلموا ان ما سبق به القضاء فلا محالة
يحصل ولا مخلص منه وان جد العبد في التباعد عنه فاذا جاء وعد اوليهما
وعد عقاب اوليهما وقيل الوعد هنا بمعنى الوعيد اما مجازا او تهكما بعثنا سلطنا
عليكم عبادا لنا اي منقادين لقضائنا وهم بخت نصر عامل لهراسب وجنوده اولي
بأس ذوي بطش شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم وتفحصوا في اثركم خلال الديار
وسطها للقتل والغارة اهل الدار فقتلوا كباركم وسبوا صغاركم وحرقوا التورية وخربوا
المسجد وما حوله من العمارة وكان وعد عقابهم وعدا مفعولا لا بد ان يفعل وافاد
الاستاذ ان الله سبحانه بعد اقواما لاحوال مخصوصة حتى اذا كان وقت ارادته فيهم
كان هؤلاء موجودين عنده ثم رددنا لكم الكرة الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا
عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده گشتاسف
عليهم فرد اسراءهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من
اتباع بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين
وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر بمعنى
المقدم والمتقدم وافاد الاستاذ ان الآية تدل على انه سبحانه مقدر اعمال العباد ومدبر
امور البلاد فان انعطافهم على اعدائهم من جملة اكسابهم وقد اخبر الحق سبحانه انه هو
الذي تولاه بقوله ثم رددنا لكم الكرة عليهم ان احسنتم في عملكم او الى غيركم احسنتم
لانفسكم لان منفعتها عائدة اليها وان اسأتم فلها اساءتها مختصة بها لا تتجاوز
غيرها ووبالها واقع عليها وقيل اللام للمشاكلة قال ابو يزيد من عمل لنفسه اي لحظه
لا يعمل لله اي خالصا لوجهه ومن عمل لله اي وابتغى رضاه لا يعمل لنفسه اي لمناه وتبع
هواه وقال الاستاذ ان احسنتم فثوابكم اكتسبتم وان اسأتم فعذابكم اجتلبتم والحق
اعز من ان يعود من افعال عباده اليه زين او شين فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة
المرة الاخيرة ليسوؤا وجوهكم بعثناهم ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها وقرأ ابن عامر
وحمزة وابو بكر ليسوء على الافراد على ان الضمير فيه للوعد او البعث او لله
وهو الظاهر لقراءة الكسائي بالنون وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا
ليهلكوا ما علوا ما استولوا عليه وغلبوا تتبيرا اي اهلاكا كثيرا وذلك بان سلط
الله عليهم الفرس مرة اخرى قيل دخل صاحب ذبح قرابينهم فوجد فيه
دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال لم تصدقوني فقتل عليه

الوفاء منهم فلم يهدء الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال للمثل هذا ينتقم منكم ربكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة وان عدتم نوبة ثانية الى معصيتكم عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم فعادوا بتكذيب محمد عليه السلام وقصد قتله فعاد الله بتسليط نبيه عليهم فقتل منهم بني قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية على البقية ثم هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين منهم ومن غيرهم حصيرا حبسا ومحبسا لا يقدرون على الخروج منها ابدا الآباد قال ابن عطا عسى ربكم ان يعطف عليكم فيخرجكم من ظلمة المعصية الى نور الطاعة فمن طلب الرحمة من غير الله فهو مخطئ ليستحق النقمة وقيل ان عدتم الى المعصية عدنا الى المغفرة وان عدتم الى الفرار عنا عدنا الى اخذ الطريق عليكم لتعودوا الينا وقال ابو عثمان ان عدتم الينا بعد المخالفة عدنا اليكم بالرحمة وافاد الاستاذ ان عسى كلمة ترجية واطماع وفقهم على حد الرجاء والامل ولا خوف والوجل فقال عسى ولم يصرح بغفرانهم ورحمتهم لكن في الآية رجاء موجب قوي وهو قوله عسى ربكم اي عسى من رباكم ولطف غذاكم ان يرحمكم في دنياكم واخراكم وان عدتم عدنا اي عدتم الى الزلة عدنا الى العقوبة وان عدتم الى التوبة عدنا في ادامة المثوبة ويقال وان عدتم الى الاستجارة عدنا الى الاجارة قيل وان عدتم الى الجفاء عدنا الى الوفاء ويقال ان عدتم الى ما يليق بكم عدنا الى ما يليق بكرمنا ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم يدل على الطريقة التي هي اقوم الطرق لكونها الجامعة بين الشريعة والحقيقة ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات اي الطاعات المفروضة ان لهم اجرا كبيرا اي عظيما وثوابا كثيرا جسيما وقرأ حمزة والكسائي يبشر من البشارة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على معمول يبشر بمعنى يخبر او تقديره انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثواب انفسهم وعقاب اعدائهم وافاد الاستاذ ان القرآن يهدي الى الصواب والسداد ولكن الخلل من جهة المستدل لا سيما اذا كان من اهل العناد اذ الدليل قد يكون ظاهرا فاذا كان المستدل معرضا او بادأب النظر مخلا لم يهتد لتقصيره لا لقصوره في دليله وتأخيره فالقرآن نور من استضاء به تخلص من ظلمات جهله وخرج من غمار شكه ومن رمدت عيون نظره التبس عليه رشده ويقال الحول ضرره اشد من العمى لان الاعمى يعلم انه لا يبصر فيتبع قائده والاحول يتوهم الشيء شيئين فهو في تخيله وحسبانه يماري من كان سليم الحاسة كذلك المبتدع اذا سلك طريق الجدل ولم يضع النظر موضعه بقي في ظلمة جهله ويصول بباطل دعواه على خصمه بمجرد عقله ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير يدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله مثل دعائه بالخير في اعتدال حاله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو ليس الا شرا وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله ولا ينظر الى عاقبة امره ومآله ولا يدري حسن حاله وسوء ماله او المعنى ان منهم من يعجل بالخير ومنهم من يعجل بالشر

وكل منهم

وكل منهم من يفوض الامر قال سهل اسلم الدعوات الذكر والثناء وترك الاختيار في السؤال والدعاء لان في الذكر كفاية له ورعاية عن الانسان ويسال هلاكه وافاد الاستاذ ان الادب في الدعاء ان لا يسال الا عند الحاجة ثم ينظر فان كان شيء يستغني عنه لا يتعرض له ولا يرغب فيه فان في الخبر من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ثم من اداب الداعي انه اذا سال من الله حاجة ويرى في الاجابة مهلة ان لا يتهم الحق سبحانه البتة ويجب ان يعلم ان الخير له في ان لا يجيبه والاستعجال فيما يختاره العبد غير محمود له وشر من ذلك الاستثقال في الخلق لما يبدو من الغيب مما اختاره الحق واولى الاشياء السكوت في حاله والرضا بحكمه فان لم يساعده الصبر وسال فالواجب ترك الاستعجال والثقة بان المقسوم لا تفاوت فيه وان اختيار الحق للعبد خير له من اختياره لنفسه قلت واذا التزم ان لا يدعو الا بالدعاء انما نور تخلص عن الامر المحذور وجعلنا الليل والنهار آيتين علامتين دالتين على جمال قدرتنا وكمال رحمتنا وحكمتنا كما بينه سبحانه بقوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فمحونا آية الليل الاضافة بيانية والمعنى خلقناها ممحوة ناقصة الاضاءة وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة كاملة الانارة لما سبق فيهما من الحكمة المشتملة الرحمة ولما صرح هنا بقوله لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار استعانة اسباب معاشكم ولتوصلوا به الى استبانة اعمالكم لزاد معادكم ولتعلموا باختلافهما عدد السنين والحساب جنس حسابكم وكل شيء تحتاجون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا تبيينا جميلا وافاد الاستاذ انه سبحانه جعل الليل والنهار علامة على كمال قدرته ودلالة على وجود وحدانيته في تعاقبهما وتناوبهما وزيادتهما ونقصانهما ثم جعلهما وقتا صالحا لاقامة العبودية والاستقامة على معرفة جلال الالوهية فالمعارف شرطها الدوام والاتصال والوظائف حقها التوقيت والاختصاص ثم جعل كل واحد بدلا من صاحبه حتى لو وقع في بعض العبادات تقصير وحصل لاداء بعضها تأخير تدارك بالقضاء في الوقت الآتي تأخيره وتلافى تقصيره ويقال من وجوه الآيات في الليل والنهار افراد النهار بالضياء من غير سبب وتخصيص الليل بالظلام لغير امر مكتسب ومن ذلك قوله تعالى فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وهو اختلاف احوال القمر في اشراقه ومحاقه وانه لا يبقى في ليلتين في حالة واحدة بل هو في كل ليلة في منزل آخر اما بنقصان او بزيادة واما الشمس فحالها على دوام احوالها والناس كذلك اوصافهم فارباب التمكين الدوام شرطهم واصحاب التلوين التنقل حقهم قال قائلهم • ما زلت انزل من ودادك منزلا • يتحير الالباب دون نزوله • وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له من سعادته وشقاوته

فى عنقه لزوم الطوق فى رقبته وذمته ويخرج له يوم القيمة كتابا مكتوبا هو صحيفة اعماله او نفسه المنتقشة باسرار احواله فان الافعال الاختيارية تحدث فى النفس احوالا خفية يفيد تكررها ملكات جلية يلقاه وقرأ ابن عامر بصيغة المفعول من لقيته كذا والمعنى يجده منشورا لكشف الغطاء عما فيه مسطورا وافاد الاستاذ انه سبحانه الزم كل واحد ماليس يجد من عهدته خلاصا ولا ينال من لزومه مناصا وهو بحكم السعادة لقوم وبحكم الشقاوة لقوم فالذين هم اهل السعادة اسرج لهم مراكب التوفيق فيسيرهم الى ساحة النجاة والوصلة والتوبة والذين هم اهل الشقاوة ربطهم بمنقلة الخذلان والفرقة والحرقة فيقعدهم عن النهوض الى نهج الخلاص ويقعون فى وهدة الهلاك من غير المناص اقرأ كتابك اى يقال له بلسان القال او لسان الحال اقرأ كتابك الذى ارسلته الى ربك مع من كان معك كفى بنفسك الباء زائدة والمعنى كفت نفسك اليوم عليك حسيبا اى حاسبا لدلالة اعمالك وكافيا لشهادة احوالك روى عن عمر رضى الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا وتزينوا للعرض قبل ان تعرضوا وقال يحيى بن معاذ اقرأ كتابك فانك كنت المملى فى كل بابك وقيل محاسبة الابرار فى الدنيا ومحاسبة الفجار فى العقبى وافاد الاستاذ ان من سعادته السعادة الازلية وعاونته العناية الاولية حفظه عند معاملاته على وفق كتابه عما يكون وبالا عليه يوم حسابه ومن ابلاه بحكم رده امهله ثم تركه وعمله واهمله فاذا استوفى اجله عرف ماضيعه واهمله فاذا حكمه فى حال نفسه فلا محالة حكم باستحقاقه لعذابه لما تحقق من قبيح اعماله فى بابه فكم من حسرة يتجرعها وكم من خيبة يلقاها او يبتلعها وكم من عويل يظهره فلا يرحم وكم من تأويل يدعوه فلا يسمع ولا يلزم ويقال من حاسبه بكتابه فكتابه ملازمه ومن حاسبه بكتاب نفسه على كتابه سبحانه العفو والرحمة فالواجب على العبد ان يبتهل فى دعائه فيقول اللهم حاسبنى بكتابك على ما قلت غافر الذنب وقابل التوب ولا تعاملنى بمقتضى كتابى ففيه بوارى وهلاكى وما يوجب سوء مآلى من اهتدى فانما يهتدى لنفسه لا ينجى اهتداءه غيره ومن ضل فانما يضل عليها لا يرضى ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى لا تحمل نفس حاملة وزر نفس اخرى لا فى الدنيا ولا فى الاخرى وفيه رد على ما كان عليه الجاهلية الاولى وافاد الاستاذ ان قضايا اعمال الخلق مقصورة عليهم ان كانت طاعة فضياؤها لاصحابها وان كانت زلة فبلاؤها لاربابها والحق غنى مقدس واحدى منزه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يهدى الحجة ويبين الشريعة فيلزمهم الحجة فلا يدخل احد فى السعير الا بعد ارسال رسول منعوت بالنذير المبشر كما يشير اليه قوله تعالى كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير فعلى هذا من نشأ فى شاهق جبل او حال كونه ساكن جبل ولم يسمع برسول الحق فى هذا الباب

ولا يسمع

ولا يسمع نداءه سبحانه بذكر الكتاب فهو معذور مرفوع عنه العقاب وكذا المجنون فى جميع عمره والطفل الصغير لجهل امره وذهب الاشعرى الى انهم يمتحنون يوم القيمة بان يأمرهم الله بدخوله النار فمن اطاع نجا ودخل الجنة وانكشف علم الله فيه بسابق السعادة ومن عصى دخل دار العقوبة وانكشف كونه من اهل الشقاوة وينسب هذا القول الى مذهب اهل السنة والجماعة وهو مختار بعض الائمة ويدل عليه كثير من الاحاديث الواردة فى السنة والتحقيق ان اطفال المؤمنين فى الجنة بلا شبهة لقوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان واما اطفال الكفار فبعد البعثة خدم اهل الجنة ببركة نبى الرحمة واما اطفالهم قبلها فالله عالم بحالهم وما كانوا يختارون من اعمالهم وبهذا يحصل الجمع بين الاحاديث المختلفة الواردة فى حقهم فظاهر الآية يدل على ان لا وجوب قبل الشرع ولا دليل الا السمع وبعضهم فسر الرسول بالدليل الهادى الى المنقول والمعقول وذهب جماعة الى ان هذه الآية فى حكم الدنيا والمعنى ان الله لا يهلك الا بعد ارسال الرسول اليهم وابلاغ الحجة والزامها عليهم ويؤيده ارتباط ما قبله بما بعده وهو قوله واذا اردنا ان نهلك قرية اى اذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق امرنا مترفيها متنعميها بطاعة واجبة عليهم على لسان رسول اليهم ففسقوا فيها اى خرجوا عن الطاعة وتمردوا فى المعصية وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهما ان معناه امرنا بالفسق فيحتاج الى ان يؤول ويقال المراد بالامر الامر القدرى يعنى سخرهم الله الى فعل فواحش المعصية فاستحقوا العقوبة لان الله لا يأمر بالفحشاء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ويجلهم ويجيبهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على مخالفة الطاعة فحق عليها القول اى كلمة العذاب السابقة بحلول العقاب فى الآخرة فى العاقبة اللاحقة فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وقال ابو عثمان اذا اخرج الله انكار المعاصى عن القلوب يخاف على الخلق اذ ذاك الهلاك من قبل الحق وقال الاستاذ اذا كثر اهل الفساد وغلبوا وقل اهل الصلاح وفقدوا فعند ذلك يعم الله الخلق ببلائه على وفق قضائه فلا يكون للناس ملجأ من اوليائه يتكلم فى بابهم ولا فيهم من يبتهل الى الله فيسمع دعاءهم فعند ذلك تشتد المحن الى ان ينظر الله الى الخلق نظر الرحمة فيبدل الحال بالرحمة والمنن وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون بيان وتمييز لكم من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك سرائرها وظواهرها فيعاقب عليها باسرها على وفق اصرارها وافاد الاستاذ ان فى الآية تسلية للمظلومين اذا استبطأوا هلاك الظلمة فيهم وتمنوا اقترابه بهم عنهم فاذا افكر فيمن مضى منهم كيف بنوا مشيدا واملوا بعيدا فبادروا جميعا يعلم ان الآخرين عن قريب سينخرطون فى سلكهم ويمتحنون بمثل شأنهم فاذا اظلهم سحاب الوحشة فاءوا الى ظل شهود

التقدير فيزول عنهم الوحشة ويطيب لهم الحيوة ويحصل البهجة من كان يريد العاجلة
اى وهو معرض عن امور الآجلة عجلنا له فيها ما نشاء لانه لا يجد كل متمن جميع ما يتمناه
ولا كل احد جميع ما يهواه وفى تعليق امر التعجيل بالمشية اشارة الى ان هم المعيشة قضية
زائدة لا يحتاج اليها ولا معول فى شئ عليها بل مدار تفرقة الخاطر لديها ثم جعلنا له جهنم
يصليها مذموما يدخلها ملوما مدحورا مطرودا من رحمة الله مبعودا والآية فى ارباب
الرياء والسمعة واصحاب الجاه والشهوة وافاد الاستاد ان من رضى بالخسيس
من عاجل الدنيا بقى عن النفيس من آجل الاخرى ثم لا يحظى الا بقدر ما قسم له فى
القضية الاولى ثم آنس ما يكون به قلبا واشد ما يكون اليه سكونا يختطف من نعمته
بغتة ولا يحظى مما جمعه من كرائمه ومنعه من اقاربه الآخرة فلعمرى قيل باغا فلا
اسمعه الصوت ان لم تبادر فهو الفوت من لم يزل نعمته قبله زال عن النعمة بالموت
ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها اى حقها من السعى الخالص لها بالايتمار بالاوامر
والانزجار عما زجر لا التقرب بما يخترعون من آرائهم ويسلكون فيها على وفق اهوائهم
وهو مؤمن وفى ايمانه موقن وفى ايقانه محسن فاولئك كان سعيهم مشكورا وعملهم
مبرورا وجزاؤهم موفورا وافاد الاستاد ان من علامة من اراد الآخرة على الحقيقة
ان يسعى لها فارادة الآخرة اذا تجردت عن عملها كانت امنية لا ارادة وهو مؤمن
اى فى المآل كما انه مؤمن فى الحال او وهو مؤمن ان نجاته بفضله سبحانه لا بسعيه
وتحسينه شأنه فاولئك كان سعيهم مشكورا اى مقبولا ومع القبول يكون التضعيف
موفورا فكما ان صدقة العبد اذا قبلها يربيها ويكثرها فكذلك طاعة العبد اذا شكرها
ينميها ويكثرها كلا كل واحد من الفريقين نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل الآنف
مددا للسالف هؤلاء وهؤلاء بدل من كل وبيان من عطاء ربك متعلق بنمد اى
من معطاه لا من متمنى العبد وهواه وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا حيث لا يمنعه
فى الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا واستدراجا قال ابن عطاء قوم اقامهم الحق
بخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك اى عطيته
وقال الاستاد اى نجازى كلا بعمله ونعطى كلا بقدره فلقوم منهم نجاة ولقوم درجات
ولقوم سلامة ولقوم كرامة ولقوم مثوبة ولقوم قربة قلت ولقوم حسرات ولقوم
دركات ولقوم ندامة ولقوم ملامة ولقوم حرقة ولقوم فرقة ولقوم عذاب ولقوم
حجاب انظر بعين الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض من جهة الاختيار
او الاختيار فى الرزق والخلق والروح وحسن النطق وصوت الحلق وللآخرة اكبر
درجات للاولياء واكبر دركات للاعداء واكبر تفضيلا فان تفاوت الآخرة
بالجنة ودرجاتها فى المنحة وبالنار ودركاتها فى المحنة وافاد الاستاد ان العباد
فضل بعضهم على بعض لكن فى زكاء اعمالهم والعارفون فضل على بعض لكن وصفا

احوالهم

احوالهم فزكاء الاعمال بالاخلاص وصفاء الاحوال بالخلاص لقوم تفاضلوا بصدق القدم
وقوم تفاضلوا بعلو الهمم والتفضيل فى الآخرة اكبر وعلو المراتب فيها اكثر كما اخبر عنه سيد البشر
بقال انكم لترون اهل عليين كما ترون الكوكب الدرى فى افق السماء وان ابا بكر وعمر منهم
وانعما رضى الله عنهما فاهل الحضرة تفاضلهم بلطائف من الانس بنسيم القربة بالا بيان له بصفة
ولا عبارة ولا اثر من مدركه ولا اشارة منهم من يشهده ويراه فى الاسبوع مرة ومنهم من لا يغيب
عن الحضرة لحظة ثم يجتمعون فى الرؤية ويتفاوتون فى القسمة وليس كل من يراه يراه
بالعين التى يراه الغير وانشد بعضهم لو يسمعون كما سمعت كلامها • خروا لعزة ركعا وسجودا
لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد ملوما مخذولا فتصير جامعا على نفسك الملامة والمذمة
من المؤمنين والملائكة والفضيحة من الله سبحانه وترك النصرة ومفهومه ان الموحد لا يكون
الا ممدوحا منصورا وافاد الاستاد ان من اشرك بالله اصبح مذموما من قبل الله ومخذولا
من قبل من عبده مما سواه وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه امر امرا مقطوعا وحكم حكما
مقضيا مرضيا بان لا تعبدوا الا اياه لان العبادة وهى غاية المسكنة والمذلة لا تحق
الا لمن هو نهاية العظمة والمعزة وبالوالدين احسانا اى وبان تحسنوا بهما وتبروا اليهما وهو
فى غاية من التوكيد حيث قرن حقهما بامر التوحيد كما قال ان اشكر لى ولوالديك
اى لنعمة الايجاد والتربية ونسبة التسبب الموجبة للشكر عليك وفى الحديث من لم
يشكر الناس لم يشكر الله وافاد الاستاد انه سبحانه امر عباده بازاء فى العبادة وذلك
بالاخلاص فيها بستغرق من العبودية وان يكون مغلوبا باستيلاء سلطان الحقيقة
عليه بما يختطفه عن شهود عبوديته اليه وامر بالاحسان الى الوالدين ومراعاة حقوقهما
والوقوف عند اشارتهما والقيام بخدمتهما وملازمة ما كان عائدا الى رضاهما فيما لا يكون
ما بحسن العشرة ونهاية الحرمة لهما وان لا ينذب بنوع الكسل لامرهما بل يبذل
المكنة فيما يعود الى حفظ قلوبهما هذا فى حال حياتهما واما بعد وفاتهما فبصدق الدعاء
لهما واداء الصدقة عنهما وحفظ وصيتهما على الوجه الذى فعل والاحسان الى من كان
من اهل ودهما ومعارفهما ويقال امر الحق العبد بمراعاة حق الوالدين وهو من جنس
العبد لمن عجز عن خدمة جنسه فانى يقوم بحق ربه اما يبلغن عندك الكبر احدهما
او كلاهما ان الشرطية زيدت معها ما تأكيدا للقضية واحدهما فاعل يبلغن ويدل على
قراءة حمزة والكسائى من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما
فاعلا وبدلا والمعنى ان يكونا فى كنفك وكفالتك ويصل حال الكبر فى ايام نوبتك
ودولتك فلا تقل لهما اف اى فلا تتضجر مما يستقذر منهما ويستثقل من مؤنهما
وهو صوت يدل على تضجر مبنى على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه فى قراءة نافع
وحفص للتنكير وفتحه على قراءة ابن كثير وابن عامر على التخفيف والنهى عن ذلك
الذى هو ادنى الاذى يدل على المنع من غيره بالاولى امر بالاحسان اليهما ثم نهى عن الاساءة

اليهما تأكيدا للقيام بحقهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك من احوالهما ولا تقهرهما
وقل لهما قولا كريما واطلب في رضاهما اجرا عظيما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة
تذلل لهما وتواضع فيهما من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما
وقل رب ارحمهما اي وادع ربك وربهما ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك
الفانية وان كانا من الفئة العاصية لان من الرحمة ان يهديهما قبل ان يغيرهما كما ربياني
صغيرا اي رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما في حال صغري واشارة ارشادهما الى وفاء
بوعدك للراحمين كما ورد الراحمون يرحمهم الرحمن روي ان رجلا قال لرسول الله
عليه السلام ان ابوي بلغا عندي من الكبر الى انهما الياهما ولياني في الصغر فهل قضيتهما
قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت
تريد موتهما وفي تفسير السلمي قيل لا تخالفهما فيما يريدانه وان كان على خلاف هواك بعد
ان لا يكون في ذلك خلاف شريعة هناك وسئل فضيل عن برهما فقال ان لا تقوم عن كسل
الى خدمتهما وافاد الاستاذ ان في الآية اشارة الى المداراة وحسن العشرة والتسرع
الى الاجابة والمبادرة الى الخدمة والصبر على امرهما وترك التبرم بمطالبتهما وان لا تدخر ميسورا
عنهما ربكم اعلم بما في نفوسكم تأكيد لقصد البر اليهما واعتقاد ما يجب من التوقير
لهما وتهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا لهما ان تكونوا صالحين قاصدين
الصلاح ومريدين الفلاح فانه كان للاوابين اي للرجاعين الى حكم الله ورضائه الى
ارضائهما غفورا لما فرط عنه في حقهما وقال الاستاذ اذا علم الله الصدق من قلب
عبده امده بحسن الانجاد واكرمه بجميل الامداد ويسر عليه العسير من الامور وحفظ عنه
الشرور من الامور وعطف عليه قلوب الجمهور وآت ذا القربى حقه اي صاحب
القرابة ما يجب له من حسن العشرة والبر والصلة والنفقة والكسوة حال الفقر والعجز
والمسكين اي سائر الفقراء واصحاب المسكنة بما يوجب المرحمة والشفقة وابن السبيل
اي الغريب بما امكنه من الضيافة ولا تقتر تقتيرا ولا تبذر تبذيرا بصرف المال الى غير
مرضات الرب فرضا ونفلا بل اختر طريق العدل تركا وسبيل الفضل كرة
وابتغ بين ذلك سبيلا يمكن سلوكه دواما كما قال تعالى والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وهذا كله باعتبار ما يتعلق بغير ما عرف
بيانه من الشريعة لا في الحديث ان الاقتصاد نصف المعيشة والا فقد قال بعض
السلف لا سرف في خير ولا خير في سرف وافاد الاستاذ ان ايتاء الحق يكون من المال
ومن النفس ومن القول ومن الفعل اولا وكذا من الحال ومن نزل عن اقتضاء حقه
وبذل لكل احد ما طلب به من امره فهو القاسم بقضيته ما الزمه الحق سبحانه بحكمه والتبذير
مجاوزة الحد في التقدير وما كان لحظ النفس وان كان بسمسمة فهو تبذير وما كان لله
وان كان الوفا فهو بخطر فتقتير وتقصير ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اي

امثالهم

امثالهم في الشرارة فان التضييع والاتلاف نوع من المضرة والفساد فانهم اتباعهم
لانهم يطيعونهم في السرف بالصرف في المعصية او قرناؤهم في دار العقوبة روي انهم
كانوا ينحرون الابل ويتقامرون عليها ويبذرون اموالهم في الرياء والسمعة فنهاهم الله
عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربة والطاعة وكان الشيطان لربه كفورا اي مبالغا
في كفران النعمة وصرفها فيما يوجب النقمة وافاد الاستاذ انهم انما كانوا اخوان الشيطان
لانهم اتفقوا على هواهم فجروا في طريقهم على دواعي الشيطان وبنوا على وساوسهم
فيما يفضي بهم الى العصيان واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذي القربى والمساكين
وابن السبيل حياء من الرد عليهم حال احتياجهم او حين سؤالهم او رؤية
احوالهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من كرم ربك تتوقع حصوله
فتعطيهم وتحسن اليهم فقل لهم قولا ميسورا اي وعدا جميلا واجرا جزيلا
او الدعاء لهم بالميسور بمعنى اليسر بعد العسر نحو اغناكم الله ورزقنا واياكم
وقال الاستاذ اي ان لم يساعدك الامكان فيما طالبوك من الاحسان فاصرفهم
عنك بوعد جميل ان لم تسعفهم بنقد جزيل فان وعد الكرام اهنأ من نقد اللئام ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر
ونهى عنهما وامر بالاقتصاد والتبسط بالتوسط بينهما المعبر عنه بالكرم فتقعد
بالنصب جواب النهي اي فتصير ملوما كسوء التدبير محسورا نادما من حصول
التقتير ووصول التبذير وقال لا تمسك عن الاعطاء فتكدى ولا تسرف
في البذل وكثرة ما تسدي واسلك بين الامرين طريقا ان ربك يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر يوسعه مرة ويضيقه كرة بمشيئته التابعة للحكمة فليس ما يصيبك
من الاضافة الا لمصلحة انه كان بعباده اي جميعهم صغيرا وكبيرا خبيرا بصيرا يعلم
سرهم وعلنهم فيرى من مصالحهم ما يخفى عليهم ولا يظهر سره لديهم فيوسع على من
يرى مصلحته في التوسعة له وتخفيفه ويضيق على من يعلم مصلحته في تضييقه او تارة
وتارة بحسب اقتضاء الحكمة في مقام العبد من تصديقه وفي الحديث القدسي والكلام
الانسي ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسدت عليه دينه
وان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لافسدت عليه دينه اي وضعفت
عليه يقينه وفي الآية اشارة الى ايصال التخلق باخلاق الله تعالى بالعطاء تارة وبالمنع اخرى
على حسب ما يظهر كون كل منهما بالوقت احرى كما ان الحديث من اعطى لله ومنع لله فقد استكمل
ايمانه وايماء الى التقلب بين مظهر الجمال يوما وبين مظهر الجلال يوما كما يستفاد بطريق
الاستيناس من قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وكما قيل فيوم علينا ويوم لنا ويوم
نساء ويوم نسر وكما يشير اليه قوله عليه السلام اجوع يوما فاصبر واشبع يوما فاشكر
والمعنى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء من الكفار والفجار ويقدر على من يشاء من الابرار

انه كان بعباده خبيرا بصيرا بما يمنعهم عن بابه ويقفهم في موقف حسابه وافاد
الاستاذ انه سبحانه اذا بسط لا يبقى فاقة واذا قبض استنفذ كل طاقة ولا تقتلوا
اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم من سوء
اخلاقهم فنهاهم عنه وتكفل لهم بارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم وفي تقديمهم
تنبيه نبيه لهم في قبح امرهم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا عظيما يستدعي
فسادا كثيرا وقرأ ابن كثير بالكسر والمد وقرأ ابن ذكوان بفتحتين مقصورا
وافاد الاستاذ ان من عرف ان الرزاق هو الله المتعال خف عن قلبه
هم العيال ومن خفي عليه ان الحق قسم ارزاقهم قبل الخلق تطوح في متاهات
مغاليط التغيير وتعنى بالقلب والبدن في امر التدبير ثم لا يكون غير ما سبق به
التقدير ولا تقربوا الزنى بالعزم واتيان المقدمات كالنظرة والقبلة فضلا
ان تباشروه بالفعل انه كان فاحشة ظاهرة القباحة زائدة الفضاحة
وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع
الانساب ووسيلة النزاع وافاد الاستاذ ان الآية ترجح الزنا على غيره
من الفواحش الظاهرة لان فيه تضييع خدمة الحق وهتك حرمة الخلق ثم ما فيه
من الاخلال بالنسب وافساد ذات البين بمقتضى الانفة والغضب
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى
بعد احصان وقتل مؤمن بعدوان وقال الاستاذ لا يجوز قتل نفس الغير
بغير الحق ولا للمرء ان يقتل نفسه ايضا بالوجه المطلق وكان قتل النفس بالحديد
وما يقوم مقامه من الآلات محرم فكذلك ارتكاب ما يؤدي الى هلاك المرء محترم ومن
انهمك في مخالفة ربه سعى في هلاك نفسه ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل بمقتضى
الشرع الجامع بين النقل والعقل فقد جعلنا لوليه سلطانا للوارث الذي يلي امره
بعد فراغ عمره تسلطا وبرهانا بالمؤاخذة على طريق العدل فلا يسرف مريد القتل
في القتل بان يقتل من لا يستحق القتل فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك
العاجل او الآجل او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف
على خطاب احد جاته اي المقتول كان منصورا بثبوت القصاص لقتله في الدنيا
وبحصول الثواب واجره في العقبى وافاد الاستاذ ان قوله سلطانا اي الطاقة
في المطالبة اما بالقصاص واما بالدية واما في المعنى والاشارة فبالنصرة من قبل
الحضرة ومنصور الحق لا ينفل سنانه ولا يطيش سهامه ولا ينخفض سنامه
ولا تقربوا مال اليتيم لان قربه مما يقرب الى الجحيم فضلا عن ان يتصرفوا فيه الا
بالتي هي احسن الا بالطريق التي هي احسن وهي الطريق القويم حتى يبلغ اشده
غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء بما يفيد صلاحه ورشده وقال الاستاذ

لما لم يكن

لما لم يكن لليتيم من يهتم بامره ويراعي شانه امر الله سبحانه الاجنبي الذي ليس بينه
وبين اليتيم سبب ولا نسب ان يتولى امره ويقوم في حسابه ويقف على بابه
فالصبي قاعد بصفة الفراغ والهوينا والولي ساع بمقاساة العناء فامر الحق سبحانه
الولي بالعدل فحظ الصبي في مقام الفضل من شفقة ابيه عليه في حال حياته قبل العقل
واوفوا بالعهد اي بما عاهدكم الله من امره او بما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسئولا
مطلوبا يطلب من المعاهد عدم تضييعه والوفاء بحقه او ان صاحبه كان مسئولا
عن عهده والقيام بوعده واوفوا الكيل اذا كلتم بالكيل القوم ولا تبخسوا فيه شيئا
للطبع المستقيم وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي ولا تتبعوا الطبع الردي
وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف ذلك خير اي تأميلا واحسن
تأويلا اي عاقبة ومآلا وان كان خلافه يوهمهم ان يزيد مالا حالا وقال الاستاذ
كما تدين تدان وكما تعامل تجازى وكما تكيل يكال عليك وكما تكون يكونون معك
ويقال من اوفى وفوا له ومن خان خانوا معه قلت وقد ورد كما تكونوا يولى عليكم
ولا تقف ما ليس لك به علم لا تتبع ما لم يتعلق به علمك تقليدا او ظنا مأخوذ من
قولهم قفوت اثر فلان اذا اتبعته ومنه القفا لانه تأخره يتبعه وقال الاستاذ
جانب مجوزات الظنون والحسبان وما لم يطلعك الحق عليه فلا تتكلف
للوقوف عليه من غير برهان واذا اشكل عليك شيء من حكم الوقت فارجع الى الله
فان لاح لقلبك وجه من التحقيق فكن مع ما رأيت فان بقي الحال على حد
الالتباس فكل علمه الى الله وقف حيث ما وقفت ويقال الفرق بين من قام بالعلم
وبين اقام بالحق ان العلماء يعرفون الشيء اولا ثم يعملون بعلمهم واصحاب الحقائق
يجري بحكم التعريف عليهم شيء لا علم لهم به على التفصيل وبعد ذلك يكشف
عليهم وجهه على وجه التكميل فربما يجري على لسانهم شيء لا يدرون وجهه ثم
بعد فراغهم على النطق به يظهر لقلوبهم برهان ما قالوا ودليل ما نطقوا به
من شواهد العلم او تحقيق ذلك بجريان الحال في ثاني الوقت من الاستقبال
والله اعلم باحوال ارباب الكمال ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان
عنه مسئولا اي كل هذه الاعضاء باجرائها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة
عن حالها شاهدة على صاحبها مع ان اولاء قد تطلق على غير العقلاء كقوله
ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد اولئك الايام وفي الآية دلالة
على ان العبد قد يؤاخذ بعزمه على المعصية وقال ابو سعيد الخراز من استقرت
المعرفة في قلبه لا يبصر في الدارين سوى ربه ولا يسمع الا منه ولا يشتغل الا به
وافاد الاستاذ ان هذه الاعضاء للحق عند العبد امانة وقد تقدم في بابها ما اوضحه
براهين الشريعة لان امانة فمن استعمل هذه الجوارح في الطاعة وصانها عن استعمالها

فى المخالفة فقد سلم الامانة على وصف السلامة واستحق المدح والكرامة ومن دنسها
بالمخالفة ظهر عليه الخيانة واستوجب الملامة ولا تمش فى الارض مرحا اى مرحا بكسر الراء
كما قرئ بها والمصدر اكد من صريح النعت فى مقام الحمل كرجل عدل انك لن تخرق الارض
لن تثقبها بشدة وطأتك بها او خيال ان لك طولا ولن تبلغ الجبال طولا بتطاول
رقبتك على ظن ان لك على غيرك فضلا يوجب فضلا وفى الآية اشارة الى ان الاعتبار
حماقة مجردة لا تعود على صاحبه بفائدة وقد ورد فى الحديث المرفوع من تواضع
رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وقال بعضهم اسوء خصلة فى الانسان التكبر والتجبر
واحسن خلة فيه التواضع والتكسر لمن تكبر فقد اخبر عن رذالة نفسه ومن تواضع فقد
اظهر كرم طبعه كذا فى تفسير السلمى وافاد الاستاذ ان الخيلاء والتبختر والمدح والتكبر
كل ذلك نتيجة الغيبة عن الذكر والحجبة عن شهود دقة الحق والغفلة عن السكر
فان الله اذا تجلى لشىء خشع له بذلك ورد الخبر واما فى حال حضور القلب واستيلاء
الذكر وسلطان شهود الرب فالقلب مطرق لازب وحكم الهيبة غالب ونعت الملح
وصفة الزهو واسباب التفرقة كلها ساقط ذاهب كل ذلك ما ذكر من الخصال الخمس
والعشرين المذكورة من قوله تعالى لا تجعل مع الله الها آخر التى على ما عن ابن عباس انها
فى الواح موسى مسطورة كان سيئه يعنى المنهى عنه منها عند ربك مكروها وقرأ
الحرميان وابو عمرو سيئة منصوبة مؤنثة من غير اضافة على انها خبر كان وذلك اشارة
الى ما نهى عنه خاصة وما بعدها بدل منها والمراد بالمكروه المقابل للمرضى لا ما يقابل المراد
لقيام القاطع بان الحوادث كلها واقعة بامره سبحانه على ما اراد وافاد الاستاذ
انه اذا سعدت الاقدام بحضور ساحات الشهود وعطرت الاسرار بنسيم التقريب من
عالم جود مواهب الوجود تجردت الاوقات عن الحجبة واستولى سلطان الحقيقة
وحصل التنقى عن هذه الاوصاف الذميمة ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام
المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التى هى معرفة الحق لذاته والواجبات صفاته
ومعرفة العمل بحق القيام بوظائف عباداته ومراتب طاعاته وافاد الاستاذ
ان هذا له عليه السلام تشريف بالوحى والاعلام ولاوليائه تعريف بحكم الالهام ولا تجعل
مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد رأس الحكمة وملاك المعرفة وان توحيد
الاله وتفريده عما سواه مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد
بفعله او تركه غيره ضاع سعيه ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك فى الدنيا وآخرا ما هو
نتيجته فى الاخرى بقوله فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا اى حال كونك تلوم نفسك مطرودا
من رحمة ربك افأصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن اطلق بنات الله على الملائكة
المقربين والهمزة للانكار على القائلين والمعنى اخصكم ربكم بافضل من الاولاد
وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات مكروهة عندكم هذا ليس الا وفق عقولكم فى عاداتكم

الكم

انكم لتقولون قولا عظيما وتفترون بهتانا جسيما حيث تنسبون اليه ما هو منزه
عما تصفون وتجعلون له ما تكرهون وتشهدون على الملائكة ما لا تعلمون ولقد صرفنا كررنا
تحرير هذا المعنى فى وجوه من تقرير المبنى فى هذا القرآن فى مواضع منه مثنى مثنى ليذكروا
ليتذكروا مرة بعد اخرى ليظهر لهم وجه الاولى وقرأ حمزة والكسائى من الذكر الذى
هو بمعنى التذكر او ليذكروا ما ذكرنا لهم حجة فى المدعى ليزدادوا به حظا وحضورا
وما يزيدهم الا نفورا اى تنفرا عن الحق وعدم طمأنينة الى الصدق وعن سفيان الثورى
كان اذا قرأها قال زادنى لك خضوعا ما زاد اعداءك نفورا فالقرآن كالنيل ماء
للمحبوبين ودماء للمحجوبين وكما فى الحديث القرآن حجة لك او عليك وفى لفظ آخر
القرآن شافع مشفع وماحل مصدق وقد قال تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وقال
عز وعلا وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا
وقال الاستاذ اى اتبعنا دليلا بعد دليل وبيانا بعد بيان واقمنا برهانا بعد برهان وازحنا
كل علة واوضحنا كل حجة فما ازدادوا وفى تمردهم الا عتوا وفى طغيانهم الا غلوا وعن
قبول الحق الا نبوا قل لو كان معه اى مشاركا له فى وجوده او فى اثره وجوده الهة كما تقولون
ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالغيبة على ان الكلام للنبى عليه السلام من اوله الى آخره
ووافقهما نافع وابو عمرو وابن عامر وابو بكر فى الثانية على ان الآية الاولى مما امر صلى الله
عليه وسلم ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه الله به سبحانه نفسه عن مقالتهم تعريفا
للمؤمنين اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا
الى من هو مالك الملك سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض فى العرف والعادة
كما قال تعالى فى آية اخرى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق
ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون
او لابتغوا بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بعجزهم وقدرته سبحانه المقرونة بالعزة
والغلبة لقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه تنزه شأنه
وتعالى برهانه عما تقولون اى انتم او هم علوا كبيرا تعاليا متباعدا عما يقولون كثيرا
فانه واجب وجوده وبقاؤه لذاته وسائر الكائنات من آثار فيض جوده واسرار
صفاته وافاد الاستاذ انه سبحانه بين انه لو قدر تعدد الصانع لجرى بينهم التضاد
والتمانع كما هو بين الملوك واقع وتبين عند ذلك فى صفتهم العجز الذى هو من لوازم الحدوث
بلا مانع ولا دافع وانه سبحانه منزه عن الشريك والظهير والمعين والنظير تسبح له
السموات السبع والارض وقرأ البصرى وحفص وحمزة والكسائى بالتأنيث
ومن فيهن اى وما فيهن معهن لقوله وان من شىء الا يسبح بحمده اى تسبيحا مقرونا
بحمده والمعنى تنزهه عما هو من لوازم الحدوث والامكان وتشهد له بتجلى مناقب الاحسان
وعلى مراتب الشأن والبرهان بيان المقال ولسان الحال فى جميع الاحوال كأنهم

ارباب الاشارة واصحاب الكمال ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون به في ذاته وايها الغافلون عن مشاهدة افعاله ومطالعة صفاته والآن في كل شيء له شاهد دليل على انه واحد انه كان حليما حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على ما صدر منكم من الشرك والغفلة غفورا لمن تاب منكم عن المعصية وآب من تيه حيرة كثرة التفرقة الى مرتبة جمع الوحدة وقال ابو عثمان المغربي المكونات كلها تسبح الله تعالى باختلاف اللغات ولكن لا يسمع تسبيحها ولا يفقه عنها الا العلماء الربانيون الذين فتحت اسماع قلوبهم كذا في تفسير السلمي وافاد الاستاد ان الاحياء من اهل السماوات والارض يسبحون الله تسبيح القالة وغير الاحياء يسبح من حيث البرهان والدلالة فان جزء من الاعيان والآثار الا وهو دليل على الصانع وحكمته وجلال الالهية واذا قرات القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرؤه لديهم مستورا ذا ستر وغطاء نازلا اليهم وواقعا عليهم بحيث لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون ما بينا لهم من الدلالة لكونهم مطبوعين على الضلالة لقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتسترها وتحول دونها عن ادراك المعرفة وقبولها ان يفقهوه كراهة ان يفهموا مبانيه ويعلموا معانيه وفي آذانهم وقرا ثقلا ان يستمعوا ما فيه ليميزوا بين موافقه ومنافيه وقال الاستاد اي نخلك من ايدي حفظنا وضربنا عليك سرادقات عصمتنا ومنعنا الايادي الى طلبة عنك بلطفنا وفي الآية اشارة بانه خالق ضلالتهم وانه المثبت على قلوبهم ما استغلق فيها من فرط غوايتهم واذا ذكرت ربك في القرآن وحده منفردا عن ذكر غيره على ما تصوروا من وجود ما سواه متصورا ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد وتنفرا من الاقتصار على التوحيد في مقام التمجيد والتحميد وافاد الاستاد انهم لا يعرفون الربوبية فاذا سمعوا توحيد الاله تحيروا وانكروا اذ لا يتحير في قلوبهم الا حادث من له شكل ومثل فجحدوا وكفروا نحن اعلم بما يستمعون به اي لاجله وبسببه من الهزء بك وبما انزل عليك اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اي متناجون فيما بينهم اذا كانوا بين يديك والمعنى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك ومضمرون لمقصودهم عليك اذ يقول الظالمون وهم الضالون المضلون ان تتبعون ما تتبعون الا رجلا مسحورا سحر به لزوال عقله وافاد الاستاد انهم لبسوا على رسول الله عليه السلام احوالهم واظهروا الوفاق من انفسهم ففضحهم الله وكشف اسرارهم وبين مقابحهم وهتك استارهم وان ما ينطوي عليه السريرة فلا بد من ان يظهر لاهل البصيرة ذلك منهم على الاسرة انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون باختلاف الاقوال فضلوا عن الحق في جميع الاحوال فلا يستطيعون سبيلا الى الخروج عن الضلال والوصول الى مقام ارباب الهداية والكمال وقيل المسحور هو الذي له سحر وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس

ويأكل ويشرب منكم وذهب اليه الاستاد حيث افاد بقوله عابوه بما ليس بنقيصة في نفسه حيث قالوا ان تتبعون الا رجلا مسحورا اذا سحر رئة واي نقيصة كانت له بان كان عليه السلام من جملة البشر والحق سبحانه متولي نصرته ولم يكن تخصيصه عليه السلام ببنيته ولا بصورته او نسبته وصنعته وانما شرفه بانه من جملة من تعلق به لطف القديم سبحانه ورحمته وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا حطاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا استبعد ما بين غضاضة الحي وطراوته ويبوسة الرميم وجمادته من توهم منافاته ومباعدته لقلة نظرهم في آثار قدرته واسرار حكمته وافاد الاستاد انهم اقروا بان الله خلقهم ثم انكروا قدرته على اعادتهم بعد ان اعدمهم ولما جاز ان يوجدهم اولا وهم في كتم العدم لا عين ولا اثر لهم جاز كذلك ثانيا لكونهم متناول القدرة ومتعلق الارادة فما كان من حقهم جحد الاعادة ولكن اذا ارمدت عيون القلب لم يستبصر صاحبه قدرة الرب قل كونوا حجارة او حديدا اي او نحوهما مما لا يقبله الموت حيث ما خلق فيه الحيوة او خلقا اي مخلوقا آخر غيرهما مما يكبر في صدوركم مما يبعد عن قبول الحيوة عندكم فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم بعد فنائكم لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض من نحو الحياة والممات وسائر الاقسام فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة يابسة وقد كانت بالحيوة قبل ذلك موصوفة بانها غضة طرية والعقل حاكم بان الشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد من قبل فسيقولون من يعيدنا بعد ما بددنا وفي عين هذه المناظرة وجود المناقضة وحصول المعارضة قل الذي فطركم اول مرة وكنتم ترابا وهو ابعد شيء من الحيوة بالمرة فسينغضون اليك رؤسهم يحركونها نحوك تعجبا من قولك استهزاء بك ويقولون متى هو اي وجوده فنصدقك حين نشاهده قل عسى ان يكون قريبا ويقع نفع تصديقكم حينئذ بعيدا فان كل ما هو آت قريب وما يمكن اتيانه ليس بقريب وافاد الاستاد انه سبحانه لا يتعاصى عليه مقدور لانه موصوف بقدرة ازلية وقدرته عامة التعلق بالمشية فلا المشقة تجوز في صفته ولا الرفاهية الخلق الاول والاعادة سيان عليه لا من هذا ولا من ذاك عائد اليه لان قدمه يمنع تأثير ما يحدث لديه يوم يدعوكم الى بعثه فتستجيبون بحمده حامدين لنعمته مثنين على كمال قدرته وقد ورد انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويشربون شراب المعرفة من كؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك ولا نحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وتظنون ان لبثتم ما مكثتم في قبوركم الا قليلا زمانا يسيرا قبل حضوركم او في حياتكم قبل مماتكم لما ترون من اطالة مدة الفناء واستمرار حالة الاقامة وفي تفسير السلمي قيل من اسمعه الحق الدعوة وفقه للجواب ومن لم يسمعه الدعوة كيف يجيبه على وجه الصواب قال جنيد يقولون حال بعثته

الحمد لله الذي جعلنا من اهل دعوته وقال الاستاذ اي يدعوكم فتستجيبون وانتم
حامدون له والحمد بمعنى الشكر وانما يشكر العبد على النعمة فالآية تدل على انهم في قبورهم
في نعمة وقل لعبادي يقولوا التي اي الكلمة هي احسن مما يجري على لسانهم ان
الشيطان ينزغ بينهم يهيج المراء والمخاشنة بهم مما يفضي الى عنادهم
وازدياد فسادهم وغفلتهم عن ذكر ربهم وعن ضروريات معاشهم
ومعادهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ببعدهم
عنا وتقصيرهم فينا وافاد الاستاذ ان الاحسن من القول ما يكون ذكر الله
والثناء عليه وترك ما سواه ويقال احسن الكلمة ما يترتب على تركها العقوبة
واحسن قول المذنبين الاقرار بالخطيئة واحسن قول العارفين الاقرار
بالعجز عن المعرفة ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم قيل هذا
تفسير للتي هي احسن وما بينهما جملة معترضة اي قولوا لهم نحو هذه
الكلمة ولا تشهدوا لاحد منهم انه من اهل العقوبة لخفاء امر العاقبة اللاحقة
المترتبة على القضية السابقة قال القاسم سبق علمه في الخلق بالرحمة
والعقوبة فهو يرجع لمنتهاه بما قدّره في مبتداه وما ارسلناك عليهم وكيلا
موكولا اليك امرهم بل جعلناك لهم عليما ودليلا فدارهم ما دمت في دارهم
وافاد الاستاذ انه سبحانه سدّ على كل احد طريق معرفته لنفسه ليعلق كل
قلبه بربه وانه جعل العواقب على اربابها مشتبهة في بابها حيث قال
ربكم اعلم بكم ثم قدّم حديث الرحمة على حديث العقوبة فقال ان يشأ
يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وفي ذلك ترجيح لامل اهل التقوى ان يقوى ثم
العبد عالم بظاهر حاله والرب عالم بحاله ومآله فوجه المبالغة هذا في اعلم
والله اعلم وربك اعلم بمن في السموات والارض واختلاف احوالهم ومراتب
اعمالهم وآمالهم ومآلهم فيصطفي منهم للنبوة والرسالة ويجتبي منهم
للولاية والرعاية ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بمزيد العلم اللدني
لا بمزيد المال الدني وبالفضائل القدسية والشمائل الانسية والتبري عن
العلائق النفسانية والتنزه عن العوائق الجسمانية وآتينا داود من جملتهم
زبورا افاد بقراءته سرورا واستفاد من اضاءته نورا فشرفه بما اوحى اليه
من الكتاب لا بما اعطى من الملك وفصل الخطاب في هذا الباب وفيه ايماء
الى ان نبينا عليه السلام سيد الانبياء فان كتابه المجيد وخطابه الحميد ابلغ الانبياء
وقراءة حمزة بضم الزاي وهما لغتان في معنى المفعول كالقبول والحصول قل ادعوا
الذين زعمتم انها آلهة من دونه من غيره كالملائكة والمسيح وغيره فلا يملكون
لا يستطيعون كشف الضر كالمرض والقحط والفقر عنكم ولا تحويلا لذلك منكم

الى غيركم

الى غيركم بل كما قال تعالى ولا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا ولا
حيوة ولا نشورا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الالهة
التي يدعونهم ويعبدونهم من كمال الغفلة هم بانفسهم يطلبون الى الله القربة بالطاعة
والعبادة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون فأيّ موصولة اي يبتغي الوسيلة من هو
اقرب منهم الى الرب فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه حجابه
وعقوبته كسائر آحاد الامة وافراد البرية فكيف تزعمون انهم الالهة ان عذاب
ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة وفي تفسير
السلمي يرجون رحمته في الدنيا بتواتر النعمة ودوام العافية وفي الآخرة بترك
العقوبة ودخول الجنة وحصول القربة وافاد الاستاذ انه تعالى في المثل تعلق
الخلق بالخلق كتعلق المسجون بالمسجون اي فانه لا يتعلق بمثله الا المجنون ويقال
الفقير اذا تعلق بالفقير كالضرير اذا قاد الضرير سقطا جميعا في البئر وفي المثل
لاذ ضعيف بجرملة والغريق يتعلق بكل حشيش وان من قرية الا نحن مهلكوها
قبل يوم القيمة بالموت واستيصال الجملة او معذبوها عذابا شديدا بالقتل
وانواع البلية كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وعلى
وفق ما قضاه مقدورا وافاد الاستاذ ان العذاب على اقسام الم يرد على النفوس
والظواهر وهي تتضاعف بالاضافة الى ما يرد على القلوب والسرائر وعذاب
القلوب لاصحاب العلاقة اشد من الشدة التي تصيب اصحاب الغفلة
والفاقة ثم ان الحق سبحانه اجرى السنة بان من وصل منه الى غيره راحة انعكس
الراحة الى موصلها وبخلافه من اصاب من قبله وحشة عادت الوحشة
الى محصلها فاسام الناس ظلما وطغيانا وعتوا وعدوانا فبقدر ظلمه يعذبه الله
سبحانه في الوقت على حكم المقت بتنغيص العيش واستيلاء الغضب
من كل احد عليه وفوق غضب الرب وتزاحم ظنونهم وتقسم افكارهم وآمالهم في
احوالهم واشغالهم ولو ذاقوا من راحة الفراغة وحلاوة الخلوة عن الامور
المشغلة المشغبة لعلموا ما طعم الحيوة الطيبة ولكن حرموا المنعم وما علموا انهم
من النعم وما منعنا ان نرسل بالآيات الباء مزيدة والمعنى ما صرفنا عن
ارسال الآيات المقترحة الا ان كذب بها الاولون كعاد وثمود وسائر الامم
المهلكة واستوجبوا العقوبة على ما مضت به السنة وآتينا ثمود الناقة باقتراحهم
الآية المعجزة مبصرة مبينة ظاهرة فظلموا انفسهم بها بسبب عقرها او كفروا بها
وما نرسل بالآيات آيات القرآن البينات او المعجزات وخوارق العادات
الا تخويفا بالعقوبة في الدنيا والعقبى لمن لم يؤمن بها ويكفر بعد مشاهدتها
قال المحاسبي الآيات التي يظهرها الله تعالى رحمة على السابقين وتنبيه

للمقتصدين وتخويف للظالمين وافاد الاستاذ ان الله سبحانه اجرى السنة
بانه اذا اظهر آية اقترحها الامم المكذبة ثم لم يؤمنوا ان يعجل لهم العقوبة وكان من
المعلوم والمحكوم له ان لا يجتاح القوم الذين كانوا في وقت الرسول وزمن النزول
لاجل من في اصلابهم من الذين علم انهم يؤمنون برسولهم وكتابهم فلذلك اخر عنهم العذاب
الذي تعجلوه لما تحققوا به وفي قوله وما نرسل بالآيات الا تخويفا فان التخفيف بالتخويف
وذلك من مقتضى رحمة الخليقة ثم انه علم انه لا يفوته شيء بتأخيره العقوبة عنهم فاخر
العذاب لحلمه ثم لا محالة يفعل بمقتضى حكمه وعلمه واذ قلنا لك بالوحي اليك ان
ربك احاط علما وقدرة وحكما بالناس فهم في قبضة قدرته وخيرة علمه وحكمته
ومشيئته في عقوبته ورحمته وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج ووقت
الايناس الا فتنة للناس محنة للمؤمنين ومحنة للكافرين والشجرة اي وكذا
ما جعلنا الشجرة الملعونة وهي شجرة الزقوم المذكورة في القرآن الا فتنة لهم
حيث آمن بها بعضهم واستبعد وجودها اكثرهم بقولهم ان الجحيم يحرق
الحجارة بزعمهم ثم يقول ينبت الشجر في قعره ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل
من ان تأكله النار واحشاء النعامة من اذى الاحجار قدر ان يخلق في النار شجرة
لا تحرقها النار ثم المراد بلعنها لعن طاعميها او بعدها لوقوعها في قعرها ونخوفهم بانواع
التخويف لهم فما يزيدهم تخويفهم الا طغيانا كبيرا عتوا وبعدا وتجاوزا عن
الحد كثيرا وافاد الاستاذ انه سبحانه قرن الامتحان بالتخويف للتبيان في التكليف
ليتميز المصدق والموافق من المكذب والمنافق والموحد من الجاحد فعند الامتحان
يكرم المرء او يهان فالذين يتداركهم العناية وفقوا وثبتوا وصدقوا فيما قيل لهم
وحققوا واما الذين خامر الشك في قلوبهم وضمائرهم ولم تباشر خلاصة التوحيد اسرار
سرائرهم فما ازدادوا بما امتحنوا من اصناف الامتحان الا تحيرا وترددا وضلالا
وتبلدا وتحجبا وتبعدا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم بجعله قبلة للعالم لكونه علم الاسماء
وكرته في عالم الارض والسماء امتحانا للعقلاء والسفهاء فسجدوا كلهم اجمعون بمعنى
مجتمعين الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين حيث عارض الامر وصريح النقل
بما تخايل له من قبيح العقل وتوهم ان اباءه يقتضي يقينا قال أأسجد لمن خلقت طينا
خلقته من طين ظلماني وخلقتني من نار جوهرها يضيء نورا مبينا وفي هذا الاستكبار ايماء
الى علة الانكار قال ابو عثمان الكبر وتعظيم النفس الدنية اول كل معصية ومبدأ كل بلية
وافاد الاستاذ انه امتنع الشقي فقال لا اسجد لغيرك بوجه سجدة لك وكان ذلك منه
حسدا وجهلا ولو كان بالله عارفا لكان لامره موثرا ولحظ نفسه تاركا اصلا واذا دعي له
فضلا قال زيادة على الضلال في مقام الاضلال ارأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف
تأكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني

محذوف

محذوف وهو لم كرمته علي لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري
للسجود له لم كرمته علي لئن اخرتني الى يوم القيامة جملة مستأنفة واللام موطئة للقسم
وجوابه لاحتنكن ذريته لاستأصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر على اغوائهم لقبولهم
طريق الهداية وافاد الاستاذ انه لو علقت به ذرة من المعرفة والتوحيد في مقام
الوصال لم يخطب على نفسه بالاضلال ولا استشهد الاغواء من نفسه لزم الكمال لكنه اقام
الحق ذلك المقام فانطقه بما هو لطلوب اهل التحقيق مهيج لتدقيق الحال فسبحان
من اقام العباد فيما اراد قال اذهب امض لما قصدته وابعد عن بابنا لما اردته فمن
تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم تجزون فيها جزاء موفورا مكملا موفورا
وافاد الاستاذ ان هذا غاية التهديد ونهاية الوعيد الشديد وفيه بيان ان الامر لا يفوته وتأخير
عقوبة قوم لا يعجزه فان ذلك امهال لا اهمال ومكر واستدراج واذلال لا انعام واكرام
واذلال واستفزز استخف من استطعت منهم ان تستفزه بصوتك بدعائك
الى الفساد وبابائك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وصح عليهم بركبانك ومشاتك
من اعوانك وقرأ حفص بكسر الجيم وهما لغتان في جمع راجل والمراد من الخيل الخيالة ومنه
قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام
وتضييعها فيما لا ينبغي من المرام والاولاد بحثهم على التوصل الى الولد بالسبب المحرم
وتعليمهم الحرف الدنية والافعال المنافية للاحوال الاخروية وعدهم المواعيد الباطلة
كشفاعة الالهة وان لا بعث ولا حساب ولا عقاب والاتكال على كرامة الاباء
وتأخير التوبة بطول الامال وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو تزيين الخطأ بما يوهم
انه صواب ويجعل صاحبه معجبا ومغرورا وقال الاستاذ اي افعل ما امكنك فلا تأثير
في احد لفعلك اذ المنشئ المبدع هو الله المريد وهذا غاية التهديد ونهاية الوعيد
الشديد ان عبادي يعني المخلصين ليس لك عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة من
التسليط والتمكين وكفى بربك وكيلا من يفوض امره اليه من المتوكلين ويستفيد به
من الشياطين وافاد الاستاذ ان السلطان هو الحجة والبرهان فالآية لعموم الانسان
اذ المخلوق له الحاجة والحق سبحانه له الحجة ويقال ليس لابليس على احد تسلط بالتلبيس اذ المقدور
بالقدرة الحادثة لا يخرج عن محل القدرة والحادثات كلها تحدث بقدرة الله سبحانه
فليس لابليس ولا لغيره من المخلوقين تسلط من حيث التأثير في احد فعلى هذا الآية ههنا
على عمومها ويقال اراد بقوله عبادي الخواص من المؤمنين الذين هم اهل الحفظ والعصمة
والرعاية من قبل الله فان وساوس الشيطان لا يضرهم لالتجائهم الى الله ودوام استجارتهم
بالله فان الشياطين اذا قربوا من قلوب اهل المعرفة احترقوا بضياء معارفهم قلت
ويؤيده حديث تقول النار جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي ويقال ان فرار الشيطان
من المؤمن اشد من فرار المؤمن من الشيطان وانما يكون عبده من لا يكون في اسر غيره فاما من

استعبده هواه واسترقه دنياه واستمكن منه الاطماع واستذله كل خسيسة ودنيئة
فلا يكون من جملتهم خصيصة وفي الخبر تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ويقال
عباده هم المستغيثون بظل عنايته لتبريهم عن حولهم وقوتهم وانفرادهم بالله بحسن التوكل
والتفويض في جميع قضيتهم ربكم الذي يزجي يسوق ويجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من
فضله الربح وانواع الامتعة التي لا توجد عندكم انه كان بكم رحيما وبالحاجة الى البر
عليما وعما تقصرون في طاعته حليما وبامداده لكم بعد الجادة كريما وافاد الاستاذ انه
سبحانه تعرف بجميع مخلوقاته الى العباد فما من حادث من عين واثر ورسم وطلل وحجر
ومدر الا وهو شاهد على وحدانيته دال على ربوبيته واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق
ضل من تدعون الا اياه ذهب عن خواطركم وسرائركم كل من تدعونه في حوادثكم نظوائبكم
وضمائركم الا الله علما بانه لا يكشف الضر سواه فلما نجيكم من الغرق وخلصكم من
الخوف واوصلكم من قعر البحر الى البر اي ساحله الذي هو باهل البر اعرضتم عن التوحيد
وارتكبتم الامر المنكر وكان الانسان كفورا موصوفا بكفران النعمة ونسيان المحنة قال ابن
عطا ليس بمخلص فيه تعالى من لا يكون مع استوى حالة النعمة والرخاء كحالة الشدة والبلاء
ومن يلتجي الى غيره في احوال الشدائد والكرب فهو من عبيد السوء الذي لا يقومه الا
الادب او يستحق من الرب كمال الغضب وافاد الاستاذ ان جبلة الانسان على انه
اذا اصابته شدة او مسته محنة فزع الى الله في استدفاع البلية وقد يعتقدون
انهم لا يعودون بعدها الى ما ليس فيه رضاء الله سبحانه فاذا انزل الله تلك النعمة
وكشف الله تلك المحنة عادوا الى ما عنه تابوا كانهم لم يكونوا في ضر مستهم وفي معناه
انشدوا • فكم قد جهلتم ثم عدنا بعلمنا • احباءنا كم تجهلون ونحلم • افامنتم من
الاستدراج والمكر بعد ما نجوتم من البحر ان يخسف بكم جانب البر بان يقلبه الله
وانتم عليه او يرسل عليكم حاصبا ريحا يحصب اي يرمي بالحصباء باشارته اليه ثم لا
تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك لديه فانه لا راد لفعله ولا معقب لحكمه
ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواعي تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوا
طلبا للمقصود الاخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح مما لا يمر بشيء الا قصفه
وكسرته وقصمته فيغرقكم اي الله كما هو الحقيقة او القاصف ويؤيده قراءة يعقوب
بالتاء بنية على اسنادها الى ضمير الريح بالنسبة المجازية السببية ويقوى المعنى الاول
قراءة ابن كثير وابي عمرو بالنون في الافعال الاربعة ثم لا تجدوا لكم علينا به بما فعلنا
تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف اختيار قال ابن عطا ابتداهم بالبر قبل
الطاعة وبالاجابة قبل الدعوة وبالعطاء قبل المسئلة كفاهم الكل ليكونوا لمن له الكل
وبيده كفاية الكل وافاد الاستاذ ان لطف ترتيب العقول بالتوسع مجاري الانفاس
والساعات كذا قاله الشيوخ والسادات من اهل السعادات ومعرفهم بالله

اخوفهم

اخوفهم من الله وصنوف المحنة في الدنيا كثيرة وانواع النعمة يسيرة وكم من مسرور
اول ليلة اصبح بشدائد ورزايا ومحن وبلايا في قضايا وكم من مهموم يتقلب على فراشه
اصبح وقد تجاربه البشرى بكمال النعمى وفي معناه قالوا ان من خاف البيات لا يأخذه
السبات ووصفوا اهل المعرفة فقالوا في صفتهم المعروفة • مستوفزون على رجل كانهم
وقد يريدون ان يمضوا فيرتحلوا • ولقد كرمنا بني آدم بحسن الصورة واعتدال القامة
والامزجة المعتدلة والتمييز بالعقل الى طريق العدل والافهام بالنطق على سبيل الفضل
والعبارة والاشارة والاهتداء الى اسباب المعاش وزاد المعاد والتمكن من الصناعات
وغير ذلك من الصفات مما يقف الحصر دون احصائه ويتحير العقل في تصور
انتهائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس من ان كل حيوان يتناول طعامه بفمه الا
الانسان فانه يرفعه اليه بيده وفي تفسير السلمي قيل كرمناهم بالرسل وتبيين
السبل وقيل بالفهم عن الله والاستغناء عما سواه وقال الواسطي افرد آدم
بالاصطفاء بقوله ثم اجتباه وافرد بني آدم بالتكريم مما يدخل فيه المؤمن والكافر
والبر والفاجر ثم اصطفى من ولده بقوله ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا وقال ايضا كرمنا بني آدم بان سخرنا الكون وما فيه لهم لئلا يكونوا
في تسخير شيء عندهم ويتفرغوا الى عبادة ربهم وافاد الاستاذ انه سبحانه
انما قال كرمنا بني آدم ولم يقل المؤمنين ولا العابدين ولا المجتهدين مع انه قال
في صفة الكفار ومن يهن الله فما له من مكرم تقديسا للتكريم من ان يكون مقابلا
لفعل او معللا بوفاق امر او بسبب استحقاق بوجه ومن ذلك التكريم انهم
متى شاؤا من الاوقات وقفوا معه على بساط المناجاة ومن ذلك التكريم
انك على اي وصف كنت من الطهارة وغيرها اذا اردت ان تخاطبه خاطبته
وان اردت ان تسأل منه شيئا سألته ومن ذلك التكريم انه اذا تاب ثم
نقض توبته ثم تاب قبل توبته ولو تكرر منه جرم تضاعف له قبول التوبة وعفوا
ومن ذلك انه اذا عثر اخذ بيده واذا قال لا اعود يقبله وان علم نقض
توبته ونقبله ومن ذلك انه زين ظاهرهم بتوفيق المجاهدة وحسن باطنهم
بتحقيق المشاهدة ومن ذلك انه اعطاهم قبول سؤالهم وغفر لهم قبل استغفارهم
وحسن حالهم كذا في الاثر اعطيتكم قبل ان تسألوني وغفرت لكم قبل ان
تستغفروني ومن جملته انه قال لهم فاذكروني ومن ذلك لقوم توفيق صدق
القوم وللاخرين تحقيق علو الهمم وحملناهم في البر على الدواب والبحر على
السفن وفعالهم عن المحن والحزن ورزقناهم من الطيبات المستلذات
والحلالات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا من الموجودات تفضيلا بالاستيلاء
والغلبة او بالشرف والكرامة والمستثنى خواص الملائكة فانهم افضل من العامة

او جميعهم من حيثية المحبتية التي لا تفيد شمول الافراد بالاحاطة الاستغراقية
مع ان المسئلة خلافية لكون ادلتها ظنية لا قطعية وافاد الاستاد ان الاشارة
في قوله حملناهم في البر بما اوصل اليهم جهرا والاشارة بحديث البحر بما افردهم
من لطائف الاحوال سرا ويقال لما حمل بنو آدم الامانة قال تعالى حملناهم حمل
هو جزاء حمل وحمل هو فعل من لم يكن وحمل هو فضل من لم يزل ثم الرزق الطيب
ما كان على ذكر الرب ومن لم يكن غائبا بقلبه ولا غافلا عن ربه استطاب كل
رزق في يده فالذي على لقاء المحبوب ارزى والرأي على الغيبة من المحبوب نزى
كما نقل عن ابراهيم بن ادهم انه انشد • وما هي الا جوعة قد سددتها •
وكل طعام بين جنبي واحد • وفي هذا تعريض للجماعة التي تركوا القناعة وقالوا لن
نصبر على طعام واحد ويقال فضلهم بان لا حظوا نفوسهم بعين الاستقذار
واعمالهم بعين الاستصغار يوم ندعو كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من رسول او
نبي او اقتدوا بمقدم من عالم او ولي وقيل بكتابهم او دينهم الذي اختاروا
لعقائدهم وافعالهم قال ابن عطا يعطى كل مريد الى مراده وكل محب الى محبوبه
وكل مدع لما ادعاه وكل منتم الى من انتماه وافاد الاستاذ ان امام كل احد
من يقتدي به وليس كل من يقتدي به المرء يهتدي به فان من امام به يهتدي ومن
امام به يرتدي فمن اوتي من المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن
كتابهم ويعرفون ثوابهم ومآبهم ولا يظلمون فتيلا لا ينقصون من اجورهم ادنى
شيء ما يقتضي حسابهم ولعله ترك مقابلهم للاكتفاء بذكرهم عن غيرهم ولما يفهم
من ان حال ضدهم بضد حالهم فهم لا يقرؤن كتابهم ولا يجدون ذكا بهم ثوابهم
فان اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حين يلمع في نظر غرورهم سرابهم
فهم متعطشون ولم يذوقوا الا ماء حميما شرابهم ولا يبعد انه اكتفى لذكر قربهم
بقوله سبحانه في حقهم ومن كان في هذه الدنيا اعمى اعمى القلب عن معرفة الرب فهو
فهو في الآخرة اعمى اي كذلك او اشد فيما هنالك لقوله واضل سبيلا منه
في الدنيا لزوال الاستعداد قبل ظهور المعاد وانما دل على ان الثاني للتفضيل من عمى
بقلبه كالابله ان ابا عمرو لم يمله فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم
المتوسط كما في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما
فكانت معرضة للامالة من حيث تصير ياء في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي
وابو بكر من غير فرق بينهما وورش بين بين فيهما قيل من كان في هذه اعمى عن مشاهدة
العدل فهو في الآخرة اعمى عن مطالعة الفضل وافاد الاستاذ ان من كان
في هذه الدنيا اعمى عن مشاهدته ببصائره فهو في الآخرة اعمى عن معاينته بابصاره
واضل سبيلا لان لهم اليوم فرقة وغدا انضاف الى فرقتهم حرقة وان

كانوا

كانوا ليفتنونك نزلت في قريش قالوا لا نمكنك من الحجر في تقبيلك واستلامه
حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك ثم ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان
قاربوا لمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة باستنزالهم واستزلالهم عن الذي
اوحينا اليك من احكامنا لتفتري علينا غيره اي غير ما اوحينا اليك من امرهم
واذا لاتخذوك خليلا اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا بريا من
ولايتي فتكون وليا لا خليلا ولا في امرك جميلا ومن المعلوم ان الشرطية الفرضية غير
لازمة الوقوع في القضية لا سيما بالنسبة الى المحفوظ بالعصمة الابدية بحكم القضايا
الازلية وقال الاستاد ضربنا عليك سرادقات العصمة وآويناك في كنف
الرعاية وحفظناك عن خطر اتباع هواك في القضية فالزلة منك محال وبعدم
والافتراء في نعتك غير موهوم ولو جنحت لحظة الى جانب المخالفة لتضاعف
عليك شدائد البلية لكمال قدرك وعلو امرك فان من كان اعلى درجة
ذنبه لو حصل يكون في التأثير اشد مرتبة ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا
اياك لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل ادنى ميل الى اتباع مرادهم
شيئا قليلا من الميل او قرب النيل وفي هذا منة عظيمة ونعمة جسيمة
بالنسبة اليه صلى الله وسلم عليه والمعنى انك كنت في معرض الركون
اليهم وفي صدد الوقوف عليهم لقوة خداعهم وشدة احتيالهم ولكن
ادركتك عصمتنا وساعدتك رعايتنا وحمايتنا فمنعت ان تقرب من
الركون الذي هو ادنى الميل فضلا من ان تركن اليه بالميل الموجب للويل
وهو تصريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع مبالغتهم في دعوتهم وتلويح بان
العصمة توفيق من الله لعباده في حالتهم قال ابن عطاء ان الله تعالى عاتب الانبياء
بعد مباشرة ما يسمى زلة وفعله عاتب نبينا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ليكون
بذلك اشد انتهاء وتحفظا بشرائط المحبة لكمال قربه بربه تعالى ولولا ان ثبتناك
وقال الاستاذ لو وكلناك ونفسك ورفعنا عنك ظل العصمة لالممت بشيء مما
لا يجوز من المخالفة ولكنا افردناك بالحفظ فلا يتقاصر عنك آثاره ولا يعزب
عن ساحتك انواره انتهى ويؤيده ما ورد في الدعاء اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة
عين ولا اقل من ذلك فانك ان تكلني الى نفسي تكلني الى ضعف وعورة وذنب
وخطيئة واني لا اثق الا برحمتك وهذه التخلية على تقديرها في الجملة والا لو كانت
بالكلية لما بقي من الوجود اثر ولا من الشهود خبر اذا اي لو قاربت لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرى مثلي ما يعذب
في الدارين غيرك بمثل هذا الفعل وقربه لان خطأ الخطير اخطر كما ان غضب الامير
على الوزير اكبر واكثر ثم لا تجد لك علينا نصيرا ناصرا نصيرا لحالك بدفع العذاب

عنك ولا تقدر ان تمتنع عنه بقوتك وحولك وعزتم لبعد هذه القوة والنصرة غاية
البعد عن الاذاقة وافاد الاستاد ان هبوط الاكابر ونزلتهم على حسب صعودهم
ورفعتهم ونحن الاجلة اذا حلت حلت وانشد • انت عينى وليس من حق عينى •
غمض اجفانها على الاقذاء • وان كادوا اى اهل مكة قاربوا ليستفزونك
ليزعجونك بمعاداتهم من الارض اى ارض مكة فى مكراتهم عند محاوراتهم
ليخرجوك منها اخراجا ظاهريا حقيقيا والا فقد اخرجوه اخراجا نسبيا
مجازيا كما قال تعالى وكاين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك
اى اخرجك اهلها واذا اى ولو خرجت ولو باختيارك لا يلبثون خلافك
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص خلافك وهما لغتان اى لا يبقون
بعدك الا قليلا اى زمانا قليلا فالاستثناء مفرغ او الا قليلا منهم فانهم
يؤمنون ويبقون فى حال يكون جميلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد الهجرة
وفيه تنبيه نبيه على من وقع بئر الاخيه سقط فى حفرته وافاد الاستاذ ان من ظن
انه يستمتع بحياته بعد مضى اكابره واعزته غلط فى حسبانه ومظنته فان الحسود
لا يسود وان الارض كلها ملك لنا وتقلب اوليائنا لترددهم فى البلاد وتطوافهم
فى اقطار العباد وتردد على بساطنا وتقلب فى ديارنا فالبقاع لهم سواسية
فسروا فم وقف عليك بحبى مكانك من قلبى عليك مصون سنة من قد ارسلنا
قبلك من رسلنا اى سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة سعوا فى اخراج
رسولهم من بين اظهرهم لغلوهم فى كفرهم فالسنة لله واضافتها للرسل لانها من اجلهم ان
اروت دليل لقوله ولن تجد لسنتنا تحويلا اى تغييرا وتبديلا وافاد الاستاذ ان الحق
سبحانه امضى سنته مع الاولياء بالانعام ومع الاعداء بالارغام فلا لهذه تبديل
ولا لهذه تحويل اقم الصلوة لدلوك الشمس اى وقت زوالها الى غسق الليل اى ظلمته
وهو وقت صلوة العشاء الآخرة وقرآن الفجر اى صلوة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها
كما تسمى الصلوة ركوعا وسجودا ان قرآن الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل
وملائكة النهار نزولا وصعودا او شواهد للقدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم
الذى هو اخو الموت بالانتباه المشابه للبعث بالاحياء وافاد الاستاذ ان الصلوات
للابدان موقتة والمواصلات بالسر والجنان سرمدة والمنتظر للصلوة فى الصلوة
والصلوة قرع باب الرزق فى محل المناجاة والصلوة اعتكاف القلب فى مشاهدة
القدر والقضاء ويقال هى الوقوف على بساط النجوى وحرمة اوقات الصلوة
ليكون للعبد عود الى بساط الانبساط فى اليوم والليلة مرات والى محراب النجاة
كرات وقرآن الفجر اى قراءة اى قرآن الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل
والنهار على لسان العلم واما على لسان القوم فقرآن الصبح الذى هو وقت انتباه

العبد

العبد من نوم الغفلة ونشاطه من كسل النفس فلها هذه المزية ومن الليل فتهجد به
وبعض الليل فاترك الهجود بالقرآن وتلاوته وبسبب قيام الليل وعبادته
نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوة المفروضة عليك او فضيلة منيفة لك
لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك اى فيقيمك مقاما محمودا يحمد
القائم فيه يوم الدين على لسان الاولين والآخرين وهو الشفاعة العظمى والمرتبة
العليا وافاد الاستاذ ان المقام المحمود هو المحاسبة فى حال الشهود ويقال الليل
للمطيع والعاصى كل بحسب حاله هذا فى اكثار حسن اعماله وهذا فى اعتذاره من قبيح
افعاله وقل رب ادخلنى اى فى القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا بالسلامة واخرجنى
منه عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل ادخاله فى كل ما يلابسه من المكان
والزمان واخراجه منه على منوال ذلك الشان فيشمل ادخاله المدينة واخراجه من مكة
وادخاله الغار واخراجه منه سالما الى الدار وادخاله فى ما حمله من اعباء الرسالة
واخراجه منه مؤديا حقه على وجه الجلالة واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا حجة وبرهانا
ينصرنى على من خالفنى ويعين من وافقنى لتكون على دينى بصيرا وقال جعفر
الصادق اى ادخلنى فى ميدان معرفتك الى مشاهدة ذاتك وافاد الاستاذ
ان ادخال الصدق واخراجه ان يكون دخوله وخروجه فى الاشياء بالله لا بغيره واجعل لى
من لدنك سلطانا نصيرا حتى لا الاحظ دخولى ولا خروجى اى بل اكون لفعلك
بصيرا وقل جاء الحق نور الاسلام وزهق الباطل وذهب شرك الظلام ان
الباطل كان زهوقا مضمحلا فى نفسه هالكا من اصله كما قال تعالى كل شئ هالك
الا وجهه وكما قال لبيد الا كل شئ ما خلا الله باطل فهذه الآية محض التوحيد وصرف
التفريد وقال فارس الحق ما يملك على سبيل الحقيقة والباطل ما يثبت لك امره
ويفرق عليك وقتك فى الشريعة والطريقة وقيل ظهر الحق وهو الله وبطل واذهب
ما سواه وكان ذلك قبل الان وهو كما قيل كان الله ولم يكن معه شئ والآن على ما عليه
كان وافاد الاستاذ ان الحق ما كان لله والباطل ما كان لغير الله ويقال الحق من
الخواطر ما دعا الى الله والباطل ما دعا الى ما سواه وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين اى ما هو فى تقويم دينهم وتتميم يقينهم واحياء ارواحهم كالدواء
الشافى للمرض فى استصلاح نفوسهم واشباحهم ومن للبيان فان كله كذلك فى
هذا الشان ولا يزيد الظالمين الا خسارا هذه الجملة فى مقابلة ما سبق لكانه قال
وما هو شفاء ونحوه للمنكرين فهو كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين وفى الحديث
القرآن حجة لك او عليك وفى رواية القرآن شافع مشفع وماحل مصدق وافاد
الاستاذ ان من القرآن شفاء من داء الشك للمؤمنين ومن داء الجهل للعالمين
ومن داء النكرة للعارفين ومن لواعج الشوق للمحبين ومن داء الفتور للمريدين والقاصدين

وانشدوا كتبك حولى لا تفارق مضجعى • وفيها شفاء للذى انا كاتم • ولا يزيد الظالمين
الا خسارا فالخطاب واحد والكتاب واحد ولكنه لقوم رحمة وشفاء ولقوم سخط
وشقاء قوم كحل بصائرهم بنور التوحيد والشهود فقبولهم شفاء وقوم اغشى
على بصائرهم بستر الجحود فهو لهم شقاء واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة
اعرض عن ذكر ربه واشتغل عن شكره بغيره ونأى بجانبه بعد بنفسه عن الله وحكمه
كانه مستغن مستبد بامره وقرأ ابن ذكوان ناء بقلبه واذا مسه الشر من مرض
وفقر كان يؤسا شديد اليأس من رحمة ربه قال الواسطى اعرض عن المنعم بالنعمة والنعمة
العظمى هى الهداية والايمان والمعرفة والولاية والعبد لا ينفك عن رؤية نفسه وهذا
هو الاعراض عن منعمه بان يستحلى طاعته ويتلذذ بها ويسكن اليها ويخص من
النار بسببها وقال الاستاذ اذا ازلنا عنه موجبات الخوف فى المآل وارخينا له
حبل الامهال وهيأنا له اسباب الرفاهية من سعة الجاه وكثرة المال اعترته
مغاليط النسيان واستهوته دواعى العصيان فاعرض عن شكر الخلاق
وتباعد عن بساط الوفاق ويقال اعراضه فى هذا الفصل نسيانه رؤية الفضل وتوهمه
ان ما اوتى من النعم باستحقاق لطاعة اخلصها او لبلاء شدة قاساها وهذا شرك
فى التحقيق والله ولى التوفيق قل كل كل احد يعمل على شاكلته طريقته التى تشاكل
حقيقته التى تقتضى هدايته او غوايته او جوهر روحه التابع لمزاج نسخته فربكم اعلم
بمن هو اهدى سبيلا وكذا بمن هو اردى سبيلا واغوى دليلا قال ابن عطاء هو
كما قال عليه السلام كل ميسر لما خلق له وقال ابو بكر كل نفس تتبع اثر قلبه وهمته
بامر ربه وقال جعفر كل مكنون يظهر ما اودع فيه من الخير والشر كذا فى تفسير السلمى
وقول الصادق موافق لقولهم كل اناء يترشح بما فيه ثم رايت الاستاذ
يقوله كل يترشح بمودع باطنه فالاسرة تدل على السريرة وما تجنه الضمائر يلوح
على السرائر فمن صفا عن الكدورة جوهره لا يفوح منه الا نشر مناقبه ومن طبع
على الكدورة طينته فلا يعبق بمن يحوم حوله الا ريح مثالبه ويقال حركات الظواهر
تدل وتخبر عن البواطن فى السرائر ويقال حب الغبيراء لا تنبت غصن العود
فى الصحراء ويقال من عجن بماء الشقاوة طينته وطبع على النكرة جبلته لا يسمح
بالتوحيد قريحته ولا ينطق بالتفريد عبارته ويسألونك عن الروح الذى يحيى به
بدن الانسان ويدبره فى هذا الشأن قل الروح من امر ربى من المبدعات الكائنة
بكن من غير مادة ومدة وتولد من اصل وعدة بخلاف جسده حيث خلق من نطفة
ومضغة وعلقة كما قال تعالى الا له الخلق والامر او وجد بامره وحدث بحكمه فيفيد عدم
قدمه او مما استأثره الله بعلمه لما روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب
الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فيهما

فليس

فليس بنبى وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين
لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم فى التورية وقيل الروح
جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربى معناه من
وحيه وبلائه قوله سبحانه وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط
حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظريات انما هو من الضروريات
المستفادة من احساس الجزئيات ولذا قيل من فقد حسا فقد فقد علما
ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله وصفاته المعرفة
لذاته وفيه اشارة الى ان الروح مما لم يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه
عما يلتبس به حيث ذكر بعض صفاته روى انه عليه السلام لما قال لهم ذلك
قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب
شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول
هذا فنزلت ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم وقلة
علمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الحق والخير ما يسعه القوة البشرية
بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التى
لا نهاية لها يسير ولو بالاضافة الى الانسان كثير وفى تفسير السلمى سئل
ابو سعيد الخراز عن الروح المخلوقة هى قال نعم ولولا ذلك لما اقرت
بالربوبية حين قالت بلى والروح هى التى اوقعت على البدن اسم الحيوة
وبالروح قامت الحجة وعرف العدل والفضل وقال ابن عطاء ان الله
تعالى ستر امر الروح على جميع خلقه وستر كيفية صفات نفسه وستر ما يبدو
منه وستر ما يقابل به الخلق عند معاينته الا ان العلماء اتفقوا على انها
جسم لطيف وجوهر شريف وان الارواح خلقت قبل الاشباح
وافاد الاستاذ انهم ارادوا ان يغالطوه فى جواب ما سألوه فامره ان ينطق
بلفظ يفصح عن اقسام الروح لان ما ينطلق عليه لفظ الروح يدخل تحت قوله
قل الروح من امر ربى وفى الجملة الروح مخلوقة والحق اجرى العادة بان يخلق
الحيوة لعبده ما دام الروح فى جسده والروح لطيفة تقرر للكافة طهارتها
ولطافتها وهى مخلوقة قبل الاجساد بالوف من السنين وقيل ان ادركها
التكليف كان للارواح صفاء التسبيح وضياء المواصلات ومن التعريف
وما اوتيتم من العلم الا قليلا لان احدا لم يشاهد الروح ببصره ولئن شئنا
لنذهبن بالذى اوحينا اليك اى ان شئنا ذهبنا بالقرآن المزبور ومحوناه
عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا
ويتكفل لك عنا برد المحفوظ المسطور الا رحمة من ربك فانها ان نالتك

فلعلها تسترده لك او لكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون
امتنانا ببقائه بعد المنة في انزاله ويؤيده قوله ان فضله كان عليك كبيرا حيث
جعل في ابقائه خيرا كثيرا وفيه تنبيه على انه الحافظ للقرآن في قلوب القراء
كما وقع به الايماء في قوله سبحانه انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وافاد
الاستاذ ان سنة الحق سبحانه مع احبابه وخواص عباده ان يديم لهم شهود
افتقارهم اليه ليكونوا في جميع الاحوال منقادين لديه مطيعين لجريان حكمه
ولا يتحرك بهم عرق بخلاف امره وعلى هذه الجملة خاطب حبيبه بقوله ولئن شئنا
لنذهبن بالذي اوحينا اليك وكمن كان استقلاله بالبشر يقدم مراد سيده
في العزل والولاية على مراد نفسه ثم قال الا رحمة من ربك والمقصود من هذا
ادامة تفرد سره به سبحانه دون غيره قل لئن اجتمعت الانس والجن ومنهم
الملائكة على ان يأتوا من عندهم بمثل هذا القرآن في بلاغة المبنى وجزالة المعنى
لا يأتون بمثله لا يقدرون على الاتيان بشبهه ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا متظاهرين
ومتعاونين على الاتيان به وفيه ايماء الى ما افاد الاستاذ من ان سائر الانبياء
معجزاتهم باق حكما ومعجزة نبينا باقية عينا وان هذا القرآن المجيد لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ولقد صرفنا كررنا بالوجوه الكل
للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعه
في النفس من انتفع بقراءته فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا للوحدة ورحمة
وكفرانا بنعمته ومنته وافاد الاستاذ انه لا شيء احظى عند الاحباب من
كتاب الاحباب فهو شفاء من داء الصفاء وضياء لاسرارهم عند اشتداد
البلاء وقالوا اي كفار قومك تعنتا واقتراحا بعد ما لزمهم الحجة ببيان اعجاز
القرآن وانضمام غيره من انواع المعجزة لن نؤمن لك حتى تفجر وبالتخفيف
للكوفي اي تشقق لنا من الارض يعني ارض مكة ينبوعا عينا يدوم ماؤه
كثيرا او يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا بفتح السين هنا نافع وابن عامر وعاصم اي
قطعا وزنا ومعنى او تأتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه من معاينة
وشاهدا على صحة ما فيه من مبانيه او يكون لك بيت من زخرف من ذهب كما
قرئ به او ترقى في السماء في معارجها بحيث نشاهدك في مدارجها بحيث نشاهدك
في مدارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه نصدقه قل
سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم وتقبيح ضلالاتهم وقرأ ابن كثير وابن
عامر قال اي الرسول هل كنت الا بشرا واحدا من البشر رسولا كسائر الرسل حيث
لم يكن امر الايات اليهم بل كانوا يأتون بما يظهره الله عليهم بما يلائم حال قومهم

لديهم

لديهم وهذا جواب اجمالي وجاء تفصيله في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك
كتابا ولو فتحنا عليهم بابا وافاد الاستاذ انهم اقترحوا الايات بعد ازالة العلة
وكمنوا في مضمار سوء الادب فحرموا رموز الوصلة والقربة ولو اجيبوا الى ما طلبوا
ما ازدادوا الا للجحد والنكرة كما قيل • ان الكريم اذا اجتباك بوده •
ستر القبيح واظهر الاحسانا • وكذا الملول اذا اراد قطيعة مل الوصال وقال
كان وكانا قل سبحان ربي اي له الربوبية وهل يقتضي صفة البشرية الا العبودية
فمن اين لي الاتيان بما سألتم من قبلي ولا كان مثل هذا لاحد من قبلي وما منع
الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويتركوا متابعة الهوى وسلوك طريق
الردى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا والتعجب انهم انكروا كون الرسول
بشرا وجوزوا كون الاله حجرا وافاد الاستاذ انهم تعجبوا ما ليس محل الاعجوبة
لهم ولكن حملهم عليه فرط جهلهم ثم اقترن بذلك فرط حسدهم فاصروا
على تكذيبهم وجحدهم انتهى والله سبحانه من كرمه وحلمه بهم ازال صورة شبهتهم
في مقالهم اصلا حاليا لهم بقوله قل لو كان في الارض ملائكة يمشون
اي ماشين ظاهرين كما انكم ظاهرون تمشون مطمئنين ساكنين فيها مستقرين
بها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا من جنسهم لتمكنهم من الاجتماع به
والتلقي والتلقف من علمه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك
الملك والتلقف منه في دوران الفلك فان ذلك مشروط بنوع من التناسب
والتجانس بحسب تخلية القلب عن غير حب الرب وتجلية الروح بانواع من
تجلية الفتوح وهذا لا يحصل الا لخواص البشر الخالين عن غبار الكدر فيصلحان
يكونوا واسطة رابطة بين الخلق والحق لتدبر فان الجنسية علة الضم وميل
الجنس الى الجنس انتهى والله سبحانه اعلم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
على اني رسول اليكم وبلغتكم ما انزل عليكم وانكم عاندتم فيما لديكم انه كان بعباده
خبيرا بصيرا يعلم سرائرهم وظواهرهم وفيه غاية وعيد ونهاية تهديد ومن
يهد الله فهو المهتد اي من عنده ومن يضلل اي باضلاله او خذلانه او اختيار
غوايته فلن تجد لهم اولياء من دونه اي من غيره ممن يقدر على هدايته وافاد
الاستاذ انه سبحانه من اراده بالسعادة في آزاله استخلصه في آباده بفضاله
ومن علمه في الآزال بالشقاء وسمه في ابده بسمة الاعداء فلا لحكمه تحويل ولا
لقوله تبديل ونحشرهم يوم القيامة اي نجمعهم بعد بعثهم من قبورهم الى موقف
نشورهم على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها ويؤيد الاول قوله يسحبون
في الحميم ويقوي الثاني ما روي انه قيل لرسول الله عليه السلام كيف يمشون على وجوههم
قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما

وصمّا حقيقة ظاهرا وباطنا فى اوّل حسابهم او وقت عذابهم او كناية انهم
لا يبصرون ما يقرّ به اعينهم ولا يسمعون ما يتلذذ به مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل
منهم لانهم فى دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر المطلق وتصاموا عن استماع
الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق لجوزا جزآء الوفق مأويهم جهنّم كلّما خبت سكنت
لهبها عنهم بان اكلت جلودهم واحرقت لحومهم زدناهم سعيرا توقدا بهم بتبدّل
جلودهم ولحومهم لتكذيبهم باعادتهم بعد افنائهم وبامدادهم بعد ايجادهم
كما اشير اليه بقوله ذلك اى ما تقدّم من عذابهم جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا
وقالوا ءاذا كنّا عظاما ورفاتا حطاما وفاتا ءانّا لمبعوثون خلقا جديدا وبهذا
يزول الاشكال المشهور وهو ان ظاهر العدل فى حق الكافر انه اذا عبد غير الله
مثلا سبعين سنة ان لا يعذب ازيد من القدر المذكور ساعة ولا قدر سنة
ووجهه انهم لما كانوا متفوهين انّ الاعادة لا يكون ابدا فجوزوا بدوام الاعادة
سرمدا وافاد الاستاذ انهم لما اصروا على تكذيبهم جازاهم الحق باداية تعذيبهم
ولو ساعدهم التوفيق لوجد منهم التحقيق ولكن عدموا التأييد فحرموا التوحيد
اولم يروا اولم يعلموا انّ الله الذى خلق السموات والارض اى نفسهما قادر
على ان يخلق مثلهم اى ابتداء او اعادة فانهم ليسوا اشدّ خلقا منهما فى البناء
ولا الاعادة عليه اصعب من الابتداء بل هما فى مرتبة السواء وان كان الاعادة
اهون فى العادة كما يشير اليه قوله سبحانه لخلق السموات والارض اكبر من
خلق الناس اى اكثر عظمة فى صدورهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه
لا شك فى حلول اجلهم على وفق جعله لهم من غير تقديم وتأخير فى زمانهم
والمراد بالاجل القيمة الصغرى او الساعة الكبرى فأبى الظالمون مع وضوح
الحق لهم الا كفورا جحودا لربهم قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربّى خزائن رزقه
ومكامن كرمه ونعمه اذا اى حينئذ لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة نفاد
الانفاق وغفلة عن قضية ما عندكم ينفد وما عند الله باق وكان الانسان
قتورا بخيلا غاية البخل فانه لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره
لشئ فانما يؤثره لعوض او غرض فى فعله فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله
وكرمه وفضله وفى الحديث لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا
ولن يشبع عين ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وفيه تنبيه
على انّ الانسان خلق فى اصله معيوبا بانواع سوء خلقه من قتور وكفور
وعجول وهلوع وظلوم وجهول ونحو ذلك وانما يحسّن الله اخلاق من يشاء
من عباده بالتخلق باخلاق ربهم والتحلى بحلية اكتساب امرهم واجتناب
ما زجرهم فلو خلّى الانسان لمحة بطبعه رجع الى اصله فى عيوبه وقال حمدون

اخبر الحق عن حقيقة طباع الخلق فقال لو ملكتم ما املكه من فنون الرحمة وخزائن
الخير والنعمة لغلب عليكم سوء طباعكم فى الشحّ والبخل المركب فيكم وافاد الاستاذ
انه اذا كان البخل غريزة والشحّ سجية فمساعدة الحكمة وافتدار الموصوف لا يغيّر
الحقيقة ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات هى العصا واليد والجراد والقمّل
والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص من الثمرات فسئل بنى اسرائيل
اذ جاءهم اى سلهم من حال دينهم ومن آيات نبيهم ولعل مبنى هذا المعنى على قوله
تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك
لقد جاءك الحق من ربك فلا تكوننّ من الممترين ولذا قال النبى الاكمل لا اشك
ولا اسأل قال جعفر الصادق من الآيات التى خصّه الله بها الاصطفاء بالرسالة
واللقاء المحبة والكلام والثبات فى محل الخطاب ومقام المرام والحفظ فى اليم
واليد البيضاء واعطاء الالواح التوراة كذا فى تفسير السلمى وافاد الاستاذ انّ
كثرة ذكره سبحانه لموسى عليه السلام فى كتابه من امارة اكرامه ومحبته له فقد ورد
من احب شيئا اكثر ذكره انتهى والاظهر ان موجب كثرة ذكره وجود كثرة اتباعه
واصحابه ومداولة احكام ما يستفاد من كتابه فاحتاجوا الى بيان كثرة معجزات نبينا
صلّى الله عليه وسلّم فى تبيان اخبارهم ليكون حجة واضحة وبيّنة لائحة على رهبانهم
واحبارهم اسالة وعلى كفار مكة وسائر المشركين تبعية فقال له فرعون انّى
لاظنّك يا موسى مسحورا اى مخدوعا ومحكورا قال لقد علمت يا فرعون وقرأ
الكسائى بصيغة المتكلم ما انزل هؤلاء الآيات الظواهر البواهر الا ربّ
السموات والارض بصائر بيّنات واضحات وظاهرات لائحات تبصرك
صدق المعجزات بظهور انوارها ووضوح اسرارها ولكنك ركنت الى الغفلة
وملت الى الظلمة وتجاحد وتعاند لكونك معجبا مغرورا وانّى لاظنّك يا فرعون
مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشرّ داعيا وقت هلاكك ثبورا وشتان
بين الظنين فان ظنّ فرعون كذب بحت وصرف بهتان وظنّ موسى يحوم
حول اليقين ويحقق الامكان فاراد فرعون ان يستفزّهم يستخف موسى
وقومه ويبعثهم من الارض ارض مصر باخراجهم او الارض مطلقا بقتلهم
واستيصالهم فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه امره وقلبنا عليه
مكره فى استفززناه بالاغراق وقومه وافاد الاستاذ ان فرعون اراد اهلاك
بنى اسرائيل واستيصالهم واراد الحق نصرتهم وبقاءهم واقبالهم فكان
ما اراد الحق لا ما كاد اللعين الحمق وقلنا من بعده بعد اغراق فرعون وقومه
لبنى اسرائيل اسكنوا الارض التى اراد ان يستفزكم منها بالطول والعرض
فاذا جاء وعد الآخرة اى الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الآخرة يعنى

قيام القيمة لجميع الامة جئنا بكم لفيفا جماعات ملتفة من قبائل متفرقة والمعنى
نأتي بكم جميعا فنحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم ونبين حقيقة طريقة
انبيائكم وحقيقة اصفيائكم وافاد الاستاد انه سبحانه لما ورثهم منازل
اعدائهم ومكنهم من ذخائرهم ومساكنهم استوصى بهم شكر نعمتهم وعرفهم
انهم لو سلكوا في العصيان مسلك من تقدمهم ذاقوا من العقوبة
مثل عقوبتهم وبالحق انزلناه اى القرآن وبالحق نزل اى الفرقان والمعنى
ما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضى لانزاله وما نزل الا متلبسا
بالحق المشتمل عليه لا محالة وافاد الاستاذ ان القرآن حق ونزوله حق
ومنزله حق والمنزل عليه حق والقرآن بحق نزل ومن حق نزل وعلى حق
نزل قلت وقد جاء الحق والباطل زهق قل الحق من ربكم تحقق لمن شاء
فليؤمن بقبوله ومن شاء فليكفر بعدوله وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع
بالثواب وقرب الجناب ونذيرا مخوفا للعاصي من العقاب والحجاب
عن الباب فما عليك الا البلاغ وعلينا الحساب على ما جرى به القلم في صحائف
الكتاب وقرآنا فرقناه اى في ازمنة منجمة نزلناه لتقراه على الناس
بحكم الاستيناس وامر الاساس بالقياس على مكث على مهل وتؤدة
ولبث فانه اهون لحفظ اهل العلم واعون على تدارك ادراك اهل
الفهم ونزلناه تنزيلا بحسب كونه لكل حادثة من الحوادث تغييرا
وتأويلا وافاد الاستاذ انه سبحانه فرق تنزيل القرآن اليه ليهون
حفظه عليه وليكثر تردد قلبه لديه وليكون نزوله في كل واقعة وحادثة
وليدل على انه ليس مما اعانه عليه غيره ولا انه يقول من تلقاء نفسه قل آمنوا به
اى بالقرآن او لا تؤمنوا بالعصيان فانهما سيان حيث لم يزده
ايمانكم به كمالا ولا امتناعكم عنه يورثه نقصانا وزوالا بل ان آمنتم به
آمنتم ودخلتم دار الامان وان ابيتم هلكتم ووصلتم دار الخسران فنفعه
عائد اليكم وضرره راجع عليكم وذاتنا وصفاتنا على وجه الكمال منزهة
عن تصور النقصان وتوهم الزوال كما يعرف اولوا العلم والفهم بالاحوال
كما قال ان الذين اوتوا العلم من قبله قبل نزوله اذا يتلى عليهم القرآن
يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم حال كونهم ساجدين تعظيما
لامره او شكرا لانجاز وعده في كتبهم ببعثة خاتم النبيين وانزال القرآن
المبين ويقولون سبحان ربنا عن خلف وعده وخبره مقولا ان كان
وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا آتيا محصولا موصولا ويخرون للاذقان
يبكون حال كونهم باكين ويزيدهم سماع القرآن خشوعا لما يفيدهم

من مدد الرحمن ولعل تكرار الخرور للاشارة بانه خرقهم من مواعظ القرآن
وزواجر الفرقان او للمبالغة في بيان واقعة كل من الحالة فتارة في مقام
الرجاء والبسط والانبساط وتارة في مقام الخوف والقبض عن قرب
البساط فهم دائما بين حالي الفناء والبقاء وسرمدا بين حصول الايجاد ووصول
الامداد في دار المعاش والمعاد كما يقتضيه صفات الجمال والجلال من نعوت
الكمال وقال الاستاذ ان امنتم حصل النفع لكم وان جحدتم فنفي من امن
من اوليائنا خلف عنكم والضرر عائد عليكم فان من اصفياء عليه شموس اقبالنا
اشرق الكون بنور معارفهم لنا واذا تتلى عليهم آياتنا سجدوا ابدل جحودكم
واستجابوا ابدل تمردكم وقابلوا بالتصديق ما نقول لهم ويخرون للاذقان يبكون
لما ظهر لهم من طريق التحقيق وسبيل التوفيق فان السماع مؤثر في قلوب
قوم محير لاسرار آخرين فتأثير السماع في قلوب العلماء بالتبصر وتأثير السماع
في اسرار الموحدين بالتحير تبصر العلماء بصحة الاستدلال وتحير الموحدين
في شهود الجمال والجلال وبكاء كل احد لما يناسبه من الحال فالتائب
يبكي لخوف عقوبته ولما اسلفه من زلته وحوبته والمطيع يبكي لتقصيره في طاعته
ولئلا يفوته ما يأمله وقوم يبكون لاستبهام عاقبتهم وسابقتهم عليهم
وآخرون بكاؤهم بلا سبب متعين لديهم وقوم يبكون تحسرا على ما يفوتهم
من الحق بالنسبة اليهم والبكاء عند الاكابر معلول وهو في الجملة يدل على ضعف
حال الرجل المجهول بالنسبة الى الاقوياء من الرجال الفحول وفي معناه انشدوا
خلقنا رجالا للتجلد والاسى ۰ وتلك الغواني للبكاء والماتم ۰ قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن ان نعبد الهين وهو يدعو اثنين
فالمراد ردهم بكون التسوية بين اللفظين فانهما مطلقان على ذات واحد
وان اختلف اعتبار اطلاقهما بالنعت المتعدد والتوحيد انما هو للذات
الواجب الوجود الذي هو المعبود والمقصود والمشهود كما اشار اليه
بقوله اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى اى الصفات العليا والحاصل ان
توهمهم الاثنينية انما نشاء من العلة الاحولية وافاد الاستاذ انه سبحانه
من عظيم نعمه وامتنانه على اوليائه تنزههم باسرارهم في رياض ذكره لتعدد
اسمائه فينتقلون من روضة الى روضة ومن مانس الى مانس لتنزيل الوحشة
ويقال الاغنياء تردهم في بساتينهم وتنزههم في مناهب رياحينهم
والفقراء تنزههم لتروحهم في مشاهد تسبيحهم يسترحون الى ما يلوح
لاسرارهم من كشوفات جلاله وجماله ما يكون مدد الاستفاضة انوارهم

ولا تجهر بصلوتك اى بقراءة صلوتك بالمرة ولا تخافت بها بالمبالغة وابتغ
بين ذلك اى اطلب بين ما ذكر من الجهر والمخافتة سبيلا طريقة متوسطة
معتدلة فان الاقتصاد محمود فى جميع المواد ولعل المراد بها صلوة التهجد
لما روى ان ابابكر رضى الله عنه كان يخفت ويقول اناجى ربى وقد علم
حاجتى وعمر رضى الله عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان
وارضى الرحمان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابابكر
ان يرفع قليلا وعمران يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها
ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر
ليلا وعد الفجر من الليل لكمال قربه منه وقال الاستاذ لا تجهر جهرا يسمعه
الاعداء ولا تخافت بها بحيث لا يسمعه الاولياء وابتغ بينهما سبيلا
يكون لنجويك مع الاحباب مسموعا ومن الاجانب ممنوعا وقيل المراد
بالصلوة الدعاء وفيه الايماء الى انه لا يقتصر على ما فى القلب من النداء
او الثناء وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا اى الذى يتنزه ان يتخذ ولدا
فضلا ان يكون احد له ولدا ولم يكن له شريك فى الملك فى ملك
الالوهية وملك الربوبية ازلا وابدا ولم يكن له ولى من الذل لكون
عزه سرمدا والمعنى ليس له ولى يواليه ويصافيه من اجل مذلة
ومنقصة تنافيه ليدفعها بموالاته او يراعيه خوفا من معاداته بل له
اولياء يتعززون بولايته ويدفعون المذلة بعنايته فانه لا يذل من
والاه ولا يعز من عاداه وكبره تكبيرا اى عظمه تعظيما بليغا وتكريما
كثيرا متنبها بان العبد وان بالغ فى التنزيه والتحميد واجتهد
فى العبادة والتمجيد ينبغى ان يعترف بالقصور عن حق القيام
بوظيفة المعرفة والعبادة اللايقة للحميد المجيد لان معنى الله اكبر هو
انه اكبر من ان احدا يعرفه حق المعرفة وان يعبده حق العبادة كما قال
اهل الكمال ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك وفى
هذا المقام قال عليه السلام لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على
نفسك ولعل هذا وجه ابتداء ام العبادات بعد تصحيح النيات
وتخليص الطويات بتكبير التحريم المتضمن ومن هنا قال الامام الاعظم
انه يجوز بدله كل ما دل على تعظيمه بالوجه الاتم يعنى غير مشوب بالدعاء
ليكون الاخلاص ثابتا فى الابتداء وببركته ينسحب تلك الحال الى
وقت الانتهاء وروى انه عليه السلام كان اذا افصح الغلام من
بنى عبد المطلب علمه هذه الاية وتسمى اية العزة وقال ابن عطاء عظمه

منته

منته واحسانه فى قلبك لعلمك بتقصيرك فى شكر ربك • انتهى فنحمده
شاكرين • ونشكره قاصرين • وفى مقام قصورنا عن مرام حضورنا صابرين •
وقد ختم هذا الجزء الشريف بالحمد المنيف • كما ابتدئ به وسيبدأ به
الجزء الثانى • من تفسير السبع المثانى • المسمى بانوار القرآن • واسرار
الفرقان • لظهور نور العبارة • وسرور حبور الاشارة • وكان ذلك
على يد مؤلفه فى اواخر شهر ذى القعدة الحرام • بمكة المكرمة عام تسع
بعد الالف • من الهجرة سيد الانام • عليه الاف الصلوة
والوف السلام ▪

سورة الكهف مكية الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية وآيها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم اى يجب به الابتداء وينبغى به الانتهاء لاشتماله
على العلم الذى هو الاسم الاعظم والصفتين الموجبتين لدوام الدعاء وتمام
الثناء لتضمنهما شهود وجوده وظهور كرمه وجوده وقال الاستاد ما استلذت
القلوب الا بسماع بسم الله ما استنارت الارواح الا بوجود جمال الله ما طربت
الارواح الا بشهود جمال الله سماع بسم الله راحة الارواح وضياء الاشباح
وتلاوته قوت العارفين وغذاؤهم لانه به يزول كدهم وعناؤهم وبه استقلالهم
وبقاؤهم الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب اى وجه اهل النهى الخطاب وفى
ترتيب استحقاق الحمد وثنائه على انزاله فى اثنائه ايماء الى انه اعظم نعمائه وافضل آلائه
لانه الهادى الى كمال العباد والداعى الى ما ينتظم به امر المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا
من اختلال المبنى او اعتلال المعنى او من الخلاف والانصراف من دعوة الخلق الى جناب
الحق قيما بل جعله قيما بمصالح العباد على وفق المراد هذا وفى تفسير السلمى قيل العبد هو الذى
لا يرى غير سيده وقيل العبد هو المتخلق باخلاق سيده وافاد الاستاد انه سبحانه
سماه عبده لما كان فانيا من حظوظه خالصا لله لقيامه بحقوقه وانزل هذا الكتاب
قيما ولم يجعل له عوجا صانه عن التعارض والتناقض فهو كتاب عزيز منزل على عبد
عزيز اى مرسل الى قوم عزيز لينذر بأسا شديدا ليخوف الله او عبده او الكتاب
ارباب الكفر واصحاب الحجاب بنوع فظيع من العذاب وصنف فظيع من العقاب
من لدنه صادرا من عنده واردا من حكمه بما سبق له من قضائه وقدره كما قال تعالى
ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما وقرا ابو بكر باسكان الدال مع شمة
من الضمة للدلالة على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين على غير حده وكسر الهاء للاتباع
وافاد الاستاذ ان البأس الشديد معجلة الفراق ومؤجلة الاحتراق ويقال هو البقاء
عن الله والابتلاء بغير الله ويبشر المؤمنين المصدقين الموقنين الذين يعملون الصالحات
اى الواقعة على وفق الشرع المبين ان لهم اجرا حسنا اى بان لهم ثوابا مستحسنا فى الجنة
ودار الكرامة ومحل الاقامة مكان النعمة والبقاء والفوز بالرؤية واللقاء حال كونهم ماكثين
فيه لابثين فى مقام الاجر وخالدين فى دوام علو القدر ابدا لا انقطاع فيه سرمدا ثم قيل
العمل الصالح ما اريد به وجه الله وابتغى فيه رضاه والاجر الحسن ان لا يحجب عن لقاء مولاه
كذا فى تفسير السلمى وافاد الاستاد انه هو الذى لم يستعجل صاحبه عليه حظا فى الدنيا من
وصول عوض وحصول غرض او قبول طائفة او انعقاد رياسة وما فى هذا المعنى وينذر الذين
قالوا اتخذ الله ولدا اى يخصصهم من بين الكفار بعد دخولهم فى ضمن عمومهم وفى
تكرير الانذار واختصاصه بهم استعظام لكفرهم ما لهم به اى بالولد او باتخاذه او

بهذا القول

بهذا القول من علم ولا لآبائهم لانه صدر منهم عن جهل كاسد او تقليد فاسد
حيث كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر وفيه انه لا خصوصية للاثر
بالولد لشموله للحجر والمدر والشجر والثمر والمعنى ليس لهم بالله شئ من معرفة ذاته
وصفاته اذ لو عرفوه حق معرفته لعظموه حق عظمته ولم يجوزوا نسبة الاتخاذ اليه
ولم يفتروا اثبات الشريك والصاحبة والولد وسائر الحوادث عليه وافاد الاستاذ
ان مقالتهم القبيحة الدنية نتيجة جهلهم بالوحدانية ولقد توارثوا ذلك الجهل عن سلافهم
بتقليد الدرية والحمية لا تلد الا الحية كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه فى الكفر والجهالة
والشرك والضلالة وكلمة نصب على التمييز تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام
اجترائهم على اخراجها من افواههم ان يقولون الا كذبا ما يقولون الا افتراء عليه لغاية
جهلهم بالهوية قال ابن عطاء اكبر الدعاوى من ادعى فى الله او اشار الى الله او تكلم عن الله
او خرج عن حد ادب البساط ودخل فى ميدان الانبساط قال الله عز وعلا كبرت كلمة تخرج
من افواههم ان يقولون الا كذبا كذا فى تفسير السلمى ولعل وجهه انه سبحانه كما قيل
فى حقه عز شانه ما خطر ببالك فالله وراء ذلك وكما يشير اليه قوله تعالى ولا يحيطون به علما
وكذا قوله وما قدروا الله حق قدره ويدل عليه قوله عليه السلام تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا
فى الخالق فتهلكوا وفى رواية فانكم لا تقدرون قدره ولا تعرفون حق معرفته ولا تعظمون
حق عظمته وقد قال الامام حجة الاسلام السالك يصل الى مقام المرام بحيث اذا عبر عنه
باى لسان واى بيان يقع فى طغيان وعصيان وقال الاستاد كبرت فى الاثم كما خبثت
فى الجسم ومن نطق بما لم يحصل له به اذن فى المبنى لحقه هذا الوصف فى المعنى ومن تكلم فى
هذا الشان قبل اوانه فقد دخل فى غمار هؤلاء من جهة بيانه قبل تحقق شانه فلعلك باخع نفسك
قاتلها وقاطعها ومانعها عن حظك على آثارهم اذا تولوا عن اتباع طريقك ان لم يؤمنوا
بهذا الحديث اى القرآن الحادث نزوله بك اسفا للتأسف عليهم والتحسر بالدهم
قال بعضهم لا تشغل سرك بمخالفاتهم فما عليك الا البلاغ برسالاتهم والهدى منا
لمن نشاء والبعد عنا لمن لم نشاء وافاد الاستاذ انه عليه السلام من غاية شفقته ونهاية
رحمته داخله فرط الحزن من امتناعهم عن طريقته فهون الله عليه حاله فى هذا الباب
بما يشبه ظاهره العتاب كانه قال ولا كل هذا يا خير البشر فليس من امتناعهم فى عزنا
اثر ولا فى دينك من ذلك ضرر ويقال استشهده جريان تقديره وعرفه ان من امتنع
فلمنعه سبحانه اباه وان كان كفرهم فى الشرع منهيا عنه فهو فى الحقيقة مراد للحق لكونه
على وفق ما قضاه ولا حول ولا قوة الا بالله انا جعلنا ما على الارض من الحيوانات
والنباتات والجمادات زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا واقصر املا واهون
زهده فيه ولم يغتر فيه وقنع منه بما يرفع به سد اياته وصرفه على ما ينبغى فى فوائد مرامه
وانا لجاعلون ما عليها من الزينة المال اليها صعيدا جرزا ترابا مستويا جها تها فان الجرز

هي الارض التي تقطع نباتها وافاد الاستاذ ان ما على الارض زينة لها تترك بالابصار
ومن على الارض من هو زينة لها يعرف بالاسرار وان قيمة الاوطان بقطانها وزينة المساكن
في سكانها ويقال العباد بهم زينة الدنيا واهل المعرفة بهم زينة العقبى ثم احسنهم عملا اجودهم
نية واخلصهم طوية ويقال احسن اعمال المرء ولو كان من الابرار نظره الى اعماله بعين الاحتقار
والاستصغار ثم كون ما على الارض زينة لها في الحال فلم يغن عنه من صيانتها لما اخبر
انه سيعقبها من فنائها ام حسبت بل اظننت ان اصحاب الكهف والرقيم من ارباب
الكهف كانوا من آياتنا عجبا في ابقاء حيوتهم مدة مديدة وقصتهم بالاضافة الى خلق
ما على الارض من الاجناس والاصناف الغائبة للحصر بالطول والعرض على كيفيات متغايرة
وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها بصفة عائدة ليس بعجيب
من آثار رحمته ولا غريب من اسرار قدرته وانوار حكمته ثم الكهف الغار الواسع والرقيم اسم
الجبل او الوادي الذي فيه كهفهم فيكون بدل اشتمال في تحقيق المبنى وكالعطف التفسيري
في تدقيق المعنى وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلثة فالجاهم المطر الى كهف فانحطت صخرة
اليهم وسدت الباب عليهم الحديث بطوله وفي الصحيح تفصيله قال الجنيد لا تعجب منهم فشانك
اعجب واغرب في المعنى حيث اسرى بك في ليلة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وبلغ بك سدرة
المنتهى وكنت في القرب كقاب قوسين او ادنى وافاد الاستاذ انه سبحانه ازال موضع
الاعجوبة من اوصافهم بما اضافه الى نفسه بقوله من آياتنا وقلب العادة من قبل الله غير مستنكر
ولا مستبعد من بعد تعلق الارادة اذ اوى الفتية الى الكهف هربا من الفتنة وهم فتية من
اشراف الروم واصحاب الفتوة وارباب المروة اراد دقيانوس على الشرك والكفر
فابوا الا الايمان والشكر وهربوا الى الغار وتركوا الاغيار وطلبوا تيسير الامور في التخليص
عن الاسغرار فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا مغفرة ونعمة وامنا من عدو
يريد بنا نقمة وهيئ لنا من امرنا اي سهل لنا بعض الامر الذي نحن عليه ومتوجهون اليه
من مفارقة الكفار وعزلة الاغيار واختيار طريق الاخيار رشدا نصير بسببه راشدين
مرشدين قال سهل ارزقنا في جميع احوالنا توفيق ذكرك وشكرك فانه اجل انواع
رحمة من عندك وسهل لنا سبيل التحقيق فانه ارشد الطريق وقال الاستاذ اخذوا
في التبري من حولهم وقوتهم ورجعوا الى الله بصدق فاقتهم على قدر طاقتهم فاستجاب لهم
دعوتهم ودفع عنهم ضرورتهم وبوأهم في كنف الايواء مقيلا حسنا فضربنا على
آذانهم حجابا يمنع سماع غيرنا والمعنى انمناهم انامة واقمناهم اقامة في الكهف
سنين عددا ذوات عدد مبين وعدد معين كيلا اخذنا عنهم اسماعهم حتى لا يسمعوا
الا منا واخذنا عنهم ابصارهم حتى لا ينظروا الا الينا وقال الاستاذ اخذناهم عن
احساسهم بانفسهم واختطفناهم عن شواهدهم بما استغرقناهم فيه من حقايق ما كاشفناهم
من شهود الاحدية واطلعناهم من دوام نعت الصمدية ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم

ليتعلق

ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه ماضيا سابقا تعلقا استقباليا
اي الحزبين المختلفين منهم في غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امد
زمان لبثهم وحفظ مدة اوان مكثهم وقال الاستاذ اي رددناهم الى حال صحوهم
واوصاف تمييزهم واقمناهم بشواهد التفرقة بعد ما محوناهم عن شواهدهم بما اقمناهم
بوصف الجمعية نحن نقص عليك نباهم بالحق على وفق الصدق انهم فتية جمع فتى
كصبي جمع صبية اي جماعة في حال الشبيبة آمنوا بربهم في الامور اليقينية وزدناهم
هدى بالتثبيت على الاحوال الدينية قال ابن عطا زدناهم نور الايقان وقال ابن
عطا زدناهم بصيرة في الايمان وقال سهل سماهم الله فتية لانهم آمنوا بالله بلا واسطة
وقاموا الى الله باسقاط العلائق وترك الخلائق والعوائق وسئل محمد بن علي عن الفتوة
فقال الفتوة تصديق الله فيما وعد واوعد وهو الايمان على الحقيقة وان لا يخالف
ظاهرك باطنك ولا باطنك ظاهرك وسئل ابو حفص عن الفتوة فقال الفتوة ان
ينظر الى الخلق كلهم بعين الولاية فلا تستقبح منهم الا ما خالف الشريعة ولا تلزم احدا على سيئة
ان تجعل له في ذلك معذرة وافاد الاستاذ انهم لما كانوا ماخوذين عنهم تولى الحق سبحانه
ان قص عنهم بالحق وفرق بين من كان لنفسه واوصافه وصار فانيا في شاهده وكونه مثبتا
بجملته وبين من كان موصوفا بوصف غيره له لفنائه فيه وامحائه منه وقيام غيره عنه
ويقال لا يسمع قصة الاحباب الا على ما يسمع من الاحباب كما قيل ■ وحدثتني يا سعد
عنه فزدتني ■ جنونا فزدني من حديثك يا سعد • وقد ورد رب زدني تحيرا فيك
ويقال فتية لانهم آمنوا بلا مهلة لما اتاهم دواعي الوصلة ويقال فتية لانهم قاموا
بالله وما استقروا حتى وصلوا الى الله فلاطفهم باحضارهم ثم كاشفهم في اسرارهم
بما زاد من انوارهم فلقاهم اولا بالتبيين ثم رقاهم الى ما رقيهم من اليقين وربطنا
على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر وطنهم وترك اهلهم ومفارقة مالهم وتشتت حالهم
وبالجراءة على اظهار ناموس الحق والرد على دقيانوس الباطل اذ قاموا بين يديه فقالوا
رد الدعوى ربوبيته عليه ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا
اذا شططا قولا ذا شطط اي بعد عن الحق مفرط في ظلم الخلق قال جعفر الصادق قاموا
الى الحق بالحق قيام الادب والرغبة ونادوا نداء الصدق واظهروا له صحة الافتقار ولجؤا
اليه احسن الالتجاء والانكسار وافاد الاستاذ انه سبحانه اراد بربط قلوبهم زيادة
يقينهم بربهم حتى منع نهار معارفهم واستضاء شموس تقربهم فلم يبق للتردد
مجال في خواطرهم واتحد في التجريد منازل اسرارهم ويقال ربطنا على قلوبهم
بان اغنيناهم عن الاعتبار والتفكر بما اوليناهم من انوار التبصر وما استقر فيها
من شواهد الغيب واليقين فلم يختلج فيها خواطر الريب والتخمين فقاموا بالله
ولله ومن قام بالله قعد عن ما سوى الله ويقال من قام بالله لم يقعد حتى يصل

الى الله ثم من احال بشيء من الحوادث على الله فقد اشرك بالله ومن توهم ان في الحادثات
شيئا من غير الله فقد اتخذ الهها غير الله هؤلاء مبتداء قومنا عطف بيانه وخبره قوله
اتخذوا من دونه آلهة وهو اخبار معناه انكار لولا يأتون عليهم بسلطان بين هلا يأتون
على عبادتهم ببرهان ظاهر في صحة حالتهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك
اليه او دعوى الالوهية لديه قال الواسطي هو ان يقول شيئا ولا يعمل به او يشير اليه
ثم يرجع الى غيره وافاد الاستاذ انه لما لم يكن حجة لهم انفضح فيما ادعوه كذبهم فمن اكتفى
بنفس قالته دون ما يشهد لقالته من ادلته فهو معلول في نحلته ويقال من ذكر في الدين
قولا لم يؤيده ببرهان عقلي او تبيان نقلي فهو مفتر ومن اظهر من نفسه حالا لم يوجبه صدق
مجاهدة او صح منازلة فهو مفتر والذي يصدق في قوله على دفع طريقه هو الذي يسمع
من الحق بسره ثم ينطق بلطفه واذ اعتزلتموهم خطاب فيما بينهم وما يعبدون الا الله
اي اذ اعتزلتم القوم ومعبودهم الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط رزقكم
ويوسع عليكم من رحمته في اوليكم واخريكم ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به
وتنتفعون منه وجزمهم بذلك لقوة ربهم ووثوق يقينهم وقرأ نافع وابن عامر
بفتح الميم وكسر الفاء وافاد الاستاذ ان العزلة عن غير الله يوجب الوصلة بالله بل لا تحصل
الوصلة بالله الا بعد العزلة عن غير الله ويقال لما اعتزلوا ما عبد من دون الله اواهم
الحق الى كنف رعايته ومهد لهم مثوى في كهف عنايته ويقال من تبرأ من اختياره
في احتياله وصدق رجوعه الى الله في احواله ولم يستغرق بغير الله من اشكاله وامثاله
آواه الى كهف اقباله وكفاه جميع اشغاله وهيأ له محلا يتفيؤ فيه من برد ظلاله بكمال افضاله
وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم اصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرأ
الكوفيون بحذفها والشامي تزور كتحمر وكلها من الزور بفتحتين بمعنى الميل اي تميل عن
كهفهم ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله زورها
عنهم ذات اليمين جهة يمينهم واذا غربت تقرضهم تقطعهم ذات الشمال جهة يسارهم
وهم في فجوة منه اي في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء
ولا يؤذيهم كرب الغار وعفونة البناء وافاد الاستاذ ان نور الشمس يتقاصر بل
يتصاغر بالاضافة الى انوارهم لان نور الشمس ضياء يستضيء به الخلق ونور معارفهم
انوار يعرف بها الحق فهذا نور يظهر في الظهيرة وهذا نور يلوح في السريرة ذلك اي شانهم
وايواؤهم او اخبار قصتهم وانباؤهم من آيات الله المطلع على احوالهم واسرارهم
وازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته الظاهرة ومال اليه الاستاذ حيث افاد
ان في الآية دلالة على ان في القصة شيئا بخلاف العادة ليكون آية من جملة كرامات
الاولياء وعلامة على صدق حالات الاصفياء فيحتمل ان شعاع الشمس اذا انتهى اليهم
ازور عنهم وانقبض دونهم بخلاف ما يقول اصحاب الهيئة ليكون فعلا ناقضا للعادة

من يهد الله

من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الى تحقيق سواء الطريق ومن يضلل بخذلانه فلن تجد له
وليا مرشدا من يلي امره ويرشده الى ما ينفعه ويضره قال ابن عطاء ما حجب عن الله
احد الا من اراد ان يصل اليه بحركاته وسعيه وما وصل اليه احد الا من اراد ان يصل اليه
بصفته تعالى وافاد الاستاذ ان الله يهدي قوما بوضوح البراهين وقوما بكشوف اليقين
فمعارف الاولين قضية الاستدلال ومعارف الآخرين حقيقة الوصال فهؤلاء
مع برهان وهؤلاء على بيان كأنهم اصحاب عيان ومن وسمه بسمة الحرمان فلا عرفان ولا
ايمان ولا عفو ولا غفران وتحسبهم ايقاظا جمع يقظ بفتح فكسر اي مستيقظين لانفتاح
عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام جمع راقد كقاعد وقعود فلهم وجود في عين الشهود
قال ابو سعيد الخراز هذا حال الفناء والبقاء ان يكونوا فانين بالحق باقين به لانهم
لا كالنيام ولا كاليقظى اوصافهم فانية عنهم واوصاف الحق بادية عليهم وهو حيرة
تحت كشف وولة مقابلة بعين وافاد الاستاذ انهم مسلوبون عنهم مختطفون
منهم مستهلكون فيما كوشفوا به من وجد وجود الحق وظاهرهم في رأي الخلق انهم بانفسهم
وفي التحقيق القائم عنهم غيرهم وهم محو فيما كوشفوا من الحقائق ونقلبهم في حال
رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول ازمانهم
وافاد الاستاذ ان هذا اخبار عن حسن ايوائه لهم ولا كشفقة الامهات بل اتم
ولا كرحمة الآباء بل اعز واوهم ويقال ان اهل التوحيد صفتهم ما قاله الحق سبحانه
في صفة اصحاب الكهف وارباب التجريد وتحسبهم ايقاظا وهم رقود فهم بشواهد
الفرق وظواهرهم لكنهم بعين الجمع بما كوشفوا به في سرائرهم يجري عليهم احوالهم
غير متكلفين بل هم مثبتون وهم خمود عما هم به في تصرفاتهم الخلف عنهم سواهم
وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد اي بفناء كهفهم او عتبة بابهم مشابها للجالس وابهم
وهو كلب مروا به فتبعهم وتبعه الكلب على اثره قال ابو بكر الوراق مجالسة الصالحين
ومجاورتهم تأثر على الخلق وان لم يكونوا اجناسا الا ترى كيف ذكر اصحاب الكهف
فذكر كلبهم معهم بمجاورته اياهم وافاد الاستاذ انه سبحانه لما ذكرهم ذكر كلبهم ومن
صدق في محبة احد ودم عليه احب من ينسب وما ينسب اليه ويقال كلب خطى
خطوات مع احبابه فالى القيمة يقرأ الصبيان وغيرهم بل الحق يقول بقوله
العزيز الحميد وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد اترى ان المسلم يصحب اولياءه
واتباع حبيبه من وقت شبابه الى زمان شيبه يرده يوم القيمة خائبا انه لا يفعل
ذلك ابدا وجاء في التفاسير انهم قالوا للراعي الذي تبعهم والكلب معه
اصرف عنا هذا الكلب فقال الراعي لا يمكنني فاني اربيته ويقال انطق الله
الكلب معهم فقال لم تطردونني فقالوا لتنصرف عنا قال لا يمكنني ان انصرف
عنكم وفي رواية فقال الذي اخذكم اخذني فقالوا وما علامة صحته فقال انتم تخافون

بلآء يصيبكم فى الاستقبال وانتم بلائى فى الحال ثم ان بلاءكم الذى تخافون ان
يصيبكم من الاعدآء وبلائى منكم وانتم الاولياء ويقال كل يعامل بما يليق به من حاله
ورتبة الاولياء قال ز صفتهم ما نقلبهم ذات اليمين وذات الشمال والكلب فى
صفته قال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ويقال لما لازم الكلب محله ولم يتجاوز حده
فوضع يده على الوصيد بقى مع الاولياء كذا ادب الخدمة يوجب بقاء الوصلة مع
الاصفياء لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم لوليت منهم فرارا لهربت منهم هيبة
لما لديهم ولملئت منهم رعبا خوفا يملاء صدرك عنهم لما البسهم الله من العظمة او
لما اوقع فى مكانهم من الوحشة وقراء الحرميان لملئت بتشديد اللام للمبالغة
فى الحرام وابن عامر والكسائى بضم عين رعبا قال جعفر الصادق لو اطلعت عليهم
من حيث انت لوليت منهم فرارا ولو اطلعت عليهم من حيث الحق شاهدت فيهم
معانى الوحدانية والربانية وقال الاستاذ لو اطلعت عليهم من حيث انت لوليت
منهم فرارا ولو شاهدتهم من حيث شهود تولى الحقيقة لهم لبقيت على حالك
قرارا ولو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا لانك لن تريد ان تشهد غيرنا او لوليت
منهم فرارا من رؤيتهم الينا لانك لا تطيق اطلاع الغير علينا وكذلك بعثناهم
كما انمناهم اية ايقظناهم آية على غاية قدرتنا ونهاية عظمتنا ليتساءلوا بينهم
ليسأل بعضهم فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على يقين ويستبصروا
به امر البعث فى يوم الدين ويشكروا ما انعم الله عليهم بحفظهم من كيد المشركين
قال قائل منهم كم لبثتم قالوا بناء على غلبة ظنهم لبثنا يوما او بعض يوم لان النائم
لا يحصى مدة نومه ولا يدرى عدد يومه ولعل المحققين منهم بسبب ما يرد عليه قالوا ربكم
اعلم بما لبثتم فاحالوا العلم اليه وافاد الاستاد انهم استقلوا مدة لبثهم وقد لبثوا طويلا
من عمرهم ولكنهم كانوا ماخوذين عنهم فلم يكن لهم تفصيل احوالهم كما قال قائلهم
لست ادرى اطال ليلى ام لا كيف يدرى بذاك من يتقلى لو تفرغت لاستطالة ليلى
ورعى النجوم كنت مخلى ويقال ايام الوصال قليلة عندهم وان كانت قدر سنة وايام
الفراق طويلة عندهم ولو مقدار سنة وفى المثل الدهور فى السرور شهور والشهور
فى الشرور دهور وانشدوا شعر صباحك سكر والمساء خماره نعمت وايام السرور قصار
قال ابن عطاء مقام الحبيب مع الحبيب وان طال فانه قصير عنده اذ لا يقضى
من حبيبه وطرا ولو مكث معه دهرا فان شوقه فى الابتداء كذوقه فى الانتهاء اقول
ولهذا قالوا النهاية هى الرجوع الى البداية فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة
وقراء ابن عمرو وابو بكر بسكون الراء وهو الفضة مضروبة او غيرها وحملهم له دليل على
ان التزود لا ينافى التوكل والتجرد فان الدراهم سبب الراحة كالمراهم للجراحة وافاد الاستاذ
انهم ما داموا ماخوذين عنهم لم يكن مطالبة باكل وشرب فيهم ولا شئ من صفة نفسهم

فماردوا

فماردوا الى التميز اخذوا فى التدبير للاكل اول ما احسوا بحال العقل وفى هذا دلالة على ان
ابتلاء الخلق بالاكل فلينظر ايها اى اى اهلها ازكى طعاما احل واطيب وارخص واكثر فليأتكم
برزق منه اى بمرزوق من الورق حال المبادلة وليتلطف وليتكلف اللطف فى المعاملة
حتى لا يخسر او فى المخافة حتى لا يعرف ولا يشهر ولا يشعرن بكم احدا لا يفعلن ما يؤدى الى شعور
احد ابدا وافاد الاستاد انهم تواصوا فيما بينهم بحسن الخلق وجميل الرفق اى ليتلطف من
يشترى منه شيئا من الرزق ويقال اوصوا الى من يشترى لهم الطعام ان يأتيهم بالطف
شئ واطيبه ما يوجد فى ذلك المقام لانه اتم لنظام المرام فانه من كان من اهل المعرفة لا يوافقه
الخشن من الملبوس والكسوة ولا النازل فى الطعم من الماكول والمشروب وسائر النعمة
ويقال اهل المجاهدات واصحاب الرياضات طعامهم الخشن ولباسهم كذلك والذى
بلغ المعرفة لا يوافقه الا كل لطيف ولا يستأنس الا بكل مليح هنالك انتهى ويؤيده
انهم كانوا من اهل الجذبة والمرادون من الحضرة لا سيما وهم اهل النعمة فى الابتداء
فلا يوافقهم الرياضة فى الانتهاء فكل يعمل على شاكلته واهل على قاعدة طبيعة وعادته
واما ارباب البداية واصحاب الرياضة فدارهم على ترك العادة فانه علامة الارادة فافرق
بين المريد والمراد لتعرف مراتب الزهاد والعباد ولا تنكر على احد من العباد انهم ان
يظهروا يطلعوا عليكم يرجموكم يقتلوكم او يضربوكم فى مدينتهم او يعيدوكم فى ملتهم
ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم فى طريقتهم وافاد الاستاذ انهم تواصوا فيما بينهم
بكتمان الاسرار من الاجانب والاغيار واخبروا انهم ان اطلعوا على حالهم بالغوا فى
ايذائهم اما بالقتل واما بالضرب وبما امكنهم من وجوه الفعل ولا يرضون الا
برجعتكم الى ما منه تخلصتم فان من احترق كدسه فالم يحترق كدس غيره لا يطيب
نفسه فان البلية اذا عمت طابت ويقال من خصلة الابرار حفظ الاسرار
من الاغيار فان صدور الاحرار قبور الاسرار ويقال من اظهر لاعدائه ستره
فقد جلب ضره وباختياره آثر ضره وفقد ما ستره وكذلك اعثرنا عليهم
اى وكما انمناهم وايقظناهم ليزداد بصيرتهم فيما هديناهم اطلعنا
عليهم جمعا ما اردناهم ليعلموا اى الذين اطلعناهم على ما اوديناهم ان وعد الله
بالبعث حق لان نومهم وانتباههم كحال موتهم وبعثهم وان الساعة
ساعة القيمة لا ريب فيها لا شك فى امكانها وقيامها اذ يتنازعون بينهم امرهم
امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا فقال بعضهم بالمرة وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة
وهذا المعنى لا ينافى اختلافهم فى المبنى حيث قالت طائفة نبنى عليهم بنيانا يسكنه
الناس فيه قرارا وقال جماعة نبنى عليهم مسجدا يصلى فيه ويجعل مزارا كما قال فقالوا
ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم فى تفاصيل احوالهم جملة معترضة قال الذين غلبوا على امرهم
لنتخذن عليهم مسجدا ولنجعلن لهم ذلك شهيدا وافاد الاستاد انه سبحانه جعل

اجو الهم عبرة لمن جاء بعدهم حين كشف الاهل الوقت قصتهم فازداد يقين من كان يؤمن بالله والدار الآخرة حين شاهدوا بالمعاينة ما كان نقضا للعادة المستمرة ثم ان الله ردهم الى ما كانوا عليه من الحالة التي كانوا ماخوذين عن التمييز متقلبين في القبضة على ما اراده الحق مستوعبين فيما كوشفوا به مستهلكين عنهم في وجود الحق سبحانه سيقولون اى الخائضون في قصتهم من اهل الكتاب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن المؤمنين في معرفة عدتهم حيث قال بعضهم هم ثلثة رابعهم كلبهم كما قاله اليهود ويقولون خمسة سادسهم كلبهم على ما قاله النصارى رجما بالغيب ورميا بالريب ويقولون سبعة وثامنهم كما قاله بعض المؤمنين وقد روى كذلك عن علي كرم الله وجهه قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ممن علمناه بقصتهم وفيه ايماء الى الحديث القدسي اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري وقال الاستاذ سعد كلبهم حيث كرر الحق سبحانه ذكرهم وذكر الكلب معهم على وجه التكرار كما ذكرهم ثم عد الكلب في جملتهم فقال قل ربي اعلم بعدتهم هذا بيان كرم لا مدى له ولا منتهى ثم قال وما يعلمهم الا قليل وكذا نعت اوليائه لا يعرفهم الا خواص اصفيائه ومن كان قريبا في الحال منهم فهم في كتم الغيرة وايواء الضنة لا يطلع الاجانب عليهم فان الاجانب لا يعرفون الاقارب ولا يشكل احوال الاقارب على الاقارب وقد قالت الطائفة وشيوخهم الصوفية اهل بيت واحد لا يدخل فيهم غيرهم ثم قال ويقال قال في صفة اصحاب الكهف سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الخ وقال في صفة هذه الامة ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الخ فشتان ما بينهما انتهى ولا يخفى ما فيه من سوء الادب مع الرب في المقابلة ولو بطريق المشاكلة على ان قضية الآية انه لا خصوصية لها بالآية الآتية دون الماضية وما احسن قول بعض الصوفية ثالث ثلثة كفر ورابع ثلثة ايمان فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا اذ لا تجادل في شان الفتية وبيان عددهم الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان نقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم ورد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم لا سؤال مسترشد فان فيما اوحى اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال تعنت تريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه يخل بمكارم الاخلاق ومحاسنها وقال الاستاذ كما لا يعرفهم من كان بمعزل عن حالهم لا يهتدى الى احكامهم من لا يعرف مراتب كمالهم فلم يبح استفتاءه في ابهم من الذين غاب علمهم عنهم ومن يكن قلبه محلا لمحبة الاحباب لم يكن لسانه مقرا لذكرهم في هذا الباب ولا تقولن لشيء اى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله الاستثناء من القول لا من الفعل والمعنى لا تقولن لاجل شيء تعزم عليه انى فاعل فيما يستقبل اليه الا ملتبسا بمشيئته ومقرونا بارادته قائلا ان شاء الله في تعنيته وافاد الاستاذ انه اذا كانت الحوادث صادرة عن مشيئة الله لمن عرف لم يعد من نفسه ما علم انه لا يتم الا بالله ويقال من عرف الله سقط اختياره عند مشيئته

واندرج

واندرج احكامه في شهود حكم ربه لقضيته ويقال المؤمن يعزم على اعتناق الطاعة في مستقبله بقلبه لكنه يتبرأ عن حوله وقوته بسره فالشريعة تستدعي منه نهوض قلبه في طاعته والحقيقة تقتضي بسره عن شهود ما منه لشهوده تحت جريان قسمته واذكر ربك اى مشيئته اذا نسيت اى قضيته وتذكره بعدما وعدته كما روى انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله وقيل اذكر ربك بالاستغفار اذا تركت الاستثناء في الاخبار او اذكر ربك والهم عقابه اذا تركت الاستثناء في بابه او اذكره اذا اعتراك النسيان لتذكر المنسى في البيان او اذكره اذا تركت بعض ما امرك به ليحملك على تداركه او اذكر ربك حين تركت نفسك ومنه قول بعض ارباب الحال دع نفسك وتعال وانشد • وجودك ذنب لا يقاس به ذنب • وهذا مجمل قولهم في الفناء والبقاء والمحو والصحو وقال الواسطي اذا نسيت ذكرى فاذكرني وقال الصادق اذا نسيت الاغيار فتقرب الى الله بالاذكار وقال الجنيد حقيقة الذكر فناء الذاكر في مشاهدة المذكور وقال الاستاذ اذكر ربك اذا نسيت في الحقيقة نفسك فان ذكرك لنفسك يمنعك من استغراقك في شهود ذكرك ويقال واذكر ربك اذا نسيت ذكرك لربك فان العبد اذا كان ملاحظا لذكره كان كغير الذاكر لمذكوره ويقال واذكر ربك اذا نسيت منه حظك ويقال واذكر ربك اذا نسيت غير ربك وقل عسى ان يهدين ربي يدلني ويرشدني لاقرب من هذا رشدا اى مما لم يرشد به احدا ولبثوا في كهفهم اى حال كونهم احياء مضروبا على اذانهم ثلث مائة سنين وقرأ حمزة والكسائي بالاضافة وازدادوا اى اصحاب الكهف تسعا اى تسع سنين على المائين وهو بيان لما اجمله فيما قبل او انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا ايضا في هذا الباب فقال بعضهم ثلثمائة وقال آخرون ثلثمائة وتسع سنين ويلائمه قوله سبحانه قل الله اعلم بما لبثوا اى بمدة لبثهم كما قال فيما سبق ربهم اعلم بهم ويناسبه قوله له غيب السموات والارض اى مختص به علم ما غاب فيهما لا يعلم احد غيره بتفاصيل احوالهما وقال الاستاذ في قوله سبحانه قل الله اعلم بما لبثوا من لم يعد ايامه لاشتغاله بالله احصى الله انفاسه التي هي لله قال تعالى واحصى كل شيء عددا ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب دلالة على ان امره في الادراك خارج عما عليه ادراك اهل الافلاك من السامعين والمبصرين هناك اذ لا يحجبه شيء لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود الى الله والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم لاهل السموات والارض كلهم من دونه من ولي يتولى امرهم ولا يشرك في حكمه اى قضائه احدا منهم وقرأ ابن عامر بالخطاب لكل من يصلح له في هذا الباب واتل اى اقرأ واتبع ما اوحي اليك من كتاب ربك اى من القرآن العظيم والفرقان الحكيم ولا تلتفت الى قولهم ايت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تغييرها وتبديلها

كلبهم صح

غير ذاته ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ ان عدلت عن مرضاته وافاد الاستاذ انه لا معقب
لحكمه فمن اقصاه فلا قبول له ومن اقصاه فلا وصول له ومن قبله فلا رد له ومن قربه فلا صد له
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اى احبسها لهم وثبتها معهم
فى مجامع اوقاتهم او فى طرفى النهار ظرفية حال انهم يريدون وجهه يطلبون فى طاعتهم
رضاه ولا يقصدون فى طلبتهم سواه قال ذو النون امر الله نبيه الا بتاء بمجالسة الفقراء
والصبر معهم فى الخلاء والملاء وقال ابن عطاء ما خاطب الله نبيه عليه السلام وعاتبه
وقال اصبر مع من صبر علينا بنفسه وقلبه وروحه وهم الذين لا يفارقون محل الاختصاص
من الحضرة بكرة وعشيا فحق لمن لم يفارق حضرتنا ان تصبر عليه فلا تفارقه وافاد الاستاذ
انه سبحانه قال واصبر نفسك ولم يقل قلبك لان قلبه كان مع الحق وظاهره مع الخلق
فامره بصحبة الفقراء جهرا بجهر واستخلص قلبه لنفسه سرا بسر ويقال توقت دعوتهم
بالغدوة والعشي من الايام واما قوله يريدون وجهه فبمعنى الحال وهو يشير الى الدوام
ويقال وجهه لا يريدون دنياهم بعطائها ولا عقباهم بكرائمها كشف قناعهم واظهر
وصفهم وشهرهم بعد ما كان قد سترهم وسلمت لهم هذه الارادة لما تجردوا عن ارادة كل
مخلوق ومحبة كل مخلوق بمقتضى العادة ولا تعد عيناك عنهم لا تجاوزهم نظرك الى
غيرهم وهو نهى عن الازدراء بالفقراء وطموح العين الى طراوة زي الاغنياء تريد
زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف وقال الاستاذ لا ترفع عنهم بصرك ولا تقطع
عنهم نظرك ويقال لما نظروا بقلوبهم الى ربهم امر الله رسوله بان لا يرفع بصره
عنهم وهذا جزاؤهم بالبشارة فى العاجل والاشارة فيه الى الاجل كانه قال جعلنا
نظرك اليهم ذريعة لهم الينا وخلفا بما يفوتهم اليوم من نظرهم علينا فلا تقطع
اليوم عنهم نظرك فانا لا نمنع غدا نظرهم عنا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اى
جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا وشكرنا وفكرنا كامية بن خلف فى الاستدعاء الى طرد
الفقراء الاصفياء لاستحضار صناديد قريش من الاغنياء الاغبياء وفيه
تنبيه على ان عدة موجبة غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه فى المحسوسات
حتى خفى عليه ان الشرف بزينة الحسب والاحوال الرضية لا بحلية النسب والاموال
الردية واتبع هواه على وفق ما اراده سبحانه وقضاه وكان امره فرطا تقدما على
الحق وتعديا على الخلق وقال سهل الغفلة ابطال الوقت بالبطالة وقال الجرجاني
الغفلة هى طول الامل قال الاستاذ اذا اغفل قلبه عن ذكرنا حتى اشتغل بالنعمة عن
شهود المنعم ووجود المنة ويقال هم الذين طوح قلوبهم فى اودية التفرقة فهم
فى الخواطر الردية متحيرون وعن شهود مولاهم محجوبون ويقال من امارات الغفلة
سوء العمل وطول الامل والتعريج فى اوطان الكسل ويقال الغفلة ترجية الوقت فى غير
قضاء فرض او اقتناء نفل وقل الحق من ربكم مبتدأ وخبر فالحق ما يكون من جهة المولى

لا ما يقتضيه الهوى وقال الاستاذ قل يا محمد ما يأتيكم من ربكم فهو حق وقوله صدق
فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اى لا ابالى بايمان من آمن وكفر من كفر وهو لا يقتضى
استقلال العبد بفعله وقدرته فانه وان كان بمشيئة فمشيئته ليست الا بمشيئة وافاد الاستاذ
ان هذا غاية التهديد ونهاية الوعيد اى ان امنتم فعوائد ايمانكم عائدة اليكم واذا ابيتم
فعذاب الجحود موقوف عليكم والحق سبحانه عزيز لا يعود اليه بايمان الكافة اذا وحدوا
زين ولا بكفر الجميع ان جحدوا اشين انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها
ظلال دخانها او جدرانها من نيرانها وان يستغيثوا من ما بهم من العطش يغاثوا بماء
كالمهل كالنحاس المذاب او كدردي الزيت فى باب الشراب يشوى الوجوه يحرقها
بحرارته اذا قدم الى وجهه قبل مذاق مرارته بئس الشراب جنس شرابهم وساءت
النار مرتفقا مكان عذابهم ومتكاء حال جحاهم وهو لمقابلة قوله الآتى فى حق الابرار وحسنت
مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا انتفاع فى دار البوار وافاد الاستاذ ان العقوبة
الكبرى لهم ان يشغلهم بآلامهم حتى لم يتفرغوا عنهم الى التحسر على ما فاتهم من طاعة الحق
فى ايامهم ولو علموا ذلك لعله كان يرحمهم من فضله اذ الحق اكرم من ان يعذب احدا يهتم لاجله
ويقال لو علموا من الذى يقول وساءت مرتفقا لعله كان لهم تسلى ساعة ولكنهم
لا يعرفون قدر من يقول والا فهذا لهم شبه مرتبة والعبارة عن هذا تدق والاشارة
بهذا تحق ويقال اهل النار احاط بهم سرادقها واهل الجنة طاب باهلها حدائقها
والحق سبحانه منزه عن ان يعود اليه عائدة من تعذيب هؤلاء ولا من تنعيم هؤلاء
جلت الاحدية وتقدست الصمدية انتهى لكن اقتضت انوار صفات الجمالية واسرار
نعوت الجلالية وآثار مظاهر الربوبية اختلاف مراتب ارباب العبودية كما اشار اليه
فى الحديث القدسى والكلام الانسى خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالى وخلقت هؤلاء
للنار ولا ابالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا بل نثيبهم
باحسن ما كان فى نفوسهم املا كما فى حديث اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال الاستاذ من رفع من فريضا عليه عثرة
طريقنا لم يقع عليه فترة فراقا من خطى خطوة الينا وجده خطوة لدينا من نقل الينا
قدمه عرفنا له ما قدمه من رفع الينا يده اجزلنا ما رفده من التجا الى سدة كرمنا اويناه
الى ظل نعمنا ومن شكى فينا عليلا مهدنا له فى ذرى فضلنا مقيلا ويقال الاحسان
فى العمل ان لا ترى قضاء حاجتك الا فى صرف فضله فاذا اخلصت فى توسلك اليه
وتوصلك الى مولاك لديه بطوله بتبريك عن حولك وقوتك استوجبت حسن
اقباله ومزيد ثوابه وجزيل نواله اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم
الانهار اى من تحت امرهم او تحت قصرهم يحلون فيها من اساور من ذهب
من الاولى للابتداء والثانية لبيان البناء ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن

الالوان طلاوة واكثرها طراوة واشدها على البصر حلاوة من سندس واستبرق
مارق من الديباج وما غلظ منه من غير العلاج وجمع بين النوعين لاشتمالهما على ما
تشتهيه النفس وتلذ به العين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة اهل
السرور فيما هيئ لهم في القصور قال ابن عطاء على ارائك الانس في رياض القدس
في مجال القربة وميادين الرحمة مستريحين في بساتين الوصلة يشاهدون مليكهم في كل حالة
نعم الثواب الجنة ونعيم المآب وحسنت الجنة ارائكها مرتفقا ومستنفعا بها وقال
الاستاد اولئك اصحاب جنة الخلد وارباب سعادة الجد وكمال الرفد يلبسون ثيابا من
حلل الوصلة ويتوجون بتاج القربة ويحلون بحلي المباسطة يتكئون على ارائك الروح يشمون
رياحين الانس في حظائر القدس يقيمون في مجال الزلفة يسقون شراب المحبة
يسقيهم ربهم من غير واسطة شرابا طهورا يطهر قلوبهم عن محبة كل مخلوق نعم
الثواب ثوابهم ونعم المآب مآبهم ونعم الرب ربهم ونعمت الدار دارهم ونعم الجار
جارهم ونعمت الحال حالهم ونعم المآل مآلهم واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن
رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين مشهورين جعلنا لاحدهما جنتين بساتين
من اعناب من الكروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخيل محيطة بهما وجعلنا بينهما
وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات متواصل العمارات على الشكل الانيق
والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها اعطت ثمرتها ولم تظلم منه لم تنقص من
اكلها شيئا مما يعهد في ثمرتها بخلاف غيرها حيث يتم في عام وينقص في آخر غالبا
وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم ماؤهما ويزيد بهاؤهما ويزيد صفاؤهما وضياؤهما وكان له
ثمر انواع من المال من غير ما ذكر وسكن ابو عمرو الميم وفتحها عاصم فقال لصاحبه
في ذلك المقام وهو يحاوره يراجعه في الكلام ويخاطبه في المرام تكبرا وفخرا انا اكثر
منك مالا حاصلا يزيد جمالا واعز نفرا حشما واعوانا واولادا واخوانا ودخل جنته اي بهما
مفتخرا بنعمته وهو ظالم لنفسه ضار لها بمعصيته قال ما اظن ان تبيد تفنى هذه
الجنة وتزول هذه النعمة ابدا لاغتراره بمهلته وتمادي جهله وطول امله وكثرة غفلته
وما اظن الساعة قائمة كائنة تاكيدا لكون جنته سالمة ونعمته دائمة ولئن رددت الى ربي
اي بموتي وبعثي على تقدير صحته لاجدن خيرا منها اي من جنته وقرأ الحرميان والشامي
منهما اي من الجنتين منقلبا اي مرجعا وثوابا لانها فانية وتلك باقية او للخيرية باعتبار
الكمية والكيفية بناء على حسن الظن في مرتبة الربوبية وانما اقسم على الفضلية لاعتقاده
ان مولاه انما اولاه ما اولاه لاستحقاقه اياه وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره
اي يجاوبه ويخاطبه اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك الغريبة ثم من نطفة
وهي مادتك القريبة ثم سواك رجلا عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال وانها
من اعظم النعم عند ارباب الكمال وجعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشأه الشك

في كمال قدرته والتردد في تعلق ارادته والجهل والغفلة عن التأمل في مبدأ خلقته
الدالة على امكان اعادته لكنا اصله لكن انا كما قرئ به فنقل وادغم ويشير اليه رسمه بالالف
هنا فالجمهور على حذف الالف وصلا واثباته وقفا كما هو قاعدة انا وقرأ ابن عامر بالالف
وصلا ووقفا تبعا للرسم حتما وعلة من يثبت الالف انما مطلقا هو ضمير الشان وخبره
بالجملة الواقعة خبرا له خبرا انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك
من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به ولولا اذ دخلت جنتك قلت
اي هلا قلت عند دخولها وحال وصولها ومشاهدة حصولها ما شاء الله كائن
وما لم يشأ لم يكن لا قوة الا بالله فما شاء ابقاه وما شاء افناه وفي الحديث من
رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل
منك مالا وولدا اي ان ترني كما قرأ قالون وابن كثير وابو عمرو باثبات الياء على
وفق اصولهم وهو المفعول الاول وانا تاكيد له وجواب الشرط قوله فعسى ربي ان
يؤتين اي يؤتيني كما قرأ به الحرميان والبصري والمعنى فاني اتوقع وارجو ان يعطيني خيرا
من جنتك في الدنيا او العقبى او فيهما لايماني بالمولى ويرسل عليها على جنتك لكفرك
وغفلتك حسبانا من السماء جمع حسبانة وهي الصاعقة فتصبح جنتك صعيدا زلقا
ارضا ملساء يزلق عليها باستيصال ما فيها او يصبح ماؤها غورا غائرا فيها فلن
تستطيع له للماء الغائر طلبا ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله وتغير احواله
حسبما توقعه صاحبه وخوفه منه محاوره وافاد الاستاد ان في العبارة من الاشارة
الى انه سبحانه كما اخبر انه خلق رجلين بالوصفين المذكورين يخلق عبدين ليطيب
لهما الوقت ويمهد لهما بساط اللطف ويمكنهما مكان البسط فيستقيم احدهما
في الترقي الى النهاية من مقام البداية بحسن المنازلة وصدق المعاملة ويثمر له المجاهدة
ثمرات حسن الاخلاق فيعالجها بحسن الاستقامة ثم يتحقق بخصائص الاحوال القدسية
ثم يختطف عنها بما يكاشف من حقائق التوحيد ويصبح منتسفا من جملته باستهلاكه
في وجود ما بان له من دقائق التفريد والثاني لا يقدر ما اهل له من حسن البداية فيرجع
الى مألوفاته وينتكس امره بالخلطة في وهدة عاداته فيرتد عن سلوك الطريقة ويتردى
في ظلمة الغفلة فيصير وقته ليلا مظلما ويتطوح في اودية التفرقة ويوسم بكواة الطرد
ويسقى شراب الاهانة وينخرط في سلك المهجورين وذلك جزاء من لم يرهم الحق لوصلته
اهلا ولم يجعل لهم ابدا نصيبهم في التحقيق والقبول اصلا كما قيل ■ تبدلت وتبدلنا
واحسرتا ■ من ابتغى عوضا بسلمى فلم يجد ■ فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تحسرا
وتحيرا على ما انفق فيها صرف في عمارتها وضيع عمره في رعايتها وهي خاوية ساقطة
منقلبة على عروشها بان سقطت عروشها اولا وسقط الكروم فوقها اخرا ويقول يا ليتني
لم اشرك بربي احدا تذكر موعظة اخيه وعلم انه من قبل شركه وقع فيما وقع فيه فتمنى لو لم يشرك

سبحانه فلم يهلك له بستانه وافاد الاستاذ انه اذا ظهر غدا خسران من اثر حظ نفسه
وهواه على حق مولاه قرع باب ندمه ثم لا ينفعه ندامته ولو قرع في الدنيا حين وقعت له الفترة
باب كرمه ورعايته لاشكاه عن ضرورته وانجاه عن ورطته بعنايته ولكنه سبحانه ربط الخذلان
ولبس عليه الامر بحكم الاستدراج في هذا الشأن ولم تكن له فئة قرا حمزة والكسائي بالتذكير فئة
اي جماعة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك من دون الله فانه القادر
على ذلك وحده وما كان منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه بقدرته وافاد الاستاذ
ان من اشتهر امره بسخط السلطان عليه لم ينظر احد من الجند والرعية اليه كذلك من وسمه
الحق بكي الهجران لم يرث له ملك ولا نبي ولم يحتسب لمكانه صديق ولا ولي هنالك في ذلك
المقام وتلك الحال والمرام الولاية النصرة لله وحده لا يقدر عليها غير الحق الثابت امره وقدره
وقرا حمزة والكسائي بكسر الواو ومعناه السلطنة والقهر الغلبة وقيل هنالك اشارة
الى الاخرة وقرا ابو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة الولاية قال الواسطي من تولاه بالحقيقة
فهو الولي ومن ولاه الله فهو الوالي قال الله هنالك الولاية لله الحق وافاد الاستاذ ان
المتوحد بنعت ملكوته لا يشركه في جلال سلطانه من الحدثان نحته فاذا بدا من سلطان
الحقيقة شظية فلا دعوى فلا دعوى ولا معنى لبشر ولا وزن فيما هنالك للحدثان ولا خطر
كلا بل هو الله الواحد القهار فالقدرة لله ولذلك قال هنالك الولاية لله بكسر
الواو والنصرة من الله ولذلك قال هنالك الولاية لله بفتح الواو واضرب لهم
مثل الحيوة الدنيا بين لهم صفتها الغريبة وشبهها القريبة في زهرة كمالها وسرعة
زوالها كماء انزلناه من السماء فاختلط به النبات بسبب انزاله نبات الارض
وخالط بعضه بعضا من كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه
فيصير كان لم يكن في عالم الاشباح وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا
مبالغا في القدرة وكاملا في القوة وافاد الاستاذ ان من وطن نفسه على الدنيا
وبهجتها غرته باماليها وخدعته بالاطماع فيها ثم انها تذهب كالسحاب في سرابها
وللمنخل في غسلها والسم في دسمها نقد ولا تفي بعداتها وتربي وتوفي افاتها على خيراتها
وعاهاتها على مبراتها نعمها مشوبة بنقمها ما نوسها مصحوب ببوسها وبلاؤها
في ضمن عطائها والمغرور من اغتر بها والمخدوع من خدع لها المال والبنون زينة
الحيوة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب في اخراه قيل لا يجئ
من زينة الحيوة الدنيا الا من كان باطنه مزينا بانوار المعرفة وضياء المحبة ولمعان
الشوق وهيجان الذوق وظاهره مزينا باداب الخدمة وضياء الحجة وشرف الهمة
وعلو النفس عن التهمة فتغلب زينة باطنه زينة حب الدنيا والحيوة شوقا من قلبه
الى ربه وتغلب زينة ظاهره زينة الدنيا لان زينته ازين وطينته احلى والباقيات
الصالحات من اعمال الخيرات التي تبقى ثمراتها في الجنات قال جعفر هو تفريد التوحيد

فانه باق ببقاء الواحد وقيل هو نصيحة الخلق بامر الحق وقال ابن عطاء هي الاعمال
الصالحة والاحوال الصادقة خير عند ربك ثوابا فائدة وخير املا عائدة لان صاحبها
ينال به في العقبى ما كان يامل بها في الدنيا وافاد الاستاذ ان من اعتضد بعباده
واغتر باولاده ونسي مولاه في اوان اوراده خسر في حاله وندم على ما فاته في ماله
ويقال زينة اهل الغفلة في الدنيا بالمال والبنين وزينة اهل الوصلة بالاعمال
واليقين فهؤلاء زينتهم بسرائرهم ويقال اهل الدنيا زينتهم بكرائمها واهل العقبى
زينتهم بعطائها واهل الحقيقة زينتهم بعبوديته وافتخارهم بمعرفة ربوبيته ويقال
ما كان للنفس فيه حظ فهو من زينة الحيوة الدنيا ويدخل في ذلك الجاه وقبول الخلق
وكذلك يدخل فيه جميع المالوفات والمعهودات على اختلافها وتفاوتها ويقال
كل ما للانسان فيه شرب ونصيب فهو معلول ان شئت في عاجله وان شئت في
آجله والباقيات الصالحات ما كان خالصا لله غير مشوب بغرض ولا مصحوب بعوض
او ما يلوح في السرائر من تحلية العبد بالنعوت ويفوح نشره في سماء الملكوت ويقال
هي التي سبقت لهم من الغيبة يوم القسمة من لطيف القربة وشريف الزلفة
ويقال هي ضياء شموس التوحيد المتمكن به في السرائر مما لا يعترض عليه كسوف
الحجبة ويوم نسير الجبال نذهب بها فنجعلها هباء منثورا وقرا ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر تسير بالتانيث على بناء المفعول ورفع الجبال وترى الارض بارزة بادية
ظاهرة برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف
وتعبيره بالماضي لتحقق وقوعه في الاتي فلم نغادر لم نترك منهم احدا قال ابن
عطاء دل الحق سبحانه بهذه الاية على اظهار جبروته وتمام قدرته وعظم عزته ليتاهب
العبد لذلك الموقف وحسابه ويصلح سريرته وعلانيته لخطاب ذلك المقام وجوابه
وافاد الاستاذ ان تسيير جبال الارض اليوم بموت السادات اذ هم الاوتاد
للعالم في الحقيقة وفي قوله تعالى فلم نغادر منهم احدا اشارة الى ان القادر القاهر
لا يغادر احدا اليوم على البسيط الا وهو يقبض ملكه ويستر سلكه ويقضي هلكه وعرضوا
على ربك صفا مصطفين لا يحجب احد احدا وفيه تشبيه حال الجند المعروض
على السلطان لا يعرفهم بل ليامر فيهم بما يناسبهم مما يهينهم او يبشرهم كما افاد الاستاد
من انه ينادي المنادي على احادهم هذا الذي اطاع الله واتقى وهذا الذي اضاع
وطغى وهذا الذي اتى ووحد وهذا ابى وجحد وهذا عرف واقر وهذا خالف واصر
وهذا الذي انعمنا عليه فشكر وهذا الذي امتحناه فكفر وهذا الذي سقيناه شرابنا
ورزقناه محابنا وشوقناه الى لقائنا ولقيناه خصائص ارعائنا وهذا الذي
وسمناه بحجبنا وحرمناه وجود قربنا والبسناه نطاق فراقنا ومنعناه توفيق وفائنا
شعر واخجلتا من وقوفي وسط دارهم • اذ قال لي مفصحا من انت يا رجل

لقد جئتمونا كما خلقناكم ابتداء بل زعمتم الن نجعل لكم موعدا وقتا موعودا للبعث
والنشور والوقوف والحضور وافاد الاستاذ ان قوما يقال لهم سلام عليكم كيف كنتم
وكيف قطعتم طريقكم وكيف وجدتم مقيلكم وهل الى لقائنا اشتقتم وقوم يقال لهم
ما صنعتم وما ضيعتم وما قدمتم وما اخرتم وما اعلنتم وما اسررتم ويقال للحبيب لبعضهم
عند السؤال فيفصحون عن مكنون قلوبهم ويشرحون ما هم به من احوالهم مع محبوبهم
وآخرون تملكهم الحيرة وتسكنهم الدهشة وتسكنهم الوحشة فلا لهم بيان ولا نطق
عنهم لسان وآخرون كما قيل ٭ قالت سكينة من هذا فقلت لها
انا الذي انت من اعدائه زعموا ٭ ووضع الكتاب صحائف الاعمال في ايدي
العمال من اصحاب اليمين والشمال او في الميزان لتتميز ارباب الاحوال فترى المجرمين
مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا اي هلكتنا وحيرتنا
مال هذا الكتاب تعجبا من شانه في استقصاء الحساب لا يغادر صغيرة من الهنات
ولا كبيرة الا احصاها عدها وحفظها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا من الخير
والشر ولا يظلم ربك احدا بنقص ثواب ومزيد عقاب قال ابو حفص اشد
آية في القرآن على قلبي هذه الآية ووجدوا ما عملوا حاضرا وافاد الاستاد ان ما
يصيبهم ما كتب في الكتاب الاول وهو اللوح المحفوظ لا ما في الكتاب الذي هو كتاب
الاول وهو اللوح المحفوظ اعمالهم فان كتاب اعمالهم نسخة مما في اللوح المحفوظ من بدو احوالهم
ويقال ان عامل عبدا بما في الكتاب الذي اثبته الملك فكثيرا من عباده يعاملهم بما في كتاب
الملك فالسعيد عبد يعامله بما في كتاب الحق من الرحمة والشقي عبد يحاسبه بما كتب عليه
الملك من الزلة ويقال اذا حاسبهم في المآل يتصور لهم الحال كانهم في الحال ما فارقوا
مباشرة الافعال فمن افكر في هذا بقلبه باشره خوف ربه لانه يعلم انه رأى في عمله سيئة
فهو موضع الخجل لتقصيره وان رأى حسنة فهو موضع الخجل ايضا لغفلته لو قيس بخجلة اهل
التقدق عند شهود حسناتهم توفي وتربي على خجلة اهل الغفلة اذا عثروا على زلاتهم
ويقال اصحاب الطاعات اذا وجدوا ما قدموا من العبادات فينالهم السرور
والبهجة وحيوة القلب والراحة واما اصحاب المخالفات فاما يجدون فيما قدموا
مجاوزة الحد ومناقضة العهد وما في هذا الباب من فنون الزلة وسوء القصد واذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم لان العالم بمنزلة قبلة العالم في وجوب التوجه اليه وثبوت
الاقبال عليه ولزوم التواضع لديه فسجدوا اي كلهم اجمعون الا ابليس كان قرانه
بالتلبيس وحرمانه على التأنيس وابتلائه بالتأييس وقد كررت هذه القصة
المشتملة على القصة في مواضع من الاحوال لكونها مقدمة للامور المقصود بيانها
في تلك الحال وههنا لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها
حب الشهوات وتسويل الشيطان بالغفلات زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها

سريعة

سريعة الزوال وعرضة الانتقال والاعمال الصالحة خير وابقى لمن اتقى ثم نفرهم
عن الشيطان وذكرهم ما بينه وبينهم من العداوة القديمة ليستقيموا على الجادة
القويمة كان من الجن اي من جنسهم او صار من ذوي انفسهم ففسق عن امر ربه
فخرج عن امره بترك السجود لاجله وافاد الاستاذ انه سبحانه اظهر للملائكة شظية مما اختص
آدم من علم اليقين فسجدوا لله بتيسير من الله وفضله المبين وسكر ببصيرة اللعين
فاستشهد منه غير الطين ولو صدق قوله انا خير منه لما فسق عن الامر ولكن استدركته
الشقاوة الاصلية فلم ينفعه الوسيلة بالحيلة افتتخذونه الهمزة للتعجب والانكار
والفاء للتعقيب في الاخبار والمعنى اعقب ما وجد منه ما ذكر وصدر عنه ما اخبر
تأخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم
لكم عدو حيث يمنعونكم عن عبادتي بئس للظالمين بدلا من رب العالمين ابليس
وذريته قال الحسن خاطبك الله تعالى باحسن خطاب ودعاك الله الى نفسه بالطف
دعاء واشرف الآداب فقال افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وقال يحيى بن
معاذ لا يكون وليا لله من نظر الى شيء دون الله وافاد الاستاذ ان في الآية اشارة
الى ان من تفرده بالولاية فلا يعتقد غيره ولا يسأل غيره ولا يرجو غيره ما اشهدتهم
اي ما احضرتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم نفى احضار ابليس وذريته
خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم
في ذلك بطريق الاولى لعدم وجودهم هنالك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين
عضدا اعوانا رد لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء فان استحقاق
العبودية من توابع الربوبية والاشتراك في الخالقية يستلزم الاشتراك في العبادة
ووضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم قال ابو سعيد
الخراز لقد عجزت الخليقة ان تدرك بعض صفات ذاتها في ذاتها او تدري كيفيتها
في انفسها قال الله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فلم يملك الله
الخليقة ان تحوي علم انفسها فكيف تدرك شيئا من صفات مالكها وافاد الاستاد
انه سبحانه اكذب المنجمين والاطباء الذين يتكلمون في طبايع الاشياء وهيئات الافلاك
السماء بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وبين ان ما يقولون
من ايجاب الطبايع بهذه الكائنات لا اصل له في تحقيق الآيات البينات وقوله
تعالى وما كنت متخذ المضلين عضدا يشير الى انه سبحانه لم يجعل للذين يضلون الناس
عن دينهم في القول بالطبايع حجة ولم يعطهم لتصحيح ما يقولونه برهانا وبينة ويقال
اذا تقاصر علوم الخلق عن العلم بانفسهم فكيف يحيط علومهم بحقايق الصمدية واستحقاقه
لنعوت الاحدية الا بمقدار ما يخصهم به من التعريف على ما يليق برتبة كل احد مما جعله له
اهلا من مراتب العبودية ويحتمل ان يقال اخبر ان علومهم تتقاصر عن الاحاطة بجميع اوصافهم

الکونیة ولا حاجة لهم بذلک اذ لا یتعلق به شیء من الامور الدینیة فالاشارة فی هذا
ان یصرفوا عنایتهم الی طلب العلم بالله وبصفاته واحکامه فانه لا بدّ لهم بحکم الدیانة
من التحقق بها اذ الواجب علی العبد معرفة معبوده بما یزیل التردد فی مسائل التوحید
فی باب الاسلام وما یتعلق بها من اثبات مسائل الصفات والاحکام ویوم
یقول ای الله للمشرکین وقراء حمزة بالنون المعظمة نادوا شرکائی الذین زعمتم انهم
شرکاء او شفعاء فلم یستجیبوا لهم لم یغیثوهم وجعلنا بینهم بین المشرکین وشرکائهم
موبقا مهلکا یشترکون فیه وهو النار وافاد الاستاد ان الله سبحانه علم ان الاصنام
لا تغنی ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ولکن یعرفهم فی الآخرة بما یصیر معارفهم ضروریة
حسما لاوهام قوم حیث توهموا ان عبادتهم للاصنام نوع تقرب الی الله علی وجه تعظیم
له کما قالوا ما نعبدهم الا لیقربونا الی الله زلفی فاذا تحققوا بذلک صدقوا فی الذم
وکان استیلاء الحسرة علیهم من ذلک من اشد العقوبات لهم ورای المجرمون النار
قریبة منهم فظنوا ایقنوا انهم مواقعوها واقعون فیها ومخالطوها ولم یجدوا عنها
مصرفا مکانا ینصرفون الیه وقال الاستاد اذا صارت الاوهام منقطعة والمعارف
ضروریة والنار معاینة استیقنوا انهم واقعوها ولا یسمع لهم معذرة ولا ینفعهم
حیلة ولا یقبل فیهم شفاعة ولا یؤخذ منهم فدیة واستمکنت الخیبة وتم الیاس
والحسرة فهی العذاب الاکبر وما دونه جلل ولقد صرفنا ای کررنا فی هذا القرآن للناس
من کل مثل من کل جنس یحتاجون الیه وکان الانسان اکثر شیء یتأتی منه الجدل
جدلا خصومة بالباطل وانتصابه علی التمییز وافاد الاستاد انه سبحانه اوضح للکافة نهج
ولکن لبّس علی قوم النهج فوقعوا فی العوج ثم الجدال فی الله محمود فی اعدائه ومذموم فی اجاله
والجدال مع الله شرک لانه صرف مخالفة وتوهم ان احدا یعارض التقدیر ویجوز ذلک
الضلال من الدین ومن امارات السعادة للمؤمن فتح باب العمل علیه واغلاق ابواب الجدل
دونه وما منع الناس ان یؤمنوا من الایمان بعلام الغیوب اذ جاءهم الهدی وهو
الرسول الامین والقرآن المبین ویستغفروا من الذنوب الا ان تأتیهم ای
انتظار ان یجیئهم سنة الاولین وهی عذاب الاستیصال فی الدنیا او یأتیهم
العذاب عقاب العقبی قبلا بکسر ففتح وقراء الکوفیون بضمتین وهو لغة ونصبه
علی الحال من الفاعل او المفعول او منهما قال سهل جاءهم النهج ولکن طریق الهدایة کانت
مسدودة علیهم فمنعهم عن الهدی والایمان والعمل الحکم الجاری علیهم فی الازل
وافاد الاستاد انه لا عذر لهم اذ لا الجاء لهم الی ما تعاطوه من العصیان وترک
المبادرة الی المامور به ولا توفیق یساعدهم فیخرجهم عن جوار الرأی الی عزم الفعل
فهم وان لم یکونوا بنعت الاستطاعة علی ما لیس یفعلونه لیسوا عاجزین عن ذلک
فهم بحیث لو ان العبد اراد منهم ما امروا به لتأتی منه ذلک ولقدر علیه فی الحال

لیس بقادر

لیس بقادر علی ما لیس یفعله ولا هو عاجز عنه وهذا یسمیه قوم حالة الاطلاق والتخلیة واسطة
بین العجز والقدرة وما نرسل المرسلین الا مبشرین للمطیعین ومنذرین للعاصین فسعد
قوم باتباعهم وشقی آخرون بنبذهم ویجادل الذین کفروا بعد ظهور المعجزات بالباطل اقتراح
الآیات لیدحضوا به لیزیلوا بجدالهم الباطل الحق عن مقرهم الواصل کقولهم للرسل ما انتم
الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائکة وامثال ذلک واتخذوا آیاتی من الکتاب
وما انذروا به من العقاب هزوا مهزوا به فی کل باب قال بعضهم احق الناس بسمة
الظلم من یری الآیات فلم یعتبر به ویری طرق الخیر فیعرض عنه ویری موقع الشر
فیتبعه ولا یجتنبها منه ومن اظلم ممن ذکر بآیات ربه فاعرض عنها فلم یتدبرها
ولم یتذکرها ونسی ما قدمت یداه من المعاصی ولم یتفکر فی عاقبتها انا جعلنا علی قلوبهم
اکنة اغطیة کثیرة والجملة علة لاعراضهم ونسیانهم بانهم مطبوع علی قلوبهم
فی عصیانهم ان یفقهوه کراهة ان یفهموه وتذکیر الضمیر وافراده لمعنی الآیات وهو
القرآن او ما فیها من البیان وفی آذانهم وقرا ثقلا وصمما یمنعهم ان یسمعوا حق سماعه
وان تدعهم الی الهدی فلن یهتدوا اذا ابدا ای لا تحقیقا ولا تقلیدا لانهم لا یفقهون
ولا یسمعون توفیقا وتأبیدا وافاد الاستاد ان معناه لا احد اظلم ممن ذکر ووعظ بما
یلوح له من الآیات بما شاهده وعرفه من امر اصلح له او شغل کفی او دعاء اجیب له
او سوء ادب حصل منه فادب علیه بما یکون تنبیها له او حصل منه طاعة فکوفی فی العاجل
اما بمعنی وجد فی قلبه من بسط او حلاوة او انس واما بکفایة شغل او اصلاح امر ثم اذا
استقبله امر نسی ما عومل به واعرض عن تذکره ونسی ما قدمت یداه من خیره وشره فوجد
فوجد فی الوقت موجبه فمن کان هذا صفته جعل علی قلبه ستور غفلة وقسوة حتی ینقطع
عنه برکات تنبیهه ویقال ومن اظلم ممن استقبله امر کافاه لما اسلفه من ترک ادبه فینبهه ربه
ویشکو ما یلاقیه وینسی جرمه الذی بسببه اصابه ما اصابه کما قیل ٭ وعاجز الرای مضیاع لفرصته
حتی اذا فات امر عاتب القدرا ٭ وربک الغفور للعاصین ذو الرحمة للمطیعین او للعالمین
او غفور لانه ذو الرحمة ورحمته الازلیة اوجبت المغفرة لو یؤاخذهم بما کسبوا مما استحقوا به
العقاب یعجل لهم العذاب فی الدنیا بل لهم موعد فی العقبی لن یجدوا فی دفعه من دونه
من غیره سبحانه موئلا ملجا ومنجا وقال الواسطی وکلناهم الی سوء تدبیرهم حین تخطوا حسن
اختیارنا لهم وفق تقدیرهم وقال الاستاد لو عاملهم بما استوجبوه من المعصیة لعجل لهم
العقوبة لکنه یؤخرها بمقتضی حلمه ثم فی العاقبة یفعل ما یفعل علی قضیة ارادته وحکمه وتلک
القری ای قری عاد وثمود وامثالها اهلکناهم ای اهلها لما ظلموا علی انفسهم بامثالها
وجعلنا لمهلکهم بضم المیم وفتح اللام ای لاهلاکهم وقراء ابو بکر بفتح المیم واللام وحفص
بکسر اللام ای لهلاکهم موعدا وقتا معینا وزمانا مبینا لا یستأخرون عنه ساعة ولا یستقدمون
فلیعتبر غیرهم بهم ولا یغتروا بتأخیر عذابهم وافاد الاستاد انهم لما لم یشکروا المنة

ولم يصبروا في المحنة عجلنا لهم العقوبة ويقال لما غفلوا عن شهود التقدير وهموا روح ال[illegible]
في حالاتهم وكلناهم الى ظلمات تدبيرهم فتاهوا في اودية غفلاتهم واذ قال موسى لفتيه
لخادمه وتابعه يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف عليه السلام لا ابرح لا ازال اسير اولا ازول
عما انا عليه من السير والطلب لتحصيل الادب حتى ابلغ مجمع البحرين ملتقى بحر فارس والروم
مما يلي المشرق اذ وعد لقاء الخضر فيه او البحران موسى وخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر
علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع
اما بلوغ المجمع او مضي الحقب وهو الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون وفي الحديث
ان موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها
فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وقيل
ان موسى سأل ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي
عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي
يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدل على هدى او ترده عن ردى فقال ان
كان في عبادك اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل
عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هنالك فقال
لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما محل وصلهما
نسيا حوتهما نسي موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما رأى من حيوته
ووقوعه في البحر وذهابه به فاتخذ الحوت سبيله في البحر سربا مسلكا ومهربا فلما جاوزا
مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا اي اعطنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا
هذا نصبا تعبا قال فتاه ارأيت اي ما اصابني اذ اوينا الى الصخرة على ساحل
البحر فاني نسيت الحوت اي ذكره لك بما رأيته منه وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره بدل من الضمير وهو اعتذار عن نسيانه بوسواس الشيطان له في شأنه
واتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا اتخاذا عجبا قال ذلك اي امر الحوت ما كنا نبغ
الذي كنا نبغيه ونطلبه فانه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا في الطريق
الذي جاءا فيه قصصا يتبعان آثارهما اتباعا فوجدا عبدا من عبادنا هو الخضر وقيل
الياس او غيره آتيناه رحمة من عندنا وحيا ونبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا
يعلم الا من جانبنا وافاد الاسناد ان معناه صار مرحوما من قبل تلك الرحمة التي خصصناه
بها من عندنا او يرحم بها على عبادنا ثم قيل العلم اللدني ما يحصل من طريق الالهام دون التكلف
بالطلب ويقال هو ما لا يجد صاحبه سبيلا الى حجته ودليل على صحته وقد قيل اقوى
العلوم ابعدها من الدليل قال ذو النون العلم اللدني هو الذي يحكم على الخلق بمواقع
التوفيق والخذلان قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن اي على شرط تعليمك لي
مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ ابو عمرو بفتحتين ولا ينافي كونه

صاحب الشريعة

صاحب الشريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن من ابواب الديانة فان الرسول ينبغي ان
يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى موسى
عليه السلام في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون
تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه ببعض ما انعم الله به عليه قال انك لن تستطيع
معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد له ثم علل ذلك واعتذر
عما هنالك بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا من امور ظواهرها مناكير وبواطنها
لم يحط بها خبرك مما تعلق به المقادير قال جعفر لن تستطيع ان تصبر مع من هو دونك
فكيف تصبر مع من هو فوقك قال ابن عطا كره صحبة المخلوقين فآيسه من صحبته بقوله
انك لن تستطيع معي صبرا لعل يفارقه بهذه اللفظة فمن وجد الله صاحبا استوحش
عما سواه غالبا وقال ابو عثمان المغربي انما اوتي الناس من قبل انهم لا يعرفون
مقامهم مع الله قال الله افمن كان على بينة من ربه والبينة هو الكشف عن مراد
الحق فيه فاذا عرف مراده فيه استراح واطمأن ومن ذلك انه يبتدي له علم مجاري احكام
قبل ان تجري فاذا جرت الاحكام عليه يصبر لديه كما قاله الخضر لموسى وكيف تصبر على
ما لم تحط به خبرا اي لو احطت به لم تصبر ولكن ستر عنك محل هذا العلم لموضع
التأديب والتهذيب ولذلك قيل من عرف علم ما يجري عليه صبر على احكامه لعلمه بما يراد منه
قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا فيما يبدو لك
وهو عطف على صابرا اي ستجدني ان شاء الله صابرا وغير عاص لك امرا قال فارس
استثنى موسى على نفسه ولم يستثن الخضر على موسى لان علم موسى في ذلك الوقت
علم تكلف واستدلال وعلم الخضر علم لدني من غيب الى غيب بلا شك ولا ريب قال فان
اتبعتني فلا تسألني اي ابتداء عن شيء تنكره ولم تعلم ما يقتضي صحته حتى احدث لك
منه ذكرا اي حتى ابين لك حجته قال ابو عثمان المغربي للمتبع ان يسأل المتبع ويبتدي له بالسؤال
اذا كان المتبع من اهل الاشراف لكنه يكتفي باشرافه عليه وتأديبه في وقت الادب لديه الا ترى
كيف قال الخضر لموسى ان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا وفي الاستاذ
انه ليس للمريد ان يقول لشيخه لم ولا للتلميذ ان يقول لاستاذه ولا للعامي ان يقول للمفتي
فانطلقا فذهبا على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها الخضر بان
اخذ فاسا وقلع لوحين من الواحها وكان في خرقها ابقاء على صاحبها لئلا يرغب الملك
القاطع في السفن اليها لعيبها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها
المفضي الى غرق اهلها والمعنى لتؤدي عاقبة هذا الامر الى غرق اهلها لانه علم انه لم يكن مقصوده
اغراق اهل السفينة بخرقها وقرأ حمزة والكسائي ليغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا اتيت
امرا عظيما من امر قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا اي انت تنظر الى هذا من حيث
العلم وانا اجري على هذا من حيث الحكم كذا في الاستاذ قال لا تؤاخذني بما نسيت من الوصية

لعدم الاعتراض والمسألة من اول الوهلة ولا ترهقني من امري عسرا ولا تغشني عسرا في المتابعة
من امري بالمضايقة والمؤاخذة على النسيان فان ذلك يعسر على نوع الانسان فانطلقا
اي بعد ما خرجا من السفينة ذهبا حتى اذا لقيا غلاما ولدا صغيرا فقتله من غير سبب يوجبه
قال اقتلت نفسا زكية طاهرة من الذنوب بغير نفس قتلت من جهتها وقرأ نافع
وابن كثير وابو عمرو زاكية بالالف وتخفيف الياء لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا عظيما
وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زاد لك
فيه مواجهة بالعتاب على ترك محافظة الوصية في هذا الباب واشارة بقلة الصبر لما تكرر
منه مخالفة الامر قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني ولو سألت صحبتك
قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات اذ الثلث
آخر حد القلة واول حد الكثرة فلم يكف بعد ذلك المسامحة فانطلقا حتى اذا اتيا
اهل قرية انطاكية او غيرها استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد
ان ينقض يقرب ان يسقط فاقامه بعمارته او باشارته قال لو شئت لاتخذت وقرأ
ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف اي لاخذت عليه اجرا اي اجرة نتعشى بها قال الواسطي الخضر
شاهد انوار الملك وموسى شاهد الوسائط فاخبره ان السؤال من الله فلا تغضب
عند المنع فان المانع والمعطي واحد فلا تشهد الاسباب واشهد المسبب حتى تستريح من
هواجس النفس ووساوس التعب وفي تفسير السلمي قال صلى الله عليه وسلم اذا سألت
فسل الله فاخبر الخضر موسى ان السؤال من الناس هو السؤال من الله فقال لا تغضب
من المنع حين ابوا ان يضيفوهما وقال الاستاذ فان لم تأخذ بسببك فلو اخذت
بسببنا لكان اخذه خيرا لك من ترك ذلك ولئن وجب حقهم فلم اخللت بحقنا
هنالك ويقال ان سفره هذا كان سفر تأديب فرد الى تحمل المشقة والا فموسى عليه السلام
حيث سقى لبنات شعيب عليه السلام كان ما اصابه من التعب والجوع اكثر ولكنه كان ذلك
الوقت محمولا وفي هذا الوقت متحملا قال هذا فراق بيني وبينك اي هذا الاعتراض سبب
افتراقنا او هذا الوقت وقت المفارقة بيننا مع اشتياقنا وقال جنيد اذا وردت
ظلم الاطماع على القلوب حجبت النفوس عن حظوظها من بواطن الحكم وقال ابن عطا
رؤية العمل وطلب الثواب به يبطل العمل الا ترى الكليم لما قال للخضر لو شئت لتخذت
عليه اجرا كيف فارقه سأنبئك سأخبرك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا اي بالخبر الباطن
فيما لم تقدر عليه الصبر لكونه من حيث الظاهر منكرا اما السفينة فكانت لمساكين ملكا
او اجارة يعملون في البحر خدمة او تجارة فاردت ان اعيبها اجعلها معيبة بمقاول لهما
وكان وراءهم قدامهم او خلفهم ملك ظالم يأخذ كل سفينة اي صالحة كما قرئ بها غصبا
قهرا من اهلها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما يغشيهما طغيانا وكفرا
لنعمتهما بعقوقه لهما فيلحقهما شرا ويضرهما دهرا وانما خشي ذلك لان الله تعالى اعلمه بما

هنالك

هنالك فاردنا ان يبدلهما ربهما وقرأ نافع وابو عمرو بالتشديد اي يرزقهما بدله ولدا
خيرا منه زكوة طهارة من الاحوال الردية والافعال الدنية واقرب رحما وقرأ ابن عامر
بضمتين اي رحمة وشفقة على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا
هدى الله به امة من الامم ونصبا زكوة ورحما على التمييز والعامل اسم التفضيل واما الجدار فكان
لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم
على الكنز انما هو لمن لا يؤدي زكوته وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب
فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت
لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن
يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله
وكان ابوهما صالحا قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء فاراد ربك
ان يبلغا اشدهما اي الحلم وكمال الرأي والعلم والحلم ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك
اي مرحومين من عنده ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا
الى الله تعالى والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله
وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين او لان الاول في نفسه شر والثاني خير والثالث
ممتزج او لاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط ذكره البيضاوي والتعليل
الاول هو المعول وفق ما افاد الاستاذ على ما سنذكره عنه والآخر هو الظاهر اما
بطريق العبارة فمن نوع التفنن واما بطريق الاشارة فمن باب التلوين والله اعلم
بحقائق اليقين وما فعلته اي ما رأيته مني عن امري رأيي وانما فعلته بامر ربي وعلى وفق
ما علم لي ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو
اصل ممهد مؤلف غير ان الشرع في تفاصيله مختلف ذلك تأويل ما لم تسطع
عليه صبرا اي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا وآخر القصة اولى به تطريفا ومن فوائد
هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه بعقله فلعل فيه سرا هو
غير عالم بوجهه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم لا سيما حال السؤال ويراعي الادب
في المقال وان ينبه المعلم المجرم على جرمه ويعفو عنه بجهله حتى يتحقق اكثاره ويتبين اصراره
فيهاجر عنه بعد ما ظهر اعذاره والله اعلم بحقائق القرآن ودقائق الفرقان هذا وقد افاد
الاستاذ انه لما فارق الخضر موسى عليهما السلام لم يرد ان يبقى في قلب موسى شبهة اعتراض
عليه فازال عن قلبه ذلك بما اوضح له من الحال وكشف السر لديه فبين ان قصده من خرق
السفينة سلامتها وبقاؤها لاهلها حيث لم يطمع فيها الملك الغاصب وبقاء السفينة
لاهلها حيث لم يطمع وهي معيبة كان خيرا لهم من سلامتها وتصير عنهم مغصوبة
وبين ان قتل الغلام فيما سبق به العلم ومضى من الله الحكم ان في بقاء الغلام فتنة
للوالدين وفي ابدال الخلف عنه سعادة لهما في الكونين واما تسوية الجدار فلاستيفاء

لكن الغلامين وترك طلب الرفع من الخلق على وجه الكتاب الاجرة فلموجب النفقة
بابتدا في جميل الكفاية من غير الكتاب رفق ثقة بالمقسوم على وجه الرعاية ثم بين الخضر
ان جميع فعله لم يكن من قبله بالاختيار والاستقلال ولا بتكلفه من حيث النظر والاستدلال
وانما ذلك بتعريف من الله من حيث الالهام واجرآء الحق عليه بما هو محفوظ من تعاطي
غير ما كان يجريه الحق اليه عليه السلام ويقال لما كانت السفينة قال اردت ان اعيبها
فاخبر عن نفسه بالانفراد بالارادة فيه مراعاة للادب فلما انتهى الى حديث الغلام المقتول
قال فاردنا لما كان فيه القتل والخلف فالقتل منه كسبا والخلف من الله فضلا فلما انتهى
الى حديث اليتيمين قال فاراد ربك ان يبلغا لانه لم يكن لكسبه فيه شيء اصلا ويسألونك
عن ذي القرنين يعني اسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذا سمي
ذا القرنين وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان لرأسه قرنان اي ضفيرتان
وقيل كان لتاجه قرنان وقيل من كمال شجاعته كان كالكبش الشجاع لانه ينطح اقرانه بقرنيه
واختلف في نبوته مع الاجماع على ايمانه وديانته والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا
او مشركوا مكة سألوه تعنتا وافتتانا قل سأتلوا عليكم منه ذكرا اي من ذي القرنين اذ من الله
سبحانه وهو الانسب بما بعده من تعظيم شانه وافاد الاستاد ان انزال الحق سبحانه
القرآن والقصص التي سألوا رسول الله عليه السلام كان له معجزة حيث عرفوا من احواله
بالضرورة انه لم يكن للكتب قارئا ولا للاخبار عنها سائلا ولا من احد لها مستمعا ثم كانوا
يعارضون ما يقول بالكتب المنزلة فيجدونها موافقة لها فعلم من انعم النظر في بابه ان
ذلك بتعريف سماوي وكان للرسول عليه السلام زيادة رتبة وسببا وجب له في كل وقت
سكون قلب وسلوة ويقال فرق ظاهر بين نبينا عليه السلام وبين موسى عليه السلام حيث
احاله على الخضر في زيادة ما احتاج اليه من العلم وبين حال نبينا عليه السلام حيث تولى
تعليمه بنفسه يعني حيث قال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقل رب
زدني علما ولعل وجه الفرق بينهما والله اعلم بها ان موسى عليه السلام كان مريدا مجذوبا ونبينا
عليه السلام كان مرادا محبوبا او لان موسى عليه السلام كان ممن يدعي العلم ويظهر الحكم ونبينا
عليه السلام كان يتواضع للحق ويعترف بالعجز عند الخلق كما يشير اليه قوله في الحديث لا احصي
ثناء عليك وقوله في التنزيل لا ادري ما يفعل بي ولا بكم ومن تواضع لله رفعه الله انا
مكنا له امره في الارض بالتصرف فيها كيف شاء وآتيناه من كل شيء اراده واقبل عليه
سببا وصلة توصله اليه وتسهله لديه من العلم والقدرة والآلة والقوة فاتبع سببا
اي فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يكون وسيلة وصوله اليه وذريعة حصوله لديه
وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف والتاء المخففة في المواضع الثلثة قال ابن عطا
اي جعلنا الدنيا طوع يده فاذا اراد طويت الارض فاذا احب انقلبت له الاعيان
واذا شاء مشى على الماء واذا هوى طار على الهواء وكذلك من خلص سريرته في حضرتنا

مكناه

مكناه من مملكته يتقلب فيها كيف يشاء فمن كان للملك كان الملك له وافاد الاستاد
ان ذا القرنين مكن في الارض جهرا يعني وكثير من الاولياء سترا وكان يطوى له الارض
اذا قطع اجوازها وسهل عليه ان يروح مشارقها ومغاربها ويحضر اقطارها ومناكبها ومن
كان في محل الامامة والاوليآء فالحق سبحانه يمكنه في المملكة ليحصل عندهم ما اراده من حصول
طعام وشراب او ماجرى مجراه وكذا من قطع مسافة واستتار عن ابصار وما في معناه
من تصديق مأمول وتحقيق مسئول واجابة دعاء وكشف بلاء وفوق ذلك تمكنه من
تحقيق همة له في امر ثم فوق ذلك من التمكين في ان يخص بهمتهم قوما بما شاؤا ويمنع
بهمتهم قوما عما يشاؤن فلهم من الحق تحقيق الى ان تصرفوا في المملكة بارادات وسوانح
وحادثات وفوق هذا التمكين في المملكة بايصال قوم الى منازل ومحال والله يحقق فيه
هممهم بكل حال حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي الموضع الذي تغرب عليه الشمس اخر من
معمورة الارض وجدها تغرب في عين حمئة ذات حمأة وهي طين اسود منتن
وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابوبكر حامية اي حارة ولا منافاة بينهما لاحتمال كون
العين جامعة لهما ووجد عندها عند تلك العين قوما كفارا ولعلهم كانوا من عبدة الشمس
لما توهموا ان لها انوارا وافاد الاستاد انه كما للشمس التي في السماء مطلعها شروق
وغروب فللشمس التي هي شموس التوحيد طلوع وغروب فطلوعها في اوقات غلبة العرفان
وتحقيق الشهود والبيان على مقادير اربابها في الزيادة والنقصان وغروب هذه الشموس
في ظلمات ليالي الغفلة باستتار انوار التجلي ورد العبد الى اوصاف التفرقة والتفاوت
الذي لاصحاب القلوب فيما يجدونه من اختلاف احوالهم تولي وترقي على تفاوت كثير
من الناس في منازل قلوبهم واختلاف اوصافهم قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اي بالقتل
على كفرهم وكفرانهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد الى ايمانهم واحسانهم ونداء الله
تعالى اياه ان كان نبيا فبوحي وان كان وليا فعلى لسان نبي قال اما من ظلم اي استمر على
ظلم نفسه بالكفر فسوف نعذبه اي انا واتباعي بما نقدر عليه قهرا في الدنيا ثم يرد الى ربه اي
الى حكمه فيعذبه عذابا نكرا في العقبى وفيه ايماء الى ان الظلم في كل عصر كان وخيما ومشربه
ذميما وان العدل والايمان طريقه قويما كما اشار بقوله واما من آمن وعمل صالحا وهو
ما يقتضيه كمال الايمان من مباشرة الاحسان فله في الدنيا والعقبى جزاء الحسنى مثوبة
فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي وحفص جزاء بالتنوين منصوبا على الحال اي فله المثوبة
الحسنى مجزيا بها بالوصف الاسنى وسنقول له من امرنا يسرا سهلا ميسرا لا صعبا منكرا وفي
الحديث يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا فاو للتخيير بين القتل على ضلالتهم وبين الدعوة
الى هدايتهم او للتقسيم اي فليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن
اصر على الطغيان والثاني لمن اظهر الايمان ثم اتبع سببا طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا
بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وجدها تطلع على قوم

لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء على الاساس وافاد الاستاد ان قوما كانوا هم
اهل مطلع الشمس الغالب عليهم طول نهارهم وآخرون كانوا من اهل مغرب الشمس الغالب عليهم
حال استتارهم كذلك الناس فى طلوع شموس التوحيد منهم من الغالب عليه طلوع شموسهم
فالحضور نعتهم والشهود وصفهم والتوحيد حقهم وآخرون لهم من شموس التوحيد الغيب
الاتم والقسط الاوفر كذلك اى امر ذى القرنين كما وصفناه فى رفعة المكان وبسطة
البرهان او امره فيهم كامره فى مقابليهم من التخيير او التقسيم بالالهام والتعليم وقد احطنا
بما لديه من العدد والعدد خبرا علما تعلق بظواهرها وسرائرها ثم اتبع سببا طريقا
ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين
السدين وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحفص بالفتح وهما الجبلان المبنى سده بينهما فى
منقطع ارض الترك وياجوج وماجوج وراءهما وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون
قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائى بضم اليآء وكسر القاف اى لا
يفهمون السامع كلامهم ولا يبينون له مرامهم قالوا اى مترجمهم وفى مصحف ابن مسعود
قال الذين من دونهم يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج وقرأ عاصم بالهمز فيهما وهما
قبيلتان من ولد يافث بن نوح مفسدون فى الارض اى فى ارضنا بالقتل والتخريب
قيل كانوا يخرجون فى الربيع فلا يتركون رطبا الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه فهل
نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائى خراجا على ان تجعل
بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا ويسد طرق ضررهم الينا وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وحفص بفتح السين قال ما مكنى وقرأ ابن كثير مكننى اى ما جعلنى فيه ربى من الملك
والمال خير مما تبذلون لى من الخراج ولا حاجة لى اليه فى الحال ولا فى المآل فاعينونى بقوة
اى بقوة فعلة من العمال او بما اتقوى به من آلات الاعمال اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا
حصينا وما نعا متينا آتونى زبر الحديد ناولونى قطعة او اعطونى زبره فان الاعطاء والاتية
من الاعانة بالقوة ويؤيد الاول قراءة ابى بكر ردما ايتونى بكسر التنوين لهمز الوصل
على معنى جيئونى حتى اذا ساوى بين الصدفين وقرأ ابن كثير وابو عمرو بضمتين وابو بكر
بضم فسكون اى بين جانبى الجبلين بتنضيدها قال للعملة انفخوا فى اكوار الحديد
حتى اذا جعله اى المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال آتونى افرغ عليه قطرا نحاسا
مذابا وفيه تنازع الفعلان فما اسطاعوا بحذف التاء للتخفيف حذرا من تلاقى
متقاربين وقرأ حمزة بالادغام ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وملاسته
وما استطاعوا له نقبا اى خرقا لثخنه وصلابته قال هذا السد والاقدار على هذا الصد
رحمة من ربى على عباده فاذا جاء وعد ربى وقت وعده بخروج ياجوج وماجوج
او بقيام الساعة بان شارف يوم القيمة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض
وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اى ارضا مستوية وكان وعد ربى حقا كائنا لا محالة وهذا

آخر القصة

آخر القصة وافاد الاستاد انهم ما كانوا يهتدون الا الى لسان انفسهم وما كانوا يفقهون
لغة غيرهم فقالوا بعباراتهم فى شرح قصتهم باشاراتهم ورفعوا اليه فى باب ياجوج وماجوج
مظلمتهم وضمنوا له خراجا يدفعونه اليه من جهتهم فاجابهم الى سؤالهم وتحقيق بغيتهم فى حسن
مآلهم ولم ياخذ منهم ما ضمنوا له من العمالة لما راى من الواجب عليه من حق الحماية ووجوب الرعاية
على حسب المكنة واستعان بهم فى الذى احتاج اليه من الآلة والقوة بقوله آتونى زبر الحديد
فلما فعلوا ما امرهم به ونفخوا فيه لما امر عليهم ان جعل بينهم السد ثم اخبر انه انما يبقى ذلك
الى ان ياذن الله لهم الخروج ويندفع عن الناس عادية شرهم الى الوقت المضروب لهم
فى التقدير فبعد ذلك يكون من شانهم ما يريد الله بهم وبين سبحانه ان خروجهم من وراء
سدهم من وراء سدهم اشراط الساعة وان بعدهم من قريب ينفخ فى الصور لقيام القيمة
كما قال تعالى وتركنا بعضهم اى بعض الخلق يموج فى بعض ويضطربون ويختلطون انسهم
وجنهم حيارى كانهم سكارى ونفخ فى الصور اى وقد نفخ فيه لقيام الساعة فجمعناهم جمعا
للحساب والجزاء فى الثواب والعقاب وعرضنا ابرزنا واظهرنا جهنم يومئذ للكافرين
عرضا اى غريبا وعجيبا كما اخبر عنه سبحانه بقوله اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها
تغيظا وزفيرا الذين كانت اعينهم اعين بصيرتهم فى غطاء غشاوة وغفلة عن ذكرى
عن النظر الى ما يذكرهم معرفة ذاتى وصفاتى من الآيات الكونية قال ابن عطاء اى اعين
انفسهم فى غطاء عن نظر الاعتبار واعين قلوبهم فى غطاء عن مشاهدة الاعيان
فى الملكوت فاذا فتح عين قلبه بالمشاهدة فتح عين راسه بنظر الاعتبار والمراقبة
المورثة للمجاهدة وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا الذكرى وكلامى من الآيات القرآنية
وفيه ايماء الى انهم كانوا عاجزين عن الوصول الى مقام المجتهدين فى امر الدين ليدركوا
المعارف والعوارف بعقولهم الواصلة الى مرتبة عين اليقين وعن الحصول فى رتبة
المريدين والمقلدين للمجتهدين فى درك الحقائق والدقائق الى منزلة علم اليقين وقيل
كانوا لا يستطيعون سمعا لان آذانهم مسدودة عن سماع الحق ومن لم ينفتح له من قلبه
سمع السماع كيف يسمع بظاهر سمعه وهو شبع لسمع قلبه وافاد الاستاد انهم نظروا باعين
رؤسهم لكنه فقدوا نظر القلب من حيث الاعتبار والاستدلال للتحقيق ولم يكن لهم
سمع الاجابة لما فقدوا من التوفيق فتوجه عليهم التكليف ولم يساعدهم التعريف
وكانوا لا يستطيعون سمعا لانهم فقدوا من قبله سبحانه الاسماع فلم يستطيعوا
سمع القبول مع حصول الاسماع افحسب الذين كفروا الاستفهام للانكار اى
اظنوا ان يتخذوا عبادى كالمسيح والملائكة من دونى اولياء معبودين ينفعونهم
او يشفعون لهم انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يهيا للنزيل اول ما يدخل
من الباب وفيه تهكم وتنبيه على ان ما وراءها من العذاب والحجاب ما يستحقر دونه
من العقاب قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا وفى جمع التمييز ايماء الى تنوع اعمالهم

اخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم
كالرهبانية فانهم خسروا الدنيا والآخرة وهم يحسبون غرورا وعجبا وتصنعا انهم
يحسنون صنعا ولا يبعد ان يكون المعنى ضاع سعيهم في تحصيل الدنيا من الجاه والمال
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا في حصول مراتب الكمال ووصول مناقب المآل
وقال ابو بكر الوراق هو الذي يبطل معروفه بالمنة وطلب الشكر على تلك الصنعة ويبطل
طاعاته بالريا والسمعة وافاد الاستاذ انه ضل سعيهم لانه عملوا لغيره وما كان لله فلا يضيع
لاجره ويقال هم الذين افسدوا اعمالهم بالريا والسمعة وضيعوا احوالهم
بالعجب والغرة وابطلوا انفاسهم بالملاحظة اولئك الذين كفروا بآيات ربهم المتلوة والدلائل
المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث كما هو حقه او لقاء عذابه فحبطت
اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا مقدارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم
لانحباطها اعتبارا وافاد الاستاذ انهم عموا عن شهود الحقيقة فبقوا في ظلم
الجحود والنكرة فتفرقت بهم الاوهام والظنون في اودية الحيرة ولم يكونوا على بصيرة
ولم تستقر قلوبهم على عقيدة مقطوع بها فليس لهم في الآخرة وزن وخطر
بسببها فاليوم هم كالانعام وغدا هم ساقطون كتراب الاقدام ذلك اى الامر
ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا اى بسبب ذلك وافاد الاستاذ
انهم اليوم في عقوبة الجحد وغدا في عقوبة الرد اليوم هم في ذل الفراق وغدا في الم الاحتراق
ان الذين آمنوا وواجلا وعملوا الصالحات الدالة على ايمانهم الكلا كانت لهم فيما سبق
من حكم الله عدلا ووعده اياهم فضلا جنات الفردوس نزلا والفردوس اعلى درجات
الجنة واصله البستان الذي يجمع الكرم والنخل ولعله يكون مختصا بمن جمع بين المعرفة
والعبادة وافاد الاستاذ ان لهم جنات معجلة سترا بستر وجنان مؤجلة جهرا بجهر اليوم
جنان الوصل وغدا جنان الفضل اليوم جنان العرفان وغدا جنان الرضوان قلت
كما قال تعالى مشيرا الى هذا التبيان ولمن خاف مقام ربه جنتان وقال ابو بكر الوراق من انزل
نفسه منزلة الصادقين انزل الله تعالى منزلة المقربين خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون
عنها حولا لا يطلبون تحولا عنها ولا انتقالا منها اذ لا يجدون حالا اطيب منها تنازعهم
انفسهم اليها قال ابن عطاء ينعمون بنعيم الابد يتقلبون في مجاورته ويفرحون برضائه
فامنوا من كل خوف ووصلوا الى كل محبوب فلا يشتهون شيئا الا وجدوا اليه سبيلا
فكيف يطلبون عنه تحويلا وافاد الاستاذ انه سبحانه عرفنا ان ما يجول له غدا من الانعام
يكون على وجه الدوام فكما لا ينفكون عن افضالهم لا يخرجون عن احوالهم فهم ابدا في الجنة
ولا اخراج منها ابدا لهم الرؤية ولا حجاب لهم عنها قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي
لمتعلقات علمه وحكمته او لمباني كلماته ومعاني آياته لنفد البحر اى جنسه باسره لان كل
جسم متناه في قدره قبل ان تنفد كلمات ربي فانها غير متناهية كعلمه وهو قراءة حمزة

والكسائي

والكسائي بالياء ولو جئنا بمثله اى بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة في عالم الوجود امدادا
ولعل معنى القبلية باعتبار كلمات العلمية محمولة على الحالة التصورية والمعنى ان النفاد متصور في
هذا دون ذلك وليس المراد انه يتصور نفاد لما هنالك واما باعتبار معاني الكلمات في خواطر المخلوقات
فالقبلية على بابها ولا اشكال في ايرادها وقد قال البيضاوي في التعليل لكن لا على وجه التكميل
فان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل
القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد غير المتناهي لا محالة انتهى كلامه ولكن
توجيه القبلية لا يفهم منه مراده وكذا فيما افاد الاستاذ بقوله اى لا ينفد معاني كلمات الله اى
بالنسبة الى علم الله لانه لا نهاية لها لان متعلقات الصفات القديمة لا نهاية لها كمعلومات
الحق سبحانه وتعالى ومقدوراته وسائر متعلقات صفات ذاته والذي هو مخلوق لا يستوفي
ما هو غير متناه وان كثر ذلك انتهى ومما يؤيد ما قررنا ويقوي ما حررنا سبب نزول هذه الآية حيث
قال اليهود في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا
فالمراد بالحكمة العلم بمعاني القرآن على قدر ما يتصور من الانسان وهو متناه في هذا الشان
ومع وجود كثرته قليل بالنسبة الى علمه سبحانه لان معلوماته غير متناهية عز شانه وعظم برهانه
قل انما انا بشر مثلكم لا ادعي الاحاطة بما هنالك يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت
عنكم بنحو ذلك وقال الاستاذ معناه اخبر انك مثلهم من حيث الصورة والجنسية ومباينهم من
حيث السيرة والخصوصية فانه سبحانه خصه بالنبوة والرسالة وترك غيره في بيداء الجهالة
والضلالة ويقال اى وانتم في الصورة اكفاء ووجه اختصاصي عنكم ايجاد فمن كان يرجو
لقاء ربه يأمل حسن لقائه ويخاف سوء جزائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الشرع ويقبله ابدا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه اجرا وعنه عليه السلام اتقوا الشرك
الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا وافاد الاستاذ ان حمل الرجاء في هذه الآية على
خوف العقوبة ورجاء المثوبة حسن ولكن ترك هذا على ظاهره اولى لان المؤمنين قاطبة
يرجون لقاء المولى فالعارف بالله سبحانه يرجو لقاء الله والنظر اليه والعمل الصالح الذي
بوجوده يصل الى لقائه لديه انما هو صبره على لواعج اشتياقه وزوابع احتراقه ويقال
العمل الصالح ههنا اعتقاد جواز الرؤية وانتظار وقتها للنظرة في الحضرة ويقال
فليخلص في عمله بان لا يلاحظ بغير الرضا في عبادته ولا يستكثر من طاعته بناء على غروره وغفلته
وليتبرأ من حوله وقوته اقول وليسأل سلامة قلبه في عاقبته بان يموت على حسن خاتمته

سورة مريم مكية وهي ثمان وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اى الذي يبتدئ به
كل امر كريم ويفتتح به كل مغلق عظيم ويطرد به كل شيطان رجيم ويبعد به كل خلق ذميم
وحال ذميم وصاحب لئيم وافاد الاستاذ ان بسم الله عزيز من عبده الف عبادة
ومن طلبه ودع وسادة ومن عرفه انكر احبابه ومن صحبه ترك اصحابه من ذكره نسي اسمه
من شهده فقد عقله وليه اسم عزيز جبلت القلوب على محبته ولكن لا كل قلب بل

كل قلب ليس يوقف على محبته فهو قلب ما اتصفت اشباح الابرار الا بعباده وما تلطفت
ارواح الاحرار الا على مشاهدته عز من عرفه وعز فيما ندرا وما وصفه كهيعص لعل في
الكاف اشارة الى كفاية مهمات اوليائه وكف شر طيات اعدائه وفي الهاء اباد الى
هويته وهيبته وهدايته وتنبيه على بدايته ونهايته وفي الياء الى يد قدرته وتصرفه بحوله وقوته
وفي العين الى كمال عنايته وتمام رعايته وحمايته وفي الصاد الى صدق كلامه وصدق الموصلين
عن فهم آياته وافاد الاستاذ تعريف الاحباب باسرار معاني الخطاب حروف خص الحق
سبحانه احباب بفهم معانيها فلا غيار سماعها وذكرها وللرسول عليه السلام فهمها وسرها
ويقال اشار بالكاف الى انه الكافي في الانعام والانتقام والرفع والوضع على ما سبق من
القضايا والاحكام ويقال في الكاف تعريف كرمه مع اوليائه وتخويف بمكره بخفي بلائه
ويقال في الكاف اشارة الى كتابته الرحمة على نفسه وفق مراده قبل كتابة اهل الكرة الزلة على
عباده والهاء تشير الى هداية المؤمنين الى عرفانه وتعريف هويته باستحقاق جلال سلطانه
وتعريف هبة المؤمن ماله عليه من الحق بحكم احسانه والياء اشارة الى يسر نعمه بعد عسر محنه
والى يده المبسوطة بالرحمة للمؤمنين من عباده والعين تشير الى علمه باحوال عبده سره وجهره
وقله وكثره وحاله وماله وقدر طاقته وحق فاقته وفي الصاد الى انه الصادق في وعده
قال ابراهيم بن شيبان اما الكاف كاف لخلقه والهاء لخلقه والياء يد الله على خلقه والعين
عالم باصلاح عبده والصاد صادق في وعده ذكر رحمت ربك خبر محذوف اي هذا المتلو عليك
ذكر رحمة ربك عبده مفعول رحمة زكريا بدل او بيان قال ابن عطاء خص زكريا بالرحمة
من بين الانبياء لانه وهب له يحيى الذي لم يعص ولم يهم بمعصية فهذا هو محل اختصاصه وكرامته
ورحمة زكريا اجابة دعوته اذ نادى ربه نداء خفيا لان الاخفاء اشد اخباتا واكثر
اخلاصا مع ان الجهر والاخفاء عنده سبحانه على السواء وافاد الاستاذ انه سبحانه انما اختار
الاخفاء في مقاله لئلا يطلع احد على سر حاله وخفي نداؤه عن الاجانب ممن هنالك ولو امكنه
ان يخفيه عن نفسه لفعل ذلك قال رب اني وهن العظم مني اي ضعف دعامة بدني وعمود
جسدي واشتعل الرأس شيبا اي ظهر الشيب على شعر الرأس الدال على ضعف اساسي والمشعر
الى حال الانتقال من داري ولم اكن بدعائك رب شقيا في جميع عمري فكيف في آخر امري بل كلما
دعوتك استجبت لي فكذا ارجو اجابة دعائي لحسن مآلي وتحسين حالي قال ابن كيف يشقى
من الله مرجعه واياه دعاؤه وبه قوته وقوته وعليه توكله ومنه تأييده ونصرته واني
خفت الموالي بني عمي من ورائي بعد موتي ان لا يحسنوا خلافتي على امتي ويبدلوا عليهم
ديني وملتي لظهور فسادهم عندي وكانت امرأتي عاقرا لا تلد صبيا فهب لي من لدنك
وليا واليا لامري من صلبي وقال ابن عطاء اي ولدا وليا يرثني النبوة ويرث من
آل يعقوب اخلاق الفتوة وقال ابو الحارث سؤال الانبياء لا يكون الا باذن من
الانباء وقد ابعد الاستاذ فيما افاد بقوله اني خفت ان تذهب النبوة من اهل بيتي

فتنقل

فتنقل الى بني اعمامي وهب لي ولدا يعبدك ويكون من نسلي والى يرثني ويرث
من آل يعقوب العلم والحال لان الانبياء لا يورثون المال والجملتان مرفوعتان على انهما
نعتان لقوله وليا وجزمهما ابو عمرو والكسائي على انهما جواب الدعاء واجعله رب رضيا
قولا وعملا وحالا ومالا او راضيا منك في تدبيرك وتقديرك قال ابن عطاء قام مقام
معتذر لما وجد في نفسه من فترة العبادة لكبر السن فسال الله من يعينه على عبادة
ربه وينوب عنه فيما عجز عنه من حقه فقال واجعله رب رضيا وافاد الاستاذ انه
لم يرد الولد لشهوة الدنيا واخذ الحظ منها وانما طلب الولد ليقوم بحق المولى
وفي قوله يرثني دليل على انه كما سال الولد سال بقاء ولده فقال ولدا يكون وارثا لي
اي يبقى بعدي ويرث من آل يعقوب النبوة وتبليغ الرسالة يا زكريا انا نبشرك
بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وتولي التسمية تشريفا مع الاشعار
الى ابقائه حتى يقوم بامر الدين واحيائه ويحيى نسب ابائه لم نجعل
له من قبل سميا مشاركا في اسمه ومساويا في وسمه ورسمه اذ لم يصدر عنه ارتكاب ذنبه
ولم يقع في همه وفي تفسير السلمي قال جنيد سمي يحيى لان يحيى من يحيى بالطاعة والموافقة ولا
يموت بالمعصية والمخالفة وكان هذا صفته ونعته ولم يجر عليه وسم الخلاف والنسيان
بحال بل كان محمود السيرة دائما في اقوال وافعال واحوال ولذا قال صلى الله عليه وسلم
ما من احد الا اخطأ او هم بخطيئة الا يحيى بن زكريا فانه ما اخطأ ولا هم قال رب
اني من اين او كيف يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا
يبوسة وقساوة في المفاصل المانعة من الولادة ولعل استعجابه من حيث العرف
والعادة والا فالمؤمن بكمال القدرة والارادة وافاد الاستاذ انه اراد به من الذي يكون
منه هذا الولد لي اهذه المرأة وهي عاقر او امرأة اخرى اتزوجها او مملوكة استفرشها فالسؤال
انما كان عن تعيين من يكون الولد منها وقيل ان بين السؤال وبين الاجابة مدة طويلة فكانه سال
الولد في ابتداء شيبه واستجيب دعوته بعد ما تناهى في كبره قال الله او الملك كذلك الامر قال ربك
هو علي هين او النفذ بمثل ذلك قال ربك ويؤيده انه قرئ وهو علي هين اي سهل
لدي وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا قال رب اجعل لي آية
علامة اعلم بها وقت وقوع ما بشرتني به قال آيتك الا تكلم الناس اي لا تطيق
كلامهم ثلث ليال بايامها الا رمزا سويا اي حال كونك سوي اللسان من غير
حدوث النقصان ولعله اراد به التجرد للذكر والتفرد للشكر في هذا الانعام والاحسان
فخرج على قومه من المحراب من الغرفة او المصلى فاوحى اوما اليهم ان سبحوا اي صلوا
او بان نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار وافاد الاستاذ انه عرفهم من طريق
الاشارة ان آلة الكلام التي كان يخاطبهم بها ليست الآن منطلقة يا يحيى اي فلما ولد له
خذ الكتاب التورية بقوة بجد واجتهاد وآتيناه الحكم صبيا يعني فهم التورية

او الحكمة او النبوة او الحكم بالصواب فى القول او احكام الامر فى الفعل قال ابن عطاء الحكم
المعرفة وقال بعضهم الحكم اصابة الحق فى الاقوال والافعال والاحوال وقال يوسف بن الحسين
اوتى يحيى حكما على الغيب وفراسة صادقة لا يخالطها ريب وحنانا من لدنا اى آتيناه
رحمة منا عليه او تعطفا فى قلبه على والديه وعلى من انقاد اليه وزكوة طهارة من وقوع
المعصية لديه وكان تقيا مطيعا وعن المخالفة نقيا معرضا عما سوانا مقبلا علينا وقال
الاستاذ اى آتيناه رحمة من عندنا وطهارة وتوفيقا لمجلوبات التقوى وتحقيقا لموهوباتها فان
التقوى على قسمين مجموع مجلوب يتوصل اليه العبد بتكلفه وموضوع منا نه سبحانه موهوب
يصل العبد اليه ببذله سبحانه وبفضله وبرا بوالديه اى مبالغا للبر بهما من القيام بحقوقهما
والتعبد عن عقوقهما ولم يكن جبارا متكبرا متجبرا على الخلق عصيا عاصيا للحق وسلام
عليه من الله يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به افراد الانسان ويوم يموت وقت نزعه
وشدة امره وحين دفنه ويوم يبعث حيا من قبره فى مواقف الاهوال وشدائد الاحوال
وافاد الاستاذ انه له امان يوم ولادته فى البداية ويوم وفاته فى النهاية وهوان يصونه عن
الزيغ والعوج فى العقيدة بان يشهد على الدوام من حقيقة الالهية وكذا له منه سبحانه
الامان فى القيمة فهو فى الدنيا معصوم عن الزلة محفوظ عن الآفة وفى الآخرة مصون
عن البلاء والمحنة واذكر فى الكتاب فى القرآن مريم قصتها اذ انتبذت اعتزلت
من اهلها وتبعدت عن محلها حين اتت مكانا شرقيا فى بيت المقدس مكان قرارها
او شرقى دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة فى امر العبادة ومدارها فاتخذت من
دونهم حجابا سترا او بابا فارسلنا اليها روحنا الاضافة للتشريف والمراد به جبريل فتمثل
تصور لها بشرا سويا قوى الخلق سوى الخلق وافاد الاستاذ انها اعتزلت منهم
لتحصيل تطهرها فاستترت من ابصارهم مبالغة فى تسترها فلما ابصرت جبريل فى صورة
انسان ولم تتوقعه فى ذلك المكان والزمان اوجست خيفة ولم يكن لها حيلة الا تحويفه
بالله ورجوعها الى الله قالت اى من غاية مخافتها ونهاية عفتها انى اعوذ بالرحمن اى
بالذى يرحمنى ويعصمنى منك ان كنت تقيا تتقى الله وتحتفل بمن يستعبد الى مولاه
واحذرك عقوبته ان عرفته او ان كنت ممن يحب ان يتقى منك بان يقصد صدور
سوء عنك قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا طاهرا نقيا والمعنى لاكون
سببا فى هبته لك بالنفخ فى جيب درعك ويجوز ان يكون حكاية لقوله سبحانه ويؤيده
قراءة نافع بخلاف عن قالون وابى عمرو بالياء بدل الهمز قالت انى يكون لى غلام ولم
يمسسنى بشر لم يباشرنى رجل بالحلال ولم اك بغيا اى زانية فى جميع الاحوال
قال كذلك قال ربك هو اى امر ولدك على اى عندى لا عند غيرى هين سهل بخلقك
ولنجعله اى ونفعل ذلك لنجعله آية للناس علامة لهم على قدرتنا ورحمة منا
باظهار منتنا ونعمتنا وكان اى امر ولدها امرا مقضيا تعلق به قضاؤه الله فى الازل

كسائر

كسائر الاحوال قال الابهرى برحمته انجى امما من الكفر وبرحمته اهلك امما فى ترك
الشكر قال تعالى ليس رحمة منا فتلك الرحمة اهلك الخلق حتى قالوا ثالث ثلثة وحتى قالت
اليهود ما قالوا فى طريق الملامة فحملته بان نفخ فى جيب درعها فدخلت النفخة فى جوفها
فانتبذت اى فاعتزلت به وهو فى بطنها مكانا قصيا بعيدا من اهلها فاجاءها المخاض
فالجاها وجع الولادة الى جذع النخلة لتستتر اليه وتعتمد عند الولادة عليه قالت
ياليتنى مت قبل هذا اى النفاس استحياء من الناس وكنت نسيا وقرا حفص بالفتح
اى ما من شانه ان ينسى فلحقارته منسيا متروك الذكر بالكلية فالجمع بينهما للمبالغة فى القضية
قال جعفر الصادق لما لم تر فى قومها موفقا سديدا ولا محققا رشيدا ولا صاحب فراسة
يبرئها من قولهم جيدا قالت ما قالت وافاد الاستاذ انه يحتمل انها قالت شفقة على
قومها ان يصيبهم عقوبة بسببها لانها علمت انهم يبسطون لسان الملامة فيها وينسبونها
الى وقوع الفحشاء منها ويقال قالت ياليتنى مت قبل هذا حتى لا اسمع ما قيل فى الله بسببى
من ان عيسى ابن الله وان مريم زوجته ويقال قالت يا ليتنى مت قبل هذا فى الوقت
الذى كنت مرزوقا بى ولم تستقبلنى هذه الخشونة فى الحال التى لحقتنى فناديها من تحتها
عيسى ولدها وقيل جبريل على ان معنى تحتها اسفل من مكانها وقيل الضمير فى تحتها للنخلة لا لها
وقرا نافع وحمزة والكسائى وحفص من تحتها بالكسر والجر على ان فى نادى ضميرا احدهما
ان لا تحزنى اى لا تحزنى او بان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روى
مرفوعا فهو فعيل من السريان بمعنى الجريان وقيل سيدا من السرو بمعنى الشرف وهو
عيسى والمقصود تسكين ما بها من الوحشة بالاشارة الى البشارة وهزى اليك بجذع
النخلة اى هزى الثمرة بهز الشجرة والهز للتحريك بالجذبة والدفعة تساقط عليك
اى تتساقط فادغمت التاء الثانية فى السين تخفيفا وحذف همزة احدى التائين
وقرا حفص تساقط من ساقطت مبالغة سقطت رطبا جنيا تمييز ولعله تعالى الهمها ذلك
البرهان من آياته ما هو تسكين لروعتها وبطعمها الرطب الذى به تهوين للنفساء وشهوتها قال الاكثر
وكان جذعا يابسا اخرج الله فى الوقت منه الثمرة وهى الرطب الجنى وكان فى ذلك آية ودلالة
لها بان الذى قدر على فعل مثل هذا قادر على خلق عيسى من غير اب يعنى ويكون براءة لساحتها فان
مثله لا يتصور لمن يظهر الفاحشة منها ويقال ما دامت مجردة بلا علاقة كان زكريا يجد رزقها
عندها من غير تكلف كدها فلما جاء علاقة الولد امرت بهز النخلة اليابسة وهى فى ضعف حالها
وزمان قرب وضع حملها ليعلم ان علاقة المحبة توجب العناء والمشقة ويقال لما لم يكن لها
فى هذه الحالة من يقوم بتعهدها تولى الله كفايتها وقام برعايتها ليعلم العالمون انه لا يضيع
خواص عباده فى حالة حاجتهم فكلى من الرطب الجنى واشربى من ماء السرى وقرى عينا
طيبى نفسا وادفعى عنك حزنا وافاد الاستاذ انه سبحانه كفاها ما احتاجت اليه
من اسباب كلها وشربها وانعم عليها بتسكين خوفها وتطييب قلبها فاكملها بالنهاية مهما

فاما ترين من البشر احدا اى فان ترى آدميا مخاطبا لك ومتعرضا لاحوالك فقولى
انى نذرت للرحمن صوما صمتا وقرئ به او صياما وكانوا يتكلمون فى صيامهم فلن اكلم
اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذرى واعلمتكم بخبرى وانما اناجى ربى فى امرى وامرها بذلك لكراهة
المجادلة مع العامة والاكتفاء بكلام عيسى فانه قاطع فى قطع اصحاب الطعن والملامة وقال
الاستاذ فاما ترين من البشر احدا فلا تخاطبيه بالعبارة وعرفيه بالاشارة انى نذرت
للرحمن صوما صمتا مع الخلق بترك المخاطبة والمحاورة اشتغالا بذكر الحق فاتت به مع ولدها
قومها راجعة اليهم تحمله حاملة اياه لديهم قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا فظيعا بديعا
يا اخت هرون هو رجل صالح وقيل طالح ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا
ذات بغى وفساد والاولاد غالبا يتبعون الطرفين فى الصلاح والسداد فمن اين لك
هذه الحالة الشنيعة والقضية الفظيعة فاشارت اليه الى عيسى ارادت كلموه ليجيبكم
وبالجواب الشافى يطيبكم قالوا كيف نكلم من كان صار فى المهد صبيا حال كونه طفلا
ولم يعهد من مثله الكلام اصلا وافاد الاستاذ انها فى الظاهر اشارت الى الولد وفى الباطن
الى الله الاحد لينطق الولد قال انى عبد الله اى من عبيده الخاص الواصل الى مقام
الاختصاص وانما انطقه الله به اولا لان العبودية اول مقامات الصوفية وللرد
على من يزعم له الربوبية وافاد الاستاذ انه سبحانه انطقه بقوله انى عبد الله ليكون حجة على
قومه فانه كان المعلوم منه انهم يقولون زعما انه ابن الله ونحوه فاجرى الله على لسانه
ليكون حجة فى برهانه فيقال لاتباعه ان صدق عيسى انه عبد الله بطل قولكم انه ثالث ثلاثة
وان كذب فالذى كذب لا يكون ابنا لله لا محالة وانما يكون عبد الله اذا لم يكن عبد
هواه ولا فى قيد شئ سواه فمن تحرر عن غيره فهو فى الحقيقة عبده اتانى الكتاب الانجيل
او معرفة التورية وجعلنى نبيا التعبير بلفظ الماضى اما باعتبار ما سبق فى قضائه او
بجعل المحقق وقوعه كالواقع فى عطائه وقيل اكمله الله عقلا واستنبأه طفلا واختاره
الاستاذ كما بينه بما افاد فى قوله اتانى فى سابق حكمه وجعلنى نبيا من فضله وفى الآية
رد على من يقول ان النبوة بكثرة الطاعة لانه تعالى قال ذلك فى حال ما ولد عيسى ولم
يوجد بعد منه العبادة واخبر عنه انه جعله نبيا وجعلنى مباركا نفاعا معلما للخير يرشد
الى امور دينهم ويمنعهم من ارتكاب اخلاق دينهم اين ما كنت حيث كنت وصرت
قال جنيد مباركا على من صحبنى وتبعنى فانى ادله على الاعراض عن الدنيا والاقبال
على العقبى والتوجه الى المولى وافاد الاستاذ انه كان من بركاته اغاثة الملهوف واعانة
الضعيف ونصرة المظلوم ومواساة الفقير وارشاد الضال والنصيحة للخلق فى
اظهار الحق بحسن الخلق وكف الاذى عنهم وتحمله منهم واوصانى بالصلوة وامرنى
بالصلوة المتضمنة للصلات والزكوة زكوة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل
وتحليتها بالفضائل قال ابن عطا امرنى بمواصلته وطهارة السر عما دونه بمقاطعته

مادمت

مادمت حيا لان المقصود من حيوة الدنيا هو عبادة المولى فالدنيا مزرعة
الاخرى وبرا بوالدتى اى وجعلنى مبالغا فى البر للوالدة ولم يجعلنى جبارا غير قابل
للنصيحة شقيا تاركا ما يجب عليه من الخدمة والشفقة وقيل الشقى من كتب عليه سوء الخاتمة
قال سهل جبارا اى جاهلا باحكام ربه شقيا متكبرا عن ارتكاب امره وقال ابن عطا الجبار
الذى لا ينصح الخلق بالموعظة والشقى الذى لا يقبل النصيحة والسلام اى سلام الله
والسلامة من الملامة على يوم ولدت اى فى بدء امرى ويوم اموت آخر عمرى واوسط
حالى ويوم ابعث حيا انتهاء مآلى وافاد الاستاذ ان السلام بمعنى السلامة اى السلامة
فى يوم الولادة مما نسب الى من تلك الحالة كمقالة النصارى فى مجاوزة الحد فى المدح وملامة
اليهود فى المذمة والسلامة يوم مماته حتى يكون بالسعادة وفاته وسلامته يوم بعثه من
رؤية الاهوال وما يبتلى به غير الوصال وقد قال عيسى عليه السلام على وقد قال تعالى لنبينا
عليه السلام السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته فشتان ما هما ذلك عيسى بن
مريم اى ذلك الذى تقدم هو امره وخبره لا ما مدحه او ذمه غيره قول الحق اى هو
القول الثابت امره والمتحقق قدره وقراء ابن عامر وعاصم بالنصب على انه
مصدر مؤكد اى قال القول الحق الذى فيه يمترون فى امره يشكون او يتنازعون
فزاده على اطلاقه قوم ونزله فوق استحقاقه قوم فعدلوا عن الحق العدل الذى هو التوسط
بوقوعهم فى طرفى الافراط والتفريط الا انه سبحانه اعرض عن كلام اليهود لظهور بطلانه
ووضوح برهانه وبين خطاء غلو بعض النصارى فى شانه بقوله ما كان ما صح لله
ان يتخذ من ولد سبحانه قال الاستاذ لا يجوز ان يكون له ولد على الحقيقة لان الواحد
والولد بعض الوالد ولانه لا داعى له الى صحبة زوجة فيكون له ولد ولا يجوز عليه التبنى
لاحد لعدم الجنسية بينهما انتهى وقد يقال لا يصح ان يكون له ولد حقيقة لانه يلزم ان
يكون محلا للحادث صفة وهو محال ولان الولد جزء من الوالد والله منزه عن ان يكون
مركبا ويصير كلا مرتبا ولا يصح ان يكون له زوجة لعدم الجنسية والكفوية ولوجود الصفة
الصمدية وهى الاستغناء عن البرية بالكلية ولعل هذا وجه امتناع اتخاذ الولد والتبنى
مبالغة للتنزيه فى القضية اذا قضى امرا اى اراده وقدر شيئا فانما يقول له كن فيكون
اى فيكون تحقق وجوده بامره من اثر جوده وقيل هو كناية عن سرعة تأثير الارادة وقرأ
ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب وان الله ربى وربكم من كلام عيسى عليه السلام وما بينهما جملة
معترضة لتبيين المرام وهو عطف على انى عبد الله وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بالفتح
اى واعلموا ان الله ربى وربكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئا ولا تخالفوه هذا
صراط مستقيم دين قويم يترتب عليه نعيم مقيم فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود
والنصارى باسرهم او فرق النصارى بخصوصهم فان النسطورية قالوا انه ابن الله
واليعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء والملكانية قالوا هو

عبد الله ورسوله فويل للذين كفروا اى منهم ومن غيرهم من مشهد يوم عظيم اى من شهود يوم
عظيم هوله وعذابه وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيمة وافاد الاستاذ ان من عجن بماء السعادة
طينته اطاع فى عاجله ثم ما اضاع فى آجله ومن اقصته القسمة السابقة لم تدنه الخدمة اللاحقة
وسببه وغلب هذا الامر حقيقة العاقبة وفى تفسير السلمى من اشتغل بالله استولى عليه انوار
مولاه فلا يستعبده سواه ولا يسترقه هواه ولا دنياه ولا عقباه اسمع بهم وابصر يوم
يأتوننا اى يحضرون يوم القيمة موقفنا وهما صيغة تعجب ومعناه ان اسماعهم وابصارهم
جدير بان يتعجب منهما فى العقبى بعد ما كانوا صما عميا فى الدنيا او معناه التهديد بما سيسمعون
ويبصرون يومئذ وهذا المعنى اولى من الاول فتأمل لقوله تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو
فى الآخرة اعمى لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين وافاد الاستاذ ان معارفهم تصير ضرورية
واحوالهم كلها معكوسة لكن الحجة تتأكد عليهم والحاجة لا تسمع منهم والرحمة لا تتعلق بهم
فلا يرحم شكواهم ولا يسمع نداهم وانذرهم يوم الحسرة حين يتحسر المسئ على كثرة عصيانه
والمحسن على قلة احسانه اذ قضى الامر بدل مما قبله اى فرغ حساب الابرار والفجار وتصادر
الفريقان الى الجنة والنار وهم فى غفلة الى الآن عن تصور ذلك الزمان وهم لا يؤمنون
حتى يشاهدوا بالعيان وافاد الاستاذ ان الساعة تقوم بهم بغتة وتصادفهم القيمة
فجاءة وهم غير مستعدين لها بالطاعة فيتحسرون على ما فاتهم من الموافقة وعلى ما اصابهم
من المخالفة ويقال سبق لقوم الشقاوة وهم فى نحو العدم ولا قوم السعادة وهم بنعت
القدم ولم يتقدم من هؤلاء وفاق ولا من اولئك شقاق انا نحن نرث الارض
ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعلى اهلها ملك ولا ملك والينا يرجعون يردون للجزاء
على اعمالهم بحسب اختلاف احوالهم وافاد الاستاذ ان المسلم اذا مات هان عليه امره اذا كان
ربه وارثه وقد قال مخلوق فى صفة مخلوق فان يك عتاب مضى لسبيله فما مات من بقى
من بقى له مثل خالد قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا لما ذا لان الله
وارثهم وهو حى لا يفنى قلت ويلايمه ما ورد عند موته صلى الله عليه وسلم على لسان الخضر
والملئكة تعزية لآله ان فى الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت وخلفا
من كل هالك فالى الله فانيبوا واليه فارغبوا ولله در من قال من ارباب الحال
لكل شئ اذا فارقته عوض وليس لله ان فارقت من عوض واذكر فى الكتاب
ابراهيم رئيس الموحدين ورئيس المجردين انه كان صديقا ملازما للصدق ومداوما
على التصديق على طريق المبالغة والتحقيق نبيا اى رسولا بمدد العناية والتوفيق وافاد
الاستاذ ان الصديق هو الذى لا يشهد غير الله مثبتا ولا نافيا ويقال هو المستجيب له
فيما يطالبه جملة وتفصيلا ويقال هو الواقف مع الحق فى عموم الاوقات على قدم الصدق
اذ قال لابيه يا ابت اى يا ابى والتاء عوض عن ياء الاضافة وانما يذكر للاستعطاف
واستجلاب الشفقة لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع مقالك ويرى استقبالك

ولا يغني

ولا يغنى عنك شيئا فى جلب نفع وسلب ضر دعاه الى الهدى وبين طريق الردى
وعرفه ان العبادة لا تحق الا لمن له الانعام العام والاستغناء التام عن جملة الانام
وهو الموصوف بنعت الكمال المستجمع لصفات الجمال والجلال ونبهه على ان الشئ ولو كان
حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على ما يستحق نفعا وضرا لكنه يكون ممكنا لاستنكف العقل
الصحيح والطبع الصريح عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالنبيين والملئكة لما يراه
مثله فى الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعا
اباه الى ان يتبعه ليهديه الصراط المستقيم والدين القويم لما لم يكن محفوظا من العلم
الالهى مستقلا بالنظر السوى فقال يا ابت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى
اهدك صراطا سويا ودينا قويا وافاد الاستاذ ان الآية دلت على ان استحقاق المعبود
الوصف بالسمع والبصر على الكمال دون نقصان له فى جميع مراتب الاحوال وكذلك القول
فى القدرة على الضر والنفع بالافعال واذا رجع العبد الى التحقيق ورافقه العناية بالهداية
والتوفيق علم ان كل الخلق لا يصلح قدرة واحد منهم للابداع لا باعتبار هيئة الافراد
ولا فى كيفية الاجتماع فمن علق قلبه بمخلوق من الكائنات او توهم شظية لهم من النفى
والاثبات فقد ضاهى عبدة الاصنام من اللات والمناة وفى الآية اشارة الى ان الخلاص
فى الاتباع لاهل الحق والهلاك فى الابتداع والقطوع فى مغاليط الطرق ولهذا امر اباه
باتباعه اياه لما ترجح عليه جانبه فى كون الحق معه وان كان اكبر سنا منه واسبق وجودا له
يا ابت لا تعبد الشيطان بقبول طاعته حين حصول وسوسته ان الشيطان كان
للرحمن عصيا والمطاوع للعاصى لا يكون الا عاصيا ولذا قيل اساس الاديان على هجران
ارباب العصيان وقد قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
يا ابت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن حال ارتكاب العصيان فتكون للشيطان
وليا قرينا فى اللعان او فى العذاب او موالياله فى مقام الحجاب فانه اشد العقاب
كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف اما للمجاملة او لخفاء العاقبة فى المعاملة
وافاد الاستاذ انه لم يغادر الخليل عليه السلام شيئا من الشفقة على والده لكن لم ينفعه
جميل وعظه ولم ينجع فيه كثير نصحه فان من اقصته سوابق التقدير لم يخلصه لواحق
التدبير قال اراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم قابل استعطافه ولطفه بالارشاد
بالفظاظة وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بنى ونحوه ثم اشار الى
تهديده بقوله لئن لم تنته عن مقالك فيها او الرغبة عنها لارجمنك بالحجارة حتى تبعد
منى فاحذرنى واهجرنى مليا زمانا طويلا قال سلام عليك توديع ومتاركة
ومقابلة للسيئة بالحسنة اى لا اقول لك بما يسوءك من قبلى ولكن سأستغفر لك
ربى اى اطلب لك تحقيق المغفرة المترتبة على توفيق الايمان والتوبة انه كان بى
حفيا بليغا فى البر واللطف حفيا قال ابو بكر الابهرى لما بدا منه كلام للجهلة من الدعوة

الى المهيبة والوعيد على ذلك ان خالفه بالخيبة جعل جوابه جواب الجهال كما فى كلام المتعال
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وافاد الاستاذ ان هذا قبل ان ايس من اجابته وكان بعد
فى بقية من الرجاء فى شانه فلما تحقق انه مختوم بالشقاوة فى عنوانه قال واعتزلكم وما تدعون
من دون الله بالمهاجرة بدينى لما يجلبه ويرضاه وادعوا ربى واعبده وحدى عسى ان لا اكون
بدعاء ربى شقيا خائبا ضايعا مثل حالكم فى دعاء الهتكم وفيه تنبيه على ان الاجابة والانابة
غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غائب قال القاسم من اراد السلامة فى الدنيا
والآخرة فى الامور الباطنة والاحوال الظاهرة فليعتزل قرناء السوء لئلا يقع فى الخاطرة
ذكره السلمى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق ولده
ويعقوب من الحفدة بدل من فارقهم من الكفرة كما افاد الاستاذ بقوله لما ايس من اهله
انسه الله بما بشره به من نسله وقال ابو محمد الجريرى ما ترك احد شيئا لله سبحانه الا عوضه تعالى
خيرا منه ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما ابناء الانبياء اولانه اراد ان يفرد اسمعيل بذكره
لفضله من حيث انه جد سيد الاصفياء وكلا منهما او منهم جعلنا نبيا ويؤيده قوله
ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والبركة وجعلنا لهم لسان صدق عليا ظاهرا يفتخر الناس
بهم ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لى لسان صدق فى الآخرين قال ابن عطاء
صدق الالسنة هى المعبرة عن الحق والصواب بجزيل انائه وجميل ابنائه والمذكرة
على الدوام لنعمائه وحسن بلائه واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا اخلص عبادته عن
الشرك والرياء والسمعة او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح
على ان المعنى اخلصه الله وهذا المقام اعلى واغلى فى رضاه وكان رسولا نبيا ارسله الله الى
الخلق فانباهم عن الحق ولذا قدم الرسول مع انه اخص فى مقام التكريم والاعم مستحق التقديم
او رعى الفاصلة او لان النبوة وهى جهة الولاية ونسبة اخذ الفيض من الحق اعلى فى
الرتبة من جهة الرسالة وتبليغ الاحكام الى الخلق وناديناه من جانب الطور الايمن
من ناحيته اليمنى من اليمين وهى التى على يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان
تمثل له الكلام من جهة ذلك المقام وقربناه تقريب التعظيم والتكريم شبهه بمن قربه
الملك للتكليم نجيا مناجيا حال من الفاعل او المفعول وافاد الاستاذ ان للنجوى
مزية على النداء فى بدايته وللنداء على النجوى وقت السماع فى نهايته فوقفه الحق وناداه
ثم قربه وناجاه وفى جميع الحالين تولاه ووهبنا له من رحمتنا من اجلها اخاه معاضدة
اخيه وموازرته فيما يعنيه اجابة لدعوته واجعل لى وزيرا من اهلى فانه كان اكبر من موسى
وهو مفعول لوهبنا وقوله هرون عطف بيان له نبيا حال منه ولعل الاقتصار على نعت
النبوة لكونه كان تابعا لموسى فى امر الرسالة واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق
الوعد وصدق الوعد لانه حفظ العهد وقد وعد الصبر على الذبح فصبر حتى جاءه
الفتح وكان رسولا نبيا فيه دلالة على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة

مستقلة فان اولاد ابراهيم عليه السلام كانوا على شريعته وتابعى ملته وطريقته وكان
يأمر اهله اهل بيته او جميع امته بالصلوة والزكوة بالعبادات البدنية والطاعات المالية
فانهما من اصول المهمات الدينية وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واحواله
وكان هذا اجمل صفاته واكمل خصاله واذكر فى الكتاب ادريس قيل لقب به لكثرة درسه
وهو سبط شيث وجد ابى نوح انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعنى شرف النبوة
وفضيلة القربة وعظيمة الرتبة وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة اولئك اشارة
الى المذكورين فى صدر السورة الذين انعم الله عليهم بجميع نعم الدينية والدنيوية لديهم
من النبيين بيان للموصول من ذرية آدم بدل منه وممن حملنا اى ومن ذرية من حملنا
مع نوح خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ولد سام بن نوح عليه السلام ومن
ذرية ابراهيم الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم اى ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب
وكان منهم موسى وهرون وداود وسليمان وزكريا وعيسى ويحيى وممن هدينا ومن جملة من
هديناه الى طريق الجنة واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا
وبكيا استيناف لبيان خشيتهم مع علو طبقتهم وكمال قربتهم وقد ورد اتلوا القرآن
وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وبكيا جمع باك فعول بمعنى فاعل وقرأ حمزة والكسائى بكسر الباء
انشا عالما بعدها ونعم ما قال ذو الحال • وما فى الدهر اشقى من محب • وان وجد الهوى حلو المذاق
تراه باكيا ابدا حزينا • لخوف تفرق او لاشتياق • فيبكى ان نأوا شوقا اليهم •
ويبكى ان دنوا خوف الفراق • وافاد الاستاذ انه سبحانه افاقهم بشواهد الجمع واخبر
ان صرف المنة كان لله فى تخصيصهم باحوالهم وتاليهم لما رقاهم من حسن
مآلهم وانه بفضله اختارهم واجتباهم وما البسهم من خصايص النعم ما اختصهم به من فنون قلوبهم
اذا تتلى عليهم آيات ربهم وسجود ظواهرهم يدل على سجود سرائرهم فحقق لهم من شواهد
الجمع امارة صحيحة ما وفقهم له من غير الفرق فبوصف التفرقة قاموا بحق آداب العبودية وبنعت
الجمع تحققوا بحقايق الربوبية انتهى وفيه تنبيه على ان مقام جمع الجمع انما هو مشاهدة
الكثرة فى عين الوحدة وملاحظة الوحدة فى عين الكثرة والقيام باداب حقوق
العبودية بحسب الظواهر والاشتغال بمراقبة الاحوال الناشئة عن شهود
النعوت الربوبية بحسب السرائر فكل جمع بلا تفرقة يؤدى الى ضلالة وزندقة فخلف
من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء فى الصفات اضاعوا الصلوة
التى هى ام العبادات بتركها او بقلة مراعاتها وتأخيرها عن اوقاتها واتبعوا
الشهوات اى المنهيات المحرمات والملهيات المانعة عن الكمالات فعن
على كرم الله وجهه اتبع الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور ولبس المشهور
فسوف يلقون غيا عن طريق الجنة او جزاء غيه فى الدنيا او فى الآخرة او هو واد
فى جهنم يستعيذ منها اودينها والمعنى كما افاد الاستاذ فسيلقون عن قريب

مايستوجبونه ويعاملون بما يستحقونه الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك
يدخلون الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر على البناء للمفعول من ادخل ولا يظلمون
شيئا اى لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم على حسب احوالهم وافاد الاستاد
انه تعالى استثنى من الحائدين عن الطريقة المثلى من ثبت على نهج الاستقامة والتجا
الى الاعتصام بالله على نهج الاستدامة فاولئك الذين تداركهم الرحمة الازلية ويسبقون
فى النعمة السرمدية جنات عدن بالنصب على المدح التى وعد الرحمن عباده بالغيب اى
وعدها اياهم وهى غائبة عنهم او هم غائبون عنها انه اى ان الله كان وعده موعوده الذى
هو الجنة مأتيا يأتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وافاد الاستاد انه سبحانه سيجز لهم
عداتهم فيوصلهم الى درجاتهم ويحقق لهم ما وعدهم من علو حالاتهم ثم قال انه كان وعده مأتيا
لان ما اتيته فقد اتاك وما اتاك فقد اتيته لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما
الا تسليما فى ذلك المقام وهو غاية المرام فهو من باب ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
او عند الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه لغوا فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام
وقيل الاستثناء منقطع اى لكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقص او الا تسليم
الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض منهم او تسليم ربهم وافاد الاستاد ان اذانهم
مصونة عن سماع الاغيار فلا يسمعون الا من الحق فان لم يكن ذلك فلا يسمعون
الا بالله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعم والمتوسطة بين الزهادة
والرغابة او المراد دوام رزقها كما قال تعالى اكلها دائم وظلها وافاد الاستاد انهم
كانوا يعدون من عنده طعام بكرة وعشيا من جملة الاغنياء لكون فقرائهم ان وجدوا
غداءهم عدموا فى الغالب عشاهم وان وجدوا عشاهم قل ما كانوا يجدون غداهم
والذى كان له معلوم الغداء والعشاء كان معدودا من الاغنياء فعبر عن احوال
الجنة ان لهم رزقا غداء وعشاء والمعنى انهم اغنياء والا فليس فى الجنة غدو ولا عشى
ويقال لهم ما يشتهون بمقدار الغدوة والعشى من الزمان فى الجنة ثم ان الارزاق تختلف
فيها فللاشباح رزق من مطعوم ومشروب وللارواح رزق من سماع وشهود وللكل على قدر
استحقاقه منها معلوم تلك الجنة التى نورث من عبادنا اى نعطى منهم من كان فى الدنيا
تقيا عن المعاصى تقيا وافاد الاستاد ان الجنة للاتقياء من العالمين معدة والرحمة
للعصاة من المسلمين مدخرة فالجنة لطف من الله والرحمة وصف لله وعبد بخصوصه
من كان اليوم فى قيد امره ثم قوم يتقون المخالفات وقوم يتقون الشبهات وآخرون
يتقون الغفلات وآخرون يتقون بشهود غيره فى الكائنات وما نتنزل الا بامر
ربك حكاية قول جبريل عليه السلام حين استبطأه رسول الله لما سئل عن قصة اصحاب
الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة
عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك واعتذر

عن ابطائه

عن ابطائه فيما هنالك بقوله وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا
وما بين ذلك من الامكنة والازمنة والمعنى لا ننتقل من مكان الى مكان ولا ننزل
فى زمان دون زمان الا بامره ومشيئته على مقتضى حكمته وما كان ربك نسيا تاركا لامرك
ولا لغيرك وافاد الاستاد ان الملائكة ابدا ينزلون باذن الحق سبحانه بعضهم بانجاء
المظلومين وبعضهم باغاثة الملهوفين وبعضهم بتدمير الجاحدين وبعضهم بنصرة المؤمنين
وبعضهم الى ما لا يحصى من امور الناس اجمعين وانه سبحانه لا يترك جاحدا ولا عابدا من
حفظ وتربية وانعام وامهال وافضال واكرام رب السموات والارض وما بينهما
فاعبده باستعانته واصطبر لعبادته على تحمل كلفته هل تعلم له سميا نظيرا وكفيا
او مثلا وشبيها يستحق ان يسمى الها واحدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم
الها لم يسموه الله ابدا كما يدل عليه قوله سبحانه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله ويشير اليه قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله وبهذا المعنى يتم مبنى
كلمة التوحيد على ما قرره اهل التأييد وذلك لظهور احديته فى صفاته وتعاليه ذاته عن المماثلة
له بمخلوقاته والجملة تقرير للامر والمعنى اذ صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره
لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على حكمه وفق ارادته ويقول
الانسان اى جنسه او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابى بن خلف فانه اخذ عظاما بالية
وقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ائذا وعن ابن ذكوان اذا ما مت لسوف
اخرج حيا من الارض اولا يذكر الانسان وقرأ نافع وابن عامر وعاصم يذكر من الذكر
بمعنى التفكر اى ايقول ما ذكر ولا يتذكر ولا يتفكر انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان
عدما صرفا فانه لو تأمل فيما هنالك لم يقل ذلك فان خلقه فى الابتداء اعجب من جمع
المواد بعد التفريق واعادة وحياة فى الانتهاء وافاد الاستاد انه سبحانه ابطل لهم كل دعوى
صدرت عنهم حيث ذكرهم نسبهم وكونهم من العدم فوربك لنحشرنهم والشياطين اى معهم
ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا سرورا وغبطة
وينال الاشقياء ادخروا المعاد لهم عدة ويزدادوا غيظا وحسرة من رجوع السعداء عنهم
الى دار الثواب وشماتتهم عليهم لبقائهم فى دار العقاب والحجاب جثيا على ركبهم لما يدهمهم
من هول المطلع ويدهشهم او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب
والعقاب ونظيره الآية الآتية وترى كل امة جاثية ثم لننزعن من كل شيعة امة شاعت ملة
ايهم على الرحمن عتيا اكثر عصيانا واكبر طغيانا فنطرحهم فيها بيانا وعيانا وافاد الاستاد
ان من تقدم اليوم عليهم فى الضلال والاضلال ضوعف غدا عليه العذاب والاغلال ثم لنحن
اعلم بالذين هم اولى بها صليا اى اولى بالصلى او صليهم اولى وافاد الاستاد ان من
كان فى عتوه اليوم اشد علوا ولا كان غدا ابعد من الله واشد عقوبة واذلالا وان
منكم ما منكم من احد ايها الانسان الا واردها واصلها او حاضر دونها او مار بجسرها

اشد صح

فانه ممدود على متنها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وينطرح فيها الظالمون وهي غائظة
كان ورودهم على ربك حتما مقضيا واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعده وعدا
من غير خلفه او حلف به من غير تصور حنثه واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن
عذابها لما ورد من ان بعض المؤمنين في الجنة يقولون اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار
فيقال لهم عبرتم وما شعرتم وفي حديث يقول النار جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي ثم ننجي
وقرأ الكسائي بالتخفيف اي نخلص او نبعد وننجي الذين اتقوا بحسب اتقائهم من سابق
ولاحق فيساقون الى الجنة ونعيمها ونذر الظالمين فيها جثيا كما كانوا مع زيادة حساس لهبها
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات المباني ظاهرات المعاني مع الايجاز المقرون بالاعجاز
قال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم او في حقهم اي الفريقين من المؤمنين والكافرين
خير مقاما وقرأ ابن كثير بالضم اي موضع اقامة واحسن نديا مجلسا ومجتمعا ومآبا او قوما ونفرا
واصحابا واحبابا والمعنى انهم لما سمعوا الآيات مع دلالتها على حقيقة الايمان بها وعجزوا عن
معارضتها والدخل عليها بمناقضتها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا وانواع
لذاتها والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم
على الحال وعدم تدبرهم في المآل ويقيسون العقبى بتقديرهم وقوعها على الدنيا وكم اهلكنا قبلهم
من قرن هم احسن اثاثا متاعا وتجرا ورئيا منظرا ومنظرا وقرأ قالون وابن ذكوان بادغام
ريا والمعنى ان هؤلاء سينخرطون في سلك من تقدمهم وسيلقون ما استوجب عليهم
فهم مغرورون بجاههم ومالهم في الدنيا الفانية وغافلون عن احوال معادهم ومآلهم في العقبى
الباقية وجاهلون بان تمتعهم بما لهم من صورة انعام استدراج وليس باكرام كما بينه بقوله قل من
كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فليمد له مددا في امره ومددا في عمره ويمهله في طول امله وسوء
عمله وافاد الاستاذ ان الله يمهل الكفار والفجار ليركنوا الى اباطيل افعالهم ويغتروا بسلامة
احوالهم فبيناهم في غفلة الامهال والاغترار بسلامة الاحوال اذ يغشاهم التقدير بصنوف
الاهوال حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب في الدنيا عاجلا واما الساعة اي ساعة
العقاب في العقبى آجلا فسيعلمون اي حينئذ من هو شر مكانا من الفريقين واضعف
جندا من الطائفتين بان عاينوا خلاف ما قدروه وعادما تمنوا به عكس ما صوروه
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى هداية ورعاية ينفعهم بداية ونهاية وفيه ايماء الى
ان تمتع الكافر وامهال الفاجر كما انه ليس بفضيلة كذا قصور حظ المؤمن ليس لنقصه بل لان
الله اراد به خيرا في تقليل ماله لتحصيل كماله وفي زيادة فضائله لتحسين شمائله واستحسان مآله وافاد
الاستاذ ان زيادة الهدى ان يصير علم يقينهم عين اليقين وعين يقينهم حق اليقين
والباقيات الصالحات الطاعات التي تبقى عائدتها وتستمر فائدتها في جميع الاوقات
والساعات خير عند ربك ثوابا وخير مردا مرجعا ومآبا مما تمتع به الكفرة والفجرة من
النعم الآن فانه الفانية لا سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الاليم

افرايت

افرايت الذي كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا اي في الدنيا او في العقبى على تقدير
وقوعها لزعمه انه انما اوتي ما اوتي من النعم في الدنيا لاستحقاقها وكونه من اهلها وقرأ حمزة
والكسائي ولدا بضم فسكون وهو جمع ولد كاسد في اسد او لغة فيه كعرب وعرب ولما
كان الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارايت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها للتعقيب
فالمعنى اخبر بقصة هذا الكافر المكابر عقب حديث اهل الانكار اطلع الغيب اقد بلغ من عظم
شانه وقوة سلطانه ان ارتقى الى علم الغيب الذي يختص بالرب ام اتخذ عند الرحمن
عهدا بان يعلمه المغيبات او يمنح عليه بجميع المرادات كلا ردع وزجر عن ذلك وتنبيه
على انه مخطئ فيما تصوره هنالك سنكتب ما يقول السين لمجرد التاكيد في ثبوت الوعيد
ونمد له من العذاب مدا اي نزيده من انواع العذاب زيادة ابدا ونرثه بموته ما يقول مفتخرا به
من ماله وولده ويأتينا في القيمة الصغرى او الكبرى فردا لا يصحب مالا ولا ولدا وقال الاستاذ
في بيان المراد افرايت الذي قابل آياتنا بالكفر بعد ظهور الحجة وقال بتمنيه من غير الحجة لاعطين
مالا وولدا ابري ان يكون لتمنيه تصديق والمقصود تحقيق اطلع الغيب من غير الريب فقال
ما قال بتعريف له منا ام اتخذ عهدا بذلك عندنا ان يكون له مالا وولدا اي ليس الامر كذلك
ابدا ودليل الخطاب يقتضي ان المؤمن اذا ظن بالله ظنا جميلا او امل منه شيئا جزيلا فالله
يحققه له ويصدق ظنه لانه على عهد من ربه وانه غير مخلف وعده قلت ويؤيده حديث
انا عند ظن عبدي بي ويقويه انه فسر بعضهم العهد بكلمة الشهادة والاعمال الصالحة واتخذوا من دون الله
آلهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون وصلة الى القربة او شفاعة عن الحرقة
كلا ردع ونفي عن حصوله اصلا سيكفرون اي جميع آلهتهم ويكونون عليهم ضدا بعبادتهم
ويتبرؤن عن طاعتهم لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا او سيكفر الكفرة تلك العبادة لما شهدوا
سوء العاقبة كما اخبر الله عنهم قولهم يوم الدين والله ربنا ما كنا مشركين ممن تعزز
بغير الله اذله الله وافاد الاستاذ انهم ما املوا نفعا لهم عاد ضرا عليهم ويقال
طلبوا العز من اماكن الذل فاخفقوا في المطلب وبعدوا عن المطلب الم تر انا ارسلنا
الشياطين على الكافرين اي سلطناهم عليهم حتى اتخذوهم اولياء او قيضنا لهم قرناء
تؤزهم ازا اي تهزهم هزا بان تغويهم وتغريهم على السيئات بالتسويلات وتحبيب
الشهوات واللهوات فهذا سبب عدولهم عن قبول الآيات ونفورهم عن الطاعات
والعبادات وافاد الاستاذ ان معناه تزعجهم ازعاجا فخاطر الشيطان يكون بازعاج
وعجلة وخاطر الحق يكون بسكون وراحة وهذا احد الدلائل الفارقة بينهما فلا تعجل عليهم
بانزال العذاب اليهم انما نعد لهم ايام آجالهم عدا قدرناه وفق احوالهم وهو ايام محصورة
وانفاس معدودة وافاد الاستاذ ان الانفاس معدودة في احكامها فما لم تستوف
لا نقصانا لها واذا انتهى الاجل فلا ينفع بعد حلوله الحيل وقيل نعد انفاسهم لا يزيد ولا ينقص
بالعلل يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذي عمت رحمته بهم والاختيار هذا الاسم

فی هذه السورة شان عظیم الصورة ولا یبعد انه لکونها مسوقة لتعداد النعم وازدیاد الرحمة
وشرح حال الشاکرین لها والکافرین بها وفدا وافدین علیه ومکرمین لدیه وملتجئین الیه وافاد
انه قیل رکبانا علی نجائب طاعاتهم وهم مختلفون بتفاوت حالاتهم فمن راکب علی صور عملهم
ومن راکب علی مراکب هممهم ومن راکب علی نجائب انوارهم ومن راکب علی مراکب اسرارهم
ومن محمول یحمله الحق فی عقباه کما یحمله الیوم فی دنیاه ولیس محمول الحق کمحمول الخلق ونسوق
المجرمین کما یساق البهائم الی جهنم هائمین وردا اعطاشا وقال الاستاد فهؤلاء
یساقون بوصف المغفرة وهؤلاء یساقون بنعت الذلة فیجمعهم فی السوق ولکن
یغایر بینهم فی معانیها فشتان ما هما انتهی ولعل الاستاد اخذ اشتراک السوق من
محل آخر وهو سورة الزمر حیث قال تعالی وسیق الذین کفروا الی جهنم زمرا والا ففی هذه
السورة تغایر بینهما فی العبارة بحسب الصورة حیث عبر عن المتقین بالحشر بمعنی الجمع
ایماء الی وصولهم الی مقام الجمعیة الموجبة للعزة وعن المجرمین بالسوق المشابه بسوق البهائم
اشارة الی انهم بوصف التفرقة المقتضیة للذلة فینبغی ان یحمل ما فی الزمر علی طریق
المشاکلة والمقابلة لا یملکون ای الخلائق اجمعون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا الا من اذن له الرحمن وقال صوابا او لا یملکون الشفاعة لاحد الا من اتخذ عند
الرحمن عهدا بالایمان او لا یشفعون لاحد الا من اتخذ عند الرحمن عهدا بالاحسان
کقوله تعالی ولا یشفعون الا لمن ارتضی ای اختیارهم الرحمن وافاد الاستاد ان ذلک العهد
حفظهم فی دنیاهم ما اخذ علیهم یوم المیثاق من القیام بالشهادة بوحدانیة
مولاهم وقالوا ای بعض الخلائق الممنوعین عن الحقائق بالعلائق والعوائق اتخذ الرحمن
ولدا لتعلق قلوبهم بالولد وغفلتهم عن معرفة الاحد الصمد لقد جئتم شیئا ادا منکرا
شدیدا والالتفات للمبالغة فی الذم بالجرأة علی الله فی هذه النسبة تکاد السموات
وقرا نافع والکسائی بالتذکیر یتفطرن منه یتشققن مرة بعد اخری من اجله وبسببه وقرا
ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بکر ینفطرن والاول ابلغ وتنشق الارض ای اجزاؤها
وتخر الجبال تسقط اجزاؤها هدا هدا ان دعوا لان ادعوا للرحمن ولدا وقال الاستاد
عظم بهتانهم فی قالتهم وکبرت جراءتهم فی قبیح حالتهم لکن الصمدیة متقدسة عن عائد
یعود الیها من زین بتوحید موحد او شین بالحاد ملحد فما شاهد الا وجوههم بما خاضوا
فیه من حالتهم وصاروا الیه من ضلالهم کما لم یتحقق بما قاله الآخرون الا قائله وما قبحه الا
علیه حاصله اجله وما ینبغی للرحمن ان یتخذ ولدا ای لا یصح له ولا یلیق به ان یتبنی احدا
لاستغنائه عنه بکونه صمدا ولا استقلاله بکونه صمدا ولا استقلاله بکونه فردا احدا ولدوام
بقائه ابدا سرمدا ولان کل ما عداه بالنسبة الیه نعمة او منعم علیه فلا یجانس من هو مبدأ
النعم کلها اصولها وفروعها واما حقیقة حصول الولد فمن المستحیل عند کل احد کما قال
تعالی لم یلد ولم یولد ولم یکن له کفوا احد وافاد الاستاد فی بیان المراد بقوله ان یوالد

وهو واحد

وهو واحد ای بالولادة ولا جنس له وجودا ولا جوازا ان کل من فی السموات والارض
الا آتی الرحمن عبدا مملوکا له یأوی الیه بالعبودیة وینقاد لدیه تحت تصرف الربوبیة لقد
احصیهم احاط بهم وحصرهم بحیث لا یشذ احد منهم عن حیاطة علمه وارادته
وحیازة قبضة قدرته وعدهم عدا عد اشخاصهم وافعالهم وانفاسهم فان کل شیء
عنده بمقدار ولا ینقص ابدا وافاد الاستاد انه لا یعزب عن علمه معلوم ولا ینفک عن
قدرته ما یصح ان یقال حدوثه موهوم وکلهم آتیه یوم القیمة فردا منفردا لا یصحب احدا
ولا مالا ولا ولدا وافاد الاستاد انه لا خدم یصحبهم ولا حشم یحجبهم کل بنفسه مشتغل وکلهم
عن غیره منفرد مستقل ان الذین آمنوا وعملوا الصالحات سیجعل لهم الرحمن
ودا سیحدث لهم فی القلوب مودة من غیر تعرض منهم لاسبابها ولا حصول
مناسبة بین اربابها ففی الصحیحین عن النبی علیه السلام اذا احب الله تعالی عبدا
یقول لجبریل علیه السلام احببت فلانا فاحبه فیحبه جبریل ثم ینادی فی السماء ان الله
تعالی قد احب فلانا فاحبوه فیحبه اهل السماء ثم یوضع المحبة فی الارض ای فی صلحاء
اهلها وافاد الاستاد ان المراد یجعل فی قلوبهم ود الله سبحانه وهو نتیجة اعمالهم الخالصة
وفی الخبر لا یزال عبدی یتقرب الی بالنوافل حتی یحبنی واحبه فانما یسرناه ای انزلناه
بلغتک او سهلناه ببیان سنتک لتبشر به المتقین الصائرین الی التقوی بالحالة
المستحسنة فی الدنیا والعقبی من جنة المأوی وزیادة الحسنی وتنذر به قوما لدا اشداء
الخصومة جحودا وعنادا وافاد الاستاد ان الکلام واحد والخطاب متحد وهو لقوم بشیر
ولآخرین نذیر فطوبی لمن بشر بما وفق له والویل لمن خوف بما خذله والقوم بین موفق
ومخذول ای وبین مردود ومقبول وکم اهلکنا قبلهم من قرن تشجیع لنبیه علی انذارهم
وتخویف لهم علی انکارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر منهم وتری لهم رمزا
او تسمع لهم رکزا صوتا خفیا فضلا عن ان یکون کلاما جلیا وافاد الاستاد انه سبحانه
انشأهم واحیاهم وعلی ما شاء فطرهم وابقاهم ثم بعد ذلک لما شاء اماتهم وافناهم فبادوا
جمیعهم وهلکوا عن آخرهم فلا کبیر منهم ولا صغیر ولا جلیل ولا حقیر وسیطالبون یوم الحشر
سورة طه مکیة والنشر بالنقیر والقطمیر وهی مائة واربع وثلثون آیة
بسم الله الرحمن الرحیم افاد الاستاد انه اسم عزیز من تحقق بجلال عزته تمحض
فی خلوص عبودیته فاذا وصل الی ضیاء صفوته نزل عن سماء نخوته عزیز من عرفه سمت
همته سقطت عن الدارین طلبته اسم من عرفه زال کربه طاب قلبه ودینه حسبه ربه
ربه حسبه عزیز من وسمه بعبودیته حرره عن رق شهوته واعتقه عن اسر مطالبته فلا یهتز
المحبوب بطلب ولا یستفزه لمحبوب هرب طه قیل معناهما یا طاهر یا هادی وقیل
طوبی لمن بک اهتدی وقیل طأها بهمزة ساکنة ابدلت الفا والهاء کنایة علی انه امر له
صلی الله علیه وسلم بان یطأ الارض بقدمیه فانه کان یقوم فی تهجده علی احدی رجلیه

ويناسبه في المعنى قوله ما انزلنا عليك القرآن لتشقى لتتعب بكثرة الرياضة في الدنيا بل لتنال
خدمة المولى والدرجات العلى في دار العقبى قال الواسطي سمي القرآن قرآنا لانه مقارن للمتكلم
لا يباينه كما يصل الينا شعاع الشمس ولم يباين القرص ولا يباينه وقال ابن عطاء في قوله
لتشقى اى لتتعب في خدمتنا فكان جوابه من النبي عليه السلام زيادة تعبد واجتهاد كانه
يقول وهل يتعب احد في خدمتك وانت محل استرواح اهل معرفتك فاما هذه الحركات
فهو القيام بشكر ما اهلتني له من قربك ومناجاتك وخدمتك والدنو من حضرتك الا ترى
انه عليه السلام لما قيل له اتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون
عبدا شكورا وافاد الاستاد ان الطاء اشارة الى طهارة قلبه عن غير الله والهاء اشارة
الى هداية قلبه الى مولاه ويقال طاء بسرك بساط القربة فانك لا تهدى الى غيرنا اى بالغيرة
والمحبة ويقال طوينا عن سرك ذكر غيرنا وهديناك بنا الينا اى الى خيرنا الا تذكرة لمن يخشى
اى لكن انزلناه تذكيرا وموعظة لمن في قلبه خشية ورقة قال جعفر القرآن تذكرة للمتحابين
ورحمة للمؤمنين وانس للمحبين وقال الاستاد اى ليس المقصود من انزالنا اليك
تعبك لديك وانما هذا استفتاح باب الوصلة فهؤلاء به يستبصرون فينالون راحة
النفس في آجلهم وهؤلاء به يتذكرون فيجدون روح الانس في عاجلهم تنزيلا نصب
على المدح ممن خلق الارض والسموات العلى جمع العليا تأنيث الاعلى وفيه تنبيه على
تفخيم شان المنزل باظهار تعظيم المنزل بذكر صفاته وافعاله في مكنوناته من سفلياته
وعلوياته وقدم الارض لانه اقرب في نظر الحس من سمواته وافاد الاستاد انه سبحانه
جعل الارض قرار العباد في عامة بلاده ونفوس العابدين ارضا وقرارا لعطاء عنهم
وقلوب العارفين قرار المعرفة منهم اقول ولعله جعل السماء محل ارواحهم كما جعل الارض
مكان اشباحهم ايماء الى ان الانسان ما بين الى اعلى عليين وبين التنزل الى اسفل
سافلين الرحمن على العرش استوى اى استوى ملكه على عرشه ومعظم خلقه ومنزل
ظهور تدبيره ووضوح تقديره حسبما تقتضيه حكمته وتعلقت به مشيئته قال ابن عطاء
استوى اظهار القدرة لا مكانا لذاته يعني لاستغنائه وعزته وقال فارس ليس على
الكون من الله اثر ولا على الله من الكون اثر اى ولا خبر وسئل انس بن مالك كيف استوى
فقال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به فريضة والسؤال عنه بدعة
كذا في حقائق السلمي وافاد الاستاد ان عرش السماء قبلة دعاء الخلق وعرش القلب
محل نظر الحق فشتان بين العرش وبين عرش انتهى ويؤيده ما ورد لا يسعني ارضي
ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن له ما في السموات وما في الارض وما
بينهما وما تحت الثرى ملكا وملكا يدل بذلك على كمال قدرته وجمال ارادته ولما كانت
القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم والاحاطة عقب ذلك باحصاء علمه لجليات
الامور وخفياتها وكلياتها وجزئياتها فقال وان تجهر بالقول فاعلم انه غني عن جهرك

فانه يعلم

فانه يعلم السر فضلا عن الجهر واخفى من سرك وهو ما خطر لك من حالك ثم ذهب عن حسك
وخيالك قال الواسطي السر ما خفي على العباد والذي هو اخفى ما لم يقل لكن انتهى نفيه ايماء
الى انه عالم بالموجودات والمعدومات سواء يكون من الممكنات او المحالات وافاد الاستاد
ان النفس ما يقف على ما في القلب من الانوار والقلب لا يقف على ما في الروح من الاسرار
والروح لا سبيل له الى حقايق السر والذي هو اخفى من السر فما لا يطلع عليه الا الحق ويقال
الذي هو اخفى من السر لا يفسده الشيطان ولا يكتبه الملكان ويستأثر بعلم الجبار ولا يقف
عليه الاغيار الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسمائه تعالى
على سائر الاسماء في الحسن لصياغتها عن مبان هي الطف المباني ولدلالتها على
معان هي اشرف المعاني وهل اتاك حديث موسى عقب تمهيد نبوته قصة موسى
وغصته تحنو لما تم به نبينا صلى الله عليه وسلم في تحمل اعباء نبوته والصبر على
مقاساة شدائدها منه وافاد الاستاد ان هذا سؤال في صيغة الاستفهام والمراد منه
التقرير واثبات المرام انتهى ولذا قيل المعنى وقد اتاك حديث موسى اذ رأى نارا قيل
استأذن شعيبا في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه طور سينا ولد له
ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة والارض مسبعة وكانت ليلة الجمعة وقد خفيت جادته
وتفرقت ماشيته اذ رأى النور من جانب الطور وظن كونه نارا فقال لاهله امكثوا مكانكم
واغتنموا زمانكم انى آنست نارا ابصرتها ابصارا لعلي آتيكم منها بقبس بشعلة على
حطب وخرقة او بجمرة تستدفئون منها وتستدفئون بها او اجد على النار اى عندها
هدى هاديا يدلني على الطريق فانه كان غاويا في مقام الاستغراق ناديا وناجيا
وافاد الاستاد انه سبحانه الاح له النار حتى اخرجه من اهله بطلبها وكان المقصود
اخراجه من بينهم لتجلي نور ربها فكان بدو موسى والنار شاي وفي القصة انه لما اتاها وجد
شجرة تشتعل من اولها الى آخرها موسى حشائش تأخذ من تلك النار فلم تأخذها فعرف
ان هذه النار لا تسمح نفسها بان تعطي لاحد شعلة منها كما قيل • وقلن لنا نحن الاهلة انما
نضيء لمن يسري بليل ولا نقري ▪ يا موسى هذه النار تضيء ولكن شعلة منها لاحد
لا تعطي يا موسى هذه النار تحرق القلوب لا النفوس ويقال كان موسى في مزاولة
ملتبس من النار وكان يقال كيف يأخذ شيئا منها ليشفع بها مع اهلها فيما هو في حالة
من القلق اذ سمع النداء المطلق من جانب الحق كما قال تعالى فلما اتيها نودي يا موسى
قائلا اني انا ربك وفتحه ابن كثير وابو عمرو اى باني قيل لما اتى النار وجد نارا بيضاء تتقد
في شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها لا حرارة النار تضر الخضرة ولا رطوبة الخضرة تضرها
وفيه اشارة الى مرتبة جمع الجمع حيث لا تحجب الكثرة الوحدة تحجب الكثرة ثم لما نودي
قال من المتكلم قال اني انا ربك فوسوس اليه ابليس على جهة التلبيس لعلك تسمع كلام
جني فقال عرفت انه كلام الله باني اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه

عليه السلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك
فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة وتوضيحه على وجه ليظهر توجيهه ان قوة ادراك
كل حس من حواس الخمس بعالم من العوالم المخصوصة بمقتضى كمال الملكة جعل قوة الحس المشترك في
ساحة دماغ الانسان منتصبه وجعل رئيس سائر الحواس مشتركا مع كل حاسة بما اعطى من القوة
الخاصة ليكون حاويا للاخبار وجامعا للاسرار جلة ودفعة وبيانه ان لون الماء انما يدركه البصر
وصوته يدركه السمع وريحه يدركه الشم وطعمه يدركه الذوق وحره وبرده يدركه اللمس والحس المشترك
يدرك جميعها كذا حققه السيد الهمداني وحاصله انه عليه السلام بجميع اجزائه صار سمعا حتى سمع
كلام ربه ولذا روي انه كلما بعدا ودنى لم يختلف ما كان سمع من النداء كما ان نبينا صلى الله عليه
وسلم صار بجميع اجزائه بصرا حتى رأى ربه في مقام دنا وليس الخبر كالمعاينة كما ورد في الرواية وافاد
الاستاد انه انما علم موسى عليه السلام انه كلام الحق سبحانه بانه لا يسمع فيه الترتيب والنظم والتركيب
ويقال انما عرف موسى انه كلام الله تعالى بتعريف خصه الحق سبحانه به من بين الخلق من جهة الالهام
الرباني دون نوع من الاستدلال البرهاني فاخلع نعليك امره بذلك لان الحفوة تواضع
وادب بما يقتضي هنالك ولذلك طاف السلف حافين او ليتلطخ نعليه بخبث فانهما
كانتا من جلد حمار غير مدبوغ كما ورد في حديث وقيل ليتبرك الوادي بقدميه متبركا بمس
رجليه وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال ليتم لك حال الكمال وفيه ايماء الى نفي
الاثنينية وثبوت الوحدة اليقينية وقال ابن عطا اعرض بقلبك عن الكونين فلا
تنظر اليهما بعد هذا الخطاب الذي ذكره السلمي وفيه ايماء الى ما قيل خطوتين وقد وصلت
واجل من هذا المقال في مقام الاجمال ما قال بعض ارباب الحال دع نفسك وتعال
وافاد الاستاد ان معنى اخلع نعليك تخلّ عن نوعي افعالك وامتنع عن شهود جنسي
احوالك من قرب وبعد ووصل وفصل وارتياح واجتياح وبقاء وفناء وكن دائما
بوصفنا قائما لحقنا والمثبت في احواله وصفاته متى يكون كالمجرد عن جملة المصطلم
عن شهوده الغائب عن وجوده ويقال اخلع نعليك والق عصاك واقم عندنا هذه
الليلة ولا تبرح لما هناك انتهى وقال بعضهم سمع موسى كلام الحق بما لا يشبه كلام الخلق
فلما سمع ذلك الخطاب واستلذ بذلك الباب واخذ عن التمييز في الحساب رده
الحق الى الخلق ليسكن ما به ويرجع الى حاله في خطابه انك بالواد المقدس المنزه من ان
يداس بنعل طاهرا ونجس او المطهر عن شهود الغير من جنس وانس والمطهر لوجود
الانس طوى عطف بيان للوادي ومنع للعلمية وتانيث البقعة ونونه ابن
عامر والكوفيون بتاويل المكان وافاد الاستاد انك بالواد المقدس عن الاغلال
اي في الاعمال والاحوال وساحات المتعدية تجل عن كل شين وزين من زين بايمان
وشين بكفران وزين باحسان وشين بعصيان كلا انها ربوبية سطوات
عزها تقهر كل مسبوق في كل تصفية انتهى وقيل في ذلك طوى اطو عنك بساط المخالفة

لمن حل في هذا الوادي ووطئه طوى عن قلبه ما لا يكون مقدسا من حبه وانا اخترتك اصطفيتك
على الناس بالرسالة والتكليم وقرأ حمزة وانا اخترناك بصيغة التعظيم والتكريم فاستمع
لما يوحى اليك ويلقى عليك ويملى لديك انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني بيان لما يوحى
واشعار بانه مقصور على تقرير التوحيد الذي هو منتهى العلم والامر بالعبادة التي هي كمال
العمل واقم الصلوة لذكري خصها بالذكر وافردها بالامر للحكمة التي اناط بها فانها المفيدة
ادامتها وهو تذكر المعبود وشكره وشغل القلب واللسان والاركان بذكره او لذكري خاصة
من غير شائبة تذكر غيري عامة وقال الاستاد اي على علم مني بك اصطفيتك وجردتك
عن كل نعت هو فيك بك ونقيتك عن دنس اوهام كل ما يباينك ويقال بعد ما
اخترتك فانت بي وانت لي وانت محو عنك في قيامي وقوله اني انا الله اي تقدست
عن الاغلال في ازالي وتنزهت عما يجوز على الامثال والاشكال واستحقاقي لجلالي وجمالي
ويقال الاغيار في وجودي فقد والرسوم والاطلال عند ثبوت حقي محو وقوله فاعبدني
اي تذلل لحكمي وانقد لامري واخضع لجبروت سلطاني ثم اقامة الصلوة من غير ملاحظة
مجريها ومنشيها تورث الاعجاب وهو مما يوجب الحجاب ويقتضي العقاب
واذا قام العبد صلاته على نعت الشهود والتحقق بان مجريها غيره في الوجود كانت الصلوة
لهذا فتح باب المواصلة والوقوف في محل التجويز والتحقق بخصايص القرب والوصلة
والزلفة ان الساعة العظيمة آتية كائنة لا محالة فكن متهيئا لها في كل حالة لما ورد الدنيا
ساعة فاجعلها طاعة والدنيا مزرعة الآخرة اكاد اخفيها اقرب ان اخفيها فلا اقول
انها آتية بما فيها ولولا ما في الاخبار من اللطف والاعذار لما اخبرت بها واخفيت لانها
لانها من جملة الاسرار او اكاد اخفيها عن نفسي كما قرئ بها اي لو كان ممكنا اخفاؤها وفي المجمع
اظهر اتيانها واخفي زمانها لتجزى كل نفس بما تسعى وافاد الاستاد ان الفائدة في
تعريف العباد قرب الساعة ليستفيقوا عن غفلات التفرقة في الطاعة فاذا حضروا
بقلوبهم ففي حال استدامة الذكر ما هو موعود في الآجل اكثر الحاضرين موجود في العاجل
فالحاضرة لهم كالآخرة ولذا جعلوا من امارات الاستقامة شهود الوقت قيامه فلا
يصدنك عنها اي لا يمنعك عن تصديق الساعة او تحقيق الطاعة من لا يؤمن بها
ويغفل عن قيامها وعن الاهتمام بامرها واتبع هواه اتبع ميل نفسه الى اللذات وحرك
خدمة مولاه بتحسين الطاعات فتردى فتهلك وتغوى وتطرح في مقام الردى وافاد
الاستاد انه اذا اكرم الله عبدا لحسن التنبيه في عالم الوجود واحضره بنعت الشهود فلا ينبغي
ان ينزل عن سماء صفاته المؤدية الى الجنة والحضرة والقربة الى جحيم اهل الغفلة ومنزلة
ارباب الحرقة ومرتبة مطروحهم في اودية الفرقة وما تلك بيمينك يا موسى استفهام صورة
واعلام بما يريه فيها معجزة قال هي عصاي اتوكأ عليها اعتمد عليها واستند اليها واتقوى
بها واهش بها على غنمي اخبط بها الورق على رؤس غنمي ولي فيها مآرب اخرى

حاجات آخر معلومة عند اهلها منها وقد افاد الاستاذ انها تدفع عنى عدوى وتحرس عنى
وتشفعنى زمان وجدى وتعين لى بالليل اذا اظلم على واذا اعييت فى الطريق اركبها فتحملنى
واعظم مآربها انك قلت لى بسببها وما تلك بيمينك يا موسى ويقال انما قال تعالى
ذلك لانه عليه السلام صحبته هيبة المقام عند مفاجأة سماع الكلام فسكن بعض ما كان به
من بوادة الاجلال بان رده الى سماع ذكر تلك العصا بسبب ذلك السؤال والى ابرائه
ما فيها من الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة ويقال لما باسطه الحق بسماع كلامه اخذته
اريحية الخطاب فاجابه عما سئل وعما لم يسأل بطريق الاطناب ويقال جميع ما عد من المنافع
فى العصى كان من قبل الله تعالى فكيف جاز له ان ينسبها ويضيفها الى نفسه ولقد قالوا
منك يهدى انتهى كلام الاستاذ وفى تفسير السلمى قال ابن عطا انفرد الله تعالى بعلوم
الغيب جميعها فللخلق من الاشياء ظواهرها وعند الله حقيقتها وسرائرها فقال وما
تلك بيمينك يا موسى ليعرفه بذلك مقدار علمه وان حقايق العلوم مخفية برتبة فقال
عصاى فقال له بل محل لاظهار قدرتنا فيه وقال جنيد فى قوله عصاى اتوكؤ عليها
قال له الحق كلما تعتمد عليك قلبك وتسكن اليه نفسك فان الكل محل العلل وان
كل ما تسكن اليه ستهرب عن قليل عنه وعما لديه قال القها يا موسى فالقاها فاذا
هى حية تسعى قيل انقلبت حية صفراء غلظ العصا فلذلك سماها جانا باعتبار
المبدا ثم تورمت وعظمت فسماها ثعبانا باعتبار المنتهى وافاد الاستاذ انه لا عبرة بما يوهم
ظواهر الاشياء من الامور المركبة والاجزاء فقد يوهم الشى بظاهره ما سيبدو فى المستقبل
بخلافه ارى موسى عصاه ثم كان المقصود اية ومعجزة لا محنة وفتنة قال خذها ولا تخف
فانه لما رآها حية تسرع والحجر والشجر تبتلع فخاف عنها وهرب منها وقد قيل كان بين لحييها
اربعون ذراعا فلما ملك رأى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع ما يملك البشر عن
الاهوال والمخاوف قال ابن عطاء فى قوله عصاى اضافها بالملك الى نفسه ولم يكن له
فى الحقيقة ان يرى لنفسه ملكا وهو بين يدى الحق فلما اضافها الى نفسه قال القها فالقاها
فاذا هى حية تسعى تخاف وتبرأ من اضافتها ملكا الى نفسه فتعطف الحق عليه فقال خذها
ولا تخف فلا تهرب مما ادعيت فيه الملك فانها لن تضرك قال الواسطى فى قوله القها
يا موسى اطرح عن نفسك السكون الى العصا والاعتماد عليها والركون اليها وعد المنافع
فيها فلما القى وخلى سره منها قال خذها لا زمها على شرط ان تراها النافع والضار لا الاسباب
والاغيار سنعيدها سيرتها الاولى هيأتها وحالتها المتقدمة قيل لما قال له ذلك لانت
نفسه هنالك حتى ادخل يده فى فمها واخذ بلحييها وفى تفسير السلمى قيل الحكمة فى انقلاب
العصا حية فى وقت الكلام انه جعل آية ومعجزة لموسى عليه السلام ولو القاها بين يدى فرعون
ولم يشاهد منه قبل ذلك لشهد لمن ظهور آيتها لهرب منها كما هرب فرعون حين دهشته
رؤيتها وقال الواسطى خوف موسى من العصا انه شاهد اثر سخطه فيها فلم تأمن مكر

انتهى وقد جاء

انتهى وقد جاء فى دعاء بعض العلماء الالهى اللهم ارنا الاشياء كما هى وافاد الاستاذ
انه سبحانه استشهد بانقلاب العصا من حال الى حال مرة عصا ومرة ثعبانا ثم بعد ذلك
عصا انه يثبت عباده فى حالة التلوين مرة ومرة فمن اخذ ومن رد ومن جمع ومن فرق واضمم
يدك الى جناحك اى جنبك تحت عضدك تخرج بيضاء من غير سوء عاهة وعابة وهو
كناية عن البرص كالكناية بالسوأة عن العورة ولم يصرح باسمه لان الطباع تكرهه وتنفر عن
اسمه آية اخرى معجزة ثانية بينهما غاية المباينة فهما بمنزلة تعدد البينة لتاكد ثبوت الحجة
ووضوح المحجة وقد افاد الاستاذ انه سبحانه كما اراه اية من خارج عن بدنه وهى العصا
اراه آية من نفسه وهو قلب يده بيضاء اذا ادخلها فى جيبه من غير برص لها قال تعالى
سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق قيل وانما قال فى جيبك
ولم يقل فى كمك اذ لم يكن للباسه كم لنريك من آياتنا الكبرى افاد الاستاذ ان الآية الكبرى
هى ما كان يجده فى نفسه من الشهود والوجد شوقا وما لا يكون بتكلف العبد وتصرفه من
فنون الاحوال التى يدركها صاحبها ذوقا اذهب بهاتين الآيتين الى فرعون
وادعه الى العبادة على وفق العبودية انه طغى تكبر وعصى فى دعوى الربوبية وفيه
تنبيه على ان النبوة قبل الرسالة وان التكميل بعد كمال الولاية ولم يقدر فيه
السراية بالهداية وافاد الاستاذ انه سبحانه بعد ما اسمعه بلا واسطة كلامه وشرف
مقامه واوجب اكرامه واتم مرامه امره بالذهاب لدعائه الى الله مع علمه تعالى بانه لا يؤمن
ولا يجيب ولا يسمع ولا غرو ان يشق على موسى ذهابه الى فرعون وسماع جحده منه
بعد ما سمع من الله كلامه ولكنه آثر امره سبحانه على مراد نفسه وحظ شانه ويقال
لما امره بالذهاب الى فرعون سال الله اهبة التكلف وما يتم به تبليغ ما حمل من الرسالة
وذلك قوله قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى يعنى لما امره سبحانه بامر عظيم
وخطب جسيم ساله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه
وبلائه ويسهل امره بايجاد اسباب حصوله ورفع الموانع عن ابواب وصوله
وزيادة لى تاكيد للمبالغة فى الخصوصية واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى
كلامى وقت بيانى فانه يحسن التبليغ من البليغ وفى تفسير السلمى رب اشرح لى
صدرى حتى لا اشاهد غيرك ويسر لى امرى حتى لا انطق الا بمعرفتك واحلل عقدة
الانسانية من لسانى حتى لا اتكلم الا بما تلقنه منك قال ابن عطا اراد به العقدة
النفسانية وقال ايضا اشرح لى صدرى بنور القربة واحلل عقدة من لسانى اى عقدة
الاختيارية الانسانية حتى يكون كلامى عنك وبك وقال الاستاذ رب اشرح لى صدرى
ويسر لى امرى حتى اطيق ان اسمع كلام غيرك بعد ان سمعت منك كلامك واحلل عقدة
من لسانى حتى ينطلق بمخاطبة غيرك وقونى حتى ارى ما ارى بك لا بهم واجعل لى
وزيرا من اهلى هرون اخى يعيننى على ما كلفتنى ويساعدنى فيما حملتنى قال جنيد

فی قوله رب اشرح لی صدری الآیات ما سأل الله موسی الا الا خلاق ای تحسین الاحوال
وتنزیلها الاعمال وقال ابو علی الرود باری فی سؤال موسی من ربه شرح صدره وتیسیر امره
واطلاق لسانه وموازرة اخیه فی بیانه لم یسأل ضعفا من التبلیغ والتبیین فان الله
تعالی ایده بالثبات والتمکین ولکنه علیه السلام وقف مقام الحق بین یدی الحق وسأل
بلسان الحق لما قد سبق به من علم الحق الی الخلق اشدد به ازری قوتی وطاقتی واشرکه
فی امری نبوتی ورسالتی وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر وجزمهما علی انه جواب الامر قال الاستاذ
ضاق قلبه عن الاستماع لشهود للخلق ومخاطبتهم فسأل الخرجة عما کان به من القبض فی
مباسطتهم فقال رب اشرح لی صدری ویسر لی امری ثم لما کان ذهابه الی فرعون سأل
ان یصحب اخاه معه بقوله واشرکه فی امری ولما ذهب لسماع کلام الله حین قال تعالی
وواعدنا موسی ثلثین لیلة لم یستصحبه لان الذهاب الی الخلق یوجب الوحشة فطلب
الصحبة لیخف علیه کلفة المشقة ویقال ان المحبة توجب التجرد والانفراد ذلیس للغیر
مع المحب مساغ فی الفؤاد فی ذهابه الی فرعون استصحب اخاه ولما کان الذهاب الی المیقات
لم یکن للغیر سبیل الی صحبته لما کان المقصود من ذهابه ما کان موسی مخصوصا به من حالته کی نسبحک
کثیرا ونذکرک کثیرا فان التعاون یهیج الرغبات ویؤدی الی تکاثر الخیرات وتزاید المبرات
انک کنت بنا بصیرا ناظرا بافعالنا وعالما باحوالنا وبان التعاون مما یصلحنا وان
هرون نعم المعین لی فیما امرتنی وقال الاستاذ بین الله انه سأل مشارکة هرون ایاه فی
ربه لا لحظ نفسه حیث قال کی نسبحک کثیرا ونذکرک قال قد اوتیت سؤلک مسؤلک
یا موسی ولقد مننا علیک مرة اخری انعمنا علیک فی وقت آخر بسبع طمیع المن الآخر قال
جعفر قیل لموسی استکثرت تسبیحک وتذکیرک ونسیت بدایات فضلنا علیک فی حفظک
فی الیم وردک الی الام وتربیتک فی حجر عدوک واکبر من هذا خطابنا معک وکلامنا لک
واکبر من هذا اخبارنا باصطناعنا ایاک وافاد الاستاذ فی تحقیق المراد اعطیناک
ما سألت وتناسیت ابتداء حالک حین حفظناک فی الیم ونجینا امک من الغم
وربیناک فی حجر عدوک فاین کان سؤالک واختیارک ودعاؤک وانبتنا فی
قلب امرأة فرعون شفقتک والقینا علیک محبة منی حتی احبک عدوک
وربّاک بعد ما قتل بسببک ما یحصر من الولدان فالذی بدأک بهذه النعم هو الذی
آتاک سؤلک وحقق لک مأمولک اذ اوحینا الی امک ما یوحی بالالهام
او فی المنام ما یوحی ما لم یعلم الا بالاعلام ان اقذفیه ای اطرحیه عن حجر قلبک
فی التابوت ای الصندوق الشبیه بصبرک فاقذفیه فی الیم ای یم الیم وهو
بحر النیل علی ما قیل فلیلقه الیم بالساحل امر بمعنی الخبر مبالغة فی الامر یأخذه عدو لی
ای فی منازعة الالوهیة وعدو له فی مخالفة العبودیة او زوال الامور الملکیة وتکریر
عدو للمبالغة او الاول باعتبار ما یتوقع والقیت علیک محبة منی ای محبة کائنة

منی قد زرعتها فی قلوب العباد بحیث لا یکاد یصبر عنک من رآک من اهل البلاد فلذا
احبک فرعون مع ما کان یفعل من الاولاد ویجوز ان یتعلق منی بالقیت ای احببتک
ومن احبه الله احبه ما سواه وافاد الاستاذ انه یقال فی لفظ الناس فلان القی محبته علی
فلان ای احبه ویقال والقیت علیک محبة منی طرحت فی قلوب الناس محبة لک فان
الحق اذا احب عبدا فکل من شاهده احبه ویقال جعل ملاحة فی عینیه فکان لا یراه
احد الا احبه ویقال القیت علیک محبة منی ای انبت فی قلبک محبتی فان محبة العبد
لله لا یکون الا بانبات الحق سبحانه ذلک فی قلبه وفی معناه انشدوا شعر
ان المحبة امرها عجب ▪ تلقی علیک وما لها سبب ▪ وافاد الاستاذ ایضا انه
رباه فی حجر عدوه وکان قد قتل الوفا من الولدان بسببه وبلا رکل احد کان بعده الا بلاء اکثر
فانه کان بسنین قبله فالیوم الذی اخذ موسی فی حجره کان قد امر بقتل کثیر من الولدان من
حذره ثم انه ربی من هلاکه ملکه علی یده لیعلم ان اسرار الاقدار لا یعلمها الا الجبار ویقال
کان فرعون یسمی والد موسی واباه ولم یکن للحقیقة اباه وکان یقال لام موسی ظئر موسی ولم
تکن فی الحقیقة کذا بحیث الدعوی بالابوة والبنوة لم یکن لها تحقیق وحیث کان الحقیقة
تحقیق وحیث کان المعنی والحقیقة لم یکن عن ذلک خبر ولا عند احد من ذلک معرفة
وانتشر هذا الحدیث والقصة ولقد جاء فی الاخبار ان النهر القاه علی الساحل فحمل الی
فرعون فلما وقع بصر امرأة فرعون علیه انشرحت قلبها وکذلک وقعت محبته فی قلب
فرعون ولکنها کانت اضعف فسبقت بقولها قرة عین لی ولک ولولا انها علمت
انه اخذ شعبة من قلب فرعون کما اخذ من قلبها لم تقل قرة عین لی ولک ثم حکی ان موسی
لما وضع فی حجر فرعون لطم وجهه فقال فرعون ان هذا من اولاد الاعداء فقالت امرأته
انه صبی لا تمییز له ویشهد له انه لا یمیز بین النار وبین غیرها من الجوهر والدینار واردت
ان تصدق قالتها وتحقق حالتها فاستحضرت شیئا من النار وشیئا من الجوهر والدینار
فاخذ جبریل یده من المیل الی الجوهر والدینار وصرفها الی صوب النار فاخذ جمرة بیده
وقربها من فمه فاحترق لسانه وعظم شانه ویقال ان العقدة التی کانت علی لسانه انما کانت
من ذلک الاحتراق فی زمانه ویقال انهم شاهدوا ولم یشاهدوا التعجب انه لم تحترق
یده من اخذ الجمرة واحترق لسانه من اثر الشعلة لیعلم ان هذا الامر لیس بالقیاس المقتضی
شانه بل فعال لما یرید سبحانه انتهی ولا یخفی انه لا دلالة علی عدم احتراق یده غایة انه
علی عادة الصغار امال الجمرة الی فمه فاثر فی لسانه لکمال لطافته ولا یبعد ان یقال احترقت
یده مجازاة لجرها لحیة فرعون او لطمها وجهه ولتصنع علی عینی ولتربی حال کونک علی
مرای منی ولحسن الیک عنی وانا راعیک وراقبک بعین عنایتی ویمن رعایتی وحسن
حمایتی وقال الاستاذ ای لا املک غیرک سبیلک عنی ویقال احفظک عن کل غیر
وحدیث سوی حدیثنا ویقال ما وکلنا حفظک الی احد سوانا اذ تمشی اختک فتقول

هل ادلكم على من يكفله لكم وذلك انه كان لا يقبل ثدي المراضع فجاءت اخته مريم
وقيل كلثوم متفحصة خبره ومتجسسة امره فصادفتهم يطلبون مرضعة له يقبل ثديها
فقالت هل ادلكم على من يكفله لكم فقالوا بلى فجاءت بامه فقبل ثديها وكل رآها
فرددناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كي تقر عينها بلقائك وبقائك
ولا تحزن هي بفراقك او انت على فراقها وفقد اشفاقها وافاد الاستاذ ان البلاء
على حسب قوة صاحبه وضعفه فكل ما كان المرء اقوى كان بلاؤه اوفى وكل ما كان اضعف
كان البلاء اخف وقد كانت ام موسى ضعيفة فرد اليها ولدها بعد ايام قليلة ويعقوب
لما قوي حاله لم يصل اليه يوسف الا بعد سنين طويلة انتهى ويؤيده ما ورد في الحديث
من هذا المعنى اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل من الاولياء والاصفياء
وقتلت نفسا اي نفس القبطي الذي استغاثه عليه السبطي قال الواسطي القاه
في اعظم الاسواء حتى يجد طعم الاصفياء فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب به
بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون والامن منه بالهجرة وفتناك فتونا ابتليناك ابتلاء
كبيرا وانواعا كثيرا وخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله في سفره من الهجرة
عن وطنه ومفارقة الفه ومشيه راجلا على حذره وفقد زاده وايجار نفسه مع ما سبق له
من وضع امه في تابوت اليم وقذفه في اليم وما لحق زوجه من ضلاله طريقه وتفرق
غنمه وتشتت حاله مع اهله وكل منها فتنة وبلية ومحنة وقد قال تعالى ونبلوكم بالشر
والخير فتنة وقال ابو الحارث فتناك بنا عما سوانا وافاد الاستاذ انه اجرى عليه ما هو
في صور كثيرة من قتل النفس بغير حق هنالك ثم بين انه لم يضره ذلك فليست
العبرة بفعل العبد وقلته بل العبرة بعناية الحق لشان احد وعداوته لآخر ويقال كم من
اناس لا يموتون وقد ضربوا الوفا من السوط والخشبة ومقتول موسى مات بالوكزة فما الذي
اوجب من وفاته لولا انه اراد به فتنة موسى وشدة بليته وروي في بعض الكتب انه
اقام سبحانه موسى كذا كذا مقاما يسمعه كلامه كل مرة باسماع آخر نوعا وجنسا وفي كل
مرة يقول له وقتلت نفسا فنجيناك من الغم اريناك عين الجمع حتى زال عنك
ما داخلك من الغم بصفة مقتضى التفرقة فلما اريناك سر جريان التقدير نجيناك
من الغم في التدبير وفتناك فتونا استخلصناك لنا حتى لا تكون لغيرنا ويقال
جنسنا عليك البلاء ونوعنا العناء حتى جردناك من كل اختيار وارادة ثم حينئذ
رقيناك الى ما استوجبته من المقام الذي اهلناك له من النبوة والرسالة فلبثت
سنين فتنا ولا في الاجلين وهو عشر سنين في اهل مدين بينه وبين مصر ثماني مراحل
ثم جئت على قدر على مقدار معين من الزمان قدرته لان اكلمك وبالرسالة احملك غير
مستقدم عن اوانه ولا مستأخر عن ابانه او على مقدار معين من السن يوحى فيه غالبا الى
الانبياء ويكمل عنده حال الكمال والكبار وهو اربعون سنة يا موسى في تكرير النداء ايماء الى

كمال الاعتناء

كمال الاعتناء وافاد الاستاذ ان الحبيب اذا جاء بالاستبشار فلا تاخير فيه ولا تقديم وانشدوا
في قريب من معناه ▪ بينما خاطر المنى بالتلاقي ▪ سانح في فؤاده وفؤادي ▪
جمع الله بيننا فالتقينا ▪ هكذا بغتة بلا ميعاد ▪ واصطنعتك لنفسي اخترتك لكلامي
ودوام انسي حتى لا تختار غيري وقال الاستاذ استخلصتك لي حتى لا تصلح لاحد غيري ولا
يأتي منك شيء غير تبليغ رسالتي وما هو مرادي منك اي من اشاعة حكايتي وروايتي ويقال
افردت سرك لي وجعلت اقبالك علي دون غيري وحلت بينك وبين كل احد مما هو دوني
اذهب انت اصالة واخوك تبعا باياتي بمعجزاتي ولا تنيا لا تفترا في ذكري في تبليغ
امري او لا تفترا عن الاشتغال بذكري وقال سهل لا تكثرا الذكر باللسان وتغفلا
عن مراقبة الجنان اذهبا الى فرعون انه طغى تجاوز عن حد العبودية بدعوى الربوبية
قال ابن عطا اذهبا الى فرعون بعبارة النذارة في الطريق وهما مبعوثان الى السحرة
باشارة البشارة في الحقيقة لان الاعداء ليس لهم عنده من الخطر ما يرسل اليهم الانبياء
ولكن يبعث اليهم بعض انبيائه ليخرج اولياءه من بين اعدائه فقولا له قولا لينا بينا له
امرا هينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى او عداه شبابا لا يهرم بعده
وملكا لا زوال له ونظيره قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة لعله يتذكر
الاحوال السابقة او يخشى الاحوال اللاحقة والمعنى باشرا امر الدعوة على رجائكما انه يثمر
النتيجة ولا يخيب سعيكما في الاخيرة والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في اجتهادهما
مع علمه سبحانه بانه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار القدرة قال النهرجوري هذا
رفقك بمن جحدك فكيف رفقك بمن عبدك وقال ايضا لانه احسن اليك في ابتداء
امرك فلم تكافه فاحببت ان اكافيه عنك قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا اي
يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الا تمام الدعوة واظهار المعجزة او ان يطغى يزداد طغيانا
في النقمة وكفرانا بالنعمة وفي الآية اشارة الى ان الخوف الذي يميل جبلة الانسان
اليه لا يلائم صاحب عليه وافاد الاستاذ انهما لم يخافا على انفسهما شفقة عليهما ولكن
قالا انا نخاف ان يحل بنا مكروه من جهته فلا يحصل منا ما نامر به من القيام بامر دعوته
فكان ذلك الخوف لاجل الله لا لاجل حظوظ انفسهما ولا لغرض سوى رضاه ويقال
لم يخافا من فرعون على انفسهما ولكن خافا من تسليط الله اياه عليهما وانما راعيا
حسن الادب في فصل الخطاب قال لا تخافا من غيري ان يضركما انني معكما بالحفظ
والنصرة اسمع وارى ما يجري بينه وبينكما فاحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما وافاد
الاستاذ انهما تلطفا في استجلاب هذا القول من الحق سبحانه بقولهما اننا نخاف
وكان المقصود لهما ان يقول الحق انني معكما والا فاني بالخوف من غير الحق لمن هو مخصوص
بالنبوة والرسالة ويقال سكن الخوف منهما بقوله انني معكما تقويا على الذهاب اليه من جهة
دعوة الدين اذ من شرط التكليف التمكين ولذا ما لا بعد ما قال لهما لا تباليا الآن بغيرنا بعد

ما انت معنا فاتياه فقولا انا رسولا ربك بالدعوة الى التوحيد والنبوة كما يستفاد من
قوله تعالى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فارسل معانا بنى اسرائيل الذين هم
من ذرية الانبياء ومن جملة المؤمنين والاولياء ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة فى ايدى
الاعداء وافاد الاستاذ انه طال البلاء ببنى اسرائيل من جهة فرعون اللعين فتداركهم الحق
سبحانه ولو بعد حين وهذا عادته باجراء سنته فى بريته يرخى عنان الظالم اللئيم لكن اذا
اخذه فاخذه شديد اليم قد جئناك باية من ربك بعلامة هى معجزة مصدقة لدعوى
الرسالة وفيه الاشارة الى ان وحدة الحجة كفاية فى وضوح المحجة وافاد الاستاذ انه تفهم
تلك الاية البينة وانما تكثرت عليهم الحجة فاذا عمى بصر القلب فان تنفع بصيرة الحجة
وفى معناه قالوا ▪ وفى نظر العادى الى الماء حسرة • اذا كان ممنوعا سبيل الموارد •
والسلام اى سلام ايضا وسلامنا والسلامة فى الدنيا والعقبى على من اتبع الهدى
قال الواسطى من سبقت له العناية اتبع الهداية فى البداية والنهاية وافاد الاستاذ انه انما يتبع
الهدى من كحل عين قلبه بنور العرفان فاما من كان على قلبه غشاوة الجهل وقساوة النسيان
فمتى يتبع الهدى انا ثبت بالبرهان انا قد اوحى الينا ان العذاب اى فى الدنيا والعقبى
على من كذب وتولى اعرض عن الهدى واقبل على الردى وافاد الاستاذ ان قسوة القلب
نوع عقوبة وكذا الفترة فى الطاعة وكذا خسران نصيب الكمال فى الانفس والاموال
والاحوال قال اى بعد ما اتياه وقالا ما امرا به فمن ربكما يا موسى هذا من باب الاكتفاء
اولانه الاصل فى الخطاب فكذا فى النداء مع ما فيه من مراعاة رؤس الآى قال ربنا الذى
اعطى كل شئ خلقه صورته وسيرته مما خلق لاجله ويطابق حاله ويوافق كماله ثم هدى
ثم عرفه كيف يرتفق باعطائه وكيف يتوصل به الى كمال بقائه اختيارا او طبعا وهو
عبارة فى غاية البلاغة مع اختصارها على اعرابها عن ان الموجودات باسرها مفتقر
اليه ومنعم عليه فى حد ذاته وصفاته وافعاله وان الغنى القادر بالذات المنعم على الاطلاق
هو الله لا سواه وافاد الاستاذ انه انما اجاب موسى عن هذا السؤال بالحوالة على فعله
ليعلم ان الدليل على اثباته سبحانه ما عليه من افعاله عز شانه قال فما بال القرون الاولى
فما حال الامم الماضية بعد الاماتة من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربى لا عند غيره
فى كتاب مثبت فى اللوح المحفوظ او فى كتاب الحفظة لا يضل ربى لا يخطئه ولا ينسى
فانهما محالان على العالم بالذات وقال الاستاذ اى انما يمكننى ان اخبركم بما اخبرنى به
ربى فما عرفنى عرفت وما ستره على وقفت الذى جعل لكم الارض مهادا بساطا وفراشا
وقرا الكوفيون مهدا اى كالمهد مبسوطا وممهدا وافاد الاستاذ انه سبحانه جعل الارض مستقر
لابدانهم مستقرة وجعل ابدانهم مستقرة لعبادته وقلوبهم مستقرة لمعرفته وارواحهم
مستقرة المحبة واسرارهم مستقرة لمشاهدته وسلك لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية
والفلوات والبرية تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وتحصلوا منافعها

هذا وعنه

هذا وعندار باب الحقايق الطرق الى الله بعدد انفاس الخلايق وانزل من السماء ماء مطر الاحياء
نباتكم وابداء حياتكم وقد يكون من الماء من الاحياء الى نزول ماء العلم والمعرفة من عالم السماء
فى اودية قلوب العلماء فاخرجنا التفات به اى بسبب الماء النازل من السماء ازواجا اصنافا
من نبات شتى متفرقة فى الصورة والسيرة ومختلفة بحسب المنفعة المعدة لانواع البرية كما
يشير اليه قوله كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لايات لاولى النهى لذوى العقول الناهية عن ارتكاب
القبايح واتباع الفضايح منها من الارض خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول ابائكم
واول قطرة مواد ابدانكم واعضائكم وفيها نعيدكم باماتتكم وتفكيك اجزائكم ومنها نخرجكم
تارة اخرى بتاليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة
ورد الارواح اليها فى الدار الاخرة والاخراجة الاولى هى الخلق منها وادخال الارواح
عليها وكانه اشير الى هذا الباب فى قول بعض اولى الالباب ما للتراب ورب الارباب
وافاد الاستاذ ان الاجساد قوالب والارواح ودايع فالقوالب نسبتها التربة والودايع
صفتها القربة والقوالب يربيها بافضاله والودايع بكشف جلاله ولطف جماله وللقوالب
اليوم اعتكاف على بساط عبادته وللودايع اتصاف بدوام معرفته ولقد اريناه فرعون
اياتنا كلها انواعها واصنافها من الآفاقية والانفسية والايات التسع المعلومة
فى القضية فكذب بجنس الاية وابى عن قبول الايمان والطاعة وافاد الاستاذ
اراه بجهره واعماه عن شهود ذلك بستره فما نجع فيه من كلامه وما انتفع بما حذره من
انتقامه وبشره به من انعامه قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا وطننا بسحرك يا موسى
هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا فى امره حتى خاف منه على ملكه فان الساحر
لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من محله فلناتينك للمعارضة بسحر مثله وقال الاستاذ دعاهم
موسى الى الله تعالى وخاطبهم من حديث العقبى بتبشير ثواب وتخويف عقاب فلم
يجيبوه الا من حديث الدنيا دلالة وضلالة وما زادهم تذكير وموعظة الا ازدادوا
غفلة وجهالة كذلك غفلة من وسمه الحق بابعاده عن باب مراده ولم يكن له عرفان لا
بايقاله ايمان ولا تاسف على ما يفوته من مقصده اذ لا تصديق له بحقيقة ما هو بصدده
فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا لا نخلفه نحن ولا انت ابدا مكانا بدل من وعدا
على تقدير مكان انجاز وعد سوى منتصفا يستوى مسافته اليك والينا وهو
غاية الانصاف ونهاية الانتصاف وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة بالضم وكلهم
نونه الا الحسن البصرى وافاد الاستاد انهم تاهبوا لمناصبة الحقيقة وتشمروا لمخالفة
الطريقة فقصمتهم المشية وكبتتهم القدرة وكما قال بعضهم • استقبلنى وسيفه
مسلول • وقال لى واحدنا معزول • قال موعدكم يوم الزينة اى مكان انجاز وعدكم
مكان اجتماع يوم زينتكم وهو يوم عيد لهم فى قريتهم او مدينتهم وانما عينه سبحانه
ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد وتشيع ذلك فى اقطار البلاد وان

يحشر الناس ضحى اى وقت ظهور العباد فصار يوم عيدهم وقت وعيدهم وافاد الاستاذ
انهم تواعدوا ان يجتمعوا الى يوم كان يوم عيد لهم وقصدهم ان يطلبوا موسى بمشهد من الناس
فى امرهم وارادوا ان يصح للناس امتداحهم فكان فى ذلك افتضاحهم فتولى فرعون
اى ادبر على نيته واعرض عن ربه واقبل على مكره فجمع كيده اى ما يكاد به من السحرة وآلاتهم
من حبالهم وعصياتهم بحسب تخيلاتهم وتمثيلاتهم ثم اتى بالمكان السوى والموعد
المستوى وقد حشر الناس ضحى وتقدم السحرة فى مقام المعارضة قال لهم موسى ويلكم
اى من المولى لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا اياته سحرا او صاحب معجزاته ساحرا فيسحتكم
يستأصلكم بعذاب ويهلككم بحجاب وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالضم من الاسحات
وهو بعض اللغات وقد خاب من افترى اى خسر من كذب على رب الارباب كما خاب
فرعون فى هذا الباب وافاد الاستاذ انه كاد فرعون فكيد واراد واريد وادعى الاعلاء
فاذل واذيق البأساء ولم يغادر فرعون شيئا من البله والحمق ولم يدع موسى شيئا
من الوعظ والرفق فقال ويلكم لا تفتروا على الله وعلموا انه لا طاقة لاحد مع الله اذا
عذب ابدا فتنازعوا اى فرعون وقومه او السحرة امرهم اى فى امرهم بينهم اى فيما بينهم
واسروا النجوى اى اخفوا تناجيهم عن غيرهم قالوا ان هذان لساحران اسم ان على
لغة من جعل الالف للتثنية فى الاحوال الثلثة او اسمها ضمير الشان وخبرها هذان لساحران
واللام زائدة ولها فى مقام التأكيد فائدة وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص
ان هذان على انها هى المخففة واللام هى الفارقة او النافية واللام بمعنى الا الاستثنائية
يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما من جهة ميلهما اليها ويذهبا بطريقتكم
المثلى بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب واكمل المراتب فيبطلاه باظهار مذهبهما واعلاء
دينهما لقوله انى اخاف ان يبدل دينكم وافاد الاستاذ انهم قالوا ان هذان لساحران فى
دعويهما كاذبان وقصدهما اخراجكم عن بلدكم والتشويش عليكم فى معتقدكم فاجمعوا كيدكم من
الاجماع اى فازمعوا اليه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف واحد منكم لديه وقرأ ابو عمرو فاجمعوا
بهمز الوصل وفتح الميم ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب فى صدور الرائين قيل كانوا
سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا فاقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من
استعلى فاز بالمطلب وغلب من استولى قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون
اول من القى اى اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر القاؤنا او القاؤك قال بل القوا
مقابلة ادب بادبهم وعدم مبالاة بسحرهم والجاء الى ما اوهوه من ميلهم الى البدء بذكر الاول
فى شقهم فليس ذلك اذنا لهم فى عمل سحرهم ولان يبرزوا ما معهم ويظهروا ما فى وسعهم
فيقذف الله سبحانه بالحق على الباطل فيدمغه ويذهب شأنه فاذا حبالهم اى فالقوا فاذا
حبالهم وهى للمفاجاة وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وذلك بانهم لطخوها بالزيبق
فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تحركت وقرأ ابن ذكوان بالتاء على اسناده

الى ضمير

الى ضمير الحبال والعصى وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال فاوجس فى نفسه خيفة موسى
فاضمر فيها خوفا من مناجاته فى القضية على ما هو مقتضى الجبلة البشرية قلنا لا تخف من الامور الوهمية
والاحوال الخيالية انك انت الاعلى فى المراتب الجلية وامن قب العلية لانك فى الطريقة الحقيقية
والجادة السوية قال ابن عطا قلنا لا تخف من غيرنا فانك برئ منا وانك القائم بالمستبب
وهم المعتمدون على الاسباب اى فانت على الباب وهم المسدودون بالحجاب وهم على التوهم
وانت فى صوب الصواب والق ما فى يمينك فانها شاهدة صدق يقينك فى حق دينك
ولا تبال بما فى ايديهم من حبالهم وعصيهم تلقف تبتلع عصاك ما صنعوا اى ابطال
ذاك وصله تتلقف وحذف احدى التائين وقرأ حفص بالتخفيف من لقف وقرأ ابن
ذكوان بالتشديد والرفع على الحال او الاستيناف ان ما صنعوا اى صوروا وزوروا كيد ساحر
مكر ماكر ماهر وقرأ حمزة والكسائى سحر بمعنى ذى سحر او انما وحدا الساحر لان المراد به جنس المطلق
ولذا قال ولا يفلح الساحر اى من الجنس المحقق حيث اتى حيث كان واين اقبل او حيث فعل
او لم يفعل فالقى السحرة سجدا اى فالقى عصاه فتلقفت ما عداه فتحقق عند السحرة انه ليس
بسحر وكيده وانما هو آية ومعجزة اكيدة فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا لغير
رضاه وقد روى عكرمة انهم رأوا فى سجودهم الجنة ومنازلهم من منازل القربة قالوا آمنا برب
هرون وموسى آخر لرؤس الآية قال اى فرعون ءامنتم وقرأ حفص وقبل آمنتم له اى اسلمتم
لموسى او آمنتم بالله لاجل موسى قبل ان آذن لكم فى الايمان له انه لكبيركم فى فنكم الذى علمكم السحر
وقد تواطأتم على هذا الامر فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اى اليد اليمنى والرجل اليسرى منها
ولاصلبنكم فى جذوع النخل اى عليها ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى او رب موسى
بناء على قوله انا ربكم الاعلى اشد عذابا وابقى ادوم عقابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك
على ما جاءنا من البينات الدلالات الواضحات والذى فطرنا اى ونحلف على ذلك
بالله الذى خلقنا فاقض ما انت قاض له اى حاكم به او قاضيه اى صانعه وفاعله
قال ذو النون من آثر الله على الاشياء مما سواه هان عليه ما يلقى فى ذات الله وافاد
انهم لما خيلوا للناس بالقاء الحبال والعصى انه حيات واوهموا انها ذوات حيوة
وابتلع عصا موسى جملتها حين حملتها تحقق للسحرة ان هذا امر سماوى وحكم الهى حيث
لاشئ عين ما كان معهم من اوقار الحبال والعصى وصار الثعبان عصا كما هى فسجدوا لله
مؤمنين تائبين وانقلب فرعون وقومه خائبين وتوعدهم بالقتل والصلب وفنون
من العذاب المتعب فبعد ما كانوا يقسمون بعزة فرعون كانوا يحلفون فيقولون لن
نؤثرك على ما جاءنا من البينات ولما طلع فى اسرارهم شموس المعرفة وانبسط عليهم انوار
العناية ابصروا الحق سبحانه باسرارهم وانكشف الامر بانوارهم فنطقوا ببيان التصديق وتكلموا
ببرهان التحقيق وسجدوا بقلوبهم لمشهودهم وسقطوا على وجوههم لمعبودهم ولم يحتشموا
مما توعدهم به من العقوبة لما لحق لهم سواطع المعرفة ولوامع القربة وراوا كل ذلك من الله

فی الحقیقة فاستعذبوا البلآء وتحملوا اللاداء وکانوا بالغدوة کفارا سحرة فامسوا
اخیارا بررة انما تقضی هذه الحیوة الدنیا انما تصنع بهواه وتحکم بما تراه فی هذه الدنیا والآخرة
خیر وابقی لاهل التقوی علموا ان البلاء فی الدنیا سینقضی وان تمادی وینتهی وان تعاظم
انا آمنا بربنا لیغفر لنا خطایانا من الکفر والمعصیة وما اکرهتنا علیه من السحر فی معارضة
المعجزة والله خیر ثوابا وابقی عذابا وافاد الاستاذ ان اهم الاشیاء علی اهل المعرفة هو المغفرة للخطیئة
هذا آدم علیه السلام ما استکشف عن حاله وحل به ما حل من حسن آله قال ربنا ظلمنا انفسنا
وان لم تغفر لنا وترحمنا لنکونن من الخاسرین وهذا نوح علیه السلام بعد بعد مقاساته طول البلاء
قال فی حال النداء والا تغفر لی وترحمنی اکن من الخاسرین وهذا موسی علیه السلام یقول انی ظلمت
نفسی فاغفر لی فغفر له وقال لنبینا صلی الله علیه وسلم واستغفر لذنبک ومن علیه بقوله
لیغفر لک الله ما تقدم من ذنبک وما تأخر وقد قال صلی الله علیه وسلم وانه لیغان علی قلبی
حتی استغفر الله فی الیوم سبعین مرة انتهی وحاصله ان مقام التوبة مرتبة عظیمة ومنقبة
جسیمة ولا یستغنی عنها طائعون کاملون فضلا عن قوم هم عاصون غافلون قال تعالی وتوبوا
الی الله جمیعا ایها المؤمنون لعلکم تفلحون انه ای الامر والشان من یأت ربه مجرما بان یموت
علی کفره وکفرانه فان له جهنم لعدم توبته عن عصیانه لا یموت فیها فیستریح بالفناء ولا یحیی
حیاة مهناة بالبقاء ومن یأته مؤمنا قد عمل الصالحات فی الدنیا فاولئک لهم الدرجات
العلی المنازل العلیة فی العقبی جنات عدن بدل مما قبلها ای جنات اقامة تجری من تحتها
الانهار خالدین فیها ابدا لا یبغون عنها حولا وذلک جزاء من تزکی تطهر من ادناس الکفر
واجناس المعاصی والآیات الثلاث یحتمل ان یکون من تتمة کلام السحرة وان تکون ابتداء
کلام من الله موعظة لهذه الامة ولقد اوحینا الی موسی ان اسر بعبادی ای من مصر الی الارض
المقدسة من بلادی فاضرب ای اجعل او اتخذ لهم طریقا فی البحر یبسا ای یابسا لا تخاف
درکا جملة حالیة ای امنا من ان یدرک العدو وقرأ حمزة لا تخف علی انه جواب الامر او نهی بحذف
العاطف ولا تخشی عطف علی قراءة الجمهور واستیناف علی قراءة حمزة ای وانت لا تخشی
او عطف علیه والالف للاطلاق او علی لغة من یثبت حرف العلة مطلقا فاتبعهم فرعون بجنوده
الباء للمصاحبة ای فاتبعهم معهم فغشیهم من الیم ما غشیهم الضمیر له ولهم وفیه مبالغة من
حیث الابهام ووجازة من جهة بنیة الکلام ای غشیهم ما سمعت من قصته ولا یعرف الا الله
کنه حقیقته واضل فرعون قومه فی طریق الردی وما هدی ما دلهم الی سبیل الهدی وافاد الاستاذ
انه لما عبر موسی ببنی اسرائیل البحر وقرب منه فرعون وراه منفلقا والطریق فیه یابسا غره
تلبیسه ووسوسة ابلیسه فقال الجنی انفلق وانا ربکم الاعلی فلما حصل دخوله بعسکره البحر
حتی دخل آخرهم وهم ان یخرج اولهم امر الله البحر حتی التطم امواجه فاغرقهم فی جملتهم وامن
فرعون لما ظهر الیاس من عمره وبقاء امره فلم ینفعه اقراره وقد ادرکه الشقاوة التی سبقت
من القضاء والقدر بحکم الکتابة یا بنی اسرائیل خطاب لهم بعد انجائهم واهلاک اعدائهم

اول بنائهم بما فعل بآبائهم قد انجیناکم من عدوکم فرعون وقومه وواعدناکم ای نبیکم جانب
الطور الایمن لمناجاة موسی وانزال کلام الله ونزلنا علیکم المن والسلوی ای فی التیه عند
حلول البلوی کلوا من طیبات ما رزقناکم حلالاته او مستلذاته وقرأ حمزة والکسائی انجیتکم
وواعدتکم ورزقتکم بالتاء وابو عمرو ووعدناکم ولا تطغوا فیه فیما رزقناکم بالاخلال بشکره
وبالتعدی عن حکمه کالسرف والبطر والادخار والمنع عن ارباب الاضطرار فیحل علیکم غضبی
فیلزمکم عذابی ویجب لکم حجابی ومن یحلل علیه غضبی فقد هوی هلک وتردی وقرأ الکسائی
یحل ویحلل بالضم من حل اذا نزل وافاد الاستاذ انه سبحانه یذکرهم الاءه ویعد علیهم
نعماءه ویأمرهم بالتزام الطاعة والقیام بالشکر لما اسبغ علیهم من فنون النعمة ثم ذکرهم ما من به
علی سلفهم من انزال المن والسلوی وصرف المحن وصنوف البلوی ثم الطیب من الرزق
ما لا یعصی الله مکتسبه من الخلق او هو ما یکون علی مشاهدة الرازق ومراقبة الخالق او هو ما
یاخذه العبد من الله فاهل الجنة مؤجل من عطائهم جهرا معجل لا صفیائه فی الدنیا سرا
قال تعالی آخذین ما آتیهم ربهم ای قانعین وراضین ویقال الشری من ید الحبیب اری
والاری من ید الاجنبی شری والارزاق مختلفة لجماعة مؤتلفة فلقوم حظوظ النفس ولآخرین
حقوق القلب ولاقوام شهود الاسرار ولآخرین وجود الانوار فرزق النفوس
التوفیق ورزق القلوب التصدیق ورزق الارواح التحقیق وقوله ولا تطغوا فیه
بمجاوزة الحلال الی الحرام او بالزیادة علی الکفاف والکفایة فی الحرام وما لا بد منه مما زاد
علی سد الرمق فی هذا المقام او بالاکل علی الغفلة ونسیان النعمة وقوله فیحل علیکم غضبی
بالخذلان لمتابعة الزلة بعد الزلة او بفقدکم التأسف علی ما فاتکم او بالرضا بما انتم
فیه من نقصان الحال وتشتت البال وانی لغفار لمن تاب عن الشرک او عن المعصیة
او عن الزلة او عن الغفلة وآمن بما یجب الایمان وثبت فی مقام الایقان ومرتبة
الاحسان ومنزلة العرفان وعمل صالحا مما وسع الانسان ثم اهتدی استقام
علی الهدی او اهتدی الی مشاهدة المولی وافاد الاستاذ انه سمع قوله وانی لا یقول
انی عفو وانی وان الغفار کثیر المغفرة فمنک مخالفة توبة واحدة ومنه الف توبة للطف
والرحمة ومنک خطوة ومنه الف خطوة ومنک الفعل مرة ومنه الفضل الف کرة
ومنک ندم ومنه الف کرم ومنک یسیر خدمة ومنه کثیر نعمة ومنک قلیل طاعة ومنک
جلیل رحمة ویقال کثیر المغفرة لمن تاب مرة فیغفر له انواع ذنوبه التی لم یتب منها
سترها وجهرها صغیرها وکبیرها وما یذکره وما لا یذکره منها ویقال من شغله سماع قوله وانی
استهلک فی استیلاء ما غلب علیه من ضیاء القربة فاذا جاءت المغفرة صادفته وهو
بعین المحو فی حال السکرة فتتعلق بذنوب اصحابه واحبابه واخوانه وکل من یعنی
هو بشأنه کما قالوا ▪ ای علی جنوا تهابرتها • ویکل متوصل بها متوسل •
واحبتها واحب منزلها الذی نزلت به واحب اهل المنزل ویقال لمن آمن المآل

كما هو مؤمن في الحال وعمل صالحا لا حظ عليه بعين الاستغفار وحالته بعين الاستغفار
ويقال امن بان جميع الحوادث للحق بحسب الارادة ومن عمل صالحا لم يخل بالفريضة من العبادة
واهتدى بالسنة والجماعة ويقال ثم للتراخي اي آمن في الحال ثم اهتدى في المآل ويقال اهتدى
بنا الينا وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكاره من حيث انها نقيصة
في نفسها وانضم اغفال القوم اليها وايهام التعظم عليهم فيها فاجاب موسى عنهما وقدم جواب
الانكار لانه اهم منهما قال هم اولاء على اثري ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة وليس بيني وبينهم
مسافة كثيرة وعجلت اليك رب لترضى شوقا الى الوفاء بوعدك وذوقا الى القيام بعهدك
ومسارعة الى امتثال امرك واحتمال طاعتك ابتغاء لمرضاتك وافاد الاستاذ انه
اخرجهم مع نفسه فيما استصحبهم ثم تقدمهم بخطوات واخرهم فقيل له في ذلك لعاتبتهم
مراعاة لحق صحبتهم ويقال قوم يعاتبون لتقدمهم وآخرون لتأخرهم فشتان ما بينهم فقال
ما خلفتهم لتضييعي اياهم ولكن عجلت اليك رب لترضى عني وعنهم فقال يا موسى رضاي
في ان تكون معهم ولا تسبقهم فكونك مع الضعفاء الذين استصحبتهم في معنى حصول
رضائي عنك وعنهم ابلغ من تقدمك عليهم قال فانا قد فتنا قومك ابتلينا هم اي قومك
الذين خلفتهم مع هرون فكلهم من بعدك بعد خروجك من بينهم وكانوا ستمائة الف
وما نجا من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا منهم واضلهم السامري باتخاذ العجل وتهيئة
صورته والدعاء الى عبادته وافاد الاستاذ انه سبحانه عرفه حقايق توحيده ودقايق
تفريده في ان الحدثان كله حاصل بقدرته واصل بمشيته حيث اضاف الى نفسه فتنة
قومه وفتنتهم ضلالتهم وعبادتهم العجل وجهالتهم فاخبر الحق سبحانه بانه منه تقديرا
يعني ومنهم كسبا وتقريرا في هذا تكذيب من جحد القول بالقدر فتامل وتدبر ويقال طلب
موسى رضى ربه وقدر الحق فتنة قومه ثم الحكم لله ولم يكن بد لموسى من الرضاء بقضائه
وترك الاعتراض على الله والعلم بحسن ما يفعل الله من حيث له ان يفعل ابتداء فيما سواه وانشدوا
اريد وصاله ويريد هجري • فاترك ما اريد لما يريد • وكان من السامري نوع من التغرر
ولكن حصل ما حصل وظهر ما ظهر من التغيير بحسب التقدير فرجع موسى الى قومه بعد
ما استوفى الاربعين واخذ التورية بالوجه المبين غضبان عليهم لله وطلبا لرضاه
اسفا متأسفا على ما فرط منهم ومتحزنا على ما لحقهم وفي تفسير السلمي قيل غضبان
على نفسه في ترك قومه حتى ضلوا من بعده واسفا على ما فاته من مناجاة ربه وافاد الاستاذ
انه رجع موسى عن ميقاته الى قومه بوصف القبض لما صدر منهم من الزلة الموجبة للذلة ورجع
نبينا عليه السلام عن معراجه الى امته بنعت البسط لما اكرمه وقومه من الامر بالصلوة
وما يترتب عليها من الصلة والقربة قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم
التورية المتضمنة نورا وهدى واحسانا افطال عليكم العهد اي زمان مفارقتي لكم وابان
غيبتي عنكم ام اردتم ان يحل عليكم يجب عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل للغاية في الغباوة

فاخلفتم

فاخلفتم موعدي وعدكم اياي بالثبات على الايمان والقيام باركان الاسلام وشرائط الاحسان
وافاد الاستاذ انهم ظنوا بنبيهم ظن السوء في خلف الوعد فلحقهم شوم ذلك حتى زاغوا
عن العهد واشركوا في العقد وكذا يكون اذا انتشر على حد العقد لم يبق خرزة لم تنخرط في سلك
العقد قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وحالنا ولم يسول لنا
السامري ما اخلفنا وقراه نافع وعاصم بفتح الميم وحمزة والكسائي بالضم وثلثتها في الاصل
لغات في مصدر ملكت الشيء ثم صار بالضم اسم للسلطنة وبالكسر لما يملك ولكنا حملنا وقراه
الرميان والشامي وحفص بصيغة المجهول مشددا اوزارا من زينة القوم اثقالا من حلي
القبط التي استعرنا منهم باسم العرس او العيد حين هممنا بالخروج من بينهم ولم يردوا اليهم مخافة
ان يعلموا بخروجهم ولعلهم سموا اوزارا لانها اثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد او لانهم
كانوا مستأمنين وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربي فقذفناها اي في النار فكذلك القى
السامري اي ما كان معه منها مع تراب الحمة بها روي انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت
قال لهم السامري انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو محرم عليكم فالرأي
ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا فاخرج لهم عجلا جسدا
من تلك الحلي المذابة له خوار صوت العجل فقالوا السامري ومن افتتن به هذا الهكم
واله موسى فنسي فنسيه موسى وذهب يطلبه عند طور سيناء وافاد الاستاذ انهم قالوا
لم نكن في ابتداء احوالنا قاصدين الى ما حصل منا ولا عالمين بما آل اليه عاقبة حالنا وكذا الحرام
من حطام الدنيا لا يخلو من شومه من اثره على العقبى ولقد كانت الغنيمة واموال المسلمين
وما قال اليهم ما كان لديهم فكذا من انهمك في طلب الدنيا من غير وجه يكون عليه
خطر من رقة دينه قال الله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه ويقال انهم لما مروا
على قوم يعبدون اصناما لهم حيث قالوا لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة كان ذلك
الصنم على صورة العجل فكان ميلهم الى عبادته مستكنا في قلوبهم من جهة محبته في
طاعته فصاغ السامري العجل على تلك الصورة وفي هذا اشارة الى ان دقايق الهوى
اذا استكنت في النفس وتمكنت في القلب فالم ينقش ذلك النقش بمنقاش المنازلة
يخشى ان يلقى صاحبه يوما معتبة الزاولة ويقال ان موسى عليه السلام غاب اربعين يوما
عن قومه فرضوا بعبادة العجل بعد ذهابه عند ربه ونبينا صلى الله عليه وسلم خرج من بين امته
الى سنين كثيرة مضت على اهل ملته فلو ذكر واحد من جماعة عند المخلصين في حق الله وحده
حديث التشبيه لا حلوا به من التنكير ما لا يكون له منه تخلص الا بالتنزيه وذلك بانهم
استحفظوا كتابهم فبدلوه تبديلا وضمن الحق سبحانه اعزاز هذا الدين بقوله انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقوله ليظهره على الدين كله فما حولوا عنه تحويلا افلا يرون
اي افلا يعلمون ان الشان لا يرجع اليهم قولا لا يرد العجل اليهم كلاما لا خطابا ولا جوابا
ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا اي لا يقدر على ضرهم ونفعهم اصلا وافاد الاستاذ انه سبحانه

بين ان من لا قول له يتكلم به ولا يملك الضر والنفع لعابده لا يستحق العبادة من اهله وفيه
رد على من لم يثبت القول له في الازل ولم يصفه بالقدرة على الخير والشر من الفعل ولقد قال لهم
هرون من قبل اى قبل رجوع موسى اليهم يا قوم انما فتنتم به اى بالعجل وحبه وان ربكم
الرحمن اى بكم وبى فاتبعونى فى التوحيد واطيعوا امرى بالثبات على التفريد وافاد الاستاذ
ان الاشارة فى هذه العبارة الى ان من لم يحفظ امر من هو اعلى مرتبة كيف يراعى امر
من هو ادنى منزلة فمن ترك امر الحق كيف يطمع فيه ان يحترم الشيوخ والاكابر من الخلق
ولذا قيل لا حرمة للفاسق لانه اذا ترك حق الخالق متى يحفظ حق الخلق قالوا لن نبرح
عليه لن نزال على حب العجل وعبادته عاكفين مقيمين على طاعته حتى يرجع الينا
موسى ويبين لنا طريق الهدى عن طريق الردى وافاد الاستاذ ان ذلك كان تعللا
منهم بالباطل لانهم ما كانوا عازمين على ترك عبادة العجل لا فى العاجل ولا فى الآجل اذ
قد تحققوا ان موسى عليه السلام دعاهم الى التوحيد وترك عبادة غير الله على وجه
التأبيد ولكن كل مبطل مستند الى ما يحتج اليه من الباطل ولو لم يكن تحته شىء من الامر
الطائل قال اى موسى بعد ما رجع ورأى ما رأى على وفق ما سمع من المولى يا هرون ما منعك
اذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل الا تتبعن اى ما حملك على الا تتبعنى فى الغضب لله
والمقاتلة مع من عبد سواه افعصيت امرى بالصلابة فى الدين والمحاماة على الحق
اليقين قال يا ابن ام خص الام استعطافا له واستلطافا لا تأخذ بلحيتى ولا
براسى اى بشعر راسى فانه قبضهما ومن شدة غيظه وفرط غضبه تعدى بهما انى خشيت
ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولى
حين قلت اخلفنى فى قومى واصلح فيما بدا من خلافى فان الاصلاح كان فى حفظ الجماعة والمداراة
بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر بما يقتضى رايك عليهم هذا ولا يخفى ان راى موسى اعلى فان
تليين هرون فى تمكين قومه اولا ومهلتهم مع قلتهم جرا الى كثرتهم الموجبة لعدم مقاومتهم
ولذا ورد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرضا على العلماء عند قدرتهم ولو بايديهم
حالة قوتهم وافاد الاستاذ انه لما ظهر بموسى عليه السلام ما ظهر من ضيق القلب عند مشاهدة
عبادة غير الرب اخذ هارون يقابله بالرفق والتلطف وحسن المداراة على وفق الادب وكذا
الواجب فى مجاورة من ظهر منه الحدة لئلا يرتقى الامر الى الوحشة والشدة ويقال لما ضاق قلب
موسى عليه السلام لما شاهد من قومه بالمعاينة عبادة العجل الذى هو من جملة الاصنام ولقد كان سمع
من الله ان السامرى اضلهم وقال انا قد فتنا قومك من بعدك ولكن قيل ليس المخبر كالمعاين انتهى
ولا يخفى ان اخبار الله تعالى اقوى من معاينة موسى واتم وتحقق مطابقة رؤيته على وفق سماع
قضيته ولذا قال بعض ارباب الحال لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فى امر المآل واما حديث
ليس الخبر كالمعاينة على ما رواه الطبرانى فى الاوسط عن انس والخطيب عن ابى هريرة فمحمول على
خبر المخلوق على انه قد يقال ان علم اليقين ليس كعين اليقين لتقوى العلم القلبى بالعلم العينى فكا

علمان وهما خير من علم واحد فى عالم البيان ومقام العيان ولعل هذا محمل كلام الاستاذ
فيما افاد ويؤيده ما رواه احمد فى مسنده والطبرانى فى اوسطه والحاكم فى مستدركه عن ابن
عباس بلفظ ليس الخبر كالمعاينة ان الله تعالى اخبر موسى بما صنع قومه فى العجل فلم يلق الالواح
فلما عاين ما صنعوا القى الالواح فانكسرت هذا ولا يبعد ان يقال انه فى وقت سماع
الخبر كان فى مقام الجمع من حال السكر والمحو والسكون تحت الامر بحضرة الرب فى نعت
التمكين وفى زمان معاينة الاثر كان فى مقام التفرقة من حال الشعور والصحو والحركة والتصرف
بالحكم على وصف التلوين والله اعلم بحقائق الدين ودقائق اليقين قال اى موسى ملتفتا
الى السامرى منكرا عليه ما ظهر لديه فما خطبك ما شأنك وما برهانك يا سامرى
على ما ضللت واضللت وافاد الاستاذ ان موسى عليه السلام سأل كل احد بنوع آخر
من الكلام فى مقام التعبير ومعاتبته مع قومه ومطالبته لاخيه وتغيره فى نفسه لم يغير
التقدير ولم يؤخر المحكوم عليه فى عالم التدبير قال اى السامرى بصرت بما لم يبصروا
وقرأ حمزة والكسائى بالخطاب اى لم علمت بما لم يعلموا وفطنت لما لم يفطنوا او رأيت
ما لم تروا وهو ان جبرئيل جاءك على فرس الحيوة حين ذهابك الى الطور لمناجاة الله وهو
روحانى محض لا يمس اثره شيئا الا احياه فقبضت قبضة من اثر الرسول اى من
تربة موطىء حافر فرسه على وجه القبول وفى حين الوصول فنبذتها اى تلك القبضة
من التراب فى الحلى المذاب وكذلك سولت لى نفسى زينته وحسنته الى فى هذا الباب
وافاد الاستاذ ان تخصيصه من بينهم حتى عرف جبرئيل بعلامته وقبض التراب من
موضع حافر دابته وما القى فى روعه من ان ذلك سبب حياة العجل وموجب العبادة
كل ذلك اشياء ناقضة للعادة وقعت على وفق الارادة ثم كان سبب هلاكه فى التدبير
لئلا يأمن احد خفى مكر التقدير ولا يركن الى ما هو فى الصورة رفق فلعله فى الحقيقة
مكر وحرق ولقد انشدوا ▪ فامنته فاتاح لى من مأمنى ● مكرا كذا من يأمن الاحبابا ●
قال موسى فاذهب من باب الرب فان لك فى الحيوة عقوبة على فعلك ان تقول
لا مساس خوفا من ان يمسك احد فتأخذك الحمى وكذا من مسك فتحامى الناس
ويتحاموك فتكون كالوحشى النافر طريدا وحيدا وعن اهل التوحيد بعيدا وهذا ما دمت
فى الدنيا وان لك موعدا لن تخلفه لن يخلفك الله بل ينجزه لك فى العقبى وقرأ
ابن كثير وابو عمرو بكسر اللام اى لن يخلف الواعد ذلك الموعد وافاد الاستاد انه
لم يخف على موسى عليه السلام تأثير التقدير وانفراد الحق بالابداع والتدبير ولذا خاطب
الحق بقوله ان هى الا فتنتك فى مقام التقرير ثم لم يمنع مع ذلك احلال العقوبة
بالسامرى على ما استحقه من التقدير ليعلم ان الحكم فى الايجاد والابداع وان كان
للعليم الخبير فالمطالبة والمعاتبة متوجه على المخلوق فى مقتضى التكليف عليهم واجراء
الحق ما يجرى به ليس بحجة للعباد ولا بعذر مسموع لديهم وانظر الى التهتك الذى

ظلمت عليه عاكفا دمت على عبادته سعيا وصرت لاجلها عند الحق والخلق مليما لنحرقنه
بالنار حتى يصير رمادا ثم لننسفنه لنذرينه في اليم نسفا فلا يصادف منه شيء اصلا
والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار كمال غباوته وجهالته جماعته وافاد الاستاذ
ان كلما تعلق به القلب من دون الرب يبين الحق سبحانه محقه ولهذا يلقى الاصنام
غدا في النار مع الكفار وليس لها جرم ولا الم ولا خبر ولا اثر انما الهكم المستحق لعبادتكم
الله الذي لا اله الا هو اذ لا احد يماثله في ذاته او يدانيه في صفاته وسع كل شيء علما
اي لا نهاية لمعلوماته بخلاف العجل فانه مثل في الغباوة حال حركاته وسكناته وقال الاستاذ
اي لا مثل الذي هو جماد لا يعلم ولا يقدر ولا يسمع ولا يبصر ويمكن ان يسحق ويحرق يعني دم
يبرق ويمحق كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامور الماضية واحوال
الامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثير المعجزتك وتذكيرا للمستبصرين من امتك
وقال الاستاذ نعرفك احوال الاولين والآخرين لئلا يلتبس عليك شيء من طرف
العالمين فتتادب بآدابهم وتجمع فيك متفرقات مناقبهم ولكي تعلم انا لم نبلغ
احدا مبلغك ولم يكن لاحد منا مالك ونحفظ سرك ونخفي امرك ونطلعك على
احوال الكافة ولا نطلع احدا على سرك الخاصة وقد آتيناك من لدنا ذكرا اي ذكرا جميلا
وصيتا جزيلا ويؤيده ما افاد الاستاذ بقوله اثبتنا لك من عندنا شرفا وفخرا لم يشركك
فيه احد ذخرا وذكرناك ما سلف لك من العهد معنا وجددنا لك قديم تخصيصنا
اياك وكريم اقبالنا عليك او كتابا مشتملا على هذه الاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار ويقويه
قوله من اعرض عنه اي عن الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة او من
اعرض عن الله واشتغل عنه بما سواه فانه يحمل يوم القيمة وزرا حملا وخيما واثما عظيما
خالدين فيه في حمل وزره وتحمل امره وساء لهم يوم القيمة حملا اي بئس حملا
وزرهم وساء حالا امرهم وافاد الاستاذ ان المعرضين عنه شركا وجهلا يحملون
غدا وزرا وثقلا اولئك بعدوا عن محل الخصوصية وعقوبتهم لا تزيد على الآم
نفوسهم واحراق اشباحهم يعني لعقوبة نسبة ارواحهم واما اهل الخصوص فلو
غفلوا عنه ساعة او نسوه لحظة ادار في الحال على رؤسهم البلاء وانزل على نفوسهم
العناء بحيث تتلاشى في جنبهم عقوبة كل احد من غيرهم انتهى واشار بهذا المعنى
الى قولهم الحجاب اشد العذاب وان عقاب الاكابر فوق عذاب الاصاغر كما
يستفاد من قوله سبحانه لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات وقوله تعالى
يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
يوم ينفخ في الصور وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر تعظيما له او للمأمور
ونحشر المجرمين يومئذ زرقا زرق العيون او زرق البدن او الوجه وهو سواده
او عميا فان حدقة الاعمى تزرق وافاد الاستاذ ان يوم القيمة لهم موصل وهو بعد النفخ

في الصور

في الصور على ما ورد والخبر المأثور ولآخرين قيامة معجلة سهمهم كاسبة وعليهم مطالبة وثواب
وصل وعذاب حاصل لكنا يرد على ظواهر قوم في الآخرة يرد على سرائر آخرين عقوبات في الحيوة
الى مدة يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من هول حالاتهم ان لبثتم في الدنيا
الا عشرا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها وسرعة انتقالها وخيالات احوالها نحن اعلم
بما يقولون وفيما يتخافتون اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم علما ومعرفة ان لبثتم ما مكثتم
الا يوما فيه استرجاع لقول من يكون منهم اشد تعالا كما قال تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون
لم يلبثوا الا ساعة من نهار وافاد الاستاذ ان من تفرغ لعد الاوقات والتمييز بين اختلاف
الحالات فهو غير مستوفي في بلائه ولا مستقصي في عنائه ومن كان مراد المعنى من حديثهم في مقام
الكمال لما يتفرغ الى نعت الحال فان الاحوال تخبر عنه وهو لا يسأل عن الخبر ويسئلونك
عن الجبال عن مآل امرها في الاستقبال فقل ينسفها ربي نسفا يجعلها كالرمال ثم يرسل عليها
الرياح فتفرقها في عالم الاشباح فيذرها فيترك مقارها قاعا خاليا صفصفا مستويا
لا ترى فيها عوجا انخفاضا ولا امتا ارتفاعا وافاد الاستاذ انه كما ان في القيمة الموعودة
تغير الجبال عن احوالها ففي القيمة الموجودة قد تحرك الابدال الذين هم كالرواسي ثباتا
فيدخل عليهم من الاحوال ما يحقهم عن شواهدهم ويأخذهم عن قواهم وقواعدهم يومئذ
يتبعون الداعي داعي الله الى المحشر لا عوج له لا يعدل عنه مدعو اذ لا مفر وخشعت
الاصوات للرحمن خفضت لمهابته وخضعت لجلالته طلبا لرحمته وعنايته
فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومشيا خفيا من هيبة عظمته وافاد الاستاذ
ان في ذلك المقام ينقطع الاوهام وتنقف الافهام وتتخنس العلوم وتندرس
الفهوم وتتغير المعارف وتتحير العوارف ويتلاشى ما هو نعت الخلق ويستولي
سلطان الحق فعند ذلك لا عين ولا اثر ولا رسم ولا غير وفي الحضور خرس وبلاء
وعلى البساط فناء وللرسوم امتحاء وانما الصيحة على الباب نداء لاولي الالباب يومئذ لا ينفع
الشفاعة الا من اذن له الرحمن اي الا شفاعة او الا من اذن في ان يشفع له فان
الشفاعة تنفعه ورضي له قولا رضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله
قول الشافع في حقه قال الواسطي وعلامة رضا قوله في مقام الانس ان لا ينسب شيئا
الى نفسه وافاد الاستاذ ان دليل الخطاب في مفهوم هذا الباب ان من اذن له
الرحمن في الشفاعة تنفع شفاعته فشفاعة الاكابر مقبولة في الاصاغر في المؤجل
وكذا في المعجل فان الحق سبحانه يشفع الشيوخ في مريديهم اليوم وهم على قسمين
فالذين هم اصحاب السلوك فبزيادة التوفيق وافادة التحقيق والذين هم اصحاب
التخبط والفترة فبالتجاوز عنهم بالمغفرة وعلى هذا يحمل قولهم اذا مرضتم اتيناكم
نعودكم وتذنبون فنأتيكم فنعتذر وحكايات السلف من الشيوخ مع مريديهم
في اوقات فترتهم معروفة وهي مشاكلة لهذه الجملة ثم ان شفاعتهم لا تكون الا

بتعريف من قبل الله في باطنهم وبكون ذلك ادبالهم في ظاهرهم يعلم ما بين ايديهم
ما تقدمهم من الافعال وما خلفهم ما بعدهم مما يستقبلونه من الاحوال والاهوال ولا يحيطون به
ولا يحيط علم الخلق بمعلوماته ولا بحقيقة ذاته ودقايق صفاته قال الواسطي كيف يحيط به
احد وهو لا يحيط بنفسه علما ولا بالسماء وهو يرى جوهرها جرما وقال فارس ما علمه غيره ولا
ذكره غيره فهو العالم على الحقيقة والذاكر في الحقيقة وقال ابن عطاء المعرفة معرفتان
معرفة حق ومعرفة حقيقة فمعرفة الحق معرفة الوحدانية على ما ابرز للخلق من الاسامي
والصفات الفردانية ومعرفة الحقيقة ان لا سبيل اليها لامتناع الصمدية وتحقيق
الربوبية لقوله ولا يحيطون به علما وقال الاستاذ لا يخفى على الحق شيء من ماضي احوالهم
ولا من انتهاء آمالهم ثم الكناية في قوله به يحتمل ان يعود الى ما بين ايديهم وما خلفهم
ويحتمل ان يعود الى الحق سبحانه وعز شانه وهو طريقة السلف يقولون نعلم انه
ولا نحيط به العلم كما قالوا انه يرى ولا يدرك وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وجوه
المجرمين وخضعت وجوه المطيعين وقد خاب من حمل ظلما اي وقد خسر من كان من
الظالمين ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن بالمغيبات
فلا يخاف ظلما بزيادة في السيئات ولا هضما بنقص في الحسنات وقرا ابن
كثير فلا يخف بالنهي وهو بمعنى النفي وافاد الاستاذ ان العمل الصالح ما يصلح للقبول ويصح
كونه وسيلة لوصوله وهو المتجرد عن الآفات الموافق لحقيقة الامر في الطاعات ويقال
العمل الصالح ما لم يستعجل فاعله عليه اجرا وقوله وهو مؤمن اي في المآل كما هو مؤمن في الحال
او وهو مؤمن مصدق لربه انه لا يعطي المؤمن شيئا لاجل ايمانه ولكن بفضله واحسانه
وانما ايمانه امارة ذلك لا موجب لما هنالك وكذلك انزلناه اي الكتاب الجامع
لفصل الخطاب قرآنا عربيا مقروا جليا وصرفنا فيه من الوعيد كررنا فيه النوع
الاكيد من جنس الوعيد لعلهم يتقون العصيان الاكيد او العذاب الشديد
او يحدث لهم ذكرا موعظة توجب لهم طاعة وشكرا وافاد الاستاذ انه سبحانه سهل
عليهم حديث القرآن من حيث انه انزله بخطابهم ولسانهم في البيان وصعب عليهم
حيث عجزهم عن الاتيان بمثله في معرض البرهان وقوله وصرفنا فيه من الوعيد اتبعنا
دليلا بعد دليل وبعثنا رسولا بعد رسول وحذرناهم بوجوه من التعريفات واظهار كثير
من الآيات فتعالى الله في ذاته وصفاته عن مماثلة مخلوقاته فلا يماثل كلامه كلامهم في
مقام تبيانه الملك النافذ امره ونهيه الحق الحقيق بان يخشى وعيده ويرجى وعده ويرجى
عهده وافاد الاستاذ ان علوه وكبرياؤه وسناؤه وعظمته وعلاؤه ومجده ورفعته والكل بمعنى
واحد المآل وهو استحقاقه لاوصاف الجلال ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك
وحيه نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته في القراءة حتى يتم وحي
التنزيل وقيل نهي عن تبليغ ما اجمل شانه قبل ان ياتي بيانه وافاد الاستاذ انه عليه السلام

كان

كان يتعجل بالتلقف من جبريل مخافة النسيان فامر بالتثبت في التلقن من هذا
الشان والامن من طوارق النسيان بالبرهان وعرف ان الذي يحفظ عليه ذلك هو الذي
انزل عليه القرآن فالآية تشير الى طرف من الاحتياط في القضايا بالظواهر وفي العموم قبل
عرضها على الاصول ثم ان لم يوجد ما يوجب التخصيص اجرى على مقتضى العموم بحكم اللفظ
بخلاف قول اهل الوقف على المامور به من قضية الاحتياط وقل رب زدني علما
اي سل الله زيادة العلم بالاحوال بدل المعالجة بالاستعجال فان ما اوحي اليك
يتبين لديك قال بعضهم اجعلني عالما بك جاهلا بغيرك كذا في تفسير السلمي وافاد الاستاذ
انه اذا كان اعلم البشر وسيد العرب والعجم ومن شهد له الحق بخصائص العلم بقوله
وعلمك ما لم تكن تعلم فقال وقل رب زدني علما علم ان ما يختص به الحق اصفياءه
واولياءه من لطائف العلوم لا يتصور احصاؤه ولا انتهاؤه ويقال لما قال صلى الله
عليه وسلم انا اعلمكم بالله واخشاكم له قيل له وقل رب زدني علما ليعلم ان شرف خصال العبد
الوقوف في مقام الافتقار والالتجاء والاتصاف بنعت الدعاء دون التوقف
في معرض الدعوى ويقال احاله سبحانه على نفسه في استزادة العلم واحال موسى عليه السلام
على الخضر حتى قال له هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا فشتان بين عبد احيل على
شخص في استزادة العلم ثم قال له انك لن تستطيع معي صبرا ثم بعد كل ذلك التلطف قال له
في آخر الامر من غير التوقف هذا فراق بيني وبينك وبين عبد امره عند استزادة العلم
ان يطلبه من ربه فقال وقل يا محمد رب زدني علما ولقد عهدنا الى آدم اي اوصيناه
بما اوحينا اليه بان لا يقرب الشجرة المعهودة حتى لا يترتب عليه الموعودة من قبل اي قبل
عهد الحق الى سائر الخلق فنسي عهدنا عزما وترك امرنا حتما ولم نجد له عزما ثباتا على امره
وتصميما على رايه وفيه تنبيه على ان اساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في
النسيان ولذا قال بعض اهل البيان اول الناس اول الناس وعن ابي امامة الباهلي
رضي الله عنه موقوفا ولو كان حكمه مرفوعا لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى
ولم نجد له عزما في حقه وقال جعفر عهدنا الى آدم ان لا ينسانا في حال فنسينا واشتغل
بالجنة عنا فابتلي بارتكاب المنهي منا وذلك لانه الهاه النعيم عن المنعم فوقع من النعيم
في البلية فاخرج من الجنة ليعلم ان النعيم هو مجاورة المنعم وقال الواسطي فنسي اي جهل
قدر عهده وفرق بين من نسي بالحضرة وبين من نسي في الغيبة ولذا قال عليه السلام رفع عن
امتي الخطاء والنسيان قلت في الآية والحديث دليلان على ان النسيان لم يكن
مرفوعا عن جنس الانسان وانما اختص رفعه عن هذه الامة كرامة لنبي الرحمة وافاد الاستاذ
انه عاتبه بقوله فنسي ثم اظهر بنيل عذره فقال ولم نجد له عزما في القصد على خلاف الرحمن بل كان
ذلك بمقتضى النسيان ويقال لم نجد له عزيمة في الاصرار على المخالفة ويقال شرح قصة
آدم وقصته بليته على جهة التسكين لقلوب ذريته حتى لا تقنطوا من فضل الله ورحمته

ولا ييأسوا حال ارتكاب غفلتهم من مغفرته ثم بين كمال آدم وحاله في مقام قربه وعلو رتبته
بقوله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى اى اظهر الاباء عن المطاوعة والاستكبار
عن الطاعة ولم يرجع عن حال المعصية الى مقام التوبة فبعد عن الرحمة واستحق اللعنة وافاد
الاستاد انه لم يتقدم من آدم عليه السلام طاعة ولا عبادة فخلقه الحق بيده وامر برفع سريره
بعد ما اجلسه عليه وحمل الى الجنة وامر ملائكة كل سماء ان يسجدوا له تكريما وتمجيدا له تعظيما
ابتلاء لهم واختبارا فسجدوا باجمعهم اختيارا وامتنع ابليس من بينهم استكبارا فلقى
من الهوان والتعزير ما سبق له في حكم التقدير والعجب ممن يخفى عليه ان مثل هذا يجرى
من دون ارادة الحق ومشيئته وهو عالم بانه كذلك يجرى في خليقته او اعتبروا الحكمة
في افعاله واحكامه ويزعمون انه علم ما سيكون من حال ابليس وذريته وكثرة مخالفة اولاد
آدم ووساوس الشيطان لهم وخطواته ثم يقولون ان الحق سبحانه كان عالما بما سيكون
ثم خلق ابليس ومكنه وحيده من هذه المعاصي مع ارادته ان لا يكون ذلك ويدعون
حسن ذلك في الفعل اعتبارا بما هو الحكمة منا هنالك فسبحان من اعمى بصائرهم
وعمى حقيقة التوحيد على سرائرهم فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك حذرا
لعلو مقامكما ورفعة هواكما فلا يخرجنكما من الجنة فلا يكونن سببا لاخراجكما عنها
والمراد نهيهما من ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما منها فتشقى انت
بالاصالة وزوجك بالتبعية او هو من باب الاكتفاء مع مراعاة فواصل الآى وافاد
الاستاد ان النصح ما نفعهم حيث ارادهم ما حذرهم وعلم انهم سيلقون ما خوفهم
ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ لا تعطش فيها ولا تضحى من جهة البروز
من البناء والمعنى لا تحر ولا تبرد ومن جهة الهواء وفي الآية تذكير لما له في الجنة من
اسباب الكفاية الموجبة للقناعة حيث كان مستغنيا عن اكتساب امور المعيشة
وهى الشبع والري والكسوة والمسكن التي هي من ضروريات الطبيعة البشرية وقرا نافع
وابو بكر وانك لا تظمأ بكسر الهمزة وافاد الاستاد انه لا تصديق اتم من تصديق
آدم ولا وعظ اشد رحمة من رب العالم ولكن ما قاسى آدم قبل ذلك الشقاء فلما
استقبله الامر وذاق ما خوف به من الكد والكدر ندم واطال البكاء ولكن بعد انبرام
التقدير في القضاء ويقال اودع بكل وجه فلم يعرف قدر العافية والسلامة الى ان
جرى ما هو المحكوم به من سابق القسمة ويقال عرفه قدره فلم يعرف شكره حتى استولى
عليه الجوع والعطش ونحوهما من كل فن في الدنيا وكان آدم عليه السلام اذا تجدد له نوع
من البلاء اخذ في البكاء وجبريل عليه السلام يأتي يقول ربك يقرئك السلام ويقول لم تبكى
في هذا المقام فكان يذكر لجبريل ما عنده من المرام وهو يقول له هذا الذي قلت
وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على
شجرة الخلد من اكل منها خلد في الجنة ودام فيها وملك لا يبلى لا يزول ولا يحول ولا يفنى

وقال الاستاد وكان الحق يعلم تلك الوسوسة هنالك ولم يذكره في اجمال ذلك بان
هذا من نزغات من قلت لك انه عدو لك ويقال سمى الشيطان شيطانا لبعده من
طاعة الله فكل بعيد من طاعة الله ويبعد غيره من طاعة مولاه فهو شيطان ولذا يقال
شياطين الجن ويقال لما طمع آدم في الخلود والبقاء وجد الشيطان سبيلا اليه
بالوسوسة والالقاء ويقال ان الشيطان ظهر لآدم بعد ذلك فقال له آدم يا شقى
فعلت بي وصنعت بي فقال ان كنت شيطانك فمن كان شيطاني قلت وهذا نظير
قوله صلى الله عليه وسلم فمن اعدى الاول فتأمل والناس تكلموا في الشجرة المنهية والصحيح
ان يقال كانت شجرة المحنة ويقال لو لم يخلق في الجنة تلك الشجرة لما كان نقصان في رتبة
الجنة ويقال لولا انه اراد بآدم البلية والا لطالت تلك الشجرة حتى لا يصل اليها
يد آدم البتة كما في القصة انه كان لا تصل يده بعد الزلة الى اوراق اشجار الجنة حين
كان يريد الاخذ منها ليستر بها العورة فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما فظهرت لهما
عوراتهما بعد ما ظهر سيئاتهما وطفقا اخذا وشرعا يخصفان يلزقان ويلصقان عليهما
على سوآتهما لسترتهما من ورق الجنة وهو ورق التين او غيره وافاد الاستاد انه لما ارتكبا
المنهي عنه ظهر ما يستحيي من ظهوره ولكنه سبحانه لطف بهما في هذه الحالة حيث قال فبدت لهما
سوآتهما ولم يقل فبدت سوآتهما مطلقا فلم يطلع على سوآتهما غيرهما ويقال لما تجردا
عن لباس التقوى من جهة الباطن تناثر عليهما لباسهما الظاهر ويقال اول الحرف
والصناعات خياطة الرقاع بعضها على بعض من جهة ستر العورات فهو ميراث من ابينا
آدم عليه السلام لاولاده الفقراء من بين الانام ويقال كان آدم اصبح وعليه من حلل
الجنة وفنون لباس النعمة ثم لم يمس حتى كان يخصف على نفسه بالجنة هكذا كان في الابتداء
وذلك موروث في اولاده من اهل الابتلاء وعصى آدم ربه باكل الشجرة فغوى فضل
عن الطريقة وخاب حيث طلب الخلد في الجنة وفي النداء عليه بالعصيان والغواية
مع صغر زلته تعظيم للجناية وزجر بليغ لاولاده عن المخالفة وافاد الاستاد انه لما وقع
عليه سمة العصيان وهو اول افراد الانسان كان في ذكر هذا تنفيس لاولاده ان يجرى
عليهم الزلة وهم في السجن بوصف الغيبة في حين الفترة ويقال كانت تلك الاكلة
شيئا واحدا من الزلة ولكن بسببها ينادي عليه بالعصيان الى يوم القيمة وعصى آدم
ربه ليعلم ان عظم الذنوب لمخالفة الآمر عظم قدرها لا لكثرة المخالفة في نفسها
ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق له بالاوبة فتاب
عليه فقبل عنه التوبة وهدى الى الثبات على الاوبة والتعلق بعروة العصمة
قال ابن عطا اسم العصيان مذمة على الانسان الا ان الاجتباء والاصطفا منعا
ان يلحق آدم اسم المذمة على الزلة ببركة التوبة وقال جعفر طالع ادم الجنان ونعيمها
بعينه فنودي عليه الى يوم القيمة وعصى آدم ولو طالعها بقلبه لنودي عليه بالهجران

ابد الابد ثم عطفت عليه ورحمه بقوله ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال الواسطي
لم يؤثر العصيان في اجتبائه وقوله وعصى آدم ربه اي اظهر خلافه ولما ادركه الاجتباء
ازالت عنه مذمة العصيان حتى الا ترى كيف اظهر عذره بقوله فنسي ولم نجد له عزما
وكيف يعزم على المخالفة من هو في ستر العصمة وخصوصية الاجتبائية والاصطفائية
كذا في تفسير السلمي ومن كلام السيد الشاذلي اللهم اجعل سيئاتي سيئات من
احببت ولا تجعل حسناتي حسنات من ابغضت وافاد الاستاذ انه سبحانه
اخبر انه عصى آدم ربه وكل قال لعله لا ينتعش بعده فقال ثم اجتباه ربه اي
الذي اصطفاه اولا من غير العلة اجتباه ثانيا بعد الزلة فتاب عليه بغفران ذنبه
وهدى الى ربه حتى اعتذر واستغفر ووصل الى مقام قربه وحال حبه قال اهبطا
منها جميعا الخطاب لآدم وحوا وله ولابليس ولما كانا اصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم
في القضية فقال بعضكم لبعض عدو للامور الدنيوية والاخروية من التجاذب والتحارب
بمقتضى الطباع البشرية وافاد الاستاذ انه سبحانه اوقع العداوة بين آدم وابليس في الجنة
ولقد توالت انواع المحنة على آدم وحوا بعد خروجهما من الجنة وهي سمة المعصية ومفارقة
الجنة ودخول الدنيا وعداوة الشيطان والابتلاء بالشهوات فاما يأتينكم مني هدى
كتاب ورسول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى لا يتعب في العقبى قال سهل
فمن تبع هداي اي الهداية بملازمة الكتاب والسنة فلا يضل عن طريق الهدى ولا يشقى في الآخرة
والاولى وقال الاستاذ فمن تبع هداي وترك هواه ولم يمل بوسوسة عدوانه فله كل
خير ولا يلحقه ضير ومن اعرض عن ذكري عن الهدى الذاكر لذاتي وصفاتي والداعي الى طاعتي
وعبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقة وذلك لان مجامع همه وفكره ومطامح نظره في امره
يكون الى اعراض الدنيا واغراضها متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها انتقاصها
بخلاف المؤمن الطالب للاخرى والقائم بوظيفة خدمة المولى وقد فسر صلى الله عليه
وسلم المعيشة الضنك بعذاب القبر على ما صححه الحاكم ورواه غيره وذهب اليه جمهور السلف
خلافا لبعض الخلف وافاد الاستاذ ان الكافر اذا اعرض عن ذكر ربه في هذه الدار فله
المعيشة الضنك في الدنيا وفي القبر وفي النار وبالقلب من حيث وحشة الفكر وبالوقت
من حيث انغلاق الامر ويقال من اعرض عن الاحتراز في قضايا الوفاق انثالت عليه
فنون الخذلان وصنوف الشقاق ومن اعرض عن استدامة ذكر الرب توالت عليه
من تفرقة القلب ما يسلبه كل روح وراحة من روائح الحب ومن اعرض عن الاستئناس
بذكره انفتح عليه وساوس الشيطان في فكره وهواجس النفس في امره بما يوجب له وحشة
الضمير وانسداد ابواب الراحة والبسط والرضا بالتقدير ويقال من اعرض عن ذكر الله
في الخلوة قيض الله له في الظاهر من القرين السوء في الجلوة ما يوجب رؤيته له قبض القلوب
واستيلاء الوحشة ونحشره يوم القيامة اعمى اعمى البصر او البصيرة ولا منع من الجمع ولم يؤيد

الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا في الدنيا قال كذلك اي مثل ذلك فعلت
معك في العقبى جزاء لما صدر عنك في الاولى بتقصير خدمتك للمولى اتتك آياتنا واضحة
نيرة في ذاتها ودلالاتها فنسيتها فغبت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك اي مثل
تركك اياها في الدنيا اليوم في العقبى تنسى تترك في العذاب والعمى جزاء وفاقا وان ورد
في الخبر من كان بحالة لقي الله بها فمن كان في الدنيا اعمى القلب يحشر على حالة يعيش على
جهل ويحشر على جهل قلت وقد قال صلعم كما بدأكم تعودون وورد كما تعيشون تموتون
وكما تموتون تحشرون ولذلك يقولون من بعثنا من مرقدنا الى ان تصير معارفهم ضرورية
وكما يتركون اليوم التدبر في آياتهم يتركون غدا في العقوبة من غير رحمة على ضعف
حالهم وكذلك نجزي من اسرف بالاعراض عن الآيات والانهماك في الشهوات
ولم يؤمن بآيات ربه مع انها من الواضحات ولعذاب الآخرة المشتملة على حشرهم
بالعمى ودخولهم في نار العقبى اشد وابقى من ضنك العيش ومجرد العمى وافاد الاستاد
انه سبحانه جرت سنته ومضت مشيئته بان يجازي كلا بما يليق بحالته فما اسلفه لنفسه فقدمه
سيلقى جزاءه غبه على الخير خيرا وعلى الشر شرا افلم يهد لهم اي افلم يبين لهم
وهو مسند الى الله كما يدل عليه القراءة الشاذة بالنون او الى ما دل عليه كم اهلكنا اي الم
يدلهم كثرة اهلاكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ويشاهدون آثار هلاكهم ان في
ذلك لآيات لاولي النهى لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعامي في الاحوال
الماضية والآتية وقال الاستاد افلا ينظرون فيتفكرون فيستبصرون ثم اذا استبصروا
افلا يعتبرون واذا اعتبروا افلا يرتدعون ام على وجوههم في ميادين غفلاتهم يركضون
وعن سوء معاملاتهم لا يرجعون الا ساء ما يعملون ولولا كلمة سبقت من ربك وهي الحكم
بامهال بعض الامة في الازمنة الآتية او هي العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة
لكان عذاب الاستئصال كما نزل بالامم المكذبة لزاما لازما لهؤلاء الكفرة واجل مسمى
اي ولولا مقدار معين لاعمارهم في الدنيا او لعذابهم في العقبى لكان العذاب ملازما لهم
في الدنيا وافاد الاستاد ان المعنى لولا ان الكلمة سبقت بتأخير العقوبة عن هذه
الامة وان جماعة من اوليائه في اصلاب اعدائه لعجل عقوبتهم في الدنيا ولكن لما ذكر
من الحالة يمهلهم المدة المعلومة ثم لا يمهلهم اصلا في القضية واذا كانت الكلمة بالسعادة
لقوم مضت وبالشقاوة لاخرين سبقت والعلم في اللوح المحفوظ بجميع ما هو كائن جرى فالسعي
والجد والانكماش في الجهد متى ينفع المنفعة لكنه ايضا ما ظهر من القسمة فاصبر على ما يقولون
في كذا بنا وفينا او في حقك وسبح بحمد ربك صل وانت حامد له على هدايته وتوفيق
عبادته او نزه ذاته وصفاته مع الاقتران باثبات كمالاته قبل طلوع الشمس يعني الفجر
وقبل غروبها يعني الظهر والعصر او العصر وحده ومن آناء الليل ومن ساعاته فسبح
يعني المغرب والعشاء قبل الفاء صلة او تقديره اما من آناء الليل فسبح وانما قدم الزمان

وكرر الامر اهتماما لاختصاصه بمزيد الفضل والقدر فان القلب فيه اجمع والنفس
لميلها الى الاستراحة امنع فيكون فيه العبادة احمز وفى البعد عن الرياء والسمعة اميز ولذا
قال تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطئا اى كلفة واقوم قيلا اى قراءة واطراف
النهار اى طرفيه فهو تكرير لصلوتى الصبح والمغرب اهتماما بشانهما او المراد بها صلوة الظهر فانها
نهاية النصف الاول وبداية النصف الاخير او صلوة التطوع وسائر النوافل فى اجزاء النهار
لعلك ترضى اى سبح فى هذه الاوقات طمعا فى ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك من
الحالات والكمالات وقرا ابو بكر والكسائى بالبناء للمفعول اى يرضيك ربك وافاد الاستاذ
ان سماع الاذى يوجب المشقة ويروع السالك فالمعنى ان كان سماع ما يقولون يوحشك
فتسبيحنا الذى تمشى به علينا يروحك قبل طلوع الشمس اى فى صدر النهار لينعم صباحك
ليبارك لك فى طول نهارك وقبل غروبها عند انقضاء النهار لينعم رواحك ويطيب
ليلك ومن آناء الليل اى فى الساعات الخالية فان كمال الصفوة ذكر الله فى حال الخلوة
واطراف النهار اى استدم على ذكر ربك فى جميع احوالك من ادبارك واقبالك ولا تمدن
عينيك اى لا تطمح نظرهما ولا تطرح بصرهما الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون له
مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة والفجرة لان من علم ان مولاه ذخيرته لم يلتفت الى
ما سواه ببصيرته زهرة الحيوة الدنيا اى صورة بهجتها وزينتها عند ارباب غفلتها
لنفتنهم فيه لنبلوهم به او لنعذبهم بسببه وافاد الاستاذ ان الرؤية فيما لا يحتاج اليه
لا يخلو عن علة كفضل الكلام ولغو الحركة والذى له عند الله قدر ومنزلة فالحق على جميع
احواله غيره لا يرضى عنه ان يبذل شيئا من حركاته وسكناته وسائر حالاته فيما ليس بداخل
تحت اشاراته ومرضاته وفى معناه انشدوا • اتتنى تؤنبنى بالبكاء • فاهلا بها وبتانيبها
تقول وفى قولها حشمة • اتبكى بعين تراى بها • فقلت اذا استحسنت غيركم •
امرت الدموع بتاديبها ■ والفتنة فيما يشغل قربه عن الرب ويستولى حبه على القلب
ويجبره وجوده على العصيان ويحمل الاستمتاع به على البطر والطغيان ورزق ربك
اى ما اعد لك من النعيم المقيم فى العقبى او ما رزقك من الهداية والكفاية والقناعة
خير احسن مما متعهم ومتعتهم فى الدنيا وابقى فانه لا ينقطع ابدا قال ابو بكر بن طاهر
هو القناعة بما يملكه والزهد مما لا يملكه وقال بعضهم من رزق النعمة بالبتر والرضا عن مولاه
فيما منعه واعطاه فقد اعطى افضل الرزق فى دنياه واخراه ذكره السلمى وافاد الاستاذ
ان القليل من الحلال وفيه رضى الرحمن ولطفه خير من كثير الحرام والحطام ومعه سخطه
ويقال قليل يشهدك ربك خير من كثير يطغيك وامر اهلك اى تابعيك من
اهل بيتك او متابعيك من امتك بالصلوة اى وسائر الطاعات الموجبة
للصلات وخصت لانها ام العبادات الناهية عن السيئات ليتعاونوا على
الاستعانة بها على الفاقة ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يميلوا الى الدنيا كميل اهل الثروة

واصطبر

واصطبر عليها اى بالغ فى طلب الصبر بثبات القدم والمداومة للوصول اليها قال
جنيد وامر اهلك بالاتصال بنا والاصطبار على تلك الموصلة معنا اى بالانقطاع
عن غيرنا والاكتفاء بما عندنا وافاد الاستاذ ان الصلوة استفتاح باب الرزق وعليها
احال فى تيسير الفتوح عند وقوع الحاجة الى الرزق ويقال الصلوة رزق القلب واذا
استاثر قوت النفس قوى قوت القلب بذكر الرب والاصطبار مزية على الصبر
وهو ان لا يجد صاحبه به المبالاة بكونه محمولا مروحا انتهى ولا يخفى ان الظاهر من الاصطبار
هو زيادة المبالغة بالجد والجهد فى تحصيل الصبر وان كان فيه تحمل مرارته وتكلف
مشقته لا نسالك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك بكسبك نحن نرزقك
واياهم ففرغ بالك وحسن حالك وانظر مآلك والعاقبة المحمودة عند
اهل النهى للتقوى لذوى التقى او للمتقى مبالغة كما لا يخفى وقد ورد انه عليه السلام اذا حزبه
امر فزع الى الصلوة وروى انه اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلوة وتلا هذه الآية
وافاد الاستاذ ان هما شيئان وجود الارزاق وشهود الرزاق فوجود الارزاق
يوجب قوة النفوس وشهود الرزاق يوجب قوة القلوب ويقال استقلال العامة
بوجود الارزاق واستقلال الخاصة بشهود الرزاق ويقال خفف على الخلق مقاساة
امر الرزق وتاخر ذلك عن وقت الرفق بقوله والعاقبة للتقوى اى العاقبة الحسنى
لاهل التقوى وقالوا لولا ياتينا باية من ربه اى باية مقترحة تدل على صدقه فى دعوى الرسالة
اولم تاتهم وقرا نافع وابو عمرو وحفص بالتانيث اى اما جاءتهم بينة ما فى الصحف
الاولى من التورية والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتمال القرآن على زبدة ما فيها
من العقائد الدينية والاحكام الكلية مع ان الآتى بها امى لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز
بين لمن اكتحلت عين بصيرته فرات ظهور حجته ووضوح بينته ولا يحتاج الى معجزة
وافاد الاستاذ انه عميت بصائرهم واظلمت سرائرهم فادعوا انه لا برهان معه ولا بينة
ولم يكن القصور فى الادلة ولو جمع الله لهم كل آية مقترحة ثم لم يرد الله ان يؤمنوا بها
لم يزدادوا الا طغيانا وضلالة ثم اخبر ان سنة ابائهم فى تكذيب انبيائهم مثل سنة
مثل سنة ابنائهم فى تكذيب نبيهم فقال اولم تاتهم بينة ما فى الصحف الاولى ولو انا
اهلكناهم بعذاب من قبله قبل محمد او القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع آياتك اى احكامك من قبل ان نذل بالقتل والسبى فى الدنيا ونخزى
بدخول النار فى العقبى وافاد الاستاذ انه سبحانه يقول انهم ان ارسلنا اليهم
الرسل قابلوهم بفنون من الجحد ووجوه من العلل فمرة يقولون ما بال هذا الرسول وجه
كونه بشرا وهلا ارسل ان كان يرسل ملكا ولو ارسلنا ملكا لقالوا هلا ارسل الينا مثلنا
بشرا ولو اظهرنا عليهم آية لقالوا هذا سحر مفترى ولو اخليناهم عن رسول نذير وعاملناهم
بما استوجبوه من نكير لقالوا هلا ارسل الينا رسولا حتى كنا نؤمن ونتبع فليس

ينقطع اعمالهم ولا ينفك عن امر لا يرضون به احوالهم وكذلك سبيل من لا يجنح الى الوصال
ولا يرغب في الوداد وفي معناه • وكذا الملول اذا اراد قطيعة • مل الوصال وقال كان
وكاناه قل كل متربص منكم متربص منتظر لما يؤل اليه امرنا وامركم فتربصوا وترى
فتمتعوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي المستقيم القوي ومن اهتدى
من الضلالة والردى وافاد الاستاد ان الكل واقفون على التجويز غير حاصلين
بوثيقة من التمييز ينتظرون ما سيبدو في المستانف من التقدير الا ان ارباب التوفيق
ينتظرون حوادث الايام وصنائع الاحكام بارتكاب الاثام وكيف يقتضيه حكم الافلاك
على الانام وما الذي توجبه الطبائع والنجوم في الليالي والايام وارباب الجمعية من المسلمين
ينتظرون ما يبدو من المقادير فهم في روح التوحيد والباقون في ظلمات الشرك

سورة الانبياء واولهم التدابير وهي مائة واثنتى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الذي تشبثت به الانبياء ابتداء وتعلقت به الاولياء
انتهاء وافاد الاستاد انه اسم عزيز من توصل اليه بطاعته تفضل عليه
بجميل نعمته ان اطاع فضله وان اضاع اهمله ثم ان آب واقر شكره وان عصى
وعاب ستره فان تنصل رحمه وان تكبر قصمه اسم عزيز ما استنارت الظواهر
الا بانوار توفيقه ولا استضاءت السرائر الا بانوار تحقيقه فبتوفيقه وصل
العابدون الى مجاهداتهم وبتحقيقه وجد العارفون كمال مشاهداتهم وبتمام
مجاهداتهم وجدوا آجل مثوبتهم وبدوام مشاهداتهم نالوا عاجل قربتهم اقترب للناس
حسابهم وهم في غفلة عما فيه خطاياهم وعقابهم معرضون عما يترتب عليه عتابهم
ما بينه كتابهم وقال بعضهم دنا وقت الانتباه وهم في غفلة عن طريق التوبة
معرضون عن اليقظة وقال يحيى بن معاذ حان لك ان تحاسب نفسك فقد
مضى اكثر عمرك وتنزجر عن الغفلة وقد نوديت ودعيت الى الانتباه واليقظة
فرحم الله عبدا حاسب نفسه قبل ان يحاسب عمله ووزن عمله قبل ان يفرغ اجله
وانتبه من غفلته قبل ان يقع في حفرته وقال الاستاد اقترب للناس حسابهم
وقرب الينا ايابهم فالمطيعون منهم عظم له بثوابهم والعاصون منهم حق منا
عقابهم ويقال الغفلة على قسمين غافل عن حسابه لاستغراقه في دنياه او متابعة
هواه وغافل عن حسابه لاستهلاكه في مولاه او متابعة رضاه فالغفلة الاولى لهم
ارباب الهجر والتوقفة والغفلة الثانية صفة اصحاب الوصل والجمعية فالاولون
لا يستفيقون من غفلتهم الا في عسكر الموتى وهؤلاء لا يرجعون من غيبتهم ابد
الابد لفنائهم في وجود الحق سبحانه وتعالى ما ياتيهم من ذكر كتاب او سنة ينبههم
عن سنة الغفلة والجهالة من ربهم محدث تنزيله قديم تاويله الا استمعوه
وهم يلعبون يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط عنادهم واعراضهم

عن التدبر في عاقبتهم والتفكر في امر آخرتهم وافاد الاستاد انه سبحانه لم يجدد اليهم
نذيرا الا ازدادوا نفورا ولم ينزل عليهم خطابا الا ردوه جحدا وكذبا وما زدناهم
فضلا الا عدوه هزلا وما جددنا لهم نعمة الا فعلوا ما استوجبوا نقمة وكان الذي به
اكرمناهم محنة بها بلوناهم هذا صفة من سامع الله خلقه وخسر عند الله حظه لاهية
قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء به والتلهي عنه والذهول عن التفكر
فيما به الوصول فالقلوب اللاهية هي الغافلة عن الاحكام الالهية قال ابو بكر
الوراق اللاهي المشغول بزينة الدنيا وزهرة اموالها الغافل عن قضية العقبى
واحوالها واهوالها وقال ابن عطا معرضة عن طريق رشدهم وقال الاستاد عمية
بصائرهم وغائبة افهامهم وسرائرهم فهم في غباوة لا يستبصرون وفي اكنة مما اقيم
لهم البرهان فهم لا يعلمون واسروا النجوى بالغوا في اخفائها الذين ظلموا في ابدائها
والموصول بدل من واو اسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا هل هذا الا بشر مثلكم
فيذهب بسحره عقلكم افتاتون السحر اتقبلونه وتقبلون عليه وانتم تبصرون
تنظرون اليه وتحيرون لديه وهذه المقالة مبنية منهم على ان غير الملك ليس له دعوى
الرسالة وقد نشاء من غاية الضلالة ونهاية الجهالة وافاد الاستاد انهم لما عجزوا عن
معارضته وسقطوا عن تحديهم وظهر عليهم وضوح حجته وجوا فيه الفكر وقسموا فيه
النطق فمرة نسبوه الى فعل السحر ومره وصفوه بقول الشعر ومرة رموه بالجنون وهكذا
الى كل فن من الفنون وقيل ذلك كانوا يقولون له محمد الامين المامون وانشد •
شعر اشاعوا لنا في الحي اشنع قصة • وكانوا لنا سلما فصاروا لنا حربا •
قل وقراه حمزة والكسائي وحفص قال اي الرسول ربي يعلم القول سرا وجهرا
في السماء والارض سواء وهو السميع لاقوالكم العليم باحوالكم فلا يخفى عليه ما تعلنون
وما تسرون وما تظهرون وما تضمرون وافاد الاستاد ان الاقاويل التي يسمعها
الحق سبحانه من الخلق متفاوتة في المرتبة ومختلفة في المنزلة فمن خطاب
بعضهم مع الخلق ومن خطاب بعضهم مع الحق والذين يخاطبون الحق فمن
سائل يسال الدنيا ومن طالب يطلب العقبى ومن مثن يثني على المولى من غير
اقتضاء شيء من الدنيا والاخرى ويقال يسمع انين المذنبين سرا من الخلق
حذرا ان يفتضحوا ويسمع مناجاة العابدين بنعت التسبيح اذا تهجدوا ويسمع
شكوى المحبين اذا مسهم البرحاء من شدة الاشتياق فضجوا ويقال يسمع
خطاب من يناجيه بقلبه في امره وكذا تسبيح من يمدحه ويثني عليه بلسان سره
وبيان شكره بل قالوا اضغاث احلام اي تخاليط الاحلام من عالم المنام
بل افتراه اي هذا الكلام على الملك العلام بل هو شاعر اي يخيل الى السامع معاني
في مباني لا حقيقة لها ويرغب الخلق اليها وكل ما قالوه باطل ليس تحته طائل اما كونه

اصلا ما فلانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع فى وقايع عزيزة من انباء
الاولين واخبار الآخرين واما كونه افتراء فلانهم جربوه نيفا واربعين سنة وما سمع
منه قط كذبه واما كونه شعرا فان كلامه مشحون بالحقائق والحكم الدقائق الخارجة عن مناسبة
قواعد الشعراء واوزان قوافى الخطباء ولذا عجز عن معارضته جميع الفصحاء والبلغاء
وافاد الاستاد انهم نوعوا ما نسبوا اليه وشانوا وكل ترائى له الامر من حيث كانوا
ولم يشاهدوه عليه السلام على الوصف الذى كان به من الصدق فى الحال والثبات
فى المآل فليأتنا بآية اى معجزة ظاهرة وعلامة باهرة ما آمنت قبلهم من قرية من اهل
قرية اهلكناها باقتراح الآية لما جاءتهم ولم يؤمنوا فى تلك الحالة افهم يؤمنون لو جئتهم بالآية
المقترحة وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالاقتراح للابقاء عليهم والترحم بهم اذ لو
اتى به ولم يؤمنوا استوصلوا كمن قبلهم وافاد الاستاد انه سبحانه اجرى سنته فى ازل الازال
بانه لا يعذب الا من كان المعلوم من شانه انه لا يؤمن لا فى الحال ولا فى المآل وان هؤلاء الذين
كانوا فى عصر الرسول عليه السلام امثالهم فى الكفران فى حكم الحق لهم بالحرمان والخذلان وما ارسلنا
قبلك الا رجالا من جنس البشر لا ملكا ولا نساء يوحى اليهم وقرأ حفص بالنون فاسئلوا
اهل الذكر اهل العلم بالانبياء والرسل والامم كمؤمنى اهل الكتاب واصحاب السير
وتواريخ للخطاب ان كنتم لا تعلمون هذه المقدمة لتزول عنكم الشبهة وافاد الاستاد انهم
لما قالوا لولا انزل علينا الملائكة اخبر انه لم يرسل الى الناس رسولا الا بشرا فيما سبق من الازمان
الماضية والقرون الخالية وذكر ان الخصوصية كان بارسال بشرا اياهم فى تلك العقبة ثم قال
فسئلوا اهل الذكر والخطاب للكل والمراد منه الامة واهل الذكر العلماء الائمة من اكابر هذه
الامة والذين آمنوا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة ويقال هم اهل الفهم من الله
اصحاب الالهام الذين هم فى محل الاعلام من الملك العلام واما جنس الافهام للخلق من جانب
الفهم عن الحق ويقال العالم يرجع اليه فى العبادات والمعاملات اذا اشكلت الواقعة فيخبر
عن اجتهاده فى تلك الحالة وشرطه ان لا يكون مقلدا ويكون من اهل الاجتهاد محققا
فاذا لم يخالف النص وادى اجتهاده الى شئ بحسب معرفته ولم يخالف اصلا مقطوعا
بصحته وجب قبول فتواه واما الحكيم اذا تكلم فى المعاملة فانما يقبل قوله اذا سبق منه المنازلة
لما يفتى به فان لم يتقدم له من قبله المنازلة فقط فتواه فى هذا الطريق من النوع كفتوى
المقلد فى مسائل الشرع واما العارف فيجب ان يتكلم فى هذا الطريق عن وجده فان
كان والا لا يقبل فتواه ولا يسمع قوله وما جعلناهم اى الرسل الكرام جسدا اى اشباحا
يتضمن ارواحا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين كسائر الانام وافاد الاستاذ
انهم لما عيروا النبى عليه السلام بقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق
لتحصيل المعاش والارتفاق اخبر ان اكل الطعام ليس بقادح فى المعنى الذى يختص به
الاكابر الكرام اذ لا منافاة بين اكل الطعام وما تسكنه القلوب والسرائر من وجوه

كما ارسل الاولون بها مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى صح

التوبيخ

التوبيخ والاعلام ويقال النفوس لا خبر لها بما به القلب والقلب لا خبر له بما يتحقق به
الروح من قرب الرب وفوق الروح واللطف منه الستر وبينهما البون الكثير والفرق الغزير
وقوله وما كانوا خالدين اى انهم كغيرهم على ممر ومعبر ولا سبيل اليوم للمخلوق الى الخلد بعمر مستمر
ثم صدقناهم الوعد اى الرسل فى وعدهم بالنجاء اتباعهم واهلاك اعدائهم فانجيناهم
ومن نشاء ممن هديناهم واجتبيناهم واهلكنا المسرفين فى كفرهم وكفرانهم وافاد الاستاد
ان الحق سبحانه يحقق امر وعده وان تباطا الوقت بتحقيقه فما اخبر انه يكون فلا محال الا
يكون والموعود من نصرة الله لاهل الحق واليقين انما هو باعلاء كلمة الدين وارغام من
نابذ الحق من الجاحدين وتحقيق ذلك بالبيان والحجة وايضاح وجه الدلالة وبيان خطاء
اهل الشبهة لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم صيتكم وشرفكم فى دينكم ودنياكم كقوله تعالى
وانه لذكر لك ولقومك او فيه ما يذكركم من وعظكم بوعدكم ووعيدكم وساير احكامكم
افلا تعقلون فتؤمنون وتعملون وكم قصمنا اهلكنا من قرية من اهلها كانت ظالمة
فى حالها وانشأنا بعدها بعد اهلاك اهلها قوما آخرين مكانهم قال ابو بكر الوراق
فى الظلم خراب العمر وقد قال صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة فاذا اظلم
القلب عن المعرفة والاخلاص خرب وعلامة خراب القلب عصيان الجوارح وميلها
الى ما فيه هلاكها وافاد الاستاد ان الله يمهل الظالم حينا لكنه يأخذه اخذ قهر وانتقام
وحكم الله بخراب مساكن الظالمين حتى فى الخبر لو كان الظلم بيتا فى الجنة لسلط الله
عليه الخراب فاذا ظلم العبد نفسه خربها الله بان يعطلها من مساكن التوفيق
للعرفان وجعلها مواطن الخذلان واذا ظلم قلبه بالغفلة سلط عليه الخواطر
الردية التى هى وساوس الشيطان ودواعى الفجور والطغيان وعلى هذا القياس
فى القلة والكثرة والروح اذا خربت زايلها الحقائق والنجات واستولى
عليها العلايق والمساكنات فلما احسوا بأسنا ادركوا شدة عذابنا وحدة
عقابنا اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين
بها من فرط اسراعهم وافاد الاستاد انهم لما ذاقوا وبال افعالهم اضطربوا فى
احوالهم فلم ينفعهم ندمهم ولم تعد الى محلها قدمهم وبعد ظهور الخيانة لا تقبل دعوى
الامانة لا تركضوا اى يقال بلسان القال او بلسان الحال لا تسرعوا فى الهرب
من المحنة والذلة وارجعوا الى ما اترفتم فيه اعطيتم من النعمة واللذة والمعنى
الى دنياكم وهويكم ومساكنكم اى والى بيوتكم ودياركم لعلكم تسئلون عن اعمالكم او تقصدون
سؤال الفقراء من اموالكم وفى هذا توبيخ وتقريع لهم وافاد الاستاد ان للجناية سراية فاذا
حصلت الجناية لم تقف السراية فاذا غرقت السفينة فليس بيد الملاح الا اظهار
الاسف وهيهات ان يجدى ذلك هنالك قالوا لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة
يا ويلنا انا كنا ظالمين فانهم حيث صاروا فى غير محلهم نادمين وافاد الاستاد ان الاقرار زمان

معيّن بنفعه فاذا فات فات حكمه كان كمثل وضع القوس بعد ارسال السهم امساك في
غير محلّه فما زالت تلك المقالة دعويهم دعوتهم ودعيهم فكان كلّا منهم يدعو الويل
ويقول يا ويل تعال فقد ظهر شانك وهذا اوانك فهذا اوانك حتى جعلناهم حصيدا مثل
الحصيد وهو النبت المحصود خامدين ميّتين يابسين آيسين وافاد الاستاذ ان من البلاء
ان يشكو فلا يسمع ويبكي ولا ينفع ويدنوا فيقصي ويمرض فلا يعاد ويعتذر فلا يقبل وغاية
البلاء التلف والعناء وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين بل خلقناهما مشحونة
بضروب من الحكم البديعة تبصرة للنظّار وتذكرة لذوي الاعتبار وتعجبة لما ينتظم به امور
العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتوصلوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغترّوا بزخارفها
فانها سريعة الزوال وموجبة للنكال في الحال والمآل وافاد الاستاذ ان اللعب فعل من
زال عن حدّ الصواب واستجلب بفعله الالتذاذ والجرّ في حبل السفه وحق الحق متقدس
عن هذه الجملة لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى ويلعب في ساحتنا لاتخذناه من لدنّا
من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات الروحانية لا من الذوات الجسمانية كالاجسام
المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها في تبيينها وتسوية
الفرش وتزيينها ان كنّا فاعلين ذلك ويدل على جوابه ما تقدم هنالك وقيل ان نافية
والجملة كالنتيجة للشرطية كقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هديها ولكن حق القول
مني وقيل اللهو الولد والزوجة والمراد الرد على النصارى من الكفرة وافاد الاستاذ
انه سبحانه خاطبهم على حسب فهمهم وعلى مقدار افهامهم والا فالذي لا يعتريه سهو لا يستغره
لهو والحق لا يعتريه سهو ولا يضاهيه كفو بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن
اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب والسهو اي بل من شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته
الجد والصدق والعدل والفضل على الباطل الذي من عداده اللهو واللعب والهزل
فيدمغه فيمحقه ويزهقه بتغليب الحق وتغليبه على الباطل وتغييبه فاذا هو زاهق هالك
مستاصل زائل ماحق ولكم الويل مما تصفون اي مما تصفونه به مما لا يجوز عليه افاد الاستاذ
انه سبحانه يدخل نهار التحقيق على ليال الاوهام فينقشع سحاب الغيبة وينجلي ضباب الاوهام عن
الافهام وتبرز شمس اليقين عن خفاء الظنون وتصحو سماء الحقائق عن كل غبار للشبهة
ساطع وينكشف عن وجه كل وجيه حجاب هو صورة الظاهر مانع وله من في السموات
والارض ملكا وملكا ومن عنده من الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين
عند الملوك والسلاطين لا يستكبرون عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون
لا يعيون منها ولا يتعبون فيها وافاد الاستاذ انه سبحانه له الحادثات ملكا والكائنات
حكما وتعالى ان يتجمل بوفاق او ينتقص بخلاف وشقاق وبالقدر ظهور الجميع وعلى
حسب الاختيار تصرف الكل يسبحون الليل والنهار لا يفترون ينزهونه ويعظمونه دائما من
غير فتور ولا قصور وافاد الاستاذ ان المطيع المختار تسبيحه بالقول الصدق من الكلمة والكل

من المخلوقات

من المخلوقات تسبيحها بدلالة الخلقة وبرهان البينة ام اتخذوا بل اتخذوا وبل للانتقال
والهمزة لانكار اتخاذهم آلهة كائنة من الارض اي من جنسها مع كونها من السفليات
وفائدتها التحقير دون التخصيص اذ لا يجوز اتخاذ الالهة ايضا من العلويات هم
ينشرون اي تلك الآلهة تحيي الموتى ثانيا وهذا وان لم يصرحوا بذلك الا انه لازم بادعائهم
لها الالهية هنالك فان من لوازمها الاقتدار على جميع الكائنات باسرها ابتداء وانتهاء
والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم لقوله تعالى وما يشعرون ايّان يبعثون وللمبالغة في ذلك
الامر المهم زيد ضمير هم الموهم لاختصاص الانشار بهم وفيه ايماء الى انه لا ينشر الموتى ثانيا
الا من خلقهم ونشرهم ابتداء وهم معترفون بخلق الله اياهم اولا كما قال تعالى ولئن سالتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله فيتعين ان يكون هو يحييهم آخرا وافاد الاستاذ
انه سبحانه تفرد بالابداع والايجاد وتقدس عن الامثال والانداد فالذين من دونه يعبدون
اموات غير احياء وهم بالضرورة يعرفون افلا يعتبرون ولا ينزجرون لو كان فيهما
آلهة الا الله اي غيره وصف بالا حيث تعذر الاستثناء لعدم شمولها قبلها لما بعدها
وفي التلويح الا بمعنى غير صفة اذ لو كان استثناء لوجب نصبه لفسدتا لبطلتا لما يكون
بينهما من التنازع والتمانع في وجودهما وعدمهما والمعنى لو كان مدبر امر السماء والارض
الهة شتى غير الواحد الذي فطرهما لخربتا وخرجتا عن نظامهما لانه سبحانه هو قيوم
السموات والارض وما بينهما فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع اجسام العالم البسيط
الذي هو محل نزول التدابير ومنشأ ظهور التقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك
وقبول التغير والتغيير وفي تفسير السلمي قال بعضهم حثك في هذه الآية على الرجوع الى الحق
وعدم الاعتماد على ما سواه وافاد الاستاذ انه سبحانه بيّن ان كل امر نيط بجماعة لم يجر
على النظام ويجري بينهم النزاع والخلاف في الدوام ولما كانت امور العالم في التركيب
متسقة على وجه قديم دل على انها حاصلة بتقدير مدبر حكيم فالسماء في علو سمكها
تدور على النظام افلاكها وليس يعدو امساكها والارض مستقرة باقطارها وعلى ترتيب
تعاقب ليلها ونهارها والشمس والقمر والنجوم السيارة تدور في بروج ورفعة السماء تمنع
من غير فروج ذلك لتقدير العزيز علامة وعلى وحدانيته دلالة لا يسأل عما يفعل لعظمته
وقوة سلطنته وظهور شوكة قدرته ورفعة هيبته وتفرده بالالهية وتوحده في ربوبيته
واستحقاق عبوديته وهم يسألون لانهم مملوكون مستعبدون مخلوقون مربوبون
وافاد الاستاذ انه سبحانه لا يسأل لانه ليس احد عليه بحجر ولا امر ولا خطر ولا زجر فهو مالك
الاعيان وهم يسألون لتوجه الحجة عليهم وقيام الحجة بهم ويقال لا يسأل لكون الخلق له
باجمعهم وهم يسألون للزوم حقه عليهم ام اتخذوا من دونه آلهة اعاده استعظاما
لكفرهم واستقباحا لامرهم وتبكيتا لفهمهم واظهارا لجهلهم او ضمّا لانكار ما يكون
لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل ويؤيد ذلك انه رتب على الاول

مايدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على بطلانه نقلا قل هاتوا برهانكم
على ذلك اما من جهة العقل او من طريق النقل فانه من غير دليل لا يصح القول كيف
وقد طابقت الحجج بابا وفصلا على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من
الكتب السماوية المشحونة بالادلة القطعية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر
بالتوحيد والنهي عن الاشراك على طريق التوكيد والمراد بمن معي امته الموجودة
واللاحقة وبمن قبلي الامم المتقدمة السابقة بل اكثرهم لا يعلمون الحق لا يميزون
الباطل والصدق فهم معرضون عن التوحيد واتباع اهل التوحيد وافاد الاستاذ
ان الآية دلت على فساد القول بالتقليد ووجوب اقامة الحجة والدليل على التوحيد
ودلت الآية على اثبات الكسب للعبيد اذ لولاه لم يتوجه عليه اللوم والعتب وكل
من علق قلبه بمخلوق او توهم من غير الله حصول شيء من مرزوق فقد دخل في غمار
هؤلاء الجهال لان الاله من يصح منه الايجاد وكذلك الامداد وفي هذا اشارة الى
توحيد الحق وافراد الرب بوصف الفردانية ونعت الوحدانية وانما عدموا العلم لاعراضهم
عن النظر واعراضهم في الفهم ولو وضعوا النظر محله لوجب لهم العلم لا محالة والآية تدل
على وجوب النظر في مقدمات العلوم اليقينية وان العلوم الدينية كلها كسبية وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا يوحي اليه قرأ حفص وحمزة والكسائي نوحي بالنون وكسر
الحاء انه لا اله الا انا فاعبدون فاعرفوني ووحدوني واطيعوني ولا تخالفوني
وافاد الاستاذ ان التوحيد في كل شريعة واحد لازب والتعبد بما ارسل اليه
الرسول واجب فالافعال للنسخ والتبديل معرضة فاما التوحيد وما طريقه الاصل
الاكيد الاصيل فلا يجوز فيه النسخ والتبديل معرضة فاما التوحيد وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا حيث قالت خزاعة الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن
ذلك وامثاله بل عباد اي بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون لا اولاد مكرمون
بانهم مقربون لانهم مقربون لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيئا حتى يقوله
فهم عبيد مؤدبون وهم بامره يعملون كما قال تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون قال الواسطي ذكر الانبياء وسائر الخلق بصفاتهم ونعوتهم قبل ان خلقهم
لكي يؤمنوا ويعلموا انه لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وافاد الاستاذ ان في
الآية رحمة في ذكر اقاويل اهل الضلالة والبدعة على وجه الرد عليهم وكشف عوارهم
لديهم والتنبيه على موضع خطائهم لكي ان وسوس الشيطان الى احد بشيء من ذلك
كان عنده حجة الانفصال عنه هنالك يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما قدموه
واخروه والجملة كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لعلمهم بذلك يضبطون اقوالهم
ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع لهم وهم من خشيته
عظمته ومهابته مشفقون خائفون مرتعدون وافاد الاستاذ ان علم القديم سبحانه

لا يختص

لا يختص بمعلوم دون معلوم فيجب شموله لجميع المعلومات لا يعزب عن علمه موجود ولا معدوم وقوله
لا يشفعون الا لمن ارتضى دل على انهم يشفعون لقوم وان الله سبحانه يقبل شفاعتهم وقوله وهم
من خشيته مشفقون ليس لهم ذنب ثم انهم خائفون ففي الآية دليل على انه سبحانه لو عذبهم
لكان ذلك جائزا اذ لو لم يجز ان يعذب البرئ لكانوا لا يخافونه لعلمهم انهم لم يرتكبوا زلة ولا
ولا يبعد ان خوفهم انما يكون من تقليبهم الى حالة تقع منهم الزلة الموجبة المذلة ومع هذا لو عذبهم
من غير ظهور العصيان عنهم لكان عدلا كما انه لو لم يعذب الكفار والفجار لكان فضلا اذ لا يجب
عليه سبحانه شيء اصلا ومن يقل منهم من الملائكة او من الخليفة اني اله من دونه فذلك
نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الالوهية
كذلك نجزي الظالمين من ظلم على نفسه بادعاء الالوهية او بالاشراك في الربوبية وافاد الاستاد
انه سبحانه اخبر انهم معصومون عن الزلة بكل وجه ثم قال ومن يقل منهم اني اله من دونه فقد
علم انهم لا يقولونه ولكن علم لو كان ذلك كيف كان يكون حكمه هنالك والحق سبحانه علم ما يكون
كيف يكون مما جاز ان يكون انه لو كان كيف كان يكون انتهى وحاصله ان علمه سبحانه يتعلق
بالموجود والمعدوم وان القضية الفرضية الذهنية غير لازمة الوقوع في الهيئة الخارجية
اولم ير الذين كفروا اي الم يتفكروا ولم ينظروا ولعل الاستفهام للانكار وحمل النظار على
الاعتبار وقرأ ابن كثير بغير واو اي الم يعلموا ان السموات والارض اي جماعة العلويات
وجماعة السفليات كانتا رتقا ذات رتق وهو بمعنى الانضمام والالتحام ان كانتا حقيقة
متحدة ففتقناهما بجعلهما متنوعة متميزة وافاد الاستاد ان المشركين على عهد رسول الله
عليه السلام كانوا قائلين بان الله خلق السموات والارضين وانما داخلتهم الشبهة
في اعادة الخلقة من الحشر والنشر في القيمة فاقام الله عليهم الحجة بان قال اليس قد علموا انه
سبحانه سمك السماء ورفعها وبسط الارض ووضعها فاذا قدر على هذه البداءة فكيف
لا يقدر على الاعادة بعد الابادة وجعلنا من الماء كل شيء حي اي كل حيوان
كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وذلك لان الماء من اعظم مواده او لفرط احتياجه
في امر معاشه ومعاده وانتفاعه به بعينه في تمام مراده او صيرنا كل شيء حي بسبب
من الماء لا يحيى دونه من بين الاشياء افلا يؤمنون مع ان هذه الامور شاهدون
وافاد الاستاد انه سبحانه خلق كل حي من الماء فان اصل الحيوان الذي يحصل بالتناسل
النطفة وهي من جملة الماء وحيوة النفوس بماء السماء من حيث الغذاء وحيوة
القلوب بماء الرحمة وحيوة الاسرار بماء العظمة وقوام حياتهم بماء الحياة وغيرهم
اي وقليل ما هم وجعلنا في الارض رواسي جبالا ثوابت كالرواسي ان تميد بهم
كراهة ان تضطرب وتميل بهم وجعلنا فيها في الارض او الرواسي او في
كل منها فجاجا سبلا مسالك واسعة لهم لعلهم يهتدون الى مصالحهم
والى معرفة منعمهم فيقومون بحق شكرهم وافاد الاستاد ان الاولياء

کالاوتاد هم الرواسی الثابتون والخلق بهم یرزقون وینصرون وبهم یدفع عنهم
البلاء ویتوفر علیهم العطاء وکما انه لولا الجبال الرواسی لمالت بهم الارض باضطراب
الحرکة والزلزلة کذلک لولا الشیوخ الذین هم اوتاد الارض لتزلزلت بهم البلاء والشدة
ثم کما ان الارض سبل یسلوکها یصلون الی مقاصدهم فی دنیاهم کذلک جعل السبل الی
مولاهم وامور عقباهم مسلوکة بما یبین علی السنتهم من هدایة المریدین وارشاد السالکین
فیسری بهداهم فی سیرهم الی مولیهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا عن الوقوع بامساک
قدرته او عن الانحلال الی الوقت المعلوم بمشیته وهم عن آیاتها علاماتها الدالة علی
وجود الصانع ووحدته وکمال قدرته وتناهی حکمته معرضون لا یتفکرون ولا یتدبرون
ولا ینظرون ولا یعتبرون وافاد الاستاذ انه سبحانه خلق فی ظاهر الکون سماء مسمکة مرفوعة
والارض مفروشة موضوعة کذلک اعلی سماء القلوب التی هی اماکن الحالات وادنی ارض
النفوس التی هی مساکن الطاعات وفی سماء القلوب نجوم العقل وقمر العلم وشمس
التوحید ومعرفة الذات والصفات وکما جعلت النجوم رجوما للشیاطین جعلت
نجوم المعارف رجوما للشیاطین وکما ان الناس عن آیات الکائنات معرضون لا یتفکرون
فیها فالعوام عن آیات القلوب سماء فیها من الانوار والاسرار غافلون لا یکاد یعرفها الا
الخواص المختصون بها وهو الذی خلق اللیل والنهار والشمس والقمر لبعض تلک الآیات
الظاهرات علی صفائح وجوه وجود الکائنات کل ای کل واحد منها فی فلک السماء
یسبحون یسرعون اسراع السابح علی وجه الماء وافاد الاستاذ ان الحق سبحانه کما ان فی
الظاهر یکور اللیل علی النهار ویکور النهار علی اللیل کذلک یدخل نهار البسط علی لیل القبض
ویدخل لیل القبض علی نهار البسط وکما ان النهار یزید وینقص وکذلک اللیل فهکذا
صفة القبض والبسط فی الزیادة والنقصان وان الشمس ابدا فی برجها
لا تزید ولا تنقص والقمر مرة فی المحاق ومرة فی الاشراق فصاحب التوحید
بنعت التمکین ارتقی عن حد تأمل البرهان الی روح البیان ثم هو متحقق بما هو
کالعیان وصاحب العلم مرة یرد الی تجدید نظره وتذکره فی فطرته بفطنته
ومرة یغشاه غین فی حال غفلته فهو صاحب تلوین فی حالته وما جعلنا
لبشر ای ولو من الانبیاء الکرام من قبلک الخلد ای الدوام والبقاء فی هذا
المقام افاین مت فهم الخالدون نزلت حین قالوا نتربص به ریب المنون
وفی معناه قیل • فقل للشامتین بنا افیقوا • سیلقی الشامتون کما لقینا
قال جنید من کان حیوته بنفسه یکون مماته بذهاب روحه ومن کان حیاته
بربه فانه ینقل من حیاة الطبع الی حیاة الاصل وهو الحیوة علی الحقیقة وقال
الاستاذ ای انک فی هذه الدنیا عابر سبیل والمقبل الینا لکنا لحفظک لم نترکک
فردا فی الدنیا ولذلک قال علیه السلام للصدیق فی الغار ما ظنک

الثنیه

فی اثنین الله کل نفس ذائقة الموت تذوق مرارة مفارقة جسدها من
غیر الفوت ونبلوکم نعاملکم معاملة المختبر بالشر والخیر بالمحنة والنعمة فتنة
ابتلاء بهذه الکلفة والینا ترجعون فنجازیکم حسب ما یوجد منکم من الصبر فی المحنة
والشکر علی النعمة والمنحة وفیه تنبیه علی ان المقصود من هذه الحیوة الدنیا هو الابتلاء
فی الابواب والتعریض للثواب والعقاب وفی تفسیر السلمی قیل الشر الامراض والمصائب
وانواع البلیة والخیر هو الامن والعافیة والدعة وکل هذا فتنة لانها تشغل صاحبها
عن الحق وتقطعه عن طریق الصدق وافاد الاستاذ ان الموت فیه آفة قوم وراحة
قوم لقوم انتهاء مدة الاشتیاق ولآخرین افتتاح باب الفراق لقوم وقوع سنی
فتنتهم ولآخرین خلوص من محنتهم لقوم بلاء وقیامة ولآخر شفاء وسلامة قلت
کما قیل مصائب قوم عند قوم فوائد واذا رآک الذین کفروا ان یتخذونک
الا هزوا ما یتخذونک الا مهزوا به فیستهزئون ویقولون اهذا الذی یذکر آلهتکم
ای بسوء فی التعبیر والاشارة للتحقیر وهم بذکر الرحمن علی وجه تنزیه شانه عنه سبحانه
هم کافرون فهم احق بان یهزأ بهم من غیرهم وافاد الاستاذ انهم لو شاهدوا
نبیهم علی ما هو به من اوصاف التخصیص ونعوت القربة وما رقاه الیه من المنزلة
والرتبة لظلوا خاضعین لمقامه وحالته ولکنهم حجبوا عن معاینة سر سریرته
من سیرته وعاینوا منه ظاهر جسمه وصورته خلق الانسان من عجل ای کانه خلق منه
لفرط عجلته وقلة تؤدته ومن استعجاله مبادرته الی الکفر واعراضه عن التوحید
وجرأته علی طلب الوعید اذ روی انها نزلت فی النضر بن الحارث حین استعجل
انزال العذاب الشدید ویؤیده ایضا قوله سأریکم آیاتی نقماتی فی الدنیا کوقعة بدر
ونحوها وفی العقبی عذاب النار وغیرها فلا تستعجلون بها والنهی عما جبلت علیه نفوسهم
لیبعدوها عن مرادها ویقعدوها عن ایرادها وفی تفسیر السلمی قال بعضهم زجرهم عما علیه
جبلهم وقال الواسطی فیه اظهار عجزهم وتعریف بقدرهم وافاد الاستاذ ان العجلة
مذمومة والمسارعة محمودة والفرق بینهما ان المسارعة البدار الی الشیء فی اول وقته
والعجلة استقباله قبل وقته والعجلة نتیجة وسوسة الشیطان والمسارعة قضیة توفیق
الرحمن ویقولون متی هذا الوعد وقت وعد العذاب او یوم القیمة وزمان الحساب
ان کنتم صادقین یعنون النبی صلی الله علیه وسلم والاصحاب ویستفاد من کلام
الاستاذ ان الخطاب للرسل ولعله علی تغلیب فی الباب حیث قال اعتقدوا
تکذیب الانبیاء علیهم السلام فیما وعدوهم من الکائنات فی الایام فاستعجلوا حصول
ما یوعدون لو یعلم الذین کفروا حین
لا یکفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ینصرون ای لو یعلمون الوقت
الذی یستعجلون وهو حین تحیط بهم النار من جمیع جوانب الدار بحیث لا یقدرون

كفها ودفعها ولا يجدون ناصرا يطيق قمعها ومنعها لما استعجلوا بها ولا استهزؤا
منها فالجواب محذوف وقدر الاستاد فيما افاد بقوله لا مسكوا اليوم عن الانجرار
فى عذار الظنون والاغترار بمواعيد الشيطان واتباعه من الفجار بل تأتيهم
العدة او الساعة او النار بغتة فجاءة فتبهتهم فتحيرهم فلا يستطيعون ردها
عن انفسهم ولا هم ينظرون يمهلون ؤ احلهم فى تفسير السلمى قال بعضهم من بهته
شئ من الكون فهو لمحل عزة وغفلة عن كونه من كان فى قبضة الحق وحضرته لا يبهته
شئ من خليقته لانه قد حل فى محل الهيبة من منازل القدس ومحافل الانس وافاد الاستاد
ان العقوبة اذا اتت فجاءة كانت انكا واشد محنة وسنة الله فى النقمة ان يلوح
ظلال اسنة الفتنة فى خلال نفائس النعمة والمنة ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ووعد بان يفعل
الاعداء ويحيط بهم كما احاط بالمستهزئين بالانبياء جزاء ما فعلوه من الاستهزاء قل
يا محمد للمستهزئين ونحوهم من المنكرين من يكلؤكم يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن
من بأسه ان اراده بكم وفى لفظ الرحمن ايماء الى انه لا حافظ لغير رحمته وان اندفاع بأسه
بمهلته بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه فى مآلهم
وذلك علامة لسوء احوالهم وافاد الاستاد هذا تقرير عليهم ان ليس بيد احد من
المخلوقين نجاتهم واذا عرفوا ذلك بما جربوا فى حال محنهم وبلياتهم فكيف لا يتبرؤن
ممن ليس به شئ من ضر وشر وممن ليس منه نفع ولا ضر وتنبيه للمؤمنين بان ما بهم
من نوعى النفع والدفع فهو من ربهم فالواجب دوام اعتكافهم بقلوبهم بساحة كرمه
وجوده المتوالى عليهم ام لهم عند الكوفيين ان الميم زائدة وقال البصريون المعنى بل
الهم آلهة تمنعهم من دوننا اى من غيرنا او من عذاب يكون من عندنا لا يستطيعون
نصر انفسهم كما يتوهمون ولا هم منا يصحبون استيناف يبين ابطال ما اعتقدوه
فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من خالقه فكيف يرجى منه نصر غيره وما احسن
من قال من ارباب الحال من لم يقدر دفع المنحة عن رأسه فى حال المحنة وبأسه كيف يتوقع
منه ثبات فى اساسه وافاد الاستاد انه سبحانه بسط القول لاهل السمع وكرره فى تعريفهم
استحالة حضور الضر والنفع ووقوع العطاء والمنع من الجمادات واصنامهم التى
اختاروها للعبادات انتهى ولا يخفى ان فيه من التنبيه ان من لا يصلح للعطاء والمنع
وايصال الضر والنفع لا يصح له الالوهية ولا يليق له دعوى الربوبية وان جميع الكائنات
فى هذا المعنى بمنزلة الجمادات بل متعنا هؤلاء وآباءهم اى اصلا فهم فى مقام الكفر
وترك الشكر حتى طال عليهم العمر فحسبوا ان يزالوا على وفق ذلك الامر افلا يرون اى
سنتنا وعادتنا انا نأتى الارض نقصد ارض الكفرة واهلها ننقصها من اطرافها
بتسليط المؤمنين على تصرفها افهم الغالبون او حزبنا المقربون وافاد الاستاد ان طول

التمتع

التمتع بالنعمة والسعة اذا لم يكن مقرونا بالتوفيق على الطاعة ومشفوعا بالعصمة عن الزلة
يكون مكرا واستدراجا فى زيادة العقوبة وللحق كما يعاقب بالالام والاهوال يعاقب
بالاملاء والامهال اولا يرون انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها بتوالى القسوة حتى لا يبقى
اثر من الصفوة ويتعاقب الخذلان حتى يتواتر العصيان ويتأدى ذلك الى الحرمان الذى
فيه ذهاب الايمان ويقال ننقص بذهاب الاكابر والاماثل فيبقى الاراذل وينقرض
الافاضل وفيه اشارة الى سقوط قوى العبد بمرور السنين بتطاول العمر كالطفل فى اواخر الاعمار
كما قيل آخر الامر ما ترى القبر واللحد والثرى وكما قيل • طوين العصران ما نشراه منى •
فابلى جدتى نشر وطى • ارى كل يوم فى انتقاص • ولا يبقى على النقصان شئ • قل انما
انذركم بالوحى اى بما يوحى الى وبما القى لدى ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ ابن عامر ولا
تسمع على الخطاب من الاسماع ونصب الصم على انه مفعول اول اذا ما ينذرون اى حين
يوعظون ويخوفون وفيه دلالة على المبالغة فى تصامهم وعدم انتفاعهم بسماعهم وتحقق
اصرارهم فى تجاسرهم وقال الاستاد اى بامر من الله اعلمكم بمواضع المخافة وبوحى فى
بابلم اخوفكم بمواقف العقوبة لكن الذى عدم سمع التوفيق انى ينفعه تكرار الامر وتبيان
التحقيق ولئن مستهم نفحة اصابتهم ادنى شئ من مصيبة من عذاب ربك
اى مما وقع الانذار به على لسانك ليقولن يا ويلنا اى يا هلاكنا احضر حولنا
انا كنا ظالمين على انفسنا فى جميع عمرنا الى آخر امرنا وافاد الاستاد انهم لا يصبرون
ساعة على اقل محنة من العقوبة فان الحق سبحانه اذا شاء ايلام احد فلا يحتاج الى
مدد ومدد وعون وعضد ونضع الموازين القسط اى الميزان العدل او لاظهار
العدل وافشاء الفضل وجمع باعتبار الموزونات للاشخاص والرجال حيث يوزن بها
صحايف الاعمال ويعرف بها شرايف الاحوال ليوم القيمة اى لجزائه او فيه او لاهله
فلا تظلم نفس شيئا من حقه تنقصه او شيئا من الظلم بنقص من ثواب او زيادة
فى عقاب بحسب ما يقتضى لكل منهم من حساب وان كان اى حقه او ظلمه مثقال حبة
من خردل اى مقدار ادنى حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة اتينا بها اى احضرنا
وضميرها للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين لثبوت علمنا
وتحقق عدلنا وافاد الاستاد انه يوزن الاعمال بميزان الاخلاص فما فيه الرياء
فلا يقبل وتوزن الاحوال بميزان الصدق فما يكون فيه الاعجاب فلا يقبل ويوزن
الانفاس فما فيه الحظوظ والمساكنات فلا يقبل ويقال بطريق الاجمال ما كان
لغير الله من الاعمال والاحوال لا يصلح قبوله ويقال كل يكافا بما يليق بعمله فمن
لم يرحم عباد الله فى دنياه لا يرحمه الله فى عقباه ومن ظلم على غيره جوزى بسوء فعله
على نفسه فهو سبحانه يجازى الظالمين وينتقم من الظالمين لينصف المظلوم
فى مثقال الذرة ومقياس الحبة ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان

وضياء وذكرى للمتقين الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الهداية والضلالة ونورا
يستضاء به في بيداء الحيرة وظلماء الجهالة وموعظة وبيانا لما يحتاج اليه المتقون
من الشرايع نهيا وامرا وما يترتب عليهما صبرا وشكرا والمتقي هو المجانب لهواه مما
يشغله عن الله ويحجبه عن ذكر مولاه الذين يخشون ربهم بالغيب حال من الضمير او الرب
وهم من الساعة اي من اتيانها مشفقون خائفون عنها وافاد الاستاد ان من
وصفهم في هذه الصفة وهي الخشية من الله في حال الغيبة شاركهم في استحقاق هذه
البصيرة والخشية بالغيب اطراف السريرة في آوان حضور الرب باستشعار
الوجل من جريان سوء الادب والحذر من ان يبدو من الغيب بغتات التقدير مما يوجب
حجبة العبد والتغير والاشفاق من الساعة خوف قيام الساعة الموعودة عند
العامة وخوف قيام الساعة هي قيامة هؤلاء القوم من الطائفة التي صفة وما سيحصل
للكافر في الحشر والنشر مستعجل لهم في الوقت من حصول الامر من تقريب وتبعيد ومحو واثبات
واطلاق وتقييد وهذا القرآن ذكر مبارك كثير خيره انزلناه على ابرك من خلقناه
افانتم له منكرون وعن الايمان به مستكبرون قال السلمي مبارك على من آمن
وسمعه واتعظ به وحفظه وتبعه فمن لم ير على نفسه وقلبه آثار بركات القرآن
بانه مبارك اخبار عن ثباته من قولهم برك الطير على الماء اي دام وهذا الكتاب دائم
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وما لا ابتداء له وهو كلامه القديم فلا انتهاء
للكتاب الدال عليه بوصف الحميد الحكيم ولقد آتينا ابراهيم رشده اي اهتداءه
لوجوه الصلاح والى طرق الفلاح من قبل اي قبل وجود موسى وهرون او قبل ظهور محمد
عليه السلام او قبل بلوغه واستنبائه وكنا به عالمين اي علمنا انه اهل لما آتيناه
من محاسن الكمال ومكارم الخصال وفيه اشارة الى فعله تعالى باختيار وحكمه وانه عالم
بالجزئيات كما انه مطلع بالكليات وفي تفسير السلمي سئل جنيد متى رشده آتى فقال
حين لا متى وافاد الاستاد انه سبحانه اراد برشده ما يعرف به اليه من الهداية
والقبول حتى لم يقل بما يجوز عليه الزوال والافول ولولا انه خصه في الابتداء بتعريفه
والا متى اهتدى الى التمييز بينه وبين خلقه ويقال ذلك ما اصطنع عليه من انوار
توحيد الحق قبل ما حصل منه من النظر الى الخلق ويقال هو ما كاشف روحه وقلبه قبل
ابداعه قالبه من تجلي الحقيقة المورثة لانوار الشريعة واسرار الطريقة واذ قال لابيه وقومه
ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون واقفون لطاعتها ومقيمون على عبادتها والاشارة
لتحقير شانها وحالها ومآلها وتوبيخ على تعظيمها واجلالها فان التمثال لا روح فيها
بل هو كصورة الخيال لا يضر ولا ينفع لا في الحال ولا في الاستقبال وافاد الاستاد انه
خاطب قومه واباه ببيان التنبيه الموجب للاستنباه طمعا في استفاقتهم من سكرة
الغفلة ورجوعهم من ظلمة الغفلة وخروجهم من ضيق الشبهة ثم سال الله اغاثتهم

وطلب

وطلب منه هدايتهم فلما تبين له انهم لا يؤمنون وعلى كفرهم يصرون تبرأ منهم واعتزلهم
قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين فقلدناهم وذهبنا على آثارهم تابعين قال لقد كنتم
وآباؤكم في ضلال مبين قال الاستاد ما استراحوا في الجواب الا الى التقليد المجرد وكان
من جوابه الحكم عليهم بالتسوية بينهم في الضلال والرد قالوا اجئتنا بالحق اي بالامر الجد
والصدق ام انت من اللاعبين الهازلين الكاذبين استبعاد التضليل آبائهم
وابطال من استمر امره على بنائهم قال الاستاذ فطالبوه بالبرهان على ما دعاهم اليه
من الايمان قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي خلقهن من غير مادة
ونهج وانا على ذلكم اي ما ذكرتكم من توحيد ربكم من الشاهدين المحققين والمبرهنين
في امر الدين قال الاستاذ فاحالهم على النظر والاستدلال والتعرف من حيث
ادلة العقول بحدوث الكائنات لان اثبات الصانع لا يعرف بالمعجزات وانما المعجزات
علم لصدق الانبياء وذلك فرع لمعرفة صانع الاشياء وتالله لاكيدن اصنامكم
لاجتهدن في كسرها من غير اطلاعكم بعد ان تولوا تعرضوا عنها مدبرين الى عيدكم قيل
ولعله ذلك سرا والا ظهر انه كان جهرا ووقاه الله عن تعرضهم له قهرا فجعلهم جذاذا
وقرا الكسائي بالكسر اي قطاعا وحطاما وفتاتا الا كبيرا لهم للاصنام حيث كسر
غيره واستبقاه وجعل الفاس في عنقه في ماواه لعلهم اليه يرجعون اي الى الله
وتوحيده بحسب فطرتهم عند تحققهم عجز الهتهم فيعلمون ان ما عبدوه من دون الله
غير مستحق لعبادتهم وفيه الايماء الى انه لم يحتفل بما يصيبه من البلاء ثقة بان الله منفرد
بالابداع والابداء ومتوحد بايصال الضر والنفع والمنع والعطاء قالوا بعد رجوعهم
عما نالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته على ما يشير الى اهانتنا قالوا
اي قائل منهم او بعضهم سمعنا فتى يذكرهم بالسوء ويعيبهم فعله يقال له ابراهيم
قالوا فأتوا به على اعين الناس بمرأى منهم بحيث تتمكن صورته في اعينهم لعلهم
يشهدون بفعله او قوله او بعقابنا في حقه قالوا اي حين احضروه ءانت فعلت هذا
بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله اي من فعله كبيرهم هذا فاسألوه اي كبيرهم وصغيرهم
عن كاسرهم ان كانوا ينطقون اي ويميزون بين كاسرهم وناصرهم وقيل كبيرهم
فاعل فعله اسند الفعل اليه لان غيظه لما راى من زيادة تعظيمهم له حمله عليه او القصد
تعريض وتبكيت لعجزه لديه ويؤيده حديث ابن ماجة انه عليه السلام قال لم يكذب
ابراهيم الا ثلاث كذبات مسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته في العبارة
فرجعوا الى انفسهم فراجعوا الى عقولهم وترددوا في مقولهم فقالوا اي
بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا يضر ولا ينفع في
الحال ولا في المآل ثم نكسوا على رؤسهم انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة
فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تامرنا بسؤالها وانت عارف بحالها

قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم ولا يضركم قال ابن عطاء دعاهم وانقطعهم
عما سواه بقوله كيف تعتمدون على عاجز مثلكم في دفع الضر وجلب النفع ولا تعتمدون على
من اليه المرجع في العطاء والمنع اف لكم ولما تعبدون من دون الله اي قبحا ونتنا لمن يعبد
من سواه وكذا من خاف غيره ورجاه افلا تعقلون الى طريق رضاه وافاد الاستاد انهم
قالوا كيف تنسب الذنب اليه وتحيلنا في السؤال عليه وهو جاد مطروح ليس له ما بيديه ولا
تصرف وتحرك لديه فقال وانتم كيف تتخذون عبادة الجماد وتتركون رب العباد
وخالق البلاد ثم لما توجهت عليهم الحجة ولم يكن لهم جواب في المحجة وداخلتهم الانفة والحمية
اصروا على عزيمة الاذية فقالوا سبيلنا ان نقتله شر القتلة وان نعامله بما يخوف به
من العقوبة قالوا حرقوه واظهروا نقمتكم وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين عداوتكم
قلنا يا نار كوني بردا وسلاما اي ذات برد وسلام على ابراهيم عليه السلام قال ابن عطاء
سلم من النار ابراهيم لسلامة صدره الكريم كما قال تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم اي الخالي عن جميع
اسباب الدنيا وعوارض العقبى وبرد عليه النار لصحة توكله وتجرد قلبه عن غير ربه حيث
ناداه جبريل فقال هل لك حاجة قال اما اليك فلا فقال فسل ربك قال حسبي من سؤالي
علمه بحالي فجعل الله ببركة هذه الكلمة حظيرة النار له كالروضة قيل وكان اذ ذاك ابن
ابن ست عشرة سنة قيل وفي الجمع بين قوله بردا وسلاما ايماء الى انه لو لم يقيد بالسلام
لمات ابراهيم من البرد البتة وفي تقييده بقوله على ابراهيم اشارة الى انه لولاه لبردت
النار على غيره وفقدت من العالم بكماله ولكن هذا انما يتم لو كان الخطاب لمطلق النار
الحاضرة والظاهر انه مختص بالنار الحاضرة وفي الجملة رد على الحكماء الفلسفية والطائفة
الطبيعية الخارجة عن الطريقة الحنيفية فهذه القضية نظير قضية غرق فرعون واتباعه
ونجاة موسى واتباعه بالماء وكذا اهلاك قوم عاد بالريح العقيم وجعلها هود ومن آمن به
كالروح النسيم وكذا خسفه سبحانه بقارون الارض وسلامة غيره هناك في الطول
والعرض فهذه العناصر الاربعة كلها ليس لها تصرف بطبعها وانما هي بتوقف فعلها
على امر خالقها باظهار صنعها وافاد الاستاد انه سبحانه لو عصمه من يد نمرود المبعود
ولم يمكنه من رميه في النار لكان في الظاهر اقرب من انواع الانتصار لكن حفظه
في النار من غير ان يمسه الم منها اتم في باب النصرة واظهار المعجزة والكرامة ويقال
ان ابراهيم عليه السلام كثيرا ما كان يقول آوه من النار فانه عذاب اليم قال تعالى
ان ابراهيم لأواه حليم فلما رمي في النار وجعل الله النار عليه بردا وسلاما في هذه الدار
قيل له لا يقبل بعد هذا آوه من النار بل استعذ بالله من الله لا من غيره فانه العزيز
الغفار وقوله وسلاما اي وسلامة عليه وله من غير ملامة فاذا كان للعبد السلامة في
الميدان فالنار والبرد عنده سيان ويقال ان الذي يحرق في النار من في النار
يقدر على حفظه في النار من في النار وارادوا به كيدا مكرا في اضراره فجعلناهم

الاخسرين

الاخسرين اي الاذلين عندنا لمقداره لدلالة القضية على حقية دعوته ونبوت
نبوته ومزيد درجته وعلى بطلان كل معاندله في حجته وعدول كل مكابر عن محجته وافاد
الاستاد ان من حفر لوليه وقع في صراطه ومن كان مشغولا بالله لم ينول الانتقام
منه غير مولاه ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام
وبركاته العامة ان اكثر الانبياء عليهم السلام بعثوا في ذلك المقام فانتشرت في العالمين
شرايعهم للملية العلية التي هي مبادي الكمالات العلمية والعملية والخيرات والدنيوية
روي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة اليوم والليلة وافاد الاستاد
انه مضت سنة سبحانه في ارباب نبوته واصحاب صفوته انه اذا نجى واحدا منهم
اشرك في نجاته من كان مساهما له في محنته ومقاساة مشقته ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة اي عطية زايدة او هبة تستعقب فائدة وكلا من الاربعة جعلنا
صالحين اي عاملين بما كانوا عالمين فصاروا بتوفيقنا كاملين وقيل الصلاح
هو القيام بامر الله ونهيه وبالشفقة على خلقه وجعلناهم ائمة يقتدى بهم
ائمة يهدون الخلق الى الحق بامرنا لهم بالارشاد الى طريق الصدق على وفق
الرفق حتى صاروا مكملين للمسترشدين ومفيدين للمتعلمين من المؤمنين واوحينا
اليهم فعل الخيرات اي ان يفعلوا الخيرات ويحثوا غيرهم على الطاعات واقام
الصلوة وايتاء الزكوة خصتا لانهما اما العبادات البدنية والمالية وكانوا لنا
عابدين موحدين وفي العبادة مخلصين وافاد الاستاد ان الامام مقدم القوم
والقبيلة واستحقاق رتبة الامامة باستجماع الخصال الحميدة التي في الائمة فالذي
من لم يستجمع فيه متفرقات الخصال الحميدة في الائمة لم يستحق منزلة الامامة ولوطا
آتيناه حكما حكمة او نبوة او حكومة في الخصومة وعلما بما ينبغي علمه لاهل الرسالة ونجيناه
من القرية اي من هلاك اهلها التي كانت تعمل الخبائث كاللواطة ونحوها وافاد
الاستاذ انه سبحانه اكمل عليه الانعام بعصمته عليه السلام من مثل ما امتحن به قومه
في تلك الايام ثم بخلاصه منهم باخراجه مما بينهم فهو منزه ظاهرا وباطنا
عنهم انهم كانوا قوم سوء في الاحوال فاسقين في الافعال وادخلناه في رحمتنا
في جنتنا او في اهل رحمتنا انه من الصالحين الذين سبقت له سعادة عنايتنا
وحمايتنا ورعايتنا وافاد الاستاد انه سبحانه بين انه ادخله في رحمته ثم قال انه من
الصالحين في خدمته ولا محالة من ادخله في رحمته كان صالحا في حضرته فقوله
وادخلناه في رحمتنا اخبار عن عين الجمع وقوله انه كان من الصالحين اعلام عن عين
الفرق ونوحا اذ نادى ربه وشكا قومه ودعا خلاصه من قبل المذكورين فاستجبنا له
دعاءه واهلكنا اعداءه فنجيناه واهله من شيعه من الكرب العظيم من الطوفان
الاليم او اذى قومه اللئيم ونصرناه اي جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا

بآبائنا وصدوا عن بركاتنا انهم كانوا قوم سوء فى اعتقادهم فاغرقناهم اجمعين جزاء لعنادهم
وافاد الاستاذ ان فى القصة انه كان يضرب فى اليوم سبعين مرة وكان الرجل منهم
يحمل حافده اليه ويقول لاتقبل قول هذا الشيخ وما عليه وكان يصبر على مقاساة الاذى
ويدعوهم الى الله تعالى فلما آيسه الله عن ايمانهم وايمان اولادهم وقال له انه لن يؤمن من قومك
الا من قد آمن دعا عليهم باجمعهم وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث فى الزرع
اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم لحكم الحاكمين والمتحاكمين شاهدين
عالمين حاضرين ففهمناها الحكومة او الفتوى فى القضية سليمان وهو ابن احدى
عشرة سنة قيل القصة ان داود عليه السلام حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان
لعل غير هذا ارفق بهما وهو ان يدفع الغنم الى اهل الحرث فيستنفعون بالبانها واولادها
واشعارها والحرث الى ارباب الغنم فيقومون عليه حتى يعود الى ماكان ثم يترادان الظاهر
انهما قالا اجتهادا القول وكلا آتينا حكما وعلما وفيه تنبيه على ان خطاء المجتهد لا يقدح فيه
قال جنيد الهم الله سليمان من العلم فمن الله عليه بذلك الحكم واعطاه الله الملك
فلم يمن عليه بل قال هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب ثم اراه حقارته فى ثلاثة
مواضع من حالاته حين سال الملك واختياره عرف له ملكه وخسته بان القى على كرسيه جسدا
وحين قال فسخرنا له الريح فاراه ان الملك الذى اعطاه ريح حيث لا يدوم له الملك وهذا
صريح وحين قال هذا عطاؤنا الآية اى اعط من شئت ماشئت لحقارته وخسته وافاد
الاستاذ انه سبحانه اشركهما فى حكم النبوة وان كان بين درجتيهما تفاوت فى الرتبة
ثم فى هذه المسئلة الواحدة اثبت لسليمان جهة للخصوصية وفى المسئلة دلالة على تصويب
المجتهدين وان اختلفوا اذا كان فى فروع الدين حيث قال وكلا آتينا حكما وعلما ولمن قال
بتصويب احدهما وتخطئة الآخر منهما ان يتعلق بقوله ففهمناها سليمان اقول وهذا
اظهر فتدبر وعليه الاكثر وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان
الحال او ببيان القال والظاهر الثانى اذ لامزية فى الاول فتامل والطير معطوف
على الجبال او مفعول معه وكنا فاعلين لامثاله من تسخيرنا فليس ببدع منا وان كان عندكم
عجيبا وفى نظركم غريبا قال محمد بن على خلق الله فى الجبال تسلية للمحزونين وانسة للمكروبين
قال بعضهم الانس الذى فى الجبال هو انها خالية من ضيع الخلايق والعلل ولا اثر فيها
لمخلوق فتوحش بها الاحوال بل الآثار التى فيها هى آثار الصنع الحقيقى من غير تحويل
ولا تبديل اقول ولعل تخصيص الطير من سائر الوحوش كثرة نفرتها عن الخلق وقوة
اعتمادها على رزق الحق وافاد الاستاذ انه سبحانه امر الجبال وسخرها لتساعد داود
عليه السلام فى التسبيح وكذا الطير لتوافقه باللسان الفصيح وفى الاثر كان داود عليه السلام
يمر بصفائح الرحاء تجاوبه وكذلك الطيور عند تأديبه تساعده وعلمناه
صنعة لبوس لكم عمل الدرع وهو فى الاصل اللباس بمعنى الملبوس كما قيل ٭

البس

البس لكل حالة لبوسها ٭ اما نعيمها واما بؤسها ٭ قيل كانت الدرع قبل داود
صفائح فحلقها وسردها اى نظمها وركبها لتحصنكم بدل من لكم بدل الاشتمال باعادة
الجار لتاكيد الحال والضمير لنا او للبوس او لداود ويؤيد الاول رواية ابى بكر بالنون ويقوى
الثانى قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او اللبوس بتاويل الدرع فانه مؤنث
سماعى فى اللغة فهل انتم شاكرون ماذكر من الصنعة وغيرها من النعمة وهو امر اخرجه فى
صورة الاستفهام للمبالغة والمعنى فاشكروا البتة كقوله تعالى فهل انتم منتهون اى فانتهوا
من غير المهلة وافاد الاستاذ انه كان داود عليه السلام سخر الله له الحديد الشديد والانه فى يده
كالشمع المذيب فالهمه نسج الدروع ليحصن من سهام الحروب حال الشروع وقال تعالى
وقدر فى السرد اى اوثق مسامرها واحكم الصنعة فى مقاديرها ولكن لما قصدته سهام
التقدير ما اصاب الا حدقته من غير التغيير حين نظر الى امرأة اوريا من غير قصد فى
المكان لكان ماكان فى ذلك الزمان ولقد خلا عند ذلك عما هنالك واغلق على نفسه
باب الغرفة بقصد الخلوة والعزلة واخذ يصلى ساعة ويقرأ التوراة مرة والزبور كرة
حتى يمضى ذلك اليوم بالسلامة وينتهى ذلك الوقت من غير الملامة وكان قد اوحى اليه
انه يوم فتنته ووقت بليته وساعة محنته فامر الحجاب والبواب ان لا يؤذن عليه احد
بالدخول من الباب فوقع فى كوة البيت طير لم ير فى الحسن نظيره فهم ان يأخذه فتباعد
عنه ولم يطر منه كالمطمع له فى اخذه فتبعه فلم يزل يستأخر قليلا قليلا من عنده حتى طار
من كوة البيت الى خارجه فتبعه داود عليه السلام ينظر اليه ليخرج من الكوة وينظر داود
من زاويته عليه فوقع بصره على امرأة اوريا وكانت قد تجردت عن ثيابها لما لم يكن
عنده احد من الورى لا قدامها ولا وراءها تغتسل فى بستان خلف البيت الذى فيه
داود عليه السلام فحصل فى قلبه ما حصل من الخواطر الموهمة للآثام واصاب سهم التقدير
حدقته وكان مما يقتضى ابتلاءه ومحنته ولم تنفعه صنعة اللبوس التى كان يعملها ليحصنه
من بأسه فى حال البؤس ولسليمان الريح اى وسخرنا له الريح عاصفة شديدة الهبوب
بحيث انها تذهب بكرسيه فى مدة يسيرة من الدهر كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها
شهر ومع هذا كان رخاء فى نفسها طيبة لا تكسر سنبلة ولا تخبر نملة او اولها عاصفة اذ
الحط سليمان مائة فرسخ فى مائة او كانت رخاء تارة وعاصفة مرة بحسب ارادته
ويؤيده قوله تجرى بامره اى باذنه وعلى وفق مشيته الى الارض التى باركنا فيها وهى
الشام صباحا بعد ما سار منها الى اصطخر او اليمن رواحا وكنا بكل شئ عالمين
فنجرى الاشياء فى محلها بمقتضى الحكمة المتعلقة بها على قدر ما سبقت المشية المقدرة
كما قال الاستاذ سخر الله له الريح غدوها شهر ورواحها شهر فلو اراد ان يزيد على قدر
مسافة الشهر شبرا لما استطاع به فهذا تعريفا بانه موقوف على حكم التقدير من غير تصور
التغيير فشهود التقدير كان يمنعه عن العجب والغرور بما اكرم به من التسخير ولقد نبه

من حيث الاشارة تحت العبارة ان الذى ملك كالريح شانه اذا امر و فات او انه
لا يبقى باليد منه شيء زمانه او شانه وفى القصة انه لاحظ ذلك يوما فوقع فى النفس حين
مالت الريح ببساطه قليلا من الاستقامة فقال سليمان للريح استوى ولا تلتوى فقالت له
الريح استو انت فان المدار عليك وانا تبع لديك وراجع اليك وانما يلى ببساطك
لميلك بقلبك الى ملاحظة انبساطك فاذا استويت انت فى الضماير استويت
انا فى الظواهر ومن الشياطين من يغوصون له فى البحار ويخرجون نفائسه من انواع المرجان
واللآلى الكبار ويعملون عملا دون ذلك من بناء المدن والقصور واختراع الصنايع البديعة
هنالك وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره ويميلوا عن حكمه وافاد الاستاذ ان هذا
المراد انما كان ذلك اياما قليلة فى الحقيقة ثم انه اراد يوما ان يعود الى مكانه فى الطريقة
فجاءه ملك الموت وطالبه بروحه من غير الفوت فقال اخرنى الى ان ارجع مكانى
فقال لا وجه للتأخير عن زمانى فقبضه وهو قائم متكئ على عصاه وبقى بحاله ولم تعلم
الجن حيث اطاعه فى خدمته وما عصاه الى ان اكلت دابة الارض منساته تمعنى عصاه
فلما خر سليمان علمت الجن حينئذ بمماته وتحققوا ان الذى بالمنساة قيامه وخففه
فقهر الموت للحينه وايوب اذ نادى ربه انى اى بانى مسنى الضر بدنى وانت ارحم الراحمين
الى حتى من اى وابى واكتفى بذلك المقال عن تصريح عرض المطلوب لعلها فى السؤال
وهذا ليس من باب الشكاية بل ورد على طريق المناجاة وسبقه الكناية لتحقيق الرعاية ونظيره
ان يعقوب قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله فالمذموم شكوى العبد الى غير مولاه وكان
روميا من ولد عيص بن اسحق استنباه الله واكثر آله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده بهدم
بيت عليهم وذهاب امواله بالقاء الهلاك عليهم وايقاع المرض فى بدنه ثمانى عشر سنة
او ثلاث عشر او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روى ان امرأته من نسل يوسف
قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين ساعة فقال استحيى
من الله تعالى ان ادعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى فاستجبنا له فكشفنا ما به
من ضر بالشفاء من مرضه وآتيناه اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما قبله او بان احيى
اولاده وولد له منهم حفاده رحمة من عندنا عناية من لدنا وذكرى للعابدين اى تذكرة
لهم ليصبروا كما صبر فيظفروا بما ظفر قال الحسين بن على ذكر الله على الصفا ينسى العبد من
ارادة البلاء وقال جعفر الصادق لما سقط الله البلاء على ايوب وطال به الامر اتاه
الشيطان فقال تريد ان تتخلص من هذا البلاء فاسجد لى سجدة تلقى فيها الشفاء من العناء
فلما سمع ذلك قال مسنى الشيطان بنصب وعذاب ومسنى الضر حين طمع فى ان اسجد له
وقال ابن عطاء تجدد همه وليس من العقوبات عندهم اشد من تبدد الهم لهم فمرة
كان يطالع فى بلائه العقوبة والملامة ومرة يطالع الكرامة ومرة يطالع الاستدراج فى المدة
فلما تشتت عليه الخواطر قال مسنى الضر لان فيه شبه التحير وقال جنيد على الدود فى جسده

فلما وصلوا

فلما وصلوا الى قلبه غار عليه لانه محل معرفة ربه فقال مسنى الضر افتقارا الى الله بالنصر وافاد
الاستاذ انه سمى ايوب لكثرة ايابه الى الله فى ذهابه وايابه وسائر احواله من السراء والضراء
والشدة والرخاء ولم يقل ارحمنى بل حفظ ادب الخطاب فقال وانت ارحم الراحمين
يعنى لان التلويح ابلغ من التصريح ولما ورد ان من شغله ذكرى عن مسئلتى اعطيته افضل ما اعطى
السائلين ويقال اخباره سبحانه عنه انه قال مسنى الضر لم يسلبه اسم الصبر حيث اخبر الله
عنه بقوله انا وجدناه صابرا لان الغالب كان من احواله الصبر فنادر قالته لم يسلب عنه
الغالب من حالته والاشارة من هذا ان الغالب من حال المؤمن من المعرفة والايمان
بالله الذى هو مستغرق لجميع اوقاته لا يخلو منه لحظة ونوادر زلاته فى دوام اجابته
وطاعاته نادرة والنادر من الطالب لا يزاحم الوصف الغالب ويقال لما لم يكن
قوله مسنى الضر على وجه الاعتراض على القضاء والقدر بل كان على اظهار العجز بضعف
القوى والقدر لم يكن ذلك منافيا لصفة الصبر ويقال استخرج منه هذه التهمة ليكون
فيه تنفيس لضعفاء هذه الامة لكى ان ضجوا فى حال البلاء لم يكن ذلك منافيا منهم لصفة
الصبر ونعت الولاء ويقال لم يكن هذا القول منه على وجه الضجر وقلة الصبر وانما كان
من حيث الشكر اى مسنى الضر الذى يختص به اولياؤك ولا يخلو عنه اصفياؤك ولولا
انك ارحم الراحمين لما خصصتنى ولكن برحمتك اهلتنى ويقال لم يكن هذا القول من
ايوب ولكنه استغاث البلاء منه فى ضيق الكروب فلم يطق البلاء صحبته فضج منه
البلاء لا ايوب ضج من البلاء لانه من اهل الوفاء فى باب الولاء وفى معناه انشدوا
صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبرا ويقال همزة الاستفهام
فيه مضمرة ومعناه امسنى الضر وانت ارحم الراحمين ويقال ان جبريل اتاه فقال
لم تسكت فقال ماذا اصنع قال ان الله سبحانه عنده بلاؤك وشفاؤك فسل الله
العافية فقال ايوب انى مسنى الضر قال الله فكشفنا ما به من ضر والفاء تقتضى التعقيب
كانه قيل فعافيناه فى الوقت لكانه قال له يا ايوب لو طلبت العافية قبل هذا
لاستجبنا لك بلا مهلة ويقال سقطت الى الارض دودة مما كانت تأكل بعض بدنه فرفعها
ايوب فوضعها فى موضعه فعضته عضة عيل معها الصبر فقال مسنى الضر فقيل له يا ايوب
انت تصبر معنا ولولا انا ضربنا تحت كل شعرة من شعراتك كذا خيمة من الصبر ما صبرت
ساعة من الجزع والفزع من شدة الضجر ويقال كانت الدودات الواقعة على نفسه
اكلت كل عضو من بدنه فلم يبق منه الا لسانه وقلبه فقصدت دودة لسانه واخرى جنانه
فقال مسنى الضر لم يبق لى الا لسان به اذكرك وقلب به اعرفك فاذا لم يبق لى ذلك
لا يمكننى ان اعيش واصبر واذكر واشكر ويقال استعجم عليه جهة البلاء واستبهم عليه
طريقة الولاء فلم يعلم انه يصيبه ذلك تاديبا او تقريبا او تمحيصا او تخصيصا فلذلك
كانت ضجته ودامت محنته وقيل له ما اشد ما لقيت من ايام البلاء قال شماتة الاعداء

وفى القصة ان تلامذة ايوب كسروا اقلامهم وخرقوا ما كتبوا منه وجعلوه اعلامهم
وقالوا لو كان لك عند الله منزلة لما ابتلاك بكل هذه البلية ويقال انما بقيت امراته معه
فى مقام الوفاء لانها كانت من نسل الانبياء ومن ذرية يعقوب رئيس اهل البلاء ورئيس
اهل العطاء ويقال ان الشيطان قال لها ان اردت ان يشفى مريضك فاسجدى لى ولم
تعلم انه ابليس فانما ظهر لها فى صورة انسان بالتلبيس فاخبرت ايوب بذلك الخبر
فقال انى مسنى الضر ويقال لما ظهر به البلاء اجتمع قومه عليه فى الجفاء وقالوا لها اخرجى هذا
المريض من قريتنا فانا نخاف ان تعدى الينا علته ويمسنا بليته فاخرجته الى باب القرية
فقالوا انا اذا اصبحنا ومررنا لديه وقع ابصارنا عليه فنتشاءم اليه فابعديه عن الابصار
فاخرجته الى ارض قفار وكانت امراته تدخل البلد فتستاجر للخبز والعمل فى الدور فتاخذ
الاجر وتحمله اليه فاستقذروها ولم يستعملوها ولم يدخلوها ويقال انها كانت ذات
ذوائب وكان ايوب ياخذها وعند نهوضه يتعلق بها فباعتها من غنيف اخذتها لتحمله اليه
فوسوس اليه الشيطان بانها عملت الفحشاء وان شعرها جز فى ذلك الجزاء فحلف ايوب
ان يجلدها اذا صح حدا لها فكانت المحنة على قلب تلك المراة اشد مما على بدن ايوب
وقيل ان امراته غابت فعافى الله ايوب وعاد شابا طريا كما فى القصة فى قوله تعالى
اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فلما رجعت ولم تره حسبته انه اكله سبع
او اصابته آفة فاخذت تبكى وتولول وتتردد وتنوح فقال لها ايوب مالك فقالت
كان لى ههنا مريض ففقدته فقال لها كيف كان فنظرت اليه فقالت كان يشبهك
مثلك اذ كان شابا صحيحا فقال ايوب انا ذلك المطلوب ويقال ان ايوب كان مكاشفا
بالحقيقة ماخوذا عنه فى الطريقة فكان لا يحس بالبلية فستر مرة عليه ورد حاله اليه فقال
مسنى الضر لديه ويقال ادخل على ايوب تلك الحالة واستخرج منه هذه المقالة ليظهر
عليه اقامة العبودية للقيام بحق الربوبية وقيل اوحى الله الى ايوب ان هذا البلاء
قد اختاره قبلك سبعون من الانبياء فما اخترته الا لك من بين الاصفياء فلما اراد الله
كشفه عنه قال مسنى الضر منه وقيل كوشف بمعنى من معانى الولاء فلم يجد الم البلاء فقال
مسنى الضر لفقدى الم الضر قال جعفر الصادق حبس عنه الوحى اربعين يوما فقال
مسنى الضر ويقال انما قال مسنى الضر لما لحقه من الضعف بقيام الطاعة فاستجاب
له بان رد عليه قوته ليقوم بحق العبادة ويقال طلب الزيادة فى الرضا فاستجيب له
بكشف ما كان به من العناء ويقال ان الضر الذى شكا منه انه بقيت عليه بقية عنه
فبليته كانت بقيته فلما اخذ عليه كليته زال عنه بليته ويقال رد عليه السلامة والعافية
والاهل فى الظاهر كما فى القصة لانه لما صار ماخوذا منه بالكلية ممتحقا عن كل بقية
استوى حينئذ عنده البلاء والرخاء والوجد والفقد واسمعيل وادريس وذا الكفل
يعنى الياس وقيل يوشع وقيل زكريا وقيل نبى مستقل سمى به لانه كان ذا حظ عظيم

من رب كريم او لضعف عمل انبياء زمانه لقوة فساد امته فى اوانه كل من هؤلاء
من الصابرين على التكاليف الشديدة والمحن العديدة وادخلناهم فى رحمتنا اى تحت
ظل حمايتنا وكنف كفايتنا انهم من الصالحين الكاملين فى الصلاح والعاملين
فى الفلاح وافاد الاستاذ ان الحكم صبرهم على البلية وصلاحهم فى الطاعة والمعنى ادخلناهم
فى الرحمة وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه حين
سئم من طول دعوتهم وشدة مخالفتهم وتمادى اصرارهم فى مدتهم مهاجرا عنهم
قبل ان يؤمر بالتبعد منهم والمغاضبة من بناء المغالبة للمبالغة لا للمشاركة وافاد الاستاذ
انه ذهب مغاضبا على نفسه اى تشديد المخالفة لهواه وتهديدا لاعداء مولاه فظن
ان لن نقدر عليه لن نضيق عليه ومنه قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقال جنيد
ظن ان لا نريه قدر نفسه فى سخطه على عبادنا من قومه فنادى فى الظلمات اى
الظلمات الشديدة او الظلمات العديدة من بطن الحوت والبحر والليل وافاد
الاستاذ انه يحتمل ان يراد بظلماته ما التبس عليه من اوقاته واستبهم عليه من حالاته
ان لا اله الا انت ان مصدرية او تفسيرية سبحانك ان يعجزك شئ من العالمين
انى كنت من الظالمين بالمبادرة الى المهاجرة او بنطق عدم المصابقة وقد ورد
ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وفى تفسير السلمى اى انى كنت من الجاهلين
انك لا تقرب بطاعة ولا تبعد بمعصية فاستجبنا له بان قذفه الحوت بعد اربع
ساعات او ثلاثة ايام او اربعين يوما الى ساحل اليم ونجيناه من الغم اى غم
الالتقام او غم الخطيئة والانتقام وافاد الاستاذ انه لم يجر منه دعاء بالتصريح
الا انه فى ضمن كلامه بالتلويح حيث قال انى كنت من الظالمين فلم يقر بصدور
الظلم عنه الا وهو يستعفى منه وكذلك ننجى المؤمنين وقرا ابن عامر وابو بكر نجى
بتشديد الجيم مع نون واحدة مضمومة فهو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر اى نجى النجاء
كما فى قراءة ابى جعفر ليجزى قوما اى يجزى الجزاء وسكن آخره تخفيفا كما فى ذروا ما بقى
من الربوا على قراءة شاذة وقيل ادغم النون فى الجيم على انه لغة شاذة والمعنى كما
نجينا ذا النون وسائر الانبياء ننجى المؤمنين من البلوى فى الدنيا والعقبى وافاد
الاستاذ بقوله يعنى كل من قال من المؤمنين اذا اصابه غم او استقبله مهم مثل ما قال نجيناه
فى الحال او المآل وفى القصة انه لما ركب السفينة فاضطرب البحر وتلاطمت
الامواج واشرفت السفينة على الغرق واخذ الناس فى القاء الامتعة تخفيفا
للسفينة وطلبا للسلامة قال لا تلقوا امتعتكم فى البحر واطرحونى فانى المجرم
بينكم فنظروا اليه وقالوا نرى عليك سيما الصلاح فليس نسمح نفوسنا بالقائك
فى البحر من غير ظهور الجناح فقال تعالى مخبرا عنه فساهم فكان من المدحضين
اى فقارعهم فاستهموا ووقعت القرعة عليه فكان من المغلوبين وروى انه

وف السفينة فاذا بالحوت فاغرا فاه فجاء الى جانب آخر فجاء الحوت اليه وهواه
وكذلك حتى دار كل جانب ثم التقاه ثم لما علم انه مراد بالبلاء القى نفسه فى الماء
واوحى الله الى السمك بان لا تخدش منه لحما ولا تكسر عظما وهو وديعة عندك وليس بطعمة
لك وقيل ان السمك الذى ابتلعه امر بان يطوف به فى البحر وخلق الله له ادراك
ما فيه الى القعر ويقال يونس صحب الحوت اياما قليلة فيقال ذو النون الى يوم القيمة
ولم تبطل عنه هذه النسبة فما ظنك بعبد عبد الله سبعين سنة ولازم قلبه معرفته ودوام
محبته وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا اى فريدا بلا ولد يرثنى فاكون وحيدا وانت
خير الوارثين فان لم ترزقنى من يرثنى فلا ابالى فانك خير عوض تخلفنى وتدفع عنى ما
ينوبنى قال ابن عطاء فردا اى خاليا عن عصمتك وقال جنيد اى غافلا عن حضرتك
مشتغلا بشئ عن خدمتك وافاد الاستاد انه عليه السلام سال الولد ليكون
معينا له على عبادة ربه وليقوم فى النبوة مقامه مراده ولئلا ينقطع بركة النبوة من اهله
ولقد قاسى زكريا من البلاء ما قاسى حتى قطع بالمنشار لما التجأ الى شجرة من الكفار
فانشقت له وتوسطها فالتأمت وفطن ذلك هؤلاء الفجار فقطعوا الشجرة بالمنشار
وصبر هو ولم يصعد منه آه ولا واه وانشقاق الشجرة كانت له معجزة وفى الظاهر
حفظا منهم عن الاذية بل لو لم يطلعهم عليه لكان فى ذلك سلامته ولعلهم لو قتلوه
لم يصبه من الالم القدر الذى لحقه من القطع بالمنشار طول قامته وانما المعنى فيه
ان انشقاق الشجرة كانت له معجزة فقوى بذلك يقينه فى المعرفة لما راى عجيب الامر
فيه من نقض العادة ثم البلاء لهم بالقتل ليس بلاء فى التحقيق ولقد قال قائلهم
انما يستعذب الاولياء البلوى للمناجاة مع المولى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى قيل
وسمى به يحيى به عقر امه واصلحنا له زوجه اى اصلحناها للولادة بعد عقرها وافاد الاستاد
انه اصلحها ليكون فى ذلك معجزة ولزوجه آية وكرامة لانه فعل ناقض عادة ولئلا يستبد
زكريا بفرح الولد دونها مراعاة لحقها وهذا سنة الله فى باب اكرام اوليائه وانعام
اصفيائه وفى معناه انشدوا • ان الكرام اذا ما اصحبوا ذكروا • من كان يألفهم
فى الموطن الخشن • انهم اى المذكورين من الانبياء والمشهورين من الاصفياء كانوا
يسارعون فى الخيرات بادرون الى ابواب المبرات وانواع الطاعات واصناف
العبادات ويدعوننا رغبا ورهبا اى رغبة فى الثواب ومخافة عن العقاب وخشية
من الحجاب وقال بعضهم رغبة فينا ورهبة عما سوانا وافاد الاستاد ان فى هذا بشارة
لجميع العباد لان المؤمن لا يخلو فى حال من الرغبة والرهبة اذ لو لم يكن رغبة لكان
قنوطا والقنوط كفر ولو لم يكن رهبة لكان امنا والامن كفر وكانوا لنا خاشعين
خاضعين متذللين مخلصين قال الواسطى امر الله الانبياء بالخشوع وهو الوقوف
بين الرغبة والرهبة وقال ابو يزيد الخشوع خمول القلب عن الدعاوى فى قرب الحق

وقال بعضهم

وقال بعضهم الخشوع زمام الهيبة اذا اردت ان تعرف الخاشع فخذ لفه فى قبضته
فان كان خاشعا زاده لك رأفة وشفقة وان لم يكن خاشعا انتقم لنفسه وغضب لحظه
وافاد الاستاد ان الخشوع هو قشعريرة القلب عند اطلاع الرب وكان لهم عليهم السلام
هذا الآن بوصف الدوام والتى احصنت فرجها من الحلال والحرام وهى مريم ام عيسى
عليه السلام فنفخنا فيها اى فى ولدها الكائن فى بطنها والمعنى احيينا فى جوفها من
روحنا اى من الروح الذى هو بامرنا وجعلناها وابنها اى قصتهما وحالهما او كلا
منهما آية للعالمين فان من تامل فى حالهما تحقق كمال قدرة الصانع فى جمالهما وافاد
الاستاد ان من نظر فى امرها ووضع النظر موضعه لاهتدى بقدرها ومن اعرض عنه
ولم ينظر فيه فالآية لا تخرج عن كونه حجة ودلالة بتقصير المقصر فى بابه جهالة او كسالة
ان هذه اى ملة التوحيد والاسلام الموروثة عن جميع الانبياء عليهم السلام امتكم
ملتكم التى يجب عليكم ان تكونوا عليها فى مرور حالتكم امة واحدة ملة متحدة غير مختلفة
فى امم الانبياء المتفرقة وانا ربكم لا رب سواى لكم فاعبدون فوحدونى واطيعوا
امرى ولا تخافوا ولا ترجوا غيرى وقال الاستاذ اى وكلكم خلقته مفتقر الى فاعتمدوا
فى جميع اموركم على وتقطعوا امرهم بينهم اى وتفرقوا وجعلوا امر دينهم قطعا موزعة
بينهم تقبيح فعلهم وفى الكلام التفات من المؤمنين الى غيرهم او من الناس كلهم الى
بعضهم كل من الفرق المتحزبة المختلفة فى اعمالهم الينا راجعون فنجازيهم بحسب احوالهم
وافاد الاستاد انهم لما اختلفوا فى اعمالهم وتنازعت اقوالهم واضطربت احوالهم واستاصلهم
البلايا قال تعالى كل الينا راجعون وكيف لا وما تقلبوا الا فى قبضة التقدير والقضا
فمن يعمل من الصالحات اى ما يوافق الشريعة من الطاعات وهو مؤمن بالله
ورسوله والآيات فلا كفران لسعيه فلا تضييع لسعيه فى الحالات وانا له لسعيه
وعمله كاتبون مثبتون فى صحيفة عمله قال ابو الوراق العمل الصالح الذى لا رياء فيه
ولا سمعة ولا يكون فيه طلب الثواب والقدر بل يكون معاملة على مشاهدة الامر
وقال الاستاد من نعتى تقدم لم يجبر على الله ومن تحمل مشقة منه وحب جنة على الله
وقوله وهو مؤمن اى فى العاقبة او المال اذ لا عبرة بظاهر الحال وحرام على قرية وقرا حمزة
والكسائى وابو بكر حرم بكسر الحاء وسكون الراء اى وممتنع على اهلها غير متصور منهم فى
حالها اهلكناها حكمنا باهلاكها انهم لا يرجعون اى عدم رجوعهم الينا لجزاء عملهم لدينا
وقال الاستاذ اى لا نهلك قوما وان تمادوا فى العصيان الا اذا علمنا انهم مصرون
على ترك الايمان حتى اذا فتحت وقرا ابن عامر بالتشديد ياجوج وماجوج اى سيتم
اشاعهم او اهلاكنا لهم او عدم رجوعهم الى قرب قيام الساعة ووقت ظهور امارات القيامة
وهو فتح سد ياجوج وماجوج وحتى هى التى يحكى الكلام بعدها المسماة بالابتدائية والمحكى
هى الجملة الشرطية وهم اى ياجوج وماجوج او الناس كلهم من كل حدب اى مرتفع

من الارض ينسلون يسرعون وافاد الاستاد انه يحق القول عليهم ويتم الاجل المضروب
لهم فعند ذلك تظهر اياتهم والى القدر المعلوم من التقدير لا يحصل نجاة الناس من شرهم
واثامهم واقترب الوعد الحق وقت القيامة وساعة الملامة فاذا هي اى القصة شاخصة
ابصار الذين كفروا اى مرتفعة الاجفان لا تكاد تطرف من هول ما هم عليه من الاحزان يا ويلنا
اى يقولون يا هلاكنا ادركنا قد كنا فى غفلة من هذا الذى شاهدنا وادركنا بل كنا ظالمين
لانفسنا بالاخلال فى النظر وعدم الاحتفال بالنذر وافاد الاستاد ان القيمة تاخذهم بغتة
ويظهر اشراط الساعة فجاءة ويقر الكافرون بان الذنب لهم جملة ولكن فى وقت لا يقبل
المعذرة انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان وابليس والاعوان لانهم
بطاعتهم فى حكم عبدتهم لما روى انه عليه السلام لما تلا الاية على المشركين قال ابن الزبعرى
قبل ان يدخل فى سلك المؤمنين قد خصمتك اى غلبتك فى الخصومة والحجة ورب الكعبة
اليست اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة فقال عليه السلام
بل هم عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك فانزل الله تعالى بعد ذلك ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الاية فعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مؤلا بمن او جاريه وهو الاولى كما لا يخفى ويدل
عليه ما روى ان ابن الزبعرى قال هذا شئ لالهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله عامة فقال بل
لكل عبد من دون الله ويكون حينئذ قوله ان الذين بيانا للتخصيص متاخرا عن الخطاب فى النزول
حصب جهنم اى حطبها كما قرئ على بها انتم اى كلكم لها واردون اى داخلون فيها او مارون
عليها وافاد الاستاد ان الاصنام جمادات ولا جرم لها واحراقها ليس عقوبة فى حقها ولكنه
تنبيه على جهة براءة ساحتها بان ان الذنب كان لعبدتها لو كان هؤلاء اى الاصنام وغيرها
الهة مستحقة لان يعبدوا ما وردوها ما دخلوها لان المهان بالنقاد والاحراق فيها لا يكون
الها وكل فيها خالدون دائمون لا خلاص لهم عنها لهم لاهلها فيها زفير شدة انين وتنفس
حزين وهم فيها لا يسمعون من شدة عذابهم او لا يسمعون ما يسرهم من خطابهم وافاد الاستاد
ان لعبدة الاصنام فى النار زفير لحسرتهم على ما فاتهم من طاعتهم وهم فيها لا يسمعون نداء من
يبشرهم بانقضاء عقوبتهم بخلاف عصاة المسلمين فانهم وان عذبوا حينا لمعصيتهم
فيسمعون قول من يبشرهم يوما بانقضاء عقوبتهم ولو بعد طول مدتهم ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهى السعادة او التوفيق للطاعة والعبادة او البشرى
بالجنة بعد حصول المحنة اولئك عنها مبعدون فان مقامهم عليون قال الحسين بن الفضل
سبقت العناية وظهرت الهداية وقال جنيد من سبق من الحق اليه احسانا فانه لا يزال
ينقلب فى ميادين المحسنين ايمانا وايقانا الى ان ينقلب الى اعلى مراتب اهل الاحسان
من ارباب الارادة لقوله سبحانه للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقال بعضهم اذا سبقت
للعبد من الله سعادة فغفلته كلها اذكار وعبارة واذا سبقت للعبد من الله الشقاوة
فاذكاره كلها عناد ومحنة وغفلة وانشد فى معناه ٭ من لم يكن للوصال اهلا ٭ فكل طاعاته

ذنوب ٭ وافاد الاستاد ان المعنى سبقت لهم الكلمة بالحسنى والمشية والارادة بالعاقبة
الاسنى لان الحسنى فعل وقوله سبقت اخبار عن القوم والذى كان لهم فى القدم هو الحكمة
التى هى صفة تعلقت بهم فى معنى الاخبار عنهم بالسعادة ثم قال مبعدون ولم يقل متباعدون
ليعلم ان المدار على التقدير وسبق الحكم من الله به لا على تباعد العبد وتقربه اقول وفى الحديث
لا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قاربت ولا مقدم لما اخرت ولا مؤخر لما قدمت
لا يسمعون حسيسها ما يحس به فيها وهم فى ما اشتهت انفسهم من الشهوات الحسية
واللذات المعنوية خالدون دائمون قال الواسطى اهل الحقايق لا يحسون ضجيج اهل النار
لانهم مصدودون عنها لما ورد على سرائرهم من وهج حقايق المولى فهم مترددون فى
منازلهم العلية ومراتبهم الجلية لا يقطعهم عن ذلك قاطع فى الطريقة لانغماسهم
فى بحور الحقيقة وقال ابن عطا للقلوب شهوة وللارواح شهوة وللنفوس شهوة وقد جمع
لهم ذلك كله فى الجنة فشهوة القلوب القرب والرؤية وشهوة الارواح المشاهدة وشهوة
النفوس الالتذاذ بالراحة وافاد الاستاد ان الاية تدل على انهم لا يعذبون فيها بحال وجه
منها والمراد منهم السادة المؤمنون الكاملون فهم فيما اشتهت انفسهم خالدون دائمون لا يكون
لا يحزنهم الفزع الاكبر اى النفخة الاولى او الاخيرة او انصراف الفجار الى عذاب النار او حين
يطبق على النار من الكفار او حين يذبح الموت وينادى يا اهل الجنة خلود ولا موت ويا
اهل النار خلود ولا موت واقتصر عليه السلمى وافاد الاستاد فيما زاد انه قيل قول الملك
لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقال اذ قيل وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقيل اذا قيل
اخسئوا فيها ولا تكلمون وقيل الفزع الاكبر هو الفراق وهو اليأس من رحمة الخلاق
وتتلقيهم الملائكة اى عند نزع ارواحهم الطيبة كما قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة
الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون الاية او تستقبلهم مهنئين
على ابواب الجنة ويقولون هذا يومكم الذى كنتم توعدون اى هذا اليوم الواقع فى العقبى
يوم ثوابكم الموعود فى الدنيا وافاد الاستاد ان منهم من يتلقى الملك فى بشارة الثواب
ومنهم من يرد عليه الخطاب بغير واسطة من رب الارباب يوم نطوى السماء اى نجمعها
او نمحوها او نطويها كتكوير نجومها ومحو رسومها ويؤيد الاول قوله كطى السجل للكتاب
كطى الطومار لاجل الكتابة يعنى ليكتب فيه او لما يكتب فيه وقرئ الكتب فيه وقرئ عليه
وقراءة حمزة والكسائى وحفص على الجمع اى للمعانى الكثيرة المكتوبة فيه وهذا قول
السلف وقول الاكثر من السلف ان السجل ملك يطوى كتب الاعمال اذا رفعت
اليه فى الاحوال او كما صح عن ابن عباس انه كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فالكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوبة فيها وطى مضاف الى الفاعل وعلى ما
سبق الى المفعول وافاد الاستاد انه انما كان السماء سقفا مرفوعا حين كان الاولياء
تحتها والارض كانت فراشا اذ كانوا فوقها فاذا تخلى الاحباب عنها تجذب بارهم

على العادة فيما بين الخلق من تخريب الديار وذهاب الآثار بعد مفارقة اصحاب الدار
ويقال نطوي السماء التي عرجت منها بردا ومن العصاة من المسلمين لئلا تشهد عليهم
بالاجرام للمذنبين وتبدل الارض التي عصوا فيها غير تلك الارض حتى لا تشهد عليهم قول وهل
هذا بعد شهادتها على بعضهم واخبارها حيث قال تعالى يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها
ويقال نطوي السماء والابواب ليقرب قطع المسافة على الاحباب كما بدأنا اول خلق نعيده
اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدأنا اياه في الايجاد والابقاء بعد العدم والفناء والا
والمراد بيان صحة الاعادة بالمقايسة على البداءة لتناول القدرة القديمة لهما على السوية
وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا وعدا علينا اي وعدو عدا كائنا انجازه علينا
فلا محالة في رجوعكم الينا انا كنا فاعلين اي محققين ذلك الوعد حيث لا خلف لدينا
ولقد كتبنا في الزبور وهو كتاب داود من بعد الذكر اي التورية او المراد بالزبور جنس
الكتب المنزلة فالزبور بمعنى المزبور اي المكتوب وبالذكر اللوح المحفوظ لان الكل اخذ
منه ودليله قراءة حمزة بضم الزاي على جمع الزبر بمعنى المزبور ان الارض ارض الجنة
او الارض المقدسة او ارض الكفرة يرثها عبادي الصالحون يعني عامة المؤمنين
او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها او امة محمد صلى الله عليه وسلم
اجمعون وافاد الاستاذ ان الذكر هنا هو التورية وكتب بمعنى اخبر وحكم والصالحون امة
محمد صلى الله عليه وسلم وهم بجملتهم قوم صالحون لنعمة وهم المطيعون وآخرون صالحون
رحمته وهم العاصون والمعنى اخبرنا موسى عليه السلام وقومه وداود عليه السلام وامته
ان آخر امة محمد صلى الله عليه وسلم وان الارض لهم الذين يرثونها اي لوجه الكمال
في الدنيا وحسن الجمال في العقبى والكل من فضل المولى ان في هذا اي القرآن او فيما ذكر
في هذه السورة من الاخبار والموعظة لبلاغا للكفاية او كسبب بلوغ الى البغية
لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين مفعول له
او حال بتقدير ذا رحمة او لارادة المبالغة وذلك لان ما بعثت به سبب لاسعادهم
وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وهو لا ينافي ان الرحمة تنقلب الزحمة للكفار
والنعمة تبدل بالنقمة للفجار وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب
الاستيصال في هذه الدار واختاره الاستاذ فيما افاد حيث قال اما من اسلم
فبك ينجو واما من كفر فلا نعذبهم ما دمت فيهم فانت رحمة من الله للخلائق اجمعين قل انما
يوحى الي انما الهكم اله واحد اي في ذاته وصفاته وافعاله في مخلوقاته فهل انتم مسلمون
اي مخلصون له في عباداته منقادون في قبول طاعاته فان تولوا عن التوحيد في
الالوهية والتفريد في الربوبية فقل آذنتكم اي اعلمتكم بما امرت ان ابلغكم على سواء
مستوين في الاعلام به ولم اخصص بعضكم بتبليغه وفيه بطلان مذهب الباطنية وبعض
الرفضة من الباطلية وقال الاستاذ ان اعرضوا ولم يؤمنوا فقل اي لالزام اعلمتكم لكن

لاكرام

لاكرام ما الهمتكم فتوجهت عليكم الحجة واستبهمت عليكم المحجة وان ادري اي ما ادري
اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين او من ظهور يوم الدين لكنه كائن باليقين
وافاد الاستاذ ان علمي متقاصر عن تفصيل احوالكم في مآلكم ووقت ما توعدون به في القيمة
من تحصيل آمالكم ولكن حكم الله غير مستأخر عنكم اذا اراد شيئا من تغير افعالكم انه يعلم الجهر
من القول كالطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون من الاحقاد للنبي عليه السلام واصحابه الكرام
وان ادري لعله فتنة لكم وما ادري لعل تأخير جزائكم استدراج لشأنكم وزيادة في افتتانكم او
امتحان لينظر كيف تعملون في امر الادبار ومتاع الى حين وتمتيع لكم الى اجل مقدر من الاحيان
وافاد الاستاذ انه سبحانه لا يخفى عليه سركم ونجويكم وحالكم ومآلكم وظاهركم وباطنكم وعلى قدر
استحقاقكم يجازيكم وبموجب افعالكم يحاسبكم ويكافيكم وليس تحكيط على الاجابة بطلبي واعلا
ابائي ليس باختياري ولا هو مقصود على حسب مرادي وايثاري قل رب احكم بالحق
اي اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لان يعجل عليهم العقوبة وقرا حفص قال
على الحكاية من امتثال الطاعة وربنا الرحمن كثير الرحمة والمنة المستعان المطلوب منه
المعونة على ما تصفون من ان الشوكة تكون لكم في العاقبة سورة الحج مكية وهي
ثمان وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم اي بسم الله هو المطلوب بالحج والمقصود
بالحج والمراد بالحج فلا يحج الا اليه ولا يلبى الا اليه ولا ينادي الا عليه ولا يحج الا لديه وافاد الاستاذ
ان سماع بسم الله يوجب الغيبة والغيبة تقتضيه الهيبة وذلك وقت محوهم وسماع الرحمن الرحيم
يوجب الانس والقربة وذلك وقت صحوهم فسماع بسم الله يوجب انزعاج القلوب
وعنده يحصل دار جفوتهم وسماع الرحمن الرحيم يوجب اهتياج القلوب وبه يحصل شفاء
قلوبهم فقوة قلوبهم في لطف جماله كان موجب جفوتهم في كشف جلاله يا ايها الناس
اتقوا ربكم اي مخالفته او معاقبته وقابلوا الربوبية بما يقتضيه من العبودية قيل معناه
يا بني النسيان وللجهل في العرفان وقال جعفر يا ايها الناس كونوا من الناس الذين هم الناس
فلا تغفلوا عن الله اي بالاستيناس بما سواه لمن عرف انه من الانسان الذي خلق خلقه
بالحق به كبرت همته عن دني المنازل وسمت به الرفعة حتى يكون الحق نهايته ثم الى ربك
المنتهى وقال ابو يزيد التقوى كل التقوى من اذا قال قال لله ولم يقل لغيره واذا نوى نوى لله
ولم ينو لغيره هكذا في جميع ما بيده ومنه ويروى عن ابي سعيد الخدري ان رجلا جاء الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اوصني فقال اتق الله فانها جماع كل خير ذكره السلمي وافاد الاستاذ
ان يا ايها الناس نداء علامة ويا ايها الذين آمنوا نداء كرامة وبكل واحد من القسمين في السور
يفتتح الحق خطابه في السور وذلك لانقسام خطابه الى صفة التحذير مرة وصفة التبشير كرة
والتقوى هو التحرز والاتقاء وتجنب المحظورات فرض وتجنب الفضلات والشواغل
وان كانت من جملة المباحات نفل فثواب الاول اكثر لكنه مؤجل وثواب النفل اقل ولكنه
معجل ويقال خوفهم بقوله اتقوا ثم سكن ما بهم من الخوف بقوله ربكم فان سماع التربية يوجب

الاستنادة وحميل الكفاية ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء فجيبها على الاسناد المجازي
فان الاشياء تتحرك بسببها او تحريك الاشياء فيها شيء اى باعتبار ماله عظيم لشدة اهوال
علل امرهم بالتقوى في الطاعة لفظاعة الساعة ليتصوروها في نفوسهم ويعلموا بعقولهم
انه لا ينفعهم في دار العقبى الا التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم في الدنيا
ويتقوها بملازمة التقوى وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها
الى الساعة لانها من اشراطها ويؤيده ظاهر قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة اى تشغل بهولها
عما ارضعت من ولدها لكثرة هولها وشدة نكرها وتضع كل ذات حمل حملها اى تسقط
جنينها في غير محلها وترى الناس سكارى اى كانهم سكارى وما هم بسكارى اى على الحقيقة
بل حيارى ولكن عذاب الله شديد فتغير الاحوال حينئذ ليس ببعيد وقرا حمزة والكسائي سكرى
قال جعفر اسكرهم لما شاهدوا من بساط العز وسلطان الجبروت وسرادق الكبرياء والعظموت
حتى كل نبي يقول نفسي نفسي وافاد الاستاذ ان منهم من سكره لما يصيبه من الاهوال ومنهم
من سكره لاستهلاكه في عين الوصال كان اليوم منهم من سكره سكر الشراب ومنهم من سكره
سكر الحجاب وشتان بين سكر اهل الغفلة وبين سكر اهل الوصلة ومن الناس من يجادل في
الله في توحيد ذاته وتفريد صفاته او في امر دينه من جميع جهاته بغير علم اى بكتابه وآياته
ويتبع في مجادلته او عموم حالته كل شيطان مريد متجرد للفساد ومريد لضلال العباد
قال سهل يخاصم في الدين بالهوى والقياس بالاهواء دون الاقتداء بالانبياء والاولياء
فعند ذلك يضل ويضل ويبتدع ويدخل في سلك السفهاء وافاد الاستاذ ان المجادلة مع
اعداء الحق من موجبات القربة والمجادلة في الله بالمماراة مع اوليائه والاصرار على الباطل
بعد ظهور دلائل الحق من امارات الشقاوة كتب عليه اى على الشيطان المريد انه اى الشان
او الشيطان من تولاه تبعه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير اى ويدله الى ما يجره الى
عذاب النار بحسب التقدير وافاد الاستاذ ان من وافق الشيطان بمتابعة دواعيه
من العصيان فالشيطان لا يهديه الا الى الضلال والطغيان ثم انه يتبرا من موافقته
ويلعن اصحاب مرافقته فنعوذ بالله من الشيطان ونزغاته ومن درك الشقاء وشؤم نجاته
يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكان الاعادة فانا خلقناكم حال البداءة من تراب
بخلق آدم منه او الاغذية التي يتكون منها المني ثم من نطفة اى مني وذريته جنسه
ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم كانها ممضوغة مخلقة
وغير مخلقة تامة وناقصة لنبين لكم قدرتنا وصنعتنا وحكمتنا ونقر في الارحام ما نشاء
ان نقره الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه سنتان
عند الحنفية واربع عند الشافعية ثم نخرجكم طفلا حال كون كل منكم طفلا او المعنى اطفالا
على ارادة الجنس ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة والعقل ومنكم من يتوفى عند
عند بلوغ الاشد او قبله ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا

لبعود

لبعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم في الامور الكلية
والجزئية وافاد الاستاذ ان ارذل العمر الذلة في مشيب الزمان او الاقامة في منازل العصيان
او التعريج في اوطان المذلة او العيش مع الاضداد او عيش المرء بحيث لا يعرف قدره او
ان يوكل الى نفسه او التطوح في اودية الحسبان ان شيئا بغير الله كان او هو الاخلاد الى تدبير
النفس وللخلق والغفلة عن شهود تقدير الحق وترى الارض هامدة ميتة يابسة وجامدة
ساكنة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت واضطربت وربت انتفخت وارتفعت
وانبتت من كل زوج بهيج من كل صنف حسن ونوع مستحسن ذلك ما ذكر من خلق الانسان
في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها باشكال مؤتلفة بان الله
هو الحق اى بسبب انه الثابت في ذاته والمتحقق بايجاده وجميع مكوناته وانه يحيي الموتى بالاعادة
كما احيى النطفة والارض الميتة فهو حق وكلامه صدق وفي تفسير السلمي يحيي الموتى بالعلوم في
الدنيا وبالارواح في العقبى وافاد الاستاذ ان الارض التي اصابتها خشية الشتاء
يحييها وقت الربيع وحسن الهواء ويقال يحيي النفوس بتوفيق العبادة ويحيي القلوب
بتحقيق المشاهدة ويقال يحيي احوال المريدين بحسن اقباله عليها ويقال يحيي الاوقات بموافقة
الامر بجميل الرضاء وسكون الجأش عند جريان التقدير بحكم القضاء وانه على كل شيء قدير
من الايجاد والامداد والافناء والابداء والتبديل والتغيير وان الساعة آتية لا ريب فيها ومن مات
فقد قامت قيامته وان الله يبعث من في القبور على اشكالهم الاولية وهيئاتها كما
تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون ومن الناس من يجادل في الله بغير علم كرر الآية
لما ينطوي من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير اى لا سبيل العقل ولا طريق النقل
او من غير الكتاب والسنة لحديث خير الهدى هدى محمد فالمراد بالعلم علم الفطري الضروري
ليصح عطف العلم النظري كذا قيل والاظهر انه من قبيل العطف التفسيري وان المراد بالعلم
هو الاجمالي وما بعده التفصيلي ثاني عطفه اى لاوي عنقه متكبرا ومعرضا عن الحق متجبرا
ليضل اى غيره متحيرا عن سبيل الله وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وفيه تنبيه على ان
علة الجدال هو الاقبال على الاضلال لغيره والخروج عن الهدى الى الضلال بنفسه والمعنى
ليصير ضالا مضلا في جداله له في الدنيا خزي اى هوان وذلة ونذيقه يوم القيامة عذاب
الحريق عقاب الحرقة وعذاب النار ذلك الخزي والتعذيب بما الحقاك بما قدمت
يداك بسبب ما عملته من الكفر والمعاصي هناك وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو
مجازيهم على اعمالهم وفق احوالهم وصيغة المبالغة لارادة افادة الجمعية الدالة على المقابلة
او المعنى ليس بذي ظلم فعال للنسبة ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف
من الدين لا ثبات له فيه لعدم اليقين كمن وقف على جانب من عسكر المجاهدين فان اصابه خير
من مطلوبه اطمأن به سكن قلبه بسببه وان اصابته فتنة محنة وبلية امتحانا من ربه
انقلب على وجهه قال الواسطي على رهن او تهمة هنالك فاطمأن اليه لذلك خسر الدنيا

والآخرة لذهاب عصمته فى الدنيا وهبوط عمله فى العقبى ذلك اى الجمع بين الخسرانين
هو الخسران المبين الظاهر امره عند ارباب اليقين قيل الخسران فى الدنيا ترك الطاعات
ولزوم المخالفات والخسران فى العقبى كثرة الخصوم والتبعات وقال يحيى بن معاذ الرازى
الناس من مخافة فضيحة الدنيا وقعوا فى فضايح الاخرى ومن اجل نفوسهم اهلكوا نفوسهم
وافاد الاستاد ان المعنى يكون على جانب غير مخلص لاشهودا يوجب الوفاق ولا جحودا
يقتضى الشقاق فان اصابه خصب وامن وسعة سكن اليه وان اصابته فتنة ونالته
محنة ارتد على عقبيه وصار ناكصا وصار لما اظهر من وفاقه عاكسا يدعو من دون الله
ما لا يضره وما لا ينفعه ما لا يقدر على مضرة ومنفعة لنفسه ولا لغيره ذلك اى دعا من هذا
حاله ومآله هو الضلال البعيد عن مقصد آماله قال ابن عطاء من ركن الى شئ سوى ربه فقد
ركن الى ما يضره ولا ينفعه ومن اعتمد على الله فيا عبده ودعاه فقد اعتمد على الضار
النافع الذى منه الكل على وفق ما قضاه يدعوا يزعم لمن ضره اى لا بنفسه بل بتسببه لكونه
معبودا لانه يوجب القتل فى الدنيا والعذاب فى العقبى اقرب من نفعه الذى يتوقعه
عابده بعبادته من حصول شفاعته ووصول التوسل الى الله وقربته لبئس المولى الناصر
النافع ولبئس العشير الصاحب الشافع هو وقال الاستاد يعبد من المضرة فى عبادته
اكثر من المنفعة بل ليس فى عبادته المنفعة البتة وهو بيان ركالة عقلهم ورؤية الناس
خطار فعلهم وان النفع الذى يتوقعونه فى عبادة الاصنام ليس له حقيقة فى اليقظة ولا
فى المنام لبئس الناصر الصنم لهم ولبئس القوم هم الصنم ولما ولاجله وقعوا فى عقوبة
الابد وغاية البلاء ونهاية الالم ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات اى
بفضله وكرمه وتوفيقه للايمان وعمله جنات تجرى من تحتها الانهار اى من تحت الاشجار
المنتجة للازهار والاثمار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الابرار وعقوبة الفجار من غير دافع
ومانع فى الدار حيث ليس فى الدار غيره ديار وافاد الاستاد انهم صدقوا ثم حققوا
فالايمان ظاهره التصديق وباطنه التحقيق ولا يصل العبد اليهما الا بالتوفيق ويقال
الايمان ما يوجب الامان وفى الحال يحب الامان وفى المآل يوجب الامان فمعجل الامان
من عقوبة السلطان ومؤجله بالخلاص من صحبة الكافرين والفاجرين والعمل الصالح
ما يصلح للقبول ويصح للثواب والوصول وهو ان يكون على الوجه الذى تعلق به الامر
فى الحصول والجنان منها مؤجلة باحوال قربة ومعجلة بايصال مثوبة قال تعالى ولمن خاف
مقام ربه جنتان اى جنة فى الدنيا واخرى فى الاخرى من كان يظن ان لن ينصره الله
اى لن ينصر رسوله او لن يرزقه ولن يقبل سؤله فى الدنيا والاخرة فليمت من غيظه كما عبر
عنه بقوله فليمدد بسبب بحبل ممدود الى السماء سقف بيته ثم ليقطع نفس نفسه به اى جنانه
فلينظر فليتصور وليتفكر هل يذهبن كيده ما يغيظ اى هل يرفع عنه فعله غيظه وافاد الاستاد
ان الحق سبحانه يرغم اعداء رسوله فمن لم تطب نفسه بشهود تخصيص الله سبحانه بما افرده

فليقل بنفسه من الغيظ خنقا ثم لا ينفعه وذلك كما قيل ان كنت لا ترضى بما قد ترى
فدونك الحبل به فاختنق وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه اى القرآن بالكمال آيات
بينات حال كونه مشتملا على دلالات وحجات وان الله يهدى اى ويثبت على الهداية ثابتا
من يريد هدايته وثباته والتقدير وانزله كذلك مبينا بجمله وافاد الاستاد انه سبحانه نصب
لعباده دلالات وعلامات فمنها ما هو قضية العقل ومنها ما هو نتيجة النقل ومنها ما هو تعريف
فى اوقات المعاملات مما يجده العبد فى اختلاف الحالات من انغلاق وفتح واستعداد
وقبض وحصول خسران ووجوه امتحان لا شك ولا مرية اذا اخل بمامور او الم بمحظور ومن
زيادة بسط وحلاوة طاعة وتيسير عسير من امور عاداته وتجديد انعام عند حصول شئ منه
من طاعاته ثم قد تكون آيات اى فى الاسرار خطاب من الحق ومحادثة معه فى الحال المطلق
كما فى الخبر لقد كان فى الامم محدثون فان يك فى امتى فعمر ثم يقال الآيات ظاهرة والحجج زاهرة
ولكن الشان فى من يستبصر البرهان ويشاهد البيان على وجه العيان ان الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا اى وسائر المشركين والكافرين
ان الله يفصل بينهم يوم القيامة باظهار المحق منهم عن المبطل بالحكومة او بالجزاء المتنوع
فيجازى كلا بما يليق به ويدخله المحل المعد لمثله ودخلت ان على كل من الاسم والخبر لمزيد
التاكيد فى الاثر كقول بعضهم ان الخليفة ان الله فضله ان الله على كل شئ شهيد
مطلع على اعماله ومراقب لاحواله وافاد الاستاذ ان اصناف الناس على اختلاف
مراتبهم من الولى والعدو والموحد والجاحد اجمعون يوم المحشر لدى الواحد الماجد ثم الحق
سبحانه يعامل كلا بما وعدهم اما بوصال بلا مدى او باهوال بلا منتهى الوقت واحد وكل
واحد لما اعد له واجد وعلى ما خلق له وارد الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن
فى الارض ينقاد لقدرته ويتسخر لعظمته واورد من تغليبا لذوى العقول على غيره ايماء الى انه
اولى به ولذا قال والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افراد السخر بها بالذكر
لشهرتها واستبعاد ذلك منها لبعض ذوى العقول القاصرة عنها وكثير من الناس
اى يسجدون له سجود طاعة تورث الثواب وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن طاعة
ربه ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة ان الله يفعل ما يشاء من الاهانة
والاكرام لمن يشاء من الانام قال السيادى من قدر الله عليه الاهانة فى السبق
لا يقدر على كرامته احد من الخلق وافاد الاستاد ان اهل العرفان يسجدون سجود
عباده وارباب الجحود يسجد كل جزء منهم سجود دلالة وشهادة كما قيل
وفى كل شئ له شاهد دليل على انه واحد هذان خصمان اى فوجان مختصمان
ولذا قال اختصموا حملا على المعنى وهو اولى من رعاية المبنى والمراد بهم المؤمنون
والكافرون فى ربهم اى فى ذاته وصفاته او فى دينه ومتعلقاته فالذين كفروا
مفصل بخصومتهم وعدل وفضل فى رتبتهم قطعت لهم قدرت على مقادير جثتهم

ثياب من نار قطع من نار تحيط بهم وفيه تنبيه على تفاوت مراتب عقوبتهم يصب من فوق
رؤسهم الحميم الماء الحار الاليم يصهر به ما في بطونهم والجلود يذاب به بواطن احشائهم كما يذاب
ظواهر اعضائهم ولهم مقامع من حديد مضارب بشديد كلما ارادوا ان يخرجوا منها
من قعرها الى ظهرها من غم اي من اجل غم يغم اهلها اعيدوا فيها اي في مكان اول او محل سفل
منها وذوقوا اي وقيل لهذا الفريق ذوقوا عذاب الحريق وقال الاستاد اما الذين كفروا
فلهم اليوم لباس الشرك والكفران وطرازه الحرمان ثم صداره العصيان وحباره الخذلان
وفي الآخرة لباسهم القطران وطرازه الهجران واما الذين آمنوا في الدنيا وامنوا في العقبى
فلباسهم التقوى وتبقيهم الى اجتناب الشرك ثم مجانبة المخالفة ثم مباينة الغفلة ثم مجاوزة
السكون الى غير الله والاستبشار الى ما سواه وفي الآخرة لباسهم على حسب وفائهم
في الدنيا وحالاتهم في العقبى فالعباد لباسهم فيها حرير الجنة وآخرون لباسهم صدار المحبة وآخرون
لباسهم الانفراد به في الخلوة والحضرة والآخرون هم اصحاب التجريد التام فلا حال ولا مقام ولا
منزلة ولا محل ولا مرام وهم الغرباء وهم الطبقة العليا احرار عن رق كل ما لحقه التكوين من
الاغيار والانداد ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الانهار وغير الاسلوب للاشارة الى التفنن في العبارة يحلون فيها من اساور اي حليا
منها من ذهب بيان لها ولؤلؤا عطف عليها ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها
ولباسهم فيها حرير وافاد الاستاد ان التحلية تخصيص لهم وستر لاحوالهم فهم للجنة زينة
وليس لهم زينة بالجنة ■ واذا الدر زان حسن وجوه • كان للدر حسن وجهك زينا •
وهدوا الى الطيب من القول اي كلمة التوحيد في الدنيا ونحو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده
في الاخرى وهدوا الى صراط الحميد المحمود ذاته او عاقبته او الحميد الكريم وصراطه الدين القويم
والطريق المستقيم قال ابن عطاء الطيب من القول ذكر الله وقال جعفر هو الامر بالمعروف
وقال بعضهم هو نصيحة المسلمين وقيل هو قراءة القرآن كذا في تفسير السلمي وافاد الاستاد ان
الطيب من القول ما صدر عن قلب خالص وسر صاف مما رضي به علم التوحيد اكد لا اعتراض
عليه لاصول التوحيد ويقال الطيب من القول ما يرضاه الحق سبحانه او هو ما يخاطب الله به
على وجه الثناء دون الحاجة والدعاء وهو ارشاد المريدين ووعظ المسترشدين ويقال
الدعاء للمسلمين ويقال هو بيان الاستغفار والتبري من الذنوب والاصرار واما
صراط الحميد فهو ما شهد له الشريعة بالصحة ولا يكون للحقيقة عليه النكرة او ما كان طريقه
الاتباع دون الابتداع ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله اي يعرضون عن دينه
وحصوله او يمنعون الناس عن دخوله ووصوله والمسجد الحرام اي عند الحرم لنفسه او عن
سبيله الذي جعلناه للناس اي للواردين المريدين لدخوله والوافدين لوصوله سواء
العاكف المقيم فيه والباد الطارى وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه
وللناس حال من الهاء ونصبه حفص على انه المفعول والعاكف مرتفع به لانه مصدر في معنى

اسم الفاعل

اسم الفاعل اي مستو فيه القاعد والوافد والغني والفقير والحقير والامير والصغير والكبير
والقريب والغريب لانه بيت الرقيب المجيب ومنزل الحبيب للطبيب قال محمد بن علي الترمذي
الفتوة ان يستوي عندك الطارى والمقيم يعني فانهما من صفة الكريم ونعت الحليم وافاد الاستاد
ان الصد عن المسجد الحرام باخافة السبيل على قاصدي ذلك المقام وبغصب المال الذي لو بقي
في يد صاحبه لوصل به الى المشاعر الحرام وقوله سواء العاكف فيه والباد يشير الى انه يعتبر فيه
السبق للزام والتقدم في ذلك المقام فمنى مناخ من سبق من الانام ومشهد الكرام يستوي
فيه الاقدام لمن وصل الى ذلك المحل فلا ترتيب ولا ارد وبعد الوصول فلا زجر ولا صد وفي اثناء
الطريق ربما يعتبر التقدم والتأخر في الفريق قال تعالى ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا
المستأخرين ولكن لا تباين في الوصول ولا تباين في الحصول ثم اذا اجتمعت النفوس فيها
فالموضع الواحد يجمعهم لها ولكن لكل حال يعود بها ومن يرد فيه اي اي مراد بالحاد اي ميل عن
العدل وعدول عن الفضل بظلم كالشرك بالاصنام واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم
ينسى سائر الالام واذ بوأنا عينا وهيأنا لابراهيم مكان البيت الكريم لما قيل رفع البيت
الذي بناه الملائكة الى السماء ايام الطوفان فاعلم الله مكانه في ذلك الزمان ان لا تشرك
اي نادينا فان مخففة او مفسرة اي لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاقذار والاوزار للطائفين
والقائمين اي المعاكفين من المقيمين والركع السجود اي المصلين قال ابن عطاء وفقناه لبناء
البيت وهديناه اليه ودعينا عليه وجعلناه مسكنا له ولمن بعده من الانبياء والاولياء والصديقين
الى يوم الدين وامرنا الخليل عند بنائه ان لا يرى فعله ولا بنائه ولا عمله ولا يشرك بنا في ذلك شيئا
من امره وحوله وافاد الاستاد في قوله طهر بيتي يعني الكعبة وهذا لسان العبارة وعلى بيان
الاشارة فرغ قلبك عن الاشياء سوى ذكره سبحانه بالدعاء والثناء وفي بعض الكتب
اوحى الله الى بعض الانبياء فرغ لي بيتا اسكنه فقال الهي اي بيت يسعك فقال تعالى
الك قلب عبدي المؤمن قلت وهذا معنى ما ورد في الحديث القدسي والكلام الانسي
لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن ثم قال الاستاد وتفريغ القلب على
اقسام اوله من الغفلة والنسيان ثم من توهم شيء من الحدثان من غير الرحمن ويقال
قد يكون المطالبة على قوم بصون القلب عن ملاحظة الاعمال وتكون المطالبة على
الآخرين بحراسة القلب عن المساكنة الى الاحوال ويقال طهر بيتي اي قلبك عن التطلع
والاختيار لان يكون عند الخلق نوع من الجاه والاعتبار بل ولا يكون لك عند الله جاه في الدنيا
او خطر في العقبى حتى يكون عبد الله بكمال القيام لحقائق العبودية كما يقتضيه كمال التعظيم من حقوق
الربوبية ويقال طهر بيتي اي قلبك لخراج كل نصيب في الدنيا والاخرى من تطلع اكرام او تطلب
انعام او ارادة مقام او طلب حال من اختيار واستقلال ويقال طهر قلبك للطائفين بها
من موارد الاحوال على ما يختاره الحق المتعال والعاكفين وهي الاشياء المقيمة من متوطنات
المعرفة في القلب من الامور المغيبة وتطلعها باهي حقائق البيان التي هي كالعيان كان الخبر

اعبدوا الله كانك تراه والركع السجود ما هي اركان الاحوال المتوالية من الرهبة والرغبة والرجاء
والمخافة والقبض والبسط والمحو والصحو والفناء والبقاء وفي معناه انشدوا لست من
جملة المحبين ان لم ٭ اجعل القلب بيته والمقاما ٭ وطوافي اجالة السر فيه ٭ وهو ركني اذا اردت
استلاما ٭ ويقال في قوله لا تشرك بي شيئا لا تلاحظ البيت ولا تبارك بالبيت ويقال هو
شهود البيت والاستغراق في شهود رب البيت واذن اي ناد في الناس بالحج اي بان
يحجوا بيت ربهم ويقصدوا شعائر دينهم روي ان ابراهيم عليه السلام صعد ابا قبيس والمقام
فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من في اصلاب الرجال وارحام النساء
فيما بين المشرق ممن سبق في علم الله ان يحج فلبى روحه بلسان القال او بلسان الحال او المقال
نبينا عليه السلام امر بذلك في حجة الوداع سنة ست من الهجرة والله اعلم وجاء رجل
الى جنيد يستاذنه في الحج على التجريد فقال جرد اولا قلبك من السهو ونفسك من اللهو
ولسانك من اللغو ثم استاذن حيث شئت يأتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وعلى
كل ضامر اي وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر وهزله وفي تقديم المشاة اشارة الى ان
فضلهم اظهر واجرهم اكثر لان تعبهم اكبر وقال الاستاذ لان للحمل على المركوب اكثر ولذلك
الجمال على سائر الجمال خصوصية اي في زيادة الجمال لانها مركب الاحباب اي الى عتبة الاحباب
وفي قريب من معناه انشدوا اما منباه ٭ ان جمالا قد علاها جمالكم ٭ وان قطعت اكبادنا لحبائب
يأتين اي الجمال الضامرة من كل فج عميق اي طريق بعيد وافاد الاستاذ ان هذا على جهة
المدح لهم وسبيل الشكر منهم والا فكم مقدار مسافة الدنيا بجملتها في مدة سيرهم ولكن لاجل
قدر فعالهم وتعظيم صنيعهم يقول ذلك اظهار الفضل وكرمه بهم ليشهدوا ليحضروا منافع
لهم دينية ودنيوية وقال ابن عطاء ما وعد الله لهم من القربة والزلفة وافاد الاستاذ
ان ارباب الاموال منافعهم اموالهم وارباب الاعمال منافعهم حلاوة طاعاتهم وارباب
الاحوال منافعهم صفاء انفسهم واهل التوحيد منافعهم رضاهم رضاهم باختيار الحق ما يبدو
من الغيب لهم ويذكروا اسم الله عند اعداد الضحايا واعداد الهدايا فان العطايا على
قدر المطايا في ايام معلومات هي ايام ليالي عشر ذي الحجة وهذا مذهب ابي حنيفة والشافعي
او ايام النحر وهو قول ابي يوسف ومحمد على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها اي بعضها امر اباحة
ازاحة لما عليه الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا في المتطوع
به دون الواجب الا دم القران والتمتع عند الحنفية واطعموا البائس اي ذا بأس وشدة
بأس الفقير المحتاج الكثير والامر فيه للوجوب عند الشافعية وللندب عند الحنفية وقد قيل
بالوجوب في الاكل ايضا قال ابو عثمان ادب الله عباده ان لا يطعموا الفقير الا مما ياكلون ولا
يجعلوا لله ما يكرهون وهو ان يشاركوهم في ماكلهم ومشاربهم وملابسهم ومنازلهم وقال ابن عطاء
البائس الذي تأنف من مجالسته ومؤاكلته والفقير من لم تعلم حاجته الى طعامك ان لم يبال حاله
وافاد الاستاذ انهم يذكرون اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند التقرب بقرابينهم وسوف

بهم وآخرون يذكرون عند ذبحهم اماناتهم واختيارهم مساكين الناس حتى يقوموا لله بالله
بما سوى الله فكلوا منها واطعموا البائس الفقير شاركوا الفقراء من ذبحكم الذي لبس ثوب
عليكم ليحصل لكم بركات الضعفاء والاشارة فيه ان ينزلوا ساحة الخضوع والتواضع ومجانبة
الزهو والتكبر والخيلاء ثم ليقضوا تفثهم ليزيلوا وسخهم ويميطوا شعثهم عند فراغ
عملهم وليوفوا نذورهم من البر في حجهم وسائر قصدهم وليطوفوا طواف الركن
او طواف الوداع ان كان آفاقيا بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق
من تسلط الجبابرة عليه فكم من جبار على قصد هدمه سار اليه فمنعه الله وحماه لديه قال السلمي
في تفسيره سئل الجرجاني ما الاشارة في شعث المحرم فقال ترك التصنع لما شهد الحق منك
والاعراض عن العناية بنفسك اي لاهتمام بامرك وقال الاستاذ ليقضوا حوائجهم ويحفظوا
عهودهم وليوفوا نذورهم فيما عهدوه مع الله بقلوبهم فمن كان عقده التوبة فوفاؤه ان لا يرجع
الى العصيان ومن كان عهده اعتناق الطاعة فشرط وفائه ترك تقصيره في باب الاحسان
ومن كان عقده ان لا يرجع الى طلب مقام وتطلع اكرام فوفاؤه استقامته على الجملة التي
دخل في هذا الطريق بان لا يرجع الى استعجال نصيب او اقتضاء حظ والله ولي التوفيق
وليطوفوا بالبيت العتيق الاشارة ان يطوف بنفسه حول البيت وبقلبه في سماء الملكوت
وبسره في ساحة الجبروت ذلك ومن يعظم حرمات الله اي محرماته من نحو البيت الحرام والمسجد
الحرام ونفس الحرم والاحرام وسائر احكام الاسلام فهو خير له عند ربه اي فتعظيمه محض
خير ونفع له عند ربه من جهة ثوابه واجره وتقرب امره قال الواسطي هو ان لا يلابس
محرما في دينه ولا يخالف امرا ونهيا في فعله ويقال ان لا يلاحظ شيئا من كونه وافاد
الاستاذ ان تعظيم الحرمات بتعظيم امره وتعظيم امره بترك مخالفته لحكمه ويقال من طلب
الفناء بغير رضاء الله لم يبارك له فيما اثر من هواه على رضاء مولاه ولا محالة سيلقى
بعاقبة جزاه ويقال تعظيم حرماته بالغيرة على اماناته وما تجر صاحب حرمة قط ويقال
ترك الخدمة يوجب الفرقة ويقال كل شيء من المخالفات فللعفو فيه مساغ وللامل
اليه طريق وترك الحرمة على خطر ان لا يغفر وذلك بان يؤدي شؤمه بصاحبه الى ان
يختل ركن دينه وتوحيده واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم من الاحكام فاجتنبوا
الرجس من الاوثان اي الرجس الذي هو الاوثان من بيانية او فاتقوا العذاب
من اجل عبادة الاوثان فمن ابتدائية والمعنى الاول هو المعول فانه يفيد غاية المبالغة
في النهي عن طاعتها والتنفير عن عبادتها واجتنبوا قول الزور وهو الافتراء على الله
بان له ولدا ونحو ذلك وقيل المراد شهادة الزور وافاد الاستاذ ان من جملة ذلك قول اللسان
بما لا يساعده الجنان ومن عاهد الله بقلبه ثم لا يفي بامره فهو من جملة اقوال زوره حنفاء
لله مخلصين لدينه مائلين عن غيره اليه متوكلين في امورهم عليه غير مشركين به اي من
جلي الشرك وخفيه ومن يشرك بالله احدا مما سواه فكانما خر من السماء لانه سقط

من اوج الايمان والعرفان الى حضيض الكفر والكفران فتخطفه الطير فان الاهواء
المردية توزع الافكار الردية فى تعلق الغير من غير جلب النفع ولا دفع الضر وقال الاستاذ
تجاذبه ملائكة العذاب الى نار السعير وعذاب الحريق او تهوى به الريح فى مكان سحيق
بعيد عميق فان الشيطان قد رماه فى تيه الضلالة بعيدا عن الطريق واو للتنويع فان منهم من
لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة فضل ذلك ومن يعظم شعائر الله اى شرائع دينه
او فرائض حجه او مواضع نسكه او هدايا نحره وتعظيمها ان يختار الحسان السمان غالية الاثمان فقد اهدى
صلى الله عليه مائة بدنة فيها جمل لابى جهل اخذ فى غنيمة بدر فى انفه برة من ذهب واهدى عمر
نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها ناشئ من احوال
ذوى تقوى القلوب من الذنوب والعيوب قال سهل تقوى القلوب هو ترك الذنوب
وقال الحريرى تقوى النفوس ظاهر وتقوى القلوب باطن وافاد الاستاذ انه يقف المؤمن
على تعيين شعائر الله وتفاصيلها بشهادة العلم جهرا وبخواطر الالهام سرا وكما لا يجوز مخالفة
شهادة الشرع لا يجوز مخالفة شهادة خواطر الحق فان خاطر الحق لا يكذب وعزيز من له عليه
وقوف وكما ان النفس لا يصدق فالقلب لا يكذب فاذا خولف القلب عمى والمستقبل
وينقطع عنه تعريفات الحقيقة فالعبارة والشرح يتقاصر عن هذا على اليقين والتفسير وتقوى
القلوب بتحقيق المنازلة فاذا خرست النفوس وزالت هواجسها فالقلوب تطلع
بما يكاشفه من الامور من الفرق بين ما يكون طريقه العلم وما طريقه من الحق ان الذى
طريقه العلم يعلم صاحبه اولا ثم يعمل مختارا وما كان من الحق يجرى ويحصل ثم بعده يعلم من
جرى عليه ذلك معناه ولا يكون الذى يجرى عليه ما يجرى مضطرا الى ما يجرى وليس يمكن
ان يقال انه ليس له اختيار بل يكون مختارا ولكن سببه عليه مشكل والعجب من هذا ان العبارة
عن هذا كالبعيد لكم فيها منافع من نسلها ودرها وصوفها وظهرها الى اجل مسمى الى ان تنحر
ثم محلها الى البيت العتيق وقت نحرها او مكان ذبحها منتهيا الى ما يليه من الحرم وافاد الاستاذ
ان لكل من تلك الجملة منفعة بقدره وحده لاقوام بركات فى دفع البلايا عن نفوسهم وعن
اعمالهم ولاخرين فى هذا ذات بسطهم واحوالهم ولاخرين فى حلاوة طاعاتهم واعمالهم ولاخرين
فى انس انفاسهم واموالهم ولكل امة من اهل دين جعلنا منسكا متعبدا يتعبدون فيه او ما يتعبد
او قربانا يتقربون به الى الله وقرا حمزة والكسائى بكسر السين اى موضع نسك بمعنى عبادة
او ذبيحة ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيكهم خالصا لوجهه على ما رزقهم من بهيمة
الانعام عند ذبحها وافاد الاستاذ ان الشرائع مختلفة فيما كان من المعاملات متفقة
فيما كان من جملة المعارف والمعتقدات ثم فيها مختلفون وهم مؤتلفون فقوم اصحاب
التضعيف فيما وجب عليهم وحل لهم وقوم اصحاب التخفيف فيما الزمهم وما وعد لهم
ثم اذكر اسم الله على ما رزقهم على اقسام منها معرفتهم بانعام الله بذلك عليهم وذلك من حيث
شكرهم ثم يذكرون اسمه على ما وفقهم لمعرفته بانه هو الذى رزقهم ثم ذكرهم الله بانه هو الذى ارحم

ثم ذكرهم لله

ثم ذكرهم لله بانه هو الذى يتقبل منهم ويثيبهم فالهكم اله واحد وهو واحد ماجد
فله اسلموا اخلصوا فى تقربه وذكره وشكره واطاعة امره وقال الاستاذ استسلموا للحكم
بلا تعبيس ولا استكراه من داخل القلب لا من الفرط والاسلام يكون بمعنى الاخلاص
والاخلاص تصفية الاعمال من الآفات ثم تصفية الاخلاق من الكدورات ثم تصفية
الاحوال ثم تصفية الانفاس وبشر المخبتين المتواضعين او المخلصين فان الاخبات
صفتهم باليقين قال ابن عطاء المخبت هو الذى امتلأ قلبه من المحبة وقصر طرفه عما
دون حبه كان الفريق اشتغل بنفسه عن كل شيء سوى نفسه وافاد الاستاذ ان
الاخبات استدامة الطاعة بشرط الاستقامة بقدر الاستطاعة ومن امارات
الاخبات كمال الخضوع بشرط دوام الخشوع وذلك باطراق السريرة الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم خافت واضطربت هيبة لاشراق اشعة جلاله عليها وعظمة
لحضور سرور ذكره ونور فكره لديها قال ابن عطاء بل رايت ذلك الوجل عند سماع ذكره
او كتابه او خطابه او هل اخرسك الذكر حتى لم تنطق الا به واصمك حتى لم تسمع الا
منه هيهات وقال الواسطى الوجل على قدر المطالعة ربما يريه موضع السطوة والغلبة
وربما يريه موضع المحبة والمودة وافاد الاستاذ ان الوجل عند الذكر على اقسام اما
لخوف عقوبة ستحصل او لمخافة عاقبة بالسوء تختم او الخروج من الدنيا على غفلة
من غير استعداد للموت واصلاح اهبة او لحياء من الله سبحانه اذا ذكر اطلاعه عليه
لما يندر منه من الامور التى هى غير محبوبة ويقال الوجل على حسب تجلى الحق للقلب
فان القلوب فى حال المطالعة والتجلى بوصف الوجل والهيبة وجل له سبب ووجل
بلا سبب فالاول هو المخافة والثانى معدود من الهيبة ويقال الوجل خوف
المكر والاستدراج واقربهم من الله قلبا اشدهم من الله على هذا الوجه خوفا والصابرين
التاركين للجزع والفزع على ما اصابهم من النوائب والمصائب وقال الاستاذ
اى الحافظين مع الحق اسرارهم لا يطلبون السلوة باطلاع الخلق على احوالهم والمقيمى
الصلوة فى اوقاتها بشرائطها واركانها ومكملاتها وقال الاستاذ اى اشدهم البلوى
دعوا الى الوقوف فى محل النجوى ■ اذا ما تمنى الناس روحا وراحة • تمنيت ان
اشكو اليك فتسمع • ومما رزقناهم ينفقون فى مرضات ربهم خالصا لوجهه وقال الاستاذ
عند المعاملة من اموالهم وفى قضايا المنازلة بالاستسلام فى احوالهم وتسليم النفس وكل ما منك
وبك لطوارق التقدير فينفقون ابدانهم على تحمل مطالبات الشريعة والطريقة وينفقون
قلوبهم على التسليم والخمود تحت جريان الاحكام بموافقات الحقيقة والبدن جعلناها لكم
من شعائر الله من اعلام دينه التى شرعها الله لكم فيها خير كثير ونفع كبير دينى ودنيوى
فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها بسم الله الله اكبر لا اله الا الله والله
اكبر اللهم منك واليك اى عطاؤك لنا حاصل منك وتقرب منا واصل اليك صواف

قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وافاد الاستاذ ان السنام الخير فيها كثير بالركوب والحمل
عليها وشرب البانها واكل لحومها والانتفاع بروثها ثم الاعتبار بخلقها كيف سخرت للناس
على قوتها وصورتها ثم بنقادها للصبيان فى البروك عند الحمل عليها وركوبها والنزول منها ووضع
الحمل عنها وصبرها على العطش فى تعب سفرها وعلى علفها ثم ما فى طبعها من لطف الخلقة حيث
تستريح بالحداء مع كثافة صورتها الى غير ذلك فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض حال
نحرها وهو كناية عن موتها فكلوا منها واطعموا القانع الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسئلة من قنع
بالكسر قناعة او السائل من قنع بالفتح اذا خضع فى السؤال من طمع وقد قيل العبد حر ان قنع والحر
عبد ان قنع فاقنع ولا تقنع فى شئ امر من الطمع فهو السائل المتواضع والمعتر السائل
الغير المتواضع او المتعرض بالسؤال او المعترض بيان الحال وافاد الاستاذ ان القانع
الذى القى جلباب الحياء واظهر فقره للناس والمعتر الذى هو فى تحمله متجمل لموضع فاقته
كاتم كذلك سخرناها لكم مع عظمتها وقوتها وهيبتها حتى تأخذوها منقادة فتعقلوها
وتحبسونها وتنحرونها لعلكم تشكرون انعامنا فى خلق انعامنا للتقرب بها الينا لن
ينال الله لن يصيب رضاه لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بنحرها من حيث
لحومها ودماؤها ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبها من تقوى قلوبكم التى
تدعوكم الى تعظيم امر ربكم بالتقرب اليه والاخلاص لديه قال سهل التقوى هو التبرى والالتجاء
وافاد الاستاذ ان لا عبرة باعيان الاعمال الصورية سواء كانت محضة بدنية او صرفة
مالية ولكن العبرة بقرائنها من الاخلاص لها فاذا انضاف الى اكتساب الجوارح
خلاصات القصود وتجردت عن ملاحظة اصحابها الاغيار صلحت للقبول
والاعتبار ويقال التقوى شهود الحق بنعت التفرد فلا يشوب تقربك بملاحظة احد
ولا تأخذ عوضا على عمل من بشر كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتمهيدا للعلة بقوله
لتكبروا الله لتعرفوا عظمته فتوحدوه بالكبرياء فى نعته وقيل هو التكبير عند الاحلال
او الذبح على ما هداكم ارشدكم الى طريق تسخيره وكيفية التقرب بها وعلى تعليلية او
حالية والتقدير شاكرين على ما هداكم قال الاستاذ اى ارشدكم الى القيام بحق العبودية
على قضية الشرع وفق القضايا الربوبية وبشر المحسنين فيما يأتونه ويذرونه قال الانطاكى
للمحسنين علامات اولها ان لا يظلم وان ظلم لا ينتصر وان لا يغضب وان غضب لا يأثم
قد اتعب نفسه والناس منه فى راحة ونفسه منه فى شغل وان يكون قلبه وجلا عند الذكر
وصابرا على ما يصيبه من الشدائد وافاد الاستاذ ان الاحسان كان الخبر ان تعبد الله
كانك تراه فامارة صحته سقوط التعب للقلب عن صاحبه فلا يستثقل شيئا ولا يتبرم
بشئ من امر ربه ان الله يدافع عن الذين آمنوا يبالغ فى دفع غائلة المشركين عن طائفة
المؤمنين وقراء ابن كثير وابو عمرو يدفع قال ابن عطاء ان الله يدفع بالكفار عن المؤمنين
وبالعصاة عن المطيعين وبالسفهاء عن العلماء وقال بعضهم يدفع عن المؤمنين هواجس

النفس ووساوس

او وساوس شياطينهم وقال سهل يدفع عنهم بنور السنة ظلمة البدعة وقال الاستاذ يدفع عن صدورهم
نزغات الشيطان وعن قلوبهم خطرات العصيان وعن ارواحهم طوارق النسيان ان الله لا يحب
كل خوان ذى خيانة فى امانة كفور ذى كفران لنعمه وافاد الاستاذ ان الخيانة على اقسام
خيانة فى الاموال وتفصيلها فى المسائل الشرعية المعروفة عند علماء الفقهية وخيانة فى الاعمال
وخيانة فى الاحوال فخيانة الاعمال بالرياء والسمعة والمصانعة وخيانة الاحوال بالملاحظة
والاعجاب والمساكنة وشرها الاعجاب ثم المساكنة واخفاها الملاحظة ويقال خيانة الزاهدين
عزوفهم عن الدنيا على طلب الاعواض ليجدوا حسن المآل فى العقبى وهذا اخلاص الزاهدين
ولكنه عند خواص الزهاد خيانة فى الدين لانهم تركوا فى دنياهم لا لله ولكن لوجود العارض
على تركهم ذلك ان قبل الله وخيانة العابدين ان يدعوا شهواتهم ثم يرجعوا الى الرخص فى معاملاتهم
فلو صدقوا فى مرماهم لما انحطوا الى الرخص بعد ترقيهم عنها وخيانة العارفين جنوحهم
الى وجود مقام وتطلعهم لمنازل منازلة واكرام من الحق ونوع تقريب وخيانة المحبين روم
فرجة مما يمسهم من برحاء المواجيد وابتغاء فرجة مما يستوعبهم من استيلاء صدا وغلبات
شوق او تمادى ايام الهجر وخيانة ارباب التوحيد ان تتحرك عليهم لاختيار عرق ورجوعهم
بعد امتحائهم عنهم الى شظية من احكام الفرق الآن يكون ذلك منهم موجودا وهم عنه مفقودون
اذن رخص وقراء ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى على البناء للفاعل اى اذن الله
للذين يقاتلون المشركين فى قتالهم وقراء نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اى للذين
يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ورضى
عنهم كان المشركون يؤذونهم ويضربونهم وكانوا يأتونه بين يديه ويتظلمون اليه فيقول لهم
اصبروا على هذا الحال فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهى اول آية نزلت فى القتال
بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية بالصبر على تلك الحال وان الله على نصرهم لقدير
جملة حالية معترضة مفيدة لوعده لهم بالنصر مع الظفر مع الصبر ومشعرة بانه قادر
على نصرهم من غير قتال ايضا الا انه اقتضت حكمته واوجبت مشيته ان يكون ذلك
الحال فى ضمن القتال ليتبين احوال الرجال وتتفاوت الآمال وقال الاستاذ اذا
اصابتهم ضراء ومستهم ما هو فى الظاهر ذل ومن الاعادى تجرى عليهم انحاء صنيع او لحقهم
من الاجانب استيلاء ظلم فالحق سبحانه ينتقم من اعدائهم لاجلهم وهم بنعت التسليم
والسكون فى اغلب احوالهم وتفاصيل الاقدار جارية باستيصال من يناويهم وادالة
الدبرة على من يعاديهم وفى بعض الاحايين ينصبهم الحق سبحانه بنعت التمكين والغلبة
من نزولهم بساحات من يناويهم بحسن الظفر وتمام حصول الدبرة على من ناصبهم
واخزائهم بايديهم كل ذلك يتفق وانواع النصرة من الله سبحانه حاصلة والله غالب
على امره فى الجملة الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق اى بغير موجب استحقوا به الا ان
يقولوا ربنا الله من قبيل قول بعضهم شعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب • وافاد الاستاد ان المظلوم منصور ولو بعد حين ودولة
الحق تغلب دولة الباطل بالامر اليقين وللمظلوم حميد العقبى وللظالم وشك الانتقام بنزول
البلوى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وقد يجرى من النفس وهواجسها على القلوب لبعض
الاولياء واهل القصة ظلم وجفاء ويحصل لسكان القلوب من الاحوال الصافية عنها الا
وتستولى غماغة النفس فتعل ذو القلوب بالفساد ومن استكمال الغفلة وتداعى القلوب
للخراب من طوارق الحقايق وشوارق الاحوال الزاكية كما قال قائلهم • انى اليك
قلوبا طال ما هطلت ▪ سحائب الوحى فيها ابحر الحكم • فيهزم الحق سبحانه بجنود
الاقبال اراذل الهواجس وينصر عسكر التحقيق بامداد الكشوفات وتجديد دارس
العهود واطلاع شموس السعد فى ليالى الستر وينكس القلوب ويطهرها عن اثار
ظلم النفس وكما قيل • اطلال سعدى باللوى تتعهد • فاذا هبت على تلك القلوب رياح
العناية وازاح عنها وهج النسيان وسقاها الله صوب التجلى انبت فيها ازهار
البسط ثم تنفتح فيها انوار الانس ثم يتضح نهار الوصل ثم نسيم القرب الى ان
تطلع شموس التوحيد ولولا دفع الله وقراء نافع دفاع الله الناس بعضهم ببعض
بتسليط المؤمنين على الكافرين لهدمت وقراء نافع وابن كثير بالتخفيف اى لخربت
باستيلاء المشركين على اهل ملل الدين صوامع اى للرهبانية خاصة وبيع للنصارى
عامة وصلوات كنائس لليهود كافة سميت بها لانها يصلى فيها ومساجد للمسلمين
يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للمساجد وخصت بها تفضيلا او للاربع التى وقعت
تفصيلا وافاد الاستاد انه يتجاوز عن الاصاغر لقدر الاكابر ويعفو عن العوام
لاحترام الكرام وتلك سنة اجراها الله سبحانه لاستيفاء منازل العبادة واستسقاء
مناهل المعرفة ولا تحويل لقديم سنته ولا تبديل لكريم عادته ولينصرن الله من ينصره
اى دينه او نبيه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب
واكاسرة العجم وقياصرة الروم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوى على نصرهم
عزيز غالب على امرهم الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واتوا
الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهذا ثناء قبل بلاء
وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ما ذكر غيرهم من المهاجرين
ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه تاكيد لوعده وقال الاستاذ اذا
طالت بهم المدة وساعدهم العمر والمهلة لم يستفرغوا اعمارهم بالغفلة فى استجلاب
حظوظهم ولا فى اقتناء محبوبهم من الدنيا او مطلوبهم من العقبى ولكن قاموا باداء
حقوقنا واقاموا الصلوة بالظواهر واستداموا المواصلات فى السرائر ويقال اقامة
الصلوة الوفاء باداءها بان تعلم بين يدى من انت وتناجى من وقريب منك
من واتوا الزكوة اى الاغنياء منهم يؤتون زكوة اموالهم وفقراؤهم يؤتون

زكوة

زكوة احوالهم فزكوة المال من مائتين خمسة للفقراء والباقى لهم وزكوة الاحوال ان يكون من
مائتى نفس تسعة وتسعون ونصف لله ونصف جزء من مائتين لك وذلك ايضا
علة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر تبتدى فى الامر بالمعروف على نفسك ثم اذا
فرغت من نفسك تاخذ فى نهيها عن المنكر ومن وجوه المنكرات الرياء والاعجاب
والمساكنة والملاحظة وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد قوم هود وثمود
قوم صالح وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين قوم شعيب وهذا كله تسلية له
بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدى فى ذلك فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه
وكذب موسى اى مع ظهور امره وسطوع نوره ولعله خص فى هذا الباب لانه اول من
اعطى الكتاب فامليت للكافرين اى امهلتهم ومتعتهم ثم اخذتهم وعاقبتهم فكيف
كان نكير انكارى عليهم بتغيير النعمة محنة والحيوة هلاكا والعمارة دمارا ونقمة
فكاين من قرية اهلكناها باهلاك اهلها وقرا البصرى اهلكتها وهى ظالمة اى اهلها
فهى خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطلت بنيانها فخرت
سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق سقوفها او خالية مع بقاء عروشها
وبئر معطلة اى وكم بئر عامرة فى بواديها تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقصر
مشيد مرفوع او مجصص شديد خليناه عن ساكنيه فى زمن مديد وافاد الاستاد
ان الظلم يوجب خراب اوطان الظالم فتخرب اولا اوطان راحة الظالم وهو
قلبه فالوحشة التى هى غالبة على الظلمة من ضيق صدورهم وسوء خلقهم وفرط
غيظهم على من يظلمون عليهم كل ذلك من خراب اوطان راحتهم وهى فى الحقيقة
من جملة العقوبات التى تلحقهم على ظلمهم ويقال خراب منازل الظلمة ربما يتاخر
وربما يتعجل وخراب نفوسهم فى تعطلها عن العبادات بشوم ظلمهم وخراب قلوبهم
باستيلاء الغفلة عليهم خصوصا اوقات صلواتهم واوان خلواتهم نقدا
غير مستاخر وقوله وبئر معطلة الاشارة فيه الى العيون المنفجرة كانت فى بواطنهم
كانوا يستقون منها لاستبقاء حيوة اوقاتهم من غلبات الارادة وقوة المواجيد
فاذا اتصفوا بظلمهم غلب غثاؤها وانقطع ماؤها بانسداد عيونها وقوله
وقصر مشيد الاشارة فيه الى تعطل اسرارهم من الذكر والفكر والانس والهيبة
وخلوا ارواحهم عن نوازل المحاب وسلطان الاشواق وصفوف المواجيد
افلم يسيروا فى الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا
وهم وان كانوا قد سافروا الى هنالك لكن لم يسافروا لذلك او بعث لهم على
ان يسيروا بقلوبهم فيتاملوا ما سمعوا اخبار المعذبين باذانهم لكن ينبغى ان
لا يكونوا بوصف الغفلة فى المعقول والمنقول فتكون لهم قلوب يعقلون بها
ما يجب ان يعقل من الاعتبار ما يحصل لهم من الاستدلال والاستبصار او آذان

يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الاخبار وما ينتفع به من الآثار فانها لا تعمى الابصار الظاهرة للنفس
المقترنة بالعصمة ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن الاعتبار في الامور وفيه تنبيه
على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يختص بالبصر بل الذي يختص به البصيرة قيل لما نزلت
ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا اعمى في الدنيا افاكون
في الآخرة اعمى من يعمى بصيرته كذا في الدر المنثور في تفسير المأثور وعنه عليه السلام ما من عبد
الا ولقلبه عينان وهما غيب يدرك بهما الغيب فاذا اراد الله بعبد خيرا فتح عيني قلبه
ليرى ما هو غائب عن بصره ذكره الغزالي في رسالة العلم اللدني وقد قال ابن عباس لما اذهب الله
عن عيني نورها فقي فؤادي وقلبي منهما نور وقال سهل البصير من نور بصر قلبه بغلب الهوى
والشهوة فاذا عمى بصر القلب عما فيه غلبت الشهوة وتواترت الغفلة فعند ذلك يصير البدن
متخبطا في المعاصي غير منقاد للحق وقال الاستاذ كانت لهم قلوب من حيث الخلقة ولما
زايلها صفاتها المحمودة صارت كانها لم تكن في الحقيقة ثم انه اخبر ان العمى عمى القلب وكذلك
الصمم واذا صح وصف القلوب بالسمع والبصر صح وصفها بسائر صفات الحي من وجوه
الادراكات فكما تبصر القلوب بنور اليقين تدرك نسيم الاقبال بمشام السر في الاحوال
وفي الخبر اني لاجد نفس ربكم من قبل اليمن وقال خبرا عن يعقوب اني لاجد ريح يوسف
وما كان ذلك الا بادراك السرائر دون اشتمام ريح في الظواهر ويستعجلونك بالعذاب
المتوعد به في هذا الباب لانهم في مقام الحجاب ولن يخلف الله وعده المبين في الكتاب
لامتناع الخلف في خبره وعدا ووعيدا فيصيبهم ما اوعدهم به عذابا شديدا ولو بعد حين
من المهلة لانه صبور لا يعجل بالعقوبة فليس التاخير للعجز بل لاقتضاء الحكمة واقتفاء
المشية وافاد الاستاذ ان عدم تفقد بعضهم حلمهم على استعجالهم ما توعدوا به قال تعالى يستعجل
بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها الحق فلو آمنوا لصدقوا
ولو صدقوا لسكنوا وحققوا وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وقرا ابن كثير وحمزة
والكسائي بالغيبة وهو بيان لتمادي عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد
مستطالة وقيل معناه ان يوما عنده والف سنة في الامهال سواء لانه قادر متى شاء اخذهم
لا يفوته شئ بالتاخير لهم فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتاخره وهذا
معنى قول ابن عباس في رواية عطا كما في المعالم واختاره الاستاذ فيما افاد من ان الايام
عنده تتساوى اذ لا استعجال له في الامور فسواء عنده يوم واحد والف سنة ومن لا يجري عليه
الزمان وهو يجري الزمان سواء عليه وجود الزمان وعدم الزمان وقلة الزمان وكثرة الزمان
وكاين من قرية اي من اهلها امليت لها اهملتها كما امهلتكم بعد استحقاق عقوبتكم وهي
ظالمة مثل حالكم ثم اخذتها بالعذاب الشديد مع الوجع اليسير والى المصير والى حكمي مرجع
الجميع في الظاهر والضمير فريق في الجنة وفريق في السعير وافاد الاستاذ ان الامهال يكون
من الله سبحانه دون الاهمال يدع الظالم في ظلمه حينا من الاجل ويوسع له الحبل ويكيل به المهل

فيتوهم انه انفلت من قبضة التقدير وذلك ظنه الذي ارديه فياخذه من حيث لا يرتقب فلا
يعلوه ندمه ولات حينه وكيف يستبق بالحيلة ما حق في التقدير عدمه قل يا ايها الناس انما
انا لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به ولعل الاقتصار على الانذار من باب الاكتفاء في الاعتبار
او لان البشارة مرتبة على قبوله الانذار بالتصديق والاقرار كما يفيده التفريع المتضمن للتوزيع
بقوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما بدر لهم من الغفلة وندر لهم من المعصية
وصدر عنهم من الزلة ورزق كريم مثوبة عظيمة في الجنة لما قدموه من الطاعة وقال الاستاذ
يعني اشابهكم من حيث الصورة لكني اباينكم من حيث السريرة فانا الحاكم بشير ولمسيئكم
نذير وقد ايدت باقامة البرهان ما جئتكم به من وجوه الامر بالطاعة والاحسان والناس
في المغفرة على اقسام منهم من يستر زلته ومنهم من يستر عليه اعماله الصالحة صيانة عن الملاحظة ومنهم
من يستر عليه حاله لئلا يصيبه من الشهرة فتنة نظرة في مآله وفي معناه قالوا لا تنكرن جهدي هواك
فانا ذلك الجود عليك ستر مسبل ومنهم من يستره بين اوليائه ويغيره بين اصفيائه بذلك ورد
في الكتاب الالهي اوليائي تحت قبابي لا يشهدهم اوليائي غيري والرزق الكريم ما يكون من الوجه
الحلال ويقال ما يكون من حيث لا يحتسب ولا يخطر بالبال ويقال هو الذي يبدو من غير
ارتقاب على يدي موفق في وقت الحاجة من كل باب ويقال هو ما يحمل المرزوق على صرفه
في وجه القربة ويقال ما فيه البركة او هو الذي ينال من غير تعب ولا مشقة ولا تقلد منة
من مخلوق قدر ذرة والذين سعوا في آياتنا في ردها وابطالها مسارعين معاجزين
مسابقين موافقين وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مقدرين العجز المؤمنين او
متوهمين انهم يفوتهم عذابنا المستبين اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة التي تطلع على
الافئدة وقال الاستاذ في الحال في تعجيل الوحشة وانسداد ابواب الرشد والهداية وتنغص
العيش وتنغص اللذة والابتلاء بمن لا يتعطف عليه اذا تعطف اليه ممن ليس خوف الله
لديه وفي الآخرة والاستقبال ما سيلقون من اليم العقوبة على حسب الاجرام من الاعمال وما ارسلنا
بعثنا من قبلك من رسول ولا نبي وكان ابن عباس يقرا ولا محدث لكنه منسوخ لعله وجهه انه
يفهم بالالهام كالوحي والرسول من امر بتبليغ ما اوحي اليه والنبي غيره او اعم منه ويدل على المغايرة بينهما
ما صح عنه انه عليه السلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل
منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا رواه احمد وغيره الا اذا تمنى اي صور كل واحد منهما
في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته متمناه ومنهاه ما يوجب اشتغاله عن الله
بالالتفات الى ما سواه كما في حديث مسلم وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم
سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان فيذهبه ويبطله لعصمته عن الركون اليه والارشاد
الى ما يزيحه لديه ثم يحكم الله اياته يثبت ابانة الداعية الى الاستغراق في امر العقبى والاشتياق
الى قرب المولى والله عليم باحوال عباده حكيم فيما دبره وقدره من مراده فقيل حدث
نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه

واستمر ذلك لديه حتى كان فى ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فاخذ يقراها فلما بلغ ومناة
الثالثة الاخرى تكلم الشيطان فى سكتة من سكتاته محاكيا صوته عليه السلام فى حركاته وسكناته
فقال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى والنبى عليه السلام لم يشعر بنزغاته لكونه
فى استغراق حالاته ففرح المشركون بها حتى تابعوه بالسجود لما سجد فى آخرها ثم نبهه جبريل عليه السلام
بالقاء الشيطان فى الامنية فاغتم به فى الغاية فعزاه الله وامنه بهذه الآية فالمعنى الا اذا
تمنى اى قرأ وتمنى القى الشيطان فى امنيته اى فى قرائته وانشاء تلاوته والحديث صحيح
وليس مما يرده دليل صريح بل يشير اليه ويدل عليه قوله ليجعل اى الله ما يلقى الشيطان فتنة
بلية ومحنة للذين فى قلوبهم مرض شك وشبهة والقاسية قلوبهم من سائر الكفرة
وان الظالمين من الفريقين لفى شقاق بعيد عن طريق سديد وليعلم الذين اوتوا العلم انه
اى متلوك او تمكين الشيطان من ذلك الحق من ربك النازل من عنده الصادر من
اذنه فيؤمنوا به بالقران او بمنزله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية عن غيوبهم
وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم لتثبيتهم على الدين القويم هذا وقد قال سهل من
قراءه وهو يلاحظ الحق فانه يكون بريا مصونا من القاء الشيطان ومن قراءه وهو يلاحظ نفسه
او يشاهد المخلوق فان ذلك محل القاء الشيطان اى لغفلته عن ان الرحمن علم القرآن وقال ايضا
صدق الايمان وحقيقته يورث الاخبات فى القلب والخشوع فى البدن وكثرة التفكر وطول
الصمت وهذا من نتائج الايمان لان الله يقول فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وافاد الاستاذ
ان الشياطين يتعرضون للانبياء عليهم السلام ولكن لا سلطان لهم ولا تأثير فى احوالهم وانما
من الشيطان ظهور التسويل والتخييل وليس به شىء من التضليل وكان لنبينا عليه السلام
سكتات فى خلال القراءات عند انقضاء الآيات فلفظ الشيطان ببعض الكلمات
فمن لم يكن له تحصيل من المعقول توهم انه كان من الفاظ الرسول وصار لقوم فتنة والذين
ايدهم بقوة العصمة وادركتهم العناية استبصروا فلم يضرهم لا فى البداية ولا فى النهاية لانه
اذا اراد الله بعبده خيرا امده بنور التحقيق وايده بحسن العصمة وستر التوفيق فمنير بحسن
البصيرة وقوة التمييز فى الفكرة بين الحق والباطل فلا يظله غمام الريبة وتنجلى عنه غطاء
الغفلة ولا تأثير لضباب الغداة والغبار فى شعاع الشمس عند سطوع النهار وهذا معنى قوله
وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق الآية ولا يزال الذين كفروا فى مرية شك وشبهة منه من القرآن
وحقيته او من الرسول وملته او من الشيطان فى امنيته يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنه
الى غير حتى تأتيهم الساعة القيامة الصغرى او الكبرى بغتة فجاءة او يأتيهم عذاب يوم
عقيم اى مهلك اليم فى الدنيا او العقبى الملك يومئذ لله اى يظهر حينئذ انه لا شريك
له لما سواه وكذا اليوم فى نظر العارفين من اهل الانتباه يحكم بينهم بين الخلق بالحق فالذين آمنوا
وعملوا الصالحات فى جنات النعيم ولذات المقيم بموجب فضله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
فاولئك لهم عذاب مهين وحجاب متين بمقتضى عدله وافاد الاستاذ انه لم يختص ملكه

سبحانه وتعالى بيوم اى عصر دون عصر ولم يتجدد له وفيه امر ولا جلاله قدر ولكن الدعاوى فى
ذلك اليوم تنقطع والظنون والتجويزات تتلاشى وترتفع فللمؤمنين من ارباب الوفاق
نعم ومن الكفار واصحاب الشقاق نقم فهؤلاء لهم عذاب مهين وهؤلاء لهم فضل
مبين والذين هاجروا فى سبيل الله عن البلاد والعباد ثم قتلوا فى الجهاد او ماتوا على المهاد
ليرزقنهم الله رزقا حسنا للاحياء فى الدنيا وللاموات فى الاخرى وان الله لهو خير الرازقين فمن
كان له الآخرة والاولى ورزقه هو خير وابقى بل ولا رازق غيره اصلا وقطعا فى نظر اهل التقى
قال ابو عثمان هو القناعة بما اعطى وقال ابن عطاء ثقته بالله وتوكلا عليه وانقطاعا عن الخلق والتجاء
اليه وافاد الاستاذ ان للقلوب حلاوة العرفان وللارواح خلة الحجاب وللاسرار دوام الشهود
ليدخلنهم مدخلا وقرأ نافع بفتح الميم اى ادخالا او دخولا يرضونه اى يحبونه ويتمنونه وان الله
لعليم بمبدئهم ومعادهم حليم لا يعجل بعقوبة اهل عنادهم وقال الاستاذ اى ادخالا فوق ما يتمنونه
والتجاوز على الوصف الذى يهوونه وذلك فى آوان وصحبهم من شهود الجلال لينالوا لطائف
الانس على وصف الكمال ويستمكنوا من قضايا البسط والسرور على الاحوال ذلك اى الامر ذلك
هنالك ومن عاقب بمثل ما عوقب به اى جازى بمثل ما فعل به على وفق حكم الشريعة ثم بغى عليه
بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله اى لا محالة ولو طالت المدة ان الله لعفو غفور فيه تنبيه
للحث على العفو والمغفرة مع القدرة على التصدق وافاد الاستاذ ان نصره سبحانه للاولياء
نصر عزيز وانتقام بتمام واستئصال بكمال وازهاق الاعداء وتحقيق حملتهم عن الانباء
وان لا يحتاج المنصور الى احتيال ولا اعتضاد باشكال ذلك بان الله يولج الليل فى النهار
ويولج النهار فى الليل بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على بعض كما هو جار عادة
على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الزمانين فى الآخر بان يزيد فيه
ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل فى مكان ضوء النهار وعكس ذلك بتغيب الشمس واطلاعها
هنالك وان الله سميع باقوال العباد بصير باعمالهم فى البلاد وافاد الاستاذ انه كما
فى افق العالم ليل ونهار كذلك للسرائر ليل ونهار فعند التجلى لهم نهار وعند الستر ليل وكليا
السرور نهاره زيادة ونقصانا وبمقدار القبض ليل وبمقدار البسط نهار وقد يزيد احدهما على
الآخر وقد ينقص وهذا للعارفين واما الفقراء المحققون فلهم الانس والهيبة مكان القبض
قوم وبسطهم وذلك فى حالى صحوهم ومحوهم ويزيد احدهما وينقص ومنهم من يدوم نهاره
ولا يدخل عليه الليل وذلك لاهل الانس فقط ذلك الوصف بكمال القدرة وقوة الغلبة
بان الله هو الحق الثابت ذاته وصفاته ومصنوعاته كما قيل سوى الله والله ما فى الوجود
وليس فى الدار غيره ديار وان ما يدعون من دونه الباطل اى المعدوم فى حد ذاته
والهالك المضمحل فى جميع حالاته ومراتب اعتباراته كما قيل الا كل شىء ما خلا الله باطل
وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وابو بكر بالخطاب بناء الى انه يستوى الحاضر والغائب
فى هذا الباب وان الله هو العلى الكبير لا شىء اعلى منه شانا ولا اكبر منه برهانا وقال ابن عطاء

هو الحق فحقق حقيقته فی سترک فلا ترجع منه الی غیره ولو الی نفسک فما سواه باطل وفی نظر
العارف آفل وزائل وافاد الاستاد انه اذا بدا علم من الحقایق حصل لمقداره شطبة من الغفلة
لمن حصل له التجلی ثم یزید ظهور ما یبدو ویغلب وینافص آثار التفرقة ویتلاشی ویکال علیه السهو
اذا اقبل اللیل من ههنا ادبر النهار من ههنا فاذا استوفی العبد بالکلیة عن الاحساس
بما دون الله فلا یشهد الاشیاء اولا الا للحق ثم لا یشهد الا بالحق ثم لا یشهد الا للحق فلا احساس
له بغیر الحق ومن جملة منسیة نفسه والکون کله الم تر ان الله انزل من السماء ماء الاستفهام
للتقریر ولذا رفع فتصبح الارض مخضرة عطفا علی انزل وعدل به عن صیغة الماضی الی المضارع
المشترک بین الحال والاستقبال للدلالة علی بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطیف
خبیر یصل لطفه الی کل ما جل وقل وعلمه بما بطن وظهر وافاد الاستاذ ان ماء السماء یحیی
الارض بعد موتها وماء الرحمة یحیی احوال الزلة بعد ذبولها وماء العنایة یحیی احوال المفالیس
بعد زوال رونقها وماء الوصلة یحیی احوال القربة بعد نضوبها له ما فی السموات وما فی الارض
ملکا وملکا وان الله لهو الغنی فی ذاته عن کل شیء من مکنوناته الحمید المستوجب للحمد بافعاله
وصفاته وافاد الاستاذ ان الملک له وهو عن الجمیع غنی فلا یستغنی هو بملکه بل ملکه یصیر موجودا
بخلقه اذ المعدوم له معدوم هو المملوک ویقال کما انه غنی عن الاجانب ومن اتهمهم فی شوائب
الاعداء فهو غنی عن الاکابر وجمیع الاولیاء ویقال اذا کان الغنی حمیدا فالمعنی انه یعطی
حتی یشکر الم تر ان الله سخر لکم ما فی الارض من البهائم بان جعلها مذللة لکم معدة لمنافعکم
والفلک عطف علی ما تجری فی البحر بامره حال منها ویمسک السماء ای یحفظها الله
ان تقع علی الارض ای من ان تسقط او کراهة ان تقع علیها الا باذنه بمشیته ووقت
ارادته ان الله بالناس لرؤف رحیم حیث هیأ لهم اسباب الاستدلال والاستقبال
وفتح علیهم ابواب المنافع ودفع عنهم اصناف المضار وافاد الاستاد انه سبحانه اراد به
تسخیر الانتفاع بها فما للخلق به انتفاع ومیسر فی الاستمتاع به فهو کالمسخر له علی معنی تمکنه منه
ثم یراعی فیه الاذن فمن استمتع بشیء علی وجه الاباحة والاذن له او الدعاء له الیه والامر به
فذلک انعام واکرام ومن کان بالعکس فمکر الیه واستدراج علیه واما السفینة فالهام العبد
باتخاذها وجه الانتفاع بالحمل فیها ورکوبها من اعظم احسان الله وارفاقه بالعباد بما یحصل
بها من قطع المسافات البعیدة والتوصل فیها الی المضارب النائیة والتمکن من وجوه
الانتفاع ففی ذلک اعظم نعمة والجم منحة وجعل الارض للخلق قرارا من غیر ان تمید وجعل
السماء بناء من غیر ان تقع وما جعل فیها من الکواکب التی یحصل بها الاهتداء فی الظلام
ثم هی زینة السماء فی نظر الانام وهو الذی احیاکم ای اوجدکم من العدم حیث خلق اباکم
ادم ثم یمیتکم فی منتهی آجالکم ثم یحییکم للجزاء اعمالکم علی طبق احوالکم ان الانسان لکفور
لکثیر الکفران بالاحسان حیث کفر بنعمه ایجاده وامداده ولم یتهیأ باهبة زاده لمعاده وقال
جنید احیاکم للمعرفة ثم یمیتکم اوقات الغفلة ثم یحییکم بالجذبة بعد الفترة ثم یقطعکم عن اوطانکم

ويوصلكم

ویوصلکم الی الحقیقة ان الانسان لکفور بعد ماله وینسی ما علیه وافاد الاستاد ان احیاء
النفوس واماتتها مرة محصورة ای کما هی مذکورة مسطورة واحیاء اوقات العباد
واماتتها لا حصر له ولا عد ولا حد وفی معناه انشدوا امرت اذا ذکرتک ثم احیی
فکم احیا علیک وکم اموت • ویقال یحیی الآمال باشهاد تفضله ثم یجنبها بالاطلاع
علی تعززه ویقال هذا صفة العوام منهم فاما الافاضل وخواصهم فحیاتهم سرمدیة ونعمائهم
مؤبدة وانی یجوز غیره وفی وجوده سبحانه غنیه وخلف عن کل فائتة لکل امة طائفة من اهل
دیانة منسکا متعبدا او شریعة تعبدوا بها وکلفوا بالقیام لامرها هم ناسکوه ای ینسکونه
ولن یحالنه عالموه فسبحان من اقام العباد فیما اراد فلا ینازعنک سائر ارباب الملل فی الامر
ای امر الدین المبنی علی الیقین او امر النسائک وهی الذبائح لانهم بین جهال واهل عناد
او لان امر دینک اظهر من ان یقبل نزاع وفساد وادع الی ربک توحیده وعبادته وتفریده
انک لعلی هدی مستقیم طریق سوی قوی قویم وافاد الاستاد انه سبحانه جعل لکل فرقة
شریعة هم واردوها ولکل جماعة طریقة هم سالکوها ومقاما هم سکانه ومحلا هم قطانه
ربط کلا بما اهله له واوصله کلا الی ما جعله محله فبساط التعبد موطوء باقدام العابدین
ومشاهد الاجتهاد معمورة باصحاب الکلف من المجتهدین ومجالس اصحاب المعارف
مانوسة بلزوم العارفین ومنازل المحبوبین ماهولة بحضور الواجدین فلا ینازعنک
فی الامر استشهد بتعاریف الاقدار واعمل بموجب التکلیف فی هذه الدار وانه دون
ما اذنت له من المناهل فطرق هذه الاسفار وان جادلوک وقد تبینت الحجة وظهرت
المحجة فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة والمحاولة الماحکة فیجازیکم علیها
ویجزیکم لدیها حیث وکلکم الیها وقال الاستاد کلهم الینا عند ماراموا من الجدال
ولا تشکل علی ما تختاره من الاحتیال واحذر جنوح قلبک الی الاستعانة بالامثال
والاشکال فانهم قوالب ظاویة واشباح عن المعانی خالیة الله یحکم بینکم یفصل بین مؤمنکم
وکافرکم بالمثوبة والعقوبة یوم القیمة کما فصل فی الدنیا بوضوح الحجة وظهور المحجة فیما کنتم
فیه تختلفون من امر الربانیة وقال الاستاذ واما الاجانب فیقول لهم کفی بنفسک
الیوم علیک حسیبا واما الاولیاء فقوم منهم یحاسبهم حسابا یسیرا واما قوام
مخصوصون فیقول لهم بینی وبینک حساب فلا جبریل یحکم بینکم ولا میکائیل ولا
نبی مرسل ولا ملک مقرب انما الله یحکم بینکم یستلب واحدا من خصمائه ویأمر
بارضاء جمیع غرمائه الم تعلم ان الله یعلم ما فی السماء والارض فلا یخفی علیه شیء من العلویات
والسفلیات والمعلنات والمخفیات ان ذلک ای بیان احاطة علمه فی کتاب
هو اللوح کتبه فیه قبل حدوثه من کل باب ان ذلک علی الله یسیر وان کان علی غیره
عسیرا لان علمه مقتضی ذاته متعلق بکل معلوماته علی سواء فی مراتب تعیناته وافاد
الاستاد انه سبحانه یعلم السر والنجوی وما یکون حاجة العبد به امس واقوی وبکل وجه

هو بالعبد اولى وله ان يجعل له النعمى ويزيل عنه البلوى او ينزل به البلوى ولا يسمع منه الشكوى
فله الحكم تبارك وتعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة وبرهانا تجوز لهم عبادة
غيره من طريقة النقل وما ليس لهم به من علم دلالة تحصل لهم من ضرورة العقل وما للظالمين
من نصير يرفع عنهم عذاب السعير وافاد الاستاذ ان الآية تشير الى ان من كان من جملة
خواصه فرده ببرهان وايده ببيان واعزه بسلطان ومن لا سلطان له يوثر عنه فهو ولا برهان له
يبسط عنه على غيره نوره فهو بمعزل عن جملته واذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بينات حال
كونها واضحات الدلالة على العقائد الحقية والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر
اى آثار الانكار وغبار اكدار الاغيار فان وجوه الاظهار عنوان الاسرار يكادون يسطون يثبون
ويبطشون بالذين يتلون عليهم آياتنا لفرط انكارهم وغيظ اسرارهم قل افانبئكم اى اسمعون
فاخبركم بشر من ذلكم وهو غيظكم على التالين وسطوكم على القارين النار اى هو النار وعدها
الله الذين كفروا في دار القرار وبئس المصير دار البوار وافاد الاستاذ ان المنكر لسماع
الخطاب اثر في قلوب من الاستبشار والبهجة والانكسار والوحشة ثم ما يجاء من السرائر
يلوح على الاسرة في الظواهر وكانت الآيات عند نزولها اذا تليت على الكفار يلوح على
وجوههم دخان ما ينطوي عليه قلوبهم من ظلمات التكذيب والانكار فما كان يقع
عليهم طرف الانبياء عن شهودهم وعادت الى القلوب النبوة من طلوعهم ثم اخبر
ان الذين هم بصدده في الآخرة من اليم العقوبة شر من كل وجه لهم ولما يعود الى
الرائين لهم عند شهودهم والمناظر الوطيئة للرائين مبهجة والمناظر المنكرة للرائين
لهم عند شهودهم اليها موحشة يا ايها الناس ضرب مثل اى بين لكم حالة مستغربة او قصة عجيبة او
جعل لي مثل اى في استحقاق العبادة مثل او ضرب لكم ولغيري من معبودكم مثل يجعل فاستمعوا له
اى لبيان المثل ولشان هذا المثل المجمل ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام
وفي معناه جميع ما سواه لن يخلقوا ذبابا لن يقدروا على خلقه مع صغره فضلا دبابا
وقيل له الذباب لانه كلما ذب آب ولو اجتمعوا له اى لا يقدرون على خلقه مجتمعين
متعاونين فكيف اذا كانوا منفردين متخالفين وان يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه لا يستخلصوه من فمه دلهم على غاية حمقهم ونهاية جهلهم
حيث اشركوا بالله قادر على كل المقدورات ومتفرد بايجاد جميع الموجودات تماثيل
هي اعجز الاشياء في محلها حيث لا يقدر على خلق اقل الاحياء واذلها بل تعجز عن ذبه
عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها فقد قيل كانوا يطلونها بالطيب والزعفران
والعسل ونحوها ويغلقون الابواب عليها فيدخل الذباب ويلحسها ويقعد فوقها وينجسها
ضعف الطالب والمطلوب عابد الصنم ومعبوده او الصنم والذباب بل الصنم اضعف
بدرجات من الذباب في جميع الابواب وقال ابن عطاء ولهم بهذا على معادهم
لمن كان اشد هيبة واعظم سلطنة لا يمكنه الاحتراز من اهون الخلق وضعفهم ليعلم بذلك

عجزه وضعفه وعبوديته وذلته ولئلا يفتخر على ابناء جنسه من بني آدم بما يملكه من المال وغيره ضعف
الطالب ان تدركه والمطلوب ان تفوته وافاد الاستاذ انه سبحانه نبه الافكار المتشتتة والخواطر
المتفرقة على الاستجماع لسماع ما اراد تضمينها فيها فاستحضرها فقال يا ايها الناس ضرب مثل
فاستمعوا له ثم بين المعنى لذلك المبنى فقال ان الذين تعبدون من دون الله اى تدعونه الهة
لن يخلقوا باجمعهم ذبابا ولا دون ذلك وان يسلبهم الذباب شيئا بان يقع على طعام لهم فليس في
وسعهم استنقاذ ذلك من الذباب ومن كان بهذه الصفة فما مثلهم وضعف وصغرهم
وقل خطرهم ويقال ان الذي لا يقاوم ذبابا ويصير به مغلوبا فاهون بقدره واوضح بمقداره وما
قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق عظمته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما
من ابعد الاشياء عنه مناسبة في وصفه ان الله لقوي قادر على خلق الممكنات باسرها عزيز
غالب على الاشياء كلها وما يدعونه من دونه عجزه مغلوب عن اقلها مقهورة من اذلها وقال
الواسطي لا يعرف قدر الحق الا الحق وكيف يقدر قدره احد وقد عجز عن معرفة قدره الوسائط
من الرسل والانبياء والصديقين والاصفياء ومعرفة قدره ان لا تلتفت منه الى غيره ولا تغفل
من ذكره وشكره ولا تذهل عن فكره ولا تفتر عن طاعته ولا تمل عن عبادته واذ ذاك عرفت امره
ظاهره واما حقيقة قدره فلا يقدر قدره الا هو وقال الاستاذ يقال ما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه
بجلال ما يستحقه من نعته ومن لم يكن له نقص قلب في العقيدة من المستحيلات في وصفه
سبحانه لم يباشر خلاصة التوحيد سره فهو على تزاحم فكره وتجويز ظن وخطر تعسف في كل وهدة
من الضلالة ويقال العوام اجتهادهم في رفضهم الاعمال الخبيثة خوفا من العقوبة الابدية
والخواص جهدهم في نقضهم العقيدة من الاوصاف التي تجل عنها الصمدية فيها فان بعيد ان الله
لقوي لقادر على ان يخلق من هو فوقهم في التحصيل وكمال المعقول عزيز لا يقدر قدره احد الا بما
يليق بصفة البشر بقدر من العرفان المقدر ويقال من وجد السبيل اليه فليس العزلة الا بوصف
القصور ولكن كل بوجده مربوط وبحده في كمية قدره موقوف ومضبوط والحق سبحانه
عزيز اى بديع ومنيع الله يصطفي من الملائكة رسلا كجبريل وميكائيل ومن الناس كالحبيب
والخليل ان الله سميع لاقوالهم بصير باحوالهم وافاد الاستاذ ان الاجتباء والاصطفاء
من الله سبحانه باثبات القدر وتخصيص الطول اى الفضل في المراتب والتقدم على
اشكالهم في المناقب والمواهب ثم بعضهم فوق بعض في الدرجات فالفضيلة لحق المرسل
الا لخصوصية الملفقة في المرسل يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى ما وقع بهم وما سيقع لهم
والى الله ترجع الامور لانه مالكها بالذات ومتصرف فيها في الكائنات وافاد الاستاذ انه سبحانه
يعلم حالهم ومالهم وظاهرهم وباطنهم وبدوهم وعودهم ونفعهم وعهدهم واليه منقلبهم وفي قبضته
تقلبهم يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا اى صلوا وعبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم
اركانها واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به من الصيام والزكوة والحج وغيرها وافعلوا الخير اى الخيرات
والمبرات من نوافل الطاعات ومكارم الحالات ونحوها لعلكم تفلحون تظفرون بالمرادات

من الدرجات العاليات ومنالها والمعنى افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير واثقين
على ما بكم من الصلاح وافاد الاستاذ ان الركوع والسجود والعبادة كلها بمعنى الصلوة لان الصلوة
تشتمل على هذه الافعال جميعها ولكن فرقها في الذكر مراعاة لقلبك من الخوف عند الامر بالصلوة
والقيام بها فقسمها ليكون مع كل لفظة ومعنى نوع من التخفيف والترفيه ولقلوب اهل المعرفة
في كل لفظة راحة جديدة ويقال لون عليهم العبادة وامرهم بها ثم جمعها عبادة واحدة ووعد
عليها من الثواب الكثير ما يقصر عن علمه البصائر ويقال علم ان الاحباب يسمعون كلامه
فطول عليهم القول الى آخر الآية ليزدادوا بسماع ذلك انسا على انس وروحا على روح
ومعاد خطاب الاحباب هو روح روحهم وجاهدوا في الله اي لدينه او في سبيله
حق جهاده وقد ورد انه عليه السلام حين رجع عن غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر كما رواه البيهقي وفي تفسير السلمي المجاهدة في النفس حملها على اتباع
ما امر به واجتناب ما نهى عنه وافاد الاستاذ ان حق الجهاد ما يوافق الامر في القدر والوقت
والنوع فاذا حصل في شيء منه مخالفة فليس حق جهاده ويقال مجاهدة بالنفس ومجاهدة
بالقلب ومجاهدة بالمال فالمجاهدة بالنفس هي ان لا تدخر ميسورا الا بذلته في طاعته
بتحمل المشاق وان لا تطلب الرخص والارفاق والمجاهدة بالقلب صونه عن الخواطر
الردية مثل الغفلة والعزم على المخالفة وتذكر ما سلف لك في ايام الفترة والبطالة والمجاهدة
بالمال بالبذل والسخاء ثم بالجود والايثار ويقال حق الجهاد الاخذ بالاشق وتقديم الاوثق
على الاسهل الارفق وان كان في الاخف ايضا نوع من الحق ويقال حق الجهاد ان لا تفتر
عن مجاهدة النفس لحظة كما قال قائلهم ° يا رب ان جهادي غير منقطع ° فكل ارضك
لي ثغر وطرسوس ° هو اجتباكم اختاركم لدينه وهداكم لنصرته وما جعل عليكم في الدين
من حرج اي ضيق بتكليف ما يشق عليكم القيام به ففيه تنبيه على انه لا مانع ولا دافع لهم
عن تركه وافاد ان من حق اجتبائه اياكم ان تحفظوا امر موليكم ويقال هو الذي اجتباكم
ولولا انه اجتباكم لما جاهدتم في مخالفة هواكم فلاختياره اياك وفقك حتى جاهدت في
مرضات مولاك ويقال علم ما كنت تفعله قبل ان خلقك فلم يمنعك من ان يجتبيك
لذلك وان راى ما فعلت فلا يمنعه ان يتجاوز عنك ولا يعاقبك ثم الشرع مبناه
على السهولة بناء على امتنانه والذي به يصل العبد الى رضوانه ويستوجب جزيل فضله
واحسانه ويتخلص من اليم عقابه وامتحانه يسير من الامر لا يستغرق كنه امكانك ومعنى
انك ان اردت فعله لقدرت عليه وان لم توصف في الحال بانك مستطيع ما ليس بموجود
فيك ملة ابيكم ابراهيم اي الزموها واخصصوا بها والخطاب للعرب خاصة ولغيرهم تبعية
وكان اكثرهم من ذرية ابراهيم عليه السلام والتحية والمراد بها معرفة التوحيد ومحض التجريد
والاعتماد على الحق في مقام التفريد حيث لا التفات الى السوى حتى قال لجبريل اما اليك
فلا قال ابن عطاء هي السخاء والبذل والاخلاق والخروج من النفس والاهل والولد وقال الاستاذ

اتبعوا

اتبعوا ملة ابيكم ابراهيم عليه السلام في البذل والسخاء والجود والخلة والاحسان والانعام
هو اي الله سبحانه الذي اجتباكم سماكم المسلمين من قبل اي قبل نزول القرآن في الكتب
المتقدمة وفي هذا اي في هذا القرآن المعظم الشان رفيع المرتبة ليكون الرسول اللام للعاقبة شهيدا
عليكم بطاعة من اطاع منكم وعصيان من عصى منكم وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ رسلهم
اليهم ما يجب عليهم فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع من الطاعات
من العبادة البدنية والمالية فانهما امّا العبادات واعتصموا بالله اعتمدوا على الله
ولا تلتفتوا الى ما سواه وقال النوري الاعتصام بالله للخواص وهو خلو القلب والسر
عما يشغله عنه والاشتغال بالمراقبة والاقبال عليه والالتجاء اليه والاعتصام بحبل الله
للخواص والعوام قال الله عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا وهو التمسك بالاوامر
على السنن وقال ابن عطاء الاعتصام هو رؤية العجز والثقة بالقوي والرجوع اليه
والاعتماد عليه وافاد الاستاذ ان الاعتصام بالله بالتبري من الحول والقوة والنهوض
لعبادة الله بالله لله ويقال الاعتصام بالله التمسك بالكتاب والسنة ويقال حسن
الاستعانة بدوام الاستغاثة هو موليكم ناصركم ومتولي امركم فنعم المولى ونعم الوكيل
اي هو اذ لا مثل له في الولاية والنصرة بل ولا مولى ولا نصير سواه في الحقيقة قال الامام
جعفر نعم المعين لمن استعان به ونعم النصير لمن استنصر به وفي تفسير السلمي اي هو اكد
يعينكم ان اقبلتم على الاعتصام بتوفيق نعت الانعام وقال الاستاذ هو موليكم ناصركم
الذي لا خلف عنه لكم فنعم المولى اخبار عن عظمته ونعم النصير اخبار عن رحمته ويقال
نعم المولى بداك بالمحبة قبل ان احببته وقبل ان عرفته او طلبته او عبدته ونعم النصير اذا انصرف
عنك جميع من لك فلا يدخل القبر احد معك ولا عند السؤال ولا على الصراط من ينفعك

سورة المؤمنون مكية وهي مائة وتسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

باسم يطيب المساء والصباح وبيمنه يحصل الفلاح والنجاح وببركته يرتفع البلاء والجناح
وافاد الاستاذ ان من عرف باسم الله سمت همته عن المرسومات ومن احب باسم الله صفت
حالته عن مساكنة الموهومات اسم من طلبه نسي من الدارين اربه ومن عرفه وجد بقلبه ما لا يعرف
سببه قد افلح المؤمنون اي فازوا بايمانهم وعقائدهم وظفروا باماتيهم ومقاصدهم وجملتهم
فازوا بمطلوبهم وظفروا بمرغوبهم وهو ابقاء والنشاء وقال بعضهم المؤمن من يكون امينا على سره
امينا على جوارحه وقال ابو بكر بن طاهر من يكون في نفسه في امن والخلق منه في امن وقال
الاستاذ ظفر بالبغية وفاز بالطلبة من امن بالله والفلاح الفوز بالمطلوب والظفر
بالمقصود والمحبوب والايمان استسلام الحق في السريرة من الخلق الذين هم في
صلاتهم خاشعون خاضعون متذللون متواضعون مراعون مشاهدهم ملزمون
ابصارهم مساجدهم وقد صح انه عليه السلم كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت
رمى ببصره نحو مسجده اي على وجه الحياء وروي انه راى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع

قلب هذا لخشعت جوارحه وافاد الاستاذ ان الخشوع في الصلوة اطراق السريرة على بساط
النجوى باستكمال نعت الهيبة والذوبان تحت سلطان الكشف والانمحاق عند غلبات
التجلي ويقال ادرك ثمرات القرب وفاز بكمال الانس من وقف على بساط النجوى بنعت
الهيبة ومراعات ادب الحضرة ولا يكمل الانس بلقاء الحبيب الا عند فقد الرقيب واشد
الرقباء واكثرهم تنغيصا لاوان القرب النفس ولا راحة للمصلي مع حضور نفسه فاذا خنس
نفسه عنه وشاهده عدم احساسه بآفة نفسه طاب له العيش في حال انسه وتمت له النعمى
وتجلت له البشرى ووجد لذة الحيوة في الدنيا والعقبى والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم
من قول او فعل ومما لا يغنيهم من تصور امر وخطور فكر معرضون لما بهم من الجد ما شغلهم
عنه وشغلهم منه قال ابن عطا كل ما سوى الله فهو لغو عند اهل الانتباه وافاد الاستاذ
ان ما يشغل عن الله فهو سهو وما ليس لله فهو حشو وما ليس بمسموع او بمقبول من الله
فهو لغو وما فيه حظ للعبد فهو لهو وما هو غير الحق سبحانه فهو كفر والتعريج على شيء من
هذا بعد وهجر والذين هم للزكوة اي لادائها باعطائها فاعلون لا غافلون فهم جامعون
بين العبادات البدنية والطاعات المالية وافاد الاستاذ ان الزكوة النماء ومن علمه
للنماء فامارة ذلك ان يكون بنقصانه في نفسه عن شواهده ولا يبلغ العبد الى كمال
الوصف في العبودية الا به وبانه عند مشاهدة آثار الربوبية والذين هم لفروجهم
حافظون لا يبذلونها في جميع حالاتهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم
او سرياتهم فانهم غير ملومين اي حينئذ على متابعة شهواتهم ولهواتهم وقال الاستاذ يعني
ابتغاء نسل يقوم بحق الله في فرع او اصل ويقال اذا كان مقصوده التعفف عن
اللوم والتصاون عن مخوفات الاثم فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى من اللواطة
والزنى والاستمناء بيده على طريق الهوى فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان
والتجاوز بالحد في الطغيان وقال الاستاذ اي من جاوز قصد ايثار الحقوق وجنح الى جانب
استيفاء الحظوظ فقد تعدى محل الاكابر وخالف طريقتهم في الباطن والظاهر والذين
هم لاماناتهم وقرأ ابن كثير لامانتهم وعهدهم اي لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق
او الخلق اليهم راعون مراعون لاصلاحها قائمون بحفظها وافاد الاستاذ ان الامانات
مختلفة فقوم الامانة عندهم الوظائف بظواهرهم وآخرون الامانة عندهم اللطائف
في سرائرهم ولقوم معاملاتهم ولآخرين منازلاتهم ولآخرين مواصلاتهم وكذلك عهودهم
متفاوتة فمنهم من عاهده في ان لا يعبد سواه ومنهم من عاهده ان لا يقصد سواه ومنهم
من عاهده ان لا يشهد سواه في الكونين سواه والذين هم على صلواتهم وقرأ حمزة والكسائي
على صلاتهم يحافظون يواظبون على ادائها ويداومون على شرائطها واركانها واما
الخشوع والخضوع فمن باب مراعاة واجباتها وسننها وفي تصوير الاوصاف وختمها
بالصلوة ايماء الى تعظيم شأنها قال ابن عطاء المحافظة عليها هو حفظ السر فيها مع الله

وهو ان لا

وهو ان لا يختلج فيها شيء سواه وقال الاستاذ لا تقصد فيهم الاوقات وهم غير مستعدين لحضور
اللباب ولا يدعوهم المنادي وليسوا واقفين بالباب فهم في الصف الاول بظواهرهم
وكذلك في الصف الاول بسرائرهم اولئك الجامعون لهذه الصفات هم الوارثون
اي الدرجات العاليات الذين يرثون الفردوس اي يستحقونها بحسب اعمالهم على وفق
احوالهم قيل الفردوس ميراث الاعمال ومجالسة الحق ميراث الافضال هم فيها في جنة
الفردوس او درجاته ومقاماته خالدون دائمون منعمون وافاد الاستاذ ان الارث
على حسب النسب وفي استحقاق الفردوس بوصف الارث ونعت النسب الايمان
في الاصل ثم الطاعات في الفصل وفي استحقاق الارث في مقدار السهام بالفرض
والتعصيب كذلك في الطاعات فمنهم ومنهم اي على حسب الترتيب وفق التهذيب
فهم في الفردوس بنفوسهم وفي الاحوال اللطيفة بقلوبهم ثم هم خالدون باجمعهم لا يبرحون
عن منال نفوسهم ولا يخلون عن احوال قلوبهم ولقد خلقنا الانسان من سلالة
اي خلاصة سلت واخرجت من بين الكدر وظهرت لنظر العبر من طين من ماء وتراب
صار طينا ثم تحجر والمراد به آدم او جنس البشر فانهم خلقوا من سلالات في اطوار جعلت
نطفا بعد ادوار ثم جعلناه صيرنا نسله نطفة بان خلقناه منها اصله في قرار مكين
مستقر حصين وهو الرحم للجنين وقال الاستاذ عرفهم باصلهم لئلا يعجبوا بفعلهم
ولا يغلطوا في نفوسهم ويقال عرفهم باصلهم لئلا يعجبوا بفعلهم نسبهم لئلا يخرجوا عن حدهم
ويقال خلقهم من سلالة سلت من كل بقعة لمن طينة سبخة ومن سهل ومن وعر ولذلك
اختلفت اخلاقهم اي خلقهم وخلقهم ويقال بسط عذرهم عند الكافة فان المخلوق من سلالة
ما الذي ينتظر منه اي في الحالة ويقال خلقهم من سلالة والقدر للتربية لا للتربة
ويقال سلالة ولكن معدن المعرفة ومنبع المحبة ومربع القربة ومتعلق العناية ومستحق الرعاية
ومن لهم قال يحبهم ويحبونه ويقال خلقه ثم من حال الى حال نقله وادام تغييره وبالنشاء
حوله ثم خلقنا النطفة وهي بيضاء علقة هي حمراء فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها
كانها قطعة لحم ممضوغة فخلقنا المضغة عظاما بان حولناها وصلبناها فكسونا العظام
لحما اي مما انبتنا عليها مما يصل اليها وجمع العظام لاختلافها في الهيئة والصلابة بحسب
المرام في المقام وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد اكتفاء باسم الجمع منها وقال الاستاذ اجزاؤه
متماثلة وابعاضها متشاكلة ثم جعل بعضها لحما وبعضها شعرا وبعضها ظفرا وبعضها عصبا
وبعضها عظما وبعضها جلدا وبعضها مخا وبعضها عرقا ثم خص كل عضو بهيئة مخصوصة
وكل جزء بكيفية معلومة ثم الصفات التي للانسان خلقها متفاوتة من السمع والبصر
والعلم والقدرة والارادة والشجاعة والغضب والحقد والجود والاوصاف الكثيرة
التي تتقاصر عنه الحصر والعد ثم انشأناه خلقا آخر هو صورة البدن وقوة القوى
بنفخ الروح فيه وقال الاستاذ في التفاسير انه صورة الوجه ويحتمل ما تركب فيه

من الحيوة وتخصص به من العقل والتمييز وتفرد لبعضهم منهم بمزايا فى الهام العام لكل الانام
ويقال ثم انشأناه خلقا آخر وهو ان هيّأناهم لاحوال عزيزة يظهرها عليهم بعد بلوغهم اذا
حصل لهم كمال التميز من فنون الاحوال فلقوم تخصص بزينة العبودية ولقوم تحرر من
رق البشرية ولآخرين تحقق بالصفات الصمدية بامتحائهم عن الاحساس مما هم عليها بها
من الاحوال التى هى اوصاف الانسانية فتبارك الله تعالى شانه فى قدرته وتعاظم
برهانه فى حكمته احسن الخالقين المقدرين من المصورين حيث جعل الانسان عالما اكبر
وخلق غيره بمجموعه عالما اصغر كما يشير اليه الحديث القدسى والكلام الانسى لا يسعنى ارضى
ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبد المؤمن اى بذاتى واسمائى وافاد الاستاذ انه سبحانه خلق
السموات والارضين بجملتها والعرش والكرسى مع الجنة والنار بكليتها ولم يعقبها
بهذا التمدح الذى ذكر بعد نعت خلقة بنى آدم تخصيصا لهم وتمييزا وتنجيبا وافرادا لهم
من بين المخلوقات تكريما وتعظيما ويقال ان لم يصرح لك بانك احسن المخلوقات فى هذه
الآية فلقد قال لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم فى الآية الآتية ويقال ثناؤه على
نفسه وتمدحه لديك اعز واجل من ان يثنى عليك ويقال لما ذكر اصناف نعتك وتارات
حالك فى ابتداء خلقتك ولم يكن منك لسان شكر ينطق ولا بيان مدح ينطلق ناب عنك
فى الثناء على نفسه فقال فتبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون
الى الموت وسائرون فاغتنموا حياتكم فى صرفها الى الطاعة قبل ان تلقوا مماتكم ولم تجدوا
الاستطاعة قال بعضهم من مات من الدنيا خرج الى حيوة العقبى ومن مات من الاخرى
خرج منها الى الحيوة الاصلية وهو البقاء مع المولى وافاد الاستاذ انه من الانشاد ٭ حياتنا عندنا
قروض ٭ والموت من بعد فى التقاضى ٭ لا بد من رد ما اقترضنا ٭ كل غريم بذاك راضى ٭
ويقال نعاك الى نفسك بقوله ثم انكم بعد ذلك لميتون وكل ما هو آت فقريب ويقال كسر على
اهل الغفلة سطوة غفلتهم وقل دونهم قوة صولتهم بقوله ثم انكم بعد ذلك لميتون والجاد ممن
وعن الملكة والقدرة والقوة لمبعدون وفى عداد ما لا خطر له من الموات معدودون
ثم انكم يوم القيمة تبعثون تحشرون للمجازاة والمحاسبة قال الاستاذ فعند ذلك يتصل الحساب
والعتاب والثواب والعقاب ويتباين المقبول من المردود والموصول من المهجور
والمبعود ويوم القيمة يوم خوف به العالم حتى لو قيل للقيامة من تخافين لقالت من القيمة
وفى القيامة ترى الناس سكارى حيارى لا يعرفون احوالهم ولا يتحققون بما يؤول اليه امورهم
واما لهم الى ان يتبين لكل واحد امره خيره وشره يثقل بالخيرات ميزانه او يخف عن الطاعات
ديوانه وما بين الموت والقيمة فاما راحات متصلة واما آفات غير منفصلة ولقد خلقنا
فوقكم سبع طرائق سبع سموات طباقا جينها مطابقة لانها طوارق بعضها فوق بعض
مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة وما كنا عن الخلق الذى هو
السموات او جميع المخلوقات غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال فى سيرها

والاخلال

والاخلال ثم اثرها حتى يبلغ منتهى ما قدر لها من كمالها وزوالها وفنائها وبقائها حسبما
اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره
وبمقدار مراتب حالهم كما علمنا من صلاح مآلهم فاسكناه فى الارض جعلناه مستقرا ثابتا
فيها وانا على ذهاب به بازالته عن وجهها بالافساد او التصعيد لها او التعميق بها
لقادرون كما كنا قادرين لانزاله عليها وافاد الاستاذ انه سبحانه انزل من السماء ماء المطر
الذى هو سبب حيوة الارض ومن عليها وذلك بقدر معلوم ونصيب مقسوم ثم البلاد مختلفة
فى السقى للعباد فبعضها خصب وبعضها جدب وسنة تزيد وسنة تنقص وسنة
تغيض وسنة تفيض كذلك انزل من ماء الرحمة فيحيى القلوب وهى مختلفة فى الشرب
فمن موسع عليه رزقه ومن مضيق مقتر عليه رفقه ومن وقت هو وقت سح ووقت هو
وقت حبس ويقال ماء هو صوب الرحمة ينزل به درن العصاة واثار زلاتهم واوضار عثراتهم
وماء هو سقى قلوبهم فينزل به عطش تحيرهم ويحيى به موات احوالهم ونكتسب بهم
فينبت فى رياض قلوبهم فنون ازهار البسط وصنوف انوار الروح وماء هو شراب المحبة
فيحضر به قلوبا ساحات القرب فينزل عنها به حشمة الوصف ويسكن به قلوبا فيعطلها
عن التمييز ويحملها على التجاسر والخطر ببذل الروح فاذا شربوا طربوا ولم يبالوا بما وهبوا
فانشأنا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها فى الجنات فواكه كثيرة تتفكهون
منها وتتلذذون بها ومنها اى ومن الجنات باعتبار ثمارها وزروعها تاكلون تغذيا بها
وقال الاستاذ كما يحيى الغياض بماء السماء الرياض ويصنف فيها الازهار والانوار ويثمر
الاشجار ويجرى به الانهار فكذلك يسقى شجرة العرفان فتورق وتثمر بعد ما تزهو وتؤتى اكلها
من طيب عيش وكمال بسط ثم وفور هيبة ثم روح انس ونتائج تجل وعوائد قرب وما تنقطع
العبارات عن شرحه ولا تطلع الاشارات فى حصره وشجرة اى وانشأنا لكم بالماء شجرة
تخرج من طور سيناء جبل موسى بين مصر وايلة وقد يقال له طور سينين وسيناء اسم بقعة
اضيف الطور اليها منع صرفه للتعريف والتانيث وهى ماخوذ من السناء بالمد وهو الرفعة
او بالقصر وهو النور وقراء الشامى والكوفيون بالفتح على انه فعلاء كصحراء تنبت بالدهن
نبتا مختلطا بالدهن وقراء ابن كثير وابو عمرو بضم التاء وكسر الباء من انبت بمعنى نبت
او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وصبغ للآكلين اى وبادام يغمس فيه الخبز
للائتدام والمعنى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ
الخبز فيه وقد ورد ائتدموا بالزيت وادهنوا به فانه يخرج من شجرة مباركة وفى رواية
فانه ينفع من الباسور اى وما يتبعه من المضرة وان لكم فى الانعام لعبرة تعتبرون
بحالها وتستدلون بها على كمال صانعها نسقيكم مما فى بطونها من البانها ولكم فيها
منافع كثيرة فى ظهورها واصوافها وشعورها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها
وعليها اى على الانعام التى من جملتها الابل وهى سفينة البر وعلى الفلك سفن البحر

تحلون وتحملون اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فتحملون وافاد الاسرار
ان الاشارة منه الى ان الكدورات الهاجمة المتراكمة لا عبرة بها ولا مبالاة بوجودها
وعدمها فان اللبن الخالص السايغ يخرج من خلاف الانعام من بين ما تنطوى حواياها
عليه من الوحشة ولكنه صاف فلم يؤثر فيه منها بحكم المجاورة فكذلك الصفا يوجد اكثره فى
عين الكدورة اذ الحقيقة لا يتعلق بها حق ولا باطل كما هو معلوم بالضرورة ومن اشرف
على سر التوحيد تحقق بان ظهور جميع الحدثان من التقدير فسقط عنه كلفة التميز
والتدبير فالاسرار عند ذلك متصفو والوقت لصاحبه لا يجفو ولكم فيها منافع لازمة
لكم ومتعدية منكم الى كل متصل بكم شعر ان على احوالها برتها ، وكل متصل بها متوسل
ثم يحفظهم فى السفينة فى بحار الفطرة ويحفظهم فى سفينة السلامة والعصمة فى بحار
القدرة وان بحار القدرة تتلاطم امواجها والناس فيها غرقى الا من حفظه الحق فى
فى سفينة العناية وصفة اهل الفلك اذا مستهم شدة خوف الغرق ما ذكر الله
سبحانه فى قوله فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كذلك من شهد
نفسه على شرف الهلاك الغرق التجا الى شرف الاستعانة ودوام الاستغاثة فعند ذلك
يحميه الحق سبحانه من مخلوقات التقدير ويقال ان وجه الارض بحار الغفلة وما عليه
الناس من اسباب التفرقة بحار المهلكة والناس فيها غرقى كما قال بعضهم الناس بحر عميق
والبعد منهم سفينة وقد نصحتك فانظر لنفسك المسكينة ولقد ارسلنا نوحا الى
قومه فقال يا قوم اعبدوا الله اى وحدوه ولا تعبدوا سواه ما لكم من اله غيره استيناف
لتعليل الامر بعبادته وطاعة امره افلا تتقون عذابه ولا تخافون عقابه فقال الملأ
الذين كفروا من قومه اى خواصهم لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم
برياسة الرسالة ونباهة النبوة ولو شاء الله ارسال رسول من عنده لانزل ملائكة
ما سمعنا بهذا اى بمثل هذا فى آبائنا الاولين وذلك من فرط عنادهم او لفترة متطاولة
فى بلادهم ان هو الا رجل به جنة اى جنون وكلامه فنون فتربصوا به فاحتملوه
وانتظروا له حتى حين يحل فيه اجله او يزول عنه علله قال بعد ما ايس من ايمانهم
رب انصرنى باهلاكهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياى فاوحينا اليه ان اصنع
الفلك باعيننا برئى منا وبحفظ عنا قال جنيد من عمل على المشاهدة اورثه الله
الرضا قال تعالى اصنع الفلك باعيننا ووحينا امرنا لك وتعليمنا لصنعك فاذا جاء
امرنا بالركوب والاركاب او نزول العذاب وفار التنور روى انه قيل لنوح عليه السلام
اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فى الفور فلما نبع الماء اخبرته امرأته فركبه وكان
فى مسجد الكوفة وقيل عين وردة من الشام فاسلك فادخل فيها من كل زوجين صنفين
من ذكر وانثى اثنين مزدوجين وقراء حفص من كل بالتنوين اى من كل نوع زوجين
واكد باثنين واهلك اهل بيتك الا من سبق عليه القول منهم اى القول من الله

باهلاك

باهلاك من صدر الكفر عنهم ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا بالدعاء لانجائهم انهم مغرقون
لاصرارهم على كفرهم فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله
الذى نجينا من القوم الظالمين كقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله
رب العالمين وقل رب انزلنى فى السفينة بعد الوصول او فى الارض بعد النزول منزلا
مباركا يتسبب لمزيد الخير فى الدارين وقراءة غير ابى بكر منزلا اى انزالا او موضع انزال وانت
خير المنزلين هذا من الثناء المطابق للدعاء وفيه مبالغة للطمع والرجاء قال ابن عطاء اكثر
المنازل بركة منزل سلم فيه من هوا جس النفس ووساوس الشيطان وموبقات الهوى
ويصل فيه الى محل القربة والانس ومنازل القدس وسلامة القلب من الهواء والضلالات
والبدع ان فى ذلك فيما فعل بنوح وقومه لآيات يستدل بها اولو الاعتبار ويعتبر بها
ذوو الاستبصار وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح بالبليات او ممتحنين عبادنا
بهذه الآيات وان هى المخففة واللام هى الفارقة وافاد الاستاد انه سبحانه كرر قصة نوح
لما فيها من عظيم الآيات من طول مقامه فى قومه وشدة مقاساة البلاء منهم وتمام صبره على
ما استقبله فى طول عمره ثم اهلك الله جميع من اصر على كفرانه ثم لم يغادر منهم احدا ولم يبال
سبحانه بان اهلك جملتهم ولقد ذكر فى القصص ان امراة من قومه لما اخذهم الطوفان كان
لها مولود فحملته وقامت حاملة له ترفعه عن الطوفان فلما بلغ الماء الى يدها رفعته الى
فوق رأسها قدر ما امكنها ابقاء على ولدها واشفاقا عليه ان لا يهلك الى ان غلبها الماء
وتلفت وولدها فاوحى الله الى نوح عليه السلام لو كنت ارحم واحدا منهم لرحمت تلك المرأة
وولدها وفى الخبر ان نوحا عليه السلام اسمه يشكر ولكثرة ما كان يبكى اوحى الله اليه يا نوح الى كم
تنوح فسماه نوحا وان ذنبه انه كان يوما من الايام مر بكلب فقال ما اوحشه فاوحى الله
اليه اخلق انت احسن من هذا فكان يبكى معتذرا من قالته تلك كانوا يلاحظونه بعين الجنون
وما ازدادهم دعوة الا ازدادوا عن اجابته نبوة ولم يزدد منهم الا جفوة وما
ازدادوا على طول المدة الا قسوة على قسوة ولما عمل السفينة وظهر الطوفان وادخل
فى السفينة اهله فجاء فى القصة ان ابليس تعرض له وقال احملنى معك فى السفينة
فابى نوح وقال يا شقى تطمع فى حملى اياك وانت رأس الكفرة فقال ابليس يا نوح اما
علمت ان الله انظرنى الى يوم القيمة وليس ينجو اليوم احد الا فى هذه السفينة فاوحى الله
الى نوح ان احمله فكان ابليس مع نوح فى السفينة ولم يكن لابنه معه مكان فى السفينة وفى
هذا ظهور عين التوحيد وان الحكم من الله غير معلول ان كان المعنى فى ان الله لم يكن له اصر
مكان الكفرة فابليس اشكل ولكنه احكام غير معلولة وجبار يفعل ما يريد يقبل ما شاء ويرد
من شاء اى فيما شاء ثم قال الانزال المبارك ان يكون بالله ولله وعلى شهود الله من غير غفلة
عن الله ولا تخالف لامر الله ويقال الانزال المبارك الاستيعاب بشهود الوصف عنك
ثم الاستغراق باستيلاء سلطان القرب عليك ثم الاستهلاك باحراق نور التجلى حتى لا يبقى عين ولا

اثر فاذا تم هذا ودام هذا فنزول بساحات الحقيقة مبارك لانك بلا انت بلا انت بك لبيك
من غير بقية واثر عنك ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين هم عادا وثمود فارسلنا فيهم
رسولا منهم هودا او صالحا ان اعبدوا الله تفسير لارسلنا اى قلنا لهم على لسان
رسولهم اعبدوا الله اى وحدوه واطيعوه مالكم من اله غيره افلا تتقون معاقبة او مخالفة
وقال الملأ من قومه الذين كفروا بالاشراك وانكار النبوة وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء
ما فيها من المثوبة والعقوبة او بالبعث والاعادة الى الحيوة الثانية واترفناهم نعمناهم
فى الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد واتساع الجاه بين العباد فى البلاد ما هذا الا
بشر مثلكم فى الصفة والحال من نيل المنال يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون
اى منه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم وينهاكم انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم
ايعدكم انكم اذا متم وكنتم صرتم ترابا او رجعتم الى اصلكم وعظاما مجردة من لحومكم واعصابكم
انكم مخرجون من الاجداث او من العدم الى الوجود تارة اخرى بالاحداث هيهات هيهات
بعد بعد لما توعدون فالاول ماض والثانى مصدر والتركيب من قبيل جد جده للمبالغة
وعمل بكل من اللغة واللام للتقوية ولعل هذا وجه من جميع ما ذكره اهل العربية ان هى
اى لا حيوة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الحيوة الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا
عن تكرارها واشعارا بان تعينها معن عن التصريح بها كقوله هى النفس ما حملتها تتحمل
وكقول ابن الفارض هى النفس ان القت هواها تضاعفت قواها واعطت فعلها كل ذرة
اى من ذرات جسدها وارتفع عنها كسدها نموت ونحيى يموت بعضنا ويولد بعض فى عادتنا
وما نحن بمبعوثين بعد الموت باعادتنا ان هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من الرسالة
او فيما يعدنا من الاعادة وما نحن له بمؤمنين مصدقين لمقوله قال رب انصرنى عليهم
واستقم لى منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياى بما اخبرتهم عن ربهم قال عما قليل بعد زمان
قليل ليصبحن نادمين ليصيرن متندمين على التكذيب اذا شاهدوا التعذيب فاخذتهم
الصيحة صيحة جبريل عليه السلام صاح صيحة هائلة عليهم تصدعت قلوبهم فماتوا
باجمعهم واستدل به على ان القوم قوم صالح لا هود فانهم اهلكوا بريح صرصر عاتية لا بالصيحة
ويجاب بما وقع فى بعض التفاسير من انهم ايضا صاح بهم جبريل صيحة وجمع مع الريح
اهلكهم الله بهما كما ذكره القرطبى بالحق بالوجه الثابت الذى لا دافع له ولا مانع او بالعدل
فى الفصل او بالوعد الصدق فجعلناهم فى ديارهم وخراب ديارهم غثاء كغثاء السيل
وهو محمول فوق الماء ذاهب كالهباء فى الهواء فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار
والدعاء اى بعدوا بعدا لهم عن كل خير لظلمهم على انفسهم ثم انشأنا من بعدهم قرونا
آخرين يعنى قوم صالح او لوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت الذى
حد لاجلهم وما يستأخرون الاجل المقدر لهم ثم ارسلنا رسلنا تترى اصلها وترى وزنه
فعلى والالف للتأنيث لان الرسل جماعة ومحلها النصب على الحالية اى متواترين

واحدا بعد واحد متعاقبين متظافرين من الوتر وهو الفرد وقرأ ابن كثير وابو عمرو
بالتنوين على انه مصدر بمعنى المواترة وقع حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنا
بعضهم بعضا فى الاهلاك وجعلناهم احاديث اسم جمع للحديث ومنه احاديث النبى
عليه السلام او جمع احدوثة وهى ما يتحدث به تلهيا وهو المراد فى هذا المقام والمعنى لم تبق
منهم الا حكايات يستمر بها فى اوقات فبعدا لقوم لا يؤمنون فى تفسير السلمى ما بعث الله
رسله الى اعدائه وانما بعث الرسل ليميز اعداءه من اوليائه وقال الاستاذ تتابعت القرون
على طريقة واحدة فى التكذيب وغرهم طول الامهال وما مكنهم من ترفه العيش وخفض
الدعة وسعة البال فلم يفتشوا الا على انفسهم ولم يسم لهم طرف الى من فوقهم من المنزلة
والحال فقالوا انؤمن بمن يتردد فى الاسواق وينتفع مثلنا بوجود الارفاق ولئن اطعنا
بشرا مثلنا ليسلكنا سبيل الغى والضلالة ويتكبنا سنة الرشد والهداية فاجراهم فى الآجال
واحلال العقوبة بهم مجرى واحدا واذاقهم عذاب الخزى واعظم ما دخلهم من الشبهة
الاستبعاد من الحشر والنشر ولم يوفقوا للعلم بان الاعادة كالابتداء فى الجواز وعدم الاستحالة
والله يهدى من يشاء ويغوى من يريد ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا بالآيات التسع
من المعجزات الظاهرة والآيات الباهرة وسلطان مبين حجة واضحة ملزمة للخصم او مبينة
موضحة لنبوته وجوز ان يراد به العصا وافرادها بالذكر لانها اول المعجزات وامها حيث تعلقت
معجزات شتى بها كانقلابها حية تسعى وتلقفها ما افكه اهل السحر وانفلاق البحر وانفجار
العيون من الحجر بضربها بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وغيرها
الى فرعون وملائه اشراف قومه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين
متكبرين عن الطاعة متجبرين على الرعية فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا من قصور نظرهم
طالوا الى الانبياء بظهورهم الظاهرية ونفوسهم البشرية ومن قلة بصيرتهم ما راوا
بسهم من الاحوال الملكية والاخلاق الالهية كما يشير اليه قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم
يوحى الى انما الهكم اله واحد فامتياز الانبياء انما هو بوحى الانباء كما ان العلماء يتميزون
بالمعرفة عن السفهاء وان تشاركوا فى نسبة الاباء والابناء وقومهما من بنى اسرائيل
لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد فى مقام التذليل وهذا جهل منهم نشأ عنهم
بسبب اتساع جاههم فى البلاد وظلمهم على العباد فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالاغراق
فى الدنيا وبالاحراق فى العقبى ولقد آتينا موسى الكتاب التورية بعد ما اهلكنا القرون
الاولى اى فرعون وقومه لعلهم اى بنى اسرائيل يهتدون الى المعارف الاصولية والاحكام
الفصولية وجعلنا ابن مريم وامه آية بولادتها اياه من غير مسيس آية فالآية واحدة
مضافة اليهما او ذى ملابسة وآويناهما الى ربوة وقرأ ابن عامر وعاصم بالفتح اى بقعة
مرتفعة وهى بيت المقدس او رملة ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات
ثمار وزراعة فان ساكنيها يستقرون بها لاجل ما فيها ومعين ماء ظاهر على وجه الارض

فكانوا هم

جار عليها يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ما يستلذ من المباحات واعملوا صالحا
من العبادات فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم
على اعمالكم وفق احوالكم وهذا الخطاب والنداء لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك
دفعة واحدة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه
وشبه قومه في شانه ولا يبعد ان يكون هذا النداء لهم في عالم الارواح حال جمعهم هذا
وفيه تنبيه على ان اباحة الطيبات شرع قديم للانبياء واحتجاج على الرهبانية في رفض
المستلذات وقد قال سهل الطيبات الحلال وفي الاكل اداب اربع الحلال والصافي
والقوام والادب فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام
ما يمسك به النفس ويحفظ العقل بسببه والادب ان يشكر المنعم في انعامه وقال الاستاذ
اي مما احله لهم واباح ومما هو محكوم بانه طيب على شريطة مطالعة رخصة الشريعة مما كان
حلالا في وقتهم مطلقا ماذونا لهم فيه وكذلك اعمالهم الصالحة ما كان موافقا لامر الله
في زمانهم يعرفون طاعاتهم في افعالهم وعقائدهم واحوالهم وان هذه اي واعلموا ان هذه
اي الملة امتكم امة ملتكم ملة واحدة متحدة في اصول الشريعة والعقيدة او جماعتكم جماعة
واحدة متفقة على ان الايمان والتوحيد في العبادة ونصب امة على الحالية وقراءة ابن
عامر بفتح الهمزة وتخفيف النون على انها مخففة من المثقلة والكوفيون بالكسر
والتشديد على انها جملة استينافية وانا ربكم فاتقون اي خافوني وارجوا خيري
ولا تبالوا بغيري وقال الاستاذ معبودكم واحد ونبيكم واحد وشرعكم واحد فانتم سواء
في اصول الشريعة فلا تسلكوا ثنيات الطرق فتطيحوا في اودية الضلالة وعليكم باتباع
سلفكم واحذروا موافقة ابتداع خلفكم وانا ربكم فاتقون خافوا المخالفة امري
واعرفوا عظيم قدري واحفظوا جريان تقدير سري واستدعوا بقلوبكم ذكري تجدوا
في مآلكم عفوي وتحظوا بجميل بري فتقطعوا امرهم قطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة
بينهم او فتفرقوا وتحزبوا في امرهم بينهم والضمير لما دل عليه الامة من الجماعة او
ارباب الملة زبرا قطعا حال من امرهم كل حزب طائفة من المتحزبين بما لديهم
من الدين فرحون معجبون ومعتقدون انهم على الحق اليقين قال بعضهم ربط كل
احد بحظه في سعاياته من حركاته وسكناته فالسعيد من جذب عن حظه ورد الى حظ
الحق في حقه وقال الاستاذ فمستقيم على حقه وتائه في غيه ومصر على عصيانه ومسيء
ومقيم على احسانه وصدقه كل مربوط بحده موقوف بما قسم له في البداية من شانه كل
ينتحل طريقة وينحل الحسن طريقته حقيقة وعند صحو سماء قلوب ارباب التوحيد
لا غبار في طريق اصحاب التوحيد فهم على يقين معارفهم فلا ريب يجا لهم ولا شبهة
تتداخلهم واهل الباطل في دخان جهلهم وغبار جحدهم وظلمة تقليدهم ومحنة
شكهم فذرهم في غمرتهم اتركهم في جهالتهم وغوايتهم حتى حين اوان موتهم وقيام

قيامهم

قيامهم او زمان انتباههم من نوم غفلتهم وافاد الاستاذ ان مدة اخذهم قريبة
وان العقوبة عليهم اذا اخذوا الشديدة وسوف يتبين لهم خطاؤهم عن هواهم
ولو بعد مدة مديدة ايحسبون انما نمدهم نعطيهم ما نجعل مددا لهم في مدد من السنين
من مال وبنين بيان لما وخبران قوله نسارع لهم في الخيرات والمعنى ايظنون ان الذي
نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم في الدنيا بل لا يشعرون لانهم
كالانعام بل هم اضل حيث لا فطنة لهم ولا شعور بهم ليتاملوا ويعلموا ان ذلك
الامداد هو الاستدراج والمكر لا مسارعة في الخير لما يفوتهم به من امر العقبى قال
عبد العزيز المكي من تزين بزينة تفنى فتلك الزينة تكون وبالا عليه الا من تزين
بما تبقى وافاد الاستاذ ان هذا في شان اصحاب الاستدراج ومكر الحق بتلبيس المنهاج
فاراه سرابا ظنوه شرابا ودس لهم في شهدهم صابا فتوهموه عذبا وحين لقوا
عذابا علموا انهم لم يفعلوا صوابا ان الذين هم من خشية ربهم من خوف عقابه
وعقوبة حجابه مشفقون حذرون وجلون على بابه وافاد الاستاذ ان امارة الاجلال
من الخشية اطراق السريرة في حالة الوقوف بين يدي الله بشواهد الادب
ومحاذرة بغتات الطرد ولا يستقر بهم قرار لما داخلهم من الرعب والمخافة واستولى
عليهم من سلطان الهيبة والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمكتوبة يؤمنون
بتصديق مدلولها مفصلة او مجملة وافاد الاستاذ ان تلك الآيات مختلفة فمنها
ما يكاشفون بها في الاقطار من اختلاف الادوار وما فيه الناس من فنون الهمم وصنوف
المنى والارادات فاذا آمن بها واعتبر فيها امتنع مما يرى بعينه مطالبا بسببها والذين
هم بربهم لا يشركون اشراكا جليا ولا خفيا وافاد الاستاذ ان الشرك الخفي ملاحظة للخلق
في اوان طاعة الحق والاستبشار بمدح الخلق وقبولهم والانكسار والذبول عند
انقطاع رؤية الخلق وحصولهم ويقال الشرك الخفي الحالة النوادر من الحالات
والاكساب في المسار والمضار على الاسباب كقول القائل لولا دعاء ابيك
لهلكت • ولا همة فلان لما افلحت • وامثال هذا وعليه كثيرون قال تعالى وما
يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وكذلك توهم حصول الشفاء من شرب الدواء
واذا انتقض الستر برد اليقين عن توهم شيء من الحدثان الا من التقدير فعند
ذلك يبقى عن الشرك اي في جميع التعبير والذين يؤتون ما آتوا يعطون من
اموالهم ما اعطوه من الصدقات او يعطون من انفسهم ما اعطوه من الطاعات
ويؤيده انه قرئ يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوه من العبادات وقلوبهم
وجلة خائفة من عدم قبول المبرات وتضييع الحالات كما قال قائلهم •
من لم يكن للوصال اهلا • فكل طاعاته ذنوب • انهم الى ربهم راجعون
لان مرجعهم اليه وحسابهم عليه ولا يخفى اعمالهم واحوالهم لديه قال الواسطي الخائف

الوجل من لا يشهد حظه بحال وافاد الاستاد انهم مخلصون فى الطاعات من غير الم
بتقصير او تعريج فى اوطان الكسل او جنوح الى الاستراح بالرخص فى المباحات كأولئك
كانهم الموا بفواحش الكبار ويلاحظون احوالهم بعين الاستصغار والاستحقار
ويخافون بغتات التقدير وقضايا السخط الموجب للتغيير كما قال بعض اهل التعبير
يتجنب الاثام ثم يخاف فيها • فكانما حسناته اثام ▪ اولئك يسارعون فى الخيرات
اى فى نيل خيرات الدارين ووصول مبرات الكونين بمزاولة الاعمال الصالحة فيعطيهم
خير الدنيا والآخرة وهم لها لاجلها سابقون الناس الى الطاعة او المثوبة او الجنة
او القربة او سابقونها يعنى ينالونها قبل العقبى حيث عجلت لهم فى الدنيا وافاد الاستاذ
ان كلا منهم مسارع بقدمه من حيث الطاعات ومسارع بهمته من حيث المواصلات
ومسارع بنده من حيث تجرع الحسرات والكل مصيب للكل من اقباله على ما يليق بحاله حسب
ولا نكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها بالقيام فى طاعتها وافاد الاستاذ ان المطالبات
فى الشريعة مضمنة بالسهولة فى الطريقة واما مطالبات الحقيقة فكما قالوا ليس الا
بذل الروح والا فلا تشتغل بالترهات وقد قال تعالى لاهل الرخص فى الآمال والمستضعفين
فى الاحوال ما جعل عليكم فى الدين من حرج واما ارباب الحقايق واصحاب الدقايق فقال لهم
ان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقال واتقوا الله حق تقاته وقال
وجاهدوا فى الله حق جهاده ولدينا كتاب فيه فصول وابواب وهو اللوح المحفوظ او
صحيفة المحفوظ ينطق بالحق على وفق الصدق وهم لا يظلمون بزيادة عقاب او
نقصان ثواب وقال الاستاد لو لا غفلتهم عن موضع الحقيقة لما خوفهم بكتابة الحفظة
ما صدر عنهم من الشريعة والطريقة ولكن غفلوا عن شهود الحق لهم ولاحوالهم فخوفهم
باطلاع الملائكة وكتبتهم اعمالهم اقول ولعل فى هذا تنبيه ينبه لهم على ان بعض
عبادنا مطلعون على اعمالكم فكيف يخفى علينا احوالكم واما حكمة الكتابة فى اللوح المحفوظ
قبل ان يظهر ارباب الحقوق والحظوظ فلعل فيه الايماء الى سر القدر والقضاء والاشعار
الى عدم تغيير ما ثبت فى عالم القضاء قبل خلق الارض والسماء وما بينهما من الجو والهواء
فيفيد انه عالم بالكليات والجزئيات قبل ظهورها فى صدور الكائنات وسطور
الحادثات بل قلوبهم قلوب الكفرة فى غمرة غفلة غامرة من هذا الذى وصف به
البررة او من اللوح وصحيفة الحفظة ولهم اعمال خبيثة دنية واحوال دنسة ردية من
دون ذلك من غير ما ذكر من الكفر هنالك هم لها عاملون لا محالة ومعتادون فعلها
فى كل حالة وافاد الاستاد انه لا يصلح لهذا الشان والحال الا من كان فارغا من
جميع الاعمال لا شغل له فى الدنيا ولا فى الاخرى فاما من له شغل دنياه او على قلبه حديث
عقباه فليس له نصيب من حديث مولاه وفى الخبر نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس
الصحة والفراغ ويقال اصحاب الدنيا مشغولون بدنياهم واصحاب العقبى مشغولون

بعقباهم

بعقباهم واهل البأس مشغولون بما يالهم من بلواهم ممن الذى له فى الدنيا والآخرة ▪
عن مولاه خير الفراغ عز قال تعالى ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون اى بخلاف جمع
مقامهم علیون وهذا احد معانى ما ورد من ان اكثر اهل الجنة البله حتى اذا اخذنا مترفيهم
منعميهم بالعذاب يعنى الجوع بالقحط حتى اكلوا الكلاب اذا هم يجارون يستغيثون
ويتضرعون على الباب رجاء ان يستجاب فيقيل لهم بلسان القال او بيان الحال لا تجاروا
اليوم انكم منا لا تنصرون اى لا تمنعون من عذابنا بل تطردون من بابنا وتعذبون بحجابنا
وفى الخبر من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء وافاد
الاستاد انه سبحانه يمهل ولكنه لا يهمل فاذا اخذ فبطشه شديد فاذا اخذ اصحاب الكبائر حين
يحل بهم الانتقام فى الجوار ردوا بالهوان والصغار والاحتقار ويقال للجنايات سرايات
فاذا امسك الجانى عن الجناية فلا ينفعه ذلك ما لم يمض حكم السراية قد كانت اياتى يعنى
القران تتلى عليكم رجاء انكم اليها تقبلون وما لديها تقبلون فكنتم على اعقابكم تنكصون ترجعون
فتعرضون عن سماعها وتصديقها والعمل بها وقال الاستاذ ذكر هذا من باب ابداء العذر
والزام الحجة والقطع بان لا ينفع الآن الجزع ولا يسمع العذر والفزع والملوك اذا ابرموا حكما
لهم فالاستعتاب غير مؤثر فى الحاصل منهم كما قال قائلهم • اذا انصرفت نفسى عن
الشئ لم تكد • اليه بوجه آخر الدهر تقبل • مستكبرين به اى بتكذيب الآيات سامرا تسمرون
بالهذيانات او بالطعن فى الآيات البينات وهو فى الاصل مصدر على وزن الفاعل
كالعافية بمعنى المسامرة وهى الحكاية بالليل وقيل فى ظل القمر تهجرون تهذون وتهدرون او
او تهذون وتستهزؤن ويؤيده قراءة نافع تهجرون من اهجر اذا افحش افلم يدبروا القول
العظيم والقرآن الكريم ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز مبناه واعجاز معنا ▪ ام جاءهم ما لم يات
اباءهم الاولين من الرسول والكتاب او الامن من العذاب وقال الاستاذ يعنى انهم
لما امعنوا النظر وسقطوا على احوالهم صائب الفكر لاستبصروا فى الحال ولا تنفى قلوبهم الاشكال
والاشكال ولكنهم استوطنوا مركب الكسل وعرجوا فى اوطان التغافل فتعودوا الجهل
وايسوا من الاستبصار ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والديانة والصيانة فهم له منكرون
وعن قبول قوله معرضون ام يقولون به جنة جنون والحال انه اعقلهم كما يعلمون بل جاءهم بالحق
واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم او لقلة فطنتهم وعدم فكرهم وقال
الاستاد يعنى انهم ذهلوا عن التحقيق فتطوحوا فى اودية المغاليط وترجمت بهم
الظنون الى طئة وملكتهم كواذب التقديرات فاخبر الله سبحانه عن احوالهم وعن
مقابلة الانبياء باقوالهم فمرة قابلوهم بالتكذيب ومرة رموهم بالسحر ومرة عابوهم بتعاطى افعال
العادة بما عليه من المأكل والشرب ومرة قدحوا فيهم بما هم فيه من الفقر وقلة ذات اليد فاخبر الله
عن شتت اخبارهم وتقسم افكارهم ولو اتبع الحق اهواءهم الفاسدة وآراءهم الكاسدة كتجويز
نفى النبوة والرسالة والبعثة ووجود تعدد الالهة لفسدت السموات والارض ومن فيهن

وان دالاستاذ ان ذلك لتضاد مناهم واهوائهم اذ هم متشاكسون فى مرادهم وسؤالهم
وتحصيل ذلك محال تقديره فى وجود اهوائهم فبين الله سبحانه انه لو اجرى حكمه على وفق مرادهم
لاختل امر السموات والارضين ولخرج عن حد الاحكام والاتقان المبين بل اتيناهم بذكرهم
بالكتاب الذى فيه ذكرهم اى وعظهم وتذكيرهم او صيتهم وشرفهم وفيه رد على تمنيهم بقولهم
لو ان عندنا ذكرا من الاولين فهم عن ذكرهم معرضون وبدل شكرهم منكرون ام تسألهم خرجا
اجرا على اداء الرسالة فخراج ربك رزقه فى الدنيا وثوابه فى العقبى خير لسعته ودوام بقائه
نفيه مندوحة لك عن عطاء غيره وقرا ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائى خراجا فخراج
للمزاوجة والمشاكلة وهو خير الرازقين فى الدنيا والآخرة وقال الاستاذ اى انك لا تطالبهم
على تبليغ الرسالة باجرة وعوض وحصول غرض حتى تكون بموضع التهمة فيما تأتيهم به من الشريعة
ان لعلك تريد ان يعقدوا لك الرياسة بان يعتقدوا فيك الرسالة ثم قال والذى لك من الله
سبحانه من جزيل الثواب وحسن المآب يغنيك عن التصدى لنيل ما يكون فى حصوله منهم
مطمع وهذا كان سنة الانبياء والمرسلين عملوا لله فلم يطلبوا عليه اجرا من غير الله والعلماء
ورثة الانبياء فسبيلهم التوقى من التدنس بالاطماع والاكل بالدين فانه وبى مضر بالايمان
واليقين واذا كان العمل لله فالاجر منتظر من الله وهو موعود من قبل الله وانك لتدعوهم
الى صراط مستقيم اى طريق كريم ودين قويم تشهد العقول السليمة على استقامته حيث لا اعوجاج
ولا مناقضة فى دلالته وافاد الاستاذ ان الصراط المستقيم شهود الحق بنعت الانفراد
فى جميع الاشياء او الاتحاد والاستسلام لقضايا الالزام بمواطاة القلب من غير استكراه الحكم وان الذين
لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط اى السوى القوى لناكبون عادلون كالضال الغوى فان خوف
الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريق الصدق قال ابو بكر الوراق من لم يهتم
لامر منقلبه ومعاده ولم يهتم فى معاشه امر زاده فهو ضال عن طريقه وغاو عن مقام تحقيقه وافاد
الاستاذ انهم زاغوا عن المحجة المثلى بقلوبهم فوقعوا فى جحيم الفرقة وسعير ... ونزل اقدامهم عدا عن
الصراط فيقعون فى نار الحرقة ما يكون فى دنياهم وعقباهم ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر قحط اجدبهم
للجوا اى ثبتوا وتمادوا فى طغيانهم افراطهم فى عصيانهم وكفرانهم يعمهون عن طريق برهانهم
وتحقيق شانهم روى انه عليه السلام دعا عليهم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر
واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فقحطوا حتى اكلوا الجيف فجاء ابو سفيان الى رسول الله
عليه السلام فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك رحمة للعالمين قتلت الاباء بالسيف
والابناء بالجوع فنزلت وفى تفسير السلمى قال لجبهم لو فتحنا لهم ابواب القرب الينا لابوا
الا اتباع الباطل بطغيان النفس وعماها قال الواسطى للعلم طغيان وهو التفاخر به وللمال
طغيان وهو البخل به وللعبادة طغيان وهو الرياء والسمعة وللنفس طغيان وهو اتباع
الشهوة وافاد الاستاذ انه سبحانه اخبر عن صادق علمه بهم وذلك صادر عن سابق حكمه فيهم
فقال لو كشفنا عنهم العذاب فى الحال لم يفوا بما يعدون فى انفسهم من الايمان فى المآل ولقد

علم

علم انهم سيكفرون وحلم عليهم بانهم سيعودون اذ لا يجوز ان يكون حكمه فيهم بخلاف علمه بهم
ولقد اخذناهم بالعذاب يعنى القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم فى امره وما يتضرعون فى حال بل اقاموا
على استكبارهم ودوموا على انكارهم قال سهل ما اخضعوا لربهم بالعبودية ولا اذلوا له بالوحدانية
وقال الاستاذ اذقناهم مقدمات العذاب دون شدائده لينتبهوا فما انتبهوا ولا انزجروا ولو انهم
اذا رأوا العذاب لفزعوا الى التضرع والابتهال لاسرع الله زوالها عنهم ولكنهم اصروا على جهلهم
ليقضى الله امرا كان مفعولا حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعنى الجوع فانه جنس الفجيع
واشد من الاسر السريع والقتل الذريع اذا هم فيه مبلسون متحيرون فى الامر آيسون من الفرج حتى
جاءك يستعطفك رئيس اهل الشرك وافاد الاستاذ انه سبحانه يقول لما حللنا بهم اشد
العقوبات ضعفوا عن تحملها فاخذوا البغتة ولم ينفعهم ما قدموا من الابتهال فيئسوا عن الاجابة
وعرجوا الى اوطان القنوط من الرحمة وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار لتدركوا بها ما نزل
من الآيات السمعية وما نصب من الدلالات البصرية والافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا
بها بنظر البصيرة عليها الى غير ذلك من المنافع الدينية والتوابع الدنيوية قليلا ما تشكرون
تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة فى شكرها استعمالها فيما خلقت لاجلها والاذعان
لمانحها وما صلة لتأكيد القلة وافاد الاستاذ انه سبحانه ذكر عظيم منته عليهم بان خلق لهم
هذه الاعضاء وطالبهم بالشكر على تلك النعماء وشكرها بحقيقة استعمالها فى طاعته
فشكر السمع ان لا يسمع الا بالله ولله وشكر البصر ان لا ينظر الا بالله ولله وشكر القلب
ان لا يشهد غير الله ولا يحب به غيره وهو الذى ذرأكم فى الارض خلقكم فيها وبثكم فى اطرافها
واليه تحشرون تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم ثم تتفرقون وافاد الاستاذ ان ابتداء الحادثات
من الله بدأ واليه عودا والتوحيد ينتظم هذه المعانى بان تعرف ان الحدثان بالله
ظهورا ولله ملكا وملكا ومن الله ابتداء والى الله انتهاء وهو الذى يحيى ويميت حقيقة ومجازا
كما افاد الاستاذ بقوله يحيى النفوس ويميتها والمعنى فى هذا معلوم عند اهلها وكذلك يحيى القلوب
ويميتها فموت القلوب بالجحود وحيوة القلوب بالايمان والتوحيد وكما ان للقلوب
حيوة وموتا فكذا للاوقات موت وحياة فحياة الاوقات بيمن اقباله وموت الاوقات
بمحنة اعراضه وفى معناه انشدوا شعر اموت اذا ذكرتك ثم احيا ■ فكم احيى
عليك وكم اموت ■ كذا ذكره الاستاذ لكن المراد بالموت والحيوة فى البيت انما هو الفناء
والبقاء نعم لو كان البيت اموت اذا نسيتك ثم احيا لكان مناسبا كما لا يخفى وقد ذكر
المعنيان فى قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت اى نسيت ربك او نسيت
او نسيت نفسك وله اختلاف الليل والنهار ظلمة ونورا وتعاقبهما ظهورا وانتقاص
احدهما بعد زيادة الآخر منهما طورا فطورا افلا تعقلون بالتفكر والتأمل فى آياتنا ان الكل
من مصنوعاتنا واتماما لنا ومن ارادتنا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها
وافاد الاستاذ انه ليس كل اختلافهما فى ظلمتها وضيائها وطولها وقصرها بل لليالى المحبين تختلف

فی الطول والقصر وفی الروح والنوح ممن اللیالی ما هوا صفوا من اللالی ومن النهار
ما هو اسند ظلاما من دخان النار کما قال قائلهم شعر لیالی وصال قد مضین کانها
لآلی عقود فی نحور الکواعب ■ وایام هجر اعقبتها کانها ■ بیاض مشیب
فی سواد الذوائب ■ بل قالوا کفار مکة وغیرهم مثل ما قال الاولون من آبائهم
ومن دان بدینهم من قوم نوح وهود وصالح ونحوهم قالوا ائذا متنا وکنا ترابا وعظاما
ائنا لمبعوثون ای استبعادا واستهزاء وذلک لانهم لم یتأملوا انهم کانوا قبل ذلک
ترابا لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا البعث من قبل قبل هذا الرسول ان هذا الا اساطیر الاولین
اکاذیبهم التی کتبوها وتلهوا بها وافاد الاستاد انهم سلکوا فی التکذیب مسلک سلفهم واسرفوا
فی العتو مثل سرفهم فاصابهم ما اصاب الاولین من هلاکهم وتلفهم ولما طال علیهم وقت العمر
وما توعدوا به من العذاب بعد البعث والنشر زاد ذلک فی ارتیابهم وجعلوا ذلک حجة فی
اضطرابهم فقالوا لقد وعد مثل هذا اباؤنا ثم لم یکن لذلک تحقیق لهم فما نحن الا مثلهم فاحتج
علیهم فی جواز الحشر انتهاء بما اقروا به من الخلق ابتداء حیث قال قل لمن الارض ومن
فیها ان کنتم تعلمون خالقها ففیه تقریر لغایة جهالتهم وتحریر لنهایة ضلالتهم حیث جهلوا
ما هو من بدایة بداهتهم ولذا اخبر سبحانه عن جوابهم قبل اجابتهم بقوله سیقولون لله حیث
لا جواب سواه لان العقل الصریح قد اضطرهم الی هذا القول الصحیح وهو انه خالقها ومالکها
ومتصرف ما فیها قل لهم بعد ما قالوه واعترفوا بما قالوه افلا تذکرون فتعلمون ان من
فطر الارض ومن علیها ابتداء قدر علی ایجادها انتهاء فان امر البداءة والاعادة عنده سواء
قل من رب السموات السبع ورب العرش العظیم فانها اعظم من ذلک فی مقام التفخیم سیقولون لله
قل افلا تتقون وقرأ ابو عمرو بغیر لام فیه وفیما بعده علی ما یقتضیه السؤال فی المبنی بخلاف غیره
حیث اختار الجواب بالمعنی قل من بیده ملکوت کل شیء بواطنه او خزائنه وهو یجیر یغیث
من یشاء ویحرسه عمن یشاء ولا یجار علیه ولا یغاث احد ولا یمنع منه ان کنتم تعلمون حقائق
ذاته ودقائق صفاته سیقولون لله لیس یشارکه احد بل ولا ثم سواه قل فانی تسحرون فمن این
تخدعون عن الصدق وتصرفون عن الحق مع ظهور امر الایمان وبطلان قضیة الکفران قال محمد بن
الفضل من علم ان الاشیاء کلها له ثم رجع فی طلبه الی ما سواه مع انه لا یملک من ذلک شیئا
فان ذلک من قلة عقله ورقة دینه وافاد الاستاد انه سبحانه امر النبی علیه السلام ان یکرر علیهم
الاسئلة عقب کل واحد من ذلک مخبرا عنهم بقوله سیقولون الله ثم لم یکتف منهم بمقولهم ذلک
بل عاتبهم علی تجرد قولهم عن التذکر والفهم والعلم تنبیها علی ان القول وان کان فی نفسه
صدقا لم یکن فیه غنیة اذا لم یصدر عن علم ویقین ثم انبههم علی کمال قدرته وان القدرة القدیمة
اذا تعلقت بمقدوراته وله ضد تعلقت بضده وتتعلق بمثل متعلقه والعجب من عجزهم
بکمال اوصاف جلاله ثم تجویزهم عبادة الاصنام التی هی جمادات لا تعطی ولا تمنع ولا تضر
ولا تنفع ویقال قال اولا افلا تذکرون ثم قال بعده افلا تتقون قدم التذکر علی التقوی لان

تذکرهم

یتذکرهم یصلون الی المعرفة ثم بعد ان عرفوه علموا انه یجب علیهم اتقاء مخالفته ثم بعد ذلک قال
فانی تسحرون ای بعد وضوح الحجة فای شک بقی حتی تنسبوه الی السحر والحیلة بل اتیناهم بالحق
من التوحید بالصدق فی البعث من الوعد والوعید وانهم لکاذبون حیث انکروا ذلک
وکابروا اهنالک وافاد الاستاد انه سبحانه بین انهم اصروا علی عتوهم وانما موا علی نبوهم وبعد
ان ازیحت العلل فلات حین عذر فی المحل ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما کان
معه من اله یساهمه فی الالوهیة بلا اشتباه اذا ای لو کان معه الهة کما یقولون اذا لذهب
کل اله بما خلق ای بما استبد بخلقه وامتاز ملکه عن ملک غیره ولعلا بعضهم علی بعض لظهر
بینهم التحارب والتغالب کما هو حال ملوک الدنیا وهذا باطل باجماع العقلاء بحسب التفحص
والاستقراء سبحان الله عما یصفون من الولد والشرکة الاحد عالم الغیب والشهادة هو
عالم بما غاب عن العباد وظهر فی البلاد فیستوی فیه الامران عنده وحده وقرأ ابن کثیر وابو عمرو
وابن عامر وحفص بالخفض علی انه نعت متعدد فتعالی عما یشرکون به من لا علم له بحاله فضلا
عن غیره وافاد الاستاد ان اتخاذ الولد لا یصح کاتخاذ الشریک والامران جمیعا داخل
فی حد الاستحالة لان الولد والشریک یوجب المساواة فی القدر والحالة والصمدیة تتقدس
عن ان یکون له مثل او جنس لان الاثنینیة تنافی الاحدیة هذا وکل امر نیط باثنین فقد انتفی
عنه النظام ودلیل التمانع مذکور فی مسائل الکلام فتقدس وتنزه عن اوهام من اشرک
وافهام من افک قل رب اما تریني ای ان کان لا بد من ان تریني ما یوعدون من العذاب
فی الدنیا رب فلا تجعلنی فی القوم الظالمین قرینا لهم فی العذاب المهین وهوانا لهضم النفس
وتنول النوبة فی دفع النقمة او لان شؤم الظلمة قد یحیق بمن وراءهم من الامة قال تعالی واتقوا
فتنة لا تصیبن الذین ظلموا منکم خاصة وعن الحسن انه سبحانه اخبر نبیه علیه السلام ان له
فی امته نقمة ولم یطلعه علی وقت البلیة فامره بهذا الدعاء وتکریر النداء من باب زیادة التضرع
بالثناء وافاد الاستاد انه علیه السلام یقول ان عجلت لهم ما تتوعدهم به فلا تجعلنی فی جملتهم
ولا توصل الی مثل ما توصل الیهم من عقوبتهم وفی هذا دلیل علی ان للحق ان یفعل ما یرید وانه
لو عذب البری لم یکن ذلک منه قبیحا ولا ظلما للعبید وانا علی ان نریک ما نعدهم لقادرون
لکنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم یؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فیهم
وقیل قد اراه ببدر او فتح مکة ما عجل من وعیدهم وافاد الاستاد ان الآیة تدل علی صحة
قدرته علی خلاف ما علم فانه اخبر انه قادر علی تعجیل عقوبتهم ثم لم یفعل ذلک فصحت القدرة
علی خلاف المعلوم ای بخلاف الارادة ادفع بالتی هی احسن کلمة التوحید وهی العلیا
السیئة الشرک وهی السفلی وقیل هی الامر بالمعروف والسیئة المنکر والاظهر ان السیئة
بمعنی الاساءة والتی هی احسن هو الصفح عن جهتها والاحسان فی مقابلتها وهو
ابلغ من ان یقال ادفع بالحسنة السیئة لما فیه من التنصیص علی الزیادة وافاد الاستاد
ان الهمزة فی الاحسن یجوز ان یکون للمبالغة ویکون المعنی ادفع بالحسنة السیئة ویجوز ان یکون

مبالغة فكان المكافاة جائزة والعفو عنها فى الحسن اشد مبالغة ويقال ادفع الجفاء بالوفا
وجرم اهل العصيان بحكم الاحسان ويقال ادفع ما هو حظك اذا حصل ما هو حق لمن
قبلك ويقال اسلك سلك الكرم والموافاة ولا تجنح الى طريق المكافاة ويقال الاحسن
ما اشار اليه القلب والسيئة ما تدعو اليه النفس ويقال الاحسن نور الحقايق والسيئة ظلمة
الخلائق نحن اعلم بما يصفون من نعوتنا التى هى غير لايقة بذاتنا او اوصافك على خلاف
حالك او قدر على جزائهم منك فكل الينا امرهم فيك فانا ندفعهم عنك ونكفيك وقل رب اعوذ
بك من همزات الشياطين وساوسهم وخطراتهم ومتابعة خطواتهم واعوذ بك رب
ان يحضرون ان يحوموا حولى فى كل حال ومحل لا سيما حال الصلوة والقراءة وحلول
الاجل وافاد الاستاذ ان الاستعاذة فى الحقيقة تكون بالله من الله كما قال صلى الله عليه
وسلم اعوذ بك منك ولكنه تعبدنا بالاستعاذة بالله من الشيطان بل من كل ما هو مسلط
علينا من الحيوان والانسان والحق عند ربك يوصل الينا مضرتنا بمجرى العادة علينا
والا فلو كان بالشيطان من اغواء الخلق شئ باستبداده لكان يمسك على الهداية نفسه ومن
عجز عن حفظ نفسه كان اشد عجزا من اغواء غيره وفى معناه انشدوا • جحودى لك تلبيس
وعقلى لك تهويس • فمن آدم لولاك ومن ذا البين ابليس • حتى اذا جاء احدهم الموت
متعلق بيصفون وما بينهما جملة اعتراضية وقال ابن عطية حتى هى ابتدائية قال احدهم
تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة وافرط من الكفر والمعصية لما اطلع على امر القيمة رب
ارجعون ردونى من العقبى ردونى من العقبى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله
ارجعنى وقيل لخطاب الملائكة ففى الكلام التفات لعلى اعمل صالحا ينفعنى فى العقبى فيما تركت
اى ضيعته فى الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول
الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعونى كلا ردع عن
طلب الرجعة واستبعاد عن حصول تلك الحالة انها اى جملة قوله رب ارجعون كلمة
طائفة من الكلام هو قائلها اى فاعلها او لا يلتفت لها ومن ورائهم امامهم والضمير الى
الخلق باسرهم برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون وهو يوم القيمة قال ابو عثمان
لو علم اهل النار على انجى لهم من طاعة الله لما فزعوا فى وقت العيان الا اليه بقولهم
رب ارجعون لعلى اعمل صالحا وقال الاستاذ اذا اخذ البلاء بخناقهم واستمكن الضر من احوالهم
وعلموا ان لا محيص ولا محيد لهم اخذوا فى التضرع والاستكانة الى رب العباد ودون
ما يرومون خرط القتاد قلت للنفس ان اردت رجوعا فارجعى قبل ان تسد الطريق
فاذا نفخ فى الصور لقيام القيامة فلا انساب بينهم يومئذ تلك الساعة لفرط الحيرة وشدة
الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ولا يتساءلون ولا يسال
حينئذ احد عن غيره لاشتغال كل احد بنفسه كما قال تعالى لكل امرئ يومئذ شان يغنيه
فمن ثقلت موازينه موزونات عقائده واعماله من الطاعات فاولئك هم المفلحون

الفائزون بالنجاة والدرجات ومن خفت موازينه من الايمان والعبادات فاولئك
الذين خسروا انفسهم حيث ضيعوها فى زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها
واكمالها فى جهنم خالدون دائمون نادمون تلفح وجوههم النار اى تحرقها وتسودها وهم
فيها كالحون من شدة احتراق النيران والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان فى
تفسير السلمى قال فارس الانساب رؤية للاعمال ورجاء الخلاص بها ولا يتساءلون اى
لا يتذكرون ما جرى عليهم فى الدنيا من نعيمها وبؤسها شغلا بما جهه من امور العقبى
وقال الاستاذ لا تنفع الانساب وتنقطع الاسباب ولا ينفع الندم وسيلقى
كل غب ما اجترم فمن ثقلت بالخيرات موازينه لاح عليهم تزيينه ومن ظهر ما يشينه
وافتر من البلاء فنونه تلفح وجوههم النار وتلمح من شواهدهم الاثار ويتوجه عليهم
حجاج الانكار فلا جواب لهم يسمع ولا خطاب ينفع ولا عذر يقبل ولا عذاب عنهم
يرفع ولا عقاب عنهم يقطع هذا ويقال لهم الم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها
تكذبون توبيخ وتذكير لهم بما استحقوا من العذاب لاجل فعلهم قالوا ربنا غلبت
علينا شقوتنا وقراء حمزة والكسائى شقاوتنا بالفتح وهى ضد السعادة اى ملكتنا
وتوبت علينا بحيث صارت مجامع احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وكنا قوما
ضالين عن طريق الهداية قال ابو تراب الشقوة حسن الظن بالنفس وسوء
الظن بالخلق وافاد الاستاد انهم نطقوا بالحق ولكن فى وقت لا ينفع الاقرار
ولا يقبل الاعتذار ثم يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون لانفسنا
والحق يقول ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه علم ان ردهم لا يكون ولو كان كيف يكون
قال اخسئوا فيها اسكتوا سكوت هوان كما فى خطاب الكلاب ولا تكلمون فى رفع
العذاب ورفع الحجاب وافاد الاستاذ ان عند ذلك يتم لهم البلاء ويشتد عليهم العناء
لانهم ما داموا يذكرون الله لم يحصل الفراق بالكلية فاذا حيل بينهم وبين ذكره تم لهم
المحنة والبلية وهو احد ما قيل فى قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وفى الخبر انهم
ينصرفون بعد ذلك فاذا لهم عواء كعواء الذئب هنالك ولبعض الناس يغار على
احوالهم بان الحق يقول لهم اخسئوا وقالوا يا ليتنا يقول لنا اليس هو بذلك يخاطبنا
وهؤلاء يقولون قدح الاحباء الذ من مدح الاعداء وينشدون فى هذا المعنى قول بعض
الشعراء شعر اتانى منك سبك لى فسبى • اليس جرى بفيك اسمى فحسبى •
قلت هذا من بعض شطحياتهم حال جذباتهم او من بعض مقاماتهم فى بداياتهم انه
كان فريق من عبادى وهم الزهاد من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا بمحو السيئة
وارحمنا بقبول الحسنة وانت خير الراحمين من جميع العالمين فاتخذتموهم سخريا مهزوا بهم
وقرا نافع وحمزة والكسائى بالضم وهما مصدران زيدت فيهما ياء النسبة لقصد المبالغة حتى
انسوكم ذكرى من فرط تشاغلكم بذكرهم ايام استهزائكم باهل صبرى وشكرى وكنتم منهم تضحكون

استهزاء بارباب تقوی ای جزیتهم الیوم بما صبروا علی محنهم ومنها ایذائکم لهم انهم هم الفائزون
لان فوزهم بمجامع مرادهم مخصوص بهم وقرا حمزة والکسائی بالکسر علی ان الجملة استینافیة
فیه معنی التعلیلیة فی تفسیر السلمی قیل الفائزون هم الآمنون من اهوال یوم القیمة وقال بعضهم
من صبر علی مخالفة النفس فاز من طغیانه وتعدیه وافاد الاستاذ ان الحق سبحانه ینتقم من
اعدائه مایطیب به قلوب اولیائه وتلک خصیصة الحق لاصفیائه فیقول قدکان قوم من اولیائی
یفصحون بمدحی وثنائی ویتصفون بحمدی ودعائی فاتخذتموهم سخریا فی نادیهم فانا الیوم جازیهم
وانتقم ممن کان ینادیهم قال ای الله او الملک وقرا ابن کثیر وحمزة والکسائی قل علی الامر
للملک المأمور بسؤالهم وتبیین حالهم کم لبثتم فی الارض احیاء او امواتا عدد سنین
تمییز لکم وتبیین قالوا لبثنا یوما او بعض یوم استقصارا لمدة لبثهم فیها لانها منقضیة
او بالنسبة الی ما تیقنوا به من الخلود فی العقوبة فسئل العادین الذین یتمکنون من عد
ایامها ان اردت تحقیق مرامها فانا مشغولون بما نحن فیه من العذاب عن تذکرها وحصرها
قال وقرا حمزة والکسائی قل ان لبثتم ما لبثتم الا قلیلا لو انکم کنتم تعلمون قدر تلک الازمنة
قال یحیی بن معاذ المغبون من عطل ایامه بالبطالة وافاد الاستاد ان الاشیاء وان کانت کثیرة
فقد تقصر وتقل بالاضافة الی ان یوفی ویربی علیها کذلک مدة مقامهم تحت الارض ان کانوا
فی الراحة فقد یقل بالاضافة الی الراحات التی یلقونها فی العقبة وان کانت شدیدة فقد تلاشی فی
جنب ما یرونه ذلک الیوم من الیم العقوبات المتوالیة افحسبتم انما خلقناکم عبثا ای عابثین
او للعبث والمعنی لم نخلقکم تلهیا بکم وانما خلقناکم لنتعبدکم ونجازیکم علی اعمالکم بحسب احوالکم
وانکم ای وحسبتم انکم الینا لا ترجعون بالجزاء وقرا حمزة والکسائی بفتح التاء وکسر
الجیم وافاد الاستاد ان العبث اللهو والاشتغال بما یلهی من الحق والله لم یأمر العباد
بذلک فلم یدعهم الی ذلک ولم یندبهم الی ما هنالک والعابث فی فعله من فعله علی غیر حد
الاستقامة ویکون بها لاستجلب بفعله احکام اللهو الی نفسه متمادیا فی سهوه مستلذ التفرقة
فی قصده وکل هذا من صفات ذوی البشریة والحق سبحانه منزه النعت عن هذه الجملة بالکلیة
فلا هو یفعل شیئ عابث ولا بشیئ من العبث آمر فتعالی الله الملک الحق الذی یحق له الملک
المطلق لا اله الا هو فان ما عداه مملوک له وعبیده رب العرش الکریم الذی یحیط بالاجرام
وینزل منه محکمات الاحکام ولذا وصفه بالکرام وافاد الاستاذ ان الحق بنعوت جلاله متوحد فی عز
ازاله وعلو اوصافه متفرد فذاته حق وصفاته حق وقوله صدق ولا یتوجه لمخلوق علیه حق وما یفعله
من احسانه بعباده فلیس شیئ منها مستحق ثم ما تجمل سبحانه بالعرش ولکن تعزز العرش بان
اضافه الی نفسه اضافة خصوصیة ومن یدع مع الله الها آخر یعبده غیره افرادا او اشتراکا
لا برهان له صفة اخری لاله لازمة له جیئ بها للتأکید وللتنبیه علی ان التدین بما لا دلیل علیه
لیس فی محله فضلا عما دل الدلیل علی خلافه فانما حسابه عند ربه فهو مجازله بقدر استحقاقه
انه ای الشان لا یفلح الکافرون بدأ السورة بثبوت فلاح المؤمنین وختمها بنفی فلاح

الکافرین

الکافرین ثم امر رسوله بان یستغفره ویسترحمه مع انه رحمة للعالمین فقال وقل رب اغفر وارحم
وانت خیر الراحمین جمعا بین الدعاء والثناء فی مقامی الخوف والرجاء وقال الاستاذ حسابه
علی الله فی آجله وعذابه من الله فی عاجله وهو الخجل الذی اودع قلبه حتی رضی بان یعبد معه غیره وقولهم
ما نعبدهم الا لیقربونا الی الله کلام حاصل من غیر دلیل عقل ولا شهادة خبر ونقل فما هو الا افک وبهتان
وقول لیس یساعده برهان وقل رب اغفر الذنوب واستر العیوب واجزل الموهوب وارحم
حتی لا یستولی علینا هواجم التفرقة ونوازل الخطوب والرحمة المطلوبة بالدعاء هو القصد من الرحمن
من صنوف النعمة ویسمی الحاصل بالرحمة باسم الرحمة علی وجه التوسع وحکم المجاز فی العبارة

سورة النور مدنیة وهی اثنتان واربع وستون آیه بسم الله الرحمن الرحیم

افاد الاستاذ ان بسم الله اسم نذیر الوفاة فرقته اسم بشیر الحیوة وصلته اسم سبب
الروح عرفانه اسم راحة الروح احسانه اسم کمال الانس اقباله اسم فتنة المهیمین جماله اسم
من شهده دامت سلامته اسم من وجده قامت قیامته اسم لا الیه خطوة ولا بدونه سلوة سورة
ای هذه سورة انزلناها صفتها وفرضناها ای ما فیها من احکامها وشدده ابن کثیر وابو عمرو
لکثرة فرائضها او للمبالغة فی ایجابها وانزلنا فیها آیات بینات واضحات المرام موضحات
الاحکام لعلکم تذکرون تتعظون فتتقون الحرام قال بعضهم لو لم یکن من آیات هذه السورة
الا براءة الصدیقة بنت الصدیق حبیبة حبیب الله لکان کثیرا فکیف وقد جمع من البراهین
والاحکام ما لم یجمعه فی غیرها وقال الاستاذ ای شرعنا فیها من الحلال والحرام وبینا فیها من
الاحکام وما لکم بها اهتداء وللقلوب عن غمة الاستعجام شفاء وانزلنا فیها آیات بینات
دلائل وامتحانات وحجج لایحات لتتذکروا تلک الآیات فتعتبروا بما فیها من البراهین النیرات
الزانیة والزانی فاجلدوا کل واحد منهما مائة جلدة الجلد ضرب الجلد وهو مخصوص بمن لیس بمحصن
لما دل علی ان حد المحصن هو الرجم والاحصان بالحریة والبلوغ والعقل والاصابة فی نکاح صحیح
واعتبر الحنفیة ایضا الاسلام لقوله علیه السلام من اشرک بالله فلیس بمحصن وافاد الاستاذ ان
العقوبة علی الزنا شدیدة الکیدة لکن جعل اثبات امره وتقدیر حکمه بکونه علی الکثر انا من خصلة عسیرة
بعیدة اذ لا یقبل الشهادة علیه هنا حتی یقول رأیت ذلک منه فی ذلک منها وذلک امر بمرة
شدید وجوده وصعب شهوده فسبحان من اعظم العقوبة علی تلک الغفلة ثم جعل الامر فی اثباتها
بغایة الکد والعناء حفظا لستر الصیانة علی عباده بالمغاء ثم ما ورد فی الخبر عنه صلی الله علیه وسلم
مما یهش اللب فی ظهور الکرم فیما عامل به ماعزا حین اعترف بذلک ولم یکن شهود هنالک
لعلک قبلت لعلک لامست وقوله لبعض اصحابه استنکهوه کل ذلک رد ما لدرء الحد عنه
الی ان الح واصر علی الاعتراف به قلت واعترافه به مع تلقینه علیه السلام باعذاره واصراره
علی اقراره کان من غایة کماله فی صدق مقاله وقوة حاله وحسن مآله ولا تأخذکم بهما رأفة
وقرا ابن کثیر بفتح الهمزة ای شفقة رحمة فی دین الله طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا
فیه ولذا ورد فی السنة عاما فی الکتب السنة لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت یدها ان کنتم تؤمنون

باللّه واليوم الآخر فانّ الايمان بمحاسبته ومجازاته يقتضي الجدّ في طاعته والاجتهاد في
اقامة حدوده واحكام عقوبته وهو من باب تهييج المخاطب ومبالغة في القيام بمقتضيه فلا نظر
الى ظاهر شرطيته قال جنيد الشفقة على المخالفين كالاعراض عن الموافقين وقال بعضهم لا يكون
المحب من يصبر على مخالفة حبيبه وافاد الاستاذ ان ما يأمر به الحق فالواجب مقابلته بالسمع
والطوع والرحمة من موجب الشرع وهو المحمود فامّا ما يقتضيه الطبع والعادة فمذموم ونهى عن الرحمة
على من خرق الشرع وترك الامر واساء الادب وفي مواطن المخالفة انتصب يقال نهانا عن الرحمة
بهم وهو يرحمهم حيث لا يمحو عنهم تلك الغفلة المحتاء رقم الايمان فقال عليه السلام آخر ما قال
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا رحمة لما استبقى عليه حلة ايمانه مع قبيح جرمه وعصيانه
وليشهد عذابهما طائفة اي ثلاثة او اثنان او واحد من المؤمنين زيادة في التعزير لان فائدة
التشهير الموجب للتهذيب فانه ابلغ من التعذيب ولحصول التنبيه له ولغيره من العدو
والحبيب في مقام التأديب قال ابو بكر بن الطاهر لا يشهد مواضع التعذيب الا من يستحق
التأديب وهم طائفة من المؤمنين لا المؤمنون اجمعين وقال الاستاذ ليكون العذاب اشد
عليهما ويكون اكثر نحو بغا التعاطي ذلك الفعل من يعتبر بهما ثم من حق الذين يشهدون ذلك
الموضع ان يذكروا عظيم نعمة الله عليهم كيف سترهم ولم يفضحهم لديهم ولم يقمهم موضعه الذي اقام
فيه هذا المبتلى به وسبيل من يشهد ذلك الموضع ان يعتبر صاحبه بذلك ولا يعيني حكم الله
تعالى في اقدامه على جرمه بما لك الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها
الا زان او مشرك وهذا حكم باعتبار الغلبة فان المشاكلة علة الالفة والمخالفة سبب للنفرة
لقوله تعالى الخبيثات للخبيثين الآية وافاد الاستاذ ان الناس اشكال واشكال كل يطير
مع شكله وكل ساكن مع مثله وانشدوا • عن المرء لا تسئل وابصر قرينه • فكل قرين بالمقارن
يقتدي • اما اهل الفساد فالفساد يجمعهم وان تفاوتت ديارهم واما اهل السداد فالسداد
يجمعهم وان تباعد مزارهم وحرم ذلك على المؤمنين لانه تشبه بالفسقة وتعرض للتهمة وتسبب
لسوء المقالة والطعن في نسب الذرية ولذلك عبّر عن التنزيه بالتحريم مبالغة لقوله تعالى
وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحة ويؤيده انه عليه السلام سئل عمن زنى بامرأة ثم نكحها
فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقد روي ان الآية نزلت في ضعفة
المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا اهل الكتاب ويكرين انفسهن لينفقن عليهم
من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذا قدم الزاني هنا وقد قدم الزانية فيما سبق
لان الزنا في الاغلب يكون بتعرضها وعرض نفسها ولان مفسدته انما تتحقق بالاضافة
اليها والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنية ثم لم يأتوا باربعة شهداء على تلك
الفعلة فاجلدوهم ثمانين جلدة والاحصان هنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام
والعفة عن الزنا ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص
الواقعة التي هي سبب نزول الآية هنا وضربه اخف من ضرب الزنا في الكيفية كما نص عليه

في الكمية

في الكمية ولا تقبلوا لهم شهادة اي شهادة كانت لانه مفترٍ ابدا اي الى آخر عمره
وعليه الحنفية او قبل توبته وعليه الشافعية واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم الا الذين
تابوا من بعد ذلك عن القذف واصلحوا اعمالهم وتداركوا احوالهم والاستثناء من جملة
الاخيرة كما يشير اليه قوله فان الله غفور رحيم وقيل من الجملة المنهية وعليه الشافعية وقد افاد
الاستاذ انه سبحانه جعل من شرط صحة توبته اصلاحه فقال واصلحوا وهو ان يأتي على توبته مدة
تنتشر بالصلاح صفته كما اشتهر بهتك عرض المسلمين فانه كل هذا التشديد لمن لم يحفظ على
المسلمين ظاهر حالته والذين يرمون ازواجهم نساءهم ولم يكن لهم شهداء على زناهن
الا انفسهم بدل من شهداء فشهادة احدهم اي فعليهم شهادة احدهم اربع شهادات
مفعول مطلق ورفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر لشهادة بالله انه لمن الصادقين
فيما رماها به من الزنى والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنت الله عليه ان كان
من الكاذبين فيما رماها وقرأ نافع بالتخفيف والرفع وهذا لعان الرجل وحكمه سقوط
حد القذف عنه وثبوت حد الزنى على المرأة لقوله ويدرؤا عنها العذاب اي الحد
ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به والخامسة ان غضب الله
عليها ان كان من الصادقين فيما رماها ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر
ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ان غضب الله بتخفيف النون وكسر
الضاد ورفع الجلالة ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم لنال حالكم بالفضيحة
وعاجلكم بالعقوبة وقال الاستاذ اي لبقيتم في هذه الواقعة المعضلة ولم تهتدوا
الى الخروج من هذه الحالة المشكلة والافهي عادة الناس من الذي يهتدي لمثل هذا الحكم
الخفي لولا تعريف سماوي وامر نبوي من الوحي مستقاه ومن الله مبداه واليه
منتهاه هذا وفي تفسير السلمي قال بعضهم من لا يرى فضل الله عليه في جميع الاحوال
فهو ساقط عن درجة المعرفة بالافضال فان اوائل المعرفة رؤية الفضل ومن شاهد
الفضل لا يعمى عن الشكر والتزام المنة ونعمته في الدنيا العافية وفي الآخرة الرضا
وقال السياري قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ولم يقل ولولا عبادتكم وصلاتكم
وحسن قيامكم بعد ما نجا منكم من احد ليعلم ان العبادات وان كثرت فانها من نتائج
الفضل ان الذين جاؤا بالافك بابلغ ما يكون من الكذب مأخوذ من الافك وهو
الصرف وسمي به لانه قول مأفوك عن وجهه ومصروف عن نحوه والمراد ما افك به
على عائشة رض وذلك انه عليه السلام استصحبها في بعض الغزوات فاذن ليلة في
القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد
من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها انها دخلت
الهودج فحمله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثم احدا فجلست كي يرجع
اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند

سنزلها فوقها فاناخ راحلته فركبتها فقادها فاتهمت به عصبة منكم خبر انّ اى جماعة وهى
كالعصابة من العشرة الى الاربعين وهم عبدالله بن ابى وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت
ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن وافقهم لا تحسبوه لا تظنوا الافك شرًّا لكم جملة مستأنفة
والخطاب للنبى عليه السلام وابى بكر وعايشة وصفوان بل هو خير لكم لاكتسابكم الثواب
العظيم وظهور كرامتكم على الله الكريم بانزال سبعة عشر آية فى براءتكم وتعظيم نزاهة ساحتكم
والوعيد بالتهويل لمن تكلم فيكم والثناء الجميل على من ظنّ خيرا بكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم
لكل جزاء كسبه بقدر ما خاض فيه مختصًّا به والذى تولّى كبره معظمه منهم من الخائضين وهو
ابن ابى من المنافقين فانه بداء به واذاعه او هو وحسان ومسطح فانهما ساعداه فى التصريح
فالذى بمعنى الذين له عذاب عظيم فى العقبى او فى الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابى مطرودا
مشهورا بالنفاق مبعودا وحسان اعمى واشلّ اليدين ومسطح مكفوف البصر فاقد العين
وافاد الاستاذ انه سبحانه بيّن فى قصة عايشة رض وما كان من الحديث افكها انه لا يخلى احدا من
المحنة والبلاء فى المحبة والولاء من اقوى اركانه واعظم برهانه واصدق بيانه كما ورد يمتحن الرجل
على قدر دينه وقال اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل من الاولياء ويقال ان الله سبحانه
غيور على قلوب خواص عباده فاذا حصلت مساكنة لبعض الى بعض فى حظه يجرى الله ما يرد
كل واحد منهما عن صاحبه ويرد الى نفسه وقد انشدوا ▪ اذا علقت روحى حبيبا تعلقت •
به غير الايام اذ تسلبينه • وان النبى عليه السلام لما قيل له اى الناس احب اليك قال
عايشة فساكنها وعايشة رض قالت فى بعض الاخبار يا رسول الله انى احبك واحب
قربك فاجرى حديث الافك حتى رد رسول الله صلى الله عليه وسلم قلبه عنها الى الله ورد
عايشة عنه الى الله حيث قالت لما ظهر براءة ساحتها بحمد الله لا بحمدك كشف الله غبار
تلك المحنة وازال الشك والشبهة واظهر رضى الله عنها براءة ساحتها ويقال ان النبى
عليه السلام قال اتقوا فراسة المؤمن فان المؤمن ينظر بنور الله فاذا كانت الفراسة صفة
المؤمن فاولى الناس بالفراسة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يظهر له بالفراسة براءة
ساحتها حتى كان يقول لها ان فعلت فتوبى والسبب فيه ان فى اوقات البلاء يسد الله
على اوليائه عيون الفراسة اكمالا للبلاء وكان ابراهيم عليه السلام لم يميز ولم يعرف الملائكة
حيث قدم اليهم العجل الحنيذ وتوهمهم اضيافا ولوط عليه السلام لم يعرفهم ملائكة الى
ان اخبروه انهم ملائكة ويقال انه كان عليه السلام يقول لعايشة يا حميراء فلما كان زمان
الافك وارسلها الى بيت ابويها واستوحش الابوان معها ومرضت عايشة رض من الحزن
والوجد الذى بها فكان رسول الله عليه السلام اذا رأى واحدا من دار ابى بكر يقول كيف انتم
لا عايشة ولا الحميراء ولكن ما كان يطيب قلبه بالتغافل عنها فكان يقول كيف انتم ان
لم يبال بالتصريح كان نقصدا بالتوبيخ لولا هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات
بانفسهم خيرا اى بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم

وعدل

وعدل من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضى ظن الخير
بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم
وقالوا هذا افك مبين مبنيا على حسن الظن الواقع موقع اليقين لولا جاؤا عليه باربعة
شهداء فان لم يأتوا بالشهداء اى الاربعة فاولئك عند الله فى حكمه هم الكاذبون فيجرى عليهم
امر حده وافاد الاستاذ انه سبحانه عاتبهم على المبادرة الى الاعتراض عليها وبسط السنتهم
بالسوء اليها ثم قال وهلا جاؤا على ما قالوا بالشهداء واذ لم يجدوا ذلك البيان
فهلا سكتوا عن بسط اللسان ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة
اى فضله فى الدنيا بانواع النعم التى من جملتها المهلة للتوبة ورحمته فى العقبى بالعفو
والمغفرة والوصلة والقربة لمسكم بالعجلة فيما افضتم خضتم فيه عذاب عظيم
يستحقر دونه الجلد والملامة وافاد الاستاذ انه سبحانه اخبر ان جرمهم وان كان
عظيما عنده فانه فى حلم الله عنهم غير مؤثر له ولولا ان الله سبحانه ينتقم لاوليائه ما لا
ينتقم لنفسه لعله لم يذكر هذه المبالغة فى امرهم فان الذى يقول الاجانب والكفار
فى وصف الحق سبحانه ما يستحيل وجوده وكونه يوفى ويربى على كل سوء فى مشهوده
ثم لا يقطع عنهم ارزاقهم ولا يمنع منهم ارفاقهم ولكن ما يتعلق به حقوق اوليائه لا سيما
حق سيد انبيائه فذلك عظيم عند الله وعند اصفيائه اذ تلقونه يأخذه بعضكم
من بعض بالسنتكم بالسؤال عنه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم عندكم لقوله
تعالى يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وتحسبونه هيّنا سهلا لا تبعة له اصلا
وهو عند الله عظيم وزرا وثقلا قال بعضهم من تهاون بما يجرى عليه من الدعاوى
المنسوبة اليه فقد صغر ما عظم الله لديه لان الله تعالى يقول وتحسبونه هينا وهو
عند الله عظيم وافاد الاستاذ ان يسير الزلة اذا لاحظها العبد بعين الاستصغار
يحبط كثيرا من الاحوال ويكدر كثيرا من صافى المشارب كالزلال واليسير من الطاعة
ربما يستقل العبد وجوده ثم فيها نجاته ونجاة عالم معه ولولا اذ سمعتموه مثل هذا
القول قلتم ما يكون ما ينبغى ولا يصح لنا ان نتكلم بهذا يتحقق هذا الفعل سبحانك
تعجب ممن يقول ذلك او تنزيه له سبحانه من ان يكون حرم نبيه فاجرة هنالك
هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمتها باعتبار متعلقاتها
كما قد يكون باعتبار مصادرها وعظمة حالاتها ولذا قالوا حسنات الابرار سيئات
المقربين وافاد الاستاذ ان استماع الغيبة نوع من الغيبة بل مستمع الغيبة شر
المغتابين اذ بسماعه يتم مقصد قائله واذا سمع المؤمن ما هو سوء قالة فى المسلمين
ما لا صحة له فى التحقيق واليقين فالواجب الرد على قائله باحسن نصيحة وادق موعظة
ونوع تشاغل عن اظهار المشاركة له باحسن كيفية فان ابى الا انهماكا فيما يقول
زد عليك بما امكن من الحصول فان لم ينتسخ قائله من قوله فلا ينبغى ان يستحى المستمع من

رد فعله يعظكم الله ان تعودوا كراهة ان ترجعوا لمثله ابداً ما دمتم مكلفين ان كنتم
مؤمنين فان الايمان يمنع منه ويردع عنه ويبين الله لكم الآيات الدالة على محاسن
الشريعة وآداب الطريقة كى تتعظوا وتتأدبوا بما يجب عليكم من اطوار الحقيقة
والله عليم باحوال خلقه حكيم فى تدابير حكمه قال الاستاذ يتعلق بهذا قوم فى ان من
بسط لسانه فى عايشة رض بعد هذا لم يكن مؤمناً لظاهر هذه الآية ولعمرى قائل هذا مرتكب
كبيرة ولكن لا يخرج عن الايمان بذلك قلت اما بعد ابراء الله تعالى ساحة عصمتها وطهارة
آبائه فى عفتها واخباره عز وجل عن براءتها فلا شك ان الطعن فيها طعن فى اخباره
سبحانه عنها فيكون كفراً صريحاً هنالك ولا اثم فى المسألة خلافاً فى ذلك والآمن طعن
فيها بغير ما يفهم من القرآن نفيه عنها بل لما صدر بعض المخالفة منها كما وقع لها مع على رضى الله
عنها فهو من شعار المبتدعة فان قصدها كان المصالحة وقد حصل لها المراجعة عن تلك
المالة ان الذين يحبون ان تشيع اى يريدون ان تنتشر وتذيع الفاحشة فى الذين
آمنوا بحسب ظاهر الشريعة لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة بالحد والحرقة والحجاب
والفرقة والله يعلم ما فى الضماير وانتم لا تعلمونها الا الظواهر فعاقبوا فى الدنيا على ما دل
عليه الظواهر والله سبحانه يعاقب على ما فى القلوب من حب الاشاعة فى السرائر
وافاد الاستاد ان هؤلاء فى استحقاق الذم اقبح منزلة واشد معصية حيث احبوا
افتضاح المسلمين ومن اركان الدين مظاهرة المسلمين واعانة اولى الدين وارادة
الخير بكافة المؤمنين والذى يود فتنة المسلمين فهم شرار الخلق اجمعين والله
لا يرضى منه بحاله ولا يؤهله لمنال خلاصة التوحيد وكماله ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وان الله رؤف رحيم لمسّكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقوبة
مع عظم جرم السيئة يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان باشاعة الفاحشة
فى اهل الايمان ومن يتبع خطوات الشيطان اى طرق تزيينه بانواع العصيان
فانه يامر بالفحشاء والمنكر اصحابه واتباعه من اهل الكفر والطغيان والفحشاء
ما افرط قبحه حتى فى الطبع والمنكر ما انكره الشرع افاد الاستاد اذا انتقى القلب
عن الوساوس وصفا عن الهواجس بدا فيه انوار الخواطر فاذا سما وقت العبد
عن ذلك سقطت الخواطر من الملك وبدا فيه احاديث الحق سبحانه هنالك
كما فى الخبر لقد كان فى الامم محدثون فان يك فى امتى فعمر ولولا فضل الله عليكم
ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للمعصية وشرع الحدود المكفرة ما زكى ما طهر من
دنس السيئة من احد ابداً اى لا الى غاية ولا نهاية ولكن الله يزكى من يشاء
بعصمته عن المعصية او بحمله على التوبة والله سميع لمقالاتهم عليم بنياتهم
وافاد الاستاذ انه سبحانه ردّهم فى جميع احوالهم الى مشاهدة ما من الحق فى
تسمى نعم النفع والدفع وحالتى العسر واليسر والزكاء من الله والنعماء من الله

والآلاء من الله قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ولا ياتل لا يحلف اولا يقصر
اولوا الفضل منكم والسعة اى ارباب الفضيلة فى الكمال واصحاب الوسعة فى المال
ان يؤتوا او فى ان يؤتوا اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله اى ضعفاء
الاحوال وفيه دليل على فضل ابى بكر وشرف حالته حيث نزل فيه وقد حلف انه لا ينفق على
مسطح بعد وكان ابن خالته وهو كان من فقراء المهاجرين وارباب حاجته فالصفات لموصوف
واحد كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة اواهاً جامعين لها او لموصوفات اقيمت الصفات
مقام ذواتها وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنهم الا تحبون ان يغفر الله لكم
على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا
باخلاقه ونكته روى انه عليه السلام قراها على ابى بكر رض فقال بلى احب ورجع الى مسطح
بنفقته قال بعضهم العفو هو الستر عما مضى وترك التانيب فيما بقى ثم الاظهر ان العفو
بحسب الباطن والصفح باعتبار الظاهر كما يشير اليه مادة الاول والآخر فان العفو معناه
المحو والصفح اعراض صفحة الخد او الجانب والكشح ولعله لهذا المعنى لم يرد الصفوح فى الاسماء
الحسنى وافاد الاستاد ان العفو والصفح بمعنى فتكريرهما تاكيد المبنى وقال العفو ان يتجاوز
عن الجانى والصفح ان يتناسى جرمه ويقال العفو فى الافعال والصفح فى جنايات القلوب
من الاحوال ومن كمال لطفه سبحانه قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم فان الله سبحانه
لا يغادر فى قلوب اوليائه كراهة من غيرهم والى الكراهة من الخلق والمنفرد بالايجاد هو الحق
وانشدوا رب رام لى باحجار الاذى لم اجد بداً من العطف عليه فعسى يطلع الله على فرح القوم
فيدنينى اليه هذا وقد تحرك فى ابى بكر رض اولاً عرق من البشرية فى وصف الانتقام مع مسطح
حيث خاض فى ذلك الكلام فلما نزلت الآية لم يرض الصديق ان يتحرك فيه عرق من الاحكام
النفسية والمطالبات البشرية فاعاد ابو بكر رضى الله عنه له ما كان يفعله فى الايام الماضية
والاحسان الى المحسن مكافاة والى من يسيئ ولا يحسن فضل والى الجانى فتوة وكرم ان الذين
يرمون المحصنات العفائف الغافلات عما رمين به المؤمنات بالله ورسوله وسائر
ما يجب الايمان به لعنوا فى الدنيا والآخرة ابعدوا عن الرحمة ولهم عذاب عظيم وعقاب
اليم قيل خاص بمن نزل فى حقه من ابى ونحوه من الكفرة وقيل حكم كل قاذف قبل التوبة
وقيل مخصوص بقاذف اهل بيت النبوة ولذا قال ابن عباس لا توبة له ولو فتشت
آيات الوعيد لم تجد اغلظ مما نزل فى قذف عايشة من التهديد الاكيد وقال الاستاذ
بالغ فى التوعد لهم حيث ذكر اللعنة فى شانهم ووصفه اياهن بالغفلة اى عما نسبن
اليه ليس على جهة المذمة ولكن لبيان تباعدهن عما قيل فى حقهن واستحقاق اللعنة فى
الدنيا بدل على انه لشوم زلتهم تتغير عواقب حالهم فيخرجون عن الدنيا لا على ملتهم يوم
تشهد عليهم وقرا حمزة والكسائى بالتذكير السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا
يعملون يعترفون باعمال المشهود عليهم بانطاق الله اياها من غير اختيارهم وقال الاستاذ

تشهد عليهم اعضاؤهم بما عملوا من غير اختيار منهم ثم كما يشهد بعض اعضائهم
عليهم تشهد بعض اعضائهم لهم فالعين كما تشهد انه نظر بي تشهد انه بكى بي وكذا سائر الاعضاء
ويقال شهادة الاعضاء في القيمة مؤجلة وشهادتها في المحبة اليوم معجلة من صفوة الوجه وشحوب
اللون ونحافة الجسم وانسكاب الدموع وخفقان القلب من محبة الرب يومئذ يوفيهم الله
دينهم الحق جزاءهم المستحق ويعلمون بالعلم اليقين ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته
الظاهر بنعوته وصفاته لا يشاركه في ذلك سواه ولا يقدر على الثواب والعقاب الا اياه
وافاد الاستاد انه سبحانه يجازيهم على قدر استحقاقهم للعابدين بالجنة والمثوبة على توفية اعمالهم
وللعارفين بالوصلة والقربة على تصفية احوالهم فهؤلاء لهم علو الدرجات وهؤلاء لهم
الانس بعزيز المشاهدات ودوام الجنات ويعلمون ان الله هو الحق المبين تصير المعارف
ضرورية فيجدون المعافاة من النظر وتذكره ويستريح القلب من وصفي تردده وتغيره
باستغنائه ببصائره عن تبصره ويقال لا تشهدون غدا الا الحق فهم قائمون بالحق للحق
مع الحق تبين لهم اسرار التوحيد المطلق ويكون القائم عنهم والآخذ
لهم عنهم من غير ان يردهم اليهم الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات
والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اى الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس
وكذا اهل الطيب فهو كالدليل لقوله اولئك يعني الرسول وعايشة وصفوان مبرؤن
مما يقولون اى يتفوه به اهل البهتان لهم مغفرة مقرونة بالرحمة ورزق كريم مثوبة عظيمة
في الجنة قيل لقد برا الله اربعة باربعة برأ يوسف بشاهد من اهلها وبرأ موسى من قول
قومه بالحجر الذي ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعايشة رضي الله عنها بما انزل الله
فيها من الآيات مع هذه المبالغات وما ذاك الا لاظهار منصب الرسالة واعلاء اهل
بيت النبوة هنالك وقال سهل الخبيثات من القلوب للخبيثين من الرجال وخبيث
القلوب من الرجال للخبيثات من النساء وقال بعضهم من لم يراع اوامر الله ونواهيه
فهو الخبيث وقال عبد العزيز المكي الدنيا وخبائثها للخبيثين من الرجال المحبين لها
ولهم تصلح الدنيا والخبيثون المحبون للدنيا للخبيثات اى لشهوات الدنيا
ولها يصلحون والطيبات هي درجات الآخرة وكراماتها للطيبين المحبين لها
ولهم يصلح الآخرة والطيبون المحبون للآخرة للطيبات اى للذات الآخرة
ولها يصلحون وافاد الاستاذ ان الخبيثات من الاعمال وهي المحظورات للخبيثين من الاعمال
وهي المحظورات للخبيثين من الرجال المؤثرون لها طوعا والذين يجنحون الى مثل
تلك الاعمال فهم لها كل مربوط بما يليق به فالفعل لائق بفاعله والفاعل لائق بفعله
في الطهارة والقذارة والنفاسة والخساسة ويقال الخبيثات من الاحوال وهي الحظوظ
والمنى والشهوات لاصحابها الساعين لها والساعون لمثلها غير ممنوع احدهما
من صاحبه فالصفة للموصوف لازمة والموصوف للصفة ملازم ويقال الخبيثات

من الاشخاص

من الاشخاص للخبيثين من الاشخاص وهم الراضون بالمنازل السخيفة ودون طعمة الكلاب الجيفة
ويقال الخبيثات من الاموال وهي التي ليست من وجه الحلال لمن بها شبهة وعليها تعتكف همة
الخبيث من الرجال لا يميل الا الى مثل تلك الاموال وتلك الاموال لا تساعد الا لتلك الرجال والطيبات
من الاعمال وهي القرب والطاعات للطيبين وهم المؤثرون لها الساعون في تحصيلها والطيبات
من الاحوال وهي تحقيق المواصلات بما هي حق الحق مجردا عن الحظوظ للطيبين من الرجال
الذين هم قائمون بحق الحق لا يصحبون الخلق الا للتعفف دون استجلاب الشهوات لهم مغفرة
في المآل ورزق كريم في الحال وهو ما ينالون من غير استشراف ولا بطلب طمع ولا ذل منه
ولا بتقديم تعب يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا اي مسكونة غير بيوتكم التي تملكونها
او تسكنونها حتى تستأنسوا تستأذنوا من الاستيناس بمعنى الاستعلام من انس الشيء
اذا ابصره فان المستأنس مستعلم للحال مستكشف لامر الادخال وتسلموا على اهلها فعنه
عليه السلام التسليم ان يقول السلام عليكم أادخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع
رواه ابن ماجة وغيره وروي ان رجلا قال للنبي عليه السلام استأذن على امي قال نعم
قال لا خادم لها غيري استأذن عليها دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا
قال فاستأذن رواه ابو داود وغيره ذلكم خير لكم ونفعه راجع اليكم وقد نزل هذا
عليكم لعلكم تذكرون ارادة ان تذكروا وتعلموا ما هو اصلح لكم وافاد الاستاد ان
الخواص لا يرون لانفسهم ملكا ينفردون به لا من الاموال المنقولة ولا من المساكن
التي تصلح ان تكون مدخولة فمن فاتحهم بشيء منها فلا يكون منهم منع ولا زجر
ولا حجب لاحد ولا حظر فيما ينبسط بهم ثم ما ربط به غيرهم فلا يتعرضون لمن هي في
ايديهم لا باستشراف طمع ولا بطريق سؤال ولا على وجه انبساط فان كان حكم
الوقت يقتضي شيئا من ذلك فالحق يلجئ من في يده الشيء هنالك لتحمله بحكم التواضع
والتقرب ويأخذ المولى ذلك بنعت التعزز والتأدب وانشدوا شعر
واني لاستحيي من الله ان ارى • اسير الحبل ليس فيه بعيره • وان اسأل المرء اللئيم بعيره •
وبعران ربي في البلاد كثيرة • فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم
حتى يأتي من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس مجرد الاطلاع على العورات بل وعلى
ما يخفيه الناس في العادات مع ان التصرف في ملك غيره محظور بغير اذنه واستثنى
ما اذا عرض فيه من حرق او غرق او كان فيه منكر محقق او وجد من صاحبه رضى مطلق وان
قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا في اذنكم هو ازكى لكم الرجوع اطهر لقلبكم وانفع لدينكم
والله بما تعملون عليم فيجازيكم على اعمالكم بحسب احوالكم ليس عليكم جناح ان تدخلوا
بيوتا غير مسكونة كالربط والخانات والحوانيت وللحمامات فيها متاع لكم استمتاع
وانتفاع من غير مضرة لاحدكم كالاستكنان من الحرارة والبرودة وايواء الامتعة
والجلوس للمعاملة ونحوها من الحالة والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ما تظهرون وما تسرون

ووعد ووعيد للعباد على ما يريدون من الصلاح والفساد وافاد الاستاذ انه سبحانه رفع الجناح
والحرج في الانتفاع بما لا يستضر به صاحبه بغير اذنه كدخول ارض للداخل فيها غرض كقضاء حاجة
او لا يجد طريقا غير تلك الجهة اذا لم يكن في دخوله ضرر على صاحبه وجرى هذا المجرى الاستظلال بظل
حائطه اذا لم يكن قاعدا في ملكه وكالنظر في المرآة المنصوبة في جدار غيره وكل هذا انما يستباح
بالشرع والنقل دون قضية العقل على ما توهمه قوم من الجهل قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
ما يكون جانب محرم ويحفظوا فروجهم اي الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وقيل حفظ
الفروج هنا خاصة سترها والاكمل تفسيره بالمعنى الاعم والله اعلم ذلك ازكى لهم انفع واتقى
واطهر وانقى ان الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه خافية من خائنة الاعين وما تخفي الصدور
وتقديم غض البصر لان بريد الزنا هو النظر فالحذر الحذر موضع الخطر وتهمة البشر قال ابو
عطاء ابصار الرؤس عن المحارم وابصار القلوب عما سواه وقال الاستاذ ابصار النفوس
عن المحرمات وابصار القلوب عن الافكار الردية والخواطر المحظورات ولقد قالوا ان العين
سبب للحين كما قيل وانت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر
وقال من ارسل طرفه اقتنص حتفه وان النظر الى الاشياء بالبصر توجب تفرقة القلوب
الى للخطر ويقال ان العدو ابليس يقول قوسي القوي وسهمي الذي لا يخطي هو النظر وارباب
المجاهدات اذا ارادوا صون قلوبهم عن الخواطر الردية لم ينظروا الى المستحسنات النفسية
وهذا اصل كبير لهم في المجاهدة في احوال الرياضة ويقال قوم لا ينظرون الى الدنيا وهم الزاهدون
وقوم لا ينظرون الى الكون وهم العارفون وقوم هم اصحاب الهيبة في الوجد وكلا ينظرون بقلوبهم الى
الاغيار لا يرون نفوسهم اهلا للشهود ثم الحق سبحانه يكاشفهم من غير اختيار منهم او تعرض او تكلف
منهم وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه من الرجال
والنساء ويحفظن فروجهن بالستر عن العراء والتحفظ عن الزنا وافاد الاستاذ ان
الرب المطالبة عليهن كالمطالبة على الرجال لشمول التكليف الجنسين فالواجب عليهن
ترك المحظورات والنفل لهن صون القلب عن الشواغل المردية والخواطر الردية ثم
ان ارتقين من هذه الحالة فبالتعالي بقلوبهن عن غير معبودهن والله يختص برحمته
من يشاء من الاولياء والاصفياء ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب ونحوها فضلا
عن مواضعها لمن لا يحل ان يراها الا ما ظهر منها كالثياب والخاتم عند مزاولة اشباهها
ودفعا للحرج في سترها واستثنى الوجه والكفان اتفاقا لانها ليست بعورة منها
وكذا القدمان في رواية ابي حنيفة والذراعان ايضا في رواية ابي يوسف والاظهر ان
هذا الاستثناء في الصلوة لا في النظر فان بدن الحرة كله عورة لا يحل لغير الزوج والمحرم
النظر الى شيء منها بشهوة الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وحال الخطبة قال بعضهم
الزين ما تزين به العبد الطاعة فاذا اظهره فقد ذهب الزينة وافاد الاستاذ ان ما الح
الله سبحانه على بيان مسائل الفقه تستثنى من النظر وما وراء ذلك فالواجب عليهن

حفظ

حفظ انفسهن عن العقوبات في الآجل والتصاون عن ان يكون سببا لفتنة قلوب
عباده في العاجل والله سبحانه كما يحفظ اولياءه عما يضرهم في الدين يصونهم عما يكون سببا
لفتنة غيرهم من اهل اليقين فان لم يتصل منهم للخلق منفعة لا يصيب احدا بسببهم
فتنة وفي الجملة ما فيه زينة للعبد لا يجوز اظهاره فكما ان النساء عورة ولا يجوز لهن ابداء زينتهن
كذلك من اظهر للخلق ما هو زينة سرائره من صفاء احواله وزكاء اعماله انقلب زينة شينا
الا اذا ظهر شيء لا بتعمله وتكلفه فذلك مستثنى لانه غير مؤاخذ بما لم يكن بتصرفه ولا يبدين زينتهن
كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لا يحل له على ما يفهم من الاستثناء بقوله الا لبعولتهن
فانهم المقصودون بزينتهن ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن الا ان النظر
الى الفرج خلاف الاولى وقد كرهه بعض العلماء او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن
او ابناء بعولتهن من غيرهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن بحسب
نسبهن او رضاعهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم لهن
وقلة توقع الفتنة من قبلهم وقبلهن لما في الطباع السليمة من النفرة عن مماسة
القريبة ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة لهن والاعمام والاخوال
في معنى اخوانهن او نسائهن فيما يجوز كشفهن لهن فالمراد بالنساء كلهن دون
المؤمنات منهن على ما ذهب اليه بعض الشافعية من تقييدهن بهن او ما ملكت
ايمانهن اي من امائهن فان عبيدهن كالاجنبي لهن وعند الشافعي يعم الاماء
والعبيد لما روى ابو داود انه عليه السلام اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب
اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال
عليه السلام انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وفيه انه واقعة حال لا يصلح
ان يكون منشأ استدلال اذ يحتمل ان يكون الغلام صغيرا لم يبلغ الاحتلام وان
يكون هذا مشروطا بعفته عن الحرام او من قبيل قوله او التابعين غير اولي الاربة
من الرجال اي البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيئا من
امور النساء ومراهم وفي معناهم الشيوخ الهم وفي المجبوب والخصي خلاف عند
الشافعية والصحيح انهما كالفحل عند الحنفية او الطفل اي جنسه بمعنى الاطفال
الذين لم يظهروا لم يطلعوا على عورات النساء لعدم تمييزهم او لعدم بلوغهم ولا يضربن
بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن فيتبين انهن من ذوات الخلخال فان ذلك
يورث ميلا في الرجال وهو ابلغ من النهي عن اظهار الزينة وادل على منع رفع
الصوت من غير الحاجة بناء على ان صوتهن عورة وتوبوا الى الله جميعا ايها
المؤمنون لعلكم تفلحون تفوزون بسعادة الدارين وانما جمعهم في امر التوبة
اذ لا يكاد يخلو احد منهم من ارتكاب الخطيئة لا سيما في الكف عن الشهوة
وقد ورد كلكم خطاؤن وخير الخطائين التوابون وافاد الاستاذ ان التوبة

هي الرجوع عن الافعال المذمومة الى اضدادها المحمودة وجميع المؤمنين مأمورون بالتوبة فتوبة عن
الزلة وهي توبة العامة وتوبة عن الغفلة وهي توبة الخاصة وتوبة عن محاذرة العقوبة وتوبة عن ملاحظة
الامر في الجملة ويقال امر الكافة بالتوبة فالعاصين بالرجوع الى الطاعة من المعصية والمطيعين
من رؤية الطاعة الى رؤية التوفيق في العبادة وخاص الخاص من رؤية التوفيق الى مشاهدة
الموفق بعين التحقيق ويقال امر الكل بالتوبة لئلا يخجل العاصي بانفراده من الجملة ويقال مساعدة
الاقوياء مع الضعفاء رفقا بهم من امارات كرم الاصفياء ويقال بين في قوله لعلكم تفلحون
انه امرهم بالتوبة لينتفعوا هم بذلك لا ليكون الحق سبحانه بتوبتهم وطاعتهم يجمل هنالك ويقال
احوج الناس الى التوبة من توهم انه ليس يحتاج الى التوبة وانكحوا الايامى منكم والصالحين
من عبادكم وامائكم الخطاب للاولياء والسادة والامر للندب عند الحنفية وللوجوب عند
الشافعية وفيه اشعار بان الامة والعبد لا يستبدان به والايامى مقلوب ايايم جمع ايم وهو
العزب ذكرا كان او انثى بكرا او ثيبا وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم اتم والاهتمام
بشانهم اهم ان يكونوا اي الايامى فقراء قليلي المال عديمي الغنى يغنهم الله من فضله
فان المعونة بقدر المؤنة وفيه وعد من الله بالغنية لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى في هذه
الآية وظاهرها مطلقة بخلاف من قيده بالمشية مع انه لا يقع شيء الا بالمشية والارادة
والله واسع ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تنتهي قدرته عليم بعباده يبسط الرزق ويقدر
لهم وفق ما اوجبته مشيته على ما يقتضيه حكمته وقال الاستاد اذا كان القصد في المناكحة
التأدب بآداب الشرع يكفي الله ببركاته مطالبات النفس والطبع فيجب ان يكون القصد
الى التعفف والتوكل على الله ثم رجاء نسل يقوم بحق الاله ان يكونوا فقراء بالمال يغنهم الله
بالحال فان الغنى غنى النفس وهو غنى القلب وغنى القلب هو الغنى عن الشيء عن
الدنيا اتم من الغنى بالدنيا وقد يقال ان يكونوا فقراء في الحال يغنهم الله في الاستقبال
والمآل وليستعفف اي ليجتهد في العفة بقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اسبابه
من المهر والنفقة بان يكون في حالة المسكنة وعدم الملك بالمرة حتى يغنيهم الله من فضله
فيجدوا ما يكفيهم في القضية قال ابو عثمان لان يغنيك عنها خير من ان يغنيك بها وقال
بعضهم من صح افتقاره بالله صح استغناؤه عما سواه وافاد الاستاد ان من تقاصر سعيه
عن الانفاق على العيال فليصبر على مقاساة التجمل في الحال فعن قريب يجيبه لعفته الى سقوط
الارب او الحق سبحانه يجود عليه بتسهيل السبب من حيث انه ما احتسب ولا خطر بباله انه
يكتسب والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم المكاتبة وهي ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك
على كذا من مال وخدمة وهو مأخوذ من الكتابة لان السيد كتب على نفسه والتزم عتقه
اذا ادى حقه فكاتبوهم امر ندب عند اكثر العلماء واطلاقه يدل على جواز الكتابة الحالة كما
ذهب اليه الحنفية فلا يشترط كون الكتابة منجمة كما ذهب اليه الشافعية ان علمتم
فيهم خيرا امانة وقدرة على اداء المال بالحرفة وقد روي مثله مرفوعا وموقوفا وقيل

صلاحا

صلاحا وديانة وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للموالي بان يبذلوا لهم شيئا وهو لهم
وفي معناه حط شيء من مال الكتابة عنهم وهو للوجوب عند اكثر الفقهاء وعن علي يحط الربع وعن
ابن عباس يحط الثلث وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكوة
ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشتري ويدل عليه قوله صلى الله
عليه وسلم في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وقال الاستاد ان سمحت نفوسهم بازالة
الرق عن المماليك الذين هم اخوانكم في الدين من غير عوض تلاحظون منهم فلا تخسرون
على الله في صفقتكم وان ابيتم الا العوض ودعوا الى الكتابة وعلمتم بغالب ظنونكم صحة
الوفاء بمال الكتابة من قبلهم فكاتبوهم ثم تعاونوا على تحصيل المقصود بكل وجه من قدر يحط
من مال الكتابة واعانة لهم من فروض الزكوة واهمال بقدر يتجمل المكاتب ليكون شرفه الله
هذا اذا كان في الشرع نحن مأمورون بكل هذا الرفق حتى يصل المملوك المسكين الى
العتق فالحري ان يسموا الرجاء الى الله تعالى بجميل الظن ان يعتق العبد من النار بكثرة
تضرعه وقدم سعيه بقدر وسعه من عناء قاساه ويفضل من الله عن قديم رجاه ثم في الخبر
ان المكاتب عبد ما بقي عليه درهم والعبد يسعى بجهده ليصل الى تحرر قلبه وما دام تبقى
عليه بقية من قيام الاخطار وشظية من الاختيار وارادة شيء من الاغيار فهو بحال رقه
ليس بحر في حقه ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على البغاء على الزنا ان اردن تحصنا اي تعففا وهو
شرط للاكراه فانه لا يوجد بدونه لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا باكتساب الزنا ومن يكرههن فان الله
من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن لما في مصحف ابن مسعود من بعد اكراههن لهن غفور
رحيم وافاد الاستاذ ان حامل العاصي على زلته والداعي له الى عثرته والمعين له على مخالفته
يتضاعف عليهم العقوبة وله من الوزر اكثر من غيره ولو كان الامر في الطاعة والاعانة
على العبادة فالامر بعكسه ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات في هذه السورة وغيرها من
الاحكام الواضحات يصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة ومثلا من الذين خلوا
من امثال من مضى من قبلكم اي وقصة عجيبة من قصصهم فان قصة عائشة رض كقصة يوسف
ومريم عليهما السلام وموعظة للمتقين وخصوا لانهم المراد بكونهم المنتفعين وافاد الاستاد
انه سبحانه لم يغادر على وجه الدليل غبارا مخلا ولم يترك للاشكال محلا بل اوضح المنهاج واضاء
السراج وانار السبيل والاح الدليل فمن اراد ان يستبصر لا يلحقه نصب ولا يمسه تعب
الله نور السموات والارض اي منور السموات والارض وقد قرئ به فان الله نورها
بالكواكب وما يفيض عنهما من الانوار وبالملائكة والانبياء وما يستفاد منهم من الاسرار
وعن ابن عباس رض هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافة اليهما لاشتمالهما على
الانوار الصورية والمعنوية فهو الذي يبصر بنوره ذو العماية ويرشد بظهوره ذو الغواية
وقال جنيد اي هو منور قلوب الملائكة حتى سبحوه وقدسوه ومنور قلوب الرسل واتباعهم حتى
عرفوه وعبدوه وقال بعضهم نور السموات الملائكة ونور الارض الانبياء والاولياء وارباب

المعرفة وقيل السموات اشارة الى القلوب والارواح والارض عبارة عن الاجساد
والاشباح وقال الاستاذ اى منورها وخالق ما فيها من الضياء والزينة اللامعة
وموجد ما اودعها من الادلة اللائحة ويقال نور السماء بنجومها فقال زينا السماء الدنيا بمصابيح
فكذلك زين القلوب بالانوار التى هى نور العقل ونور العلم ونور اليقين ونور المعرفة ونور التوحيد
وسائر الانوار والاسرار ولكل شئ من هذه الانوار مطرح شعاع بقدره فى الزيادة والنقصان
بحسب الاطوار فى اختلاف المقدار مثل نوره صفة نوره العجيبة الشأن وظهوره الغريبة
البرهان واضافته الى ضميره مشير الى ان اطلاقه عليه ليس على ظاهره وقرئ مثل نوره فى قلب المؤمن
وقال سهل مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم ويؤيده قراءة ابى مثل نور المؤمن وقال سفيان مثل نور
القران المكرم كمشكوة اى كصفة مشكوة وهى الكوة الغير النافذة فيها مصباح سراج لنوره
سراج المصباح فى زجاجة فى قنديل من الزجاج الزجاجة كانها كوكب درى منسوب الى الدر
اى مضئ متلالئ كالزهرة فى صفائه وزهرته وضيائه وقرأ حمزة وابو بكر درى بالهمز فعيل
من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه وبرقانه او بعض ضوئه بعضا من غاية لمعانه وقرأ ابو بكر
والكسائى بكسر الدال والهمز اى كثير الدفع كسكير كثير الشرب يوقد من شجرة مباركة زيتونة
اى ابتداء ثقوب المصباح من زيت شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها
حين وضعه وفى ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة عنها تفخيم لشأنه وقرأ نافع وابن
عامر وحفص بالتذكير والباء للمفعول من اوقد على اسناده الى المصباح وحمزة والكسائى
وابو بكر بالتأنيث كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف اى مصباح الزجاجة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو توقد بلفظ الماضى قال الواسطى بنفس خلقها الله تعالى مؤمنة فسماها
شجرة مباركة كشجرة زيتونة وقال ابو سعيد الخراز المشكوة جوف محمد صلى الله عليه وسلم
والزجاجة قلبه والمصباح نوره الذى جعل فيه والشجرة ابراهيم عليه السلام جعل الله فى قلبه من
النور ما جعل فى قلب محمد صلى الله عليه وسلم من السرور لا شرقية ولا غربية لا نابتة فى شرقها
المعمورة ولا غربها المغمورة بل فى وسطها وهو الشام المشهورة فان زيتونها اجود انواعها فابى حيث
لا هى مائلة الى الدنيا ولا راغبة فى الاخرى ولكنها فانية الحظ عن سوى المولى وقال جعفر لا خوف
يوجب القنوط ولا رجاء يجلب الانبساط فيكون واقفة بين الخوف والرجاء وقال الواسطى
لا دنيوية ولا اخروية جذبها الحق الى قربه واكرمها بعناية حبه يكاد زيتها يضئ اى بنفسه
ولو لم تمسسه نار لتلألئه وفرط لمعانه نور على نور متضاعف فى مراتب ظهور فان نور
المصباح زاد فى انارته صفاء الزيت وضياء الزجاجة وضبط المشكوة لاشعة وفى تفسير
السلمى يكاد ضياء روحها يتوقد ولو لم يدعه نبى ولم يسمع كتابا نور على نور الهداية فى النهاية
وافق نور الروح فى البداية وقيل نور المعرفة والايقان يزيد على نور الايمان وقال الواسطى
الزيت التوفيق والنار التشديد والنور القران وقال الحسن البصرى اراد بذلك قلب
المؤمن وضياء التوحيد لان قلوب الانبياء عليهم السلام انور من ان يوصف بهذه الانوار

وقال بعضهم

وقال بعضهم نفس المؤمن مثل بيت وقلبه مثل قنديل ومعرفته مثل السراج وفمه مثل الكوة الى
الوسط ولسانه مثل باب الكوة والقنديل معلق بباب الكوة اذا افتتح اللسان بما فى القلب
من الذكر استضاء المصباح من كوته الى الوسط فالزجاجة من التوفيق وفتيلها من الزهد
ودهنها من الرضا وعلايقها من العقل يكاد يزهر ما قلب المؤمن على لسانه اذا ذكر ما بين
المشرق والمغرب من ضيائه ولمعانه وقيل فى قوله عز وجل الله نور السموات والارض هو شواهد
ربوبيته ودلائل وحدانيته فمثل معرفته فى قلوب العارفين كمصباح فى مشكاة شبه نور المعرفة
فى القلب بالمصباح وشبه قلب المؤمن بالقنديل وقال بعضهم المصباح سراج المعرفة وفتيلته
الفرائض ودهنه الاخلاص ونور الاتصال فكلما ازداد الاخلاص صفاء ازداد المصباح ضياء
وكلما ازداد الفرائض ظهورا ازداد المصباح نورا يهدى الله لنوره من يشاء فان الاسباب
دون مشيئته لاغية وارادته من غير سبب وعلة كافية ويضرب الله الامثال للناس ادنا
للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا فى مقام القياس ومرام الاستيناس والله بكل شئ
عليم عقليا او حسيا ظاهرا كان او خفيا وقال الحسين الله نور السموات والارض وهو نور النور
يهدى من يشاء بنوره الى قدرته وبقدرته الى غيبه وبغيبه الى قدمه وبقدمه الى ازله وابده وبازله
وابده الى وحدانيته لا اله الا الله هو المشهود شانه المعز سلطانه يزيد من يشاء علما بتوحيده
ووحدانيته وتنزيهه وصمدانيته واجلال مقامه وتعظيم ربوبيته قال الجرجانى الرجاء مثل نور
والخوف مثل نور والمحبة مثل نور فاذا اجتمعت فى قلب المؤمن يكون نور على نور يهدى الله لنوره
من يشاء يوصل الله الى هذه الانوار من نوره فى الازل بانوار قدسه واسرار انسه فيقبل هذه
الانوار التى فى الباطن على اداء الفرائض واجتناب المحارم فيصير المؤمن منورا بنور الله
واصلا اليه بتوحيده وقال جعفر بن محمد الانوار مختلف الاطوار اوله نور حفظ القلب ثم نور
الخوف ثم نور الرجاء ثم نور الحب ثم نور التفكر ثم نور اليقين ثم نور التذكير ثم نور النظر ثم نور
العلم ثم نور الحياء ثم نور حلاوة الايمان ثم نور الاسلام ثم نور الاحسان ثم نور النعماء ثم نور
القضاء ثم نور الالاء ثم نور الكرم ثم نور العطف ثم نور الغيب ثم نور الاحاطة ثم نور الهيبة
ثم نور الحيرة ثم نور الحيوة ثم نور الانس ثم نور الاستقامة ثم نور الاستكانة ثم نور الاطمانينة
ثم نور العظمة ثم نور الجلال ثم نور القدرة ثم نور الجذبة ثم نور القوة ثم نور الالوهية ثم نور الوحدانية
ثم نور الفردانية ثم نور الابدية ثم نور السرمدية ثم نور الديمومية ثم نور الازلية ثم نور البقائية
ثم نور الهوية ولكل واحد من هذه الانوار اهل وله حال ومحل فكلها من انوار الحق التى ذكرها الله
تعالى فى قوله الله نور السموات والارض ولكل عبد من عبيده مشرب من نور هذه الانوار
وربما كان حظه من نورين وثلاث واكثر ولم يتم هذه الانوار لاحد الا للمصطفى صلى الله عليه وسلم
فانه القائم مع الله تعالى بشرط تصحيح العبودية والمحبة فهو نور ومن ربه على نور هذا وقد افاد الاستاذ
انه سبحانه اراد بهذا نور قلب المؤمن وهو معرفته فشبه صدره بالمشكوة وشبه قلبه فى صدره بالقنديل
فى المشكوة وشبه معرفته بالمصباح فى القنديل وشبه القنديل الذى هو قلبه بالكوكب الدرى

وشبّه امداده لمعرفته بالزيت الصافي الذي السراج في الاشتعال ثم وصف الزيت
بانه على كمال ادراك زيتونه من غير نقصان اصابه او خلل مسّه ثم وصف ذلك الزيت في
صفوته بانه بحيث يكاد يضيء من غير ان يمسه نار ويقال ان ضرب المثل لمعرفة المؤمن بالزيت
اراد به شريعة المصطفى دينا حنيفا ما كان يهوديا وهم الذين قبلتهم الى جانب المغرب ولا نصرانيا
وهم الذين قبلتهم في ناحية المشرق وقوله نور على نور اي نور اكتسبوه بجهدهم بنظرهم واستدلالهم
ونور وجدوه بفضل الله كالبيان اضافة الى برهانهم وكالعيان اضافة الى بيانهم فهو نور على
نور ويقال اراد به قلب محمد صلى الله عليه وسلم ونور معرفته او قد نوره من شجرة مباركة وهي
ابراهيم عليه السلام وهو صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم عليه السلام وقوله لا شرقية بحيث
يصيبه الشمس بالعشي دون الغدوة ولا غربية بحيث تصيبها الشمس بالغدوة دون
العشي بل تصيبه الشمس طول النهار ليتم نضج زيتونه ويكمل صفاء زيته والاشارة فيه
انه لا يغلب خوف قلوبهم عن الرجاء فيقرب من اليأس ولا يغلب رجاؤهم عن الخوف
فيقرب من الامن بل هما يعتدلان فلا يغلب احدهما الآخر بتقابل هيبتهم وانسهم وقبضهم
وبسطهم وصحوهم ومحوهم وبقاؤهم وفناؤهم وقيامهم بآداب الشريعة والطريقة
وتحققهم بجوامع الحقيقة ويقال لا شرقية ولا غربية كذلك هممهم لا تسكن شرقيا ولا
غربيا ولا علويا ولا سفليا ولا جنيا ولا انسيا ولا عرشيا ولا كرسيا سطحت عن الاكوان
ولم تجد سبيلا الى حقيقة الرحمان لان الحق منزه عن اللحوق فبقيت عن الخلق
منفصلة وبالحق غير متصلة الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء ويقال نور
الطلب ثم موجبه وهو دوام الانزعاج فلا يذره يعرج في اوطان الكسل بل يحمل سيره
بسراه في استعمال فكره فالحق يمده بنور التوفيق وسر التحقيق حتى لا يصده من عوارض
الاجتهاد شيء من حب رياسة او ميل بسوء وهوا وعادة فاذا استفرغ جهده غفلته
واستمكن النظر من موضعه حصل العلم لا محالة ثم لا يزال يزداد يقينا على يقين فاذا
في معاملته من القبض والبسط والمكافاة في زيادة الكشف عند زيادة الجهد حصول
الوجد عند اداء الورد ثم بعده نور المعاملة ثم نور المنازلة ثم متوع نهار الوصلة وشمس
التوحيد مشرقة وليس في سماء اسرارهم سحاب وليس في هواء انوارهم ضباب
قال الله نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويقال نور المطالبة يحصل للقلب
في البداية فيحمل صاحبه على المحاسبة فاذا نظر في ديوانه وما اسلفه من عصيانه يحصل له
نور المعاتبة فيعود على نفسه بالملامة ويتجرع كاسات ندم الندامة فيرتقي عن هذا
باستدامة قصده والتنقي عما كان عليه في اوقات فترته فاذا استقام فيه كوشف
بنور المراقبة فيعلم دائما انه سبحانه مطلع عليه وحاضر لديه وناظر اليه وبعد هذا
نور المحاضرة وهي لوائح تبدو في السرائر وتظهر في الضمائر ثم بعد ذلك نور المكاشفة
وذلك بتجلي الصفات ثم بعده انوار المشاهدة فيصير ليله نهارا ونجومه اقمارا واقمارا

بدورا وبدوره شموسا ثم بعد هذا انوار التوحيد وعند ذلك تحقيق التجريد بخصائص اسرار
التفريد ثم ما لا يتناوله عبارة ولا يدركه اشارة فاللسان خرس والشواهد طمس وشهود
الغير في المحال عند ذلك من المحال فعند ذلك اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت
واذا العشار عطلت واذا السماء انشقت وانفطرت وهذه كلها اقسام الكون
وما من العدم لهم صار الى العدم القائم عنهم غيرهم والكائن عنهم سواهم جلت الاحدية وعزت
الصمدية وتقدست الديمومية وتنزهت الالوهية وروي عن ابي منصور الماتريدي ان الاسلام
معرفة تكاليف الاحكام ومحله الصدر لقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على
نور من ربه والايمان معرفة بالله من جهة ذاته وصفاته ومحله القلب لقوله سبحانه وزينه
في قلوبهم والقلب داخل الصدر والمعرفة محلها السر وهو داخل الفؤاد وهذا هو المعنى
المراد في قوله تعالى مثل نوره كمشكوة فيها مصباح الآية فانه جعل الصدر بمنزلة
المشكوة والقلب بمنزلة الزجاجة والفؤاد بمنزلة المصباح والسر بمنزلة الشجرة
وداخل السر وهو الثمرة موضع خفي هو موضع نور الهداية ولا صنع فيه للعبد لا في البداية
ولا في النهاية الا ان الله سبحانه اذا اراد ان يهدي عبده بلطفه الوفي الخفي نور الهداية
في الخفي فيتلالأ في ظهور النور الجلي وهو معنى قوله نور على نور ثم يتلالأ النور الى السر
على وجه السرور فيقوم للعبد فعل التوحيد في غاية من الظهور ولا يسكن ذلك النور
حتى يتلالأ في الفؤاد فيقوم له فعل المعرفة فيصير عارفا بالله وصفاته ثم يتلالأ ذلك
النور في القلب فيقوم له فعل الايمان ثم يتلالأ في الصدر فيقوم له فعل الاسلام ثم ينتشر
ذلك النور الى جميع الاعضاء وكل الاجزاء فيتقاضى العبد باجتناب الزواجر وارتكاب
الاوامر فيكون مؤمنا كاملا عاملا في بيوت متعلق بيوقد فيكون تمثيلا لابدانهم بالمساجد
وتشبيها لقلوبهم المعلقة بتلك المشاهد اذن الله ان ترفع بالتعظيم والتكريم ويذكر فيها
اسمه ولو على وجه التعلم والتعليم من المذاكرة فيما يتعلق بذاته وصفاته والمباحثة في
احكام عباداته وتحقيق مصنوعاته قال بعضهم برفع الحوائج الى الله وقال ابو عثمان
اذا دخلت المسجد فارفع عن قلبك كل همة سوى الله فان الله تعالى خص به الرفع
والذكر وقال بعضهم ترفع الحوائج من القلوب وتشتغل القلوب بذكر علام الغيوب
فانه عليه السلام قال حاكيا عن ربه من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي
السائلين واراد الاستاذ ان المساجد بيوته سبحانه وان الله اذن ان ترفع الحوائج
فيها الى الله فيقضيها ورفع اقدار تلك البيوت على غيرها من الابنية والآثار والمساجد
بيوت العبادة والقلوب بيوت الارادة فالعابد يصل بعبادته الى ثواب الله
والقاصد يصل بارادته الى الله ويقال القلوب بيوت المعرفة والارواح مشاهد
المحبة والاسرار محال المشاهدة يسبح له فيها بالغدو والآصال ينزهونه فيها على دوام
الاوقات او يصلون فيها بالغدوات والعشيات رجال لهم كمال وبرهم

وصال وقرأ ابن عامر وابو بكر يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلاثة ورفع
رجال بما يدل عليه من نحو يسبح لا تلهيهم تجارة ولا بيع لا تشغلهم معاملة من بيع وشراء ونحوها
عن ذكر الله من بيان ذاته وصفاته وغيرهما واقام الصلوة وايتاء الزكوة وامثالهما
وقال الاستاذ لم يقل لا يتجرون ولا يبيعون ولا يشترون بل قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله فان امكن الجمع بينهما فلا بأس ولكنه كالمتعذر الا على الاكابر الذين يجرى عليهم
الامور وهم عنها مأخوذون ويقال هم الذين يؤثرون حقوق الحق على حظوظ النفس ويقال
اذا سمعوا صوت المؤذن حى على الصلوة تركوا ما هم فيه من التجارة والبيع وقاموا الى اداء حقه ويقال
هم الخواص والاكابر الذين لا يشغلهم قوله هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم عن التحقق بذكره
من غير ملاحظة عوض او مطالعة سبب وغرض يخافون اى مع ما هم عليه من الطاعات والاذكار
يوما تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب من اهوالها او تتقلب احوالها فتفقه القلوب
حينئذ ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تبصر او تتقلب القلوب بين توقع النجاة والثواب
وخوف الهلاك والعقاب والابصار من اى ناحية يؤتى كتابهم او يؤخذ بهم من جهة حسابهم
قال الحسين اذا علمت انه تتقلب القلوب والابصار فليكن شغلك فى النظر الى فعله فيك
وتوقى الخلاف والغفلة عنك وقال الاستاذ اقوام ذلك اليوم مؤجلهم وآخرون ذلك معجل لهم
وهو ما هم فيه من الاوقات فان حقيقة الخوف ترقب العقوبات مع مجارى الانفاس
وتمر الساعات ليجزيهم الله متعلق بيسبح او يخافون وقيل لام العاقبة احسن ما عملوا احسن
جزاء اعمالهم الموعود لهم من الجنة بمقتضى عدله ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم
على اعمالهم ولم يخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب فى العطية والمنة وهو
تقرير للزيادة وتنبيه على سعة القدرة ونفاذ المشية وافاد الاستاذ ان رفع الحساب
من الوسط يرفع معه الحساب فى القسط ومن هو فى اسر مطالبته فالوزن يومئذ الحق
لمن ثقلت موزونات عباداته وخفت موازين طاعاته والرزق بغير حساب فى ارزاق
الارواح ومحصور ومعدود فى ارزاق الاشباح لان ارزاق الاشباح من وجود افضال و
نوال وما حصره الوجود من الحوادث فلا بد من ان يأتى عليه العدد ويقال له بالتمام والارواح
مكاشفة بشهود الجمال والجلال وذلك على الدوام والذين كفروا اعمالهم التى يحسبونها صالحة
نافعة يجدونها لاغية فى العاقبة كسراب بقيعة اى ارض مستوية والمعنى كشئ يرى
فى الفلاة من لمعان الشمس عليها فيظن انه ماء يسرب اى يجرى فيها يحسبه الظمآن ماء وتخصيص
العطشان بالذكر لتشبيه الكافر به فى شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه
ماء لم يجده شيئا مما ظنه ماء وهو ابلغ من تشبيه عمله بالهباء فانه فى الجملة له صورة فى الهواء
ووجد الله اى عقابه او وجده محاسبا اياه فوفاه الله حسابه ووافاه عذابه والله سريع
الحساب لا يشغله حساب عن حساب لعنه الارادة او سريع المجازاة وقت المشية وافاد الاستاذ
ان من امل السراب شرابا لم يلبث الا قليلا حتى يعلم انه كان تخيلا فالعطش يزداد والروح بلا

للخروج

للخروج اركانه وقد قال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقال يحسبون انهم على
شئ او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لا منفعة لها كسراب لها
لمعات ولكونها خالية عن نور الايمان كظلمات متراكمة او للتنويع فان اعمالهم ان كانت
حسنة فسراب وان كانت قبيحة فظلمات او للتقسيم فانها فى الدنيا كسراب وفى
العقبى كظلمات فى بحر لجى ذى لج عميق يغشاه يغطى البحر موج من فوقه موج امواج
مترادفة وافواج متراكمة من فوقه فوق الموج الثانى سحاب يغطى النجوم وصار لانوارها
حجاب ظلمات اى هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على
ابدالها من الاولى بناء على رواية قنبل بتنوين سحاب وباضافة السحاب اليها بناء
على رواية البزى اذا اخرج يده وهى اقرب ما يرى عنده لم يكد يراها لم يقرب ان يراها
فضلا من ان يراها والضمائر فى اخرج وما بعده للواقع فى البحر وان لم يجر ذكره فى المبنى
لدلالة المعنى وافاد الاستاذ ان ظلمات الحسبان وغيوم التفرقة وليالى الحجب وحنادس
الشك اذا اجتمع فلا سراج لصاحبه ولا نجوم ولا اقمار ولا شموس فى حصول النيل فالويل
كل الويل ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور من لم يقدر له الهداية من البداية فما له من
نور توفيق فى النهاية وظهور تحقيق من عين العناية بخلاف الموفق الذى له نور على
ما سبق له من زيادة الحسنى ووقاية الرعاية وقد ورد ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم
رش عليهم من نوره فمن اصابه فقد اهتدى ومن اخطاه فقد اعتدى وقال القاسم من
لم يجعل الله له نورا وقت القسمة فما له من نور وقت الخلقة وسئل الواسطى ما علامته
قال كل من نوره اقوى كانت يقظته ادوم وابقى ومن كان نوره اضعف وادنى
كان ذكره مرة وغفلته اخرى وقال ايضا ان الله تعالى لا يقرب فقيرا لاجل فقره
ولا يبعد غنيا لاجل غناه وليس للاغراض عنده خطر حتى بها يصل وبها يقطع فلو بذلت
الدنيا والآخرة ما وصلك به ولو اخذتهما كلهما ما قطعك به قرب من قرب بغير علة وبعد
من بعد بغير علة كما قال ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وتوضيحه ما افاد الاستاذ بقوله
اذا لم يسبق للعبد نور القسمة ولم يساعده تعلق الرحمة فجهده وكده وسعيه وجده عقيم من
ثمراته وليس من نيل بركاته والبدايات غالبة للنهايات فالقبول لاهله غير مجتلب
والرد لاهله غير مكتسب سعد من سعد بالسعادة علمه فى ازله واراد كون ما علم انه منها يكون
واخبر ان ذلك كذلك يكون ثم اجرى ذلك على ما اخبر واراد وعلم وهكذا القول فى الشقاوة
وليس لافعاله علة ولا يتوجه عليه لاحد حجة كما قال تعالى قل فلله الحجة البالغة الم تر اى
الم تعلم بالوحى او الاستدلال علما يشبه المشاهدة فى اليقين والوثاقة ان الله يسبح له
من فى السموات والارض بتنزيه ذاته وتقديس صفاته جميع مصنوعاته من علوياته
وسفلياته بما يدل عليه من مقال او يشير اليه دلالة حال. ففى كل شئ له شاهد. دليل على انه واحد
وفيه تغليب العقلاء او هو من باب الاكتفاء او الاستغناء والطير خص لما فيها من الصنع

الظاهر والدليل الباهر ولذا قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به
تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة
على كمال قدرته ولطف تدبيره وحكمته كل كل واحد مما ذكر قد علم صلاته وتسبيحه اى علم الله دعاءه
وتنزيهه طوعا واختيارا بلسان القال او طبعا واضطرارا ببيان الحال او علم كل دعاء ربه
وتنزيهه اللائق به في مقام الاجمال والله عليم بما يفعلون بتفصيل الافعال وافاد الاستاذ
ان التسبيح على قسمين تسبيح قول ونطق وتسبيح دلالة وخلق فتسبيح الخلق عام في كل مخلوق
وعين واثر وتسبيح النطق خاص بالحيوانات ثم هو خاص بالعقلاء ثم هو بعد الحكم قسمان
صادر عن بصيرة وحاصل من غير بصيرة فالذى قرينة البصيرة مقبول ومقصود والذى تجرد
عن المعرفة مردود ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات
والافعال والى الله المصير مرجع الكل في جميع الاحوال وافاد الاستاذ الملك مبالغة من الملك
والملك القدرة على الايجاد فالمقدورات قبل وجودها للحق مملوكة وكذلك في حال حدوثها
وبعد عدمها عائدة الى ما كانت عليه فملكه الذى لا يحدث ولا يزول ولا يؤول شئ منه الى
البطول الم تر ان الله يزجى يسوق سحابا ثم يؤلف بينه بضم بين اجزائه ثم يجعله ركاما
متراكما بعضه فوق بعضه فترى الودق المطر يخرج من خلاله وسطه وينزل اى ذلك
الماء مبتدئا من السماء من جبال فيها بدل منها من برد بيان للجبال وعن السلف ان
المراد من السماء المظلة وفيها جبال من برد كما في الارض جبال من حجر وليس في العقل قاطع
يمنعه ولا في النقل مانع يدفعه فهو اولى من قول بعض الخلف ان المراد من السماء السحاب
ومن الجبال قطع عظام منها تشبه الجبال في عظمها وجودها فيصيب به بالماء النازل من السماء من يشاء
ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه اى لمعانه يذهب بالابصار بابصار النظار من فرط
الاضاءة بالابصار يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما وبنقص احدهما وتغيير
احوالهما بالحر والبرد والنور والظلمة وامثالهما ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار
اى لدلالة على وجود الصانع القديم واحاطة علمه الكريم وكمال قدرته ونفاذ مشيته على وفق
حكمته قال الواسطى ما خالفه احد قط ولا وافقه وكلهم مغلوبون في قدرته ومقلبون تحت
مشيته وانى يكون الوفاق والخلاف لهم وهو يقلب الليل والنهار بما فيهما منهم وهو قائم
على الاشياء كلها وبالاشياء جميعها في تقلبها وفنائها لا يؤنسه وجود ولا يوحشه فقد
بل لا وجد ولا فقد انما هى رسوم تحت الرسوم وافاد الاستاذ انه سبحانه تعرف الى القلوب
العقلاء بدلالات صنعه في بدائع حكمته وما يدل منها على كمال قدرته وشمول علمه وحكمته ونفوذ
ارادته ومشيته فمن انعم النظر وصل الى برد اليقين ومن اعرض بقى في وهدة الجهل وظلمة الجحد
وشبهة التخمين ترتفع بقدرته بخارات البحر فتصعد بتيسيره وتقديره الى الهواء وهو
السحاب ثم يديره الى سمت يريده ان ينزل به المطر ثم ينزل ما في السحاب من ماء البحر قطرة
ويكون الماء حين فصل في بخارات البحر غير عذب فيقلبه عذبا وسحه السحاب سكبا فيصل الى كل

موضع قدرا يكون له مرادا معلوما لا يجد من المخلوقين ويمسكه في الموضع الذى عليه ينزل له
ولا بالحيلة يستنزل على المكان الذى لا يمطره يقلب الله الليل والنهار وكذلك جميع الاغيار من
الرسوم والآثار وذلك تقدير العزيز العليم والله خلق كل دابة حيوان تدب على الارض وقرأ
حمزة والكسائى خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادة او ماء مخصوص النطفة فهو
باعتبار الغلبة ان صح وجود حيوان بلا نطفة فمنهم من يمشى على بطنه كالحية وسمى الزحف
مشيا بالرجل على الاستعارة للمشاكلة ومنهم من يمشى على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشى
على اربع كالنعم والوحش وقرئ ومنهم من يمشى على اكثر واليه الايماء بقوله يخلق الله
ما يشاء ونظيره جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء
كجبريل عليه السلام فان له ستمائة جناح واما ما قيل من انه يندرج فيه ماله اكثر من اربع كالعناكب
فان اعتمادها اذا مشت على اربع فيحتاج الى دليل صحيح نقلا او صريح عقلا ان الله على كل شئ قدير
وفي كل شئ له حكمة وتدبير وافاد الاستاذ انه سبحانه يريد خلق كل حيوان من ماء من صلب الاب
وترائب الام ثم اجزاء الماء متشاكلة متشابهة متماثلة ثم ينقسم الى جوارح في الظاهر
وجوارح في الباطن فيختص كل عضو وينفرد كل شئ بنوع من الهيئة والصورة وضرب من
الشكل والبنية ثم اختلاف هيئات الحيوانات في الريش والصوف والوبر والظفر والحافر
والمخلب ثم في القامة والمنظر ثم انقسام ذلك الى لحم وشحم وجلد وعظم وسن وظفر ومخ وعصب
وعرق وشعر والنظر في هذا بعين العبرة يوجب قوة التحصيل والبصيرة لقد انزلنا آيات
مبينات واضحات للانام وموضحات للاحكام والله يهدى من يشاء بالتوفيق للنظر
في مبانيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق
والفوز بدار السلام قال ابو سعيد القرشى في صفة المريد والمراد خرجت الهداية من المشية
وافاد الاستاذ ان الآيات بينات ولكن الله يهدى قوما اليها ويعرف آخرين عنها والذى سد
بصره ولبس نظره فاينفعه طلوع شمس في نهاره او سطوع قمر في ليله كذلك الذى سدت عين
بصيرته اى ينفعه شواهد العلوم ودلائل الفهوم وقالوا في معناه ٭ وما انتفاع اخى الدنيا بمقلته
اذا استوى عنده الانوار والظلم ٭ ويقولون اى المنافقون آمنا بالله وبالرسول واطعنا
كلا منهما او كلام رسوله لانه في حكمه ثم يتولى بالامتناع عن قبول قضائه واطاعة امره
فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا لك وما اولئك بالمؤمنين اى الثابتين او المخلصين
حيث آمنوا بلسانهم ولم يصدقوا بجنانهم كما يدل عليه عدم اذعانهم وقال الاستاذ يستسلمون له
في الظاهر ويقرون باللسان ثم المخلص يبقى على صدقه والذى قال لخوف سيف المسلمين او لغرض له
آخر من اغراض المفسدين يتولى بعد ذلك ينحاز الى جانب الكفر هنالك واذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم كتابه وبنبيه ليحكم المدعو اليه اذا فريق منهم معرضون فاجاؤا الاعراض فريق
منهم اذا كان الحق عليهم وان يكن لهم الحق اى الحكم يأتوا اليه مذعنين منقادين أفي
قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان رأوا تهمة منك فزالت ثقتهم ويقينهم

لك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة بينهم بل اولئك هم الظالمون
الكاملون في الظلم والعدوان والنفاق والكفران وافاد الاسناد انهم علموا ان انصافهم
في حكمه بينهم فمن علم انه قاسط في خصومته لم تطب نفسه بحكومته وكذلك المرتاب يهرب من الحق
ويجتهد في الفرار الى الخلق قال تعالى وان لم يكن الحق ياتوا اليه مذعنين يميلون مع الهوى
ولا يقبلون حكمه ايانا وكذلك الذي هو مريض يتميل بين الصحة والسقم وارباب النفاق
مترددون بين الشك والعلم فلا انهم نفي بالقطع ولا اثبات العلم منطوحون في
اودية الشك والوهم انما كان قول المؤمنين اي المخلصين الموقنين اذا دعوا الى الله
ورسوله ليحكم بينهم اي سواء لهم او عليهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون وافاد الاسناد
انهم الصادقون في الحقيقة السالكون الطريقة الآخذون بالوثيقة ومن يطع الله ورسوله
فيما يامر انه من فرائض الله وسنن نبيه ويخش الله على ما صدر عنه من مخالفة امره ويتقه فيما بقي
من عمره فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه
واظهار لثبات ايمانهم لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم والبروز الى القتال
من اعدائهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية والمبنى دون اللفظ والمعنى قل لا تقسموا
على الكذب والمخالفة طاعة معروفة منكم غير منكرة عندكم او المطلوب منكم طاعة اجابية معروفة
لا طاعة نفاقية منكرة ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم ولا ضمائركم قل لهم على
لساننا اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا اي عرضوا ولم يقبلوا فانما عليه على الرسول
ما حمل من تبليغ الارسال وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه في حكمه تهتدوا الى طريق
وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لامر الدين وقد ادى ما حمل عليه وانما بقي ما حملتم
فان اديتم فلكم نفعكم وان توليتم فعليكم ضركم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
خطاب للرسول والامة من للتبعيض اوله ولمن معه من للتبيين والمفعول محذوف دل عليه
قوله ليستخلفنهم في الارض والله ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في
ممالكهم بالطول والعرض كما استخلف الذين من قبلهم كبني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام
بعد هلاك عدوهم وقراء ابو بكر بصيغة المجهول وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم
وهو الاسلام بتقويتهم وتثبيتهم وليبدلنهم وقراء ابن كثير وابو بكر بالتخفيف من بعد
خوفهم من اعدائهم امنا منهم ومن بلائهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة لائذين وكانوا يصبحون في السلاح
ويمسون في السلاح حتى انجز الله وعده ونصر عبده واظهرهم على العرب كلهم وفتح بلاد الشرق
والغرب لهم وفيه دليل على صحة نبوة رسوله من الاخبار عن الغيب على ما هو به وعلى صحة خلافة
الراشدين بعده اذ لم يجتمع الموعود من الاستخلاف والتمكين والامنية والموعود عليه من
الايمان والاعمال الصالحة لغيرهم باجماع الامة واتفاق الائمة ولا عبرة بمنازعة اهل البدعة
وقيل الخوف العذاب في الدنيا والامن منه في العقبى يعبدونني استيناف لبيان حالهم

لا يشركون بي

لا يشركون بي شيئا حال من ضميرهم ومن كفر بالردة او كفران النعمة بعد ذلك الوعد بالمنة
فاولئك هم الفاسقون الخارجون عن الدين بالكلية حيث كفروا تلك النعمة
العلية بعد ظهور الآيات الجلية واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول في سائر
ما امركم به من امر الشريعة والمعنى وداوموا على سلوك هذه الطريقة لعلكم ترحمون بالوصول
الى مراتب الحقيقة وافاد الاسناد ان وعد الله حق وكلامه صدق والآية دالة على صحة امامة
الخلفاء الاربعة لانه بالاجماع الى يومنا هذا لم يتقدمهم احد في الفضيلة وما بعدهم مختلف
فيهم بين الامة فاولئك مقطوع بامامتهم وصدق وعد الله في حقهم وهم على الدين المرضي من
قبل الله فيهم ولقد امنوا بعد خوفهم وقاموا بسياسة المسلمين خالتهم اجماعهم والذب
عن حوزة الاسلام احسن قيام لهم وفي الآية اشارة الى ائمة الدين الذين هم اركان الملة
ودعائم الاسلام الناصحون لعباده الهادون لمن يسترشد في انقاذ الخلق في امر المسلمين
من الولاة الظلمة ضرره مقصور على ما يتعلق باحكام الدنيا واما حفاظ الدين فهم الائمة
من العلماء الناصحين لدين الله المبين وهم اصناف فقوم هم حفاظ الكتاب والسنة
وهم بمنزلة الخزنة وقوم هم علماء الاصول الرادون على اهل العناد واصحاب البدعة بواضح
الادلة وهم بطالة الاسلام وشجعان الديانة وقوم هم الفقهاء المرجوع اليهم في علوم
الشريعة من حقيقة العبادات وكيفية المعاملات وما يتعلق باحكام المصاهرات
وما في معناها من الايمان والنذور والدعاوي وفصل الحكم في المنازعات وهم في الدين
بمنزلة الوكلاء والمتصرفين في الملك من الامراء وآخرون هم اهل المعرفة واصحاب الحقائق
وهم في الدين كخواص الملك واعيان مجلس السلطان وارباب الاسرار الذين لا يبرحون
عن ذلك المكان فالدين معمور بهؤلاء الائمة على اختلافهم الى يوم القيامة لا تحسبن بالخطاب او
انها الحاسب الذين كفروا وقراء ابن عامر وحمزة بالغيبة اي لا يحسبنهم حاسب
او لا يحاسبوا انفسهم معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم في الارض من الطول والعرض
وماويهم النار اي مثوى الكفار ولبئس المصير ماويهم الذين يصيرون الى النار وافاد
الاسناد ان الباطل قد يكون له جولة ولكنه تخيل وانما لذلك بقاء قليل كعارض ينشأ
في الغيظ ويعقبه تحويل يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم من العبيد
المراهقين والذين لم يبلغوا الحلم منكم اي من احرار المسلمين ثلاث مرات في يوم وليلة
من اوقات مدة من قبل صلوة الفجر لانه زمان تكشف العورات وحين تضعون
للقيلولة ثيابكم التي لليقظة من الظهيرة بيان للحين وهو قبيل وقت الظهر ومن بعد
صلوة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف ثلاث عورات لكم
اي هي ثلاث اوقات يختل فيه تستركم وقراء حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من
ثلاث مرات والمعنى اوقات ثلاث عورات او ثلاث اوقات عورات ليس عليكم
ولا عليهم جناح في ترك الاستيذان بعدهن بعد هذه الاوقات طوافون عليكم اي هم طوافون

والحلا استيناف مبنية للعذر المرخص وترك الاستيذان سائر الاوقات وهو الحرج
وكثرة المداخلة بعضكم طائف على بعض تاكيد لما قبله كذلك يبين الله لكم الآيات اى
الاحكام المبينات والله عليم باحوالكم حكيم فيما شرع لكم من اعمالكم روى ان غلام اسماء
بنت ابى مرشد دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصارى وكان غلاما وقت الظهر ليدعو عمر رضى الله عنه فدخل وهو
نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رض لوددت ان الله عز وجل نهى اباءنا وابناءنا
وخدمنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبى صلى الله
عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية واذا بلغ الاطفال منكم الحلم من الاحرار
والعبيد فليستاذنوا فى جميع الاوقات كما استاذن الذين بلغوا من قبلهم وفيه دلالة
على وجوب استيذان العبد البالغ على سيدته كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم
بمخلوقاته حكيم فى مصنوعاته كرر تاكيدا ومبالغة فى الامر بالاستيذان فى اوقاته والقواعد
من النساء وهى العجائز التى قعدن عن الحيض والحمل اللاتى لا يرجون نكاحا لا يطمعن
فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اى الثياب الظاهرة لهن كالجلباب
لوجههن غير متبرجات بزينة غير مظهرات لزينة مما امرن باخفائهن فى قوله ولا يبدين
وان يستعففن خير لهن من ابدائهن لانه ابعد من التهمة لهن والله سميع لمقالتهن مع
الرجال عليم بمقصودهن فى جميع الاحوال وافاد الاستاد انه سبحانه صبغ الامر من
وجه ووسع من وجه فامر بمراعاة الاحتياط وحسن السياسة لاحكام الدين
ومراعاة حرم المسلمين والتحرز عن مخاوف الفتنة وسلطان الشهوة واذا سهلت
تلك الثائرة سهل الامر وابيحت الرخص وامنت الفتنة ليس على الاعمى حرج ولا على
الاعرج حرج ولا على المريض حرج يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم
او اكلهم من بيت من يدفع المفتاح اليهم ويبيح التبسط فيه لهم اذا خرج للغزو
ونحوه مخافة ان لا يكون ذلك من طيب قلب فان الحكم بالظاهر والله اعلم بالسرائر ولا على
انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم اى بيوت اولادكم لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك
رواه ابن ماجه وقوله عليه السلام ان اطيب ما ياكل الرجل من كسبه وان ولده
من كسبه رواه الشيخان او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت
اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم
مفاتحه من بيوت مماليككم او صديقكم بيوت اصدقائكم فانهم ارضى بالتبسط
فى اموالهم واسر به فى احوالهم وهذا كله اذا علم رضاهم باذن او قرينة دالة لهم لذا
خص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم قال ابو عثمان الصديق من لا يخالف باطنه باطنك
كما لا يخالف ظاهره ظاهرك اذ ذاك محل الانبساط بينه وبينك وقال الاستاد اذا جاءت
الاعذار سهل الامتحان والاختبار واذا حصلت القربة سقطت الحشمة واذا صدقت الوداد

استغنت

استغنت الاجنبية والوقفة واذا اتفقت هذه الشروط صحت المباسطة فى الارتفاق
بشهادة هذه الآية ثم قال او صديقكم وعزيز من يصدق فى الصداقة فيكون فى الباطن
كما يرى فى الظاهر ولا يكون فى الوجه كالمرآة ومن ورائك كالمقراض وفى معناه قلت •
من لى بمن يثق الفؤاد بوده • واذا ترحل لم يزغ عن عهده • يا بؤس نفسى من اخ لى باذل
حسن الوفاء بوعده لا نقده • يولى الصفاء بنطقه لا خلقه • ويدس صابا فى حلاوة شهده •
فلسانه يبدى جواهر عقده • وجنانه تغلى مراجل حقده • لاهم انى لا اطيق مراسه • بك استعيذ
من الحسود وكيده • فقوله او صديقكم من تؤمن منه هذه الخصال وامثالها من الاحوال ليس عليكم جناح
ان تاكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين نزلت فى بنى ليث بن عمرو بن كنانة كانوا
يتحرجون ان ياكل الرجل وحده او فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا معه
او فى قوم يتحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطعام فى النهمة والنفرة فاذا دخلتم بيوتا
فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة وصداقة تحية من عند الله ثابتة
بامره مشروعة بحكمه مباركة لانها يرجى بها افادة المحبة وزيادة المثوبة طيبة تطيب به
النفس المتكلمة والمستمعة وعنه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتى فسلم عليه يطل
عمرك واذا دخلت على اهل بيتك فسلم عليهم يكثر خيرك واذا لم يكن فى البيت احد
فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحات وافاد الاستاد ان السلام الامان وسبيل
المؤمن اذا دخل بيتا ان يسلم من الله على نفسه ان يطلب الامان والسلامة من الله لنفسه
لتسلم نفسه من الاقدام على ما لا يرضاه الله من الفعل والكلام اذ لا يحل لمسلم ان يفتر لحظة
من الاستجارة بالله بل لا يرفع عنه ظل عصمته بادامة حفظه عن الانصاف بمكروه فى ذريعة
كذلك يبين الله لكم الآيات بتكريرها المرات وتفصيلها الكرات لعلكم تعقلون
طرق الخيرات وسبل المبرات انما المؤمنون الكاملون الذين آمنوا بالله ورسوله
جمعا بين لسانهم وجنانهم واذا كانوا معه على امر جامع لبيان شانهم كالجمعة والاعياد
والمشاورة فى نحو الجهاد لم يذهبوا عنه ولم يتركوه حتى يستاذنوه ان الذين يستاذنونك
اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وهذا اذا كان الاستيذان عن عذر لهم فى حضور ذلك
الشان فلا ينافى قوله تعالى لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر فانه محمول
على استيذانهم بغير عذر فى شانهم فاذا استاذنوك لبعض شانهم ما يعرض لهم من امر
يهمهم فاذن لمن شئت منهم من علمت ان له عذرا لقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت
لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين واستغفر لهم الله فان الاستيذان
ولو لعذر ما يخلو عن نوع قصور لا سيما اذا كان تقديم لامر الدنيا على امر العقبى ان الله
غفور بالعباد رحيم بالعباد وفى تفسير السلمى قيل لابى عثمان اوصنا قال عليكم بالاجتماع
على الدين واياكم ومخالفة الاكابر من العلماء العاملين والدخول فى شىء من الطاعات
الا باذنهم ومشورتهم وواسوا المحتاجين بما امكنكم ارجو ان لا يضيع سعيكم وافاد الاستاد

ان شرط الاتباع موافقة المتبوعين وان لا يتفرقوا فيصيروا احزابا كما قاله تعالى تحسبهم
جميعا وقلوبهم شتى والعلماء ورثة الانبياء والمريدون لشيوخهم كالامة لنبيهم فشرط
المريد ان لا يتنفس الا باذن شيخه ومن خالف شيخه في نفس سرا وجهرا فسيرى غبه في غير نجم
سريعا ومخالفة الشيوخ فيما يسترونه منهم اشد مما يكابرونه بالجهر كثيرا لان هذا
يلحق بالخيانة ومن خالف شيخه لا يشم رائحة الصدق فان ندر منه شيء من ذلك فعليه
بسرعة الاعتذار والافصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه الى ما فيه كفارة
جرمه ويلزم في الغرامة بما يحكم عليه به واذا رجع المريد الى شيخه بالصدق في توبته وجب على
شيخه جبران تقصيره بهمته فان المريدين عيال على الشيوخ فرض عليهم ان ينفقوا
لهم من قوة احوالهم ما يكون جبرانا لتقصيرهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا لا تجعلوا نداءه كنداء غيره باسمه ورفع الصوت به ومن وراء بابه
من حجرات نسائه قال ابن عطاء لا تخاطبوه بخطابه ولا تدعوه باسمه واتبعوا آداب الله
فيه بدعائه في كلامه بقوله يا ايها النبي ويا ايها الرسول وقال جعفر الحرمات يتبع
بعضها بعضا فمن ضيع حرمة الخلق ضيع حرمة المؤمنين ومن ضيع حرمة المؤمنين
ضيع حرمة الاولياء ومن ضيع حرمة الاولياء ضيع حرمة الانبياء ومن ضيع حرمة
الانبياء ضيع حرمة الله كلها ومن ضيع حرمة الله فقد دخل ديوان الاشقياء
فافضل الاخلاق حفظ الحرمات ومن اسقط عن قلبه الحرمات تهاون بالفرائض
والواجبات قلت والى هذا المعنى يشير قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو
خير له عند ربه وقال الاستاد عظموه في الخطاب واحفظوه في خدمة الادب
وعانقوا طاعته ووافقوا هيبته قد يعلم الله الذين يتسللون منكم يتسللون
قليلا قليلا من جماعتكم لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض في
مفارقتكم فليحذر الذين يخالفون عن امره يعرضون عن طاعته او يذهبون
سمتا خلاف سمته والضمير في امره الى الله او رسوله ان تصيبهم فتنة
محنة في الدنيا او عذاب اليم في العقبى قال ابو سعيد الخراز الفتنة اسباغ
النعم مع استدراج العبد من حيث لا يعلم وقال جنيد الفتنة انكاس القلب حتى
لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا وقال النوري الفتنة هو الاشتغال بشيء سوى الحق
وقال رويم الفتنة للعوام والبلاء للخواص وقال ابو طاهر الفتنة ما خذ بها والبلاء
معفو عنه ومثاب عليه الا ان لله ما في السموات والارض ملكا وملكا قد يعلم ما انتم
عليه من المخالفة والموافقة ويوم يرجعون اليه للجزاء على وفق المحاسبة فينبئهم
بما عملوا فيعلمهم باعمالهم على وفق مراتب احوالهم والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه
خافية من آجالهم وآمالهم

سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم بسمه نزول البركة وحلول الحركة وبرحمته وصول النعمة

وحصول الجنة

وحصول الجنة وقال الاستاذ بسم الله اسم عزيز عرف بفعل قدرته اسم كريم
شهد بفضله نصرته اسم عزيز عرفه العقلاء بدلالة افعاله وعرفه الاصفياء بالمكاشفة
بجلاله وجماله فبلطف جلاله عرفوا وجوده وبكشف جماله عرفوا جوده بسم الله اسم
عزيز من دعاه لباه ومن توكل عليه كفاه ومن توسل اليه اكرمه واواه ومن تنصل
اليه رحمه وادناه ومن شكا اليه شكاه ومن ساله حوله واعطاه تبارك الذي
نزل الفرقان تكاثر خيره وتواتر بره ودام انعامه وتم اكرامه بانزال القرآن
سمت الفرقان على عبده القائم بوظيفة عهده الذي اكرمه وفضله والى الخلق ارسله
وبين معجزته بالقرآن الذي عليه نزله وقال بعضهم تبارك اي تعالى الحق عن ادراك
الخلق ليكون هو سبحانه او كتابه او عبده للعالمين من الجن والانس نذيرا
وللعالمين من اهل الايمان والانس بشيرا فهو منذر للعاصين بالحرقة والفرقة
في دار البوار ومبشر للمطيعين بالوصلة والقربة في دار القرار قال سهل خص محمد
صلى الله عليه وسلم بانزال القرآن ليفرق به بين الحق والباطل والولي والعدو
والقريب والبعيد والطاعة والعصيان والعدل والعدوان والاحسان والطغيان
الذي له ملك السموات والارض خلقا وملكا قال النصرابادي له الملك فمن اشتغل
بالملك فاته الملك ومن اشتغل بالملك حصل له الملك والملك ولم يتخذ ولدا كزعم عوام
اليهود والنصارى وبعض كفار مكة ولم يكن له شريك في الملك كقول الثنوية وخلق
كل شيء اوجده واظهره تدبيرا فقدره تقديرا لا يتصور تغييرا وافاد الاهاد انه سبحانه
تفرد بالملك فلا شريك يساهمه وتوحد بالجلال فلا نظير يقاسمه فهو الواحد بلا قسيم
في ذاته ولا شريك في مخلوقاته ولا شبيه في ذاته وصفاته واتخذوا من دونه
اي من غير خالقهم آلهة اي اصناما سموها الهة لا يخلقون شيئا لا يقدرون
ان يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وهم يخلقون حيث خلقهم الله ابتداء ونحتهم
وصورهم عبدتهم انتهاء ولا يملكون لا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر
كنحت الفاس ولا نفعا جلب نفع لمن يعبدهم من الناس ولا يملكون
لغيرهم موتا ولا حيوة ولا نشورا اماتة واحياء ولا بعثا وجزاء وقال الاهاد
لا يملكون قطميرا ولا يخلقون نقيرا ولا يدفعون عنهم كثيرا ولا يسيرا ولا ينفعونهم
فيستهلون عسيرا وقال الذين كفروا ان هذا القرآن الا افك كذب وبهتان افتريه
اختلقه من تلقاء نفسه وادعاه انه من عند ربه واعانه قوم آخرون من اليهود
اوجبر ويسار وعداس كما سبق في قوله انما يعلمه فقد جاءوا فعلوا ظلما في اشراكهم
له سبحانه مخلوقا عاجزا لحقا وزورا بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا ملفقا وقالوا
اساطير الاولين ما سطره المتقدمون اكتتبها استكتبها فهي تملى عليه بكرة
واصيلا ليحفظها قليلا قليلا واهاد الاهاد انهم ظنوه كما كانوا وكانهم بامثالهم

استعانوا فيما عجزوا عنه من امورهم واستخدموا الامثالهم واستكانوا فقالوا من غير حجاج وتقويل فلم يكن لقولهم تحصيل وان اساطير الاولين ترهاتهم التي لا يدرى لا تدرى هل كانت وان كانت لا تعرف كيف كانت ومتى كانت قل انزله الذي يعلم السر اى للمغيبات والمخفيات فى السموات والارض اى فى جميع الكائنات لو قد اعجزكم عن آخركم منزلة بفصاحته وبلاغته وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف يكون اساطير الاولين وتعليم الاغيار وهو محال لا يقدر احد على الاتيان بمثله ولو تساعد اعداء الدين مع كثرتهم من الوقت الذى اتى به واجتهدوا فى معارضته بما يوجب مساواته او مقاربته فيدعوا تكذيبه ومخالفته فانقطعت الاعصار وانقضت الاعمار من اهل الاهمال ولم يأت احد بسورة من مثله فانتفى الريب ووجب الاقرار بحقه وفضله انه كان غفورا رحيما حيث لم يعجل فى عقوبتكم ويمدكم فى معيشتكم وقالوا مال هذا الرسول يزعمه يأكل الطعام كما نأكل فى تحصيل الارتفاق ويمشى فى الاسواق كما نمشى لطلب المعاش والارزاق وذلك لقصور نظرهم على الامور الحسية فان تميز الرسل عن عداهم ليس باحوال جسمانية بل باعمال نفسانية واخلاق روحانية كما اشار اليه قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد قال جعفر الصادق ان الله تعالى لم يبعث رسولا الا اباح ظاهره للخلق بالكون معهم على شرط البشرية ومنع سرهم عن ملاحظاتهم لان اسرار الانبياء فى القبضة الالهية لا تفارق المشاهدة بحال من الاحوال الكونية لولا اى هلا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا لنعلم صدقه بتصديقه له او يلقى اليه كنز فيستعين به ويستغنى فى وجه المعاش عن غيره او يكون له جنة يأكل منها ويتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائى بالنون اى ننتفع معه به وهذا اقل ما يتميز المكرم عند ربه وقال الظالمون الكاملون فى الظلم منهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله انظر كيف ضربوا لك الامثال الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا عن طريق الهدى فلا يستطيعون سبيلا الى رشوع الاعلى تبارك الذى ان شاء جعل لك فى الدنيا خيرا من ذلك مما قالوه ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى جنات تجرى من تحتها الانهار بدل من خيرا او بيان ويجعل لك قصورا بلا قصور ولا فطور عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع وجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له فى العقبى بل كذبوا بالساعة اى ساعة القيمة فاعرضوا عن الطاعة وقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وغفلوا عن النعيم المقيم للمؤمنين وعذاب الجحيم للكافرين فى الايام الاخروية كما اشار اليه بقوله واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار فى دار البوار وافاد الاستاذ انهم لما عجزوا

عن معارضة

عن معارضته اخذوا فى مناقضته يعيبونه بكونه بشرا من جنسهم يمشى فى الاسواق ويأكل الطعام وقالوا هلا نزل عليه الملائكة فيرونهم عيانا وعابوه بالفقر وقالوا هلا جعل الكنوز بحكمه يستكثر مالا وهلا خص بآيات اقترحوها فيقطع بها العذر ويزيل عنها اشكالا وما هذا الا بشر يعترى من دواعى الشهوات ما يعترى غيره فاى خصوصية له حتى يلزمنا متابعته ولمن يظهر لنا حجة فاجاب الله عنه وقال ان الحق قادر على تمليك ما قالوا واضعافه وفى قدرته اظهار ما اقترحوه من الآيات وامثاله ولكن ليس لهم فى التخير وبعد ما ازيح العذر بالظهار معجزة واحدة فاقتراح ما يهوون تحكم على التقدير وليس لهم ذلك ثم اخبر انه لو اظهر تفصيل ما قالوه واضعافه لم يؤمنوا لان حكم الله بالشقاوة سابق لهم وقال بل كذبوا بالساعة وهم فى حكم الله من الكفار والله اعد لهم ولامثالهم دار البوار وعيد الابد فلا محالة يكبون بها وفى قوله فلا يستطيعون سبيلا دليل على جواز تكليف ما لا يقدر عليه العبد فى الحال لانه اخبر انهم لا يستطيعون سبيلا وهم معاتبون مكلفون انتهى ولا يخفى ان المحال اذا كان لذاته فلا يجوز تكليفه وقد نفى وقوعه بقوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها واما اذا كان لغيره كما هنا لتعلق علمه سبحانه بكونه فهذا مما يجوز تكليفه وصح وقوعه باجماع من يعتد به اذا رأتهم من مكان بعيد وهو اقصى ما يمكن ان ترى منه سمعوا لها تغيظا صوتا يشعر بتغيظها وزفيرا يسمع من جوفها لقوة غليانها وهو ان يخرج نفسها بعد مدها اياه فى باطنها والمحققون من الصوفية بل مذهب اهل السنة والجماعة على ما صرح به فى المعالم ان الاشياء كلها لها علم بالله وحياة تناسبها وخشية وصلوة وعبادة وتسبيحا وكلاما ورؤية وغيظا ومحبة وعداوة كما حقق فى محالها ومنه ما ورد احد جبل يحبنا ونحبه وعير جبل يبغضنا ونبغضه وغير ذلك من الآيات والاحاديث الناطقة عن النعمات خلافا للمعتزلة بناء على اصولهم الفاسدة وقواعدهم الكاسدة وقد نفى بعض علمائنا بان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية بل يجوز تعلق الروح بالاجزاء المتفرقة شرقا وغربا امكن ان يخلق الله فيها حيوة هنالك فترى وتتغيظ وتزفر وامثال ذلك على ان امور الآخرة كلها على خرق العادة فيجب الايمان بما ورد اجمالا ووكول علمه اليه سبحانه تفصيلا وافاد الاستاذ ان وحشة النار توجد من مسافة بعيدة قبل شهودها والاستئناس بها ونسيم الجنة يوجد قبل شهودها ودخولها والنار توقد منذ سنين قبل المحترقين بها والجنة تزين منذ ما لا يحصى قبل المستمتعين بها وكذا من احال وجودها قبل كون سكانها وقطانها من المستمتعين بها والمعاقبين فيها لان الصادق اخبر عن صفاتهما التى لا تكون ذلك الا الموجود هنالك واذا القوا منها مكانا فى مكان ومنها بيان مقدم للونه صفة نكرة ضيقا لزيادة العقوبة فان فى الضيق زيادة الكربة كما ان فى السعة مزيد الراحة ولذا وصفت الجنة بان عرضها السموات والارض وفى الحديث خير المجالس اوسعها مقرنين قرنت ايديهم بالسلاسل الى اعناقهم دعوا هنالك ثبورا تمنوا هلاكا

وطلبوا اهلاكا فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اى قليلا يسيرا وادعوا ثبورا كثيرا
لكثرة انواع العذاب التى لا تنقطع ابدا او فانا والاستاذ ان راحة الجنة مقرونة بسعتها
ووحشة النار موصولة بضيقها فيضيق عليهم مكانهم وتضيق عليهم قلوبهم وتضيق عليهم
اوقاتهم ولو كانت حياتهم تبطل بها لكانوا يتخلصون منها لم يكن البلاء كاملا ولكنها الام
لا تتناهى ومحن لا تنقضى كلما راموا فرجة وبابا قيل لهم ذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا
قل اذلك العذاب المؤبد الذى وعد به العاصون خير ام جنة الخلد التى وعد
بها المتقون كانت لهم فى علم الله جزاء على اعمالهم وفى احوالهم ومصيرا مرجعا
لاماليهم لهم فيها ما يشاؤن من النعيم المقيم على قدر مراتبهم وما يليق بمناسب
بمناصبهم ومنافيهم كما يشير اليه قوله سبحانه وما تشاؤن الا ان يشاء الله وفيه تنبيه
على ان كل المشتهيات لا تحصل الا فى الجنة ولذا ورد اللهم لا عيش الا عيش الآخرة
خالدين حال مقدرة كان ما ذكر على ربك واجبا عليه بمقتضى وعده وعدا
مسئولا موعودا حقيقا بان يكون مطلوبا وقال الاستاذ ابدا فى النعيم
المقيم حور وسرور وحبور وقصور وروح وريحان وبهجة واحسان ولطف
جديد وفضل مزيد ولذات شراب وكاسات محاب وبسط قلب وطيب
حال وكمال انس ودوام طرب وتمام حول ولباسهم فيها حرير فالاسماء اسماء
ما فى الدنيا والاعيان بخلاف المعهودات فيها ثم فيها ما يشاؤن وهم فيها
ابدا مقيمون لا يبرحون ولا هم عنها يخرجون وقال لهم فيها ما يشاؤن وتحقق
لهم فيها ما يشاؤن ولكن لا يخلق فى قلوبهم الارادة الا ما علم انه سيفعله فما هو
المعلوم تعدان لا يفعل لا يتعلق به ارادتهم ويمنع من قلوبهم مشيته لهم ويوم
يحشرهم اى المخلوقين او المشركين وقراء ابن كثير وحفص بالياء اى يجمعهم الله
وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه فيقول اى الله للمعبودين وقراء
ابن عامر بالنون ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء الضالين ام هم ضلوا السبيل
بانفسهم فكانوا كالغافلين لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد
النصيح وهو استفهام تقريع للعبدة قالوا سبحانك تنزيها لك عن الانداد
واشعارا بانه لا يليق بهم اضلال العباد ما كان ينبغى لنا اى ما يصح ولا يصلح
بنا ان نتخذ من دونك اولياء حتى نكون سببا لضلال هؤلاء ولكن متعتهم
وآباءهم بانواع النعم فاستغرقوا فى اتباع الشهوات والنهم حتى
نسوا الذكر اى ذكر المنعم وشكره وتركوا حكمه وامره ففيه نسبة الضلال اليهم
بكسبهم واسناده الى ما فعل الله بهم من حملهم وهو عين مذهب اهل السنة وليس
فيه حجة للمعتزلة وكانوا فى قضاء الله قوما بورا هالكين لكونهم ضالين عن هدا
فقد كذبوكم اى المعبودون بما تقولون فى قولكم انهم آلهة لنا او هؤلاء اضلونا

فما يستطيعون

فما يستطيعون اى المعبودون وقراء حفص بالخطاب للعابدين صرفا دفعا للعذاب
عنكم ولا نصرا اعانة منكم ومن يظلم اى من يستمر على الشرك منكم نذقه عذابا كبيرا
اى نارا سعيرا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام
ويمشون فى الاسواق لجملة حال اكتفى فيها بالضمير عن الواو وجعلنا بعضكم
ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ومحنة ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين
بالمرسل اليهم فى مخالفتهم لما انزل عليهم وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم من قولهم بعد
ابطاله لهم وفيه دليل على القضاء والقدر وما يترتب عليه من الصبر والشكر والجزع
اتصبرون حث على الصبر على ما افتتنوا به كقوله تعالى فهل انتم منتهون وكان
ربك بصيرا بمن يصبر على بلائه ويرضى بقضائه او عالما بالصواب فيما يبتلى به
ومن يبتلى وغير ذلك من امور ارضه وسمائه وافاد الاستاد انه سبحانه اخبران الذين
تقدموهم من الرسل كانوا بشرا مثلهم ولم تكن الخصوصية لهم الا لظهور المعجزات عليهم وفى
الجملة الفضائل بالمعانى لا بالصور والمبانى ثم قال فى قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
فضل بعضا على بعض فى الاشياء وامر المفضول بالصبر والرضا والفاضل بالشكر
على العطاء وخص قوما بالغنى وجعلهم فتنة لاهل البلاء وخص قوما بالعوافى
عن الامراض والاسقام وآخرين بالالام والاسقام فلا لمن نعمة مناقب ولا لمن
محنة معايب فبحكمه لا بجرمهم وبفضله لا بفعلهم وبارادته لا بعبادتهم وباختياره
لا باوضارهم وباقداره لا باوزارهم وبه لا بهم وقوله اتصبرون استفهام بمعنى الامر فمن
ساعده التوفيق صبر وشكر ومن قارنه الخذلان ابى وكفر وقال الذين لا يرجون
لقاءنا اى لا يأملونه بالثواب او لا يخافونه بالعقاب لانكارهم البعث والحساب
والمراد باللقاء الوصول الى الجزاء او المراد باللقاء الرؤية فى دار البقاء لولا هلا
انزل علينا الملائكة فيخبرونا بصدق ارباب النبوة او يكونون رسلا الينا من غير
الواسطة او نرى ربنا فيكشف لنا الامر بالكلية لقد استكبروا فى انفسهم اى فى شأنها
حتى ارادوا لها ما يتفق لافراد من الانبياء فى اكمل اوقاتها واجل حالاتها وعتوا
عتوا كبيرا وتجاوزوا عن الحد فى الظلم تجاوزا عظيما كثيرا حيث طلبوا الرؤية
فى الدنيا مع انها ليست حاصلة الا لخواص عباده فى العقبى واعرضوا عن الآيات
الباهرة والمعجزات القاهرة واقترحوا لانفسهم وانه مسلم لهم ما اقترحوه من نزول
الملائكة عليهم او رؤية ربهم وكان ذلك فى القدرة جائزا ولكن لم يكن ذلك واجبا
بعد ازاحة عذرهم بظهور المعجزات لم يكن اقتراح ما قالوه من المستحسنات يوم يرون
الملائكة اعوان ملك الموت او ملائكة العذاب لا بشرى يومئذ للمجرمين منهم ومن
غيرهم او المصرين على جرمهم او المشركين المعهودين فيهم ويقولون اى المجرمون حينئذ
حجرا محجورا اى هذه الكلمة التى كانوا يستعيذون بها عند لقاء عدوهم او هجوم مكروه بهم

طلبا من الله ان يمنع لقاءه منهم ويرفع بلاءه عنهم والمعنى امنع عنا منعا ممنوعا
فهو للباب التأكيد من قبيل جد جده وظل ظليلا او يقولها الملائكة لهم بمعنى حراما
محرما عليكم البشارة او الجنة او الرؤية على ما اختار الاستاد حيث افاد انهم فرحوا
مستبشرين رؤية الملائكة ورؤية الله فاخبر انهم يرون الملائكة عند التوفى ولكن تقول الملائكة
لهم لا بشرى لكم وقوله ويقولون حجرا محجورا يعنى حراما ممنوعا يعنى رؤية الله عنكم فهذا يعود
الى ما جرى ذكره وحمله على ذلك اولى من حمله على الجنة اذ لم يجر لها ذكر ههنا ثم فيه بشارة
للمؤمنين بالرؤية لانهم يرون الملائكة ويبشرونهم بالجنة قال تعالى تتنزل عليهم
الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة الاية فكما لا يكون للكفار البشارة بالجنة
ويكون للمؤمنين لا تكون الرؤية للكفار وتكون للمؤمنين قلت وقد قال تعالى فى
حقهم كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وفى حق المؤمنين وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة رزقنا الله الحسنى وزيادة وختمنا بخاتمة السعادة وقدمنا عمدنا
وقصدنا الى ما عملوا فى زمان كفرهم من عمل فى صورة اعمال حسنة من المكارم كقرى
الضيف واغاثة الملهوف وصلة الرحم فجعلناه هباء منثورا فاحبطناه لفقد
ما هو شرط اعتباره من الايمان بالدار الآخرة والاخلاص عن الرياء والسمعة وسائر
الاغراض الفاسدة والهباء غبار يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوة ويكون متفرقا
منثورا قال ابن عطا اطلعناهم على اعمالهم فطالعوها بعين الرضا فسقطوا
عن اعيننا بذلك فجعلنا اعمالهم هباء منثورا وقال الاستاد ضاع سعيهم وخاب
جهدهم وضاع عمرهم وخسرت صفقتهم وانقطع رجاؤهم وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فهذا آفة الكفار فى تلك الدار
واما اصحاب الحقايق وارباب التوحيد فيلوح لقلوبهم من سماع هذه الآية ما
يحصل به كمال روحهم ويتادى الى قلوبهم من الراحة ما يضيق عن وصفه شرحهم
ويا قصر عن شانه نطقهم حيث يسمعون قوله وقدمنا الى ما عملوا ولقد ظهرت قيمة
اعمالهم حيث قال الحق لاجله وقدمنا فهم اذا سمعوا قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل
وجب من الاريحية ما يشغل عن الاهتمام بقوله فجعلناه هباء ويقولون يا ليت لنا
اعمال اهل الدارين ثم لا يقبل منها ذرة وهو يقول بسببها وقدمنا الى ما عملوا
من عمل وان فهم اذا تخلصوا من مواضع الخلل وموجبات الخجل من اعمالهم عدوا
ذلك من اجل ما ينالون من الاحسان اليهم وفى معناه انشدوا • سارجع من
جمى الى العام قبلا • فاما الذين قد كان لم يتقبلوا • اصحاب الجنة يومئذ خير
مستقرا مكانا يستقر فيه فى اكثر الاوقات للمجالسة والمحاورات واحسن
مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح مع الزوجات ويحتمل ان يراد باحدهما
المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة

والازمنة

والازمنة والتفضيل اما لارادة الزيادة المطلقة فى العقبى او بالاضافة الى المترفين فى الد
وقد صحت عن ابن مسعود رض انه يفرغ من الحساب فى نصف ذلك اليوم فيقيل
اهل الجنة فى الجنة واهل النار فى النار وفى تفسير السلمى اصحاب الجنة يومئذ فى دار
البوار على ميعاد لقاء الجبار من غير خوف زوال ولحوق ملال وافاد الاستاد ان اصحاب
الجنة هم الآمنون بها الواصلون اليها المكتفون بوجدانها فحسنت لهم اوطانهم
واطاب لهم مستقرهم ومكانهم ويوم تشقق السماء اصله تتشقق فحذفت التاء
وادغمها فى الشين نافع وابن كثير وابن عامر اى تتفتح ابوابها بالغمام بسبب نزول
الغمام منها وهو الغمام المذكور فى قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل
من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا وقراء ابن كثير وننزل الملائكة الملك
يومئذ الحق الثابت للرحمن لان كل ملك وملك يبطل حينئذ لغيره ولا يبقى الا ظهور
ملكه وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا لا يصير يسيرا قال ابن عطا الملك له
على دوام الحالات وجميع الاوقات ولكن يكشف يومئذ للعوام فلا يقدر احد
ان يجحده بعد ما عاين ذلك المقام وقال ابو سعيد الخراز حقيقة الملك لمن هو
مستغن عما ايدى فى الملك من جميع المكونات لا يرضاه من حركات العبيد
شئ ولا يغضبه شئ من السكنات وقال الاستاد يريد يوم القيمة اذا بدت
اهوالها وظهر للمبعوثين احوالها علموا ذلك الزمان وتحققوا فى ذلك المكان
ان الملك ازلا وابدا للرحمن فلم يتجدد وصفه سبحانه بل يتلاشى اوهام الخلق لما بدا
شانه ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة لديه يقول يا ليتنى اتخذت
مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة بما ابداه وليلا يا ويلتى يا حسرتى ليتنى لم اتخذ
فلانا خليلا من اهل الكفر او الغفلة من الشكر لقد اضلنى عن الذكر اى ذكر الله وخطابه
فى كتابه ومواعظ رسوله فى بابه بعد اذ جاءنى وتمكنت منه برفع حجابه وكان الشيطان
يعنى الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول فى طاعته للانسان
خذولا يواليه حتى يؤديه الى هلاكه ثم يتركه ولا ينفعه وافاد الاستاد ان الكاذب يخذل
صاحبه فيقع منه فى الثبور والمؤمن يهدى الى الرب صاحبه فيصل به الى السرور
قلت كما يدل عليه ويشير اليه قوله سبحانه الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
وقال بعضهم اصح الخلة واحسن المودة ما لا يورث اسفا ولا ندامة كما اخبر الله عنهم
يوم القيمة وقال الرسول شكاية عن قومه وبثا الى ربه يا رب ان قومى يريد كفار
قومه اتخذوا هذا القران مهجورا بان تركوا الايمان به والعمل بمضمونه فقال فى تسلية
وكذلك كما جعلنا لك اعداء جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم فانا نمهلهم لكن لا نهملهم وفيه دليل على انه خالق
الشر كما انه خالق الخير خلافا للثنوية والمعتزلة وكفى بربك هاديا الى معرفته ان اراد هدايتهم

وعاياتهم ونصيراً معيناً لك عليهم ان شاء ضلالتهم وعقوبتهم قال ابو بكر
ابن طاهر رفعت درجات الانبياء لامتحانهم بالمخالفين والاعداء وكل نبي قد
ابتلى بمخالف وعدو وحاسد وابتلى كل ولي بمكابر ومعاند وذلك لتمام درجاتهم ونظام
حالاتهم وعظم محلهم عند ربهم وقال الاستاد من شكا من الله فهو جاهل جاحد
ومن شكا الى الله فهو عارف واجد ثم اخبرانه لم يكن نبياً من انبيائه الا سلط لهم عدوا
في وقته الا انه سبحانه لم يغادر منهم احدا الا اذاقه وبال ما استوجبوه على كفره وبغيه
وقال الذين كفروا لولا نزل عليه اي هلا انزل القرآن اليه جملة واحدة دفعة واحدة
وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله مفرقاً او جملة مع ان للتفريق
فوائد محققة منها ما بينه سبحانه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اي كذلك انزلناه
مفرقاً لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب بصيرة
في المبنى وغوص خوض في المعنى ولانه اذا تحدى بكل نجم من سوره فيعجزون عن معارضته
زاد ذلك قوة قلبه ولان نزول جبريل مرة بعد مرة سبب لثبات فؤاده وكمال روحه
ودوام انسه وتمام قربه فان قلب المحب يسكن بتواصل كتب محبوبه ومنها معرفة الناسخ
والمنسوخ بسبب تقدمه وتأخره ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلائل المقالية
اذ لكل من الحالات الواقعة في زمان من الازمنة يناسب نزول آية خاصة ورتلناه
ترتيلا وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تمهل وتؤدة في ثلاث وعشرين سنة او المعنى
بيناه تبييناً وفصلناه تفصيلا ولم يكشف بذكر شيء منه اجمالا بل اوردناه على ما
اوردناه ‌اكمالا ولا يأتونك بمثل سؤال عجيب وبيان حال غريب الا جئناك بالحق
بالامر الثابت الجواب وعلى وفق الصدق في صوب صوابه واحسن تفسيرا اي وبما
هو احسن بيانا من سؤالهم في بابه الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اي مقلوبين
اليها او مسحوبين وروى البيهقي عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة اصناف
صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وفي الخبران الذي امشاهم
اليوم على اقدامهم يمشيهم غدا على وجوههم وهو ذم مرفوع او منصوب او مبتداء خبره
اولئك شر مكانا مستقراً ومقيلا واضل سبيلا واخطاء طريقا واغلظ
دليلا فلا جرم يقعون في قعر جهنم ذليلا ولقد آتينا موسى الكتاب التورية وفيها
فصل الخطاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره في الدعوة ويعاونه في اعلاء
الكلمة وهو لا ينافي مشاركته في النبوة بل اشارة الى الاصالة والخلافة وافاد الاستاد
ان القصة الواحدة اذا اعيدت مرات كثيرة كانت اتم في باب البلاغة لا سيما
وفي كل مرة فائدة زائدة فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا يعني فرعون وقومه بآياتنا
اي بادلتنا في مصنوعاتنا اولا وبمعجزاتنا ثانيا فدمرناهم تدميرا اي فذهبا اليهم فكذبوهما
وجحدوا بنبوتهما ورسالتهما فاهلكناهم اهلاكا بالاغراق في الدنيا وبالاحراق في العقبى

وفيه

وفيه تسلية لسيد الانبياء فيما كان يقاسيه من فنون البلاء ووعد جميل له بهلاك من لم
من الاعداء وتهديد لقومه من السفهاء وقوم نوح لما كذبوا الرسل اي نوحا ومن قبله
او نوحا وحده لانه يستلزم انهم كذبوا الرسل كلها اغرقناهم اهلكنا العقوبة بهم كما اهلكنا
بامثالهم وعاملناهم مثل ما عاملنا بقرنائهم وجعلناهم اي قصتهم للناس آية عبرة
واعتدنا للظالمين منهم ومن غيرهم عذابا اليما وجابا سقيما وعادا وثمود اي وجعلناهما
كذلك عبرة لما هنالك واصحاب الرس وهم قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله
اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبيناهم حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت
فخسف بهم وبديارهم وقرونا قبل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة
وعشرون والمعنى واهل اعصار بين ذلك اي ما ذكر من امم امصار كثيرا لا يعلمها
الا الله ولا يحيط بتفصيل احوالها سواه وكلا ضربنا له الامثال بيناله القصص
والاحوال وما جرى عليهم من النكال انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا لقوله وكلا
تبرنا تتبيرا دمرناه تدميرا ولقد اتوا يعني كفار قريش مروا مرارا في ازمنة تجارتهم
الى الشام قبل بعثته او بعد دعوته عليه السلام على القرية التي امطرت مطر السوء
اي سدوم بالدال المهملة او المعجمة وهي عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة
افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم عليها فيتعظون بما يرون من آثار عذاب الله
فيها بل كانوا لا يرجون نشورا اي لا يخافون حشرا ونشرا ولا يأملون عاقبة وآخرة فلذلك
لم ينظروا ولم يتعظوا ولم يعتبروا فمروا بها كما مرت ركابها عليها من غير التفات اليها
وافاد الاستاد انه سبحانه ذكر كل ذلك فيما هنالك تسكينا لقلبه وتطييبا لسره واعلاما
بانه سيهلك من يعاديه ويدمر على من يناويه ولقد فعل بعض ذلك في حياته والباقي بعد
مضيه عليه السلام من الدنيا ووفاته واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك
الا مهزوا به ومهزوا حيث قالوا اهذا الذي بعث الله رسولا الهمزة للانكار والاشارة
للاستحقار ان كاد انه قارب ليضلنا عن آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده
في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يرد الى الذهن انه ادلة على تحقق التفريد لولا
ان صبرنا عليها ثبتنا على محبتها واستمسكنا بعبادتها وسوف يعلمون حين
يرون العذاب من اضل سبيلا عن صوب الصواب وفيه دلالة على انه سبحانه
وان كان يمهلهم في الدنيا فلا يهملهم في العقبى وافاد الاستاد انه كان يحصل سلوته لو ذكر
حالته وشكا اليه قصته وبين له غصته واذا اخبر الله عما يعانيه ونص عليه بما كان يلاقيه
كان اوجب للسلو واقرب من الانس وغاية سلوة ارباب المحنة ان يذكروا الاحباب
بالقواف ايام امتحانهم في مقام احتجابهم ولذا قال قائلهم في بابهم شعر
بود بان يمسي سقيما لعلها • اذا سمعت منه بشكوى تراسله • ويهتز للمعروف في طلب العلى
لتذكر يوما عند سلمى شمائله • وقد اخبر الله سبحانه عنهم انهم كانوا ينظرون اليه صلى الله عليه وسلم

بعين الازدراء والتحقير في شانه والتصغير في مكانه لانهم كانوا لا يعرفون قدره ولا يتبعون
امره فقال وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ارايت من اتخذ الهه هواه
بان اطاعه وبنى عليه مبناه فلا يسمع حجة ولا يبصر دليلا افانت تكون عليه وكيلا تمنعه
عن المعصية وتدفع عنه عذابا وبيلا واف والاستاذ انهم كانوا يعبدون من الاصنام
ما يهوون يستبدلون صنما بصنم وكانوا يجرون على مقتضى ما ينفع لهم والمؤمن يحكم الله
لا يحكم نفسه وبهذا يتضح البرهان بين انسان وانسان والذي يعيش على ما يقع له فوائد
هواه والذي يتبع ما امره ربه ونهاه ام تحسب اتظن ان اكثرهم يسمعون ما ينفعهم
او يعقلون ما يضرهم فتهتم بشانهم وتطمع زايانهم قال ابن عطا لا تظن انك تسمع
بندائك انما تسمعهم بنداء الازل فان نداءك ودعوتك لا يغني عنهم شيئا واجابتهم
دعوتك هو بركة جواب نداء الازل فمن غفل او اعرض فانما هو لبعده عن محل الجواب
في القدم ان هم الا كالانعام في عدم انتفاعهم بسماع الآيات وقلة تدبرهم
بشواهد الدلائل والمعجزات بل هم اضل سبيلا من الحيوانات لانها تنقاد
من يتعهدها وتميل الى من يتعهدها وتميز من يحسن لها ممن يسيء اليها وتطلب
ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يطلبون مقام
حبهم ولا يعرفون احسان الرحمن من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب
الذي هو اعظم منافعهم ولا يتقون العذاب الذي هو اشد مضارهم ولانها
ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تقترف شرا بخلاف هؤلاء
ولان جهالتها وضلالتها لا تتعدى عنها وجهالة هؤلاء وضلالتهم تؤدي الى فتنة
الخلق وصدهم عن الحق ولانها غير متمكنة من الكمال فلا تقصير منها في جميع الاحوال
وهؤلاء مقصرون مستحقون على تقصيرهم اشد النكال واعظم الوبال ولانها تصير
في العاقبة ترابا ولم يشاهدوا عقابا وهؤلاء يقال لهم ذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا
واف والاستاذ ان الذي ليس له همة الا في اكل وشرب واستجلاب حظوظ نفسه
فكالبهائم همتها الاكل والشرب واستيفاء حظوظها وان الله تعالى خلق الملائكة
على العقل جعلهم والبهائم على الهوى فطرهم وبني آدم ركب فيهم الامرين
فمن غلب هواه عقله فهو شر من البهائم ومن غلب عقله هواه فهو خير من الملائكة
كذا قاله المشايخ الم تر الى ربك الم تنظر الى اثر صنعه كيف مد الظل بسطه فيما بين
طلوع الفجر وطلوع الشمس وهو اطيب الاحوال الواقعة فان الظلمة الخالصة تنفر
الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويوجب الحر ويبهر البصر ولذا وصف
الجنة بقوله وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا مستقرا على حالة واحدة كما يكون
في ايام الجنة ثم جعلنا الشمس عليه على وجوده ومقدار حدوده دليلا فانه لا يظهر حقيقته
للحس الا نام حتى تطلع الشمس فيقع ضوءها على بعض الاجرام ثم قبضناه الينا

اي ازلناه

اي ازلناه بايقاع الشعاع موقعه كما قدر لدينا قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع
الشمس بامر الحق لينتظم بذلك ما لا يحصى من المنافع لمصالح الخلق ومحل المرام من
هذا الكلام وضوح البرهان لعقول الانام وهو دلالة حدوث الظل وتصرفه على ان ذلك
فعل الصانع الحكيم في امره وقال الواسطي اثبت للعامة المخلوق فاثبتوا به الخالق واثبت
للخاصة الخالق فاثبتوا به المخلوق لمخاطبة العامة افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت
ومخاطبة الخاصة الم تر الى ربك كيف مد الظل انتهى وتوضيحه ما قاله بعض الصوفية ما رايت
شيئا الا ورايت الله قبله وقال بعض آخر ما رايت شيئا الا ورايت الله بعده فالاول
استدل بالصانع على المصنوع وهو حال المجذوبين والمرادين والثاني استدل بالمصنوع
على الصانع وهو طريق السالكين والمريدين وعامة اهل الدين من المجتهدين وحاصل ان
صاحب المعرفة من لا يحجبه الكثرة عن شهود الوحدة ولا ظهور الوحدة عن مشاهدة
الكثرة كما عبر بعضهم عن هذه الحالة بقوله ما رايت شيئا الا ورايت الله معه وهذا مقام
جمع الجمع وقال ابن عطاء اي كيف حجب الخلق عنه ومد ستور الغفلة عليهم وحجبهم عن
ربهم ثم جعلنا الشمس عليه دليلا قال شموس المعرفة وهي دلائل القلب الى الرب وقيل
اي كيف مد عليك ظل العصمة ولو شاء لجعله ساكنا اي جعلك مهملا ولم يفعل بل جعل
الشمس التي طلعت من صدرك دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا هذا خطاب من سقط
عنه الرسوم والوسائط وقال الاستاذ قيل في سبب نزول الآية انه صلى الله عليه وسلم
نزل في بعض اسفاره وقت القيلولة في ظل شجرة وكانوا خلقا كثيرا فمد الله ظل تلك الشجرة
حتى وسع جميعهم فانزل الله هذه الآية وكان ذلك من جملة انواع المعجزة ويقال الم تر كيف
مد ظل العناية على احوال اوليائه فقوم هم في ظل الحماية وآخرون في ظل الرعاية وآخرون
في ظل العناية فالفقراء في ظل الكفاية والاغنياء في ظل الراحة والحماية ويقال ظل
هو ظل العصمة وظل هو ظل النعمة فالعصمة للانبياء ثم للاولياء والنعمة وهي الرحمة
لعموم المؤمنين في العقبى ولكافة الخلق اجمعين في الدنيا ويقال قوله للنبي صلى الله عليه وسلم
الم تر الى ربك ثم قوله كيف مد الظل ستر لما كاشفه به اولا اجرا السنة في اخفاء حال
الحبيب عن الرقيب ويقال احياه بقوله الم تر الى ربك ثم افناه بقوله كيف مد الظل
وكذا سنته مع عباده يردهم بين افناء وابقاء اي وايجاد وامداد وصحو ومحو وقبض
وبسط وهو الذي جعل لكم الليل لباسا شبه تشبيها بليغا الظلام باللباس في
ستره لاحوال الناس والنوم سباتا راحة للابدان بقطع الشواغل للجنان ولكون
النوم اخا الموت قال وجعل النهار نشورا ذا نشور اي انتشار ينتشر فيه الناس
لمعاشهم واخذ زادهم لمعادهم وفيه ايماء الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والقبر
والبعث للحشر والنشر كما ورد انه عليه السلام اذا قام من المنام قال الحمد لله الذي
احيانا بعد ما اماتنا واليه البعث والنشور وعن لقمان يا بني كما تنام فتوقظ

كذلك يموت فيتنغص واشار الاستاذ انه سبحانه جعل الليل وقتا لسكون قوم
ووقتا لانزعاج آخرين فارباب الغفلة يسكنون في ليلهم واصحاب المحبة يسهرون
في ليلهم لانهم ان كانوا في روح الوصال فلا ياخذهم النوم لكمال انسهم وشوقهم وان
كانوا في الم الفراق فلا ياخذهم النوم لكمال خوفهم وقلقهم فالسهر للاحباب صفة في جميع
الابواب اما لظهور السرور او لهجوم الهموم ويقال جعل النوم لقوم من الاحباب وقت
التجلي يريهم ما لا سبيل اليه في اليقظة فاذا اراهم ربهم في المنام يوثرون النوم على السهر
بالدوام قال قائلهم • واني لاستغشي وما بي نعسة • لعل خيالا منك يلقى خياليا •
وقال آخر منهم • رأيت سرور قلبي في منامي • فاحببت التنعس والمناما • ويقال
النوم لاهل الغفلة عقوبة ولاهل الاجتهاد راحة فان الحق سبحانه يدخل عليهم النوم ضرورة
رحمة منه بنفوسهم لتستريح عن كل مجاهدة وهو الذي ارسل الرياح وقرأ ابن كثير الريح
بشرا تقدم فيه القراءات اي ناشرات للسحاب او مبشرات بين يدي رحمته يعني
قدام المطر الذي سبب نعمته وانزلنا من السماء ماء طهورا متطهرا يتطهر به وينتفع
بشربه وفيه تنبيه على ان تطهير بواطنهم اولى من تطهير ظواهرهم لما ورد ان الله
لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واحوالكم لنحيي به بلدة مكانا ميتا من الارض
بسبب جدبها بانبات النبات فيها ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي
كثيرا جمع انسي واحد من الانس وهو يعم اهل الصحراء وسكان المدن والقرى لان
اصل جميع الماء من السماء وسياق الآية كما هو للدلالة على عظمة القدرة فهو للاشارة
الى كثرة النعمة ولعل تقديم الانعام للاهتمام في بيان الانعام او للنكتة التي ذكرها في قوله تعالى
نحن نرزقهم واياكم للاشعار بانه يستوي عنده سبحانه رزق الخاص والعام فسبحان من
يرزق الضعيف الذي يتعجب الشريف القوي وفي تفسير السلمي وهو الذي
ارسل رياح الندم بين يدي توبته وطهر قلوبهم ببركاته عن المخالفات وابدانهم بطاهر رحمته
من جميع الانجاس والادناس واشار الاستاذ انه سبحانه يرسل رياح الكرم فتهب على
قلوب ذوي الحاجات فتزعجها الى طلب مبارة من الطاعات ويرسل رياح الولاية
فتهب على قلوب الخواص فتطهرها عن جميع الارادات فتكتفي بانتقاده ويرسل
رياح الخوف على قلوب العصاة فتحملهم على الندامة وتطهرها من الاصرار فترجع الى
التوبة عن السيئات ويرسل رياح الاشتياق على قلوب الاحباب وتطهرها
عن كل شيء الا عن اللواعج فلا تستقر الا بالكشوف والتجليات ويقال اذا انتسم القلب
نسيم قرب الرب هام في ملكوت الجلال وانمحى عن كل مرسوم ومعهود في الاحوال وقال في قوله
وانزلنا من السماء ماء الا به احيا به البلاد والديار حيث انبت الازهار والانوار وانزل
من السماء ماء الرحمة فغسل للعصاة ما تلطخوا به من الاوزار وتدنسوا به من الاوزار والطهور
هو الطاهر المطهر وماء الحياء يطهر قلوب العارفين عن الجنوح الى المساكنات وما في بعض

الاحوال

الاحوال بتداخلها عن الغفلات وماء الرعاية يحيي به قلوب المشتاقين بانداركها من انوار
التجليات حتى يزول عنها عطش الاشتياق ويحصل فيها سكينة من الاطلاق ويحيي بها نفوسا
ميتة باتباع الشهوات فيردها الى القيام بالعبادات ولقد صرفناه اي المطر بينهم في الامكنة المختلفة
والازمنة المتفاوتة والصفات المتغايرة من وابل وطل وديمة فعن ابن عباس رض ما عام
امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية ليذكروا ليتعقلوا
ويتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وجمال الرحمة ويقوموا بشكر النعمة وليعتبروا بالصرف عنهم واليهم
ما يترتب عليه من المحنة والمنحة وقرأ حمزة والكسائي بسكون الذال وضم الكاف اي ليذكروا
ربهم بتجديد المنة فابى اكثر الناس الا كفورا كفران النعمة بعدم القيام بشكرها او بقلة الاكتراث
بها او بجحودها بان يقولوا امطرنا بنوء كذا ثم من لا يرى الامطار الا من الانواء فهو كافر
بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط وامارات بجعله سبحانه ما شاء
من الاشياء ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها من المعصية فيخف عليك
اعباء النبوة لكن قصر الامر على نبيائك اجلالا لشانك وتعظيما لبرهانك وتفضيلا
وتفضيلا لك على اخوانك فقابل ذلك بالثبات على اقامة الدعوة والاجتهاد في اظهار
الحجة فلا تطع الكافرين فيما يريدونك من الزلة وجاهدهم به بالقرآن وما فيه من الادلة
جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء اكبر من مجاهدة الاعداء كما ان مجاهدة الباطن اقوى
من مجاهدة الظاهر لما ورد رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر ولما قيل اعدى عدوك
نفسك التي بين جنبيك كما يشير اليه قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واشار الاستاذ ان الله سبحانه خص نبينا صلى الله
عليه وسلم بان فضله على الكافة وارسله الى الجملة من العامة والخاصة ولا ينسخ شرعه الى
يوم القيمة وبهذه الآية اذ به بادق الاشارة حيث قال ولو شئنا لبعثنا في كل قرية
نذيرا كما قال ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ومقصد الحق ان يكون خواص
عباده ابدا معصومين عن شواهدهم وفي القصة ان موسى عليه السلام تبرم وقتا بكثرة
ما كان يسأل فاوحى الله تعالى في ليلة واحدة الى الف نبي من بني اسرائيل فاصبحوا
رسلا وتفرق الناس عن موسى اليهم فضاق قلب موسى وقال يا رب اني لا اطيق
ذلك فقبض الله ارواحهم في ذلك اليوم ثم قال في قوله فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا
كبيرا اي كن قائما بحقنا من غير ان يكون لك جنوح الى غيرنا او مبالاة بمن سوانا فانا نعصمك
بكل وجه ولا نرفع عنك ظل عنايتنا بكل حال وهو الذي مرج البحرين جعلهما متجاورين متلاصقين
غير متمازجين مختلطين هذا عذب فرات احدهما حلو قامع للعطش من فرط عذوبته
وهذا ملح اجاج وآخر منهما ملح مر من غاية ملوحته وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته
وحجرا محجورا وتنافرا بليغا بين كل واحد على حدته كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ
عن النفير وذلك كدجلة تدخل البحر فتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وافاد الاستاذ ان البحر

الملح لا عذوبة فيه والعذب لا ملاحة فيه وهما واحد فى الجوهرية ولكنه سبحانه بقدرته
غاير بينهما فى الصفة كذلك خلق القلوب بعضها معدن اليقين والعرفان وبعضها
محل الشك والكفران ويقال اثبت فى قلوب المؤمنين صفتين الخوف والرجاء
لا الخوف يغلب الرجاء ولا الرجاء يغلب الخوف ويقال خلق القلوب على صفتين
قلب المؤمن صفيا مشرقا وقلب الكافر اسود مظلما هذا بنور الايمان مزين وهذا بظلمة
الجحود مبين ويقال قلب العوام فى اسر الرغايب والحظوظ والشهوات وقلب
الخواص معتق من الطلبات ومتحرر عن رق الحظوظ والشهوات وهو الذى
خلق من الماء بشرا اى من الماء الذى خمر به طينة آدم عليه السلام او النطفة التى
خلق منها غالب اولاده من الخاص والعام فجعله نسبا وصهرا اى قسم البشر قسمين
ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى قسم المصهر اناثا يصاهر بهن
كقوله تعالى وجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من
مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متعددة وجعله قسمين متقابلين
وربما يخلق توامين ذكرا وانثى من نطفة واحدة ويعبدون اى جمع من البشر من
دون الله من غير المعبود القادر الخالق للقوى والقدر ما لا ينفعهم ولا يضرهم وهو كل ما عبد من
دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا مظاهرا للشيطان
بالشرك والطغيان على مخالفة الرحمن واعاد الاستاذ ان الخلق متشاكلون
فى اصل الخلقة متماثلون فى الجوهرية متباينون فى الصفة مختلفون فى
الصورة والهيئة فنفوس الاعداء مطاياهم تسوقهم الى النار ومكان البوار
ونفوس المؤمنين مطاياهم تحملهم الى دار القرار ومستقر الابرار الخلق بشر ولكن
ليس كل بشر بشر واحد عدو لا يسعى الا فى المخالفة ولا يعيش الا بنصيبه وحظه لا يحتمل
الرياضة ولا يرتقى عن حد الوقاحة والخساسة وآخر ولى لا يفتر عن الطاعة والعبادة
ولا ينزل الى دنى الهمة فهو فى سماء تفرده بمعبوده فى مقام القربة وبينهما للناس مناهل
ومشارب وطرائق ومذاهب فواحد يكون كما قال ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم
ولا يضرهم يكتفى بالمنحوت من الخشب والمصوغ من الصفر والمتخذ من النحاس والذهب
جماد لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر ولا ينفع وآخر لا يلتفت الى العرش وان علا ولا ينقاد
ولا يستسلم بقلبه للمخلوق وان اتصف بما فيه لا يخفى وما ارسلناك الا مبشرا
للمؤمنين بالمثوبة والقربة ونذيرا مخوفا للعاصين بالعقوبة والفرقة قل ما اسئلكم
عليه على تبليغ الرسالة الدال عليه الارسال بالنبوة من اجر الا من شاء لكن من
اراد ان يتخذ الى ربه سبيلا بالاحسان اليه فليفعل جميلا فانه يلقى به جزاء جزيلا
وقال الاستاذ رسولا منا مامورا بالانذار والتبشير عنا واقفا حيث وقفناك
على نعت تبليغنا غير مطالب منهم اجرا ولا طامع ان تجد منهم حظا وقال الا من شاء استثنا

منقطع

منقطع اذا ابتغاؤهم التسبيل الى ربهم ليس باجر ياخذه منهم فهو لمن اقبل بشيرا
ولمن اعرض نذير وتوكل على الحى الذى لا يموت فى الاستكفاء من شرورهم والاغناء
عن اجورهم واما التوكل على الذى يموت فيضيع ويفوت قيل التوكل ان يستوى عندك
البادية وباب الطاق من القرية كذا فى تفسير الكشفى وافاد الاستاذ ان التوكل تفويض
الامور الى الله وحقه واصله علم العبد بان الحادثات كلها حاصلة من الله ولا يقدر احد على الايجاد
سواه فاذا عرف هذا فهو يحتاج اليه اذا علم ان مراده لا يرتفع الا من قبل الله حصل التوكل لديه وهذا
القدر من التوكل فرض على اهل الايمان وهو من شرائط الايمان قال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان
كنتم مؤمنين وما زاد على هذا القدر من سكون القلب وزوال الانزعاج والاضطراب
فى احوال الاولياء والاقطاب والحق بالتوكل على وجه كما ل فى هذا الباب فاذا تقرر هذا فالناس
فى الالتقاء والسكون على اقسام ولكل درجة من هذه الاقسام اسم اما من حيث الاشتقاق او
من حيث الاصطلاح والاتفاق فاول رتبة فيه ان يكتفى بما فى يده ولا يطلب الزيادة على
ما عنده ويستريح قلبه عن طلب الزيادة وتسمى هذه الحالة القناعة فيعف صاحبه حيث وقف
وقنع بالحاصل له ولا يستزيد ثم ذات بعد كل احد يختلف فى القلة والكثرة وراحة قلوب هؤلاء
فى التخلص من الحرص والزيادة ثم بعد هذا سكون القلب مع رب الارباب فى حال عدم
الاسباب فيكون مجردا عن الشيء وهواه ويكون فى ارادته متوكلا على الله وهؤلاء متباينون
فى الرتبة فواحد يكتفى بوعده انه صدقه فى ضمانه فيسكن عند فقد الاسباب بقلبه ثقة منه بوعد ربه
فيسمى هذا متوكلا ويقال على هذا ان التوكل سكون القلب بضمان الرب ويقال سكون
الجاش فى طلب المعاش ويقال الاكتفاء بوعده عند عدم نقده او الاكتفاء بالوعد عند
عدم النقد والطف من هذا ان يكتفى بعلمه بعلم انه يعلم حاله فيشتغل بما امر الله به والعلم بطاعته
ولا يراعى انجاز موعده فيكل امور الله فى جميع اموره على وفق قضاء الله وقدره وهذا حالة
التسليم وفوق هذا مقام التفويض وهو ان يكل امره اليه ولا يقترح على مولاه بحال ولا يختار شيئا
بسؤال ويستوى عنده وجود الاسباب وعدمه فى هذا الباب فيشتغل باداء ما الزمه الله ولا
يتفكر فى حال نفسه وامر هواه ويعلم انه مملوك لمولاه والسيد اولى بعبده من العبد بنفسه فاذا ارتقى
عن هذه الحالة فيجد فى المنع الراحة ويستعذب ما يستقبله من الرد والبلاء فهو رتبة الرضاء ويحصل له
فى هذه الحالة من فوائد الرضاء ولطايف الصفاء ما لا يحصل لمن دونه من حلاوة فى وجود المقصود
بعد هذه الموافقة وهو ان لا يجد فى المنع الراحة فيجد بدل هذا عند نسيم القرب زوائد
الانس بالرب بنسيان كل ارب وتذكر وجوب سبب وعدمه فى طلب فكان حلاوة
الطاعة يتضاعف عند برد الرضا واصحاب الرضا يعدون ذلك حجابا كذلك اهل
الانس بالله بنسيان كل فقد ووجد وتغافل عن احوالهم فى الوجود والعدم يعدون
النزول الى استلذاذ المنع والاستقلال بلطائف الرضا نقصانا فى الحال
ثم بعد هذا استيلاء سلطان الحقيقة بما ياخذ العبد عن جملته بالكلية فيكون العبارة

عن هذه الحالة للخمود والاستهلاك فى الوجود والاصطلام والفناء وامثال
هذا وهذا عين التوحيد فعند ذلك لا انس ولا هيبة ولا لذة ولا راحة ولا وحشة
ولا آفة هذا بيان ترتيبهم فاما دون ذلك فالخبر عن احوال المتوكلين على تباين
مشاربهم فيختلف على اختلاف احوالهم ويقال شرط التوكل ان يكون كالطفل لا شئ من
قبله الى ان يرضعه من هو فى حضانته ويقال التوكل زوال الاستشراف وسقوط
الطمع عن الاغيار وفراغ القلب عن طلب الانتظار ويقال التوكل السكون عند
مجارى الاقدار على اختلافها فى الاطوار ويقال اذا وثق القلب بجريان قسمة الرب
لا يقدح فى توكله الكسب ويقال عوام المتوكلين اذا اعطوا شكروا واذا منعوا صبروا
وخواصهم اذا اعطوا آثروا واذا منعوا شكروا ويقال الحق يجود على الاولياء
اذا توكلوا بتيسير السبب من حيث يحتسب ولا يحتسب ويجود على الاصفياء
بسقوط الارب واذا لم يكن ارب فمتى يكون طلب ويقال التوكل فى الاسباب
الدنيوية الى حد معين مبين عند العلماء واما التوكل على الله فى صلاحه سبحانه امورا
اخروية فهذا اشد غموضا واكثر خفاء فالواجب فى الاسباب الدنيوية ان يكون
السكون عند طلبها غالبا والحركة تكون ضرورة فاما فى امر الآخرة وما يتعلق بالطاعة
فالواجب البدار والجد والانكماش والخروج عن اوطان الكسل وترك الجنوح الى
الفشل والذى يتصف بالتوانى فى العبادات ويتباطى فى تلافى ما ضيعه من
ارضاء الخصوم فى التبعات والقيام بحق الواجبات ثم يعتقد فى نفسه
انه متوكل على الله فى ان يعفو عنه فهو متمن معلول الحال ممكور مستدرج فى الاعمال بل يجب
ان يبذل جهده ويستفرغ وسعه ثم بعد ذلك لا يعتمد على طاعته ولا يستند الى سكونه وحركته
ويتبرأ بسره عن حوله وقوته ثم يكون حسن الظن بربه ومع حسن ظنه بربه لا ينبغى ان يخلو
من مخافة اللهم الا ان يغلب على قلبه ما يشغله فى الحال من كشوفات الحقائق الفكرة
فى العواقب والمآل فان ذلك اذا حصل فالوقت غالب ومانع وهو احد ما قيل
فى معنى قولهم الوقت سيف قاطع وسبح بحمده سبحانه مفردا بثنائه على جميل
اسمائه وجزيل اعطائه ونزهه عن صفات النقصان وسمات الحدثان مثنيا عليه بصفات
الكمال من نعوت الجلال والجمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابق الانعام وكفى به
بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن وبلاده خبيرا مطلعا بصيرا الذى خلق السموات والارض وما بينهما
فى ستة ايام ثم استوى على العرش فهو حقيق بان يتوكل عليه ويفوض الامور اليه ويكون على
وصف الثبات فى الصبر والتأنى فى الامر فانه تعالى مع كمال قدرته خلق الاشياء
مدرجة على وفق حكمته الرحمن اى هو الرحمن المستعان فى جميع الشان فاسأل به خبيرا
فاسأل عما ذكر من خلق الاشياء ووصف الاستواء عالما يخبرك بحقيقة الانباء وهو الله
تعالى قال الاستاذ انتظم به الكون والعرش جملته ولم يخل الحق سبحانه شيئا من اظهار

برتبة

برتبة فعلوه على العرش بقهره وقدرته واستواؤه بفعل خص به العرش
بتسوية اجزائه وصورته واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لظنهم انه
اراد به غير الله حيث ما كانوا يطلقون عليه سواه انسجد لما تأمرنا للذى تأمرنا بسجوده
من غير معرفة وجوده وقرأ حمزة والكسائى بالغيبة على انه قول بعضهم لبعض منكم وزادهم
الامر بالسجود للرحمن نفورا تنفرا وتبعدا عن الايمان وافاد الاستاذ انه سبحانه اقبل
بلطفه وفضله على اقوام فلذلك وحدوه واعرض عن آخرين بتكبره وتعززه فلذلك جحدوه
فطرهم على سمة العهد وعجن طينتهم بماء الشقاوة والصد فلما اظهرهم البسهم صدار الجهل
والجحد تبارك الذى جعل فى السماء بروجا اثنى عشر منازل للكواكب السبعة السيارة
وجعل فيها سراجا يعنى الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائى سرجا وهى
الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا وافاد الاستاذ انه سبحانه زين السماء
الدنيا بمصابيح وخلق فيها البروج ورتب فيها كواكبها وصان عن الفطور انظارها
ومناكبها وادار بقدرته افلاكها واوهم على مدارها امساكها وكما اثبت فى السماء بروجا
ظاهرية اثبت فى سماء القلوب من اصفيائه واوليائه بروجا باطنية فبروج السماء معدودة
وبروج القلوب مشهودة وبروج السماء ثبوت شمسها وقمرها ونجومها وبروج القلوب
مطالع انوارها ومشارق شموسها ونجومها واقمارها وتلك النجوم التى هى نجوم القلب كالعقل
والبصيرة والعلم وقمر القلوب المعرفة الا ان قمر السماء له نقصان ومحاق وفى بعض
الاحايين هو بدر بوصف الكمال وقمر المعرفة ابدا له اشراق وليس له نقصان ولا محاق
ولذا قال قائلهم • مع الاقمار تخبو ام تنير • لنا بدر تذل له البدور • واما شمس
فهو التوحيد وشمس السماء تغرب وشموس القلوب لا تغيب ولا تغرب وفى معناه
قالوا • ان شمس النهار تغرب بالليل • وشمس القلوب ليست تغيب •
ويصح ان يقال شموس السماء تغرب بالليل اذا النهار تم وشموس القلوب سلطانها
فى الضوء وبرهانها فى الطلوع بالليل اتم وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة
اى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغى ان يعمل فيه ام
او بان يتعقبا فى الادوار ويختلفا فى الاطوار لقوله واختلاف الليل والنهار
لمن اراد ان يذكر اى يتذكر الاء ربه ويتفكر فى صنعه او اراد شكورا ان يشكر
الله على ما فيهما من نعم او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين فيهما من فاته ورده
فى احدهما تداركه فى الآخر منهما وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وافاد الاستاذ ان
الاوقات متجانسة ومعنى تفضيل بعضها على بعض بمعنى ان الطاعة فى البعض افضل
والثواب عليها اجزل والليل خلف النهار والنهار خلف الليل فمن وقع له فى
طاعة الليل خلل فاذا حضر بالنهار فذلك وجود جبرانه وان حصل فى طاعة النهار
خلل فاذا حضر بالليل فذلك اتمام نقصانه وعباد الرحمن الذين فى عبادته

المتصفون بنعت رحمته الذين يمشون على الارض هونا مشيا هينا وسيرا لينا
او هينين مستكينين قال جعفر الذين يمشون بغير فخر ولا خيلاء بل بتواضع وحسن
خلق فى الملاء والخلاء وذلك لما طالعوا من تعظيم الحق وهيبته وشاهدوا من
كبريائه وجلاله خشعت لذلك ارواحهم وخضعت نفوسهم واشباحهم وافاد
الاستاذ ان العباد الذين استوجبوا رحمة الرحمن هم الذين وفقوا للطاعات فبرحمته
وصلوا الى معرفة وحدته او عباد الرحمن الذين يستحقون غدا رحمته هم القائمون
برحمته فبرحمته او عباد الرحمن الذين يستحقون غدا رحمته هم القائمون برحمته فبرحمته
وصلوا الى طاعته هكذا بيان الحقيقة وبطاعته وصلوا الى جنته ورحمته هكذا لسان
الشريعة ومعنى هونا اى متواضعين متخاشعين ويقال من شرط وحده ان لا يحسن
شيئا من احواله حتى قالوا اذا نظر الى رجله لا يستحسن شسع نعله وعلى هذا القياس لا يساكن
اعماله ولا يلاحظ احواله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما سلام متاركة فى الابتداء او انتهاء
او سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والمراد به الاغضاء عن السفهاء وتركه مقابلتهم
فى مقام الاستهزاء قال سهل لم يستعملوا انفسهم فسلموا من غلبة الشيطان عليهم وقال
الاستاذ اذا خاطبهم الجاهلون باحوالهم الطاعنون واعمالهم قابلوهم بالرفق وحسن
الخلق والقول الصدق ويقال من خاطبهم بالقدح فيهم جاوبوه بالمدح له او يخبرون
من جفاهم انه منهم فى امان من المكافاة والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما فى صلاتهم وتمامهم
وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل اشد وطاء وابعد رياء قال الحسن البصرى
نهارهم فى خشوع وقال الاستاذ يبيتون لربهم ساجدين ويصبحون واجدين
فوجود شهود صباحهم ثمرة سجود رواحهم كما فى بعض الاخبار من كثر صلوته بالليل
حسن وجهه بالنهار اى عظم ماء وجهه عند ربه واحسن الاشياء ظاهر بالسجود
محسن وباطن بالشهود مزين ويقال متصفين باتيان السجود
قائمين بآداب الوجود والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم
ان عذابها كان غراما لازما دواما وفيه ايماء الى انهم مع حسن مخالقتهم
فى عشرة الخلق ومجاهدتهم فى طاعة الحق وجلون من عذاب ربهم مبتهلون
الى الله فى صرفه عنهم لقلة اعتدادهم باعمالهم وعدم اعتمادهم على استمرار
احوالهم انها ساءت مستقرا للهجرة ومقاما للكفرة وافاد الاستاد انهم
يجتهدون غاية الجهد ويستفرغون غاية الوسع ثم عند السؤال ينزلون منزل
العصاة ويقفون موقف اهل الاعتذار ويخاطبون بلسان التنصل وبنا
التذلل كما قيل • ومارمت الدخول عليه حتى ▪ حللت محلة العبد الذليل •
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكريم ولم يقتروا لم يضيقوا بخل
اللئيم وقيل الانفاق فى المحرمات والتقتير منع الواجبات لقولهم لا خير فى سرف

ولا سرف فى الخير ويؤيد الاول قوله وكان بين ذلك قواما وسطا وعدلا لا نقصا
ولا فضلا ويقوى الثانى ما قاله الحكيم للترمذى من ان الاسراف فى النفقة هو البذل
فى وجوه السيئات والاقتار هو منعها عن وجوه الطاعات وقال الاستاد ان الاسراف
ان تنفق فى الهوى وفى نصيب النفس من التمنى فاما ما كان لله فليس فيه اسراف
والاقتار ما كان ادخارا عن الله واما التضييق على النفس منعا لها عن اتباع
الشهوات ولتتعود الاسر باليسير فليس بالاقتار المذموم هذا وقرا ابن كثير وابو
عمرو بفتح الياء وكسر التاء ونافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء والباقون
بفتح الياء وضم التاء فاختلف المبنى واتحد المعنى والذين لا يدعون مع الله
الها آخر قال الاستاد فى الظاهر عبادة الاصنام وفى الباطن مساكنة الانام
والتوحيد ان لا تعبد الاغيار والاصنام المعمولة من الاحجار المنحوتة على الاشجار
وكما يتصف بهذا بالنفوس والابشار لا يتوهم المسار والمضار من الاغيار
ولا يقتلون النفس التى حرم الله اى حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق اى بامر
الشرع على وفق الصدق ولا يزنون فان الزنى نوع من القتل لهلاك النسل اولانه
قد يجر امره الى حد القتل نفى عنهم امهات السيئات بعدما اثبت لهم اصول الطاعات
اظهارا لكمال ايمانهم وتمام احسانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين هذه الامور
وتعريضا للكفرة والفجرة ولذا عقبه الوعيد الشديد على وجه التهديد بقوله ومن يفعل
ذلك يلق اثاما جزاء اثمه تماما وافاد الاستاذ ان من النفوس المحرم قتلها على العبد
نفسه المسكينة قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم وقتل نفسك بغير حق لها تمكينك اياها
من اتباع ما فيه هلاكها ثم دليل الخطاب ان يقتلها بالحق وذلك بذبحها بسكين
مخالفة هواها فاخلاحك الا بقتل نفسك بيديك فان اعدى عدوك نفسك التى
بين جنبيك يضاعف لها العذاب يوم القيمة بدل من يلق لانه فى معناه وقراه
ابن عامر وابو بكر بالرفع استئنافا او حالا وكذا قوله ويخلد فيه مهانا وابن كثير وابن
عامر يضعف بالتشديد وحفص وابن كثير فيه باشباع الهاء ومضاعفة العقوبة
لانضمام الكفر والمعصية كما يشير اليه قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا وقال
الاستاد اقوام يضاعف لهم العذاب يوم القيمة بحسرات الفرقة وزفرات الحرقة
وآخرون يضاعف لهم العذاب اليوم بتراكم الخذلان وتوالى الهجران ودوام الحرمان
بل من كان يضاعف العذاب فى عقباه فهو الذى يضاعف العذاب فى دنياه
كذا فى الخبر من كان بحالة لقى الله بها اى لا محالة الا من تاب من الذنب فى الحال
وآمن فى المآل ويقال ان نجاته بفضل الله لا بتوبته وعمل صالحا لا ينقض توبته
ويقال ان ينقض توبته عمل صالحا وجدد اوبته فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات بان يمحو بالتوبة سوابق معصيتهم ويثبت مكانها لواحق طاعتهم

او يبدل في نفوسهم ملكة المعصية بملكة الطاعة او بان يثبت له بدل كل عقاب نزل ثواب بان
يمحو من ديوانهم الزلات ويكتب بدلها الخيرات والحسنات وكان الله غفورا رحيما بعفو
عن السيئات ويثبت بدل الحسنات ومن تاب رجع عن المعاصي التي كان يفعلها بالندم عليها
والقلع عنها والعزم على ان لا يعود الى مثلها وعمل صالحا يتلافى ما فرط منه وتعرف فيه فانه يتوب
الى الله يرجع اليه متابا مرجعا مرضيا لديه ماحيا للعقاب ومثبتا للثواب قيل ليس التوبة
لاحد كاملة حتى يدع كثيرا من المباحات مخافة ان يخرجه الى المحرمات قال ابن عطا التوبة
هي الرجوع من كل خلق مذموم في الطبع الى كل خلق محمود في الشرع وقال جعفر لم يرجع الى
الحق من لم يرجع الى الخلق حتى يكون رجوعه ظاهرا وباطنا الى الله دون ما سواه والذين
لا يشهدون الزور اي شهادة الزور او لا يحضرون محاضر الكذب ونحوه فان مشاهدة
الباطل مشاركة في فعله لانها دليل الرضاء بوجوده قال ابن عطا هو شهادة اللسان
من غير مشاهدة العيان وقيل لا يخالطون المبتدعين ولا يجالسون المدعين وقيل هو كل
مشهد ليس فيه زيادة في دينك او قربة الى ربك واذا مروا باللغو بمجالس اللعب
واللهو مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والالتفات اليه
والخوض لديه ومن ذلك الاغضاء عن كلام السفهاء ومقام الاستهزاء وقال الاستاذ
واذا مروا باصحاب الزلات وبمساكن المخالفات مروا متكلبين متعاونين لا يساكنون
اهل تلك الحالات ويقال الاية نزلت في اقوام لما دخلوا بيوت مكة مروا بابواب
بيوتهم التي عبدوا فيها الصنم مروا متكرمين كانهم لم يلاحظوها ولم يلتفتوا لها فشكرهم
الله على ذلك والذين اذا ذكروا بآيات ربهم بالقراءة والموعظة لم يخروا عليها صما
وعميانا لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا غير راعين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بها بل
اكبوا عليها سامعين باذان واعية ومبصرين بعيون راعية فالمراد بالنفي نفي الحال
دون الفعل وقيل الهاء للمعاصي فالمراد نفي الفعل ولذا قال ابن عطا لم ينكروها ولم
يعرضوا عنها بل اقبلوا بالسمع والطاعة على اوامرها وقد مال الاستاذ الى المعنى
الاول حيث قال قابلوها بالتفكر والتأمل فيها واستعمال الفكر والنظر فيما يتعلق بها والذين
يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر
وذريتنا قرة اعين بتوفيق الطاعة وتحقيق العبادة وحيازة الفضائل وحياطة
الفواضل وتحسين الاخلاق والشمائل فان المؤمن اذا شاركه في طاعة الله اهله
سر بهم قلبه وقرت بهم عينه لما رأى من مساعدتهم له في الملة وتوقع لحوقهم به
في الجنة وقال الاستاذ قرة العين من كان لطاعة ربه معانقا ولحكم امره موافقا
واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا في افاضة العلم النافع وافادة العمل الرافع
قال الشبلي المتقي من اتقى ما دون الله وافاد الاستاذ ان الامام من يقتدي به ولا
يبتدع في سبيله ويقال ان الله مدح اقواما ذكروا رتبة الامامة فسألوا بنوع من التضرع والمسكنة

ولم يدعوا

ولم يدعوا فيها باختيارهم في القضية فالامامة بالدعاء لا بالدعوى والا لما ايسر الدعوى
وما اعسر المعنى اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة بما صبروا بصبرهم على اقامة
الطاعة وترك المعصية ورفض الشهوة وتحمل البلية ويلقون فيها تحية وسلاما
اي تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وملامة وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يلقون مخففا
معلوما خالدين فيها لا يموتون ولا يخرجون منها حسنت مستقرا ومقاما قال بعضهم
التحية انس الاسرار بالحق والسلام سلامة القلب من القطيعة وقال بعضهم حسن
المقام المقام في مشهد الحق وطيب القرار القرار في جواره على فرش رضائه وافاد الاستاذ
انه سبحانه يعطي الكثير من عطائه ويعده قليلا ويقبل اليسير من طاعة عبده ويعده جزيلا
يعطيهم في الجنة القصور وما فيها من الحور والحبور والسرور والنور والظهور ثم يقول
اولئك يجزون الغرفة ويقبل اليسير من العبد ويقول جاء بجل سعاية وقوله يلقون فيها
تحية وسلاما يسمعهم سلامه عليهم بلا واسطة ويتجلى لهم ليروه من غير تكليف نقله وتحمل قطع
مسافة ويقال قال لهم هل جزاء الاحسان الا الاحسان اليوم حضر العبد بنية لاداء
العبادة فنقل الى المساجد قدمه شوقا للطاعة وتركا للعادة فيجازيهم غدا بان يكفيهم
قطع المسافة فهم على ارائكهم في مستقر عزهم يسمعون كلام الله وينظرون الى الله ولا
يلتفتون الى ما سواه وقوله بما صبروا اي على ما امروا به وعما نهوا عنه وعلى الاحكام التي
اجراها الله بترك اختيارهم وحسن الرضا بتقديره في اختيارهم خالدين فيها مقيمين
مديمين لا يبرحون في منازلهم ولا يزالون في احوالهم حسنت مستقرهم مستقرا وحسن
مقامهم مقاما قل ما يعبؤ بكم ربي اي اي شيء يصنع بكم او لا يعتد بوجودكم ولا بجودكم
لولا دعاؤكم لولا عبادتكم من ركوعكم وسجودكم وشهودكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به
من وجوب الطاعة وقصرتم في القيام بحق العبادة فسوف يكون التكذيب او جزاء
التكذيب لزاما اي لازما لزوما دواما وقال الاستاذ لولا تضرعكم ودعاؤكم بوصف
الابتهال والالتجاء لا دام بكم البلاء والعناء ولكن لما اخذتم في الاستكانة وتضرعتم
بالدعاء كشف عنكم الضراء ويقال لولا عبادتكم الاصنام وتسميتكم الهة
ودعاؤكم اياها باستحقاق العبادة متى كان يخلدكم في العقوبة ٠

سورة الشعراء مكية وهي مائتان وست عشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاذ بسم الله عزيز رضي من الزاهد بترك دنياه ومن العابد بمخالفة هواه
ومن القاصد بقطع مناه ولا يرضى من العارف ان يساكن شيئا غير مولاه
طسم قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة وحمزة باظهار نونه والجمهور على ان
معنى حروفه الله اعلم بها في مراده وقال جنيد الطاء طرب التائبين في ميدان الرحمة
والسين سرور العارفين في ميدان الوصلة والميم مقام المحبين في ميدان القربة
وقال بعضهم الطاء شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم

وافاد الاستاد ان المعنى ارتقى محمد ليلة الاسراء عن شهود شجرة طوبى حتى بلغ سدرة
المنتهى فلم يساكن شيئا من المخلوقات فى الدنيا والعقبى ويقال الطاء طرب ارباب
الوصلة على بساط القرب بوجدان كمال الروح والسين سرور العارفين بما كوشفوا به
من بقاء الاحدية باستقلالهم بوجوده والميم اشارة الى موافقتهم لله بترك التخير
على الله وحسن الرضاء باختيار الحق لهم وعند قوم ان الطاء اشارة الى
طهارة عزه وتقدس علوه والسين دلالة على سناء جبروته والميم دلالة على مجد جلاله
فى ازاله ويقال الطاء اشارة الى طيب قلوب الفقراء عند فقد الاسباب
لكمال الانس بمعرفة وجود الرزاق بدل طيب قلوب العوام بوجود الارفاق والارزاق
ويقال الطاء اشارة الى طيب اسرار اهل التوحيد والسين اشارة الى سلامة
قلوبهم عن مساكنة كل مخلوق والميم اشارة الى منة الحق عليهم بذلك تلك
اى السورة او آيات القرآن او هذه الحروف آيات الكتاب المبين الظاهر
اعجازه وصحته او المظهر احكامه وحجته لعلك باخع نفسك اى قاتلها ومهلكها
لها ولعل لاشفاق المخاطب اى اشفق على نفسك ان تقتلها ان لا يكونوا
مؤمنين لاجل ان لا يؤمنوا او مخافة ان لا يؤمنوا قال سهل لعلك تشغل نفسك
عنا بالاشتغال بهم حرصا على ايمانهم بنا فما عليك الا البلاغ لنا فلا يشغلك
ما لنا عنا وقال الاستاذ اى لحرصك على ايمانهم وامتناعهم من ايقانهم
فانت قريب من ان تقتل نفسك من الاسف على تركهم اتباعك فلا عليك
اذ ليس الامر اليك ولا تبديل لحكمنا اصلا فمن حكمنا له بالشقاوة لا يؤمن ابدا
فليس عليك الا البلاغ عنى والدلالة على فان آمنوا والا فكلهم الى فسيرون
يوم القيمة ما يستحقون من العقوبة ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية
دلالة واضحة ملجئة الى ايمانهم او بلية قاهرة على ايقانهم فظلت اعناقهم
لها خاضعين منقادين خاشعين قال الاستاد اخبر عن قدرته على تحصيل
مراده من عباده فهو قادر على ان يؤمنوا كرها لان البقاء عن تحصيل المراد
يوجب النقص فى الربانية والقصور عن الالهية وما يأتيهم من ذكر طائفة من القرآن
او موعظة الايمان من الرحمن بوحيه من كمال رحمته الى نبيه الرحيم بامته
محدث مجدد اتيانه وتبيانه لتقرير التذكير وتنويع التقرير الا كانوا عنه
معرضين الا جددوا اعراضا عن ذكرهم واصرارا على ما كانوا عليه من كفرهم
قال سهل ما احدث لهم علما بما انزلناه عليهم الا اعرضوا عنها وادعوها
لانفسهم فقد كذبوا بالذكر بعد اعراضهم عن الشكر بحيث ادى بهم الى الاستهزاء
به من صريح الكفر فسيأتيهم اذا مسهم عذاب الله فى الدنيا او العقبى
انباء ما كانوا به يستهزؤن من انه كان حقيقا بان يصدق ويعظم امره او يكذب

فيستخف

فيستخف قدره وقال الاستاد اى ما عدلهم شرعا وما نرسل اليهم رسولا الا اعرضوا
عن تأمل برهانه وقابلوه بالتكذيب بدل اجابته ولو انهم انعموا النظر فى آياتهم لاتضح لهم صدقهم
فى حالاتهم ولكن المقسوم لهم من الخذلان فى سابق الحكم يمنعهم عن الايمان فقد كذبوا وعلى تكذيبهم
اكبوا فسيأتيهم عاقبة اعمالهم بالعقوبة الشديدة الجامعة بين الحرقة والفرقة اولم
يروا الى الارض اولم ينظروا الى عجائبها وما فيها من غرائبها كم انبتنا فيها من كل زوج
كريم صنف محمود كثير المنفعة عديم المضرة قال ابو بكر بن طاهر اكرم زوج من نبات الارض
آدم وحوا فانهما كانا التسبب فى اظهار الانبياء والاصفياء ان فى ذلك اى فى انبات
كل من اصناف النبات لآية كدلالة على ان منبتها تام القدرة كامل الحكمة سابغ النعمة
شايع الرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين فى علم الله وقضائه ولذا لا ينفعهم تبليغ انبيائه
وان ربك لهو العزيز المنتقم لاعدائه الرحيم باوليائه وافاد الاستاد ان فنون ما ينبت
من الارض فى وقت الربيع لا يأتى عليها الحصر لكثرة انواع البديع ثم اختصاص كل شئ منها
بلون وطعم ورائحة مخصوصة وكذا الكل شكل وهيئة وورق وزهر ونور مختلفة الى ما تلطف عنه العبارة
وتضعف عنه الاشارة ففى ذلك آيات لمن استبصر ودلالات لمن نظر وتفكر وان ربك لهو
العزيز القاهر الذى لا يقهر القادر الذى لا يقدر الرحيم المحسن بعباده المريد لسعادة اوليائه
واذ نادى ربك موسى اى اذكر حين نادى ان ائت اى ايت او بان ائت القوم الظالمين
لكفرهم بربهم وتعديهم على غيرهم من استعباد بنى اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون
بدل او بيان والاقتصار على القوم من باب الاكتفاء وللايماء الى برهان الاولى فانه
رأس الضلال ومنشأ الاضلال ولان ظلم غيره راجع الى حكمه وامره الا يتقون استئناف
تعجيبا له من افراطهم فى ظلمهم واجترائهم على فعلهم والمعنى الا يخافون عقاب
ربهم قال رب انى اخاف ان يكذبون اى فى دعوى الرسالة ويضيق صدرى فى تلك
الحالة ولا ينطلق لسانى من الكلالة فارسل الى هرون ليدفع عنى الكلالة وليس ذلك
تعللا منه ولا توقفا عنه فى تلقى الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيدا للعذر
كما اشار اليه بقوله ولهم على ذنب اى تبعته ومطالبته والمراد قتل القبطى المخالف
لما بعثه وانما سماه ذنبا لانه لم يكن مأمورا بمقاتلته ولهذا عد من خطيئته قبل بعثته
وظهور نبوته فاخاف ان يقتلون بمقابلته قبل اداء الرسالة وهو استدفاع للبلية المتوقعة
كان ما قبله استمداد فى امر الدعوة قال كلا اى لا تخف من غيرنا فاذهبا اى اذهب انت
واخوك بآياتنا بمعجزاتنا ودلالاتنا على انكما من ارباب رسالاتنا انا معكم يعنى موسى
وهرون وفرعون مستمعون سامعون لا يجرى بينكما وبينه فاظهركما عليه بالقاء خوفى
اليه ورعبى لديه قال ابو عبد الله الرودبادى ظاهره سؤال وباطنه نوال سال الحق تعالى
عن علمه بحاله فاجاب بقوله كلا ثم بدأ فقال اذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فقدر سؤاله
بل زسبق علمك دوجب حلمك ان يقتلونى واستدل على ذلك بجواب الحق له كلا

ثم خاطبه هنالك وافاد الاستاد انه سبحانه اخبرانه لما امر موسى بالذهاب الى فرعون
وقومه ودعائهم الى ربه علم انه شديد الحضوة قد غرته عن نفسه بالحكومة وهو لايبالى بما يفعل
فاخذ يتعلل لا على وجه الاباء او المخالفة ولكن على وجه الاستعفاء والاستقالة الى ان علم ان
الامر به جزم والحكم به عليه حتم فسال ان يشرك هارون معه فى الرسالة واخبرانه قتل منهم
نفسا قبل هذه الحالة وان فى حكم فرعون ان دما عليه لا محالة فقال واخاف ان يقتلون قبل
الرسالة الى ان قال له الحق كلا فهى كلمة ردع وتنبيه اى كلا ان يكون الامر كما توهمت هنالك
فارتدع عن تجويز ذلك وانتبه بانى معكما بالنصرة والقوة والكفاية والرحمة والسلطان
لكما دون غيركما وانا اسمع ما يقولون وما يقال لكما فاتيا فرعون فقولا انا اى كل واحد منا
رسول رب العالمين اوافرد لاتحادهما فى الاخوة او فى احكام الحكمة ان ارسل معنا بنى
اسرائيل اى خلهم يذهبوا معنا الى حيث اردنا قال الاستاد ويقال فى القصة ان موسى
وهرون عليهما السلام كانا يترددان الى باب فرعون سنة كاملة لم يجدا طريقا اليه ثم بعد
سنة عرضا الرسالة عليه فكان من القصة ما كان من الغصة لديه قال فرعون لموسى الم نربك
فينا فى منازلنا وفيما بيننا وليدا طفلا مولودا سمى به لقربه من الولادة ولبثت فينا
من عمرك سنين والمعنى كنت فى تربيتنا زمانا كثيرا حال كونك صغيرا وكبيرا قيل لبث فيهم
ثلثين ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين ثم بقى بعد الغرق
خمسين وفعلت فعلتك التى فعلت وهى قتل القبطى الذى كان فى خدمتى وانت
من الكافرين بنعمتى لك فى تربيتى قال محمد بن على ليس من الفتوة تذكار الصنايع بالمنة
الاترى فرعون لما لم يكن له فتوة كيف اى يذكر صنعه وامتن على موسى بفعله وقال ابن عطاء
التربية توجب حقا فى الفتوة من ذلك حق الابوة والبنوة الاترى كيف ذكر الله
تعالى فى قصة موسى الم نربك فينا وليدا فاذا اوجب تربية الاعادى حقا اوجب الدين
حفظه وحرمة فتربية الحقيقة الذى هو من الحق الى عباده اولى لرعاية حقوقه وذمته وهو
معنى قوله الله ربكم ورب آبائكم الاولين قال فعلتها اى تلك الفعلة اذا اى اذا
فعلت وانا من الضالين اى فى حال كونى من الجاهلين كما قرئ به والمعنى من الجاهلين
لوقوع الوكزة قتلا او المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل اراد به تاديبه قال الاستاد فلم يكن لموسى
جواب الا الاقرار والاعتراف فقال كل ذلك كان بلا خلاف ففررت منكم لما خفتكم
فوهب لى ربى حكما فاكرمنى الله بالنبوة وجعلنى من المرسلين اليكم بالدعوة قال بعضهم
الفرار عند ما لا يطاق من سنن المرسلين قال الله حكاية ففررت منكم لما خفتكم كذا فى تفسير
السلمى وفيه ان فراره انما كان قبل النبوة وبعثة الرسالة ولا يجوز بعدها اليهم هذه النسبة
واما توجهه صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة سنة الهجرة فانما كان بالاجازة المقرونة
بالحكمة وقيل من خاف الله اخاف الله منه كل شئ ومن لم يخف الله اخافه الله من كل
شئ كذا ذكره السلمى ايضا وهو محمول على كمال الخوف من الله وعدم الالتفات الى خوف

ماسواه

ماسواه وقال ابن عطاء اى فررت من مجاورتكم لما خفت من جرائمكم على ربكم لما لم تحفظوا
مراتب حقوقه على وجه تحقيقه ولم ار عليكم علامات توفيقه وقال ابو بكر الوراق المؤمن يفر
بدينه من موضع الى موضع اذا خاف على دينه من الهوى والبدع والضلالات وافاد الاستاد
انه لم يجحد حق تربيته والاحسان اليه فى ظاهر حاله ولكنه بين انه اذا امر الله بشئ وجب
اتباع امره وقوله ففررت منكم لما خفتكم يجوز حمله على ظاهره وانه خاف منهم على نفسه والفرار
عند عدم الطاقة غير مذموم عند كل احد ويقال فررت منكم لما خفت عليكم ان تنزل بكم
عقوبة من الله بشوم شرككم وتلك التربية نعمة تمنها على اى ظاهرا وهى فى الحقيقة
راجعة الى ان عبدت بنى اسرائيل اى مسبب عن تعبيدك بنى اسرائيل وقصدك
ذبح ابنائهم فانه السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتى لديك فلا نعمة لك
بذلك لظلمك باستعبادهم هنالك ولذا قيل انه مقدر بهمزة الانكار اى او
تلك نعمة تمنها على وهى ان عبدت والمعنى ليس ذلك نعمة ولا لك على فيها منة قال فرعون
وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما عرفه باظهر خواصه وآثاره
من مصنوعاته الدالة على كمال صفاته المشيرة الى جلال ذاته ان كنتم مؤمنين
مصدقين الانبياء او محققين الاشياء قال الاستاد نطق اللعين بجهله
وسال على النحو الذى يليق بغيه فسال بلفظ ما وما انما يستخبر عن ذات
ما لا يعقل اى غالبا فقال وما رب العالمين وكان الواجب ان يقول ومن رب العالمين
فاعرض موسى عن لفظه ومقتضاه واخبر عما صح فى وصف الله قال لمن حوله الا
تستمعون تعجبا من قوله فى جوابه على وجه عدوله لانه سال عن حقيقته واجاب عنها
بذكر فعله وصفته مع ان هذا من كمال حكمته واظهار رافته ورحمته على امته ولذا ورد النهى
عن التفكر فى ذات الله كما يشير اليه قوله سبحانه ولا يحيطون به علما ولا تدركه الابصار
فهو الظاهر بصفاته الباطن بذاته قال ربكم ورب آبائكم الاولين زاد فى البيان
واوضح فى البرهان اذ لا يتصور ان يكون فرعون اللعين رب الاولين ولا اولو
هم سبب الآخرين فبطل دعواه انه اله ولما عجز عن جواب الحجة واراد فتح باب
العداوة على طريقة الجهلة قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم اى على زعمه لمجنون
لنقصان عقله اساله عن شئ ويجيبنى عن آخر على وجه تكرر وقيل سماه رسولا
على السخرية فتدبر قال عمرو المكى لما سال موسى هذا السؤال واجاب بقوله ربكم
ورب آبائكم الاولين علم فرعون ان الحجة قد وجبت لكن خاف الافتضاح
عند قومه فاعرض عن مسائلة موسى ورجع الى قومه بقوله ان رسولكم الذى ارسل
اليكم لمجنون بزعمه وافاد الاستاد ان فرعون حاد عن سنن الاستقامة فى
المخاطبة واخذ فى السفاهة فقال ان رسولكم الذى ارسل اليكم يعنى بزعمه لمجنون
ولم يكن فى شئ مما كان يجرى من موسى عليه السلام ما يتعلق به فيقال انه من صفة

المجانين فى الكلام قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون علمتم انه
لا جواب لكم غير ذلكم معنى الاول لا يفهم ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم
وعارضهم بمثل مقالتهم قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين
عدل عن المحاجة بعد انقطاع الحجة كما هو دأب الجهلة عند الغلبة ان يظهروا
العداوة بالمشاتمة والمضاربة والمقاتلة قال او لو جئتك بشئ مبين اى اتفعل
بى ذلك ولو جئتك بحجة ظاهرة هنالك من المعجزة مبين صدق دعواى بالرسالة
المتضمنة للدلالة على وجود الصانع وحكمته فى آثار صفاته الجلالة قال فأت به
ان كنت من الصادقين فى ان لك بينة فان دعوى النبوة تقتضى حجة فالقى
عصاه فاذا هى ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين
لها شعاع كاد يغشى الابصار ويسد افق الفلك الدوار ولعل اظهار الآيتين
ليكمل نصاب الشهادتين وليتأكد الحجة على المعاند بالقضيتين وافاد الاستاذ
انه اظهر معجزته بالقاء العصا وقلبه سبحانه ثعبانا فى الفضاء وكاد تلتقم دار فرعون
بمن فيها ووثب فرعون هاربا من فوق قصره واختفى تحت سريره وانتقض من الخوف
ظهره وتلطخ بالوحشة ثوبه وافتضح فى دعوى الوهية وانفضح عجزه فى حالته ثم انه استقال
موسى واستغاث به واستجاره فاخذ موسى الثعبان فاداره فرده الله عصا كما اراده
فلما فارقه موسى عليه السلام تداركته الشقاوة وادركه شؤم الكفر فى ذلك المقام واستولى
عليه الحرمان من الاسلام والانقياد الاحكام كما قيل • اذا ارعوى عاد الى جهله •
كذا الضنا عاد الى النكسة • قال للملاء حوله مستقرين عنده منقادين له ان هذا لساحر
عليم فائق فى علم السحر وماهر فى طريق الكيد والمكر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ويكون
الملك والملك تحت امره فماذا تأمرون فى دفعه وقهره بهره سلطان المعجزة حتى حطه
عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم عن العسكر والرعية وتنفيرهم عن موسى باظهار
الاستشعار عن ظهوره وغلبته واستيلائه على مملكته قالوا ارجه واخاه آخر امرهما
وقيل احبسهما وابعث فى المدائن حاشرين جمعا يحشرون السحرة ويأتون بهم للمعارضة
فانه اهون فى دفع الفتنة واسهل فى رفع المحنة يأتوك بكل سحار مبالغ فى امر السحر عليم باساليب
المكر فبعثوا فذهبوا فحشروا فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت فيه من ساعات
يوم معين ونهار مبين وهو وقت الضحى من يوم الزينة وقيل للناس هل انتم مجتمعون
اى اجتمعوا فى تلك الحال لتشاهدوا ما جرى فى آخر المآل لعلنا نتبع السحرة فى دينهم الذى
هم عليه ان كانوا هم الغالبين على ما سبق وما لديه فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا
لاجرا اى مالا ونوالا او جاها وقدرا ان كنا نحن الغالبين على موسى فيما اظهر امر فى تفسير
السلمى وفى ذلك ان طالب الاجر على عمله مبطل لسعيه ومضيع لامله ومن عمل لله واخلص
فى طلب رضاه كان عمله بعيدا فى طلب الاعواض منزها عن ملاحظة الاغراض الا ترى

ان الانبياء

ان الانبياء عليهم السلام كيف اتفقوا على هذا الامر حيث قالوا لاممهم ما اسألكم
عليه من اجر قال اى فرعون نعم لكم الاجر المبين وانكم اذا لمن المقربين فى امر الدنيا
والدين قال ابن عطاء رب قرب اورث بعدا يعنى ورب بعد اورث قربا من
تقرب الى شئ غير الله اورثه ذلك بعدا عن مولاه والتقرب فى الحقيقة الى
من تقرب اليه به لا بشئ سواه وافاد الاستاذ انهم لما طمعوا نجاسة همتهم
فضمن لهم عطاء اجرتهم ومن يعمل باجرة لغيره ليس كمن يكون لله فى عمله ومن
لا يكون له ناصر الا بضمان الجعالة فعن قريب يخذله لا محالة ثم من طلب
عند مخلوق مقام القربة كان ما يصل اليه من المذلة يزيد على ما امله من المعزة
قيل ذلك للتقريب هو ان يكونوا اول من يدخل عليه يوم اللقاء فعلى هذا المقربون
من الله من لهم الوصول الى مقام رضاه والناس بوصف الغفلة ولهم
على الله دخلة والخلق فى اسر الحجبة قال لهم القوا ما انتم ملقون اى بعد ما قالوا له اما ان
تلقى واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر بل الاذن فى تقديم ما هم
فاعلوه من المكر توسلا به الى اظهار الحق وايضاح الامر فالقوا حبالهم وعصيهم
المزوقة بالزيبق ونحوه من التمويهات الموجبة للتخييل بانها الحيات الساعيات
قيل كانت سبعين وقيل سبعين الفا وافاد الاستاذ انها كانت وقارا وقالوا بعزة فرعون
انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه اى لعزة الاله وامره ورضاه فاذا هى اى حية
تسعى تلقف وقرأ حفص بالتخفيف اى تبتلع ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه
من الجمادية بتمويهاتهم وتزويراتهم الخيالية انها الحيات الحقيقية فالقى السحرة
ساجدين فالقاهم الله على وجوههم منقادين للدين عند ظهور حجة اليقين قالوا آمنا
برب موسى وهرون عطف بيان لدفع توهم انه يراد به فرعون اللعين قال آمنتم له
اى رب موسى وهارون او لموسى قبل ان آذن لكم اى امركم بالايمان به انه اى موسى لكبيركم
الذى علمكم السحر ولذا غلبكم او تواطأتم على عملكم فسوف تعلمون وبال صنيعكم كما بينه بقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولاصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير لا ضرر علينا فى ذلك انا الى ربنا لمنقلبون راجعون
الى ثواب ما هنالك قال ابن عطاء من اتصلت مشاهدته بالحقيقة احتمل معها كل ما يرد
عليه من النعمة والمحنة انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا لان كنا اول المؤمنين
من اتباع فرعون اللعين واوحينا الى موسى اى بعد سنين يدعوهم الى الدين ان اسر
بعبادى بنى اسرائيل وغيرهم من المؤمنين انكم متبعون يتبعكم فرعون وقومه اجمعون
فارسل فرعون حين علم بخروجهم فى المدائن حاشرين جمعا يجمعون العساكر ليتبعوهم
قائلين ان هؤلاء لشرذمة طائفة قليلة قليلون اى فى غاية من القلة وانما كانوا
قليلين مع كونهم الوفا من ستمائة وسبعين بالاضافة الى جنوده المجتمعين اذ روى
انه خرج وكانت مقدمته ستمائة الف وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا فى بابهم

فلا بد من تخوفهم وعقابهم وانا لجميع حذرون وقرأ ابن عامر والكوفيون حاذرون اى ومن
عادتنا الحذر واستعمال الحزم فى الامر الخطير ولذا جمعنا العسكر فاخرجناهم اى فخلقنا داعية
الخروج فى قلوبهم حتى خرجوا كانهم مضطرون فى خروجهم من جنات بساتين مشتملة
على اشجار ذوات ازهار واثمار وعيون جارية فى انهار وكنوز ودفائن من دراهم ودنانير
ومقام كريم منازل علية ومجالس بهية كذلك الامر هنالك واورثناها بنى اسرائيل
اى اعطيناها اياهم بعد هلاك اعدائهم جزاء لما صبروا على بلائهم فاتبعوهم اى فاتبعوهم
كما ترى مشرقين داخلين فى وقت شروق الشمس فلما تراءى الجمعان رأى كل
منهما الآخر بالعيان قال اصحاب موسى انا لمدركون لملحقون قال كلا ان يدركوكم فان الله
وعدكم الخلاص منهم ان معى ربى بالمعونة سيهدين سيدلنى الى طريق النجاة
عنهم فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر النيل او القلزم وهو الذى يتوصل اهل
مصر منه الى الطور والى الحرمين الشريفين فانفلق اى فضرب فانفلق فرقا بينها
هنالك اثنى عشر بعدد الاسباط فكان كل فرق اى كل قطعة عظيمة من الماء الواقف
فى الهواء كالطود العظيم كالجبل المتين الثابت فى مقره من الارضين فدخلوا
فى شعابها كل سبط فى شعب منها وازلفنا قربنا ثم الآخرين فرعون وقومه من البحر او من
بنى اسرائيل حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر
على تلك الهيئة الى ان عبروا بالكلية ثم اغرقنا الآخرين باطباق البحر عليهم اجمعين
ان فى ذلك ما ذكر من الاغراق والانجاء من البلية لآية اى واية آية وما كان اكثرهم
اى اكثر قوم فرعون مؤمنين كما قال تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون
وملائهم ان يفتنهم وان ربك لهو العزيز المنتقم من العاصين الرحيم بالمطيعين واتل
عليهم اى على مشركى العرب حيث ادعوا انهم على دين آبائهم وان ابراهيم من انبيائهم
نبأ ابراهيم ليعلموا انه كان رئيس اهل التوحيد والدين القويم اذ قال لابيه وقومه
ما تعبدون سألهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد اصناما اجسادا
واجساما فنظل لها عاكفين فندوم لاجلها ملازمين واقفين قال هل يسمعونكم اى دعاءكم
اذ تدعون حين تدعونهم فيستجيبون لكم او ينفعونكم على عبادتكم لهم او يضرون من اعرض
عنهم قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون فانهم مقلدون اعترافا بانهم جاهلون مقلدون
قال افرأيتم اى اتبصرتم فعلمتم ما كنتم تعبدون اى اى شئ تعبدونه انتم وآباؤكم الاقدمون مما
لا ينفعون ولا يضرون فانهم عدو لى فى امر الدين الا رب العالمين استثناء منقطع اى لكن
محبته ثابتة فى قلوب المؤمنين قال الاستاذ فكانه ضرب بلطف اضرب عن ذكرهم صفحا
وتوصل الى ذكر الله نصحا ثم لما اخذ فى شرح وصفه كانه لا يسكت فقال الذى والذى فى تعداد
نعمه ومن امارة المحبة كثرة ذكر الحبيب والاعراض عن ذكر الرقيب فتنزه المحبوبين بالتقلب
فى رياض ذكر محبوبهم والزهاد يعدون اورادهم وارباب الحوائج يعدون مآربهم فيطلبون ادعائهم

لمطالبهم

لمطالبهم والمحبون يشهدون فى ثناء محبوبهم وقال سمنون لا تصح المحبة لمن لم ينظر الى الاكوان
وما فيها بعين العداوة حتى يصح له بذلك محبة الله والرجوع اليه بالانقطاع عما سواه الذى
خلقنى فهو يهدين الى طريق الدين وتحقيق اليقين قال الواسطى لما استغرق ابراهيم فى الخلة
احتشم من ذكر خليله بالتصريح فرجع الى الصفات فجعل يقول الذى ولم يصرح بل كنى ولما كان
فى ابتداء مقاماته واوائل جذباته ولم يستغرق فى الخلة وحالاته جعل يصرح ويقول ربى ربى
وافاد الاستاذ انه عليه السلام كان مهتديا فالهداية التى ذكرها فيما يستقبله من الازمنة
الآتية اى يهدينى الى فنائى ومحوى فى وجوده فليس لى خبر عنى وبعد ان يكونوا مستغرقين
فى نفوسهم لا يهتدون من نفوسهم الى معبودهم فيهديهم عنهم الى ربهم فيصيرون فى نهايتهم
مستهلكين فى وجوده فانين عن اوصافهم ويصير معارفهم بعد ما كانت ضرورة ذاهبة
منهم ضعيفة فيهديهم اليهم والذى هو يطعمنى ويسقين قال النهرجورى الذى يطعمنى حلاوة
ذكره ويسقينى كأس محبته اى سكرى فى شكره وقال الاستاذ لم يشر الى طعام معهود
وشراب مألوف ولكن اشار الى استقلال به من حيث ان المعرفة لهم بدل استقلال
غيرهم بطعامهم والى شراب محبته الذى يقوم بدل استقلال غيره بشرابهم واذا مرضت
فهو يشفين وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعداد نعم الله عليه والمقام يقتضى
التأدب لربه ولان المرض منع الاكل والشرب غالبا وهو اثر فعل العبد كسبا كما قال
ابن الرومى • فان الداء اكثر ما تراه • يكون من الطعام او الشراب • قال ابن عطاء
واذا مرضنى رؤية الاغيار كان شفائى الرجوع الى مشاهدة الجبار وقال الاستاذ لم يقل امرضنى
لانه حفظ ادب الخطاب ويقال لم يكن ذلك مرضا معلوما ولكنه اراد تمارضا موهوما كما يتمارض
العشاق طمعا فى عيادة الاحباب كما قال قائلهم • يود بان يمسى سقيما لعله • اذا سمعت منه
بشكوى تراسله • وقال بعضهم • ان كان يمنعك الوشاة زيارتى • فادخل على بعلة العواد •
ويقال ذلك الشفاء الذى اشار اليه الخليل هو ان يبعث جبريل ويقول له يقول مولاك
كيف كنت البارحة والذى يميتنى فى الدنيا ثم يحيين فى العقبى واسند الاماتة اليه لانه
لا قدرة لغيره عليه مع ان الموت تحفة المؤمن وهدية الموقن لكونه وصلة الى نيل الدرجات
العلية والمثوبات الجلية التى تستحقر دونها اللذات الدنيوية مع ما فيه من الخلاص عن
انواع المحن والبلية قال بعضهم يميتنى ظاهرا ثم يحيين باطنا وقال ابو عثمان يميتنى بخوفه
ويحيينى برجائه وقال الواسطى يميتنى بالاستتار ويحيينى بالتجلى والاظهار وقال جنيد
يميتنى بالغفلة ثم يحيينى بالذكر والطاعة وقيل الذى يميتنى بالمحنة ثم يحيينى بالنعمة
وقال محمد بن حامد يميتنى بالطمع ويحيينى بالقناعة وقال الاستاذ يميتنى باعراضه
عنى وقت تعززه منى ويحيينى باقباله على حين افضاله ويقال يميتنى عنى ويحيينى به
والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين لعله اراد بالخطيئة الغفلة او التقصير فى الطاعة
كما قال بعضهم حسنات الابرار سيئات الاحرار قال ابو عثمان اخرج سؤاله على حد الادب

حيث لم يحلهم بالمغفرة على الرب ولكنه قال والذى اطمع اى طمع العبيد فى مواليهم وان لم يكونوا
مستحقين شيئا لهم عليهم وافاد الاستاذ ان خطيئة الاحباب شهودهم محبتهم ونفسهم عند شدة
البلاء عليهم وشكواهم مما يمسهم من برحاء الاشتياق لربهم وفى معناه انشدوا ● اذا
محاسنى اللاتى ادل بها ● كانت ذنوبى فقولى كيف اعتذر ● رب هب لى حكما كمالا فى العلم
والعمل والصدق استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق والحقنى بالصالحين الكاملين فى
مقام الصلاح وحالة الفلاح القائمين بحقوق الله وحقوق عباده وفق رضاه وقال الاستاذ
حكما على نفسى اولا فان من لا حكم له على نفسه لا حكم له على غيره واجعل لى لسان صدق فى الآخرين
اى ثناء حسنا وصيتا وجاها فى الدنيا يبقى اثره الى العقبى ولذا ما من امة الا وهم محبون له مثنون
عليه ومنتسبون اليه قال سهل ارزقنى الثناء فى جميع الامم الانبياء وقال ابن عطاء واهل السنة
انه محمد بالثناء على والشهادة لى فانك جعلتهم شهداء مقبولين فى الثناء وقال الاستاذ
اى لا اذكر الا بك ولا اعرف الا بك واجعلنى من ورثة جنة النعيم فى الدار المقيم
واغفر لابى بالتوبة عن العصيان والهداية الى الايمان انه كان من الضالين طريق اليقين
ولا يبعد كون هذا الاستغفار قبل علمه عليه السلام ان اباه من الكفار وافاد الاستاذ انه عليه السلام
قال ذلك قبل يأسه من ايمان ابيه وهذا لسان العبارة للعلماء واما على بيان الاشارة للوفاء فذكر
فى وقت غلبات البسط ويتجاوز ذلك عنهم هنالك وليس اجابة العبد واجبا عليه
سبحانه واكثر ما فيه ان لا يجيبه ثم لهم سلوة فى ذكر امثال هذا الخطاب ولا يهتدى كل احد
الى هذا الباب ولا تخزنى لا تفضحنى بمعاتبتى على تفريطى وتقصيرى او بتعذيبى لجوازه
عقلا ولتعليم الامة لخفاء العاقبة مع ان الانبياء معصومون عن سوء الخاتمة قال بعضهم
خاف الانبياء على انفسهم مع عظم مكانهم وسنى مراتبهم فقال الخليل ولا تخزنى يوم يبعثون
ممن امن على نفسه فما هو الا لغفلته او استدراج عليه وقال الاستاذ اى لا تخجلنى بين يدى
خلقى فان شهود ما من العبد عند ارباب القلوب واصحاب الخصوص اشد عقوبة يوم يبعثون
اى الخلايق اجمعون لانهم معلومون يوم لا ينفع مال ولا بنون اى احدا ابدا الا من اتى الله
بقلب سليم اى مخلصا موحدا سليم القلب عن معصية الرب او لا ينفعان الا مال من هذا شأنه
وبنوه واعوانه حيث انفق ماله فى سبيل البر وارشد بنيه الى طرق الخير قال ابن عطاء
بقلب سليم اى سليم من غير رب كريم وقيل القلب اللديغ ولعله اشارة الى ما قيل
لدغت حية الهوى كبدى ● وقال الاستاذ قيل هو الذى سلم من الضلالة ثم من البدعة
ثم من الغفلة ثم من الغيبة ثم من الحجبة ثم من المفاجأة ثم من المساكنة ثم من الملاحظة
هذه كلها آفات والاكابر سلموا منها والاصاغر امتحنوا بها وازلفت الجنة للمتقين
قربت لهم بحيث يرونها من الموقف فيستبشرون بانهم محشورون اليها وبرزت
الجحيم للغاوين اظهرت لهم فيتحسرون علما بانهم مسوقون اليها والمعنى يعرضون على
النار ويرون عليهم منازل الاشرار وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله على زعم انهم

شفعاء

شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم لانهم والهتهم
يدخلون النار بحيلهم لقوله فكبكبوا فيها هم والغاوون اى الآلهة وعبدتهم وجنود
ابليس اى شياطينه او سائر اتباعه اجمعون اى الاولون والآخرون قالوا وهم فيها
يختصمون جملة معترضة بين القول مبينة للمقصية تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ
نسويكم برب العالمين اى فى استحقاق العبادة او اشتراك الارادة وقال الاستاذ
لا فضيحة افظع ولا عيب اشنع مما يعترفون به على انفسهم بقولهم اذ نسويكم برب العالمين
وافحج انواع الشرك واشنع انواع الكفر والجحود هو التشبيه فى صفة المعبود وما اضلنا
الا المجرمون اى الشياطين او الرؤساء الاقدمون فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من
الملائكة والنبيين ولا صديق حميم قريب اوهمهم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء وقلة الصدقاء او لان الصديق الواحد
يسعى فى وقت البلاء اكثر مما يسعى الشفعاء قال الاستاذ فى بعض الاخبار انه يجئ يوم
القيامة عبد يحاسب فتستوى حسناته وسيئاته ويحتاج الى حسنة واحدة يرضى عنه خصومه
فيقول الله له عبدى بقيت لك حسنة ان كانت ادخلتك الجنة انظر وتطلب من
الناس لعل واحدا منهم يهب منك حسنة واحدة فيأتى العبد فى الصفين ويطلب من
ابيه ثم من امه ثم من اصحابه فيقول لكل واحد فى بابه فلا يجيبه احد الى مايه وكل يقول له انا
اليوم فقير الى حسنة واحدة فيرجع الى مكانه فيسأله الحق سبحانه فيقول ماذا جئت به
فيقول يا رب لم يعطنى احد حسنة من حسناته فيقول الله تعالى عبدى الم يكن لك صديق
فى فيذكر العبد فيقول فلان كان صديقا لى فيدله الحق عليه فيأتيه فيكلمه فى بابه فيقول بلى لى
عبادات كثيرة قبلها اليوم عنى فقد وهبتها منك فيسير العبد فيجئ الى موضعه ويخبر بذلك
ربه فيقول الله قد قبلتها منه ولم انقص من حقه شيئا وقد غفرت لك وله وهذا معنى قوله
فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو ان لنا كرة اى فليت لنا رجعة من العقبى فنكون
من المؤمنين فى الدنيا ان فى ذلك فى ما ذكرنا من القصة لآية لحجة وعظة وعبرة للمستبصرين
والمعتبرين وما كان اكثرهم اكثر قومه مؤمنين به او بربه وان ربك لهو العزيز الغالب على
مراده الرحيم بعباده كذبت قوم نوح اى امة المرسلين اليهم وهو نوح ومن قبله ولان
تكذيب واحد منهم تكذيب لجميعهم اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون
الله فتتركوا عبادة من سواه انى لكم رسول من ربكم امين مشهور بالامانة عندكم
فاتقوا الله مخالفته او عقوبته واطيعون فيما امركم به من التوحيد لله والطاعة له
وما اسألكم عليه اى على تبليغ الامر من اجر نوعا من الاجر ان اجرى الا على رب العالمين
فان اجره اعلى واغلى فى القدر فاتقوا الله واطيعون كرره للتأكيد وللايماء الى ان اجتناب
السيئات وارتكاب الطاعات هو المطلوب فى جميع الحالات يستوى فيه المبتدى
والمنتهى فى المقامات قال الواسطى التقوى اوائل المنازل واواخرها ولا غاية له فى المناهل

وذلك انه ليس للمتقي غاية ينتهي اليها ولا نهاية يستغني عنها ثم حقيقة التقوى ان يتقي العبد
من تقواه وكمال التقوى هو التخلي عن كل مذموم والتحلي بكل محمود قالوا انؤمن لك
واتبعك الارذلون الاقلون جاها ومالا وهذا من سخافة عقلهم في الامور الدينية
وقصور نظرهم على الحطام الدنية الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن
اتباع المكثرين بها وجعلوا ايمان الفقراء بما يدعو اليه الاغنياء دليلا على بطلانه وحجة
على ضعف شانه واشاروا بذلك الى ان اتباع الضعفاء ليس عن نظر وبصيرة
بل انما هو لتوقع مال ورفعة فلذا قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه خالصا من
رياء وسمعة او طمعا في حصول طعمة واني ما احكم الا بالظواهر والله اعلم بالسرائر
ان حسابهم الا على ربي ما جزاؤهم من ثوابهم وعقابهم على مقتضى بواطنهم
الا على الله المطلع على احوالهم لو تشعرون ذلك لعلمتم ما هنالك ولكنكم تجهلون
فتقولون ما لا تعلمون قال الاستاد وكذلك اتباع كل رسول انما هم المستضعفون لكنهم في حكم الله
هم المتقدمون الاكرمون وما انا بطارد المؤمنين اي من الفقراء لتوقع ايمان الكافرين
من الاغنياء حيث استنكفوا باتباع الضعفاء ان انا الا نذير مبين ما انا الا منذر
للمكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء
لاستتباع الاغنياء قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول من الدين لتكونن من المرجومين
المضروبين بالحجارة او المشتومين قال رب ان قومي كذبون فيما بلغتهم من طريق الدين
واليقين فافتح بيني وبينهم فتحا باب الحكم في نصرة الدين ونجني ومن معي من المؤمنين من قصد
معاداتهم او شوم عملهم فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملو ثم اغرقنا بعد بعد النجاة الباقين
من قومه الكافرين ان في ذلك لاية شاعت للحجة وذاعت للعبرة وما كان اكثرهم مؤمنين
في علم القديم وان ربك لهو العزيز القادر على الاستئصال الرحيم بتاخير العقوبة عنهم اليوم
بالامهال وزاد الاستاد فيما افاد من انه لم يقطع الرزق عنهم مع قبح افعالهم وهو
عزيز لا يستضر بقبيح اعمالهم وما كان لو اجمعوا على طاعته ليتجمل بافعالهم كذبت عاد
اي قبيلتهم المرسلين اي جملتهم اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون مخالفة الدين اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون في امر اليقين وما اسالكم عليه من اجر كالطامعين
ان اجري الا على رب العالمين في تصدير القصص بهذه الجملة دلالة على ان البعثة مقصورة
على الدعوة الى المعرفة والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وعلى ان
الانبياء مبرؤون عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية قال ابو جعفر ازلت الاطماع
عن الرسل اجمع لدناءة الطمع وافاد الاستاد ان من عمل لله فلا ينبغي ان يطلب الاجر
من سواه وفيه تنبيه للعلماء الذين هم ورثة الانبياء ان يتادبوا بآدابهم فلا يطلبوا من
الناس شيئا في بث علومهم ولا يرتفقون منهم بتعليمهم وتذكيرهم ومن ارتفق من
المستمعين في بث ما يذكره من امر الدين ويعظ به المسلمين فلا يبارك الله للناس فيما

يسمعون ولا للعلماء ايضا بركة فيما منهم ياخذون يسمعون ويهم للتطير بالعوض اليسير
ثم لا بركة لهم فيه يحجبون به عن الله ولا ينتفعون به ويستحقون على سخط من الله وعذابه
اتبنون بكل ريع مكان مرتفع آية علامة للمارة تعبثون ببنائها لاستغنائهم عنها او
قصور يفتخرون بها وتتخذون مصانع ماخذ الماء او قصورا مشيدة البناء او حصونا
مرتفعة الهواء لعلكم تخلدون تسكنون بها وتدومون فيها فتحكمون اساس بنيانها
واذا بطشتم بسوط او سيف او لطمة بطشتم جبارين متسلطين ظالمين بلا رافة
ورحمة ولا قصد تاديب ونظر في عاقبة فاتقوا الله بترك هذه الافعال الدنية
واطيعون فيما دعوتكم اليه من الاعمال الرضية فانه انفع لكم في الاحوال الدنيوية والاخروية
واتقوا الذي امدكم بما تعلمون بما تعرفونه من انواع النعم الجلية امدكم بانعام وبنين كثيرة
وجنات وعيون غزيرة اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم في الدنيا والعقبى
فانه سبحانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت
بالنصحت لدينا ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرجع عما نحن عليه من الدين ان هذا
الا خلق الاولين ما هذا الذي جئتنا به الا كذب المرسلين الاولين وقرا نافع
وابن عامر وعاصم وحمزة بضمتين اي ما هذا الذي جئتنا به الا عادة الاولين
كانوا يزخرفونه ويزورونه من امر الدين وما نحن بمعذبين لا في الدنيا ولا في العقبى
فكذبوه اي نبيهم هودا فاهلكناهم اجمعين بسبب تكذيبهم للتوحيد
والنبوة بريح صرصر عاتية ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم في نفي الايمان عن اكثرهم ايماء بانه لو آمن اكثرهم
او شطرهم لما اخذوا في الدنيا بكفرهم واشارة الى ان رحمته سبقت غضبه كذبت
ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون في ما
ههنا آمنين انكار لان يتركوا على حال نعمهم مقيمين دائمين كما بينه بقوله في جنات
وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف ثمره الكريم وتنحتون من
الجبال بيوتا فارهين وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو فرهين بطرين اشرين مفتخرين
فاتقوا الله واطيعون فيما تؤمرون ولا تطيعوا امر المسرفين ولا تنقادوا امر
المجرمين من الرؤساء والمتكبرين من الاغنياء الذين يفسدون في الارض
ولا يصلحون ولا يتداركون قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى
غلب على عقلهم فصاروا كالمجانين ما انت الا بشر مثلنا من الآكلين والشاربين
فات باية من انواع الدلالة ان كنت من الصادقين في دعوى الرسالة قال
هذه ناقة اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها لها شرب نصيب من الماء
ولكم شرب يوم معلوم فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها ولا تمسوها بسوء

بضرب وجرح فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم ما يحل فيه من العذاب الاليم
فهو ابلغ من العذاب العظيم فعقروها اسند العقر اليهم لان عاقرها انما عقر برضاهم
ولذا اخذوا جميعهم فاصبحوا نادمين على عقرهم وكفرهم خوفا من العقوبة لا توبة من
المعصية او عند المعاينة حين لا ينفعهم التوبة فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود
في الدنيا ولعذاب الآخرة اشد وابقى ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب
العالمين العالم باحوال العالمين اتأتون الذكران من العالمين اي من بين من عداكم
من العالمين لا يشارككم فيه غيركم حتى البهائم التي ليس لها ملة ودين وعقل وتمييز
وتذرون ما خلق لكم لاستمتاعكم ربكم من ازواجكم بيان لما واريد بهن جنس الاناث
بل انتم قوم عادون متجاوزون عن حد الشهوة او مسرفون في المعصية لارتكاب
هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يا لوط عن امرنا ونهينا وتقبيح مرادنا لتكونن من المخرجين
عن بلادنا قال اني لعملكم من القالين من المبغضين رب نجني واهلي مما يعملون
اي من شؤمه وعذابه فنجيناه واهله اجمعين اي اهل بيته والمتبعين له على ملته
باخراجهم من بينهم وقت قرب حلول العذاب بهم الا عجوزا هي امراة لوط
في الغابرين الباقين في القرية المشاركين في العقوبة ثم دمرنا الآخرين
اهلكنا غير المؤمنين وامطرنا عليهم مطرا بالانزال من السماء فوقهم حجرا
فساء مطر المنذرين مطر هؤلاء المجرمين ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين
وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة الغيضة تنبت ناعم
الشجرة والمراد بها غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما
بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذا قال اذ قال لهم شعيب ولم يقل اخوهم الا
تتقون وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ليكة وهي اسم بلدتهم اني لكم رسول
امين معروف بالديانة دون الخيانة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون في الموافقة
وما اسئلكم عليه من اجر بل ينبغي غنمكم بلا غرم ان اجري الا على رب العالمين فاجره اتم دونه
اعم اوفوا الكيل اتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس على وجه التعميم وزنوا
بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي القويم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر
القاف ولا تبخسوا الناس اشياءهم لا تنقصوا شيئا من حقوقهم ولا تعثوا
في الارض مفسدين بنحو القتل والغارة وقطع طريق المارة واتقوا الذي
خلقكم والجبلة الاولين الخليقة الذين قبلكم قالوا انما انت من المسحرين
وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين
للرسالة بخلاف قوم صالح فانهم تركوا الواو لارادة التأكيد او الاستئناف

وان نظنك

وان نظنك لمن الكاذبين في دعواك بالنبوة وتهديدك لمن خالفك بالعقوبة
فاسقط علينا كسفا من السماء قطعا منها ان كنت من الصادقين في دعواك
بنزول العذاب عنها قال ربي اعلم بما تعملون باعمالكم واحوالكم فينزل لكم ما اوجبه
عليكم في وقته الذي قدره ان يصل اليكم فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة
بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم واظلهم سحابة فاجتمعوا
تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا بها انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك
لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع
المذكورة على طريق الاختصار تسلية لسيد الابرار وتهديدا للمكذبين به من الكفار
وانه اي القرآن او ما سبق من البيان لتنزيل رب العالمين نزل به الروح
الامين على قلبك المكين لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين فصيح المبنى واضح
المعنى وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح الامين
وافاد الاستاد ان كلام الله العزيز منزل على قلب رسوله الكريم غير منفصل وبغير الله غير متصل
وهو على الحقيقة لا على المجاز منزل ومعناه ان جبرئيل كان في السماء فسمع من الرب فحفظ ونزل
وبلغ الى الرسول فمرة كان دخل عليه حالة تاخذه عنه عند نزول الوحي عليه فيورد جبرئيل ذلك
على قلبه ومرة كان يتمثل له الملك فيسمعه وكان الرسول يحفظه ويؤديه والله ضمن له ان سيقرئه
حتى لا ينساه فكان يجمع الله له الحفظ في قلبه ويسهل القراءة على لفظه ولما عجز الناس
باجمعهم عن معارضته مع تحديه اياهم لاتيان بمثله علم صدقه انه من قبل ربه من طريق
قلبه وانه اي ذكر القرآن او معناه بحسب البيان لفي زبر الاولين كتب المتقدمين
من الانبياء والمرسلين اولم يكن لهم آية علامة على صحة القرآن مع قطع النظر عن دلالة
المعجزة او على رسالة الى هذه الامة ان يعلمه علماء بني اسرائيل اي يعرفون بنعته المذكور
في كتبهم وقرأ ابن عامر تكن بالتأنيث وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم
وان يعلمه بدل من الآية ولو نزلناه على بعض الاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولذلك
انه قرئ بالتشديد فقرأه عليهم ما كانوا اي اكثرهم به مؤمنين لتكبرهم وكثرة
تعللهم كذلك سلكناه ادخلنا القرآن المبين في قلوب المجرمين اي منهم ومن غيرهم فعرفوا
مبانيه واعجازه ومعانيه ثم من عنادهم لم يؤمنوا بما فيه لا يؤمنون به حتى يروا العذاب
الاليم الملجئ الى التوبة حين لا ينفعهم الندامة فيأتيهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون
باتيان العقوبة لكمالهم في الغفلة واشتغالهم بالنعمة فيقولون هل نحن منظرون تحسرا
وتأسفا على ما كانوا يفعلون وافاد الاستاد انه سبحانه اخبر انه لو انزل بغير لسانهم
هذا الكتاب لم يهتدوا الى طريق الصواب وقالوا لو كان بلساننا لعرفناه ولآمنا به
واتبعناه فازاح عنهم العلة واكد عليهم الحجة ثم اخبر عن صادق علمه منهم
وسابق حكمه فيهم بالشقاوة عليهم وهو انهم لا يؤمنون به حتى يروا العذاب

في القيامة حين لا ينفعهم الايمان ولا النذارة افبعذابنا يستعجلون حيث يقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا
يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم في دفع عذابهم وقال
الاستاذ ان ارخينا لهم المدة وامهلناهم ازمنة كثيرة وهم بوصف الغفلة فما الذي
كان ينفعهم اذا اخذهم العذاب بغتة وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون انذروا
اهلها الزاما للحجة ذكرى اي تذكرة وتبصرة ونصبها على العلة وما كنا ظالمين ولو اهلكنا
العالمين بلا خطيئة وما تنزلت به الشياطين لزعم الكفرة انه من قبيل ما يلقي الجن
على الكهنة وما ينبغي لهم وما يصح لهم ان يتنزلوا به اليه وما يستطيعون وما يقدرون
عليه انهم عن السمع اي بالمواجهة لكلام الملائكة في السماء من الوحي النازل للانبياء
لمعزولون لعدم وجود المشاركة في صفاء الذات وضياء الصفات وقبول
فيضان الكلمات المشتملة على الكمالات والانتقاش بالصور الملكوتية لكون
نفوس الشياطين في غاية من الخباثة الظلمانية فلا تدع مع الله الها آخر فتكون
من المعذبين تهييج لازدياد المخلصين ولطف لسائر المكلفين وانذر عشيرتك
الاقربين الاقرب فالاقرب منهم فان الاهتمام بشانهم اهم من غيرهم وقال الاستاذ
وذلك تعريضه انه لا ينفعهم قرابة منهم لا تقبل شفاعته فيهم على تقدير عدم ايمانهم فليس هذا الامر
من حيث النسب بل باعتبار التقوى والحسب هذا نوح لما كفر ابنه لم ينفعه بنوته وهذا
ابراهيم لما كفر ابوه لم ينفعه ابوته وهذا محمد صلى الله عليه وسلم وكثير من اقاربه كانوا اشد الناس
عليه في عداوته فلم ينفعه نسبه قرابته واخفض جناحك الن جانبك وكن من المتواضعين
لمن اتبعك من المؤمنين قال الاستاذ قاربهم في الصحبة واسحب ذيل التجاوز على ما يبدر
منهم في تقصير الخدمة واحتمل منهم سوء الاعمال وعاشرهم بجميع الاحوال وتحمل عنهم وارحم
كلهم فان مرضوا فعدهم وان حرموك فاعطهم وان ظلموك فتجاوز عنهم وان قصروا
في حقي فاعف عنهم واشفع لهم واستغفر لهم فان عصوك ولم يتبعوك فيما يؤمرون فقل
اني بريء مما تعملون من اعمالكم اذ ليس لي اطلاع على احوالكم في مآلكم وفي تفسير السلمي
قيل برئ كل نبي ممن عصاه من ذريته الا نبينا صلى الله عليه وسلم شرف رتبته وعظم قربته
لقوله تعالى فان عصوك بارتكاب العصيان بعد تحقق الايمان فقل اني بريء من اعمالكم
لا بري منكم في آجالكم فان لك محل الشفاعة والشفاعة تزيل عنهم ظلمة المعصية
وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك
منهم ومن غيرهم وقرا نافع وابن عامر فتوكل بالفاء على البدل من الجزاء قال جنيد
التوكل ان تقبل بالكلية على ربك وتعرض بالكلية عما دونه فان حاجتك في الدارين اليه
فلا تعتمد الا عليه وقال الاستاذ انقطع الينا واعتصم بنا وتوسل بنا الينا وكن بنا واذا
قلت فقل بنا واذا صلت فصل بنا واستشهد تقلبك في قبضتنا وتحقق بانك بنا ولنا

ويقال توكل

ويقال توكل على العزيز تجد العز بتوكلك عليه وانتسابك اليه وتفويض امرك اليه
فان العزيز من وثق بالعزيز الرحيم الذي يتوب من تقرب اليه ويجزل البر لمن
توسل اليه وتوكل عليه الذي يريك حين تقوم الى الصلوة وحدك من المتطوعين او
المتهجدين وتقلبك في الساجدين ويرى تصرفك باركان الصلوة فيما بين المصلين
والمعنى يريك اذا صليت بوصف الوحدة واذا صليت في الجماعة يعني توكل على من
يراك في حال اجتهادك لرضاه مولاك انه هو السميع لاقوالك واقوالهم العليم لاحوالك
واحوالهم وافاد الاستاذ ان الله سبحانه اقتطعه بهذه الآية عن شهود الخلق فان من
علم انه بمشهد من الحق راعى دقائق حالاته وحقائق طاعاته ثم يهون عليه معاناة مشاق
عباداته برؤيته له في تقلباته اذ لا مشقة في تحمل البلوى لمن يعلم انه بمرأى من المولى
لان تحمل الجبال الرواسي يهون لمن حملها على شغفه من حفظ عينه على مشاهدة ربه
وقوله وتقلبك في الساجدين اي من اصحابك فهم نجوم وانت بدر وهم بدور وانت
شمس وهم شموس وانت للشموس شمس ويقال تقلبك في اصلاب آبائك
من المسلمين الذين عرفوا الله فسجدوا له دون من لم يعرفوه ولم يدخلوا في الدين انه
هو السميع لانين المحبين العليم بحنين العارفين ويقال السميع لانين المذنبين
العليم باحوال المطيعين قل هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل
افاك اثيم كثير الكذب عظيم الاثم من الكهنة والمنجمين يلقون السمع واكثرهم
كاذبون اي تسترق الشياطين المسمع من السماء فيختطفون كلمة من الملائكة ثم
ثم يلقونها الى اوليائهم من الانس مع مائة من الكذب ففي الصحيحين الكلمة يختطفها
الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة وربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها
وربما القى قبل ان يدركها والشعراء يتبعهم الغاوون اي الضالون يعني شعراء الكفار
يهجون سيد الابرار واصحابه الكبار ويقولون نحن نقول مثل ما يقول محمد فبعض الغوغاء
يجتمعون اليهم ويستمعون منهم ويروون عنهم الم تر انهم في كل واد من اودية الكلام يهيمون
يذهبون كالمجنون ويخوضون في كل لغو وهم متحيرون فتارة للباطل يمدحون وتارة للحق
يذمون وانهم يقولون ما لا يفعلون وافاد الاستاذ ان المراد بهم الشعراء الذين في الباطل
يهيمون وفي اعراض الناس يقعون وفي الشبهات عن حد الاستقامة يخرجون ويعدون
من انفسهم ما لا يفون ويسلكون سبيل الكذب فيما يتفوهون الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وذكروا الله كثيرا في سائر الاوقات والحالات قال جنيد الذكر الكثير هو
دوام المراقبة في جميع الاحوال وطرد الغفلة عن القلب في جميع الافعال وانتصروا
من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين المكثرين لذكر الله حيث
اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ومتابعة رضاه ولو قالوا
هجاء ارادوا به الانتصار ممن هجاهم من الكفار مكافاة روي انه لما نزلت والشعراء

يتبعهم الغاوون جاء حسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهم يبكون لديه فقال قد علم الله حين انزل هذه الآية من السماء انا شعراء فانزل الله الا الذين
آمنوا الآية رواه ابن جرير وغيره والسورة وان كانت مكية لكن اربع آيات منها وهي والشعراء
الى آخر السورة مدنية كما صرح به محيي السنة وغيره من الائمة وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب
ينقلبون اي مرجع يرجعون بعد الموت او حين الفوت وقرئ اي منفلت ينفلتون اي منصرف
ينصرفون والمعنى اذا عوقبوا على ظلمهم تحققوا انهم ما ظلموا وندموا على ما سلفوا وصدقوا ما كذبوا
وقال ابن عطا وسيعلم المعرض عنا ما الذي فاته منا هذا وسياق الآية وان كان في الكفار
وشعرائهم لكن عام لكل ظالم فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولهذا كتب الصديق
الاكبر رضي الله عنه عند الوصية لعمر رض بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اوصى به ابو بكر بن ابي
قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب اني
استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان يعدل فذلك ظني به ورجائي فيه وان يجر ويبدل
فلا اعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون نقله ابن ابي حاتم عن عائشة رضي الله عنها

سورة النمل مكية وهي ثلث وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

افاد الاستاد انه اسم عزيز قصده العاصي لطلب تخفيفه فظل وزره مغفورا اسم كريم
قصده العابد لطلب تشريفه فصار اجره موفورا اسم جميل انه الولي لطلب تشريفه
فظل سعيه مشكورا اسم عظيم تعرض الفقير لوجوده لمحبة العزة وطرحة السطوة فصار كان لم يكن
شيئا مذكورا جلت الاحدية فاني بالوصل وتقدست الصمدية فمن الذي له اهل كلا انها
تذكرة فمن شاء ذكره وكم بائسين الى وصلنا الفهم لم ينالوا نصيبا طس بطهارة
قدسي وسناء انسي لا اخيب امل من امل لطفي ويقال بوجود برئي بطيب قلوب
اوليائي وبشهود وجهي بغيب اسرار اصفيائي ويقال طلب القاصدين مقابل
بعطفي وسعي العاملين مقابل بلطفي تلك آيات هذه السورة آيات القرآن
وكتاب مبين لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه الانام وفي عطف احدى
الصفتين ايماء الى انه مقرو بالسنتنا ومكتوب بايدينا وجامع لما يحتاج اليه في ديننا
وتأخيره عن القرآن هنا باعتبار تعلق علمنا وتقديمه في الحجر باعتبار وجود اللفظ بعد
شهود الخط والخط هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الآيات اي هادية ومبشرة
للمصدقين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة اي الذين يعملون الصالحات
وخصا بالذكر لان الصلوة ام العبادات البدنية والزكوة ام الطاعات المالية فالمراد
بهم الكاملون في الامور الدينية وهم بالآخرة هم يوقنون فيتحملون التكاليف الشاقة لخوف
سوء العاقبة ووثوق المحاسبة قال بعضهم الشكر في اقامة الصلوة ان الله لا يواصلك بها
ولا يفاصلك بتركها ولكن اتبع الاوامر لتعظيم الامر بها وقيل لا يمكن حظك من صلواتك
اقامتك بها دون السرور بما اهلت لها من القربة والمناجاة بسببها وافاد الاستاد ان

هذه

هذه الآيات وهذا الكتاب الجامع للبينات بيان وشفاء ونور وضياء وذكرى وبشرى
لمن حققنا له الايمان على ما اكرمناه الامان وضمنا له الاحسان الذين يديمون المواصلات
ويستقيمون في آداب المناجات ويؤدون عن اموالهم واحوالهم وسكناتهم وحركاتهم
الزكوات بان يقومون في حقوق المسلمين احسن مقام في كل باب وينوبون عن
ضعفائهم احسن مناب ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم القبيحة حتى
رأوها حسنة بجعلها محبوبة الطبع مكروهة الشرع فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها
من ضر او نفع بها وقال الاستاد اغشيناهم فهم لا يبصرون اعمينا عليهم المسالك
فهم عن الطريق المثلى يعدلون اولئك الذين في ضلالتهم يعمهون او في حيرتهم يترددون
اولئك الذين لهم سوء العذاب في الدنيا وسوء الحساب في العقبى وهم في الآخرة هم
الاخسرون اخس الناس في الخسارة لا خيبتهم في التجارة لفوات المثوبة واستحقاق
العقوبة قال الواسطي من اعرض عن الله او خالف شيئا من امر مولاه جعل عقوبته في دنياه
تزيين عمله في قلبه وتحسينه في هواه حتى لا يرى المخالفة مخالفة ويفصل بالكلية عن طريق
رشده وسبيل هداه فيكون اذ ذاك الهلاك والوقوع في الفتنة هناك وافاد الاستاد
ان سوء العذاب هوان يجد الالام والاسقام ولا يجد التسلي برؤية المبلي في ذلك المقام
ولا يحل عنه ثقل البلاء والعذاب شهود المبلي في ذلك الباب وذلك للكفار واهل الحجاب
فاما المؤمنون فيخفف عنهم العقاب في الآخرة حسن رجائهم بالله ثم تضرعهم الى الله ثم
فضل الله معهم بالتخفيف في حال البلاء ووقت العناء ثم ما يوقع عليهم من العفو والاثابة
كان لهم الى اخراجهم من النار وانك لتلقى القرآن لتؤتاه احسن الاتيان من لدن
حكيم عليم اي حكيم واي عليم وجمع بينهما في معرض البيان للاشعار بان علوم القرآن منها
ما هي حكمة واحكام كالعقائد والشرائع ومنها علوم مجردة كالقصص والاخبار عن المغيبات
والبدايع وقال ابو بكر بن طاهر انك لتلقف القرآن من الحق حقيقة وان كنت تأخذه
في الظاهر عن جبريل بالواسطة قال تلك علم القرآن وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم
عليم وقال الاستاد اي الذي اكرمك بانزال القرآن عليك من السماء هو الذي يحفظك
من الاسواء والاعداء وصنوف البلاء اذ قال موسى لاهله اي اذكر اسرار قصته التي هي
آثار علم الله وانوار حكمته والمراد باهله زوجته واهل بيته اني آنست ابصرت نارا
سآتيكم منها من اهلها بخبر عن حال الطريق وكان قد ضله لقلة الفرق وظلمة الغيم
او آتيكم بشهاب قبس بشعلة نار مقبوسة وتنوينه الكوفيون على ان القبس بدل منه
والعدتان على سبيل غلبة الرجاء عند حصول القصص ولذا عبر عنهما بصيغة
الترجي في طه والقصص والترديد للايماء الى انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما
ثقة بعادة ربه انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا
بها من البرد القوي فانهم كانوا في الليل الشتوي فلما جاءها قارب النار

موسى نودي ان بورك اي بورك بان بورك من في النار في طلبها او في مكانها
ومن حولها اي ومن هو حولها من الملائكة وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى
نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة اي انا الله رب العالمين
وهنا قال وسبحان الله رب العالمين تنزيها له عما لا يليق بذاته ولا ينبغي لصفاته وتصدير
الخطاب ببورك اشارة الى البشارة وهي انه قد قضي له امر عظيم يقصر عنه العبارة
وعن ابن عباس وغيره اي قدس من في النار وهو الله سبحانه والنار نور يعني انه
نادى موسى منها واسمعه كلامه من جهتها وقال ابن عطا اصابتك بركة النار بموارد
الانوار عليك ومخاطبة الحق لربك فانك آنست في الظاهر نارا وكانت في
الحقيقة انوارا فازال عنك لبسك بها وخصك الانس بمنورها وكلمك وانسك
عند الكلام وخصصت به فيما بين الانام يا موسى انه الضمير للشان او للمتكلم
وهو اوضح في البيان لما في طه والقصص اي انا الله فانا خبر والله بيان له
العزيز الحكيم صفتان ممهدتان لما اراد ان يظهره اي القوي القادر على مراده الفاعل
بمقتضى مشيته ووضع حكمته في عباده وبلاده وقال الاستاذ الذي يخاطبك
انا الله العزيز في استحقاق جلالي الحكيم في جميع افعالي وافاد الاستاد انه عليه السلام
لما سار باهله من مدين شعيب متوجها الى مصر وطنه وجاء عليه الليل واخذ امرأته
الطلق وشدة الوبل وهبت الرياح الباردة وقدح النار فلم يور الزند بالشرارة
الشاردة وضاق على موسى الامور الواردة حيث تشتت به الهم واستولى على
قلبه الشغل الاهم فرأى نارا من بعد رؤيته هذه الغموم اطوارا فقال لاهله امكثوا اني
ابصرت نارا وفي القصة انه تشتت اغنامه وكانت له بقور وثيران تحمل متاعه
فشردت فقالت امرأته كيف تتركنا وتمضي والوادي مسبع فقال امكثوا اني لا احلكم
امضي واتعرف امر هذا النار لعلي آتيكم منها بقبس وشعلة او بخبر عن قوم ننزل عليهم
لنا بهم استعانة ومن جهتهم منفعة وكان في رأي عينه ان تلك النار التي لاحت له
قريبة وكان يمشي موسى والنار تتباعد حتى قرب من النار فرأى شجرة رطبة تشتعل
كلها نارا من اولها الى آخرها وهي نار مضيئة تجمع خشبات من حولها واراد ان يقتبس
منها فعند ذلك سمع النداء من الله تعالى يا موسى اني انا الله فكان موسى عند الشجرة
فسمع النداء من الله لا من الشجرة كما توهم المخالفون من اهل البدعة وحصل الاجماع
ان موسى تلك الليلة سمع كلام الله سبحانه ولو كان النداء في الشجرة لكان المتكلم بذلك
الشجرة ولا ينكر في الجواز ان يكون الله اسمع موسى كلامه باسماع خلقه له وخلق كلاما في
الشجرة ايضا فموسى سمع كلامه القديم وسمع كلاما مخلوقا في الشجرة ايضا وهذا من طريق
العقل جائز والق عصاك اي ونودي ان الق عصاك اي فالقاها فاذا هي
حية تسعى فلما رآها تهتز تتحرك وتضطرب سريعة كانها جان حية خفيفة ولى مدبرا

ولم يعقب

لا تخف ٩

ولم يعقب لم يرجع الى عقبه من كمال رعبه في قلبه من جهة ربه كما اشار اليه بقوله يا موسى
اي من غيري ثقة بي اني لا يخاف لدي المرسلون اي لا يخافون عندي حين يوحي اليهم
من فرط استغراقهم بي الا من ظلم منهم او من غيرهم ثم بدل حسنا بعد سوء صدر عنهم فاني
غفور لهم رحيم بهم قال الواسطي الا من ظلم برؤية النفس والالتفات اليها والاقبال
عليها وقيل الا من خاف غيرنا اي وغفل عن ان يكون الامر كله لنا وافاد الاستاد انه
سبحانه اراه في عصاه من البرهان المبين حتى يحصل له كمال اليقين فقلبها الله حية
صغيرة ثم حية كبيرة فاوجس في نفسه خيفة وولى مدبرا هاربا من الحية وكان خوفه من الله
ان يسلطها عليه لما كان معلوما لديه بان الله تعالى يعذب من يشاء بما يشاء كيف
شاء فقال له الحق يا موسى لا تخف اي لا يخاف لدي المرسلون اي لا ينبغي لهم ان يخافوا
الا من ظلم وهذا يدل على جواز الذنب على الانبياء فيما لا يتعلق بتبليغ الرسالة بشرط عدم
الاصرار على الزلة فاما من لم يجوز عليهم الخطية فيحمل هذا على ما قبل النبوة فلما رأى موسى انقلاب
العصا علم ان الحق هو الذي يكاشفه بالنداء ويقال كيف علم موسى ان الذي سمعه كلام الله
والجواب انه بتعريف منه اياه فيجوز ان يكون ذلك العلم فيه ضروريا ويجوز ان يكون الدليل له
الذي علم به صدقه في قوله اني انا الله هو ما ظهر على يده في الوقت من المعجزة كقلب العصا
واخراج اليد البيضاء كما قال تعالى وادخل يدك في جيبك لانه كان عليه مدرعة صوف
لا كم له تخرج بيضاء من غير سوء آفة كبرص في تسع آيات في جملتها او معها الى فرعون وقومه
اي مرسلا اليهم انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن طاعة ربهم قال الاستاذ في القصة
ان موسى عليه السلام ذكر اشتغال قلبي بحديث اهله وما اصابه تلك الليلة من الاحوال التي
اوجبت انزعاجه وقصده الى طلب النار فقال تعالى انا كفيناك ذلك الامر وكلنا بامرك
واسبابك فجمعنا اغنامك وسلمت تلك المرأة فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى
بها على طريق خرق العادة مبصرة بينة واضحة وظاهرة لائحة او مبصرة كل من نظر اليها
وتأمل فيها قالوا هذا سحر مبين صريح سحريته وجحدوا بها انكروها وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم
اي والحال انها استيقنتها ظلما لانفسهم بالعصيان والعدوان وعلوا ترفعا عن الايمان
وتجاوزا الكفران ونصبها على العلة او الحالية فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهي
الاغراق في الدنيا والاحراق في العقبى وقال الاستاذ لم يظهر الله سبحانه آية على رسول
من انبيائه الا كانت في الوضوح بحيث لو وضعوا النظر فيها موضعه لوصلوا الى حصول
العلم وثلج الصدر في حقيقة الامر ولكنهم قصروا في بعضها بالاعراض عن النظر فيها وفي
البعض عرفوها فقابلوها بجحدها وكما يحصل من الكفار الجحد يحصل من العاصين في بعض
الالهام ببعض الاثام حالة العلم فيها بالقطع ان ما يفعله غير جائز ويتوالى على قلبه الخواطر
الزاجرة للداعية له عن فعلها ثم غير ان يكون متغافلا عنها او ناسيا لها ثم يقدم على ذلك
غير محتفل موافقة لشهوته هنالك وهذا الجنس من المعاصي اكثرها شؤما واكبرها لوما واشدها

فى العقوبة وابعدها من المغفرة ولقد آتينا داود وسليمان علما لدنيا وحكما ربانيا فقاما
بشكره وعملا بامره وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ممن لم يؤت
علمهما وفيه تنبيه على فضل العلم وشرف اهله وتحريض للعالم على ان يحمد الله على ما آتاه من فضله
ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير من مثله وايماء الى ان العلم فى الحال والمآل خير
من الملك والمال ولذا لم يدخلاهما فى حيز مقال الحمد للملك المتعال قال ابن عطاء اى علما بربه
وعلما بنفسه فاثبت لهم علمهم بالله علم انفسهم فاثبت لهم علمهم انفسهم حقيقة العلم
بالله ولذا قال على رضى الله عنه من عرف نفسه فقد عرف ربه وورث سليمان داود
اى النبوة او المعرفة الخاصة او الملك والحكومة بان قام مقام ابيه دون سائر بنيه وكانوا
تسعة عشر قال جنيد اى علمنا بها بسم الله الرحمن الرحيم فورث سليمان ذلك من ابيه داود فكتب
فى صدر كتبه فلذلك قالت بلقيس انى القى الى كتاب كريم انه افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم
ولم تر قبله مفتتحا بهذه الفاتحة اى التى هى كثيرة الفائدة وقال يا ايها الناس علمنا منطق
الطير واوتينا من كل شئ من انواع البر واصناف الخير قاله تحدثا بنعمة الله واشتهارا
لا تكبرا ودعاء على الناس على وجه الاستيناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير
وغير ذلك من عظائم ما اوتيه من الخير ومن ذلك ما حكى انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال
يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال تقول ليت الخلق
لم يخلقوا والصواب ان العلم بمنطق الطير على حقيقة المقال دون ما يفهم من قرينة الحال
كما توهم من قال لعل كان صوت البلبل عن الشبع وفراغ البال وصياح الفاختة عن مقاساة
شدة الحال وتألم القلب والبال فانه حينئذ لم يكن خرق عادة بل مجرد فراسة ناشئة
عن كياسة مع ان مثل هذه المقالة لم يتصور فى قضية النمل والهدهد لا محالة هذا وقد قال ابو
عثمان المغربى من صدق مع الله فى احواله فهم عنه كل شئ وفهم عن كل شئ ما صدر من مقاله
فيكون له فى اصوات الطيور وصرير الابواب علما يعلمه وبيانا يتبينه فى جميع الفصول
والابواب ولعل هذا احد معانى فصل الخطاب والله اعلم بالصواب وافاد الاستاذ
ان قوله علمنا منطق الطير دلالة على معجزته فاظهرها للعوام والله ليعلموا بها صدق اخباره
عن نبوته ومن كان صاحب بصيرة وحضور قلب بالله يشهد الاشياء كلها بالله ومن الله
فيكون مكاشفا بها من حيث التفهيم لها فكانه يسمع من كل شئ وتعريفات الحق سبحانه
للعبد كل شئ من كل شئ لا نهاية له وذلك موجود فيهم محكى عنهم وكان ضرب الطبل
مثلا ويعرفون بالمواضعة بسماعه وقت الرحيل والنزول فالحق يخص اهل الحضور بفنون
التعريفات من سماع الاصوات وشهود احوال المرئيات فى اختلافها من الحالات كما قيل
اذا المرء كانت له فكرة ■ ففى كل شئ له عبرة ■ ان هذا ما ذكر من العلم والمعرفة والنبوة والمعجزة
لهو الفضل المبين الذى لا يخفى على اهل الخبرة ان ليس فوقه منقبة وحشر اى جمع لسليمان
جنوده من الجن والانس والطير ولعل ذكر الانس فى الوسط اشعار بانه من اهل الانس

فهم يوزعون

فهم يوزعون يحبسون بكف اولهم ليلاحق آخرهم وقال الاستاذ سخر الله لسليمان عليه السلام
الجن والطير فكان الجن مكلفين والطير كانت له مسخرة لا انه كان عليها شريعة محدودة وكذا
الحيوانات التى كانت فى وقته حتى النمل والهدهد وغيره كان يعرف سليمان خطابهم
وكان ينفذ عليهم حكمه فى بابهم حتى اذا اتوا على واد النمل اى مروا على
واد بالشام كثير النمل وارادوا ان ينزلوا الى ذلك المحل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهى لهم عن الحطم بحسب الظاهر والمراد نهيها عن التوقف
فى مكانها بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر لا جواب
له على ان يكون لا نافية فان النون لا تدخل فى السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو
شعروا لم يفعلوا وكانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء مباشرة وتسبيبا
للاشياء قال جنيد قال سليمان لعظيمة النمل لم قلت ادخلوا مساكنكم اخفت
عليهم ظلما قالت لا ولكن خشيت ان يفتتنوا بما يروا من ملكك فيشغلهم عن طاعة
ربهم ذلك وقال الاستاذ قيل ان سليمان استحضر امير النمل الذى قال للقوم ادخلوا
مساكنكم فقال له اما علمت انى معصوم وانى لما امكن عسكرى ان يطئوكم او يؤذوكم
فكان يجب له ان يقول لم اعلم ذلك لانه ليس بواجب ان يكون النمل عالما بعصمة سليمان
ولو قال قلت لعلكم ابيح لكم وطئنا لكان هذا ايضا جائزا ههنا وقيل ذلك النمل
قال لسليمان انى احمل قومى على الزهد فى الدنيا فامرتهم بدخول مساكنهم لئلا يتشوش
عليهم زهدهم فى الدنيا ورغبتهم الى المولى ولئن صح هذا ففيه دليل على وجوب سياسة
الكبار لما هو من رعيتهم من الصغار وفى الآية دلالة على حسن الاحتراز مما يخشى
وقوعه وان ذلك مما يقتضيه عادة النفس وما فطروا عليه من التمييز ويقال ان
ذلك النمل قال لسليمان ما الذى اعطاك الله من الكرامة فقال سخر لى الريح فقال
اما علمت ان الاشارة فيه انه ليس بيدك مما اعطيت الا الريح وقرينة الكبير على
لسان الصغير فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى
مصالح تدبيرها او سرورا بما خصه الله من ادراك كلامها وفهم مرامها ولذا سأل التوفيق
شكره وقال رب اوزعنى الهمنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى
ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة فان النعمة عليهما نعمة له كان النعمة عليه يرجع نفعها
الى والديه لا سيما النعمة الدينية والمنح الاخروية وان اعمل صالحا ترضاه اتماما
للنعمة واستزادة للرحمة وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين فى عداد اهل
الجنة قال ابن عطاء اجعلنى الى عبادك الصالحين اى من الانبياء والمرسلين
وسائر المؤمنين وافاد الاستاذ انه سؤال لحسن العاقبة لان الصالح من عباده
من هو محكوم له بالسعادة ثم التبسم من الملوك يدل لرعاياهم حكم السياسة وذلك
يدل على رضاهم واستحسانهم لما منه يحصل التبسم ولهذا استحسن سليمان من كبير

النمل حسن سياسته لمراعاة رعيته وفي القصة انه استعرض جنده ليريهم كم هم فعرضهم عليه
وكانوا يأتون فوجا فوجا حتى مضى شهر وسليمان واقف ينظر اليهم معتبرا فلم ينتهوا فمر سليمان
عليه السلام وفي قوله رب اوزعني الخ دليل على ان نظره اليهم كان نظر اعتبار وانه راى
تعريف الله اياه ذلك وتنبيهه عليه من جملة نعمه يجب له الشكر عليه وفي قوله وعلى والدي
دليل على ان شكر الشاكر لله لا يختص بما انعم عليه على الخصوص في نفسه بل يجب على العبد ان
يشكر الله على ما خص وعم من نعمه وتفقد الطير تعرفها فلم يجد الهدهد فيها فقال ما لي لا ارى
الهدهد ام كان من الغائبين ام منقطعة كانه لما لم يره ظن انه حاضر في مكانه ولا يراه
لمانع من ساتر او غيره فقال ما لي لا اراه ثم احتاط في امره فلاح له انه غائب عن نظره
فاضرب عن قوله وقال اهو غائب عن محله كانه يسأل عن صحة ما لاح له عن غيره
لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه والقائه والبقائه في الشمس او جعل مع ضده
في قفص الحبس اولاذبحنه ليعتبر به ابناء الجنس اوليأتيني وقرا ابن كثير اوليأتينني
بسلطان مبين ببرهان يبين امره ويظهر عذره قال جنيد لا فرق بينه وبين الضد وقال ابو علي
الرودباري اضيق السجون في البلاد معاشرة الاضداد وقيل لابعدنه عن مجالس الذاكرين من الزهاد
والعباد وقال الاستاذ وتفقد الطير اي تطلبه فلما لم يره في مرتبته تعرف ما سبب تأخره
وغيبته ودل ذلك على تيقظ سليمان عليه السلام في مملكته وحسن قيامه وتكفله بامور امته
ورعيته حيث لم يخف عليه غيبة طير هو من اصغر الطيور ساعة واحدة من حضرته ثم تهدده
ان لم يكن له عذر بعذاب شديد وذلك دليل كمال سياسته ثم خفف عنه ذلك ان كان له
عذر ودل ذلك على عدله في مملكته وقال قوم انما عرف غيبته لان الهدهد يعرف عمق الماء بالهام
خص به من رب السماء وان سليمان نزل منزلا لم يكن ماء هنالك فطلب الهدهد ليهديهم
الى ذلك ولعله كان مخصوصا بزيادة المعرفة او رئيسا لتلك الطائفة الموفقة وروي ان
ابن عباس سئل عن هذا وقيل له ان هذا الهدهد يرى الماء تحت التراب ويعرف وكيف
لا يرى الفخ مخفيا تحت التراب ولم يعرف فقال اذا جاء القضاء ضاق الفضاء
واذا جاء القدر عمي البصر ويقال ان الطير كانت تقف فوق راس سليمان مصطفة
وكانت تستر انبساط الشمس وشعاعها باجنحتها ملتفة فنظر سليمان فرأى موضع
الهدهد خاليا منه فعرف بذلك غيبته عنه وهذا ايضا يدل على كمال تفقده وتمام تيقظه
وتعهده ثم في الآية دلالة على ان العقوبة على قدر الجريمة ولا عبرة بصغر الجثة وكبر الهيئة
وفيه دليل على ان الطير في زمانه كانت في جملة اهل التكليف ابرهانه ولا يبعد ان يكون لها
شرع واحكام ولهم من الله الهام واعلام ويقال من العذاب الشديد الزامه خدمة
اقرانه او هو ان يمنع حلاوة الخدمة فيجد الم المشقة او هو ان يقطع عنه حسن التولي لشأنه
فيوكل الى حوله ونفسه او يمتحن بالحرص في طلبه ثم يحال بينه وبين مطلوبه ومن العذاب الشديد
الطمع في اللئيم القدر ثم لا يرتفع الامر ومن ذلك سلب القناعة وفقد حلاوة الطاعة ومنه

عدم الرضا

عدم الرضاء بما يجري من القضاء ومن ذلك توهم الحدثان وحسبانه من الخلق في ظهور
الشأن ومن ذلك الحاجة الى الاخساء ومن ذلك ذل السؤال مع الغفلة عن شهود
التقدير في الحال والحال ومن ذلك الابتلاء بمعاشرة الاضداد في البلاد ومن ذلك ضعف
اليقين وقلة الصبر في الدين ومنه حسبان الباطل بصفة الحق والتباس الحق في صورة الباطل
ومنه ان يطالب بالاتبع له ذات يده في ذلك المطلب ومنه الفقر في الغربة كذا ذكره الاستاذ
خلطا بين انواع العذاب الشديد مما لا يتحقق الا من الله ومما يتصور من بعض العبيد فمكث
وقرا ابن عاصم بفتح الكاف اي فلبث غير بعيد اي زمانا غير مديد من وقت التهديد يريد به
الدلالة على سرعة رجوعه خوفا من حكم سليمان وامره فقال احطت بما لم تحط به يعني حال سبا ونبائه
كما بينه بقوله وجئتك من سبا بنبا يقين وفي مخاطبته اياه الى ان في ادنى خلق الله من احاط
علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر علمه لديه وقرا ابن كثير وابو عمرو سبا غير مصروف على
تأويل القبيلة او البلدة روي انه عليه السلام لما اتم له بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم فاقام به
ما شاء الله ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته نزاهة ارضها
فنزل بها ثم لم يجد الماء فيها وكان الهدهد رائده لانه يحس طلب الماء فتفقده لذلك
فلم يجده هنالك اذ حلق حين نزل سليمان عليه السلام فرأى هدهدا واقعا في ذلك المقام
فانحط اليه لتمام المرام فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع وحكى ما حكى وفي عجائب
قدرة الله ومراده وما خص به خواص عباده اشياء اعظم مما خص به هذا النبي المكرم يشكرها
من يعرفها ويستنكرها من ينكرها اني وجدت امراة يعني بلقيس وهي بالكسر ملكة سبا تملكهم
اي سبا ان اريد به القبيلة او اهلها ان اريد به البلدة واوتيت من كل شيء يحتاج اليه
الملك في الملك القويم ولها عرش عظيم اي بالنسبة الى عروش امثالها او بالنسبة
اليها لا الى سليمان لعدم المناسبة بينه وبينها قيل كان ثمانين ذراعا في ثمانين عرضا
وسمكا من ذهب وفضة وبالجواهر مكللة وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله
لانهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان اعمالهم اي عبادة الشمس وغيرها من مقابح
افعالهم فصدهم عن السبيل سبيل الحق فهم لا يهتدون الى طريق الصدق الا يسجدوا
لله اي فصدهم لئلا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل بعض من اعمالهم وقيل
لا زائدة والمعنى لا يهتدون الى ان يسجدوا وقرا الكسائي الا يا اسجدوا بتخفيف اللام
على ان الا للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اي الا يا قوم اسجدوا فعلى هذا صح ان يكون
استئنافا من الله والوقف على يهتدون وان يكون امرا بالسجود وعلى قراءة التشديد فما على
تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجدة اما عند قراءتها او في الجملة الذي يخرج الخبء
في السموات والارض اي يظهر ما خفي على غيره من اشراق الكواكب وانزال الامطار
وانبات النبات وايجاد الكائنات من العدم الى الوجود ويعلم ما يخفون وما يعلنون
وقرا حفص والكسائي بالخطاب فيهما الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذي

هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين المعظمين بون عظيم قال سننظر اى سنعرف
او سنتصر اصدقت ام كنت من الكاذبين اى ام كذبت ولعل التغيير فى التعبير للمبالغة او
لمحافظة الفاصلة قال الاستاذ وفى ذلك دلالة على ان خبر الواحد لا يوجب العلم فيجب
التوقف فيه على حد التجويز وفيه دلالة على انه لا يطرح بل يجب ان يتعرف انه هو صدق ام كذب
ولما عرف سليمان هذا القدر عذر الهدهد فترك ما توعده به من عقوبته فكذا سبيل الوالى يجب
ان يمنعه عدله من الحيف على رعيته ويقبل عذر من وجده فى صورة المجرمين اذا صدق فى عذره
اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول تنح عنهم الى مكان قريب منهم فانظر ماذا يرجعون
يردون من الجواب بعد قراءة الكتاب وافاد الاستاذ ان فى الآية اشارة الى انه لا ينبغى للانسان
ان يذكر بين يدى الملوك كل كلمة فانه يجر العناء بذلك الى نفسه وقد كان لسليمان كثير من الحشم
والخدم فلم يستعمل واحدا فى هذا التكليف الا الهدهد ليخرج عن عهدة ما قال ويقال لما صدق
فيما اخبر وبذل النصح لملكه عوض عليه حتى اهل للرسالة والسفارة على ضعف صورته وحقارة
هيئته فمضى الهدهد والقى اليها الكتاب وتنحى الى جانب ينظر ماذا الجواب قالت يا ايها الملأ
انى القى الى كتاب كريم لكرم مضمونه وبرهانه او لشرف مرسله فانها كانت عالمة بعظمة
سليمان وسلطانه وقد قيل كرم الكتاب عنوانه او لانه كان مختوما وفى الحديث كرم الكتاب
ختمه وافاد الاستاذ انه قيل لان الرسول كان طيرا فعلمت ان من يكون الطير مسخرة له عظيم
شانه ويقال لانه لم يكن فى الكتاب ذكر الطمع فى الملك وما يتعلق بهواه بل كان الدعاء الى الله
ويقال اخذ الكتاب بمجامع قلبها وقهرها فلم يكن جواب لها غير ان تقول انى القى الى كتاب
كريم ولما عرفت قدر الكتاب وصلت باحترامها الى بقاء ملكها ورزقت الاسلام وصحبة
سليمان عليه السلام وقيل لانه كتب اسم نفسه اولا وقيل لانه كان فيه البسملة مسطرا كما اشير
اليه قوله انه من سليمان اى ان الكتاب او العنوان وانه اى المكتوب او المضمون
بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا على اى لا تتكبروا والدى او بان لا تعلوا على معاندين
واتونى مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا كلام فى غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود
فى بيان الافادة لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته الكاملة الشاملة
والنهى عن الترفع الذى هو ام الرذائل والامر بالاسلام الجامع للفضائل وليس الامر فيه
بالانقياد قبل اقامة الحجة على الرسالة فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم
الدلالة قال ابن طاهر لما قال الله تعالى للقلم اكتب قال ما اكتب قال اكتب ما هو كائن
الى يوم القيمة فكتب بسم الله الرحمن الرحيم اى بك ظهرت جميع الاشياء لا بغيرك
فلما رأى بلقيس كتابه مفتتحا بما افتتح به اللوح المحفوظ قالت انى القى الى كتاب كريم قالت يا ايها
الملأ افتونى فى امرى اجيبونى فى الامر الحادث لى واذكروا لى ما تستصوبون ما كنت قاطعة
امرا حتى تشهدون تحضرون وتستأمرون استعطفتهم بهذه الاجابة ليمالؤها الى الاجابة
قالوا نحن اولوا قوة عددا وعددا اروى ان الملأ كانوا ثلثمائة واثنى عشر اميرا مع كل منهم

عشرة آلاف

عشرة آلاف واولوا بأس شديد اصحاب شجاعة وخدعة وكيد والامر اليك موكول فى امور
المملكة فانظرى اى تفكرى ماذا تأمرين من المصالحة والمقاتلة نطع امرك ونتبع رأيك
قال الاستاد اجابوا على شرط الادب وقالوا ليس منا الا بذل الوسع وما بنا الا اظهار
النصح وما علينا الا متابعة الامر وتمشية الامر وامضاؤه اليك قالت ان الملوك
اذا دخلوا قرية اى قهرا وعنوة افسدوها اخربوها من حيز الامارة وجعلوا اعزة اهلها
اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم وتضييع احوالهم من الاهانة والاسر اياهم
وكذلك يفعلون تأكيد لما وصفت من بيان شأنهم وتقرير بان ذلك من عادتهم
المستقرة المستمرة فى ازمانهم وذلك لانها كانت ناشئة فى بيت الملك فرأت
ذلك وسمعت ما هنالك فذكرت لهم عاقبة الحرب ومغبتها فانها سجال لا تدرى
عاقبتها واشارة الى ان الصلح خير ان تيسر فى قضيتها كما صرحت بقولها وانى
مرسلة اليهم اى رسلا بها فناظرة بم يرجع المرسلون فمنتظرة باى شىء يرجعون من
عنده من صلح او غيره حتى اعمل بحسبه نقل محيى السنة عن ابن عباس وغيره انها قالت
ان قبل الهدية فهو ملك تحاربه وان لم يقبل فهو نبى نتبعه هذا وقال الاستاد فى معنى
افسدوها قيل عطلوها عن اكابرها وارباها وازالوا عنها ما نفوذها اصحابها من سيرهم
وسننهم فيها قال تعالى وكذلك يفعلون تصديقا لها ويقال تفسير الملوك اذا
دخلوا قرية عن صفتها معلوم عند اهلها الا انها ينظر فى داخلها فان كان عادلا
ازال سنة الجور واثبت سنة العدل وان كان جائرا ازال الحق واثبت الباطل
فخراب البلاد بسوء الولاة من العباد وتستولى اسافل الناس وارازلهم على الاعزة
والاكابر منهم واعاليهم كما قيل • يا دولة ليس فيها من المعالى شظية • زولى فما انت الا على الكرام
بلية • فعمارة الدنيا بولاة الرشد والهدى يكسرون رقاب الفاغة والجهلة ويخلصون
الكرام من اسر السفلة فيأخذ القوس باريها وتطلع شمس العدل من برج شرفها واعاليها
كذلك المعرفة والخصال الحميدة اذا باشرت قلبا اخرجت عنه الشهوات والمنى وسفساف
الاخلاق الناشئة من الهوى كالحسد والحقد والشح وصغر الهمة وغير ذلك من الاوصاف
الذميمة وتثبت بدلها من الاحوال العلية والاوصاف الرضية ما به نظام العبد
وتمام سعادته ومتى استولى على قلب غاغة النفس والخصال المذمومة ازال عنه عمارته
وابطل اسنة نضارته فتخرب اوطان الحقايق وتداعت مساكن الاوصاف الحميدة
للفوات والزوال فعند ذلك تتراكمت المحن وعظم الوبال والنكال وقد جاءت فى
القصة انها بعثت الى سليمان بهدايا وفى جملتها لبنة مصوغة من فضة واخرى من
الذهب وان الله سبحانه اخبر سليمان بامره وما اوحى اليه فى معناه وامر سليمان الشياطين
حتى بنوا ايوانا وساحة منزله ميدانا وفرشوه بهيئة اللبن المصوغ من الذهب والفضة
من اوله الى آخره وامر بان توقف عليها الدواب وان لا ينظف من آثارها من اوراثها

وعبرها وكانت اللبنتان معهم ملفوفتين في حرير وامر حتى ترك موضع لبنتين خاليا من المدر
مما كان على طريقهم فلما وقعت ابصار الرسل على ذلك صغر في عينهم ما كان معهم هنالك فخافوا
من تقديمها الى سليمان فوقعوا في الفكرة كيف يتخلصون مما معهم فلما رأوا موضع اللبنتين خاليا
ظنوا انه سرق ذلك من بينها فقالوا لو احضرنا هذا نسبنا الى انا سرقناهما من هذا الموضع
فطرحوهما في الموضع الخالي ودخلوا على سليمان عليه السلام وروي انها بعثت منذر بن عمرو في
وفد وارسلت معهم غلمانا على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقا فيه درة عذراء
وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة
ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظمة شأنه وقدره
تقاصرت اليهم نفوسهم وما في ايديهم من نفائسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل
واعلمه بالحال الذي هم عليه واخبر بما يظهرون لديه فامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت
في الدرة وامر دودة بيضاء فاخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت
الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به
وجهه ثم رد الهدية اليهم كما اخبر بقوله فلما جاء سليمان اي وصل من ارسل اليه او ما
او ما اهديت لديه قال اتمدونني بمال والخطاب للرسول والمرسل تغليبا وقرأ حمزة
بالادغام ونافع وابو عمرو باثبات الياء وصلا وابن كثير وحمزة باثباتها مطلقا فما آتاني
الله من النبوة والملك والمال الذي لا مزيد عليه خير مما آتاكم فلا حاجة لي الى هديتكم ولا
وقع لها عندي في تعلية مرتبتكم بل انتم بهديتكم بما يهدى اليكم تفرحون حبا لزيادة اموالكم
او بما تهدونه افتخارا على امثالكم لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا وتغفلون
عن امور العقبى قال جعفر الصادق الدنيا اصغر عند الله وعند انبيائه واوليائه
من ان يفرحوا بها او يحزنوا عليها ارجع ايها الرسول اليهم الى بلقيس وقومها فلنأتينهم
بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقابلتها ولنخرجنهم منها
من سبأ اذلة بذهاب ما كانوا فيه من العزة وهم صاغرون اسراء مهانون قال
الاستاد فلما رجعوا الى بلقيس واخبروها بما شاهدوه وسمعوه من الاعلام والا علام
علمت انه لا وجه لها سوى الاستسلام او الاسلام فعزمت على المسير الى خدمته
عليه السلام فلما اوحى الله الى سليمان بانها عزمت مستسلمة او خرجت مسلمة قال يا ايها
الملؤا ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين اراد بذلك ان يريها بعض ما خصه
الله من المعجزة الدالة على عظيم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بان
ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره قبل ان يأتوني مسلمين قال عفريت خبيث مارد
من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك اي مجلسك للحكومة وكان يجلس
الى الظهيرة واني عليه على حمله لقوي امين على ان لا اقطع شيئا منه وابدله قال الذي عنده
عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا وزيره او الخضر بنفسه وقيل جبريل او ملك

ابزه انه به

ابزه الله به والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح او الاسم الاعظم الذي اذا دعي
اجاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك اي نظرك ومنه قول القائل •
وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا • لقلبك يوما اتعبتك المناظر •
رأيت الذي لا كله انت قادر • عليه ولا عن بعضه انت صابر •
والمعنى انك ترسل طرفك نحو شيء فقبل ان ترده اليك احضر عرشها بين يديك
وهذا غاية في السرعة العرفية وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والمقصود
اظهار الكرامة بخرق العادة الدالة على صدق النبوة ودعوى الرسالة حيث كان
مسيرة شهرين تلك المسافة فلما رآه اي العرش مستقرا عنده ثابتا لديه حاضرا
بين يديه قال تلقيا للانعام بالشكر عليه هذا من فضل ربي تفضل علي من غير استحقاق
لي ليبلوني أأشكر بان اراه فضلا منه بلا حول وقوة مني واقوم بحق نعمته ام
اكفر بان اجد في البين نفسي واقصر في اداء طاعته ومن شكر فانما يشكر
لنفسه لانه يستجلب لها دوام النعمة وتمامها ومن كفر فان ربي غني عن شكره
وشكر غيره كريم لا يمنع انعامه عنه بكفره وافاد الاستاد انه لم يرغب سليمان عليه
السلام في قول العفريت لانه بنى القول فيه على دعوى الحول والقوة وكان آصف
صاحب كرامة وكرامات الاولياء ملتحقة بمعجزات الانبياء اذ لو لم يكن النبي صادقا
في دعوته لم يكن الكرامة تظهر على من يصدقه ويكون من جملة امته ومن المعلوم انه ليس في وسع
البشر من القدرة والقوة قطع المسافة البعيدة في لحظة ولا يصح تقديره في الجواز الا
باحد وجهين اما بان يعدم الله ذلك السرير ثم يعيده بحضرة سليمان في ذلك الزمان
ثم حقيقة الشكر على لسان العلماء هو الاعتراف بنعمة المنعم على جهة الخضوع الدائم
والاحسن ان يقال الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه فيدخل في هذا شكر الله
من العبد لانه ثناء منه على العبد بذكر احسان العبد وشكر العبد من الله لانه ثناء على الله
بذكر احسانه الا ان احسان الحق هو انعامه واثر رحمته واحسان العبد قيامه بطاعة الله
وخدمته وما هو الحميد من صفاته فاما على طريق اهل المعاملة وبيان الاشارة فالشكر
صرف النعمة في وجه الخدمة ويقال الشكران لا يستعين بنعمته على معصيته ويقال الشكر
شهود المنعم من غير المساكنة الى النعمة ويقال الشكر رؤية العجز عن الشكر ويقال اعظم
الشكر على توفيق الشكر ويقال الشكر على قسمين شكر العوام على شهود المزيد قال
تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وشكر الخواص ما يكون مجردا عن الغرض وطلب العوض
ويقال حقيقة الشكر قيد النعم وارتباطها لان بالشكر بقاؤها ودوامها قال نكروا لها
عرشها بتغيير بعض هيئته عن حالته ننظر اتهتدي الى معرفته ام تكون من الذين
لا يهتدون الى حقيقته او الى جواب مسألته وافاد الاستاد انه جعل اعلاه اسفله
واسفله اعلاه لانه اراد ان يمتحنها ويختبر عقلها فلما جاءت قيل اهكذا عرشك تشبيها

عليها زيادة في امتحان عقلها قالت كأنه هو ولم تقل لا ولا بلى ولا هو هو لاحتمال أن
يكون مثله إذ قد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس والحجاب وهذا من كمال ذهنها
في العبارة والإشارة في فصل الخطاب ولما تبين لها أنه هو وأنه أظهره سليمان معجزة له
وغيره لاختبار عقلها قالت وأوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك من قبلها
قبل هذه الحالة وهذه الكرامة بما سبق من ظهور المعجزة وكنا مسلمين منقادين لله بالوحدة ولسليمان
بالنبوة ثم أخبر الله سبحانه عن حالها المتقدمة بقوله وصدها ما كانت تعبد من دون الله أي منعها
عبادتها الشمس عن طاعة مولاها أو صدها الله عن عبادتها بتوفيق الإيمان لها إنها كانت
من قوم كافرين استئناف فيه معنى التعليل ولذا قرئ بالفتح والمعنى أن سبب صدها عن عبادة
ربها نشوؤها بين كفرة بخلافها وإلا فمقتضى عقلها وفطنتها أن لا تعرض عن طاعة مولاها
قيل لها ادخلي الصرح أي القصر وكان هي صحنه من زجاج أبيض في غاية من الصفاء وأجري
من تحته الماء وألقي فيه حيوانات البحر ووضع سريره في الصدر فجلس عليه العظيم القدر فلما
رأته حسبته لجة أي فلما أبصرته ظنته ماء راكدا لديها فشمرت وكشفت عن ساقيها
فرأى سليمان حسن رجليها وكان وصف لسليمان أنها جنية الأنساب ورجلاها كحافر الدواب
قال إنه أي المنظنة ماء صرح ممرد مملس من قوارير من الزجاج قالت رب إني ظلمت
نفسي بعبادتي الشمس وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين فيما أمر به عباده المسلمين
والمشهور أنه تزوجها سليمان وقيل زوجها من ذي تبع ملك همدان ولقد أرسلنا إلى ثمود
أخاهم صالحا أن اعبدوا الله بأن اعبدوه أي وحدوه وأطيعوه فإذا هم فريقان يختصمون
أي فاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين واختصامهم
قد سبق في سورة الأعراف في قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا
لمن آمن منهم الآية قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا على ما
في الأعراف قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها إلى نزول العقوبة لولا تستغفرون الله
قبل حلولها لعلكم ترحمون بقبولها قالوا اطيرنا أصله تطيرنا أي تشاءمنا بك وبمن
معك ممن آمن بك وتبعك لأن من ابتداء إنشاء هذا النبأ وتتابعت علينا الشدائد
البلاء ووقع بيننا افتراق الأبناء والآباء قال طائركم سببكم الذي جاء منه شركم
عند الله وهو ما قدره من القضاء أو عمله المكتوب عنده في اللوح المحفوظ في السماء
بل أنتم قوم تفتنون تمتحنون بتعاقب السراء والضراء وكان في المدينة تسعة رهط
رجال وإنما وقع تمييز التسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة
إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى التسعة والغاية فيهما غير خارجة يفسدون في الأرض
ولا يصلحون لا يتداركون بإصلاح البلاد بعد الإفساد قالوا أي بعضهم لبعض تقاسموا
بالله أمر مقول أو خبر وقع بدلا أو حالا لنبيتنه وأهله لنباغتن صالحا وأهل بيته ليلا
في إهلاكهم ثم لنقولن لوليه لولي دمه وقرأ حمزة والكسائي بالتاء والفوقية المضمومة

بعد اللام فيهما وبضم الحرف الرابع منهما على خطاب بعضهم لبعض ما شهدنا مهلك أهله
فضلا أن تولينا إهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك في قراءة حفص
بالكسر وقرأ أبو بكر بالفتح فيكون مصدرا وإنا لصادقون أي نحلف إنا لصادقون
ونحن كاذبون أو والحال إنا لصادقون فيما ذكرنا لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا أو لأنا
ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه
المواضعة في خطابهم ومكرنا مكرا بأن جعلناها سببا لإهلاكهم وعقابهم وهم لا يشعرون
بسودنا بهم روي أنه كان لصالح عليه السلام في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم
أنه يفرغ منا إلى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه
فوقع صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة
الواقعة على جميعهم كما أشار إليه قوله سبحانه فانظر كيف كان عاقبة
مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين وقرأ الكوفيون بفتح أنا على أنه خبر محذوف أي هو
أو بدل من اسم كان قال الصادق مكر الله أخفى من دبيب النملة العرجاء على صخرة
سوداء في ليلة ظلماء وقال الشبلي حفرنا طريق التصوف سلامة من مكر الله فإذا كله مكر
أي فلا حول ولا قوة إلا بالله وأفاد الأستاذ أن مكرهم ما أظهروا في الظاهر من موافقة
صالح وعقرهم الناقة خفية ومكر الله فيهم جزاؤهم على مكرهم بإخفاء ما أراد بهم من العقوبة
ثم إحلالها بهم بغتة والمكر من الله تخليته إياهم مع مكرهم ليجبت لا عصمهم ويزين ذلك
في أعينهم ويحبب ذلك إلى قلوبهم ولوث العصمة ومن عظيم مكره انتشار الصيت
بالصلاح والعلو في الستر بخلاف ما يتوهم بهم من نوع الفلاح وفي الآية قوة وسوقها لا يجوز
مثل هذه الأعمال وسوقها فتلك بيوتهم خاوية خالية أو ساقطة منهدمة بما ظلموا بسبب ظلمهم
على أنفسهم من الكفر والمعصية إن في ذلك لآية لقوم يعلمون فيتعظون بالموعظة قال سهل الإشارة
في البيوت إلى القلوب فمنها عامرة بالذكر والطاعة ومنها خراب بالكفر والغفلة ومن
ألهمه الله دوام الذكر فقد أخلصه من ظلمة الكفر قال أبو حفص خراب القلب من قلة الحزن
والحزن يورث عمارة القلب ألا ترى إلى قول النبي عليه السلام إن الله يحب كل قلب حزين
وأفاد الأستاذ أن في الخبر لو كان الظلم بيتا في الجنة لسلط الله عليه الخراب فالنفوس
إذا ظلمت بزلاتها خربت بلحوق شؤم الزلة حتى تعود صاحبها الكسل واستوطى مركب
الفشل وعدم التوفيق وتوالى على صاحبها الخذلان وقسوة القلب وجمود العين وانتفاء
تعظيم الشريعة من القلب وأصحاب القلوب إذا ظلموا بالغفلة ولا يطردوها عن قلوبهم
خربت قلوبهم حتى قست بعد الرقة وجفت بعد الصفوة فخراب النفوس باستيلاء
الشهوة والهفوة وخراب القلوب باستيلاء القسوة والغفلة وخراب الأرواح
باستيلاء الحجبة والوقفة وخراب الأسرار باستيلاء الغيبة والوحشة وأنجينا
الذين آمنوا أي صالحا ومن آمن معه من الأمة وكانوا يتقون الكفر والمعصية فلذا خصوا

بالنجاة من العقوبة ولوطا اى واذكر لوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة اتفعلونها
وانتم تبصرون تعلمون قبحها او ترون فعلها أئنكم لتأتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم
الفاحشة من دون النساء التى خلقن للشهوة بل انتم قوم تجهلون العاقبة فلا تخافون
العقوبة فما كان جواب قومه اى بعضهم لبعضهم من سفهائهم الا ان قالوا اخرجوا آل لوط
من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن فعلكم فانجيناه واهله اى من آمن به من قومه
وبناته الا امرأته قدرناها من الغابرين قدرنا كونها من الباقين فى العذاب وامطرنا
عليهم مطرا كان حجارة فساء مطر المنذرين المخوفين ان لا يفعلوا قذرا قل الحمد لله على ما قدر
وقضى وسلام على عباده الذين اصطفى والخطاب للوط او للمصطفى لان يحمد شكرا
على ما انعم عليه وعلى غيره من اخوانهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم فى امر دينهم
قال سهل خلق الله تعالى السر وجعل حياته فى ذكره وخلق الظاهر وجعل حياته فى حمده
وشكره وجعل عليهما الحقوق من الطاعات وفى امره وقال ابن عطاء من سلم الله عليه
فى ازله سلم من المكاره فى ابده وقرئ هذه الآية بين يدى جعفر بن محمد فبكى ثم قال سبحان من
اصطفاهم بالمعرفة وسلم عليهم قبل المعرفة بنعمته وقيل الذين اصطفى والسلام فى الآجل بقوله
سلام قولا من رب رحيم قلت ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا وافاد الاستاذ انهم هم الذين سلم الحق عليهم فى ازله وهم فى كتم العدم متناول
علمه ومتعلق قدرته لم يكونوا اعيانا فى العدم ولا آثارا فى القدم فلما اظهرهم فى الوجود سلم
عليهم هم الذين سلموا اليوم من الشك والشبهة ثم من فنون البدعة ثم من وجوه الالم والسقم
ثم من ضروب الزلل وصنوف الخلل ثم من الغيبة والحجبة وما ينافى دوام القربة ويقال
اصطفاهم ثم هداهم وآواهم وسلم عليهم قبل ان خلقهم وابداهم وبعد ان سلم عليهم بوده
لقاهم الله خير اما يشركون الزام لهم بارخاء العنان فى ميدان البيان وتهكم بهم وتسفيه
لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فى غير من هو مبدأ كل خير بل مصدر كل شئ من نفع وضر وقرأ
ابو عمرو وعاصم بالغيبة والمعنى ام الذى يشركه تلك الامم المهلكة امن بل امن خلق السموات
والارض التى هى اصول الكائنات ومبادى المنافع للمخلوقات وانزل لكم لاجل نفعكم
من السماء ماء فى محلكم فانبتنا به حدائق ذات بهجة نزهة من اشجار وازهار واثمار
وانهار ما كان لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عن ان تنبتوا ثمرها أإله مع الله ابغيره سواه
ويجعل غيره شريكا للحق وهو المتفرد بالخلق بل هم قوم يعدلون عن التوحيد الذى هو طريق اهل
التفريد وارباب التجريد واصحاب التحميد وافاد الاستاذ ان ثمرات الظواهر غذاء النفوس
وثمرات البواطن ضياء القلوب فلا يبقى زمن الربيع من وحشة الشتاء بقية ولا يبقى فى
قلوبهم واوقاتهم من الغيبة والحجبة والنفرة والتهمة شظية امن جعل الارض قرارا
اى لاهلها استقرارا وجعل خلالها وسطها انهارا وجعل لها رواسى جبالا ثوابت كانها
منابت يتكون فيها معادن المنافع وتنبع من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب

والملح

والملح حاجزا برزخا ظاهرا فى نظر الصالح أإله مع الله اى لا اله سواه بل اكثرهم
لا يعلمون طريق هداه وتحقيق رضاه قال جعفر من جعل قلوب اوليائه مستقرا للمعرفة
وجعل فيها انهار الزوائد من بره فى كل نفس ولحظة وانبتها بجبال التوكل وزينها بانوار
الاخلاص واليقين والمحبة وجعل بين القلب والنفس حاجزا من القدرة لئلا تغلب
غلبة النفس بالظلمة وجعل الحاجز بينهما بالتوفيق للمعرفة وافاد الاستاذ ان نفوس العابدين
قرار طاعتهم وقلوب العارفين قرار معرفتهم وارواح الواجدين قرار محبتهم واسرار الموحدين
قرار مشاهدتهم وفى اسرارهم انوار الوصلة وعيون القربة بها يسكن ظماء اشتياقهم
وهيجان قلقهم واحتراقهم وجعل لها رواسى من الرغبة والرهبة ويقال الرواسى
فى الارض الابدال والاوتاد والاولياء بهم يديم امساك الارض والسماء وببركاتهم
يرفع عن اهلها البلاء ويقال الرواسى هم ائمة الدين الذين يهدون المسترشدين
الى طريق اليقين ويقال جعل بين العبودية واحكامها والحقيقة واعلامها حاجزا
بالقدرة العلية فلو غلبت العبودية كان جحدا للحقيقة ولو غلبت الحقيقة كان
طيا للشريعة ويقال الالسنة للمريدين مقر ذكره واسماعهم محل الادراك للوصل الى
الفهم من بره والعيون مقر الاعتبار من صنعه امن يجيب المضطر اذا دعاه
المضطر الذى احوجه شدة ما به الى اللجاء الى الله والرجاء من بابه وقال سهل المضطر
المتبرى من الحول والقوة والاسباب المذمومة وقال ابن عطاء حال المضطر
ان يكون كالغريق او كالمنقطع فى مفازة قد اشرف على الهلاك ولم يعرف الطريق
وقال سهل دعوة صنفين من الناس مستجاب لا محالة مؤمنا او كافرا دعاء المضطر
ودعاء المظلوم يرفع فوق الحجاب يقول الله تعالى وعزتى لانصرنك ولو بعد حين ويكشف
السوء يرفع عن الانسان ما يسوءه ويزيله متى ما شاء وفى تفسير السلمى اى من يقدر
على كشف المحن عن قلوب عباده الا من ابتلاهم ويجعلكم خلفاء الارض بان ورثكم
سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم بها أإله مع الله الذى حفكم بهذه النعم العامة
وخصكم بهذه المنحة الى ضنة قليلا ما تذكرون اى تذكرون آلاءه ونعماءه تذكرا قليلا
وما زائدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة اذ فائدة التذكر هى توحيد
الله سبحانه بالعبادة ولا يترتب على تذكرهم تلك الفائدة وقرأ ابو عمرو وهشام
بالغيبة وافاد الاستاذ انه سبحانه فصل بين الاجابة بالكلام والكشف بالانعام
دعاء المضطر ليس له حجاب ودعاء المظلوم مستجاب لكن لكل اجل كتاب ويقال
للجناية سراية فمن كان جنايته على نعت المختار فليس يسلم له دعوى الاضطرار عند سراية
جرمه الذى سلف منه وهو مختار فيه فاكثر الناس يتوهمون انهم مضطرون وذلك الاضطرار سراية
ما بدر منهم فى حال اختيارهم وما دام العبد يتوهم من نفسه شيئا من الحول والحيلة ويرى شيئا
من الاسباب يعتمد عليه ويستند اليه فليس بمضطر الى ان يرى نفسه كالغريق فى البحر او كالضال فى

فى مناجاة التربل المضطر يرى عنانه بيد سيده وزمامه فى قبضته كالميت فى يد غاسله
ولا يرى لنفسه استحقاقا لان يجاب لاعتقاده فى نفسه انه من اهل السخط والعذاب
وينبغى للمضطر ان يستعين باحد ان يدعوله لان الله وعد الاجابة له لا لمن يدعوله ثم كما وعد
للمضطر الاجابة وكشف السوء وعده ان يجعله من خلفاء الارض فان مع العسر يسرا
ولم يقل العسر ازاله ولكن قال مع العسر يسرا كذلك قال ويجعلكم خلفاء الارض فنهار اليسر
حاصل بعد ظلام العسر ثم قال االه مع الله قليلا ما تذكرون لان العبد اذا زال عنه عسره
وكشف عنه ضره ينسى امره مما كان فيه قبله كما قال القائل ▪ كان الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى
ولم يك صعلوكا اذا ما تمولا • امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر بالنجوم السماوية والعلامات
الارضية والظلمات ظلمات الليالى والاضافة لادنى الملابسة او مشتبهات الطرق
الملتبسة ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته من المطر الذى سبب نعمته ءاله مع الله
ويقدر على ذلك سواه تعالى الله عما يشركون تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز
المخلوق قال بعضهم اى من يدلكم على عيب نفوسكم وفساد طاعتكم ويزيل عنكم وساوس
قلوبهم ويعينكم على استقامة طريقكم الاية ومن يرسل رياح فضله بين يدى رحمته سواه وقال الاستاد
اذا اظلم عليه الوقت فى معارض الخواطر عند استبهام وجه صواب فى العقائد وضاق الوقت
على صاحبه بوحشة التدبير وظلمات احوال التجويز والتحير عند طلب ترجيح بعض الخواطر على بعض
بشواهد العقل والبصائر فمن الذى يرشدكم لوجه الصواب بترك التدبير والاستسلام لحكم
التقدير والخروج عن مجوزات العقول الى فضاء شهود التقدير وتفويض الامر الى اختيار
الحق فى الاحكام والاستسلام لما سبق بها الاقدار وجرى بها الاقسام وجفت بها الاقلام
ومن الذى يرسل رياح فضله بين يدى انوار اختياره بمحو اثار اختيار نفسه
واعتباره وتعجيل حسن الكفاية بمقداره تعالى الله عما يشركون من احالة المقادير
على الاسباب والتدابير امن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء
والارض باسباب سماوية وارضية كما يريده ءاله مع الله يرزق عبيده قل هاتوا برهانكم
على ان غيره يقدر على شئ يظهر شانكم ان كنتم صادقين فى اشراككم فى العبودية فان كمال
القدرة من لوازم الالوهية قال ابن عطا صححوا برهانكم لتعلموا ان لا برهان لكم وقال الاستاد
اى يظهر ما يظهر بقدرته على مقتضى سابق حكمته والتخصيص بما تعلق به محض مشيته وحق
فيه قوله وحكمه وسبق به قضاؤه وقدره فاذا زال وكفى وانتفى وعدم بعض ما يظهره وخلقه
فمن الذى يعيده مثل ما بداه ومن الذى يضيق الرزق ويوسعه ويقبض فى بعض الاوقات
وعلى بعض الاشخاص وفى وقت آخر وعلى قوم آخرين يبسط هل فى قدرة احد غير الله ذلك
ان توهمتم شيئا هنالك فاوضحوا بذلك حجتكم واذ قد عجزتم فهلا صدقتم وبالتوحيد
اقررتم قل لا يعلم من فى السموات والارض اى لا تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر
فيهما الغيب اى شيئا من الغيب الا الله علام الغيوب المطلع على عيوب القلوب

وما يشعرون

وما يشعرون اى الخلق اجمعون ايان يبعثون متى يحشرون واى آن يحشرون لعدم علمهم بالساعة
بل ادارك علمهم فى الآخرة اى انتهى وتكامل فيها اسباب علمهم من الايات الدالة عليها بانها
الحقيقة كائنة لا محالة لكن كما ينبغى لا يعلمونها بل هم فى شك منها بل هم منها عمون متحيرون
فيها لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم بها وقصور نظرهم وتفكرهم عنها وقرا نافع وابن عامر
وعاصم وحمزة والكسائى بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم وافاد الاستاد ان الغيب لا يعلم
بالاضطرار وليس للخلق عليه دليل فى الاستبصار فهذا الذى يستاثر بعلمه الحق ويتقاصر عنه علوم
الخلق ثم ما يريد الله ان يخص قوما بعلمه افردهم به ثم قال بل ادرك علمهم فى الآخرة نفى الجملة
يسئلون ولا يبعثون ولا بالقطع يجحدون وهذا حكم كل مريض القلب لا حيوة لهم فى الحقيقة
ولا راحة الياس من الطريقة وقال الذين كفروا ءاذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا وفى قراءة
الشامى والكسائى اننا لمخرجون من القبور الى البعث والنشور لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا
من قبل قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر ههنا هو البعث وتاخيره
فيما تقدم لان المقصود به المبعوث ان هذا الا اساطير الاولين اسمار المتقدمين قل سيروا
فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم على تكذيب صدر عنهم وتخويف ان
ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون رفعا للمؤمنين فى
ترك الجرايم التى هى صفة المكذبين ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم بمقتضى فساد
اغراضهم ولا تكن فى ضيق حرج صدر وتكدر مما يمكرون من كيد ومكر فان من حفر بئرا لاخيه
وقع فيه ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود ان كنتم صادقين فى ايعادكم الموجود
قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم او دنا منكم بعض الذى تستعجلون فى حلوله وهو
عذاب يوم بدر بعد نزوله وعسى ونحوها فى مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونها
اظهارا لوقارهم فى مقام اعتبارهم واشعارا بان التلويح منهم كالتصريح من غيرهم
وعلى طبقه ووفقه جرى كلامه سبحانه فى وعده ووعيده مع زيادة الايجاء الى انه لا يجب
عليه شئ من الاشياء وان ربك لذو فضل على الناس جميعهم بتاخير عقوبتهم على معصيتهم
وتقصيرهم فى طاعتهم ولكن اكثرهم لا يشكرون حق النعمة بل يستعجلون بجهلهم وقوع العقوبة
قال سهل منعه فضل وعطاؤه فضل ولكن لا يعرف مواضع فضله فى المنع الا الفضلاء
من خواص الاولياء وما احسن قول ابن عطا ربما منعك فاعطاك وربما اعطاك
فمنعك وقال الاستاد لانهم لا يميزون بين محنهم ومنحهم وعزيز من يعرف الفرق
بين ما هو نعمة من الله له او محنة واذا تقاصر علم العبد عما فيه صلاحه وعسى ان يحب شيئا
ويظنه خيرا وبلاؤه فيه وعسى ان يكون شئ آخر يستنده ورب شئ يظنه نعمة يشكره عليها ويستديمه
وهى محنة له يجب صبره عنها ويجب شكره منه على صرفها عنه ويعكس ذلك كم من شئ يظنه
الانسان بخلاف ما هو به وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه وتستره وما يعلنون
من عداوتك ومحبتك فيجازيهم بحسب ما قاموا فى حضرتك وغيبتك وقال الاستاد

لا يلتبس على الله احوالهم يستوى ظاهره وباطنه لموافق بعلمه ومنافق يخالف باطنه ظاهره ويلبس
على الناس حاله وهو سبحانه يعلمه وكاذب يستوى في الجحد سره وجهره يعلمه وهو يجازي كلا على ما عمله كيف ما
وهو قدره وعلى ما عليه لحصاه له وقسمه وما من غائبة خافية والتاء للمبالغة في السماء والارض
اي كائنة في الجهات العلوية والسفلية الا في كتاب مبين من اللوح القلمي او العلم الازلي
وقال الاستاذ مثبت في اللوح المحفوظ حكمه ماض فيه مشيته متعلق به علمه حق فيه قوله ان هذا
القران يقص ويبين على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال
الجنة والنار وعزير والمسيح وسائر الاسرار وانه اي القران لهدى ورحمة للمؤمنين خصوا
لكونهم المنتفعين ان ربك يقضي بينهم بين بني اسرائيل بحكمه الحق المقترن بالحكم المحقق وهو
العزيز الغالب في مراده العليم باحوال عباده وافاد الاستاذ ان بني اسرائيل يحرفون بعضا
بعضا من الكتاب وبعضا منه يظهرون ومع ما يهوون يدورون وخص هذه الامة بحفظ الله
لهم عن التغيير والتبديل فيما يدينون وهذه نعمة عظيمة قليل منهم الذين يشكرون وكتابهم الذي هو القران
هدى ورحمة للمؤمنين لا كتابهم الذي اخبر الصادق انهم له يحرفون مبدلون وهو العزيز المعز لكلامه
واهله الكريم العليم بما يستحقه كل احد من الثواب العظيم والعذاب الاليم فتوكل على الله ولا تبال
بعداوة من سواه انك على الحق المبين في طريق اليقين قال بعضهم التوكل على ربك
ان لا تعصيه من اجل رزقك وقال الاستاذ اجتهد في اداء فرضه وثق بالله لصدق وعده
في نصره ورفده وكفايته وعونه لعبده ولا يهولنك ما يجري على ظواهرهم من اذى يتصل بك
منهم فانما ذلك كله بتسليطه ان كان محذورا وبتسهيله ان كان ميسورا انك لعلى
حق واضح وصدق وهم على شك وفي ظلمة شرك انك لا تسمع الموتى فاقطع طمعك
عن متابعتهم ومعاضدتهم ولا تبال بمخالفتهم في متابعتك لانهم كالموتى في عدم انتفاعهم
باستماع ما يتلى من كلام المولى ولا تسمع الصم الدعاء ولو اعلنت النداء اذا ولوا مدبرين
اي لا سيما في حال ادبارهم فانهم حينئذ لا يدركون شيئا بالاشارة والايماء وقرا
ابن كثير ولا يسمع الصم قال يحيى بن معاذ العارفون عند الله احياء وما سواهم موتى وقال
ايضا الميت من يكون حياته بحركته والحي من يكون حياته بربه وافاد الاستاذ ان الذين
امات الله قلوبهم بالشرك واصمهم عن سماع الحق فليس في قدرتك ان تهديهم للرشد
وتنقذهم عن اثر الشرك وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم وقرا حمزة تهدي العمي
ان تسمع ما يجدي اسماعك الا من يؤمن باياتنا اي من هو في علم الله انهم يؤمنون
فهم مسلمون منقادون مخلصون وقال الاستاذ اي تهديهم من حيث الدعاء والدلالة
ولكن لا تهدي احدا من حيث ازالة القلب عن الباطل والامالة الى العرفان اذ ليس بقدرتك
الازالة والامالة ما تسمع الا من اسمعناهم من حيث التوفيق والارشاد الى سواء الطريق
واذا وقع القول عليهم اي دنا وقوع معناه اليهم وهو ما وعدوا من البعث والحساب لديهم
اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة روي ان طولها ستون ذراعا ولها قوائم وجناحان

لا يفوتها

لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروي انه عليه السلام سئل عن مخرجها فقال من اعظم المساجد
حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ بالتخفيف وروي انها تخرج
ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض
وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه وفي الالتين للدلالتين اشارة خفية
الى تفضيل الفقير الصابر على الغني الشاكر ان الناس وقرا الكوفيون بالفتح كانوا باياتنا اي
المتلوة من القران او المنصوبة من البرهان وقيل من خروجها وسائر احوالها فانها من آيات الله
سبحانه لا يوقنون بل يشكون والجملة حكاية لقوله سبحانه عند ذلك او علة لخروجها هنا لكن
وافاد الاستاذ انه اذا حق الوعد باقامة القيمة اوضحنا اشراطها من كلام الدابة وغير
ذلك من العلامات الدالة وعند ذلك لا ينفع الايمان ولا يقبل العذر عن العصيان
ويوم نحشر من كل امة فوجا جماعة وهو يوم القيمة ووقت الندامة ممن يكذب باياتنا
من الثانية بيانية للجماعة المحشورة والاولى تبعيضية لان امة كل نبي شاملة لجماعة من
المصدقة والمكذبة فهم يوزعون يساقون ويحبس اولهم ليتلاحق آخرهم وهو عبارة عن
كثرتهم وتباعد جهتهم حتى اذا جاؤا الى مكان الحساب وموقف العذاب قال اكذبتم باياتي
ولم تحيطوا بها علما اي اجمعتم بين التكذيب بها وعدم العلم بتحقيقها اماذا كنتم تعملون
ام اي شيء كنتم تعملونه غير ذلك والاستفهام للتبكيت والتوبيخ هنالك ووقع القول
عليهم حل العذاب الموعود بهم من دخولهم في النار وكبهم بما ظلموا بسبب ظلمهم
في كسبهم وهو تكذيبهم بايات ربهم فهم لا ينطقون باعتذار لهم لشغلهم بعناء عذابهم
وبلاء حجاب او باعذار تنفعهم او تدفع عنهم ما نزل بهم او لا ينطقون مطلقا لشدة
احوالهم وفظاعة اهوالهم الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه بالنوم والقرار
والنهار مبصرا اي ليبصروا فيه سبل اسباب معاشهم في هذه الدار ويأخذوا فيها
زادهم لمعادهم من دار القرار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون اي لا لغيرهم حيث
لا ينتفعون ويوم ينفخ في الصور اي في القرن او في الصور بفتح الواو كما قرئ به وهو
جمع صورة والنفخة هي الثانية ففزع من في السموات ومن في الارض من هول القيمة
او من هيبة النفخة وعبر بالماضي لتحقق الواقعة الا من شاء الله ان لا يفزع به لتثبيت
قلبه من الملائكة المقربين والانبياء والمرسلين والشهداء والصالحين وكل اتوه
حاضروا موقفه او راجعوا امره وقرا حفص وحمزة اتوه بصيغة الماضي داخرين
صاغرين خاضعين خاشعين وافاد الاستاذ ان ذلك اليوم يوم ازعاج الارواح
وافراجها من الاجساد والاشباح فمن روح ترقى الى عليين ومن روح تتنزل
الى سجين هؤلاء في حواصل طير تسرح في الجنة وتاوي بالليل الى تحت العرش في قناديل
معلقة صفتها التسبيح والروح والراحة ولبعضها الشهود والرؤية ثم هم على مقادير
استحقاقهم في عقباهم على ما كانوا عليه في دنياهم وارواح الكفار في النار يعذبون على

مقادير الاوزار وترى الجبال اى تبصرها تحسبها جامدة ثابتة فى مكانها وهى تمر
مر السحاب فى سرعة سيرها وذلك لان اجرام الكبار فى هيئتها اذا تحركت فى سمت
واحد لا يكاد تتبين حركتها صنع الله اى شاهد صنعه بعين بصرك وبصيرتك الذى
اتقن كل شىء احكم خلقه وسواه على ما ينبغى فعله انه خبير بما تفعلون وقراء ابن كثير وابو عمرو
وهشام بالغيبة اى عالم بظواهر الاعمال وبواطن الاحوال قال ابن عطاء الايمان ثابت
فى قلب العبد كالجبل وانواره تحرق الحجب وقال الصادق نور قلوب المؤمنين
الموحدين وانزعاج انين المشتاقين تمر مر السحاب لا يلتفت الى شىء غير الله
ولا له قرار مع سواه كذا فى تفسير السلمى وقيل للجنيد فى اواخر الحال مالك عنه السماع ان
لا تتغير بكلام القوال فقرا الجواب وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب
وقال الاستاد وكثير من الناس اليوم من اصحاب التمكين السالكين بنفوسهم
السائحين فى الملكوت باسرارهم قالوا ان الاشارة اليوم اليهم كما قالوا العارف كائن
بائن اى كائن معهم بظواهره وبائن عنهم بسرائره من جاء بالحسنة فله خير منها اذ
ثبت له التفنيس بالخمس والباقى بالكافى وسبعمائة بواحدة وهم من فزع يومئذ
آمنون اى من خوف عقوبة يوم القيمة وقراء الكوفيون بالتنوين ونافع منهم بفتح
الميم ومن جاء بالسيئة بالشرك والمعصية فكبت وجوههم فى النار فكبوا فيها على
وجوههم هل تجزون الا ما كنتم تعملون ما تجزون الا جزاء اعمالكم ونوع احوالكم انما امرت ان اعبد رب
هذه البلدة الذى حرمها من التعرض لها ولاهلها او جعلها محرمة لصادرها وواردها وتخصيص
مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشانها فلا يجانبه قوله وله كل شىء خلقا وملكا وملكا
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين المخلصين الثابتين فى الازمان وان اتلو
القرآن وان اواظب على تلاوته او متابعته فمن اهتدى باتباعه فانما يهتدى لنفسه
فان منافعه عائدة اليه ومن ضل بمخالفته فقل انما انا من المنذرين فلا على من وبال ضلاله
شىء لان مضاره واقعة عليه وما على الرسول الا البلاغ المبين وقد بلغت كما هو ظاهر لديه وافاد
الاستاد انه عليه السلام اخبر انه امر بالدين الحنيفى والتبرى من الشرك الجلى منه والخفى واخبر ان من
اتبعه وصدقه اوجب الحق ذمامه وحقه وقل الحمد لله على نعمة النبوة وسائر اصناف المنحة سيريكم
آياته القاهرة فى الدنيا والآخرة فتعرفونها لكن حين لا ينفعكم المعرفة وما ربك بغافل
عما يعملون وقراء نافع وابن عامر وحفص بالخطاب والمعنى بالمهملات لا تحسبوا ان تاخير عذاب
الاعمال للغفلة عن الاحوال بل للامهال لا للاهمال والمعنى لا تظنوا انه غافل عن اعمالكم فاحسنوا
جميع احوالكم وقال الاستاد سيريكم عن قرب آياته فطوبى لمن رجع قبل وفاته والويل على
من رجع بعد ذهاب الوقت وفواته **سورة القصص مكية وهى ثمان وثمانون آية**
بسم الله الرحمن الرحيم باسم يسعد الصباح والرواح وباسمه يرجى الفلاح والنجاح وباسمه
نعمة الدنيا ومنحة الاخرى فنعمة الآخرة والاولى فطوبى لمن داوم على ذكره وواظب على شكره

واشتغل به

واشتغل به فى صحوه وسكره وافاد الاستاد انه اسم عزيز من تعرض لجده وآه ايسر فى دنياه
وعقباه ومن اشتاق الى لقياه استعذب منه ما يلقاه من بلواه فان طلب مونسا كما
سواه فى عقباه او دنياه ضل من يدعو الا اياه طسم الطاء يشير الى طهارة نفوس العابدين
عن عبادة غير الله وطهارة قلوب العارفين عن تعظيم غير الله وطهارة ارواح الواجدين
عن محبة غير الله وطهارة اسرار الموحدين عن شهود غير الله والسين يشير الى تراءته مع العاصين
بالنجاة ومع المطيعين بالدرجات ومع المحبين بدوام النجاة والميم يشير الى منته على كافة المؤمنين
بكفاية الآفات والثبات على سبيل الخيرات تلك آيات الكتاب المبين الظاهر فى
معجزاته والمظهر لحكماته نتلوا عليك نقرأ بالقاء جبريل اليك من نبإ موسى وفرعون بعض
نبائهما المهم من انبائهما بالحق الثابت على وصف الصدق لقوم يؤمنون لانهم به
المنتفعون وافاد الاستاد ان سماع قصة الحبيب من الرب يوجب سلوة القلب
وذهاب الكرب وبهجة السر وزبدة المراد وثلج الفؤاد وكرر الحق ذكر قصة موسى تفخيما لشانه
وتعظيما لقدر برهانه ثم زيادة فى البيان لبلاغة القرآن ثم افادة لزوائد من المذكور قبله
فى كل موضع كرره ان فرعون علا فى الارض استكبر فى ارض مصر وتجبر على اهلها قال
جنيد ادعى ما ليس له وقال ابن عطاء استكبر وافتخر بنفسه ونسى عبودية ربه وقيل اظهر
علمه فى اهل ملكه وقال الاستاد تكبر بغير حق فاتاه بحق وتجبر بغير استحقاق فاذله الله
باستحقاق وجعل اهلها شيعا فرقا مختلفة يشيعونه فيما يريد من احكام مؤتلفة فصنفا
فى حرثه وصنفا فى حفره وصنفا فى حرفه وغير ذلك من صنعه يستضعف طائفة منهم
وهم بنو اسرائيل من ذرية الانبياء وخلاصة الاصفياء وهذا من اكبر ظلمه يذبح ابناءهم اى
صبيانهم ويستحيى نساءهم يستبقى بناتهم حتى يصرن نساء لهم وذلك لان كاهنا قال
له يولد مولود فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق
لم ينفع القتل وان كذب فما وجه القتل انه كان من المفسدين فى العمل ولذلك اجترأ على
قتل كثير من ذرية ارباب النبوة لتخييل فاسد ظهر من اصحاب الكهانة وقال الاستاد انه سبحانه
حكم بالفساد فيهم والله لم يرض بترك تلافيهم ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى
الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم من يده ونجعلهم ائمة مقدمين فى امر الدين وما يتعلق به
ونجعلهم الوارثين لما كان فى ملكه فرعون وقومه ونمكن لهم فى الارض نسلطهم على ارض مصر
والشام ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم من بنى اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب
ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم فان القبط قد سمعوا ذلك من بنى اسرائيل فيما كانوا
يدرسونه من قول ابراهيم الخليل عليه السلام على ما ذكره ابن عباس وقراء حمزة والكسائى
ويرى بصيغة الغائب ورفع ما بعده وقال الاستاد اى نريد ان نمن عليهم بالتخليص
من ايديهم ونجعلهم ائمة بهم يهتدى الخلق ومنهم تتعلم سلوك طريق الصدق ونبارك
فى اعمارهم فيصيرون وارثين لاعمار من بادوهم ويصير اليهم مساكنهم ومنازلهم فهم هداة

واعلام وسادة وقادة بهم يقتدى وبنورهم يهتدى ونمكن لهم فى الارض تنزل عنهم اخو
من الاغيار ونرزقهم البسطة والاقتدار ونمد لهم فى الاجل باعتبار المقدار ونرى فرعون وهامان
وقومهم ماكانوا يحذرون من زوال ملكهم على ايديهم ان الحق سبحانه سيعطى وان كان
عند الخلق انه يبطى واوحينا الى ام موسى بالهام اورؤيا منام او على لسان نبى او ملك
صفى ان ارضعيه ما امكنك ان تخفيه فاذا خفت عليه جابنا فيه فالقيه فى اليم نهر النيل
الذى يشبه البحر ولا تخافى عليه الضيعة ولا الشدة ولا تحزنى لفراقه فى الهجرة انا رادوه
اليك بالقرب وجاعلوه من المرسلين الى الامة قال جنيد اذ خفت حفظه بواسطة
عدوه فسلميه الينا واقطعى عنه شفقتك وتدبيرك لدينا ليكون مفوضا الى تدبيرنا
فان حفظه علينا وقال ابن عطا مادمت تحفظ نفسك بتدبيرك فهى على شرف
الهلاك فاذا زالت عنها تدبيرك وسلمتها الى مدبرك يرجى لها الخلاص وقال الواسطى
الذى حفظه فى اليم قادر ان يصرف عنه الهم من فرعون وما قصده من الالم كذا فى تفسير
السلمى وروى انه لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بنى اسرائيل
فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل
حبه قلبها بحيث منعها من السعاية فارضعته امه ثلاثة اشهر ثم الح فرعون فى طلب المواليد
واجتهد العيون فى تفحصها فاخذت له تابوتا وجعلته فيه فقذفته فى النيل فوقع التابوت
فى نهر كان يجرى منه الى بيت فرعون فاخذه اهل داره وقال الاستاد اى القينا فى قلبها
والهمنا اليها فانجذب فى ذلك خاطرها وجرى ذلك منها وهى مختارة باجبار اجل عليها
ويقال قتل فرعون ذلك اليوم كثيرا من الولدان المولودة لبنى اسرائيل رجاء ان يقتل
من راى فى النوم ما عبر له ان ذهاب ملكه على يدى اسرائيلى يوجد ويولد ثم انه رباه فى حجره ذلك
اليوم ليعلم ان الاقدار لا تغالب فجعلته فى تابوت وقيرت راسه والقته فى نيل مصر فجاء الماء
الى بركة كان فرعون جالسا على حافتها فاخذوه وحملوه اليه وفتحوا راس التابوت لديه
وكان كما قال تعالى والقيت عليك محبة منى قيل كان انه قد خلق ملاحة فى عينى موسى
من وقع عليه بصره لم يتمالك من حبه فلما رآه فرعون اخذت رؤيته بمجامع قلبه وكذلك
تمكن حبه من قلب امرأته فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم
اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرا حمزة والكسائى حزنا
بضم فسكون قال السلمى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم فرحا وسرورا ولم يعلموا ما اضمر
القدرة فيه من تصييره لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين
فى فكرهم فاخطأوا فى تربية عدوهم بعد ان قتلوا الوفا لاجله ببدهم او كانوا مذنبين
فى امرهم فعاقبهم الله بان ربى عدوهم فى حجرهم وقالت امرأة فرعون حين راته قرت
عين لى ولك هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه اخرج من التابوت احباه وروى
النسائى عن ابن عباس انه اجابها بقوله اما لك فنعم واما لى فلا فكان كذلك وفى رواية قال

لك لالى

لك لا لى ولو قال لى كما هو لك لهداه الله كما هداها لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع
للتعظيم او خاطبت الجند على قصد الشفاعة للكليم عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل
اليمن والبركة ودلائل الفهم والمنفعة او نتخذه ولدا اى نتبناه فانه اهل له وهم
لا يشعرون الى ماذا يؤول امره او انهم على الخطأ فى التقاطه او فى طمع النفع منه
والتبنى له وذلك لانهم ظنوا انه جاء من ارض اخرى وانه اكبر من ابن سنة وفرعون
لا يخاف الا من اولاد تلك السنة واصبح فؤاد ام موسى فارغا خاليا من كل شئ كالمجنونة
فى غم ولدها لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون او من الهم لفرط
وثوقها بوعد الله او لسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدى به انها
قاربت لتظهر مصرحة بموسى وامره من فرط الضجر لما وقع فيه او من كثرة الفرح بسماع
تبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات فيه لتكون من المؤمنين من المصدقين
بوعد الله فى رده وحفظه لا بتبنى فرعون وعطفه وفى تفسير السلمى اى لتظهر انها
فى الستر من حفظ موسى ورده اليها ومنع ايدى الظلمة عنه وقال ابن عطا لولا انا امرنا
بالكتمان لحالها لاظهرت ان موسى ما صحبته لها وقال الصادق القصد معدن التسليم
والقلب معدن اليقين والفؤاد معدن النظر والفكر والضمير معدن السر والنفس
مأوى كل حسنة وسيئة وقال الاستاد لما القته امه فى الماء سكن الله قلبها وربط
عليه والهمها الصبر لديه ان كادت لتبدى به من ضعف البشرية ولكن ربط قلبها
بالتأييدات الالهية وقالت لاخته لاخت موسى وهى مريم ام ام كلثوم قصيه
تتبعى اثره وتفحصى خبره فبصرت به عن جنب اى فقصت فابصرته عن بعد وهم
لا يشعرون انها تقصه او انها اخته وحرمنا عليه المراضع تحريما قدريا ومعناه منعناه
ان يرتضع من المرضعات من قبل قبل تتبعها امره فقالت اخته هل ادلكم على اهل بيت
يكفلونه لكم يضمونه ويرضعونه لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون فى ارضاعه وتربيته
روى انه قيل لها انك لتعرفه واهله فاخبرينا بحاله فقالت انما اردت وهم للملك
ناصحون فامروها بان تأتى بمن يكفله فاتت بامها فلما وجد ريحها استأنس بها
والتقم ثديها فقيل لها من انت منه حتى ابى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة
طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبى الا قبلنى فدفعوه اليها واجرى الاجر والعطاء
عليها فذهبت به الى بيتها من يومها شاكرة لحالها ومالها وراجية لحسن
مآلها فرددناه الى امه كى تقر عينها برؤية ولدها ولا تحزن بفراقها ولتعلم علم
مشاهدة وصدق ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون ان وعده حق وقوله
صدق وقال الاستاد ممن بالغدوة كانوا اى اهتمام قتله كيف يقتلونه اجتهدوا هم
فى جهدهم كيف يغذونه ويربونه ثم كانوا يدعون انه حاضنة ومرضعة له ولم يضرها
ذلك وقالوا يقولون لفرعون انه اباه ولم ينفعه هنالك ولما اخذته امه علمت

بتصديق الله ظنها وسكن عن الانزعاج قلبها ولما بلغ اشده مبلغه الذي لا يزيد
عليه نشوه وذلك سن الوقوف لمثله وهو من ثلثين الى اربعين فان العقل يكمل حينئذ
بالسعادين وروي انه لم يبعث نبي الا على رأس الاربعين واستوى اعتدل قده
او تكمل عقله آتيناه حكما فهما وحكمة وعلما بالدين ومعرفة وقيل المراد بها النبوة وكذلك
ومثل ما فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم في طاعة الله وامره قال جنيد لما كمل
عقله وصحت بصيرته آتيناه حكما في نفسه وعلما بما يتجدد عنده من موارد زوائد
الفوائد عليه من ربه وقال الاستاد لما كمل سنه وتم عقله واستوى خصال كماله
آتيناه حكما اكمنا له التحصيل ووفرنا له علمه بحاله وبذلك جرت سنتنا مع الانبياء
والاصفياء من قبله ودخل المدينة اي مصرا وغيرها آتيا من قصر فرعون ونحوها على حين
غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقع حصولها وهو وقت القيلولة كما
صرح به ابن عباس وقتادة وجماعة فوجد فيها رجلين يقتتلان يقصد كل قتل الآخر
منهما هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما ممن شايعه على دينه وهو السبطي والآخر من
يخالفه وهو القبطي والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته فسأله ان يغيثه
بالاعانة على الذي من عدوه وقرئ فاستعانه فوكزه موسى فضرب القبطي بجمع كفه او دفعه
بطرف اصبعه فقضى عليه فقتله وصلا انهى اليه العمر من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا
من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار في ذلك الزمان ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطاء
من جهته وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه على عادتهم في استعظام
محقرات صدرت عنهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة والضلال او مظهر طريق الضلال
وما يترتب عليه الوبال وقال الاستاد وكزه موسى ليدفعه عن الاسرائيلي ولم يرد قتله فتمنى
انه لو دفعه بايسر مما دفعه ولم ينسب القتل الى الشيطان ولكن دفعه عنه بالغلظة نسبه
اليه بان حمله على تلك الحدة لديه واذا اراد الله امرا اجرى اسبابا يحصل بها مراده ولولا
انه اراد فتنة موسى ووقعه بدفعه لما قبض روحه بوكزه وقد يضرب الرجل الكبير من الضرب
والسياط الكثير ثم لا يموت لموت القبطي بوكزه اجزاء لما اراده من قضائه وقدره
قال رب اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ما جرى من وكزه انه هو الغفور لذنوب عباده
الرحيم بهم على وفق مراده قال رب بما انعمت علي اي اقسم بانعامك علي واحسانك لي
باعطاء القوة وسائر النعمة لا توبن من مثل هذه الوكزة فلن اكون ظهيرا للمجرمين فلن اشتغل
تولي في مظاهرة اعدائك بل اصرفها في مناصرة اوليائك وعن ابن عباس لم يستثن
فابتلي به مرة اخرى اي لم يقل فلن اكون ان شاء الله اولا فابتلي بالعون للمجرمين ثانيا وفيه
اشكال اذ لم يبتل بالعون للمجرمين بل على المجرمين لاجل المحرمين المحترمين فاصبح في المدينة خائفا
يترقب ينتظر سوءا من فرعون لماله من شدة الغضب قال ابن عطا خائفا من قومه
يترقب مناجاة ربه وقيل خائفا من نفسه يترقب نصرة ربه وقيل مستوحشا من عنده

منتظر المؤنس يأنس به وقيل خائفا من زلة الجناية منتظر الكفاية راجيا للعصمة والحماية فاذا الذي
استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه للانس قال له موسى انك لغوي مبين بين الغواية حيث
تسببت لقتل رجل من القوم ثم تدعوني الى آخر في هذا اليوم فلما ان اراد ان يبطش بالذي
هو عدو لهما اي بالقبطي لانه لم يكن على دينهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت
نفسا بالامس قاله القبطي وقيل السبطي ولا يلايمه قوله ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض
متطاولا على اهلها غير ناظر الى العواقب ومآلها وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس
على وجه الاستيناس وجاء رجل قيل هو مؤمن آل فرعون وابن عمه من اقصى المدينة آخرها يسعى
يسرع في سيره الى ادنائها قال يا موسى ان الملأ اشراف الجند يأتمرون بك يتشاورون
بسببك ويريدون ان يعلموا فرعون بصنعك ليقتلوك ظنا منهم انك قتلت القبطي
بقصدك فاخرج من المدينة اني لك من الناصحين في امرك فخرج منها خائفا يترقب
ان يدركه الطلب وقيل يترقب الكفاية والحماية من الرب قال رب نجني من القوم
الظالمين خلصني من شرهم واحفظني من مكرهم ولما توجه تلقاء مدين تجاهها وقبالتها
وهي قرية شعيب عليه السلام ولم يكن في سلطنة فرعون مع ان بينها وبين مصر مسيرة ثمان
ليال قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي الطريق المستوي قاله توكلا على ربه وحسن ظن به
وكان لا يعرف طريق مقصده فخرج له ثلث طرق فاخذ في اوسطها وجاء الطلاب عقيبه
فاخذوا في الآخرين منهما ظنا انه لا يسير على الجادة فيها قال جعفر توجه الى ناحية مدين ببدنه
وتوجه بقلبه الى ربه طالبا منه سبيل الهداية فاكرمه بالكلام والرسالة وكل من اقبل على الله
بالكلية فان الله يبلغه مأموله البتة وقال الاستاد توجه بنفسه تلقاء مدين من غير
قصد الى مدين او غيره بل خرج على الفتوح وتوجه بقلبه الى ربه ينتظر ان يهديه الى النحو
الذي هو خير له فقال عسى ربي ان يهديني لارشد سبيلي ولما ورد ماء مدين وصل اليه
وهو ماء كانوا يستقون لديه وجد عليه فوق شفيره امة من الناس جماعة كثيرة مختلفين
ذهابا وايابا بالمناوبة على ما هو المعتاد في السقاية يسقون المواشي ووجد من دونهم
في موضع اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما انتظارا
لخلو الماء لهما قال ما خطبكما ما شأنكما لا تسقيان عنكما قالتا لا نسقي حتى يصدر
الرعاء يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا عن مزاحمة الرجال بالنساء
وقرأ ابو عمرو وابن عامر بفتح الياء وضم الدال اي حتى ينصرف الرعاء وابونا شيخ
كبير في السن لا يستطيع ان يخرج لسقي الماء فيرسلنا اضطرارا مع الرعاء قال ابن
طاهر ورد في الظاهر ماء مدين وورد في الحقيقة على مالك مياه الانس مع الجنة وبساتين
المعرفة ووجد عليه امة اي جماعة خواص من العباد الصفوة يردون في تلك البساتين
من الروضة فانس بهم وشرب معهم من تلك المياه شربة اورثته ورود تلك الموارد
الورود على مخاطبة الحق واورثه شرب ذلك الماء الثبات في حال المخاطبة فسقى لهما

مواشيهما رحمة عليهما مع ما كان به من نصب الجوع ووصب جراحة القدم وغيرها
وقد صح عن عمر رض انه لما فرغ الناس جعلوا الصخرة لا يستطيع رفعها الا عشرة على راس
البئر فرفع موسى الحجر وحده ثم لم يستق الا ذنوبا واحدا ودعا بالبركة وروى عنهما وقيل
كانت بئرا ذي صخرة كبيرة عليها فرفعها واستقى منها وهذا هو الاظهر فتدبر ثم
تولى الى الظل ظل شجرة او جدار خربة فقال رب انى لما لاى شيء انزلت الى
من خير من طعام يسيرا وكثير فقير محتاج وسائل من غير وسائل وقيل معناه انى
فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الى من خير الدين وهو النجاة من الظالمين والغرض
من هذا الكلام فى خطابه اظهار الفرح به والشكر على ما به فى بابه قال ابو بكر بن
طاهر لما طال عليه البلوى آنس بالشكوى فقال انى لما انزلت الى من خير
فقير يناجيه بلسان الافتقار وليس فى الشكوى الى المحبوب نقص فى الاختيار
وقال الحسين انى لما خصصتنى به من علم اليقين فقير الى ان تردنى الى عين
اليقين ثم حق اليقين وقال جعفر فقير طالب لديك لزيادة الفقر اليك
اى لا استغنى عنك بشيء سواك وقال الاستاد لما وافى موسى مدين شعيب
كان وقت الهاجرة وكان لهم بئر يستقون منها فيصبون الماء فى الحياض
ويسقون غنمهم مواشيهم وكان شعيب كف عنه بصره لكثرة بكائه ففى القصة
انه بكى حتى ذهب بصره فرد الله عليه بصره ثم بكى فرد الله عليه بصره ثم بكى ثالثا
فاوحى الله اليه ان كان بكاؤك لخوف النار فقد امنتك منها وان كان
لاجل الجنة فقد ابحتها لك فقال لا يا رب ولكن شوقا اليك فاوحى الله اليه
لاجل ذلك اخدمتك نبيى وكليمى عشر حجج وكان لشعيب اغنام ولم يكن له
اجير وكان بنتاه تسوقان الغنم مكان الرعاة ولم يكن لهم قوة استقاء الماء من
البئر وكان الرعاة يستقون الماء من البئر ويسقون مواشيهم فاذا انصرفوا فان
بقى فى الحوض بقية من الماء فبنات شعيب كانتا تسقيان غنمهما فلما وافى
موسى ذلك اليوم وشاهد ذلك الحال من القوم رق بقلبه لهما فلما انصرف
الرعاة سقى غنمهما ثم تولى الى ظل جدار بعدهما وكان جايعا مسافرا لم يتعود فقط
الغربة والرحلة ولم يكن معه مال فى تلك الحالة فطلب قوتا يزيل جوعه ويسد رمقه
وقيل سأله حالا يستقل بها ولا يضطرب معها وكان شعيب يخرج الى ظاهر
الصحراء فى طريق الماشية فمسها بيده فوجد اثر الزيادة فى تلك الكرة فسألهما
فذكرتا له القصة فقال شعيب انه جايع البتة فبعث احدهما لتدعوه الى الضيافة
فجاءته احداهما تمشى على استحياء مستحيية متسترة بكم درعها قيل كانت الصغرى
وقيل الكبرى وهى التى تزوجها موسى قال ابن طاهر لتمام ايمانها وشرف عنصرها
وكرم نسبها اتته على استحياء فقد ورد الحياء من الايمان وقال الاستاد انها

انما استحيت

انما استحييت لانها كانت تخاطب من لم يكن محرما لها وقيل لما دعته للضيافة كانت
مستحيية والكريم يستحيى من الضيافة قالت ان ابى يدعوك ليجزيك ليكافيك اجر
ما سقيت لنا جزاء سقيك لغنمنا ولعل موسى انما جاءه ليتبرك برؤيته ويستظهر بمعرفته
لا طمعا فى اجرته بل روى انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع
ديننا بدنيانا حتى قال شعيب هذا من دأبنا مع كل من ينزل بنا على ان كل من فعل معروفا
فاهدى بشيء لم يحرم اخذه وقال الاستاد لم تطب نفس شعيب لما احسن موسى اليه ان لا يكافيه
بما قدر عليه وان كان موسى لم يرد المكافاة لديه ويقال ورد بظاهره ماء مدين وورد بقلبه
موارد الانس والروح والموارد مختلفة فمورد القلوب رياض البسط بكشوفات المحاضرة
فيطربون بانواع الملاطفة ومورد الارواح مشاهد الارواح فيكاشفون بانواع المشاهدة
فيغيبون عن الاحساس بالنفس وما لها من المجاهدة ومورد الاسرار ساحات التوحيد
فعند ذلك الولاية فقد ولا نفس ولا حس ولا قلب ولا انس استهلاك فى الصمدية وفناء
بالكلية ويقال الاجنبية والبعد من المحرمية توجب امساكه عن مخاطبتهما والاعراض
والسكوت عن سؤالهما ولكن الذى بينهما من المشاكلة والموافقة بالستر لهما استنطقه
حتى سألهما عن قصتهما كما قيل شعر اجارتنا انا غريبان ههنا ▪ وكل غريب
للغريب نسيب ▪ ويقال لما سألهما واخبر عن حالهما لزمه القيام بامرهما بالعلم ان من
تفقد امر الضعفاء وحالاتهم ووقف على موضع فاقتهم لزمه ازالة شكايتهم ويقال من
كمال البلاء على موسى انه وافى الناس وكان جايعا ومقتضى الرفق ان يطعموه فنقبض
القلوب عنه واستقبله من موجبات حكم الوقت ان يعمل عمل اربعين رجلا لان الصخرة
التى نحاها عن راس البئر وحده كان ينقلها اربعون رجلا تولى الى الظل وقال ارايت
ان تطعمنى بعد مقاساة اللتيا والتى فذلك فضلك قاله بلسان الانبساط ولا لسان
احلى من ذلك وهى شبه الشكوى ولكن اليه لا منه بل منه اليه ويقال تولى الى ظل الانس
وروح البسط واستقلال الستر بحقيقة الوجود ويقال رب انى لما انزلت الى من خير
فقير فزدنى فقرا فان فقرى اليك يوجب استغنائى بك فلما جاءه موسى وقص
عليه القصص وحكى لشعيب صورة ما جرى قال لا تخف فى هذا المكان المكين نجوت
من القوم الظالمين فرعون وقومه اجمعين قالت احداهما وهى التى استدعته يا ابت
استأجره لرعى الغنم ان خير من استأجرت القوى الامين فيه ايماء الى انه عليه السلام
ما كان يليق اجيرا جامعا بين القوة فى الخدمة والامانة فى الديانة وروى ان شعيبا قال
لها وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلاله الحجر ورفعه وانه صوب راسه حين بلغته
امره وامرها بالمشى خلفه قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى اى
تأجر نفسك منى ثمانى حجج ظرف لاجارة فان اتممت عشرا عمل عشر حجج فمن عندك فاتمامه من
عندك تفضلا وتبرعا لا من عندى عليك الزاما شرعا وهذا استدعاء للعقد لا نفسه حيث قال

اريد ولم يقل انكحك مع ما في كلامه من ابهام المنكوحة وحكى في ذلك خلاف الشريعة وما اريد ان
اشق عليك بالزام اتمام العشر الموجب للصعوبة لديك او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء
الاعمال ستجدني ان شاء الله من الصالحين في الوفاء بالمواعدة وحسن المعاملة ولين
الصحبة والعشرة والمجاملة قال موسى ذلك الذي عاهدتني فيه بيني وبينك قائم بيننا
لا نخرج عما شرطنا ايما الاجلين اطولهما او اقصرهما قضيت وفيت فلا عدوان علي
لا تعتدي علي بطلب الزيادة فلي الخيار مطلقا في الارادة والله على ما نقول من المناظرة
وكيل شاهد حفيظ على ما وقع من عقد الاجارة وقال الاستاذ في القصة ان شعيبا
قال لموسى ادخل هذا البيت واخرج مما فيه من العصي عصا وكان بيتا مظلما فدخل
واخرج العصا التي كانت لموسى واظهر الله فيها معجزة وجاء في القصة انها كانت
لآدم عليه السلام وقعت الى شعيب من نبي الى نبي وذلك انه لما اهبط آدم الى الارض صال
عليه ما على وجه الارض من السباع فانزل الله عليه عصا من الجنة وامره جبريل ان يرد السباع
عن نفسه بتلك العصا فلما اخرج موسى تلك العصا قال شعيب ردها الى البيت واخرج
عصا اخرى ففعل غير مرة ولم يحصل كل مرة في يده الا تلك العصا فلما تكرر الامر هنالك
علم شعيب ان له شأنا فاعطاه ذلك ثم في القصة ان اليوم الاول الذي ساق غنمه قال له
شعيب ان طريقك يتشعب شعبتين على احدهما كلأ كثير فلا تسلكه في الرعي فان فيه
ثعبانا واسلك الشعب الآخر فلما بلغ موسى مفرق الطريقين تفرقت الغنم ولم تطاوعه
وسامت في الشعب الذي فيه الكلأ الكثير وان موسى تبع الاغنام ووقع عليه النوم
فلما انتبه رأى الثعبان مقتولا وعصاه كانت قد قتل الثعبان فلما انصرف اخبر
شعيبا بذلك فسر به هنالك وكان موسى يرى في العصي آيات كثيرة ولذا قال ولي فيها
مآرب اخرى فلما قضى موسى الاجل اي الاطول على ما صح في البخاري عن ابن عباس روي
انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا آخر ثم عزم على الرجوع الى محله وسار
باهله وكان في ليلة مظلمة شديدة البرودة والطرق مختلفة آنس من جانب الطور
ابصر من الجهة التي تلي الطور ابصر من الجهة التي تلي الطور نارا عظيمة وعن النظر بعيدة
قال ابو علي الرود بادي الجبل الذي كلم الله عليه موسى كان من العقيق قال لاهله امكثوا
اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر من الطريق ممن يوجد عندها من الفريق او جذوة وقرأ
عاصم بالفتح وحمزة بالضم شعلة مقتبسة من النار او قطعة منها لعلكم تصطلون
تستدفئون فلما اتاها جاءها نودي من شاطئ الواد الايمن اتاه النداء من الجانب
الايمن لموسى او من الوادي الابرك في البقعة المباركة بجميع اطرافها وجهاتها من
الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة في تلك المحال ان يا موسى
اني انا الله رب العالمين اي الذي يكلمك رب العالمين وهذا وان خالف
ما في طه والنمل في بعض المباني فهو طبقه وفقه في المقصود من المعاني قال ابن عطا

فلما

فلما تم له اجل المحنة ودنا ايام القربة والزلفة والمنحة واظهار انوار النبوة واسرار المحبة سار باهله ليشرف
معه في لطائف الصنعة قال جعفر ابصر نارا دلته على الانوار لانه رأى النور على هيئة النار فلما دنا منها
شملته انوار القدس واحاطته جلابيب الانس فخوطب بالطف خطاب واستدعى منه احسن جواب
فصار بذلك مكلما شريفا مقربا مكلما لطيفا اعطي ما سأل وامن مما خاف وقال الاستاذ انه تعالى
اخفى تعيين موضع قدم موسى على المطلوب بهذا الخطاب حيث قال في الكتاب من شاطئ الواد الايمن
ثم قال في البقعة المباركة وخليق ان يكون البقعة مباركة وعندها سمع خطاب مولاه بلا واسطة
واعز الاماكن عند اولي الالباب مشهد الاحباب كما قيل في هذا الباب * واني لا اهوى
الدار ما يستفزني * لها الود الا انها من ديارك * ويقال كم قدم وطئت تلك البقعة
ولكن لم يسمع صاحبها بها شيئا * وكم ليلة اجنت تلك البقعة ولم يظهر من تلك النار شعلة
ويقال شتان بين شجرة وشجرة شجرة آدم عندها ظهور محنة وفتنة وشجرة موسى عندها
فتح نبوة وبدو رسالة اقول ويمكن ان يقال هذه الشجرة من ثمرة تلك الشجرة لان المحنة
توجب المنحة والبلاء يورث الولاء ويكون وجه تسمية شجرة آدم شجرة العلم والله اعلم
ويقال بتفصيل نوع تلك الشجرة ولا يدري ما الذي كان لتلك الشجرة من الثمرة بل هي
شجرة الوصلة ثمرها القربة اصلها ثابت في ارض المحبة وفرعها باسق في سماء الصفوة اوراقها
الزلفة وازهارها وانوارها تتفتق عن نسيم الروح والبهجة فلما سمع الكلام موسى عليه السلام
تغير عليه الحال في ذلك المقام وفي القصة انه غشي عليه وارسل الله الملائكة اليه حتى روحوا ابرا
الانس لديه وكان هذا في ابتداء الامر والمبتدي مرفوق به وفي المرة الاخرى خر موسى صعقا
وكان يفيق والملائكة تقول له يا ابن الحيض مثلك من يسأل الرؤية كذا في الحديث والقصة
في البداية لطف وفي النهاية عنف ويقال في الاول خل وفي الآخر قتل * فلما دارت الصهباء
دعا بالنطع والسيف * كذا من يشرب الراح مع التنين في الصيف * ونظيره ما منع
لآدم عليه السلام من تشريفه اولا وتعنيفه آخرا بناء على ان الولاء يعقبه البلاء وان القي
عصاك عطف على ان يا موسى داخل تحت ما نودي سبحانه وتعالى وافاد الاستاذ ان المعنى
يا موسى اخلع نعليك واقم عندنا هذه الليلة فقد تعبت في الطريق لديك ان لم يكن هذا في النقل
والآثار فهو ما يليق بتلك الحال عند الاعتبار يا موسى كيف صعدت وكيف متى بت كيف
شرقت كيف غربت كنت في الطريق وحدك يا موسى احصينا خطاك احصينا
كل شيء عددا يا موسى تعبت فاسترح يا موسى بعد ما جئت فلا تبرح كذا العبد غدا اذا قطع
المسافة في القيمة وتبوأ من منزله في الجنة وآخرون يمضون من الطريق الى بساط الزلفة كذا
العبد والخادم اذا دخل بلد سلطانه يبتدي اولا بخدمة السدة العالية ثم بعده ينصرف الى منزله
بالعافية وكذلك اليوم امرنا اذا اصبحنا كل يوم ان لا نشتغل بشيء من امور الخلق حتى يفتتح
النهار بالخطاب مع الحق ونحضر بساط الخدمة وهو الصلوة من العبادة بل نحضر بساط الدنو
والقربة لقوله واسجد واقترب المصلي مناج ربه لو يعلم المصلي من يناجي ما التفت اي لم يخرج

عن صلاته فيلتفت يمينا وشمالا في التسليم الذي هو التحليل عن عبادته فلما رآها اي بعد ما القاها
فصارت حية كبيرة تهتز تتحرك بسرعة كثيرة كانها جان حية صغيرة في خفتها وهيئتها او في
سرعة حركتها ولى مدبرا منهزما من خوف ما راى ولم يعقب لم يرجع الى وراء يا موسى اي نودي
بهذا النداء اقبل الينا واعتمد علينا ولا تخف من غيرنا انك من الآمنين لدينا فانه لا يخاف
لدي المرسلون فرجع الى مكانه الاول ووقف في مقامه الاكمل قال سري السقطي الخوف على ثلاثة
اوجه خوف في الدين وهو خوف العامة وخوف العارض عند تلاوة القران وهو خوف الخاصة
وخوف مزعج يخل القلب ويهتز البدن ويذهب بالنوم ويورث الحزن وهو خوف اهل
الحقيقة وقال الاستاذ انقلب العصا حية فولى موسى مدبرا خيفة ولم يقف لحظة وكان من حقه
ان يقول حديث اوله تسليط الثعبان من ذا يطيق هذا الشان فقيل له لا تخف يا موسى ان الذي
يقدر ان يقلب العصا حية يقدر ان يخلق لك منها سلامة انك من الآمنين ليس المقصود من
هذا خوف بدنك انما اثبت هذا لسلطة على عدوك وهذا معجزتك على قومك اسلك يدك في
جيبك ادخلها في جيب قميصك تخرج بيضاء كانه قطعة قمر نورا من غير سوء عيب
كبرص وداء واضمم اليك جناحك المراد باحد الجناحين اليد اليمنى وبالآخر اليد اليسرى وكل
منهما مضموم ومضموم اليه بادخال كل منهما تحت عضد الاخرى من الرهب من اجل الرهب
اذا غلبك الرعب عن ابن عباس وغيره اذا خاف احد وضع يده في فؤاده يخف خوفه
ويزول رعبه وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرا حفص بفتح
فسكون فذانك وقرا ابن كثير بتشديد النون والاشارة الى العصا واليد وتذكيرهما باعتبار الخبر
وهو قوله برهانان حجتان ومعجزتان من ربك مرسلا بهما الى فرعون وملائه انهم كانوا
قوما فاسقين خارجين عن حدهم وامر ربهم وقال الاستاذ قيل انما قيل له اسلك يدك
في جيبك لان المدرعة التي كانت عليه لم يكن لها كم وفي هذا اشارة ان كل احد انه يصل الى مقصوده
ومراده بتشمره وجده واجتهاده واخراج يده من كمه والله قال لموسى ادخل يدك في جيبك
تخرج بيضاء والق عصاك فجعلها ثعبانا بلا ضربك بها ولا استعمالك لها يا موسى الامر بنا
لا بك وانا لا انت اي في فعلك فذانك برهانان من ربك يا موسى في وصف خضوعك تجددك
ويتبرك من حولك وقومك تصل الي قال رب اني قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون
فاعتق وادفعهم عني لا اقوم بتبليغهم مني واخي هرون هو افصح مني لسانا اوضح مني بيانا فارسله
معي ردءا وقرا نافع بالنقل اي معينا يصدقني باتمام الحجة ورفع الشبهة اني اخاف ان
يكذبون ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقرا عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على انه صفة قال ابو بكر
بن طاهر هو افصح مني لسانا مع الخلق وكيف اكون فصيحا معهم وقد سمعت كلامك كيف
اخاطبهم او كيف اجعل لهم وزيرا مع انك تبتني وخصصتني به شانا قال سنشد عضدك
سنقويك باخيك ونجعل لكما سلطانا غلبة وشانا او حجة وبرهانا قيل هيبة في قلوب الاعداء
ومحبة في قلوب الاولياء او سلطانا على انفسكما فلا يقدر الشيطان ان يغلبكما او اصابة في احكام

اليد وعلى اتباعكما فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج وايذاء بآياتنا بسبب اظهار معجزاتنا
انتما ومن اتبعكما الغالبون بارادتنا وقدرتنا وقال الاستاذ تعلق موسى عم بكل وجه رجاء
ان يعافي من مشقة التبليغ ومقاساة البلاء لانه علم ان النبوة فيها مشقة فلم يجد
الرخصة والاعفاء عما كلف من تحمل اعباء النبوة واجاب سؤله في اخيه وجعل لهما القوة
ثم انهما لما اتيا فرعون قابلهما بالتكذيب في الرسالة ورماهما بالسحر والمكيدة وجادلاه بالحجة ودعواه
الى سواء الحجة فابى الا الجد الى التمرد وهذا معنى قوله فلما جاءهم موسى باياتنا من المعجزات بينات
ظاهرات الدلالات قالوا ما هذا الا سحر مفترى تخييل لا حقيقة له في الكائنات وما سمعنا
بهذا ادعاء النبوة في آبائنا الاولين الامم المتقدمة وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى
من عنده ومن يتبع الهوى في دينه وقرا ابن كثير قال بغير واو على انه استيناف وقع
جوابا لمن سال عن جوابه ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا
وعاقبتها الحميدة هي الجنة وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون
بالهدى في الدنيا وبحسن العاقبة في العقبى وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من
اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين اطبخ لي الآجر فاجعل لي صرحا قصرا عاليا لعلي اطلع
الى اله موسى واني لاظنه من الكاذبين في ان لكم الها غيري وانه رسوله في الدين وافاد الاستاذ
انه ادعى الانفراد بالالهية فزاد في الضلالة على عبدة الاصنام الذين جعلوا اصنامهم شركاء
بل وسائل وشفعاء ومن زيادة ضلالته توهمه ان المعبود في جهة العلو وانه يمكن الوصول اليه
ولعمري لو كان جهة لامكن تقدير الحصول لديه واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق بغير استحقاق
من جانب الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون اعتقدوا انه لا قيامة لدينا ولا معاد علينا
وقرا نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم فاخذناه وجنوده فنبذناه في اليم فطرحناهم
فيه كلف رماد في ساحة اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين آل حال المجرمين وجعلناهم
ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال يدعون الى النار الى موجباتها من الكفر والمعاصي
وما يشبهها من الانكال والاغلال ويوم القيمة لا ينصرون برفع العذاب عنهم في جميع الاحوال
واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين من الملائكة والمؤمنين
ويوم القيمة هم من المقبوحين سود الوجوه زرق العيون بين المخلوقين قال ابن عطا
نزع عنهم انوار التوفيق واسرار التحقيق فهم في ظلمات نفوسهم كالغريق لا يدلون
غيرهم على سبيل الرشد والتوفيق ولا يسلون بانفسهم سواء الطريق فسماهم الله ائمة
يدعون الى الحريق وقال الاستاذ فاستكبر هو وجنوده وابى الا ان يدوم جحوده فغرقه
الله في البحر الكفر وجعلهم ائمة لا للشر فهم لكن بسبب تلفهم قدمهم في الخزي والمهانة على كل امة
فهم ائمة لكن لم يرشدوا الا الى الضلال ولم يدلوا الخلق الا على المحال وما حصلوا الا على سوء
الحال وما ذاقوا الا خزي الوبال ان اصروا على سعيهم من ظلمات قلوبهم افتضحوا في خسة
مطلوبهم واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين كانوا في الدنيا مبعدين

عن معرفته وفي الآخرة مبعدين عن مغفرته فانقلبوا من طرد الى طرد ومن هجر الى بعد ومن
افتراق الى احتراق ولقد آتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
اقوام نوح وهود وصالح ولوط وقوم فرعون بعدهم بصائر للناس حال كون الكتاب انوارا
لقلوبهم يتبصر به الحقايق ويتميز بها بين الحق والباطل من احوال الخلايق وهدى وسبب
هداية ودلالة الى معرفة الشريعة ورحمة وموجب رحمة ونعمة في الدنيا والآخرة لعلهم يتذكرون
ليكونوا على حال يرجى منهم التذكرة وافاد الاستاد انه انما يطيب المنازل اذا خلا
من الاجانب ورؤيتهم واطيب المساكن ما كان زينتها بفقد الرقبا وغيبتهم فلما اهلك الله
فرعون وقومه واورث بني اسرائيل اموالهم وديارهم ومحاسن جميعها آثارهم طاب
عليهم العيش في العبادة وطلع عليهم شموس السعادة وما كنت يا محمد حاضرا بجانب الغربي
من الوادي او الطور فانه كان في شق الغرب من مقام موسى عند ظهور النور اذ قضينا
الى موسى الامر اوحينا اليه امر الرسالة وما كنت من الشاهدين لذلك حتى تعرف القصة
وتخبر الحالة فما هو الا من اعلام الله بالامور المغيبة كالمعجزة الدالة على صحة النبوة وقيل اراد
بالشاهدين السبعين المختارين ولكنا انشأنا قرونا خلقنا بعد موسى قرونا امما مختلفة فتطاول
عليهم العمر اي الازمنة فحرفت الاخبار وتغيرت الشرايع واندرست العلوم والآثار
وانطمست الاسرار وانطفات الانوار الى ظهر سيد الابرار وسند الاخيار وما كنت
ثاويا مقيما في اهل مدين من شعيب والمؤمنين به تتلوا عليهم تقرا عليهم تعلما منهم
آياتنا التي فيها قصتهم فتحكي ما رايت فيهم وتعلمت منهم ولكنا كنا مرسلين اياك
ومخبرين بما اتاك وما كنت بجانب الطور اذ نادينا موسى وقلنا له خذ الكتاب بقوة فالاول
عبارة عن النبوة والآخر اشارة الى الرسالة وعن بعض السلف معناه اذ نادينا
امتك في اصلاب آبائهم حين سألني موسى رؤيتك ورؤية امتك وقلت له انك
لن تصل الى ذلك لكن ان شئت اسمعت صوته رواه النسائي عن ابي هريرة وكذا نقل
عن ابن عباس وغيره قال ابن عطا اجبنا سؤال من دعا على الطور وجعلنا ما طلبه
لامتك اجلالا لقدرك وتعظيم لمحلك وحكي عن ابي يزيد انه قرئ هذه الآية بين يديه فقال الحمد لله
الذي لم اكن ثم كذا في تفسير السلمي ولعله ذكره على وجه الغيرة وقال الاستاد وما كنت بجانب الطور
اذ نادينا موسى وكلمناه ولكن خاطبناه في بابك وفي باب امتك فلم تقدح غيبتكم في الحال
وكوننا لكم خير من كونكم لكم اي في حسن المآل وزين المنال وفراغ البال ويقال لما خاطب
موسى وكلمه وساله موسى اني ارى في التورية امة صفتهم كذا وكذا من هم فسال عن اوصاف
وعن الجميع كان الله يجيب انهم امة احمد فاشتاق موسى الى لقائنا فقال تعالى انه ليس
اليوم وقت ظهورهم فان شئت اسمعت كلامهم فاراد ان يسمع كلامنا فنادى سبحانه وقال
يا امة احمد فاجاب الكل من اصلاب آبائهم فسمع موسى عليه السلام كلامهم بعد ندائهم ثم لم
يتركهم الله بذلك من غير نفع هنالك فالغني اذا سال فقيرا فاجابه لا يرضى بان يرده بغير

احسان

احسان اليه فقال سبحانه اعطيتكم قبل ان تسألوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني
ثم ما كان موسى عليه السلام يتلو عليهم من آياته ذكر حبيبنا عليه السلام بالجميل وكرامته بحسن الثناء
عليهم نحن في الوجود محدث مخلوق وفي ذكره قديم متعلق لا باستفتاح زمان لم يكن في العدم
اعيانا ولا اشياء ولكن كذا متعلق القدرة متناول العلم والمشية مذكورا للخطاب الازلي
والكلام الصدق والقول الابدي فما طلب موسى عليه السلام لامته جعلناه لامتك وكما
نادينا موسى وهو في الوجود والظهور ناديناكم وانتم في كتم العدم وانشدوا ○ كن لي كما كنت لي
في حال لم اكن ○ ولكن رحمة اوحينا اليك رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك
لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى عم وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين
اسمعيل بناء على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل وما حواليهم هذا وقيل
بين عيسى ورسولنا عليهما السلام اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب
خالد بن سنان العبسي لعلهم يتذكرون لكي يتفكروا ويتدبروا فيتعظوا ويعتبروا ولولا
ان تصيبهم مصيبة عقوبة بما قدمت ايديهم من الكفر والمعصية فيقولوا ربنا لولا
هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك في ما امرتنا ونكون من المؤمنين المصدقين
بما اخبرتنا لما ارسلناك والمعنى انا ارسلناك اليهم قطعا للمعذرة لديهم والزاما
للحجة عليهم فلما جاءهم الحق اي الرسول المصدق بنوع من المعجزات الدالة على صدق نبوته
والكتاب المحقق من عندنا من لدنا وفضلنا قالوا عنادا وتعنتا واقتراحا لولا هلا اوتي
مثل ما اوتي موسى من الكتاب جملة واليد والعصا معجزة اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم في الرأي
والمذهب وهم كفرة زمن موسى بما اوتي موسى من قبل قبل زمان محمد عليه السلام والمعنى اذا
كفروا ولكن مع رؤية تلك الآيات لكفر هؤلاء المقترحون ايضا لاتحادهم في سوء
الحالات قالوا ساحران تظاهرا يعنون موسى وهرون وقيل موسى ومحمد فيتعين ان يكون فاعل
يكفروا ضمير قريش فانهم كفروا بنبوة موسى ايضا حين جاءهم الرهط الذين ارسلوهم
الى يهود المدينة يسألونهم عن محمد عليه السلام يخبرهم تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق
او تنوا في الكتابين من التورية والفرقان وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف
او ارادة مبالغة او المراد بهما التورية والقرآن وقالوا انا بكل كافرون بكل منهما او بكل الانبياء
معهما قال الاستاد تمنوا في زمان الفترة ان يبعث الله اليهم ليهتدوا به في الديانة ووعدوا
من انفسهم الايمان والاجابة فلما اتاهم الرسول كذبوه وقالوا هلا خص بمثل معجزات موسى
من العصا واليد البيضاء وكان ذلك منهم خطاء وافتراحا في غير موضع الحاجة
ومحكا بعد ازاحة العلة وكذا الملول اذا اراد قطيعة مل الوصال وقال كان وكان قل فأتوا
بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما نزل على موسى وعلي من التورية والقرآن اتبعه
ان كنتم صادقين انا ساحران او جاء سحران مختلقان وفيه تنبيه على ان الكتابين كلاهما
معجزان فان لم يستجيبوا لك دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى وحضار واطرق

الا ردى فاعلم انما يتبعون اهواءهم لانهم من عنادهم بعد ما الزمتهم الحجة ما تركوا
اراءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله لا اضل ممن يتبع هواه وترك هديه وقد ورد
لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به من هواه ان الله لا يهدى القوم الظالمين
الذين ظلموا انفسهم بمخالفة الهدى وموافقة الهوى ولقد وصلنا لهم القول انزلنا عليهم
القرآن نزولا متصلا بعضه ببعض فى الازمان لعلهم يتذكرون لكى يتعظوا فيؤمنوا ويطيعوا
وفى تفسير السلمى قال بعضهم اتبعنا الموعظة الموعظة والرسول الرسول والدليل الدليل لعلهم
يتذكرون يتنبهون من رقدة الغفلة زاد الاستاد فيما افاد فما ازدادوا الا كفرا وتبوا
وجحدا وعتوا فلا الى الحق رجعوا ولا الى الاستقامة جنحوا الذين آتيناهم الكتاب يعنى
اليهود والنصارى من قبله قبل نزول القول المراد به القرآن هم به يؤمنون اى هم
الذين يؤمنون بالقرآن ويصلون الى مقام العرفان ولا يبعد ان يكون المراد من آتيناه
الكتاب سابقا اسمعناه الخطاب لاحقا وقال الاستاد اى من كحلنا بصيرته بنور الهداية
صدقوا بمقتضى مساعدة العناية ومن اعميناه عن شهود التحقيق ولا ساعده
وجود التوفيق انتكس فى غوايته وانهمك فى ضلالته واذا يتلى عليهم القول الحق النازل
من عندنا قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين منقادين ومصدقين لما
راوا ذكره من الكتب المتقدمة قبل نزول القرآن وتلاوته عليهم وتبين صحته لديهم فى
الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم والعمل بخطابهم ومرة على ايمانهم
بالقرآن واتباعه على وجه الاحسان بما صبروا بسبب صبرهم وثباتهم على الايمان بالقرآن
قبل النزول وبعده من الزمان ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون بالطاعة المتجددة
المعصية المتقدمة كقوله عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها رواه الترمذى وحسنه او لا يقابلون
الاذى بمثله بل يعفون عن فاعله او يجازون بالاحسان فى مقابله ومما رزقناهم ينفقون فى سبيل
الخير ووجوهه وقال الاستاد بما صبروا على ارتكاب الاوامر واجتناب الزواجر يؤتون
اجرهم مرتين مرة فى عاجلهم ومرة فى آجلهم ومرة فى الآخرة وهى المثوبة واوفى فى الدنيا
وهى لطائف القربة واذا سمعوا اللغو القبيح من القول كشتمهم اعرضوا عنه تكرما منهم
وقالوا اجابا لاهل لغوهم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم كل يجازى بعمله منا ومنكم سلام عليكم
متاركة لهم وتوديعا منهم ودعاء لهم بالسلامة عنهم لا نبتغى الجاهلين لا نطلب صحبتهم
ولا نريد طريقتهم قال ابو عثمان كل شىء سوى القرآن وذكر الله فهو لغو واما قال الاستاد ان
اللغو ما يلهى عن الله ويقال اللغو ما لا يوجب وسيلة عند الله ويقال اللغو ما لا يكون بالحق
للحق ويقال هو ما صدر عن قلب غافل ويقال اللغو ما يوجب سماعه اللهو انك لا تهدى
من احببت اى نفسه او هدايته والمعنى لا تقدر ان تدخله فى الاسلام ولكن الله يهدى
من يشاء بان يخلق فى قلبه الاهتداء على ما حققه اكابر العلماء والحاصل ان الهداية
تستعمل فى خلق الاهتداء او بيان طريق الهدى فى الابتداء وكلا المعنيين مستقيم فى حقه

سبحانه

سبحانه واما الرسول فليس له الا المعنى الثانى وبيانه فلا ينافى قوله تعالى واما ثمود فهديناهم
وقوله وانك لتهدى الى طريق مستقيم وهو اعلم بالمهتدين المستعدين لقبول الدين
والجمهور على ان الآية نزلت فى ابى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله عليه السلام وقال
يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله وقال يا ابن اخى قد علمت انك لصادق
ولكن اكره ان يقال جزع عند الموت رواه الشيخان وافاد الاستاد ان الهداية فى الحقيقة
امالة القلب من الباطل الى الحق وذلك من خصائص قدرة الحق ويطلق الهداية بمعنى الدعاء
الى الحق توسعا وذلك جائز بل واجب فى صفته عليه السلام قال تعالى وانك لتهدى
الى صراط مستقيم ويقال لك شرف النبوة ومنزلة الرسالة وجمال السفارة والمقام
المحمود والحوض المورود وانت سيد ولد آدم ونخبة اهل العالم ولكن لا تهدى من احببت لان
خصائص الربوبية لا تصلح لمن وصفه البشرية ونعته العبودية وقالوا بعض قريش ان نتبع الهدى
معك نؤمن بك نتخطف من ارضنا نخرج من بلادنا لاجماع اهل مكة على خلافنا فرد الله
عليهم بقوله اولم نمكن لهم الم نحصن امرهم ولم نجعل مكانهم حرما آمنا ذا امن بحرمة البيت الذى
فيه يتغاور العرب حوله وهم آمنون به يجبى اليه وقرأ نافع بالتاء تحت اى تجلب الى الحرم ويجمع
فيه ثمرات كل شىء اى ثمرات كثيرة من كل ناحية رزقا من لدنا اى رزقا لديا من فضلنا وجودنا
لتمام شهودنا ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون ولا يتاملون والمعنى هذا مع كفرهم فى الدين
فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف اذا كانوا موحدين فصاروا فى عذرهم كاذبين معاندين
وافاد الاستاد ان من قام بحق الله سبحانه سخر له الكون بجملته ومن اشتغل برعاية سره لله قام
بحق الله واستفرغ اوقاته فى عبادة الله مكن من التصرف بهمته فى مملكة الله فالخلق له مسخر
والوقت طوع امره والحق سبحانه متولى اعماله وآماله يحقق ظنه ولا يضيع حقه ومن ضيعه يهلك
فى اودية ضلاله وتيهه فى مغازات حزنه وبوار بوزر هواه وكم اهلكنا من قرية اى جماعة كثيرة
من اهلها بطرت اشرت وطغت وبغت معيشتها فى معيشتها او كفرت نعمتها فتلك
مساكنهم خاوية وخالية لم تسكن من بعدهم الا قليلا من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما ما
وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر آثارهم وقال الاستاد
لم يعرفوا قدر نعمتهم ولم يشكروا سلامة حالتهم وانتظام امور معيشتهم فهاموا فى اودية الكفران
على وجوههم وخروا فى وهدة الصغر على اذقانهم فاذاقهم كاسات الهوان لما كسر خمار بطرهم فمساكنهم
عنهم خالية وسقوفهم عليهم خاوية وغراب البين فيهم ناعبة وما كان ربك مهلك
القرى حتى يبعث فى امها اصلها التى هى سوادها واعمالها لان اهلها اكثر فطانة واعظم نباهة
مع انها مرجع غيرها رسولا يتلو عليهم آياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة واستحقاق العقوبة
وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون بالكفر والمعصية او يتعدى بعضهم على بعض فى المظلمة وعن
بعض المفسرين معناه ما كان فى حكمه وقضائنا ان نهلك القرى ونخرب الدنيا حتى نبعث
فى ام القرى مكة رسولا يعرض عليهم القرى ثم نهلك من اعرض عن آياتنا وقبول ضيا فاتنا

وقال الاستاذ رسولا بامر التكليف يأمرهم وبامر التكوين على ما يريد يقفهم فيبعث الرسول
انذارا ويعمي عليهم السبل اقدارا يوضح الحجة بحيث لا شبهة في الحجة ولكنه لا يهدي الا من سبق
له السعادة بحكم القسمة وما اوتيتم من شيء من اسباب الدنيا وبهجتها فمتاع الحيوة الدنيا
وزينتها ما هو الا تمتع وزينة اياما قليلة وما عند الله وهو ثوابه من الجنة ونعيمها خير في نفسه
من الدنيا وما فيها لانه نعمة خالصة ولذة شاملة وبهجة كاملة وابقى لوجوده ابدا افلا تعقلون
فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وابقى وقرأ ابو عمرو بالغيبة وهو ابلغ في الموعظة
قال النصرابادي الخلق كلهم عبدة النعم والغريب والعزيز فيهم من يعبد المنعم من قطع
عن الله باي شيء فهو مغبون قال تعالى فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها وما عند الله
خير وابقى خاطب به العوام وقال للخواص والله خير وابقى وافاد الاستاد ان الدنيا حلوة خضرة
لكنها في التحقيق مرة نغرة فنشرها يوهم انها صفو ولكن من ورا صفوها حشو الفن وعدنا
وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه مدركه لا محالة في العقبى
لامتناع الخلف في وعده بالمثوبة او العقوبة كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذي هو مشوب
بالالام والاسقام مكدر بالمتاعب في الليالي والايام ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب
او العذاب قيل نزلت الآية في النبي عليه السلام وابي جهل لكن العبرة بعموم الالفاظ لا بخصوص
الاسباب قال ابو عثمان من فرح بالدنيا فرح بغير مفروح به لان اولها بلاء واوسطها عناء
وآخرها فناء ومن عمل للآخرة وركن اليها وسعى سعيها اتاه الله خير الدارين لا محالة والله
الدنيا وهي راغمة وافاد الاستاد ان الدنيا سموم حنظلها هموم عسلها وتلف ما يحصل من
شربها يغلب لطف ما يظهر من اربها وليس من اكرم بوجدان نعيم عقباه كمن مني بالوقوع في حجيم
دنياه ويوم يناديهم اي المشركين فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون انهم شركائي قال الذين
حق عليهم القول وجب عليهم العذاب بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد والمراد منهم شياطينهم وسادتهم
في الضلال خوفا من ان يقول السفلة لا ذنب لنا انما الذنب لاصحاب الاضلال ربنا هؤلاء
الذين اغوينا اي هؤلاء هم الذين اغويناهم اغويناهم كما غوينا اي فغووا غيا مثل
ما غوينا وهو استيناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الا
وسوسة لهم وتسويلا اليهم او المعنى ما اخترنا لهم الا ما اخترنا لانفسنا فلا عتب لهم
علينا ولا مزية لهم لدينا تبرأنا اليك منهم وتبعدنا لاجلك عنهم ما كانوا ايانا
يعبدون وانما كانوا يعبدون اهواءهم فنحن وهم سواء في الغواية واستحقاق العقوبة
اعترفوا بذنبهم وبما استحقوا من كسبهم وذموا حيث لا منفعة لذمهم وقيل ادعوا شركاءكم
ليخلصكم من بلائكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا
العذاب لازما لهم البتة لو كانوا يهتدون الى الصواب لما رأوا العذاب وقال الاستاذ
انما يكون ذلك على جهة التهويل والعطال كيد اهل التضليل والا فمن اين لهم الجواب فضلا عن الصواب

الذي

والذي سألهم هو الذي على ما شاء حملهم فاورد فعله الا على فعله وما ظهر ما ظهر الا من اصله فاذا
تبرأ بعضهم من بعض تبين انه لم يكن للاصنام استحقاق العبودية ولا لاحد من النفي والاثبات
بالايجاد والاحداث ذرة او بشظية كلا بل هو الله الواحد القهار ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم
المرسلين فعميت عليهم الانباء فخفيت عليهم انباء الانبياء يومئذ اي وقت ذلك النداء
فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم عن بعض لفرط الدهشة والعناء وافاد الاستاد انه سبحانه
سألهم سؤال هيبة فلا يبقى لهم تمييز ولا قوة عقل ولا مكنة جواب تستولي عليهم الحيرة
وتستمكن منهم الدهشة فاما من تاب من الكفر والكفران وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان
والاحسان فعسى ان يكون من المفلحين في امر الدنيا والدين وعسى تحقيق من الله على عادة الملوك
الكرام او ترج من التائب عن الآثام بمعنى فليتوقع ان يفلح من بيع الانام وليكن بين الخوف
والرجاء في ذلك المقام وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب لفعله ولا منازع لحكمه ولا
مانع له من صنعه ما كان لهم الخيرة ليس لهم الاختيار في امورهم كما انه ليس لهم الاعتبار
في ظهورهم وظاهره نفي الاختيار عنهم من اصله فانهم عاجزون تحت قدرة فان اختيار
العبد مخلوق باختيار الله اولا ومنوط ثانيا بدواع لا اختيار لهم فيها اصلا وفي تفسير
السلمي كيف يكون للعبد اختيار والله له المختار ثم اذا نظروا الى الاحكام الجارية بجميل نظر الله
لهم فيها وحسن اختياره فيما اجراه عليهم منها لم يكن عندهم شيء افضل من الرضاء
بها والسكون معها وقال السيد الولي ابو الحسن الشاذلي لا تختر وان كنت لا بد ان تختار
فاختر ان لا تختار وربك يخلق ما يشاء ويختار وقال الاستاد يخلق ما يشاء ويختار ما يشاء
ومن يشاء من جملة ما يخلق ومن ليس اليه شيء من الخلق فاله ولا اختيار والاختيار للحق
استحقاق عزة يوجب ان يكون ذلك لانه لو لم ينفذ مشيته واختياره لم يكن بوصف العزة
لان من بقي من مراده لا يكون الا فالاختيار للحق نعت عز وللخلق صفة نقص ونعت بلاء
وقصور فاختيار العبد عليه غير مبارك له لانه صفة هو غير مستحق لها ومن اتصف بما لا يليق به
افتضح في نفسه كما قال قائلهم ومعال اذا ادعاها سواهم لزمته جناية السراق والطبيعة
اذا ادعت ما هو صفة للحق اظهرت رعونتها فالمختار والاختيار والملوك والملك وما
للعبد التصدر في دست الملوك وما للتراب ورب الارباب قال تعالى ما كان لهم الخيرة
سبحان الله تنزيها له ان ينازعه احد في الاقدار او يزاحم اختياره الاختيار وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم به ما ليس له مقدار في الاعتبار وربك يعلم ما تكن صدورهم من احوالهم وما يعلنون
من اعمالهم يستوي في علمه الاسرار والاظهار وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها
الا هو اي وحده لا شريك له له الحمد في الاولى اي الدنيا والآخرة اي العقبى لانه المولي
للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الاخرى كما حمدوه في الاولى بقولهم
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن والحمد لله الذي صدقنا وعده والحمد لله الذي هدانا
لهذا ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ في الامور واليه

ترجعون بالجنة والنشور قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة
لا ليل فيه مطلقا من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة عن متاعب
الاشتغال مما بينا فيه افلا تبصرون قدرة الله وآثار ربانيته وختم الآية الاولى بقوله افلا تسمعون
والثانية بقوله افلا تبصرون لمناسبة قوة السامعة بالليل وقوة الباصرة بالنهار وقال الاستاذ
من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه الى الله وتستريحون من اشغالكم بالخلوة مع الله الا الله
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في ليله باصناف سكونه ولتبتغوا من فضله في نهاره
بانواع كسبه ولعلكم تشكرون بعض نعمه في اختلاف خلقه وافاد الاستاذ ان الاوقات ظروف
لما يحصل فيها من الافعال والاحوال والظروف من الزمان متجانسة في الادبار والاقبال وانما
الاختلاف راجع الى اعتبار ما يحصل فيها من الاعمال فليالي اهل الوصال سادات الليالي وليالي
اهل الفراق اسود الليالي ثم اصحاب القرب لياليهم قصار وكذلك ايامهم وارباب
الفراق لياليهم طوال وكذلك جميع اوقاتهم من ليلهم ونهارهم كما يقول القائل •
والليالي اذا نأيت طوال • وأراها اذا دنوت قصار • وقال الآخر •
والليل اطول وقت حين افقدها • والليل اقصر وقت حين القاها • وقال الآخر •
يطول الليل لا القاك فيه • وحول نلتقي فيه قصير ويوم يناديهم فيقول اين شركائي
الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع لفعلهم للاشعار بانه لا شرك به اشنع
عملهم او الاول لتقرير فساد رأيهم في ما بينهم والثاني لتحرير ضياع امرهم بانوادهم
ونزعنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم ليشهد عليهم بما كانوا عليه من اعمالهم واحوالهم
فقلنا للامم هاتوا برهانكم حجتكم على صحة ما كنتم تدعونه من طريقتكم فعلموا حينئذ
ان الحق متفرد في الالهية لا يشاركه فيها سواه وضل عنهم وغاب منهم ما كانوا
يفترون من دينهم وصحة يقينهم قال بعضهم اخرجنا من كل قوم وليا
فاطلعناه على اسرار قربنا ثم اذناه له فاظهر البرهان بنا لا به فعلم الحق ان لا قيام لاحد بنفسه
دون الحق وامره وقال الاستاذ كلا لا حجة لهم ولا جواب يعذرهم ولا شفيع يرحمهم
ولا ناصر يعينهم اشتهر ضلالتهم واتضح للكافة جهالتهم فدام بهم عذاب الابد وحاق بهم
حجاب الستر لذا ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه وكان ممن آمن به ثم نافق
في دينه فبغى عليهم تكبر وتجبر وظلمهم حيث جعله فرعون رئيسهم وآتيناه من الكنوز
من الاموال المدفونة او المدخرة ما ان مفاتحه مفاتيح صناديقه لتنوء بالعصبة
لتثقل بالجماعة الكثيرة اولى القوة اصحاب الطاقة في تحمل المشقة اذ قال له قومه لا تفرح
بالدنيا وزخرفها فانه نتيجة حبها والرضاء بها والذهول عن ذهابها والعاقل لا يلتفت الى
مالها وجمالها ولا يلتفت الى اقبالها وانتقالها بل ينظر في عاقبة امرها ومآلها فانها
كما قال من اطلع على حالها اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذا قال تعالى
ولا تفرحوا بما آتاكم اي من امور دنياكم الا ما يعينكم على زاد عقباكم ان الله لا يحب الفرحين

قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
دائما الى يوم القيمة لا نهار فيه ابدا
من اله اهل احد غير الله يأتيكم بضياء
افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار
في القضايا صح

بزينة

بزينة الدنيا وبهجتها فان الفرح بها مدة قصيرة وهو يوجب حسرة كثيرة وعقوبة كبيرة
قال سهل من فرح بغير مفروح به استجلب حزنا لا انقضاء له وافاد الاستاذ انه جاء في القصص
انه جاء في القصص ان قارون كان من اعبد بني اسرائيل وكان قد اعتزل الناس وانفرد في صومعته
يتعبد بالاستيناس فتصور له ابليس في صورة بشر وهيئته واخذ في الظاهر يتعبد معه في صومعته
حتى تعجب قارون من كثرة عبادته فقال له يوما لسنا في شيء مستحسن لطريقتنا حيث عيوننا
على ايدي الناس حتى يدفعوا الينا شيئا من ضرورتنا ولا بد لنا من اخذه في حاجتنا فقال له
قارون كيف تحب ان تفعل فقال ان ندخل السوق يوما في الاسبوع ونكتسب وننفق ذلك
القدر في جميع الاسبوع فاجابه اليه ووافقه عليه مدة من الايام ثم قال له لست انا وانت
في شيء من النظام فقال ما الذي تحب ان نعمل من الاحكام فقال نكتسب في الاسبوع يوما للنفقة
ويوما آخر للصدقة فاجابه اليه وتبعه فيما حكم عليه ثم قال له لسنا في شيء من هناك فقال وما
ذاك قال ان مرضنا او وقع شغل لنا لا نملك قوت يوم عندنا فقال وما تفعل فقال
نكتسب يوما للنفقة ويوما للصدقة ويوما للذخيرة فاجابه اليه واستمر عليه فلما علم عدوه
ان حب الدنيا دخل قلبه ودعه وقال انا مفارقك قدم على ما انت عليه فصار من امره وماله
ما صار سببا لقبح حاله حيث حمله حب الدنيا على جمعها وجمعه على حبها وحبها على البغي على
اهلها وصار كثرة ماله سبب شدة وباله وكم وعظ بترك الفرح بوجود الدنيا وترك المرح
بالاستمتاع بها وكان يأبى الا التعلق بما فيها انتهى وقد قال بعض العارفين من ترك
حب الدنيا لا يقدر على ضلالته جميع الشياطين ومن احبها لا يقدر على هدايته جميع المرسلين
ولذا قيل حب الدنيا رأس كل خطيئة وترك الدنيا اساس كل عبادة ثم الدنيا والآخرة ضرتان
لا تجتمعان فقد قال عليه السلام من احب دنياه اضر بآخرته ومن احب آخرته اضر بدنياه
فآثروا ما يبقى على ما يفنى وابتغ فيما آتاك الله اطلب بسبب ما اعطاك الله من الغنى في الدنيا
الدار الآخرة بصرفه فيما يوجب حسن العقبى بان تنفق في مرضاة المولى فان المقصود من الدنيا
ان يكون وصلة الى الاخرى ولا تنس نصيبك من الدنيا اي ما ينفعك في العقبى او تأخذ
منها ما يكفيك فيها او الكفن الذي حظك منها حال اشتغالك عنها وافاد الاستاذ
انه ليس النصيب من الدنيا جمعها ولا منعها وانما نصيبه فيها ان يكون له فائدة منها وذلك
الا يعقب ندامة ولا يوجب في الآخرة ملامة ويقال النصيب من الدنيا ما يحمل على طاعته
بالنفس وعلى معرفته بالقلب وعلى ذكره باللسان وعلى مشاهدته بالسر واحسن الى الفقراء
لديك كما احسن الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك
باليسر في النعمة ولا تبغ الفساد في الارض بارتكاب الظلم واكتساب المعصية ان الله لا يحب
المفسدين لامور منها صلاح الدين قال القاسم قوله تعالى احسن اي اعرض وجهك
عن الكل بالاقبال عليه كما احسن الله اليك حيث جعلك من اهل معرفته واحسن لمجاورة معرفته
بطاعته فانه احسن اليك حيث انعم عليك بالايمان وهو من اعظم نعمته واحسن اليك

ای وفقک للخدمة فاحسن القیام بواجب العبودیة واخلاص النیة وافاد الاستاذ ان
فی الآیة دلالة علی ان لله علی الکافر نعم دنیویة والاحسان الذی امر به انفاق النعمة فی وجه
الطاعة والخدمة حتی تتم له المعرفة وقیل یقابله بالشکران دون الکفران ویقال الاحسان
رؤیة الفضل والمنة دون توهم الاستحقاق للنعمة قال انما اوتیته علی علم عندی ای فضلت
الناس بذلک العلم والمال واستوجبت لاجله التفوق علیهم بالجاه والمال وهو علم
التوریة وکان اعلم بها وقیل علم الکیمیا ورده بعض العلماء بان قلب الاعیان لا یقدر احد
علیها الا الله سبحانه وتعالی وقیل علم التجارة والدهقنة والعمارة قال سهل ما نظر احد الی
نفسه فافلح فی مقام الله ولا ادعی له حالا فتم له ما لا والسعید من الخلق من اعمی بصره من
افعاله واقواله وفتح له سبیل الفضل ورؤیة منة الله علیه فی جمیع احواله وافاد الاستاذ
انه ما لاحظ احد نفسه فی بابه الا هلک باعجابه ویقال السم القاتل والذی یطفئ السراج
المنیر هو النظر الی النفس وبالها من سوء التدبیر اولم یعلم ان الله قد اهلک من قبله
من القرون من هو اشد منه قوة فی العلم والحال واکثر جمعا لاصناف المال فلا یدل زیادة
الدنیا علی ان صاحبها یستحق رضی المولی ولا یسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالی
مطلع علیها بل یسألون سؤال توبیخ وتقریع فیما رکنوا الیها فخرج علی قومه فی زینته من مراکب
وملابس وخدم وحشم فی خدمته قیل خرج علی بغلة شهباء وسرجها من ذهب صفراء وعلیه
حلة حمراء ومعه اربعة آلاف مشارکة له فی السواد قال الذین یریدون الحیوة الدنیا ای الراغبون
فیها والمائلون الیها یا لیت لنا مثل ما اوتی قارون من الجاه والمال انه لذو حظ عظیم من
المال قال ابن عطا ازین ما تزین به العبد الموفق ومن نزلت درجاته عن درجات العارفین
فازین ما تزین به طاعة ربه ومن تزین بالدنیا فهو مغرور فی زینته وسئل ابو عثمان ای
الزینة اجمل قال الاخلاق الجمیلة ولو کان فوقه شیء لزین به حبیبه صلی الله علیه وسلم
ولقد قال له وانک لعلی خلق عظیم وقال الذین اوتوا العلم باحوال العقبی للمتمنین من اموال
الدنیا ویلکم زجر عما لا یرضی ثواب الله اجره فی الدنیا والعقبی خیر لمن آمن وعمل
صالحا مما اوتی قارون بل من جمیع ما فی الدنیا ولا یلقیها ای الکلمة التی تکلم بها العلماء او
للثواب فانه بمعنی المثوبة الحسنی او الجنة العلیا فعلی هذا من تتمة النصیحة للسفهاء
الا الصابرون الثابتون علی الطاعة والکافون عن المعصیة والقانعون بالقسم من
النعمة والمحنة قال بعضهم العالم بربه من یری دوام نعمائه علیه وتتابع آلائه لدیه وقصور
شکره عن حصول نعمه سبحانه الیه وقال الاستاذ تمنی من رآه ممن کان فی حب الدنیا
ساواه ان یعطیه مثل ما اعطاه ومن کان صاحیا عن خمار غفلته مستیقظا بنور بصیرته
قالوا لولا ان من الله علینا بان لم نتخیر فی جملة ولم ننخرط فی سلکه لوقع الهلاک بنا فالمتمنون
مکانه ندموا والراضون بقسمته سبحانه سلموا وهذا فی العاجل الی ان تظهر سعادتهم فی الآجل
فخسفنا به وبداره الارض روی انه کان یؤذی موسی علیه السلام فی کل وقت وهو یداریه

لقرابته حتی نزلت الزکوة علی ان یعطی واحدا من کل الف فحسبه فاستکثره فقصد ان
یفضح موسی بین بنی اسرائیل لیرفضوه وینقادوا قارون ویطیعوه فبرطل بغیة لیرمی
موسی بنفسها فلما کان یوم عید قام موسی خطیبا فقال من سرق قطعناه ومن زنی غیر محصن
جلدناه ومن زنی محصنا رجمناه فقال قارون ولو کنت انت فقال ولو کنت انا قال
ان بنی اسرائیل یزعمون انک فجرت بفلانة فاحضرت فاشدها موسی بالله ان تصدق
فقالت جعل لی قارون جعلا علی ان ارمیک بنفسی فخر موسی شاکیا عنه الی ربه فاوحی الیه
ان مر الارض بما شئت فقال یا ارض خذیه فاخذته الی رکبتیه ثم قال خذیه فاخذته الی
وسطه ثم قال خذیه فاخذته الی عنقه ثم قال خذیه فخسفت به وکان قارون فی هذه
الاحوال یتضرع لدیه ولم یرحم موسی علیه فاوحی الله الیه ما افظک استرحمک مرارا فلم ترحمه وعزتی
لو دعانی مرة لاجبته ثم قال بنو اسرائیل انما فعله لیرثه من ماله فدعا الله حتی خسف بداره
واموال هذا وفی الحدیث انه یتجلجل فیها الی یوم القیمة قال الاستاذ وفی القصة انه
کان یخسف به کل یوم زیادة معلومة فلما حبس یونس فی بطن الحوت امر الحوت ان یطوف
فی البحر لئلا یضیق قلب یونس فانتهی الی قارون فسأله قارون عن موسی وکیف حاله
فاوحی الله الی الملک ان لا یزد فی خسفه لحرمة انه سأل عن ابن عمه ووصل به رحمه فما کان
له من فئة جماعة اعوان یمیلون الیه ینصرونه من دون الله یدفعون عذابه لدیه وما کان
من المنتصرین الممتنعین من عذابه او المنتصرین بنفسه والمعنی لا احد یمنعه من عذاب
ربه ولا هو یمنعه عن نفسه واصبح الذین تمنوا مکانه منزلته بالامس منذ زمان قریب
من قضیته وهو یتناول معنی الامس مجازه وحقیقته یقولون ویکان الله وی کلمة
تندم وتعجب والکاف للتعلیل والمعنی تندمنا علی ما قلنا وتعجبنا مما غفلنا لان الله
یبسط الرزق لمن یشاء من عباده ویقدر یوسع ویضیق بمقتضی مشیته لا لکرامة تقتضی
البسط ولا لمهانة یوجب القبض لولا ان من الله علینا فلم یعطنا ما تمنینا لخسف بنا
ما اوردنا ان نکون مثله فی الدنیا وقرأ حفص بفتح الخاء والسین ای لخسف بنا الارض
ویکانه لا یفلح الکافرون لنعمه او المکذبون برسله تلک الدار الآخرة ای نعیمها نجعلها للذین
لا یریدون علوا فی الارض تکبرا علی الخلق واستکبارا عن الحق ولا فسادا ظلما یسوءون به
عبادا کما اراده فرعون حیث علا فی الارض وقارون فانه بغی علیهم والعاقبة المحمودة
عند الله للمتقین ما لا یرضاه قال ابن عطا العلو النظر الی النفس والهوی والفساد
النظر الی الدنیا وقال حمدون لا احد ادون ممن تزین بدار فانیة ویحمد الی ما لا یملک ضره
ونفعه وافاد الاستاذ ان الزهاد لا یریدون فی الارض علوا والعارفون لا یریدون الآخرة
والجنة ویقال تلک الدار الآخرة للعباد والزهاد وهذه الرحمة الحاضرة لارباب الافتقار
والانکسار وقیل العلو فی الدنیا ان یتوهم ان علی البسیط احدا هو شر منه والفساد ان یتحرک
لحظ نفسه ونصیبه او بنفس وحظوظه ولحظه وهذا للاکابر واما العوام والاصاغر فتلک

الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا كعلو فرعون ولا فسادا كفساد قارون من جاء
بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ونفعا او فله خير من جهتها وبسببها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الذين عملوا السيئات بالاصرار عليها الا ما كانوا يعملون مثل اعمالهم كمية وكيفية لا زيادة عليها
ولا نقصان عنها وحذف المثل واقيم مقامه الفعل مبالغة في المماثلة كما قال ابن عطا لا ثواب
خير من اللقاء الا الرؤية والرؤية فضل لا مثوبة فانه يقول من احسن آداب الخدمة في جميع
الافعال واظهر سنن العبودية في كل الاحوال فله خير منها وهو الفضل وهو الرؤية وقال بعضهم
بالوحدانية الفضل حسنة اذ للحسنة بها يكون حسنة وافاد الاستاذ ان ثواب الحسنة في التضعيف
واما السيئة فبناؤه على التخفيف ان الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه
ومتابعته لرادك الى معاد الى مقام محمود وعدك ان يبعثك فيه في المعاد او الى مكة بفتحها وما نعها
من البلاد ودخول الناس في دين الله افواجا من العباد قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه
من الثواب في المعاد والنصر والظفر على البلاد ومن هو في ضلال مبين عن تهيئة الزاد وافاد
الاستاذ ان المعاد في الظاهر مكة وكان يقول كثير الوطن فحقق الله سؤله بالاجابة واما في السر
والاشارة الذي فرض عليك قراءة القرآن والذي يسر لك قراءة القرآن والذي انزل
عليك القرآن لرادك الى معاد الوصف الذي كان عليه روحك قبل حلول شبحك من ملاذعات
القرب ومطالعات الحق وقيل الذي نصبك بانتصاب النبوة بالتبليغ وانتصاب الشريعة
لرادك الى عين الجمع بالتحقق بالحق بالفناء عن الخلق ويقال ان الذي اقامك بشواهد
العبودية فيما اثبتك به لرادك الى الفناء عنك بمحقك في وجود الحقيقة وما كنت ترجوا ان
يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك لكن القاه اليك رحمة من رب الارباب فلا تكونن
ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم في سد هذا الباب وقال الاستاذ
ما كنت تؤمل محل النبوة ومقام الرسالة وشرف المخاطبة وما اظهرنا عليك من احوال الوجد وحقائق
التوحيد ودقائق المعرفة ولا يصدنك عن آيات الله عن تلاوتها ومتابعتها بعد
اذ انزلت اليك قراءتها وادع الى ربك الى معرفته وطاعته علما وفق آياته ولا تكونن من المشركين
حقيقة الخطاب لاهل دينه وملته وقال الاستاذ ما وجدته بحكم الذوق والشهود والادراك والوجود
لا يداخلك تهمة التجويز وسؤالات العلماء باية عون من احكام العقول اذ ما يدرك في شعاع
الشمس لا يحكم ببطلانه خفاؤه في نور السراج ولا تدع مع الله الها آخر فضلا عن ان تترك الله وتعبد
ما سواه لا اله الا هو يستحق ان يطلب رضاه كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته المقدس عن الفناء
فان ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم في نفسه ويساعده حديث اشعر كلمة قول لبيد • الا كل شيء
ما خلا الله باطل • ويؤيده قول بعض ارباب الشهود • سوى الله والله ما في الوجود • وكان
ابا يزيد هذا المعنى يريد بقوله ليس في جبتي سوى الله وكما اشار اليه بعض اصحاب الاسرار ليس
في الدار غيره ديار والحاصل انه ليس في نظر ارباب الشهود في جميع مراتب الوجود غير ذاته وصفاته
ومصنوعاته وهذا معنى قول بعضهم ما رأيت شيئا الا ورأيت الله فيه او قبله او بعده باختلاف

مقاماته

مقاماته وحالاته او الا ما اريد به وجهه فان كل عمل لم يرد به وجه الله فهو باطل في نفسه فان في نفسه
قاله مجاهد والثوري وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرر له الحكم القضاء النافذ في الملك واليه ترجعون
للجزاء بالحق وافاد الاستاذ ان وجهه صفة من صفاته لا يستقل الا به فنفى بقاء وجهه بقاء ذاته
لان الصفة لا تقوم الا بموجود ولا يكون هو باقيا الا بوجود اوصافه الذاتية الواجبة له ففي بقاء الوجه

سورة العنكبوت بقاء الحق بصفاته وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم افاد الاستاذ ان بسم الله اسم ذكره يوجب حظوة العابدين وعداه سماعه
يوجب سلوة الواجدين فقدا اسم من ذكره وصل الى مثوبته في آجله ومن سمعه حظي بقربه في عاجله
الم اي انا الله اعلم بمن يستحق العلم والالم ما جرى به القلم احسب الناس اظنوا ان يتركوا
على عافية بلا محنة ان يقولوا آمنا اي بقولهم آمنا ولقولهم اطمعا وهم لا يفتنون
لا يمتحنون بالتكاليف الشاقة كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات
وانواع المصيبات ليتميز المخلص من المنافق والمخالف في الدين من الموافق والكاذب
في الدعوى من الصادق روي انها نزلت في ناس من المسلمين جزعوا من اذى المشركين فالآية نظير
قوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين اذ معنى قوله ولقد فتنا
الذين من قبلهم اي ذلك سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها فيه نوع تسلية
لمن ابتلي ببلية فان البلية اذا عمت طابت فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين اي
فليتعلقن علمه بحسب الامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان والذين كذبوا في
دعوى العرفان وينوط به ثواب الاولين في الجنان وعقاب الآخرين في النيران قال ابن عطا
ظن الخلق انهم يتركون مع دعاوي المحبة فلا يطالبون بحقائقها وحقائق المحبة هو صب
البلوى على المحب وتلذذه بالبلاء فبلاء يلحق جسده وبلاء يلحق سره وبلاء يلحق روحه فبلاء
في الظاهر هو الامراض والاسقام وفي الحقيقة ضعفها عن القيام بخدمة القوي العزيز بعد
مخاطبته اياه بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وبلاء القلب تراكم الشوق ومراعاة
ما يرد عليه في الوقت بعد الوقت من ربه والمحافظة على احواله مع الحرمة والهيبة وبلاء السر
هو المقام مع من لا مقام للخلق معه والرجوع الى من لا وصول للخلق اليه وبلاء الروح حصول
الروح في القبضة والابتلاء بالمشاهدة وهذا مما لا طاقة لاحد فيه وقال عبد العزيز المكي احسب
الناس ان يقولوا آمنا بالدعاوي وهم لا يجربون اي بالاوامر والنواهي ولنعم ما قيل
لما يسر الدعوى وما عسر المعنى وقال ابن عطا يتبين صدق العبد من كذبه في اوقات الرخاء
والبلاء فمن شكر في ايام الرخاء وصبر في ايام البلاء فهو من الصادقين ومن بطر في
ايام الرخاء وجزع في ايام البلاء فهو من الكاذبين وقال الواسطي هب انك تنجو من النفس
والهوى كيف تنجو من الحكم والقضاء وقال الاستاذ احسب الناس ان يتركوا بمجرد الدعوى
في الايمان دون المطالبة عليها باخراجها عن اوطان الكسل وتصرفها في حسن العمل وعلى
القلوب بلاء وهو مطالبتها بالطلب الواثق والفكر الصادق بتطلع البرهان على التوحيد

والتحقق له بالعلم وعلى الارواح بلاء وهو التجرد عن محبة كل احد وعن كل سبب والتباعد
عن المساكنة بشيء من المخلوقات وعلى الاسرار بلاء وهو الاعتكاف بمشاهد الكشف
بالصبر على آثار التجلي الى ان يصير مستهلكا فيه ويقال فتنة العوام في ايام النظر والاستدلال
وفتنة الخواص في حفظ آداب الوصول في اوان المشاهدات واشد الفتن حفظ وجود التوحيد
لئلا يجري عليه مكر في اوقات غلبات شواهد الحق فيظن انه هو للحق فلا يدري انه من الحق او غير
من يهتدي الى ذلك ثم لم يخلهم من البلاء والمحن ليظهر صبرهم في البلاء او ضده من الضجر
وشكرهم في الرخاء او ضده من الكفران والبطر وهم في البلاء على ضروب فمنهم
من يصبر في حال البلاء ويشكر في حال النعماء وهذه صفة الصادقين ومنهم من يضجر ولا
يصبر في البلاء ولا يشكر في النعماء فهو من الكاذبين ومنهم من يؤثر في حال الرخاء
ولا يستمتع بالعطاء ويستروح الى البلاء ويستعذب مقاساة العناء وهذا اجلهم في تمام
اليقين ام حسب الذين يعملون السيئات من الاعمال الظواهر والاحوال السرائر ان
يسبقونا ان يفوتونا ويعجزونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم ساء ما يحكمون وبئس
ما يظنون قال القاسم اي يسبقونا ما كتبنا عليهم من محتوم القضاء وما قدرنا عليهم من ماضي
الحكم فيهم وقال الاستاذ اي يرتكبون المخالفات ثم يحكمون لانفسهم بالنجاة ساء حكمهم
متى ينجو من العذاب من القى جلباب النهي ويقال توهموا انه لا نشر ولا حشر ولا محاسبة
ولا مطالبة ويقال اغتروا بامهالنا اليوم اياهم وتوهموا انهم منا افلتوا وظنوا
انهم قد امنوا ويقال ظنوا انهم باجترائهم السيئات يغيرون التقدير لهم بالسعادة ان
يؤخذوا حكمنا كلا لا يشقى من جرت قسمتنا له بالسعادة وهيهات ان ينجو من سبق له
الحكم له بالشقاوة من كان يرجو لقاء الله في دار البقاء او الوصول الى الجزاء فان اجل الله
اي الوقت المضروب للقاء لآت لجاء على وفق الرجاء فليبادر ما يحقق الامل ويصدق
الرجاء او ما يستوجب القربة والرضاء وهو السميع لاقوال العباد العليم باحوال البلاد وفي
تفسير السلمي قيل من يرجو لقاء الله فليسأل ربه السؤال الملح المحتاج وليطلب منه طلب الراغب
المشتاق وافاد الاستاذ ان المعنى من خاف العذاب يوم الحساب فيحشر ويلقى المحشر ويجد الامان
الموعود منا لاهل الخوف اليوم ومن امل الثواب يوم البعث فسوف ان يرى ثوابا اسلفه
من العمل ومن رجا عمره في رجاء لقائنا فسوف يبيح له النظر الينا وسوف يتخلص من الغيبة والفرقة
لدينا وهو السميع لانين المشتاقين العليم بحنين المحبين الوالهين ومن جاهد نفسه بالصبر
على مشقة الطاعة وبالعفة عن الشهوة فانما يجاهد لنفسه لان منفعتها لها لا يتعداها ان الله
لغني عن العالمين فلا حاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم مراعاة
لمنفعتهم وافاد الاستاد ان من احسن فنجاة نفسه طلبها وسعادة حاله حصلها ومن اساء
فعقوبة نفسه جلبها وشقاوة جده اكتسبها ويقال ثواب المطيعين اليهم مصروف وعذاب
العاصين عليهم موقوف والحق عزيز لا يلحقه بالوفاق زين ولا يمسه من الشقاق شين

الذين

والذين آمنوا بالمغيبات وعملوا الصالحات بارتكاب المأمورات واجتناب
المنهيات لنكفرن عنهم سيئاتهم السابقة بالطاعات اللاحقة فالكفر بالايمان
والمعاصي بما يتبعها من العبادات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون احسن جزاء
اعمالهم على وفق ما جرى في احوالهم وقال الاستاذ ان من رفع الينا خطوة نال منا حظوة
ومن ترك فينا شهوة وجد منا الف صفوة فنصيبهم من الخيرات موفور وما يصيبهم
من الزلات مغفور بذلك اجرينا سنتنا وهو منا ولى حكمنا وقضينا ووصينا
الانسان بوالديه حسنا امرناه باتيانه اليهما فعلا ذا حسن وقوى حسنا او احسانا
وان جاهداك ايها الناس لتشرك بي ما ليس لك به بالالهية علم دليل في ميدان
البرهان وعبر عن نفيها بنفي العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه
وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه واتضح برهانه فلا تطعهما في ذلك فانه
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق الي مرجعكم مرجع من آمن ومن اشرك ومن
بر بوالديه ومن عق منكم فانبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه من الثواب والعقاب
والآية نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه فانها لما سمعت باسلامه حلفت ان لا
تنتقل من الشمس ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت ثلاثة ايام كذلك فلم يطعها
سعد بل قال والله لو كان لها مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما كفرت بمحمد صلى الله
عليه وسلم نفسا وافاد الاستاذ ان الله امر العباد برعاية حق الوالدين تنبيها على
عظم حق التربية وان كان تربية المخلوق وهي وان خست فالى حد توجب
رعايتها بحكم الكريم فما الظن برعاية حق الله تعالى في الاحسان العميم بالجود والامتنان
القديم الذي خصه به قبل وجوده قال وان جاهداك على ان تشرك بالله فاياك
ان تطيعهما ولكن رد بلطف وخلاف برفق ويقال من لم يصلح لحفظ حق من هو
من جنسه انى يصلح لبساط صحبة سيده والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لندخلنهم في الصالحين في جملة الانبياء والاصفياء فالكمال في الصلاح
منتهى درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله والمرسلين حيث دعوا بقولهم
الحقنا بالصالحين وقال الاستاذ اي لنلحقنهم بالذين اصلحوا من قبلهم فان المعهود
من سنتنا الحاق الشكل بشكله واجراء حكم المثل على مثله ومن الناس من يقول آمنا
بالله وتركنا ما سواه فاذا اوذي في الله بان عذبه الكفرة لاجل الايمان بالله وابتغاء
رضاه جعل فتنة الناس ما يصيبه من اذيتهم بسبب صرفه عن الايمان اي طريقهم
كعذاب الله اي في الصرف عن الكفر وموافقة هواه ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة ليقولن
انا كنا معكم في الدين فاشركونا فيه فانا من المؤمنين المجاهدين كما هو دأب المنافقين اوليس الله
باعلم بما في صدور العالمين من الاخلاص في الايمان والنفاق في الدين وليعلمن الله الذين
آمنوا بقلوبهم مخلصين وليعلمن المنافقين فيجازي الفريقين باعمالهم على حسب احوالهم

والعبرة بسرائرهم لا بظواهرهم قال بعض العارفين ليس الايمان ما يتزين به العبد من الاقوال
والافعال ولكن الايمان ما جرى به السعادة في سوابق الازل واما ظهورها على الهياكل ربما يكون عواري
وربما يكون حقائق وافاد الاستاذ ان المحن تظهر جواهر الرجال وهي تدل على قيمهم واقدارهم
والاحوال فقدر كل احد وقيمته يظهر في محنته فمن كانت محنته من فوات الدنيا ونقصان نصيبه
منها او كانت محنته بموت قريب من الناس او بفوت حبيب من الخلق فحقير قدره وكثير امثاله
مثله ومن كانت محنته في الله وبعد فعزيز قدره وقليل من كان مثله فهم قليل ولكن في القدر
والخطر جليل وبقدر الوقوف في البلاء يظهر جواهر الرجال وقطرتهم ويصفو عن الخبث
نقوتهم والمؤمن من يكيف الاذى والولي من يتحمل عن الخلق الاذى ويتشرب ولا يترشح
بشكوى ولا اظهار دعوى كالارض يلقى عليها كل خبث وقذر فتنبت كل نزهة لكل حمزة
قال تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين اذا اشتبكت دموع في خدود تبين من
بكى ممن تباكى وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا الذي نسلكه في ديننا ولنحمل خطاياكم
ان كان ذلك خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وما هم بحاملين من خطاياهم اي خطايا غيرهم
من شيء اي شيئا بناء على زعمهم انهم لكاذبون في دعواهم وليحملن اثقالهم اوزار
ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم واوزارا آخر مع اوزارهم لما تسببوا اليها
بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينقص من اوزار من تبعهم شيء من الوبال وليسألن يوم
القيامة سؤال تقريع عما كانوا يفترون من الاباطيل التي اضلوا بها اتباعهم فيها قال
ابو عثمان ما ارى هذه الآية الا في المدعين من غير حقيقة في حالهم يحملون اثقالهم
واثقال من يقتدي بهم في دعاويهم وقال ابو بكر الوراق هم اعوان الظلمة وان دعاة
انهم ضمنوا بما لم يعوا واخلفوا فيما وعدوا فما حملوا عنهم عن خطاياهم شيئا كما زعموا
بل زادوا اثقالا على نفوسهم احتقبوا وزر ما عملوا وطولبوا بوزر ما امروا فضاعف
عليهم العقوبة ولم يصل من جهتهم الى احد شيء من الراحة وما مواعيدهم الا مواعيد
عرقوب اخاه بيثرب ويتعلق بهؤلاء اصحاب الدعاوى المتشبهين باصحاب الحقائق وارباب
الرقائق • من تحلى بغير ما هو فيه • فضحه الامتحان ما يدعيه • قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين
هيهات هيهات ولقد ارسلنا نوحا الى قومه يدعوهم الى توحيد ربه فلبث فيهم الف
سنة الا خمسين عاما بعد مبعثه اذ روي انه بعث على راس اربعين ودعا قومه تسعمائة
وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وفي القصة تسلية رسول الله عليه السلام
وتثبيته على ما كابد من الكفرة والمشركين فاخذهم الطوفان وهم ظالمون انفسهم بمخالفة
الدين فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وجعلناها
اي السفينة او القصة آية للعالمين يتعظون بها ويستدلون بها وقال الاستاذ
ما ازداد هم طول مقامه الا شكا في امره وجهلا بقدره ومرية في صدقه وريبة في حكمه ولم يزد نوح
عليه السلام لهم الا نصحا وذكرا ولا في الله الا صبرا وشكرا ولقد عرفه الله انه لن يؤمن منهم الا من قد آمن

اليسيرة

اليسيرة الذين كانوا قد آمنوا وامره باتخاذ السفينة وغرق الكفار وما غادر منهم احدا وصدق
وعده ونصر عبده ولا يبدل بنصرة دينه قط سنة اي ولو بعد الف سنة وابراهيم
اي وارسلناه او واذكره اذ قال لقومه اعبدوا الله وحده واتقوه اي مخالفته او عقوبته
ذلكم خير لكم مما انتم عليه من امركم ان كنتم تعلمون خيركم من شركم وافاد الاستاذ انه سبحانه
كرر ذكر ابراهيم عليه السلام في هذه القصة وكيف اقام على قومه الحجة وارشدهم الى سواء
المحجة ولكنهم اصروا على ما جحدوا وتعصبوا لما من الاصنام عبدوا وكادوا لابراهيم كيدا ولكن
انقلب ذلك عليهم من الله مكرا بهم واستدراجا لهم ولم ينجع فيهم نصحه ولا وجد
منهم مساغا وعظه انما تعبدون من دون الله اوثانا اصناما وتخلقون افكا وتكذبون
كذبا في تسميتها آلهة وادعاء ان لها عند الله شفاعة ان الذين تعبدون من
دون الله زورا وافكا لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له
واعبدوه بالايمان واشكروا له بالاحسان اليه ترجعون ومنه ترجون قال سهل اطلبوا
الرزق بالتوكل على الرب فان سبيل العوام طلب الرزق من الكسب وقال الاستاذ
لا ندري اعمالكم في عبادتكم اياها اقبح ام اقوالكم فيما تزعمون من الكذب اوقح ان ما تعبدون
من هذه الجمادات لا تنفع تملك ولا ضر ولا خير تقتصر عليه ولا شر ولا تملك ان يرزقكم فاين
قول من يخلقكم وفيه تنبيه على انهم لم يكونوا خالين عن ملاحظة الحظوظ وطلب الرزق
فقال فابتغوا عند الله الرزق ثم قال واعبدوه لان ابتغاء الرزق من الله باداء الصلوة
في رضاه فان الصلوة استفتاح باب الرزق لاصناف الخلق قال تعالى وأمر اهلك
بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك ويقال ابتغاء الرزق بشهود موضع
الفاقة فعند ذلك تتوجه الرغبة الى الله تعالى في استجلاب النفقة وقدم ابتغاء
الرزق على العبادة لانه لا يمكن القيام بالعبادة الا بعد الكفاية فبالقوة يمكنه اداء العبادة
وبالرزق يجد القوة ولقد قالوا اذا لم يطلب معاشا لنفسه فكره ما يليق جزاءه واشكروا له
حيث كفاكم امر الرزق حتى تفرغتم الى عبادة الحق وان تكذبوا اي وان تكذبوني فيما اقول
لكم فقد كذب امم من قبلكم من قبلي من الرسل اليهم فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم
حيث تسبب لنزول العذاب بهم فكذا لا يضرني تكذيبهم وما على الرسول الا البلاغ المبين
الذي زال معه الشك في الدين وما عليه ان يصدق ولا يكذب بعد وضوح طريق اليقين اولم
يروا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالخطاب اي اولم ينظروا او اولم يعلموا كيف
يبدئ الله الخلق ينشئهم من مادة وغيرها ثم يعيده اي يعيد الخلق الى مبدئه من الفناء
بكونه وقيل اخبار بالاعادة بعد الموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية
غير واقعة عليه ولا علمية ولا يبعد ان يكون رؤية الابتداء حقيقة بصرية ورؤية الاعادة
حكمية نظرية فان من قدر على النشاءة الاولى قدر على النشاءة الاخرى وجوز ان يكون
الاعادة بالانشاء في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من الازهار والاثمار ان

ذلك ما ذكر من امر الانشاء والاعادة على الله يسير لانه على كل شيء قدير قل سيروا في الارض
اي سفرا آفاقيا او سيرا انفسيا فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف اجناسهم
واصنافهم والوانهم واحوالهم ثم الله ينشئ النشاة الآخرة بعد النشاة الاولى
التي هي الابداء فانه والاعادة نشاتان من حيث ان كلا اختراع وابتداع وقرا ابن كثير
وابو عمرو النشاءة بفتح الشين ممدودة ان الله على كل شيء قدير لمن عرف بالقدرة على
الابداء يحكم له بالقدرة على اعادة الانشاء والايجاد بعد الافناء لان قدرته لذاته ونسبة
ذاته الى كل الممكنات على السواء وافاد الاستاذ ان الذي دخلهم فيه الشك كان
بعث الخلق في العقبى فاحتج عليهم بما اراهم من اعادة فصول السنة فكان ذلك شائع
في عادته سائغ في قدرته غير مستنكر في مشيته كذلك بعث الخلق واعادته فكما مكرر
فصول السنة تكرر احوال العامة المشتركة بين الكافة والخاصة من استيلاء شهوات
النفوس واللهوات ثم زوالها الى موالاة الطاعات ثم حصول الفترة والعود الى
مثل تلك الحالة ثم بعد ذلك الانتباه بالتوبة ثم كذلك يكرر عليهم الاحوال باختلاف
الاعمال وكذلك ارباب القلوب يتعاقب احوالهم في القبض والبسط ثم في الهيبة
والانس ثم في التجلي والستر ثم في البقاء والفناء وكذلك في المحو والصحو ونحوهما وفي معنى
تكرير الاحوال انشد واهذا المثال: كل نهر فيه ماء قد جرى ° فاليه الماء يوما سيعود °
يعذب من يشاء عقوبته ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون والى حكمه ومشيئته
ترجعون قيل يعذب من يشاء بالحرص ويرحم من يشاء بالقناعة وقيل يعذب من
يشاء بالاعراض عنه ويرحم من يشاء بالاقبال عليه وقيل يعذب من يشاء بان يبغضه
الى الخلق ويرحم من يشاء بان يحببه الى الخلق وقيل يعذب من يشاء باختلاط الخلق
ويرحم من يشاء بالانس بالحق وافاد الاستاذ ان اجناس ما يعذب به عباده وانواع
ما يرحم به عباده لا نهاية لها ولا حصر بها فمن ذلك انه يعذب من يشاء بالخذلان ويرحم من
يشاء بتوفيق الاحسان ويعذب من يشاء بالكفران ويرحم من يشاء بالايمان ويعذب
من يشاء بالجحود والعنود ويرحم من يشاء بالتوحيد والوجود ويعذب من يشاء بتفرقة
الهم ويرحم من يشاء بجمعية الهم ويعذب من يشاء بالقائه في ظلمة التدبير ويرحم من
يشاء بشهادة جريان التقدير ويعذب من يشاء بالاختيار من نفسه ويرحم من يشاء
برضاه بحكم ربه ويعذب من يشاء بحب الدنيا ومنعها عنه ويرحم من يشاء بزهده
فيها وبسطها عليه ويعذب من يشاء بان يثبته في اوطان العادة ويرحم من يشاء
بان يقيمه لاداء العبادة وما انتم بمعجزين بفائتين ربكم عن ادراككم في الارض ان
فررتم من قضائه بالتواري فيها والهبوط في مهاويها ولا في السماء اي الحصن بها
او القلاع الذاهبة اليها وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم عن بلاء يظهر
من الارض فيرفعه منكم او ينزل من السماء فيدفعه عنكم وقال الاستاذ بل بقلب الخلق في القبضة

ويجري

ويجري عليهم احكام التقدير وفق القسمة وطبق المشيئة جحدوا ام وحدوا اقبلوا ام اعرضوا
والذين كفروا بآيات الله بكتبه او دلائل وحدانيته ولقائه بالبعث واعادته اولئك يئسوا
من رحمتي في الدنيا واولئك لهم عذاب اليم في العقبى وفي الحقيقة وقعوا في عقوبة حيث
ايسوا من رحمته فما كان جواب قومه اي بعضهم لبعض في امر ابراهيم وحكمه الا ان قالوا
اقتلوه او حرقوه وكان كل منهما قول لبعضهم الا انه لما قيل بينهم ورضي به الباقون منهم اسند
الى كلهم فانجاه الله من النار اي فاتفق رأيهم على القائه فيها فانجاه الله منها بان
جعلها عليه بردا وسلاما عنها ان في ذلك في انجائه لآيات ودلالات هي حفظه من اذاها
واخمادها مع عظمها في يسير من زمانها وانشاء روض في مكانها لقوم يؤمنون لانهم
المنتفعون بالفحص عنها والتأمل فيها والاتعاظ بها وقال انما اتخذتم من دون الله
اوثانا مودة بينكم لتتوادوا وتتفقوا بينكم في طاعتها وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها
وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم وابن كثير وابو عمرو والكسائي
مرفوعة مضافة على انه خبر مبتدا محذوف اي هي مودودة او سبب مودة والجملة صفة
اوثانا ومكافة في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يقوم
التناكر والتلاعن بينكم ومأويكم النار مقيمين وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ولا
يخففونها قال الاستاذ لما عجزوا عن جوابه بالحجة ولم يساعدهم التوفيق بالاجابة اخذوا
في معارضته بالتهديد والوعيد والسفاهة والله تعالى صرف عنه مكرهم وكفاه شرهم
واظهر للكافة عجزهم واخبر عما يلحقهم في مآلهم من استحقاق اللعن والطرد وفنون
الهوان والخزي في احوالهم فآمن له لوط وهو ابن اخيه هاران اول من آمن به
وقال ابراهيم اني مهاجر من قومي الى ربي الى حيث امرني انه هو العزيز الذي يمنعني
من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما فيه صلاح شاني روي انه هاجر مع لوط وامرأته
سارة ابنة عمه من كوثى سواد الكوفة الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين
ونزل لوط سدوم قال ابن عطاء اي راجع من جميع ما لي فالرجوع اليه بالانفصال عما دونه
والاقبال عليه وافاد الاستاذ ان الهجرة لا تصح الا بالتبري بالكمال بالقلب عن غيره
والهجرة بالنفس يسير بالاضافة الى الهجرة بالقلب وهي هجرة الخواص وهو الخروج
عن اوطان التفرقة والكون في مشاهد الجمع مسافر في طريقة الحقيقة ووهبنا له اسحق
ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس من الولادة وجعلنا في ذريته النبوة فكثر فيهم الانبياء
والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة وآتيناه اجره على هجرته الينا في الدنيا
باعطاء الولد في غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة وانتماء اهل الملل اليه
وجزيل الثناء الى آخر الدهر عليه وانه في الآخرة لمن الصالحين لفي عداد الكاملين في صلاح
الدين وافاد الاستاذ انه عليه السلام لما لم يجب قومه وبذل لهم النصح ولم يدخر عنهم
شيئا من الشفقة حقق الله مراده في نسله ووهب له اولاده وبارك فيهم واستصلحهم

للخيرات والمبرات حتى صلحت اعمالهم للقبول واحوالهم للاقبال ونفوسهم
للقيام بعبادته واسرارهم لمشاهدته وقلوبهم لمعرفته وانه فى الآخرة لمن الصالحين لائق
والزلفة والتخصيص بالقربة ولوطا اى وارسلناه او اذكره اذ قال لقومه ائنكم وقرا
الحرميان وابن عامر وحفص انكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة فى القباحة
ما سبقكم بها من احد من العالمين على هذه الوقاحة ائنكم اتفق فيها على الاستفهام
لتأتون الرجال فى ادبارهم وتقطعون السبيل باخذ اموال المارة فى اسفارهم وتأتون
فى ناديكم اى مجالسكم المملوة من اجناسكم المنكر اى اصناف المنكر شرعا وطبعا كالجماع والضراط
وحل الازار ورمى الحصا بالاصابع وحذف البنادق وتطريف الاصابع بالحنا واللعب
بالحمام والسواك فى المجالس وغيرها من القبائح مع عدم مبالاة بها قال القاسم المنكر
ترك حرمة الاكابر وسئل جنيد عن هذه الآية فقال كل شئ لم يجتمع عليه الناس الا الذكر
فهو منكر وافاد الاستاد انه سبحانه لامهم على خصلتهم الشنعاء وما كانوا يتعاطونه
على ابلغ من الاجتراء وما يضيعونه من المعروف ويأتونه من المنكر الذى من جملته
تخلية الفساق مع فسقهم وترك القبض على ايديهم وقلة الاحتشام من اطلاع
الناس على قبائح اعمالهم ومن ذلك ترك احترام الشيوخ والاكابر
ومنها التسويف فى التوبة ومنها التفاخر بالزلة فما كان جواب قومه الا ان قالوا
ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فى دعوى النبوة او فى استقباح
هذه الفعلة قال الاستاذ فما كان من جوابهم الا استعجال العقوبة فحل بهم
من ذلك ما اهلكهم واهلك من شاركهم فى القضية قال رب انصرنى بانزال
العقوبة على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة ولما جاءت رسلنا ابراهيم
بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية اى سدوم ان
اهلها كانوا ظالمين باصرارهم وتماديهم فى انكارهم قال ان فيها لوطا وهو ممن لم يظلم
فيها قالوا نحن اعلم بمن فيها من ظالمها وسالمها لننجينه وقرا حمزة والكسائى بالتخفيف
واهله باخراجهم عنها الا امرأته كانت من الغابرين الباقين فى العقوبة او القرية
وقال الاستاذ التبس على ابراهيم عليه السلام امرهم فظنهم اضيافا فتكلف لهم
تقديم العجل الحنيذ عندهم جريا على سنته فى اكرام الضيف فلما اخبروه مقصودهم
من اهلاك قوم لوط الى ان قالوا انا منجوه وكان ذلك دليلا على ان الله تعالى لو اراد اهلاك
لوط وان كان بريئا لم يكن ظلما اذ لو كان ذلك قبيحا لما كان ابراهيم عليه السلام مع وفارة
علمه يشكل عليه حتى كان يجادل عنه بل لله ان يعذب من يعذب ويعافى من يعافى ولما ان
جاءت رسلنا لوطا سئ بهم جاءته المساءة بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء فيهم وان
صلة على عادة العرب فى كلامهم وضاق بهم ذرعا ضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اى طاقته
وقالوا عطف على مقدر اى فقالوا انا رسل ربك وقالوا لا تخف علينا ولا تحزن على

ننجيهم

ننجيهم منا انا منجوك وقرا ابن كثير وابو بكر وحمزة والكسائى بالتخفيف واهلك
الا امرأتك كانت من الغابرين اى الباقين عن خدمتك الغائبين عن حضرتك
انا منزلون وقرا ابن عامر بالتشديد على اهل هذه القرية رجزا عذابا من السماء بما كانوا
يفسقون بسبب فسقهم من الكفر والمعصية وخروجهم عن الطاعة وافاد الاستاد انه
لما راهم لوط ضاق بهم قلبه لانه لم يعلم انه ملائكة فخاف عليهم من فساد قومه فكان
ضيق قلبه لاجل ربه فاخبروه بانهم ملائكة وانهم لا يصلون اليهم فعند ذلك سكن قلبه واتسع
صدره ويقال اقرب ما يكون العبد فى البلاء من الفرج اذا اشتد عليه البلاء فعند
ذلك يكون وقت زوال البلاء لانه يصير مضطرا والله وعد المضطرين وشك
الاجابة كذلك لوط فى هذه الليلة لما سئ بهم لم يلبث ان وجد الخلاص منهم ولقد تركنا
منها آية بينة هى حكايتها الشائعة او آثار الديار الخربة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
فى الموعظة والعبرة والى مدين اخاهم شعيبا وارسلناه اليهم فقال يا قوم اعبدوا الله
وارجوا اليوم الآخر اى توقعوا القيامة او خافوا عقابه ولا تعثوا فى الارض مفسدين
لا تفسدوا فيها على قصد فسادها فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة او الصيحة القوية لان
القلوب ترجف لهولها وتضطرب لاجلها فاصبحوا فى دارهم فى بلدهم جاثمين باركين
على ركبهم ميتين جامدين خامدين وعادا وثمود اذكرهما وقرا حمزة وحفص وثمود غير منصرف
على تأويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم وقد ظهر لكم اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم
اليها عند مروركم عليها وزين لهم الشيطان اعمالهم وسول آمالهم وحسن احوالهم
فصدهم عن السبيل فمنعهم عن السبيل الذى بينه الرسل لهم وكانوا مستبصرين
متمكنين من النظر والاستبصار فى امرهم ولكنهم لم يفعلوا حيث لم يوفقوا لكونهم
معجبين برأيهم وقارون وفرعون وهامان اى اذكرهم وقدم قارون لشرف نسبه
او لقبح كسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات بالمعجزات الواضحات فاستكبروا
فى الارض فتكبروا وتجبروا على اهلها وما كانوا سابقين فائتين امرنا بل ادركهم
هلاكنا وقهرنا فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبناه بكسبه فمنهم من ارسلنا عليه
حاصبا ريحا صرصرا تحمل الحصباء فتلقيها عليهم وتقلعهم من محلهم وتنكسهم على
رؤسهم فتشدخهم كانهم اعجاز نخل خاوية وهم قوم عاد وقيل ريحا عاصفا فيها
حصبا تنزل كالمطر عليهم وهم قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم
من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله
ليظلمهم فيما فعله بهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاستحقوا عقاب ربهم وافاد الاستاذ
انه سبحانه ذكر قصة اهل مدين وعاد وثمود وفرعون وكلهم نسج بعضهم على منوال
بعضهم وسلك مسلكهم ولم يجتنبوا القبيح ولم يبالوا بمخالفة رسلهم فاهلكهم الله باجمعهم
سنته فى نصرة الضعفاء وقهر الظالمين عليهم مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء

يتكلون اليهم ويعتمدون عليهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لديه يستند اليه
بل ذاك اضعف فان لهذا هيئة حقيقة واستقاعا ما صورة وان اوهن البيوت
لبيت العنكبوت لا بيت اضعف من بيتها مما تتخذه الهوام لا يدفع حرا ولا بردا ولا
يحجب عن اعين الانام لو كانوا يعلمون لعلموا ان هذا مثلهم وفي تفسير السلمي من اعتمد
على شيء سوى الله فهو هباء لا حاصل له في دنياه ولا في عقباه وافاد الاستاد ان العنكبوت
تتخذ بيتا لنفسه ولكن كلما زاد على نسجه ازداد بعدا من الخروج عن بيته فهو يبني ولكن على
نفسه يبني كذلك الكافر يسعى ولكن على نفسه يجني ان الله يعلم ما تدعون وقرا ابو عمرو
وعاصم بالغيبة من دونه من شيء اي يعلم اي شيء تعبدونه وفي الالتجاء تعتمدونه فيجازيكم به
ويعاقبكم بسببه وهو العزيز القادر القاهر الحكيم البالغ في العلم الغاية واتقان الفعل
النهاية وتلك الامثال نضربها للناس بينتها لما بعد من افهامهم من الاحوال وما يعقلها
لا يفهمها ولا يدرك حسنها ونفعها الا العالمون وقد روى محيي السنة انه عليه السلام تلا
هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه وافاد الاستاد
ان الكل يشتركون في سماع الامثال ولكن لا يصغي اليها نفوز القلب من المعاني ولا
كنوز للحال معقود الكسل معرج في اوطان الغشل خلق الله السموات والارض بالحق
محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما هو الدلالة على ذاته وصفاته
لاهلها كما اشار اليه بقوله ان في ذلك اي الخلق بالحق لاية للمؤمنين المنتفعين وقال
الاستاد خلق السموات والارض بالحق اي بالقول الحق وللحكم الحق والامر الحق
اتل ما اوحي اليك من الكتاب اقراه واتبعه تقربا الى الله فيه وتحفظا لمبانيه وتكشفا
لمعانيه واستمر على ذلك ليظهر لك ظهره وبطنه هنالك واقم الصلوة في الاوقات
مع مراعات سائر الكمالات ان الصلوة الكاملة او المقبولة تنهى عن الفحشاء
والمنكر بان يكون سببا للانتهاء عن المعاصي كبيرها وصغيرها حال الاشتغال بها
وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه لصاحبها والمعنى ان
مواظبتها تحمل على الانتهاء عن حظ النفس ومتابعتها وفي الحديث من لم تنهه صلوته
عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا رواه الامام احمد والبزار او مراعاتها
تجر الى الانتهاء في غاياتها ففي الحديث قيل له عليه السلام ان فلانا يصلي بالليل فاذا
اصبح سرق قال ستنهاه ما تقول رواه ابن ابي حاتم والطبراني وابن جرير وروى
ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله عليه السلام الصلوات ولا يدع شيئا
من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وصلح
حاله فقال عليه السلام الم اقل لكم وهذا قول اكثر السلف فينبغي ان يكون عليه الخلف
وفي تفسير السلمي اي تمام الصلوة ترك الفحشاء والمنكر وقال ابن عطاء بركات الصلوة
تذهب بعقاب الفحشاء وافاد الاستاد ان الصلوة الحقيقية ما تنهى صاحبها

من الفحشاء

عن الفحشاء فان كانت والا فصورة الصلوة لا حقيقتها والفحشاء الدنيا
والمنكر النفس ويقال الفحشاء المعاصي والمنكر الحظوظ ويقال الفحشاء رؤية
الاعمال والمنكر حسبان النجاة بها وقيل ملاحظة الاعواض عليها والسرور
والفرح بمدح الناس بها ولذكر الله اكبر اي اعظم وافضل من كل شيء فالصلوة
لما كانت مشتملة على انواع من الاذكار يكون اكبر من غيرها من الطاعات ولهذا
تسمى ام العبادات واساس الخيرات وناهية عن السيئات اولذكر الله
اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته وهذا منقول عن كثير من الصحابة والتابعين
رض وقال ابن عطاء ذكر الله لكم اكبر من ذكركم له لان ذكره بلا علة وذكركم مشوب
بالعلل من الاغراض والاعواض وقال ايضا ذكر الله اكبر من ان يبقى على
ذاكره شيء سوى مذكوره وافاد الاستاد ان ذكر الله اكبر من ذكر المخلوقين لان ذكر الله قديم
وذكر الخلق حادث ويقال ذكر العبد لله اكبر من ذكره لاشياء آخر لان ذكره طاعة وذكر
غيره ليس بطاعة ويقال ولذكر الله اكبر اذا تجرد عن غرض من ذكر العوض من خوف عقوبة
او نيل مثوبة ويقال لذكر الله لك اكبر من ذكرك لك ويقال ذكره لك بالسعادة
اكبر من ذكرك له بالعبادة ويقال ولذكر الله اكبر من ان يعرف قدره او اكبر من ان
يوصف غيره ويقال ذكر الله اكبر من ان يبقى للذاكر معه ان يذكر غيره او يبقى للعبد معلوما
او مرسوما له ويقال لذكر الله اكبر من ان يبقى معه للفحشاء والمنكر سلطان وشوكة
بل لحرمة ذكره زلات الذاكر مغفورة وعيوبه مستورة والله يعلم ما تصنعون منه ومن
الصلوة وسائر الطاعات فيجازيكم بها احسن المجازاة ويعفوا عن السيئات
ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة بالملاينة
والغضب بالكظم والملايمة والمشاغبة بالنصيحة وهو لا ينافي المقاتلة فانها آخر
الدواء في معاملة المقابلة كما يشير اليه قوله الا الذين ظلموا منهم بالافراط في اعتدائهم
وعنادهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وعنه صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا
اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم
تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم اولا تصدقوهم ولا تكذبوهم فيما لم تعرفوا صدقهم
وكذبهم لاحتمال كونهم صادقين او كاذبين والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون
خاصة له مطيعون بخلافكم حيث ما تؤمنون وافاد الاستاد ان مجادلتهم بالتي هي
احسن ان يكون منك للخصم تمكين وفي خطابك تبيين وفي قبول الحق انصاف
وتحسين واعتقاد النصرة لمن رآه صحيحا بالحجة وترك الميل الى شيء بالنسق والهوادة
وكذلك انزلنا اليك الكتاب اي القران وحيا مصدقا لسائر ما انزل من هذا الباب
فالذين آتيناهم الكتاب اي التورية والانجيل يؤمنون به كعبد الله بن سلام ونحوه
ومن هؤلاء من العرب واهل مكة من يؤمن به قال الاستاد يعني انهم على انواع القسمة

فمرحوم نظرنا اليه بالعناية كما سبقت له السعادة ومحروم وسمناه بكي الشقاوة وما يجحد بآياتنا
مع ظهورها ونظام نورها الا الكافرون المتوغلون في الكفر والمشغولون عن التأمل والفكر كما
يشير اليه قوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك في باب فان ظهور
هذا الكتاب الجامع لانواع المعرفة على امي لم يعرف بالقراءة والكتابة خارق للعادة اذا لارتاب
المبطلون اي لو كنت ممن تقرأ او تكتب لقالوا تعلمه والتقطه مما كتبه الاقدمون وسماهم
مبطلين لظهور بطلانهم حينئذ ايضا فان جميع الكتبة والقراء من الخطباء والشعراء
والفصحاء والبلغاء قد عجزوا عن المعارضة باقصر سورة من سور القرآن المبين وقال
الاستاذ تجرد قلبك عن المعلومات وتقدس سرك عن المرسومات فصادفك
ما منا الآيات من غير ممازجة طبع ومشاركة كسب وتكلف بشرية فلما خلا سرك
وقلبك عن كل معلوم ومرسوم ورد عليك خطابنا وتفهيمنا غير مقرون به ما لبس منا
بل هو اي القرآن آيات بينات واضحة الدلالات لكونها من المعجزات في صدور
الذين اوتوا العلم يحفظونه لمبانيه ومعانيه بحيث لا يقدر احد على تحريفه بما بنا فيه وما يجحد
بآياتنا الا الظالمون المعاندون حين لم يعتدوا بها بعد وضوح دلائل اعجازها وافاد الاستاذ
ان قلوب الخواص من العلماء بالله خزائن الغيب فيها اودع براهين حقه وبيان سره
ودلائل وحدانيته وشواهد ربوبيته فقالون الحقائق قلوبهم وخزائن الاسرار صدورهم
وكل شيء يطلب من موطنه ومحله فالدر يطلب من الصدف لان ذلك مسكنه والشمس تطلب
من البروج لانها مطلعه والشهد من النحل لانه عشه كذلك المعرفة وصف الحق تطلب من
قلوب خاصته لانها كانون معرفته ومنها تشرق شعشعة توحيده وفردانيته وقالوا لولا انزل
عليه آية من ربه كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر
وحفص آيات قل انما الآيات عند الله ينزلها كما يشاء املكها فآتيكم بما تقترحون منها
وانما انا نذير مبين لوجه الانذار بالعقوبة الكفار والفجار اولم يكفهم آية مغنية عن آياتهم
المقترحة انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم تدوم تلاوته ونتمم المعجزة فلا يزال معهم
آية ثابتة وحجة ثابتة بخلاف سائر الآيات وبقية المعجزات ان في ذلك الكتاب
الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى وموعظة حسنة لقوم يؤمنون
وينتفعون بما فيها وروي ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله بكتف كتب فيها بعض من
التورية فقال كفى بها ضلالة قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت وفي
رواية قال لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي بالمعجزات
او بتبليغي الرسالات ومقابلتكم اياي بالتكذيب والمعاندات يعلم ما في السموات
والارض في العلويات والسفليات فلا يخفى عليه ما جرى بيننا من الحالات والذين
آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وما يدعي ما سواه ما ليس تحته طائل وكفروا بالله
بذاته وصفته اولئك هم الخاسرون من خسر في صفقته حيث اختار طريق الضلالة وقال الا

خفي عليهم

خفي عليهم علو حالك فطالبوك باقامة الشواهد على رسالتك اولم يكفهم ما اوضحنا عليك
من السبيل والحنا لك من الدليل يتلى عليهم ذلك ولم يكفهم معارضة هنالك بل
هو غاية الجحود ونهاية الكنود ويستعجلونك بالعذاب قبل يوم الحساب ولولا اجل مسمى لكل
عذاب في كل باب لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم آجلا بغتة فجاءة في الدنيا كوقعة
بدر ونحوها او في الاخرى عند سكرات الموت واحوالها او في مواقف القيمة واهوالها
وهم لا يشعرون باتيانها في اي محالتها يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين
اي كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والعصيان التي توجب لهم النيران يوم يغشاهم العذاب
من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي من قرنهم الى قدمهم والمراد من جميع جوانبهم ويقول اي الله
او ملائكته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاء اعمالكم وفق
احوالكم وافاد الاستاذ انه اذا احاط بهم سرادقات العذاب في جهنم فلا صريخ لهم كذلك اليوم
من احاط به العذاب من فوقه اللعن ومن تحته الخسف ومن جهاته الخزي ويلبس لباس الحرمان
ويوسم بكي الحرمان ويسقى شراب القنوط ويتوج بتاج الخيبة ويقيد بقيد السخط ويغل بغل
الغداوة فهم يسجنون في جهنم الفراق حكما الى ان يلقوا في جهنم الاحتراق عينا يا عبادي الذين آمنوا
ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي ان لم تخلصوا العبادة لي في مكان منها فاخلصوها في غيرها
قال سهل اذا عمل المعاصي والبدع في ارض فاخرجوا منها الى ارض المطيعين بها وسئل ابن مالك
عن العبودية فقال اذا صحت العبودية لله صحت الحرية عما سواه وافاد الاستاذ ان الدنيا
اوسع في الشان من ان يضيق لمريد مع مزيد المكان فاذا نابه منزل لوجه من الوجوه الصادة له
عن سبيله اما لمعلوم حصل له او لقبول بين الناس وجاه او لعلاقة او قريب او لبلاء صدفطريقه
ان يرتحل عن موضعه وينتقل الى غيره كما قالوا • واذا ما جفيت كنت حريا • ان ارى غير
مصبح حيث امسى • وكذلك العارف اذا لم يوافق وقته مكان انتقل الى غيره من الاماكن
لاصلاح ما به من الشان كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون للجزاء بالمثوبة
او العقوبة ومن كان هذا امر عاقبته فينبغي ان يجتهد في استحسان حالته وقرأ ابو بكر بالغيبة
وقال الاستاذ اذا كان الامر كذلك فالراحة معلوقة على تهوين الامور هنالك فسبيل المؤمن
ان يوطن نفسه على مفارقة روحه مستعدا له في كل نفسه ابقاء كروحه ثم اذا لم يحضر الاجل فلا يستعجل
واذا حضر فلا يستثقل ولكن يحكم الوقت كما قالوا • ولو قال لي مت مت طوعا وحسبة •
وقلت لداعي الموت اهلا ومرحبا • وقلت وفي الحديث لا يتمنين احدكم الموت فان
كان لا بد فاعلا فليقل اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي • وتوفني اذا كانت الوفاة
خيرا لي • واجعل الحيوة زيادة لي في كل خير • واجعل الموت راحة لي من كل شر • والذين آمنوا
وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم وقرأ حمزة والكسائي لنثوينهم اي لنقيمنهم من الجنة
غرفا علالي في القدر والمقدار تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين وافاد الا
ان اليوم في غرف معارفهم على اسرة وصلهم متوجين بتيجان سيادتهم يسقون كاسات الوجد

ويلقون رحبان القرب رغدا كما قال الرب الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين الى
غير ذلك من تحمل المجاهدين والمجتهدين وعلى ربهم يتوكلون والى مرضاته يتوسلون قيل الصبر المقام
مع البلاء والمحنة كالمقام مع الرخاء والعافية وسئل الخراز عن التوكل فقال هو اضطراب بلا سكون
وسكون بلا اضطراب وافاد الاستاد ان الصبر حبس النفس على مطالبها الصبر تجرع كاسات التقدير
من غير تعبيس الضمير واول الصبر تصبر بتكلف المشقة ثم صبر بالسهولة ثم اصطبار وهو ممزوج
بالراحة ثم تحقق بوصف الرضا بالقضاء فيصير العبد فيه محمولا بعد ان كان متحملا والتوكل انتظار
مع استبشار التوكل ان لا يتبرم في الخلوة بانقطاع الاغيار به عنك التوكل اعراض القلب
عن غير الرب وكاين من دابة لا تحمل رزقها لا تدخره لغدها وانما تصبح ولا معيشة عندها
ففي الحديث لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا الله يرزقها
مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم وهو السميع لاقوالكم العليم باعمالكم واحوالكم
قال ابن عطاء الله يرزقها بحسن اليقين ويرزقكم مع قلة اليقين وقال النهرجوري ارزاق
المتوكلين على الله يجري بعلم الله لهم بلا شغل وتعب منهم وغيرهم فيه مشغول ومتعوب
وافاد الاستاد ان معنى لا تحمل رزقها لا تدخره لا في ملكه ولا في كسبه ولا في خزانة ملكه ولا بيد
مملوكه الله يرزقه من غير مقاساة تعب منه ويقال ارادة الله في ان يستبقيك لا يقبض
ولا يقبض روحك اقوى واتم من تمنيك لبقائك فلا ينبغي ان يكون اهتمامك بسبب عيشك
وبقائك اتم واكثر من تدبير صانعك لبقائك ولئن سالتهم اي اهل مكة وغيرهم من خلق
السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله اذ لا جواب سواه فانى يؤفكون يصرفون عن
توحيده بعد اقراره بتوحيده قال الاستاد اذا سئلوا عن الخالق اقروا بالله واذا سئلوا عن
الرازق لم يستقروا مع الله هذه مناقضة ظاهرة يعني مع انه سبحانه قال الله الذي خلقكم ثم
رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون
الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له اي لمن يشاء من عباده على ان البسط لبعضهم
والقبض لآخرين او على ان التوسعة له تارة والتضييق اخرى بعده او قبله ان الله بكل شيء عليم
يعلم بمصالح العباد ومفاسدهم في المراد فهو في التغيير بحسب التقدير حكيم وافاد الاستاد
ان الرزق على اقسام رزق الظواهر ومنه الطعام والشراب ورزق السرائر
ومنه الاستقلال بالمعاني في فهم الكتاب والناس فيهما مرزوق مرفه اليه ومرزوق
مضيق عليه ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها
يبسها وفوت ما فيها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها
وفروعها ثم انهم يشركون به بعض خلقه الذي لا يقدر على شيء من جميعها قل الحمد لله
على ما اعطاك من نعمة النبوة والرسالة وحفظك من امثال هذه الضلالة والجهالة
بل اكثرهم لا يعقلون هذه المقالة ولا يتاملون هذه الحالة وقال الاستاد كما علموا ان
حياة الارض بعد موتها بالمطر من قبل الله فليعلموا ان حياة النفوس بعد موتها عند الحشر

والنشر

والنشر بقدرة الله وكما علموا ذلك فليعلموا ان حيوة الاوقات بعد فترتها بادراك الرحمة
من عند الله وما هذه الحيوة الدنيا اشارة لتحقيرها ومهانتها وكيف لا وقد ورد انها لا تزن
عند الله جناح بعوضة الا لعب ولهو ما يلهي ويلعب به الصبيان يجتمعون عليه ويميلون
اليه ثم يتعبون لديه وان الدار الآخرة لهي الحيوان لهي دار الحيوة الحقيقية لامتناع طريان
الموت عليها او جعلت في ذاتها حيوة للمبالغة في الميل اليها وفي الحديث اللهم
لا عيش الا عيش الآخرة لو كانوا يعلمون انها خير وابقى لما آثروا عليها الدنيا التي مبناها على الفناء
والشقاء وسرعة الفناء وخسة الشركاء وافاد الاستاد ان الدنيا كالاحلام وعند
الخروج منها انتباه من المنام والآخرة هنالك العيش بنظامه والتخلص من الوحشة بتمامه
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من اخلص دينه
من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه بل يدعون ما عداه لعلمهم بانه
لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وفي معصيتهم وغفلتهم
يعودون وشركهم لا يتركون قال جنيد الاخلاص افراد القلب عن الكل وخلو السر عن الجميع
والعلم بان الحق هو الذي يقبلك بجميع عيوبك ويحبك من جميع همومك فهو دليل مقام
الاخلاص وعلامة حالة الاختصاص وافاد الاستاد ان الاخلاص تفريغ القلب عن الكل
والثقة بان لا خلاص الا به والتحقق بانه لا يستكثر حالا من المحمودات ولا في المذمومات
ما لعامة اذا توالت عليهم الضرورات يدعونه مخلصين له الدين واذا انقطع عنهم الرجاء
ادعوا الله متضرعين فاذا كشف الضر عنهم عادوا الى الغفلة ونسوا ما كانوا فيه من الشدة
كما قيل • اذا ارعوى عاد الى جهله • كذي الضنى عاد الى نكسه • ليكفروا بما آتيناهم اللام
يحتمل ان يكون لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة من المهالك العظام وليتمتعوا
باجتماعهم على عبادة الاصنام او ليأكلوا كما تأكل الانعام فسوف يعلمون عاقبة هذه الآثام حين
يعاقبون بانواع الآلام وان يكون لام الامر للتهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي
وقالون وليتمتعوا بالسكون ويساعده فسوف يعلمون اولم يروا اي اهل مكة انا جعلنا حرما
آمنا اي جعلنا بلدهم مصونا عن النهب والتعدي آمنا اهله عن القتل والسبي بلا يد ويتخطف
الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا بحسب اختلاف حولهم افبالباطل كالصنم
يؤمنون وبنعمة الله يكفرون وقال الاستاد من عليهم بدفع المحن عنهم وكون الحرم
آمنا لهم وذكرهم عظيم الاحسان اليهم ثم بين اعراضهم عن شكر ذلك لديهم ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا او غيره ربا او كذب بالحق لما جاءه يعني رسولا
او كتابا اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لسواء الثواء للاعداء كقوله الستم خير من ركب
المطايا او للاجزاء المترتب عليه هذا الجزاء والذين جاهدوا فينا في حقنا بالجهاد الاصغر
او الاكبر في طريق صدقا لنهدينهم سبلنا سبل السير الى بابنا وطرق الوصول الى جنابنا
او لنزيدنهم هداية الى سبيل العبادة وتوفيقا لسلوك سير اهل الارادة كقوله تعالى

والذين اهتدوا زادهم هدى وآتيهم تقويهم وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم
وان الله لمع المحسنين بالنصرة والاعانة في طريق اليقين قال عبد العزيز المكي اجتهدوا
في سبيل الظاهر فهداهم الى سبيل الباطن وانا اتعجب ممن يعجز عن ظاهره ويطمع في باطنه
وقال ابو سعيد القرشي خرجت هداية المريدين من الهداية قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وخرجت هداية المراد من المشيئة قال عز وجل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقال
الاستاذ اي الذين زينوا ظواهرهم بالمجاهدات حسنا سرائرهم ويقال الذين شغلوا
ظواهرهم بالوظائف اوصلنا سرائرهم الى اللطائف ويقال الذين قاسوا فينا التعب
من حيث الصلوات جازيناهم بالطرب من حيث الوصلات ويقال المجاهد فيه اولا
بترك المحرمات ثم بترك الشبهات ثم بترك الفضلات ثم بقطع العلاقات
والتنقي عن الشواغل في جميع الاوقات ويقال بعد الانفاس مع الله وبحفظ الحواس عما سواه

سورة الروم مكية وهي ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم افاد الاستاذ ان بسم الله
اسم عزيز شفاء المذنبين جوده بلاء المهيمين مقصوده ضياء الموحدين عهوده سلوة المحزونين
ذكره حرفة المستحبين شكره فالعابدون حسبهم عطاؤه والواجدون حسبهم بقاؤه الم
الاشارة في الالف اي الف صحبتنا من عرف عظمتنا والف بلاءنا من عرف كبرياءنا والاشارة
في اللام اي لزم من بابنا من ذاق محابنا ولزم بساطنا من شهد انبساطنا والاشارة في الميم
اي مكن من قربتنا من اقام على خدمتنا ومات على وفائنا من تحقق بولائنا غلبت الروم
في ادنى الارض اي ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم او في ادنى ارضهم
من العرب ومقامهم فاللام بدل من الاضافة على مذهب اهل الكوفة والمراد ان اهل الفرس
وهم المشركون غلبوا اهل الروم وهم اهل الكتاب والموحدون ففرح المشركون من اهل مكة
وقالوا للمسلمين انتم والنصارى اهل الكتاب ونحن فارس اميون وقد ظهر اخواننا على
اخوانكم فلنظهرن عليكم في شانكم فنزلت وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول
اي بعد مغلوبيتهم سيغلبون على عدوهم في بضع سنين وهو ما بين ثلث الى تسع
سنين فظهرت الروم على فارس يوم الحديبية والآية من دلائل النبوة لانها اخبار عن غيب
الواقعة وافاد الاستاذ ان المسلمين سروا بظفر الروم على العجم وان كان الكفر يجمعهم
لاختصاص الروم بالايمان ببعض الانبياء فكره الله ذلك لهم وانزل هذه الآية فيهم
فكيف بمن يكون سروره لدين الله وحزنه واهتمامه لامر مولاه لله الامر من قبل ومن بعد
من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين
والمعنى له الامر حين غلبوا وكذا اذا غلبوا ليس شيء منها الا بقضائه وقدره فيما فعلوا قال سهل
من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء لانه المبدئ والمعيد وقال سبق تقدير الحق في الخلق لانه بهم لم يزل
عالما في الاصل وفي الفرع وافاد الاستاذ ان قبل اذا اطلق انتظم الازل وبعد اذا اطلق دل
على الابد فالمعنى امر الازلي لله والامر الابدي لله لان الرب الازلي والسيد الابدي هو الله لله الامر

يوم الفرقان ولله الامر يوم العرفان لله الامر حين القسمة ولا حين ولله الامر عند النعمة وليس
معين وقيل لله الامر من قبل تحقيق ولله الامر من بعد بحفظ عهدكم اي على جفواتها بشر بهاء
وبكل متصل بها متوسل ويومئذ يوم تغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله من له كتاب على من لا
كتاب له لما فيه من ازدياد يقينهم وثباتهم في امر دينهم ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة واخرى
هؤلاء وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم مرة ويتفضل عليهم بنصرهم كرة وافاد الاستاذ
ان اليوم ترح وغدا فرح اليوم عبرة وغدا حبرة اليوم اسف وغدا لطف اليوم بكاء وغدا لقاء
وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى وعده لا يخلف الله وعده لامتناع الخلف
في خبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون صحة وعده لجهلهم به وعدم تفكرهم في وصفه وافاد الاستاذ
ان الكريم لا يخلف وعده لا سيما والصدق نعته ويقال منا يوم الميثاق وعد بالطاعة ومنه
ذلك اليوم وعد بالجنة فان وقع في وعدنا تقصير فلا يقع في وعده قصور وتغيير يعلمون ظاهرا
من الحيوة الدنيا ما يشاهدونه بها والتمتع بزخارفها وهم عن الآخرة التي هي غايتها والمقصود
منها هم غافلون لا تخطر ببالهم وتكريرهم للمبالغة في غرورهم قال القاسم من كان غافلا
عن الآخرة كان عن الله اغفل ومن كان غافلا عن الله سقط عن درجة المتعبدين وافاد الاستاذ
ان استغراقهم في الاشتغال بالدنيا وانهماكهم في تعلق القلب بها منعهم عن العلم
بالاخرى وقيمة كل امرئ علمه كما الاثر فيه عن علي رضه فاهل الدنيا على غفلة من العقبى والمشتغلون
بعلم الآخرة كذلك بوجودها في غفلة عن المولى اولم يتفكروا في انفسهم اي ذواتها فانها اقرب
اليهم من غيرها ومرآة يجتلى للمستبصر بها ما يجتلى له في الممكنات باسرها فانها العالم الاكبر
في مظاهرها واسرارها فيتحقق لهم قدرة مبدعها على اعادتها ثم قدرته على ابدائها ليعلموا
او يعقلوا ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق بالامر الثابت في الصدق
واجل مسمى ينتهي عنده ولا يبقى بعده وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بملاقاة جزائه عند
عند فراغ الاجل والقضاء لكافرون جاحدون وحاسبون ان الدنيا ابدية وان
الآخرة عدمية سرمدية اولم يسيروا في الارض بظواهرهم او ببواطنهم فينظروا فيبصروا
او فيعتبروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم بنظرهم الى ديارهم وآثار دمارهم كانوا اي من قبلهم
اشد منهم من الموجودين بعدهم قوة كعاد وثمود ونحوهم واثاروا الارض قلبوا ادمة وجهها
لاستنباط المياه واستخراج معادنها وزرع البذور وغيرها وعمروها اي ارضهم اكثر مما عمروها
من عمارة اهل مكة اياها فكان لهم التبسط في البلاد والتسلط على العباد اعظم من اهلها وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات الواضحات فكذبوا فعذبوا فما كان الله ليظلمهم فيدمرهم من
غير جرم منهم ولا تذكير لهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا في اعمارهم ما ادى الى
دمارهم واهلاك آثارهم قال بعضهم السير في الارض منه وبال لمن يستدل بالآثار على المؤثر
فاما من تحقق في عين المعرفة فهو سائر بروحه في الملكوت وافاد الاستاذ ان سير النفوس
في اقطار الارض ومناكبها لاداء العبادات وسير القلوب بجولان الفكر في جميع المخلوقات

وغاية الظفر بحقائق العلوم التي توجب ثلج الصدر ثم تلك العلوم على الدرجات وسير الارواح
في ميادين الغيب بنعت خرق سرادقات الملكوت وقصاراه الوصول الى محل الشهود واستيلاء
سلطان الحقيقة وسير الاسرار بالترقي عن الحدثان باسره والتحقق اولا بالصفات ثم بالخمود بالكلية
عما سوى الحق ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اى العقوبة او الخصلة السوأى تانيث اسوأ
كالحسنى او مصدر نعت بها كالبشرى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزءون عطف بيان
للسوأى وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وفي الآية اشارة
الى ان الدنيا مزرعة الآخرة قال الاستاذ من زرع الشوك لم يحصد الورد ومن استنبت
الحشيش لم يقطف البهار ومن سلك طريق الغي لم يحلل بساحة الرشد الله يبدأ الخلق ينشئهم
ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون فيجازيهم وقرأ غير ابي عمرو وابي بكر بالخطاب وفي كل تعقيب اى يردون
الى حكمه في جزاء اعمالهم على حسب احوالهم وقال الاستاذ الله يبدأ الخلق على ما يشاء ثم يعيده
اذا ما يشاء على ما يشاء ثم اليه ترجعون للجزاء ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون او
يأيسون او يتحيرون ولم يكن لهم من شركائهم اصنامهم شفعاء يجيرونهم من عذابهم وجيء
بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وكانوا لهم بشركائهم كافرين حين يأسوا منهم اذ كانوا
في الدنيا كافرين بسببهم وافاد الاستاذ ان شهودهم ما جحدوه في الدنيا عيانا ثم ما يضاف
الى ذلك من اليأس يرون قطعا هو الذي يفتت كبدهم ويتم محنهم ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون اى المؤمنون والكافرون كما فصله بقوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة ارض ذات ازهار وانوار وانهار يحبرون يسرون مجاهد يكرمون قتادة ينعمون
ابن كيسان يحلون ابن عباس يتوجون وكيع يتسمعون وعن ابي الدرداء ان غناءهم
تسبيحهم وثناؤهم واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك في
العذاب محضرون يدخلون وعنه لا يغيبون فالامر مبهم لا ينفعه التدبير فانه على وفق
التقدير من غير التغيير فريق في الجنة وفريق في السعير قال ابو بكر بن طاهر يتفرقون الى
ما قدر لكل من محل السعادة ومنزل الشقاوة وقال الاستاذ فريق هم اهل الوصلة وفريق
هم اهل الفرقة وفريق للجنة والمنة وفريق للعقوبة والمحنة وفريق في السعير وفريق في السرور
فريق في الثواب وفريق في العقاب فريق للوفاق وفريق للتلاق فريق في البوار والخسار
وفريق في الرياض والانهار فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات
والارض وعشيا وحين تظهرون خبر في معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه في هذه
الاوقات التي تظهر فيها قدرته وتتجدد فيها نعمته وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح
لان آثار القدرة والعظمة فيهما اظهر حيث يتبدل احد الضدين بالآخر كما ورد في الخبر
سبحان الله اين الليل اذا جاء النهار وتخصيص الحمد بالعشي والظهيرة لان تجدد النعم فيهما
اكثر وجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وجملة وله الحمد في السموات والارض
اعتراضا ويؤيده ما روى عن ابن عباس رض ان الآية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلوة المغرب

والعشاء

والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر ولذا زعم الحسن
البصري ان الآية مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين في اى وقت اتفقت
وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر ان الخمس فرضت بمكة كما دل عليه حديث الاسراء قال
جعفر الصادق بابه فابدأ في صباحك وبه فاختم في مسائك فمن كان به ابتداؤه واليه
انتهاؤه لا يشقى فيما بينهما وافاد الاستاذ ان من كان صباحه بالله بورك له في يومه ومن كان
مساؤه بالله بورك له في ليله وان صباحا تلتقي في مسائه صباح على قلب الغريب حبيب
فشتان بين عبد صباحه مفتتح بعبادته ومساؤه مختتم بطاعته وبين عبد صباحه مفتتح
بشهادته ورواحه مفتتح بعزيز قربه ويقال اراد الحق من اوليائه ان يجدد العهد في اليوم
والليلة خمس مرات فتقف على بساط المناجاة وتستدرك فيما بين الصلاتين من
طوارق الغفلات ولواحق الزلات يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطائر
من البيضة ويخرج الميت اى النطفة والبيضة من الحي ويحيي الارض بالنبات بعد موتها
يبسها وكذلك تخرجون من قبوركم فيها وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وضم الراء قال
بعضهم يخرج اولياءه من بين اعدائه ويخرج اعداءه من بين اوليائه لئلا يعتمد ولي على
ولايته ولا يقنط عدو في عداوته وقال الاستاذ يخرج المؤمن من الكافر والكافر من
المؤمن ويظهر اوقات البسط من اوقات القبض ومن بين اوقات البسط ويحيي الارض
بالمطر بعد موتها وقت الربيع بعد وحشة الشتاء وكذلك النشور والاحياء بعد الموت
والفناء ومن آياته ان خلقكم من تراب اى في اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه في الابتداء
ثم اذا انتم بشر تنتشرون في الانتهاء وفيه ايماء الى ما قاله بعض اولي الالباب ما للتراب
ورب الارباب قال القاسم بين انه متولي خلقه وان خلقه اياهم من جماد لا حركة له دلالة على حكمة
خالقه لانه ليس من طبعه ان ينتشر لنفسه ذكر ذلك لئلا يعتمد العبد بشيء من اعماله ولا ينظر الى شيء
سوى ربه وافعاله وافاد الاستاذ انه سبحانه ذكرهم نسبهم لئلا يعجبوا بحالتهم ويقال الاصل
التربة ولكن العبرة بالتربة القيمة لا ما منه اصطفى الاعيان المخلوقة واختار الكعبة فهي افضل
من الجنة والجنة ياقوت وجوهر والبيت حجر والبيت مختاره والمؤمن مختاره وهذا المختار
حجر وهذا المختار مدر وهو الغني لذاته منزه عن كل غير وغير ورسم واثر ومن آياته ان خلق
لكم من انفسكم ازواجا من جنسكم نساء لتسكنوا لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية
علة الضم وجعل بينكم اى بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس من الجن والانس مودة
محبة ورحمة بخلاف سائر الحيوانات نظاما لامر المعيشة ان في ذلك لآيات لقوم
يتفكرون فيعلمون ما في ذلك من انواع الحكمة وافاد الاستاذ انه سبحانه رد المثل الى المثل
وربط الشكل وجعل سكون البعض الى الآخر ولكن ذلك للاشباح والصور واما الارواح
فصحبتها للاشباح كره لا طوع واما الاسرار فمعتقة لا تساكن الاطلال ولا تدنس بالاظلال
ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل طائفة لغتها والهمهم

الیها او الهمهم وضعها واقدرهم علیها او اجناس اصواتکم بتفاوت نغماتکم والوانکم
من بیاض الجلود وسوادها وتخطیطات الاعضاء وهیئاتها واشکالها حتی ان التوأمین
مع اتفاق موادهما واسبابهما یختلفان فی شیء من ذلک لا محالة فی بابهما ان فی ذلک
لآیات للعالمین وقرأ حفص بکسر اللام ویؤیده قوله وما یعقلها الا العالمون وافاد
الاستاد ان السموات فی علوها والارض فی دنوها هذه بنجومها وکواکبها وهذه باطوارها
ومناکبها وهذه بشمسها وقمرها وهذه بجانبها ومدرها واختلاف لغات اهلها فی الارض
واختلاف تسبیحات الملائکة الذین هم سکان السماء فاختصاص کل شیء من هذه
ببعض جائزات حکمها شاهد عدل ودلیل صدق ینادی افکار المستنطقین بیانا
علی انفسها انها باجمعها من تقدیر العزیز الحکیم ومن آیاته منامکم باللیل والنهار
وابتغاؤکم من فضله منامکم فی الزمانین لاستراحة القوی الظاهرة النفسیة
وقوة القوی الباطنة الطبیعیة وطلب معاشکم فیهما من الامور الضروریة او منامکم
باللیل وابتغاؤکم بالنهار علی جری العادة الغالبیة ان فی ذلک لآیات لقوم
یسمعون سماع تفهم وتفکر وتأمل وتدبر وافاد الاستاد ان غلبة النوم بغیر اختیار
صاحبه ثم انتباهه من غیر اکتساب له فی وسعه یدل علی موته ثم بعثه بعد ذلک وقت
نشوره ثم فی حال منامه یری ما یسره ویضره وعلی اوصاف کثیرة امره کذلک المیت
فی قبره الله اعلم کیف حاله فی امره ما یلقاه من خیره وشره ونفعه وضره ومن آیاته
یریکم البرق ای اراءتکم البرق خوفا للمسافر وطمعا للمجاور وینزل من السماء
وقرأ ابن کثیر وابو عمرو بالتخفیف فیحیی به الارض بانباتها بعد موتها بیبسها
ان فی ذلک لآیات لقوم یعقلون یتدبرون فی استنباط اسبابها وکیفیة تکونها
فی ابوابها لیظهر لهم جمال قدرته وکمال حکمته وافاد الاستاد انه سبحانه یلقی فی
القلوب من الرجاء والتوقع فی الاحوال ثم یختلف بهم الحال فی المآل فمن عبد بحصیل
مقصوده ومن آخر لا یتفق مراده والاحوال الشریفة کالبروق للطیفة وقالوا
انها اول لوائح ثم لوامع ثم طوالع ثم شوارق ثم متوع النهار فاللوائح فی اوائل
العلوم واللوامع من حیث الفهوم والطوالع من حیث المعارف والشوارق من
حیث التوحید ومن آیاته ان تقوم السماء والارض بامره ای قیامها باقامته
لها وارادته لقیامها فی حیزهما والتعبیر بالامر للمبالغة فی کمال القدرة والغنی
عن الآلة ثم اذا دعاکم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون ای ثم خروجکم من قبورکم
اذا دعاکم دعوة واحدة فیقول ایها الموتی اخرجوا الی معرض المولی وقال الاستاد
یعنی هذه الادوار ویغیر هذه الاطوار ویبدل هذه الاحوال امانة ثم احیاء واعادة
وقبلها ابداء وقبر ثم نشر معاتبة فی القبر ثم محاسبة بعد النشر وله من فی
السموات والارض کل له قانتون منقادون لربه لا یمتنعون علیه وعن ابن

عباس

عباس مطیعون طاعة الارادة وان عصوا امره فی العبادة وقال الاستاد له
ذلک ملکا ومنه تلک الاشیاء بدءا وبه ایجادا والیه رجوعا وهو الذی یبدؤا
الخلق فی انشائهم ثم یعیده بعد افنائهم وهو اهون علیه ای والاعادة اسهل علیه
من الاصل بزعمکم وظنکم وتقدیرکم بالاضافة الی قدرکم والا فهما علیه سواء ولذلک
قیل الهاء من علیه عائد للخلق والمعنی ان العود هو الخلق الاتی اسهل من الخلق
الذی یجیء وقیل اهون بمعنی هین وتذکیر هو لاهون وله المثل الوصف العجیب الشان
الغریب البرهان کالقدرة العامة والحکمة التامة الاعلی الذی لیس لغیره ما یساویه
او یدانیه تعالی فی السموات والارض فی عالم العلویات والسفلیات من الممکنات
وهو العزیز القادر الذی لا یعجز عن ابداء ممکن واعادته الحکیم الذی یجری الافعال
علی مقتضی حکمته وقال الاستاد له الصفة العلیا فی الوجود بحق القدم وفی الجود بنعت
الکرم وفی القدرة بوصف الشمول وفی النصرة بوصف الکمال وفی العلم بعموم التعلق وفی
الحکم بوجوب التحقق وفی المشیة بوصف البلوغ وفی القضیة بحکم النفوذ وفی الجبروت
بنعت العز والجلال وفی الملکوت بوصف المجد والجمال ضرب لکم بین لکم ربکم مثلا من
انفسکم مأخوذا من احوالها التی هی اقرب الامور الیکم هل لکم مما ملکت ایمانکم
مع انهم بشر مثلکم من شرکاء فیما رزقناکم من المال والمنال فانتم فیه سواء فی الاحوال
تخافونهم من تصرفهم کخیفتکم انفسکم ای من شرکائکم کذلک نفصل الآیات نبینها
فان التمثیل یکشف المعانی ویوضحها لقوم یعقلون یستعملون عقولهم فی تدبر الامثال
المضروبة لهم وقال الاستاد ای اذا کان لکم ممالیک لا ترضون بالمساواة بینکم وبینهم
وانتم بکل وجه متشاکلون لهم الا انکم بحکم الشرع مالکهم فما تقولون فی الذی لم یزل ولا یزال
کما لم یزل هل یجوز ان یقدر فی وصفه ان یساویه عبده او یکون شریکه مملوکه تعالی الله
عما یقولون علوا کبیرا بل اتبع الذین ظلموا انفسهم باشراکهم اهواءهم بغیر علم من دلیل
عقلی وبرهان نقلی فمن یهدی من اضل الله لمن یقدر علی هدایته سواه وما لهم من ناصرین
یخلصونهم من الضلالة ویحفظونهم عن الجهالة قال ابن عطاء الظالم من اتبع نفسه هواها
ومن فعل ذلک اعرض عن الحق ومن اعرض عن الحق حرم علیه الرجوع الی الحق فان الحق عزیز
والطریق الیه عزیز وافاد الاستاد ان اشد الظلم متابعة الهوی لانه قریب من شرک المولی
قال تعالی افرأیت من اتخذ الهه هواه فمن اتبع هواه خالف رضا مولاه فهو بوضعه الشیء غیر
موضعه صار ظالما لنفسه کما ان العاصی ظالم بوضعه المعصیة موضع الطاعة کذا هذا بمتابعة
هواه بدلا عن موافقته رضا مولاه حصل فی الظلم مقاربا فی دنیاه وعقباه فاقم وجهک
للدین اقبل بکلیتک الیه واستقامتک علیه حنیفا مائلا عن سائر الادیان معتکفا لدیه
وفی تفسیر السلمی مقبلا علی الله معرضا عما سواه فطرت الله ای خلقة الله او الزموا فطرة الله
التی فطر الناس علیها وهی ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا علیه ادی بهم الیها لا تبدیل

لخلق الله اي لا تبدلوا خلقته ولا تغيروا فطرته ذلك الدين القيم المستقيم الذي لا عوج فيه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما يوافقه ولا ما ينافيه وقال الاستاد في قوله فاقم وجهك خلص
قصدك الى الله واحفظ عهدك مع الله وافرد عملك في سكناتك وحركاتك وجميع تصرفاتك
لله حنيفا مستقيما في دينه مائلا اليه ومعرضا عن غيره فالزم فطرة اثبتهم قبل ان يوجد منهم
فعل ولا كسب ولا شرك ولا كفر فكما ليس منهم ايمان ولا احسان ولا كفران ولا عصيان فاعرف
هذه الجملة من حاله ثم افعل ما امر به واحذر ما نهى عنه تجردهم عن افعالهم ثم اتصافهم بما
من احوالهم وان كان ذلك ايضا بتقديره لهم ويقال انه فطر كل احد على ما علم انه يكون
عليه من السعادة والشقاوة لديه لا تبديل لحكمه ولا تحويل لما فطرهم عليه فمن علم انه يكون سعيدا
اراد سعادته واخبر عن سعادته وخلقه في حكمه سعيدا ومن علم شقاوته اراد ان يكون شقيا واخبر
عن شقاوته وخلقه في حكمه شقيا ولا تبديل لحكمه ولا تحويل لامره وهذا هو الدين المستقيم والطريق
القويم منيبين اليه حال كونكم راجعين الى امره منقطعين الى ذكره مشتغلين بشكره واتقوه
اي عقابه وخافوا حسابه واقيموا الصلوة التي هي ام العبادات وناهية للسيئات ولا تكونوا
من المشركين في الطاعات وقال الاستاد راجعين الى الله بالكلية من غير ان يبقى البقية
متصفين بوفائه منحرفين بكل وجه عن خلافه وشقاقه متقين صغير الاثم وكبيره قليله وكثيره
مقيمين للصلوة باركانها وسننها وآدابها جهرا متحققين باعاة فضائلها سرا من الذين
فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه من شركائهم على اختلاف هواهم
وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا ان يبنوا عليه يقينهم وكانوا شيعا
فرقا تشايع كل فرقة امامها الذي اصل دينها وتقدم امامها كل حزب بما لديهم فرحون كل فرقة
بما عندهم من العلم مسرورون ظنا منهم بانهم على الحق فيما بينهم وفرح المؤمنون بربهم
ودينهم الذي ارتضى لهم وافاد الاستاد انهم اقاموا في دنياهم في خمار الغفلة وغبار الجهل والظن
وركنوا الى ظنونهم واوهامهم واستوطنوا مراكب اوهامهم وتملوا من كيس غيرهم وظنوا
انهم على شيء في امرهم فاذا انكشف ضباب وقتهم وانقشع سحاب جهدهم انقلب فرحهم
ترحا واستيقنوا انهم كانوا في الضلالة ولم يعرجوا الا في اوطان الجهالة واذا مس الناس
ضر شدة ومحنة دعوا ربهم منيبين اليه مقبلين عليه وراجعين من دعاء غيرهم اليه
ثم اذا اذاقهم منه رحمة كشف شدة وضعف نعمة اذا فريق منهم بربهم يشركون شركا جليا
او خفيا بحسب مراتبهم وافاد الاستاد انهم اذا اظلتهم المحنة ونالتهم الفتنة ومستهم البلية
رجعوا الى الله بالكلية من فضله مستغيثين بلطفه مستجيرين عن محنتهم مستكشفين فاذا
جاد عليهم بكشف ما نالهم ونظر اليهم بلطف ما اصابهم اذا فريق منهم لا كلهم بربهم
يشركون يعودون الى عاداتهم المذمومة في الكفران وقابلوا احسانه بالنسيان فهؤلاء ليس لهم
عهد ولا وفاء ولا في مودتهم صفاء ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة او للتهديد بالموافقة
ويؤيده قوله فتمتعوا على انه التفت فيه للمبالغة فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم ووخامة توسعكم

وقال الاستاد اي عن قريب سيجدث بهم مثل ما اصابهم ثم انهم يعودون الى راس الفرع وبناء
ما كانوا عليه بدءا من التخنع فاذا اشكاهم وعافاهم رجعوا الى راس خطاياهم ام انزلنا
عليهم سلطانا حجة وبرهانا فهو يتكلم تكلم دلالة من غير آلة بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته
وقال الاستاد تبين انهم بنوا على غير اصل طريقتهم واتبعوا فيما ابتدعوا اهواءهم
وعلى غير شرع وبيان وحجة وبرهان استسوا مذاهبهم واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة
ونعمة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة ومشقة ومحنة بما قدمت
ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجاءوا القنوط من رحمته واليأس من نعمته وقال
الاستاد تستميلهم طوارق حالاتهم الى طرق زلاتهم ان كان نعمة فالى فرح وان كان شدة
فالى قنوط وترح وليس وصف الاكابر كذلك قال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما آتاكم اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء فما لهم لم يشكروا في السراء ولم يصبروا
في الضراء ان في ذلك ما ذكر من الضيق والسعة لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها
على كمال القدرة والحكمة قال الشاعر نكد الاريب وطيب عيش الجاهل قد ارشداك الى الحكيم
الكامل وافاد الاستاد ان الاشارة في الآية ان لا يعلق العبد قلبه الا بالله لان ما يسوءهم
ليس زواله الا من الله وما يسرهم ليس كماله الا من الله فالبسط الذي يسرهم ويونسهم منه
وجوده والقبض الذي يسوءهم ويوحشهم منه حصوله فالواجب لزوم عقوبة بالاسرار
وقطع الافكار عن الاغيار فآت ذا القربى حقه كصلة الرحم وشفقة المحارم والمسكين
وابن السبيل بالاحسان اليهما والشفقة عليهما والخطاب للنبي عليه السلام او لمن
بسط له في الانعام ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته او رضاه اي يقصدون
بمعروفهم اياه واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم في الدنيا ما توسلوا به
الى النعيم المقيم في العقبى واختاروا الباقية وبدلوا الفانية وافاد الاستاد ان القرابة
على قسمين قرابة النسب والطين وقرابة الحسب والدين وقرابة الدين امس وبالمواساة
احق واحسن فاذا كان الرجل مشتغلا بالعبادة غير متفرغ لطلب المعيشة فالذي له
ايقان بحاله واشراف على وقته وكماله يجب عليه ان يقوم بشانه بقدر امكانه مما يكون له عون
على طاعة وفراغ قلب عن حديث عيلته فان كان اشتغال الرجل بشيء من مراعاة القلب
لحفظه اكد وتصرفه اوجب ثم المريد هو الذي يؤثر حق الله على حظ نفسه فهمته بالاحسان
الى ذوي القربى والمساكين يتقدم على نظره لنفسه وعيلته وما يهمه من قوته وما آتيتم
من ربا اعطيتم من زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة في المقابلة
بالمجاملة وقرأ ابن كثير بالقصر اي ما فعلتم به من اعطاء ربا ليربوا في اموال الناس
ليزيد ويزكو وقرأ نافع بضم التاء والباء اي لتزيدوا في اموالهم وتكثروا في اموالهم
فلا يربوا عند الله فلا يزكوا عنده ولا يبارك له لانه محرمة والخلوه عن مثوبة وما آتيتم
من زكوة صدقة تريدون وجه الله تقصدون رضاه فاولئك هم المضعفون الذين

ضعفوا ببركة الصدقة ثواب اعمالهم وزيادة اموالهم وافاد الاستاذ ان من يريد وجه الله
ورضاه لا يستخدم الفقير لما يبره به من رفقه وعطاه بل افضل الصدقة على ذي رحم كاشح فمن
يكون باعطائه منتظرا عن كل نصيب له فيه فهؤلاء هم الذين يضاعف اجورهم فهم هم
لنفسهم وفورهم بالعوض من فضل ربهم ثم الزكوة هي تطهير في اللغة فتطهير المال معلوم
ببيان الشريعة كيفية وكمية باخراج الزكوة في اصناف المال واوصاف الحال وزكوة
البدن وزكوة القلب وزكوة السر كل ذلك يجب القيام به لارباب الكمال الله الذي خلقكم ثم
رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم فيه ايماء الى ان العباد مفتقرون الى الله سبحانه بالايجاد والامداد
في المعاش والمعاد هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اي من الخلق والرزق ابتداء
ومن الاماتة والاعادة انتهاء سبحانه وتعالى عما يشركون اي عما يعدونه شركاء قال
الحسين خلقكم بقدرته ورزقكم معرفته واماتكم عن الاسباب واحياكم به وقال سهل افضل
رزق العبد سكونه الى رازقه اي واعتماده على خالقه وافاد الاستاذ ان ثم لم يقتضي
التراخي وفيه اشارة الى انه ليس من ضرورة خلقه اياك ان يرزقك اذ ضعف
احوالك ابتداء ما خلقك فانبتك واحياك من غير حاجة لك الى رزق فالى ان
خرجت من بطن امك اما ان كان يغنيك عن الرزق وانت جنين في بطن
الام ولم يكن لك لا اكل ولا شرب واما ان كان يعطيك ما يكفيك من الرزق
ان حق ما قالوا من انه يغتذي الجنين بدم الطمث واذا اخرجك من بطن امك
رزقك على الوجه المعهود في المعلوم للانام تيسر لك اسباب الاكل والشرب
من لبن الام ثم فنون الطعام ثم ارزاق القلوب والسرائر من الايمان والعرفان
وارزاق التوفيق من الطاعات والعبادات ثم يميتكم بسقوط شهواتكم
ويميتكم عن مشاهداتكم ثم يحييكم بحيوة قلوبكم ثم بان يحييكم بربكم ويقال من الارزاق
ما هو وجود الارفاق ومنها ما هو شهود الرزاق ويقال لا مكنة لك في تبديل
خلقك فكذا لا قدرة لك على تغيير رزقك فالموسع عليه رزقه بفضله
لا لمناقب نفسه والمقتر عليه رزقه بحكمه لا لمعائب نفسه هل من شركائكم
الذين اثبتموه اما من الاصنام او مما توهمتم من جملة الانام من يفعل من ذلكم
من شيء سبحانه وتعالى تنزيها له وتقديسا عما يشركون ظهر الفساد في البر والبحر
كالغلاء والوباء وكثرة الحرق والغرق ومحق البركات وظهور الظلمات من الظلم
والضلالات بما كسبت ايدي الناس بشؤم معاصيهم الناشئة عن الغفلات
ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزاء السيئات فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او
العاقبة وقرأ قنبل لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عن الغفلة الى التوبة قيل المراد
بالبر والبحر الظاهر والباطن ذكره السلمي وافاد الاستاذ ان الاشارة من البر
الى النفس ومن البحر الى القلب وفساد البر باكل الحرام وارتكاب المحظورات وفساد

البحر

البحر من الغفلة والاوصاف الذميمة مثل سوء العزم والحسد والحقد وارادة الشر فيه
وسائر المعصية والخواطر الردية وعقد الاصرار على المخالفات من اعظم الفسادات
كان العزم على الخيرات قبل فعلها من اعظم الخيرات ومن جملة الفساد التأويلات
بغير حق والانحطاط الى الرخص من غير قيام بجد وجهد والاغراق في الدعاوي من غير استحياء
من الله المتعال وقوله لنذيقهم بعض الذي عملوا من سقوط تعظيم الشرع من القلب
والتأسف على ما فاته من الحق للرب قل سيروا في الارض بقوالبكم او بقلوبكم فانظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا مصداق ذلك وتحققوا الصدق ما هنالك
كان اكثرهم مشركين قال الاستاذ سيروا بالاعتبار واطلبوا الحق بنعت الافكار وانظروا
كيف كان حال من تقدمكم من الاشكال والامثال وقيسوا عليها حالكم في جميع الاحوال
كانوا اكثر منهم عددا واقلهم وزنا وقدرا فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة
من قبل ان يأتي يوم هو يوم القيمة لا مرد له من الله لا يقدر ان يرده احد سواه فالجار
يتعلق بيأتي وجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر يحمل على فعله والمعنى لا يرده الله
لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون اصله يتصدعون اي يتفرقون
فريق في الجنة والنعمة وفريق في السعير والنقمة كما اشار اليه بقوله من كفر
فعليه كفره اي وباله من النار الموقدة المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
يسوون منازل علية في الجنة السرمدة ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله
الذي انه لا يحب الكافرين فيعاملهم بعدله الذي حكم عليهم بعقوبته
قال سهل قوام الدين بشيء واحد هو اتباع الاوامر ولزوم السنة واقتفاء الاكابر
وقال الفضيل بن عياض قوام الدين بشيئين الاتباع وترك الابتداع وقال
الاستاذ اخلص قصدك وصدق عزمك للدين القيم بالموافقة والاتباع دون
الاستبداد بالامر على وجه الابتداع ومن لم يتأدب بمن هو امام وقته ولم يتلقف
الاذكار ممن هو لسان وقته كان ضرره اتم من ربحه ونقصانه اعم من نفعه
ومن آياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما
الدبور فريح العقوبة ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها
ريحا رواه الشافعي والطبراني وغيرهما مبشرات بالمطر ليرزقكم من نعمته وليذيقكم
من رحمته من المنافع المتتابعة ولتجري الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعني
تجارة البحر ولعلكم تشكرون نعمة البحر والبر قيل رياح القدس تبشر بمنازل
الانس وقال الاستاذ يرسل رياح الرجاء على قلوب العباد فيسكن قلوبهم
عن عناء الحين وعناء الياس ثم يرسل عليها امطار التوفيق فيحملهم
الى بساط الجهد ويلزمهم بقوى النشاط ويرسل رياح البسط على الارواح
فيطهرها من وحشة القبض وينشر فيها لذاذات الوصال ويرسل رياح التوحيد

فهبت على اسرار الاصفيآء وتطهرها عن آثار الاغيار وتنشرها بدوام الاقبال
فذلك ارتياح به ولكن بعد احتياج عنك ولقد ارسلنا من قبلك رسلا
الى قومهم فجاؤهم بالبينات فآمنوا به بعضهم فانتقمنا من الذين اجرموا
كفروا منهم وكان حقا علينا بمقتضى الوعد لدينا نصر المؤمنين المخلصين
الينا فى الدنيا والاخرى والجملة اعتراضية جاءت تسلية للرسول عليه
السلام وتأنيسا له فى مقام الوصول الاكرم ووعدا بالنصر له واتباعه ووعيدا
لاهل الكفر واشياعه وقال الاستاد اى ارسلنا رسلا الى عبادنا فمن قابلهم
بالتصديق وصل الى خلاصة التحقيق ومن عارضهم بالجحود اذقناهم عذاب الخلود
فانتقمنا من الذين اجرموا اخذناهم من حيث لم يحتسبوا وشوشنا عليهم
ما املوا ونقضنا عليهم ما استطابوا وتنعموا واخذنا بخناقهم فحاق بهم ما مكروا
وكان حقا علينا نصر المؤمنين وطيبهم اعداءهم باعقابهم فلم يلبثوا الا يسيرا
حتى رقيناهم فوق رقابهم خربنا اوطانهم وهدمنا مبانيهم واخمدنا نيرانهم
وعطلنا عنهم ديارهم ومحونا بقهر التدمير آثارهم فظلت شموسهم كاسفة وملبدة
قهرنا لهم باجمعهم خاسفة الله الذى يرسل الرياح وقراء ابن كثير وحمزة والكسائى
الريح على ارادة الجنس فتثير سحابا فيبسطه اى متصلا تارة فى السماء فى سمتها
وجهتها كيف يشاء سائرا وواقفا مطبقا اوغير مطبق من افق دون افق
ويجعله كسفا قطعا تارة اخرى كيف يشاء فترى الودق المطر يخرج من خلاله
اذا شاء ومتى شاء فاذا اصاب به من يشاء من عباده يعنى اراضى بلاده اذاهم
يستبشرون يفرحون منبسطين وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم الودق
من اقطاره من قبله اى قبل استبشارهم بامطاره لمبلسين متحيرين آيسين
وافاد الاستاد انه سبحانه يرسل رياح عطفه وجوده مبشرات بوصوله ووجوده ثم يمطر
جود غيثه على اسرارهم بلطفه ويطوى بساط الحشمة عن ساحات قربه ويضرب قباب
الهيبة بمشاهد كشفه وينثر عليهم ازهار انسه ثم يتجلى لهم بحقايق قدسه ويسقيهم
بيده شراب حبه وبعد ما محاهم عن اوصافهم اصحاهم لا بهم ولكن بنفسه فالعبارات
عن ذلك خرس والاشارات فيها طمس فانظروا الى آثار رحمة الله اثر الغيث من
النبات والاشجار وانواع الازهار والثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائى
وحفص كيف يحيى الارض بعد موتها بانباتها بعد جفاف نباتها ان ذلك اى الذى
قدر على احيآء الارض بعد موتها بالنبات لمحيى الموتى لقادر على احياءهم كما قدر على ابدائهم
وهو على كل شئ قدير من امور الابتدآء والانتهآء وفى تفسير السلمى ان ذلك لمحيى الموتى
الانفس الميتة بالشهوات والقلوب الميتة بالغفلات بانوار معرفته وآثار هدايته وقال
الاستاد فانظر الى اثر رحمة الله كيف يحيى الارض بازهارها وانوارها عند تجلى اطوارها يخرج

زرعها واثمارها ويحيى النفوس بعد نفرتها فيوفقها للخيرات بعد فترتها فيعمرا وطان
الوفاق بصادق اقدامهم فيندفع البلايا عن الانام ببركات ايامهم ويحيى القلوب
بعد غفلتها بانوار المحاضرات فتعود الى استدامة الذكر بحسن المراعاة ويهتدى بانوار
اهلها اهل العصر من اصحاب الارادات ويحيى الارواح بعد حجبتها بانوار المشاهدات فتطلع
شموسها عن بروج السعادات ويتصل بشام اسرار الكافة نسيم ما يفيض عليهم من
الزيادات فلا يبقى صاحب نفس الا حظى منه بنصيب من الواردات ويحيى الاسرار
وما كان لها الا وفقد فى بعض الحالات فتستفنى بالكلية آثار الغيرية ولا يبقى فى الدار
ديار ولا من سكانها آثار وسطوات الحقايق لا يثبت لها ذرة من صفات الخلايق
هنالك الولاية لله سقط المآء والقطرة وطاح الرسوم والجملة ولئن ارسلنا ريحا
فراوه مصفرا الضمير للزرع والاثر لما دل عليه ما سبق من الخبر او للسحاب فانه
اذا اصفر دل على عدم المطر لظلوا من بعده يكفرون بخالق القوى والقدر والاية
ناعية على الكفار بقلة تفكرهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم وسوء تقلقلهم فان
النظر السوى يقتضى ان يتوكلوا على ربهم ويلتجئوا اليه بالاستغفار والاعتذار اذا احتبس
القطر عنهم ولا ييأسوا من رحمته وان يبادروا الى شكره والاستدامة بطاعته اذا
اصابهم نعمته وان يصبروا على بلائه واصابة محنته وشدته فانك لا تسمع الموتى فهم مثلهم
لما سد عن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ولو برفع الصوت
فى النداء او بالاشارة والايماء وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم الناشئة عن
جهالتهم وسماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقى من الابصار او لعمى قلوبهم من الابصار
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور التى هى منابع الاسرار ومعادن
الانوار ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم بها يدعوهم الى تلقى المبنى وتدبر
المعنى فهم مسلمون مستسلمون بكل ما جرى قال ابن عطا لمن يسمع دعاءك الا من
اسمعناه فى الازل خطابنا ووفقناه بجواب الخطاب على وجه الصواب وافاد الاستاد
ان من فقد الحيوة الاصلية لم يعش بالتميمة والرقية واذا كان فى السريرة طرش عن سماع
الحقيقة فسمع الظاهر لا يفيد الا تاكيد الحجة وكما لم يسمع الصم الدعآء فلم يمكنه ان يهدى
العمى عن ضلالتهم بالنداء الله الذى خلقكم من ضعف اى ابتداكم ضعفاء فى اصل
خلقكم وجعل الضعف اساس امركم او خلقكم من مادة ضعيفة هو النطفة اللطيفة
على خلاف انها النجسة او النظيفة ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك اذا بلغتم الحلم وقت
قوة الاشباح او حين تعلق بابدانكم الارواح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة وهو
العليم القدير كامل العلم تام القدرة قال الواسطى خلق خلقه بحيث لا يمكن ان يجر
نفعا او يدفع ضرا اسير جوعة وصريع شبعة ورهين شهوته لا ينفك منها الا المعصومين
بفضل الله ورحمته وافاد الاستاد انه سبحانه اظهر الانسان على وصف ضعف الصغر

لابن عباد بفتحة [illegible] وفتح عاصم بخلاف عنه
من رواية حفص فتحة الضاد وتبعها
[illegible] من ضعف وقوة و
شيبة صح

ثم بعده قوة الشباب والكبر ثم ضعف الشيب والعبر آخر العمر ما نرى من القمر والتجدد والنزى كذلك فى ابتداء امرهم يظهرهم على وصف ضعف البداية فى نعت التردد والتحير فى طلب الهداية ثم بعده قوة الوصل والعناية ثم ضعف التوحيد فى النهاية ويقال خلقكم من ضعف اى على حال ضعف من حيث الحاجة ثم بعده قوة الوجود وقدر المكنة ثم بعده ضعف المسكنة ويوم تقوم الساعة القيامة لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا وهى فى يوم الجمعة او لانها تقع بغتة فى مبداء العاقبة وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم المجرمون يحلفون ما لبثوا فى الدنيا او فى البرزخ ما بين الاولى والاخرى غير ساعة استقلوا مدة لبثهم فى الدنيا اضافة الى مدة عذابهم المتوقع ومكثهم فى العقبى كذلك مثل هذا الصرف عن التحقيق كانوا يؤفكون يصرفون عن طريق التوفيق وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الانس والجان وملائكة الرحمن لقد لبثتم فى كتاب الله اى معلومه او مقضية فيكم او ما كتبه واوجبه لكم الى يوم البعث ردوا بذلك سبق مقالهم وظنهم بحالهم فهذا يوم البعث الذى انتم به منكرون ولكنكم كنتم لا تعلمون حيث كنتم به تكفرون فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم او يعتذرون وقراء الكوفيون بالتذكير ولا هم يستعتبون لا يدعون الى طلبهم ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه قبل قيام الساعة ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل يحصل لهم به الاستيناس والمعنى بينا لهم من كل مثل ينبههم على التوحيد والبعث وصدق الرسل فيما اتاهم ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم وقساوة فؤادهم وفساد اعتقادهم ان انتم ايها الرسول والمؤمنون الا مبطلون مزورون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون الحق ولا يتبعون الصدق فاصبر على جهالهم وعماهم وعملهم وتحمل اذاهم ان وعد الله بنصرك واظهار دعوتك وغلبة ملتك حق والجازه صدق ولا يستخفنك لا يحملنك على القلق والخفة الذين لا يوقنون بيوم القيمة ووقت الندامة وحالة الملامة وافاد الاستاد ان قولهم ما لبثوا غير ساعة انما يكون ذلك لاحد امرين اما لانهم كانوا امواتا والميت لا احساس له بما يدرك اوقاتا او عددا ما لقوا من العذاب القبر ولو كان كثيرا او لاضافة الى ما يرون ذلك اليوم يسيرا وان اهل التحقيق يخبرونهم عن طول لبثهم تحت ارضهم وان ذلك الذى يقولونه من جملة ما كانوا يظهرون من تجددهم على موجب جهلهم ثم لا يسمع عذرهم ولا يرفع ضرهم واخبر تعالى بعد هذا الى آخر السورة عن اصرارهم وانهماكهم فى غيهم وان ذلك نصيبهم من القسمة الى آخر اعمارهم ثم ختم السورة

بامره

بامره عليه السلام من اصطباره على معاناة مسارهم ومضارهم سورة لقمن مكية وهى اربع وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله كلمة من سمعها اقرانه لم يسمع مثلها ومن عرفها انف ان يسمع غيرها كلمة من سمعها طلب قصته وزالت بكل وجه غصته وتمت له النعمى فى الدنيا والعقبى حصته زهد فى دنيا من غير رغبة فى عقباه الا بها وان جلت غير مولاه كلمة من سمعها لم يرغب فى عمارة فانه ولم يحتشم من سرعة فنائه وفنائه الم الالف تشير الى الائه واللام تشير الى لطفه وعطائه والميم اشارة الى مجده وسنائه فبآلائه رفع الحجب عن قلوب اوليائه وبلطف عطائه اثبت الحب فى اسرار اصفيائه وبمجده وسنائه استغنى عن جميع خلقه بوصف كبريائه تلك آيات الكتاب الحكيم الجامع للاحكام والحكمة والحاكم على سائر الكتب المنزلة المحكمة فى بيان الوقائع المفصلة هدى ورحمة للمحسنين حالان عن الآيات ورفعهما حمزة عن الخبر بعد الخبر او الخبر للمبتداء المقدر واراد بالمحسنين المؤمنين المتقين علما وعملا وقالا وحالا وافاد الاستاد هو هدى وبيان ورحمة وبرهان للمحسنين العارفين بالله والمقيمين لعبادة الله كانهم ينظرون الى الله يعنى كما ورد الاحسان ان تعبد الله كانك تراه قال وشرط المحسن ان يكون محسنا الى عباد الله دانيهم وقاصيهم ومطيعهم وعاصيهم الذين يقيمون الصلوة فى اوقات الصلوات ويؤتون الزكوة فى سبيل الخيرات وطلب المرضاة وبالآخرة هم يوقنون يستيقنون بما فيها من المجازات على الطاعات والسيئات بالمثوبات والعقوبات وقال الاستاد يأتون بشرائطها فى الظاهر من ستر العورة وتقديم الطهارة واستقبال القبلة والعلم بدخول الوقت والوقوف فى مكان طاهر وفى البواطن يأتون بشروطها من طهارة السر عن العلايق وستر عورة الباطن تنقيته عن العيوب لان ما كان فالله يراه فاذا اردت ان لا يرى الله عيوبك فاحذرها حتى لا تكون والوقوف على مكان طاهر وهو وقوف القلب على حد الذى اذن فى الوقوف فيه مما لا يكون دعوى بلا تحقيق بل رحم الله من وقف عند حده والمعرفة بالوقت فيعلم وقت التذلل والاستكانة ويتميز بينه وبين وقت السرور والبسط ويستقبل القبلة بنفسه ويعلق قلبه بالله من غير تخصيصه بقطر او مكان دون غيره اولئك على هدى من ربهم باهتداء قلوبهم واولئك هم المفلحون باصلاح قوالبهم وقال الاستاد اى الذين يقومون بشرائط صلواتهم وحق آداب عبادتهم هم الذين اهتدوا فى الدنيا وسلموا او نجوا فى العقبى ومن الناس من يشترى يختار لهو الحديث ما يلهى عما يعنى كالاحاديث التى لا اصل لها والاساطير التى لا اعتبار بها عن ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين كل كلام سوى كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الصالحين فهو لهو ليضل عباد الله عن سبيل الله متابعة دينه

دواره كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح اليآء اى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بالا للعاقبة فى مآله بغير علم بحاله لا فى ماضيه ولا فى استقباله ويتخذها هزوا ويتخذ السبيل بالرفع عطف على يشترى ونصبه حمزة والكسائى وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم طريق الحق اليقين بايثار الباطل فى امر الدين وافاد الاستاد ان لهو الحديث ما يشغل عن الله ذكره ويحجب عن الله سماعه وفكره واذا تتلى عليه اياتنا وتبين له مصنوعاتنا ولى ادبر معرضا عنها مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها ولا يلتفت اليها كان لم يسمعها كان فى اذنيه وقرا ثقلا يمنعه عن سماعها فبشره بعذاب اليم اخبره بعذاب مولم واعلمه بحجاب محكم وافاد الاستاد ان المقترف بنهمته والمتشبث بعلته لا يزيده كثرة الوعظ الا نفورا عن ربه وتباعدا عن قربه فسماعه كلا سماع ووعظه هبآء وضياع اذا انا عاتبت الملول فانما ▪ اخط باقلامى على المآء احرفا • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم فى دار المقيم خالدين فيها وعد الله حقا واخباره صدقا وهو العزيز الغالب على مراده الحكيم فيما اراد بعباده وقال الاستاد امنوا صدقوا وعملوا الصالحات حققوا فانضاف تحقيقهم الى تصديقهم فنجوا او سلموا فهم فى راحاتهم مقيمون دائمون لا يبرحون خلق السموات بغير عمد ترونها سبق فى الرعد بيانها والقى فى الارض رواسى جبالا ثوابت لكم ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السمآء مآء مطر الرحمة فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وفيه دلالة على كمال القدرة وتمام الحكمة وافاد الاستاد انه سبحانه امسكها بقدرته من غير عماد وحفظها لا الى اسناد ولا مشدود الى اوتاد بل بحكمه وتقديره ومشيئته وتدبيره والرواسى فى الظواهر الجبال وفى الحقيقة الابدال الذين هم الاوتاد من الرجال بهم يرزقهم ويسقيهم ويصرف البلآء عن دانيهم وقاصيهم وانزل من سمآء الظاهر فى رياض الحضرة ومن سمآء الباطن فى رياض اهل الدنو والحضرة هذا خلق الله هذا مخلوقه من عنده فارونى ماذا خلق الذين من دونه اى مما تعبدونه من غيره بل الظالمون المشركون فى الدين فى ضلال مبين وقال الاستاد هذا خلق الله العزيز فى كبريائه فارونى ماذا خلق الذين عبدتم من دونه فى ارضه وسمائه ولقد آتينا لقمن اى ابن باعوراء من اولاد آزر بن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك داود عليه السلام فى زمن نبوته واخذ منه العلم فى شريعته وكان يفتى قبل بعثته فلما بعث ترك الفتوى فقيل له فى ذلك فقال الا اكتفى اذا كفيت هنالك والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة فى عرف العلمآء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية على قدر طاقة البشرية وفى القنية ان الحكمة هى اتقان العلوم واعمال الشرعية ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدروع فلم يسأل عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم اى حكمة وقليل فاعله اى مستعمله ومنها انه

داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت فى يد غيرى ففكر داود عليه السلام فصعق صعقة ومنها انه امر بان يذبح شاة ويأتى باطيب مضغتين فاتى بهما ايضا فسئل عن ذلك فقال هما اطيب شئ اذا طابا واخبث شئ اذا خبثا ان اشكر بتقدير ان مصدرية او تفسيرية ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها من استحقاق مزيد النعمة • واستدامتها عليها ومن كفر فان الله غنى عن شكره غير مبال بكفره حميد محمود ينطق بحمده جميع خلقه اما بلسان القال او بلسان الحال قال ابو عثمان لا يكون الحكيم حكيما حتى يكون حكيما فى قوله حكيما فى فعله حكيما فى معاشرته باهله وقال السرى الشكر ان لا يعصى فى نعمه وقال جنيد الشكر ان لا يرى معه شريكا فى نعمه وقال الجريرى الشكر ان تحرس لسانك عن النطوع بالشكر علما بان اوسعه العجز وافاد الاستاد ان الحكمة هى الاصابة فى العقد والنطق والفعل ويقال الحكمة متابعة الطريق من حيث توفيق الحق لا من حيث همة النفس ويقال الحكمة ان لا يكون تحت سلطان الهوى والشهود ويقال الحكمة الكون بحكم من له الحكم ويقال الحكمة معرفة قدر نفسك حتى لا تمد رجلك خارجا عن كسائك ويقال الحكمة ان لا تستعصى على من تعلم انك لا تقاومه ثم حقيقة الشكر انفتاح عين القلب لشهود ملاطفات الرب فانه فى اللغة مقلوب قولهم كشرت عن اسنان الدابة ويقال الشكر تحققك بعجزك عن شكره ويقال الشكر حال يحصل بكمال استلذاذ النعمة ويقال الشكر فضلة تظهر على اللسان من امتلاء القلب من السرور فينطلق بمدح المشكور واذ قال لقمن لابنه اختلف فى اسمه يا بنى تصغير اشفاق لا تشرك بالله ما عداه ان الشرك لظلم عظيم فمن عصاه لانه تسوية بين لا نعمة منه وبين من لا يتصور ان يصدر نعمة عنه وافاد الاستاد ان الشرك الجلى عبادة الاصنام والخفى حسبان شئ من الحدثان فى الانام ويقال الشرك ظلم على القلب والمعاصى ظلم على النفس فظلم النفوس بعرض الغفران وظلم القلوب لا سبيل اليه للغفران ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا اى ذات وهن على وهن يعنى يضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها وفصاله فى عامين وفطامه فى انقضاء عامين وكانت مرضعة فى تلك المدة ان اشكر لى ولوالديك نعمة التربية عليك تفسير لوصينا والجملة المعترضة مؤكدة للتوصية فى حقها ولذا ورد بر امك ثم امك ثم اباك ولعل وجه زيادة الام بالمرات لاختصاصها بمشقة الحمل والوضع والرضاع ولا يبعد ان عدم ذكر الوضع من باب الظهور او الاكتفاء الى المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك على اليسير والكثير وعن ابن عيينة من صلى صلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا لوالديه فى ادبار الصلوات الخمس فقد شكر والديه وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم اى باستحقاقه والمراد بنفى العلم به نفى وجوده فلا تطعهما فى ذلك اذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق وصاحبهما فى الدنيا معروفا صحابا يرتضيه

حكم الشرع ويقتضيه كرم الطبع واتبع في امر الدين سبيل من اناب اليّ في باب
اليقين من التوحيد والاخلاص المبين ثم اليّ مرجعكم مرجعك ومرجعهما مع سائر
الخلق اجمعين فانبئكم بما كنتم تعملون فاجازيكم باعمالكم على حسب احوالكم وفي الآية ايماء
الى منع تجويز اقتداء الابناء بالآباء في غير طريق الانبياء قال عبد الله بن المبارك لا تقطع
ابويها عن مالك ولا تدع لنفسك معهما ملكا كذلك وقال بعضهم اجعل لهما ظاهرك
من الشفقة والخدمة واجعل باطنك له سبحانه من الطاعة والحرمة وقال الاستاذ اوجب الله
شكر نفسه وشكر الوالدين على عبده ولما حصل الاجال علم ان شكر الوالدين بدوام
طاعتهما ولا يكفي فيه مجرد القول ما لم يكن فيه موافقة الفعل وذلك بالتزام الطاعة
واستعمال النعمة في وجه الطاعة دون صرفها في الزلة فشكر الحق بالتعظيم والتكبير وشكر
الوالدين بالاشفاق والتوقير قال وان جاهداك على ان تشرك بي اي بالله وتسعى بما هو
زلة في امر الله فلا تطعهما ولكن عاشرهما بالجميل لحسن في تلوين فاجعل لهما ظاهرك
فيما ليس فيه حرج وانفرد بسترك لله حتى يا بنيّ فرج يا بنيّ انها اي الخصلة من الاحسان
او الاساءة ان تك مثقال حبة من خردل اي لحبة الخردل مثلا في صغر الجثة وقرأ
نافع برفع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال
الى الحبة او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة مجوفة او في السموات
العلوية او في الارض السفلية يأت بها الله يحضرها فيحاسب عليها ان الله لطيف
يصل علمه الى كل ما خفي عن غيره خبير عالم بكنهه وقال الاستاذ عالم بدقائق الامور
وخفياتها اي من ذوات الصدور يا بنيّ اقم الصلوة تكميلا لنفسك وأمر بالمعروف
وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من المهالك لا سيما في ذلك
ان ذلك اي الصبر او جميع ما سبق من الامر من عزم الامور مما عزمه واوجبه الله
من الامور التي قدره وقضاه وافاد الاستاذ ان الامر بالمعروف يكون بالقول
والبلغ ان يكون بامتناعك بنفسك عما تنهى عنه واشتغالك واتصافك بنفسك
بما تأمر به غيرك ومن لا حكم له على نفسه لا ينفذ حكمه على غيره والمعروف الذي يكون به
الامر ما يوصل العبد الى الله والمنكر الذي يجب النهي عنه ما يشغل العبد عن مولاه وفي قوله
واصبر على ما اصابك تنبيه على ان من قام لله يجرع المحن في الله فسبيله ان يصبر
لله فان من صبر لله لم يخسر على الله ولا تصعر خدك للناس لا تمل صفحة وجهك
عنهم كما يفعله المتكبرون بينهم وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي ولا تصاعر
ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا او فرحا ان الله لا يحب كل مختال ماش بالخيلاء
فخور مفتخر بماله وجاهه على الضعفاء وقال الاستاذ يعني لا تتكبر على الناس ولا
تطالعهم من حيث التشبه هناك وتحقق بانك تشهد مولاك ومن علم ان مولاه
ينظر اليه لا يتكبر ولا يتطاول بل يتخاضع ويتضاءل واقصد في مشيك توسط

فيه

فيه فان الاقتصاد في جميع المواد هو المراد واغضض من صوتك واخفض منه
وانقص عنه ان انكر الاصوات اوحشها لصوت الحمير من بين الحيوانات
فانه يبالغ في رفع صوته في جميع الحالات قال سفيان الثوري صوت كل شيء تسبيح
الرحمن الا صوت الحمير فانها تصيح برؤية الشيطان ولذا يكون منكرا ابلغ انكار وقال
الاستاذ كن فانيا عن شواهدك مصطلما عن صولك مأخوذا من حولك وقوتك
منتشقا بما استولى عليك من كشوفات سرك وانظر من الذي يسمع صوتك
حين تستفيق من خمار غفلتك وفي قوله ان انكر الاصوات من الاشارة انه الذي
يتكلم في لسان المعرفة قبل اوانه من اذن بالحق في شأنه الم تروا ان الله سخر لكم
ما في السموات وما في الارض بان جعلها اسبابا محصلة لمعاشكم وفق مرادكم
وميسرة لاخذ زادكم الى معادكم وقال الاستاذ اي انبت في كل شيء منها
نفعا لكم فالسماء لتكون لكم والارض لتكون لكم فراشا والشمس لتكون لكم سراجا
والقمر لتعلموا بها عدد السنين والحساب والنجوم لتهتدوا بها يعني وامثالها مما
لا يمكن احصاؤها واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة معروفة ومجهولة
وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة قيل النعم الظاهرة العافية والامان
والنعم الباطنة الرضوان والغفران وقال ابن عطا النعم الظاهرة الاسلام والنعم
الباطنة الايمان وقال ابو بكر الوراق النعم الظاهرة استواء الخلق والنعم الباطنة
اعتدال الخلق وقيل النعم الظاهرة صحبة اولياء الله والنعم الباطنة هي الرجوع
الى الله وافاد الاستاذ ان الاسباغ ما يفضل عن قدر الحاجة ولا يحتاج معه الى الزيادة
وتكلموا في النعم واكثروا فالظاهرة وجود النعمة والباطنة شهود المنعم الظاهرة الدنيوية
والباطنة الدينية الظاهرة حسن الخلق والباطنة حسن الخلق الظاهرة نفس بلا زلة
والباطنة قلب بلا غفلة الظاهرة العطاء والباطنة الرضاء الظاهرة في الاموال
ونمائها والباطنة في الاحوال وصفائها ويقال الظاهرة تسوية للخلق والباطنة
تصفية للخلق الظاهرة الزهد في الدنيا والباطنة الاكتفاء بالمولى من الدنيا والعقبى
الظاهرة الزهد والباطنة الوجد الظاهرة توفيق المجاهدة الباطنة تحقيق المشاهدة
الظاهرة اشتغالك بنفسك عن الخلق الباطنة اشتغالك عن نفسك بالحق
الظاهرة طلبه الباطنة وجوده الظاهرة ان تصل اليه الباطنة ان تبقى معه ومن
الناس من يجادل في الله في توحيد ذاته او تحقيق صفاته بغير علم مستفاد
من دليل معقول ولا هدى مستدل منقول راجع الى رسول ولا كتاب منير
انزله الحق الى الخلق واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله وبين فيه هداه قالوا بل نتبع
ما وجدنا عليه آباءنا اي سلفنا اولو كان الشيطان يدعوهم الضمير لهم او
لآبائهم الى عذاب السعير الى ما يؤول اليه من تقليد الآباء وترك متابعة الانبياء

وما انزل الله من السماء ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض امره اليه واقبل بكليته عليه فالاسلام
بمعنى التسليم ويؤيده قراءة الاعمش بتشديد اللام وهو محسن فى عمله فقد استمسك
بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه وحاضر لديه
ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك بل ضرره على نفسه الينا مرجعهم فى دنياهم واخراهم
فننبئهم بما عملوا فنخبرهم باعمالهم ونجازيهم بحسب احوالهم ان الله عليم بذات الصدور
فضلا عن ظواهر الامور نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول بالنسبة الى
ما يدوم قليل ولو قدر كثير وطويل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله اذ لا جواب لهم سواه قل الحمد لله على الزامهم الى الاعتراف بما ينقض
كلامهم بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك خلاف مرامهم لله ما فى السموات والارض لا يستحق
العبادة فيهما سواه ان الله هو الغنى عن عبادة العالمين الحميد المحمود على لسان الخلق
اجمعين وقال الاستاذ لم يخطوا منهم ولا من امثالهم ولم يهتدوا الى تحول احوالهم فان
من اسلم نفسه وخلص فى الله قصده فقد استمسك بالعروة الوثقى وسلك المحجة
المثلى ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا ايابهم ومنا عذابهم وعلينا حسابهم ولئن سألتهم
عن خالقهم لاقروا ولكن اذا عادوا الى غيهم نقضوا واصروا لله ما فى السموات والارض
ملكا ويجرى فيهم حكمه حقا واليه مرجعهم حكما حتما ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام ولو ثبت
كون الاشجار اقلاما والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مداد ممدود بسبعة ابحر
وكتبت بتلك الاقلام والمداد ابد الآباد ما نفدت كلمات الله اى احكامه وقضاياه
لتناهى مخلوقاته وعدم تناهى معلوماته ان الله عزيز لا يعجزه شئ فى قدرته حكيم لا يخرج امر
عن علمه وحكمته وقرأ ابو عمرو والبحر بالنصب عطفا على اسم ان وغيره بالرفع للعطف
على محل ان ومعموليها ويمده حال او للابتداء على انه مستأنف او الواو للحال وقال الاستاذ
ما نفدت معانى كلمات الله لان هذه الاشياء وان كثرت فهى متناهية ومعانى
كلامه لا تتناهى لانها قديمة اى ابدية وازلية هذا بيان العلم من حيث تحقيق العبارة واما
الاشارة فيه ما نفدت معانى ما لنا معك من الكلام والذى نسمعك فيما نخاطبك به
من المرام لانك معنا ابد الابد بوصف الدوام ونعت المدام ما خلقكم ولا بعثكم الا
كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها من غير تفرقة ولا احتياج الى معالجة كل على حدة
اذ لا يشغله شأن عن شأن فيستوى عنده الكثرة والوحدة حيث يكفى لوجود الكل تعلق
ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما اشار الى هذا المعنى المكنون بقوله انما امره لشئ اذا اراد
ان يقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع فى آن بصير يبصر كل مبصر فى كل
زمان ومكان لا يشغله شأن عن شأن وقال الاستاذ ان ايجاد القليل والكثير عنده
سيان لان من الكبير مشقة وعسر ولا من الصغير راحة ويسر انما قوله اذا اراد شيئا ان يقول له
كن فيكون يقول بكلمته وكلمة يكون بقدرته لا بمزاولة جهد ولا باستفراغ وسع ولا بدعاء

خاطر

خاطر ولا بطريان غرض الم تر ان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل سبق معناه
وسخر الشمس والقمر كل من النيرين يجرى فى فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معلوم لسيره
وان الله بما تعملون خبير عالم بكنه اعمالكم من كبير وصغير من قطمير ونقير ذلك ما ذكر
من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنعة وغرائب الحكمة بان الله هو الحق الكائن
الموجود المحقق ومحقق وجود الخلق المطلق وان ما تدعون من دونه الباطل المعدوم
فى حد ذاته والمضمحل فى آثار صفاته وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير ابى بكر بالغيبة وان الله
هو العلى شأنه الكبير سلطانه الم تر ان الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله اى اثر رحمته
ليريكم من آياته الدالة على جلال قدرته وكمال حكمته وشمول نعمته قال الاستاذ فى الظاهر سلامتهم
فى السفينة وفى الباطن سلامتهم فى حدثان الكون ونجاتهم فى سفائن العصمة فى بحار القدرة
ان فى ذلك لآيات لكل صبار فى المحن شكور على المنن كما هو نعت المؤمن فقد ورد
ان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر وقال الاستاذ صبار وقوف لا ينهزم من البلاء شكور
على ما يصيبه من تصاريف القضايا من جنسى البلايا والعطايا واذا غشيهم غطاهم
وعلاهم موج اى بعد موج كالظلل كما يظل من السحاب او الجبل دعوا الله مخلصين له
الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما اصابهم من الخوف الشديد فلما
نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على طريق القصد الذى هو التوحيد او الوجد او متوسط فى
الكفر لانزجاره بعض الزجر وما يجحد بآياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطرى او
للوعد البحرى كفور صاحب الكفر والكفران فهو فى مقابلة شكور كان ختار فى مقابلة
صبار لان الغدر لا يكون الا من عدم الصبر وقال الاستاذ اذا تلاطمت عليهم امواج
بحار التقدير واظهار القدرة تمنوا ان تنقذهم تلك البحار الى سواحل السلامة فاذا جاء
الحق بتحقيق مناهم عادوا الى رؤس خطاياهم يا ايها الناس اتقوا ربكم اى مخالفته والزموا
طاعته واخشوا يوما لا يجزى لا يقضى فيه والد عن ولده والمعنى لا يقدر على جلب نفعه
ولا سلب ضره ولا مولود عطف على والد او مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا من نفع
الغنى او رفع العنا ان وعد الله بالثواب والعقاب حق ثابت فى يوم الحساب
فلا تغرنكم الحيوة الدنيا عن القيام باهتمام امر العقبى فان بهجة الدنيا مخيلة لا امهال مع سرعة
زوالها ولا يغرنكم بالله الغرور اى الشيطان بان يؤملكم المغفرة ويسوفكم التوبة
فيجرئكم على المعصية قال السلمى فى تفسيره قيل من اعتمد على غير الله فهو فى غرور لان الغرور
ما لا دوام له فى الحضور وقال الاستاذ انه سبحانه يحذرهم مرة بافعاله فيقول اتقوا
يوما ومرة بصفاته يقول الم يعلم بان الله يرى ومرة بذاته بقوله ويحذركم الله نفسه
ان وعد الله بالحشر والنشر حق وصدق فلا يغرنكم سلامتكم فى الحال فعن قريب ستندمون
فى المآل ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها وينزل الغيث فى وقته
المقدر لنزوله والمحل المعين له فى علمه ويعلم ما فى الارحام من ذكر ام انثى ام تام او ناقص

او حنين قال القاسم من مؤمن وكافر ومطيع وفاجر وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا
من خير وشر وربما تعزم على شىء ان تفعله وتفعل خلافه والغد عند ارباب التحقيق ونهاية
التوفيق عبارة عن النفس الثانية الآتية فليحذر النفس العاصية الآبية وما تدرى نفس
باى ارض تموت كما لا تدرى فى اى وقت تفوت وقيل باى ارض باى قدم او مقام او نقطة
او منام وقيل باى محل تدفن وانما جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة ولذا لا يوصف
الله بها ان الله عليم خبير يعلم سرائرها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه السلام مفاتيح الغيب خمس
اى لا يعلمهن الا الله وتلا هذه الآية ويؤيده قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
وافاد الاستاذ انه سبحانه تفرد بعلم القيمة وتفصيل ما فيها ويعلم ما فى الارحام ذكورها
واناثها وشقيها وسعيدها وحسنها وقبيحها ويعلم متى ينزل الغيث وكم قطرة ينزلها وباى
بقعة يمطرها وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا من وفاق وشقاق وما تدرى نفس باى ارض
تموت ولا ان يدرك مراده او يفوت سورة السجدة مكية وهى ثلثون آية
بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاذ بسم الله كلمة سماعها يبيح الجميع من العاصى والمطيع
والشريف والوضيع من اصغى اليه بسمع الخضوع ترك طيب الهجوع ومن اصغى اليه بسمع
المحاب ترك لذيذ الطعام والشراب الم الاشارة فى الالف اى الف المجدين تقريبى
فلا يصبرون عنى والف العارفون تمجيدى فلا يستأنسون بغيرى والاشارة فى اللام اى
لاحبائى مدخل لقائى فلا ابالى اقاموا على ولائى ام قصروا فى وفائى والاشارة فى الميم اى
ترك اوليائى مرادهم لمرادى فكذلك آثرتهم على جميع عبادى تنزيل الكتاب مبتدا
خبره لا ريب فيه لان نافى الريب معه وهو كونه معجزا بمبانيه ومعانيه من رب العالمين
اى هو من عنده لتربيتهم واصلاح طويتهم وافاد الاستاذ اذا عتز لقاء الاحباب فاعز
الاشياء على الاحباب كتاب الاحباب فالمعنى انزلت على احبابى كتابى وحملت اليهم
بالرسالة خطابى ولا عليهم ان قرع اسماعهم عتابى فانهم فى امان من عذابى ام يقولون
افتريه بل يقولون اختلقه واخترعه من هواه بل هو الحق من ربك الثابت النازل من عند
ربك لتنذر قوما اى عقابا ما اتيهم من نذير من جهة نذير كائن من قبلك لعلهم يهتدون
بانذارك فما موصولة على ما اختاره صاحب البحر ويؤيده قوله تعالى وان من امة الا خلا فيها
نذير والجمهور على ان ما نافية كأنه ما اتاهم رسول منهم مبعوث اليهم ينذرهم وان كانوا ملزمين
بشرائع الرسل قبلهم وكانوا مقصرين فى البحث عنها لاستبعادهم من ابراهيم واسمعيل عليهما
السلام وقال الاستاذ بل هو الحق من ربك الذى لكم منه حقيقة الانباء وان النفس
على الاهداء فليس بغيركم ولا عليكم فان صحبة الحبيب مع الحبيب الذة ما يكون
معروفا بعقد الترتيب الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة
ايام ثم استوى على العرش مر بيانه وسبق برهانه وافاد الاستاذ ان تلك الايام
خلقها من خلق سائر الانام وليس من شرط المخلوق ولا من ضرورته ان يخلقه فى وقت

اذالوقت

اذ الوقت مخلوق فى غير الوقت ثم استوى على العرش ولكن القديم ليس له حد
ولا يجوز عليه قرب بالذات ولا بعد استوى على العرش لكنه صمد بلا ند واحد
بلا حد ما لكم من دونه من عند غيره او من دون امره من ولى ولا شفيع يتولى نصركم
ويدفع ضركم افلا تتذكرون لمواعظ الله فتعتبرون وقال الاستاذ اذا لم يرد بكم
خيرا فلا سماء عنه تظلكم ولا ارض بغير رضاه تقلكم ولا بالجواهر احد يتاجكم ولا اذا
لم يعن بشأنكم فى الدنيا والآخرة احد ينظر اليكم يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر
امر الدنيا الى يوم القيمة منزلا من السماء الى الارض فان السماء محل حكمه والارض منزل
امره ثم يعرج اليه يصعد الامر اليه ويثبت ما وقع لديه فى يوم كان مقداره الف سنة
مما تعدون وهو من يوم القيمة الذى كله خمسون الف سنة يوم يعرض فيه الاعمال وهو
يوم يطول على البعض ويقصر على بعض بحسب اختلاف الاحوال وتفاوت الاهوال
تقوله فى يوم ظرف ليعرج الا ليدبر ومعناه نزول الملك بتدبير الدنيا وعروجه فى
يوم واحد من ايام الدنيا ولو قطعه احد من بنى آدم لما قطعه الا فى الف سنة لان المسافة
بين السماء والارض خمسمائة فالنزول والعروج لا يمكن الا بالف سنة والملائكة يقطعونها
فى يوم واحد قاله مجاهد والضحاك وقتادة وعلى هذا فى يوم ظرف ليدبر وضمير اليه
للسماء فتدبر وافاد الاستاذ ان الحق خاطب الخلق على مقدار افهامهم وتجوز لهم
عن المقاييس التى اعتادوا فى تخاطبهم لمراسم ذلك عالم الغيب والشهادة السر والعلانية
العزيز الغالب على امره ونوع تقديره الرحيم على عباده بحسب تدبيره قال سهل طوبى
لمن رزق الرضا بتدبير الله واسقط عنه سوء تدبيره وتعلقه بيوم غداه وقال الاستاذ
العزيز مع المطيعين الرحيم مع العاصين العزيز للمطيعين ليكسر صولتهم الرحيم
للعاصين ليجبر زلتهم الذى احسن كل شىء خلقه بدل من كل بدل الاشتمال اى اتقن
خلق كل شىء وحكمه على وفق ما يستعده وبحسب ما يليق به بمقتضى الحكمة والمصلحة فى
وجوده وقرأ نافع والكوفيون خلقه بفتح اللام على انه جملة فعلية صفة لكل او شى وبدأ
خلق الانسان اى آدم عليه السلام من طين ثم جعل نسله ذريته من سلالة خلاصة
من ماء مهين ممتهن حقير ثم سواه قومه بتصوير اعضائه ونفخ فيه من روحه اضافه
الى نفسه تشريفا له وايماء الى اصطفائه واشعارا بان له فى الخلقة البشرية مناسبة تامة
الى الحضرة الربوبية ولاجل ذلك قيل من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة خصوصا من بين الخليقة لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا وتشكروا
قليلا ما ما زائدة اى شكرا قليلا تشكرون ولذا لا تؤمنون ولا تعتبرون وفى الكلام
التفات من مفرد مغايب الى جمع مخاطب وافاد الاستاذ انه سبحانه احسن صورة
كل شىء فالعرش بالوانه حمراء والملائكة اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع وجبريل طاوس
الملائكة والحور العين كما فى الخبر من جمالها وشكلها والجنان كما فى الاخبار ونص القرآن

فاذا انتهى الى الانسان قال وخلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة
من ماء مهين كل هذا ولكن قتيل • وكم ابصرت من حسن ولكن • عليك من
الورى وقع اختياري خلق الانسان من طين ولكن يحبهم ويحبونه خلق الانسان
من طين ولكن رضي الله عنهم ورضوا عنه وخلق الانسان من طين ولكن قال
لهم فاذكروني اذكركم وقالوا اى كفار مكة ائذا ضللنا في الارض صرنا ترابا مخلوطا
بترابها او غبنا فيها انا لفي خلق جديد اى نبعث او يجدد خلقنا منها بل هم
بلقاء ربهم بالبعث وما بعده كافرون جاحدون وقال الاستاذ لو كان لهم
ذرة من العرفان وشمة من الاشتياق الى الرحمن لما تعصبوا في انكار جواز
الرجوع الى ربهم ولكن كما قال بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم يستوفي
نفوسكم ويقبض روحكم لا يترك منها شيئا او لا يبقى منكم احدا ملك الموت
الذي وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثم الى ربكم ترجعون للجزاء اعمالكم
وحساب احوالكم وفي حديث رواه ابن ابي حاتم وغيره ان ملك الموت قال
يا محمد ما في الارض من بيت مدر ولا شعر الا انا اتصفحهم في كل يوم خمس مرات
حتى اني لاعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم وعن بعض المحققين ان قوله
تعالى قل يتوفاكم ملك الموت مجاز والله يتوفى الانفس حقيقة وافاد الاستاذ
انه لولا غفلة قلوبهم لما احالوا قبض ارواحهم على ملك الموت ان ملك الموت
لا اثر منه في احد ولا تصرف له في نفسه فانى يحصل للمتوفى من الخلق من خصائص
قدرة الحق ولكن غفلوا عن شهود حقائق ربهم فخاطبهم على مقدار فهمهم
وعلق بالاغبار قلوبهم فكل يخاطب بما احتمل على قدر قوته وضعفه في مقامه
وحاله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم مطاطئوها عند ربهم من حيائهم وخزيهم
ربنا قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وكذبناه وسمعنا منك تصديق ما اخبر
رسلك عنك فارجعنا وردنا الى الدنيا نعمل صالحا نشفع في العقبى انا موقنون
وجواب لو محذوف اى لرايت امرا فظيعا وشاهدت حالا شنيعا •
ولو واذ كلاهما للمضي فان الثابت في علم الله بمنزلة الواقع في منتهاه ولو
شئنا لآتينا كل نفس هداها اى هدايته الموصلة الينا بتوفيق الايمان بنا
وتحقيق الاحسان لدينا ولكن حق القول مني ثبت قضائي وسبق وعيدي
على جميع بالبعد عني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اى الذين هم اشقياء
في الكتاب المبين فذوقوا اى فيقال لهم على سبيل التقريع فذوقوا بما
نسيتم لقاء يومكم هذا بما تركتم اعتقاده واهملتم زاده انا نسيناكم تركناكم
من الرحمة او في العقوبة وذوقوا عذاب الخلد الذي كنتم تنكرون بما كنتم
تعملون من الكفر والمعصية والآية جواب عن قولهم فارجعنا نعمل صالحا

يعني

يعني لو اردنا لهديناه في الدنيا لكن ما اردنا فذوقوا العذاب المقدر في العقبى بسبب
كسبهم العقائد الفاسدة والاعمال الكاسدة ويؤيده قوله تعالى ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه قيل لو شئنا لهديناهم الى طريق الجنة ولم ينقص ذلك من ملكنا
ولكن عذبنا ليظهر العدل كما انعمنا ليظهر الفضل وقال الاستاد يعني لو شئنا لسهلنا
لكل احد سبيل التحقيق وادمنا طريق التوفيق ولكن تعلقت المشية باغواء قوم
كما تعلقت بارشاد فريق واردنا ان يكون للنار قطان كما اردنا ان يكون للجنة
سكان ويقال من لم يتسلط عليه من يحبه لم يجر في ملكه ما يكره ويقال يا مسكين افنيت
عمرك في الكد والعنا وامضيت ايامك في الجهد والرجا غيرت صفتك واكثرت
مجاهدتك فما تفعل في قضائي كيف تبدل له وما تصنع في مشيتي باي وسع تردها
وفي معناه انشدوا • شكا اليك ما وجد ■ من خانه فيك الجلد • حيران لو شئت
اهتدى • ظمآن لو شئت ورد ■ فذوقوا الآية اى فقاسوا من الهوان ما استوجبه
بعصيانك واخلد في دار الخزي بما اسلفته من كفرانك انما يؤمن بآياتنا اى بموجب
علاماتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بما فيها خروا سجدا اسقطوا على وجوههم
ساجدين تواضعا لله وانقيادا لما قضاه او خوفا من نزول عذابه او حلول حجابه
وسبحوا بحمد ربهم نزهوه حامدين له على ما من عليهم وهم لا يستكبرون عن
الايمان به وعن القيام بطاعته وعن متابعة كتابه ورسله وعن السجود في اوقاته وافاد
الاستاد انهم خروا بظواهرهم في محراب السجود والركوع وفي سرائرهم على تراب
الخضوع وبساط الخشوع بنعت الذبول وحكم الخمود والخمول ويقال كيف يستكبر
من لا يجد كمال راحته ولا حقيقة انسه ولذته الا في تذلله بين يدي معبوده في طاعته لا يؤثر
عاجل جحيمه على نعيمه ولا شقاوته على شفاعته تتجافى جنوبهم تتباعد وتتنحى عن المضاجع
مواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه ومما رزقناهم
ينفقون في وجوه مرضاته عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيره قيام العبد في الليل
والمراد به التهجد لما في الاحاديث المعتمدة عن الامام احمد والترمذي والنسائي
وابن ماجه وغيرهم وقيل هم الذين يصلون صلوة العشاء لا ينامون عنها فقد رواه ابن
جرير باسناد جيد عن انس هو انتظار صلوة العتمة وعن بعض هو صلوة العشاء والصبح
بجماعة وعن بعض هو صلوة الاوابين بين العشائين وهذا قول انس ايضا وعكرمة وقتادة ومحمد
بن المنكدر وابي حازم وقال ابن عطاء تجافت ان تسكن على بساط الغفلة وطلبت
بساط المناجاة وانبساط القربة قيل خوفا من القطيعة وطمعا في الوصلة وقال جعفر
خوفا منه وطمعا فيه وقال الاستاد تنحى في جنوبهم في الظاهر عن الفراش فيما لحق العبادة
والجهد والتهجد في الباطن تتباعد قلوبهم عن مصاحبة الاحوال ورؤية قدر النفس
وتوهم المقام في الاعمال ان ذلك بجملته حجاب عن الحقيقة والكمال فلا يساكنون اعمالهم

ولا يلاحظون احوالهم ويفارقون ما ألفهم ويهجرون فى الله معارفهم والليل زمان
الاحباب قال تعالى لتسكنوا فيه يعنى عن كل شغل سوى حديث محبوبهم والنهار زمان اهل
الدنيا قال تعالى والنهار معاشا اولئك قال لهم فاذا قضيت الصلوة فانتشروا
فى الارض وابتغوا من فضل الله اذا ما جئتموها بركعتين فى الجمعة فعودوا الى متجركم واشتغلوا
بحرفتكم فى الجملة واما الاحباب فالليل لهم اما فى طرب التلاق او فى حرب الفراق
فان كانوا فى انس قربه فليلهم اقصر من لحظة وان كان الوقت وقت مقاساة فرقة
وانفراد بكربه فليلهم طويل وويلهم جزيل يدعون ربهم خوفا من الفراق وطمعا فى التلاقى
ومما رزقناهم ينفقون يأتون بالشواهد التى خصصناهم بها من المقامات ان طهرنا احوالهم
عن الكدورات حضروا باحوال مقدسة وان دنسنا اوقاتهم بالآفات شهدوا بحالات
مدنسة فالعبد انما يتجر فى البضاعة التى يودعه سيده يعذبك بالروح صب لو يكون له اعز
من روحه شئ فداك به فلا تعلم نفس لا ملك مقرب ولا نبى مرسل ما اخفى لهم من قرة اعين
ما تقر به اعينهم ففى الصحيحين عن ابى هريرة رضه مرفوعا يقول الله تعالى اعددت لعبادى
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقرأ حمزة اخفى بسكون
الياء على صيغة المتكلم جزاء بما كانوا يعملون اى جزوا جزاء وفاقا حيث اخفوا اعمالهم
فاخفى الله احوالهم وقال الاستاذ انما تقر عينك برؤية من تحبه وما تحبه طالب قلبك
وراع حالك ثم يحصل اليوم سرورك كذلك يكون غدا حضورك وعلى ذلك تحشر كما فى
الخبر من كان بحالة لقى الله بها افمن كان مؤمنا بالله وبكتبه وبرسله كمن كان فاسقا
خارجا عن طاعة ربه وسبلها فى المنزلة والمرتبة لا يستوون تأكيد وتصريح للمبنى والجمع
للحمل على المعنى قيل نزلت فى على رضه والوليد اخى عثمان من امه اسلم فى آخر عمره وكان بينهما
تنازع فقال لعلى انك صبى وانا والله ابسط لسانا واحد سنانا واشجع منك جنانا
فقال له على اسكت فانك فاسق كذا قاله عطاء بن يسار والسدى وغيرهما قال الاستاذ
افمن كان فى حلة الوصال يجر اذياله كمن هو فى مذلة الفراق يقاسى وباله افمن كان فى روح
القربة ونسيم الزلفة كمن هو فى هوى العقوبة يعانى مشقة الكلفة افمن هو فى روح
اقبالنا عليه كمن هو فى محنة اعراضنا عنه افمن بقى معنا كمن بقى عنا افمن هو فى نهار
العرفان وضياء الاحسان كمن هو فى ليالى الكفران ووحشة العصيان افمن ايد
بنور البرهان وطلعت عليه شموس العرفان كمن ربط بالخذلان ووسم بالحرمان لا يستوون
ولا يلتقيان اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات على وفق رضى المولى فلهم جنات
المأوى فانها المأوى الحقيقى لا الدنيا فانها منزل مرتحل عنها الى الاخرى نزلا لا يبغون
عنها حولا بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم على حسب احوالهم واما الذين فسقوا
اى الكفار فمأويهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها وصعدوا الى بابها اعيدوا فيها
ردوا الى اسفل دركاتها وهو عبارة عن خلودهم بها وعدم تحولهم عنها وقيل لهم

ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة فى غيظهم وقال الاستاذ الذين
آمنوا صدقوا وعملوا الصالحات بما حققوا فلهم حسن الحال وحميد المآل واما الذين
جحدوا وكذبوا فى معاملاتهم اساؤا وافسدوا فقصاراهم الخزى والهوان وفنون
من المحن والوان كلما راموا من محنتهم خلاصا ازدادوا فيها انتكاسا وكلما املوا النجاة رجعوا
قنوطا وزيدوا ابلاسا ولنذيقنهم من العذاب الادنى اى عذاب الدنيا وهو مصائبها
ومحنها من القحط والقتل والاسر او فيها دون العذاب الاكبر اى قبل العذاب الاعظم
فى البرزخ او العقبى لعلهم لعل من بقى منهم يرجعون يتوبون عن كفرهم قال ابو سليمان
الدارانى العذاب الادنى الخذلان والعذاب الاكبر الخلود فى النيران وقال الاستاذ
قوم عذابهم الادنى محن الدنيا والعذاب الاكبر لهم عقوبة العقبى وقوم عذابهم
الادنى لهم فترة تتداخلهم فى عباداتهم والعذاب الاكبر قسوة فى قلوبهم تقلبهم
فى حالتهم وقوم عذابهم الادنى لهم وقفة فى سلوكهم تمنعهم والعذاب الاكبر حجبة عن
شاهدهم تنالهم ويقال العذاب الادنى الخذلان فى الزلة والاكبر الهجران فى الوصلة
ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه مرة يمر عليها ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها ولم يؤمن بها انا
من المجرمين اى المشركين الكاملين فى الاجرام منتقمون غاية الانتقام ولقد آتينا موسى
الكتاب كما آتيناك الكتاب فصل الخطاب فلا تكن فى مرية شك من الارتياب من لقائه
من لقائك الكتاب فانا لقيناك فى هذا الباب او من لقاء موسى الكتاب من وراء الحجاب
او من لقائك موسى ليلة المعراج كما روى عن قتادة وغيره او من لقاء موسى ربه اى بعد موته
فاطمع انت فى صفته هكذا فسره النبى صلى الله عليه وسلم على ما رواه الطبرانى وجعلناه
اى موسى او الكتاب المنزل عليه هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون الامة
الى ما فيه من الحكم والحكمة بامرنا اياهم به او بتوفيقنا له لما صبروا حين حبسوا انفسهم
على اوامر الله وصبروا على مصائبه التى قدرها عليهم وقضاه وقرأ حمزة والكسائى
بكسر اللام وتخفيف الميم اى لصبرهم على طاعة المولى او على محنة الدنيا وكانوا بآياتنا
يوقنون وفى الآية تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم فى حالته وارشاد لاصحابه والله ان
ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة يقضى بين المحق والمبطل ويميز الحق من الباطل فيما
كانوا فيه يختلفون من الامور بينهم قال الاستاذ يحكم بينهم وعند ذلك يتبين
المردود من المقبول والمهجور من الموصول والرضى من الغوى والعدو من الولى
شعر
فكم من بهجة دامت هنالك ٭ وكم من مهجة ذابت هنالك ٭
اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم اى ألم يبين لهم كثرة اهلاكنا من اهلكناهم من
القرون الماضية وهم يمشون فى مساكنهم يمرون فى اسفارهم على ديارهم ويشاهدون
آثارهم ان فى ذلك لآيات لمن نظر واعتبر افلا يسمعون الخبر ان لم يبصروا الاثر
وقال الاستاذ اولم يعتبروا بمنازل اقوام كانوا فى حبرة فصاروا عبرة كانوا فى سرور فاتوا

الى ثبور وتخريب ديارهم ومزارهم صارت لاعمارهم وصنوف اموالهم عادت سالبة
اشكالهم سكنوا في ظلالهم ولم يعتبروا بمن مضى من امثالهم اولم يروا انا نسوق الماء
الى الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع وازيل نبتها فنخرج به بالماء زرعا تأكل منه
من الزرع انعامهم كالتبن والورق وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون به
على كمال قدرته وجمال فضله ومنته وافاد الاستاذ ان الاشارة منه لتسقى حدائق وصلهم بعد
جفاف عودها وزوال المانوس من عهودها فيعود عودها مورقا بعد ذبوله خاليا بحالة
حال حصوله ويقولون متى هذا الفتح النصرة او الفصل بالحكومة ان كنتم صادقين في
الوعد به وقرب اتيانه قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم لحلول بأسهم وحصول
يأسهم ولا هم ينظرون لا يمهلون للايمان ولا للاحسان لفوات الاوان وذهاب
الامان وافاد الاستاذ انهم استبعدوا يوم التلاقي وجحدوا فاخبرهم انه ليس لهم
الا الحسرة والمحنة اذا شهدوا فاعرض عنهم ولا تبال بما ظهر منهم وانتظر النصرة عليهم انهم
منتظرون ما حل بهم وقال الاستاذ فاعرض عنهم باشتغالك بنا واقبالك علينا وانقطاعك
الينا وانتظر زوائد وصلنا وعوائد لطفنا انهم منتظرون هواجم مقتنا وخفايا مكرنا

سورة الاحزاب وعن قريب يجد كل منتظره محتضره مدنية وهي ثلث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاذ بسم الله شهود وجوده يوجب لك تلفا في تلف
ووجود جوده يوجب لك شرفا على شرف ففي تلفك يكون عنك الخلف وفي شرفك
تصل الى كل لطف يا ايها النبي اتق الله دم على التقوى وطاعة المولى ولا تطع الكافرين
والمنافقين فيما يعود بوهن في الدين ان الله كان عليما بالمصلحة والمفسدة
حكيما لا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة قال ابن عطاء يا ايها المخبر عن خبر صدق
وقول حق اتق الله في ان يكون لك التفات الى شيء سواه قال ابو عبد الله
الرودباري التقوى مجانبة كل ما يبعدك عن الله وقال الواسطي التقوى على
الحقيقة هو تقوى القلب لربه لقوله عليه السلام الا ان التقوى ههنا واشار
الى قلبه وقال الاستاذ يا ايها المشرف حالا بنا المفخم قدرا منا المعلى رتبة
من قبلنا يا ايها المرقى الى اعلى الرتب الملقى باسنى القرب يا ايها المخبر عنا
المأمون على اسرارنا المبلغ خطابنا الى احبابنا اتق الله ان لا تلاحظ غيرنا
معنا او تساكن شيئا من دوننا او تثبت احدا سوانا او تتوهم شظية من الحدثان
ما عدانا ولا تطع الكافرين اشفاقا منك عليهم وطمعا في ايمانهم والتقوى
رقيب على قلوب اوليائه يمنعهم في انفاسهم وسكناتهم وحركاتهم ان ينظروا
الى ما عداه او يثبتوا معه سواه الا منصوبا بالقدرة متصرفا بمشيئته نافذا فيه
حكم قضيته واتبع ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم وعدم المبالاة
بمخالفتهم ان الله كان بما تعملون خبيرا من ملايمتهم ومنافرتهم وقراء ابن عمرو

بالغيبة قال الاستاذ اتبع ولا تبتدع واقتد بما امرك ولا تبتدر باختيارك غير ما يختار
لاجلك وكن لنا لا لك وقم بنا لا بك وتوكل على الله ولا تلتفت الى ما سواه وكفى
بالله وكيلا موكولا اليه امور من عداه قال ذو النون التوكل ترك تدبير النفس وقيل التوكل
قطع القلب عن كل علاقة سوى الرب وقال الاستاذ اي انسلخ عن اهابك لنا وحدق
في ايابك الينا وتشاغل عن حسابك معنا وحذر ذهابك عنا ولا تقصر في خطابك منا
وبحال التوكل تحقق ثم تخلق ثم توثق ثم تملق تحقق في العقيدة وتخلق باقامة الشريعة
وتوثق بالمقسوم من القضية وتملق بين يديه بحسن العبودية وبحال التوكل استواء
القلب في العدم والوجود مع الرب ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اي لم يرض حكمته
ان يجعل لاحد قلبين في طويته لان القلب سلطان والاعضاء كالرعايا ولا يليق بملك
ان يكون لسلطانين في القضايا وافاد الاستاذ ان القلب اذا اشتغل بشيء اشتغل
عما سواه فالمشتغل بما من العدم منفصل عمن له القدم والمتصل بقلبه بمن نعته القدم
مشتغل عما من العدم والليل والنهار لا يجتمعان والنصب والعزل لا يلتقيان وما جعل
ازواجكم اللائي تظاهرون منهن بان قال احد مثلا لزوجته انت علي كظهر امي امهاتكم
لاختلاف الحقيقة الظاهرة فيما بينهن وما جعل ادعياءكم ابناءكم فان البنوة امر ذاتي
والتبني حكم عارضي فلا يكون الشيء الحقيقي عين المجازي ذلكم قولكم بافواهكم حيث كانت
العرب تزعم ان اللبيب الاريب له قلبان للمودة والكراهة والزوجة المظاهر عنها
كالام في الحرمة المؤبدة ودعي الرجل ابنه يحوز التوارث في القرابة وحاصله انه تعالى كما لم
في حكمته ان يجعل لاحد قلبين في طويته فيفعل باحدهما غير ما يفعل بالآخر من الصنعة
فيؤدي الى اتصاف شخص واحد بالعلم والظن والمحبة والكراهة وغيرهما في حالة واحدة
لم ير ايضا ان يكون امرأة لرجل مخدومة وخادمة وان يكون رجل دعيا غير اصيل وابنا اصليا
لتناقض القضية والله يقول الحق المطابق للصدق وهو يهدي السبيل طريق الحق
المطلق وقال الاستاذ اي الذي تظاهرتم منهن لسن امهاتكم والذين تبنيتم ليسوا
بابنائكم ان الذي صرتم اليه من اجترائكم ونسبتم الينا من ارائكم ذلك مردود عليكم غير
مقبول منكم ان سكتم عنها بعد البيان نجوتم وان تماديتم عليها بعد ما علمتم ظللتم المحنة
عليكم ادعوهم لآبائهم لا لابائهم هو اقسط عند الله اي انسبوهم اليهم لا الى غيرهم وهو افراد للمقصود
من قوله الحق وحكمة الصدق فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين ومواليكم
اي اولياؤكم فيه فقولوا هذا اخي ومولاي بهذا التأويل لانه اهدى السبيل وليس عليكم
جناح اثم فيما اخطأتم به قبل النهي والبيان او بعده على وجه النسيان او سبق اللسان
ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والعصيان وكان الله غفورا للمخطئين رحيما للمحسنين
وفي الحديث ان في القرآن المنسوخ ولا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم ان ترغبوا عن آبائكم
فانه كفر بكم ان ترغبوا عن آبائكم وقد ورد من دعي الى غير ابيه وهو يعلمه فقد كفر النبي اولى

بالمؤمنين من انفسهم اى فى امور الدين وما يتعلق بها او فى الامور كلها فانه لا يأمرهم
ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم فى الدنيا ونجاحهم فى العقبى بخلاف النفس فانها امارة
بالسوء مع ان لها حقا ايضا فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم فى احوالها واوامره انفذ
عليهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها وقرئ وهو اب لهم اى فى الدين
فان كل نبى اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحيوة الابدية بجنس التربية فى آداب العبودية
ولذا صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن فى التحريم واستحقاق
التعظيم واولوا الارحام اى ذووا القرابات بعضهم اولى ببعض فى التوارث وهو نسخ لما كان
فى صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والمناصرة فى الملة فى كتاب الله فى حكمه كما قضاه
من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولى او صلة لاولى وهو الاولى الا ان تفعلوا الى اوليائكم
معروفا اى لكن فعلكم الى اوليائكم معروفا جائز فى الشريعة والمعنى ذهب الميراث بالهجرة
وبقى البر والاحسان والوصية كان ذلك الحكم فى الكتاب مسطورا ثابتا فى اللوح
على وجه الكمال او فى علم الله على هذا المنوال وافاد الاستاذ ان الاشارة من هذا
تقديم سنته على هواك والوقوف عند اشارته دون ما يتعلق به هواك وايثار
من يتوسل به سببا ونسبا على غيرك اولى والا لكن الاجانب منك على جانب
ويكون وصلتك له قارب وصلة الرحم ليس بمقاربة الديار وملاصقة المزار
ولكن بموافقة القلوب فى حالتى المكروه والمحبوب واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة واقامة الدين على طريق الاستقامة ومنك ومن
نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم خص اولى العزم الخمسة من بينهم لكمال شرفهم
وقدم نبينا تعظيما لرفعة شانه وتكريما لمقدمه بيانه واشعارا بسبق وجود نوره
وان تأخر شهود ظهوره واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيما فى النبيين او مؤكدا باليمين
على الوفاء بما حملوا والصفاء فيما عملوا وهو ميثاق للخاصة بعد ميثاق العامة فى
ذلك اليوم او بعد بعثتهم الى القوم ليسأل الصادقين عن صدقهم اى اخذ الله
ميثاقهم اولا ليسأل الله آخرا الانبياء الذين صدقوا فى الانباء وعهدهم عن كلام
صدقهم واعد للكافرين عذابا اليما عطف على ما دل عليه ليسأل كانه قال ليثيب
المؤمنين نعيما مقيما واعد للكافرين عذابا اليما بل لا نشم رائحة الصدق من يداهن نفسه
او يداهن غيره وقال الاستاذ اراد سؤال تشريف لا سؤال تعنيف وسؤال ايجاب
لا سؤال عتاب والصدق ان لا يكون فى احوالك شوب ولا فى اعتقادك ريب
ولا فى اعمالك عيب يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعنى
الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا اثنى عشر الفا فامر
صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق لاشارة سلمان به فنزلوا وحاصروا المدينة شهرا وخرج
اليهم صلى الله عليه وسلم مع اصحابه فى ثلاثة آلاف فارسلنا عليهم ريحا شديدا وهو

الصبا

الصبا فى ليلة باردة مظلمة فى فصل الشتاء وجنودا من الملائكة لم تروها نزلوا من السماء
فالريح سفت التراب فى وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت خيولهم
وقذف الله الرعب فى قلوبهم وكبرت الملائكة فى جوانب جنودهم فانهزموا خائفين خائبين
الى اعقابهم وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وغيره وقرأ ابو عمرو بالغيبة اى بما يعمل المشركون
من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا وافاد الاستاذ ان ذكر النعمة مقابلتها بالشكر وبذكر ما سلف
من الذى دفع عنك يهون عليك مقاساة البلاء فى الحال وبذكرك لما اولاك فى الماضى
يقرب من قلبك الثقة بايصال ما تؤمله فى الاستقبال فمن جملة ما ذكرهم قوله اذ جاءتكم
جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكم بلاء صرفه عن العبد وهو لم يشعر وكم
شغل كان بصدده فصده عنه ولم يعلم وكم امر عوقه والعبد يضج وهو يعلم ان فى تيسيره
هلاكه فيمنعه منه رحمة عليه والعبد يتهمه ويضيق به صدره اذ جاؤكم من فوقكم من اعلى
الوادى من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادى من قبل المغرب
قريش واذ زاغت الابصار مالت ابصار المؤمنين عن مستوى نظرها قال الفراء
زاغت عن كل شئ فلم تلتفت الا الى عدوها وبلغت القلوب الحناجر رعبا والمعنى اضطربت
والا فلا انتقال للقلوب عن مقرها وتظنون بالله الظنونا الانواع من الظن باختلاف
مراتب الظانين من المؤمنين الكاملين والناقصين والمنافقين حتى قال
بعض اهل النفاق كان محمد يعدنا ان نأكل كنوز قيصر وكسرى والان لا نقدر ان نذهب
للغائط الى الصحراء هنالك ابتلى المؤمنون امتحنوا فظهر المخلص من المنافق وتميز
المخالف من الموافق وزلزلوا زلزالا شديدا ازعجوا من شدة الفزع وحركوا من حدة
الجزع ثم ازال عنهم حلتها وهون عليهم شدتها وانجاب عنهم سحابها وتقشعت
عن قلوبهم غمومها وحجابها واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ضعف
اعتقاد وعدم توكل واعتماد ما وعدنا الله ورسوله من الظفر فى الدين واعلائه الا غرورا
وعدا باطلا لا وفاء به واذ قالت طائفة منهم من المنافقين واتباعهم من ضعفاء
اليقين يا اهل يثرب وهو كان اسما للمدينة لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا فارجعوا
الى منازلكم على طريق الهنا وقرأ حفص بضم الميم على انه مكان او مصدر من الاقامة
ويستأذن فريق منهم النبى للرجوع الى المدينة يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة
يخاف عليها من السرقة وما هى بعورة بل حصينة مستورة ان يريدون ما يريدون بذلك
الا فرارا من القتال لو وقع هنالك وقال الضحاك رجع ثمانون رجلا من غير اذن النبى صلى الله
عليه وسلم لضعف دينهم وقلة يقينهم ولو دخلت عليهم اى المدينة او بيوتهم من اقطارها
من جوانبها ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة الطائفة المسلمة لآتوها لاعطوها وقرأ الحجازيان
بالقصر لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة اى باعطائها او باتيانها الا يسيرا الا تلبثا يسيرا
او زمانا قليلا وهو كناية عن سرعة الاجابة ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل قبل تلك المحاربة

لا يولون الادبار لا يفرون من المقاتلة وكان عهد الله مسئولا عن الوفاء به والجزاء
على وفقه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من موت
حتف انفه او قتل في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم بامر الله واذنه لا يمكن
تغييره ولا تقديمه ولا تأخيره واذا لا تمتعون الا قليلا وان نفعكم الفرار على الفرض وتمتعتم
بالتأخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتيعا او زمانا قليلا اذ لا يشك عاقل ان آخر امر كل مخلوق هو
الموت وان كان عظيما وجليلا وقال الاستاد لان الآجال لا تأخير لها ولا تقديم عليها وكما
قالوا ان الهارب مما هو كائن في كف الطالب يتقلب واذا لا تمتعون الا قليلا فان ما
يدخره العبد عن الله من مال وجاه او نفس او قريب فلا يبارك له فيه ولا يجد به متعة ولا يبرز
منه غبطة قل من ذا الذي يعصمكم من الله من يمنعكم من حكمه وقضائه وقدره ان اراد بكم سوءا
مساءة ومضرة او اراد بكم رحمة نعمة ومسرة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم بزيادة
النعمة لهم ولا نصيرا يدفع المحنة عنهم وقال الاستاد من ذا الذي يحقق لكم من دونه
مرجوا ومن ذا الذي يصرف عنكم من دونه عدوا قد يعلم الله المعوقين منكم اي المانعين عن نصرة
رسول الله والمؤمنين وهم جماعة من المنافقين والقائلين لاخوانهم من سكان المدينة
وهم جماعة الانصار من اصحاب السكينة هلم اي قربوا انفسكم الينا اقبلوا بكليتكم علينا فنحن
في ظلال واثمار وراحة وانهار ولا يأتون البأس لا يحضرون الحرب مع المؤمنين الا قليلا
الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويثبطون ويرجعون فيمتنعون من نصرته
بانفسهم ويمنعون ايضا معاونة غيرهم اشحة عليكم حال كونهم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة
او الظفر والغنيمة فاذا جاء الخوف وقت الحرب رأيتهم ينظرون اليك خوفا ولواذا بك
تدور اعينهم في احداقهم كالذي يغشى عليه كنظر المغشي عليه من الموت من معالجة سكراته ومزاولة
سكراته فاذا ذهب الخوف وجمعت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد لاجل الغنيمة وغيرها
اشحة على الخير على تحصيل المال وتحسين الحال وتزيين الكمال والحاصل انهم جمعوا بين الجبن والبخل
والطمع والفشل وقلة الحياء وعدم الوفاء اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم
فاظهر بطلان اعمالهم وضياع اعمالهم وسوء مآلهم وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا
هينا لتعلق الارادة به وعدم مانع من نفاذه وهذا كما ورد من تشعبت به هموم الدنيا لم يبال الله
في اي واد اهلكه وقال الاستاد اذا جاء الخوف طاشت من الرعب عقولهم وطاحت بصائرهم
وتعطلت عن النصرة جميع اعضائهم واذا ذهب الخوف زينوا كلامهم وقدموا خداعهم
واحتالوا في اخفاء خستهم اولئك الذين هذه صفتهم لم يباشر الايمان قلوبهم ولا صدقوا
فيما اظهروا من اذعانهم واسلامهم يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي هؤلاء المنافقون
لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا ففروا الى داخل المدينة وان
يأت الاحزاب كرة ثانية الى ديارهم مع ما راوا من كيفية فرارهم وعدم ظهورهم وفرارهم
يودوا لو انهم بادون تمنوا انهم خارجون الى البادية في الاعراب حاصلون فيما بينهم كالاعراب

يسألون

يسألون كل قادم من جانبكم عن انبائكم عما جرى عليكم من اعدائكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم
يرجعوا الى المدينة وكان قتال ومحاربة ما قاتلوا الا قليلا رياء وسمعة وخوفا عن معيرة وقال الاستاد
يخافون من عدوهم وعودهم ويفزعون من ظل انفسهم اذا وقع على اثرهم ولو اتفق الهجوم
الاعداء ما كانوا الا جزر سيوفهم ودرية رماحهم لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
وقرأ عاصم بضم الهمزة اي في متابعته خصلة مستحسنة وقدوة مرضية حسنة كثبات القلب
في باب الحرب ومقاساة المتاعب ومعاناة المصائب لمن كان يرجو الله ثوابه او
لقاءه واليوم الآخر نعيمه وجزاءه او يخاف عذابهما في دنياه وعقباه وذكر الله كثيرا
فان كثرة الذكر تؤديه الى ملازمة الطاعة في الدنيا ويقتضي له حسابا يسيرا في العقبى
قال ابو عثمان من امر السنة على نفسه نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة
ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا اي ما رأينا او البلاء ما وعدنا الله بقوله تعالى
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية في اواخر البقرة ورسوله
بقوله عليه السلام ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال او عشر
وقوله سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وصدق الله ورسوله صدقا
في النصرة والمثوبة كما صدقا في البلية والمحنة وما زادهم اي ما رأوا من البلاء وضيق
امره الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما انقيادا لاحكامه ومقاديره وقال الاستاد
كان المنافقين اضطربت عقائدهم عند رؤية الاعداء ومشاهدة البلاء فالمؤمنون
واهل اليقين ازدادوا ثقة على اعداء الدين جرأة وبحكم الله استسلاما ومن الله
قوة من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اي فيما عاهدوا ونذروا من الثبات مع
الرسول في ميدان اليقين والقتال مع اعداء الدين فمنهم من قضى نحبه نذره بان قاتل
في احد حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن النضر فانهم نذروا
انهم اذا لقوا مع رسول الله عليه السلام حربا ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا ومنهم
من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة ومعناه ومنهم من ينتظر يوما يقضي فيه نذره فان
انس بن النضر لما غاب عن غزوة بدر نذر وقال لئن اراني الله مشهدا فيما بعد لاري الله
ما اصنع فقاتل يوم احد حتى قتل ووجد فيه بضع وثمانون ضربة سيف وطعنة رمح ورمية
سهم كما رواه مسلم والترمذي والنسائي وما بدلوا العهد وغيروه تبديلا شيئا من التبديل
والتغيير وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وعدم الوفاء وفي تفسير
السلمي الرجال الصادقون مع الله عز وجل بوفاء العهود فمنهم من بذل وسعه وجهده
في الطاعة ومنهم من ينتظر التوفيق من ربه وما غيروا عن محبته تغييرا وافاد الاستاد
انه سبحانه شكر صنيعهم في الرأس ومدح بعينهم عند شهود البأس وسماهم رجالا
اثباتا لهم بالخصوصية في الرتبة وتمييزا لهم من بين اشكالهم بعلو الحالة والمنزلة فمنهم
من خرج عن دنياه على صدقه ومنهم من ينتظر في المحيا والممات حكم الله وامره ولم يزيغوا

عن عهدهم ولم يرعوا في مراعاة حدّهم وحقيقة الصدق حفظ العهد وترك مجاوزة الحدّ
ويقال الصدق استواء الجهر والسر ويقال هو الثبات عند عزم الامر ليجزي الله الصادقين
بصدقهم في الدنيا بالتمكين والنصرة واعلاء الراية وفي الآخرة بجزيل الثواب وجميل المآب
والخلود في النعيم المقيم والتقديم على الامثال بالتكريم والتعظيم ويعذب المنافقين ان شاء
بان يميتهم على كفرهم او يتوب عليهم بردّهم عن امرهم على الوجه الذي سبق به العلم وتعلق به
الحكم انّ الله كان غفورا رحيما بستر للحوبة وقبول التوبة وقال الاستاد اذا لم يجزم بعقوبة المنافق
وعلق القول فيه على رجاء فبالحري ان لا يخيب المؤمن في رجائه بالتسليم تحت القدر والقضاء
وردّ الله الذين كفروا يعني الاحزاب بغيظهم مصحوبين به في هذا الباب لم ينالوا خيرا لم يصيبوا
ظفرا ونصرا وكفى الله المؤمنين القتال اغناهم عن المحاربة بسبب ارسال الريح وانزال
الملائكة او كفى الله مداومة القتال فلم يغز قريش المسلمين بعد هذا الحال وورد الآن نغزوهم
ولا يغزونا وكان الله قويا عزيزا غالبا على مراده فيما يجري على عباده وقال الاستاد لم يشمت
بالمسلمين عدوا ولم يوصل اليهم من كيدهم سوءا ووضع كيدهم في نحرهم واجتثهم من اصلهم
وبيّن بذلك جواهر صدقهم وشكر من استوجب شكره من جملتهم ومنع من استحق
الذم من المدنسين فيهم وانزل اي الله الذين ظاهروهم عاونوا الاحزاب من
اهل الكتاب يعني بني قريظة نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم من ان اباءهم
نزلوا المدينة قديما طمعا في اتباع النبي الامي المكتوب في التورية فلما جاءهم ما عرفوا
كفروا به فكفرهم عناد وعهدهم فساد من صياصيهم من حصونهم وقذف في قلوبهم الرعب
الخوف والرهب فريقا تقتلون اي رجالهم وتأسرون فريقا اي نساءهم وذراريهم روي
ان جبرئيل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب
ورجع الى المدينة وكان على ثناياه نقع الغبار فقال جبرئيل اتنزع لامتك اي درعك
والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يامرك بالمسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فاذن في الناس
ان لا يصلوا العصر الا ببني قريظة فحصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى
جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم
سعد بقتل مقاتلتهم وهم بين ثمانمائة الى تسعمائة وسبي ذراريهم ونسائهم وتقسيم اموالهم
فكبر النبي عليه السلام وقال حكمت بحكم الله فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر
واسر سبعمائة واورثكم ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم واثاثهم
ومواشيهم روي انه عليه السلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم في منازلكم
فقال عمر رضي الله عنه اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لي طعمة وارضا
لم تطؤها كفارس وروم او خيبر او مكة او كل ارض تفتح الى يوم القيمة على ان الخطاب
لجميع الامة وكان الله على كل شيء قديرا افاد الاستاد ان الحق سبحانه اذا اجل الكل واذا كفى
شيئا وادا وفي فاظهر المسلمين عليهم واورثهم معاقلهم واذل متعززهم وكفاهم

بجل وجه

بجل وجه امرهم ومكنهم من قتلهم واسرهم ونهب اموالهم وسبي ذراريهم يا ايها النبي قل
لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا تنعمها وسعتها وزينتها زخرفها وبهجتها
فتعالين امتعكن اعطيكن المتعة واسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير مضرة ولا
بدعة وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات اي المخلصات
في النيات منكن اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها روي انهن سألنه
ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فاختارت الله ورسوله ثم اختارت
الباقيات اختيارها على ما في الصحيحين وغيرهما وروي انه لما نصر الله نبيه وفرق
عنه الاحزاب وفتح عليه قريظة ظن ازواجه انه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم
فقعدن حوله وقلن يا رسول الله نساء كسرى وقيصر في الحلي والحلل والاماء ونحن على
ما تراه من الفاقة والضيق والعناء فامره الله ان يتلو عليهن ما نزل في شانهن وافاد الاستاد
انه سبحانه ما اراد ان يكون قلب احد من المؤمنين والمؤمنات في شغل عنه او يعود الى
احد اذى ويتعب منه فخير النبي صلى الله عليه وسلم بامره نساءه ووفق عائشة رض حتى اخبرت
عن صدق دينها وكمال قلبها ويقينها وبما هو المستطر في طينتها وطويتها من اصلها
ونسبها والباقيات جرين على سننها جهادا ونسجن على منوالها ومشين في صفو سراجها
يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة كبيرة ظاهر قبحها وعن ابن عباس هي
النشوز وسوء الخلق في عشرتها يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفي عذاب
غيرهن اي مثليه وقدره مرتين لان النشوز معه ليس كالنشوز مع ساير الازواج
ولان الذنب منهن اقبح من غيرهن فان زيادة قبحه تتبع فضل مذنبه ولذا جعل
حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب الانبياء بما لا يعاتب به غيرهم ثم الشرط لا يقتضي
الوقوع كما قال تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقرأ ابو عمرو يضعف بتشديد
العين المفتوحة وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب
وكان ذلك على الله يسيرا هينا ومن يقنت منكن يطع لله ورسوله وتعمل صالحا في
بقية عمرها على ساير امرها نؤتها اجرها مرتين مثلي ثواب غيرها او مرة على الطاعة
ومرة على القناعة وقرأ حمزة والكسائي يعمل بالياء ايضا حملا على لفظ من ويؤتها
على ان فيه ضمير اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما في اعلى عليين من الجنة زيادة على
اجرها كريما لا مرها ولا يبعد ان يكون ذلك وعدا دنيويا بان يرزقها رزقا دنيا وكريما
من جهة انه حلال بلا تعب ونصب ومن غير اعواز الى من يكون لئيما يا نساء النبي
لستن كاحد من النساء اي ليس كل واحدة منكن كواحدة من نساء زمانكن لعظمة
شانكن ان اتقيتن مخالفة امر الله وحكمه ومعارضة رضا رسوله وحبيبه فلا تخضعن
بالقول اي لا تكلمن كلاما لينا ومقالا هينا فيطمع الذي في قلبه مرض فجور وريبة
وقلن قولا معروفا عند ارباب وفاق وقرن في بيوتكن امر من وقر يقر وقارا اذا سكن

والتفسير صح

وقرأ نافع وعاصم بالفتح من ورت بالكسر او بالفتح لغة فى علمها المشهورة والمعنى اسكن
واثبتن فى بيوتكن عند عدم الحاجة الى بروزكن ولا تبرجن اى وعند وجود حاجتكن عن سكنكن
لضرورتكن لا تتبخترن فى مشيكن تبرج الجاهلية الاولى اى تبرجا مثل تبرج النساء اللاتى
فى ايام الجاهلية القديمة واقمن الصلوة وآتين الزكوة ان فرضت عليكن واطعن الله
ورسوله فى سائر ما امركن ونهاكن انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس
لعرضكم او خبائث القلب التى ليست من غرضكم والجملة استيناف متضمن للتعليل
فى الامر والنهى ولذا عمم الحكم للرجال والنساء جميعا من اهل البيت على سبيل التغليب
فقيل عنكم اهل البيت بالنصب على النداء او المدح ويطهركم عن سائر المعاصى تطهيرا والاظهر
ان المراد باذهاب الرجس ازالة الاعمال الدنية وبالتطهير تطهير القلب عن الاحوال الردية
ثم اعلم ان فى صحيح مسلم ان عليا وفاطمة وحسنا وحسينا جاؤا اليه فادخلهم النبى عليه السلام
فى كساء من شعر اسود كان عليه فقال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الآية وفى مسند
الامام احمد وغيره بروايات متنوعات عن ام سلمة انه عليه السلام كان فى بيتها فجاء على
وفاطمة وابناهما وجلسوا عنده على كساء خيبرى فانزل الله هذه الآية فاخذ فضل الكساء
وغطاهم به ثم اخرج يده والوى الى السماء وقال اللهم هؤلاء اهل بيتى فاذهب
الرجس عنهم وطهرهم تطهيرا قالت فادخلت راسى البيت فقلت انا معكم
يا رسول الله فقال انك الى خير انك الى خير والصواب ان ازواجه الطاهرات من اهل بيته
كما صرح به الآية وكذا هؤلاء ومن فى معناهم كما اشار اليه السنة واذكرن ما يتلى فى بيوتكن
من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الموعظة والاحكام والحكم المحكمة وهو تذكير
بما انعم الله عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحى وما يتعلق به من الرسالة
ومشاهدة انواع المعجزة مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة ان الله كان لطيفا خبيرا
يعلم من يصلح للنبوة ومن يصلح ان يكون اهل بيته وافاد الاستاد ان الرجس الافعال الخبيثة
والاخلاق الدنية فالافعال الخبيثة الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما دق وما جل والاخلاق
الدنية الاهواء والبدع كالبخل والشح وقطع الرحم ويريد بهم الاخلاق الكريمة كالايثار والجود
والسخاء والرحمة وصلة الرحم ويديم لهم العصمة والتوفيق والتسديد والتحقيق ويطهرهم من
الذنوب والعيوب ثم قال واذكرن عظيم المنة وجلال الحالة التى تجرى فى بيوتكن من نزول
وحى الرسالة ومجئ الملائكة وحرمة الرسول صلى الله عليه وسلم والنور الذى يقتبس من الآفاق
ونور الشمس الذى ينبسط على العالم بالاتفاق فاعرفن هذه النعمة وارعين هذه الحرمة ان المسلمين
والمسلمات الداخلين فى السلم المنقادين للحكم والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما
يجب التصديق والقانتين والقانتات المطيعين على وجه التحقيق والصادقين
والصادقات فى الاقوال والافعال والاحوال والصابرين والصابرات على العبادات
وعن المعاصى والسيئات وفى البليات والمصيبات والخاشعين والخاشعات

المتواضعين

المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات المحسنين الى
اخوانهم بما وجب فى اموالهم والصائمين والصائمات بمنع انفسهم عن الشهوات
واللهوات والحافظين فروجهم والحافظات عن المحرمات والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات بقلوبهم والسنتهم فى اكثر الحالات والاوقات اعد الله لهم مغفرة
لما صدر عنهم من الزلات واجرا عظيما لما ظهر منهم من الطاعات والآية وعد لهن
ولامثالهن على الطاعة الشاملة والتدرع بهذه الخصال العشرة الكاملة وافاد الاستاد
ان الاسلام هو الاستسلام والمبالغة فى المجاهدة والمكابدة والايمان هو التصديق والتحقيق
والتوثيق والقنوت طول العبادة والاجتهاد فى الزيادة والصدق يكون فى عقودهم
وعهودهم ورعاية حدودهم والصبر على الخصال الحميدة وعن الصفات الذميمة
وعند جريان مناجاة القضاء والخشوع اطراق السريرة عند بواده الحقيقة والتصدق
باموالهم وانفسهم حتى لا يكون لهم مع احد خصومة لاجلهم فيما نالوا منهم
وقالوا فيهم والصيام هو الامساك عما لا يجوز فى الشريعة والطريقة والحفظ فى
الظاهر عن الحرام وفى الاشارة عن جميع الانام والذكر بالسنتهم وقلوبهم وفى عموم
اوقاتهم فهؤلاء لهم جميل الحسنى وجزيل العقبى وما كان وما صح لمؤمن ولا مؤمنة
اذا قضى الله ورسوله امرا اى حكما وعينا قدرا ان تكون وقرا الكوفيون وهشام
بالتذكير لهم الخيرة من امرهم ان يختاروا شيئا آخر من تلقاء انفسهم بل
يجب على كل احد ان يجعل اختياره فى جميع امره تبعا لاختيار الله ورسوله ومن
يعص الله ورسوله فيما بيننا فقد ضل ضلالا مبينا وافاد الاستاد ان الافتيات
عليه بامره والاعتراض عليه فى حكمه وترك الانقياد الى اشارته قرع باب الشرك
فمن لم يمسك عنه سريعا وقع فى وهدته والآية نزلت فى زينب بنت جحش بنت
عمة رسول الله وهى اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لزيد بن حارثة فابت هى واخوها عبد الله فسمعا واطاعا واجابا الى ما دعا واذ تقول
للذى انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه بالانعام
وانعمت عليه بما وفقك الله فيه من المحبة والتبنية وسائر الاحسان اليه وهو
زيد بن حارثة وكان قد اشتراه فى الجاهلية وزوجه فى الاسلام زينب الهاشمية
امسك عليك زوجك زينب حين قال زيد طلقتها وشاورك فى فراقها
وذلك انه عليه السلام ابصرها بعد ما انكحها اياه فقال سبحان مقلب القلوب
وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع فى نفسه كراهة
صحبتها هنالك فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتى
فقال مالك ارابك منها شئ قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم
على لشرفها فقال له امسك عليك زوجك اقامة للشريعة مع علمه بان الامر

الى ما يؤول اليه العاقبة واتق الله في امرك وقصدك للفراق فان ابغض الحلال الى الله
الطلاق وتخفي في نفسك ما الله مبديه اي شيئا الله مظهره وهو نكاحه ان
طلقها او ميل طلاقها او علمه بان زيدا سيطلقها وهو ينكحها فان الله قد علمه
بذلك على ما نقله ابن ابي حاتم والسدي عن علي بن الحسين وتخشى الناس وتكره
تعييرهم بان محمدا مال الى زوجة مولاه وتزوج زوجة من تبناه والله احق ان
تخشاه فلا تظهر بلسانك خلاف ما تحب بجنانك فان الانبياء مامورون
بتسوية الظاهر والباطن في الخلاء والملاء فلا تامر بما تعلم يقينا انه جرى بخلافه
القضاء وقال ابن عطاء تخشى الناس ان يهلكوا في شان زيد وذلك من
كمال شفقته على الامة والله احق ان تخشاه ان تبتهل اليه ليزيل عنهم
ما تخشى فيهم فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث ملها ولم يبق له حاجة فيها
وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها من غير حضور ولي وشاهد وتعيين
مهر لها ولهذا كانت تقول افتخارا زوجني الله من فوق سبع سموات والسفير
جبريل وقيل كان السفير زيد في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم في شانه وشاهد
بين على قوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
بالنبوة اذا قضوا منهن وطرا اي دخلوا عليهن لئلا يظن ان حكم الادعياء
حكم الابناء وكان امر الله قضاؤه الذي اراده مفعولا كائنا محصلا على وفق
ما قضاه وظاهر الآية انه لمسها لكن روي عنها انها قالت ما كنت امتنع عنه غير ان الله
منعني عنه لحكمة ارادها قيل قرئ هذه الآية عند ذي النون المصري فتاوه تاوها
ثم قال ذهب واستتر زيد بخير الدارين لو فارق الكونين بعد ان ذكره الله من بين اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم باسمه بقوله فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ما كان على النبي
من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر سنة الله في الذين خلوا من قبل من الانبياء
وهي نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء
مقضيا وحكما مرضيا قال سهل اي معلوما له قبل وقوعه عندكم وهل يقدر احد ان يجاوز
المقدور منكم الذين يبلغون رسالات الله مدح لهم منصوب او مرفوع ويخشونه
ولا يخشون احدا الا الله لعلمهم بانه لا يصيب احدا ضرر ولا محذور الا بتقدير
مقدور فيفردونه بالخشية عند كل امور وفيه تلويح بعد تصريح وكفى بالله حسيبا
كافيا للمخاوف او محاسبا للذنوب فينبغي ان لا يخشى الا من علام الغيوب قال ابن
عطاء هذه خشية السادة والاكابر والاصفياء واما خشية عوام الخلق فمن جهنم
ونحوها من انواع البلاء ما كان محمد ابا احد من رجالكم على حقيقة امره فلم يثبت
بينه وبين من تبناه من حرمة المصاهرة والنكاح ونحوه ما ثبت بين الاب وولده
ولكن رسول الله اي كان رسول الله وهو ابو الامة في الشفقة والحرمة وخاتم النبيين

آخرهم

آخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بفتح تائه وكان الله بكل شيء عليما
فيعلم حيث يجعل الرسالة ومن يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شانه في
الجلالة وقال الاستاد اي نسبه ظاهر فيكم لكن انما يعرف بلا نسبة منكم اذ قل
ما يقال له محمد بن عبد الله ولكن ابد الابد يقال محمد رسول الله يا ايها الذين آمنوا
اذكروا الله ذكرا كثيرا يعم انواع ما هو اهله من التقديس والتمجيد وسائر الصفات
ويشمل جميع الاوقات والحالات وسبحوه بكرة واصيلا اي اول النهار وآخره
خصوصا تنزيها له من الحدوث تغيرا او تبدلا فسبحان من يغير ولا يتغير وقال
بعضهم المراد بالتسبيح الصلوة وبالوقتين الصبح والعصر والعشائين وفي الحديث
اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون رواه الامام احمد والطبراني وورد ليس تتحسر اهل
الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها رواه الطبراني والبيهقي وفي
الخبر مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت رواه الشيخان وفي
تفسير السلمي قيل وقت الله العبادات كلها بالاوقات الا الذكر فانه امر ان يذكر
ذكرا كثيرا والذكر الكثير للقلب وهو ان لا يغيب القلب عن المشاهدة ولا يغفل
عن الحضرة وافاد الاستاد ان الاشارة فيه احبوا الله لان النبي عليه السلام
قال من احب شيئا اكثر من ذكره فيجب ان يقول الله ولا ينسى الله بعد ذكر الله
ويقال اذكروا الله بقلوبكم فان الذكر الذي يمكن استدامته ذكر القلب فاما
ذكر اللسان فادامته سرمدا كالمتعذر ثم التسبيح من قبيل الذكر ولكنه ذكره بلفظين
لئلا يعتريك سامة من ذكر واحد هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالدعوة
للمغفرة والمعنى يصلحون اموركم ويطهرون سرائركم ونوركم ليخرجكم من الظلمات الى النور
من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حتى اعتنى
بصلاح امرهم وفلاح قدرهم وافاد الاستاد ان الصلاة في الاصل الدعاء فصلاته
سبحانه دعاؤه لنا بالتقريب القاصي وصلاة الملائكة دعاؤهم لنا بالاحسان للمطيع
وبالمغفرة للعاصي ويقال الصلوة من الله الرحمة ومن الملائكة بمعنى الشفاعة ليخرجكم
من الضلال الى روح الوصال ويقال ليخرجكم من ظلمات التدبير الى فضاء شهود التقدير
ويقال ليخرجكم من ظلمات نفوسكم الى انوار البصائر في قلوبكم ويقال ليخرجكم من اسباب
التفرقة الى شهود عين الحقيقة والتحقق باوصاف الجمعية تحيتهم من اضافة
المصدر الى المفعول اي يحيون حين يلقونه يوم لقائه عند الموت او الخروج عن القبر
او دخول الجنة سلام والمعنى يسلم الله عليهم وهو متضمن للاخبار عنهم بالسلامة
عن كل مكروه وآفة واعد لهم اجرا كريما هو الجنة ونعيمها مقيما قال ابن عطاء اعظم
عطية للمؤمن في الجنة سلام الله من غير الواسطة وافاد الاستاد ان اللقاء اذا قرن
بالتحية لا يكون الا بمعنى رؤية البصر ثم التحية خطاب يفاتح بها الملوك العادية فهذا السلام

يدل على علو رتبتهم التي جعلها لهم في منزلتهم فاللقاء حاصل بعينهم والخطاب
واصل بسمعهم واعد لهم اجرا كريما اى حسنا فان الكرم نفي الدناءة والخسة
وفي الاشارة اجر كثير على عمل يسير فان الكريم لا يستقصي في البيع والشرى وفي
الاعداد تعريف بالاحسان السابق في وقت غيبة العباد يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا لله بالوحدانية ومبشرا للمؤمنين بالجنة والقربة ونذيرا للعاصين
بالحرقة والفرقة وداعيا للخلق الى الله اى ما يجب الايمان به من صفاته ومن
القيام بوظائف طاعاته باذنه بتوفيقه وتسهيله وسراجا منيرا يستضاء به
من ظلمات الجهالة ويستنقذ به من بيداء الضلالة ويقتبس من نوره انوار
البصائر في كل وقت وحالة وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا
على سائر الامم ولو كانوا جمعا كثيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين دم على ما
انت عليه من اقامة الدين واستقامة اليقين ودع اذاهم اى اصبر عليه ولا
تغتم لديه وتوكل على الله اعتمد عليه وفوض كفاية شرهم اليه وكفى بالله
وكيلا موكولا اليه الامور في الاحوال كلها لان من توكل على القوي القدير تيسر
عليه كل العسير وقال الاستاذ يا ايها المشرف من قبلنا انا ارسلناك شاهدا بوحدانيتنا
ومشاهدا لنا بصمدانيتنا تبشر عبادنا عنا وتحذرهم مخالفة امرنا وتعلم مواضع
الخوف منا وداعيا للخلق الينا بنا وسراجا يستضيئون بك وشمسا ينبسط
شعاعك على جميع من صدقك وآمن بك ولا يصل الينا الا من اتبعك وخدمك
وصدقك وقدمك وبشر المؤمنين بفضلنا معهم ونيلهم منا طولنا عليهم
واحساننا اليهم ولا توافق من اعرضنا عنه واضللناه من اهل الكفر والنفاق
واهل البدع والشقاق وتوكل على الله بدوام الانقطاع اليه وكفى بالله وكيلا
في الاعتماد عليه يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات وفي حكمهن الكتابيات ثم طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن تجامعوهن وفي قراءة حمزة والكسائي تماسوهن فما لكم
عليهن من عدة مدة ايام يتربصن بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها
وظاهر الآية يقتضي عدم وجوب العدة لمجرد الخلوة كما هو مذهب الشافعية
وهو كذلك عند المشايخ الحنفية بناء على الديانة لا في حكم القضاء عند
الخصومة فمتعوهن ان لم يكن المهر مفروضا لها فان الواجب للمفروض لها نصف
المفروض دون المتعة فان المتعة سنة للمفروض لها عند الشافعية واما عند
الحنفية فيستحب المتعة لكل مطلقة الا التي طلقها الزوج قبل الدخول بها ولم
يسم مهرا لها وسرحوهن اخرجوهن من منازلكم عليهن عدة سراحا جميلا
من غير ضرار بهن ولا منع حق عنهن وقال الاستاذ اذا اشرتم فراقهن فمتعوهن
ليكون لهن عنكم تذكرة في ايام الحرقة الى ان تتوطن نفوسهن على الفرقة وسرحوهن

سراحا

سراحا جميلا لا تذكروهن بعد الفراق الا بخير ظهر منهن ولا تستردوا منهن شيئا
تخلفتم به معهن فلا تجمعوا عليهن الفراق بالحال والاضرار من جهة المال يا ايها النبي
انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن مهورهن وفيه اشارة الى ان تعجيل
اعطاء المهر سنة وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك مما غنمك الله من دار
عدوك فقد ملك صلى الله عليه وسلم صفية وجويرية فاعتقهما وتزوجهما واما
ريحانة ومارية فمن السراري وتقييد احلال المنكوحة بكونها مسبية بيان
الافضلية فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها اسرها وبنات عمك وبنات
عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اى لا كالنصارى فانهم لا يتزوجون
امرأة بينهم وبينها سبعة اجداد ولا كاليهود يتزوج احدهم ابنة اخيه واخته
اللاتي هاجرن معك الى المدينة والمعنى مشتركات في الهجرة لا في الصحبة فلا يحل له
غير المهاجرات كما دل عليه ما في الترمذي وعن بعض معناه اللاتي اسلمن وقيل قيد
الهجرة بيان الافضلية كما في تقييد ما قبلها من القرينتين السابقتين كان اشارة
الى الاكملية وامرأة مؤمنة اى احللناها دون غيرها ان وهبت نفسها للنبي من
غير مهر لها ان اراد النبي ان يستنكحها يتزوجها خالصة لك من دون المؤمنين
قيل ينعقد في حقه عليه السلام بلفظ الهبة من غير ولي وشهود ومهر وقيل
اختصاصه في ترك المهر فقط وهو الاظهر فتدبر في الجملة خص به لشرف نبوته
وتقريرا لاستحقاق كرامته ورفعته عن مراتب امته ثم القضية فرضية فعن
ابن عباس ومجاهد ما كانت تحته امرأة وهبت نفسها وخالفهما كثير من السلف
في نقلها والمشهور انها زينب بنت خزيمة الانصارية وماتت في حيوة
النبي صلى الله عليه وسلم قد علمنا ما فرضنا عليهم على عموم المؤمنين
في ازواجهم من شرائط العقد ووجوب القسم وتعيين العدد وما ملكت
ايمانهم من توسيع الامر في المملوكات لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا
لارباب الزلات رحيما باصحاب الطاعات ترجي من تشاء منهن تؤخر
من تريد من نسائك وتترك مضاجعتهن بان لا تقسم بينهن وتؤوي
اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها لربك او تطلق من تشاء وتمسك
من تشاء وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء ومعنى المهموز
والمعنى في هذا المبنى متحد في المعنى ومن ابتغيت اى طلبت واردت منها
الاصابة ممن عزلت من النساء التي عزلتهن عن القسمة فلا جناح عليك
في شيء من ذلك اذ الامر اليك ذلك ادنى واولى ان تقر اعينهن ولا يحزن
ويرضين بما آتيتهن كلهن تأكيد نون يرضين اى ذلك التفويض اليك
من غير وجوب قسم عليك اقرب الى قرة اعينهن وانتفاء حزنهن وبقاء رضاهن

لاستواء الحكم فى حق كلهن ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضيلا
منك عليهن وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فيهن فتطمئن نفوسهن
والله يعلم ما فى قلوبكم فاجتهدوا فى احسانهن وكان الله عليما بذات الصدور
حليما لا يعجل بالعقوبة فى الامور واتفقت الروايات على انه عليه السلام كان
يعدل بينهن فى القسمة ويقول اللهم هذا قسمى فيما املك فلا تلمنى فيما تملك ولا املك
يعنى من المحبة وقال الاستاد اى وسعنا الامر عليك فى باب نكاحهن بكم شئت
منهن فانك مأمون العيب فى التسوية بينهن ومراعاة حقوقهن وترك الحيف
عليهن والتوسعة فى النكاح تدل على زيادة الفضيلة كالحر والعبد لا يحل لك
النساء وقرأ ابو عمرو بالتاء من بعد بعد هؤلاء التسع فلا يجوز لك العشر
فما فوقها وهو فى حقه كالاربع فى حق امته ادن بعد هذا اليوم حتى لو ماتت واحدة
لم يحل له نكاح اخرى ويؤيده قوله ولا ان تبدل بهن من ازواج فتطلق واحدة
وتنكح بدلها ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المتبدلة واختلف فى ان
الآية محكمة او منسوخة بقوله ترجى من تشاء فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق
بها منزلة فقد روى الامام احمد فى مسنده والترمذى والنسائى فى سننهما عن
عائشة رض انه صلى الله عليه وسلم ما مات حتى احل الله له النساء انتهى الا انه عليه
السلام لم يقع منه بعد ذلك تزوج فوقهن ليكون المنة عليهن الا ما ملكت
يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وكان الله على
كل شئ رقيبا فتحفظوا امركم وخذوا حذركم وقال الاستاد لما اخترنه على
الدنيا اثبت الله لهن حرمة فى المهنا اى كما اخترنك فلا تختر عليهن غيرهن
تطييبا لقلوبهن ونوعا للمعادلة بينه وبينهن وهذا يدل على سعة كرمه سبحانه
على عباده يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الا
وقت ان يؤذن او بان يؤذن لكم ويدعى بكم الى طعام غير ناظرين اناه
حال كونكم غير منتظرين وقت ادراكه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا
طعمتم فانتشروا تفرقوا منه ولا تمكثوا فيه والآية خطاب لقوم كانوا
يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين
لادراكه فالحكم مخصوص بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته
عليه السلام بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعده لبعض المهام ولا مستأنسين
لحديث اى ولا تمكثوا مستأنسين لحديث بعضكم بعضا ان ذلك اللبث
كان يؤذى النبى لتضييق المنزل عليه وعلى اهله او لاشتغاله فيما يعنيه
من حاله فيستحيى منكم من اخراجكم او من اظهار كراهة مكثكم والله لا يستحيى
من الحق فيبين لكم طريق الصدق نزلت حين تزوج زينب واولم فلما

طعموا جلس ثلثة منهم متحدثين فخرج عليه السلام من منزله ثم رجع على قصد دخوله
وهم جلوس فرجع وكان عليه السلام شديد الحياء كما روى فى الصحيحين ولعله راعى قوله
تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم لاستمادهم وهو عليه السلام كان من اهل الكرم وافاد
الاستاد ان حسن خلقه عليه السلام حبسهم على المباسطة حتى انزل الله هذه الآية
واذا سألتموهن اذا طلبتم ازواجه متاعا شيئا ينتفع به فسئلوهن المتاع
من وراء حجاب روى ان عمر رض قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت
امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت والصحيح انها كانت فى ذى القعدة من السنة
الخامسة ذلكم السؤال من وراء الحجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الوساوس
الشيطانية والهواجس النفسانية فان الرؤية سبب التعلق والفتنة وافاد الاستاد
انه سبحانه نقلهم عن مألوف العادة الى معروف الشريعة ومفروض العبادة وبين
ان البشر بشر وان كانوا من الصحابة فلا ينبغى لاحد ان يأمن نفسه فى امر الديانة
ولهذا تشدد الامر فى الشريعة بان لا يخلو رجل بامرأة ليس بينهما محرمية وما كان
لكم وما صح لكم ولا يليق بكم ان تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه بوجه ما ولا ان
تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته بالاجماع او بعد فراقه الا انه اختلف
فى المطلقة بعد دخوله واما المطلقة قبل الدخول فلا نزاع فى حلها ان ذلكم قصد
ايذائه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما ذنبا جسيما ان تبدوا شيئا كنكاحهن
على السنتكم وسائر اموركم او تخفوه فى صدوركم فان الله كان بكل شئ
عليما فيعلم جميع اعمالكم ويجازيكم بحسب احوالكم وافاد الاستاد ان حفظ القلب
مع الله ومراعاة الامر بينه وبين الله على الصحة فى دوام اوقات
المرور لا يقوى عليه الا الخواص من اهل الحضور لا جناح عليهن فى آبائهن ولا
ابنائهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن فى ان لا يحتجبن عن هؤلاء فى
خالاتهن ولم يذكر اعمامهن واخوالهن لانهما بمنزلة الوالدين لهن ولا
نسائهن الداخلات عليهن لانهن من جنسهن ولا ما ملكت ايمانهن من
امائهن واتقين الله فى السر والعلانية ان الله كان على كل شئ شهيدا
لا يخفى عليه خافية ان الله وملائكته يصلون على النبى يعظمونه ويعتنون
باظهار شرفه واعلاء شانه يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا
فانكم اولى به وقولوا اللهم صل على محمد ونحوه وسلموا تسليما وقولوا السلام
عليك ايها النبى وشبهه وقيل وانقادوا لاوامره والآية تدل على وجوب
الصلوة والسلام عليه فى الجملة وقيل تجب كلما جرى ذكره ويكتفى فى مجلس بالمرة
وافاد الاستاد انه سبحانه اراد ان يكون للامة عنده صلى الله عليه وسلم
يد خدمة كما له عليهم بالشفاعة يد نعمة فامرهم بالصلوة عليه ثم كافاهم بالدية كما

اخبر صلى الله عليه وسلم مشيرا اليه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشر مرات او
هذا اشارة الى ان العبد لا يستغني في وقت من الاوقات عن الزيادة اذ لا رتبة
فوق رتبة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد احتاج الى زيادة صلوات الامة ان الذين
يؤذون الله فينسبون اليه ما لا يليق بكبريائه كالولد والشريك وسب
الدهر وامثاله ورسوله بالطعن في حقه وفيما يتعلق به او المراد بايذائهما مخالفة
امرهما ونهيهما لعنهم الله ابعدهم من رحمته العافرة في الدنيا والآخرة واعد لهم
عذابا مهينا يهين اشباحهم وارواحهم والذين يؤذون المؤمنين
والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا الاذى بها وقيل معناه
ينسبون اليهم اشياء ما هم براء منها ويؤيده قوله فقد احتملوا بهتانا واثما
مبينا ظاهرا نقل الترمذي وابي داود قيل يا رسول الله ما الغيبة فقال ذكرك اخاك
بما يكره قيل ارأيت ان كان فيه ما اقول قال ان كان فيه فقد اغتبته
وان لم يكن فيه فقد بهته يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين
يدنين عليهن من جلابيبهن يغطين وجوههن وابدانهن بملاحفهن اذا برزن
لحاجة لهن ذلك ادنى ان يعرفن اقرب الى ان يميزن من الاماء فيعرفن انهن حرائر
من العفائف فلا يؤذين فلا يؤذيهن اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله
غفورا لما عسى يصدر عنهن من الاخلال في تسترهن رحيما بهن حيث بين
لهن ما يصلح من امرهن قال الاستاد وفيه تنبيه على حفظ الحرمة واثبات الرتبة
لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم وشقاقهم والذين في قلوبهم مرض ضعف
دين وقلة يقين عن فجورهم في امورهم والمرجفون في المدينة اخبارهم السوء
من سرايا المسلمين ونحوها في امور الدين عن ارجافهم واظهار خلافهم
لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم واجلائهم ثم لا يجاورونك فيها في المدينة
الا قليلا زمانا او عددا او جوارا قليلا وثم للتراخي في الاخبار او للرتبة من جهة
الدلالة على ان مفارقة المجاورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اعظم المصائب واتم
المعايب ملعونين نصب على الذم اي مبعدين عن وصول رحمته مطرودين عن دخول
جنته اينما ثقفوا وجدوا اخذوا اسروا وقتلوا تقتيلا قتلا شنيعا او سريعا
سنة الله في الذين خلوا من قبل اي سن الله سنة في الامم الخالية وهي ان تقتل الذين
ينافقون الانبياء الماضين ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه سبحانه لا يغير سنته ولا يقدر
احد ان يبدل عادته يسألك الناس عن الساعة عن وقت قيامها استهزاء
او امتحانا بها قل انما علمها عند الله لم يطلع عليها احد سواه وما يدريك اي شيء يعلمك
وقتها لعل الساعة تكون قريبا زمن وقوعها وفيه تهديد للمستهزئين وتشديد للممتحنين
ان الله لعن الكافرين ابعدهم عن رحمته واعد لهم سعيرا نارا شديدة الايقاد وقد

وقده

وقده خالدين فيها لا نهاية لها لا يجدون وليا يتولى نفعهم ولا نصيرا يدفع
ضرهم يوم تقلب وجوههم في النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم تغلي في برمة او
تطرح في النار مقلوبة منكوسة او تغير من حالة مساوة الى كدرها او اعظم منها يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلن نبتلي بهذا العذاب وما يترتب عليه
من الحجاب وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وقرأ ابن عامر ساداتنا وكبراءنا
فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا الدليل واخطؤنا السبيل فوقعنا في العذاب
الوبيل ربنا آتهم ضعفين من العذاب من عذابنا لانهم ضلوا واضلونا
او من العذاب الذي عذبتهم فانهم احقاء الزيادة والعنهم لعنا كثيرا في الكمية
وقرأ عاصم بالموحدة اي عظيما في الكيفية يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى
حين نسبوه الى برص كما رواه البخاري مرفوعا او ادرة كما رواه ابن ابي حاتم عن علي موقوفا
فبرأه الله مما قالوا فاظهر الله براءة ساحته بان اطلعهم على حسن حالته وكان عند الله
وجيها وجاهة نبيها وقرئ عبد الله وجيها وافاد الاستاد ان الجاه النافع ما كان عند الله
اذ قبول الناس لا عبرة ولا خطرة له لا سيما العوام كانهم يقبلون بلا شيء ويردون بلا شيء
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله وقولوا قولا
سديدا صالحا للقبول وصوابا في مقوله يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يجعلها
مقبولة والاثابة ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة لما سبق من احوالكم ومن يطع الله
ورسوله في اوامرهما وزواجرهما فقد فاز فوزا عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي العقبى
حميدا قال سهل من وفقه الله لصالح الاعمال فذلك دليل على انه مغفور له ذنوبه في
آخر الاحوال وقال الاستاد يقال سددوا اقوالكم سدادا اعمالكم ولقد هون عليك الامر
من رضي منك بحالة وقالة حالة ترك الشرك وقالة كلمة الشهادة بالصدق يصلح لكم
اعمالكم الدنيوية من الخلل ويغفر لكم في الآخرة الزلل هذا حصول سعادة الدارين وذكر
الاعمال بالجمع وقدمها على الغفران لانه ما لم يصلح لك في حالك ولم يكفك ما اهمك
من اشغالك لم تتفرغ الى حديث آخرتك ومآلك انا عرضنا الامانة تكاليف
الثقال على السموات والارض والجبال بان قلنا لهن هل تحملن الامانة وما يتعلق بها
قلن واي شيء فيها قلنا ان احسنتن اثبناكن وان اسأتن عاقبناكن قلن
لا طاقة لنا بالعقاب ولا حاجة لنا الى الثواب فابين ان يحملنها فامتنعن
من قبولها واشفقن منها خفن من ثقل حملها وحملها الانسان اي آدم
لما عرضنا عليه وفوضنا الامر اليه انه كان ظلوما لنفسه بتحمل ما يشق عليها
من الامانة جهولا بوخامة عاقبة الخيانة كذا فسره جماعة وعن كثير من السلف
ما كان بين قبوله الامانة وبين ما صدر منه الخطيئة والجناية الا قدر ما بين العصر
الى الليل وقال قوم هذا من باب المجاز اي اذا قايسنا ثقل الامانة بقوة السموات

سبب ظ
موجب ظ

وتحملها اباها انها لا تطيق ثقلها ولو تكلمت لابت حملها ولذا قيل معنى عرضنا
الامانة عارضناها وقابلناها بها فابين ان يحملنها فقصرت ونقصن عنها وحملها
الانسان اى قبلها لكمال قابليته واستعداد جامعيته ونظير هذا ما فى لسان العرب
وكلامها قولهم قال الجدار للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى وقيل اراد بالامانة
الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء ولازمة الوفاء والمعنى انها
لعظمة شانها ورفعة قدرها انها لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات
شعور وادراك وافهام لابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع
ضعف بنيته ورخاوة قوته لا جرم فاز الراعى لها والقائم بحقوقها بخير الدارين
من فضل ربهما بتوفيق امرها انه اى الانسان باعتبار اغلب افراده المتصفة بحكم
العصيان كان ظلوما حيث لم يف بها ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وشدة
وخامتها وقال بعضهم اداء امانة الخلق من اداء امانة الحق وافاد ان خيانة الامانة
على مراتب فالكفار خانوا فى اصل الامانة وهى المعرفة ومن دونهم خانوا بالمعصية على تفاوت
مختلفة وكل احتقب من وزره بقدره ويقال ابين ان يحملنها اباء اشفاق لا اباء
استكبار وشقاق واستعفين فعفا عنهن واعفاهن وحملها الانسان قبلها ثم ما رعوا
حق رعايتها كل بقدر حالته فى خيانتها انه كان ظلوما جهولا بصعوبة حمل الامانة فى الحال
والعقوبة التى عليها فى المآل وقوم قالوا عرض الامانة على السموات والارض وفرض
على الانسان فهم كانوا اهل العرض فاستعفوا وهؤلاء كانوا اهل الفرض فبقوا راعوا
واستعصوا ويقال هذه الامانات هى الواجبات اصولها وفروعها ويقال التوحيد
عقدا وحفظ العهود جهدا ويقال راى السموات والارض الامانة فابوا حملها وراى
الانسان من يعرض فحملها ويقال حملها الانسان بربه لا بنفسه ويقال لما حمل آدم الامانة
واولاده قال تعالى وحملناهم لما حملوا حملوا هل جزاء الاحسان الا الاحسان ويقال كاشف
الله السموات والارض بوصف الربوبية والعظمة فاشفقوا وكاشف آدم وذريته
بوصف اللطف فقبلوا وحملوا وفى حال بقاء العبودية يحمل السموات والارضين على
شفرة من جفنه ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب
الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه كالنتيجة واللام للعاقبة
وذكر التوبة فى الوعد مشير بكونهم ظلوما جهولا فى جبلتهم لا يخليهم عن تقصيرات يصدر
عن زلتهم وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم واثاب على طاعاتهم بالفوز
فى جناتهم على حسب درجاتهم

سورة سبا مكية وهى اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله كلمة سماعها غلابة نهاية وآية تسلب
القلوب ولكن لا كل قلب وتغلب الالباب لكن لا كل لب وتنهب الارواح
ولكن من الاحباب وتهب الارتياح ولكن لقوم مخصوصين من الطلاب الحمد لله الذى

له ما فى

له ما فى السموات وما فى الارض خلقة ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى
تمام نعمته وله الحمد فى الآخرة لما فيها من مراتب جنته ومشاهد رؤيته وهو الحكيم
فى الامور الخبير بما فى سطور الصدور وافاد الاستاد انه سبحانه افتتح السورة
بذكر الثناء على نفسه باخباره عن جلاله واستحقاقه لنعوت عزه وجماله فهو فى الازل
حامد لنفسه محمود واحد موجود وفى لا يزال معبود وبالطلبات مقصود الذى له
ملك السموات والارض والملك لا يكون بالشركة فلا ملك الا لله وحده وان
اجرى هذا الاسم على مخلوق لا يضره فالزنجى لا يتغير عن لونه وان سمى كافورا فى وصفه
وله الحمد فى الآخرة من الذين اعتقهم وفى النعم اغرقهم وهو الحكيم بتخليد قوم الى
الجنة وتابيد قوم فى النار الخبير باحوال الابرار والفجار يعلم ما يلج فى الارض يدخل
فيها كالكنوز والبذور والاموات وما يخرج منها كالحيوانات والنباتات وما
ينزل من السماء كالملائكة والامطار وما يعرج فيها كاعمال الاولياء وارواح
الاصفياء وهو الرحيم للمحسنين من المطيعين الغفور للمذنبين من المؤمنين
لمن آب اليه الغفور لمن تاب عليه وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة انكار لمجئ
القيمة قل بلى تاتيكم على وجه البغتة وربى اقسم به لتاتينكم الساعة التى لا تنفع
فيها الا الطاعة عالم الغيب صفة ربى او بدل وقرا حمزة والكسائى علام الغيب
للمبالغة لان الساعة من ادخل المغيبات فى الخفية وقرا نافع وابن عامر عالم
الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدا خبره لا يعزب عنه مثقال ذرة لا يغيب
مقدار اصغر نملة فى السموات ولا فى الارض وقرا الكسائى لا يعزب بكسر الزاى
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين اى مسطور فى اللوح المحفوظ المظهر لبعض
ما علمه سبحانه ورفعهما بالابتداء ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات متعلق بقوله
لتاتينكم وبيان لما يقتضى اتيانها بوصف عظيم اولئك لهم مغفرة ورزق كريم هو
الجنة من غير التعب والمنة والذين سعوا فى آياتنا بابطال مبانيها وافساد معانيها
وتزهيد الناس فيها معاجزين حال كونهم مفوتين على زعمهم يحسبوا انهم
يسبقوننا ويفوتوننا وقرا ابن كثير وابو عمرو معجزين بالتشديد وهو بمعنى
معاجزين ومثبطين عن الايمان ومعوقين اولئك لهم عذاب من رجز من سيئ
العذاب اليم مولم فى مقام الحجاب ورفعه ابن كثير وحفص على انه نعت العذاب
وقال الاستاد المحسنون يجازيهم بالخيرات متصلة والكافرون يكافيهم بالعقوبات
غير منفصلة ويرى الذين اوتوا العلم ويعلم اولوا العلم من الاصحاب ومن تبعهم
من الامة فى هذا الباب او من مسلمى اهل الكتاب الذى انزل اليك من ربك اى
القرآن المنعوت بالفرقان هو الحق ثانى مفعولى يرى وهو ضمير فصل ويهدى اى
القرآن او الله به الى صراط العزيز الحميد الذى هو التوحيد الشامل للاعمال الحميدة

والاحوال السعيدة وقال الذين كفروا بالبعث وانكروا هل ندلكم على رجل يعنون محمدا
عليه السلام ينبئكم يحدثكم بحال عجيب وامر غريب اذا مزقتم كل ممزق اى اذا متم
وفرقتم كل تفريق كمن صرتم كالتراب انكم لفى خلق جديد للحساب والعذاب افترى
على الله كذبا من اعجب العجائب ام به جنة جنون فلا يفرق بين الخطا والصواب بل الذين
لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب اى الشديد والضلال البعيد عن الرجوع الى طريق الحميد
افلم يروا الم يتفكروا فلم ينظروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض محيطة بهم
من جميع جوانبهم ان نشأ عذابهم فى الدنيا قبل وصولهم للعقبى نخسف بهم الارض
او نسقط عليهم كسفا من السماء لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرا حمزة والكسائى
يشا ويخسف ويسقط بالياء وحفص كسفا بالتحريك ان فى ذلك لآية لدلالة لكل
عبد منيب راجع الى ربه متأمل زاجره ولقد آتينا داود منا فضلا على سائر الناس
بالنبوة والكتاب والمعجزة والملك الوسيع والصوت البديع او على سائر الانبياء
بما خصه من الانباء بقوله يا جبال اوبى معه رجعى معه التسبيح والمعنى سبحى معه اذا سبح والطير
عطف على محل الجبال والنا له الحديد جعلناه كالشمع له يصرفه كيف شاء بيده من غير
احماء نار وضرب مطرقة فى صنعه ان اعمل امرناه ان اعمل سابغات دروعا واسعات
وقدر فى السرد فى نسجها بحيث تناسب حلقها او قدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق
ولا غلاظا فتخرق واعملوا صالحا الخطاب لداود واله الكريم او له على وجه التعظيم
انى بما تعملون بصير فاجازيكم على النقير والقطمير وقال الاستاد فى القصة انه قال
فى مناجاته الهى انى رايت فى التورية ما اعطيت انبياءك واصفياءك من الرتب
الجلية فاعطنيها فقال انى ابليتهم فصبروا فقال فانى اصبر على بلائك فاعطنى
ما اعطيتهم من عطائك فابلاه فوفق بالصبر على ما قضاه فاعطاه ما اعطاهم قال
وتكلموا فى الفضل فقيل هو رجوعه الى الله فى حال ما وقع من الاعتذار والانتباه ويقال
هو شهوده موضع ضره وانه لا يصلح امره غيره ويقال طيب صوته للزبور عند قراءته
حتى كان يرغب من يستمع اليه فى متابعته ويقال هو حلاوة صوته فى حال مناجاته ويقال
حسن خلقه مع امته وقدام الله الجبال والطير يجاوبنه حين خرج الى الصحراء
ينوح على نفسه وحالته ويقال اوحى الله اليه يا داود كانت تلك الزلة
عليك مباركة فقال يا رب وكيف الزلة تكون مباركة فقال كنت تجئ
قبلها كما يجئ المطيعون فالآن تجئ كما يجئ المذنبون وفيما اوحى اليه يا داود
انين المذنبين احب الى من صراخ العابدين وقد جعل له الالانة معجزة لامره
وتوسعة لرزقه ليعمل ذلك صنعته ويقطع طمعه عن امته فى ارتفاقه بهم
وانتفاعه ليبارك لهم فى اتباعه ولسليمان الريح مسخرة غدوها شهر ورواحها
شهر مسيرها بالغدوة الى انتصاف النهار مسافة الشهر وبالعشى كذلك

هذا القدر قال الاستاد وفى القصة انه لاحظ يوما ملكه فى حال انبساطه فمال
الريح ببساطه فقال سليمان للريح استوى فقال الريح استو انت ما دمت
مستويا بقلبك كنت مستوية بحكمك فملت فملت واسلنا له عين القطر
النحاس المذاب اسالها له من معدنه فنبع فيه ينبوع الماء من منبعه وكان ذلك
باليمن ومن الجن من يعمل بين يديه جملة من مبتدا وخبره باذن ربه بامره ومن يزغ
منهم يعدل عن امرنا عما امرناه من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير فى الآخرة
او فى الدنيا بان تدركه صاعقة فتحرقه يعملون له ما يشاء من محاريب قصور لطيفة
ومساكن شريفة سميت بها لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل اريد بها
المساجد والمعابد وتماثيل وصور الملائكة والانبياء على دأب الناس
وعاداتهم ليروها فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد وقع فى زمن
التأخير ولا يبعد ان يراد بها تماثيل غير الحيوانات فانها من جملة المباحات
وجفان جمع جفنة وهى القصعة والصحفة كالجواب جمع جابية من الجباية
وهى الجمع اى كالحياض الكبار ففى بعض الاخبار كان ياكل من جفنة واحدة
الف رجل وقدور راسيات كالجبال ثابتات لا تنزل عنها لعظمها او لدوام
الاحتياج اليها او لان اثافيها منها اعملوا آل داود شكرا اى ويقال لهم
بلسان القال او بلسان الحال اعملوا صالح الاعمال بشكر نعم الملك المتعال ولما كان
الشكر بالجنان واللسان والاركان قال اعملوا تنبيها على التزام الانواع فى
جميع الاحيان وقليل من عبادى الشكور البالغ الباذل وسعه بالشكر فى اكثر
اوقاته ومع ذلك لا يوفى حق نعمة من حالاته لان توفيقه للشكر نعمة اخرى تستدعى
الشكر الى ما لا يتناهى جزا ولذا قيل حقيقة الشكر هو العجز عن اداء الشكر وافاد الاستاد
ان الشكور هو الذى يشكر على المحنة فوق ما يشكره العامة على النعمة فالناس يشكرونه على
الرخاء والشكور يشكره فى البلاء على البلاء ويقال قليل من عبادى من ياخذ النعمة منى
فلم يحملها على الاسباب فيشكر الوسائط ولا يشكرنى فلما قضينا عليه الموت اى حكمنا
على سليمان عليه السلام بالفناء بعد كماله فى البقاء ما دلهم اى الجن على موته وفوت
وقته الا دابة الارض اى الارضة اضيفت الى فعلها تاكل منساته عصاته وقرا
نافع وابو عمرو بالالف بدلا من الهمزة وابن ذكوان بهمزة ساكنة فلما خر سقط سليمان
حال كونه متكئا على عصاه تبينت الجن علمت الجن بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا
يعلمون الغيب بزعمهم ما لبثوا فى العذاب المهين لم يمكثوا فى العمل الشاق المهين
لهم روى انه كان من عادته ان يعتكف فى مسجد بيت المقدس سنة وسنتين واقل
واكثر فلما علم قرب اجله قال اللهم عم موتى على الجن حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب
ثم دخل المحراب واتكا على عصاه وقبضه ملك الموت والجن يرونه قائما ويحسبونه حيا

وهم في اعمالهم الشاقة فلما اكلت الارضة عصاه خر سليمان فعلمت الجن انه قد مات
قبل ذلك بمدة طويلة نحوا من سنة فشكرت الجن الارضة فهم يأتونها بالماء والطين
في اي يوم موضع هي فيه كذا رواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس وغيره وافاد الاستاد
ان الهلاك الذي يقوم بغيره ويكون استمساكه بعصا في يده فاذا سقط سقط
بسقوطه فان من قام بغيره زال بزواله فسبحان من لا زوال لكماله في صفات جلاله ونعوت
جماله وكان عمر سليمان ثلثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلث عشر سنة
فيكون مدة ملكه اربعين سنة لقد كان لسبأ لاولاد سبا ابن يشجب بن يعرب
بن قحطان ومنع الصرف عنه البزي وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وسكن همزة
قنبل وعامله في الوصل معاملة في الوصل في مساكنهم في مواضع سكناهم وهي
باليمن يقال لها مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص
بالافراد والفتح اي موضع سكناهم او مسكن كل واحد منهم وقرأ الكسائي بكسر
الكاف وهو ما شذ في القياس كالمسجد آية علامة دالة على وجود الصانع
المختار وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة والاحوال الغريبة ومجاز للمحسن
على الاحسان وللمسيء على الاساءة جنتان بدل من آية او تقديره هي او تلك الآية
جنتان والمراد جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم
وجماعة عن شماله وكل واحدة منهما في تقاربها كانها جنة واحدة او بستانا كل
رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له اي يقال
لهم هذا المقال بلسان الحال او بلسان القال بلدة طيبة لمن شكر ورب غفور
لمن قصر مستأنفة مبينة للدلالة على موجب الشكر في تلك الحالة قيل كانت اخصب
البلاد في الرخاء واطيبها على العباد في الهواء لم يكن فيها ذبابة ولا عاهة ولا هامة
فاعرضوا عن شكر النعماء وكذبوا الانبياء وعن وهب ارسل الله اليهم ثلاثة عشر
نبيا وقال السدي اثني عشر الف نبي والله سبحانه اعلم فارسلنا عليهم سيل العرم
سيل الامر الصعب روي انه كان قدام قريتهم سد عظيم يجتمع خلفه الماء فيسقونه
على قدر حاجتهم فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الجرذ فنقبته وغرقهم ذلك الماء كما
قاله ابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي
اكل خمط ثمر بشع وقيل كل شجر ذي شوك او كل نبت مر فهو خمط وفسره بالاراك
جماعة من مشاهير السلف كابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم فالتقدير
اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف
بيان له وقرأ ابو عمرو ذواتي اكل بغير تنوين وقرأ الحرميان بتخفيف اكل واثل عطف
على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفا او شجر يشبهه ولا ثمر له وشيء من سدر
قليل ووصفه بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله فهو اجود اشجارها واحسن

اثمارها

اثمارها او قليل نفعه او عدم ثمره ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم
بالتوحيد والنبوة وهل نجازي الا الكفور لا يعاقب بمثل ما فعلنا بهم الا المبالغ في
الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائي وحفص نجازي بالنون والكفور بالنصب
قال الاستاد كانوا في رغد من العيش وسلامة من الحال ورفاهية في المال فامروا
بالصبر على العافية والشكر على النعمة فاعرضوا عن الوفاق وكفروا النعمة
وضيعوا الشكر فبدلوا وبدل بهم الحال كما قال • تبدلت وتبدلنا واخسرنا
من ابتغى عوضا يسلى فلم يجد ■ كذلك من الناس من يكون في رغد من الحال واتصاف
من التوفيق في الاعمال وطيبة من القلب ومساعدة من الوقت في حضور مع الرب
فيرتكب زلة او يتبع شهوة ولا يعرف قدر ما هو من النعمة فيتغير عليه الحال فلا
وقت ولا حال ولا طرب ولا وصال يظلم عليه النهار وكانت لياليه مضيئة بلا اقمار
لكن ما عوملوا الا بما استوجبوا ولا سقوا الا مما انبطوا وما وقعوا الا في الوهدة
التي حفروا وما قتلوا الا بالسيف الذي طبعوا وجعلنا بينهم وبين القرى التي
باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر
بعضها لبعض وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح
في قرية سيروا فيها يقال بلسان الحال ليالي واياما متى شئتم من ليل ونهار
آمنين لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات وتفاوت الحالات
فقالوا ربنا باعد وقرأ ابن كثير وابو عمرو بعد بين اسفارنا بطروا النعمة
وملوا العافية كبني اسرائيل في تيه البادية فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين
الشام مفاوز من الصحراء ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الدواب
وتزود الازواد في الجراب ولعل كان مرادهم ايضا ان لا يتمكن غيرهم من
تلك السفرة فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة وظلموا انفسهم
حيث اشروا النعمة التامة وكرهوا المنة العامة فجعلناهم احاديث لمن بعدهم
يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدي سبا ومزقناهم
كل ممزق اي وفرقناهم في الارض غاية التفريق حتى لحق غسان منهم
بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان وبعض الى العراق
وهكذا الى سائر الافاق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور وهو المؤمن
فانه اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اي في ظنه
وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه فيهم وضمير عليهم لبني آدم عامة وقيل
لاهل سبا خاصة وظنه انما هو لما ركب فيهم الشهوات او لانهماكهم في
الغفلات واللهوات فاتبعوه اجمعين الا فريقا من المؤمنين الكاملين
المخلصين من العلماء والعاملين وقال الاستاد ولقد صدق عليهم ابليس

ظنه وان كان ابليس لا يملك بنفسه امره وما كان له عليهم على متبعيه منهم
من سلطان وتسلط استيلاء بوسوسته واستغواء الا لنعلم من يؤمن بالآخرة
ممن هو منها في شك تردد وريبة والمعنى لنعلم علما وقوعيا يتعلق به الجزاء فانه
كان معلوما غيبيا في عالم القضاء او لنميز من يؤمن ممن قدر هدايته ويشك
ممن قدر ضلالته وربك على كل شيء حفيظ محافظة للاعمال ومراقب للاحوال
وافاد الاستاذ ان ابليس مسلط على اتباعه من الانس والجن وليس بيده من الضلال
شيء ولو امكنه ان يضل غيره امكنه ان يمسك على الهداية نفسه قل للمشركين ادعوا
الذين زعمتم اي زعمتموها آلهة من دون الله من الملائكة والاصنام فيما
يهمكم من جلب منفعة او دفع مضرة ليظهر لكم انوار الالوهية وآثار الربوبية
فتقوموا بوظائف العبودية لا يملكون لانفسهم باختيارهم مثقال ذرة
من خير او شر لهم ولغيرهم في السموات ولا في الارض اي في العلويات والسفليات
والجملة استيناف ببيان حالهم وضعف مآلهم وما لهم فيهما من شرك شركة
ما لا خلقا ولا ملكا وما له اي لله سبحانه منهم من ظهير نصير ولا وزير ومشير
فيما يتعلق بهما من تقدير وتدبير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان
يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه وظهور برهانه فليس للالهة شفاعة كما
زعم من عبدهم جماعة وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي على البناء للمفعول حتى اذا
فزع عن قلوبهم غاية لما فهم من سابق الكلام من ان ثم توقفا وانتظارا للاذن
بعض الايام فيما قدر من المرام فالمعنى يتربصون باجمعهم فزعين ذكرهم حتى اذا
كشف الفزع عن قلوبهم بكلمة تكلم بها رب العزة في حقهم قالوا اي بعضهم
لبعض على وجه السؤال ماذا قال ربكم في هذا الحال قالوا الحق اي قالوا قال القول
الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى من اهل الايمان والرضا بالقضا وقرأ
ابن عامر فزع على البناء للفاعل وهو العلي الرفيع شانه الكبير سلطانه وبرهانه
قال الاستاذ اخبر سبحانه انه بربوبيته متفرد وفي الوهيته متوحد وانهم لا يملكون
مثقال ذرة ولا مقياس حبة وان الملائكة بوصف الهيبة فزعون وفي الموقف
الذي اثبتهم الحق واقفون لا يفترون عن عبادته ولا يستحسرون ولا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون قل من يرزقكم من السموات والارض من الجهات
من جهتهما قل الله اذ لا جواب سواه وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي ان
احد الفريقين من الموحدين للمتوحد بالخلق والرزق والقدرة الذاتية السبحانية
بالعبادة ومن المشركين به الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لمرتفع في مقام
الهداية ومشرف على مرتبة العناية او منغمس في مطمورة الضلالة ومنغمس منغمر
للجهالة وهذا من باب ارخاء العنان مع الخصم في ميدان البيان والحاصل انه

كلا فانه

كلا لا خالق الا الله فلا رازق للخلق سواه فلا تعبدوا الا اياه ولا تطمعوا الا من نعماه
قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون فيما عملنا وفيه غاية من الانصاف معهم حيث
اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى مخاطبيهم قال الاستاذ يحاسب كلا على اعماله
ويطالب كلا بشانه في احواله لا يؤاخذ احدا باعمال غيره ولا اقواله بل كل يعطى كتابه
ويطلب الله من كل حسابه قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم
ويفصل بان يدخل المحق دار المثوبة والمبطل نار العقوبة وهو الفتاح الحاكم بالعدل
العليم باهل الفضل وافاد الاستاذ انه سبحانه اجرى سنته بان يجمع بين عباده
ثم يعاملهم في حال اجتماعهم بغير ما يعاملهم في حال افتراقهم وللاجتماع اثر كبير
في الشريعة وللصلوة بالجماعة اثر مخصوص في الفضيلة وعاتب الله الذين يتفرقون
عن الرسول في ميدان البيان ومدح من لا يتفرق عنه الا بالاستيذان والشيوخ
ينظرون في الاجتماع من زوائد النعمة وفوائد المنة ويستروحون بهذه الآية قل يجمع
بيننا ربنا ثم يفتح قل اروني الذين الحقتم به شركاء اي اخبروني هل لهم استحقاق
الشركة في الالوهية والربوبية ليترتب عليه استحقاق العبودية وهو استفسار
عن شبهتهم بعد الزام حجتهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع عن المشاركة بعد ابطال
المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وجلال القدرة وكمال الحكمة
وما ارسلناك الا كافة للناس اي الا رسالة عامة لهم بشيرا ونذيرا لمطيعهم ومجرمهم
ولكن اكثر الناس لا يعلمون حقيقة حقيتك فيحملهم جهلهم على مخالفتك قال الاستاذ
هو مؤيد بالمعجزات مشرف في جميع الصفات سيد من في الارضين والسموات ظاهر
لاهل الايمان مستور عن بصائر اهل الكفران وان كان ظاهرا لهم من حيث الابدان قال تعالى
وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ويقولون اي من حدة جهالتهم وشدة ضلالتهم
متى هذا الوعد المبشر به والمنذر عنه في امر الدين ان كنتم صادقين يعنون النبي والمؤمنين
الموافقين وافاد الاستاذ انهم لكثرة ما صدر هذا القول منهم كرر الله في كتابه هذا خبرا عنهم
وجوابهم قل لكم ميعاد يوم وعد يوم فيه تلقون ما تلقون لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون
وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب
السابقة عليه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي في موضع المحاسبة
او مطرح المعاقبة يرجع بعضهم الى بعض القول اي يردون المكالمة في مقام المخاطبة
والمعاتبة يقول الذين استضعفوا من الاتباع للذين استكبروا من المتبوعين
لولا انتم لكنا مؤمنين لولا صدكم ايانا عن ايماننا لكنا مصدقين بنبينا قال الذين
استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم اي منعناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم
بل كنتم مجرمين في انفسكم بمتابعة الهوى ومخالفة الهدى وقال الذين
استضعفوا للذين استكبروا ايانا لكونهم اسبابا في الضلالة وابوابا في

سلوك طرق الجهالة بل مكر الليل والنهار اى بل مكركم لنا دائما ليلا ونهارا حتى غيرتم
علينا رأينا اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اضدادا من ماسواه واسروا
الندامة لما رأوا العذاب اى اضمر الفريقان من اهل الاضلال والضلالة ماظهر لهم
من الندامة فى حالة مشاهدة العقوبة مخافة التعيير والملامة وجعلنا الاغلال
فى اعناق الذين كفروا دفع مالهم من وبال الانتقال هل يجزون الا ما كانوا يعملون
اى ما يجزون الا باعمالهم على حسب احوالهم وما ارسلنا فى قرية من نذير اى نبى
مرسل اليها الا قال مترفوها منعموها انا بما ارسلتم به كافرون وانه لا بعث ولا كتاب
ولا حساب ولا عقاب وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم مما ابتلى به من قومه وتخصيص
المتنعمين بتكذيب الرسول لانه الداعى المعظم الى التكبر على الضعفاء والمفاخرة بزخارف
الدنيا وما يتعلق بها والاستهانة بمن لم يحظ منها وقال الاستاد اى قابلوا رسلهم
بالتكذيب فيما قالوا لهم وان رسلنا صبروا وماذا على هؤلاء الكفار لو آمنوا فنجاتهم ارادوا
ولخلاصهم مادعوا وبلغوا ولو اطاعوهم لسعدوا ولكن الشقاء سبقت واحكاما حقت وانه
غالب على امره وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فى الدنيا وما نحن بمعذبين فى العقبى
اما لان العذاب لا يكون هنالك او لانه اكرمنا فلا يهيننا كذلك قل ان ربى يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر لا لكرامة ولا لاهانة بل لمجرد مشيته ومحض حكمته ولكن اكثر
الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للكرامة وان قلتها سبب
الاهانة وقد قال الله تعالى ولا يعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها
فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون اى بالعقبى وافاد الاستاد ان هذا الامر ليس
بكثرة الاموال والاولاد ولا بسعة الجاه فيما بين اهل البلاد وانما هى بصائر مفتوحة
لقوم واخرى مسدودة لقوم والله رؤف بالعباد وما اموالكم ولا اولادكم بالتى بالخصلة التى
تقربكم عندنا زلفى قربة الا من آمن وعمل صالحا اى لكن من آمن مخلصا وعمل صالحا
فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا من الطاعات وهم فى الغرفات آمنون
من المكاره والآفات فلا تقرب الا بتحسين الاحوال وتزيين الاعمال لا بكثرة الاولاد
والاموال فانها لا تزيد الا الاهوال وقرأ حمزة فى الغرفة على ارادة الجنس وقال
الاستاد لا يستحق الزلفى عند الله بالاعمال الصالحة والاحوال الصافية والانفاس
الزاكية بل بالعناية السابقة بالهداية اللاحقة والرعاية الصادقة والذين يسعون
فى آياتنا بردها والطعن فيها معاجزين ظانين انهم يفوتوننا او يغلبوننا اولئك
فى العذاب محضرون كاردنا وقال الاستاد هم الذين لا يحترمون الاولياء فى الجهر
ولا يراعون حق الله فى السر فهم فى عذاب الاعتراض على اولياء الله وعذاب الوقوع
بشؤم ذلك فى ارتكاب محارم الله ثم فى عذاب السقوط من عين الله قل ان ربى يبسط
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى لحكمة راى

فهذا

فهذا فى شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق فى شخصين او هذا فى المؤمنين وذاك
فى الكافرين فلا تكرير مع احتمال تقرير وما انفقتم من شئ فهو يخلفه عوضا عاجلا او بدلا
آجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط فى ايصال رزقه ولا حقيقة لرازقية غيره من
خلقه وافاد الاستاد ان من الخلف فى الدنيا الرضا بالعدم والفقد وهو اتم من السرور
بالوجود ومن ذلك الانس بالله فى الخلوة ولا يكون ذلك الا مع التجريد ويوم يحشرهم جميعا
ثم نقول للملائكة وقرأ حفص بالياء فيهما اهؤلاء المشركون اياكم كانوا يعبدون توبيخا
للكفرة وتبكيتا لحالتهم واقناطا عما كانوا يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص
الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم قالوا سبحانك انت
ولينا من دونهم اى لا موالاة بيننا وبينهم بتبينوا بذلك براءتهم عن الرضاء
بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة فيما هنالك
بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اى الشياطين حيث اطاعوهم فى عبادة
غير الله اكثرهم بهم مؤمنون اكثر الانس بالجن مصدقون ومطيعون
وموافقون قال الاستاد وفى بعض الاخبار ان غدا من يسأله الحق فى مقام
العدل يقع عليهم من الخجل يقولون عذبنا يا ربنا بما شئت من انواع العقوبة
ولا تعذبنا بهذا السؤال والملامة فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر
فيه كله لله لان الدار دار جزاء ولا مجازى سواه وافاد الاستاد ان الاشارة من هذا
ان من علق قلبه بالاغيار وظن صلاح حاله من الاحتيال والاستعانة بالامثال
والاشكال نزع الله الرحمة من قلوبهم وبركهم وتشويش احوالهم فلا لهم من الاشكال
والامثال معونة ولا لهم من عقولهم فى امورهم استبصار ولا الى الله رجوع واستغفار
فان رجعوا لا يرحمهم ولا يجيبهم فى تلك الدار كما اخبر عنه بقوله ونقول للذين ظلموا ذوقوا
عذاب النار التى كنتم بها تكذبون اى وبال الاعمال التى بها استوجبتم هذه العقوبة
فى المال واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم الا رجل
يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه لكم وقالوا ما هذا الا افك
كذب مفترى مختلق على الله وقال الذين كفروا للحق لامر النبوة وشواهدها من ظهور
المعجزة لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين ظاهر السحرية وافاد الاستاد ان الاولياء الذين
هم الائمة فى هذه الطريقة اذا نصحوا بعض الامة ودعوهم الى سبيل الهداية قال اخوانهم
من احداث السوء وضعفاء اليقين وربما كان ذلك من قبل المتشيخين من اهل الغفلة
فى امر الدين والاقارب من ارباب الدنيا من والذى يطيح هذا الطريق وانك لا تتم
هذا التحقيق ولا بد من الدنيا ما دمت تعيش فيها وامثال ذلك حتى يميل المسكين عن
قبول النصح فى الدين وربما كان له هذا من خواطره الدنية فيهلك ويضل بالحالة الردية
وما آتيناهم من كتب يدرسونها ويوجد فيها ما يدل على صحة ما يعبدونها وما ارسلنا اليهم

قبلك من نذير يدعوهم الى عبادة غير الله وينذرهم على تركها فى دنياه او عقباه فمن اين دخل
لهم هذه الشبهة او حصل لهم هذه الريبة وهذا غاية التجهيل عفو لهم ونهاية لتسفيه رايهم فى تقولهم
ثم هددهم فقال وكذب الذين من قبلهم رسلهم كما كذب هؤلاء نبيهم وما بلغوا معشار
ما آتيناهم وما بلغ جميع الآخرين عشر ما اعطينا بعض الاولين من القوة وطول المدة وكثرة
المال والسعة فكذبوا رسلى فكيف كان نكير اى انكارى عليهم بالتدمير قل انما اعظكم
بواحدة ارشدكم بخصلة واحدة هى ان تقوموا لله خالصا لوجهه معرضا عما سواه مثنى
وفرادى متفرقين اثنين اثنين او مجتمعين واحدا واحدا فان الازدحام يشوش
الخاطر فى المهام ثم تتفكروا فى امر محمد عليه السلام وما جاء به من الاحكام فتعلموا ما بصاحبكم
من جنة ليس فيه جنون بل به علوم وفنون ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد
قدام القيامة ففى الحديث بعثت فى نسم الساعة قل ما سالتكم من اجر اى اى شئ سالتكم
من اجر على تبليغ الرسالة فهو لكم ولا طمع لى فيكم ان اجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد
مطلع يعلم صدق نيتى وخلوص طويتى قل ان ربى يقذف بالحق يرمى به الباطل فيدمغه
علام الغيوب اى هو علام الغيوب وستار العيوب ومقلب القلوب قال الاستاد
يقذف بالحق على باطل اهل الغفلة فتزول حيلهم ويظهر عجزهم ويقذف
بالحق على افعال اهل الخلاف فيضمحل اجتراؤهم ويحيق بهم شوم معاصيهم
ويقذف بالحق اذا حضر اصحاب المعانى على ظلمات اصحاب الدعاوى فيجحد
تأثيرهم ويفتضحون فى امرهم ويتضح عوارهم قل جاء الحق اى الاسلام وما يبدئ
الباطل وما يعيد اى عبادة الاصنام والمعنى لم يبق للباطل نشاوة ابداء ولا اعادة
انشاء فالباطل على ممر الايام لا يزيد الا زهوقا واضمحلالا وانمحاء والحق لا يزيد
على ممر الاوقات الا قوة وظهورا واستيلاء واستعلاء قل ان ضللت عن الحق
فى طريق السنى فانما اضل على نفسى فان وبال ضلالى عليها وسبب وبالى راجع
اليها وان اهتديت الى الحق فى سبيل قلبى فبما يوحى الى ربى فان الاهتداء
بهدايته وتوفيقه ورعايته انه سميع لمن دعاه قريب لمن رجاه وقال الاستاد ان
كنت مهتديا فبربى لا بجهدى وان كنت عندكم من اهل الضلال فوبال ضلالى
على لا يضيركم فانظروا انتم لانفسكم اين وقفتم واى ضرر عليكم من طاعتكم لى
لا فى المال تخسرون ولا فى انفسكم تتعبون ولا فى جاهكم تنقصون وما اعرفكم من
نفقص اصنامكم فبالضرورة تعلمون فما لكم لا تبصرون ولا لانفسكم لا تنظرون ولو ترى
اى الكفار اذ فزعوا يوم بدر او عند الموت او البعث لرايت امرا فظيعا وحالا
شنيعا فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او بتحصن وأخذوا من
مكان قريب على وجه عجيب وفى زمان غريب والمعنى انه اذا اخذهم بعد
الامهال فليس هناك الا الاستيصال وقالوا آمنا اى بالله او برسوله

وانى لهم

وانى لهم التناوش وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز اى ومن اين لهم
ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فان التناول انما هو فى زمان
التكليف وقد فات منهم وبعد عنهم وقد كفروا به اى بالله او محمد وانذاره
من قبل اى قبل ذلك حين كانوا مكلفين بها هنالك ويقذفون بالغيب ويرجمون
بالظن فى الرسول من طعنه او فى العذاب من القطع على نفيه من مكان بعيد من جانب
بعيد من امره وهو الشبه التى تحلوها فى انفسهم تخيلوها وقال الاستاد اذا
تابوا وقد اغلقت الابواب وندموا وقد تقطعت بهم الاسباب فليس
الا الحسرات ثم لات حين الندامات كذلك من استهان بتفاصيل
فترته ولا يستفيق من محاليل غفلته يتجاوز عنه مرة ويعفى عنه كرة فاذا استمكن
القسوة وتجاوز سوء الادب حد القلة وزاد على مقدار الكثرة فيحصل من
الحق لهم رد جواب ويستقبلهم حجاب فبعد ذلك لا يسمع لهم دعاء ولا يرجى
لهم نداء كما قيل • فخل سبيل العين بعدك للبكاء • فليس لايام الصفاء رجوع •
وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة به من النيران او من اللذات
النفسانية والشهوات الدنياوية او من مياه الجنة ونعيمها الاخروية كما فعل
باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الماضية انهم كانوا فى شك مريب
موقع فى الريبة الظلمانية وافاد الاستاد ان التوبة يشتهونها فى آخر الامر وقد
فات الوقت وللخصم يريد ارضاءه فيستحيى ان يذكر فى ذلك الوقت ابداءه ويشتد
لسانه ويضيق جنانه فلا يمكنه ان يفصح بما فى قلبه ويود ان لو كان بينه وبين ما سلفه
امد بعيد ويتمنى ان يطيع فلا يساعده القوة ويتمنى ان يكون له قبل خروجه من الدنيا
نفس ثم لا يتفق تلك الحالة فنسأل الله العافية وحسن العاقبة •
سورة فاطر مكية وهى خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
قال الاستاد بسم الله كلمة سماعها يوجب روحا لمن كان بشاهد الايقان
وذكرها يوجب لوما لمن كان بوصف البيان فالروح من وجود الاحسان
واللوح من شهود السلطان وكل مصيب لكل من الحق سبحانه نصيب الحمد لله فاطر
السموات والارض مبدعهما ومخترعهما ومنشئهما قال جنيد الحمد لله الذى
جعل ما انعم على عباده من انواع نعمه وبلاده دليلا هاديا الى معرفته على وفق مراده فقال
فاطر السموات والارض ليستدل بهما على ان من فطرهما هو فاطر من فيهما فيستغنى
بفطرته الاشياء عن الرجوع الى غيره فى سبب من الاسباب جاعل الملائكة رسلا
وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده وامائه يبلغون اليهم
رسالاته بالوحى والالهام والرؤيا الصادقة فى المنام اولى اجنحة متعددة
متفاوتة مختلفة بتفاوت ما لهم من المرتبة مثنى وثلاث ورباع ينزلون بها

ويعرجون بسببها ويسرعون بقوتها التي خلقها الله فيها يزيد في الخلق ما يشاء استيناف
للدلالة على ان تفاوتهم في ذلك بمقتضى مشيئته ومؤدى حكمته والآية متناولة لزيادة
الاجنحة لبعض الملائكة فانه روى انه عليه السلام راى جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح
وكذا لزيادة الصور والمباني وفضيلة المعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وسماحة النفس
وحصافة العقل قال ابن عطا حسن المعرفة بالله وحسن الاقبال عليه وحسن المشاهدة
وحسن المراقبة لديه وقال الاستاد الخلق الحسن ويقال الكياسة في التجارة ويقال
الفصاحة في المحاورة ويقال الجود والسخاء ويقال الرضاء بالتقدير والقضاء
ويقال علو الهمة ويقال التواضع في الاغنياء ويقال العفة في الفقراء ويقال سلامة
الصدور من ظهور الشرور ان الله على كل شيء قدير وافاد الاستاد انه سبحانه تعرف
الى العباد بافعاله وندبهم الى الاعتبار بها فمنها ما يعلمون ذلك معاينة كالسموات
والارضين وغيرها ومنها ما سبيل ايماننا به الخبر والنقل لا نعلمه بالضرورة ولا بدليل
العقل فالملائكة منهم ولا نتحقق كيفية صورهم واجنحتهم وانهم كيف يطيرون
باجنحتهم الثلث والاربع ولكن على الجملة نعلم كمال قدرته وصدق حكمته ما يفتح الله
للناس ما يرسل لهم من رحمة كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة فلا ممسك لها يحبسها
وما يمسك فلا مرسل له يطلقه من بعده بعد امساكه وهو العزيز الغالب على مراده
الحكيم فيما يفعل بعباده قال ابو عثمان ما يفتح الله لقلوب اوليائه من القرب
والانس لو اجتمع الخلائق كلهم ان يمسكوه عن ذلك لعجزوا عنه ومن اغلق الله
قلبه عن الانابة اليه والتقرب لديه فلو اجتمع الخلق ان يفتحوا ما هنالك لما قدروا
على ذلك وقال الاستاد ما يفتح لقلوب العارفين من انوار التحقيق واسرار التدقيق
لا سحاب يستره ولا ضباب يقهره يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم احفظوها
بمعرفة حقها والقيام بطاعة منعمها هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض
اي من جهتهما او بسببهما والمعنى انه كما لا خالق لهما الا هو لا رازق بهما الا هو
لا اله الا هو فاني تؤفكون فمن اي وجه يصرفون عن توحيده الى اشراك غيره به
ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف وجره حمزة والكسائي حملا على لفظه قال
ابن عطا من علم ان الله لا رازق للعباد غيره ولم يعلق قلبه بالاسباب دونه فهو
من المتعبدين وقال القاسم يرزقكم من السماء الهداية ومن الارض اسباب
الغذاء والحفظ والبقاء وافاد الاستاد ان من ذكر نعمه فصاحب عبادة
ونائل زيادة ومن ذكر المنعم فصاحب ارادة ونائل زيادة ولكن فرق بين زيادة
وزيادة هذا زيادة في الدارين عطاؤه وهذا زيادته في الكونين لقاؤه اليوم
سرا بسر من حيث المشاهدة وغدا جهرا بجهر من حيث المعاينة والنعمة على قسمين
ما دفع من المحن وما صنع من المنن فذكر لما دفع عنه يوجب دوام العصمة وذكره

لما نفعه

لما نفعه به يوجب تمام النعمة وفي قوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم ايماء الى
انه اذا عرف انه لا رازق غيره لم يعلق قلبه باحد في طلب شيء منه وكما لا يرى رزقه
من مخلوق لا يراه ايضا من نفسه فيتخلص من ظلمات تدبيره واحتياله وتوهم
شيء من امثاله واشكاله ويستريح بشهود تقديره ويخلص في توكله وتفويض امره
وان يكذبوك اي بعض قومك فقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا
فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم والى الله ترجع الامور فيجازيك على الصبر
كما يجازيهم على الكفر وافاد الاستاد ان في هذه الآية اشارة الى اصحاب الحقيقة
مع الاجانب من هذه الطريقة فان ارباب الحقايق ابدا منهم في مقاساة الاذية
الا استراحوا اليهم الجلية والعوام اقرب الى قبول الحق من القراء المتقشفين
والعلماء الذين هم لهذه الاصول من المنكرين يا ايها الناس ان وعد الله
حق بالحشر والنشر حق واخباره بالثواب والعقاب صدق فلا يغرنكم الحيوة
الدنيا فيذهلكم التمتع بزخارفها الفانية عن طلب الآخرة الباقية والسعي لمراتبها
العالية الغالية ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان الذي هو منبع الشرور بان
يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية او بان يوسوس لكم بان لا حساب ولا عقاب
في الآخرة وافاد الاستاد ان وعده سبحانه بالقيمة حق ووعده لمن اطاعه
في الدنيا بكفاية الامور وحصول السلامة حق ووعده للمطيعين في الآخرة بوجود
الكرامة حق وللعاصين في الآخرة بالندامة حق فاذا علم العبد بذلك استعد للموت
ولم يهتم للرزق فانه لا يفوت ولم يتهم الرب في كفاية الشغل ونشط في استكثار
الطاعة في العمل ثقة بالوعد ولم يلم بالمخالفات خوفا من الوعيد ان الشيطان
لكم عدو عداوة قديمة لابائكم فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم وكونوا على
حذر منه في مجامع احوالكم انما يدعو حزبه متابعيه ومشايعيه ليكونوا معه من اصحاب
السعير والجملة استينافية لعداوته ومقررة لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع
الهوى والركون الى الدنيا والاعراض عن العقبى والغفلة عن المولى فان من
نسي ذكر ربه فهو من حزبه بل قرينه من كمال قربه كما قال تعالى استحوذ عليهم الشيطان
فانسيهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون
وقال عز وعلا ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال سهل
حزبه اهل البدع والاهواء الفاسدة والاراء الكاسدة وافاد الاستاد ان عداوة
الشيطان بدوام مخالفته فان من الناس من يعاديه بقلبه وقوله ولكن يوافقه
بفعله ولا يقوى على عداوته الا بالالتجاء الى الرب واعاذته وتلك الاستعانة
صدق الاستغاثة والشيطان لا يفتر في عداوتك فلا تغفل انت عن مولاك
لحظة في طاعتك فيغلبك عدوك فانه ابدا متمكن لك ثم حزبه المعرضون عن الله

المشغولون بغير الله الغافلون عن الله ومفهوم هذا الخطاب ان الشيطان عدو لكم
فابغضوه واتخذوه عدوا وانا وليكم وحبيبكم فاحبوني وارضوا بي حبيبا ووليا الذين
كفروا لهم عذاب شديد في جميع الحالات والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
على ما صدر عنهم من الزلات واجر كبير على ما تحملوا من المشقات في الطاعات ففي
الآية وعيد لحزب الشيطان ووعد لحزب الرحمن وقال الاستاد لهم عذاب معجل وعذاب
مؤجل فمعجله تفرقة قلوبهم وانسداد بصائرهم ودناءة همتهم حتى رضوا بان يكون
الاصنام آلهتهم وعذاب الآخرة لا يخفى على مسلم صعوبة عقوبتهم واما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة ستر لذنوبهم اليوم ولولا ذلك لافتضحوا بين القوم
وغدا كذلك ولولا ذلك لهلكوا هنالك والاجر الكبير اليوم سهولة العبادة ودوام
المعرفة وما يناله في قلبه من زوائد اليقين وخصائص الاحوال وفي الآخرة تحقيق
السؤال ونيل فوق المأمول افمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه على عقله فرآه
حسنا بانتكاس رأيه حيث رأى الباطل حقا وعكسه كمن كان امره على خلافه بان
عرف الحق من الحق من الاحوال والحسن من الاعمال بتوفيق الملك المتعال فان الله يضل
من يشاء ويهدي من يشاء وافاد الاستاد ان الكافر يتوهم ان عمله حسنا كما اخبر سبحانه
عنهم بقوله وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ثم الراغب في الدنيا يجمع حلالها
وحرامها ويحوش حطامها لا يتفكر في زوالها ولا في ارتحاله عنها قبل كمالها فلقد زين
له سوء عمله والذي يتبع الشهوات يبيع مؤبد راحته في الجنة بمتابعة شهوة ساعة
في النعمة فلقد زين له سوء عمله والذي يؤثر على ربه شيئا من المخلوقات فهو من جملتهم
والذي يتوهم انه اذا وجد نجاته من العقوبة ودرجاته في الجنة فقد اكتفى فقد زين له
سوء عمله حيث تغافل عن حلاوة مناجاته والذي هو في صحبة حظوظه دون ايثاره
وحقوقه فهو ممن زين له سوء عمله فلا تذهب فلا تهلك نفسك عليهم حسرات
للحسرات على جهالتهم وللندامات على ضلالتهم ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم
على قبائح اعمالهم ومساوي احوالهم والله الذي ارسل الرياح قرأ ابن كثير
وحمزة والكسائي الريح فتثير سحابا تهيجه وتحركه فسقناه الى بلد ميت يحتاجه
فاحيينا به بالمطر النازل من الارض بانباتها بعد موتها بيبسها وذهاب
نبتها كذلك النشور اي مثل احياء الموات في صحة المقدور نشور الاموات
من القبور وافاد الاستاد انه سبحانه اجرى سنته بانه يظهر فضله في احياء الارض
بتدريج في صنعه اولا يرسل الرياح ثم ياتي بالسحاب ثم يوجه ذلك السحاب الى الموضع
الذي يريد تخصيصه له كيف يشاء ويمطر هناك كيف يشاء كذلك اذا اراد
احياء قلب عبد تجاه يسقيه وينزل عليه من امطار عنايته فيرسل اولا رياح الرجاء
ويزعج به كوامن الارادة ثم ينشئ فيه سحاب الاهتياج ولوعة الانزعاج ثم ياتي مطر الجود

فينبت

فينبت في القلب ازهار البسط وانوار الروح يطيب لصاحبه العيش الى ان تتم لطائف
الانس من كان يريد العزة الرفعة والمنعة فلله العزة جميعا اي فليطلبها من عنده فان
كلها له ويجعلها لمن يشاء من عبيده وقال الاستاد اي من كان يريد ان يعرف لمن العزة
فليعلم انها لله جميعا ويقال من كان يريد العزة لنفسه فليطلبها من ربه ثم ان عزة الربوبية
لله وصفا وعز الرسول والمؤمنين فضل من الله ولطفا فان عزته قدرته
وغلبته في ارادته اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به
العزة في الدنيا والآخرة وهو التوحيد والاعمال الصالحة وصعودهما مجاز عن قبولهما
او صعود الكتبة بصحفهما والمستكن في يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد او للعمل
فانه يحقق الايمان ويقويه او لله تعالى وخص العمل بهذه الصفة لما فيه من الكلفة وقيل
الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وانواع الثناء والكلم من الكلمة بمنزلة
التمر من التمرة فيفرق بينه وبين واحده بالتاء واللفظ مفرد الا انه كثيرا يسمى جمعا نظرا الى
المعنى الجنسي ثم الكلم غلب على الكثير بحيث لا يستعمل في الواحد البتة حتى توهم بعضهم
انها جمع كلمة وليس على حد تمر وتمرة هذا وفسر في الحديث بانه سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر فاذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيى بها وجه الرحمن
فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وكان للحديث مقتبس من قوله سبحانه انما يتقبل الله
من المتقين والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات لهم عذاب شديد
جزاء لتلك الحركات والسكنات ومكر اولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ لان الامور
مقدرة لا تتغير بمكر المكرة وقال الاستاد يقلب عليهم مكرهم فاينما يتوهمون من خير
لهم قلبه محنة عليهم ويقال تخليته اياهم ومكرهم مع قدرته على عصمتهم وهو لا يعصمهم هو
عذابهم الشديد قبل يوم الوعيد والله خلقكم من تراب بخلق آدم عليه السلام منه
ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا اصنافا ذكرانا واناثا او انواعا بيضا
وسودا وعربا وعجما وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا معلومة له وما يعمر من معمر
وما يمد في عمر من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان يعطى له
عمرا ناقص من عمره وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة
في اللوح مثبتة مثلا بان يكون فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فاربعون وقيل
المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينتقص من الزمان او ما يبارك في عمره وما ينقص
في قدره الآتي الا في كتاب هو علم الله الجامع لكل باب او اللوح المحفوظ من التغيير ان
ذلك على الله يسير وافاد الاستاد انه سبحانه ذكرهم بدء نسبتهم لئلا يعجبوا بحالتهم
ثم ان المتخذ من الطين سريع التغير قليل القوة في المكث لكنه يقبل الانجبار بالماء
يجبر به طينته فاذا جاد الحق عليه بماء الجود اعاده بعد انكساره بالذنوب في عالم الوجود
واذا كان لا يخفى عليه شيء من احوالهم في ابتداء خلقه لمن لا يبالي ان يخلق من يعلم انه

بعصي لا يبالي ان يغفر لمن راه يعصي وما يستوي البحران الحسيان هذا عذب فرات سائغ
شرابه وهذا ملح اجاج طعمه ضرب مثل للمؤمن والكافر والمطيع والفاجر والفرات الذي
يكسر العطش وحرارته والسائغ الذي يسهل انحداره وابتلاعه والاجاج الذي يحرج
لملوحته ومرارته ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها المعنى انهما
وان اشتركا في بعض الفوائد والصفات لا يتساويان من حيث انهما يختلفان فيما هو
المقصود بالذات كما ان المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما في بعض الصفات
كالشجاعة والسخاوة وسائر المكرمات لا يستويان فيما خلقا من المقصود بالذات
وهو المعرفة وما يتبعها من العبادات والطاعات وافاد الاستاد انه لا يستوي
الحالتان هذه اقبال على الله واستعمال بطاعته واشتغال بمعرفته وهذه اعراض
عن الله وانقباض عن عبادته واعتراض على الله في قسمته وقضيته هذا سبب
قربه ووصاله وهذا سبب هجره وفصاله وفي كل واحدة من الحالتين يعيش اهلها
ويزجي صاحبها وقتها لا يستوي الوقتان هذا بسط وصاحبه في روح وهذا قبض
وصاحبه في نوح هذا خوف وصاحبه في احتياج وهذا رجاء وصاحبه في ارتياح
هذا فرق بوصف العبودية وهذا جمع وصاحبه في شهود الربوبية ومن كل تاكلون
لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها كذلك كل يتقرب في حالة بربه ويتزين
على بابه وهو الحلية التي بها يحلى من طرب او وجد او شرف او تلف وترى الفلك
فيه في كل منهما مواخر تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله
بالنقلة فيها ولعلكم تشكرون على هذه النعم جميعها يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وسخر الشمس والقمر مرارا كل يجري لاجل مسمى هي مدة دوره او
منتهى سيره او يوم القيمة وغاية دهره ذلكم الله ربكم مربيكم والمتصرف فيكم
له الملك على وجه الملك والذين تدعون من دونه من الصنم وغيره ما يملكون
من قطمير قدر قطمير من ملكه الكبير والقطمير لفافة النواة وهو مثل في اليسير والحقير
ففيه الدلالة على تفرده بالالوهية وتوحده بالربوبية وافاد الاستاد ان النفس
تغلب مرة على القلب ومرة يغلب القلب على النفس وكذلك القبض والبسط
وقد يستويان ومرة يغلب القبض على البسط ومرة البسط على القبض وكذلك في الصحو
والسكر والغناء والفناء وسخر شمس التوحيد وقمر المعرفة على ما يريد من اظهار ما في
قلوب اهل التوحيد والمكاشفة ذلكم الذي وصفته لكم بالقدرة على هذه الاشياء الطاهرة
عندكم هو الله ربكم وهو مستبد بالملك فاروني شظية من النفع والاثبات مما تدعون
من دونه اذ لم يمكنكم ذلك فهلا اقررتم وفي عبادته اخلصتم وعن الاصنام تبرأتم وعن
غيره اعرضتم ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد لا يدركون نداءكم ولو سمعوا على
الفرض والتقدير او على زعمكم ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على نفعكم فانهم لا يملكون نفع

انفسهم

انفسهم فكيف يملكون نفع غيرهم او لانهم منكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم باثبات
الحكم لهم لانهم سيطلانه يقرون او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير
اي ولا يخبرك بهذا الامر وغيره مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الله سبحانه فانه الخبير
به على الحقيقة دون سائر المخبرين عز شانه والمراد تحقيق ما اخبر به من حال
آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من مقالاتهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله
في الايجاد والامداد والله هو الغني عن عبادة العباد الحميد في جميع ما اراد قال
سهل لما خلق الله الخلق حكم لنفسه بالغنى ولهم بالفقر والفنا فمن ادعى الغنى حجب
عن الله ومن اظهر فقره اوصله فقره بغناه وقال الواسطي من استغنى بالله لا يفتقر
ومن تعزز بالله لا يذل وقال الحسين على مقدار افتقار العبد الى الله يكون غناه بالله
وقال ذو النون الخلق محتاجون اليه في كل نفس وخطرة ولحظة ولمحة وقال
الشبلي الفقر ان لا يرى في الدارين مع الله سواه وسئل الخواص ما علامة الفقير
الصادق قال ترك الشكوى واخفاء اثر البلوى وقال ابو سعيد الخراز حقيقة
الفقر اخذ الشي منه واختيار القليل على الكثير عند الحاجة اليه وافاد الاستاد
ان الفقر على ضربين فقر خلقة وفقر صفة ففقر الخلقة عام لكل حادث حصل من العدم
فالمخلوق مفتقر الى خالقه في اول حال وجوده ليبديه وينشيه وفي الثاني من حال بقائه
ليديمه ويبقيه والله سبحانه في ازله وابده غني فالعبد فقير لعينه والرب غني لعينه
واما فقر الصفة فهو التجرد ففقر العوام التجرد من المال وفقر الخواص التجرد
من الاعلال والفقير على اقسام فقير الى الله وفقير الى شي هو من الله مثل معلوم
ومرسوم ومن افتقر الى شي استغنى بوجود ذلك الشي فالفقير الى الله هو الغني
بالله فالافتقار الى الله لا يخلو من الاستغنا بالله ومن شرف الفقرا اقترانه
بالتواضع والتخشع ومن آفات الغنى امتزاجه بالتكبر والترفع وشرف العبد
في فقره وكذلك عزه وذله في توهم الغنى وكذلك صغره • واذا تذللت
الرقاب تقربا • منا اليك فعزها في ذلها • ومن الفقر المذموم ان يستر الحق
على صاحبه موضع فقره الى ربه ومن الفقر المحمود ان يشهده الحق موضع فقره اليه
ودوام احتياجه لديه ومن آداب الفقير الصادق اظهار التشكر عند كمال التكسر
وكمال المعنى وزوال الدعوى وبقاء الشكر على البلوى والبعد من الشكوى يقال
اذا لم تدع ما هو صفته من استحقاق الغنى اولا ما يغنيك واعطاك فوق
ما يكفيك ان يشا يذهبكم باهلاككم او بافنائكم ويأت بخلق جديد بقوم آخرين
اطوع منكم في بقائكم وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر وافاد الاستاد
انه سبحانه عرفك انه غني عنك واشهد موضع فقرك اليه وانه لا بد لك منه فما القصد
من هذا الا ارادته لاكرامك بشرف اكرامه ولا يواك في كنف انعامه ولا تزر وازرة

وزر اخرى ولا تحمل نفس اثمه اثم نفس اخرى وان تدع مثقلة نفس اثقلها اوزارها الى
حملها الى تحمل بعض حملها من اوزار نقلها لا يحمل منه شئ لم يجب يحمل شئ منه ولو كان
المدعو ذا قربى صاحب قرابتها فنفى سبحانه ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها
ذنب غيرها وقال الاستاد كل مطالب بعمله وكل محاسب بديوان فعله لكل مع شان وله
مع كل احد شان تعالى شانه وتعظم سبحانه وفى العبادات ما يجرى فيها النيابة لكن
فى المعارف لا يجرى البتة فلو كان عبدا عاصيا منهمكا فى الغواية وفاتته صلوة مفروضة
فلو قضى عنه الف صفى والف ولى تلك الصلوة الواحدة عن كل ركعة لا يقبل منه اللهم
الا ان يجئ هو بنفسه معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده عقابك لا يجرى مع
غيرك والخطاب الذى معك لا يسمعك غيرك شعر فسر او انتم وقف عليك محبتى
مكانك من قلبى عليك مصون • انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غائبين عن
عذابه او غائبا عنهم عذابه او غائبين عن الناس فى خلواتهم وفى حالاتهم فى جلواتهم
واقاموا الصلوة فى جماعاتهم فانهم المنتفعون بحلاوة طاعاتهم ومن تزكى تطهر عن دنس
المعصية ووسخ الغفلة فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها واجره لا يتعداها والى الله المصير
فيجازيهم على تزكيهم بالقليل والكثير وما يستوى الاعمى والبصير الكافر والمؤمن ولا الظلمات
ولا النور ظلمات الكفران ونور الايمان ولا الظل ولا الحرور ولا ثواب الجنة ولا عقاب
الحرقة ولا لتاكيد نفى الاستواء وتكريرها على الشقتين لمزيد المبالغة وما يستوى الاحياء
ولا الاموات اى العلماء والجهلاء او الذاكرون والغافلون فقد ورد مثل الذى يذكر ربه
والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت او الفقراء والاغنياء فورد اياكم ومجالسة الموتى قالوا
ومن الموتى يا رسول الله قال هم الاغنياء وافاد الاستاد انه كما لا يستوى هذه الاشياء
عندنا كذلك لا يستوى الموصول بنا والمشغول عنا والمجذوب الينا والمحجوب لدينا ولا يستوى
من اشهدناه حقنا ومن اغفلنا قلبه عن ذكرنا احياؤنا شتان واف وناقض ولا يستوى
وقت المحب وباغض ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته
وما انت بمسمع من فى القبور مبالغة فى اقناطه عن ايمانهم وعن رجوعهم الى مقام حسابهم
ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار واما الاسماع فلا اليك انا ارسلناك بالحق
محقين او محقا او بالدين للحق بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الصدق وان من امة
اهل عصر الا خلا فيها نذير مضى فيها نبى او ولى ينوب عنه واكتفى بالنذير عن البشير
لانه هو المقصود الاهم من البعثة لاستيفاء اول القضية وان يكذبوك فقد كذب الذين
من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر كصحف
ابراهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل على ارادة التفصيل ثم اخذت الذين كفروا
اصروا على المعصية فكيف كان نكير انكارى عليهم بالعقوبة الم تر ان الله انزل من السماء
ماء فاخرجنا به ثمرات انواعا منها مختلفا الوانها اجناسها او اصنافها من صفرة وخضرة

وحمرة وحلوة ومرة ونحوها ومن الجبال جدد وخطط بيض وحمر وصفر وغيرها مختلف
الوانها بالشدة والضعف فيها وغرابيب سود جمع غربيب تاكيد للاسود وقدم للمبالغة
على المؤكد ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه اى فى الاحوال كذلك كاختلاف
الثمار والجبال وهو دليل ثبوت منشئها بنعت الجلال وصفة الكمال انما يخشى الله
من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشى باعتبار ذاته وافعاله وصفاته لمن كان
اعلم به كان اخشى منه ولذا ورد انى اخشاكم لله واتقاكم له وقرئ برفع اسم الله
ونصب العلماء وعلى التجريد فان الخشية خوف مع التعظيم فالمعنى انما يعظم الله العلماء
لانهم عالمون بموقع التكريم ان الله عزيز معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب
عن عصيانه قال ابن عطاء الخشية اتم من الخوف لانها صفة الخاصة وهو نعت العامة
وقال جعفر خشية العلماء من ترك الحرمة فى العبادة وترك الحرمة فى الاخبار عن الحق
بالنقص او الزيادة وترك الحرمة فى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم والاولياء والائمة
وتحقيق الارادة وافاد الاستاد ان من فقد العلم بالله فلا خشية له من الله والفرق
بين الخشية والرهبة ان الرهبة خوف يوجب هرب صاحبه فيجرى فى نفرته والخشية
اذا حصلت كبحت صاحبها فيبقى مع الله فى حضرته والخوف قضية الايمان
قال تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين والخشية قضية العلم والهيبة موجبة المعرفة
ان الذين يتلون كتاب الله يداومون على قراءته ويواظبون على متابعته واقاموا
الصلوة باداءها الظاهرة والباطنة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية اى خفاء
واظهارا او ليلا ونهارا او كيف اتفق على حسب تصحيح طويته وايقاعها على نية
وقيل السر فى المسنونة والعلانية فى المفروضة يرجون تجارة تحصيل ربح اخروى
على عمل دنيوى لن تبور لن تفسد ولن تكسد ليوفيهم اجورهم متعلقة بيرجون
اى ليعطيهم اجور اعمالهم وافية ويزيدهم من فضله زيادة كافية انه غفور
لفرطاتهم شكور لطاعاتهم وافاد الاستاد ان الذين يستغرق جميع اوقاتهم
قيامهم بحق الله واتيانهم بانواع طاعاتهم وصنوف القرب عباداتهم
فلهم القدر الاجل من التقريب والنصيب الاوفر من الترحيب والذين
احوالهم بضد اولئك فنالهم على عكس ذلك فهؤلاء الاولياء الاعزة وهؤلاء
الاعداء الاذلة والذى اوحينا اليك من الكتاب اى القرآن الجامع للابواب
التى يحتاج اليها ارباب الالباب هو الحق مصدقا لما بين يديه لما تقدمه
من الكتب السماوية المنزلة بالوجه الصدق ان الله بعباده لخبير بصير عالم
بضمائرهم وظواهرهم ثم اورثنا الكتاب اى من الامم السالفة الذين اصطفينا
من عبادنا اى علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله
اصطفاهم على سائر الامم باجمعهم فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير فى العلم به ومنهم

مقتصد يعمل به في اغلب دهره ومنهم سابق بالخيرات مسارع الى الطاعات
في جميع الاوقات من عصره باذن الله بتوفيقه وتيسيره وامره وتم العطف على
انّ الذين يتلون كتاب الله وجملة والذي اوحينا اليك معترضة بين لمية
التدريس وكيفية التوريث ومحصّل التوريث ثم اورثنا على ما اذا عطف قال عطف
على ارادة الازل بقوله الذين سبقت لهم منا الحسنى وهي الاصطفائية الازلية
وقال جنيد لما ذكر الميراث دل على ان الخلق فيه عام وخاص وان الميراث لمن هو
اصلح قربا واصح نسبا فصحيح النسبة هو الاصل في رتبة القربة فالظالم الذي
يحبه لنفسه والمقتصد الذي يحبه له والسابق الذي اسقط عنه مراده بمراد
الحق فيه فلا يرى لنفسه طلبا ولا مرادا لغلبة سلطان الحق عليه وقال النصرابادي
صحح النسب وخذ الميراث ولا يأخذ ميراث الحق الا من نسبه بالحق والى الحق دون
الاسباب والوسائط وقد ورد عنه عليه السلام انه قال يقول الله تعالى اليوم ارفع
نسبي واضع نسبكم اين المتقون وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق
العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت
حسناته بحيث كفرت سيئاته وهو معنى قوله عليه السلام اما الذين سبقوا فاولئك
يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا
يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاه الله
برحمته كما رواه الامام احمد والحاكم وغيرهما وورد ايضا سابقنا سابق
ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وروي عن عائشة انها قالت لصحبها اما السابق
فمن مضى على عهد رسول الله عليه السلام وشهد له بالجنة واما المقتصد فمن اتبع اثره
من اصحابه حتى لحق به واما الظالم فمثلي ومثلك وعن علي رض الظالم انا والمقتصد انا
والسابق انا فقيل له فكيف ذلك قال انا الظالم بمعصيتي ومقتصد بتوبتي وسابق
بمحبتي رواهما الكواشي في تفسيره وفي تفسير السلمي قال الحسن البصري السابق من رجحت
حسناته على سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته والظالم الذي زادت
سيئاته على حسناته وقيل الظالم الذي يجزع عند البلاء والمقتصد الذي يصبر على البلاء
والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقيل الظالم من غلب نفسه قلبه والمقتصد من
غلب قلبه نفسه والسابق من كان نفسه وقلبه في حراسة ربه وقال ابو علي
الترمذي لكل واحد من هؤلاء الثلثة نوع من السؤال مناسب لما فيه من الحال اخبر
عنها المصطفى بلسان الحال فسؤال الظالم اسئلك الايمان بك والكفاف
من رزقك وسؤال المقتصد اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ بك
من النار وما قرب اليها من قول او عمل وسؤال السابق اسئلك النظر الى وجهك
والشوق الى لقائك وقال عبد العزيز المكي المغفرة للظالمين والرحمة للمقتصدين

والقربة

والقربة للسابقين وقال ابن عطا الظالم معذب والمقتصد معاتب والسابق
مقرب وقال بعضهم الظالم يراه في مقدار الجمعة والمقتصد يراه في اليوم مرة
والسابق على الاريكة ينظر ولا يغيب عن المشاهدة وقيل الظالم الزاهد والمقتصد
العارف والسابق المحب وقيل الظالم الواعظ بلسانه والمقتصد الواعظ بعلمه
والسابق الواعظ بسيرته ذلك اي التوريث او الاصطفاء او السبق هو الفضل الكبير
جنات عدن يدخلونها مبتداء وخبر والضمير للثلاثة وقرأ ابو عمرو يدخلونها على بناء
المفعول قال جعفر الصادق فرق الله المؤمنين ثلث فرق وقال لهم عبادنا
واضافهم الى نفسه تفضلا منه وكرما وجعلهم كلهم اصفياء مع علمه بتفاوت
معاملاتهم ثم جمعهم في آخر الآية بدخول الجنة فقال جنات عدن يدخلونها ثم بداء
بالظالمين اخبارا بانه لا يتقرب اليه بمحض كرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطفائية
ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لان لا يامن
احد مكره وكلهم في الجنة بحرمة كلمة الاخلاص في الشهادة وقال الاستاد
اي اعطينا الكتاب وهو القرآن وذكره بلفظ الايراث توسعا في البيان
واصطفينا بمعنى اخترنا ثم ذكر اقسامهم الثلاثة وفي الخبر انه لما نزل هذه الآية قال
عليه السلام امتي ورب الكعبة ثلث مرات وفي الآية وجوه من الاشارات
فمنها انه ذكر بلفظ الميراث وهو يقتضي صحة النسب او السبب ومحل النسب ههنا
المعرفة ومحل السبب الطاعة ان قيل محل النسب فضله ومحل السبب فعلك فهو وجه
ويصح ان يقال محل النسب اختياره لك بدءا ومحل السبب احسانه اليك
ثانيا ثم بالميراث يبداء بذوي الفروض ثم ما بقي فللعصبة وان كان صاحب الفرض
اضعف استحقاقا كذلك قال ههنا فمنهم ظالم لنفسه نقدمه على المقتصد والسابق وتكلموا
في الظالم فمنهم من قال هو الافضل واراد به من ظلم نفسه بكثرة ما حملها
من الطاعة والاكثرون على ان السابق هو الافضل وقالوا التقديم في الذكر لا يقتضي
التقديم في الرتبة ولهذا نظائر كثيرة يعني فهو من باب التدلي لا من طريق
الترقي ويقال قرن باسم الظالم قرينه وهو قوله باذن الله فالظالم كان له زلة
والسابق كانت له صولة فالظالم رفع زلته بقوله لنفسه والسابق كسر صولته
بقوله باذن الله يا ظالم ارفع نفسك ظلمت ولكن على نفسك ويا سابق اخفض
راسك سبقت ولكن باذن الله ويقال ان العزيز اذا راى ظالما قصمه ولكن
الكريم اذا راى مظلوما اخذ بيده يا ظالما ان كان كونك ظالما يوجب قهرك
فكونك مظلوما يوجب الاخذ بيدك ويقال الظالم من زهد في دنياه والمقتصد
من رغب في عقباه والسابق من آثر على الدارين مولاه ويقال الظالم من نجم كوكب
عقله والمقتصد من طلع بدر علمه والسابق من اشرق شمس معرفته ويقال الظالم من ترك

الزلة والمقتصد من ترك الغفلة والسابق من ترك العلاقة ويقال الظالم من جاد بنفسه والمقتصد من لم يبخل بقلبه والسابق من جاد بروحه ويقال الظالم من له علم اليقين والمقتصد من له عين اليقين والسابق من له حق اليقين ويقال الظالم بترك المحرمات والمقتصد بترك الشبهات والسابق بترك الزيادات ويقال الظالم له المغفرة والمقتصد له الرحمة والسابق له القربة ويقال الظالم طالب النجاة والمقتصد طالب الدرجات والسابق طالب المناجاة ذلك هو الفضل الكبير الذي ذكر الظالم مع السابق جنات عدن يدخلونها لما ذكر اصنافهم رتبها ولما رتب حديث الجنة ذكرهم على الجمع تنبيها على ان دخولهم الجنة لا لاستحقاق بل بفضله وليس في الفضل تمييز انتهى وفيه بحث لا يخفى فان الجنات فيها درجات يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا عطف على ذهب اي من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او همهم لاجل معيشة او من وسوسة ابليس ونحوها وعن ابن عباس حزن الموت وقيل حزن زوال النعمة وقد اكثروا حتى قال بعضهم كرا الدار وقيل التحويل من دار الى دار وقيل حزن المحاسبة وقيل حزن المقاطعة وهو يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا وقال النصرابادي ما كان حزنهم الا تدبير احوالهم وسياسة نفسهم فلما نجوا منها حمدوا وقال ابو سعيد الخراز اهل المعرفة في الدنيا كاهل الجنة في العقبى قال تعالى حاكيا عن اهلها الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وانما احزانهم الاشتغال بالاعراض والاغراض فتركوا الدنيا في الدنيا فتنعموا وعاشوا في الدنيا عيش اهل الجنة في العقبى ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين وقال سهل غفور لذنوب كثيرة شكور لاعمال يسيرة وافاد الاستاذ انه سبحانه قدم ما للعاصين رفقا بهم لضعف حالهم الذي احلنا دار المقامة دار الاقامة لا يبغون عنها حولا من كمال الاستقامة من فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه شيء من فعله لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال وملال وافاد الاستاذ انهم اذا ارادوا ان يروا مولاهم لا يحتاجون الى تحديق مقلة في جهة بل يرونه كما هم بلا كيفية والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم بموت ثان عليهم فيموتوا ويستريحوا ولا يخفف عنهم من عذابها فيسكنوا بل كلما خبت نار زيد اسعارها وقال الاستاذ لا حيوة يتمتعون بها ولا اماتة يستريحون بسببها بل هم مقيمون في العذاب ومديمون في الحجاب كذلك نجزي كل كفور صاحب كفر وكفران وقرا ابو عمرو على بناء المفعول

واسناده

واسناده الى كل وهم يصطرخون فيها يستغيثون من اهوالها وشدة حرها ويقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا من الاعمال القلبية والقالبية على القواعد الدينية اليقينية غير الذي كنا نعمل من الامور الدنيوية الواهية اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وهو متناول كل عمر تمكن المكلف فيه من ان يتذكر ويتفكر ولعل كمال عمر فيه تعذر ما ورد عنه عليه السلام العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة رواه البزار ولفظ البخاري من عمره الله ستين سنة فقد اعذر اليه في العمر وجاءكم النذير اي النبي او الكتاب او العقل او الشيب او موت الاخوان والاقران ويقال سقوط السن وفقد الارب وتقوس الظهر وسائر علامات الكبر فذوقوا عذاب السعير فما للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم ويرفع الحجاب منهم ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى عليه الامور انه عليم بذات الصدور قال الاستاذ اي عالم باخلاص المخلصين وصدق الصادقين وجحد الكافرين ونفاق المنافقين ومن يريد بالناس سوءا ومن يحسن بالله ظنا هو الذي جعلكم خلائف في الارض يلقي اليكم مقاليد التصرف فيها لينظر كيف يعمل كل احد فيها فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره على نفسه لا يتعدى ولا يزيد الكافرين كفرهم الا مقتا شدة البغض من الرب في الدنيا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا خسارة في تجارة العقبى وافاد الاستاذ ان اهل كل عصر خليفة عمن تقدمهم فمن قوم هم لسلفهم جمال ومن قوم هم لهم ارذال واندال الافاضل زمانهم لهم محنة والاراذل لزمانهم منهم محنة قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعني آلهتهم التي يعبدونها مما سواه والمعنى اخبروني عن هؤلاء الشركاء اروني ماذا خلقوا من الارض اي جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك في السموات ام لهم شركة مع الله في خلق شيء من السموات وتصرفه فاستحقوا بذلك شركة في الالوهية والربوبية لتفوموا لهم ببعض حقوق العبودية ام آتيناهم اي الالهة كتابا اي ينطق على انا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه فيه على حجة من ذلك الانباء ويجوز ان يكون ضميرهم للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون والمنع من الجمع بان يكون الضمير لهم ولاتباعهم وقرا نافع وابن عامر وابو بكر والكسائي على بينات وفيه ايماء الى ان الشرك خطير لا بد فيه من تعاضد دلالات بل ان يعد الظالمون اي ما يعدون بعضهم بعضا الا غرورا ما يفترون به من الاوهام في تصحيح عبادة الاصنام وهو تغرير الاسلاف الاخلاف بان هؤلاء شفعاء عند الله تعالى يشفعون لهم بالتقرب اليهم وقال الاستاذ كرر الله اشهادهم عجز اصنامهم ونقص من الحدود آلهة من اوثانهم بسقه بذلك اراءهم وبينهم

عن ذميم احوالهم وقبيح افعالهم وخسة هممهم ونقصان عقولهم ثم اخبرانهم لاياتون
بشئ مما به يطالبون وليس لهم جواب عما يسألون ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا اى يمنعهما من زوالهما ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما
من احد من بعده من بعد زواله او من بعد الله انه كان حليما غفورا حيث امسكهما
وكانتا جديرتين بان تزولا كما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وقال الاستاد امسكها بقدرته
واتقنهما بحكمته وزينهما بمشيته وخلق اهلها على موجب قضيته فلا شبيه
فى ابقائهما وافنائهما يساهمه ولا شريك فى وجودهما وبقائهما يقاسمه واقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير نبى ينذرهم ويخبرهم ليكونن اهدى من
احدى الامم وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم
قالوا لعن الله اليهود والنصارى فى صنيعهم لو اتانا رسول لنكونن اهدى
من واحدة من اليهود والنصارى وغيرهم فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله
عليه وسلم ما زادهم اى النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق وتنفرا
عن الصدق استكبارا فى الارض لاجل استكبارهم فيها على اهلها ومكر السيئ
والعمل القبيح فوقها ولا يحيق لا يحيط المكر السيئ الا باهله وقد حاق بهم يوم بدر
جزاء مكرهم ولا بد لغيرهم فى آخر امرهم فهل ينظرون اى ما ينتظرون الا سنة
الاولين سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنت الله تبديلا بان يجعل
بدل ما يعذبهم ولن تجد لسنت الله تحويلا بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وفى
المدارك اى لا يبدلها فى ذاته ولا يحولها عن اوقاتها وقال الاستاد ليس لقولهم
تحقيق ولا لعهدهم وضمانهم توثيق وما يعدون من انفسهم فصريح زور وما يوهمون
من وفائهم فصرف غرور وكذلك المريد فى اوان نشاطه تمنيه نفسه ما بعيد به عليه
حالاله فربما يعاهد الله ويؤكد فيه عقده مع الله فاذا اعضته شهوته واراد الله ان
يكذبه صرعه بكيده واركسه فى هوة غيه ومنته نفسه فيسود وجهه ويذهب
عند الله وجاهته اولم يسيروا فى الارض بطواهرهم او بسرائرهم فينظروا
فيبصروا او فيتأملوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فيعتبروا الى لهم
وسوء مآلهم وكانوا اشد منهم قوة سعة وشوكة وما كان الله ليعجزه
ليسبقه ويغلبه من شئ خلقه فى السموات والارض انه كان عليما بالاشياء
كلها قديرا على ما شاء منها جميعا وفى والاستاد ان فى لطفه ما خاب له ولى
ولا ربح له عدو ولم يبال الحقيقة بمن انعكس قصده وارتد عليه كيده ودمر على
اعدائه تدميرا ووسع لاوليائه فضلا كثيرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا
من معاصيهم ما ترك على ظهرها وجه الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشوم

اعمالهم وقبح احوالهم ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى معين لهم فى الدنيا او العقبى
فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم ووفق احوالهم
وقال الاستاد لو عجل لهم ما يستوجبونه من الثواب والعقاب لم تف اعمارهم
القليلة بها ولما اتسع ايامهم القصيرة لها فاخر ذلك ليوم الحشر والنشر
فانه طويل عسير والله على كل شئ قدير وبامور عباده خبير بصير

سورة يس مكية وهى ثلاث وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاد بسم الله آية افتتح بها خطابه فمن علمها اجزل ثوابه ومن عرفها اكثر
ايجابه ومن اكبر قدرها اكرم مآبه يس قال الصادق اى يا سيد مخاطبا للنبى
صلى الله عليه وسلم ولذا قال انا سيد ولد آدم ولم يمدح بذلك نفسه ولكنه اخبر
عن مخاطبة الحق اياه بقوله يس وهذا شبيه قراءته على المنبر وناد وا يا مال ونداء
لابى هريرة يا ابا هر واما قوله عليه السلام انا سيد ولد آدم ولا فخر اى لا افتخر
بالسيادة فان افتخارى بالعبودية اجل من اخبارى عن نفسى بالسيادة وهذا المعنى
فى يس عن كثير من السلف كابن عباس وعكرمة والحسن وسفيان وسعيد بن جبير
وغيرهم وروى عن ابن عباس ايضا وغيره ان يس اسم من اسمائه سبحانه يكون
مقسما به كما يشير اليه عطف قوله والقرآن الحكيم عليه اى ذى الحكم والاحكام على
وجه الاحكام انك لمن المرسلين الى جميع الثقلين بل الى جميع العالمين على صراط
مستقيم على دين قويم عظيم من التوحيد والنبوة والبعثة والاستقامة وافاد
الاستاد انه قد يقال الياء يشير الى يوم الميثاق والسين يشير الى سره مع الاحباب
فقال بحق يوم الميثاق وسرى مع الاحباب وبالقرآن الحكيم انك يا محمد لمن المرسلين
وانك لعلى طريق مستقيم تنزيل العزيز الرحيم اى هى منزلة كما انه منزله وقراء
ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالنصب باضمار اعنى وقال الاستاد اى هذا الكتاب
تنزيل العزيز المتكبر الغنى عن طاعة المطيعين الرحيم المتفضل على عباده المؤمنين لتنذر قوما
ما انذر آباؤهم فهم غافلون اى مثل انذار ابائهم الاقدمين او شيئا انذر به اباؤهم
الابعدون او لتنذر قوما لم تنذر اباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة عليهم
وعدم وصول رسول اليهم وقال الاستاد اى خصصناك بهذا القرآن وانزلنا
عليك هذا الفرقان لتنذر به قوما حصلوا فى ايام الفترة وانقرض سلفهم على هذه
الفطرة لقد حق القول اى كلمة العذاب والفصل على اكثرهم بالعدل دون
الفضل فهم لا يؤمنون لتعلق علمه سبحانه بانهم لا يوقنون وقال الاستاد اى
حق القول بالعقوبة على اكثرهم لانهم اصروا على جحدهم وانهمكوا فى جهلهم فالمعدوم
منهم والمحكوم عليهم انهم لا يؤمنون وعن العذاب لا يأمنون انا جعلنا فى اعناقهم
اغلالا اى وفى ايديهم ايضا فان الغل لا يكون الا فيهما ويؤيده انه قرأ ابن مسعود انا جعلنا

فی ایمانهم وعن ابن عباس فی ایدیهم فالکل من باب الاکتفاء والاستغناء
والآیة تمثیل لتصمیمهم علی الکفر بحیث لا یغنی عنهم الآیات والنذر بالذین
غلت اعناقهم فهی الی الاذقان فالاغلال واصلة الی اذقانهم فلا یخلیهم
یطاطئون رؤسهم من جهة اذعانهم فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون
ابصارهم فی انهم لا یلتفتون الی جهة الحق ولا یقبلونه ولا یعطفون اعناقهم
نحوه ولا یطاطئون رؤسهم له وقیل الآیة محمولة علی الحقیقة وانه سبحانه لما اخبر
عن احوالهم فی الدنیا بین بعض شیء من سوء حالهم فی العقبی ویؤیده قوله تعالی اذ الاغلال
فی اعناقهم ویحشرهم یوم القیمة علی وجوههم عمیا ویقویه قوله وجعلنا من بین ایدیهم
سدا ومن خلفهم سدا فاغشیناهم فهم لا یبصرون ونبصره قول الاستاد سنجرهم
الی هوانهم وصغارهم ونذیقهم وبال امرهم والمعنی علی التمثیل انهم شبهوا بمن احاط
بهم سدان فغطی ابصارهم بحیث لا یبصرون قدامهم ووراءهم فی انهم محبوسون فی
مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر فی الآیات والدلالة وقرأ حمزة والکسائی وحفص
سدا بالفتح وفی تفسیر السلمی من بین ایدیهم سدا طول الامل وطمع البقاء ومن
خلفهم سدا هو الغفلة عما سبق من العصیان وقلة الندم علی الجفاء اعماهم ترددهم
فی الغفلات عن اعتذارهم لما سبق لهم من الجنایات وافاد الاستاد فی قوله تعالی
وجعلنا من بین ایدیهم سدا ومن خلفهم سدا الیوم فی بحار الضلالة وسرادقات
الجهالة وفی الآخرة نغرقهم فی النار والانکال ونضیق علیهم بالسلاسل والاغلال
فاغشیناهم اعمیناهم عن شهود الحجة ولبسنا علیهم فی الآخرة سبیل الجنة فیعذبون
فی وهدات جهنم داخرین ویبقون فی درکاتها صاغرین مهجورین مطرودین ملعونین
مسودین لا یفتر عنهم ما به یعذبون ولا مرحما علیهم ما یشکون وسواء علیهم ءانذرتهم
ام لم تنذرهم لا یؤمنون مر فی البقرة وافاد الاستاد ان مهجور الحق لا احد یصله
ومردود الحق لا احد یقبله والذی قصمته المشیئة واقمته القضیة لا تنجع فیه النصیحة انما
تنذر انذارا نافعا من اتبع الذکر ای القرآن وموعظة بالتأمل فیه والعمل به
وخشی الرحمن بالغیب ای بقلبه وسریرته ولم یغتر بکرم الله ورحمته فانه کما هو
رحیم وغفار منتقم وقهار فبشره بمغفرة لفرطاته واجر کریم لطاعاته قال الحسین
اشرف منازل الذاکرین من نسی ذکره فی مشاهدة مذکوره وحفظ اوقاته عن الرجوع
الی رؤیة ذکره انا نحن نحیی الموتی یوم القیمة او الجهال بالهدایة ونکتب ما قدموا
ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة وآثارهم الحسنة کعلم علموه ووقف
اوقفوه وبناء خیر بنوه والسیئة کاشاعة باطل وتاسیس ظلم وابداء بدعة وکل
شیء احصیناه فی امام مبین یعنی اللوح المحفوظ وقال الاستاد ای نحیی قلوبا
ماتت بالقسوة بما نمطر علیها من صوب الاقبال والزلفة ونکتب ما قدموا

وآثارهم

وآثارهم خطاهم الی المساجد لنا ووقوفهم علی بساط المناجاة معنا ونرفق دموعهم
علی عرصات خدودهم وتصاعد انفاسهم وکل شیء احصیناه فی امام مبین مثبت
تفصیله فی اللوح المحفوظ لا نساسینا لها کیف وقد قال احصی کل شیء عددا ولکنا احببنا
اثبات آثار احبابنا فی المکنون منا من کتابنا واضرب لهم مثلا بین لهم قصة غریبة
وحکایة عجیبة اصحاب القریة علی طریقة لیس فیها قریة ولا مریة والقریة انطاکیة اذ جاءها
المرسلون من عند رسولنا ومن قبلنا کما یدل علیه قوله اذ ارسلنا الیهم اثنین ای وادعیا
الرسالة عنا فکذبوهما وقاربوا ان یقتلوهما فعززنا وقرأ ابوبکر مخففا ای فقوینا هما
بثالث فقالوا ای الرسل الثلاثة انا الیکم مرسلون من ربنا ومن رسولنا وذلک
انهم کانوا عبدة الاصنام فارسل الیهم عیسی علیه السلام اثنین من اصحابه الکرام فلما
قربا من المدینة رایا حبیبا النجار یرعی غنماله فسأل لهما فاخبراه فقال امعکما آیة فقالا
نشفی المریض ونبرئ الاکمه والابرص وکان له ولد مریض سنتین فمسحاه فبرأ فآمن
حبیب وفشا الخبر فشفی علی ایدیهما خلق کثیر وبلغ حدیثهما الی الملک فطلبهما وقال
لهما النا اله سوی آلهتنا قالا نعم من اوجدک والهتک قال قوما حتی انظر فی
امرکما فحبسهما ثم بعث عیسی شمعون فدخل متنکرا وعاشر اصحاب الملک حتی استانسوا
به واوصلوه الی الملک فانس به فقال له یوما سمعت انک حبست رجلین فهل سمعت
تفصیل ما یقولانه قال لا فحال الغضب بینی وبین ذلک فدعاهما فقال شمعون
من ارسلکما قال الله الذی خلق کل شیء ولیس له شریک فقال صفاه واوجزا قال
یفعل ما یشاء ویحکم ما یرید قال وما آیتکما قال ما یتمنی الملک فدعا بغلام مطموس العین
فدعوا الله حتی انشق له بصر واخذا بندقتین فوضعاهما فی حدقتیه فصارتا مقلتین
ینظر بهما فقال له شمعون ارأیت لو سألت الهک حتی یصنع مثل ذلک حتی یکون
لک وله الشرف قال لیس لی عنک سر ان الهنا لا یبصر ولا یسمع ولا یضر ولا ینفع
ثم قال شمعون لهما ان قدر الهکما علی احیاء میت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة
ایام فدعوا فاحیاه الله تعالی فقال انی ادخلت فی سبعة اودیة من النار وانا احذرکم
ما انتم فیه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأیت شابا حسنا یشفع لهؤلاء
الثلاثة شمعون وهذان فتعجب الملک فلما رأی شمعون ان قوله قد اثر فیه نصحه فآمن
فی جمع ومن لم یؤمن صاح علیهم جبریل علیه السلام فهلکوا قال الاستاد انقرض
زمانهم ونسی شأنهم واوانهم ولکنا نذکر احوالهم بعد فوات اوقاتهم ولا نرضی بان لا
نجری بین احبابنا وعلی السنة اولیائنا ذکر الغابرین الماضین من عبادنا وهذا الخلوق
بعزل فی منته مخلوق اذا نسی الناس اخوانهم وخان المودة خلانها فعندی
لاخوانی الغائبینا صحائف ذکرک عنوانها قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزیة لکم علینا
تقتضی اختصاصکم بما تدعون من الرسالة الینا ولو ارسل الله ملکا لیکون مقبولا لدینا

وما انزل الرحمن من شيء من الوحي والرسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى الرسالة
والنبوة قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون بتقويم الدين وما علينا الا البلاغ المبين
التبليغ الظاهر المبين بالدليل المبرهن بالآيات والمعجزات الشاهدة بصحة الرسالة
قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بمجيئكم حيث وقعت اختلاف الكلمة بيننا لجهلكم ووقع
الفتنة بسببكم لئن لم تنتهوا عن هذه المقالة لنرجمنكم بالحجارة او لنشتمنكم بالملامة
على وجه السفاهة وليمسنكم منا عذاب اليم في هذه الحالة قالوا طائركم سبب
شؤمكم معكم لا يفارقكم وهو سوء عقائدكم واحوالكم وقبيح اعمالكم واقوالكم
ائن ذكرتم اى ائن وعظتم تطيرتم او توعدتم بما ذكرتم بل انتم قوم مسرفون في العصيان
ممن تم تشاءمتم او في الطغيان ولذلك توعدتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به
ويعظم وجاء من اقصى المدينة اى القرية رجل يسعى يسرع مساعدة في الدين او
شفقة على المرسلين وهو حبيب النجار وقيل القصار وكان يتعبد في الغار بقرب
بلد الكفار ولما سمع همهم بقتل رسلهم جاء لنصحهم قال يا قوم اتبعوا المرسلين
اتبعوا من لا يسئلكم اجرا على تبليغ الرسالة وتبيين النصيحة وهم مهتدون
الى خير الدارين وكذا من تبعهم في الكونين فقيل له او انت تخالف هؤلاء وتخالف
ديننا وتعبد غير الهنا فقال ومالي لا اعبد الذي فطرني خلقني واعبد مخلوقا مثلي او دوني
واليه ترجعون بالموت بعد مضي اجالكم فيجازيكم باعمالكم فاسمعوا انتم ايضا في تحسين
احوالكم واتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني لا تنفعني شفاعتهم
شيئا من المنفعة او لا تمنع عني شيئا من المضرة ولا ينقذون لا يخلصوني
بالمعاونة والمغالبة اني اذا لفي ضلال مبين بين الضلالة ظاهر الجهالة ان اعدل عن
عبادة قادر نافع ضار الى عاجز عن النفع والدفع اني آمنت بربكم الذي خلقكم
وكفرتم به فاسمعون فاسمعوا ما يدل على نجاتي ويشير الى ايماني قيل ادخل الجنة لما قتلوه
بشارة بانه من اهل الجنة او اشارة الى دخولها لكونه من ارباب الشهادة والكلام
اعلام بحاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصر دينه ونصح قومه ولذا قال يا ليت قومي
يعلمون بما غفر لي ربي ما صدر عني من ذنبي وجعلني من المكرمين بتقريبي اراد نصح قومه
في حياته ومماته كما نقله ابن ابي حاتم عن ابن عباس وقال حمدون القصار لا يسقط
عن الخلق رؤية الخلق بحال ولو سقط عنه في وقت لسقط في مشهد الانبياء الحضرة
الا تراه في وقت دخول الجنة يقول يا ليت قومي يعلمون حدثه النفس ادراك
برؤية الخلق اقول ما قال انما هو باعتبار غالب الحال والا فقد قال صلى الله
عليه وسلم لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل والصوفية
يعبرون عن ذلك المقام بالسكر والمحو والفناء والاستغراق والاكثر انه كبرق
خاطف وقل انه يدوم يوما بالاتفاق وعنه صلى الله عليه وسلم سباق الامة ثلثة

لم يكفروا بانه

لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون
ذكره صاحب الكشاف ثم اعلم ان بعض السلف واكثر الخلف على انهم رسل عيسى
واسماؤهم يحيى ويونس وشمعون والقرية انطاكية وذكروا ان ملك القرية واكثر اهلها
آمنوا بعد تقويتهما بثالث وظهور معجزاتهم ومن بقي على الكفر اهلكوا وكلام بعض دال
على انهم رسل الله واسماؤهم صادق وصدوق وشلوم وهو ظاهر القرآن لا سيما
قوله تعالى ما انتم الا بشر مثلنا ويخطر بالبال والله اعلم بحقيقة الحال امكان الجمع بين الاقوال
بانهم كانوا رسل الله الا انهم كانوا تابعين لعيسى كما كان لوط مع ابراهيم وهارون مع
موسى عليهم السلام وبه ينتظم متفرقات الكلام وان الاسماء المتأخرة اوصاف
للمسميات المتقدمة وافاد الاستاذ انه سبحانه قال وجاء من اقصى المدينة ولم يكن
اقصاها وادناها ليتفاوت بكثير في مداها ولكن اجرى سنته في استكثار القليل
من فعل عبده اذا كان برضاه ثم يستدر الكثير من فضله اذا بذله واعطاه ثم
لما صدق في حاله ونصح في مقاله وصبر ما لقي من قومه ورجع الى ربه بلقاه بحسن
افضاله وآواه الى كنف اقباله ووجد ما وعده ربه من لطف افضاله تمنى ان
يطلع قومه على حاله ووصوله الى مقام كماله وانما اراد ذلك اشفاقا عليهم ليعلموا
مثل اعماله ليجدوا ما وجد من حسن آله وما انزلنا على قومه من بعده من بعد هلاكه من جند
من السماء لاهلاكهم ونصرة الانبياء كما ارسلنا يوم بدر والخندق جمعا من الملائكة
لنصرة سيد الاصفياء بل كفينا امرهم بصيحة ملك وقعت شرهم وما كنا منزلين
اى وما كان من عادتنا انزال جند من السماء في اهلاك الامم المكذبة للانبياء فانزال
الملائكة لنصرة نبيه المصطفى ورسوله المرتضى كان من مختصاته تشريفا لمقاماته
ان كانت ما كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة من جبريل بعثه الله الى
قريتهم فاخذ بعضادتي باب بلدتهم فصاح على اهل بلدتهم فاذا هم خامدون ميتون
جامدون شبهوا بالرماد حيث لم يبق في البلاد ارواح تتردد في الاجساد يا حسرة
على العباد تعالى فهذه الحالة التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليها قوله
ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤون فان المستهزئين بالناصحين المخلصين
المنوط بنصحهم خير الدنيا والدين احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف
على حالهم المتلهفون وقد تأسف على حالهم الملائكة والمؤمنون ونصبها لطولها
بالجار المتعلق بها الم يروا الم يعلموا كم اهلكنا قبلهم من القرون الماضية وما علمنا
من قبلهم من الامم الخالية انهم اليهم لا يرجعون والمعنى الم يروا كثرة اهلاكنا من تقدم
عليهم كونهم غير راجعين اليهم وقال الاستاذ كلهم في قبضة القدرة لم يفتنا احد
ولم يكن لواحد منهم علينا عون ولا مدد وعن حكمنا ملتحد وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم القيمة
حين يرجعون للجزاء الينا ويجتمعون للعرض علينا وان مخففة من المثقلة واللام هي الفارقة

وما مزيدة للمبالغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لمّا بالتشديد بمعنى الا فيكون ان نافية
اى ما كلهم الا مجموعون لدينا محضرون محشورون الينا وآية لهم الارض الميتة اى اليابسة
وقرأ نافع بتشديد التحتية احييناها بانزال المطر عليها وانباتها بما يليق لها واخرجنا
منها حبا ما يسمى حبا من انواعه واصنافه فمنه يأكلون ومنه ما يدخرون وجعلنا فيها جنات
من نخيل واعناب من انواع النخل والعنب واختير النخل دون ثمرها لاختصاص شجرها
بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها من العيون شيئا من منابعها ليأكلوا من ثمره
ثمر ما ذكر وقرأ حمزة والكسائى بضمتين وما عملته ايديهم ما موصولة عطف على الثمر
والمراد ما يتخذ منه كالدبس والعصير ويؤيده قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان
حذفه من الصلة احسن من غيرها ويعضده قراءة ابن مسعود ومما عملته ايديهم والمعنى ان الثمر
فى نفسه بخلق الله لا بفعلهم الآن فيه آثارا من كدهم وتعبهم فى غرسهم وسقيهم او نافية
اى ومن الثمر التى لم تعمله ايدى الناس بل خلقها الله بقدرته وارادته وتقويه قوله افلا يشكرون
اى الا يتدبرون صنعه فلا يشكرون نعمه قال ابن عطاء اى القلوب الميتة بالغفلة احييناها
باليقظة والاعتبار والموعظة واخرجنا منها معارف صافية واحوالا زاكية فهو
انوارها على ظواهرها وبواطنها جارية وسارية وافاد الاستاذ انه لما كان اعظم شبههم
فى امر البعث وانكاره كان تكراره سبحانه حديث البعث وضرب المثل باحياء الارض
بالنبات اكثر من كثير من الآيات والعجب ممن ينكر علم الاصول ويقول ليس فى الكتاب
عليه دليل كيف يحل عليه هذا السبيل واكثر ما فى القرآن من الآيات يدل على صحة الحشر على
سبيل الاستدلال وتحكيم ادلة العقول ولو انهم انصفوا من انفسهم واشتغلوا باهم
شئ لهم لما ضيعوا اصول الدين فرضوا فيها بالتقليد وادعوا فى الفروع رتبة الامامة
والتقدير فى التشديد ويقال فى معناهم ثم من تصدر فى دست الامامة فى مسائل
الفقه املاء وتدريسا غفلت عن حجج التوحيد تحكّمها شيدت فرعا وما مهدت
اسّا سبحان الذى خلق الازواج كلها الانواع والاصناف جميعها مما تنبت
الارض من النبات والشجر ومن انفسهم من الذكر والانثى ومما لا يعلمون وازواجا
مما لم يطلعهم الله على حقيقته ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته قال عبد العزيز المكى خلق الازواج
كلها وقال ليس كمثله شئ فدل بذلك على ان خالق الازواج منزه عن الزوج مستغن عنه
وافاد الاستاذ ان هذه الآية ايضا فيها تنبيه على التفكر فى بديع صنعه فقال تنزيها
لمن خلق الاشياء المتشاكلة اجزاء وعينا من النبات ومن انفسهم ومن الاشياء الاخر
التى لا يعلمون تفصيلها كيف جعل اوصافها فى المطعوم والارايح والشكل والهيئة واختلاف
اوراق الاشجار وفنون اغصانها وجذوع اشجارها واصناف نورها وازهارها واختلاف
اشكال ثمارها فى تفرقها واجتماعها ثم ما ينط بها من الانتفاع بها على مجرى العادة مما يسميه
قوم الطبايع فى اختلافها فى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واختلاف الاحداث

التى

التى يخلقها الله عقيب شرب هذه الادوية وتناول هذه الاطعمة على مجرى العادة
من التأثيرات التى تحصل فى الابدان ثم اختلاف صور هذه الاعضاء الظاهرة
والاجزاء الباطنة فالاوقات متجانسة والازمان متماثلة والجواهر متشاكلة وهذه
الاحكام مختلفة فلولا تخصيص حكيم لكل شئ بما اختص به والا لم يكن تخصيصها بغير ذلك
اولى من تخصيصها بهذا وان من كحل الله عين بصيرته بيمن التعريف وقرن اوبته بالتوفيق
اتم نظره ولم يصده مانع يعقب اثره فاقوى فى مسائل حجة وما اوضح فى المسالك بهجة
ولكنه اقسام سبقت واحكام على من شاء الحق بما شاء منه حقت وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار نزيله عن مكانه وننكشفه لظهور شأنه فاذا هم مظلمون داخلون فى ظلام
برهانه وافاد الاستاذ انه سبحانه يبطل ضوء النهار بهجوم الليل عليه ويزيل ظلام الليل
بهجوم النهار عليه كذلك نهار الوجود يدخل على الليالى التوقف ويعود سيد كرمه
عصا من عمى عن سلوك رشده فيهديه الى سواء طريقه والشمس تجرى لمستقر لها
لحد مقرر ينتهى اليه دورها او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب
فان لها فى دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب
فى مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم فالمستقر
اسم زمان والصحيح انه اسم مكان اذ صح فى البخارى وغيره بروايات متعددة
عنه عليه السلام ان مستقرها تحت العرش تذهب وتسجد هناك فاعلم انه اذا كان
العرش كرة محيطة فتحتيتها باعتبار مكان خاص من العرش الله ورسوله اعلم به وظاهر
بعض الاحاديث دال على انه قبة ذات قوائم تحمله الملائكة وهو فى هذا الجانب من
الارض فحينئذ يكون وقت الظهيرة اقرب ما يكون الى العرش وفى نصف الليل
ابعد فحينئذ تسجد وتستأذن فى الطلوع ذلك الجرى للخاص على وجه الاختصاص
المتضمن للحكم المتعلقة بها مما يكل الفطن عن احصائها تقدير العزيز الغالب
بقدرته على كل مقدور له العليم المحيط علمه بكل معلوم عنده والقمر قدرناه صيّرنا
مسيره منازل او جعلناه سيره فى منازل وهى ثمانية وعشرون منزلة تنزل كل ليلة
فى واحدة منها لا تتخطاها ولا يتقاصر عنها فاذا كان فى آخر منازل دق فى حاله
واستقوس فى حاله حتى عاد رجع كالعرجون وهو العود المعوج الاصفر الذى عليه
الثمر القديم العتيق اليابس وقرأ ابن عامر والكوفيون والقمر بالنصب على شريطة
التفسير والباقون بالرفع على الابتداء لا الشمس ينبغى لها يصح لها ويتسهل عليها
ان تدرك القمر فى آثاره ومنافع آثاره او فى مكانه بالنزول الى محله وسلطانه ولا الليل
سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعقبه والمعنى لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه
ولا يدخل الليل على النهار قبل انتهائه بل يتعاقبان فى ازمنة معلومة الى يوم القيمة
وقيل المراد من الليل والنهار آيتاهما وهما النيران فيهما والمعنى لا يطلع القمر بالنهار

ولا ضوء يطمس نور الشمس ولا بالعكس فسلطانها بالنهار وسلطانه بالليل كالكل من المقدار
وكل فى فلك يسبحون اى وكلهم والضمير لهما ولسائر النجوم فان ذكرهما مشعر بذكر غيرهما اولهما
وجمع لاختلاف مطالعهما فكانهما شموس واقمار فى محالهما واطلاق السباحة التى
هى للعقلاء وجمع بالواو والنون اى يسيرون فيه سير اسراع اقبالا وادبارا ليلا ونهارا
لا ترى فيهما قرارا ومدارا ووصف الشمس بعدم الادراك لانها بطيئة السير والقمر
بعدم السبق لسرعة الجريان وافاد الاستاد ان الاشارة من هذه العبارة الى
ان العبد فى اوان الطلب دقيق الحال ضعيف اليقين مختصر الفهم ثم لا يزال
يتفكر حتى تزداد بصيرته وتتكمل حالته الى ان يصير كاملا جليلا ثم يتناقص ويدنو
من الشمس قليلا وكلما ازداد من الشمس دنوا ازداد فى نفسه نقصانا الى ان يتلاشى
ويخفى ولا يرى ثم يبعد عن الشمس فلا يزال يتباعد حتى يعود بدرا فشبه الشمس عارف ابدا
فى ضياء معرفته كصاحب تمكين غير متلون يشرق من برج سعادته دائما لا ياخذه
كسوف ولا يستره سحاب وشبه القمر عند تلون احواله فى التنقل صاحب تلوين له
فى البسط ما يرقيه الى حد الوصال ثم يرد الى الفترة ويقع فى القبض مما كان به من صفاء
الحال فيتناقص ويرجع الى نقصان امره الى ان يرفع قلبه عن وقته ثم يجود عليه
الحق سبحانه فيوفقه لرجوعه عن فترته وافاقته عن سكراته فلا يزال يصفو له الحال
الى ان يقرب من الوصال ويرزق صفة الكمال ثم بعد ذلك ياخذ فى النقص والزوال
كذلك حاله الى ان يحق له بالمقسوم ارتحاله وآية لهم انا حملنا ذريتهم وقرأ نافع وابن عامر
ذرياتهم اى اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم فى الفلك المشحون المملوء من
امتعتهم وحيواناتهم وخلقنا لهم من مثله مثل الفلك وشبهه من مراكب البحر
ما يركبون من الابل فانها سفائن البر وافاد الاستاد ان الاشارة فيه الى حمل
الخلق فى سفينة السلامة فى بحار التقدير عند تلاطم امواجها بفنون من التغيير والتاثير
فكم من عبد غرق فى اشتغاله فى ليله ونهاره لا يستريح لحظة من كد افعاله ومقاساة
التعب فى اعماله من جمع ماله بنسيان عاقبته ومآله واستيلاء شغل ولده وعياله
على ذكره وباله وما سعيه الا فى وباله ومحاله وكم من عبد غرق فى لجة هواه يجره مناه
الى تحمل بلواه وخسيس من الامر مطلوبه ومبتغاه ثم لا يصل قط الى منتهاه
خسر دنياه وعقباه وبقى عن مولاه ومثال هذا ما لا يحصى وعلى عقل من تفكر واعتبر
لا يخفى واذا حفظ احدا فى سفينة العناية افرده بالتحرز عن رق خسايس
الامور وشغله بظاهره بالقيام بحقه وافرده فى سرائره بفراغ القلب مع ربه وذكره
الى ما قال انا جليس من ذكرنى وقل ما شئت من علو شان من هذا صفته ولا حرج
وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن اغراقهم او فلا اغاثة
لهم ولا اعانة عن استغراقهم ولا هم ينقذون ينجون من عذاب فراقهم

الا رحمة منا ومتاعا الى حين من عندنا وتمتيع بالحيوة من جانبنا الى حين
زمان عين لآجالهم فى تقديرنا وقال الاستاد لولا وجوده وفضله لحل بهم من البلاء
ما حل بامثاله ولكن بحسن افضاله حفظه فى جميع احواله واذا قيل لهم اتقوا ما بين
ايديكم من الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم من الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها
او نوازل السماء وبلياتها ونوائب الارض وعاهاتها كقوله تعالى اولم يروا الى ما بين
ايديهم وما خلفهم من السماء والارض او عذاب الدنيا وعقاب العقبى او ما
تقدم من الذنوب وما تأخر من العيوب لعلكم ترحمون لكى ترحموا وعن الغفلة
تعصموا وجواب اذا محذوف وهو اعرضوا عنه كما دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من
آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين غير ملتفتين اليها ولا مقبلين عليها واذا
قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على من قدر الله عليه رزقه وفق ما قضاه قال
الذين كفروا من مشركى قريش وغيرهم للذين آمنوا اى فى حق فقرائهم
انطعم من لو يشاء الله اطعمه اى من لم يرزقه الله مع قدرته لا نطعمه لموافقة
مشيته وهذا من فرط ضلالتهم وكثرة جهالتهم فان الله يطعم باسباب واشياء
منها حث الاغنياء على طعام الفقراء وتوفيقهم له فى الخلاء والملاء ان انتم
الا فى ضلال مبين حيث امرتمونا بالانفاق سعة والارفاق على من ضيق الله
عليه فى الارزاق ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فى وعد البعث والاعادة
ما ينظرون ما ينتظرون الا صيحة واحدة وهى النفخة الاولى تأخذهم وهم يخصمون
يختصمون فى المعاملة فتأتيهم بغتة وتجارة فى الحالة وقرأ ابن كثير وورش وهشام
بفتح الخاء وتشديد الصاد وابو عمرو وقالون باختلاس الفتحة وحمزة بسكون
الخاء وتخفيف الصاد فلا يستطيعون توصية فى شئ من امورهم ولا الى
اهلهم يرجعون ولا يتمكنون من الرجوع الى دورهم ليروا اهليهم ويشاهدوا احوالهم
بل يموتون حيث تبغتهم وافاد الاستاد ان هذا صفة من سيبهم فى اودية الخذلان
ووسمهم بسمة الحرمان واصمهم عن سماع الرشد وصدهم بالخذلان عن سلوك القصد
فلا تأتيهم آية فى الزجر الا تلقوها باعراضهم وتجافوا عن الاعتبار بها على
دوام انقباضهم واذا امروا بالانفاق والاطعام عارضوا بان الله رازق الانام
واذا شاء نظر اليهم بالانعام ثم يستعجلون هجوم الساعة ويستبطئون قيام القيمة
لا عن تصديق يزيلهم عن شكهم او خوف يمنعهم عن غيهم ولكن تكذيبا لدعوة النبوة
وانكار الصحة الرسالة واستبعاد الامر الاعادة فقال تعالى ما ينظرون الا صيحة
واحدة عند قيام الساعة ثم انهم فى العذاب محضرون لا يكشف عنهم ولا هم
ينصرون ونفخ فى الصور اى نفخة ثانية فاذا هم من الاجداث من قبورهم
الى ربهم ينسلون يسرعون قال الاستاد يموتون قهرا ويحشرون جبرا ويلقون شرا

ولا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قالوا يا ويلنا يا هلاكنا تعال الينا فهذا اوانك
يا من بعثنا من مرقدنا فيه اشعار بانهم لاختلاط عقولهم لا يشعرون انهم صاروا
امواتا بل يظنون انهم كانوا نياما ثم لما افاقوا من احلامهم وتيقظوا من نومهم
صرحوا في كلامهم ردا على انفسهم في مرامهم وتحيروا في مقامهم بقولهم هذا
ما وعد الرحمن اي ما وعده لنا وصدق المرسلون اي فيما اخبرونا فوعده حق
واخبارهم صدق ان كانت ما كانت النفخة الا صيحة واحدة وهي النفخة الاخيرة
فاذا هم جميع لدينا محضرون في موقف القيامة بمجرد تلك الصيحة وافاد الاستاد انهم
يموتون على جهلهم لا يعرفون ربهم ويبعثون على مثل حالهم لا يعرفون من بعثهم ويجدون
ما كانوا فيه في قبورهم من العقوبة الشديدة بالاضافة الى ما سيلقون من الالام
الجديدة نوما ورقادا ويسطاون من الفراق المبرح والاحتراق العظيم المفخم
مهادا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا ولقد عوملوا
بذلك استحقاقا قال تعالى فاليوم لا تظلم نفس شيئا من الظلم في معرض حساب
لا بنقص ثواب ولا بزيادة عقاب ولا تجزون الا ما كنتم تعملون من الحسنات
والسيئات في كل باب بمعنى الحديث القدسي والكلام الانسي انما هي اعمالكم احصيها لكم
ان اصحاب الجنة اليوم اي يوم القيمة بعد دخول الجنة في شغل وقرا نافع وابن كثير
وابو عمرو بالسكون فاكهون متلذذون في النعمة وفي تنكير شغل وما فيه من الابهام
تنبيه على انه اعلى من ان تحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام قال طاوس لو علموا
عمن شغلوا هنا ما اشتغلوا به عما لهم من الهناء وقال ابن عطا اشغلهم في الجنة
استصلاح انفسهم لميقات المشاهدة وهذا من اعظم الاشغال في المجاهدة وسئل
بعضهم عن قول النبي صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله فقال من رضي من الله
بالجنة وقال ابن عطا مكر بالخلق في كل موضع وخدعهم عنه بكل شيء حتى في الجنة وقال
الاستاد انما يضاف العبد الى ما كان الغالب عليه ذكره والآخذ بمجامع قلبه امره فصاحب
الدنيا من في اسرها واصحاب الجنة الذين هم طلابها والساعون لها والعاملون
لنيلها قال تعالى خبرا عن مقالهم ومجمل حالهم لمثل هذا فليعمل العاملون وهذه
الاحوال وان جلت منهم فهي بالاضافة الى احوال الاكابر والسادة تتقاصر
عنهم قال عليه السلام اكثر اهل الجنة البله ومن كان في الدنيا عن الدنيا حرا فلا يبعد
ان يكون في الجنة عن الجنة حرا يختص برحمته من يشاء وقيل هذا الخطاب
لاقوام هم فارغون فيقول لهم ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون وهم
اهل الحضرة والذين لا يشغلهم الجنة عن انس القربة وراحات الوصلة
ولذات الرؤية وقالوا لو علموا عمن شغلوا لما تهنأوا بما به شغلوا ويقال انما يقال
هذا لاقوام في العرصة اصحاب المعصية لم يدخلوا النار ولم يدخلوا الجنة فيقول الحق

لهم

لهم عبيدي اهل النار ليس يحزنكم الا هوالهم وما هم فيه من صعوبة احوالهم
واهل الجنة اليوم في شغل عنكم لانهم في لذات منالهم وما وجدوا من افضالهم
مع اهلهم واشكالهم فليس لكم اليوم الا الحزن وكرمنا بالقوم وقيل شغلهم تاهبهم لرؤية
مولاهم وذلك من اهم الاشغال واولاها وهي اشغال مونسة مريحة لا متعبة موحشة
ويقال لا تنافي بين اشتغالهم بابدانهم مع اهلهم وشهودهم مولاهم كما انهم اليوم مستديمون
لمعرفته باي حالة هم ولا يقدح اشتغالهم باستيفاء حظوظهم في معارفهم
قلت وهذا اكمل الاحوال في مقامات الرجال والصوفية يسمونه جمع الجمع في اعلى المرتبة
وهو ان لا يمنع وجود الكثرة عن شهود الوحدة ويقال لتشغل نفوسهم بشهواتها حتى
يخلص الشهود لاسرارهم بكمالاتها على غيبة من احساس النفس الذي هو اصعب الرقباء
في ملاحظاتها ولا شيء اعلى من رؤية الحبيب مع فقد الرقيب اقول وهذا معنى
الطف من الاول واشرف فتامل هم وازواجهم قيل اشكالهم في منازلهم
واحوالهم كقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وقيل حظاياهم من
الحور العين وسائر نسائهم في ظلال من اشجار الجنة وقصورها واستار انوارها وقرأ
حمزة والكسائي في ظلل على الارائك على السرر المزينة متكئون على هيئة ما كان
اهل الدنيا متنعمون لهم فيها فاكهة ما يسمح فاكهة من جميع انواعها واصنافها
ولهم ما يدعون يدعون زيادة على اجناسها وانفاسها او يتمنونه في الدنيا من الجنة
ودرجاتها سلام اي ولهم سلام عظيم في مقام كريم يقال لهم قولا كائنا من رب رحيم
والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة من الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم فيما اعطاهم
وذلك نهاية مطلوبهم وغاية متمناهم وقد روى ابن ابي حاتم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى اشرف
عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم
قال فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى
يحتجب منهم ويبقى نوره لديهم وبركته عليهم وقال ابن عطا السلام جليل الخطر وعظيم
المحل واجله ما كان في المشاهدة والمكافحة من الله الكريم حين يقول سلام قولا من رب رحيم
وافاد الاستاد انهم يسمعون كلامه وسلامه بلا واسطة واكد ذلك بقوله من رب
ليعلم انه ليس سلام على لسان سفير والرحمة في تلك الحالة ان يرزقهم الرؤية في حال
ما يسلم عليهم ليكمل لهم النعمة ويقال الرحمة في ذلك ان يبقيهم في حال سماع سلامهم
وحال لقاء مراهم لئلا يصحبهم دهشة ولا يلحقهم حيرة ويقال انما قال من رب رحيم
ليكون للعصاة من المؤمنين فيه نفس ولرجائهم فيه مساغ فان الذي يحتاج
الى كثرة الرحمة هو صاحب المعصية ويقال قال ذلك ليعلم العبد انه لم يصل اليه
بفعله واستحقاقه وانما وصل اليه برحمة ربه وامتازوا اليوم ايها المجرمون يريد بهم

الكافرين اى وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة وبغيرهم الى
العقوبة كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وافاد الاستاد ان غيبة الرقبا
من اتم النعمة وابعاد الاعداء من اجل المنة والاولياء فى ايجاب القربة والاعداء فى
عذاب الكربة الم اعهد اليكم يا بنى آدم الم اوصكم بلسان انبيائكم ان لا تعبدوا الشيطان
اى لا تطيعوه فيما زين لكم من العصيان انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فى جميع
الازمان وان اعبدونى فى الاوامر والزواجر هذا صراط مستقيم دين قويم قال
الواسطى من عبد الله لنفسه فانما يعبد نفسه ومن عبده من اجله فانه لم يعرف ربه
ومن عبده بمعنى ان العبودية جوهر يظهر بها الربوبية فقد اصاب ولقد اضل
منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون خلقا كثيرا ممن وجبت عليه الضلالة وثبتت له
الجهالة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائى بضمتين وتخفيف اللام وابو عمرو
وابن عامر بضم فسكون هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم ادخلوها وذوقوا
عذابها فى العقبى بما كنتم تكفرون بسبب كفركم بها فى الدنيا وورد فى حديث رواه
ابن جرير عن ابى هريرة مرفوعا اذا كان يوم القيمة امر الله جهنم فيخرج منها عنق
ساطع مظلم ثم يقول الم اعهد اليكم يا بنى آدم الى آخر الآيات وافاد الاستاد ان هذه
الاقوال لو قالها مخلوق لمخلوق لكان شبه اعتذار فى الاحوال اى لقد نصحتكم
ووعظتكم وعن هذا حذرتكم وكم وصلت لكم القول وذكرتكم ولم تقبلوا وعظى ولم تعملوا
بامرى فانتم خالفتم وعلى انفسكم ظلمتم وبذلك سبقت القضية منا لكم اليوم
نختم على افواههم نمنعها عن الكلام وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون
من الآثام وفى حديث رواه مسلم انهم يجحدون ويخاصمون فيختم الله على افواههم
وتكلم ايديهم وارجلهم قالوا وفائدة هذا الكلام ان يعلم الانام ان من كان
عونا على المعصية صار شاهدا على تلك الحالة فلا ينبغى لاحد ان يصحب الا الله
فى جميع حالته لئلا يفتضح عنده بسبب اهل صحبته وافاد الاستاد ان اليوم ستر الله
اعضاء الانسان بعضها لبعض وغدا ينقض هذه العادة فيخرج بعض الاعضاء على
البعض ويجرى بينهم الخصومة والمنازعة فاما الكفار فشهادة اعضائهم عليهم لهم مبيدة اى
مهلكة واما العصاة من المؤمنين فقد يشهد عليهم اعضاؤهم بالعصيان ولكن يشهد بعض
اعضائهم ايضا لهم بالاحسان وكما قيل ■ بينى وبينك يا ظلوم الموقف •
والحاكم العادل الجواد المنصف • وفى بعض الاخبار المروية المسندة ان عبدا
يشهد عليه اعضاؤه بالزلة فيتطاير شعرة من جفن عينه فتستاذن بالشهادة
له فيقول الحق تكلمى يا شعرة جفن عين عبدى واحتجى عن عبدى فتشهد له بالبكا
من خوفه فيغفر له وينادى مناد هذا عتيق الله بشعرة ولو نشاء لطمسنا على
اعينهم لمسحنا اعينهم فاعميناهم فاستبقوا الصراط فابتدروها فانى يبصرون

فكيف

فكيف يرونها ومن اين يسلكونها والمعنى لو نشاء واثبته لهم الغواية بالعمى عن
الهدى فكيف يبصرون طريق الهداية الى المولى ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم
وابطال قدرهم على مكانتهم وقرا ابو بكر مكاناتهم اى على حالاتهم فى مقاماتهم
فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون اى ولا رجوعا ايابا ولا قدروا اقبالا
ولا ادبارا والمعنى انهم بكفرهم ونقض ما عهد اليهم احقاء ان يفعل ذلك
بهم لكن لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره نطل عمره
ننكسه فى الخلق نقلبه فى خلقته فلا يزال يتزايد ضعف بنيته عكس ما كان
عليه ابتدائه فيصير الى حال طفوليته وقرا عاصم بكسر القاف وتشديدها
للمبالغة افلا يعقلون ان من قدر على ذلك قدر على البعث هنالك وقرا
نافع وابن ذكوان بالخطاب قال ابو بكر الوراق من عمره الله بالغفلة فان
الايام تؤثر فيه حالا فحالا من طفولية وشبيبة وكهولية وشيخية الى
ان يبلغ ما حكاه الله من قوله ومن نعمره ننكسه فى الخلق ومن احياه الله
بذكره فان تلوين الاحوال لا يؤثر فيه فانه متصل الحيوة بحيوة الحى قال عز
وجل فلنحيينه حيوة طيبة وافاد الاستاد ان هذا التنكيس انما هو
فى الجثث والمبانى دون الاحوال والمعانى فان الاحوال فى الزيادة
الى ان تبلغ حد الخرافة فيختل رايه وينتقص عقله واصحاب الحقائق تشيب
ذوائبهم ولكن محابهم ومعانيهم فى عنفوان شبابها وطراوة جدتها
وما علمناه الشعر بتعليم القرآن وتفهيم الفرقان فانه لا يماثله مبنى ولا يشابهه
معنى لانه غير موزون ولا مقفى وليس فى معناه ما يقصده الشعراء من التخيلات
المرغبة والمنفرة ونحوها مما لا اصل لها ولا حقيقة عندها وعن ابن عباس عن غيره
ما ولد عبد المطلب ولدا ذكرا ولا انثى الا يقول الشعر الا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما ينبغى له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد نظمه على ما اخترتم طبعه
نحوا من اربعين سنة فمن اين لكم الشبهة فى صحة النبوة او معناه ما يصح
للقرآن انه شعر ان هو الا ذكر اى ليس الذى اتى به الا موعظة من الله
ونصحه وقرآن مبين ظاهر الدلالة على انه من الله لما فيه من المعجزة لينذر
اى الله او القرآن او الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن عامر بالخطاب من كان
حيا عاقلا كاملا فان الغافل والجاهل يكون فى مرتبة الميت نازلا او مؤمنا
فى علم الله على ما قدره وقضاه ويحق القول ويجب كلمة العذاب وتثبت
دفعة الحجاب على الكافرين المصرين على كفرهم لما سبق لهم فى قضائهم وقدرهم
فانهم اموات فى الحقيقة فى حيوة عمرهم قال جنيد الحى من يكون حياته ببقاء مليكه
ومن كان بقاؤه ببقاء نفسه فانه ميت فى وقت حياته وعند وفاته وقال ابن عطا

من كان في علم الله حيا احياه الله بالنظر اليه والفهم عنه والسماع منه والاستسلام
لديه اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما عملنا بلا شريك لنا وتولينا احداث
ما اوردنا مالم يقدر على احداثه غيرنا انعاما مفعول خلقنا وخصها بالذكر لما فيها
من بدائع الفطرة ومنافع بالكثرة فهم لها مالكون متمكنون من ضبطها
والتصرف فيها بتسخيرنا اياها وذللناها لهم اى وصيرناها منقادة لهم
فمنها ركوبهم مركوبهم ومنها ياكلون ماكولهم ولهم فيها منافع اثاث ومتاع
من جلودها واصوافها واوبارها واشعارها ومشارب من البانها افلا
يشكرون من خلقها وذللها واتخذوا من دون الله آلهة اشركوها به في
العبادة بعد ما راوا منه تلك القدرة الباهرة والنعمة الظاهرة لعلهم ينصرون
رجاء ان ينصروهم فيما حزبهم من امورهم والامر بالعكس في حقهم كما اخبر
سبحانه عنهم بقوله لا يستطيعون نصرهم اى نصر انفسهم فضلا عن نصر غيرهم
وهم لهم لاصنامهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم في الدنيا او محضرون
معهم في عذاب العقبى فلا يحزنك قولهم فيك او في كتابنا او فينا انا نعلم
ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم بجميع اقوالهم واعمالهم وفق احوالهم
وفيه تسلية النبي والمؤمنين واشارة الى حسن مآلهم وافاد الاستاد انه سبحانه
ذكر جزيل منته عليهم وجميل نعمته لديهم بما سخر لهم من الانعام التي
فيها وجوه من انتفاع الانام وذلك بما ينتفعون بركوبها وباكل لحومها وشحومها
وشرب البانها وبما يحمل عليها ويقطع المسافات الشديدة بها فطالبهم
بالشكر عليها ثم وصفهم بالتقصير في شكرها ثم اظهر حكاية لو كانت في صفة
المخلوقين كانت شكاية فقال مع كل هذه الوجوه من احسان النعمة اتخذوا من دون الله
آلهة ثم سلى نبيه عليه السلام بقوله فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون
فان العبد اذا علم انه بمرأى من مولاه هان عليه ما يقاسيه اذا كان في الله اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة فاذا هو خصيم مبين بين الخصومة لا يتأمل في بداء امره ولا يستحيى من
آخر عمره روى ان ابى بن خلف او عاص بن وائل اتى النبي صلى الله عليه وسلم
بعظم بال يفتته بيده وقال يا محمد اتزعم ان الله يبعث هذا فقال عليه السلام نعم
يميتك الله ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وضرب لنا مثلا امرا عجيبا
وهو نفى القدرة على الاعادة ونسى خلقه في البداءة قال من يحيى العظام وهي
رميم اى بالية اسم لما بلى من العظام لا صفة قل يحييها الذي انشاها
اول مرة فان قدرته كما كانت شاملة والمادة على حالة قابلة وهو بكل خلق
عليم فيعلم اجزاء الاشخاص المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها
ومواضعها واعادة الارواح الى اشباحها وفي تفسير السلمي اى من يحيى

القلوب

القلوب الميتة بالاعراض عنه والقسوة والغفلة ويردها الى التفويض
والتسليم في الطاعة والعبادة الذي جعل لكم من الشجر الاخضر كالمرخ والعفار
نارا بان يسحق المرخ على العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح منهما
النار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون في انها نار خرجت منه حين تقدحون
وفي المثل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار فمن قدر على احداث النار من
خضر الاشجار مع ما فيهما من المائية المضادة لها كان اقدر على اعادة الرطوبة فيما كان
رطبا وعرض له اليبوسة وقال الاستاد اى شددنا اسرهم وجمعنا نشرهم وسوينا
اعضاءهم وركبنا اجزاءهم واودعناهم العقل والتمييز ثم انه خصيم مبين
ينازعنا في بابه ويعترض علينا في احكامنا بزعمه في استصوابه كما قيل
اعلمه الرماية كل يوم فلما استد ساعده رماني ثم مهد سبيل الاستدلال
وقال ان الاعادة في معنى الابتداء فاذا اقررتم بالابتداء فاى اشكال بقى
في جواز الاعادة في الانتهاء اوليس الذي خلق السموات والارض مع جرمهما وسعة
عظمهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالاضافة اليهما فان
خلق الصغير اسهل من الكبير عندكم او في زعمكم بلى جواب من الله مشعر بانه لا جواب
سواه وهو الخلاق للعباد العليم بما اراد انما امره اى شانه سبحانه اذا اراد
شيئا اى ايجاده او امداده ان يقول له كن اى يكونه فيكون فهو يكون اى
يحدث وهو تمثيل لتاثير قدرته تعالى في مراده بامر المطاع للمطيع في حصول المامور من
غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة وهي قياس
قدرة الله تعالى على قدرة للخلق ونصبه ابن عامر والكسائي عطفا على يقول افاد الاستاد
انه سبحانه يخلق بقدرته واخبرنا انه يتعلق بالمكون كلمة على ما يجوز في صفته وسيأتى عنده
خلق الكثير في كثرته والقليل في قلته فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء بقبضة قدرته
تصرف كل شيء في خلقته فهو الملك المدبر في مملكته واليه ترجعون اى تردون
الى حكومته وفيه وعد للمقرين ووعيد للمنكرين وقال الاستاد اى بقدرته ظهور كل شيء
فلا يحدث شيء قل او كثر الا بابداعه وانشائه ولا يبقى ما يبقى منها شيء الا بابقائه
فمنه ظهور ما يحدث واليه مصير ما يخلق سورة الصافات مكية وهى ماية وثمانون آية
بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله كلمة اذا استولت على قلب قلبه
وازال عنه من الدارين اربه ثم الزمه على وجه التنقية حربه ثم شرف من حيث
الهمة طلبه والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا اقسم
بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم الانوار
الربوبية منتظرين للامور الالهية الزاجرين للانام عن المعاصي والاثام بانواع
الالهام التالين آيات الله وجلايا ابنائه على انبيائه واصفيائه والعطف

اختلاف الصفات والفاء للترقي المقامات ان الهكم لواحد جواب القسم
والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتأكيد المقسم عليه واما تحقيقه فبقوله رب السموات والارض
وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على وجه الاكمل في شهودها مع امكان غيره
دليل على وجود الصانع ووحدته وحكمته وقدرته وارادته والمشارق مشارق الكواكب
او مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون تشرق في كل يوم من واحد وبحسبها
تختلف المغارب في مغاربها ولذا اكتفى بذكرها مع ان الشروق ادل على القدرة واكمل
في النعمة وافاد الاستاذ انه سبحانه اخبر انه واحد في ملكه وذلك انهم تعجبوا ان يقوم الواحد
بجميع احوال عالمه ومعنى كونه واحدا تفرده في حقه عن التقسيم وتقدسه في وجوده عن التشبيه
وتنزهه في ملكه عن التشريك واحد في جلاله واحد باستحقاق جماله واحد في افعاله واحد
في كبريائه بنعت علائه ووصف سنائه ورب المشارق مشارق النجوم والشمس والقمر ومشارق
القلوب بشموسها واقمارها ونجومها انا زينا السماء الدنيا القربى منكم بزينة الكواكب
بزينة هي الكواكب والاضافة بيانية ويعضده قراءة حمزة وحفص بتنوين زينة وجر
الكواكب على ابدالها منه او بان زينا الكواكب فيها ويؤيده قراءة ابي بكر بالتنوين والنصب
على الاصل وحفظا اي وحفظناها حفظا من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة
برمي الشهب عليها لا يسمعون وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد اي لا تستمع
الشياطين الى الملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم ويقذفون ويرمون من كل جانب
من جوانب السماء الدنيا واطرافها اذا قصدوا الصعود اليها دحورا اي للطرد عنها او
حال كونهم مطرودين منها ولهم عذاب واصب اي دائم او لازم وهو عذاب الآخرة
الا من خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه اي الا من اختلس كلام
الملائكة مسارقة فاتبعه شهاب ثاقب مضيء كانه يثقب الجو بضوئه وهو ما يرى كان
كوكبا انقض من مكانه واختلف في ان المرجوم هل يتأذى به فيرجع عن قصده او يحترق
لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيبه بلية كالموج لراكب السفينة ولذا لا يرتدعون
عنه بالكلية او لانهم لا يعلمون بحقيقة القضية وافاد الاستاذ انه سبحانه زين السماء الدنيا
بالنجوم وقلوب اوليائه بنجوم المعارف والاحوال وحفظ السموات بان جعل النجوم
للشياطين رجوما كذلك زين القلوب بانوار التوحيد فاذا قرب منها الشيطان رجمها
بنجوم معارفهم الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب كذلك اذا اغتنم الشيطان
من الاولياء ان يلقي اليهم شيئا من وساوسه تذكروا فاذا هم مبصرون ورجعوا كما قال
تعالى ان الذين آمنوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون
فاستفتهم الضمير لمشركي مكة وغيرهم او لبني آدم جميعهم اي فاستخبرهم اهم اشد خلقا
ام من خلقنا من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب
الثواقب انا خلقناهم من طين لازب لاصق ثابت للمآرب فمن قدر على

خلق هذه الاشياء في الابتداء قدر على اعادتهم في الانتهاء بل عجبت من قدرتنا
وارادتنا او من انكارهم لاعادتنا ويسخرون من تعجبك في كمال صنعنا وجمال حكمتنا
وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء اي استعظمت من ان ينكر البعث ممن له هذه الافعال
وهم يسخرون ممن يجوز هذا الحال واذا ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا لا يتعظون بالموعظة
واذا راوا آية معجزة تدل على صدق القضية يستسخرون يبالغون في السخرية وقالوا ان
هذا الا سحر مبين ظاهر السحرية ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما تفرقت اعضاؤنا وتفتت
اجزاؤنا ائنا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقرأ نافع
بحذف الهمزة الاولى ونافع والكسائي بطرح الثانية اوآباؤنا الاولون عطف على
محل ان واسمها وسكن قالون وابن عامر الواو على الترديد فيهما قل نعم انتم مبعوثون
محشورون وانتم داخرون صاغرون فانما هي زجرة واحدة اي اذا كان كذلك فانما
البعثة صيحة واحدة هي النفخة الثانية وامرها في الاعادة كامر كن في البداءة ولذا رتب
عليها فاذا هم ينظرون فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل
بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اي اليوم الذي نجازى فيه باعمالنا على حسب
احوالنا فيقال لهم هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون والفصل القضاء او الفرق
بين المحسن والمسيء في الجزاء ويقول الله للملائكة احشروا الذين ظلموا على انفسهم
بالكفر والمعصية من مقامهم الى الموقف العظيم او الى وسط الجحيم وازواجهم واشكالهم
كعابد الصنم مع عبدته وامثالهم او نساءهم اللاتي على دينهم او قرناءهم من
شياطينهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام وغيرهم زيادة في
تخجيلهم وتحسرهم فاهدوهم الى صراط الجحيم دلوهم الى نحوها وعرفوهم طريقها
ليسلكوها وافاد الاستاذ انه سبحانه اراد بازواجهم قرناءهم واشكالهم ومن عمل
بمثل اعمالهم ومن اعانهم على ظلمهم بقليل او كثير في حالهم ومآلهم وكذا في هذه
الطريقة من اعان صاحب فترة في فترته او صاحب زلة على زلته كان مشاركا له
في عقوبته واستحقاق طرده واهانته وقفوهم احبسوهم في مواقف اهوالهم
انهم مسئولون عن عقائدهم واعمالهم واحوالهم ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم
بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لظهور
عجزهم اليهم وانسداد ابواب الحيل عليهم وافاد الاستاذ ان مقام السؤال مقام
صعب الحال قوم يسألهم الملك فالذين يسألهم الملائكة اقوام لهم اعمال صالحة
تصلح للعرض والكشف واقوام لهم اعمال لا تصلح للكشف وهم قسمان الخواص
يسترهم الحق عن اطلاع الخلق عليهم في الدنيا والعقبى والعوام وهم ارباب الزلات
يرحمهم الله فلا يفضحهم ثم انهم يكونون في بعض احوالهم بنعت الهيبة وفي
بعض بنعت البسط والقربة وفي الخبر ان قوما يسترهم بيده ويقول لهم تذكر كذا

اى فيما مضى من امرك وحديث الخلوة فى الصحيح وهو فى هذا المعنى كالصريح وهؤلاء
اصحاب الخصوص فى تحقيق اسرار الابرار فاما الاغيار والاجانب الكفار فيقال ادخلوا
بحكمكم النار ثم يقال لهم فى بعض احوال الفزع عليهم مالكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون
واقبل بعضهم على بعض يعنى الاتباع والرؤساء او الكفرة والقرناء يتساءلون يسال
بعضهم بعضا للتوبيخ والتقريع ولذا فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين
عن اقوى الوجوه فى صد الدين او عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق اليقين
قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان من برهان مبين بل كنتم قوما طاغين
اجابهم الرؤساء المتبوعين اولا بمنع الضلال لهم بانهم فى انفسهم كانوا ضالين وثانيا
بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن عليهم سلطان وانما جنحوا اليه لانهم اختاروا طريق
طغيان فحق علينا قول ربنا بعذاب الكافرين انا لذائقون ما وعدنا على السنة المرسلين
فاغويناكم انا كنا غاوين ثم بين الرؤساء ان ضلال الفريقين ووقوعهم فى العذاب
كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه اصلا فى هذا الباب وان غاية ما فعلوا باتباعهم
انهم دعوهم الى الغى معهم لانهم كانوا على الغى فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم
فى الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم فهذا نظير قوله
عليه السلام فمن اعدى الاول فتامل فانه يكشف لك من ههنا باب التوحيد على الوجه
الاكمل فانهم اى بهم الاتباع والمتبوعون يومئذ فى العذاب مشتركون اى فى العقبى
كما كانوا مشتركين فى الغواية فى الدنيا بحسب مراتب زلاتهم واختلاف حالاتهم فى جهالاتهم
واضلالاتهم انا كذلك نفعل بالمجرمين اى الذين كانوا يكفرون وعلى المعاصى يصرون انهم
كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ان يقولوا كلمة او يتكبرون ان يقولوا
كلمة او يتكبرون على قائله وافاد الاستاذ ان اعجابهم بقلوبهم اوقعهم فى وهدة
عذابهم وذلك انهم استكبروا عن عبادته وقد قال تعالى لن يستنكف المسيح ان
يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون اى ان يكون عبدا له لان من عرف لذته
فلا لذة له الا فى طاعة الله ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يعنون
به محمدا اعقل العاقلين بل جاء بالحق وصدق المرسلين قال الاستاذ لما لم يحتشموا
من وصفه تعالى بما يليق به لم يبالوا بما اطلقوا من المثالب فى وصف انبيائه انكم
لذائقوا العذاب الاليم باشراك الله العظيم وتكذيب الرسول الكريم وما تجزون
الا ما كنتم تعملون الا مثل كنتم تصنعون جزاء وفاقا وقضاء استحقاقا الا
عباد الله المخلصين اى لكن عباد الله المخلصين من الانبياء والمرسلين
والمؤمنين المحسنين اولئك لهم رزق معلوم مشهور خصائصه من الدوام
وتمحض اللذة فى المرام ولذا بينه بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد به اللذة
دون التقوية فان اهل الجنة اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن تحلل البنية

فكانت

فكانت ارزاقهم فواكه خالصة او ما فى معناها من قصد اللذة وهم مكرمون
فى نيل الرزق اليهم وحصوله من غير تعب لديهم ولا منة لاحد عليهم قال
ابوبكر ابن طاهر صحة البقاء مع الله اخلاص العبودية لله وفناء العبد مع الله
بقاء خطه من الله وافاد الاستاذ ان الاخلاص افراد الحق سبحانه بالعبودية
والذى يشوب عمله رياء ليس بمخلص فى اداء حق الربوبية ويقال الاخلاص
تصفية العمل عن توفيته وفى الخبر يا معاذ اخلص العمل يكفك القليل منه وتصفى
العمل ويقال الاخلاص فقد رؤية الاشخاص ويقال انه لا يحظ محل الاختصاص
ويقال هو ان تنظر الى نفسك بعين الانتقاص ثم قال فى اثناء التقارير
من كان له رزق معلوم فى زمن الرسول عليه السلام كان من جملة المياسير وهذه
صفة اهل الجنة كما وقعت به البشارة فلهم فى الآخرة رزق لابشارهم واسرارهم
فالاغنياء اليوم لهم رزق معلوم لانفسهم وعيالهم والفقراء اليوم لهم رزق
رزق معلوم لقلوبهم واحوالهم فواكه وهم مكرمون من ذلك ورود الرسول
عليهم من قبل الله فى كل وقت وحين وكذلك اليوم الخطاب وارد من الله على
قلوب الخواص فى كل وقت وحين بكل امر من معارف الدين ومعارف اليقين
فى جنات النعيم فى جنات ليس فيها الا النعيم المقيم على سرر متقابلين فى مقام
الكريم يستانس بعضهم برؤية بعض من ارباب التعظيم يطاف عليهم بكاس يدار
عليهم باناء فيه خمر من معين من شراب معين او نهر معين اى ظاهر العيون او
خارج من العيون وفيه الايماء بانها لكثرتها تجرى كالماء بيضاء فيها حظ للناظرين
البها لذة للشاربين منها وصفها بلذة دون لذيذة لارادة المبالغة فى اللذاذة
لكانها عينها لا فيها غول غائلة كما فى خمر الدنيا من صداع وخمار ولا هم عنها ينزفون
يسكرون من نزف الشارب مجهولا اذا ذهب عقله وقرا حمزة والكسائى
بكسر الزاى من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه قال الاستاذ شراب
يحفظهم ولا يسكرهم شراب لا يزيل عنهم الحشمة ولا يرفع عنهم الهيبة فقوم يشربون
من وراء الستور وقوم يسقون على نعت القرب فى الحضور وعندهم قاصرات
الطرف يقصرن ابصارهن على ازواجهن عين جمع عيناء اى نجل العيون
كانهن بيض فى صفاء الانوار وصفاء الاسرار مكنون مصون من الغبار
واصابة يد الاغيار فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون اى يشربون فيتحادثون
عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم فى الدنيا من الشمائل كما قيل •
وما بقيت من اللذات الا • احاديث الكرام على المدام • قال قائل منهم
انى كان لى قرين جليس فى الدنيا يقول ائنك لمن المصدقين بالعقبى ائذا
متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون باعمالنا ومحاسبون باحوالنا

قال اى ذلك القائل لاهل الجنة او لبعض الملائكة هل انتم مطلعون
هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم فى القرار
فاطلع عليهم فرآه اى قرينه منهم فى سواء الجحيم وسط عذاب الجحيم قال
تالله ان كدت لتردين لتهلكنى بالاغواء عن الهداية وان مخففة فاللام فارقة
ولولا نعمة ربى بالتوفيق والعصمة لكنت من المحضرين معك فى عذاب الحرقة
وحجاب الفرقة افما نحن بميتين اى انحن منعمون وغيرنا معذبون وكلنا مخلدون
فما نحن بمن شانه الموت والبلى الا موتتنا الاولى التى كانت فى الدنيا ونصبها
على المصدرية من الصيغة الفاعلية وما نحن بمعذبين بالموت مرة اخرى والجملة
تتمة كلامه لقرينه تقريعا له فى دينه او معاودة الى مكالمة جلسائه ومحاورة الشائه
تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها ان هذا لهو الفوز العظيم الاشارة الى
ما هم فيه من النعمة والامن من النقمة لمثل هذا فليعمل العاملون اى لنيل مثل
هذا الفضل يجب ان يعمل العمل لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالاغراض الردية
والاعواض الدنية والجملة من كلامهم فى تقرير مرامهم او من كلام الله او الملائكة
لهم وافاد الاستاذ انه ان كان العابد يقول او يقال له اذا ظهرت الجنة وبدت
النعمة وزالت المحنة لمثل هذا فليعمل العاملون الطاعة والعبادة فاذا بدا شظية
من حقايق المعرفة وتباشير الوصلة او ذرة من نسيم القربة فبالحرى ان يقول
العارفون لمثل هذه الحالة تبذل الارواح وتفنى الاشباح على مثل سلمى يقتل
المرء نفسه وان بات من سلمى على الباب طاويا وههنا تضيق العبارات وتقصر
الاشارات اذلك اى ما ذكر من النعمة فى الجنة خير نزلا للابرار ام شجرة
الزقوم التى ثمرها نزل اهل النار وفى ذكر النزل دلالة على ان ما ذكر من الثواب
والعقاب جزاء بمنزلة ما يقام للنازل ابتداء ولهم ما وراء ذلك ما يقصر عنه
الافهام انتهاء والزقوم اسم شجرة منتنة مرة يكون بتهامة سميت بها الشجرة
الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعقوبة للكافرين فى العقبى او
ابتلاء فى الدنيا فانهم لما سمعوا بها انكروها وقالوا لا يمكن وجودها ولم يعلموا ان
من قدر على خلق ما يعيش فيها ويلتذ بها فهو قدير على خلق الشجر فى وسطها
وحفظها من احراقها انها شجرة فى اصل الجحيم منبتها فى قعرها واغصانها ترتفع
الى دركاتها نظيره ما لاهل الجنة من شجرة طوبى اصلها فى اسفلها واغصانها
فى اعلاها واصلة الى درجاتها طلعها حملها كانه رؤس الشياطين فى تناهى
قبحها وهولها فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون لغلبة الجوع عليهم
او للجبر على اكلها ثم ان لهم عليها بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش لها
وطال استسقاؤهم فيها لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا

تخريج صح

بماء حميم

بماء حميم يقطع امعاءهم ويمزق اجزاءهم ثم ان مرجعهم مصيرهم بعد اكلهم وشربهم
لالى الجحيم الى دركاتها او الى سائر عقوباتها انهم الفوا آباءهم وجدوا اسلافهم
ضالين عن طريق اليقين فهم على آثارهم يهرعون يسرعون منقادين من غير استعمال
افكارهم فى تحقيق الدين ولقد ضل قبلهم قبل هؤلاء الموجودين اكثر الاولين
ولقد ارسلنا فيهم منذرين بالعقاب لمن اصر ومبشرين بالثواب لمن اقر فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين من شدة الحال وفظاعة المآل الا عباد الله المخلصين
الذين اخلصوا دينهم لله وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام اى الذين اخلصهم الله
تعالى لدينه الاسلام والخطاب مع رسوله والمقصود به من آمن من قومه فانهم
ايضا سمعوا اخبارهم ورأوا آثارهم ولقد نادينا نوح دعانا حين ايس من ايمان
الكفرة فاجبناه احسن الاجابة فلنعم المجيبون نحن لمن نادينا فى حال محنته ودعانا
لزوال بليته وقال الاستاذ اى لما اصابه الاذى من قومه ولم يسمع قومه ما بلغهم من
قوله فرجع الينا وخاطبنا وخاطبناه وكلمنا وكلمناه ونادانا وناديناه وكان لنا
فكنا له واجابنا فاجبناه فلنعم المجيبون كان لنا ولنعم المجيبون كنا له ونجيناه
واهله اى من آمن معه من الكرب العظيم من الغرق او اذى الغرق كما افاد
الاستاذ بقوله اخبر الله سبحانه عن كونهم جميعا فى الكرب ولكن شتان بين كرب
نوح واهله وبين كرب قومه ° وما يكون مثل اخى ولكن ° اعزى النفس عنه بالتاسى
وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين اذ روى انه
مات كل من كان معه فى السفينة غير بنيه وازواجهم الثلثة وتركنا عليه
فى الآخرين فى الامم المتأخرين سلام على نوح فى العالمين والجملة جى بها على
الحكاية ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية فى المؤمنين والملائكة انا كذلك
نجزى المحسنين قيل المحسن من حسن بنفسه فلا يوقعها فى ورطة الغفلة وفى وهدة
المذلة ويحسن الى الخلق ولا يؤذيهم بسوء الخلق ويحسن العبادة والطاعة
فلا يشوبه شئ من الرياء والسمعة وقال الكتانى بين العبد وبين الله سبحانه الف
مقام من نور وظلمة وانما كان اجتهادهم فى قطع الظلمة حتى وصلوا الى
نور القربة فلم يكن لهم رجوع الى ما وراءهم فهؤلاء من المحسنين انه من
عبادنا المؤمنين تعليل للاحسان واظهار لفضل الايمان واشعار بجلالة
قدره واصالة امره ثم اغرقنا الآخرين اى الكافرين وان من شيعته ممن
شايعه فى الايمان واصول الشريعة من اركان الاحسان لابراهيم وكان
بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وبينهما نبيان هود صالح عليهم السلام
والتحية اذ جاء ربه بقلب سليم من الخلائق والعلائق او سليم من محبة الاغيار
ومحنة الاكدار او سليم من حظوظ نفسه وهواه مستسلما لله فيما اختاره وقضاه

او سالم من آفات القلوب وخالص لعلام الغيوب ومعنى المجيء به ربه اخلاصه له كانه جاء
متحفا لربه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون على جهة الانكار عليهم والتنبيه لهم على موضع
غلطهم لديهم أئفكا آلهة دون الله تريدون اي تريدون آلهة دون الله افكا وقدم
المفعول به للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر لهم انه على الباطل ومبنى امرهم
فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبودية لكونه موصوفا بالربوبية حتى تركتم عبادته
او اشركتم به غيره في طاعته او امنتم من عذابه وعقوبته وقال الاستاد اي اذا لقيتموه
وقد عبدتم غيره فما الذي تقولون له وكيف بكم من مقام الحجة بين يديه وان كنتم اليوم غافلين
عنه غير ملتفتين اليه فنظر نظرة في النجوم اي اليها فراى موقعها فقال اني سقيم اي
سقيم القلب لكفركم بالرب او بصدد الموت ومرض الفوت ومنه المثل كفى بالسلامة
داء وقد رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعا وقول لبيد فدعوت ربي
بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء وقد مات رجل فجاءة فالتفت عليه الناس
جلبة فقيل ما هذا فقالوا مات وهو صحيح في نفسه فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه
وما احسن قول من قال من ارباب الحال كل امرئ مصبح في اهله والموت ادنى من شراك
نعله وحاصله اني ساسقم على الهموم او كان تاتيه الحمى للوقت المعلوم وقد تعلل به ليتاخر
عنهم عند ذهابهم الى عيدهم ليتمشى له ما كان في نفسه من كسر اصنامهم وكيدهم وقال ابن عطا
اني سقيم القلب لفوت مرادي من الرب فان الحبيب ابدا يكون سقيم القلب في البعد
والقرب فتولوا عنه فاعرضوا عنه مدبرين والى عيدهم ورثيتهم مقبلين فراغ الى
آلهتهم فذهب اليها بخفية ومال اليها بحيلة فراى عندها انواعا من الطعام موضوعة
للتبرك بذلك المقام فقال لها استهزاء بها الا تاكلون كآحاد الحيوان
ما لكم لا تنطقون كافراد الانسان والمقصود اثبات الجمادية وانهم بمعزل عن استحقاق
العبودية فراغ عليهم ضربا باليمين اي فحمل عليهم يضربهم ضربا بسبب اليمين وهو قوله تالله
لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين فاقبلوا اليه اي بعد ما رجعوا عن عيدهم وراوا
اصنامهم مكسرة في كيدهم وبحثوا عن كاسر الاصنام وظنوا انه ابراهيم عليه السلام
كما بينه قوله تعالى من فعل هذا بآلهتنا الآية يزفون يسرعون وقرأ حمزة بضم الياء اي يحملون
انفسهم او بعضهم بعضا على ما يبادرون قال اتعبدون ما تنحتون اي ما تنحتون من الاصنام
والله خلقكم وما تعملون اي وما تعملونه من الاصنام فان جوهرها بخلقه سبحانه وشكلها وان
كان بفعلهم ولذا جعل من عملهم فباقداره اياهم عليه وخلقه تعالى ما يتوقف عليه فعلهم من
الدواعي اليه وحصول عددهم لديه قالوا ابنوا له بنيانا مرتفعا او احفروا له مكانا منخفضا
فالقوه في الجحيم في النار الشديدة الموقدة في البقعة البعيدة فارادوا به كيدا فانه لما
قهرهم بالحجة التامة قصدوا اهلاكه لئلا يظهر عجزهم للعامة فجعلناهم الاسفلين الاذلين
بابطال كيدهم واظهار برهانه واعلاء شانه كمالا وتماما حيث جعل النار عليه بردا وسلاما

روى انه لما رمي من المنجنيق وقد حصل له ما حصل من التضييق نزل جبريل من السماء
وتعرض له في الهواء وقال هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسل ربك فقال
حسبي من سؤالي علمه بحالي وفي رواية قال الخليل حسبي الله ونعم الوكيل وقال اني ذاهب
الى ربي حيث امرني ربي باقامته او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين سيدلني
الى ما فيه صلاح ديني وانما بت القول لسبق وعده او لتحقق توكله او للبناء على عادته
تعالى معه من فضله ولم يكن موسى عليه السلام في مقام الخليل حين قال عسى ربي ان يهديني
سواء السبيل حيث اتى بصيغة التوقع في المقام الجليل وافاد الاستاد
انه سبحانه اخبر عن قول ابراهيم اني ذاهب الى ربي واخبر عن صفة موسى بقوله
ولما جاء موسى لميقاتنا وقال في نعت نبينا سبحان الذي اسرى بعبده فابراهيم
كان بعين الفرق وموسى بعين الجمع ونبينا بعين جمع الجمع انتهى واعلم ان المراد
بالفرق هنا مقام البقاء وبالجمع حالة الفناء وبجمع الجمع ان لا يمنعه الكثرة عن
الوحدة ولا يحجبه الوحدة عن الكثرة فهو الجامع بين المحو والصحو كما يقتضيه صفة
الجلال ونعت الجمال ولعل فرقه علم من قوله ذاهب الى ربي سيهدين فانه يشير الى
سيره الى الله وهو مقام تفرقة بالنسبة الى صاحب الجمعية وهو من يكون سيره في الله
وهو حال ناقص ايضا بالاضافة الى مقام صاحب جمع الجمع وهو من يكون سيره
بالله ولا حول ولا قوة الا بالله وبهذا التحقيق ظهر لسداد ما افاد الاستاد بقوله كان
ذاهبا في الله فلذلك قال اني ذاهب الى ربي فذهابه فيه او حسب ذهابه
اليه ويقال انما طلب هداية مخصوصة لانه كان صاحب هداية منصوصة ولو
لم يكن له هداية في نفسه لما ذهب الى ربه ويحتمل انه كان صاحب هداية في الحال
فطلب الهداية في الاستقبال او الزيادة في الهداية من البداية الى النهاية ويقال
طلب الهداية الى كيفية آداب الرعاية في الحضرة ويقال طلب الهداية الى نفسه
لانه فقد فيه قلبه ونفسه فقال سيهديني الى لا اقوم بحق عبوديته على فان المستهلك
في حقائق الجمع لا يصح منه اداء العبادة الا بان يرد الى حالة التفرقة والتمييز في الارادة
بين العبادة والعادة وقالوا معنى ربي الى المكان الذي يعبد فيه ربي سيهديني الى المقصد
رب هب لي من الصالحين يعني ذرية صالحة تعينني على الدعوة والطاعة وتؤنسني
في الغربة والكربة فبشرناه بغلام حليم بشره بذكر يبلغ اوان الحلم وزمان العلم وقد
قيل ما نعت الله نبيا بالحلم في كتابه لعزة وجوده في بابه غير ابراهيم وابنه واي
حلم مثل حلمهما كما يشهد عليه فيما سياتي حالهما فلما بلغ معه السعي اي فلما وجد وبلغ
ان يسعى معه في اعماله الدينية او احواله الدنيوية وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة قال يا بني
اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى من الرأي في المرام يحتمل انه راى حقيقة
ذلك او راى ما هو تعبيره هنالك وروي انه راى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله

يأمرك ان تذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الرحمن او من الشيطان فلما امسى رأى مثل ذلك
فعرف انه من الله ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره هنالك وقال له ذلك ولذلك
سميت الايام الثلثة بالتروية وعرفة والنحر ثم الاظهر ان المخاطب اسمعيل لانه الذي
وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله
عليه السلام انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب
نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما سهل اقترع فخرج
السهم على عبد الله فمنعه اخواله ففداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان
ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها ايام ابن الزبير
ولم يكن اسحق ثم ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فيبعد
الامر بذبحه قبل وقوعه وانما شاوره فيه وهو حتم عليه ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء ربه
فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون الامر لديه ويكتسب
المثوبة بالانقياد له قبل نزوله اليه وقرأ حمزة والكسائي ماذا ترى بضم التاء وكسر
الراء والمعنى اي شيء تريه وتحملني عليه من اعتقاده قال يا ابت افعل ما تؤمر
اي ما تؤمر به ولعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مأمورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان
مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر منه ولعل الامر به في المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما
الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص في الاعمال وانما قال اري لتكرير
الرؤيا ستجدني ان شاء الله من الصابرين على حكم الله وبلائه وقضائه في
ابتلائه فلما اسلما لامر الله وحكمه او سلما الذبيح نفسه وابراهيم ابنه وقد قرئ
بهما وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على جنبه وقيل كبه على وجهه
بامره كيلا يرى فيه تغيرا يرق له فيمنعه عن ذبحه قيل لما وصل الى الارض
موضع السجود جاء الفرج واثر الجود من الودود وناديناه ان يا ابراهيم
قد صدقت الرؤيا بالعزم الجزم من النيات والاتيان بالمقدمات
روى انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع وجواب لما محذوف
تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما
لله تعالى على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله ان هذا
لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة
فانه لا اصعب من هذه البلية قال الجريري البلاء على ثلثة اوجه على المخلطين
نقم وعقوبات وعلى السابقين تمحيص وكفارات وعلى الانبياء والصديقين
نوع من الاختيارات وقال سهل البلاء على صنفين بلاء رحمة وبلاء عقوبة فبلاء
الرحمة يبعث صاحبه على اظهار فقره الى الله وبلاء العقوبة يترك صاحبه على
تدبيره واختياره وقال جنيد البلاء هو الغفلة عن المبلي وفديناه بذبح بما يذبح به

استسلاما

بما يذبح به بدله فيتم به فعله عظيم الجثة وقد ورد استفرهوا ضحاياكم فانها على
الصراط مطاياكم او عظيم الرتبة لانه يفدي الله سبحانه به نبيا ابن نبي من نسله
سيد الانبياء فعن ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه وكان
يرعى في الجنة وعن الحسن فدي بوعل اهبط عليه من ثبير وعن ابن عباس
لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم اي في كل حجة
او سنة قال ابن عطا استسلما انقيادا به ورضيا قال جعفر اخرج ابراهيم
من قلبه محبة ابنه واخرج اسمعيل من قلبه محبة روحه وقيل الحكمة في امر الله
ابراهيم بذبح ابنه لما اراد الله ان يزيل عن سره محبة ولده لكيلا يزاحم
محبته محبة غيره وتثبت محبته في قلبه لان وجود محبة الله في قلب ابراهيم
مع محبة الولد محال فنظر الى اقرب الاشياء الى قلبه فوجد ابنه فامره
بذبحه والمبتغى مما امر الله به ابراهيم من ذبح الابن اخلاء السر وترك عادة
الطبيعة لا حصول الذبح في الشريعة الا ترى انه لما امر السكين انقلب
فلم يقطع فنودي بقوله وفديناه بذبح عظيم اي قد حصلت ما طلبناك به
من طريق الاشارة فيما تقدمت اليك العبارة قال ابن عطا لما سعى
اسمعيل في الطاعة سعيه واقام بحقوق الله حسب ما رضي به الخليل وارتضاه
وقرت عينه لقيامه بحقوق مولاه وانس الخليل بمكانه وفرح من شانه قيل
له اذبحه فانه لا يصلح للخليل ان يفرح بشيء سوى خليله فابتلى بذبحه ثم لما
اسلم وقام مقام الاستقامة واتبع الامر في الطاعة فداه بذبح عظيم
فصار ذبح الضحايا من سنة الانبياء وروي انه لما ذبحه قال جبريل
الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال الخليل
الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم
قال الواسطي ثناء وجزيلا عليه وقبولا جميلا اليه عند جميع الامم المتأخرين
كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وافاد الاسناد انه يقال
ايهما كان اشد بلاء قيل اسمعيل لانه وجد الذابح من يد ابيه الخليل ولم يتعود
من يده الا التربية بالجميل فكان البلاء عليه اشد لانه لم يتوقع منه ويقال
بل ابراهيم اشد بلاء لانه كان يحتاج ان يذبح ابنه بيده ويعيش بعده قلت
الاظهر هو الاول فتأمل ويقال لم ثابت في ذلك اسمعيل بالدعوى فقال ستجدني
ان شاء الله من الصابرين فتأدب بلفظ الاستثناء لصعوبة الصبر على
مثل هذا البلاء ويقال لو قال اسمعيل انا ان لا تقل يا ابي بهذه الالطافة
واما الا تقل اي اذبحك فان الجمع بينهما عجيب في العبارة قيل في التفاسير
كان ابراهيم يمر السكين على حلقه وكان السكين لا يقطع شيئا من جلده

جبل بمكة
جوهري

فتعجب ابراهيم فنودي يا ابراهيم انما المقصود من هذا استسلامكما ويقال
ان الله ستر عليهما علم ما اريد منهما في حال البلآء وانما كشف عليهما بعد مضي وقت
المحنة لئلا يبطل معنى الابتلاء وكذلك لما القى ابراهيم في النار فاخفى عنه المراد
منه ليحصل معنى الابتلاء وهكذا يكون الحال في حال البلآء وتنسد وجوه التهدي الى
الحال وكذلك كان حال النبي عليه السلام في حديث الافك وهكذا حال ايوب
وسائر الانبيآء في حال الابتلآء وانما تبين الامر بعد ظهور آخر المحنة ولكن مع
استعجام الحال واستبهامه في اول القصة اذ لو كشف الامر على صاحبه ابتداء
لم يكن حينئذ ابتلاء ثم الناس في البلاء على اقسام فبلاء مستصعب وذلك
صفة العوام وبلاء مستعذب وهو نعت الاولياء الكرام يستعذبون بلاياهم
كانهم لا يياسون من الدنيا اذا قتلوا قلت الاظهر انهم يقولون ما قيل
اقتلوني يا ثقاتي ان في قتلي حياتي وفي الحديث سترون ربكم ولن تروه
قبل موتكم وبشرناه باسحق نبيا مقضيا نبوته مقدرا نبوته من الصالحين
وباركنا عليه على ابراهيم واولاده واحفاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه
انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين
والدنيا وافاد الاستاد ان كل هذا بعد البلآء قال تعالى ان مع العسر يسرا ومن
ذريتهما محسن على نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعصية مبين
ظاهر اثر كل واحد منهما في الذرية وفيه تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى
والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بالنقص والوبال ولقد مننا
على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والمصالح
الدنيوية ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من الغرق او من تغلب فرعون
واتباعه من الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع قومهما فكانوا هم الغالبين على فرعون
وقومه وآتيناهما الكتاب المستبين البليغ بيانه العظيم برهانه وهو التورية وهديناهما
الصراط المستقيم الدين القويم وافاد الاستاد انه هو شهود الوحدة والتبري
عن الحول والقوة وتركنا عليه في الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي
المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين
سبط هرون اخي موسى عليهم السلام بعث بعده وقرا ابن ذكوان في وجه عنه
بوصل همزة الياس وقيل هو ادريس لانه قرئ مكانه ادريس وادراس اذ قال
لقومه الا تتقون عذاب ربي او مخالفة امري اتدعون بعلا اتعبدون وهو اسم
صنم كان لاهل الشام وهو البلد الذي يقال له الان بعلبك وتذرون احسن
الخالقين وتتركون عبادته وتخالفون طاعته الله ربكم ورب آبائكم الاولين
جملة من مبتداء وخبر او خبر مبتداء مقدر هو هو وقراء حمزة والكسائي وحفص

وحفص بنصب الثلاثة على البدلية فكذبوه وواعظهم فما صدقوه فانهم
لمحضرون في العذاب يوم الحساب الا عباد الله المخلصين استثناء من
الواو لصحة المبنى لا من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الآخرين
سلام على الياسين لغة في الياس كسينا وسينين وقيل جمع له مراد به
هو واتباعه من المؤمنين او للمنسوب اليه بحذف ياء النسب كالاعجمين
وقراء نافع وابن عامر على اضافة آل الى ياسين فيكون ياسين ابا الياس
ويؤيده انهما في المصحف مفصولان وقيل المراد آل محمد ولا يناسبه نظم ساير
القصص ولا قوله وتركنا عليه في الآخرين ولا قوله انا كذلك نجزي المحسنين
انه من عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين
الا عجوزا في الغابرين اي الباقين ثم دمرنا الآخرين اي الكافرين وانكم يا اهل
مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه
مصبحين حال كونكم داخلين في الصباح نادرة وبالليل اي وفي المساء مرة
او نهارا وليلا ولعل قريتهم وقعت قريب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا
والقاصد له مساء افلا تعقلون فتتفكرون فتعتبرون وان يونس لمن المرسلين
اذ ابق اي هرب واصل الاباق هرب العبد من سيده لكن لما كان هربه
من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه بلفظه الى الفلك المشحون المملو باهله فساهم
فقارع اهله فكان من المدحضين فصار بالقرعة من المغلوبين روي انه لما
وعدوه بنزول العذاب وحلوله خرج من بينهم قبل ان يأمره الله به فركب
السفينة فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه
فقال انا الآبق ورمى بنفسه في المآء فالتقمه الحوت فابتلعه ماخوذا من
اللقمة وهو مليم آت بما يلام عليه او داخل في الملامة او مليم نفسه للنداة وافاد
الاستاد انه كان في اول الامر يطلب التفصي من النبوة فلم يعاف ثم استقبله
ما استقبله فلم يلبث حتى يرى نفسه في بطن الحوت في الظلمة فلولا انه كان
من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره او في بطن الحوت
وقت حصره بقوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ونحوه
او من المصلين في جميع دهره للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل
ميتا وفيه حث على اكثار الذكر والدعاء واظهار الثناء وان من اقبل على الله
في السراء اخذ بيده عند الضرآء وفي الحديث تعرف الى الله في الرخاء يعرفك
في البلاء قال الواسطي كان من العارفين بان نسبيحه لا ينجيه مما هو فيه من
العناء وانما ينجيه منه الفضل وسابق القضاء ويحتمل ان يكون معناه من
المنزهين الله عن ظلمه والمعترفين بظلم نفسه كما يشير اليه قوله لا اله الا انت

سبحانك اني كنت من الظالمين فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه وطرحه
بالعراء بالفضاء من الصحراء روي انه سبحانه اوحى الى الحوت انا جعلنا
بطنك له سجنا ولم نجعله لك طعاما واختلف في مدة لبثه
فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون
وهو سقيم مما ناله واصاب حاله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين ينزل
من بطن امه وانبتنا عليه اي فوقه مظلة له شجرة من يقطين من شجر
ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه في العادة والاكثر على انها الدباء
غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع في الدباء ويدل عليه انه قيل له
عليه السلام انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس عليه السلام وفي تفسير
ابن ابي حاتم عن ابي هريرة انه قال طرح يونس بن متى عليه السلام بالعراء وانبت الله
عليه اليقطينة وهيأ له اروية وحشية ترعى في برية وثاتيه فتتفشج عليه
وترويه من لبنها كل بكرة وعشية حتى نبت لحمه وقيل هي التين وقيل الموز
يتغطى يونس بورقه ويستظل باغصانه ويفطر على ثماره وارسلناه الى
مائة الف او يزيدون في مرأى الناظر اي اذا نظر اليهم وتامل في عددهم قال
هم مائة الف او اكثر وقرئ بالواو ويل وهم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل
نينوى والمراد به ما سبق من ارساله اليهم او ارسال ثان لديهم قيل نام نومة
فاستيقظ وقد يبست الشجرة فاصابته الشمس فبكى فاوحى الله اليه تحزن على
شجرة يبست ولا تحزن على مائة الف او يزيدون ارسلناك اليهم فلم يتوبوا
فاردت هلاكهم فآمنوا عند قوابه او جددوا الايمان بحضرته فمتعناهم الى حين
الى اجل مبين في لوح مبين ،، افاد الاستاد انه لما خرج يونس من بينهم وراوا
اثر العذاب قد اظلهم ندموا وتضرعوا الى الله سبحانه وآمنوا به فكشف الله
العذاب عنهم فكانوا يقولون لو راينا يونس لوقرناه وعظمناه فرجع اليهم
بعد نجاته من بطن الحوت وعوده اليه فاستقبلوه معظما وادخلوه بلدهم
مكرما ويقال الذنب كان من قومه وهم قد توعدوا بالعذاب ويونس لم يذنب
فخرج من بينهم فكشف الله العذاب عنهم واستقبل يونس ما استقبله حتى
ابد مقاساة البلايا والتي نجا منها عجبا من سر تقدير القضاء وفي القصة
ان الله سبحانه اوحى الى يونس بعد نجاته ان قل لفلان الفخار حتى يكسر ما عمله
هذه السنة كلها فقال يا رب انه تعنى مدة في اتخاذ ذلك فأمره ان يكسر
كلها هنالك فقال له يا يونس يرق قلبك لخزاف يتلف عمل سنة واردت
ان اهلك مائة الف من عبادي يا يونس لم تخلقهم ولو خلقتهم لرحمتهم فاستفتهم
الربك البنات في قولهم الملائكة بنات الله وهم لها كارهون ولهم البنون

ما يشتهون

على ما يشتهون فكيف يصفون القديم بما عنه يستنكفون ام خلقنا الملائكة
اناثا وهم شاهدون خلقهم او خلقنا اياهم والمعنى سلهم من اين زعموا وباي
حجة حكموا وفي اي اودية شبهة دفعوا وعن اي قضية عموا الا انهم من افكهم
ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون فيما يتدين
كل منهم ويدعيه اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون له بوصف العاجزين
افلا تذكرون انه تعالى منزه عن ذلك ام لكم سلطان مبين برهان عقلي واضح
ما هنالك فأتوا بكتابكم بدليل نقلي من بابكم ان كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه
المرتبة في وصفهم وقد علمت الجنة انهم اي الكفرة لمحضرون في العقوبة سبحان الله
عما يصفون من الولد والنسب والشركة الا عباد الله المخلصين فان وصفهم
جميل واجرهم جزيل فانكم ايها المشركون وما تعبدون اي من دونه ما انتم عليه
اي على دينه بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء الا من هو صال الجحيم الا من
سبق عليه القضاء بانه دخل العذاب المقيم قال ابو عثمان من مال الى شيء
سوى الله وعظم شيئا مما عداه فذاك لترادف الفتنة عليه وبعد التوفيق
والمنة اليه وقال القاسم ما انتم بمضلين الا من اوجبت له الضلالة
في السابقة وقال الاستاد اي الا من اغويته فيحكي ما ضلوا الا بما ضل لكم وما
منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على العبدة والمعنى
وما احد منا الا له منزل معلوم في المعرفة والعبادة وانا لنحن الصافون في مسالك
الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق به
من الصفة قال جعفر الخلق مع الله على مقامات متفرقة وحالات مختلفة
فللانبياء مقام المشاهدة وللرسل مقام المعاينة وللملائكة مقام الهيبة
وللمؤمنين مقام الخدمة والقربة والعصاة مقام التوبة والكفار مقام الطرد
والغفلة وقال ابو عثمان معلوم في علم الله الى ماذا يصير اهل كل مقام فيها
وافاد الاستاد ان الملائكة لهم مقام معلوم لا يتخطون مقامهم ولا يتعدون
حدهم ومرامهم والاولياء لهم مقام مستور بينهم وبين الله لا يطلع عليه احد من
غيرهم والانبياء لهم مقام مشهور مؤيد بالمعجزات الظاهرة والكرامات المتظاهرة
لانهم للخلق قدوة فامرهم على الشهرة وامر الاولياء على الستر وان كانوا مشركوا مكة
ليقولون متمنين ومدعين لو ان عندنا ذكرا من الاولين كتابا من كتب المرسلين
المتقدمين لكنا عباد الله المخلصين ولم نكن من المشركين فكفروا به بذكرهم
فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا اي عدتنا لعبادنا المرسلين
بالنصرة والغلبة كما بينه بقوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون

اى غالب الاوقات ولانه المقضى بالذات فتول عنهم فاعرض عنهم ولا تبال
بهم حتى حين هو موعد نصرك عليهم وظهور دينك لديهم وابصرهم على ما ينالهم
من العقوبة فسوف يبصرون ما قضينا لك من الظهور والنصرة والمثوبة
فى الآخرة وقال الاستاد اى سبقت كلمتنا لهم بالسعادة وتقدم حكمنا لهم
بالولاية والرعاية فهم من قبلنا منصورون وان جندنا لهم الغالبون من نصره
لا يغلب ومن قهره لا يغلب جنده الذين نصبهم لنشر دينه واقامهم لنصر الحق
وتبيينه فمن اراد اذلالهم فعلى اذقانه يخر وفى حبل هلاكه ينجر فتول عنهم الى
ان ينقضى اجالهم وينتهى احوالهم وانتظر انقضاء اياهم فانه سينظم
حديث احكامهم افبعذابنا يستعجلون لقلة علمهم وفرط جهلهم فاذا نزل العذاب
بساحتهم واناخ البلاء بعقوبتهم وحصل الفناء بفنائهم ووصل العناء
بعنائهم فساء صباح المنذرين فبئس صباحهم قبل مسائهم وتول عنهم
حتى حين فعن قريب يحصل ما منه يحذرون وابصر فسوف يبصرون تاكيد الى
كيد وتهديد بعد تهديد او الاول لعذاب الدنيا والثانى لعقاب العقبى
سبحان ربك رب العزة عما يصفون تعذيبا له وتنزيها عما قاله المشركون
واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة له او لمن اعزه وسلام
على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم بالتكريم والحمد لله
رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى من اقتدى بهم فيما انزل اليهم من
جميل النعمة وحسن العاقبة والاية محتوية على صفاته السلبية ونعوته الثبوتية
والمراد تعليم المؤمنين كيف يسبحونه ويحمدونه ويسلمون على رسله فى مقام
كلام يختمونه وعن على على ما رواه البغوى من احب ان يكتال بالمكيال
الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك

سورة ص مكية الى آخر السورة وهى ست وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد اسم عزيز اعترفت المعارف
بالقصور عن ادراكه اسم جليل تقنعت العلوم خجلا من الطمع فى
احاطته اسم كريم صغرت الحوائج على ساحة جوده اسم رحيم تلاشت
قطرات زلات عباده فى تلاطم امواج رحمته ص بسكون الدال وقرئ
بكسرها على انه امر من المصادرة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه
يعارض النداء والمعنى عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته
عن زواجره وقيل معناه صدق وعده او هو الصادق فيما حكمه
او صدق محمد فيما اخبره والقرآن ذى الذكر اى ذى البيان النافع
والبرهان الوافى والموعظة البليغة والحجة البالغة والشرف والشهرة

والجواب

والجواب محذوف اى انه لمعجزة اى لمعجزة او ان محمدا لصادق
الكلمة وافاد الاستاد ان صاد مفتاح اسم الصادق والصمد والصبور
والصانع اقسم بهذه الاسماء وبالقرآن وجواب القسم قوله ان ذلك
لحق تخاصم اهل النار ويقال اقسم بصفاء مودة احبابه وبالقرآن الذى
هو اشرف كتابه بل الذين كفروا فى عزة للنفس وغرة وغفلة وتكبر عن
قبول الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله فيما بين الخلق وقال الاستاد
فى ضلالة ظاهرة وعداوة بينة واعراض عن بحث ادلة وتحقيق
حجة كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم استكبارا وشقاقا
فى امرهم استدبارا فنادوا استغاثة واستعانة واعتذارا واستغفارا
ولات حين مناص اى ليس الحين حين ملجاء للخلاص وقال الاستاد فنادوا
حين هجم البلاء بالاستغاثة وقد فات وقت الاجابة وعجبوا ان
جاءهم منذر منهم بشر من جنسهم او اى من نوعهم وقال الكافرون
المبالغون فى كفرهم هذا ساحر فيما يظهره من المعجزة كذاب فيما
يدعيه من النبوة ومن الغريب العجيب انهم لم يعجبوا من ان تكون المنحوتات
آلهة اجعل الالهة الها واحدا بان جعل الالوهية التى كانت منحصرة
لواحد مع كثرة العبدة اذ كانت العادة فيهم ان يختص كل قبيلة بصنم
او كل واحد بوثن بحسب اختلاف اهوية وتفاوت رغبات اوديتهم
ولم يتصوروا حقيقة الالوهية التى تنافى الاثنينية مع اعترافهم بانه
سبحانه هو المتفرد بوصف الخالقية ان هذا لشئ عجاب بليغ فى العجب
فانه خلاف ما اطبق عليه اسلافهم فى النسب والحسب وانطلق الملا منهم
ان امشوا اى ذهبوا وتفرقوا قائلين بعضهم لبعض امشوا على طريقتكم
واصبروا على آلهتكم واثبتوا على عبادتها فى جنبكم ان هذا لشئ يراد ان هذا
الامر العجيب الشان لشئ يراد بنا من ريب الزمان فلا مرد له كسائر مصائب
الدوران قال عمرو المكى لقد وبخ الله تعالى للتاركين الصبر من المؤمنين
على دينهم وثبات يقينهم وافاد الاستاد ان الكفار اذا تواصوا فيما بينهم
بالصبر على آلهتهم فالمؤمنون اولى بالصبر على عبادة معبودهم والاستقامة
فى وقتهم على مقصودهم ما سمعنا بهذا بالذى يقوله من دعوى التوحيد
وادعاء النبوة فى الملة الآخرة فى الملة التى ادركنا عليها اباءنا المتقدمة
ان هذا الا اختلاق افتراء يجر الى خلاق وشقاق وافاد الاستاد انهم ركنوا
الى الدناءة والعادة وما وجدوا عليه اسلافهم من الضلالة ومالوا الى تقليد
اهل الجهالة وقالوا وانزل عليه الذكر من بيننا انكارا لاختصاصه بالوحى

اهو مثلهم بل هم فی شک من ذکری من کتابی وما فیه من امری بل لما
یذوقوا عذاب بل لم یذوقوا بعد عذابی الذی استحقوه من کفرهم بی والمعنی
انهم لا یصدقون بحقیقته حتی یمسهم العذاب فیلجئهم الی تصدیقه وافاد کلماد
انهم لو استبصروا فی ادیانهم لما اقدموا علی ما اسرفوا فیه من جحودهم وعصیانهم
ولولا انا ادمنا لهم العافیة فی ابدانهم لما تفرغوا الی طغیانهم ام عندهم خزائن
رحمة ربک العزیز الوهاب حتی یصیبوا بها من شاؤا ویصرفوها عمن شاؤا
ام لهم ملک السموات والارض وما بینهما فلیرتقوا فی الاسباب فلیصعدوا فی المعارج
التی یتوصل بها الی عالم العلویات وهو غایة التهکم بهم لظهور عجزهم عن الامور
الجزئیة من السفلیات جند ما هنالک مهزوم من الاحزاب ای هم جند ما
من الکفار المتحزبین علی الانبیاء الابرار مهزوم مکسور عما قریب فی هذه
الدار فمن این لهم التدابیر الصمدانیة والتصرف فی الامور الربانیة وما مزید
للتعلیل وهنالک اشارة الی حیث وضعوا انفسهم من القیام لمثل
هذا المرام والمراد انهم فی مقام الطرد والحجاب والبعد عن باب رب الارباب
وقال الاستاد ای هؤلاء الکفار الذین عارضوا ونازعوا وکذبوا واحتجوا
اعندهم شیء من هذه الاشیاء ام هم یقدرون علی شیء من هذه الاشیاء
فیفعلوا ما ارادوا ویعطوا من شاؤا ویرتقوا الی السماء فیاتوا بالوحی علی
من ارادوا ویهلکوا ما ارادوا بل هم جند ما کلهم عجزة لا یقدرون علی ذلک
مهزومون هنالک شبههم فی بقائهم عن مرادهم بالمهزومین عن بلادهم
والمعنی ان هؤلاء الکفرة لیس معهم حجة ولا لهم قوة ولا لاصنامهم من
النفع والضر مکنة ولا فی الرد والدفع عن انفسهم شوکة کذبت قبلهم قوم
نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الملک الثابت بالاوتاد ومنه قوله
ولقد غنوا فیها بانعم عیشة فی ظل ملک ثابت الاوتاد ماخوذ من ثبات البیت
المطنب باوتاده وقیل نصب اربع اسطوانة وکان یدیدی المعذب ورجلیه
الیها ویضرب اوتادا علیها ویترکه حتی یموت لدیها وثمود وقوم لوط واصحاب
الایکة ای الغیضة وهم قوم شعیب اولئک الاحزاب یعنی المتحزبین علی
رسلهم الذین جعل الجند المهزوم بعضهم ان کل الا کذب الرسل بیان لما اسند
الیهم علی وجه الابهام من تکذیبهم وهو اما مقابلة جمعهم بجمعهم او جعل تکذیب
واحد منهم تکذیب جمیعهم فحق عقاب فثبت علیهم عقابی ووقع لدیهم حجابی
وما ینظر هؤلاء وما ینتظر قومک الکافرون او الاحزاب فانهم فی علم الله
الحاضرون الا صیحة واحدة هی النفخة الاولی او الاخری ما لها من فواق من توقف
مقدار فواق وهو ما بین الحلبتین وقرا حمزة والکسائی بضم الفاء ربنا عجل لنا
وقالوا

فطنا

فطنا قسطنا من العذاب قبل یوم الحساب مبالغة فی استبعاد نزوله
وانکار حصوله اصبر علی ما یقولون فانه لن نطول مدتهم ولا یمتد مهلتهم فعن
قریب سینصر الله عبده ویصدق بالتحقیق وعده ویقوی جنده ویهزم الاحزاب
وحده واذکر عبدنا داود ذا الاید ذا القوة فی الصبر علی العبادة والمحنة انه اواب
رجاع الی الله بکثرة التوبة والاوبة وکان علیه السلام یصوم یوما ویفطر یوما وهو
افضل الصیام ویقوم نصف اللیل عن المنام وهو اکمل القیام انا سخرنا الجبال
معه یسبحن مسبحات فی افضل حالات واوقات بالعشی بعد الظهر والاشراق
ای بوقته وهو حین تشرق الشمس بضیائها وتصفو بشعاعها وصفائها
وهو وقت الضحی فعن ام هانی انه صلی الله علیه وسلم صلی صلوة الضحی وقال هذه صلوة
الاشراق وعن ابن عباس ما عرفت صلوة الضحی الا بهذه الآیة واما شروقها
فطلوعها والتحقیق ان اول وقت صلوة الضحی حین شروقها وارتفاعها قدر
رمح وآخره ما یقال له ضحوة الکبری والطیر محشورة الیه من کل جانب مجموعة
محصورة کل له اواب ای کل منهما من داود وله سبحانه رجاع بالتسبیح
تعظیما لشانه وتکریما لبرهانه وافاد الاستاد ان داود کان یسبح والجبال تسبح
وکان یفهم تسبیحها علی وجه تخصیصه کرامة له ومعجزة وکذلک الطیر کانت
تجمع له فتسبح مع داود وکان یعرف تسبیحهن وکل من تحقق بحاله مع ربه
ساعده کل شیء وکان یقربه ویصیر غیر جنسه بحکمه فی معناه انشدوا شعر
رب ورقاء هتوف بالضحی • ذات شجو هتفت فی فنن • ذکرت الفا ودهرا صالحا
فبکت شوقا فهاجت حزنی • فبکائی ربما ارقها • ولقد اشکو فما افهمها •
ولقد تشکو فما تفهمنی • غیر انی بالجوی اعرفها • وهی ایضا بالجوی تعرفنی •
وشددنا ملکه قویناه بالهیبة وکثرة الجنود والغلبة والنصرة وقیل ان رجلا
ادعی بقرة علی آخر وعجز عن البیان لدیه فاوحی الیه ان اقتل المدعی علیه فقال
صدقت انی قتلت اباه غیلة واخذت البقرة فعظمت بذلک هیبته کذا
نقله البیضاوی وتفصیله فی المثنوی المولوی وقیل بالعقل والتوادد وقیل
بالتوفیق والانابة وقیل صرفنا بصره عن الملک وجعلنا نظره الی الملک وقیل
شددنا ملکه بوزراء صالحین فدلوه علی الخیر معاونین وافاد الاستاد ان فی التفسیر
کان یحفظ ملکه کل لیلة ثلثة وثلثون الف رجل ویقال شددنا ملکه بنصرنا له
ورفعنا البلاء عنه ویقال شددنا ملکه بالعدل فی القضیة وحسن السیرة
فی الرعیة ویقال شددنا ملکه بدعاء المستضعفین له ویقال بان رای منا جمیع
نصرته وتبرا من حوله وقوته ویقال بتیقظه وحسن سیاسته ویقال برجوعه
الینا فی سائر حالاته واوقاته وآتیناه الحکمة کمال العلم واتقان العمل او النبوة

وقيل العلم بنا والفهم عنا وقيل مخالطة الابرار ومجانبة الاشرار وفصل الخطاب
اى الرشد والصواب او فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل زال احكام
وقيل هو الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا اكثار ممل كما جاء
فى وصف كلام نبينا صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر اى لا يسير ولا
كثير وهل اتيك نبؤ الخصم استفهام معناه التعجب فى شانه والتشويق الى
استماع بيانه والخصم اريد به جنس المخاصم ولذا قال اذ تسوروا المحراب
اذ تصعدوا سور الغرفة من غير طريق الباب اذ دخلوا على داود
للفصل منهم ففزع منهم لانهم نزلوا عليه فى يوم الاحتجاب من فوق بيته
والحرس على الباب فانه عليه السلام كان جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما
للحكومة ويوما للموعظة ويوما للاشتغال باله من الخاصة فتسور عليه
الملائكة وتصوروا على صور الانسان فى يوم الخلوة قالوا لا تخف اى منا
خصمان اى نحن فوجان متخاصمان بغى بعضنا على بعض منا على فرض
المسألة لانهم كانوا ملائكة وقصدوا التعريض به فى القضية فاحكم بيننا
بالحق ولا تشطط ولا تبعد عن الصدق واهدنا الى سواء الصراط اى وسطه
وهو العدل بالرفق ان هذا اخى فى الديانة او الصحبة له تسع وتسعون نعجة
ولى نعجة واحدة وهى الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة اذ التلويح
ابلغ من التصريح وهذا تصوير للمسألة كما يقال لى اربعون شاة ولهذا اربعون
نخلطنها بها وحال الحال عليها لحكم تحت فيهما فقال اكفلنيها ملكنيها او اجعلها
كفلى اى نصيبى او انزل عنها حتى اكفلها وعزنى فى الخطاب وغلبنى فى مخاطبته
اياى فى هذا الباب قال لقد ظلمك اى صاحبك فى علاجه بسؤال نعجتك
الى نعاجه قال ذلك بعد اعتراف الآخر او على تقدير صدق المدعى لما
قرر فضحك احدهما فى وجه صاحبه وصعد السماء من عنده فعلم انه تنبيه
فى حقه وعقاب من ربه وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا
اموالهم ليبغى ليتعدى بعضهم على بعض فى عامة احوالهم الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وقليل ما هم اى وهم قليل فى غاية القلة وما مزيدة
للمبالغة وظن داود اى استيقن انما فتناه ابتليناه بالمعصية
او بالفتنة الموعودة او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه لها ام لا
فاستغفر ربه اى فطلب مغفرة ربه لما صدر عنه من ذنبه وخر راكعا
ساجدا على تسمية السجود ركوعا بالتوسع او خاشعا متضرعا بالهيئة
السكينة واناب ورجع الى الله بالتوبة وحسن الانابة فغفرنا له
ذلك اى ما استغفر عنه هنالك وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة

وحسن مآب

وحسن مآب مرجع فى الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم السجدة التى
فى صاد سجدها داود توبة ونحن نسجدها شكرا قال سهل الانابة هو
الرجوع عن الغفلة الى الذكر مع انكسار القلب وانتظار المقت
وقال ابو عثمان الانابة اجل من التوبة لان التائب يرجع ببعضه
فيسمى تائبا ولا يسمى منيبا الا من رجع الى ربه بالكلية وقال القاسم
انابة العبد ان يرجع الى ربه بنفسه وقلبه وروحه فانابة النفس ان
يشغلها بخدمته وطاعته وانابة القلب ان يخليه عما سواه وانابة الروح
دوام حضوره حتى لا يذكر غيره وقال ابو سعيد الخراز زلات الانبياء
فى الظاهر زلات وفى الحقيقة زلف وكرامات الا ترى الى قصة
داود حين احس تاويل امره كيف استغفر وتضرع فى دهره فاخبر الله
تعالى بما ناله فى حال ظنه من الزلفى فقال وظن داود انما فتناه
فتضرع ورجع وكان له بذلك عندنا لزلفى وحسن مآب وافاد الاسناد
انه سبحانه ارسل الى داود عليه السلام ملكين على صورة رجلين
فتحاكما اليه تنبيها له على ما كان منه من تزوجه بامرأة اوريا وكان
تركه اولى وهذا على طريق من راى تنزيه الانبياء عليهم السلام من جميع
الذنوب ومن جوز عليهم الصغائر قال كان هذا من جملتها ثم قيل
لم يكن اوريا تزوج بها بعد وكان خطبها فاجابته فى التزويج به فخطب
داود على خطبته وقيل بل ارسل اوريا الى قتال الاعداء فقتل فتزوج
بها وقيل بل كانت امرأته فسأله ان ينزل عنها فنزل بامره فتزوجها
قلت وكذا نقله محيى السنة عن ابن مسعود ولعله كان ذلك معتادا
فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى عندهم ثم قال
الاسناد وكان داود عليه السلام قال يا رب انى لاجد فى التورية انك
اعطيت الانبياء الرتب العالية فى الاجتباء فاعطنيها فقال
انهم صبروا فيما ابتليتهم به فوعد داود من نفسه الصبر اذا ابتلاه
طمعا فى نيل تلك الدرجات فاخبر الله انه يبتليه يوم كذا فجعل
داود ذلك اليوم يوم عبادة وخلا فى بيت وامر حرسه ان لا يؤذن احد
فى الدخول عليه وكانوا ثلثين الف رجل واغلق على نفسه الباب واخذ
يصلى زمانا ويقرأ التورية زمانا لكن لم يمكنه غلق باب السماء فلم يدفعوا
عنه حكم القضاء ولقد قال الحكماء الهارب مما هو كائن فى كف الطالب
يتقلب ثم انه كان فى البيت كوة يدخل منها الضوء فدخل منها طير صغير
من الذهب ووقع قريبا منه وكان لداود ابن صغير فهم ان ياخذه

ليدفعه الى ابنه فتباعد عنه وجاء في التفاسير انه كان ابليس تصور له في صورة طير
فتبعه داود فلم يزل يتباعد قليلا قليلا وداود يتبعه حتى خرج من الكوة فنظر داود
في اثره فوقع بصره على امراة اوريا وهي تغتسل متجردة فعاد الى قلبه منها شيء
فكان هذا السبب وقد جاء في التفسير انه سجد اربعين يوما لا يرفع راسه من السجود
الا للمكتوبة عليه ويبكي حتى نبت العشب من دموعه ولم ياكل ولم يشرب في تلك
المدة حتى اوحى الله اليه بالمغفرة فقال يا رب كيف بحديث الخصم فقال اني
استوهبك منه وقيل كان لا يشرب الماء الا ممزوجا بدموعه ويقال لما التجاء
داود عليه السلام في اوائل البلاء الى التوبة والبكاء والتضرع واللجاء وجد المغفرة
والتجاوز واللجاء وجد المغفرة والتجاوز عن العناء وهكذا من رجع في اول
الشدائد الى الله فالله يكفيه ما ينوبه ومن صبر الى حين من المدة طال عليه
المحنة ويقال ان زلة اسفك عليها يوصلك الى ربك ويدنيك اجرى لك
من طاعة اعجابك بها يبعدك عن ربك ويقصيك انتهى وفي معناه ما قاله
ابن عطا معصية اورثت ذلا واستصغارا خير من طاعة اوجبت عزا واستكبارا
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض استخلفناك على الملك فيها وجعلناك
خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق المتعلق بها وبغيرها وقيل حاكما
من قبلي على اهلها فاحكم بين الناس بالحق بحكم الهدى ولا تتبع الهوى ما تهوى
النفس وتتمنى من الردى فيضلك عن سبيل الله عن طريق قرب المولى
ان الذين يضلون بانفسهم او يضلون غيرهم عن سبيل الله اي طريق
الصواب لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم
عن سبيل المولى فان تذكره يقتضي ملازمة الهدى ومخالفة الهوى وما خلقنا
السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لا حكمة فيه اصلا ذلك اي خلقها
باطلا ظن الذين كفروا اي مظنونهم جهلا فويل للذين كفروا من النار بسبب
هذا الظن الباطل الذي ليس تحته طائل ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
في الدنيا والعقبى كالمفسدين في الارض من الكفار ام نجعل المتقين اي الابرار
من المؤمنين كالفجار من المجرمين وقد اخرج ابو يعلى عن ابي ذر مرفوعا كما انه
لا يجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينال الفجار منازل الابرار وفي الآية
دلالة على صحة الحشر والاعادة فان التفاضل بينهما لا بد منه عقلا ونقلا وهو
اما ان يكون في الدنيا والغالب فيها ان غير المؤمن احسن حالا واكثر مالا
ومنالا بحسب الظاهر او في غيرها وذلك يستدعي ان يكون لهم دار اخرى يجازون
فيها كتاب اي مكتوب عظيم انزلناه اليك مبارك نفاع كريم ليدبروا آياته
ليدبروها ويتفكروا فيها فيعرفوا حسن مبانيها وصحة معانيها فيعملوا بمقتضى

اوامرها

اوامرها ونواهيها وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ ذووا العقول السليمة
بمواعظه القوية اخرج سعيد بن منصور عن الحسن في قوله ليدبروا آياته
قال انما تدبر آياته اتباعه بعلمه ووهبنا لداود سليمان اي ابنه نعم العبد
اي سليمان انه اواب رجاع الى الله بالتوبة والاوبة او بالصبر في المحنة
وبالشكر في النعمة وسئل جنيد من العبد قال الذي يكون مطروحا عند سيده
كالميت بين يدي غاسله لا يكون له تدبير ولا قوة اذ عرض عليه اي على سليمان
بالعشي بعد الظهر الصافنات اي الخيل التي تقوم على ثلث قوائم وتقيم
في قوائمها على طرف سنبك يد او رجل واحدة وهو في الخيل من الصفات
المحمودة الجياد جمع جواد او جود وهو الذي يسرع في جريه وقيل جمع جيد اصله
جيود فخفف روي انه عليه السلام غزا دمشق فاصاب الف فرس
فاستعرضها فلم يزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر او عن
ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها وذبحها تقربا الى الله سبحانه وقيل
وضع عليها الكي فسبلها ووهبها لمن طلبها فعوضه الله الريح بدلا عنها فمن
ترك شيئا لله لم يخسر على الله فقال اني احببت حب الخير اي الخيل التي شغلته
حتى توارت بالحجاب اي غربت الشمس واضمارها من غير سبق ذكرها لدلالة
العشي عليها ردوها اي الصافنات علي فطفق مسحا فاخذ وشرع
يمسح السيف مسحا بالسوق والاعناق بسوقها واعناقها يقطعها وقد
بعد من رد ضمير ردوها الى الشمس فان المخاطبين لم يقدروا على ردها وفي
تفسير السلمي قال ابو سعيد القرشي من غار لله وتحرك له فان الله تعالى
شكره الا ترى سليمان لما شغله الافراس عن الصلوة حتى توارت بالحجاب
قال ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق قيل انه كان عشرون الف
فرس منقش ذوات اجنحة اخرجها الشياطين من البحر فشكر الله سعيه بتسخير
الريح ابدله مركبا آمنا منها وانعم والله اعلم ولقد فتنا سليمان والقينا
على كرسيه جسدا ثم اناب اظهر ما قيل في فتنته وامتحانه وبليته ما روي مرفوعا
انه قال لاطوفن الليلة على سبعين امراة تأتي كل واحدة بفارس يجاهد
في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة جاءت
بشق رجل فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا قال
الاستاد فاستغفر من ترك الاستثناء وكان ذلك ترك ما هو الاولى فوقع
في الابتلاء قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
ليكون معجزة لي مناسبة لحالي انك انت الوهاب المعطي ما تشاء لمن تشاء
قال ابن عطاء اي مكني من مخالفة نفسي حتى لا اوافقها بحال من احوالي

وقيل هب لي المعرفة بك لا ارى معك غيرك ولا تشغلني كثرة عروض الدنيا
عنك وقال سهل الهم الله سليمان انه يسأله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده ليعتصم به
الجبابرة والكفرة الذين يخالفون ربهم ويدعون لانفسهم قدرة وقوة
من الجن والانس فوقع السؤال من سليمان على اختيار الله له لا على اختياره
لنفسه وقال جنيد اي هب لي ملكا على نفسي فاني ان ملكت الدنيا ولم املك
نفسي اكون عاجزا في ملكي وقال ابن عطا لما سأل سليمان من الله الملك
وسخر له الريح اعلمه بذلك ان ما سواه ريح لا بقاء له ولا دوام معه وقال محمد
ابن علي في قوله فهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي هو ان لا يشغله عن ربه
شيء مما اتاه من الملك فيكون حجة على من بعده من الملوك وابناء الدنيا
فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته تجري بامره رخاء لينة على وفق
ارادته حيث اصاب اي اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ الجواب
والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه وآخرين عطف على
كل اي وجماعة مردة مقرنين قرن بعضهم مع بعض في الاصفاد في القيود
والسلاسل ليكفوا عن الشر والرذائل هذا اي الذي اعطيناك من الملك
والبسطة والتسلط بالغلبة في السلطنة عطاؤنا لك فامنن او امسك
فاعط من شئت وامنع من شئت فاء للتسبيع بغير حساب غير محاسب
على منة ومنعه لتفويض التصرف فيه الى امره والمعنى انه عطاء من غير امكان
حصره وقال ابن عطاء امنن على من اردت بعطائنا فانا لا نمن عليك بذلك
وانما نمن عليك بالهداية الينا والمعرفة لنا قال تعالى بل الله يمن عليكم
ان هداكم للايمان وان له عندنا لزلفى لقربى في العقبى مع ما له من الملك العظيم
في الدنيا وحسن مآب هو الجنة المأوى وافاد الاستاذ ان المشي في الهواء
للاولياء في الجنة وقطع المسافات البعيدة في مدة يسيرة مما يعلم وجوده
قطعا في هذه الامة وان لم يعلم للافراد والاحاد على تعيين القضية اظهارا
على خدم خير البرية يدل على ان مقامه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب اشرف
المقامات والطف الحالات واذكر عبدنا ايوب اي ابن عموص بن رعويل
بن عيص بن اسحق اذ نادى ربه بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له اني
باني مسني الشيطان بنصب بتعب وعذاب الم ووصب والاسناد
الى الشيطان اما لان الله مسه ببلية لما فعل ايوب بوسوسته كما قيل انه اعجب
بكثرة ماله وسعة حاله او استغاثه مظلوم فلم يغثه لاشتغاله او لسؤاله
امتحانا لصبره في مقام كماله فيكون اعترافا بذنبه وتقصيره في ماله او مراعاة
للادب مع الرب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه في داره ثم اخرجوه

من دياره او لان المراد من النصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه
وبليته من عظم بلاء الله والقنوط من رحمته ويغريه على الجزع من حالته
قيل فبلغ امره او وصل ضره الى ان لم يبق منه عضو سالم الا قلبه ولسانه
ويروى انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع
قلبي بصري واكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع
او عريان فكشف الله سبحانه عنه بقوله اركض برجلك اي اضرب برجلك
الارض هذا مغتسل بارد وشراب اي فضربها فنبعت عين بها فقيل
هذا الماء مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك
ويعود اليك جمالك وكمالك قيل لبث في البلية اربعين سنة
وقيل سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات
ووهبنا له اهله بان جمعناهم بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم
ومثلهم معهم وقال الاستاذ رد الله عليه ماله ومثله واحيا اولاده
واهله رحمة منا لرحمتنا عليه ونعمتنا لديه وذكرى لاولي الالباب
وتذكرة وموعظة لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجاء الى الله فيما يحيق
بهم وخذ بيدك ضغثا حزمة صغيرة من حشيش ونحوه فاضرب به
ولا تحنث بتركه روي ان زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت
افرائيم بن يوسف ذهبت حاجة فابطأت فحلف ان برأ ان يضربها
بها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهي رخصة باقية في الشريعة
اذا قال مائة جلدة او مائة عصاة انا وجدناه صابرا في ما اصابه من
شدة الحال في النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه من الشيطان
الى مولاه فانه لا يسمى جزعا في البلاء كتمني العافية وطلب الشفاء
مع انه قال ذلك خشية ان يفتنه او قومه فيما لا يرضى ربه نعم العبد
انه اواب فقيل بكليته الى الله في جملة بلواه قال ابن عطاء صابرا
اي واقفا مع الرب بحسن الادب لا يؤثر عليه دوام النعم وتمام
المنن ولا يزعجه تواتر البلاء وتتابع المحن لمشاهدته المنعم والمبلي
نعم العبد لم يشغله ما لنا عنا وقيل الصبر الفناء في البلوى بلا اظهار
الشكوى وقال القاسم محنة الانبياء تقريب وتهذيب وترتيب
وكشف عن ظهور حالهم للعوام لقول انا وجدناه صابرا نعم العبد
عبد يعرف ان لا رجوع له الا الى مولاه فرجع اليه انه اواب اي راجع
الينا في السراء والضراء مما ابتلينا وقال جعفر لم يستعذب البلاء
من لم ير البلاء من العطاء نعم العبد سره بلاؤنا كما سره عطاؤنا

ايوب صح

وافاد الاستاد ان الصبر ان لا يعترض على التقدير اقول ولعله اراد اقل
ما يراد به فى التعبير كما عبر عن كماله بقوله ويقال التلذذ بالبلآء واستعذابه
دون استعصابه ولم يبف قوله مستنى الضر اسم الصبر عنه لانه لم يكن
على وجه الشكوى منه ولانه مرة واحدة والحكم للغلبة واذكر عبدنا ابراهيم
واسحق ويعقوب وقرا ابن كثير عبدنا على وضع الجنس موضع الجمع او على انه
ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه لكونهما
تابعين لديه اولى الايدى والابصار اصحاب القوة فى الطاعة وارباب
البصيرة فى المعرفة اواولى الاعمال الجليلة والعلوم الجزيلة وفيه تعريض
بالبطلة الجهلة انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار جعلنا هم خالصين
لنا بخصلة خالصة هى تذكرهم للآخرة بوصف المداومة واطلاق الدار
للاشعار بانها الدار التى عليها المدار واما الدنيا معبر فى نظر النظار
من اهل الاعتبار واضاف نافع وهشام بخالصة الى ذكرى للبيان
وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المجتبين من امثالهم المختارين
فى احوالهم قال الواسطى اخلصناهم بخالصة لم يبق معها ذكر الدار
وهو الكونين وما فيها وقال يعقوب السوسى لما قال اخلصناهم
بخالصة صفت قلوبهم بذكره عند ذلك ورقت ارواحهم له بارادة
هنالك فهم فى مكشوف ما تقدم لهم فى الغيب سبقت لهم منه الحسنى
فصاروا بدرجة المخلصين وقال جنيد الاخلاص ما اريد الله به من اى
عمل كان وقال سهل الاخلاص التبرى مما سواه وقيل خلصناهم بخالصة
اى ابقينا عليهم فى اعقابهم حسن الثناء لديهم وقال الاستاد اى
بفضيلة خالصة وهى ذكرى الدار ذكر الجنة والنار بدعاء الناس اليها
والهرب منها ويقال بسلامة قلب من ذكرى الدار اى لم يعملوا على ملاحظة
جزاء ويقال تجرد دالنا بقلوبهم عن ذكرى الدارين واذكر اسمعيل
افرده بالذكر لشرفه وكونه جدا لاشرف الانبياء فى مقام لطفه واليسع
استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ وقرا حمزة والكسائى
والليسع بتشديد اللام وسكون الياء وذا الكفل ابن عم يسع او بشر
بن ايوب واختلف فى نبوته ووجه لقبه فقيل فر اليه مائة نبى من القتل
فآواهم وكفلهم وقيل تكفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة
صلوة وافاد الاستاد ان اليسع وذا الكفل اخوان اى كلهم من الاخيار
اى اخيار الابرار هذا اى هذا القرآن ذكر اى فيه ذكر ما كان وما يكون ويقال
انه شرف لك لانه معجزة تدل على صدقك او هذا اشارة الى ما تقدم

وكل منهم

من امورهم ذكر شرف لهم ثم بين ما اعد لهم ولامثالهم بقوله وان
للمتقين لحسن مآب مرجع او انقلاب وبيانه جنات عدن بساتين
اقامة حال كونها مفتحة لهم الابواب قال الاستاد اى اذا جاؤها
لا يلحقهم ذل الحجاب ولا كلفة الاستيذان بالباب بل يستقبلهم الملائكة
بالتبجيل والارحاب متكئين فيها على ارائكهم فى مجالسهم بانعم حوائجهم
يدعون فيها بفاكهة ما يتفكه به ويتلذذ بسببه كثيرة اى لا يسيرة ولا
عسيرة وشراب على ما يشتهون من كل باب وعندهم قاصرات
الطرف من الحور العين وغيرهن لا ينظرن الى سوى ازواجهن
اتراب لدات مستويات فى الاسنان فان التحاب اثبت بين
الاقران او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية منهن بل كلهن
فى سن ثلث وثلثين على ما ورد فى حقهن وافاد الاستاد انهن مستويات
فى الحسن والجمال والشكل والدلال هذا ما توعدون وقرا ابن كثير وابو عمرو
بالغيبة ليوم الحساب لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء من
الثواب والعقاب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد اى ليس له انقطاع
وانتهاء لا فى الدنيا ولا فى العقبى هذا اى الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ
هذا او هذا المعد للمتقين وان للطاغين لشر مآب شر مرجع ومنقلب
جهنم بدل منه يصلونها حال او استيناف اى يدخلونها ويعذبون بها
فبئس المهاد ما مهد لهم واعد لاجلهم وهو جهنم لقوله لهم من جهنم مهاد
هذا اى العذاب او العذاب هذا فليذوقوه حميم هو الماء الحار وغساق
ما يسيل من صديد اهل النار وقيل المراد به الزمهرير وقرا حفص وحمزة
والكسائى بتشديد السين وآخر اى مذوق آخر او عذاب آخر وقرا
ابو عمرو واخر اى ومذوقات او عقوبات اخر من شكله من مثل
هذا المذوق او العذاب فى الشدة ازواج اجناس واصناف هذا
فوج مقتحم معكم يقال للمتبوعين هؤلاء قوم من التابعين مقتحمون معكم
النار وتابعون لكم فى قرار دار البوار لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين
على التابعين اى ما اتوا رحبا وسعة بل حضروا ضيقا وشدة انهم
صالوا النار داخلوها مع اثقال الاوزار قالوا اى الاتباع للرؤساء
بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق بما قلتم منا انتم قدمتموه اى العذاب
لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمناه من الاحوال الفاسدة والاعمال
الكاسدة فبئس القرار فى دار البوار قالوا اى الاتباع ايضا ربنا من
قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا مضاعفا فى النار وقالوا اى الطاغون

وهم الاتباع والمتبوعون من الكفار بعد دخولهم النار مالنا لا نرى رجالاً
كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم
ويسخرون منهم اتخذناهم سخريا صفة او مستانفة وقرا نافع وابن كثير
وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار لهم على انفسهم وملامة
لها في الاستسخار بهم وقرا نافع وحمزة والكسائي سخريا بالضم ام زاغت
عنهم الابصار ام مالت عنهم ابصارنا فلا نراهم في النار وام معادلة
لما لنا لا نرى على ان المراد نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا اغابوا عنا
ام زاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم هنا او منقطعة والقصد الدلالة
على ان سبب استرذالهم واستحقارهم زيغ ابصارهم وقصور
انظارهم على رثاثة حال الفقراء وانكسارهم وذلك مثل فعل ابي جهل
واضرابه في حق مثل بلال واصحابه ان ذلك اي الذي حكينا عنهم
لحق خبر صدق لا بد ان يتكلموا هنالك تخاصم اهل النار فيما بينهم
عند ظهور البوار بدل من حق او خبر محذوف هو هو قل يا محمد للكفار
انما انا منذر مخوف لكم من العذاب ان كفرتم ومبشر لكم بالثواب
ان آمنتم وما من اله الا الله الواحد الذي لا يقبل في ذاته الكثرة
والشركة القهار الموصوف بالقدرة والغلبة رب السموات
والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز البديع في افعاله
على وفق مراده الغفار لذنوب المؤمنين من عباده وفي هذه
الاوصاف تقرير للتوحيد في الدين وتحرير بالوعد والوعيد للموحدين
والمشركين قل هو اي ما انباتكم من اني نذير بين يدي الساعة
او هو بمعنى هذا او المراد به ما بعده من نباء آدم والملائكة نباء عظيم انتم
عنه معرضون لقلة معرفتكم وكثرة غفلتكم ما كان لي من علم بالملاء
الاعلى اي ولا بكلامهم اذ يختصمون في قضية آدم وغيره من مرامهم
ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي ما اوحي الي الا الانذار لانه
المقصود الاهم بالنسبة الى كثرة الكفار وقلة الابرار على ان النذارة
والبشارة متلازمان في باب الرسالة وقد يكتفي باحدهما عن الاخرى
بحسب الدلالة او التقدير لانما والمعنى ليس يوحى الي الا لاني نذير مبين
للبشارة وافاد الاسناد ان الملاء الاعلى قوم من الملائكة في السماء
العليا واختصامهم كما ورد للخبر به ان جبرائيل عليه السلام سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال لا ادري فقال جبريل في الكفارات
والدرجات من اسباغ الوضوء في المكروهات ونقل الاقدام الى الجماعات

وافشاء السلم

وافشاء السلم واطعام الطعام والصلوة بالليل والناس نيام وانما خلقوا
في بيان كيفية المثوبة وكمية الفضيلة فيجتهدون ويقولون ايهن افضل
او ايهن اكمل وقيل المراد بذلك الاختصام ما وقع لهم في شان آدم
عليه السلم حيث قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويشير الى هذا المعنى
قوله تعالى اذ قال ربك للملئكة اني خالق بشرا من طين لا سيما على القول
بانه بدل من اذ يختصمون فاذا سويته عدلت صورته وكملت خلقته ونفخت
فيه من روحي واحييته بنفخ الروح في بينته واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته
وقال ابن عطاء اي روحت سره المكنون بما يكون به الروحانيون فقعوا
فخروا له ساجدين تكريما وتعظيما له نحو تبجيل الكعبة في كون المراد به القبلة
فانه لا يعبد الا الله ولا يسجد لسواه فسجد الملئكة كلهم اجمعين الا ابليس
استثناء متصل او منفصل استكبر تعظم وتكبر وكان وصار من الكافرين
باستكباره امر الله اياه او كان منهم في علم الله وافاد الاسناد ان اخباره سبحانه
للملئكة بذلك يدل على تفخيم شان آدم هنالك لانه تعالى خلق ما خلق من الكونين
والجنة والنار والعرش والكرسي والملئكة وغيرها ولم يقل في صفة شيء منها ما قال
في صفة آدم ههنا ولم يامر بالسجود لاحد ولا لشيء من خلقه الا لآدم وسبحان الله
خلق اعز خلقه من اذل شيء واخسه وهو التراب والطين ثم روح آدم
وان كانت مخلوقة فله شرف على سائر الارواح لافرادها بالذكر فاما سوى خلق
آدم وركب فيه الروح الاعظم جلله بانوار الخصوصية فوقعت هيبته على الملائكة
فسجدوا لامره وظهر لابليس الشقاوة ووقع بامتناعه في اللعنة قال يا ابليس
ما منعك ان تسجد اي من سجودك لما خلقت بيدي بعد وجودك بنفسي من
غير الواسطة والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة او اختلاف الصفة
حسب اختلاف الصفة المستدعية للهيبة والعظمة والاصل ان في التثنية
اشارة الى انه جعل مظهر الكمال بظهور صفتي الجلال والجمال بخلاف سائر المخلوقات
على اختلاف الاحوال فان منهم من جعل مظهر الجمال فقط بدوام الطاعة كالملائكة
المقربين ومنهم من خلق مظهر الجلال فحسب باستمرار الضلال كالشياطين ومنهم
من لا يصلح لشيء من ذلك بل لحكم اخرى تقتضي هنالك استكبرت الان ام كنت
من العالين المستكبرين في مضي الزمان او انكبرت من غير استحقاق او كنت
ممن علا واستحق بانفاق قال انا خير منه اظهار لمانع لديه وقوله خلقتني من نار
وخلقته من طين دليل عليه وافاد الاسناد انه من هنا وقع الغلط له حيث توهم
ان الفضيلة من حيث البنية والجوهرة ولم يعلم ان التفضيل من حيث اللبسة
دون الخلقة ويقال ما اودع عند آدم لم يوجد عند غيره فيه ظهرت الخصوصية

قال فاخرج منها من الجنة او السماء او الصورة الملكية فانك رجيم مطرود من الرحمة
ومبعود من الكرامة وقال الاستاذ مرمىّ باللعن وبالشهب من السماء وبالنجوم
والشهب من قلوب الاولياء ان تعرضت لها بشئ من الاشياء وان عليك لعنتى الى
يوم الدين اى مستمرة وانما غياه الى يوم القيمة فانه يشاهد عقوبته فى تلك الحالة تنسيه
اللعنة فكانها منقطعة او المراد باللعنة المغياة المجردة عن العقوبة قال رب فانظرنى
الى يوم يبعثون اى امهلنى فى العقوبة الى يوم القيمة ولو وفق للطاعة لقال انظر
الى بعين الرحمة وافاد الاستاذ انه من كمال شقاوته جرى هذا على لسانه وتعلق به
ارادته سؤال انظاره ليزداد الى يوم القيمة فى سبب عقوبته فانظره الله واجابه
لدعوته فانه بلسانه سأل تمام شقاوته قال فانك من المنظرين الممهلين فى سؤلك
الموهوم الى يوم الوقت المعلوم وهى النفخة الاولى قال فبعزتك فبسلطانك
وقهرك وعلو شانك لاغوينهم اى آدم وذريته اصالة والجن تبعية اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين الذين خلصهم الله لطاعته بعصمته او خلصوا احوالهم واعمالهم
بتوفيق الله ورحمته قيل المخلص الذى يكون سره بحيث لا يعلمه ملك فيكتبه ولا هوا
فيميله ولا عدو فيفسده وافاد الاستاد انه لو عرف حقيقة عزته لما اقسم به على
مخالفته ويقال تجاسره فى مخاطبة الحق حيث اصرّ على المخالفة واقسم عليه للمبالغة
اقبح واولى فى استحقاق اللعنة من امتناعه للسجود لآدم وترك الطاعة قال فالحق
والحق اقول اى فاحق الحق او اقول الحق لاملان جهنم منك اى من ذاتك او
جنسك فى صفاتك لتناوله الشياطين وممن تبعك منهم اى من الانس والجن
اجمعين وهو جواب القسم المقدر والجملة تفسير للحق المقول المقرر وقرا عاصم وحمزة
برفع الاول على الابتداء اى الحق قسمى او على الخبر اى فانا الحق قل ما اسئلكم عليه
من اجر اى على تبليغ الرسالة من اجرة وما انا من المتكلفين المتصنعين بما
لست من اهله فانتحل النبوة واتقول القراءة ان هو الا ذكر للعالمين ما القرآن الا
موعظة للعالمين وهداية للمؤمنين وحجة على الكافرين ولتعلمن نباءه صدق ما فيه
من الوعد والوعيد بعد حين وقت الموت وحين العزة او يوم القيمة او عند ظهور
الاسلام والغلبة

سورة الزمر مكية وهى اثنتان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله كلمة سماعها يوجب للقلوب
شفاءها وللارواح ضياءها وللاسرار علاءها وبالحق بقاءها تنزيل الكتاب
اى منزله كله او بعضه مبتدا خبره من الله العزيز الغالب على مراده الحكيم فيما
يفعل بعباده وقال الاستاد هذا كتاب عزيز نزل من رب عزيز على عبد عزيز بلسان
ملك عزيز فى شان قوم عزيز بامر عزيز ورد الرسول من الحبيب الاول بعد التلاقى
بعد طول تنزل نزهة قلوب الاحباب بعد ذبول غصن سرورها فى كتب الاحوال عند

قراءة فصولها والعجب منها كيف لا تزهق سرورا بوصولها وارتياحا لحصولها
ويقال كتاب العزيز عزيز انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب
اثبات الحق فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الطاعة من الشرك والرياء والسمعة
الا لله الدين الخالص اى تنبهوا انه هو الذى وجب اختصاصه بخلوص العبودية
فانه المتفرد بصفات الالوهية ونعوت الربوبية وافاد الاستاد ان العبادة
معانقة الامر على غاية من الخضوع والمذلة ويكون بالنفس وبالقلب وبالروح فالتى
بالنفس الاخلاص فيها التباعد عن الانتقاص والتى بالقلب الاخلاص فيها
العمى عن رؤية الاشخاص والتى بالروح فالاخلاص فيها التنقى عن طلب الاختصاص
ثم الدين الخالص ما يكون جملته لله وما للعبد فيه نصيب فهو عن الاخلاص بعيد
لا فى سبب اللهم الا ان يكون بامره فانه اذا امر العبد ان يحتسب الاجر على طاعته
فى طاعته لا تخرجه عن الاخلاص باحتسابه ما امره به ولولا هذا لما صح ان
يكون فى العالم مخلص والذين اتخذوا من دونه اولياء اى من غير الهة يعبدونها
قائلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قربى فى الدنيا او العقبى ان الله يحكم
بينهم فيما هم فيه يختلفون من امر الدين بادخال المحق الجنة والمبطل نار العقوبة
وافاد الاستاد انهم لم يقولوا هذا من قبل الله ولا بامره ولا باذنه وانما حكموا
بذلك من ذات انفسهم فرد الله عليهم وفى هذا اشارة الى ان ما يفعله العبد
من القرب بنشاطه نفسه من غير ان يقتضيه حكم وقته وما يعقد بينه وبين الله
من عقود ثم لا يفى بها ولا يقوم بحقها فكل ذلك اتباع نفس وهوى لها
قال تعالى ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ان الله
لا يهدى الى طريق الابرار من هو كاذب كفار من طبع على الكذب والكفر
من طوائف الفجار وافاد الاستاد انه سبحانه لا يهديهم اليوم لدينه ولا فى الآخرة
الى ثوابه والاشارة الى تهديد من يتعرض لغير مقامه ويدعى شيئا ليس بصادق
فى مرامه فالله لا يهديه قط الى ما فيه طريق سداده ورشده وعقوبته انه
يحرمه ذلك الشئ الذى يتصدى له بدعواه قبل تحققه بوجوده وذوقه لو اراد
الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اى لاختار ما يشاء
من مخلوقاته من غير نحو عيسى وملئكة وما شابه سائر كائناته وفيه تنبيه
انه لا يتصور موجود سواه الا وهو مخلوقه على وصف قدره وقضاه وفيه
ايماء الى عدم تناهى قدرته وامكان زيادة ارادته فقول الغزالى ليس فى
الامكان ابدع مما كان يحتاج الى تأويل فى عبارته سبحانه اى تنزيها
من اتخاذ الولد فضلا عن تحققه المنافى لوحدته وقهاريته بغلبته وعزته
استغنائه عن غيره هو الله الواحد القهار فان الالوهية الحقيقية

تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة المعتبرة في
الوالدية والولدية مع ما فيهما من لوازم عوارض الحدوثية المعارضة للقديمية
الازلية خلق السموات والارض بالحق اي محقا لا عابثا او بسبب ظهور
ظهور الحق وزهوق الباطل يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل
يغشي كل واحد منهما الآخر كانه يلف لف اللباس باللابس في الجملة او
يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا
تتابع اكوار العمامة ولعل الاشارة فيها الى اختلاف الاطوار وتفاوت
الادوار وتداول المظاهر في الاسرار والانوار وقد قال الشيخ ابو مدين
المغربي • لا تنكر الباطل في طوره • فانه بعض ظهوراته • وسخر الشمس
والقمر اي ذللهما بقدرته ونوع حكمته كل منهما يجري لاجل مسمى هو منتهى
دورته او منقطع حركته الا هو العزيز الغالب على كل شيء بالقدرة الغفار
حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنايع من الرحمة وعموم
المنفعة وافاد الاستاد انه معنى فيما تقدم اختلاف احوال العبد في
القبض والبسط والجمع والفرق والاخذ والرد والصحو والسكر ونجوم العقل
واقمار العلم وشموس المعرفة ونهار التوحيد وليالي الشك والجحد ونهار
الوصل وليالي الهجر وكيفية اختلافها وزيادتها ونقصانها الا هو العزيز
المتعزز على المحبين الغفار للمذنبين خلقكم اي قدر خلقكم من نفس واحدة
وهي آدم عليه السلام وخلق منها من ضلعها الايسر فيها زوجها حوا ليسكن
اليها والمعنى فتأملوا في صنيع الرب في خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة
واعجب بل قيل هو العالم الاكبر وما دونه من المخلوقات هو العالم الاصغر كما
يشير اليه ما ورد من الحديث القدسي والكلام الانسي لا يسعني ارضي ولا
سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن وانزل لكم اي قضى وقسم لكم فان
القسم والقضايا توصف بالنزول من السماء حيث كتبت في اللوح
حال الابتداء والانتهاء وقيل خلقها في الجنة ثم انزل اصولها من الانعام
ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضان والمعز كما مر في سورة
الانعام يخلقكم باختلاف هيآتكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق
حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ
من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلث ظلمة البطن والرحم والمشيمة
ذلكم الذي هذه افعاله في خلقكم الله ربكم اي هو المستحق لعبادتكم له الملك
اي ظاهرا وباطنا لا اله الا هو اذ لا يشاركه في خلق الاشياء غيره فانى
تصرفون فكيف تعدلون عن عبادته الى الاشراك به وافاد الاستاد انه سبحانه

ذكرهم

ذكرهم حقيقة نسبتهم لئلا يعجبوا بحالهم وصفتهم ويقال بين آثار افعاله
الحكمية في كيفية خلقتك البديعية من قطرتين من نطفة امشاج متشاكلة
الاجزاء مختلفة الصور في الاعضاء مسخرا بعضها لبعض في الاوقات
العديدة محالا للصفات الحميدة كالعلم والقدرة والحيوة وغيرها من احوال
القلوب وانفعالاتها وكالسمع والبصر والشم ونحوها ويقال هذه كلها
نعم انعم الله بها علينا فذكرنا بما هو موجود لدينا اذ القلوب مجبولة
على حب من احسن اليها ثم قال ذلكم الله ربكم يعني الذي احسن اليكم
بجميع هذه الوجوه هو ربكم والمعنى انا خلقتكم وانا صورتكم فاحسنت
صوركم وانا رزقتكم واكثرت رزقكم وانا الذي اسبغت عليكم نعمائي
وخصصتكم بجميع اكرامي وغرقتكم في بحار افضالي وعرفتكم استحقاق
جمالي وجلالي وهديتكم الى توحيدي والزمتكم رعاية حدودي فما لكم لا
تنقطعون بالكلية الي والم ترجون ما وعدتكم لدي وما لكم في الوقت
لا تنظرون بقلوبكم الي ان تكفروا باظهار كفرانكم فان الله غني عنكم
وعن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم وان
تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وموجب نجاحكم قال سهل اول
الشكر الطاعة وآخره رؤية المنة ثم اعلم ان قوما استدلوا بهذه
الآية على ان الله تعالى لا يرضى كفر الكافرين وان كان يريده فان الرضى
والمحبة معناهما واحد كما ان الارادة والمشية مؤداهما متحد ثم بين
القرينتين تغاير ظاهر فما تعلق به الثواب يقال فيه ان الله رضيه
واحبه ويقال فيه ايضا اراده وشاءه وما تعلق به العقاب يقال
فيه ان الله اراده وشاءه ولا يقال احبه ورضيه بل يقال كرهه ونهى
عنه ومعنى ذلك انه لا يثيب عليه لانه يقع قهر الدية كسائر مكروهات
العباد فان العبد يقع المكروه عليه قهرا ولو قدر على دفعه دفعه والله سبحانه
يتعالى عن هذا المعنى وهذا مذهب كثير من السلف ومشرب اكثر الخلف
قال قتاده والله ما رضي الله لعبد ضلالة ولا امره بها ولا دعاه اليها وقد
شاء وجوده فيمن خلق لها وقال ابن عباس والسدي وجماعة ان الله
يرضى الكفر للكافرين كما يرضى الايمان للمؤمنين فالآية من العام الذي
اريد به الخصوص اي لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال فيهم
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وهو كقوله عينا يشرب بها عباد الله
اي المؤمنون الابرار وهؤلاء الطائفة لا يعرفون بين الارادة والمحبة والرضى
والمشية يقولون كلما اراده فقد رضيه ممن اريد منه وان كان لا يأمر به

ولا يثيب عليه وقال الاستاد في بيان معنى المراد ان اعرضتم وابيتم وفي
جحودكم تماديتم فما افتقرنا اليكم ونحن اغنياء عنكم ولكني لا ارضى لكم ان تبقوا
عني في حال منكم انت المسكين ان لم اكن لك فمن يكون انت من الذي يحسن
اليك من الذي يقبل عليك من الذي يرحمك من الذي ينشر التراب
على جرحك من الذي يهتم بشانك من يسلي اذا بقيت عني من الذي
يبيعك رغيفا بمثاقيل ذهب عبدي انا لا ارضى لك ان لا تكون لي فانت
كيف ترضى ان لا تكون لي يا قليل الوفاء يا كثير الجفاء ان اطعتني شكرتك
وان ذكرتني ذكرتك وان خطوت لاجلي خطوة ملأت السموات
والارضين من شكرك لو علمنا ان الزيارة حق لفرشنا الخدود ارضا
لترضى ولا تزر وازرة وزر اخرى لا تحمل نفس تحمل اثمها اخرى بل كل
منهما بحملها اولى واحرى في دنيا واخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم
تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية
من اعمالكم ولا غائبة من احوالكم واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا
اليه مقبلا عليه ومتضرعا لديه ثم اذا خوله اعطاه مما تمناه نعمة منه
من الله نسي ما كان يدعوا اليه اي الضر الذي كان يدعوا الله الى كشفه
او ربه الذي كان يتضرع اليه في طلب لطفه من قبل قبل النعمة من الضر
والمحنة وجعل لله اندادا اشباها او اضدادا ليضل غيره عن سبيله
عن دين ربه وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح اللام والياء لام العاقبة قل
تمتع بكفرك قليلا من الزمان او تمتعا قليلا في هذا المكان انك من اصحاب
النار على وجه الخزي والهوان والامر للتهديد والوعيد الشديد قال الواسطي
الخلق مجبورون تحت قسمته مقهورون تحت خلقته الا ترى اذا ضاقت الصدور
واشتدت الامور كيف يفزع بالاخلاص الى الملك الغفور وقال الاستاد
اذا مسه ضر خشع وخضع والى ربه فزع وتملق بين يديه وتضرع اليه فاذا زال
عنه ضره وكفاه امره واصلح شغله نسي ما كان يدعوا اليه من قبل فيعود الى راس
كفرانه وينهمك في كبائر عصيانه واشرك بمعبوده واصر على جحوده ان من كان
هذا صفته فسحقا له وبعدا وسوف يلقى حزنا وطردا امن هو قانت قائم
بوظائف طاعاته آناء الليل في ساعاته واوقاته ولعل الاقتصار على
آناء الليل من باب الاكتفاء او لما يفهم منه غيره بالطريق الاولى اذ تنبيها
على الاستنباه فيه الاحرى به الاعلى والمعنى بل امن هو قانت في اوقات
عبادته كمن هو بضده في حالته وقرا نافع وابن كثير وحمزة بتخفيف الميم
اي امن هو قانت لله كمن اتبع هواه وجعل اندادا لمولاه ساجدا وقائما

حالان

حالان من ضمير قانت يحذر الآخرة اي ما يؤدي الى عذابها او يخاف العذاب
الموعود بها ويرجو رحمة ربه اي من دخول جنته وحصول نعمته ووصول رؤيته
قال ابن عطاء القانت الذي يجتهد في العبادة فلا يرى ذلك من نفسه بل يرى
من فضل الله عليه ولطفه قل هل يستوي الذين يعلمون اي ويعملون والذين
لا يعلمون اي يجهلون او لا يعملون بما يعلمون نفي لاستواء الفريقين باعتبار
القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم
بالمزية وقيل المعنى كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون
والعاصون قال رويم المقامات كلها علم والعلم حجاب اي المقامات كلها
معلومات لاصحاب الحالات والعلم حجاب عن شهود الذات لمشاهدة
الافعال والصفات وقد قيل العلم حجاب نوراني والغفلة حجاب ظلماني
انما يتذكر يتعظ في هذا الباب اولوا الالباب اي دون ارباب الحجاب
وافاد الاستاد انهما لا يستويان هذا في اعلى الفضائل وهذا باسوء الرذائل
والعلم المخلوق على ضربين مجلوب بكسب العبد وموهوب من قبل الرب
ويقال موضوع ومصنوع ويقال علم بيان وعلم برهان فالعلوم الدينية
كلها برهانية الا ما يحصل بنعت الالهامية انتهى وقد قيل علم مشروع
وعلم مطبوع ولا بد منهما ولا يستغنى عنهما ومن كان فيه احدهما فهو في
مرتبة القصور ومن اوتيهما فهو نور على نور ومن لم يجعل الله له نورا
فما له من نور قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته
ودوام عبادته للذين احسنوا بالطاعات في هذه الدنيا حسنة مثوبة
مستحسنة في العقبى والاحسان هو الاتيان بجميع وجوه الامكان
وقيل في هذه بيان لمكان حسنة اي للذين احسنوا بالعبادة حسنة
في الدنيا وهي الصحة والعافية والقناعة وحسن الخاتمة وارض الله
واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى
متمكنه انما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال الاحزان
ومهاجرة الاوطان ومفارقة الاخوان اجرهم بغير حساب اجرا لا يهتدي
اليه حساب الحساب وفي الحديث ينصب الموازين يوم القيمة لاهل
الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء
بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم
تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل رواه الثعلبي
وابن مردويه قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اي الانقياد
في الطاعة على وجه المحبة وامرت لان اكون اول المسلمين اي وامرت بذلك

لاجل ان اكون مقدمهم فى الدنيا والعقبى لان احراز قصب السبق فى الدارين
بالاخلاص فى الدين قال جنيد الاخلاص اخراج الخلق فى معاملة الحق والنفس اول
الخلق وقال الاستاد فى الخبران الله يقول الاخلاص سر بينى وبين عبده ويقال
ان الاخلاص لا يفسده الشيطان ولا يطلع عليه الملكان قل انى اخاف ان
عصيت ربى بترك الاخلاص فى الدعاء والميل الى ما انتم عليه من الشرك والريا
عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه من العناء قل الله اعبد مخلصا له دينى فى جميع اعمالى
وسائر احوالى من القيام بالطاعة والحذر عن المخالفة فاعبدوا ما شئتم من دونه
وهذا غاية الوعيد ونهاية التهديد قل ان الخاسرين اى الكاملين فى الخسران واراد
بهم الكافرين الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال يوم القيمة
حين يدخلون النار بالسلاسل والاغلال بدل الجنة ونعيم الوصال الى ازل الآزال
الا ذلك هو الخسران المبين اى الظاهر البرهان لانهم جمعوا وجوه الخسران
ووبال الهجران وافاد الاستاد ان ذلك غاية الخسران وهو الخزى والهوان
والخاسر على الحقيقة من خسر دنياه بمتابعة الهوى وخسر عقباه بارتكاب
ما عنه نهى وخسر مولاه فلم يستحيى منه فيما رأى لهم من فوقهم ظلل من النار
ومن تحتهم ظلل اطباق منها وقال الاستاد احاط بهم سرادقها فهم لا يخرجون
منها ولا يفترون عنها كما انهم اليوم فى جهنم عقائدهم يستديمون حجابهم
ولا ينقطع عنهم عقابهم ذلك اى ما ذكر من العذاب ونحوه يخوف الله به عباده
ليجتنبوا طريق خلافه ولو اراده يا عباد فاتقون فخافوا عقوبتى واتقوا
مخالفتى وقال الاستاد ان خفت اليوم كفيت اليوم والا فبين يديك
عقبة كؤد اى شاق عليك والذين اجتنبوا الطاغوت المبالغ فى الطغيان
وهو الشيطان ومن يجرى مجراه فى العصيان ان يعبدوها بدل اشتمال منه
اى يطيعوها وانابوا الى الله اقبلوا اليه واعتمدوا عليه لهم البشرى البشارة
الكاملة بالمثوبة الشاملة على السنة الرسل فى الدنيا او الملائكة عند حضور الموت
وحلول العقبى قال سهل الطاغوت الدنيا واصلها الجهل وفرعها المآكل والمشارب
وزينتها التفاخر وثمرتها المعاصى وميراثها القسوة والعقوبة وافاد الاستاد
ان طاغوت كل احد نفسه وانما يجتنب الطاغوت من خالف هواه وعانق
رضى مولاه فعبادة النفس بموافقة الهوى وقليل من لا يعبد هواه ويجتنب
حديث النفس وما يتمناه فبشر عبادى الذين يستمعون القول اى الاقوال
الحسنة فيتبعون احسنه يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل
من بين محاسن الشمائل ومناقب الفضائل اولئك الذين هديهم الله لدينه
وابواب يقينه واولئك هم اولوا الالباب ذوو العقول السليمة عن منازعة

الاوهام

الاوهام الذميمة قال عيسى عليه السلام جالسوا من يذكر الله رؤيته ويرغبكم
فى الآخرة عبادته كذا فى تفسير السلمى وافاد الاستاد ان اللام فى قوله القول
للعموم يقتضى جنس المقول والاستماع يكون لكل شئ والاتباع يكون للاحسن وفيه
قولان احدهما ان يكون بمعنى الحسن والثانى انه للمبالغة والحسن لما كان مأذونا فيه
والاحسن هو الاولى والاصوب ويقال احسنه ما كان لله دون ما سواه ويقال
الاحسن ذكر الله خالصا ويقال من عرفانه لا يسمع الا بالله ويقال للعبد دواعى
من باطنه فوساوس الشيطان تدعوا الى المعاصى وهواجس النفس تدعوا الى نيل
الاشياء مما لها فيه نصيب وحظ وخواطر الملك تدعوا الى الطاعات والقربات
وخطاب الحق فى حقايق التوحيد ودقايق التفريد ويقال من احسن ان يسمع
من الله احسن ان يسمع عباد الله افمن حق عليه كلمة العذاب وثبت له
مذلة الحجاب افانت تنقذ من فى النار اى تخلصه وتنجيه من العذاب وفيه
ايماء الى ان الاحوال اللاحقة انما هى على طبق الاقوال السابقة وافاد الاستاد
ان الذين حقت اليهم كلمة العذاب فريقان فريق حقت عليهم كلمة بعذابهم فى
النار واصحاب الحجاب حقت عليهم كلمة العذاب بانهم اليوم لا يخرجون عن حجاب
قلوبهم ولا يكون لهم بهذه الطريقة ايمان وان كانوا من اهل الايمان لكن الذين اتقوا
ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالى بعضها فوق بعض مبنية بنيت على
اسس قوية سفلية وعلوية بحسب مراتب بهية ومناقب رضية وفيه تنبيه على
ابنية الجنة حسية لا كما توهم قوم انها معنوية تجرى من تحتها الانهار من تحت
غرفها او تحت تصرف اهلها وعد الله مصدر مؤكد لما سبق من الوعد لا يخلف
الله الميعاد افاد الاستاد انه سبحانه وعد المطيع بالجنة ولا محالة لا يخلفه ووعد
التائبين بالمغفرة ولا محالة يغفر له ووعد المريد القاصد بالوجود والوصول
فاذا لم يقع له فترة فلا محالة يصدق وعده الم تر ان الله انزل من السماء ماء
اى مباركا وطهورا فسلكه اى ادخله ينابيع فى الارض هى عيون ومجار كائنة
فيها ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من
خضرة وحمرة ونحوها ثم يهيج يتم جفافه لانه اذا تم حال يبوسته حان له ان
يثور عن منبته فتراه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرا ان فى ذلك
لذكرى لتذكيرا بانه لا بد من صانع حكيم دبره وسواه وبانه مثل الحيوة الدنيا فلا يغتر
بها الا من تبع هواه واختار دنياه على آخرته لاولى الالباب اذ لا عبرة بغيرهم
فى هذا الباب وافاد الاستاد ان الاشارة من هذه الآية الى ان الانسان يكون
طفلا ثم يصير شابا ثم كهلا ثم شيخا ثم يصير الى ارذل العمر ثم آخره يخترم وعن
حياته يخترم وعن حياته يخترم ويقال ان الزرع ما لم يأخذ فى الجفاف لا يؤخذ

منه الحب الذي هو المقصود منه كذلك الانسان ما لم يخف من نفسه صولة لم يكن
قدر ولا قيمة ويقال ان المؤمن بقوة عقله يوجب استقلاله بعلمه الآن يبدو منه
لكمال تمكنه من وقادة بصيرته ثم اذا بدا لائحة من سلطان المعارف تصير تلك الانوار
مغمورة فاذا بدت انوار التوحيد استهلكت تلك الجملة كذلك قالوا فلما استنار الصبح
ادرج ضوئه بانواره انوار تلك الكواكب افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه من معرفة هداية كائنة من عناية ربه ورعاية كمن ضيق قلبه فهو على ظلمة
من نفسه من جهالة وغوايته وقد روى الحاكم وغيره عنه عليه السلام اذا دخل النور القلب
انشرح وانفسح فقيل ما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار
الغرور والتأهب للموت قبل نزوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من اجل
ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسي من اجل الشيء اشد تأبيا من
قبوله من القاسي عنه بسبب آخر اولئك اي اصحاب القسوة وارباب الغفلة في ضلال
مبين ظاهر الضلالة وواضح الجهالة قال الحسين قسوة القلب بالنعم اشد من قسوة
بالشيان فان بالنعمة يسكر وبالشدة يذكر وقال يحيى بن معاذ قسوة القلب من
اتباع الهوى وافاد الاستاذ ان النور الذي من قبله سبحانه نور اللوائح بنجوم
العلم ثم نور اللوامع ببيان الفهم ثم نور المحاضرة بزوائد اليقين ثم نور المكاشفة
بتجلي الصفات ثم نور المشاهدة بظهور الذات ثم انوار الصمدية بحقائق
التوحيد وعند ذلك فلا وجد ولا قصد ولا قرب ولا بعد كلا بل هو الله
الواحد القهار يعني ويظهر حينئذ معنى قول من قال ليس في الدار غيره ديار
الله نزل احسن الحديث اي ما يحدث به ويشرح صدر العبد بسببه وهو
القرآن العظيم والفرقان الكريم كتابا جامعا للمعاني متشابها في المباني
مثاني فيه احوال الداني والقاصي والمطيع والعاصي او مشتملا على نوعي
الثنا بذكر سلطانه واحسانه وصفة الجنة والنار والوعد والوعيد للابرار
والفجار تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تضطرب وترتعد خوفا
مما فيه من الوعيد بالعقوبة ثم تلين جلودهم وقلوبهم اي تسكن وتطمئن
الى ذكر الله في وعده بالرحمة وعموم المغفرة وقال الاستاذ تقشعر وتلين بالخوف
والرجاء ويقال بالقبض والبسط ويقال بالهيبة والانس ويقال بالتجلي
والاستتار اقول وقد يقال بالفناء والبقاء ويقال بالمحو والصحو ويقال بالسكر
والشكر ويقال بالفرق والجمع ويقال بالغفلة والحضور ويقال بالشعور
والغيبة ونحو ذلك مما يصح ان يقال هنالك عباراتنا شتى وحسنك واحد
وكل الى ذاك الجمال يشير ذلك اي الكتاب المعروف او الحال الموصوف هدى الله
يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل الله اي ومن يخذله ويشاء ضلالته

فماله

فماله من هاد يخرجه من غوايته في بدايته او نهايته افمن يتقي بوجهه يجعله
درقة لانه يتقي به نفسه حيث يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقي
الا بوجهه سوء العذاب يوم القيمة كمن هو امن من مقاربة العقوبة وقيل
للظالمين وذلك الحين ذوقوا ما كنتم تكسبون اي سوء وباله وقبح ماله
كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي
لا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها في حالهم فاذاقهم الله الخزي الذل
والمهانة بغتة في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي والاجلا
ولعذاب الآخرة اكبر من ذلك واكثر خزيا لشدته ودوام مدته لو كانوا
يعلمون ذلك لاعتبروا بما هنالك وافاد الاستاذ ان اشد العذاب
ما يكون بغتة كما ان اتم السرور ما يكون فلتة ومن الهجران والفراق
ما يكون فجاءة غير متوقعة وهو انكد للفؤاد واشده في التأثير واوجع
للقلب وفي معناه قلنا • فبتنا بخير والدنا مطمئنة • واصبحت يوما والزمان
تقلبا • واتم السرور واعظمه تأثيرا في الصدور ما يكون فجاءة حتى قال قائلهم
اشد السرور فقلة على غفلة اي رجعة في حال جذبة ومنه قولهم جذبة
من جذبات الحق توازي عمل الثقلين وفي معناه انشدوا شعر
بينما خاطر المنى بالتلاقي • سابح في فؤاده وفؤادي • جمع الله بيننا فالتقينا
هكذا بغتة بلا ميعاد • ولقد ضربنا للناس بيّنا لهم في هذا القرآن من كل
مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه وتحقيق يقينه لعلهم يتذكرون يتعظون
به ويتفكرون في مصدره ومورده وينتفعون بما هو المقصود من ذكره
قرآنا عربيا منصوب على المدح اي مقروا غريب المعاني عربي المباني غير
ذي عوج لا اختلاف في مبانيه ولا اختلاف في معانيه لعلهم يتقون
لكي يتقوا ما ينافيه ويتبعوا ما فيه من اوامره ونواهيه قال ابن [illegible] في قوله
غير ذي عوج اي غير مخلوق كذا في تفسير السلمي ولعله اشار الى مضمون قوله
تعالى افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا وهذا ما وجد احد فيه اختلافا يسيرا فدل على انه من عنده وانه كلامه
لا كلام غيره لان المخلوق من حيث هو لا يخلو من نقص في وصفه ضرب الله
مثلا اي بين مثلا للمشرك والموحد وابدل منه رجلا فيه شركاء متشاكسون
متخالفون متنازعون ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه طريقه
من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه
ويتداولونه في خدمته على وفق مهامهم المختلفة في تحيره وتشتت فكره
وتوزع امره وتضييق صدره ومثل الموحد بمن خلص لواحد في ملازمته

ليس لغيره عليه سبيل في مطالبته وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين
وهو مصدر نعت به مبالغة هل يستويان اي الرجلان او المثلان مثلا اي صفة
وحالا الحمد لله لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات على ما عداه
بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره من غلبة جهالتهم وقوة ضلالتهم قال
ابن عطا لا يعلمون ما لهم في حمد الله من الذخر والفخر وقال جعفر لا يعلمون ان
احدا من عباده لم يبلغ الواجب من حمده انك ميت وانهم ميتون ستموت
وغيرك ايضا من المؤمن والكافر يموتون ثم انكم على تغليب المخاطب
على الغيب يوم القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك اجتهدت في
التبليغ والارشاد وانهم لجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل
مثل اطعنا سادتنا وكبراءنا وانا وجدنا آباءنا او المراد به الاختصام العام
فيما دار بينهم في الدنيا بقصد الانتقام في ذلك المقام قال ابن عطا انك
ميت عما هم فيه من الاشتغال بالدنيا وانهم ميتون عما كوشفت
به من حقايق التقريب ودقايق قرب المولى وقيل انك ميت عن رؤية
الاكوان بمشاهدة المكون اي بخلاف احوال اهل الغفلة والنسيان وافاد الاستاد
ان من لم يتفرغ من ماتم نفسه وانواع همه فليس له من هذا الحديث اثر شمة فاذا
فرغ قلبه عن حديث نفسه وعن الكون بجملته فح يجد الخبر من ربه وليس هذا
الحديث يصح منهم الا بعد فنائهم عنهم فمن اظلم ممن كذب على الله افترى
عليه باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد عليه السلام
من الحق اذ جاءه من غير تفكر في امره وتوقف في دهره اليس في جهنم مثوى
للكافرين اي ذلك يكفيهم فيما يجازيهم وافاد الاستاد ان الاشارة فيه الى
من اشار الى اشياء لم يبلغها ويدعي وجود اشياء لم يذق شيئا منها وقد
قال تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ويقال
لا بل هؤلاء الكفار فاما المدعي الذي لم يبلغ ما يدعيه من حاله فليس يكذب على
ربه انما كذب على نفسه حيث ادعى لها احوالا لم تجدها ولم يذقها فاما غير المحقق
الذي يكذب على الله فهو الجاحد والمبتدع الذي يقول في صفته سبحانه ما يتقدس
ويتعالى شانه عن شانه والذي جاء بالصدق وصدق به اريد به الجنس ليدخل
الرسل والمؤمنون لقوله اولئك هم المتقون وقيل هو النبي واتباعه اجمعون
وقيل الجائي هو الرسول والمصدق ابو بكر وقيل علي على ما في الدرر وذلك يقتضي اضمار
الذي وهو جائز عند الاخفش والكوفيين خلافا للبصريين قال ابو سعيد الخراز الصدق
منزلة يبلغ الآمل مأموله وقال الاستاد جاء بالصدق في افعاله من حيث الاخلاص
وفي احواله من حيث الصدق وفي اسراره من حيث الحقيقة لهم ما يشاؤن من النعم عند

ربهم

ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين في الطاعة وقال الاستاد لما سلموا له المشية
واستيقنوا بان الله يفعل ما يشاء سلم لهم المشية غدا فقال لهم ما يشاؤن
عند ربهم ثم ظاهر هذا الخطاب ان يرى ربه كل وقت اراده ثم لا يريد دوام الرؤية
اي سلب عنه هذه الارادة ليتم اللذات المعتادة ليكفر الله عنهم اي ليغفر لهم
ويستر عنهم اسوء الذي عملوا خص الاسوء للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى
بذلك في العادة او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب الصادرة عنهم
يحسبون ان ما فرط منهم من الصغاير اسوء ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى
السيء وانما لم يؤت به لئلا يتوهم عدم مغفرة الاسواء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم
ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة
الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها وافاد الاستاد ان من لا يكون مؤمنا فليس من
اهل هذه الجملة ومن كان معه ايمان فاذا كفر عنه اسوء عمله واسوء اعماله كبائره
فاذا غفرت يجزيهم باحسن اعمالهم واحسن اعمال المؤمن الايمان والمغفرة فان
كان المؤمن موقتا كان ثوابه موقتا والا فليس كذلك واذا كان الايمان على
الدوام فثوابه على الدوام ثم يجب اي بمقتضى الوعد ان يكون على احسن الاعمال
احسن الثواب واحسن الثواب الرؤية فيجب ان يكون على الدوام وهذا استدلال
قوي في المرام اقول الظاهر ان المراد باحسن الاعمال جنس الاحوال من الايمان
وغيره من الاقوال والافعال وكذا احسن الثواب جنس يترتب على ما ذكر
في هذا الباب ولذا قال بعض المحققين ان الرؤية في العقبى انما هي بقدر المعرفة
وحالة المراقبة والمحاضرة والمشاهدة في الدنيا اليس الله بكاف عبده اي
رسوله ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده ويخوفونك
بالذين من دونه حيث قال قريش له انا نخاف ان تخبلك آلهتنا لعيبك
اياها ومن يضلل الله حتى غفل عن كفايته وخوفه بما لا ينفع ولا يضر بحسب
ذاته فما له من هاد يهديه الى رشاد ومن يهد الله فاكتفى بكفايته ورعايته
فما له من مضل عن طريق هدايته اذ لا راد لفضله ولا معقب لحكمه كما قال اليس الله
بعزيز غالب منيع بديع ذي انتقام من اعدائه لاحبائه قال ابو بكر بن طاهر
من لم يكتف بربه بعد قوله اليس الله بكاف عبده فهو في درجة الهالكين وافاد
الاستاد ان الله كاف عبده اليوم في عرفانه بتصحيح ايمانه وغدا في غفرانه وما
بينهما بكفاية تامة وسلامة عامة ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله اذ لا جواب لهم سواه قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اي ما تعبدونه
ما سواه ان ارادني الله بضر بمضرة من محنة ومشقة ومرض وفاقة هل هن
كاشفات ضره هل هن يكشفنه ويرفعنه عني او ارادني برحمة بنعمة من صحة

وسعة وراحة هل هن ممسكات رحمته فيمنعها مني وقرأ ابو عمرو بتنوين كاشفات
وممسكات ونصب ضره ورحمته قل حسبي الله كاف في اصابة الخير ودفع الضر اذ
تقرر انه القادر الذي لا مانع لما يريده من الخير او الشر عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم
بانه لا منع ولا دفع ولا ابلاء ولا عطاء الا منه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم وقرأ ابو بكر
على مكاناتكم اي حالاتكم ومراتب مقاماتكم اني عامل على مكانتي بقدر حالتي فسوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه اي يهينه ويهلكه ويرد به في الدنيا ويحل عليه عذاب
مقيم دائم وهو عقاب العقبى وقال الاستاذ سوف ينكشف رجحاننا
وخسرانكم وسوف يظهر زيادتنا ونقصانكم وسوف نطالبكم ولا جواب لكم
ونغافلكم ولا شفيع لكم وندمر عليكم فلا صريخ لكم ولا مغيث لديكم انا انزلنا عليك
الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في معاشهم ومعادهم بالحق
ملتبسا بالصدق قال سهل ليهتدوا بالحق الى الحق فمن اهتدى فلنفسه
اذ نفع به نفسه في حالها ومآلها ومن ضل فانما يضل عليها فان وبالها
لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل ما وكل اليك امرهم لتجبرهم على الهداية وانما
امرت بالتبليغ وقد بلغت وفي النصيحة بالغت وافاد الاستاذ ان من
احسن فاحسانه الى نفسه اكتسبه ومن اساء فبلاؤه الى نفسه جلبه والحق
غني عن التجمل بطاعة من اقبل والتنقص بزلة من اعرض الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها عن الابدان جميعها بان
يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او
ظاهرا لا باطنا وهو في حالة النوم فيمسك التي قضى اي قدر وحكم عليها الموت
ولا يردها الى بدنها وقرأ حمزة والكسائي بضم القاف وكسر الضاد ورفع
الموت ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند يقظتها الى اجل مسمى وهو الوقت
المضروب لموته وقد روي عن ابن عباس رض ان في ابن آدم نفسا وروحا
بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها
النفس والحيوة فتتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم
وعن علي رض انه قال يخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك
يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده باسرع من لحظة وقال
سهل ان الله تعالى اذا توفى الانفس اخرج الروح النوري من لطيف نفس
الروح فالنائم يتنفس نفسا لطيفا وهو نفس الروح الذي اذا زال لم يكن
للعبد حركة وكان ميتا وقال حيوة نفس الطبيعي بنور لطيف الروح وحيوة
لطيف نفس الروح بذكر الله وقال ايضا الروح يقوم بلطيفة في ذاتها
بغير نفس الطبع الا ترى ان الله خاطب الكل في الذر بنفس الروح مع

فهم وعقل

فهم وعقل وعلم لطيف بلا حضور طبع كثيف ان في ذلك اي فيما ذكر من
التوفي والامساك والارسال لآيات لدلالات على كمال قدرته وجمال حكمته
وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية
حين الموت وامساكها باقية ولو صارت ابدانها فانية وما يعتريها من السعادة
والاحوال وفي الحكمة في توفيها عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفي
آجالها وافاد الاستاذ ان قبض الارواح في حال النوم باخراج اللطيفة التي في
البدن وهي الروح ويخلق بدل الاستشعار العلم الغفلة والغيبة في محال
الاحساس والادراك ثم اذا قبض الارواح عند الموت خلق في اجزائه الموت
بدل الحيوة والموت ينافي الاحساس والعلم واذا رد الارواح بعد النوم
الى الاشباح خلق الادراك في محل الاستشعار فيصير مستيقظا والارواح
اذا قبضها الله في حال النوم فقد وردت الاخبار ان لها مراتب وان الارواح
يقبض على الطهارة ترجع الى العرش وتسجد لله سبحانه ويكون لها تعريفات
ومخاطبات والله اعلم ام اتخذوا بل اتخذ المشركون من دون الله شفعاء
تشفع لهم عند الله على زعمهم قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اي أيشفعون
ولو كانوا كما يشاهدون جمادات لا يقدرون ولا يعلمون قل لله الشفاعة
جميعا اي هو مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة ولا يستقل بها
له ملك السموات والارض اي انه مالك الملك لا يملك احد ان يتكلم في امره
دون اذنه وحكمه ثم اليه ترجعون الى موافاة جزائه قال الواسطي قطع اطماع
العباد اجمع عنه ان يصل احد اليه الا به لقوله قل لله الشفاعة جميعا واذا
ذكر الله وحده دون آلهتهم معه اشمأزت نفرت وانقبضت قلوب
الذين لا يؤمنون بالآخرة وما يتعلق بها من التوحيد والنبوة واذا ذكر
الذين من دونه من صنم وغيره اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم به ولعله
بولغ في الامرين غاية المبالغة في بيان العبارة فان الاستبشار ان يمتلي
القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه والاشمئزاز ان يمتلي غما حتى
ينقبض اديم وجهه والعامل في اذا المفاجاة قال ابو عثمان كل قلب لا يعرف
الله فانه لا يأنس بذكره ولا يسكن اليه ولا يفرح به قل اللهم فاطر السموات
والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون افاد الاستاذ انه سبحانه اوحى اليه وعلمه كيف يثني عليه والآية
تشتمل على الاشارة الى البيان بما فيه التنصل والتذلل وابتغاء العفو
والتفضل وتحقيق الالتجاء بحسن التوكل ولو ان للذين ظلموا اي لكل
نفس ظلمت ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم

الغيبة اقناط كلي لهم من الخلاص ووعيد شديد لعدم تصور المناص وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون زيادة مبالغة في الوعيد وهو نظير قوله سبحانه
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين في الوعد قيل من اعتمد الفضل نجا
ومن اعتمد العمل بدا له منه الهلاك وقال الاستاد لا فتدوا به ثم لم يقبل منهم
واليوم لو تصدقوا بمثقال ذرة لقبل منهم كما انهم لو بكوا في الآخرة بالدماء
لا يرحم عليهم ذلك البكاء وبدمعة واحدة اليوم يمحى كثير من دواوينهم وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون في سماع هذه الآية حسرات لاصحاب الانتباه
ففي بعض الاخبار ان قوما من المسلمين من اصحاب الذنوب يؤمر بهم الى النار
فاذا وافوها يقول مالك من انتم فان الذين جاؤا قبلكم من اهل النار وجوههم
كانت مسودة وعيونهم مزرقة وانتم لستم بتلك الصفة فيقولون ونحن لم
نتوقع ان نلقاك وانما انتظرنا شيئا آخر هنالك وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم حين تعرض صحائف
احوالهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون واحاط بهم جزاء استهزائهم فاذا
مس الانسان ضر بلية مجازاة لاعماله وامتحانا لاحواله دعانا اخبار
عن الجنس بما يغلب فيه من تقلبه قلبه في مقابلة حكم ربه قال جنيد من يرى
البلاء خيرا فليس بعارف اذ العارف من يرى الضر على نفسه رحمة ثم اذا
خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا من عندنا قال انما اوتيته على علم على معرفة
مني بوجوه كسبه والهاء لما ان جعلت موصولة لا كافة والا فللنعمة والتذكير
لان المراد بها الانعام بل هي فتنة امتحان له ايشكر ام يكفر وتأنيث الضمير
باعتبار الخبر او لفظ النعمة ولكن اكثرهم لا يعلمون حقيقة القضية قد قالها
اي هذه الكلمة او الجملة المتقدمة الذين من قبلهم كقارون وامثاله ممن اغتر
بكثرة ماله فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا عند ظهور هلاك
العقبى فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاؤها والذين ظلموا من هؤلاء
المشركين الموجودين سيصيبهم سيئات ما كسبوا فانهم قحطوا سبع سنين
وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين فائتين اولم يعلموا ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر حيث ضيق عليهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا
ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من الله وان لا متصرف
في الكون سواه وقال الاستاد اولم يروا كيف خالف بين احوال الناس
في الرزق فموسع عليه رزقه ومضيق وليس لواحد منهم شيء مما خص به من التقتير
والتكثير قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا عليها في الجناية
بالاسراف في المعصية لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر

الذنوب

الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم الظاهر ان الخطاب للكفرة وان عموم
المغفرة لما يترتب على الايمان من الكفارة لئلا ينافي بعمومه قوله تعالى ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء ولا يناقض ما صح في الاخبار من عذاب جمع من المؤمنين
في النار ولما روي في سبب نزوله على ما رواه الطبراني والبيهقي من ان اهل
مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف
ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا الانفس ولقوله تعالى وانيبوا الى ربكم
اي وتوبوا اليه واسلموا له اي بقلوبكم وانقادوا بجوارحكم من قبل ان يأتيكم
العذاب ثم لا تنصرون اوالآية عامة الا ان عموم المغفرة يقيد بالتوبة الشاملة
للكفر والمعصية وما ابعد من قال انه يغفر بلا توبة ولو بعد العقوبة قال
الحريري امر الله عباده ان لا يعتمدوا على اعمالهم ولا يقنطوا من التقصير
في احوالهم فان العناية والرعاية سبقت العباد اي على وفق المشية
وقال سهل في قوله تعالى انيبوا الى ربكم ارجعوا اليه بالتضرع والدعاء والمسئلة
والثناء واسلموا له فوضوا الامر اليه وقال محمد بن علي اعتذروا اليه مما سلف
منكم من التقصير واخلصوا على دوام الموافقة بعدها وافاد الاستاد ان التسمية
بيا عبادي مدح والوصف بانهم اسرفوا ذم فلما قال قل يا عبادي طمع المطيعون
ولم يكونوا هم المقصودين بالآية فرفعوا رؤسهم ونكس العاصي رأسه وقال من انا
حتى يقول لي هذا فقال الله الذين اسرفوا فانقلب الحال فهؤلاء الذين نكسوا
رؤسهم انتعشوا وزالت مذلتهم والذين رفعوا رؤسهم اطرقوا وزالت
صولتهم ثم ازال الاعجوبة عن القصة بما قوى رجاءهم بقوله على انفسهم يعني
ان اسرفت فعلى نفسك اسرفت يعني لا يضرني بكبرائك لا تقنطوا من رحمة الله
بعد ما قطعت اختلافك الى بابنا فلا ترفع قلبك عن جنابنا وقوله ان الله
يغفر الذنوب الالف واللام للاستغراق والعموم وذنوب جمع وجميعا
تأكيد فكأنه قال اغفر ولا اترك واعفو ولا ابقي ويقال ان كانت لكم جناية
عميمة فلي بشأنكم عناية قديمة ثم الانابة هي الرجوع بالكلية وقيل الفرق بين
الانابة والتوبة ان التائب يرجع خوف العقوبة وصاحب الانابة يرجع
استحياء لكرمه المشهور بين الصوفية في الفرق بين التوبة والانابة ان
الاولى من المعصية والثانية عن الغفلة والاسلام الذي هو الاخلاص بعد
الانابة ان يعلم ان نجاته بفضله لا بانابته فبفضله يصل الى انابته لا بانابته
يصل الى فضله وقيل المراد بالعذاب الفراق والحجاب ان تقول نفس
كراهة ان تقول نفس مقصرة في الطاعة يا حسرتى وقرئ بالياء على
الاصل على ما فرطت بما قصرت في جنب الله في جانبه اي في حقه وهو

طاعته او فى قربه وحضرته او فى جنب نعمته ومقابلة منته وان كنت
لمن الساخرين المستهزئين باهل عبادته قال الواسطى من قصد فى مقصود
غير الحق فقد عظمت استهانته للحق وقال سهل من ترك مراعاة حق الله
وملازمة خدمته واشتغل بعاجل الدنيا من متابعة النفس ولذة هواه
فقد ضيع فى جنب الله اى فى ذاته من القصد اليه والاعتماد عليه وقال
فارس من هرب منى لاحرقته اى من هرب منى الى نفسه احرقته بالتأسف
بالتأسف على فوتى اذا شاهد غدا مقامات اهل معرفتى ويدل عليه قوله
يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله وهذا لا يقوله الا محترق كذا فى تفسير السلمى
او تقول لو ان الله هدانى الى الايمان والاحسان لكنت من المتقين
للعصيان او تقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة اى رجعة الى الدنيا
فاكون من المحسنين فى العقيدة والعمل النافع فى العقبى بلى قد جاءتك
آياتى فكذبت بها واستكبرت على من بينها وكنت من الكافرين اى صرت
ممن اصر على الكفر بها او كنت فى علم الله من الكافرين فلم يحصل لك منفعة
فيها وافاد الاستاد انه يقال هذا فى اقوام يرون بعض امثالهم قد تقدموا
عليهم فى علو احوالهم فتذكروا ما سلف من تقصيرهم ورأوا ما فوق اولئك
من توفيرهم فيعضون بنواجذ الحسرة على انامل الخيبة ويوم القيمة ترى الذين
كذبوا على الله باثبات الولد والشريك له وجوههم مسودة بما ينالهم
من الظلمة والشدة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين عن الايمان والطاعة
قال يوسف بن الحسين اشد الناس عذابا يوم القيمة من ادعى فى الله
ما لم يكن له او اظهر من حال هو خال عنه قال الله ويوم القيمة ترى الذين كذبوا
على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله ولم يكونوا صادقين
فى دعواه وافاد الاستاد ان هؤلاء هم الذين ادعوا احوالا ولم يصدقوا فيها
واظهروا المحبة ولم يتحققوا بها وكفاهم افتضاحا بذلك صباحا ورواحا
ولما ادعيت الحب قالت كذبتنى * فما لى ارى الاعضاء منك كواسيا *
فما الحب حتى تنزف الدمع بالبكا * وتخرس حتى لا تجيب المناديا *
وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم بسبب فلاحهم من ايمانهم وصلاح اعمالهم
مفعلة من الفوز وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع مراعاة للمضاف اليه
لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون قال الواسطى ينجيهم بما سبق لهم من الفوز
بالسعادة لا يمسهم السوء زوال النعمة ولا هم يحزنون على فوت المنة وافاد
الاستاد انه سبحانه نجاهم اليوم عن المخالفات حفظهم غدا عن العقوبات
فالمتقون فازوا بسعادة الدارين اليوم عصمة وغدا نعمة واليوم عناية وغدا

حماية

حماية الله خالق كل شىء من خير وشر وايمان وكفر وهو على كل شىء وكيل يتولى
التصرف فيه بما يشاء منه قال الحسين كل ما اراد الله به الاهانة والمذلة البسه
لبسة المخلوقية الا ترى كيف نزه عن ذلك صفاته وكلامه فالله خالق كل شىء
والمخلوقات ليس لها عز الا بالنسبة الى خلقته وافاد الاستاد ان اكتساب
العباد دخل فى هذه الجملة ولا يدخل كلامه فيه لان المخاطب لا يدخل تحت الخطاب
ولا صفاته له مقاليد السموات والارض مفاتيح امرها من خيرها وشرها ولا يتمكن
غيره من التصرف فيها باجمعها وعن عثمان بن عفان انه سأل النبى عليه السلام
عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده
واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر
والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير رواه الطبرانى
وغيره بسند ضعيف والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد
وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه خيرهما وقال
سهل بيده مفاتيح القلوب يوفق من يشاء للطاعة وخدمته ويصرف
من يشاء عن بابه وحضرته وافاد الاستاد ان المراد منه انه قادر على جميع
المقدورات فما يريد ان يوجده اوجده من الكائنات والذين كفروا بآيات الله
دلائل قدرته وشواهد حكمته او بكلمات توحيده وتمجيده اولئك هم الخاسرون
فى جميع الازمان لخسرانهم رأس مالهم من الايمان وحرمانهم من ربح حالهم
من العرفان قل افغير الله تأمرونى وقرأ نافع بالتخفيف وابن عامر تأمروننى
اعبد ايها الجاهلون اى أبعد هذه الدلائل تأمرونى بعبادة غيره ايها الجاهلون
بوصفه وامره قال ابو عثمان عبادة الله على الاخلاص ينفى عن صاحبها
الجهل قلت لان الاخلاص انما ينشأ عن غاية المعرفة وترك العبادة
او ممزوجة بالرياء والسمعة ينشأ عن نهاية الجهالة وقال الاستاد اى متى
يكون لكم طمع فى ان اعبد غيره وبتوحيده ربانى وبتفريده غذانى وشراب
حبه سقانى ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك من الانبياء والرسل
لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فى الملك كلام على سبيل
الفرض والتقدير وافراد الخطاب باعتبار كل واحد فى التعبير والمراد
به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة قال ابن عطا
لئن طالعت غيرى لتحرمن حظك من قربى وامرى وقال جعفر لئن نظرت
الى من سواه لتحرمن فى الآخرة لقاه بل الله فاعبد لا غيره وكن من
الشاكرين لانعامه قيل حقيقة العبودية تسليم الامور للربوبية وما
قدروا الله حق قدره اى ما عرفوه حق معرفته وما عظموه حق عظمته حيث

جعلوا له شريكا فى ذاته او وصفوه بما لا يليق به من صفاته والارض جميعا
اى بطبقاته قبضته مقبوضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه
تنبيه على جلال عظمته وكمال قدرته سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد من هذه
صفاته عن اشراكهم بمخلوقاته قال جنيد متى كانت منشورة حتى صارت مطوية
سبحانه نفى عن نفسه ما يقع فى العقول من طيها ونشرها اذ كل الكون كحبة
خردلة او جناح بعوضة او اقل من ذلك كذلك قوله قائم على كل نفس يستحيل
قيامه على هذا الكون الذى لا يزن ذرة عنده بل قيامه بنفسه لنفسه وقال الاستاد
ما وصفوه حق وصفه لمن اتصف بتمثيل او جنح الى تعطيل حاد عن السنن
المثلى وانحرف عن الطريقة الحسنى وصفوا الحق بالاعضاء وتوهموا نعته
الاجزاء فما قدروه حق قدره فالخلق فى قبضة قدرته والسموات مطويات
بيمين قوته ولا بد فى نعمته اقسم ان يعينها ويطويها سبحانه تنزيها له عما اشركوا
فى صفته ونفخ فى الصور نفخة اولى فصعق من فى السموات ومن فى الارض
خر ميتا الا من شاء الله قيل جبرائيل وميكائيل واسرافيل فانهم
يموتون بعد ذلك وقيل حملة العرش والمقربون هنالك ثم نفخ فيه اخرى
نفخة اخرى فاذا هم اى الخلق كلهم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون
فى امورهم ينظرون فى جوانبهم او ينتظرون ما يفعل بهم وافاد الاستاد
ان فى هذه النفخة الاولى يموتون ثم فى النفخة الثانية يحشرون والنفختان
متى نستان فيخلق الله عند احديهما ازهاق الارواح وفى الاخرى منهما
احياء الاشباح ليعلم ان النفخة لا تعمل شيئا بعينها وانما الجبار بقدرته
يخلق ما يشاء ويحكم ما يريد بعزته واشرقت الارض بنور ربها بما اقام من العدل
فيها كما فى حديث الشيخين الظلم ظلمات يوم القيمة او بسبب نور ربها فى قلوب
اهلها من المؤمنين ويؤيده قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
اى نورا يا نهم بين ايديهم وبايمانهم وقال سهل قلوب المؤمنين يوم القيمة
تشرق بتوحيد سيدهم والاقتداء بسنة نبيهم وقال القاسم اشرقت الارض
باولياء الله فهم انوار الله وقال الاستاد نور يخلقه الله فى القيمة فتشرق القيمة
به وذلك عند تكوير الشمس وانكدار النجوم وذلك الاشراق والنور يستضئ به
قوم دون قوم والكفار يبقون فى الظلمات والمؤمنون نورهم يسعى بين ايديهم
ويقال اليوم اشراق وغدا اشراق غدا فى القيمة اشراق الارض واليوم اشراق
القلب غدا اشراق الارض بنور ربها واليوم اشراق القلوب بحضورها
عند ربها ويقال غدا انوار التولى للمؤمنين واليوم انوار التجلى للعارفين
ووضع الكتاب للجزاء والحسنات او صحائف الاعمال فى ايدى العمال وقيل

اللوح المحفوظ يقابل به صحائف اعمال العباد فتطابقه من غير زيادة ولا نقصان
فى جميع المواد وجئ بالنبيين اى والمرسلين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة
والمؤمنين وقيل اراد بهم المستشهدين وفى معناهم العلماء العاملين والاولياء من ارباب
الشهود واليقين وقضى بينهم بين الخلق بالحق بالعدل والصدق وهم لا يظلمون
بنقص ثواب وزيادة عقاب ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه ان كان خيرا
فخيرا وان كان شرا فشرا وهو اعلم بما يفعلون اى بافعالهم وما يترتب عليها من الجزاء
وفى احوالهم وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها فى اثر بعض
بمراتب مختلفة على تفاوت اقدامهم فى الضلالة والشرارة حتى اذا جاؤها فتحت
ابوابها ليشتموا حدة ريحها ويدركوا شدة نوحها وقرأ الكوفيون بالتخفيف هنا وفيما
بعدها وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم
آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على
الكافرين وهى قوله تعالى لاملئن جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا
ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين عن قبول الدين او على اهل
الحق واليقين وفيه تنبيه على ان تكبرهم وسائر قبائحهم سببه عن الحكم عليهم
بشقائهم ففى الحديث ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل
الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق العبد
النار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به
النار وافاد الاستاد ان الكفار يساقون الى النار عنفا والمؤمنون يساقون
الى الجنة لطفا فالسوق يجمع الجنسين ولكن شتان بين سوق وسوق
الى المكانين فاذا جاء الكفار قابلهم خزنة النار بالترهيب والتانيب
فلا تكريم ولا تعظيم ولا سؤال ولا استقبال بل خزى وهوان ومن كل جنس
من العذاب الوان وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم الى
دار الكرامة ومحل السلامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم على اقدامهم
زمرا على تفاوت احوالهم وافاد الاستاد انه سوق ولكن بغير تعب
ولا نصب سوق ولكن بروح وطرب وقوله زمرا جماعات هؤلاء عوام الجنة
وفوق هؤلاء قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وفوقهم من قال وازلفت
الجنة للمتقين غير بعيد ففرق بين من يساق الى الجنة وبين من يقرب
منه على سبيل الجنة هؤلاء الظالمون والآخرون المقتصدون والآخرون
السابقون حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب اذا للدلالة
على ان لهم ثم من الكرامة ما لا يحيط به العبارة وان ابواب الجنة تفتح لهم
قبل مجيئهم تعظيما لقدومهم وافاد الاستاد انهم اذا وافوا الجنة يكون الابواب

مفتحة لئلا يصيبهم وصب الانتظار وما فيه من المحنة ويقال اذا كان حديث الجنة فالواجب ان يبادر اليها ولا يحتاج الى ان يساق لها ولعل هؤلاء لا رغبة لهم في الجنة بالكثرة فلهم معه في الطريق طيب قلبا ساقون الى الجنة ولكن بلطف دون عنف وقال لهم خزنتها سلام عليكم لا يلحق بكم مكروه اليكم طبتم طهرتم من ادناس وارجاس كانت لديكم فادخلوها خالدين مقدرين الخلود فيها قال ابن عطا السلام في الجنة من وجوه منهم من يسلم عليهم خزنة الجنة يقولون سلام عليكم طبتم وهؤلاء ادناهم ومنهم من يكون سلامه من الملائكة بقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ومنهم من يكون له سلام من الحق سبحانه بقوله سلام قولا من رب رحيم وهم ارفعهم درجة اقول ولا يبعد ان يحصل لبعضهم هذه الجملة وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والمثوبة واورثنا الارض ارض الجنة نتبوأ من الجنة حيث نشاء بادخال الجنة واكمال المنة فنعم اجر العاملين الجنة ودرجاتها العلية وافاد الاستاد ان هؤلاء اقوام مخصوصون والذين هم اهل العرف قوم آخرون وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش ومن زائدة او ابتدائية يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده وثنائه والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله وجماله تلذذا بنعوت كماله وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين من الخلق هو الاستغراق في ذكر الحق قال ابو علي الجرجاني ما تقرب احد اليه بالافتقار والعبودية والتذلل والتنزيه للربوبية من كل ما نسب اليه مما لا يليق اطلاقه عليه الا الى ترى الى مقام الملائكة مع كمال قربهم يحفون بالعرش يسبحون بحمد ربهم وذلك غاية عباداتهم ونهاية لذاتهم وقضي بينهم بين الخلق بالحق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة حسب دركاتهم ودرجاتهم او بين باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين على ما قضى بيننا او على ما هدانا او وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين على حوالنا في دنيانا وآخرتنا

سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله كلمة من تحقق بها شرف من الحق مناله وصفت عنده احواله خلع على نفسه رداء الافضال والبس قلبه حلل الاقبال وافرد روحه بروح لطف الجمال واستخلص سره بكشف وصف الجلال حم امال حاء ابن عامر وحمزة والكسائي محضا وورش وابو عمرو بين بين ولا يبعد ان يكون في الحاء والياء الى بعض الاسماء كالحميد وفي الميم اشارة الى بعضها كالمجيد او بهما يشار الى شطر الاول من الحميد والى طرفي حرفي الحكيم وافاد الاستاد ان في التفسير حم الامر كان اي قضي ويقال بجلي ومجدي لا اخلق في النار من امن بي ويقال هذه حروف تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم اي البالغ في القدرة الكاملة والحكمة البالغة الشاملة قال سهل الحي الملك هو الذي انزل عليك الكتاب وهو الذي

وله

وله به قلوب العارفين العزيز عن درك الخلق العليم بما شاء وقدر وقال الاستاد اي المعز لاوليائه العليم بما كان ويكون منهم فلم يمنعه علمه عما سلف لهم من قضائه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب اي منتقم بالعدل ذي الطول صاحب سعة الفضل وقيل ذي الغنى عن الكل وفي اجراء هذه الصفات على هذا النسق والترتيب ايماء الى تحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب وفي افراد نعت العقوبة مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته اليه المصير المرجع لمجازاته فيجازي المحسن والمسيء بحسب حالاته وقيل اذا كان اليه المصير فقد طاب المسير قال بعضهم غافر الذنب كرما وقابل التوب فضلا شديد العقاب للكافرين والجاحدين والمنافقين اليه المصير يصل الظالم بجوده الى رحمته ويصل المقتصد بفضله الى رضوانه ويصل السابق بمنه وكرمه الى وجهه الكريم وقال الاستاد كتاب معنون بقبول توبته لعباده علم ان العاصي منكسر القلب فازال عنه الانكسار بان قدم بنصيبه فقدا سمه على قبول التوبة فسكن قلوبهم بوصفين يوجبان الرجاء وهو قوله غافر الذنب وقابل التوب ثم عقبهما بقوله شديد العقاب ثم لم يرض حتى قال بعده ذي الطول فيقابل قوله شديد العقاب وقوله ذي الطول وسبق قوله غافر الذنب وقابل التوب ويقال غافر الذنب لمن اصر واجترم وقابل التوب لمن اقر وندم شديد العقاب لمن جحد وعند ذي الطول لمن عرف ووجد ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا بالطعن فيها والصد عنها دون الجدال لتبيين مبانيها وظهور معانيها وتاويل ما نبا فيها ولذا وردان جدالا في القرآن بالتنكير على ما رواه البيهقي وغيره وقال سهل هو المجادلة في الذات دون الفروع والمحكومات فلا يغررك تقلبهم في البلاد امهالهم في دنياهم واقبالهم على هواهم فانهم عن قريب ماخوذون بفعلهم كمن قبلهم وافاد الاستاد انه اذا ظهر البرهان واتضح البيان استسلمت الالباب الصاحية لاستيلائهم والايمان فاما الكفار فلهم على الجحود اصرار وشوم شركهم بالاعتساف يحول بينهم وبين الانصاف وكذلك من لا يحترم اولياء الله يصرون على انكارهم تخصيص الله عباده بالآيات الواردة في اسرارهم ويعترضون عليهم بقلوبهم في حلول انوارهم فيجادلون في جحد الكرامات ويستفضحونهم كثيرا من الاوقات والحالات ولكن لا يميزون بين رجحانهم ونقصانهم كذبت قبلهم قوم نوح برسولهم والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا

على الرسل واجتمعوا على حزبهم كعاد وثمود وحزبهم وافقوهم فى تكذيبهم وهمت
كل امة من هؤلاء الجماعة برسولهم ليأخذوه ليعاقبوه وجادلوا بالباطل
لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهمهم بسيلهم
فكيف كان عقاب عقابى لهم فانكم تمرون على ديارهم وترون اثار دمارهم
وهو تقرير على تعذيب فيه نوع تعجيب وقال الاستاد كذلك من انقرض من الكفار
فيمن قبلهم كان التكذيب للرسل دأبهم والله انتقم منهم وعلى كفرهم اخذهم
والمنكر لهذا الطريق بانكاره يفوتهم ان يتقرب به الى الله وبعد قيعة فى ادبار تلك
من جملة احسانه وجيرانه والله فى العاجل يجذبهم بتخليتهم فيما هم فيه وصد قلبهم
عن هذه المعانى وحرمهم وكذلك حقت كلمة ربك وقضاؤه بالعذاب على الذين
كفروا اى اصروا على الكفر ووقعوا فى الحجاب انهم اصحاب النار بدل من كلمة
ربك بدل الكل وقال الاستاد اذا الحكم على عبد حكم الله بشقاوته فلا ينفعه
كثرة ما يورد عليه من النصح فى حالته ومن اسرته يد الشقاوة فلا يخلصه من مخلبها
الجهد والسعاية الذين يحملون العرش ومن حوله اى ومن يكون حوله من الحافين
وهم اعلى طبقات الملئكة المقربين يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بصفات
الكمال من نعوت الجلال والجمال ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله
وتعظيما لاهله كما يشير اليه بقوله ويستغفرون للذين آمنوا واشعارا بان
حملة العرش وسكان الفرش سواء فى معرفته ردا على المجسم فى مقالته ثم استغفارهم
لهم الشفاعة وحملهم على التوبة والهامهم يوجب المغفرة وفيه تنبيه ان المشاركة
فى صفة الايمان توجب النصيحة والشفقة والمرحمة كما قال تعالى انما المؤمنون
اخوة ربنا يقولون يا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما اى وسعت رحمتك
وعلمك كل شئ من خلقك وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا
باعتبار السابق واللاحق فى القضية فاغفر للذين تابوا عن الشرك والمعصية
واتبعوا سبيلك طريقك يوصل اليك من الكتاب والسنة قال سهل هم الذين
تابوا من الغفلة والتنوا بالذكر والطاعة واتبعوا سنة المصطفى عليه
السلام على وجه المحبة وقهم عذاب الجحيم واحفظهم من عقاب الحرقة
وحجاب الفرقة وافاد الاستاد ان حملة العرش ومن حوله مامورون بالتسبيح
مع سائر الملائكة المقربين ثم بالاستغفار للمذنبين لان الاستغفار مختص
لارباب السيئات فيجتهدون فى الدعاء لهم كما فى هذه الآيات ويدعون
لهم بالنجاة ثم برفع الدرجات ثم يحيلون الامر فيه على رحمته بقوله ومن تق
السيئات يومئذ فقد رحمته فلئن سلط عليك اراذل من خلقه وهم
الشياطين فلقد قبض بشفاعتك افاضل من خلقهم من الملئكة المقربين

ربنا

ربنا وادخلهم جنات عدن اى اقامة التى وعدتهم اياها ومن صلح من ابائهم
وازواجهم وذرياتهم اى وادخلهم معهم من يصلح ان يكونوا فى درجاتهم لتتم نعمة
سرورهم ونهاية لذاتهم انك انت العزيز البديع المنيع الحكيم فى ما يظهره
من الصنيع وقهم السيئات العقوبات فى الدنيا او جزاء السيئات فى العقبى
ومن تق السيئات يومئذ اى ومن تق ارتكاب المعاصى فى الدنيا فقد رحمته
فى الاخرى وذلك هو الفوز العظيم الحاصل من فضل المولى ان الذين كفروا
ينادون يوم القيمة على رؤس الاشهاد ويقال لهم لمقت الله اياكم اكبر
اعظم واكثر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء اذ تدعون اذكروا اذ تنادون
الى الايمان فتكفرون بالداعى والمدعو قال سهل المقت غاية الابعاد من الله
تعالى عن العباد فالكفار اذا دخلوا النار مقتوا انفسهم بما راوا من البوار
ومقت الله لهم اشد عليهم من دخول النار وافاد الاستاد ان اشد العقوبات
التى يوصلها الحق اليهم اثار سخطه وغضبه عليهم واكره النقم التى يفردهم بها
اثار اعراضه عنهم فاذا عرف الكافر فى الآخرة ان ربه عليه غضبان
فلا شئ اصعب على قلبه منه فى ذلك الزمان حيث علم انه لا بكاء ينفعه ولا عناء
يزيل عنه ما هو فيه فيدفعه ولا يسمع له تضرع ولا يرجى له حيلة قالوا ربنا
امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا فى بدء احوالنا ثم صيرتنا
امواتا عند انقضاء آجالنا واحييتنا اثنتين احياءة الاولى فى الدنيا
واحياءة البعث فى العقبى كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجال والثانية
فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياءان ما فى القبور ويوم النشور
والصحيح ان لا اماتة فى القبر وانما هو انامة كما فى الصحيح من الخبر يقال
للمؤمن نم كنومة العروس واما الكافر فيحصل له غشيان بعد النفخة الاولى
كما يشير اليه قوله تعالى قالوا من بعثنا من مرقدنا واغرب الاستاد حيث
اختار القول الضعيف فى الاسناد فاعترفنا بذنوبنا اعترفوا بالمخالفة
بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا منه وهو اغترارهم بالدنيا وانكارهم
للعقبى فهل الى خروج نوع خروج من النار من سبيل طريق فنسلكه
وندخل الجنة مع الابرار وفى تفسير السلمى قال بعضهم امتنا اثنتين
السمع والبصر فحجزتنا ان نفقه الحق ونتخذ سبيل الرشد والصدق
فاعترفنا بذنوبنا انا مصرفين تحت القدرة وانت القادر علينا
بوصف القوة ذلكم اى الذى انتم فيه من حالكم بانه بسبب انه اذا دعى
الله وحده متحدا ومنفردا كفرتم بتوحيده وما شكرتم بتمجيده

وان يشرك به تؤمنوا باشراكه فالحكم لله المستحق للعبادة والقاسم لعباده
مراتب الشقاوة والسعادة العلي شانه الكبير سلطانه وافاد الاستاد
ان هؤلاء اماتتهم واحيارهم محصورة فاما اهل المحبة فلهم في كل وقت موت
وحيوة حاضرة كما قال قائلهم شعر اموت اذا فقدتك ثم احيا ٭
فكم احيا عليك وكم اموت ٭ وان الحق ابدا يرد الخواص من عباده بين
الفناء والبقاء والحيوة والممات والمحو والاثبات قلت وفي هذا
اشعار بعدم مداومة مشاهدة اللذات مع انها من اعظم اللذات هو الذي
يريكم آياته مصنوعاته الدالة على توحيد ذاته وتحقيق صفاته وينزل لكم
من السماء رزقا اسباب رزق صوري كالمطر مراعاة لمعاشكم او اسباب
رزق معنوي من الآيات القرآني والالهامات السبحاني وما يتذكر بالآيات
الالهية الا من ينيب يرجع عن الغفلة عنها بالاقبال عليها والتفكر فيها
والتأمل في مبانيها ومعانيها قال ابو بكر بن طاهر من آياته في الارض للعوام
سوق الارزاق اليهم من غير حركة منهم ولا سعي في ذلك لديهم ومن آياته
للخواص من عباده مكان اوليائه واصفيائه لمن صحبهم وتبعهم في طريقتهم
وصبر على موافقتهم كفي الاهتمام في طلب الرزق ورزق من حيث لا يحتسب
من بين الخلق قال تعالى هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا قال
ابن عطا انك لا تنظر الى شيء من الموجودات الا وهو يخاطبك بحقيقة
توحيد الذات ويدلك على تحقق الصفات وذلك ظاهر لمن تبين وكشف
له وايد بالعناية معه وافاد الاستاد انه سبحانه يريهم آيات فضله فيما
يلاطفهم ويريهم آيات قهره فيما يكاشفهم ويريهم آيات عفوه اذا
انفصلوا وآيات جوده اذا توسلوا وآيات جلاله اذا هابوا فغابوا
وآيات جماله اذا غابوا واستجابوا وينزل لكم من السماء رزقا لابدانكم وهو توفيق
المجاهدات ولقلوبكم وهو تحقيق المشاهدات ولاسراركم وهو فنون المواصلات
والزيادات ويقال ينزل من السماء ماء المطر فيحيي رياضكم وماء الرحمة
فيحيي قلوبكم وما يتذكر الا من ينيب يرجع من العادة الى العبادة ومن الشك
الى اليقين ومن الخلق الى الحق ومن الجهل الى العلم ومن النكرة الى المعرفة
فادعوا الله مخلصين له الدين اي الطاعة ولو كره الكافرون هذه الحالة
التي هي غاية الاستطاعة قال ابو عثمان الاخلاص في الدعاء هو الذي
اذا دعوته في كشف ضر فكشفه الزمت نفسك الى الابد شكره واذا
دعوته لاستجلاب خير فاعطاك الزمت نفسك لحمد الى الابد وان
لا تخص نفسك بالدعاء دون سائر المؤمنين وافاد الاستاد ان شرط

الدعاء تقديم المعرفة فتعرف من الذي تدعوه ثم تدعوه ما تحتاج اليه جملا لابد لك
منه ثم تنظر هل اعطاك ما تطلب وانت لا تدري به ثم لا تطلب ما يكون مخالفة
لامره ثم تتباعد عن سؤال الاشياء الدينية وترضى ما يختار لك مولاك
والاخلاص في الدعاء ان لا ترى الاجابة الا منه ولا ترى لنفسك استحقاق
الا بفضله وان تعلم انه ان بقيت في سؤالك عن مطلوبك الذي هو
حظك لا تبقى عن عبادة ربك الذي هو حقه فان الدعاء مخ العبادة
ومن الاخلاص في الدعاء ان تكون في حال الاضطرار لما لا يكون ابتداؤه
جرمالك ويكون ضرورتك سراية جنايتك فان ذلك يبعد من موعود
الاجابة رفيع الدرجات اي هو رافع السموات او مراتب المخلوقات
او درجات ثواب الحسنات ذو العرش صاحب العرش الذي هو اعظم
المخلوقات فهو في قبضة قدرته كاضعف المكونات وقال الاستاد اي
رافع الدرجات للعصاة بالنجاة وللمطيعين بالمثوبات وللاصفياء
والاولياء بالكرامات ولذي الحاجات بالكفايات وللعارفين بتنقيتهم
عن جميع انواع الارادات ويقال درجات المطيعين بظواهرهم في العقبى
ودرجات العارفين بقلوبهم في العقبى فرفع درجتهم عن النظر
الى المكونات وما عليها ومن الماكنة اليها واما المحبون فيرفع درجاتهم
عن ان يطلبوا في الدنيا والعقبى شيئا غير رضى المولى ويقال العرش
الذي هو قبلة الدعوات ارفع المخلوقات واعظمها جثة في المكونات
يلقي الروح من امره اي ينزل الوحي الذي هو مبداء خبره على من يشاء
من عباده اي يختاره للرسالة الى اهل بلاده لينذر اي الله او الروح
او من اختاره للنبوة يوم التلاق يوم القيمة اي ليخوف مجيئه
الشامل لاهل الوفاق والشقاق فيتلاقى فيه الارواح والاشباح
واهل العلويات والسفليات والعابدون والمعبودون والاعمال
والعمال قال ابن عطا حيوة الخلق على حسب ما القى الحق عليهم
من الروح فمنهم من القى اليه روح الرسالة ومنهم من القى اليه روح
النبوة ومنهم من القى اليه روح الصديقية ومنهم من القى
اليه روح الشهادة ومنهم من القى اليه روح الصلاح والديانة
ومنهم من القى اليه روح الحيوة ~~الحيوة~~ الحبو الخدمة والعبادة ومنهم من القى
اليه روح الهداية ومنهم من القى اليه روح الحيوة الحيوانية
فقط فهو ميت في الباطن وان كان حيا في الظاهر وقال الاستاد
روح بها ضياء ابدانهم وهو سلطان عقولهم وروح بها ضياء قلوبهم

وهو شفاء علومهم وروح بها ضياء ارواحهم والذى هو الروح روح
بقائهم بالله اى واستغنائهم عما سواه ويقال هو روح الالهام وروح
هو روح الاكرام ويقال روح النبوة وروح الرسالة وروح الولاية وروح
المعرفة ويقال روح بها بقاء الخلق وروح بها ضياء الحق يوم هم بارزون
خارجون قبورهم ظاهرون نشورهم وظاهرة مراتب اعمالهم وسرائر
احوالهم لا يخفى على الله منهم شىء لا من اعيانهم ولا من افعالهم
قال الواسطى كيف يخفى عليه وهو الذى ابدى عليهم وكيف يسترون
عنه بشىء وهو الذى يظهر عليهم ما عنه يسترون وافاد ابتداء انه سبحانه يعلم
الحاصل الموجود ويعلم المعدوم المفقود والذى كان والذى يكون والذى لا يكون
ما علم انه لا يجوز ان لا يكون والذى جاز ان يكون ان لو كان كيف كان يكون
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه فى ذلك اليوم ولما
يجاب به على لسان الجمع من القوم او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال
الاسباب وارتفاع وسائط الاكتساب واما حقيقة لسان الحال فدائم
ناطقة بذلك المقال قال جعفر الصادق اخرس المكونات من ذوات الارواح
عن جواب سؤاله فى قوله لمن الملك اليوم فلم يجبه احد على الاجابة وما كان
يستحق ان يجيب سؤاله سواه فلما سكت الخلق عن الجواب اجاب
الحق نفسه بما كان يستحقه من الجواب الصواب فقال لله الواحد
القهار وقال الاستاذ لا يتقيد ملكه بيوم ولا يختص ملكه بوقت ولكن
دعاوٍ للخلق اليوم لا اصل لها فتنقطع تلك الدعاوى غدا وترتفع تلك
الاوهام عن عامة الانام اليوم تجزى كل نفس بما كسبت من العقائد والاحوال
ومن الاقوال والافعال وتحقيقه ان النفوس تكتسب باعمالها احوالا
توجب لذتها ومحنتها لكنها لا تشعر بها فى الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت
قيامتها زالت علائقها وعوائقها وادركت آلامها ولذات مرامها
لا ظلم اليوم ببعض الثواب وزيادة العقاب ان الله سريع الحساب
اذ لا يشغله شان عن شان فى جميع الابواب قال ابن عطا من طالع
من نفسه افعاله واذكاره وطاعته جرى على ذلك ولا ظلم عليه ومن طالع
فضله ومنته اسقطه عن درجة الجزاء الى مقام الافضال والرحمة لقوله
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وقال الاستاذ يجازيهم على اعمالهم
الجنان وعلى احوالهم الرضوان وعلى انفاسهم القربة وعلى محبتهم الرؤية
يجازى المذنبين على توبتهم المغفرة وعلى بكائهم الضياء والشفاء
والرحمة لا ظلم اليوم اى انه يستحيل تقدير الظلم منه ازلا وابدا فيستوى

فيه اليوم

فيه اليوم وغدا فكل ما يفعله فلان يفعله وهو سريع الحساب مع عباده
لا يشغله شان عن شان من مراده وسريع الحساب مع اوليائه فى الحال
يطالبهم بالصغير والكبير والنقير والقطمير تحسينا لما لهم فى المآل
وانذرهم يوم الآزفة اى القيمة الآتية القريبة اذ القلوب لدى
الحناجر واصلة اليها حيث ترتفع عن اماكنها من اسافلها الى اعاليها
فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين مملوين من الغيظ ولهم
دائمين متحسرين نادمين ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع
يطاع اى حتى يقبل شفاعته وافاد الاستاذ ان قيامة الكل مؤجلة
وقيامة المحبين معجلة لهم فى كل نفس قيامة من العقاب والعتاب
والثواب والبعاد والاقتراب وما لم يكن لهم فى الحساب وشهادة
الاعضاء والاجزاء على وجه الابداء فالدمع يشهد وخفقان القلب
ينطق والنحول يخبر واللون يفصح ويعبر والعبر يستر ولكن البلا يظهر

شعر

يا من تغير صورتى لما بدا ▪ لجميع ما ظنوا بنا تصديق

وقلوبهم اذا ازف الرحيل بلغت الحناجر وعيونهم نزفت
بدموعها اذا نودى بالرحيل وشدت الرواحل على الرواحل يعلم
خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى المحرم عليه استراق
النظر اليه او خيانة الاعين وما تخفى الصدور من الضمائر والسرائر
كالحزن والسرور فيجازى العباد بما فى ظواهرهم وبواطنهم من اعمالهم
وفق احوالهم وافاد الاستاذ ان خيانة اعين المحبين استحسانهم
شيئا من الدنيا والاخرى ومن خيانة اعينهم ان تاخذهم سنة الغفلة
لا لان السنات فى اوقات المناجاة من الخيانات وفى قصة داود كذب
من ادعى محبتى فاذا جنه الليل نام عنى ومن خائنة اعين العارفين
ان يكون لهم خبر بقلوبهم ما يقع عليه عيونهم ينظرون ولكن لا
يبصرون ومن خائنة اعين الموحدين الا يخرج منها قطرة دمع
تأسفا على مخلوق يفوت فى الدنيا والاخرى ولا على انفسهم فيما
والله يقضى بالحق بالعدل الصدق والذين يدعون من دونه وقراء
نافع وهشام بالخطاب لا يقضون بشىء اى لا يتمكنون على القضاء
بشىء اصلا لا ظلما ولا عدلا لانهم جماد لا يقدرون نطقا ولا فعلا
ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخيانة الاعين وقضائه بالحق
فى الاعيان ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون
من دونه على ما يزعمون وافاد الاستاذ انه سبحانه يقضى للاجانب بالبعاد

وبالوصال لاهل الوداد اولم يسيروا في الارض اي بظواهرهم او بواطنهم فينظروا
كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال المكذبين لرسلهم كعاد وثمود
وامثالهم كانوا هم اشد منهم قوة تمكنا وقدرة وقرا ابن عامر اشد منكم
قوة وآثارا في الارض من القلاع المرتفعة والمداين الحصينة فاخذهم الله
عاقبهم بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم وقال الاستاذ
اولم يسيروا بنفوسهم في اقطار الارض وجوانبها ويطوفوا مشارقها
ومغاربها ليعتبروا بها فيزهدوا فيها اولم يسيروا بقلوبهم في الملكوت
بجولان الفكر فيشهدوا انوار التجلي فيستبصروا بها اولم يسيروا باسرارهم
في ساحات الصمدية ليستهلكوا في سلطان الحقايق ويتخلصوا من جميع
الخلايق قاصيها ودانيها ذلك الاخذ بالسيئات بانهم كانت تاتيهم
رسلهم بالبينات بالمعجزات او الاحكام الواضحات فكفروا بها فاخذهم الله
بسببها انه قوي بما اراد شديد العقاب لمن كفر به من العباد وافاد الاستاذ انه
ان بقي من اهل السلوك قاصدا لا يصل الى مقصده فليعلم ان موجب حجبه
اعتراض على بعض شيوخها خامر في قلبه ففي الخبر الشيخ في اهله كالنبي في امته
ولقد ارسلنا موسى بآياتنا يعني المعجزات وسلطان مبين وحجة قاهرة
ظاهرة كالعصا واليد البيضاء من جهة الكرامات الى فرعون وهامان
وقارون فقالوا ساحر كذاب اي هو يعني موسى جامع بين السحر للخلق والافتراء
على الحق وفيه تسلية لنبينا عليه السلام ووعد للمؤمنين ووعيد للكافرين
وافاد الاستاذ ان اكرم خلقه سبحانه كان موسى عليه السلام في وقته وزمانه
واخس خلقه واذلهم في حكمه واشدهم كفرا بربه كان فرعون اذ لم يقل احد
غيره ما علمت لكم من اله غيري فبعث اخص عباده الى اخس عباده فقابله
بالتكذيب ونسبه الى السحر واتبعه بانواع التأنيب ثم انه سبحانه لم يعجل عقوبته
وامهله الى ان اوصل اليه شقوته انه سبحانه حليم وبعباده عليم فلما جاءهم
اي موسى بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا
نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم كي يصدوا عن مظاهرة
موسى ويضعفوا عن مقاومة مخالفهم وما كيد الكافرين منهم ومن غيرهم
الا في ضلال اي ضياع في تدبير امرهم وقال الاستاذ عزم على اهلاكه واهلاك
قومه واستعان على ذلك بجنده وخيله ورجله ولكن كان كما قال وما كيد
الكافرين الا في ضلال واذا حفر واحد لولي من اولياء الله حفرة ما وقع فيها
غير حافرها بذلك اجرى الحق سنته وقال فرعون ذروني اقتل موسى اي اتركوني
وكانوا يكفونه عن قتله او كفه سبحانه عن فعله واظهر على لسانه ما ذكر من تعلله

وليدع ربه اي ليستعن بربه وهذا تجلد منه وجداه في كفه اني اخاف ان يبدل دينكم
او ان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم فيما بينكم وقرا نافع وابن كثير
وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص
بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال موسى اي لقومه لما سمع من فرعون
بعض قوله اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب خص اسم
الرب لان المطلوب هو التربية والتقوية واضافه اليه واليهم حثا لهم
على الموافقة لما تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة وذكر وصفا يعم فرعون
وغيره لافادة تعميم الاستعاذة والدلالة على الحامل له على تلك المقالة وقال رجل
مؤمن من آل فرعون من اقاربه او هو ابن عمه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه
والرجل اسرائيلي من جنده اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان
يقول او وقت ان يقول ربي الله اي وحده من غير تأمل في امره وقد جاءكم
بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات من ربكم
ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط في دفع قتله بقوله وان يك
كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال ما افتراه فيحتاج في دفعه الى اهلاكه
وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي فلا اقل من ان يصيبكم
بعضه او يصبكم بعض ما يعدكم من عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة
اشد وابقى ان الله لا يهدي من هو مسرف في الافعال كذاب
في الاقوال والمعنى انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات
ولما قواه بتلك المعجزات او ان من اهلكه الله وخذله فلا حاجة لكم
في قتله ولا يبعد ان يكون تعريضا منه بحالهم وما يؤول اليه من عاقبة
مآلهم يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين قاهرين في الارض
ارض مصر فمن ينصرنا من بأس الله عقابه ان جاءنا بسبب قتل نبيه
وادرج نفسه معهم ايهاما بانه يساهمهم فيما ينصح لهم قال فرعون
ما اريكم ما اشير اليكم في امره الا ما ارى من استصواب قتله وما اهديكم
الا سبيل الرشاد طريق السداد وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف
عليكم في تكذيبه والتعرض لقتله مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم
الماضية ووقايعهم البادية مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود مثل
جزاء ما كانوا عليه دائبا دائما من الكفر بربهم وايذاء رسلهم والذين
من بعدهم كقوم لوط ونحوهم وما الله يريد ظلما للعباد اي من نفسه
فلله لكونه محالا في صفته لا يوجد فيه تعلق ارادته فلا يعاقبهم بغير ذنب
صدر منهم ولا يخلي الظالم بغير انتقام عنه اما في الدنيا واما في العقبى

ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم نزول البلاء والمحنة حتى ينادي
فيهم بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والحسرة يوم
تولون عن اماكنكم مدبرين عن مساكنكم فارين عن المهلكة ما لكم من الله
من عاصم يعصمكم من العقوبة ومن يضلل الله فما له من هاد يرده الى الهداية
وقيل المراد بيوم التناد يوم القيمة وفيه ان القوم لم يكونوا مؤمنين بوقوعه
والقائل في مقام نفيه من قوله اللهم الا ان يحمل على فرض وقوع
ما يدعي موسى مع قومه او اظهر حينئذ بثبوت اجابته بعد ما كان مدة
على كتمانه كما سيظهر في بعض كلامه من تحقيق بيانه ثم من جملة نصحه قوله
ولقد جاءكم يوسف اي ابن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى
فانه نقل انه عمر اربعمائة واربعين سنة من قبل قبل موسى بالبينات
بالمعجزات روي انه بعثه الله رسولا يدعو القبط الى طاعة الله وحده
فاطاعوه فيما يتعلق بالامر الاخروي بل لمجرد الوزارة والجاه الدنيوي
فما زلتم في شك مما جاءكم به من الحكم الديني حتى اذا هلك مات قلتم
لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة
من بعده على طبق حاله كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب شاك
فيما تشهد به البينات انه طريق صواب الذين يجادلون في آيات الله
بغير سلطان بغير حجة وبرهان اتيهم بل اما بتقليد طائفة جاهلة او
شبهة واحضة زائلة لا حث لهم والجملة مبتدا خبره كبر مقتا عند الله
عظم جدالهم غضبا عند ربهم وعند الذين آمنوا لانهم متخلقون باخلاق مولاهم
كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقراء ابو عمرو وابن ذكوان بتنوين
قلب على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما ومعدنهما وقال فرعون يا هامان
ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا لعلي ابلغ الاسباب الطرق العالية في
الاكتساب اسباب السموات اسبابا تعين الصعود الى جهات العلويات
وهي بيان لما قبلها وفي ابهامها ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق
للسامع الى معرفة بيانها فاطلع الى اله موسى عطف على ابلغ وقراء حفص
بالنصب على جواب الترجي وهذه كلها منه امور وهميات وتعللات
تخيلات منشاها غاية الجهالة ونهاية الضلالة واني لاظنه كاذبا
في دعوى الرسالة وهذا اكذب منه لظهور صدق موسى بقطعي الدلالة وكذلك
زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد وطريق السداد
والفاعل هو الله حقيقة والشيطان وساطة وقراء الحجازيان والبصري
والشامي صد على بناء الفاعل على ان فرعون صد الناس عن البينات

بامثال

بامثال هذه التمويهات وما كيد فرعون الا في تباب خسار ودمار قيل
من راى في نفسه زلة وستر عليها ولم يجتهد في ازالتها زين في عينه مساويه
وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون يا قوم اتبعون اهدكم بالدلالة سبيل
الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المراد وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه
سبيل الغي والعناد يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة
زوالها وانقضاء آجالها وان الآخرة هي دار القرار لدوامها وبقاء
آمالها قال محمد بن علي لم يزل الدنيا مذمومة في الامم السالفة عند
العقلاء وطالبوها من المهانين عند الحكماء وما قام داع في امة من نبي
او ولي الا وحذر جهاد جمعها الا ترى مومن آل فرعون كيف قال اتبعون
اهدكم سبيل الرشاد يا قوم الآية اي لن تصل سبيل الهداية واهلها وفي
قلبك محبة الدنيا وطلبها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا منه
ونعمة وفيه دلالة على ان الجناية تغرم بنحوها وقال الاستاد الا مثلها في
المقدار لا في الصفة لان الاول سيئة والمكافاة حسنة قلت واما قوله
وجزاء سيئة سيئة فهو من باب المشاكلة او من حيثية الصورة والهيئة
ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن اي في المآل اذ المدار على تلك
الحال فاولئك يدخلون الجنة وقراء ابن كثير وابو عمرو وشعبة بصيغة
المجهول يرزقون فيها بغير حساب بغير موازنة بالطاعة بل اضعافا
مضاعفة فضلا منه ورحمة ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجوة الى ما به
النجاة من العقاب والفوز بالثواب وتدعونني الى النار ما يجري
الى دار البوار ومقام الكفار والفجار قال ابو عثمان من اراد النجاة
فليترك ما لا يعنيه ويشتغل بما يعنيه فان نجاة الدارين فيه تدعونني
لاكفر بالله اي بالوحدانية واشرك به ما ليس لي به بربوبيته علم عرفاني
والمراد نفي العلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان وان
اعتقادها لا يصح الا عن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع
لصفات الالوهية ونعوت الربوبية من كمال القدرة والغلبة وما
يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة على الحسنة والسيئة
والقدرة على العقوبة والمغفرة لا جرم لا بد ولا محالة ان ما تدعونني اليه
اي عبادته من الالهة ليس له دعوة مستجابة في الدنيا ولا في الآخرة
اي اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضي الوهيتها عقلا ونقلا
وان مردنا الى الله مرجعنا الى حكمه بالموت وغيره وان المسرفين في الضلالة كالمشركين
هم اصحاب النار ملازموها ومداوموها فستذكرون عند معاينة الاهوال ما اقول لكم

من النصيحة في تحسين الاحوال وافوض امري الى الله ليعصمني من كل سوء
ارادني من سواه ان الله بصير بالعباد عالم بمن هو من اهل الصلاح وارباب
الفساد قال ابو عثمان البصري قلت لابي صالح حمدون اوصني قال ان تصبح
مفوضا لا مدبرا وقال بعضهم التفويض قبل نزول البلاء والتسليم بعد نزول القضا
وسئل ذو النون متى يكون العبد مفوضا لامره قال اذا ايس من نفسه وافعاله والتجا
الى الله في جميع احواله فوقاه الله اي حفظ مؤمن آل فرعون سيئات ما مكروا
شدائد مكرهم في حقه وحاق بآل فرعون اي بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم
عن ذكره للعلم بانه اولى به سوء العذاب الاغراق في الدنيا والحرق في العقبى
كما قال تعالى في حق قوم نوح مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من
دون الله انصارا النار يعرضون عليها غدوا وعشيا طرفي النهار وما بينهما فيعذبون
بنوع اخر او دائما بان اريد بالعشي الليل بالغدو والنهار وقد ثبت في الاخبار عن
سيد الاخيار وسند الاحبار انه قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة
والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار
ويقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيمة وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب
القبر ويوم تقوم الساعة اي هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت القيمة قيل لهم
ادخلوا آل فرعون يا آل فرعون [illegible] اشد العذاب فان عذاب الآخرة
اشد وابقى وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص ادخلوا على امر الملئكة بادخالهم
النار وهنا اشكال منشاؤه سؤال وهو ان الآية لا شك انها مكية وفي مسند
الامام احمد باسناد صحيح على شرط الشيخين ان يهودية في المدينة كانت تعيذ
عائشة رضي من عذاب القبر فسألت عنه رسول الله عليه السلام فقال كذب يهود
لا عذاب دون يوم القيمة فلما مضى بعض ايام نادى عليه السلام محمرا عيناه باعلى
صوته ايها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر فانه حق واجيب بان
الآية دلت على عذاب الارواح في البرزخ وما نفاه اولا ثم اثبته عليه السلام
عذاب الجسد والمراد به الجمع بين العذاب الروحاني والجسماني في الجملة فلا ينافيه
ما روى ابن مسعود رضي ان ارواح الكفار في اجواف طير سود تعرض على النار
بكرة وعشيا الى يوم القيمة وما روى غيره مرفوعا ان ارواح الشهداء في اجواف
طير خضر تسرح في الجنة وتأوي الى قناديل معلقة تحت العرش واذ يتحاجون
اي واذكر حين يتخاصم الكفار في النار فيقول الضعفاء الاتباع من الفقراء
توبيخا للذين استكبروا للمتبوعين من الاغنياء انا كنا لكم تبعا اتباعا في الدين
طمعا في الدنيا فهل انتم اليوم مغنون عنا نصيبا من النار بالرفع منا او الحمل
عنا قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم واقعون فيها فكيف تغني عنكم

شيئا منها

شيئا منها ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا ان الله قد حكم بين العباد بان ادخل
اهل الجنة الجنة واهل النار النار على ما اراد ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه
وفي الآية اشارة الى ان عذاب الاغنياء من الكفار لجمعهم بين الضلال والاضلال
اشد من كفار الفقراء لاقتصارهم على الضلال ففي الجملة دلالة على فضل
الفقر على الغنى كما ذهب اليه ارباب الكمال والله اعلم بحقيقة الحال وقد صرح الامام
ان عذاب الكافر الفقير اخف من الكافر الغني فاذا نفع فقر الكافر صاحبه في دار الجحيم
فكيف لا ينفع فقر المؤمن صاحبه في دار النعيم وقد ورد اشبعكم في الدنيا
اجوعكم في العقبى وافاد الاستاد ان الضعفاء يقولون للكبراء انتم
اضللتمونا والمستكبرون يقولون لهم بل انتم باختياركم اتبعتمونا فحجة
بعضهم لبعض تزيد في غيظ قلوبهم فكما يعذبون بنفوسهم يعذبون
بضيق صدورهم وبغض بعضهم من بعض في نحورهم وقال الذين في النار
كلهم او بعضهم لخزنة جهنم وهي مشتملة على جميع دركاتها وطبقاتها ادعوا
ربكم يخفف عنا يوما وقتا ما من العذاب شيئا منه ولو يسيرا في هذا
الباب ثم في قولهم ادعوا ربكم دون ادعوا ربنا ايماء الى كمال ضلالهم
في مقام البعد وحال الحجاب وافاد الاستاد ان هذه ايضا من امارات
الاجنبية يدخلون واسطة بينهم وبين ربهم في الادعية ثم ان الله
تعالى ينزع الرحمة عن قلوبهم حتى لا يشفعوا في حقهم قالوا اولم تك تأتيكم
رسلكم بالبينات ارادوا به الزامهم للحجة وتوبيخهم على اضاعة اوقات
الدعوة وتعطيل اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا انتم فانا لا نجترئ
في ذلك اذ لم يؤذن لنا في الدعاء لامثالكم وما دعاء الكافرين لو دعونا
هنالك الا في ضلال ضياع لا يجاب لذلك انا لننصر رسلنا والذين
آمنوا بالحجة والنصرة من الكفرة بحسب الغلبة في الحيوة الدنيا ويوم
يقوم الاشهاد من الملئكة والانبياء والصالحين من العباد يوم
لا ينفع الظالمين معذرتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بالتأنيث
وعدم نفع المعذرة لانها باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون فالآية
من باب نفي القيد والمقيد ولهم اللعنة البعد من الرحمة ولهم سوء الدار
وفيها اشد العقوبة قال جعفر الصادق ننصر رسلنا بالمؤمنين ظاهرا
وننصر المؤمنين بالرسل باطنا وقال سهل نكرمهم بالعلم والمعرفة في الدنيا
وبالرضا والرؤية في العقبى وقال الاستاد ننصرهم بالآيات وفنون
من التعريفات حتى يعرفوا ويشهدوا ان الظلم وضده من الله والخير
والشر كله من عند الله ويقال ننصرهم بكيد خفي ولطف غير مرئي من حيث

يحتسب ومن حيث لا يحتسب وكما ينصرهم فى الدنيا ينصرهم فى الاخرة بعضهم
فى الدنيا بالمعرفة واليقين بان الكائنات من الله وفى العقبى ليشهدوا بالانوار
ويعرفوا بالاضطرار ان التاثير من الله وغاية النصرة ان يقتل الناصر عدو من ينصره
فاذا اراه حقيقة انه لا عدو فى الحقيقة وان الخلق اشباح يجرى عليهم احكام
القدرة فالولى لا عدو له ولا صديق له ليس له الا الله قال تعالى الله ولى الذين
آمنوا ولقد آتينا موسى الهدى ما يهتدى به فى الدين من المعجزات والاحكام
البينات واورثنا بنى اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده التورية هدى وذكرى
هداية وتذكرة لاولى الالباب لذوى العقول السليمة والطباع المستقيمة فاصبر
على اذى الكفرة والفجرة ان وعد الله حق بالغلبة والنصرة واستغفر لذنبك
وتدارك فرطاتك كترك الاولى وساعة الغفلة عن المولى والاهتمام بامر العدى
بالاستغفار وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ودم على التسبيح والتحميد لربك فانه تعالى
كافيك فى النصر واظهار الامر وقيل صل بهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتان
بكرة وركعتان عشية وافاد الاستاد ان الصبر فى انتظار الموعود من الحق على حسب
الايمان والتصديق بالايقان فمن كان تصديقه ويقينه اتم واقوى كان صبره
اتم واوفى قال تعالى فاصبر ان وعد الله حق وانه يعطى وان توهم العبد انه يعطى
ويقال الصبر على قسمين صبر على العافية وصبر على البلاء فاصبر على العافية
اشد واقل من الصبر على البلاء ثم قال وفى قوله وللمؤمنين دليل على انه كان له ذنوب
ولم يكن جميع استغفاره لامته لانه ذكر استغفاره للمؤمنين ويكون ذلك محمولا على
ذنوبه قبل النبوة ويجوز ان يكون العبد قد تاب من الزلة ثم يجب عليه الاستغفار
من ذلك الذنب كلما ذكره فان تجديد التوبة يجب كما يجب اصل التوبة انتهى
كلامه ولا يخفى ما فيه من نقصان مرامه فان قوله وللمؤمنين ليس فى هذه الاية
ثم اثبات الذنوب له عليه السلام قبل النبوة مما لا يرتضيه المحققون من علماء
الامة بل حملوا اثبات هذه الاية على ما سبق من ان حسنات الابرار سيئات
الاحرار ثم ما ذكره من وجوب تجديد التوبة فلا اعرف ان احدا من الفقهاء
ذهب اليه ولا احدا من الصوفية اعتمد عليه بل اختلفوا هل تذكر المعصية وتجدد
التوبة افضل او نسيانها من اصلها افضل فتامل فانه موضع زلل وموقع وحل
ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان حجة وبرهان اتاهم بل جادلوا فيها
بما وافق هواهم ان فى صدورهم الا كبر تكبر عن اتباع الحق وتعظم عن التفكر
والتعلم فى طريق الصدق او ارادة الرياسة والتقدم على الخلق ما هم ببالغيه ليسوا
بواصلى مقتضيه فان الله يعز رسوله ومتابعيه فاستعذ بالله والتجئ اليه واعتمد
عليه واستسلم لديه انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم لخلق السموات والارض

اكبر من خلق الناس اى اعظم واشق فى نظر العقل القاصر وان استويا بالنسبة
الى قدرة الخالق القاهر فمن قدر على خلقها مع عظمها فى زعمكم اولا من غير اصل ومادة
قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل موجود فى الجملة بعد مدة ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لانهم لا يتفكرون فى مبداء فطرتهم لفرط غفلتهم واتباع اهوائهم وشهواتهم
وما يستوى الاعمى والبصير الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات
ولا المسئ فى العقائد والطاعات اى وما يستوى المحسن والمسئ فينبغى ان
يكون لهم مآل يظهر فيه تفاوت حال وهى فيما بعد البعث من دار البوار للكفار
ومن دار القرار للابرار وزيادة لا فى المسئ لان المقصود نفى مساواته مع ماله
من سوء الحالة للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثانى عطف
الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين فى مقصود التعبير
او الدلالة بالصراحة بعد الكناية للتاكيد والتقرير قليلا ما تتذكرون قليلا يتذكرون
حيث لا ينتفعون والضمير للكفار او لاكثر الناس من الفجار وقراء الكوفيون
بالخطاب تغليبا او التفاتا وافاد الاستاد انه سبحانه اراد به ما يستوى المؤمن
والكافر ولا المربوط بشهوته كالمبسوط بصفوته ولا المجذوب بقربته كالمحجوب
بعقوبته ولا المرقى الى مشاهده كالمبقى فى مشاهده ولا المجدود بسعادته كالمردود
بشقاوته ان الساعة لآتية لا ريب فيها لا شك فى مجيئها لوضوح
الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس
لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به
من اثرهم وقال ربكم ادعونى اعبدونى استجب لكم اثبكم لقوله
ان الذين يستكبرون عن عبادتى او المراد بالعبادة الدعاء فانه
من ابوابها بل زبدة اسبابها لقد ورد ان الدعاء مخ العبادة
سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وفى الحديث من لم يدع الله غضب عليه
وقراء ابن كثير وابو بكر بصيغة المجهول وهو ابلغ فى الزجر قال ابن عطاء
ان للدعاء اركانا واجنحة واوقاتا واسبابا فان وافق اركانه قوى وان
وافق اجنحته طار وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح
فاركانه حضور القلب والرقة والخشوع والاستغاثة وقطع القلب
من الاسباب وتعلقه برب الارباب واجنحته الصدق فى القول والفعل
ومواقيته الاسحار واسبابه الصلوة على محمد عليه السلام وقال الوراق
ادعونى على حد الالتجاء وغاية الاضطرار حيث لا يكون لكم مرجع الى
الاغيار ومر ابراهيم بن ادهم رحمه الله بسوق البصرة فاجتمع اليه الناس
فقالوا ان الله تعالى يقول فى كتابه ادعونى استجب لكم ونحن ندعو فلا يستجاب

دعاءنا فقال ان قلوبكم ماتت بعشرة اشياء اولها عرفتم الله فلم تؤدوا
حقه والثاني قرأتم كتابه ولم تعملوا به والثالث ادعيتم حب رسول الله
ومودته وتركتم متابعة سنته والرابع ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه
في دعوته والخامس ادعيتم حب الجنة فلم تعملوا لها والسادس ادعيتم خوف
فلم تتركوا المعصية خوفا منها والسابع اقررتم ان الموت والاعادة حق ولم
تستعدوا لها والثامن اشتغلتم بعيوب اخوانكم عن عيوب انفسكم
وصلاحها والتاسع اكلتم نعمة الله وكفرتم بها والعاشر دفنتم موتاكم في المقبرة
ولم تعتبروا فيها وافاد الاستاد ان معنى الآية ادعوني استجب لكم ان شئت
لانه قال في آية اخرى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء ويقال ادعوني بشرط
الدعاء ومن شرط الدعاء الاكل من الحلال فقد قيل الدعاء مفتاح الحاجة
واسنانه لقم الحلال ويقال كل من دعاه استجاب له اما بما يسأله بعينه او
بشيء آخر هو خير منه ويقال الكافر ليس يدعوه لانه انما يدعو من له شريك
وهو لا شريك له ويقال اذا ثبت ان هذا الخطاب للمؤمنين فما من مؤمن
يدعوه ويسأله شيئا الا اعطاه اما في الدنيا واما في الاخرى يقول له هذا بدل
ما طلبته في الدنيا وقد ادخرته لك الى هذا اليوم حتى يتمنى العبد انه ليته لم يعطه
شيئا في الدنيا ويقال ادعوني بالطاعة استجب لكم بالمثوبة ادعوني بلا غفلة
استجب لكم بلا مهلة ادعوني بالتنصل استجب لكم بالتفضل ادعوني بحسب
الطاقة استجب لكم بكشف الفاقة ادعوني بالسؤال استجب لكم بالنوال
الله الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا منيرا لتتحركوا فيه
لامر معاشكم وما يتعلق به من امر معادكم ان الله لذو فضل عظيم على الناس
بوصف عظيم ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضله وانعامه لجهلهم بالمنعم
واغفالهم مواقع اكرامه وتكرير الناس لتنصيص تخصيص الكفران بهم
وافاد الاستاد ان سكون الناس في الليل على اقسام اهل الغفلة يسكنون
الى غفلتهم واهل المحبة يسكنون بحكم وصلتهم فشتان بين سكون غفلة
وسكون وصلة وقوم يسكنون الى امثالهم واشكالهم وقوم يسكنون
الى حلاوة اعمالهم وقوم يعدمون القرار في ليلهم ونهارهم اولئك اصحاب
الاشتياق فهم ابدا في الانزعاج ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية
والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار متلاحقة تخصص
اللاحقة السابقة فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة
غيره وانتم مغمورون في فضله وخيره كذلك اي مثل افك اولئك يؤفك
الذين كانوا بآيات الله يجحدون ولا يتأملون ما هنالك الله الذي

جعل لكم

جعل لكم الارض قرارا ذات قرار ومدارا والسماء بناء سقفا محفوظا قال
بعضهم جعل الارض قرار الصفوة والسماء بناء للملكة وصوركم فاحسن صوركم
بان خلقكم منتصب القامة بادي البشرة والهامة متناسب الاعضاء ومتعادل
الاجزاء متهيئا لمزاولة الصناعات واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات
المستلذات ذلكم الله ربكم مربيكم في احوالكم ومقويكم في اعمالكم فتبارك الله
تكاثر خيره على من سواه رب العالمين فان كل ما عداه مربوب له ومفتقر اليه
في دنياه واخراه وافاد الاستاد انه سبحانه خلق العرش والكرسي والسموات والارض وسائر
المخلوقات ولم يخاطبهم بهذا الخطاب وانما قال لنا وصوركم فاحسن صوركم وليس الحسن
ما يستحسنه الرقيب وانما الحسن ما يستحسنه الحبيب ما حطك الواشون عن رتبة عندي ولا
ضرك مغتاب كأنهم اثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا لم يقل للشموس
في علائها ولا للاقمار في ضيائها وصوركم فاحسن صوركم ولما انتهى الينا قال
فاحسن صوركم وقال ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ويقال ان لولم
قبحوا صورتكم عندنا فالملائكة كتبوا في صحيفتكم قبيح ما ارتكبتم ومولاكم احسن صوركم
عنده بان محا من ذنوبكم الزلات واثبت في ذلك الحسنات قال تعالى يمحو الله
ما يشاء ويثبت وقال فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ثم ليس الطيب
ما يستطيبه الخلق الطيب ما يستطيبه القلب الخبز القفار طيب للفقير
الشاكر من الحلوى للغني المتسخط ورزق النفوس المطعومات والمشروبات
ورزق القلوب لذات الطاعات هو الحي المتفرد بالحيوة الذاتية الازلية
الابدية لا اله الا هو اي لا موجود يساويه في ذاته وصفاته او يدانيه فادعوه
فاعبدوه مخلصين له الدين الطاعة من الشرك والسمعة قائلين الحمد لله
رب العالمين على سائر النعمة قال الحسين هو الحي الذي احيى العالم بنظره
فمن لم يكن بنظره حيا فهو ميت وان تحرك ونطق وقال جنيد الحي على
الحقيقة من به حيوة كل حي وقال الاستاد هو الحي الذي لا يموت ولا يفضله
يفوت فادعوه بنسيان الفوت فان ذلك عليه لا يفوت قل اني نهيت
ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من الحجج والآيات
من ربي من عنده على وجه الكرامات وامرت ان اسلم لرب العالمين
ان انقاد له في ديني او اخلص له في يقيني وقال الاستاد اي امرت بالتبري
عما عبدتم والاعراض عما به اشتغلتم والاستسلام للذي خلقني وبالنبوة
استخصني هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة اي نقلكم من تربة
الى قطرة ثم من علقة ثم يخرجكم اي كلا منكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم
اي ثم يبقيكم لتبلغوا شبابا ثم لتكونوا شيوخا وقرأ نافع وابو بكر

وهشام وحفص بضم الشين ومنكم من يتوفى من قبل قبل الشيخوخة ولتبلغوا
اي ويفعل ذلك بكم لتبلغوا اجلا مسمى وهو الحيوة الصغرى او الكبرى ولعلكم
تعقلون ما في هذا التعبير من الحجج والعبر هو الذي يحيي ويميت اي ثم يبعثكم ثم في
احدى الدارين ينزل بكم فاذا قضى امرا اي اراد شيئا فانما يقول له كن فيكون
فلا يحتاج في تكوينه الى عدة وتجشم كلفة ومدة الم تر الى الذين يجادلون في
آيات الله انى يصرفون عن التصديق بها والتأمل فيها وتكرير ذم المجادلة لتعدد
المجادل او المجادل فيه او للتوكيد في الوعيد والتهديد وقال الاستاد فلا حجة
يؤدون ولا عذاب عن انفسهم يردون الذين كذبوا بالكتاب بالآيات القرآنية
او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الشرايع الدينية
فسوف يعلمون جزاء افعالهم الدنية اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل
في رقابهم يسحبون اي بها في الحميم اي نار الجحيم ثم في النار يسجرون يحرقون المراد
انهم يعذبون بانواع العذاب وينتقلون من بعضها الى بعض كما كانوا في عالم
الاسباب ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا
عنا وضاعوا منا فليس لنا منهم الا العنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا ينفعنا
كذلك يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا الى شيء ينفعهم في الدنيا والاخرى
ذلكم الاضلال او العذاب والانكال بما كنتم تفرحون في الارض تبطرون
وتتكبرون فيها بغير الحق بغير الاستحقاق بل لمجرد الطغيان وبما كنتم تمرحون
تتوسعون في الفرح بالعدوان والعدول الى الخطاب للمبالغة في التوبيخ والعتاب
ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لاهلها خالدين فيها مقدرين
الخلود بها فبئس مثوى المتكبرين فبئس مثواهم ومصيرهم وساء ذلك بهم
ومسيرهم فاصبر ان وعد الله بتعذيب اهل الضلالة حق كائن لا محالة فاما
نرينك ما مزيدة لتاكيد الشرطية والمعنى فان نرك والذلة بعض الذي نعدهم
وهو القتل او الاسر والذلة او نتوفينك قبل ان ترى تلك الحالة فالينا
يرجعون جميعهم يوم القيمة فنجازيهم باعمال حسب ما يستحقونه من العقوبة
قال ابو بكر بن طاهر اصبر على شدايد الدنيا فان وعد الله حق لمن صبر فيها
على البلاء والعنا ان يوصله الى الراحة الكبرى وهو مقعد صدق عند مليك
مقتدر وقال الاستاد اي كن بقلبك فارغا عنهم وانظر من بعد الى ما نفعل بهم
واستيقن بانه لا بقاء للجولة بالظلم فان لحقت بعض ما نعدهم به والا
فلا تك في ريب من مقاساتهم ذلك بعدك ولقد ارسلنا رسلا كثيرا من قبلك
منهم من قصصنا عليك حاله مفصلا او مجملا ومنهم من لم نقصص عليك حاله
اصلا اذ روي ان عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والرسل ثلثمائة

وخمسة عشر

وخمسة عشر والمذكور قصصهم قيل اربعة وعشرون شخصا وما كان لرسول من
الاولين والآخرين ان يأتي باية الا باذن الله فان المعجزات عطايا قسمها
بينهم على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته فيهم كساير القسم لغيرهم فليس
لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها قال بعضهم من ذكر
القسمة وما جرى له في السابقة ينقطع عن السؤال والدعاء ويعلم ان القضاء
كائن بالحق من الحق في الابتداء والانتهاء فاذا جاء امر الله بعذاب المفرحة
في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء المحق وتعذيب المبطل وخسر هنالك
المبطلون المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها من المعجزات
وقال الاستاد لم يكن في وسع صاحب نبوة ان يأتي بمعجزة الا اذا اظهرناها
لكن عليه ما اردنا فكذلك ان طالبوك باية فقد اظهرنا عليك
من الآيات ما ازحنا العذر واظهرنا صحة الامر وما اقترحوه ان شئنا
اظهرناه وان شئنا تركناه الله الذي جعل لكم الانعام من غاية الانعام
لتركبوا منها ومنها تاكلون والظاهر ان المراد بها الابل وحدها لقوله
ولكم فيها منافع كالبانها وجلودها واوبارها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم
بالمسافرة عليها وعليها في البر وعلى الفلك في البحر تحملون باثقالكم
واحمالكم ويريكم آياته علاماته الدالة على كمال قدرته وجلال رحمته فاي
آيات الله فاي آية من تلك الآيات تنكرون فانها لظهورها لا يمكن
انكارها افلم يسيروا في الارض بسير قلوبهم او قوالبهم فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم مآل احوالهم مع كثرة آمالهم واصرارهم على كفرهم
ومساوي اعمالهم كانوا اكثر منهم عدة وعدة واشد قوة واحد شوكة وآثارا
واكثر عمارات فانية منهم باقية بعدهم في الارض كالقصور والقلاع ونحوها
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون الاولى نافية او استفهامية والثانية موصولة
او مصدرية فلما جاءت رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات
فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل بجنب علمهم كما صدر عن بعض الحكماء
السفهاء والمراد بعلمهم علوم الطبايع والتنجيم والمنطق ونحوها او عقائدهم
الفاسدة وشبههم الكاسدة من قولهم لا حساب ولا عذاب في الدار
الاخرى ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فسماها علما على زعمهم تهكما بهم
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن جزاء استهزائهم وجهلهم بانبيائهم فلما راوا
باسنا شدة عذابنا ويئسوا من الوقوف على بابنا قالوا آمنا بالله وحده
وكفرنا بما كنا به مشركين من الصنم ونحوه فلم يك ينفعهم ايمانهم لامتناع قبوله حينئذ
لان ايمان الاضطرار غير معتبر حال حلول البلاء سنة الله التي قد خلت في عباده

اى سنّ الله ذلك سنة ماضية فى العباد فى جميع البلاد وخسر هنالك وقت رؤيتهم
سورة فصلت مكية البأس الكافرون من الناس وهى ثلاث وخمسون آية
بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد افلح من عرف باسم الله ومارجح من بقى عن اسم الله
من صحف لسانه ذكر اسم الله وصحب جنانه حب اسم الله كفى له شفيعا اسم الله الى من
تعبد ما بذكر اسم الله حم قال سهل حم مقضى فى اللوح المحفوظ وكتب فيه ما هو كائن من
المذموم والمحفوظ وقال بعضهم الحافظ الملك هو الله ولا يبعد ان يكون الحاء ايماء
الى صفة الرحمن والميم الى نعت الرحيم واشير الى وسط الوصف الاول فانه يعم ويشمل
اهل الدنيا واومى الى آخر النعت الثانى لان محل ظهوره المؤمنون فى العقبى ويؤيده
قوله تنزيل من الرحمن الرحيم حيث اضاف التنزيل الى الوصفين الشريفين للدلالة
على انه مناط المصالح الدنيوية والمنافع الاخروية وقال الاستاد اى بحقى وحياتى ومجدى
فى ذاتى وصفاتى ان هذا تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب اى هذا كتاب جامع فيه لكل حكم
باب فصلت آياته ميزت باعتبار فصاحة مبانيها وبلاغة معانيها عن غيرها للتعلق
الاعجاز بها وقال ابن عطا اى بينت احكامه وقال الاستاد بينت دلالاته وعلاماته
قرآنا عربيا نصب على المدح وفيه امتنان بسهولة مبناه وفهم معناه لقوم يعلمون
العربية او لاهل العلم والنظر فى القضية بشيرا للعاملين به ونذيرا للمخالفين له قال
ابن عطا بشيرا لمن آمن به برضا ربه ونذيرا لمن اعرض عنه بسخط ربه وبلائه
قوله تعالى فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تأمل فى حصوله وافاد
الاستاد ان الدليل منصوب لكافة العالمين ولكن الاستبصار به للعالمين دون الجاهلين
الى حد بشيرا لمن اخترناهم واصطفيناهم ونذيرا لمن ابعدناهم ومن شهود آياتنا
اعميناهم فاعرض اكثرهم عن دعائنا اياهم فهم مثبتون فيما اردنا بهم وعلى ذلك الوصف
علمناهم وقالوا قلوبنا فى اكنة اغطية مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ثقل وصمم ومن
بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل فينا فاعمل على دينك اننا عاملون على
ديننا وافاد الاستاد انهم قالوه على الاستهانة والاستهزاء ولو قالوا ذلك على بصيرة
لكان ذلك منهم توحيدا فمنوا بالمقت لما فقدوا من تحقيق الوقت قلت لو كان لهم
بصيرة هنالك لما قالوا ذلك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد اى قل
لا ادعى انى من جنس الملائكة بل ادعوكم الى التوحيد بطريق اليقين مما دل عليه دلائل
العقل وشواهد النقل وفى تفسير السلمى اى انا مثلكم فى الصورة ولست مثلكم فى
الحقيقة كما ورد انى لست كاحدكم ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى فاستقيموا
اليه اى استقيموا فى افعالكم متوجهين اليه باحوالكم واستغفروه مما فرطتم فى
اعمالكم قبل الاستقامة مساواة الاحوال فى الاقوال والافعال وهو ان لا يخالف
الظاهر الباطن ولا الباطن الظاهر فاذا استقامت جملة حالك فاستغفر

من رؤية استقامتك واعلم ان الله سبحانه هو الذى قومك لا انك
استقمت بنفسك كذا فى تفسير السلمى ويحتمل ان يكون معناه واستغفروا مما فرط
عنكم لانكم لا تقدروا على حقيقة الاستقامة فيكم لقوله عليه السلام استقيموا
ولن تحصوا اى لن تطيقوا ولذا قيل الاستقامة اشد من الف كرامة وقال
الاستاد اى انا بشر مثلكم فى الصورة والبنية والذات والخلقة والتفرقة
بينى وبينكم انه يوحى الى انما الهكم اله واحد فالخصوصية لى من قبله لا من قبلى
ولقد لبثت فيكم عمرا ولقيتمونى دهرا فما عثرتم منى على غير صواب ولا وجدتم
فى قولى شوب كذاب وامرى لكم ان استقيموا فى اطاعة امره واستسلموا
لقضائه وحكمه فطوبى لمن اجاب والويل لمن اصر وخاب ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم اجر غير ممنون غير مقطوع فى العقبى او فى الدنيا ايضا لما قيل
انها نزلت فى المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم اجر ما كانوا
يعملون فى العافية وقال الاستاد آمنوا شاهدوا الالوهية والربوبية
وعملوا الصالحات لازموا بساط العبودية واجر النفوس الجنة واجر القلوب
الرضاء بالمنة اجر الارواح الاستيناس بابتداء اجر الاسرار دوام المشاهدة
ثم قل ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين فى مقدار يومين او فى
وقتين ونوبتين وكفرهم به الحادهم فى ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا
ولا يصح ان يكون له ند فى مراتب تعيناته ذلك رب العالمين اى خالق
الارض فى قدر معين فيها هو خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها
وافاد الاستاد انه سبحانه خلق الزمان ولم يكن قبله زمان وخلق المكان
ولم يكن قبله مكان والحق سبحانه كان ولا مكان ولا زمان فهو عزيز لا يحويه
المكان ولا يملكه الزمان ثم كيف يكون الذى لم يكن ثم حصل ندا للذى لم
يزل وجعل فيها رواسى جبالا ثوابت من فوقها مرتفعة عليها مفروشة
فيها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار والاستدلال والاعتبار
بان الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك وهو
الله المتعال وقال القاسم الرواسى الاجلة من الاولياء الذين
هم مشرفون على الخلق والثابتون بقدم الاستقامة على الحق وبارك
فيها واكثر خيرها بما خلق فيها انواع النبات والحيوانات قال الاستاد
بانبتها المطر ببركات السماء ويندفع عنها ببركات الاولياء وقدر فيها
اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به وينفعه
او اقواتا ينشاء منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها
ليظهر لطايف اسرارها وقال الاستاد اى جعلها مختلفة فى الطعم والصورة

والمقدار وكذا ارزاق القلوب والارواح والاسرار فى اربعة ايام
اى فى تتمة اربعة ايام قيل ولم يقل فى يومين الاشعار باتصالهما لليومين
الاولين والتصريح على فذلكة الوقتين سواء اى استوت استواء والجملة
صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر للسائلين اى هذا الحصر للسائلين
عن مدة خلق الارض وما فيها ثم استوى الى السماء قصد نحوها وهو مجاز
عن الايجاد على نحو ما اراد يقول العرب فعل فلان كذا ثم استوى الى عمل كذا
يريدون انه اكمل الاول وابتدأ الثانى فى العمل والظاهر ان ثم لتفاوت
ما بين الخلقين من الرتبة لا للتراخى فى المدة لقوله والارض بعد ذلك دحيها
اى بعد خلق السماء بسطها ودحوها متقدم على خلق الجبال فوقها قال
الاستاد قيل قصد وقيل فعل فعلا هو الذى يعلم تعينه ويقال رتب اقطارها وركب
فيها نجومها وازهارها وهى دخان جوهر ظلمانى ولعله اراد به مادتها والاجزاء
التى ركبت منها وفى تفسير ابن عادل قال المفسرون هذا الدخان بخار
الماء وذلك ان عرش الرحمن كان على الماء قبل خلق الارض والسماء
كما قال تعالى وكان عرشه على الماء ثم انه تعالى احدث فى ذلك الماء
اضطرابا الى جهة الهواء فازبد وارتفع وخرج منه دخان فاما الزبد فبقى
على وجه الماء واخذت منه الارض باقطارها واما الدخان فارتفع وعلا
فخلق منه السموات باطوارها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما
من التأثير والتأثر المتعلقين بكما وابرزا ما اودعت فيكما من الاوصاف
المختلفة والكائنات المتنوعة طوعا او كرها شئتما او ابيتما والمراد اظهار
كمال قدرته وجمال عزته وغلبته لا اثبات الطوع والكره لهما قالتا
اتينا طائعين منقادين بالذات مطيعين فى الصفات والاظهر
تمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون ولا يبعد ان وقع لهما
الخطاب واقدرهما على الجواب بالوجه الصواب وافاد الاستاد انه قيل هذا على
ضرب المثل اى لم يعتبر خلقة شئ منهما على ما اردنا وقيل احياهما وعقلهما ونطقهما
فقالتا ذلك وانقادتا لما هنالك وجعل نفوس العابدين ارضا لطاعته وعبادته
وجعل قلوبهم افلاكا لنجوم علمه واقمار هدايته وشموس معرفته فاوتاد النفوس الخوف والرجاء
والرغبة والرهبة وفى القلوب ضياء العرفان وشموس التوحيد ونجوم العلوم والعقل
والنفوس والقلوب بيده يصرفها على ما اراد من حكمه فقضيهن سبع سموات خلقهن
خلقا ابداعيا واتقن امرهن اتقانا ابدائيا والضمير للسماء على المعنى وسبع سموات
حال او هو مبهم وسبع سموات تمييز فى يومين قيل المراد بالايام الاربعة الاحد والاثنين
والثلثاء والاربعاء وانه خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم والملائكة

يوم الجمعة وختم بآدم ابى الخاتم فهو صلى الله عليه وسلم باعتبار ظهوره كالعلة الغائية
وباعتبار تصور روحه ونوره فى المرتبة الاولية واوحى فى كل سماء امرها شأنها
وما يتأتى منها بان حملها عليه اختيارا منها او طبعا فيها وقيل اوحى الى اهلها باوامره
على تفاصيلها وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب ترى كلها كانها
تتلألأ عليها وحفظا اى وحفظناها من الآفات حفظا ذلك تقدير العزيز
العليم البالغ فى القدرة والحكمة قال ابن عطا زينا قلوب العارفين بانوار
المعرفة وجعلنا فيها ضياء التوحيد ومصابيح الهداية وافاد الاستاد انه
سبحانه زين وجه الارض بمصابيح وهى قلوب الاحباب فاهل السماء اذا
نظروا الى السماء استأنسوا برؤية الكواكب فى منظرهم فان اعرضوا
عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة حذرتكم اصابة عقوبة
شديدة الوقعة كانها صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل
من بين ايديهم ومن خلفهم من جميع جوانبهم واجتهدوا به من كل جهة فى بيانه
رغائبهم ورهائبهم او من جهة الزمن الماضى بالانذار عما جرى فيه على الكفار
ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم فى الآخرة من عذاب النار وكل
منهما يحتملهما ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا ارسال
رسل الينا لانزل ملائكة برسالته المقبولة لدينا فانا بما ارسلتم به على زعمكم
فيه كافرون جاحدون ومنكرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما
عاد فاستكبروا فى الارض على اهلها بغير الحق بغير استحقاق فيها وقالوا
فخرا من اشد منا قوة اغترارا بما لهم من القوة والشوكة فقيل كان من
قوتهم ان الرجل منهم ينزع بيده الصخرة فيقتلعها من اصلها اولم يروا
الم يتبصروا ولم يعلموا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه
قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى من الممكنات وكانوا بآياتنا يجحدون
يعرفون انها حق وينكرون قال الاستاد ركنوا الى قوة نفوسهم بهواهم
فخانتهم قواهم لما استمكن منهم بلواهم فارسلنا عليهم ريحا صرصرا
باردة تهلك بشدة بردها فى ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا
نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصرى بالسكون تخفيفا قيل كن
آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء
ما عذب قوم لنذيقهم عذاب الخزى اى الذل فى الحيوة الدنيا ولعذاب
الآخرة اخزى اكثر خزيا عليهم وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واما ثمود
فهديناهم دللناهم على الهدى بنصب الآيات وارسال الرسول بالمعجزات
فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهداية فاخذتهم صاعقة

العذاب الهون من السماء فاهلكتهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعصية في
تفسير الاستاد قيل انهم آمنوا وصدقوا ثم ارتدوا وكذبوا فاجريهم مجرى اخوانهم
فيما عذبوا ونجينا الذين آمنوا من تلك الصاعقة وكانوا يتقون المخالفة
والظاهر ان المراد بالمؤمنين من نجيهم الله من عذاب المخالفين وحملهم الاستاد
على العموم فافاد ان منهم من نجاهم من غير ان راوا النار عبروا القنطرة ولم يعلموا
وقوم كالبرق الخاطف وهم اعلاهم وقوم كالراكض وهم ايضا اكابرهم وقوم عن
الصراط يسقطون وتردهم الملائكة على الصراط فيثبتون فبعد فبعد وقوم بعد
ما دخلوا النار فمنهم من تأخذه الى كعبيه ثم الى ركبتيه ثم الى حقويه فاذا بلغ القلب
قال الرب للنار لا تحرق قلبه فانه محترق بي وقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا
وصاروا حمما ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقراء نافع بفتح النون وضم الشين
ونصب اعداء فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا في محشرهم
وهو عبارة عن كثرتهم حتى اذا ما جاؤها حضروها وما مزيدة مؤكدة
لاتصال الشهادة بحضورهم شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم
بما كانوا يعملون بظواهرهم وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ
لهم قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اي ما نطقنا باختيارنا
بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء اراد انطاقه وهو خلقكم اول مرة
الاظهر انه استيناف من الله سبحانه في الدنيا او الآخرة واليه ترجعون
طواعية او كراهية وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم اي كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة
الفضيحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم بما استترتم عنها وفيها تنبيه
على ان المؤمن ينبغي ان يتحقق انه لا يمر عليه حال من الاحوال الا وعليه
رقيب مطلع على جميع ماله من الاعمال ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا
مما يعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم قال ابو عثمان الحيري من لم يذكر
في وقت مباشرة الذنوب شهادة الجوارح عليه تجترئ على الذنوب
وتقدم عليها ومن ذكر ذلك خير ارادة مباشرتها ربما يلحقه التوفيق والعصمة
فيمنعانه عنها وذلكم مبتدا وابدل عنه ظنكم الذي ظننتم بربكم خبره ارديكم
اهلككم واوقعكم في مقام الفاجرين فاصبحتم من الخاسرين فظهرت
خسارتكم وما ربحت تجارتكم فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم
عنها وان يستعتبوا يسألوا العتبى وهي الرجوع الى الرضاء فما هم من
المعتبين المجابين اليها وقيضنا قدرنا لهم لمن اردنا ان يكفر بنا قرناء
اخدانا من شياطين الجن واخوانا من شياطين الانس فزينوا لهم

مابين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر العقبى
بانكار العقوبات والمثوبات وحق عليهم القول اي كلمة العذاب
في امم كائنين في جملة امم او معهم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد
عملوا مثل اعمالهم انهم اي كلهم كانوا خاسرين في احوالهم وآمالهم
في مآلهم وافاد الاستاد انه سبحانه اذا اراد بعبد سوء قيض له اخدان
سوء واخوان شر بهم الاضداد لهم فيما راموا واذا اراد بعبد
خيرا قيض له قرناء خير يعينونه على الطاعة ويحملونه عليها ويدعونه اليها
ومن ذلك الشيطان فانه مقيض مسلط على الانسان يوسوس اليه
بالعصيان وشر من ذلك النفس وبئس القرين هي تدعو اليوم الى
ما فيه العقوبة وتشهد غدا عليه بفعل الزلة فزينوا لهم ما بين ايديهم
من طول الامل وما خلفهم من نسيان الزلل وان اخيرني التوبة والتقصير
في الطاعة وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه
بالهذيان لعلكم تغلبون على ما تطلبون قال ابن عطا من يكن قلبه
منورا بالايمان لا يلتذ بسماع القرآن ولا يؤثر فيه مواعظه واحكامه انما يتعظ
من كان منور السر مشروح الصدر مفتوح السمع حاد البصر معانا بالتوفيق
مسددا بالعصمة والتحقيق فاذا سمعه وعى فوائد احكامه واتعظ بلطائف
مواعظه ▪ افاد الاستاد ان الكفار استولى على قلوبهم الجحد والانكار
ودام على العداوة منهم الاصرار فاحتالوا بكل وجه امكنهم فتواصوا فيما
بينهم بان لا يستمعوا الى القرآن لانه يغلب القلوب ويسلب العقول
وكل من اقبل عليه مال اليه قالوا فاذا اخذ محمد في تلاوة القرآن فالغوا
في قراءته اللغا واللفظ ليقع هو في السهو والغلط ولم يعلموا ان الذي
نور قلبه بالايمان وايد بالفهم وامد بالبصيرة وكوشف بسماع السر من
الغيب فهو الذي يسمع ويؤمن والذي هو في ظلمات جهله لا يدخل الايمان
قلبه ولا يباشر السماع سره فلنذيقن الذين كفروا منهم ومن غيرهم عذابا
شديدا ولنجزينهم اسوء الذي كانوا يعملون سيئات اعمالهم في اسوء
احوالهم وقال الاستاد لنذيقنهم عذابا شديدا في الدنيا بادانة للزمان
التي هي الفراق وعذابا بالتخليد في النيران التي هي الاحتراق ذلك الجزاء
الاسوء جزاء اعداء الله مبتدا وخبر النار عطف بيان للجزاء لهم
فيها في النار دار الخلد موضع اقامتهم ومحل ادامتهم لا يخرجون منها
ولا يموتون فيها جزاء بما كانوا يجحدون ينكرون او يلغون ويكفرون وقال
الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس يعني شيطاني

النوعين الحاملين على الضلالة وقيل هما ابليس وقابيل فانهما اول من سن
المعصية نجعلهما تحت اقدامنا انتقاما منهما ليكونا من الاسفلين محلا او
ذلا وافاد الاستاد ان الفائدة من هذا هي الاخبار عن تبري بعضهم عن
بعض ووقوع الذم عليهم حين لا ينفعهم ان الذين قالوا ربنا الله اعترافا
بربوبيته واقرارا بالوهيته ثم استقاموا في الاقامة على وظائف عبوديته
من اكتساب طاعته واجتناب معصيته وما روي من الخلفاء الاربعة في معنى
الاستقامة من الثبات على الايمان ومن الامر بالطاعة والنهي عن العصيان
ومن الاخلاص في عمل الاركان ومن اداء فرائض الرحمن مجزئيات الاستقامة
كما لا يخفى على اهل العرفان تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم
ويدفع عنهم خوفهم وحزنهم ويأتيهم فرحهم وسرورهم او هذا عند موتهم
وجزعهم وحال نزعهم وفزعهم او في قبورهم او وقت نشورهم الا تخافوا
ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما فرقتم منه وابشروا بالجنة التي كنتم
توعدون في الدنيا على لسان الانبياء نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا نلهمكم
الحق ونحملكم على الخير بدل الام الشياطين باهل الكفر للباطل وحملهم على الشر
وفي الآخرة بالكرامة والشفاعة حيث يعادي الشياطين والكفرة بالبراءة
والشفاعة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم من اللذات ولكم فيها ما تدعون
تتمنون من المطلوبات نزلا ضيافة للمؤمنين من غفور للمذنبين
رحيم بالمحسنين ويقال برحمته وصلوا الى مغفرته هذا وثم في الآية للتراخي
في الرتبة ايذانا بان مدخولها له زيادة المزية فالمعنى استقاموا في الحال
ثم استقاموا في المآل بان استدام ايمانهم واحسانهم الى حال الانتقال
وافاد الاستاد انهم قالوا بشرط استجابة ثم استبصروا بموجب الحجة
ولم يكتفوا بالمقالة دون صفاء الحالة ويقال هي يعني الاستقامة على
مستمين في اصل التوحيد والمعرفة وهذه صفة خاصتهم من المتقين ثم
الاستقامة لهم على حسب احوالهم فمستقيم في عهده ومستقيم في عقده
ومستقيم في جده ومراعاة حده ومستقيم في جهده وقصده وعهده وعقده
وحبه وودّه وهذا اتمهم ويقال استقاموا على دوام الشهود وعلى افراد
القلب بواجب الوجود ويقال استقاموا باقوالهم ثم باعمالهم ثم بصفاء
احوالهم في وقتهم وفي مآلهم ويقال اقاموا على طاعته واستقاموا على
معرفته وهاموا في محبته وقاموا بشرائط خدمته ويقال استقامة الزاهد ان
لا يرجع الى دنياه ولا يتمتع بالجاه بين الناس على الله واستقامة العابد ان
لا يعود الى الفترة واتباع الشهوة لا يداخله الرياء والتصنع والسمعة واستقامة

العارف ان لا يشوب معرفته حظ في دنياه واخراه فيحجب به عن مولاه
واستقامة المحبين ان لا يكون لهم ارب في قلوبهم من غير محبوبهم
يكتفون من عطائه ببقائه ومن مقتضى جوده بدوام عزه ووجوده ثم
قال الخوف انما يكون في المستقبل من الوقت وهو بحلول مكروه او فوت
محبوب والملائكة يبشرونهم بان كل مطلوب لهم سيكون وكل محذور لهم
لا يكون هذا التحقيق قوله لا تخافوا والحزن من حزونة الوقت والذي هو
راض بجميع ما يجري عليه في حالته ولا حزونة في عيشته فالملائكة يبشرونهم
بانه لا حزونة في احوالهم فهم في الروح والراحة ويبشرون بالجنة وهي
حسن المآب وما وعد الله من جميل الثواب والذي هو موعود للاولياء
ببشارة الملك موجود اليوم لخواص عباده بعطاء الملك وهو ان لا
يكون له مطالعة المستقبل من حوله ويكون بحكم الوقت فلا يكون له خوف
لما قلنا ان الخوف لما يحصل في الثاني من الحال من زوال محبوب او حصول
مكروه والذي هو بصفة الرضا فلا حزونة في حاله ووقته ويمكن القياس
على ما قاله الناس في قولهم لا تخافوا ولا تحزنوا بان يقال لا تخافوا من عذاب
العقبة ولا تحزنوا على ما اسلفتم من الجناية وابشروا بحسن العناية
في البداية ويقال لا تخافوا على ما اسلفتم من الزلة وابشروا بدوام الوصلة
والخطاب في نحن اولياؤكم يحتمل ان يكون من قبل الملائكة وان يكون ابتداء
كلام من الله بطريق المواصلة والولاية من الله بمعنى المحبة ويكون بمعنى
النصرة ولو لم يكن المحبة الالهية في الازال لم تحصل النصرة في الحال والمآل
فيقال نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا بتحقيق المعرفة وفي الآخرة بتحصيل
المغفرة ونحن ويقال اولياؤكم في الحيوة الدنيا بالعناية وفي الآخرة بحسن
الكفاية وجميل الرعاية في الحيوة الدنيا بالمشاهدة وفي الآخرة بالمعاينة
في الدنيا وبالرضا بالقضاء وفي الآخرة باللقاء في دار البقاء في الحيوة
الدنيا بالايمان وفي الآخرة بالغفران في الدنيا بالمحبة وفي الآخرة بالقربة
ولكم فيها اي في الجنة ما تشتهي انفسكم من انواع اللذة الولاية نقد وحصول
الشهوات وعد فمن اشتغل بنقده قل ما يشتغل بوعده ومن احسن قولا
ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا يصلح لمرضاته وقال انني من المسلمين
تحدثنا بنعمته والآية عامة لمن استجمع تلك الصفات الثلاثة وقيل المراد بهم
النبيون او المؤذنون او الائمة الداعون والوعاظ الواعون قال ابن عطاء
ما دعا الى الله من دعا بنفسه الى الله حتى يدعوا الى الله بالله فيكون هو داعي
حق ودعاؤه دعاء حق وافاد الاستاد ان الداعي الى الله هو الذي يدعوا الناس

اى الاكتفاء بالله وترك طلب العوض من الله بان يكل امره الى الله ويرضى من الله
بقسمة الله وعمل صالحا كما يدعو الخلق الى الله بانى بما يدعوهم اليه طلبا لمرضاة الله
ولا تستوى الحسنة ولا السيئة فى المجازاة وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتاكيد
النافية ادفع بالتى هى احسن ادفع السيئة باحسن ما يمكن دفعها به من افراد الحسنة
فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم اى اذا فعلت صار عدوك المشاقق
مثل الولى القريب الشفيق المشتاق قال ابن عطا لا يستوى بين من احسن
الدخول فى خدمتنا والخروج من حضرتنا وبين من اساء الادب فى الخدمة وبين
من اساء فى الغيبة فان سوء الادب فى القرب اصعب من سوء الادب
فى البعد وقد يصفح عن الجاهل الكبائر ويعاقب بالالتفات بعض الاكابر وقال الاستاذ
اى ادفع بالخصلة التى هى احسن السيئة يعنى بالعفو عن المكافاة وبالتجاوز والصفح
عن الزلة وترك الانتصاف فى المظلمة وهذا من جملة حسن الخدمة والادب فى حق
صحبتك مع الرب ان تحلم عن عباده لاجله ومن جملة حسن الخلق فى الصحبة مع الخلق
ان لا تنتقم لنفسك وان تعفو عن خصمك وما يلقيها اى هذه الخصلة المستحسنة
وهى مقابلة الاساءة بمعاملة الحسنة الا الذين صبروا حبسوا انفسهم عن الاخلاق
السيئة وما يلقيها الا ذو حظ عظيم من الشمائل البهية والفضائل الجلية وقال
الاستاذ لا يصل الى سنى الدرجات الا من صبر على مقاساة شدائد البليات
واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به الوسوسة لانها بعث
على ما لا ينبغى من الحركة كالدفع بما هو اسوأ من السيئة وجعل النزغ نازعا
على طريقة جد جده للمبالغة فاستعذ بالله من شره ولا تطعه فى امره
انه سبحانه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك وصالح حالتك
قال بعضهم من طرد الشيطان بنفسه عن نفسه فهو ابدا قرينه ومن طرده
بالالتجا والتضرع الى الله والاستعاذة به منه لم يجعل الله للشيطان عليه سبيلا
فى دينه وقال الاستاذ اى اذا اتصل بقلبك نزعة من نزغات الشيطان فلا تنزلها
تنكر الى الله بالمرة بل ارجع الى الله فى اول الخطرة فانك ان لم تخالف اول
الوهلة صار الفكرة ثم بعد ذلك يحصل العزم على الفعلة ثم ان لم يتدارك
ذلك تجرى الزلة فان لم يتدارك بحسن الرجعة صار القسوة ويتمادى
الوقت فهو يخطر كل آفة من الشقوة ولا يتخلص العبد من نزغات الشيطان
الا بصدق الاستعانة بالله وصدق الاستغاثة الى الله فيه ينجو عن الشيطان
قال تعالى ان عبادى ليس لكم عليهم سلطانا فكلما زاد العبد فى تبريه من حوله
وقوته واخلص بين يدى الله من تضرعه واستغاثته زاد الله فى حفظه
وحمايته ودفع الشيطان عنه بعنايته ورعايته ومن آياته الليل والنهار

والشمس

والشمس والقمر اى ومن علاماته الدالة على كمال قدرته وجمال حكمته اختلاف
الوقتين وتفاوت النيرين لا تسجدوا للشمس ولا للقمر اى ولا غيرهما من سائر
الكواكب بالاولى فانهما مامورات مثلكم بل مخلوقان لاجلكم ولانهما آفلان
غافلان عن عملكم واسجدوا لله الذى خلقهن الضمير للاربعة المذكورة او
للكواكب المسطورة ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص من العبادة
وهو موضع السجدة عند الشافعية لاقتران الامر به فى المبنى وعندنا آخر الآية
الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الطاعة فالذين عند ربك
من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اى فى جميع الازمنة وهم لا يسامون
لا يملون ولا يفترون قال ابن عطا اظهر لك الايات كلها لتشتغل بمظهرها
دونها فمن اشتغل بها اشغله عن مظهرها ومن اشتغل بمظهرها اشغله
ذلك عن الاشتغال بها وافاد الاستاذ انه سبحانه اوضح الآيات والاح البينات
وازاح علة من رام الوصول الى الكمالات فاختلاف الليل والنهار ودوران
الشموس والاقمار امارات قدرته ودلالات حكمته لا تسجدوا للشمس فى علائها
ولا للقمر فى ضيائه وسمائها واسجدوا للذات المنعوت باوصافها واسمائها
عار عليكم ان تسجدوا للغير من المخلوقات فى ابدائها وانهائها ويقال الشمس ولا ان
علت والقمر وان حسن صورته واكمل فلاجلك خلقناهما فاسجدوا لنا ولا
تسجدوا لهما ويقال خلق الملائكة ثم مع كثرة عبادتهم وتقدمهم فى طاعتهم قال
لهم اسجدوا لادم فامتنع واحد منهم ولعن الى الابد وطردوا عنهم وقال للاولاد
العصاة لا تسجدوا للشمس ولا للقمر فشتان ما هما فتدبر ويقال الحق سبحانه
يامرك بصيانة وجهك عن الشمس والقمر وانت لاجل كل حظ خسيس تذل قدمك
الى كل احد وتذل بمحياك على كل احد قلت وما احسن دعاء الامام احمد بن حنبل
قدس الله سره الاجل اللهم كما صنت وجهى عن سجود غيرك فصن وجهى عن
مسالة غيرك ومن آياته الدالة على كمال ذاته وجمال صفاته انك ترى
الارض خاشعة يابسة ساكنة كالميتة متواضعة فاذا انزلنا عليها الماء
اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت بالنبات ان الذى
احياها بعد موتها وهى من الجمادات لمحيى الموتى من الانسان والحيوانات
انه على كل شىء كالاحياء والاماتة قدير بالغ القدرة كامل القوة وافاد
الاستاذ ان الارض اذا اصحبتها جدوبة الشتاء خشنت وفى وقت
الربيع اذا انزل عليها المطر اهتزت بالنبات واخضرت كذلك اذا
خشعت القلوب لاستشعارها بما عملت من الذنوب فاقبل الله
عليها فظهرت فيها بركات الندم وعفا عن اربابها ما قصروا فى صدق

القدم وكذا اذا وقع للعبد فترة فى معاملته وغيبة عن بساط طاعته فاذا
تعهده الحق سبحانه بما يدخل على قلبه من تذكر ظلمة الشقاق اظهر فى قلبه انوار الوفاق
فيعود الى مألوف مقامه ومعروف مرامه ويعود عود سداده غضا طريا ويشجر
وفائه وثمر صفائه وحما اصابه الحدوثة بماء العناية مسقيا وكذا اذا حصل
للعبيد من اهل العرفان وقفة او بدر لسوء ادب جرى منهم حجبة فاذا نظر الحق
سبحانه اليهم بالرعاية وعين العناية اهتزت رياض انسهم واخضرت منابت
قدسهم وانهزمت وفود وقفتهم وانعدمت وجود حجبتهم بعد شهود قربهم
ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة فى آياتنا بالطعن والتحريف
بالنقصان والزيادة وبالتأويل الباطل والالغاء فيها حال القراءة
لا يخفون علينا لخفائهم الينا وعذابهم لدينا افمن يلقى فى النار بوصف
الملامة خير ام من يأتى آمنا يوم القيمة اعملوا ما شئتم تهديد شديد انه بما
تعملون بصير وعد ووعيد ان الذين كفروا بالذكر بالقرآن لما جاءهم
بنعت الفرقان والخبر سيأتى قريبا من قوله اولئك ينادون من مكان
بعيد او محذوف مثل معاندون او معذبون وقال الاستاد بقوا عنا ووقعوا
فى اهوائهم وشقوا الى الابد فى غنائهم وانه لكتاب عزيز كثير النفع عديم
النظير او بديع منيع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مما فيه من
الاخبار الماضية والآثار الآتية تنزيل من حكيم حميد قال ابن عطاء كيف
يكون للباطل عليه سبيل وهو من الحق بدا والى الحق يعود وهو الحق فلا يحقق
الا بحق وافاد الاستاد انه كتاب عزيز لا مثل له لانهم عجزوا عن الاتيان
بمثله ويقال عزيز على المؤمنين لانه كتاب حبيبهم وهو لا ينقضه كتاب مما
تقدمه ولا ناسخ ما يأتى بعده ويقال لا يدافع معناه مبناه ولا يخالف مبناه
معناه ما يقال لك اى ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من
قبلك الا مثل ما قال لهم كفار قومهم فاصبر كصبرهم او ما يقول الله لك
الا مثل ما قال لهم فلست ببدع مما بينهم ان ربك لذو مغفرة لاوليائه
وذو عقاب اليم لاعدائه والجملة استيناف منقطع عما قبله وعلى الوجه
الثانى يحتمل ان يكون القول لهم بمعنى ان حاصل ما اوحى اليك واليهم وعد
المؤمنين بالمغفرة والمثوبة ووعيد الكافرين بالمجازاة والعقوبة وقال الا
الى هذا حيث افاد ان اصول التوحيد لا يختلف بالشرايع واختلاف الشرايع
فى الاحكام واحد فى انه يجب موافقة اوامره ومباعدة مزاجره ثم انه سبحانه
قال فى كل كتاب وشرع لكل امة ان بيرقوا انه للمطيعين ثواب عظيم وللكافرين
عذاب اليم ولو جعلناه اى الذكر المذكور قرآنا اعجميا لقالوا اى بعض كفار العرب

من المعاندين

من المعاندين لولا فصلت آياته بينت بلسان نفهمه ونعقل به امور الدين
ءاعجمى وعربى الكلام اعجمى ومخاطب عربى والاعجم من لا يفصح الكلام كالاعجمى
وقراءة هشام بالاخبار على تقدير همزة الانكار قل هو للذين آمنوا هدى
الى الحق والمعرفة وشفاء لما فى الصدور من الشك والشبهة والذين
لا يؤمنون مبتداء خبره فى آذانهم وقر اى هو فى آذانهم ثقل وصمم وهو
عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات
مما يغنيهم ويعنيهم اولئك ينادون من مكان بعيد هو تمثيل لهم فى عدم
قبولهم واستماعهم له بمن يصيح بهم من مسافة بعيدة الى الحصول لهم قال جعفر
الصادق القرآن شفاء لمن كان فى ظل العصمة والرعاية وعمى على من كان
فى ظلمة الخذلان والغواية وافاد الاستاد ان الكتاب يوجب شفاء للمؤمنين
وسبب شفاء للكافرين فهو شفاء للعلماء حيث استراحوا به عن كد الفكرة
وتحير توارد الخطرة وشفاء لضيق صدر المريدين لما فيه من التنعم بقراءة مباح
والتلذذ بالتفكر فى معانيه وشفاء لقلوب المحبين من لواعج الاشتياق
بما فيه من لطف المواعيد وشفاء لقلوب العارفين بما يتوالى عليه من انوار
التحقيق وآثار المواجيد ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق
والتكذيب ولولا كلمة سبقت من ربك وهى العدة بالقيمة وفصل الخصومة
فى تلك الساعة لقضى بينهم بافناء الكافرين وانجاء المؤمنين وانهم اى الذين
لا يؤمنون لفى شك منه من التورية او القرآن مريب موجب للاضطراب فى البرهان
من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن اساء فعليها ضره وما ربك بظلام بذى ظلم
للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعل اليه يرد علم الساعة اى اذا سئل عنها اذ
لا يعلمها الا هو وما تخرج من ثمرة من اكمامها من اوعيتها وقرأ نافع وابن عامر
وحفص من ثمرات لاختلاف انواعها وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق
وما تحمل من انثى ولا تضع بمكان او زمان الا بعلمه الا مقرونا بعلمه واقعا بحسب
تعلقه به ويوم يناديهم اين شركائى بزعمكم حتى يخلصوكم قالوا آذناك اخبرناك
ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا عنهم ولعل تكرير السؤال عنهم
للتوبيخ بلسان القال او ببيان الحال وضل عنهم غاب او ضاع منهم ما كانوا
يدعون يعبدون من قبل حيث لا ينفعهم وظنوا ايقنوا ما لهم من محيص مهرب
مما نزل بهم لا يسأم الانسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة فى النعمة
وان مسه الشر اى فى المضرة او فى المحنة فيؤس قنوط من الفضل والرحمة
والجمع بين الوصفين لزيادة المبالغة وافاد الاستاد انه لا يمل من ارادة المنفعة
وان مسته المضرة فلا يرجو زوال المشقة لعدم علمه بربه والشداد والطرق على قلبه

فی الرجوع الیه والاعتماد علیه ولئن اذقناه رحمة من بعد ضرآء مسته بتفریجها
عنه وازالتها منه لیقولن هذا لی حقی استحقه لما لی من الفضل والمال
او دائما لا یزول زوال من الاحوال وما اظن الساعة قائمة ای القیامة لقوم
ولئن رجعت الی ربی علی فرض الکلام ان لی عنده للحسنی للحالة الحسنی
من الکرامة والانعام وذلک لاعتقاده الفاسد وظنه الکاسد ان ما اصابه
من النعم الدنیویة فلاستحقاق لا ینفک عنه بالکلیة فلننبئن الذین
کفروا بما عملوا فلنخبرنهم بحقیقة اعمالهم ولنبصرنهم عکس ما اعتقدوا فیها
من آمالهم ولنذیقنهم من عذاب غلیظ بحسب احوالهم وقال الاستاد
لئن کشفنا عنه البلاء واثبتنا له الرخاء لا دعاه استحقاقا وانفا
ولا یعتقد ذلک منا فضلا وانعاما ویقول لو کان لی حشر ونشر لکان لی
من الله لطف وخیر ولیعلمن الامر بخلافه اذا اذقناه ما یستوجبه من عذابه
واذا انعمنا علی الانسان اعرض عن ذکرنا وانصرف عن القیام بشکرنا
قال الواسطی اعرض عن المنعم بالنعم ونای وقراء ابن ذکوان ناء بجانبه
ذهب بنفسه وتباعد عن مقام الله تکبرا وتجبرا واذا مسه الشر فذو
دعاء عریض کثیر العرض والطول فی طلب الخیر وافاد الاستاد انه لا
یمیز بین البلاء والعطاء فکثیرا ما یتوهم انه عطاء وهو مکر واستدراج
فیستدیمه وکثیرا ما هو فضل وصرف عطاء وهو یظنه بلاء فیتعاله ویکرهه
ویقال اذا انعمنا علیه صاحبه بالبطر واذا ابتلیناه قابله بالضجر ویقال
اذا انعمنا علیه اعجب بنفسه فتکبر مختالا فی زهوه لا یشکر ربه ولا یذکر
فضله وتباعد عن بساط طاعته وکالمستغنی عنا بهم علی وجهه واذا
مسه الشر فذو دعاء کثیر وتضرع عریض وابتهال شدید واستکشاف بدوام
زمن مدید ثم اذا کشفنا ذلک عنه فله الی عتوه ونبوه عود وعادة الی
اسوآء طریقته فی الجحود اعاده قل ارایتم ان کان القرآن من عند الله ثم کفرتم
من اضل ممن هو فی شقاق بعید ای من اضل منکم فوضع الموصول موضع
الضمیر شرحا لحالهم وتعلیلا لمزید ضلالهم سنریهم آیاتنا فی الآفاق
یعنی ما ذکر لهم النبی علیه السلام من اخبار الحوادث الآتیة وآثار النوازل
الماضیة وما یسر الله ولخلفائه من الفتوح وظهور السعادة علی ممالک
الشرق والغرب بطریق خرق العادة وفی انفسهم ای ما ظهر فیها بین
اهل مکة وغیرهم وما حل بهم من نزول شرهم وحلول خیرهم او المراد
ب بالآفاق ظواهر الانسان واشباحهم وانوارهم وبانفسهم بواطنهم
وارواحهم واسرارهم وما ابرز فیها من عجائب النعمة واودع فیها

من غرائب

من غرائب الحکمة الدال علی کمال قدرته وجمال حکمته حتی یتبین لهم انه الحق
الضمیر للقرآن او الرسول او التوحید او الله وهو الاحق ولا منع من الجمع
او لم یکف بربک الباء مزیدة علی الفاعل للمبالغة انه علی کل شیء شهید
بدل منه والمعنی او لم یحصل الکفایة بانه مطلع علی کل شیء فیعلم حالک وحالهم
وافاد الاستاد ان الآیات فی الآفاق اختلاف احکام الاعیان مع اتفاق
جواهرها فی التجانس وهذه هی آیات حدوث العالم واقتضاء المحدث بصفاته
وفی انفسهم من امارات الحدوث واختلاف الاوصاف ویقال فی الآفاق للعلماء
وفی انفسهم لاهل المعرفة مما یجدونه من العقاب اذا الموا بمعصیة ومن
الثواب اذا اخلصوا فی طاعة وکذلک ما یحصل لهم من اختلاف الاحوال
کالقبض والبسط والفرق والجمع والحجب والجذب وما یجدونه بالضرورة
فی معاملاتهم ومنازلاتهم الا انهم فی مریة شک وشبهة من لقاء ربهم
بالبعث والمجازاة ووقوع المحاسبة الا انه بکل شیء محیط عالم بجمل الاشیاء
وتفاصیلها مقتدر علیها لا یفوته شیء منها سورة الشوری وهی
ثلث وخمسون آیة بسم الله الرحمن الرحیم قال الاستاد سلوة العاصین
بسماع رحمة الله وخطوة العابدین فی رجائهم نعمة الله وراحة الفقراء فی
رضائهم بقسمة الله لکل من حاله نصیب وکل فی نفسه مصیب حم عسق
لعلهما اسم واحد ولمطابقة السابقة واللاحقة فصل بینهما وقد سبق
ما تعلق بها وهنا زیادة العین للایماء الی بعض الاسماء کالعلیم والسین الی
نحو السلام والقاف الی نحو القاهر القادر کذلک ای مثل ایحاء هذه
السورة او مثل ایحاء هذه السورة یوحی الیک والی الذین من قبلک
الله العزیز الحکیم وقراء ابن کثیر یوحی بالفتح علی انه مسند الی الیک والله
مرتفع بالابتداء والعزیز وما بعده اخبار وقال ابن طاهر الحاء من الحلیم
والمیم من الملک والعین من العلیم والسین من السید والقاف
من القادر وافاد الاستاد ان الحاء مفتاح اسمه حلیم وحافظ وحکیم والمیم
مفتاح اسمه ملک وماجد ومجید ومنان ومؤمن ومهیمن والعین مفتاح
اسمه عالم وعدل وعال والسین مفتاح اسمه سمیع وسریع الحساب
والقاف مفتاح اسمه قادر وقاهر وقریب وقدیر وقدوس اقسم الله
بهذه الاسماء او بهذه الحروف الدالة علیها بالایماء انه کذلک یوحی الیک
والی الذین من قبلک الله العزیز الحکیم له ما فی السموات وما فی الارض
وهو العلی العظیم استیناف مقرر لکمال عزته وجمال حکمته تکاد السموات
قراء نافع والکسائی بالتذکیر یتفطرن یتشققن من عظمة الله وهیبته

وقرأ ابو عمرو وابو بكر ينفطرن بالنون من فوقهن اى مبدأ الانفطار من
جهة كل واحدة منهن الى اسفلهن او الضمير للارض باعتبار الجنس اى من
فوق الارضين لاجلهم بسبب اشراكهم واغرب الاستاد ههنا حيث قال تكاد السموات
تتشقق من عظمة من فوقهن وهو الله سبحانه بفوقية الرتبة ويقال من ثقل
الملائكة وكثرتهن فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض
والسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الالهام والشفاعة واعداد الاسباب المقربة
الى الطاعة وذلك يعم المؤمن والكافر فى الجملة الا ان الله هو الغفور لذو مغفرة
للناس على ظلمهم من كمال حلمه الرحيم فما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته كما بين
فى علمه وفى الجملة المنبهة تنبيه نبيه فى الجملة على ان الله مع عظمته اذا كان غفورا
رحيما لجميع عباده فينبغى ان يكون كل من خواص خلقه متخلقا باخلاق ربه وقال الاستاد
يغفر لهم مع كثرة عصيانهم ومع عظم جرمهم لا يقطع عنهم رزقهم وان كان يريد الا
ان يعذبهم والذين اتخذوا من دونه اولياء اندادا وشركاء الله حفيظ عليهم رقيب
على اعمالهم وحسيب باحوالهم وما انت عليهم بوكيل بموكل لديهم او بموكول اليك
امرهم وافاد الاستاد ان فى الآية من الاشارة ان من عمل بمتابعة هواه وترك لله
حقا او نقض له عهدا فهو متخذ الشياطين اولياء والله يعلمه ولا يخفى عليه امره
وعلى الله حسابه واليه ايابه فان شاء عذبه وان شاء غفره وكذلك اوحينا اليك
قرآنا عربيا لتنذر ام القرى اى مكة والمراد اهلها ومن حولها من العرب والعجم
لانها سرتها وعمدتها وفيها قبلتها وتنذر يوم الجمع يوم القيمة يجمع فيه الارواح
والاشباح او العمال والاعمال لا ريب فيه لا شك فى كون ذلك اليوم او الجمع
والجملة معترضة فريق فى الجنة وفريق فى السعير والمعنى يجمعون فى موقف الحساب
ثم يفرقون الى دار الثواب والعقاب والتقدير فريق منهم والضمير للمجموعين فيه
لدلالة الجمع عليه وقال الاستاد كما انهم اليوم فريقان فريق فى راحات الطاعات
وحلاوات العبادات وفريق فى ظلمات الشرك والجحود وعقوبات العناد
والكنود فكذلك غدا فريق هم اهل اللقاء والبقاء وفريق اهل الشقاء والبلاء
ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة موحدين او ملحدين ولكن يدخل من يشاء فى رحمته
بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون بالكفر والمعصية ما لهم من ولى ينفعهم
بالشفاعة ولا نصير يدفع عنه العقوبة بالمقاومة وافاد الاستاد انه سبحانه ان
اراد ان يجمعهم كلهم على الرشاد والسداد فلم يكن مانع واذا لا زين لهم ولو شاء
ان يجمعهم كلهم على العناد والفساد لم يكن دافع واذا لا شين منهم وحيث
خلقهم مختلفين على ما اراد فلا مبالاة بهم انما هو اله واحد جبار غير مأمور
ولا مجبور ولا يحكم احد عن فعل مزجور ام اتخذوا بل اتخذوا بعض الانام من دون الله

اولياء كالاصنام فالله هو الولى بالحق وغيره الباطل المطلق وهو يحيى الموتى
وغيره جمادا فى المبنى وكالجماد فى المعنى وهو على كل شىء قدير وغيره غير قادر
على تغيير وتطهير قال الواسطى يحيى القلوب بالتجلى ويحيى النفوس بالاستتار
وافاد الاستاد انهم توهموا ان شيئا من الحدثان باحد فالله هو متولى جميع الامور
من الخير والشر والنفع والضر وهو الذى يحيى النفوس والقلوب اليوم ويميت
النفوس والقلوب اليوم وغدا وهو على كل شىء قدير ازلا وابدا وما اختلفتم فيه
انتم والكفار من شىء من امور الدين او الدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز الحق
من المبطل بالنصرة والمعاونة او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من
تأويل متشابه فارجعوا فيه الى محكم من كتابه ذلكم الحاكم الله ربى عليه توكلت
فى مجامع المهمات واليه انيب ارجع فى المشكلات وقال الاستاد فى قوله
فحكمه الى الله اى الى كتابه وسنة نبيه واجماع الامة وشواهد القياس والعبرة
وهذه الاشياء هى قانون الشريعة والكتاب يدل على صحة هذه الجملة ويقال اذا لم
تهتدوا الى شىء وتعارضت منكم الخواطر فدعوا تدبيركم الى تدبيره والتجئوا الى ظل
شهود تقديره وانتظروا ما الذى ينبغى لكم ان تفعلوه بحكم تيسيره ويقال اذا اشتغل
قلوبكم بحديث انفسكم لا تدرون بالسعادة جرى حكمكم ام بالشقاوة مضى اسمكم
فكلوا الامر فيه الى الله واشتغلوا فى الوقت بامر الله دون التفكر فيما ليس لكم سبيل
الى علمه من عواقبكم فاطر السموات والارض اى هو مبدئهما ومبدعهما جعل لكم من
انفسكم من جنسكم ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا ذكورا واناثا يذرؤكم فيه
اى يكثركم بسبب هذا التدبير فى التقدير ليس كمثله شىء اى كذاته وصفته لانه
فاطر السموات والارض وخالق ما فيهما من الطول والعرض ولا مثل يضارعه
ولا شكل يشاكله ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطى معنى ليس مثله
غير انه اكد كما فى قولهم مثلك لا يبخل على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانه اذا نفى
عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى وهو السميع البصير لجميع المسموعات
والمبصرات ولعل صدر الآية مشير الى توحيد جلال الفعل فى المصنوعات
وقوله ليس كمثله شىء الى جلال الذات وما بعده الى كمال الصفات قال الواسطى
ليس كذاته للحسنى ذات ولا كاسمه من جهة المعنى اسم ولا كصفته صفة من
جميع الوجوه الا من جهة موافقة اللفظ وكما لم يجز ان يظهر من مخلوق صفة
قديمة كذلك يستحيل ان يظهر من الذات الذى ليس كمثله شىء صفة حديثة
وان التكرار من حدوث الصفة جل ربنا وتعالى ان يحدث له اسم او صفة
اذ لم يزل بجميع صفاته واحدا ولا يزال كذلك ابدا وقال الشبلى كل ما ميزتموه
باوهامكم وادركتموه بعقولكم فى اتم معانيكم فهو مصروف اليكم ومردود عليكم ومحدث

مصنوع مثلكم وحقيقته اعلى من ان يدركه عبارة او يلحقه اشارة او يحيط به
وهم كلا كيف يكون به علم وقد اتفق اضداد في وصفه بقوله هو الاول والآخر
والظاهر والباطن اي عبارة تخبر عن حقيقة هذه العبارة كلا قصرت عنه
الاشارات وخرست الالسن بقوله ليس كمثله شيء ر وافاد الاستاد ان الكاف صلة اي
ليس مثله شيء او لفظ مثل صلة ومعناه ليس كهو شيء ويقال معناه ليس مثل اذ لو
كان له مثل لكان لمثله شيء وهو مثله والحق لا شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في احكام
بيناته فقوم وقعوا في تشبيه ذاته بذات المخلوقين فوصفوه بالحد والنهاية والكون
في المكان واقبح قولا منهم من وصفه بالجوارح والآلات والاركان وقوم وصفوه
بما هو تشبيه في الصفات فظنوا ان بصره في حدقة وسمعه في عضو وقدرته في يد الى غير
ذلك وقوم قاسوا حكمه على حكم عباده فقالوا ما يكون من الخلق قبيحا وما يكون من الخلق
حسنا فمنه حسن فهؤلاء كلهم اصحاب التشبيه والحق سبحانه مستحق التنزيه محقق
بالتحصيل دون التعطيل والتمثيل مستحق التوحيد دون التحديد له مقاليد السموات
والارض خزائنهما ومفاتيح ارزاق اهلهما يبسط يوسع الرزق الصوري والمعنوي
لمن يشاء ما يشاء من كميته وكيفيته ويقدر ويضيق على من يشاء بما يشاء وعلى
وفق مشيته ومقتضى حكمته انه بكل شيء عليم فيفعل ما ينبغي له فعله وافاد الاستاد
ان المقاليد مفاتيح الخزائن وخزائنه مقدوراته ومن خزائنه القلوب الموجودات
معادن الاشياء وفي المعادن جواهر مختلفة كذلك القلوب معادن احوال
مؤتلفة فكما ان بعض المعادن للذهب وبعضها للفضة الى غير ذلك كذلك
بعض القلوب معادن المعرفة وبعضها معادن الارادة وبعضها معادن المحبة
وبعضها للشوق وبعضها للانس وغير ذلك من الاحوال كالتوحيد والتفريد والهيبة
والرضا وامثالها وفائدة تعريف ان المقاليد له قطع افكار العبد من الخلق
اليه في طلب ما يريده ويقبل عليه فانه يوسع ويضيق رزق النفوس والقلوب
كما قدر لديه شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به
ابراهيم وموسى وعيسى اي اظهر وبين لكم من الدين دين اول الرسل وخاتم
النبيين ومن بينهما من بقية اولي العزم في مقام اليقين بالاصل المشترك
في ما بين الانبياء منهم ومن غيرهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان
بما يجب تصديقه والطاعة في احكامه من امتثال اوامره واجتناب زواجره
وهي الحالة الكاملة الشاملة المعبر عنها بالتقوى كما قال تعالى ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ان اكرمكم عند الله اتقاكم
اي اعلمكم واخشاكم ولا تتفرقوا فيه اي لا تختلفوا في هذا الاصل واما فروع
الشروع مختلفة كما قال لكل جعلنا منكم شرعة في تفسير السلمي قال سهل

اول من حرم

اول من حرم الامهات والبنات والاخوات نوح عليه السلام انتهى وما اظن
صحة هذا الكلام لان آدم عليه السلام اول من حرم الاخوات بدليل قصة قابيل
وهابيل واما كون الامهات والبنات حرمت بعد تحليلهن فما ادري شيء في
حقهن واغرب الاستاد حيث افاد ان في القصة ان تحريم البنات
والاخوات انما شرع في زمان نوح عليه السلام كبر على المشركين عظم عليهم ما تدعوهم
اليه من التوحيد والتفريد الله يجتبي اليه من يشاء اي يختار لما يدعوهم
او للدين او لنفسه ويهدي اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل اليه
ويجد عليه في التحقيق ولعل الاجتباء للمراد من المجذوبين بوصف الطيران
كما يشير اليه المشية المجردة والهداية للمريد من السالكين بنعت السيران
كما يومي اليه قاعدة الانابة وهي الرجعة من الغفلة الى الحضرة اخص من
التوبة التي هي الرجعة من المعصية الى الطاعة وما تفرقوا اي الامم
السالفة الا من بعد ما جاءهم العلم بان التفرق ضلال وطغيان وجور
على باطلهم بعد وضوح البيان وظهور البرهان بغيا بينهم طلبا للدنيا على
وجه العدوان ولولا كلمة سبقت من ربك اي حكم بتأخير العقوبة
الى اجل مسمى هو يوم القيمة او آخر اعمارهم لقضي بينهم بالعقوبة العاجلة
وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه من كتابهم لا يعلمونه كما
هو حقه او لا يؤمنون به حق ايمانه هو مريب مقلق في الريبة او مدخل
في الشبهة فلذلك فلاجل ذلك التفرق في القضية فادع الى الاتفاق
على الملة الحنفية واستقم على ما يتعلق بالدعوة كما امرت بالاقامة
والقيام بالطاعة ولا تتبع اهواءهم الباطلة قيل حقيقة الاستقامة
لا يطيقها الا الانبياء واكابر الاولياء لانه الخروج من المعهودات
ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الحق على قدم الصدق ولذا قال
عليه السلام استقيموا ولن تحصوا اي ولن تطيقوا الاستقامة التي امرتم به
وقال الاستاد اي لهذا القرآن ادع الخلق واستقم في الدعوة والطاعة امر
الكل بالاستقامة وافرده بذكر الزام الاستقامة ويقال الكيس في الاستقامة
سابق السؤال والرغبة اي سل منه ان اقمك وقل آمنت بما انزل الله من
كتاب يعني جميع الكتب المنزلة وامرت لاعدل بينكم في تبليغ الشرائع
وفصول الحكومة والاول اشارة الى كمال القوة العلمية وهذا اشارة الى كمال
القدرة العملية الله ربنا وربكم خالق الكل ومربيه ومتولي امره فيما يعنيه
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكل مجزي بحسب احوالنا واحوالكم لا حجة بيننا وبينكم
اي لا احتجاج بمعنى لا خصومة اذ الحق قد ظهر للعباد فلم يبق للخلاف مبدأ سوى

العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير مرجع الكل لفصل القضاء بالمثوبة
والعقوبة والذين يحاجون في الله يجادلون في دينه من بعد ما استجيب له من بعد
ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والمعنى ان من جادل بالباطل والعدوان
بعد وضوح الحق بالبرهان حجتهم داحضة زائلة باطلة عند ربهم وعليهم
غضب بمعاندتهم ولهم عذاب شديد بمخالفتهم الله الذى انزل الكتاب
جنسه بالحق ملتبسا به والميزان اى العدل بان انزل الامر به آلة الوزن
وايجادها بان اوحى الى الخلق اعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها
فاتبع الكتاب وواظب على العدل في الحساب قبل ان يفاجئك الذى يوزن فيه
اعمالك ويوفى جزاء احوالك وافاد الاستاد انه سبحانه يزجرهم عن طول الامل
وينبههم على انتظار الاجل يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء بها والذين
آمنوا مشفقون منها خائفون من وقوعها مع الاعتناء بها لتوقع الثواب فيها
ويعلمون انها الحق الثابت الكائن وقوعها الا ان الذين يمارون في الساعة
يجادلون في ثبوتها لفي ضلال بعيد عن حقيقة الحق وتصورها فان البعث اشبه
الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزه فهو ابعد عن الاهتداء الى غيره الله
لطيف بعباده برّ بهم بصنوف من البر التى لا تبلغها الافهام ولا تدركها
الاوهام يرزق من يشاء انواعا مختلفة فيخص كلا من عباده بنوع من البر على مقتضى
حكمته وهو القوى الباهر القدرة العزيز المنيع المنيع في الغلبة والعزة قال ابن عطا
يعلم من انفسهم ما لم يعلموه من نفوسهم وقال جنيد اللطيف الذى لطف
باوليائه حتى عرفوه بصفاته واسمائه وقال على بن عبد الرحيم اللطيف من لطف بهم
من الجهات الخفية وافاد الاستاد ان اللطيف هو العالم بدقائق الامور وغوامضها
واللطيف هو الملطف المحسن واللطف بالعبد في الحقيقة قدرة الطاعة وقوة
العبادة ويقال خاطب العابدين بقوله لطيف بعباده اى يعلم غوامض احوالهم من دقائق
الرياء والتصنع في اعمالهم لئلا يعجبوا بافعالهم وخاطب العصاة بقوله لطيف لئلا
ييأسوا من احسانه في مآلهم ويقال سماع قول الله يوجب الهيبة وسماع اللطيف
يوجب الطمأنينة فسماع قوله الله اوجب لهم تهويلا وسماع قوله اللطيف اوجب
لهم تأميلا ويقال من لطفه انه اعطاك فوق الكفاية وكلفك دون الطاقة
ويقال من لطفه في العبد ابهام عاقبته عليه لانه لو علم سعادته لاتكل عليه ولقل
عمله ومن لطفه بالعبد خفاء اجله عليه لئلا يستوحش ان كان قد دنا اجله ويقال
من لطفه بالعبد في الآخرة انه ينسيهم ما عملوه في الدنيا من الزلة لئلا يتنغص
عليهم العيش في الجنة من كان يريد حرث الآخرة ثوابها شبهه بالزرع من
حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذا قيل الدنيا مزرعة الآخرة نزد له في حرثه

فنعطيه

فنعطيه بالواحد عشرا الى سبعمائة فما فوقها او نزد له في حرثه الاخروى نفعه
الدنيوى بان نجمع له بين خيرى الدنيا والآخرة ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له فيها وما له في الآخرة من نصيب حظ به
يصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فيكون ممن خسر الدنيا والآخرة
وقيل من عمل لله محبة ورضاه ولم يطلب ثوابا وجزاء صغر عنده كل شئ دون الله
فلا يطلب حرث الدنيا ولا حرث الآخرة بل يطلب المولى في الدنيا والاخرى وقال
الاستاد نزد له في حرثه اى نزيد له اليوم في الطاعات توفيقا وصفاء الحال تحقيقا
ونزيده في الآخرة ثوابا واقترابا وفنون نجاة وصنوف درجات ومن كان يريد
حرث الدنيا مكتفيا به نؤته منها ما يريد وليس له في الآخرة من نصيب ام لهم شركاء
بل الهم شياطين شرعوا لهم بطريق التزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك
وانكار البعث ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق بتأخير العقوبة الى يوم القيمة
لقضى بينهم بين الكافرين والمؤمنين من غير المهلة وان الظالمين لهم عذاب
اليم لا يتخلف عنهم والمعنى انه يمهلهم لكن لا يهملهم ترى الظالمين في القيمة مشفقين
خائفين مما كسبوا من الشرك والمعصية وهو واقع بهم اى وباله نازل عليهم والذين آمنوا
وعملوا الصالحات في روضات الجنات في اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن
عند ربهم اى ما يشتهونه ثابت عند ربهم لاجلهم ذلك هو الفضل الكبير الذى يصغر
دونه ما لغيرهم في الدنيا من النعم الكثيرة وقال الاستاد لهم في الدنيا جنات الوصلة ولذا
ذات الطاعة والعبادة وطيب الانس في اوقات الخلوة وفي الآخرة روضات
الجنة لهم ما يشاؤن عند ربهم ان ارادوا دوام اللطف دام لهم وان ارادوا تمام
الكشف كان لهم ذلك التبشير بروضات الجنات الذى يبشر الله عباده
الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال الاستاد اى الذى مضى ذكره في القرآن
مفرقا من اوصاف الجنة وما اعد الله لاهلها من المثوبة هو الذى يبشر الله عباده
قل لا اسألكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم الا المودة
في القربى اى المحبة للتقرب الى رضا المولى كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض
في الله قال سهل ان تقربوا الى باتباع سنتى وقال ابن عطا لا اسألكم على دعوتكم اجرا
الا ان تتوددوا الى بتوحيده وتتقربوا اليه بدوام طاعته والتزام عبادته وقيل
الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة في حق القرابة ومن
اجلها اذ روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال على وفاطمة
وابناهما ومن يقترف حسنة يكتسب طاعة سيما محبة اهل بيت النبوة نزد له فيها
في تلك الحسنة حسنا بمضاعفة المثوبة ان الله غفور للمذنبين شكور للمطيعين
بالاجر الجزيل على العمل القليل وافاد الاستاد ان من بشر بالخير احدا طلب عليه اجرا

فالله يبشر المؤمنين على لسانه بالكرامات الابدية والسعادات السرمدية ثم قال
قل لا اسألكم عليه اجرا لان الله ليس يطلب منكم عليه عوضا فانا ايضا لا اسألكم عليه اجرا
فان المؤمن اخذ من الله خلقا حسنا الا المودة في القربى الا ان يودّ من يتقرب
الى الله بطاعته والزيادة في الحسنة زيادة توفيق الطاعة ويقال اذا ابتداه توفيق
المجاهدة نزيده بفضلنا تحقيق المشاهدة ويقال من يقترف حسنة من الوظائف
نزد له حسنا في اللطائف ويقال تلك الزيادة على العبادة ما لم يدركه احد من اهل السعادة
ام يقولون بل ايقولون افترى على الله كذبا بدعوى النبوة ونزول القرآن فان يشأ الله يختم
على قلبك بان يمسك القرآن والوحي عن صدرك ويربط عليه بالصبر على بلواهم فلا يشق
عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته استيناف لنفي الافتراء عما يقوله بانه
لو كان مفتريا لمحقه الحق سبحانه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه
او بقضائه وسقوط الواو رسما من يمح لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان انه عليم
بذات الصدور اي بالخواطر التي ترد عليها من الامور قال سهل يختم على قلبك ختم الشوق
والمحبة فلا تلتفت الى الخلق ودعائهم ولا تشتغل بابائهم واباتهم وقال الواسطي فان
يشاء الله يختم على قلبك بما يشاء ويمح الله الباطل بنفسه ونعته حتى يعلم لانه لا حاجة
له الى احد من خلقه ثم يحقق الحق في قلوب انشائها للحقيقة وابدائها في الشريعة والطريقة
وقال الاستاد اي انك ان افتريته ختم الله على قلبك ولكنك لم تكذب على ربك ومعنى
الآية ان الله سبحانه يتصرف في عباده بما شاء من العباد قريب وانا بعيد وهو الذي
يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه واركان التوبة الندامة بالقلب من حيث
ان الغفلة بمعصية الرب والامتناع بالفعل عنها والعزم على ان لا يعود اليها وقضاء
ما يمكنه من حقوق الله واداء ما يتصور له من حقوق العباد وكمالها ما اشار اليه علي كرم الله
وجهه بقوله هي اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة ولتضييع
الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها
مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته اي في حال الغفلة
ويعفو عن السيئات صغايرها وكبائرها لمن يشاء ويعلم ما يفعلون فيجازي المطيعين
على التوبة وغيرها ويتجاوز عن معصية المذنبين ان تعلقت المشية بها وقرأ حفص
وحمزة والكسائي بالخطاب وكل منها تغليب في هذا الباب فان فيه وعدا ووعيدا لاولي
الالباب ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يجيب الله لهم فحذف اللام
كما في واذا كالوهم والمراد اجابة الدعوة او الاثابة على الطاعة وتقدم ان الاستجابة
اخص من الاجابة ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة
والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من ثواب عديد وافاد الاستاد ان هذه
الزيادة بقول المفسرين من اهل السنة الرؤية والمعنى ان الطاعات في مقابلتها الج

الدرجات

الدرجات فيكون بمقدارها في النقصان والزيادات واما الرؤية فسببها الفضل والفضل
ليس فيه تمييز انتهى وكانه اراد ان لا تمييز في اصل تعلق الفضل والا فلا شك في
تفاوت مراتبه بالنسبة الى اختلاف ارباب مقامات مناقبه ولو بسط الله الرزق
لعباده لو وسعه عليهم جميعهم او اكثر مما هم عليه من وسعهم لبغوا في الارض لتكبروا
وافسدوا فيها بطرا واشرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا بحسب
حكم الغالب في القضية واصل البغي طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية
او كيفية ولكن ينزل رزق كل احد بقدر بتقدير او مقدار ما يشاء مما اقتضته
حكمته وتعلقت به مشيته انه بعباده خبير بصير يعلم خفايا امرهم وجلايا
حالهم فيقدر لهم ما يناسب شانهم في مآلهم وقد صح عن علي كرم الله وجهه ان
اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت فالمراد بعباده خواص عباده وبلايهم ما افاده
الاستاد ان هذا الخطاب في الظاهر يشبه الامتنان في خطاب الادميين
اي انا لم ابسط ايها الفقير عليك الدنيا لما كان لي من المعلوم اني لو وسعت
عليك لطغوت على العباد وسعيت في الارض بالفساد ويقال قوله ولكن كلمة
استدراك يقول ان لم اوسع عليك الرزق بمقدار ما تريد لم امنع عليك
الكل بل انزل عليك بقدر ما اشاء لكي تحيى قلوبهم وتنشرح صدورهم
وتتسهل امورهم وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب
وينفعهم من جهة الخصب من بعد ما قنطوا ايسوا منه وقطعوا الطمع وينشر
رحمته في كل شيء من سهل وجبل ونبات وحيوان وهو الولي الذي يتولى
امر عباده باحسانه وفق مراده الحميد المستحق للحمد على جميع افعاله من منعه
وعطائه قال ابن عطاء ان الله يربي عباده بين طمع وياس فاذا طمعوا فيه
آيسهم بصفاته اي الجلالية واذا ايسوا اطمعهم بصفاته اي الجمالية فاذا غلب
على العبد القنوط واستفرغ منه اتاه الله الفرج بعده الا تراه يقول وهو الذي
ينزل الغيث من بعد ما قنطوا معناه ينزل غيث رحمته على قلوب اوليائه
فينبت فيه التوبة والانابة والرعاية والمراقبة وافاد الاستاد ان العبد
اذا ذبل غصن وقته وتكدر صفو وده وكسف شمس انسه وبعد ان ساحة
الحضرة وبساط القرب عهده فربما ينظر اليه الحق بعين عنايته فينزل على سره
امطار رحمته فيعود عوده طريا وينبت من مشاهد انسه وردا جنيا ومن
آياته اي عجايب مصنوعاته خلق السموات والارض اي انفسهما فانهما بذاتهما
وصفاتهما يدلان على وجود صانع حكيم في ابدائهما وابداعهما وما بث فيهما اي وخلق
ما فرق ونشر عليهما من دابة يدب ويتحرك فيهما من الملائكة وحملة العرش وسكان
الفرش وهو على جمعهم اذا يشاء في اي وقت شاء اجتماعهم قدير متمكن منه لا يتخلف

عنه وافاد الاستاد انه سبحانه جعل في كل شيء من مخلوقاته وصنائع افعاله دلالة
على توحده في جلاله وتفرده بنعوت كبريائه وجماله والاشارة في قوله وهو على
جمعهم اذا يشاء قدير ان الحق سبحانه يغار على اوليائه ان يسكن بعضهم بقلبه
الى بعض منهم فابدا يبدد شملهم ولا يكاد يتفق الجماعة من اهل القلوب في موضع
الا نادرة وذلك اجتماعه مدة يسيرة ثم في بعض الاحايين قد يتفضل عليهم
بان يدنوا بهم الديار ويحصل بينهم في الظاهر الاجتماع والالتقاء الاثار
وذلك وقت نظر الحق سبحانه بفضله الى العالم فان في بركات اجتماعهم
حيوة العالم وهذا وان كان نادرا فهو على جمعهم اذا يشاء قدير وما اصابكم من
مصيبة بدنية او مالية فبما كسبت ايديكم بسبب كسب المعصية والمخالفة الدينية
والفاء لان ما شرطية ولم يقرأها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية
ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يجازي بها ولا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين
فان ما اصاب غيرهم من المطيعين فلاسباب آخر منها رفع درجاتهم في عليين وقد
ورد ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه اكثر وعن
ابن عطاء من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفي عنه
اكثر في باب حسابه كان قليل النظر عن احسان ربه وقال بعضهم العبد ملازم للجنايات
في جميع الاوقات وجناياته في طاعته اكثر من جناياته في معصيته لان جناية المعصية
من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عباده من جناياته بانواع من مصيباته
ليخفف عنه اثقاله يوم القيمة ولولا عفوه ورحمته لهلك في اول خطوة من خطواته وعن
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه مرفوعا من عفي عنه في الدنيا عفي عنه في الآخرة ومن
عوقب في الدنيا لم يثن عليه عقوبة في الآخرة وروي ان هذه الآية من القرآن ارجى
آية لاهل الايمان وافاد الاستاد ان العبد اذا تحقق بهذه الآية فاذا اصابه شظية
او حالة مما تسوءه وعلم ان ذلك جزاء له وعتاب على ما لم يدر منه من سوء ادبه مع ربه
فاستحياء خجلته من فعله الموجب لمصيبته يشغله عن رؤية ذلك من الناس وفعلهم
حتى ينتقم منهم او يكافيهم او يدعو عليهم ويقال اذا كثرت الاسباب من البلايا
على عبد وتوالت عليه فليتفكر في افعاله المذمومة كم يحصل منه حتى يبلغ جزاء ما يفعله
من العفو الكثير هذا المبلغ فعند ذلك يزداد اسفه واحزانه لعلمه بكثرة ذنوبه وعصيانه
وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المكاسب والمصائب فيها
وما لكم من دون الله من غيره من ولي يحرسكم عنها ولا نصير يدفعها عنكم او غيرها
ومن آياته علاماته الدالة على كمال قدرته وجمال حكمته الجوار السفن الجارية في
البحر كالاعلام كالجبال الراسية ان يشاء يسكن الريح وقرأ نافع الرياح فيظللن
رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور

اى لكل

اى لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن
اى او ان يشاء يهلكهن بان يغرق اهلهن بما كسبوا من سوء عملهم فيهن او في
غيرهن ويعف عن كثير من اهلهن فلا يهلكن ليشكروا نعمة نجاتنا ويعلم الذين
يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص محيد عن عقوباتنا وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على
الاستيناف وافاد الاستاد ان الاشارة في هذا الى امساك الناس في خلال
فتن الوقت من الانواع المختلفة ثم حفظ العبد في ابواء السلامة وذلك يوجب
خلوص الشكر للمزيد ليوجب له جزيل المزيد فما اوتيتم من شيء من الامور الدنيوية
فمتاع الحيوة الدنيا الدنية يتمتعون بها في مدة قليلة وما عند الله من ثواب العقبى
خير وابقى لخلوص نفعه ودوامه في الكيفية والكمية للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
في امورهم لا على اعمالهم واجورهم وقال الاستاد يعني ان الراحات في الدنيا لا تصفو
ومن المشائب لا تخلو فان اتفق البعض منها في احايين من الاحوال فانها سريعة
الزوال وشيكة الارتحال وما عند الله من الثواب الموعود خير من هذا القليل الموجود
والذين يجتنبون كبائر الاثم من حقوق الحق والفواحش من متعلقات الخلق
وقرأ حمزة والكسائي كبير الاثم وفسر بالشرك والفواحش بالكبائر واذا ما
غضبوا على احد ممن ظلمهم هم يغفرون بانفسهم من غير اعتذار لديهم والتفات
اليهم والذين استجابوا لربهم في دعوته الى طاعته عموما واقاموا الصلوة خصوصا
وامرهم فيما ليس عندهم نص من كتاب او سنة شورى بينهم ذو تشاور بينهم
في امر دينهم ودنياهم لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه ويختاروا
وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم في امرهم ومما رزقناهم ينفقون في سبيل
خيرهم وافاد الاستاد ان المستجيب لربه هو الذي لا يبقى معه نفس الا على
موافقة رضاه ولا يبقى منه له بقية في متابعة هواه فهؤلاء هم الذين لهم
حسن الثواب وحميد المآب والذين اذا اصابهم البغي الظلم والعدوان
هم ينتصرون بالعدل والاحسان وجزاء سيئة سيئة مثلها سمي الثانية سيئة
للازدواج والمشاكلة او المراد بها سيئة صورية او لغوية فمن عفا بقلبه واصلح
بينه وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة تدل على عظمة موعوده انه لا يحب الظالمين
المبتدئين بالسيئة والمتجاوزين في المعاقبة وقال الاستاد لمن عفا عن الجاني عليه
واصلح ما بينه وبين ربه حتى يصلح الله ما بينه وبين خلقه فاجره على الله والذي للعبد
من الله وعلى الله وعند الله خير مما يعمله باختياره ويفعله باقتداره ولمن انتصر
بعد ظلمه بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما
السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار ويبغون في الارض بغير الحق
اى يطلبون ما لا يستحقونه كما هو داب الفجار اولئك لهم عذاب اليم في النار على ظلمهم

وبغيهم مع الاصرار وافاد الاستاد انه سبحانه علم ان الكل من عباده لا يجد الحرية من احكام النفس ولا يتمكن من محاسن الخلق فرخص لهم في المكافاة على سبيل العدل والقسط وان كان الاولى بهم الصفح والعفو ولمن صبر على الاذى وغفر اى وعفا وستر حاله وحال من اذى بعدم الشكوى ان ذلك منه لمن عزم الامور اى معزومات الامور ومطلوباته عنه وقال الاستاد اى صبر على البلوى من غير شكوى وغفر بالتجاوز عن خصمه ولا يبقى لنفسه عليه دعوى بل يبرئ خصمه من جهة ماله عليه من كل دعوى في الدنيا والعقبى ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما راوا العذاب حين يرون نار العذاب واثار العقاب يقولون هل الى مرد من سبيل اى الى رجعة الى الدنيا او الحالة الحسنى من سبيل اى طريق توفيق فيقال لا كما يدل عليه قوله تعالى ولو ردوا لعادوا وتريهم يعرضون عليها على النار خاشعين من الذل متكسرين محتقرين من المذلة ينظرون من طرف خفي اى يبتدى نظرهم الى نيرانهم من تحريك ضعيف لاجفانهم كالمصبورين ينظرون الى السيف حين امتحانهم وقال الذين آمنوا ان الخاسرين اى الكاملين في خسرانهم الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعرض العذاب المخلد المعد لهم يوم القيمة بسبب عصيانهم الا ان الظالمين في عذاب مقيم من تمام كلامهم او تصديق من الله لمرامهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهداية في الدنيا ولا الى النجاة في العقبى وافاد الاستاد ان الذين اضلهم الله واعمى ابصارهم اوقعهم في كد كسبهم وحرمهم برد الرضا بحكم ربهم فليس لهم ولي من دون الله ولا مانع عنهم من عذاب الله وتريهم يعرضون على نار العقوبة وهم خاشعون من غاية المذلة لا ينفعهم نداؤه ولا يسمع منهم دعوة ولا ناصر ينصرهم ولا راحم يرحمهم استجيبوا لربكم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعدما حكم به او من قبل ان يأتي يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجاء موضع فرار يومئذ وما لكم من نكير انكار لما اقترفتموه من اوزار لانه مدون في صحف اعمالكم وتشهد السنتكم وجوارحكم بافعالكم وهو عالم الغيب مطلع بتفاصيل احوالكم فان اعرضوا عن الاستجابة فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا بالمحاسبة ان عليك الا البلاغ تبليغ الرسالة وقد بلغت وبالغت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان اى غالبهم كفور بليغ الكفران ينسى النعمة واياها ويذكر البلية ويعظمها ولا يتامل سببها قال جنيد استجابة الحق لمن سمع هواتفه واوامره وخطابه فيتحقق فيه الاجابة بذلك السماع ومن لم يسمع الهواتف كيف

يجيب واني له محل الجواب من الرقيب وافاد الاستاد ان الاستجابة الوفاء بعهده والقيام بحقه والرجوع من مخالفته الى موافقته والاستسلام في كل وقت لحكمه ثم الطريق اليوم الى الاستجابة مفتوح وعن قريب سيغلق الباب على القلب بغتة ويؤخذ فلته فان اعرضوا عن الاجابة فليس عليك الا تبليغ الرسالة ثم نحن اعلم بما نعاملهم به من تقليب الحالة وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بتلك الحالة بطرا وتوصل بتمام عافيته وسلامته الى دوام مخالفته وان اصابته فتنة وبلية ومستهم مصيبة ورزية فانه كفور لنعمائنا جحود لآلائنا لله ملك السموات والارض فلا ان يقسم النعمة والبلية كيف يشاء بين البرية يخلق ما يشاء من انواع المنحة واصناف المحنة ويقسمها بين عباده بمقتضى مشيته وموجب حكمته يهب لمن يشاء اناثا اى من البنات ويهب لمن يشاء الذكور من غير لزوم ومجال اعتراض في الامور او يزوجهم ذكرانا واناثا او يخلطهم تمنجا ويجعل من يشاء عقيما جملة يهب بدل من يخلق والمعنى يجعل احوال العباد في الاولاد مختلفة على مقتضى المشية الالهية لا على مقتضيات الطبايع البشرية ممن خص بالاناث من الانبياء لوط عليه السلام وبالذكور ابراهيم عليه السلام وبالجمع نبينا عليه الصلوة والسلام وبالمنع يحيى وعيسى عليهما السلام انه عليم قدير فيفعل ما يفعل بحكمته واختياره لبريته وقال بعض العارفين يهب لمن يشاء اناثا اى العلوم الظاهرية ويهب لمن يشاء الذكور اى المعارف الباطنية او يزوجهم يجمع لهم بينهما ويجعل من يشاء عقيما خاليا عنهما وما كان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثل ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة وهو ما يعم المشافهة كما روي في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى في طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالاية دليل على جواز الرؤية في الجملة لا على امتناعها بالكلية او يرسل رسولا اى ملكا فيوحي اليه باذنه بامر ربه باعتبار ذاته ونعمته ما يشاء من حكمه وقراءة نافع او يرسل رسولا فيوحي بالرفع فيهما انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يفعل بمقتضى حكمته فيكلم تارة بواسطة واخرى بغيرها اما عيانا واما من وراء حجاب وافاد الاستاد ان الله سبحانه يحق ملكه ان يفعل ما يشاء في ملكه ويعطي من يشاء من عباده ما يشاء من امره ولكن اجرى العادة بانه لا يفعل الا ما في هذه الاية فلا يكلم احدا الا بالوحي او من وراء حجاب يعني وهو لا يرى الحق فالمحجوب يكون العبد لا الرب والحجاب ان يخلق في محل الرؤية ضد الرؤية وتعالى الله عن ان يكون وراء حجاب لان ذلك صفة الاجسام المحدودة التي تسبل على المحجوب سترا او يرسل رسولا يحق مخاطبته ايانا بارسال الرسل الينا وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا

اى وحيا يحيى به قلوب عبادنا ماكنت تدرى ما الكتاب اى قبل الوحى ولا الايمان
اى تفاصيل احكامه ولكن جعلناه اى الروح المراد به الوحى او الكتاب او معرفة الايمان
بتفاصيله نورا نهدى به من نشاء من عبادنا المؤمنين بالتوفيق لقبوله والنظر
فيه لحصوله وانك لتهدى اى تدل وتدعو الى صراط مستقيم دين قويم صراط الله الذى
له ما فى السموات وما فى الارض ملكا وملكا الا الى الله تصير الامور بارتفاع الوسائط
وتعلقات المخلوقين وفيه وعد للمطيعين ووعيد للمجرمين قال القاسم الا الى الله
تصير الامور لان منه مبداء كل شئ واليه منتهى كل شئ فما كان منه واليه فهو الساقط

سورة الزخرف مكية به وله وهى تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد اسم عزيز من وثق بجوده ونعمه لم يعلق بغيره
صواعد همه ولم يقف على سدة مخلوق بقدمه فى ابتغاء كرمه اسم عزيز من عوده
خفايا لطفه لم يتذلل فى طلب شئ لغيره ولم يرجع الى غيره فى شره وخيره
حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا اقسم بالقرآن على انه جعله
قرآنا عربيا وهو من غريب البدايع لتناسب القسم والمقسم عليه ولعل
اقسام الله تعالى بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه
والقرآن المبين يبين طريق الهداية ولا يحتاج اليه فى الديانة لعلكم تعقلون مبانيه
وتفهمون معانيه قال سهل بين فيه الهداية من الضلالة والخير من الشر وسعادة
السعداء وشقاوة الاشقياء وانه اى القرآن فى ام الكتاب فى اللوح المحفوظ لانه
اصل الكتب السماوية ومظهر بعض العلوم الالهية لدينا محفوظ عندنا عن التبديل
والتحويل لعلى رفيع الشان حكيم ذو حكمة بالغة فى البرهان افنضرب عنكم
الذكر صفحا اى انهملكم فنبعد عنكم الذكر اعراضا عن تكليفكم والمراد انكار
ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب مبين للخير والشر والنفع والضر
ان كنتم اى لاجل ان كنتم قوما مسرفين وهو فى الحقيقة علة مقتضية لترك
الاعراض عن بيان حال المكلفين وقراء نافع وحمزة والكسائى ان بالكسر على ان
الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك فى القضية بيانا لحالهم انهم من السفهاء
وما قبلها دليل الجزاء وقال الاستاد اى لا نفعل ذلك والمعنى انقطع عنكم ذكر
خطابنا وتعريفنا بما فيه عقابنا وثوابنا بان اسرفتم فى خلافكم عن بابنا اى لا نرفع
عنكم التكليف بان خالفتم ولا نهجركم بقطع الكلام معكم وان اسرفتم وفى هذا
اشارة لطيفة وهو انه لا يقع الخطاب اليوم عمن تمادى فى عصيانه واسرف
فى اكثر شانه فارجوا ان من لم يقصر فى ايمانه وان تلطخ بعصيانه ولم يدخل في ميدان
عرفانه لا يمنع عنه لطائف غفرانه وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم
من نبى الا كانوا اى اكثرهم به يستهزءون وفيه تسلية لرسوله عن استهزاء قومه

فاهلكنا

فاهلكنا اشد منهم من القوم المسرفين بطشا قوة وشوكة ومضى مثل الاولين
وسبق فى القرآن المبين قصتهم العجيبة وقضيتهم الغريبة وفيه وعد للمؤمنين
ووعيد للكافرين الاخرين بمثل ما جرى على الاولين ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم اى الله المنعوت بصفات الجلال والكمال
الذى جعل لكم الارض مهدا اى كالمهد فتستقرون فيها وقراء غير الكوفيين مهادا
اى فراشا ممهدا والموصول مقطوع عما قبله مرفوع على انه مستانف خبر مبتدا
مقدر هو هو او منصوب بتقدير اعنى قبله وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها
لعلكم تهتدون لكى تهتدون الى مقاصدكم وافاد الاستاد انه سبحانه اكد وصفه
فى انفراده بابداعه واختراعه فقال الذى جعل لكم الارض مهدا فكما جعل لهم الارض
قرارا لاشباحهم جعل الاشباح قرارا لارواحهم فالخلق سكان الارض والارواح
سكان النفوس فاذا انتهى مدة النفوس على الله حكم الله بخرابها كذلك اذا
فارقت الارواح الاشباح بالكلية قضى الله بخرابها والذى نزل من السماء
ماء بقدر بمقدار مقدر ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا حيينا به مكانا زال عنه
النماء كذلك تخرجون تنشرون من قبوركم وقراء ابن ذكوان وحمزة والكسائى بفتح
التاء وضم الراء قال الاستاد كما يحيى الارض بالمطر يحيى القلوب بحسن النظر والذى
خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات جميعها وقال الاستاد كذلك جنس عليكم
الاحوال كلها من رغبة فى الخيرات ومن رهبة فى العقوبات وخوف يحملكم على
ترك الزلات ورجاء يبعثكم على فعل الطاعات طمعا فى المثوبات وغير ذلك من
فنون الصفات وجعل لكم من الفلك والانعام اى الابل ما تركبون اى فيه او عليه
لتستووا على ظهوره اى ظهور ما تركبون ثم تذكروا نعمة ربكم بقلوبكم معترفين بها
حامدين بالسنتكم عليها وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا الركوب وما كنا له
مقرنين مطيقين وانا الى ربنا لمنقلبون اى راجعون والنكتة فى اتصال
هذه الجملة ان الركوب للرحلة والنقلة العظمى هو الانقلاب الى المولى قال ابن
عطاء خاطب العوام بانهم يذكرون النعم فى وقت دون وقت وفى حالة
دون حالة لانهم لا يعرفون نعم الله عليهم فى كل نفس وطرفة ولحظة ولمحة وسكون
وحركة وقال ابو بكر بن طاهر ليكن ركوبهم على الدواب ضرورة عن المشى فى الحاجة
او حربا فى المجاهدة ولا يكون ركوبهم عليها ركوب اللهو والفخرة وافاد الاستاد انه
سبحانه كما سخر لهم الفلك فى البحر والدواب فى البر للركوب عليها واعظم المنة بذلك
عليهم فيها كذلك سهل للمؤمنين مركب التوفيق تحملهم عليه الى بساط الطاعة وسهل
للمريدين مركب الارادة تحملهم عليه الى عرصات الجود وعرفات الوجود وسهل للعارفين
مركب الهمم واناخوا بعقوة العزة وعند ذلك تحط الكافة لم يخلق سرادقات العز

انه مخلوق سواء كان ملكا مقربا او نبيا مرسلا او وليا مكرما وعند سطوات العزة يتلاشى
كل مخلوق ويضمحل دونها كل محدث مسبوق وجعلوا اي كفار مكة له اي لله سبحانه
من عباده جزءا وقرأ ابو بكر بضمتين اي ولدا حيث قالوا الملائكة بنات الله
ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الرحمن لانها من
فرط الجهل وغاية الطغيان ام اتخذ مما يخلق بنات وهي الجزء الاخس لديكم والبغيض
الاجزاء اليكم واصفاكم بالبنين واختاركم باعطاء ما تختارونه من الجزء الاحسن
عندكم وفي العبارة اشارة الى ان ما سوى الله مخلوق له فلا يتصور له الولد حقيقة
واما الاتخاذ على التوسعة فلو وجد لما كان اخس الاشياء فصنيعهم هذا دل على
انهم من اجهل السفهاء واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا اي بالجنس الذي
جعله له مثلا اذ الولد لا بد ان يكون لوالده مماثلا ظل وجهه مسودا صار وجهه
اسود في الغاية لما يعتريه من الحزن والكآبة وهو كظيم مملو القلب من كثرة الكرب
اومن ينشؤ في الحلية اي او اتخذ من يتربى في الزينة يعني البنات وهو في
الخصام في المجادلة مع الرجال غير مبين غير مقرر لما يدعيه من نقصان عقله وضعف
رأيه وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتشديد مجهولا اي يربى في الخلوة دون الجلوة
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كفرا آخر من قبيح احوالهم تضمنه سوء مقالهم
وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله مقاما انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرأ الحجازيان
والشامي عند على تمثيل زلفاهم وتقربهم عند مولاهم اشهدوا خلقهم احضروا خلق الله
اياهم فشاهدوهم اناثا فشهدوا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم
وتهكم بهم وقرأ نافع بهمزة الاستفهام وهمزة مضمومة مسهلة على صيغة المجهول
ستكتب شهادتهم التي شهدوا بها على الملائكة ويسألون عنها يوم القيمة
وقالوا لو شاء الرحمن عدم عبادة الملائكة او الاصنام ما عبدناهم فاستدلوا
بنفي مشيئة عدم العبادة على امتناع النهي عنها او على تحقق حسنها وذلك باطل
لان المشيئة ترجح بعض الممكنات على بعض في عالم الوجود مأمورا كان او منهيا
مستحسنا كان او مستقبحا ولذلك جهلهم فقال ما لهم بذلك الاستدلال
من علم يفيد في معرض الجدال ان هم الا يخرصون يحتالون ويتكلفون المحال
وافاد الاستناد انهم انما قالوا ذلك استهزاء واستبعادا لا ايمانا واخلاصا
فقال تعالى ما لهم بذلك من علم فلو علموا ذلك وقالوه على وجه التصديق لم يكن ذلك
معلولا منهم في مقام التحقيق ام آتيناهم كتابا من قبله قبل القرآن على صحة ما قالوه
من البرهان فهم به مستمسكون بذلك الكتاب متمسكون والحاصل ان كلامهم
خارج عن طريق العقل وتصحيح النقل وانما هو مبني على محض التقليد وصرف
الجهل بل قالوا انا وجدنا آباءنا اسلافنا على امة طريقة مسلوكة وانا على

آثارهم

آثارهم مهتدون اي جنحوا فيه الى تقليد آبائهم الجهلة وكذلك ومثل هذه
الحالة ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها اي متنعموها
انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون وتخصيص المترفين
اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر في الدلالة الى تقليد
ارباب الضلالة واصحاب الجهالة وايماء الى ان غالب المؤمنين كانوا
فقراء وعلماء في كل وقت وحين قل أولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه
آباءكم اي اتتبعون اهواءكم وتقلدون آباءكم ولو جئتكم باهدى من
دين قدمائكم وهو حكاية امر ماض اوحي الى كل نذير ويؤيده انه قرأ ابن
عامر وحفص قال قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي وان كان اهدى
اقناطا للنذير من ان ينظروا ويتفكروا فيه فانتقمنا منهم باستيصالهم
فانظر كيف كان عاقبة المكذبين اي سوء احوالهم وقبح مآلهم
قال ابو عثمان علامة انتقام الله من عباده ان يجريهم في ميدان
الغفلة فلا يجاريهم على مدراج الذكر ومعارج الفكر ورياض القدس
وحياض الانس واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء اي بريء وقرئ
مما تعبدون اي من عبادتكم او الهتكم والمعنى واذكر وقت قول
هذا البر وكيف تبرأ عن التقليد حين تولى التوضيح بالتحقيق والتأييد
الا الذي فطرني اي لكن الذي خلقني ابتداء فانه سيهدين الى ما وراء
ما هدى اليه انتهاء وجعلها اي جعل الله كلمة التوحيد كلمة باقية في عقبه في ذريته
فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعو الى ملته لعلهم يرجعون اي من اشرك منهم حين
ظهور حجته بل متعت هؤلاء الكفار المعاصرين للرسول المختار وآباءهم بالمد في العمر
وانواع النعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا في اصناف الشهوة حتى جاءهم الحق دعوة
ورسول مبين ظاهر رسالته ولما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به
كافرون زادوا في شرارتهم باظهار معاندتهم فسموا القرآن سحرا وصرحوا به كفرا
واستحقروا بالرسول فقرا وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
اي من احد من مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن
مسعود الثقفي فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها
الرتبة الروحانية تستدعي عظمة النفس بالتحلي بالفضائل الانسية والشمائل القدسية
لا التزخرف بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك اي نبوته التي
اعلى مراتب اهل العقبى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا وهم عاجزون عن
تدبيرها ومتحيرون في تقديرها وهي خويصة امرهم في دنياهم فمن اين لهم ان يدبروا
امر النبوة التي هي المراتب في دنياهم واخراهم قال بعضهم لم يترك قسمة معاش الدنيا

بالعبد مع خسته وكثافته فكيف يترك قسمة الرحمن بالعبد مع شرافته ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات اوقعنا بينهم التفاوت فى الرزق وغيره ليتخذ بعضهم بعضا
سخريا ليستعمل بعضهم بعضا فى حوائجهم فيحصل بينهم تألف ينتظم بذلك نظام اعمالهم
واحوالهم لا لكمال فى الموسع عليه ولا لنقص فى المضيق عليه ثم لا اعتراض لهم علينا فى
ذلك فكيف يكون فيما هو اعلى من هنالك ورحمت ربك يعنى النبوة وما يتبعها من
الايمان والمعرفة خير مما يجمعون من حطام الدنيا وزخرفها المموهة فالعظيم من يرزق
من الرحمة الخاصة لا من النعم العامة قال ابن عطا اعتذار من الله لانبيائه واوليائه
انه لم يزو عنهم الدنيا الا لانها لا خطر لها ولا قدر عنده فيها وانها فانية فآثر لهم العقبى
التى هى باقية انتهى ويؤيده ما قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله
جناح بعوضة لما سقى منها كافرا شربة ماء وافاد الاستاد ان الاشارة من هذه العبارة
ان الحق سبحانه وتعالى لم يجعل قسمة السعادة والشقاوة الى احد من خلقه وانما
المردود فى حكمه وقضائه وقدره من اراده والمقبول فى حكمه من جملة عباده من اراده
ومن قبله قبله لا لعلة وسبب ومن رده رده لا لامر مكتسب انما ذلك سابقة غير
معلولة وقضاء غير مردود ثم قسم لبعض عباده النعم والغناء ولبعض الفقر
والعناء وجعل لكل واحد منهم سكنا يسكنون اليه ويشتغلون به فالاغنياء وجدوا
الانعام وجزيل الاقسام فشكروا واستبشروا وللفقراء من هؤلاء شهود القسام
فحمدوا وافتخروا فالاغنياء وجدوا النعمة واستغنوا واشتغلوا والفقراء سمعوا قوله
نحن فاستقلوا وفى الخبر انه عليه السلام قال للانصار اما ترضون ان يرجع الناس
بالشاة والغنم وترجعون بالنبى الى اهاليكم فقالوا رضينا رضينا وقوله ليتخذ بعضهم
بعضا سخريا اى لو كانت المقادير متساوية لتعطلت المعائش ولبقى كل عن حاله
فجعل بعضهم مخصوصا بالترفه والمال وآخرين بالفقر ورقة الحال حتى احتاج الفقير
فى حين حاجته الى ان يعمل للغنى ليرتفق من جهته فيصلح بذلك امر الغنى والفقير
جميعا انتهى ولما كان ههنا مظنة سؤال وايراد اشكال وهو ان اكثر الابرار فقراء
واكثر الفجار اغنياء فما الحكمة فى ذلك وما النكتة لما هنالك ولم لم يعكس البلية
مع انه بها ايضا يتم نظام القضية وايضا بمقتضى القسمة الالهية ان يكون الدنيا
جنة الكافر كما انها سجن المؤمن فيوجب ذلك ان يكون الكافر بوصف يكون المؤمن
هنالك قال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لولا الكراهة ان يرغبوا فى الكفر
اذا راوا الكفار فى سعة وتنعم لحبهم الدنيا العاجلة وذهولهم عن العقبى الآجلة
فيجتمعوا على الكفر والطغيان ولم يلتفتوا الى الايمان والعرفان لجعلنا لمن يكفر
بالرحمن بناء على حقارة الدنيا وحرمان الكافر عن نظارة العقبى لبيوتهم سقفا من
فضة وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت ومعارج مصاعد عليها

يظهرون

يظهرون يعلون السطوح ولبيوتهم ابوابا وسررا اى من فضة عليها يتكئون
على ارائكهم وزخرفا وزينة عطفا على سقفا او ذهبا عطف على محل من فضة وان كل
ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هى المخففة واللام هى الفارقة وقرأ نافع وعاصم
وهشام فى رواية لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية والمعنى انه تمتع قليل عام للمؤمنين
والكافرين والآخرة عند ربك للمتقين اى خاصة لمن اتقى الكفر والمعصية وفيه
اشارة الى ان العظيم هو العظيم فى العقبى لا فى الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل
ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع يسير بالاضافة الى ما لهم
فى الآخرة من اجر كثير مخل فى الاغلب بالطاعات لما فيه من الآفات قل من يتخلص
عنها ويسلم منها قال ابو بكر الوراق التقوى سراج القلب يدله على مواضع الخلل منه
فيصلحه ومن لم يكن له تقوى لم يكن فى قلبه نظر ولا يبصر عيبه ويؤيده قوله تعالى واتقوا
الله ويعلمكم الله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام عن رؤية الآيات ويعرض عن الاذكار
والدعوات ويتغافل عن وظائف الطاعات بسبب فرط اشتغاله بالمحسوسات
وانهماكه فى الشهوات نقيض له شيطانا نقدره له ونسلطه عليه فهو له قرين
يوسوسه ويغويه فى دوام الاوقات وتمام الحالات قال سهل حكم الله تعالى
انه لا يرى قلب عبد يسكن الى شئ سواه الا اعرض عنه وسلط عليه الشيطان ليضله
عن طريق الحق ويغويه عن سبيل الصدق وافاد الاستاد ان من لم يعرف قدر
الخلوة مع الله وحاد عن اذكاره العلية واخلد الى خواطره الردية قيض الله له من يشغله
عن الله بالامور الدنيوية فهذا جزاء من ترك الادب فى الخلوة الرضية واذا اشتغل
العبد فى خلوته بربه فاذا تعرض له من يشغله عن ذكره صرف الحق عنه باى وجه كان
وصرف دواعيه عن معالجة ما يشغله عن ربه ويقال اصعب الشياطين نفسك التى
بين جنبيك والعبد اذا لم يعرف قدر فراغ قلبه للاشتغال بذكر ربه واتبع شهوته
ومتمناه وفتح ذلك على نفسه بقى اسيرا فى يد هواه لا يكاد يتخلص عنه الا بعد مدة
اراده الله وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذى من حقه ان يسلك
وجمع الضميرين لارادة الجنسين من العاشى والشيطان المذكورين ويحسبون
انهم مهتدون اى يظن العاشون ان الشياطين مهتدون الى الحق وهادون
الى الصدق وافاد الاستاد ان الذى سولت له نفسه امرا فيتوهم انه على صواب
وانه قصد خيرا ثم يحمل صاحبه على موافقته فى باطله ويدعى انه حق فى اصله فقد ضر
بنفسه وبغيره ثم انه اذا انكشف غدا الغطاء تبين خيانة صاحبه وندم على صحبته
حين لا نفع فى ندامته حتى اذا جاءنا اى العاشى مع قرينه او كل واحد منهما وقرأ
الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاءانا اى العاشى والشيطان قال اى العاشى
للشيطان يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين بعد المشرق من المغرب فغلب المشرق

واصيف البعد اليهما فبئس القرين انت على ما ظهر فى هذا الحين ولن ينفعكم اليوم
اى ما انتم عليه من التمنى فى العقبى اذ ظلمتم حين تبين انكم ظلمتم انفسكم فى الدنيا
وهو بدل من اليوم انكم فى العذاب مشتركون اى لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم
فى العذاب كما كنتم مشتركين فى اسبابه من انواع الحجاب افانت تسمع الصم كلام
الصدق او تهدى العمى الى طريق الحق ومن كان فى ضلال مبين روى انها نزلت
حين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه فى دعاء قومه وهم لا يزيدون
الا جفاء وجحدا وقال الاستاد اى ليس يمكنك هداية من سددنا بصيرته ولبسنا
عليه رشده ومن صببنا فى مسامع اذنه رصاص الشقاء والحرمان فكيف يمكنك
اسماعه القرآن وتفهيمه الايمان فاما نذهبن بك فاما نقبضنك قبل ان نصرناك
فانا منهم منتقمون بعدلا فى الدنيا والاخرى او نرينك الذى وعدناهم اى او ان
اردنا ان نريك ما وعدناهم من عذابنا فانا عليهم مقتدرون لا يفوتوننا ولا
يعجزوننا وقال الاستاد يعنى ان انقضى اجلك ولم يتفق لك شهود ما نتوعدهم
به لك فلا تتوهم ان صدق كلامنا يشوبه مين ان ما اخبرنا عنه فلا محالة سيكون
ابن انيته على حد الخوف والرجاء ووقفه على وصف التجويز لاستبداده
سبحانه بعلم الغيب وكذلك المقصود فى الامر من كل احد ان يكون من جملة
نظارة التقدير ويفعل الله ما يريد فاستمسك بالذى اوحى اليك من آيات
القرآن وشرائع الايمان انك على صراط مستقيم دين قويم قال ابن امر الله تعالى
نبيه عليه السلام بالاستمساك وهو لم يخل من التمسك بما امر به لحظة لكنه خاطبه
لرفع درجته وعظيم مرتبته لكون انت مبادرا بآداب التمسك والاقتداء ليتم
لك باب الوصل والاهتداء ويعلم ان مثله اذا خوطب بمثل هذا الخطاب فالذى
يلزمك من الاجتهاد فى هذا الباب وقال الاستاد اى اجتهد من غير تقصير وتوكل على الله
من غير فتور وقف حيث ما امرت بما امرت من امر قويم وثق بانك على صراط مستقيم
وانه لذكر لوعظ وتذكر لك ولقومك لمن تبعك وسوف تسألون عن قيامكم
بحقه يوم ظهور حكمه قال ابن عطا وانه لشرف لك بانتسابك الينا وشرف لقومك
بالانتساب اليك لعظمتك لدينا واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اى سل علماء
دينهم وسائر اممهم اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان فى ملة
من مللهم والمراد الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس
ببدع من الرسل فى مقام التفريد او المراد بهذا الخطاب غيره ممن يتردد ويرتاب
ولا يبعد ان يكون الامر بالسؤال من الرسل والانبياء فى ليلة الاسراء لكنه عليه السلام
لما كان فى مقام الاكمل قال لا اشك ولا اسأل ولقد ارسلنا موسى بآياتنا اى التسع
من معجزاتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين فيه تسلية له عليه السلام وبيان

الى ان

الى ان دعوة موسى عليه السلام لم تكن الا الى التوحيد والاسلام ورد لقولهم لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فانه واكثر الانبياء لم يكونوا اغنياء بل كانوا
فقراء وضعفاء وكذا اتباعهم واشياعهم كما جرى به القضاء فلما جاءهم بآياتنا
اذا هم منها يضحكون فاجاؤا وقت ضحكهم والمعنى استهزؤا بها اول ما رأوها ولم
يتأملوا فيها وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها الا وهى بالغة فى الاعجاز اقصى
درجاتها بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الآيات تماما
والمراد وصف كل منها بالكبر فى بابها واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان
والجراد لعلهم يرجعون على وجه يرجى رجوعهم الى طريق الرشاد وقالوا يا ايها الساحر
نادوه به فى شدة حالتهم لفرط حماقتهم وغاية عنادهم ادع لنا ربك ليكشف العقوبة
بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة واستجابة الدعوة اننا لمهتدون بشرط ان تدعو لنا
وتكشف عنا فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجاؤا نكث عهدهم بالاهتداء
الى طريق الصواب ونادى فرعون بنفسه او بمؤذنه فى قومه فى مجمعهم او فيما بينهم بعد
كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن بعضهم قال يا قوم اليس لى ملك مصر وهذه
الانهار اى انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر
تنيس تجرى من تحتى تحت امرى او قصرى افلا تبصرون عزى وقدرى ام انا خير
اى بل انا خير مع هذه المملكة والبسطة فى الجاه والمال من هذا الذى هو مهين ضعيف
فقير حقير الحال لا يستعد للرياسة ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح
للسياسة وافاد الاستاد انه تعزز بملك مصر وجرى النيل بامره فكان هلاكه فى قعره
ليعلم ان من تعزز بشئ دون الله فحتفه وهلاكه فيه ودون عجزه واستصغر حديث موسى
وعابه بفقره فسلطه الله على امره وجعل هلاكه بيده ليعلم ان احدا ما استحقر احدا
الا سلط عليه فلولا القى عليه اساورة وقرأ حفص اسورة من ذهب اى فهلا القى
مقاليد الملك ان كان صادقا فى الاقتدار اذ كان من عادتهم انهم اذا سودوا رجلا
سوروه بالسوار او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه بالاقرار فاستخف
قومه طلب الخفة منهم فى مطاوعته امره فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين
خارجين عن نهج العقل وطوره فلما آسفونا اغضبونا بالافراط فى عنادهم وعصيانهم
فى بلادهم انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين قال ابن عطا اذا كان عصيان الرسل
عصياننا آسفهم اسفنا وقال الاستاد اى اغضبونا وانما اراد اغضبوا اولياءنا
وهذا اصل فى باب الجمع اضاف ايساقهم اولياءه الى نفسه وفى الخبر القدسى انه
يقول مرضت فلم تعدنى وقال فى قصة ابراهيم عليه السلام يأتوك رجالا والمعنى
يأتونا وبينا وقال فى قصة نبينا عليه السلام من يطع الرسول فقد اطاع الله فجعلناهم
سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم مصدر

نعت به او جمع سالف كخدم وقرأ حمزة والكسائي بضمتين جمع سليف كرغف
ورغيف ومثلا للآخرين وعظة وعبرة للمتأخرين ولما ضرب ابن مريم مثلا ضربه
ابن الزبعرى من المشركين قبل دخوله في الاسلام لما جادل النبي عليه السلام في قوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم بان قال النصارى اهل كتاب وهم
يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله فالملائكة اولى بذلك اذا قومك قريش منه
من هذا المثل يصدون يضجون ويصيحون فرحا لظنهم ان الرسول صار به ملزما وقرأ
نافع وابن عامر والكسائي بضم الصاد اي يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل
هما لغتان ومعناهما يضجون فرحا وقالوا ءآلهتنا خير اي عندك ام هو اي عيسى فان
كان في النار فليكن آلهتنا معه ما ضربوه اي هذا المثل لك الا جدلا لاجل الخصومة
والطغيان لا لتمييز الحق من البطلان بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص
على لجاج المجادلة وتمام الجواب ما سبق في سورة الانبياء من ان عيسى ونحوه ممن
عبد من دون الله ليس داخلا في ما تعبدون لما تقرر من ان ما لغير ذوي العقول
وعلى تقدير عمومها استدرك بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها
مبعدون ولعله اكتفى هنا عن تمام الجواب بقوله ان هو اي ما عيسى الا عبد انعمنا
عليه بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل امرا عجيبا وشانا غريبا حيث خلقناه
من غير اب وجعلناه اليه قريبا ولو نشاء لجعلنا منكم بدلكم ملائكة في الارض
يخلفون اي يعقبون ويترددون وانه اي نزول عيسى لعلم للساعة اي من
اشراطها يعلم به دنوها وفي الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها
افيق وبيده حربة يقتل الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح
فيتأخر الامام يعني المهدي فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه السلام
ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى
الا من آمن به فلا تمترن بها فلا تشكن في حقية الساعة ووقوعها واتبعون
واتبعوا شرعي او رسولي هذا الذي ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالك
لديه ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة بان
اخرجكم من الجنة واوقعكم في المحنة ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات او
بالشرائع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل والشريعة ولابين لكم بعض
الذي تختلفون فيه من امر دينكم فان الانبياء لم يبعثوا لبيان امر الدنيا
ولذا قال عليه السلام انتم اعلم بامر دنياكم فاتقوا الله فيما انهاكم واطيعون
فيما آمركم ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم من اطاعة
الطاعة وهو اعتقاد التوحيد في الالوهية والتفريد في الربوبية والتعبد
باحكام الشريعة في العبودية هذا صراط مستقيم طريق قويم فاختلف الاحزاب

من بينهم

من بينهم الفرق المتحزبة والطوائف المجتمعة من بين النصارى او اليهود
والنصارى من بين قومه المبعوث اليهم فويل للذين ظلموا اي ممن تحزب
على ظلم من المتحزبة من عذاب يوم اليم يوم القيمة هل ينظرون اي الظالمون
اجمعون الا الساعة اي ساعة القيمة ان تأتيهم بدل والمعنى ما ينتظرون
الا اتيان الساعة بغتة فجاءة وهم لا يشعرون غافلون عنها لانكارهم
لها او لاشتغالهم بامور الدنيا وما يتعلق بها الاخلاء الاحباء يومئذ
بعضهم لبعض عدو يكونون حينئذ كالاعداء الا المتقين الا المؤمنين
الاتقياء فان خلتهم لما كانت في الله ومرضاته تبقى نافعة في
السراء والضراء وافاد الاستاد ان الاخلاء الذين اصطحبوا على مقتضى
الاهواء يتبرأ بعضهم عن بعض واما الاخلاء في الله فينتفع بعضهم
في بعض وشرط الخلة في الله ان لا يستعمل بعضهم بعضا في الامور الدنيوية
ولا يرتفق بعضهم ببعض في الاغراض الدنية حتى يكون الصحبة خالصة لله
لا نصيب لها في الدنيا ولا يجري بينهم مداهنة في المعاملة بقدر ما يرى فيه
من قبول طريق الله يقبله فاذا علم منه شيئا لا يرضاه الله لا يرضى
من صاحبه فاذا عاد الى تركه عاد الى مودته والا فلا يساعده على معصيته
ثم يبقى بقلبه ان يسكن اليه لغرض دنيوي او لطمع دين او عوض ديني يا عباد
وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بغير الياء وابو بكر بفتح الياء لا خوف
عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون قال
الصادق لا خوف على من اطاعني في الفريضة واتبع رسولي في السنة
وقيل لا خوف في العقبى على من خافني في الدنيا وقيل الخوف على الغالب
والحزن على القلب الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين
اي مخلصين في ايمانهم واحسانهم او مستسلمين لقضائه ومنقادين
لما فيه من رضائه وافاد الاستاد ان يقال لهم غدا يا عبادي لا خوف
عليكم اليوم مما يلقاه اهل الجمع من الاهوال ولا انتم تحزنون فيما قصرتم فيه
من الاعمال اما الذنوب فعفوناها واما الاهوال فكفيناها واما المظالم
فقضيناها فاذا قال المنادي هذا الخطاب يطمع الكل ويقولون نحن عباده
في هذا الباب فاذا قال الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ايس الكفار
وقوي رجاء الابرار ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات وقيل
واشكالكم ومن هو في درجاتكم تحبرون تسرون او تزينون او تكرمون
او تنعمون او تنبسطون يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب اي من
ذهب والصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له

وفيها وفي الجنة ما تشتهي الانفس وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه الانفس
اي مع تمنيه وتلذ الاعين بمشاهدته وانتم فيها خالدون دائمون فان كل نعيم
زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وما احسن
من قال اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا قال جعفر شتان بين
ما تشتهي الانفس وبين ما تلذ الاعين لان جميع ما في الجنات من النعيم والشهوات
في جنب ما تلذ الاعين كاصبع يغمس في البحر لان شهوات الجنة لها حد ونهاية
وما تلذ الاعين في دار الباقية من لقائه لا حد له ولا صفة ولا غاية وقال الواسطي
الذي ذكر ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثوابا لاوليائه لم يقدر احد ان يصفه فكيف
يقدر احد على وصف ما شبهه انتهى وكانه اشار الى معنى الحديث القدسي اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال الاستاذ لهم فيها
ما تشتهي انفسهم لانهم قاسوا في الدنيا بحكم المجاهدة الم الجوع والعطش وتحملوا وجوه
المشاق في كل باب فيجازون في الجنة بوجوه من الثواب واما اهل المعرفة والمحبة فلهم
ما تلذ اعينهم من النظر الى الله لطول ما قاسوه من شدة الفراق وفرط الاشتياق
بقلوبهم وما علوه من الاحتراق لشدة غليلهم وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم
تعملون اي هي التي اعطيتم درجاتها بمقابلة اعمالكم وحسب مقامات احوالكم
وافاد الاستاذ ان الخطاب لاصحاب الاخلاص في اعمالكم والصدق في احوالهم
لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون بعضها تاكلون لكثرتها ودوام انواع نعمتها
ان المجرمين الكاملين في الاجرام تاركي الاسلام في عذاب جهنم خالدون ثابتون
دائمون لا يفتر عنهم لا يخفف من عقوباتهم وهم فيه مبلسون آيسون من
نجاتهم ومتحيرون في ظلماتهم قال الاستاذ واما اهل التوحيد فقد يكون قوم منهم
في النار ولكن لا يخلدون فيها وقد يفتر العذاب عنهم بها وفي الخبر الصحيح انه يميتهم
الحق اماتة الى ان يخرجهم من النار وذكر في الآية ان الكفار مبلسون والابلاس
الخيبة فدل على ان المؤمنين فيها لا يأس لهم فهم وان كانوا في بلائهم فهم على وصف
رجائهم يعدون ايامهم الى ان تنتهي انجاسهم ولقد قال الشيوخ ان حال المؤمن في النار
من وجه اروح لقلوبهم من حالهم في الدنيا لان اليوم خوف الهلاك وغدا يقين النجاة
ولقد انشدوا شعر عيب السلامة ان صاحبها • متوقع لقواصم الظهر •
وفضيلة البلوى ترقب اهلها • عقب الرجاء ونوبة الدهر • وما ظلمناهم
لانه من المحال ولكن كانوا هم الظالمين على انفسهم بما اورثهم سوء الحال ونادوا
يا مالك ليقض علينا ربك اي سل ربك ان يميتنا وينجينا من عقوبتنا قال انكم
ماكثون لا خلاص لكم بموت ولا مناص لكم بفوت وافاد الاستاذ انهم لو قالوا
يا ملك بدل قولهم يا مالك لعله كان احوالهم اقرب من الاجابة قلت وكذا لو قالوا

ليقض

ليقض علينا ربنا لعله كان اقوالهم انسب الى ادب الدعوة الموجبة لقرب الاجابة
ولكن وقعوا في الحجاب فلم يدروا ادب الخطاب لقد جئناكم بالحق اي ببيان طريق الصواب
بالارسال والانزال ولكن اكثرهم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب الارواح
واذاب الاشباح ام ابرموا امرا في تكذيب الحق لمعاندتهم فانا مبرمون امرا
في معاقبتهم وقال الاستاذ بل امورهم منقطعة عليهم قل ما يتمشى لهم ما دبروه وقل
ما يرتفع له من الامور شيء على ما قدروه ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث انفسهم
بذلك ونجواهم وتناجيهم هنالك بلى نسمعها ورسلنا الحفظة مع هذا لديهم
ملازمون لهم يكتبون ما لهم وما عليهم وقال الاستاذ انما خوفهم بسماع الملائكة وكتابتهم
اعمالهم عليهم لغفلتهم عن الله ولو كان لهم خبر عن الله لما خوفهم
بغير الله ومن علم ان اعماله تكتب عليه ويطالب بمقتضى ما جرى لديه قل المامه بما
يخاف ان يسأل عنه قل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين اي الموحدين
لله الذين لا يلتفتون الى سواه سبحان رب السموات والارض رب العرش
عما يصفون من كونه ذا ولد او صاحبة او كفو ومماثلة فذرهم يخوضوا في باطلهم
ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي القيمة ومنزلة المذلة وفيه
دلالة على انهم مطبوع على قلوبهم في الدنيا معذبون على كفرهم في العقبى وافاد الاستاذ
ان في هذا دليلا على انه لا ينبغي للعبد ان يغتر بطول السلامة فان العلامة غير مامونة
الملامة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله مستحق لان يعبد فيهما وفيه نفي الالهة
السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية وهو الحكيم العليم كالدليل على
اتصافه بالربوبية الموجبة للعبودية وافاد الاستاذ ان المعبود في السماء هو الله
والمقصود في طلب الحوائج في الارض هو الله فاهل السماء لا يعبدون غير الله
واهل الارض لا يقضي احد حوائجهم غير الله وهو الحكيم فيما قضى واراد العليم
باحوال العباد وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما كالهواء اي بقدرته
يظهر ملكهما لا انه يتعزز بظهورها وعنده علم الساعة التي تقوم فيها القيمة
واليه يرجعون للجزاء على الطاعة والمعصية وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر
وعاصم بالخطاب وفيه وعد ووعيد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة
كما يتوهمون شفاعة الالهة الا من شهد بالحق اي لكن من شهد بالتوحيد
وهم يعلمون حقيقة التوحيد فله الشفاعة في تلك الساعة وافاد الاستاذ
ان في الآية دليلا على ان جميع المسلمين شفاعتهم غدا مقبولة ولئن سألتهم
اي المشركين من خلقهم من خلق العابدين والمعبودين ليقولن الله اذ ليس
لهم جواب سواه اذ من فرط ظهوره تعذر المكابرة في امره فانى يؤفكون يصرفون
من عبادته الى عبادة غيره وقيله اي ويعلم قول رسوله وقرأ عاصم وحمزة بالجر

اى وعنده علم قوله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وعلى كفرهم مصرّون فاصفح
عنهم اعرض عن بهتانهم آيسا عن ايمانهم وقل سلام فى ردّ طغيانهم اى امرى تسلّم
منكم ومتاركة عنكم فسوف يعلمون عقوبة ما يستوجبون وقرأ نافع وابن عامر بالخطاب

سورة الدخان وفيه تهديد شديد لهم بنزول العقاب مكية وهى سبع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاذ بسم الله كلمة من ذكرها نال فى الدنيا والعقبى
بهجة ومن عرفها بذل فى طلبها مهجة كلمة اذا استولت على قلب عطّلته عن كل
شغل واذا اطّلع على ذكرها عبد آمنته كلّ هول حم والكتاب المبين الحاء يشير
الى حقه والميم يشير الى محبته ومعناه بحق محبتى لعبادى وكتابى ان لا اعذب
اهل محبتى بفرقتى وحجابى انا انزلناه فى ليلة مباركة فى ليلة القدر او البراءة
ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها من اللوح جملة الى السماء الدنيا ثم انزل
منجما بحسب القضايا وبركتها لكثرة خير وجد فيها فان نزول القرآن سبب
للمنافع الدينية والمصالح الدنيوية او لما فيها من كثرة نزول الملائكة والرحمة واجابة
الدعوة وقسمة النعمة وفصل الاقضية قيل اعظم الليالى بركة ليلة انت فيها لربك
مناجاته واقلّها عليك بركة غفلت فيها عن اذكاره وطاعاته وافاد الاستاد ان
القرآن انزل من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا فيها كل سنة بمقدار ما كان جبرئيل
ينزله على النبى صلى الله عليه وسلم بنجومها واشدّ الليالى بركة ليلة يكون العبد فيها حاضرا
بقلبه مشاهد الربه يتنعم بانوار الوصلة ويجد فيها نسيم القربة انا كنا منذرين اى ومبشرين
كما يشير اليه قوله فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة
يستدعى ان ينزل فيها القرآن الذى هو من عظايمها وكرايمها وقال الاستاد اى فى
هذه الليلة منزل النسخة من السماء لما يحصل فى السنة من اقسام الحوادث من الخير والشر
والمحن والمنن والنصرة والهزيمة والخصب والجدب ولهؤلاء القوم من الحجب
والجذب والفصل والوصل والوفاق والخلاف والتوفيق والخذلان والقبض
والبسط فكم من عبد ينزل له الحكم والقضاء بالشقاء والبعد وآخر ينزل حكمه بالولاء
والرفد امرا من عندنا اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من لدنّا على مقتضى حكمتنا
وفوق ارادتنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين اى انا انزلنا
القرآن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتاب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم كما
يقتضيه الربوبية ليقوموا بحق العبودية او المعنى لان من شاننا ان نرسل رحمتنا
فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة
وارادة النعمة انه هو السميع لاقوالهم العليم باعمالهم واحوالهم وافاد الاستاد
ان رحمة هى نبى الامة وفى الخبر انا رحمة مهداة ويقال انا كنا مرسلين رحمة
لقلوب اوليائنا بالتوفيق ولقلوب اصفيائنا بالتحقيق انه هو السميع لانين المذنبين

العليم

العليم بحنين المحبين رب السموات والارض وما بينهما اى هو خالقهما ومربى
ما فيهما وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين اى مريدين اليقين
فاعلموا ذلك فانه النافع فى الدين لا اله الا هو اى لا خالق سواه يحيى ويميت
كما تشاهدون فى قضاياه وافاد الاستاد ان هذه الكلمة الطيبة نفى ما اثبتوه
بجهلهم واثبات ما نفوه بجحدهم ربكم ورب آبائكم الاولين اى مربى اصلكم
ونسلكم من الاولين والآخرين بل هم فى شك يلعبون فى غفلة عن الدين
وهو رد لكونهم موقنين فارتقب يوم تاتى السماء بدخان مبين يوم شدة
ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف الابصار
او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار وقد قحطوا حتى
اكلوا جيف الكلاب وللحمار او يوم ظهور الدخان المعدود فى اشراط الساعة
لما روى انه عليه السلام لما قال اول الآيات الدجال ونزول عيسى عليه السلام
ونار تخرج من عدن ابين تسوق الناس الى المحشر والدخان قال حذيفة
وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال سهل الدخان فى الدنيا
قسوة القلب والغفلة عن ذكر الرب وافاد الاستاد ان هذا من اشراط
الساعة تتقدم عليها وقبالة هؤلاء مستجلة واما القوم فلهم يوم غيبة الاحباب
وانسداد ما كان مفتوحا لهم من الانس بالاحباب يغشى الناس يحيط
بهم صفة للدخان وقوله هذا عذاب اليم بيان لشان ذلك الزمان ربنا اكشف
عنا العذاب انا مؤمنون اى يقولونه بلسان القال او بيان الحال انى
لهم الذكرى من اين لهم انهم يتذكرون بهذه الحالات وقد جاءهم رسول
مبين يبين لهم ما هو اعظم منها فى ايجاب التذكر من الآيات والمعجزات
ثم تولوا عنه اعرضوا عن كلمته وادبروا عن صحبته وقالوا معلم فى قراءته
مجنون فى دعوى رسالته وافاد الاستاد ان القوم قد يستزيدوا العذاب
على العذاب على عكس احوال اصحاب الحجاب فهم يسألون البلاء بدل ما يستكشفه
الخلق من الغطاء ويتمنون انواع العطاء واما هم فيقولون ان البلاء لكيف
ارجو كشفه ان البلاء اذا فقدت بلائى انى لهم الذكرى اى ان خالفوا
سفرة قلوبهم من الخواطر التى ترد من الحق عليهم عوقبوا فى الوقت بما
لا يتسع له وسعهم فاذا اخذوا فى الاستغاثة يقال لهم انى لكم ذكرى وقد
جاءكم رسول على قلوبكم فخالفتم امرى انا كاشفوا العذاب بدعاء نبينا فانه
دعا برفع القحط والغلاء قليلا زمانا قليلا وهو ما بقى من اعمارهم انكم عائدون
الى الكفر عقب كشف الضر ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا
جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء لكشف البلاء فيكشف الله عنهم بعد اربعين

فربما يكشفه عنهم يرتدون على عقبهم يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر
اى ناخذهم اخذة الكبرى ونؤاخذهم مؤاخذة شديدة انا منتقمون عموما او خصوصا
وقال الاستاد اى نوريكم ذلك اليوم حزنا طويلا ولا تجدون فى ظل انسنا مقيلا
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال موسى عليه السلم اليهم او اوقعناهم فى الفتنة
بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وجاءهم رسول كريم على ربه او فى نفسه لشرف نسبه
وفضل حسبه ان ادوا الى عباد الله بان ادوهم الى وارسلوهم معى والمراد تخلية بنى اسرائيل
من استعباد فرعون واستنجاز جنده انى لكم رسول من عنده امين مؤتمن على وحيه
وان لا تعلوا على الله لا تتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله انى اتيكم بسلطان
مبين ببرهان واضح على تحقيق نبوتى وتصديق رسالتى من انواع المعجزات والادلة
الواضحات وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون التجئت اليه وتوكلت عليه
من ان تؤذونى ضربا او شتما او قتلا وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون فكونوا بمعزل
منى لا علىّ ولا لى فدعا ربه بعد ما اصروا على تكذيبه ان هؤلاء بان هؤلاء السفهاء
قوم مجرمون كاملون فى الاجرام مستحقون سوء الانتقام فاسر بعبادى وقراء الرهبان
بهمز الوصل اى فقال تعالى سر مع بنى اسرائيل فى ليل الى جانب النيل انكم متبعون
يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم من عنده واترك البحر اى بعد ما نجاوزه
رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته مطمئنة ولا تضربه بعصاك
ثانية ليرجع الى حالة حتى يدخل فرعون مع جميع آله انهم جند مغرقون وبعد اغراقهم محدودون
لم تركوا كثيرا تركوا من جنات وعيون جارية وزروع وافية ومقام كريم محافل
مزينة ومنازل مستحسنة ونعمة وتنعم وسعة كانوا فيها فاكهين كذلك متنعمين
متلذذين واورثناها قوما آخرين ليسوا منهم فى شىء من النسب والدين وهم بنو اسرائيل
وافاد الاستاد انه سبحانه فتنهم بعد ما اصروا فى جحودهم ولم يرجعوا الى طريق الرشد
من نوة عنودهم وجاءهم رسول جليل طالبهم بازالة الظلم عن بنى اسرائيل
واستنصر بالله واظهر الحجة من قبل الله ثم امره بان يسرى بعباده المؤمنين وعرفه
انهم يستنقذون وان عدوهم جند مغرقون وما خلفوه من اموالهم ورياشهم
وبقى عنهم من اسباب معاشهم استلبنا عنهم واورثناهم واسكنا قوما آخرين
فى منازلهم ومبانيهم فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث
بهلاكهم ونفى الاعتداد بوجودهم ومنه ما ورد فى الاخبار ان المؤمن ليبكى عليه
مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وفى حديث ما من مؤمن مات
فى غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض وقيل تقديره فما بكت عليهم
اهل السماء والارض وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت آخر اى حين قال الاستاد
لم يكن لهم من القدر والخطر ما يتحرك فى العالم بسببهم ساكن او يسكن متحرك فلا الخضراء

بفقدهم

بفقدهم اغبرت ولا الغبراء بحينهم احمرت لم يبق منهم عين ولا خبر ولم يظهر
من قبلهم على قلب احد من عبادنا اثر وكيف تبكى السماء بفقد من لم يستبشر
فى حياته من قبله فان المؤمن الذى تستر السماء بصعود عمله اليها تبكى عند فقده عليها
ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من فرعون بدل مما قبله بحذف مضاف
او بدونه للمبالغة اى من استعباد فرعون آباءهم وقتله ابناءهم واستخدام
نساءهم انه كان عاليا متكبرا فى الجبابرة من المسرفين فى العتو والشرارة
وحكى النقاش وتاج القراء فى تفسيرهما انه والد الخضر او ابنه وافاد الاستاد انه
سبحانه نجاهم واملكهم وافنى عدوهم واهلكهم ولقد اخترناهم على علم على العالمين
بانهم احقاء بهذا الحال او مع علم منا بانهم يزيغون فى بعض الاحوال على العالمين
اى عالمى زمانهم او لكثرة الانبياء منهم قال الواسطى اخترناهم على علم
منا بجناياتهم وما يقترفون من انواع مخالفاتهم فلم يؤثر فى سابق علمنا فيهم
ان الجنايات لا تؤثر فى الرعايات وقال الاستاد اى اخترناهم وعلمنا ما يحتقبون
من اوزارهم فرفعنا باختيارنا من اقدارهم ما وضعه فعلهم بتدنسهم باوضارهم
ويقال على علم بما نودع عندهم من اسرارنا ونكاشفهم به من حقائق انوارنا
وآتيناهم من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او بلية خفية وقال الاستاد من مطالبته بالشكر عند
الرخاء والصبر عند الكد والعناء ان هؤلاء اى قومك من السفهاء ليقولون ان
هى ما عاقبة الدهر ونهاية الامر الا موتتنا الاولى المزيلة للحيوة الدنيوية
وما نحن بمنشرين بمبعوثين للحيوة الاخروية فأتوا بآبائنا الميتين ان كنتم
صادقين فى انا معذبون والخطاب لمن اوعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين
اهم خير فى القوة والمنعة ام قوم تبع اى الحميرى الذى سار بالجيوش وحير
الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وقد كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه
وعنه عليه السلم ما ادرى اكان تبع نبيا او غير نبى ويقال لملوك اليمن التبابعة
لانهم يتبعون والذين من قبلهم كعاد وثمود ونحوهم اهلكناهم اى مع كثرة
عددهم وشدة قوتهم انهم كانوا مجرمين اى قوما كافرين وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما وما بين جنسيهما لاعبين لاهين مبطلين وهو دليل على صحة
الحشر والنشر كما مر مرارا ما خلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذى اقتضاه
الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزاء بالمثوبة والعقوبة ولكن اكثرهم
لا يعلمون لقلة نظرهم وتفكرهم وقصور تصورهم ان يوم الفصل اى وقت
فصل الحق من الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء الكامل مبينا انهم وقت موعدهم
اجمعين قال بعضهم يوم يفصل بين كل عامل وعمله لمن صح له مقاله واعماله قبل منه

وجوزي عليه ومن لم يصح له اعمالا واحوالا كان علمه عليه انكالا واغلالا يوم لا يغني
مولى من قرابة او غيرها عن مولى شيئا من الاغناء او من الغناء ولا هم ينصرون
بمساعدة الاولياء الا من رحم الله بالعفو عن جرمه او قبول الشفاعة في حقه
انه هو العزيز الغالب على من اراد انتقامه الرحيم لمن شاء انعامه ان شجرة
الزقوم طعام الاثيم اي كثير الاثم والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل
وهو ما يمهل في النار حتى يذوب قيل دردي الزيت وقيل النحاس المذاب
يغلي في البطون وقرأ ابن كثير وحفص بالتذكير على ان الضمير للطعام او للزقوم
وقيل للمهل وهو اقرب وان كان الاول الانسب كغلي الحميم غليانا مثل غلي
الماء الحار خذوه يقال للزبانية امسكوه فاعتلوه وقرأ الحجازيان وابن عامر
بالضم اي جروه الى سواء الجحيم اي وسط النار الموقدة ثم صبوا فوق رأسه من
عذاب الحميم اصله صبوا فوق رأسه الحميم كما في سورة الحج ثم حول الى صبوا فوق
رأسه الحميم عذابا هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم تخفيفا وزيد
من الدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع ذق اي العذاب الاليم انك
انت العزيز الكريم عند قومك واما عندنا فانت الذليل المهين وقرأ
الكسائي بالفتح اي لانك والمعنى قولوا له ذلك تهكما به وتقريعا على ما كان
في زعمه ان هذا العذاب للعاين ما كنتم به تمترون تشكون فيه ان المتقين
في مقام في موضع قيام وقرأ نافع وابن عامر بضم الميم اي في موضع اقامة
امين يأمن صاحبه عن آفة الزوال وعلة الانتقال في جنات وعيون
بدل من مقام جيء به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل
والمشارب في اقامته يلبسون من سندس ما رق من الحرير واستبرق ما غلظ
منه متقابلين في مجالس قدسهم ومنازل انسهم كذلك الامر او الامر كذلك
وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن والجأناهن بهم من غير تزويج وتزوج
لهن والحوراء البيضاء والعيناء عظيم العين الحسناء والصحيح انهن
غير نساء الدنيا يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون
من الفواكه في جميع الاحيان لا يختص شيء منها بزمان ولا مكان آمنين
من الضرر والنقصان وافاد الاستاد ان الولي تمكن بهذه الاوصاف
من هذه الالطاف ثم قد يختطف قوما من بين هذه الاسباب فيحجبهم عن
هذه الجنة وكما ان الزهاد وطن الدنيا عليهم قلبها فيختطفهم عنها كذلك في الآخرة
طمع الحور العين في صحبتهم فيسلبهم عنها فالزاهد من الدنيا بجهنمه والعارف
من الجنة بجحيمه لا يذوقون فيها اي في الآخرة الموت الا الموتة الاولى وهي
قبض ارواحهم في الدنيا وهي اول احوال العقبى قيل لجنيد اهل الجنة باقون

ببقاء الحي

ببقاء الحي والباقي على الحقيقة من لم يزل ولا يزال باقيا ووقيهم عذاب الجحيم
فضلا من ربك عطاء وتفضلا من ربك الكريم ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص
عن المكاره الجلية وفوز بالمطالب العلية قال الواسطي هو الفضل من كرمه
ورحمته لا الاستحقاق وبجهد العبد وكده وحركته فانما يسرناه بلسانك
سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة السورة لعلهم يتذكرون
لعلهم يفهمونه فيتعظون به فلما لم يتذكروا به ولم يتفكروا فيه فارتقب فانتظر
ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك ففيه وعيد لاعدائه ووعد
لاحبائه قال ابن عطاء فتح باب ذكره على من يشاء من عباده فلا يفتر عن
ذكره بحال واغلق باب ذكره على من شاء من عباده فلا يقدر على ذكره بحال قال
الاستاد فارتقب العواقب ترى العجائب انهم مرتقبون ولكن لا يبرزوا الا ما يكرهون

سورة الجاثية وهي سبع وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد ملك
لا يستظهر بجيش احد لا يستمسك بعيش جبار ارتدى بكبريائه قهار اتصف
بعز سنائه حم اي بحبائي وهو دقي لا وليائي لا شيء اعز على احبائي من
لقائي تنزيل الكتاب من الله العزيز بجلاله في ازاله الحكيم في افعاله وحسن
افعاله ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين اي في خلقها وافاد الاستاد
ان شواهد الربوبية لايحة وادلة الالهية واضحة فمن صحا فكرته عن سكرة الغفلة
ووضع سيرته في منزلة العبرة حظي لا محالة بحقايق الوصلة وفي خلقكم وما يبث
من دابة لتتميم معاشكم آيات لقوم يوقنون الجملة على محل ان واسمها
وقرأ حمزة والكسائي بالنصب حملا على اسمها وافاد الاستاد ان العبد اذا امعن
نظره في استواء قده وقامته واستكمال عقله وتمام تمييزه وما هو مخصوص به
في جوارحه وجوانحه ثم افكر فيما عداه من الذوات في اجزائها واعضائها
ووقف على اختصاصه وامتياز بني آدم من بين البرية من الحيوانات
في الفهم والعقل والتمييز والعلم ثم في الايمان والعرفان ووجوه خصائص
اهل الصفة من هذه الطائفة من فنون الاحسان عرف تخصيصهم
بما قبهم وانفرادهم بفضائلهم في مراتبهم فاستيقن ان الله كرمهم
وعلى كثير من المخلوقين قدمهم واختلاف الليل والنهار وما انزل الله
من السماء من رزق مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيا به الارض بعد موتها
يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها وانواع صفاتها وقرأ حمزة
والكسائي وتصريف الريح آيات لقوم يعقلون فيه القراءتان المتقدمتان
وافاد الاستاد انه سبحانه جعل العلوم الدينية كسبية مصححة بالدلائل العقلية
والشواهد النقلية فمن لم يستبصر بها زلت قدمه عن الصراط المستقيم ووقع

فى عذاب الجحيم فاليوم فى ظلمة الحيرة والتقليد وفى الآخرة فى تخليد الوعيد
تلك الآيات السابقة آيات الله علامات قدرته ودلالات حكمته نتلوها
عليك بالحق ملتبسة بالصدق فباى حديث بعد الله بعد حديثه وهو القرآن لقوله
الله نزّل احسن الحديث وآياته المذكورة والمعنى اذا لم تؤمنوا بما ذكرنا فباىّ
دليل بعد آياته المتلوة وعلاماته المنصوبة تؤمنون وقرأ الحجازيان وابو عمرو وحفص
بالغيبة وقال الاستاد من لم يؤمن بها فباىّ حديث يعترف ومن اى بحر من
التحقيق يغترف هيهات ما بقى الاشكال فى هذا من المجال ويل هلاك شديد
وعذاب اكيد لكل افاك مبالغ فى الكذب اثيم كثير الذنب يسمع آيات الله
تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن سماع ذكره كان لم يسمعها اى كانه لم يسمع
آيات ربه فبشره تهكما به بعذاب اليم على انكاره واصراره وافاد الاستاد
انّ كلا من آياته سبحانه صامت ناطق صامت عن القول والكلام ناطق
بالبرهان ذا الاحكام فمن استمع بسمع الفهم واستبصر بنور التوحيد فاز بذخر
الدارين وتصدّى لعز المنزلين ومن تصامم بحكم الغفلة وقع فى دهوة الجهل
ووسم بكىّ الهجرة واذا علم من آياتنا شيئا اى واذا بلغه شئ وعلم انه منها
اتخذها هزوا مهزوا بها من غير ان يرى فيها ما يناسب استهزاءها اولئك لهم
عذاب مهين غاية الاهانة جزاء وفاقا فى المعاملة وقال الاستاد اتخذها هزوا
اى قابله بالعناد او تأوله على ما يقع له من وجوه المراد من دون تصحيح باسناد
فهؤلاء لهم عذاب مذل بين العباد وقد يكاشف العبد من بواطن القلب
بتعريفات لا يتداخله فيها ريب ولا يتخالجه منها شك فيما هو من حاله فاذا تهاون
بها وقع فى ذل الحجبة وهوان الفرقة فعند هذه الفترة فى وقت هذه المحنة فلا
عذر يقبل منهم ولا خطاب يسمع عنهم ولهم عذاب الضعف ولا يردون
الى ما كانوا عليه من الكشف فخل سبيل العين بعدك للبكاء فليس لايام
الصفاء رجوع من ورائهم جهنم اى من قدامهم لانهم متوجهون اليها
او من خلفهم لانه بعد انقضاء آجالهم يوقفون عليها ولا يغنى لا يدفع عنهم
ما كسبوا من الاموال والابناء شيئا من الاغناء او من العذاب والعناء
ولا ما اتخذوا من دون الله اى من الاصنام اولياء على زعم انهم شفعاء ولهم
عذاب عظيم ليس له انتهاء هذا هدى هذا القرآن برهان والذين كفروا بآيات
ربهم مع ظهور انوارها وبيان اسرارها لهم عذاب من رجز اليم على انكارها
وقرأ ابن كثير وحفص برفع اليم والرجز عذاب عظيم الله الذى سخر لكم
البحر اى سطح بحره لتجرى الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبون على ظهره
ولتبتغوا من فضله بالتجارة والصيد والغوص ونحوه ولعلكم تشكرون

ربكم

ربكم على نعمه وافاد الاستاد انهم يركبون البحر فربما تسلم السفينة وربما تغرق
وكذلك العبد فى فلك الاعتصام فى بحار التقدير يمشى بهم رياح العناية مرفوع
لهم شراع التوكل مرسى فى بحر اليقين فان هبت رياح السلامة نجت السفينة وان
هبت نكباء الفتنة لم يبق بيد الملاح شئ من الحيلة فعند ذلك المقادير غالبة
وبلغت الحناجر قلوب اهل السفينة وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا
بان خلقها نافعة لكم منه حال كون تسخير هذه الاشياء كائنة منه او هى منة
منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون فى صنعه ويقومون بشكر نعمته قال
ابو ايوب النهرجورى سخر لك الكون وما فيه لئلا يسخرك شئ منه وتكون مسخرا
لمن سخر لك الكل وافاد الاستاد انه سبحانه سخر لكم ما خلق من وجوه الانتفاع
فيها اذ ما من شئ من الاعيان الظاهرة الا ومن وجه للانسان به انتفاع
فالسماء لهم بناء والارض لهم مهاد الى غير ذلك فمن الغبن ان يستسخرك
ما هو مسخر لك وليتأمل العبد فى كل شئ ان لم يكن اى خلل كان يرجع الى الخلق
فلولا الشمس كيف كانوا يتصرفون بالنهار ولو لم يكن الليل كيف يسكنون فيه
ولو لم يكن القمر كيف كانوا يهتدون الى الحساب والآجال وكذلك جميع المخلوقات
ونقل القطب الربانى عبد القادر الجيلانى فى كتابه فتوح الغيب عن ابن
عباس رض عند قوله جميعا منه اى الكل منه فقال فى كل شئ اسم من اسمائه
واسم كل شئ من اسمه فانما انت بين اسمائه وصفاته وافعاله باطنا بقدرته
وظاهرا بحكمته ظهر بصفاته وبطن بذاته حجب الذات بالصفات وحجب
الصفات بالافعال وكشف العلم بالارادة واظهر الارادة بالحركات واخفى
الصنع فى الصنعة واظهر الصنع بالادوات هو باطن فى غيبه وظاهر فى حكمته
وقدرته ليس كمثله شئ وهو السميع البصير قال الشيخ ولقد اظهر الله فى هذا
الكلام من اسرار المعرفة ما لا يظهر الا من مشكوة فيها مصباح امره رفع يد
العصمة بابتهال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل انالنا الله من بركتهم
وحشرنا فى زمرتهم قل للذين آمنوا يغفروا يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون
ايام الله لا يتوقعون وقايعه باعدائه او لا يأملون الاوقات التى عينها الله
لنصر احبائه ليجزى اى الله قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون
او الكافرون والكسب المغفرة او الاساءة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى لنجزى
بالنون وافاد الاستاد انه سبحانه ندبهم الى حسن الخلق وجميل العشرة والتجاوز
عن الجهلة والتنقى من كدورات البشرية ومضايقات الشح والحالات النفسية
وبيّن ان الله لا يفوته احد فمن اراد ان يعرف كيف يحفظ اولياءه ويهلك
اعداءه فليصبر اياما قلائل ليعلم كيف صارت عواقبهم من عمل صالحا فلنفسه

آمنوا اغفروا صح

اولها ثوابه ومن اساء فعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم وفى
احوالكم وقال الاستاذ من عمل صالحا فله مهناه ومن ارتكب سيئة فاسى بلواه ثم
مرجعه الى مولاه ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب التورية والحكم الملك والحكومة
او الحكمة العلمية والعملية والنبوة اذ اكثر الانبياء فيهم مالم يكثر فى غيرهم او علوم
النبوة من حسن سيرتهم وسمت طريقتهم ورزقناهم من الطيبات الحلالات
من المستلذات وفضلناهم على العالمين اى عالمى زمانهم بانزال الآيات الواضحات
وآتيناهم بينات من الامر ادلة فى امر الدين وتندرج فيه المعجزات فما اختلفوا
فى ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال وما يترتب عليه من المآل
بغيا بينهم عداوة وحسدا فيهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون بالمؤاخذة للعاصين والمجازاة للمحسنين قال سهل فتحنا اسماعهم لفهم
خطابنا وجعلنا افئدتهم وعاء لكلامنا وكتابنا اعطينا فراسة صادقة يحكمون بها
فى عبادنا حكم حق واخبار صدق فهذه البينات من الامر ثم جعلناك على شريعة
طريقة ومنهاج من الامر امر الديانة فاتبعها اتبع شريعتك الثابتة بالحجج البينة
ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون آراء الجهال التابعة للهوى والشهوة قال سهل على
منهاج من كان قبلك من الانبياء والاولياء فانهم على منهاج الهدى وسراج
الضياء والشريعة هو الشارع الممتد الواضح الى طريق النجاة وسبيل الرشد
والصفاء والوفاء وقال الاستاذ اى افردناك بلطائف فاعرفها وبينا لك
طريقا فاسلكها واثبتنا لك حقائق فلا تتجاوز ولا تجنح الى متابعة غيرك فيها انهم
لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك من العطاء او العناء وان الظالمين
بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم
والله ولى المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة والهدى او فكن من الاولياء
المتقين وحزبهم فى مقام اليقين قال سهل من استغنى بغير الله تعالى فقد
افتقر ومن تعزز بغيره سبحانه فعزه ذل واحتقر الا ترى ان الله يقول انهم
لن يغنوا عنك من الله شيئا وقال الاستاذ ان اراد الله بك نعمة فلا يمنعها
احد وان اراد بك فتنة فلا يصرفها عنك احد فلا تعلق بمخلوق فكرك ولا تتوجه بضمير
الى غير ربك والتجئ اليه وتوكل عليه واستسلم لديه هذا القرآن بصائر للناس
بينات تبصرهم وجه العرفان بعمومهم وهدى من الضلالة ورحمة ونعمة فى الدلالة
لقوم يوقنون يطلبون اليقين فى الدين بخصوصهم وافاد الاستاذ ان انوار
البصيرة اذا تلألأت انكشف دونها تهمة التجويز ونظر الناس على مراتب
من ناظر بنجوم عقله وهو صاحب عقل ومن ناظر بنور فراسته وهو صاحب ظن
ومن ناظر بتقوية روح ولكنه من وراء ستر ومن ناظر بيقين علم بحكم برهان وشرطه

فكر

فكر ومن ناظر بعين ايمان بوصف اتباع ومن ناظر بنور بصيرة هو على نهار وشمسه
طالعة وسماؤه عن السحاب مصحية ام حسب الذين اجترحوا السيئات بل اظن
الذين اكتسبوا الكفر والمعاصى ان نجعلهم نصيرهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
اى مثلهم وهو ثانى مفعولى نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم الجملة بدل من الكاف
والضميران للموصول الاول اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيين فى البهجة
والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص سواء بالنصب
على البدل ساء ما يحكمون قبح حكمهم ذلك او بئس شيئا حكموا به هنالك وقال
الاستاذ اى من خفضناه فى حضيض الصفة لكن رفعناه فى هواء المنعة
ومن اخذناه بيده فنعشناه كمن راسه الخذلان فرجمناه ومن بعد بذل جهد
واستفرغ وسع واسبال دمع واحتراق قلب عذرناه فرجمناه كمن بسط
وقت وانس حال وروح لطف خصصناه فرقيناه وسكرناه ثم قربناه
وادنيناه وبئس ما يحكم قوم اولا يخافون ان يتوجه عليهم لوم وخلق الله السموات
والارض بالحق المقتضى للعدل والصدق المستلزم للفرق بين المسيء والمحسن
فى الخلق واذا لم يكن فى الحيوة فلا بد ان يكون بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت
من الخير والشر وهم لا يظلمون بتنقيص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية
ذلك ظلما مع انه لو فعله لم يكن منه الا عدلا لانه لو فعله غيره لكان ظلما ففى العبارة
استعارة كالابتلاء والاختبار افرأيت من اتخذ الهه هواه مهواه ترك متابعة
الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده واضله الله خذله على علم مع علم بضلاله
وفساد جوهر روحه فى ماله وختم على سمعه وقلبه فلا يبالى بموعظة ولا يتفكر فى آية
وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين بصيرة وعبرة وقرأ حمزة والكسائى
غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله او من غيره افلا تذكرون تتعظون
بوعظه وتتمثلون بامره وافاد الاستاذ ان من لم يسلك سبيل المتابعة ولم يستوف
احكام الرياضة ولم ينسلخ عن حكم هواه بالكلية ولم يؤدبه امام مقتدى به فهو
ينحرف فى كل وهدة ويهيم فى كل ضلالة خسرانه اكثر من ربحه ونقصانه اوفر
من رجحانه اولئك فى ضلال بعيد يعدون القرب على ما يقع لهم من نشاط
نفوسهم زمامهم بيد هواهم اولئك قد مكروا واستدرجوا من حيث لم يشعروا
وقالوا ما هى ما الحيوة الا حياتنا الدنيا التى نحن فيها نموت ونحيى نموت
بعضنا ويحيى بعضنا وما يهلكنا الا الدهر مرور الزمان وانقلاب الدوران
وما لهم بذلك من علم يعنى فى نسبة الحوادث الى الدهر او انكار الحشر والنشر
ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار
لما لم يحسوا ابين التأييد وافاد الاستاذ انهم اغتروا بما وجدوا عليهم

سلفهم وخلفهم وزجوا فى البهيمة عيشهم وعمرهم فاغنوا عن كد الذكرة
قلوبهم فلا بالعلم استبصروا ولا من التحقيق استمدوا والرأس مالهم الظن
وهم غافلون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات الدلالة على ما
يخالف معتقدهم ما كان حجتهم اى متشبثهم عند معارضتهم الا ان قالوا ائتوا
بآبائنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم فى معرض
بيانهم او المراد حجتهم الداحضة قل الله يحييكم اولا ثم يميتكم ثانيا ثم
يجمعكم باحيائكم ثانيا فى قبوركم مستمرين الى يوم القيمة لا ريب فيه لا ينبغى
ان يكون فيه شبهة فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت
الجمع للجزاء والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها وكان يمكن الاتيان
بالآباء لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر الناس
لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم ولله ملك السموات والارض
تعميم القدرة بعد تخصيصها فى الجملة ويوم تقوم الساعة يومئذ
يخسر المبطلون اى يظهر خسرانهم ويتبين بطلانهم وترى كل امة
جاثية باركة مستوفزة كل امة تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها وحسابها
اليوم تجزون ما كنتم تعملون بثواب اعمالكم وعقابها هذا كتابنا اضاف
صحائف اعمالهم الى نفسه لان كتابة الكتبة انما كانت بامره ولا يبعد
ان يراد بالكتاب اللوح المحفوظ فالاضافة للتشريف ينطق عليكم
بالحق يشهد عليكم بما عملتم على وجه الصدق من غير زيادة ونقصان
انا كنا نستنسخ الملائكة ما كنتم تعملون اى اعمالكم العامة فاما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته التى من جملتها نعيم
جنته ذلك هو الفوز المبين الظفر الظاهر على المرادات لخلوصه
عن شوائب الكدورات واما الذين كفروا افلم تكن آياتى تتلى عليكم
اى فيقال لهم الم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم عن
الايمان بها وكنتم قوما مجرمين بمخالفتها وقال الاستاد فاما الذين
آمنوا فلقد فازوا وسادوا واما الذين كفروا فهلكوا وبادوا واذا
قيل ان وعد الله حق كائن صدق والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود
من الموعود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندرى ما الساعة
اى شىء الساعة استغرابا لها واستهجانا بامرها ان نظن فى وقوعها الا ظنا
ضعيفا لا يفيد الايمان بها وما نحن بمستيقنين بامكانها وبدا لهم ظهر
عندهم سيئات ما عملوا فيها اوجزاؤها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
اى وباله وخامة مآله وقيل اليوم ننسيكم نترككم فى العذاب ترك ما ينسى كما

نسيتم

نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم استعداده وما هيأتم زاده ومأويكم النار فى
دار البوار وما لكم من ناصرين اى من اعوان وانصار وقال الاستاد يقال لهم
انتم الذين اذا قيل لكم حديث عقباكم كذبتم مولاكم فاليوم كما نسيتمونا نسيناكم
والنار مأويكم ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا استهزأتم بها ولم تتفكروا
فيها وغرتكم الحيوة الدنيا اى مالها وجاهها فحسبتم ان لا حيوة سواها فاليوم
لا يخرجون منها وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون
ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم فى عصيانه ويرضوه لفوات اوانه فلله الحمد
على ما يبدئ وينشئ ويجرى ويمضى رب السموات ورب الارض رب العالمين
اذ الكل بعض نعمته الدال على كمال قدرته وجمال حكمته وله الكبرياء الرفعة والعلاء
والعظمة والبهاء فى السموات والارض اى ظهر فيهما آثارها وتبين انوارها
وهو العزيز الغالب فى مراده الحكيم فيما قدر ودبر لعباده فاحمدوه وكبروه
فى بلاده قال سهل العلو والقدرة والعظمة والحول والقوة له فى جميع المملكة
لمن اعتصم به ايده بحوله وقوته ومن اعتمد على نفسه وكله الله الى حاله وحركته

سورة الاحقاف مكية وهى اربع وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاد بسم الله كلمة للقلوب سالبة كلمة للقلوب غالبة واهبة
ناهبة للمطيعين واهبة ومن العارفين ناهبة فالذين تهبهم فلهم لطفه
والذين تنهبهم فمن حقه فهو عنه خلفه حم حميت قلوب اهل عنايتى
فصرفت عنها خواطر التجويز واثبتها فى مشاهد اليقين بنور التحقيق فلاح فيها
شواهد برهانهم فاضفنا اليها لطائف احسانهم فكلمنا منازلهم من عين
الوصلة وغذيناهم بنسيم الانس فى ساحات القربة تنزيل الكتاب من الله
العزيز الحكيم المعز للمؤمنين بانزال كتابه عليهم الحكم لكتابه عن التبديل
والتحويل لديهم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا
ملتبسا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما يقتضيه الحكمة والعدل والصدق
وفيه دليل على وجود الصانع وحكمته وجوده واشارة الى البعث للمجازاة
بمقتضى موعوده واجل مسمى اى وبتقدير اجل معين ينتهى اليه الكل وهو
يوم القيمة او كل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له فى القسمة والذين كفروا
عما انذروا من هول ذلك الوقت ونزول العذاب وحصول المقت
معرضون لا يتفكرون فى امره ولا يستعدون لحلوله قال ابن عطا خلق السموات
والارض واظهر فيهما بدايع صنعته وبوادى قدرته لمن نظر اليهما ورأى آثار
الصنع فهو لنفسه ومن نظر وشاهد الصانع فهو لتحققه قل ارأيتم ما تدعون من دون الله
ارونى ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك فى السموات اى اخبرونى عن حال آلهتكم بعد

تأمل فيها هل يعقل ان يكون لها مدخل في انفسها في خلق شيء من اجزاء العالم
سفلياتها وعلوياتها فتستحق العبادة لاجلها ايتوني بكتاب من قبل هذا الكتاب
وهو القرآن فانه ناطق بالتوحيد وطريق الصواب او اثارة من علم اي بقية
من علم بقيت عليكم من علوم الاولين الصادرة من عقول الانبياء او عقول الحكماء
هل فيها ما يدل على استحقاق العبادة للاصنام ونحوها ان كنتم صادقين في دعويكم
بالوهيتها وهو الزام بعدم ما يدل على الوهيتها نقلا بعد الزامهم بعدم ما يقتضيها
عقلا ومن اضل ممن يدعوا من دون الله اي ما يعبد ما سواه من لا يستجيب له حين
دعاه الى يوم القيمة اي في كل حين ومدة وهم عن دعائهم اي عبادتهم ونداءهم
غافلون لانهم اما جمادات لا يعقلون واما عباد مسخرون باحوالهم مشتغلون
وقال الاستاد واي اثر منهم في الملك او القدرة على المنفعة والمضرة
ان كان لكم حجة فاظهروها او دلالة فبينوها واذ قد عجزتم عن ذلك وعلمتم فهلا
رجعتم عن غيكم واقلعتم ومن اشد ضلالا ممن عبد الجماد الذي ليس له حياة ولا
منه في النفع والضر ايات واذا حشر الناس للجزاء والجزاء كانوا لهم اعداء
يضرونهم ولا ينفعونهم كما ظنوا انهم شفعاء وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان
الحال او بيان المقال وقال سهل هي نفوسهم التي اعادتهم الى متابعتها واذا
تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق لاجل الامر الحق
وفي شان القول الصدق لما جاءهم حين جاءهم من غير نظر في امره وتامل في حكمه
هذا سحر مبين ظاهر بطلانه ومتخايل برهانه ام يقولون افتريه بل انقولون افترى على الله
كذبا على وفق هواه قل ان افتريته فرضا وتقديرا فلا تملكون لي من الله شيئا
فلا تقدرون على دفع شيء مني ولو بالحيلة ان عاجلني الله بالعقوبة فكيف اجترئ
عليه بما يكون سببا للمضرة هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون به من القدح في
اياته وتخوضون في معارضة بيناته كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق
وتبليغ الحق وعليكم بالكذب والانكار مع الاصرار وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة
والرحمة لمن تاب وامن منهم واشعار بحلم الله مع عظم ما صدر عنهم قل ما كنت
بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم الى ما لا يدعون اليه او اقدر على ما لم يقدروا عليه
وهو الاتيان بالمقترحات لديه وقال الاستاد اي لست باول رسول ارسلت
ولا بغير ما جاؤا في اصول التوحيد جئت انما امرتكم بالاخلاص في العبادة والصدق
في العبودية والدعاء الى محاسن الاخلاق البشرية وما ادري ما يفعل بي
ولا بكم ما يفعل ربنا بنا في الدارين مفصلا اذ لا علم لي بالغيب الا مجملا ان اتبع الا
ما يوحى الي اي ما اتجاوز ما نزل علي وهو جواب عن استعجال المسلمين ان يتخلصوا
من اذى المشركين وما انا الا نذير مبين قال الاستاد وفي الاية دليل على فساد

قول اهل القدر ان ايلام البرئ قبيح في العقل لانه لو لم يجز ذلك لكان يقول اعلم قطعا
اني رسول الله معصوم فلا محالة يغفر لي ولكنه قال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم ليعلم ان
الامر امره والحكم حكمه له ان يفعل بعباده وفق مراده قل ارايتم ان كان القرآن
من عند الله نزل من عنده على عبده وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل
وهو عبد الله بن سلام على مثله وهو كونه من عند ربه فامن بالقرآن واستكبرتم
عن الايمان ان الله لا يهدي القوم الظالمين الى سبيل الايقان وطريق
العرفان وقال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم وفي حقهم لو كان الايمان
خيرا ما سبقونا اليه اذ عامتهم موالي وفقراء ورعايا الناس وقاله جماعة
من قريش او يهود كانوا عظماء واغنياء واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم في
حقه فسيقولون هذا افك قديم كما قالوا ما هذا الا اساطير الاولين ومن قبله قبل
القرآن وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا
كتاب مصدق اي لما بين يديه وقد قرئ به اي لما تقدم من جميع كتب الله
النازلة على رسله لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق لينذر الذين ظلموا
علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيده قراءة نافع وابن
عامر والبزي بخلاف عنه بالخطاب وبشرى للمحسنين عطف على محله والمعنى
انذارا للمسيئين وبشارة للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على
ما امره وقفناه جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلوم الدينية والاستقامة
في الامور التي هي منتهى الاعمال الاخروية وثم للدلالة على تاخر رتبة عمل الجنان
وتوقف اعتباره على معرفة التوحيد وعلم الايمان فلا خوف عليهم من لحوق
مرهوب ولا هم يحزنون على فوات محبوب وافاد الاستاد ان من خرج على الايمان
والاستقامة حظي بكل الكرامة ووصل الى جزيل السلامة وقيل السين في الاستقامة
للطلب وان المستقيم هو الذي يبتهل الى الله تعالى في ان يقيمه على
الحق ويثبته على الصدق اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا
يعملون من اكتساب الفضائل العملية بعد حصول الفواضل العلمية ووصينا
الانسان بوالديه حسنا وقرا الكوفيون احسانا قال بعضهم اوصى الله تعالى
العوام ببر الوالدين لما لهما عليهم من نعم التربية والحفظ فمن حفظ وصية الله
في الابوين وفقه ببركة ذلك حفظ حرمات الله وكذلك رعاية سائر الاوامر
والمحافظة عليها يوصل بركاتها بصاحبها الى محل الرضا والانس حملته امه
كرها ووضعته كرها ذات كراهة ومشقة وقرا الحجازيان وابو عمرو وهشام
بالفتح وحمله وفصاله ومدة حمله وفطامه ثلاثون شهرا كل ذلك بيان لزيادة
ما تكابده الام في تربية الولد مبالغة في الوصية بها ولذا قال عليه السلام بر امك

ثم امك ثم امك ثم اباك وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه
اذا حطت عنه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة
بقى ذلك وتخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم
النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده استحكم عقله وقوته وبلغ اربعين
سنة وهو وقت كمال هدايته فقد قيل لم يبعث نبى الا بعد الاربعين قال رب
اوزعنى الهمنى اووفقنى ان اشكر نعمتك التى انعمت على وعلى والدى
من النعم الدينية والدنيوية قال بعضهم انما الشكر المعرفة بالعجز عن الشكر
لان توفيق الشكر يوجب الشكر الى ما لا نهاية لذلك وان اعمل صالحا ترضاه
اى عملا يصلح لقبوله ويستوجب رضاه قال ابن عطا العمل الصالح المرضى
ما يصلح للعرض على الحق وقال ايضا وفقهم لصالح الاعمال ترضى بها عنهم وقال
محمد بن على لا تجعل للشيطان والنفس والهوى عليهم سبيلا واصلح لى فى ذريتى
واجعل لى الصلاح ساريا فى ذريتى وقال سهل اجعلهم لى خلف صدق ولك
عبيدا حقا انى تبت اليك عما لا ترضاه او يشغل عنك وانى من المسلمين
المنقادين المخلصين اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا يعنى طاعاتهم
فان المباح حسن ولا يثاب عليه الا عند تحسين نياتهم ويتجاوز عن سيئاتهم
لتوبتهم او محو خطيئاتهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنون فيهما فى اصحاب
الجنة كائنين فى عدادهم وعد الصدق الذى كانوا يوعدون من قبل الحق والذى
قال لوالديه اف لكما اتعداننى وقرأ هشام اتعدانى بنون واحدة مشددة
ان اخرج من القبور للبعث والنشور وقد خلت القرون من قبلى فلم يرجع احد
منهم قبلى وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك ومن قولك
او يسالانه ان يعينه بالتوفيق للايمان ويلك آمن ان وعد الله حق واخباره
صدق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم التى كتبها بعض المتقدمين
اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار فى امم قد خلت من قبلهم من الجن
والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين فى معاملتهم غير رابحين فى تجارتهم
خسروا فى الدنيا والآخرة وضيعوا رؤس اموالهم فى مدة اعمارهم الداثرة
حيث لم يصرفوها فى تحصيل الاحوال الفاخرة وافاد الاستاد انه سبحانه
امر الانسان برعاية حق والديه على جهة الاحترام لما عليه لهما من حق التربية
والانعام ورعاية حق الام من حيث الشفقة والاكرام واذا لم يحسن حرمة من هو
من جنسه فهو ابعد من مراعاة حق سيده ولو لم يكن فى هذا الباب الا قوله
صلى الله عليه وسلم رضاء الله فى رضاء الوالدين وسخط الله فى سخطهما لكان
ذلك كافيا وللمقصود وافيا وقد وعد الله على بر الوالدين قبول الطاعة بقوله

اولئك

اولئك الذين يتقبل عنهم الآية فقبول الطاعة وغفران الزلة
مشروط ببر الوالدين وقد ذم الذين اتصفوا فى حقهما بالتأفيف وفى
ذلك تنبيه على ما وراءه من التعنيف فحكم ان صاحبه من اهل الخسران
والخسران نقصان فى الايمان فسبيل العبد فى رعاية حق الوالدين ان يصلح
ما بينه وبين الله ثم الله يصلح بينه وبين غيره ومن شر خصال الولد فى رعاية
حق الوالدين التبرم بطول حياتهما والتأذى بما يحفظ من حقهما وعن قريب
يموت الاصل وقد يبقى النسل ولا بد من ان يتبع الاصل ولقد قالوا فى هذا المعنى
رويدك ان الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين فانتظر الدهرا ولكل من
الفريقين درجات مما عملوا مراتب لجزاء اعمالهم من الخير والشر
فى احوالهم والدرجات مستعملة فى المثوبات كما ان الدركات فى العقوبات
وههنا جاءت على اصل اللغة او بحسب الغلبة وليوفيهم اعمالهم
جزاءهم وقرأ نافع وابن ذكوان وحمزة والكسائى بالنون وهم لا يظلمون
بنقص ثواب او زيادة عقاب بل ليس هناك الا عدل او فضل ويوم
يعرض الذين كفروا على النار يعذبون بها كعرض الكباب عليها اذهبتم
اى يقال لهم اذهبتم اى يقال وقرأ ابن كثير وابن عامر بالاستفهام
طيباتكم لذاتكم فى حياتكم الدنيا باستيفاء شهواتكم واستمتعتم بها فما بقى لكم
شئ منها فاليوم تجزون عذاب الهون وقد قرئ به بما كنتم
تستكبرون فى الارض بغير الحق بغير استحقاق وبما كنتم تفسقون
تخرجون عن طاعة الله من خلاف وشقاق قال الواسطى من استحسن شيئا
من الاكوان الفانية دق او جل او لاحظها بقلبه او لعينه فقد دخل تحت
قوله اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا وافاد الاستاد ان سبيل العبد ان لا
ينسى فى كل حال معبوده حتى اذا كان معه همه وسروره او معه مناجاته فى
رجائه وبلائه فان طاب له وقت او اتفق ان يحصل له انس او يغلب عليه رجاء
وبسط او يهجم على قلبه قبض او يمسه حزن فى طلب ربه فيه فلا يكون من جملة من يقال له
اذهبتم طيباتكم فى حياتكم واذكر اخا عاد اى هودا عليه السلام اذ انذر قومه بالاحقاف
جمع حقف بالكسر وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء وكانوا يسكنون بين
رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر اى الرسل من بين
يديه ومن خلفه قبل هود وبعده ان لا تعبدوا الا الله اى لا تعبدوا سواه
انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم بسبب اصراركم على اشراككم قالوا اجئتنا
لتأفكنا عن آلهتنا لتصرفنا عن عبادتنا فأتنا بما تعدنا من العقوبة
على اشراكها ان كنت من الصادقين فى دعوى نزولها قال انما العلم عند الله

لا علم لي بوقت عذابكم وانما علمه عند ربي فيأتيكم به في وقت قدره لكم وابلغكم
ما ارسلت به اليكم وما علي الا تبليغ ما وجب عليكم ولكني اريكم قوما تجهلون
فيما اخترتم لديكم فلما رأوه اي العذاب عارضا سحابا عرض ونشأ في افق
من السماء مستقبل اوديتهم متوجهها من سائر جهاتها قالوا هذا عارض
ممطرنا ممطر لنا بل هو اي قال هود ليس كما تظنون انه السحاب بل هو
ما استعجلتم به من العذاب ريح اي هو ريح عقيم فيها عذاب اليم تدمر اي تهلك
وقد فرّي به كل شيء من نفوسهم واموالهم بامر ربها اذ لا توجد نابضة
حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته ووفق حكمته فاصبحوا لا ترى ايها المخاطب
لو حضرت في مكانهم وزمانهم الا مساكنهم خالية عن اعيانهم وقرأ عاصم وحمزة
بالياء المضمومة ورفع مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين اي ونجي المؤ
فقد روي ان هودا عليه السلام احس بالريح اعتزل بالمؤمنين في الحظيرة
وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال
وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم من البر في البحر وافاد
الاستاد انه سبحانه اخبر عن قصة هود وقومه عاد وما جرى بينهم من الخطاب وما
توجه عليهم من العقاب واخذهم باليم العقاب ولقد مكناهم فيما ان مكناكم
فيه ان نافية وهي احسن موقعا من ما ههنا لانها توجب تكرير المعنى وما موصولة
او موصوفة وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك النعم باسرها
ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها ويداوموا في فكرها وذكرها
فلم يلتفتوا اليها واغتروا بها وطغوا لديها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم
ولا افئدتهم من شيء اي ما رفع عنهم شيئا من الاغناء او العناء اذ كانوا
يجحدون بآيات الله المنزلة بحجج انبيائه المرسلة وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن
من العقوبة الموعودة ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود
وقرى قوم لوط عليه السلام وصرفنا الآيات بتكريرها وزيادة تقريرها لعلهم
يرجعون عن انكارها فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا
آلهة بدل او عطف بيان والمعنى فهلا منعهم من اهلاكهم آلهتهم الذين
يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله بل ضلوا
عنهم غابوا عن نصرهم بل ولم يدروا عن امرهم من نفعهم وضرهم
وذلك افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة وما كانوا يفترون من
انواع الجهالة واصناف الضلالة فلم يغني عنهم ما آتيناهم حين ما
اهلكناهم واذ صرفنا املنا ووجهنا اليك نفرا من الجن يستمعون
القرآن حال فلما حضروه اي القرآن او الرسول قالوا اي بعضهم لبعض

انصتوا اسكتوا لنسمعه فلما قضي فرغ من قراءته ولوا الى قومهم منذرين
مخوفين اياهم بما سمعوا من هذا هم ردي انهم وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوادي النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ في تهجده او يصلي باصحابه الفجر
على ما رواه الشيخان قال محمد بن سليمان ليس في مقام الحضرة الا الخمول والذبول
والسكوت تحت موارد الهيبة مع الذلول وقال النصرابادي هيبة المشايخ اذا
طالعت السرائر بحقايقها اخرست الالسن عن النطق في مشهدها كالجن لما
حضروا رسول الله عليه السلام فاراد ان يقرأ عليهم اوصى بعضهم بعضا
بالانصات تادبا لديهم وافاد الاستاد ان الصيحة على الباب وفي
البساط هيبة لاولي الالباب لما حضر الجن بساط خدمته عليه السلام تواصوا
فيما بينهم بحفظ ادب المقام فلما حضروه قالوا انصتوا فاهل الحضور صفتهم
الذبول والسكون والهيبة والوقار واما الثوران والانزعاج فيدل على
غيبة وغفلة او قلة تيقظ او نقصان اطلاع من الحضرة قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا
انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق من العقائد اليقينية
والى طريق مستقيم من الشرايع الدينية وقال ابن عطا يهدي الى الحق في
الباطن والى طريق مستقيم في الظاهر يا قومنا اجيبوا داعي الله
وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعضها وهو ما يكون في خالص حق الله فان
المظالم كالقصاص لا تغفر بالايمان كذا في التأويلات ذكره صاحب
المدارك ويجركم من عذاب اليم مما هو معد للكفار واحتج ابو حنيفة وحده
رحمه الله باقتصارهم في المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم في الآخرة
والاظهر كما عليه الاكثر انهم كبني آدم كما يدل عليه ما في سورة الرحمن من
مشاركتهم للانسان فيما ذكر من نعيم الجنان ومن لا يجب داعي الله
فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي منه مهرب وليس له من دونه اولياء
يمنعونه من عذاب ربه اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة
من هذا شانه ولم يلتفتوا الى طاعة من هذا سلطانه قال سهل لا يجيب الداعي
الا من سمع النداء ووقع لجواب الدعاء والا فمن يقدر ان يجيب هذه
الدعوة وقال ايضا في قلب كل مؤمن داع يدعوه الى رشده والسعيد من
سمع دعاء الداعي وتبعه في حكمه او لم يروا الم يتفكروا ولم يعلموا ان الله الذي
خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز في ابداعهن
وابقائهن فان قدرته واجبة لا تنقص بالايجاد ولا تنقطع بالامداد
بقادر الباء مزيدة لتأكيد النفي اي قادر على ان يحيي الموتى انتهاء كما قدر
على احيائهم ابتداء بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه العام فيكون

كالبرهان على المقصود التام ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى يقال لهم
أليس هذا العذاب بالحق الثابت فى الكتاب قالوا بلى وربنا رب
الارباب قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فى مقام الحجاب فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجد والجزم منهم فانك
من جملتهم بل ومن اجلهم ومن للتبيين او للتبعيض واولوا العزم
اصحاب الشرائع اجتهدوا فى تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها
وتكريرها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام او المراد
هم الصابرون على بلائه كنوح صبر على اذى قومه وكانوا يضربونه حتى يغشى
عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على ذبحه ويعقوب على مفارقة
ولده وفقد بصره ويوسف على محنة جبه ومشقة سجنه وايوب على ضره
وموسى على طغيان فرعون وشره وداود بكى على خطيئة اربعين سنة من عمره
وعيسى لم يضع لبنة على لبنة فى دهره وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها
وقال تعالى فى آدم ولم نجد له عزما وفى يونس ولا تكن كصاحب الحوت
وفى تفسير السلمى ان الدنيا اسست على المحن والبلوى وليس دواء الالم
فى العناء وقد قال ابن عطاء الله ما دمت فى هذه الدار لا تستغرب وقوع
الاكدار وافاد الاستاد ان الصبر هو الوقوف لحكم الله والثبات من غير
بث ولا استكراه ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب وامهلهم فانه
لا محالة نازل بهم فى وقت عين لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون من اثار
لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدة لبثهم فى الدنيا حتى يحسبوها
ساعة فى العقبى وافاد الاستاد ان مدة الخلق من مبداء وقتهم الى منتهى اجلهم
بالاضافة الى الازلية كلحظة بل هى اقل من لمحة اذ الازل لا ابتداء له ولا انتهاء
واى خطر لما حصل فى لحظة خيرا كان او شرا بلاغ هذا القرآن او هذه السورة بلاغ
اى كفاية لما قدر له هداية فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الطاعة

سورة القتال مدنية من البداية او فى النهاية او مكية وهى تسع وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد من ذكر بسم الله جلت رتبته ومن عرف
بسم الله صفت حالته ومن احب بسم الله استكملت فضيلته ومن صحب
بسم الله امتحقت انيته وتلاشت بالكلية جملته الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله اى ومنعوا غيرهم عن سلوك طريق فيه خيرهم اضل اعمالهم
جعل مكارمهم كصلة الارحام وفك الاسارى وشفقة الايتام ضائعة
لامتناعهم عن الاسلام وقال الاستاد كفروا امتنعوا وصدوا منعوا فلانهم
امتنعوا عن الله استوجبوا العقوبة ولانهم منعوا الخلق عن الله استحقوا

الجنة

الجنة والعيبة والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والانصار
والذين آمنوا من اخيار الاحبار وآمنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل
عليه بما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وهو
الحق من ربهم اى الثابت الذى لا نسخ بعده كفر عنهم سيئاتهم محا عنهم ما
صدر منهم من مساوى اعمالهم واصلح بالهم حالهم فى الدين والدنيا بالتوفيق
والتأييد فى غالب احوالهم وافاد الاستاد ان الكفر للاعمال محبط والايمان
للتخليد فى العذاب مسقط ويقال الذين اشتغلوا بطاعة الله ولم يعملوا
شيئا مما خالف الله فلا محالة يقوم بكفاية اشغالهم ذلك
ما ذكر من الاضلال والتكفير والاصلاح بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان
الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم وهو تصريح بعد تلويح فى بيان امرهم قال
ابن عطاء اتباع الحق واتباع الاوامر والسنن واتباع الباطل ارتكاب
الشهوات واماني النفس كذلك يضرب الله للناس امثالهم يبين لهم
احوالهم والمعنى يضرب امثال هؤلاء لحسناتهم وامثال هؤلاء لسيئاتهم
فاذا لقيتم الذين كفروا فى المحاربة فضرب الرقاب اى فاضربوا ضرب
الرقاب او فالزموه فانه انفع فى هذا الباب حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم
قتلهم واغلظتم قتلهم فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم بالوثاق
فاما منا بعد واما فداء اى فاما تمنون منا او تفدون فداء والمراد التخيير
بعد الاسر بين المن والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عند
الشافعية فان الذكر الحر المكلف اذا اسر تخير الامام بين القتل والمن
والفداء والاسترقاق ومنسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم
قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وافاد الاستاد فى بيان المراد انه اذا
حصل الظفر بالعدو فالعفو عنهم وترك المبالغة فى النكير عليهم موجب
للنداء وتضييع للفرصة بل الواجب ازهاق نفوسهم واستئصال
اصولهم وكذلك العبد اذا ظفر بنفسه فلا ينبغى ان يبقى فى انتعاش
شوكها بقية ولا فى قلع شجرها شظية فالحية وان بقيت من الحيوة
بقية فيها فمن وضع عليها اصبعا نفث فيه سمها لكن اذا راى فى
حال المجاهدة مع النفس ان فى اعفاء ساعة وافطار يوم
ترويحا لها من الكد وتقوية لها على الجهد فيما يستقبل له من الامر فذلك
على ما يحصل به الاستصواب من لسان شيخ او فتوى بيان وقت
او فراسة صاحب مجاهدة حتى تضع الحرب اوزارها آلاتها واثقالها
التى لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع ونحوها والمعنى حتى ينقضى الحرب

ولم يبق الا مسلم او مسالم ذلك اى الامر فيهم ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم
منهم باستيصالهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بقتالهم ليبلو المؤمنين
بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم لهم والكافرين بالمؤمنين بان
يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن كفرهم والذين قاتلوا فى
سبيل الله اى جاهدوا فى طريق رضاه وقراء ابو عمرو وحفص قتلوا اى استشهدوا
فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها بل يعطيها آمالهم ويعظم ثوابهم ويكرم
مآبهم سيهديهم سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم شانهم وحالهم ويدخلهم
الجنة عرفها لهم فى الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما به استحقوها او بينها لهم
فى العقبى بحيث يعلم كل احد مسكنه ويهتدى اليه كانه كان ساكنه يا ايها الذين آمنوا
ان تنصروا الله دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم فى القيام بحقوق
الاسلام والمجاهدة مع مخالف نظامكم وقال الحكيم الترمذى ان اكرمتم اولياءه
اكرمكم وافاد الاستاد ان نصرة الله من العبد نصرة دينه بايضاح الدليل وتبيينه
ونصرة الله للعبد باعلاء كلمته وقمع اعداء ملته والذين كفروا فتعسا لهم فعثارا
ودمارا حاصلا لهم وخاصا بهم وقال الاستاد لعنا وطردا وقمعا وبعدا
وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا واضل اعمالهم ضيع احوالهم
وابطل آمالهم ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله من القرآن لما فيه من التكاليف
المخالفة لما الف طباعهم فاحبط اعمالهم حيث لم تكن على وفق هداهم بل كانت
على طريق هواهم وافاد الاستاد انهم لما زاغوا بقلوبهم وراغوا بالتلبيس
فى معاملاتهم احبط الله اعمالهم وهتك استارهم واظهر للمؤمنين اسرارهم
واخذ نارهم افلم يسيروا فى الارض بابدانهم او بابصارهم فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم اى مآل حال كفارهم دمر الله عليهم استأصل
ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وديارهم وآثارهم وللكافرين
الغابرين امثالها اشباه تلك العاقبة من العقوبة والمهلكة ذلك بان
الله مولى الذين آمنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم يرضى
عنهم فيدفع العذاب عنهم قال ابو عثمان هو معين من اقبل عليه وناصر من استغاث
لديه وافاد الاستاد ان المولى قد يكون بمعنى المحب فهو مولى الذين آمنوا اى محبهم
وان الكافرين لا مولى لهم لا محب لهم ويصح ان يقال هذا ارجى آية فى القرآن
حيث لم يقل مولى الزهاد والعباد واصحاب الاوراد وارباب الاجتهاد بل
قال مولى الذين آمنوا والمؤمن وان كان عاصيا فهو من جملة الذين آمنوا
لاسيما وآمنوا فعل والفعل لا عموم له ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجرى من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا

من الحرام

من الحرام ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين غافلين عن عاقبة الايام ووخامة
الانام والنار مثوى لهم منزل ومقام على الدوام وافاد الاستاد ان الانعام
بلا تمييز بين الحلال والحرام كذلك الكافر غفول والانعام ليس وقت لاكلها بل تأكل فى
كل وقت حصل لها كذلك الكافر اكول وفى الخبر ان الكافر يأكل فى سبعة امعاء
والمؤمن فى معاء واحد ويقال هى تأكل على الغفلة فمن كان فى حال اكله ناسيا لربه
فاكله كاكل الانعام فى وصفه وكاين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك
على حذف المضاف وهو الاهل واجراء احكامه على المضاف اليه مجازا والاخراج
باعتبار التسبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يكشف عنهم الحجاب
قال بعضهم لم يخرج النبى صلى الله عليه وسلم خوفا منهم كما خرج موسى عليه السلام
ولكنه خرج حين اخرج الا ترى ان الله يقول اخرجتك ولم يقل خرجت ولا
فررت ولا فزعت لانه بالله وبالله فى جميع اوقاته فلم يجر عليه الالتفات الى
غير ذات الله ومشاهدة صفاته افمن كان على بينة من ربه حجة من عنده
وبيان وهو القرآن او ما يعمه من البرهان كمن زين له سوء عمله من الشرك
والعصيان واتبعوا اهواءهم من غير شبهة لهم فضلا عن حجة عندهم
وافاد الاستاد ان البينة الضياء والحجة والاستبصار بوضوح الحجة فالعلماء
فى ضياء برهانهم والعارفون فى صفاء بيانهم فهؤلاء باحكام ادلة الاصول
يبصرون وهؤلاء بحكم الالهام والوصول يستبصرون مثل الجنة التى وعد
المتقون اى فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وحالتها الغريبة او صفتها
ما نذكر منها ان فيها انهار من ماء غير آسن وقراء ابن كثير اسن بالقصر اى غير
متغير طعمه ولونه وريحه وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حامضا
وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة لهم لا يكون لهم كريه فى ابتدائها
ولا غائلة سكر وخمار فى انتهائها وانهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات
النحل وامثالها والمعنى ان فى العقبى جميع ما يستلذ منها فى الدنيا مجردا عما
ينقصها وينغصها ومعدا لاهلها بكثرتها واستمرار مدتها ولهم فيها من
كل الثمرات صنف شريف ونوع لطيف خارج عن جنس المشاهدات
ومغفرة من ربهم عن السيئات والغفلات كمن هو خالد فى النار
اى امن هو خالد فى هذه الجنة كمن هو خالد فى العقوبة وسقوا ماء حميما
مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة وقال الاستاد كذلك
اليوم للاولياء لهم شراب الوفاء ثم شراب الصفاء ثم شراب
الولاء ثم شراب فى حال اللقاء ولكل من هذه الاشربة عمل ومحو ولصاحبه
سكر وصحو فمن تحسى شراب الوفاء لم ينظر فى ايام غيبته عن احبابه الى احد

كما قال قائلهم ■ وما سر صدري منذ شطت بك النوى ٭ انيس لا الكاس ولا متصرف
ومن شرب كاس الصفا اخلص له عن كل شوب فلا كدورة في عهده فهو في كل
وقت صاف عن نفسه حال عن مطلوباته قائم به بلا شغل في الدنيا والآخرة
ولا حاجة من حاجاته ومن شرب كاس الولاء عدم فيه القرار ولم يغب سره
لحظة لا في الليل ولا في النهار ومن شرب في حال اللقاء آنس على الدوام
ببقائه فلم يطلب مع بقائه شيئا آخر لا من عطائه ولا من لقائه لاستهلاكه
في علائه عند سطوات كبريائه ومنهم من المنافقين من يستمع اليك
ليعلم ما نزل عليك او وقع من الكلام لديك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا
للذين اوتوا العلم من علماء الصحابة ماذا قال آنفا اي شيء الذي قال في هذه
الساعة استهزاء في انفسهم وقراء البزي بقصر الهمزة بخلاف عنه اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم ولذا اظهروا استهزاءهم والذين
اهتدوا من اهل الاسلام زادهم الله بالتوفيق والالهام هدى هداية بيانا
للاحكام وآتاهم تقواهم اعطاهم اسبابها واعانهم على اكتسابها قال ابن عطا
الذين تحققوا في طلب الهداية اوصلناهم الى مقام الهداية وزدناهم هدى
بالوصول الى الهادي وهو المقصود في البداية والنهاية وقال الاستاذ
اهتدوا بانواع المجاهدات فزادهم هدى بانوار المشاهدات واهتدوا بتامل
البرهان فزادهم هدى بحق اليقين فهل ينظرون الا الساعة اي ما ينتظرون
غيرها ان تأتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها كالعلة له
اي لانه ظهر بعض اماراتها كمبعث خاتم الانبياء وانشقاق القمر في السماء
فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم فكيف لهم تذكرهم بالطاعة اذا جاءتهم الساعة
وح لا هي تدفع ولا طاعة تنفع فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة فاعلم انه لا اله
الا الله في جميع الكائنات واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات اي اذا
علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم اليقيني
بالوحدانية الالهية وتكميل النفس الانسانية باصلاح اعمالها وانجاح احوالها
وهضمها بالاستغفار لما صدر من الزلات في حالة الغفلات منك ومن اتباعك
وان كان تفاوت بين السيئات فان حسنات الابرار سيئات الاحرار
والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ومثواكم في العقبى
فانها دار اقامتهم فلا بد من دوامها قال جنيد امر نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يدعو الخلق من الاصنام والاوثان اليه فدعاهم من مجيب ومنكر لديه ودعاه
سبحانه اليه من نفسه ومن الاكوان وللخلق واثنه فقال فاعلم انه لا اله الا هو
اي الذي اصطفاك على البشر ليس غيره مستحق الالوهية ويقتضي العبودية

وقال ابن عطا

وقال ابن عطا عالم قوله لا اله الا الله يحتاج الى اربعة اشياء تصديق وتعظيم
وحلاوة وحرمة فمن لم يكن له تصديق فهو منافق ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع
اي غافل جاهل ومن لم يكن له حلاوة فهو مراء غير مخلص ومن لم يكن له حرمة فهو
فاسق لان حرمة هذه الكلمة القيام بما يقتضيه من الطاعة وافاد الاستاد انه عليه السلام
كان عالما بانه لا اله الا الله فامره باستدامة العلم واستزادته وكذلك في الثاني
في حالته من اول العلم وبداوته لان العلم اثر ولا يجوز البقاء على الاثر فكل لحظة يأتي
بها ويقال كان له علم اليقين فامر بعين اليقين او كان له عين اليقين فامر
بحق اليقين ويقال انما امره بالانقطاع اليه من الخلق ثم بالانقطاع منه الى
الحق واذا قال العبد هذه الكلمة على العادة والغفلة عن الحقيقة فليس لهذا القول
كبير قيمة وهكذا اذا تعجب من شيء فتذكر هذه اللفظة ليس له قدر ومرتبة واذا
قاله مخلصا فيه ذاكرا لمعناه متحققا بحقيقة مبناه فان قال بنفسه فهو في وطن
التفرقة وعندهم هذا من الشرك الخفي وان قاله بالحق فهو الاخلاص الجلي
والعبد يعلم اولا ربه بدليل وحجة فعلمه بنفسه ضروري وهو اصل الاصول
وعليه ينبني كل علم استدلالي ثم يزداد قوة علمه بزيادة البيان وزيادة
الحجج من انواع البرهان ويتناقص علمه بنفسه لغلبات ذكره متى بقلبه فاذا
انتهى الى حال المشاهدة واستيلاء سلطان الحقيقة عليه صار علمه في تلك
الحالة ضروريا ويقال الذي في البحر غلب عليه ما يأخذه في الرؤية للبحر عن ذكر
نفسه فاذا ذكر البحر قوي هذه الحالة فاذا غرق في البحر فلا احساس له بشيء سوى
ما هو مستغرق فيه مستهلك واذا علمت انك علمت فاستغفر لذنبك
من علمك فان الحق على جلالة قدره لا يعلمه غيره ويقول الذين آمنوا
لولا نزلت سورة هلا نزلت سورة في امر الجهاد فاذا انزلت سورة
محكمة مبينة وذكر فيها القتال اي الامر به رأيت الذين في قلوبهم
مرض ضعف في اليقين او نفاق في الدين ينظرون اليك على وجه الكراهة نظر المغشي
عليه من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم دعاء عليهم بمكروه يقع لديهم
يؤل اليه امرهم طاعة اي امرهم طاعة وقول معروف او حكاية قولهم لقراءة
ابي يقولون طاعة اي امرنا طاعة او اولى لهم طاعة او اولى لهم طاعة منهم
لله ورسوله وقول معروف بالاجابة لما امروا به من الجهاد وغيره او طاعة وقول
معروف خير لهم فاذا عزم الامر اي جد اصحابه فلو صدقوا الله فيما زعموا
من الحرص على الجهاد او الايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم توقعتم
من انفسكم ان توليتم امور العامة وتأمرتم عليهم في الاحكام او اعرضتم
وتوليتم عن الاسلام ان تفسدوا في الارض بالظلم والعدوان او بالكفر والعصيان

وتقطعوا ارحامكم حرصا على الولاية وتجاذبا للامارة اولئك الذين
لعنهم الله ابعدهم عن رحمته وطردهم عن جنته لافسادهم وقطع ارحامهم
فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيل الصدق
افلا يتدبرون القرآن لا يتأملون ما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا
على الكبائر ام على قلوب اقفالها فلا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر قال
سهل ان الله تعالى خلق القلوب واقفل عليها باقفالها وجعل الايمان
مفاتيحها فلم يفتح على التحقيق الا قلوب الانبياء والمرسلين والصديقين
واما سائر الناس فيخرجون من الدنيا وقلوبهم مقفلة كالزهاد والعلماء والعباد
لانهم طلبوا مفاتيحها في العقل فضلوا الطريق ولو طلبوا من باب الفضل وجهة
التوفيق لفتح اقفال قلوبهم للتحقيق ومفتاح القلوب ان الله قائم عليك
رقيب على جوارحك والعلم بان العمل لا يحل الا بالاخلاص وقال الاستاد اي
ان تدبروا القرآن افضى بهم الى حسن العرفان وخلص ارواحهم عن ظلمة التحير
في وادي الطغيان ان الذين ارتدوا على ادبارهم الى ما كانوا عليه من انكارهم
واصرارهم من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل اللائحة والمعجزات الواضحة
الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف السيئات وحملهم على اتباع الشهوات
واملى لهم ومد لهم في آمالهم واما نيهم وامهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة
لمعاصيهم وقرأ ابو عمرو واملي لهم على البناء للمفعول وهو ضمير لهم ذلك
بانهم اي اليهود او المنافقين قالوا للذين كرهوا ما نزل الله للمشركين
سنطيعكم في بعض الامر في بعض اموركم ولو كان مخالفا للدين والله يعلم
اسرارهم ومنها قولهم هذا الذي افشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بالكسر على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف يعملون ويحتالون
حينئذ حال كونهم يضربون وجوههم وادبارهم بمقامع من حديد فيها بأس شديد
ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر والمعصية الامر واظهار الشر وكرهوا
رضوانه ما يرضاه من الايمان وطرق الخير فاحبط اعمالهم ضيع احوالهم
وابطل آمالهم ام حسب الذين في قلوبهم مرض ضعف دين او قلة يقين
ان لن يخرج الله لن يظهر لرسوله والمؤمنين اضغانهم احقادهم ولو نشاء
لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي
نسمهم بها واللام لام الجواب كررت في المعطوف للمبالغة ولتعرفنهم في لحن
القول جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه الدال على انحراف الفعل
من تعريض وتورية في العبارة وغمز ورمز في الاشارة كما يعرف بالفراسة
والكياسة والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب احوالكم قال القاسم

ان الاكابر

ان الاكابر والسادة يعرفون صدق المريد من كذبه في سؤاله وكلامه لان الله تعالى
يقول ولتعرفنهم في لحن القول وافاد الاستاد في لحن القول اي في معنى الخطاب
وان الاسرة تدل على السريرة وما يخامر القلوب فعلى الوجوه يلوح اثره كما قيل
لست ممن ليس يدري ما هوان من كرامه • ان للحب وللبغض على الوجه علامة
والمؤمن ينظر بنور الفراسة والعارف ينظر بنور التحقيق والموحد ينظر
بالله فلا يستتر عليه شيء او يقال بصائر الصديقين غير مغطاة ففي الخبر
سدوا كل خوخة غير خوخة ابي بكر ولنبلونكم بالامر بالجهاد وسائر التكاليف
الشاقة المحتاجة الى المجاهدة حتى نعلم المجاهدين حتى نميزهم منكم والصابرين
على مشاقها من الواقفين في شقاقها ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم
فنظهر حسنها وقبيحها من احوالكم وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء لموافقة
ما قبلها وافاد الاستاد ان بالابتلاء والامتحان يتبين جواهر الرجال في
اختلاف الاحوال فيظهر المخلص الموافق ويفتضح المماذق وينكشف
المنافق ان الذين آمنوا او اخلصوا نجوا وتخلصوا او الذين كفروا
كفروا ونافقوا ووقعوا في الهوان وذلوا ووسموا بالشقاوة وقطعوا
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله جمعوا بين الضلال والاضلال
وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى وخالفوه بعد ما ظهر لهم
سبيل اهل الكمال لن يضروا الله شيئا بما صدر عنهم من الافعال وسيحبط
اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم الصورية في نظر العوام او مكائدهم التي
نصبوها في مشاقة الرسول واصحابه الكرام يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
في امره واطيعوا الرسول في حكمه ولا تبطلوا اعمالكم بالكفر والنفاق والعجب
والرياء والمن والاذى قال الواسطي اطيعوا الله في حرمة رسول الله واطيعوا الرسول
في تعظيم الله ولا تبطلوا اعمالكم بالمساكنة اليها او بطلب الاعواض عليها
او بتوهمكم انه يجب بها شيء دون فضل الله لديها ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام في كل من مات على كفره وان صح نزوله
في اصحاب القليب نحوه ويدل بمفهومه على انه يغفر لمن لم يمت على كفره سائر امره
فلا تهنوا فلا تضعفوا في الجهاد وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى الصلح في البلاد
وانتم الاعلون الاغلبون مع العباد والله معكم ناصركم في مآلكم ولن يتركم
اعمالكم لن ينقصكم اعمالكم ولن يضيع احوالكم وقال الاستاد لا تميلوا الى الصلح
مع الكفرة وانتم الاعلون بالحجة والنصرة والله معكم يراكم ومن علم ان سيده
يراه في طاعته تحمل كل مشقة برؤيته انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها
ولا بقاء بها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقويكم ولا يسألكم

اموالكم جميعها بل يقتصر على جزء يسير منها كربع العشر ونحوها ان يسألكموها
فيحفكم فيجهدكم بطلب كلها تبخلوا في اعطائها ويخرج اضغانكم اي يظهر الله
او البخل انواع حقدكم واصناف حسدكم واجناس كيدكم لرسوله صلى الله عليه
وسلم واتباعه وافاد الاستاد ان هذا انما يقوله لمن لم يوق شح نفسه فاما
الاحرار ومن علت رتبتهم في باب حرية القلب فلا يسألون في استيفاء ذرة
لمرضاة الرب ويطالبون ببذل الارواح والتزام الغرامات في الاشباح
ها انتم المخاطبون هؤلاء الموصوفون تدعون لتنفقوا في سبيل الله طريق
رضاه فمنكم من يبخل في انفاق ماله مع ان فيه تمام كماله ونظام ماله ومن يبخل
فانما يبخل عن نفسه لانها محل وباله في سوء حاله والله الغني عنكم وعن عباداتكم
وانتم الفقراء الى رحمته في دنياكم وآخرتكم او في بدايتكم ونهايتكم فما يأمركم به
فهو لحاجتكم فان امتثلتم فلكم نفعه وان توليتم فعليكم ضرره قال جنيد لان الفقر
يليق بالعبودية والغنى بالربوبية وافاد الاستاد ان الفقير الصادق من يشهد
افتقاره الى الله وصدق الفقر شهود فقرك الى الله ومن افتقر الى غير الله
وقع في الذل والهوان من جهة مهواه وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا
اي وان تعرضوا عن طاعته وعن الايمان به ومتابعته يستبدل قوما غيركم
اشد منكم طاعة واصدق منكم عبادة والمعنى هو قادر على ان يخلق اشكالكم ثم
لا يكونوا امثالكم في العصيان والاعراض عن الايمان وترك الشكر بالاحسان
بل يكونوا خيرا منكم في اعمالكم واحوالكم وهم الفرس لانه سئل عليه السلام عنهم
وكان سلمان رض الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه وقال بعضهم لا يستقر
على بساط العبادة الا اهل السعادة وقد يطأ البساط المترسمون بالعبودية
اوقاتا ثم لا يستقرون عليه ثباتا ويبدل الله مكانهم فيه من اوجب السعادة له
الا ترى ان الله يقول وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاد بسم الله يشير الى سموه في ازله وعلوه في ابده فمعرفة سموه توجب
للعبد سموا ومعرفة علوه توجب للعبد علوا انا فتحنا لك فتحا مبينا الجمهور
على ان المراد بالفتح صلح الحديبية وقال بعضهم فتح مكة المكرمة ويؤيد الاول ما روى
محيي السنة انه لما نزلت في طريق الرجوع الى المدينة سنة ست من الهجرة
قال عمر رضي الله عنه أوفتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده وهو صلح
بسببه خير الدنيا والآخرة وفيه بيعة الرضوان وظهور الاسلام وانتشار العلم
قال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية اختلط المشركون بالمسلمين
وسمعوا اخبارهم واسرارهم وشاهدوا انوارهم وتمكن الاسلام في قلوبهم

واسلم في ثلاث سنين خلق كثير منهم ومن ههنا استقبل فتح خيبر على
ايدي اهل الحديبية من غير مشاركة لغيرهم انتهى والمعنى انه سمي فتحا لانه كان بعد ظهوره
على المشركين حتى سألوا الصلح وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله عليه السلام
لسائر العرب فغزاهم وفتح مواضع من مأويهم ولا يبعد ان يكون الفتح بمعنى القضاء
اي قضينا لك انواعا من الفتوحات المكية وغيرها مما جرى على يديه في وقته او بعده
على امته والمعنى انا بعظمتنا فتحنا لاجل قدرك في حضرتنا فتحا مبينا ظاهرا معينا
لكونه سبحانه له ناصرا ومعينا ليغفر لك الله المسمى بالاسم الجامع لصفتي
الجمال والجلال ما تقدم من ذنبك وما تأخر جميع ما فرط منك مما يصح ان يعاتب
عليه لكونه نقصانا في مقام الكمال ويتم نعمته عليك باعلاء كلمة الله وضم الملك
الى النبوة ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم
الرياسة وينصرك الله نصرا عزيزا نصرا فيه عزة ورفعة وقوة ومنعة وانما
جعل المغفرة علة للفتح والنصرة لانه مسبب عن جهاد الكفرة والسعي في
ازاحة الفجرة وتخليص الضعفة عن ايدي الظلمة وقيل تعليم للامة بحملهم
على طلب المغفرة وقال بعضهم ما تقدم اي ذنوب ابويك آدم وحوا بحرمتك
وما تأخر ذنوب امتك بدعوتك وعن عطاء الخراساني ما تقدم في الجاهلية
وما تأخر ما لم يعمله في القضية والمعنى قد استوى ما عملت وما لم تعمل في عموم
المغفرة وهذا من ادنى المنة واصفى العطية وقال ابن عطا كشف الله
تعالى ذنوب الانبياء على انفسهم وستر ذنب محمد عليه السلام بقوله ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقال جعفر الصادق من تمام النعمة على نبيه
صلى الله عليه وسلم ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به شرائع
رسله وعرج به الى المحل الادنى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ بصره وما
طغى وبعثه الى الاسود والابيض واحل له ولامته الغنائم وجعله شفيعا
مشفعا وجعله سيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وهذا تمام نعماه
وقال الاستاد اي ينصرك على هواك ونفسك وينصرك على حسن خلقك ومقاسات
الاذى من قومك نصرا معزا من آمن بك هو الذي انزل السكينة السكون
والطمأنينة في قلوب المؤمنين كما انزل على الصحابة يوم الحديبية فاطمأنت
قلوبهم بالصلح في القضية وقيل السكينة ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه كما
روي ان السكينة لتنطق على لسان عمر وروى السلمي عن ابن عطا ان السكينة
نور يقذف في القلب يبصر به مواقع الصواب في طريق الرب وافاد الاستاد
ان السكينة ما سكن اليه القلب من البصائر والحجج فيرتقي القلب بوجوده عن حد
الفكرة والسهر في روح اليقين وثلج الفؤاد فتصير العلوم ضرورية وهذا للخواص

من المسلمين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ايقانا مع ايقانهم واحسانا مع احسانهم
وعرفانا مع عرفانهم وهكذا مترقيا فى جميع شانهم وقال الاستاد سكونا مع سكونهم
تطلع اقمار عين اليقين على نجوم علم اليقين ثم تطلع شمس حق اليقين على بدر
عين اليقين ولله جنود السموات والارض يدبر امرها فيسلط بعضها
على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم مرة كما تقتضيه منيع حكمته وبديع مشيته
وقيل المراد بالجنود جميع المخلوقات الدالة على وحدانيته وافاد الاستاد ان تسلط
الحق على شئ فهو من جنوده سواء سلطه على وليه فى الشدة والرخاء او سلطه
على عدوه فى الراحة والبلاء وكان الله عليما فيما يقدر حكيما فيما يدبر ليدخل المؤمنين
والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها اى قدر ما قدر ودبر ما دبر
من نصرة المؤمنين ليعرفوا نعمة الله ويشكروها بعباداتهم فيدخلوا مراتب
الجنة على قدر حسناتهم ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا
عظيما لانه منتهى ما يطلب من جلب خير او دفع ضر ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات بحسب مراتبهم فى الدركات الظانين بالله ظن السوء
ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله ولا يعطيه سؤله واكتفى عن ذكر الظانات
اما تغليبا لا يجاز المقامات او اشعارا بان ظن السوء كان غالبا على حالهم
فى اغلب احوالهم عليهم دائرة السوء اى عليهم خاصة ما يظنونه ويتربصونه
بالمؤمنين لا تتخطاهم شئ منها ويحيط بهم احاطة الدائرة بما فيها وقرا ابن كثير
وابو عمرو دائرة السوء بالضم وغضب الله عليهم فطردهم عن رحمته ولعنهم
ابعدهم عن جنته واعد لهم جهنم مكان نعمته وساءت مصيرا اذ قبحت
مسيرا قال الاستاد فى العاجل بكفرهم ونفاقهم وفى الاجل بعذابهم وسوء
عقابهم لكفروا بغضبه وغضبه ارادة العقوبة بهم فى العقبى وكون الشرك
والنفاق فى الدنيا ولعنهم حق فيهم كلمته وسبقت لهم من الله بالشقاوة قسمته
ولله جنود السموات والارض وظاهرا واولا وآخرا وكان الله عزيزا غالبا
على مراده حكيما فيما دبر من امر عباده انا ارسلناك شاهدا على امتك يوم
القيمة ومبشرا للمحسنين بالجنة على الطاعة ونذيرا للمسيئين
بالعقوبة على المعصية وقال سهل شاهدا عليهم بالتوحيد والمعرفة
ومبشرا لهم بالمغفرة ونذيرا لحذرا اياهم البدعة والضلالة وقال الاستاد
شاهدا بوحدانيتنا ويقال شاهدا من قبلنا ومبشرا بامرنا عنا ونذيرا من
جانبنا ولنا ومنا ويقال انا قمناك لتبلغ اليهم عنا بنا ولنا ومنا لتؤمنوا
بالله ورسوله الخطاب للنبى والامة وتعزروه تقووه بتقوية دينه
وتنصروه وتوقروه وتعظموه وتسبحوه تنزهوه او تصلوا له بكرة واصيلا

دائما او غدوة وعشيا وقرا ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالغيبة
وافاد الاستاد ان تعزيره ايثاره بكل وجه على نفسك وتقديم حكمه على حكمك
وتوقيره باتباع سنته والعلم بانه سيد بريته ان الذين يبايعونك فى
الحديبية وهى بيعة الرضوان حين ارسل عليه السلام عثمان بن عفان الى
قريش ليعلمهم انهم جاؤا معتمرين لا محاربين فاخبر بقتل عثمان فبايعوا على الصبر
الى اقصى الجهد والامكان ولذا قالوا انا بايعنا على الموت انما يبايعون الله
لانه المقصود ببيعته والمراد ان عقد الميثاق مع رسوله كعقد الميثاق مع
ربه من غير تفاوت فى حكمه لكان وساطة الرسول مرتفعة عن نظره وقال الاستاد
اى عقدك عليهم هو عقد الله اليهم يد الله فوق ايديهم استيناف مؤكد له
على سبيل التمثيل والمعنى ان يد رسوله يده وهو منزه عن اليد والاسلم عدم التاويل
فلله يد مناسب لذاته الاقدس وصفاته الانفس وعن كثير من السلف نعمة الله
عليهم بالهداية فوق ما صنعوا فى البيعة للطاعة وقيل قدرة الله وقوته فوق
قوتهم وحركتهم وافاد الاستاد ان فى هذه الآية اشارة الى عين الجمع كما قال وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمى فمن نكث نقض عهده فى مقام وعده فانما
ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله
اى قام بما عاهد على التمام فى البيعة فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرا نافع
وابن كثير وابن عامر فسنؤتيه بالنون وافاد الاستاد ان العبد اذا كان
بوصف اخلاصه يعامل الله فى شئ وهو به متحقق وله بقلبه مشاهد
فالوسائط التى عليها امارات التعريفات محو عن اسرارهم والحكم راجع
الى الواحد سيقول لك المخلفون من الاعراب الذين واعدوا ان يرافقوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوافقوا فى مسيره الى مكة عام الحديبية وهم
اسلم وجهينة ومزينة وغفار فاخلفوا الوعد واعتلوا بالشغل باموالهم
واهاليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة فى الايمان والخوف
من مقاتلة قريش ان صدورهم عن ذلك المكان شغلتنا عن الوفاء
بعهدنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم بامرهم اذا خرجنا فاستغفر لنا
من الله على تخلفنا يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم تكذيب من الله لهم
فى الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من
مشيته ان اراد بكم ضرا نوع مضرة كقتل او هزيمة او خلل فى مال واهل وعقوبة
على مخالفة وقرا حمزة والكسائى بالضم او اراد بكم نفعا نوع منفعة كنصرة
وغنيمة وسعة رحمة ودوام عافية والمعنى لا احد يدفع ضره ولا نفعه فليس
الشغل بالاهل والمال عذرا فلا ذاك يدفع الضر ان اراده ولا طاقة

العدو ويمنع النفع ان اراده بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم مع اقراركم
وقصدكم فى اعتذاركم قال بعض السلف ما شغلك عن الله من اهل ومال وولد
فهو شوم عليك وافاد الاستاد ان عذر المماذق وتوبة المنافق كلاهما ليس له
حقايق بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنكم
ان المشركون يستاصلونهم وزين ذلك فى قلوبكم حتى احببتم ان لا يرجعوا
الى اوطانهم وظننتم ظن السوء بانهم اكلة راس لقريش واخوانهم
وكنتم قوما بورا هالكين لسوء عقيدتكم وفساد نيتكم وافاد الاستاد ان العدو اذا
لم يقدر ان يكيد بيده تمنى ما يتقاصر عنه ملته بقلبه وذلك صفة كل لئيم ونعت
كل مليم ثم الله تعالى يعكس ذلك عليه فى امره حتى لا يقع على مراده ولا
يحيق المكر السيئ الا باهله ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
لمن يموت على كفره سعيرا نارا موقدة وعقوبة مؤبدة ولله ملك السموات
والارض له الاختيار المطلق فى الاشياء يدبر فى ملكه ما يشاء يغفر لمن يشاء
مغفرته ويعذب من يشاء عقوبته اذ لا وجوب عليه فى بريته وكان الله
غفورا لمن تاب رحيما لمن اناب فالغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل
تحت قضائه بالعرض فى كائناته ولهذا جاء فى الحديث القدسى سبقت
رحمتى غضبى سيقول المخلفون اى المذكورون اذا انطلقتم الى مغانم
الى جهة فيها غنائم لتاخذوها وهى مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من
الحديبية فى ذى الحجة سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم
ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم دون
غيرهم ذرونا نتبعكم فى خروجكم الى خيبر وحربهم يريدون ان يبدلوا
كلام الله ان يغيره وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوضهم من مغانم مكة
مغانم خيبر لا شريك لهم فيها والكلام اسم للتكليم غلب فى الجملة المفيدة
وقرا حمزة والكسائى كلم الله وهو جمع كلمة ولعل المراد بها قضاياه قل لن
تتبعونا فى سفر خيبر قيل نفى معناه نهى كذلكم قال الله من قبل قبل ان
تسالوا الخروج معنا فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم فى الغنائم
وليس فيه امر من الله جازم بل كانوا لا يفقهون الا قليلا لا يفهمون الا
فهما قليلا وهو فهمهم لبعض امر دنياهم قل للمخلفين من الاعراب كرر
ذكرهم مبالغة فى ذمهم ستدعون الى قوم اولى باس حرب شديد
اى هوازن وثقيف وذلك فى عهده عليه السلام او بنى حنيفة واصحاب
مسيلمة وذلك فى خلافة ابى بكر رض او اهل فارس وذلك فى خلافة عمر رض
قال صاحب البحر هذه الاقوال تمثيلات لا اعلام بل خبر الله تعالى بذلك

على وجه الابهام ودلالة على قوة الاسلام واستمرار دعوته عليه السلام
تقاتلونهم او يسلمون او يدخلون فى الاسلام او ينقادون تحت الاحكام
والجملة استيناف فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة فى الدنيا
والجنة فى العقبى وان تتولوا تتخلفوا عن القضية كما توليتم من قبل عام
الحديبية يعذبكم عذابا اليما فى الاولى والاخرى وافاد الاستاد انه جاء فى التفسير
ان اهل اليمامة اصحاب مسيلمة دعاهم ابو بكر الصديق رض فالاية يدل على صحة
امامته وقيل فارس ودعاهم اليه عمر بن الخطاب رض فدلت الاية على صحة خلافته
وامامته تدل على صحة امامة ابو بكر رض والمعنى ان اطعتم استوجبتم الثواب
وان تخلفتم استحققتم العقاب ودلت الاية على انه يجوز ان يكون للعبد
بداية غير مرضية ثم يتغير بعدها الى حالة بهية كما كان لهؤلاء ولقد انشدوا
اذا فسد الانسان بعد صلاحه • فرج له عود الصلاح لعله • ليس على الاعمى
حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد للمخلفين نفى الحرج
عن هؤلاء المعذورين وافاد الاستاد انه كذلك من كان له عذر فى المجاهدة
مع نفسه فالله يحب ان يؤتى رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار فى دار القرار ومن يتول يعرض
عن الطاعة يعذبه عذابا اليما فى دار البوار وقدم الترغيب على الترهيب
لسبق رحمته على غضبه وقرا نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون فيهما لقد
رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وكانوا الفا واربعمائة
وقيل وثلثمائة وقيل وخمسمائة وكانوا قصدوا دخول مكة وهم محرمون ▪
فصدهم المشركون فبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا عنهم
وكان جالسا تحت سمرة او سدرة ثم صالحوه على ان يخلوا له مكة من القابل
ثلثة ايام وكان عليه السلام قد راى فى المنام انهم يدخلون المسجد الحرام امنين
وبشر به المؤمنين فلما صدهم المشركون خامر قلوبهم شبهة وعاد الى
قلوب بعضهم تهمة حتى قال الصديق لم يقل عليه السلام فى هذا العام
فسكنت قلوبهم واطمانت نفوسهم فعلم ما فى قلوبهم من التهم والانفة
لديهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا وجازاهم فتح خيبر عقب
انصرافهم من هذا السفر وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة تاخذونها يعنى عقار
خيبر واموالها وكان الله عزيزا غالب القدرة والارادة حكيما مراعيا
مقتضى الحكمة وافاد الاستاد ان فى الاية دلالة على انه قد يخطر ببال الانسان
خواطر مشكلة وفى الريب موقعة ثم لا عبرة بها سبحانه اذا اراد بعبد
خيرا الزم التوحيد قلبه وقارن التحقيق سره فلا يضره كيد الشيطان ومكره

قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون وعدكم الله مغانم كثيرة هى الفتوحات الى يوم القيمة فعجل لكم هذه
اى مغانم خيبر وكف ايدى الناس عنكم اى ايدى اهل خيبر وخلفائهم من بنى
اسد وغطفان فان المسلمين لما خرجوا الى خيبر همت اليهود ان يغيروا على
عيال المسلمين بالمدينة فقذف الله تعالى الرعب فى قلوبهم فانكفوا عنهم
ولتكون هذه الكفة او الغنيمة آية للمؤمنين علامة لهم على صدقك فى مقام اليقين
او دلالة للمؤمنين يستدلون بها على حراسة الله للمسلمين ويهديكم صراطا مستقيما
هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه وتفويض الامور اليه وقال الاستاذ يقال معنى
كف ايدى الناس عنكم هو ان يرزق العبد من حيث لا يحتسب لئلا يحتاج ان
يتكلف حمل الناس بل يتخفف عنهم فى الاستيناس واخرى مبتدا لم تقدروا
عليها صفته وخبره قد احاط الله بها اى ومغانم اخرى لم تقدروا عليها بعد
لما كان لهم فيها من قوة الجولة ولكم من قلة الشوكة والحيلة قد احاط الله بها
علما وقدرة فيفتحها لكم وقت تعلق المشية وهى مغانم هوازن او فارس
او الروم او جميعها وكان الله على كل شئ قديرا فلا تعلقوه بغيره قلوبكم لا كثيرا
ولا يسيرا فان من عداه لا يتصور ان يكون لكم نصيرا ولو قاتلكم الذين كفروا
من اهل مكة عام الحديبية ولم يصالحوا فى القضية لولوا الادبار لانهزموا بالكلية
ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التى قد خلت من
قبل سن الله سنة الانبياء المتقدمة ان عاقبة اعدائهم الخزى والهزيمة
ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا او تحويلا وهو الذى كف ايديهم عنكم اى ايدى
كفار مكة عن قتالكم وايديكم عنهم فى شدة حالكم ببطن مكة كائنين فى داخل
مكة معهم من بعد ان اظفركم عليهم اى اظهركم وغلبكم لديهم وذلك ان سبعين
او ثمانين او ثلثين رجلا متسلحين هبطوا من جبل التنعيم يريدون غرة النبى
صلى الله عليه السلام فدعا عليهم فاخذوا وعفا عنهم فاطلقوا واما ما رواه ابن
جرير الطبرى وابن ابى حاتم وتبعه جمع كالقاضى من ان عكرمة بن ابى جهل
خرج فى خمسمائة يوم الحديبية فبعث رسول الله عليه السلام خالد بن الوليد فهزمهم
حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد ففيه ان خالد بن الوليد لم يكن اسلم يومئذ بل كان
طليعة للمشركين كما ثبت فى صحيح البخارى وغيره اللهم الا ان يراد بذلك يوم
الفتح ويحمل الكف بصيغة الماضى على تحقق وقوعه لعدم تخلف اخباره سبحانه
فى وعده ووعيده وكان الله بما تعملون من حربكم اولا طاعة نبيه وكفكم ثانيا
لتعظيم بيته بصيرا عالما خبيرا فيجازيكم عليه قليلا وكثيرا وقرأ ابو عمرو بالغيبة قال
سهل المؤمن على الحقيقة من لا يغفل عن نفسه وقلبه ساعة من ساعة فيفتش

حالاته

حالاته ويراقب اوقاته فيرى نقصانه من زياداته فيشكر عند رؤية الزيادة
ويتضرع عند المنقصة هؤلاء بهم يرفع الله البلاء والمؤمن من لا يكون
متهاونا بادنى التقصير فان التهاون بالقليل يستجلب الكثير وافاد الاستاذ ان
الكفار كفوا ايديهم رعبا وخوفا واما المسلمون فنهيا من قبل الله لما فى اصلابهم
من المؤمنين ولما علم ان قوما منهم يصيرون مسلمين والاشارة فى الآية
ان من الغنيمة الباردة ان يسلم الناس منك وتسلم منهم وانما يفعل الله
هذا باوليائه فلا من احد عليه حيف ولا منه على احد جور ولا حساب ولا مطالبة
ولا صلح ولا معاتبة ولا صداقة ولا عداوة وانشدوا • فلم يبق لى وقت
لذكر مخالف • ولم يبق لى قلب لذكر موافق ▪ هم الذين كفروا وصدوكم
عن المسجد الحرام منعوكم عن الزيارة بالعمرة والهدى ومنعوا الهدى وكان
سبعين بدنة معكوفا ان يبلغ محله اى حال كون الهدى محبوسا ومحصورا
من ان يصل مكانه المعهود للمعتمرين وهو المروة ثم بين حكمة المصالحة بقوله ولولا
رجال مؤمنون ونساء مؤمنات من المستضعفين بمكة لم تعلموهم لم تعرفوهم
باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين فى بنيانهم ان تطؤهم ان توقعوا بهم
وتقتلوهم فى اثناء قتال اعدائهم فتصيبكم جواب النفى او عطف
على تطؤهم منهم من جهتهم مضرتهم معرة نداءة وملامة اذ لا اثم ولا دية فى
قتل مؤمن مستور بين اهل المحاربة بغير علم اى حال كونكم غير عالمين او حال
كونهم غير معلومين وجواب لولا محذوف لدلالة صدر الكلام عليه والمعنى لولا
كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين او مجهولين فتصيبكم
باهلاكهم مكروه ومضرة من قبلهم لما كف ايديكم عنهم وقد تأخر العقوبة عن
الكفرة منهم وهو حال مؤكدة لقوله لم تعلموهم ليدخل الله فى رحمته من يشاء
ليخلص من بين اظهرهم المؤمنين وليرجع كثير منهم الى دين المسلمين لو تزيلوا
او تفرقوا او تميزوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما فى الدنيا فان عدم
التمييز لا يوجب عدم عذاب العقبى وافاد الاستاذ ان فى هذا تعريفا للعبد ان
امورا تنغلق وتتعسر فيضيق الانسان بها قلبه ولله فى ذلك سر ولا مر ما
تجرى كما يريده العبد كما قالوا ▪ كم مرة مرت بك المكاره ▪ خار الله لك
وانت كاره • اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية
التى تمنع اذعان الحق وقبول قول الصدق قال ابن عطاء الحمية متابعة
النفس الدنية فى الانتقام من البرى فى القضية فانزل الله سكينته على
رسوله وعلى المؤمنين وذلك ما روى انه عليه السلام لما هم بقتالهم بعثوا
جمعا ليسألوه ان يرجع من عامه على ان يخلوا له مكة من قابل ثلثة ايام فاجابهم

وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله
اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما
قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فقال عليه السلام اكتب ما يريدون
فانا اشهد انى رسول الله وانا محمد بن عبد الله فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك وان
يبطشوا عليهم هنالك فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا وتحلوا
لديهم والزمهم اى اختار الله لهم كلمة التقوى كلمة الشهادة كما صرح بذلك
النبى عليه السلام على ما رواه الترمذى وغيره واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها
او لكونها سبب الوقاية من نار العقوبة وكانوا احق بها من غيرهم فى حقها
واهلها المستأهل لها وكان الله بكل شىء عليما فيعلم اهلها ومن اولى بها
قال ابو عثمان كلمة التقوى كلمة المتقين وهى شهادة ان لا اله الا الله الزمها
الله السعداء من اوليائه المؤمنين بها وكانوا احق بها فى علم الله اذ خلقهم لها
وخلق الجنة لاهلها وقال الواسطى كلمة التقوى صيانة النفس عن مطالعة
غير المولى ظاهرا وباطنا وافاد الاستاد ان كلمة التقوى هى التى معها الاتقاء
من شرك السوى ويقال هى سؤالك من الله ان يحرسك من المطامع
فيما سواه ويقال هى التواصى بينهم بحفظ حقوق الله لهم وكانوا
احق بها فى سابق حكمه وقديم علمه وهذا الزام اكرام ولطف لا الزام اكراه
وعنف والزام بر لا الزام جبر وكم باسطين الى وصلنا اكفهم لن ينالوا
نصيبا لقد صدق الله رسوله الرؤيا فى المنام اذ راى عليه السلام انه واصحابه
الكرام دخلوا المسجد الحرام آمنين فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا بانه
وحسبوا ان ذلك يكون فى عامه فلما تأخر قال بعضهم والله ما راينا البيت
ولا حلقنا ولا قصرنا فنزلت والمعنى صدقه فى رؤياه بالحق ملتبسة بالصدق
فان ما رآه كائن لا محالة فى وقته المقدر له وهو العام القابل لتدخلن المسجد
الحرام جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية تعليما للعباد
وتنبيها على انه لا يجب عليه شىء فيما اراد وقيل ان بمعنى اذ وهو معنى لطيف وقيد
شريف وسئل سهل عن هذا الاستثناء قال تأكيدا فى الافتقار اليه وتأديبا بالعبادة
فى كل حال ووقت لربه وتنبيها ان الحق اذا استثنى مع كمال علمه لا يجوز الحكم
لاحد من غير استثناء مع قصور فهمه آمنين حال من الواو والشرط معترض
محلقين رؤسكم ومقصرين حال مقدرة اى محلقا بعضكم ومقصرا آخرون
لا تخافون اى غير خائفين حال مؤكدة لقوله آمنين فعلم ما لم تعلموا من الحكمة
فى تأخير العدة فجعل من دون ذلك من دون دخولكم المسجد الحرام او فتح مكة فتحا

قريبا هو صلح الحديبية او فتح خيبر ليتروح اليه قلوب المؤمنين الى ان
يتيسر الموعود فيما قدر له من الحين هو الذى ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به
او بسببه ودين الحق وبدين الاسلام وظهور امره ليظهره على الدين كله
ليغلبه ويعليه على جنس الدين جميعه بنسخ ما كان حقا وفساد ما كان باطلا
وكفى بالله شهيدا على نبوته باظهار معجزته محمد رسول الله جملة تامة مبينة
للمشهود به والذين معه من اصحابه اشداء على الكفار رحماء بينهم
اى يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون من وافق بينهم كقوله تعالى
اذلة على المؤمنين اى متوا ضعين اعزة على الكافرين اى متكبرين تريهم
ركعا سجدا اى مصلين فى كل وقت وحين يبتغون فضلا من الله
بالعفو عن تقصيراتهم ورضوانا بقبول طاعاتهم سيماهم فى وجوههم
من اثر السجود اى علامتهم يوم القيمة كونهم منورى الوجوه محجلى الجباه او
المراد خشوعهم وخضوعهم او صفاؤهم وضياؤهم من اثر التقيا دهم
وافاد الاستاد ان الآية فى المؤمنين عامة وفى التفسير من معه
ابو بكر اشداء على الكفار عمر رحماء بينهم عثمان تريهم ركعا سجدا
على رضوان الله عليهم اجمعين ذلك اشارة الى الوصف المذكور
مثلهم فى التورية اى صفتهم العجيبة المذكورة فيها ومثلهم فى الانجيل مبتداء خبر
كزرع اخرج شطأه فراخه وفروعه فآزره فقواه وعاونه وقرأ ابن ذكوان
بالقصر كاجر فى آجر فاستغلظ فصار من الرقة الى الغلظة فاستوى على سوقه
فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمز يعجب الزراع بكثافته
وقوته وغلظته وحسن بهجته وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة الكرام قلوا فى بدء الاسلام
ثم كثروا واستحكموا فى بناء الاحكام بحيث اعجب الانام ليغيظ بهم الكفار علة
لتشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكام نباته وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات منهم مغفرة لسيئاتهم واجرا عظيما لحسناتهم ومن للبيان
لا للتبعيض كما توهم اهل العدوان الا ان يراد بهم من ختم منهم بالايمان
وافاد الاستاد انه سبحانه شبه النبى عليه السلام بالزرع حين يخرج طاقة واحدة حتى ينبت
ما حوله فيشتد كذلك كان عليه السلام وحده وقوى بالمسلمين دينه ثم حمل الآية
على الصحابة خاصة فمن ابغضهم دخل فى الكفر لانه قال ليغيظ باصحابه الكفار ومن حملها
على المسلمين عامة ففيه حجة للاجماع لان من خالف الاجماع فالله يغايظ بهم الكفار
سورة الحجرات مدنية وهى ثمان عشرة آية ومخالف الاجماع كافر مخلد فى النار
بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله اسم عزيز من تقرب اليه باحسانه
قابله بلطف افضاله ومن تحبب اليه بايمانه اقبل عليه بكشف جلاله وجماله

يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا امرا او لا تتقدموا ويؤيده قراءة يعقوب لا تقدموا
بين يدي الله ورسوله والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به واتقوا الله في جميع احوالكم
ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم قال سهل لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاقبلوا
منه منصتين له مستمعين اليه واتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته وقيل لا تطلبوا
وراءه منزلة وافاد الاستاد ان قوله يا ايها الذين آمنوا شهادة للمنادي بالشرف
وقوله لا تقدموا امر بتحمل الكلف فقدم الاكرام بالشرف على الالزام بالكلف اي لا
تقدموا حكمكم بين يدي الله ورسوله والمعنى لا تقضوا امرا دون الله ورسوله ولا تعملوا
من ذات انفسكم شيئا في امر دينه ويقال قفوا حيث ما وقفتم وافعلوا به
ما امرتم وكونوا اصحاب الاقتداء والاتباع لا ارباب الابتداء والابتداع يا ايها الذين آمنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي عند جوابه ولا تجهروا له بالقول عند خطابه
كجهر بعضكم لبعض بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته مراعاة للادب في حضرته
ومحاماة على عظمة رتبته ان تحبط اعمالكم كراهة ان تضيع احوالكم لان الرفع
والجهر حال عدم المبالاة ربما يؤدي الى الكفر المحبط للديانة وذلك اذا انضم
اليه قصد الاهانة وانتم لا تشعرون انها محبطة لاعمالكم ومضيعة لاحوالكم قال
ابو بكر بن طاهر لا تبدؤوه بالخطاب ولا تجيبوه الا على حدود الادب
وافاد الاستاد انه سبحانه امرهم بحفظ حرمته ومراعات الادب في خدمته
وصحبته والمعنى لا تنظروا اليه صلى الله عليه وسلم بالعين التي تنظرون الى
امثالكم ولو انه بخلقه بينكم في جميع احوالكم ان الذين يغضون اصواتهم
يخفضونها عند رسول الله مخافة المخالفة اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم جربها للتقوى ومرنها عليها او اخلصها لها لهم مغفرة لذنوبهم
واجر عظيم لطاعاتهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها
خلفها او قدامها والمراد حجرات الازواج الطاهرات اكثرهم لا يعقلون
اذ العقل يقتضي حسن الادب سيما لمن كان بهذا المنصب وقال الاستاد
لو عرفوا رتبتك لما تركوا حرمتك ولالتزموا هيبتك ولو انهم صبروا
ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم مقبلا عليهم لكان صبرهم
خيرا لهم من استعجالهم في تحسين حالهم والله غفور للمسيئين
رحيم بالمحسنين وقال الاستاد والله غفور لاستعجالهم بالمناداة
من وراء الحجرات حتى ايقظوك وقت القيلولة فاما اصحاب رسول الله
الذين عرفوا قدره فكما في الخبر كان يقرع بابه بالاظافير يا ايها الذين آمنوا
ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا فتعرفوا بيانه وتفحصوا شانه وقرا حمزة
والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا في خبره الى ان يثبت حقيقة امره ان تصيبوا

كراهة

كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم
نادمين مغتمين روي انه عليه السلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بني
المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم
مقاتليه فرجع وقال لرسول الله عليه السلام قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم
بقتالهم فنزلت وقيل فبعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين
بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع واعلموا ان فيكم رسول الله
لو يطيعكم في كثير لعنتم اي واعلموا ان كونه صلى الله عليه وسلم فيكم على
حال يجب تغييرها وهي انكم تريدون ان يتبع رايكم ولو فعل ذلك
لوقعتم في العنت وهو الهلاك والمشقة ولكن الله حبب اليكم
الايمان وما يتبعه من الاحسان وزينه في قلوبكم لتكميل العرفان والايقان
وكره اليكم الكفر انواعه الشاملة للكفران والفسوق الكبائر والعصيان
الصغائر اولئك هم الراشدون السالكون سبيل الرشد والهداية
فضلا من الله ونعمة والله عليم بمراتب اعمالهم حكيم في اختلاف
احوالهم وافاد الاستاد ان في الآية دلالة على صحة قول اهل الحق في
القدر وتخصيص المؤمنين بالطاف لم يشرك فيها الكافرين ولولا
انه يوفر الدواعي للطاعات لحصل التفريط والتقصير في العبادات
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا او هموا القتال فاصلحوا
بالنصح لهما والدعاء الى حكم الله فيهما فان بغت احديهما على
الاخرى بان تعدت عليها فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله
الى ان ترجع الى حكمه او ما امر به فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل
بفصل ما بينهما على ما حكم الله عليهما واقسطوا واعدلوا في جميع الامور
ان الله يحب المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء يوم الدين والآية نزلت
في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عليه السلام بالسعف والنعال
وهي تدل على ان الباغي مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما في حديث
لانه فاء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح اليه والسعي
في الصلح لديه وافاد الاستاد الاشارة من هذه الآية ان النفس اذا ظلمت
على القلب بدعائها الى شهواتها واستعلائها في فساد مراداتها فيجب ان تقاتل
حتى تثخن بالجراحة بسيوف المجاهدة فان استجابت بالطاعة فيعفى عنها لانها
المطية الى باب موليها انما المؤمنون اخوة من حيث انهم منتسبون الى
اصل واحد في القضية وهو الايمان الموجب للحيوة الابدية فاصلحوا بين
اخويكم خص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق واتقوا الله

من الامر صح

بينهما صح

في مخالفة حكمه لعلكم ترحمون باطاعة امره قال ابو عثمان اخوة الدين اثبت
من قوة النسب لان اخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين واخوة الدين لا
تنقطع بمخالفة النسب وافاد الاستاد ان شرط الاخوة وحقها في الدين
ان لا تحوجه الى الاستعانة بك والتماس النصرة عنك وان لا تقصر في تفقد
احواله بحيث يشكل عليك موضع حاجته فيحتاج الى مسايلتك وان لا تلجئه
الى الاعتذار بل تبسط عذره على سبيل الاستظهار فان اشكل وجهه عليك
عدت بالملاية اليك في خفاء عذره لديك وان تتوب عنه اذا اذنب وتعوده
اذا مرض واذا اشار عليك بشيء فلا تطالبه بالدليل عليه وابراد الحجة لديه كما قالوا
اذا استنجدوا لم يسالوا من دعاهم • لاية حرب ام لاي مكان •
وان تحفظ عهده القديم • وتراعي حقه في اهله الكريم • في حال الحيوة وبعد
الممات يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم من الرجال عسى ان يكونوا
خيرا منهم اي عند الله ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن
واختيار الجمع لان السخرية في المجامع غالبا وعن ابن مسعود البلاء موكل بالقول
لو سخرت من كلب لخشيت ان احول كلبا وافاد الاستاد ان ما استصغر
احد احدا الا سلط عليه ولا ينبغي ان يغتر بظاهر احوال الناس فان في الزوايا
خبايا والحق يستر اولياءه في حجاب الضنة وفي الخبر كم من اشعث اغبر
ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب
بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة فهو كقوله ولا تقتلوا انفسكم
ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدعو بعضكم بعضا بالقاب السوء ففي الحديث
من حق المؤمن على اخيه ان يسميه باحب اسمائه بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسق بعد دخولهم
في الصالحين روي ان الآية نزلت في صفية بنت حيي بن اخطب اتت
النبي عليه السلام فقالت ان النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين
فقال لها هلا قلت ان ابي هارون وعمي موسى وزوجي محمد ومن لم يتب عما نهي
عنه في هذه السورة وساير المعصية فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان
موضع الطاعة وتعريض النفس للعقوبة يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا
من الظن كونوا على جانب منه وبالغوا في التبعد عنه وابهام الكثير ليحتاط
في كل ظن ويتامل في كل فن حتى يعلم انه من اي القبيل فان من الظن
ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله
في جميع الحالات وما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالف
قاطع من الدلالات وظن السوء بالمؤمنين والمؤمنات وما يباح كالظن

في الامور المعاشية والمعاملات ومنه قوله عليه السلام الحزم سوء الظن
وقوله احترسوا من الناس بسوء الظن ان بعض الظن اثم اي ذنب
يستحق العقوبة عليه وافاد الاستاد ان النفس لا تصدق والقلب لا يكذب
والتمييز بين النفس والقلب مشكل ومن بقيت عليه من حظوظه بقية
وان قلت فليس له ان يدعي بيان القلب بل هو بنفسه ما دام عليه شيء
من نفسه ويجب ان يتهم نفسه في كل ما يقع له من نقصان غيره ولا تجسسوا
ولا تبحثوا عن عيوب المسلمين ففي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين
فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته وقال الاستاد
من اشتغل بنفسه لم يتفرغ الى الخلق ومن اشتغل بالحق لا يتفرغ الى نفسه
فكيف الى غيره ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته
وقد سئل عليه السلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه
فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته قال الاستاد لا تحصل العيب للخلق
الا من الغيبة عن الحق ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله
المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه في هذا الباب مع مبالغات
الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية
الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان مع جعل الماكول اخا ميتا
وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لما هنالك والمعنى ان
عرض عليكم ما احببتموه فقد كرهتموه واتقوا الله اي خلافه وعقابه
ان الله تواب مبالغ في قبول توبة عباده رحيم لمن تبع امر الله
ونهيه وفق مراده روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان رضي الله عنه
الى رسول الله عليه السلام يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال
ما عندي شيء فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها
فلما جاءا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالي ارى خضرة اللحم
في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت وافاد الاستاد
ان اخس الكفار واقذرهم في المقدار من ياكل الميتة وعزيز رؤية من
لا يغتاب احدا بين يديك يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
اي آدم وحواء وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون
الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع
البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة
قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب
بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا اصله لتتعارفوا ولذا قرئ

البزي بتشديد تائه اي ليعرف بعضكم بعضا ويصلوا الارحام لا ليتفاخروا
بالآباء والقبائل بين الانام ان اكرمكم عند الله اتقاكم فمن افتخر بغير الدين
والاسلام فقد افتخر بشيء كالاحلام وفي الحديث يا ايها الناس انما
الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله ان الله عليم
باعمالكم خبير باحوالكم فلا تزكوا انفسكم حيث لا علم لكم بحالكم وقال الاستاد اذا
كانت اصول تربة ونطفة ومضغة وعلقة فالتفاخر بما ذا ابتربة مسنون
او بنطفة في قرار مكين او بما ينطوي عليه ظاهرك مما تعرفه باطنك كما قيل
ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار او بافعالك التي هي بالرياء مشوبة
او باحوالك التي بالاعجاب مصحوبة وانما يجب على العبد ان يتحرز من نفسه فابلاه
الآهي واكرم الخلق على الله من كان ابعد من نفسه وهو الاقرب من ربه قالت
الاعراب آمنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدبة
واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله عليه السلام اتيناك بالاثقال
والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم
تؤمنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة القلب والطمانينة ولم يحصل لكم على
هذه الحالة والا لما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه
آخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام دخول في السلم والانقياد للحكم
واظهار الشهادة وترك المحاربة ولما يدخل الايمان في قلوبكم اي ولم يواطئ قلوبكم
السنتكم الى الساعة وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص في احوالكم لا يلتكم
من اعمالكم لا ينقص من اجورها شيئا من النقصان في آمالكم وقرا ابو عمرو
لا يألتكم ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضيل على المحسنين
وافاد الاستاد ان الايمان هو حيوة القلوب والقلوب لا تحيى الا بعد ذبح النفوس
والنفوس لا تموت ولكنها تغيب ومع حضورها لا يتم خير وليس كل من استسلم
ظاهرا اخلص سرا انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا
ولم يترددوا في ايمانهم وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته
باحسانهم اولئك هم الصادقون في ادعاء ايقانهم فان الايمان ما يوجب للعبد
الامان قل أتعلمون الله بدينكم اتخبرونه بقولكم آمنا والله يعلم ما في السموات
وما في الارض والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه خافية روي انه لما نزلت الآية
المتقدمة جاؤوا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون
عليك ان اسلموا يعدون اسلامهم منة عليك ونعمة لديك قل لا تمنوا
على اسلامكم اي باسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم
من الادعاء مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء ان كنتم صادقين في كونكم

مؤمنين

مؤمنين وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم لا لكم منة على غيركم
وافاد الاستاد ان من لاحظ شيئا من اعماله واحواله فان رآها من نفسه
كان شركا وان رآها لنفسه كان مكرا فكيف يمن العبد بما هو شرك او مكر والذي
يجب عليه قبول المنة كيف يرى لنفسه على غيره منة هذا لعمري فضيحة بل الله يمن
عليكم فانه ولي النعمة ولكن انما يكون له على العبد منة اذا كان صادقا في حاله
فاما ما كان معلولا من صفته فهي محنة لصاحبها لا منة والمنة تكدر الصنيعة
اذا كانت من الخلق وبالمنة تطيب النعمة اذا كانت من قبل الحق ان الله
يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما فضلا عما ظهر عليها والله بصير
بما تعملون من ظواهركم وسرائركم وقرا ابن كثير بالغيبة وافاد الاستاد ان من
وقف على ما هنا تكدر عليه العيش وما تهنا اذ ليس يدري ما غيبه فيه وفي هذا
قال قائل ◦ ابكي وهل تدرين ما يبكيني ▪ ابكي حذارا ان تفارقيني ▪
سورة ق مكية وتقطعي حبلي وتهجريني وهي خمس واربعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله اسم جبار جبر احوال من رحم
وتجبر بكبريائه على عبد اتاه بجهده وجده اسم لطيف يعلم خفايا تصنع
العابدين ويغفر جلايا ذنوب العاصين ق والقرآن المجيد اي ذي المجد
والشرف على سائر الكتب المنزلة لكونه ناسخا لها في الجملة او لان من حفظ
مبانيه وعلم معانيه وامتثل احكامه عظم مقامه وشرف مرامه قال سهل اقسم
بقوته وقدرته وقال ابن عطا اقسم بقوة قلب حبيبه حيث حمل الخطاب عن ربه
ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وافاد الاستاد ان ق مفتاح اسمه قوي وقدير وقريب
اقسم بهذه الاسماء وبالقرآن المجيد وجواب القسم محذوف ومعناه لتبعثن
يوم القيمة بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم مخبر برسالته من الله اليهم واخباره
لهم بانهم يبعثون بعد ما يموتون ويجازون على اعمالهم وفق احوالهم وفي الكلام
اشعار بان تعجبهم ما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جلدتهم او من ابناء
جلدتهم فقال الكافرون اي المصرون على كفرهم المبالغون في امرهم هذا شيء
عجيب عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة وافاد الاستاد ان التعجب
نوع تغير للنفس لعظم امر خارج عن العادة الذي يقع بسببه علم لم يكن من قبل
ءاذا متنا وكنا ترابا اي انرجع اذا متنا وصرنا ترابا ذلك رجع بعيد عن الوهم
او العادة او الامكان في زعمهم والمعنى يبعد عندنا ان نبعث بعد ما متنا
قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تأكل من اجساد موتاهم وهو رد لاستبعادهم
وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها وهو تاكيد لعلمه سبحانه بها
على ثبوتها في اللوح المحفوظ عنده تعالى وافاد الاستاد ان في هذا تسلية للعبد فانه

اذا وسد التراب وانصرف عنه الاصحاب والاحباب واضطربت بوفاته
الاسباب لمن يتفقده او يتعهده فالى شفير قبره وليس لهم شئ سوى ذكره واحد
منهم لايدرى ما الذى يقاسى المسكين فى حضرته فيقول الحق سبحانه قد علمنا ما تنقص
الارض منهم ولعله يخبر الملائكة ويقول عبدى الذى اخرجته من دنياه وحلت
بينه وبين من يهواه هذه اجزاؤه قد تفرقت وهذه عظامه قد بليت وهذه اعضاؤه
قد تمزقت وعندنا كتاب حفيظ وهو اللوح المحفوظ اثبتنا فيه تفصيل الخلق من غير
نسيان يأتينا فنحتاج الى تذكره يعنى بل ليستدل به على احاطة علمنا بالاشياء
كليها وجزئيها زيادة على ما ظهر فيه من امره بل كذبوا بالحق بالامر الثابت الصدق
وهو النبى الكريم او القرآن العظيم لما جاءهم حين اتاهم بانباءهم فهم فى امر
مريج مضطرب فى حق الحق بقولهم تارة بانه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه
كاهن فهم يترددون فى ظلمات تحيرهم ويصبحون على شكهم فى امرهم افلم ينظروا
حين كفروا بالاعادة الى السماء فوقهم الى ابتداء خلقها سقفا لهم كيف بنيناها
رفعناها بلا عمد لها وزيناها بالكواكب المركوزة فيها وادرنا شمسها وقمرها وكيف
جنسنا عينها ونوعنا اثرها وما لها من فروج فتوق وشقوق وفطور وقصور
والارض مددناها بسطناها فجعلناها مهادا والقينا فيها رواسى جبالا ثوابت
فصيرناها اوتادا وانبتنا فيها من كل زوج صنف بهيج حسن والمعنى اخرجنا
منها نجوما واشجارا واظهارا فيها ازهارا وانوارا واثمارا تبصرة وذكرى اى تبصيرا
وتذكيرا لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر فى بدايع صنعه وقال الاستاد اى
علامة ودلالة لمن رجع من شهود افعالنا الى رؤية صفاتنا الى شهود حقنا وذاتنا
ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنفعة فانبتنا به جنات اشجارا واثمارا
وحب الحصيد وحب الزرع الذى كالبر والشعير فالاجزاء متجانسة مؤتلفة
واوصافها فى الطعم والريح واللون والهيئة مختلفة والنخل باسقات طويلات
وافردها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها لها طلع نضيد منضود
بعضه فوق بعض والمراد كثرة ما فيها من الثمر والمعنى انا جعلنا بعض الثمار
متفرقة كالتفاح والكمثرى ونحوهما وبعضها مجتمعة كالعنب والرطب وغيرهما
رزقا للعباد ينتفعون بها ويشكرون عليها واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا
ارضا جدبة ليس فيها النماء كذلك الخروج اى كما حييت هذه البلدة بعد موتها
يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس بير كانت
لبقية من ثمود كذبوا نبيهم ورسوه فى بيرهم وثمود قوم صالح وعاد قوم هود
وفرعون اراده وقومه ليلايم ما قبله وما بعده ولعله اقتصر لانه السبب لتكذيب
من كان لديه واخوان لوط لانه تزوج منهم واصحاب الايكة اى الغيضة وهم قوم

شعيب وقوم تبع سبق فى الدخان كل كذب الرسل اى كل واحد او كل قوم
منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظة كل فحق وعيد فوجب لهم وحل عليهم
وعيدى وفيه تسلية للمؤمنين وتهديد للكافرين افعيينا بالخلق الاول افعجزنا
عن الابداء فى الابتداء حتى نعجز عن الاعادة فى الانتهاء والهمزة للانكار وللحمل
على الاقرار بل هم فى لبس من خلق جديد اى هم لاينكرون قدرتنا على الخلق الاول
بل هم فى خلط وشبهة فى الادعاء لما فيه من مخالفة العادة ولقد خلقنا الانسان
ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدثه به وهو ما يخطر بباله من تقلبات احواله
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اى ونحن اعلم بحاله ممن يكون اقرب اليه من
حبل الوريد وهو تجوز بقرب الذات لقرب العلم من الصفات وحبل
الوريد مثل فى القرب الشديد كما قيل ▪ والموت ادنى من الوريد •
والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان يكتنفان بصفحتى العنق
وسمى وريدا لان الروح الطبيعى ترده وقال الشيخ الربانى علاء الدين السمنانى
فى موارد الشوارد لفرط قربه بك لاتراه ولغاية بعدك عنه ترى شيئا سواه
وهذا انما لمن يطلب معرفة مولاه ولا يصح الطلب الا لمن خالف هواه وقال
الواسطى اى نحن اولى به واحق بامره لانا جمعناه بعد الافتراق وانشأناه بعد العدم
ونفخنا فيه من روحنا فالاقرب اليه من هو اعلم به منه بنفسه وقال الاستاد
اى ونعلم ما توسوس به نفسه من شهوات تطلب استيفاءها ونضيع من الخلق
او سوء الخلق او اعتقاد حقد وحسد ونحوهما من آفات النفس وبلائها توسوس
بذلك لتشوش قلبه عليه وتضيع وقته لديه وحبل الوريد اقرب اجزاء نفسه
اليه والمراد منه العلم بهم والقدرة عليهم وانه يسمع قولهم ولا يشكل
عليه شئ من امرهم وفى هذه الآية هيبة وفزع وخوف لقوم وروح وانس
وسكون قلب لقوم اذ يتلقى المتلقيان اى يتلقن الحفيظان ما يعمله وفيه
ايذان بانه غنى عن استحفاظ ملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما
لكنه لحكمة اقتضته وهى ما فيه من تشديد ضبط العبد عن المعصية وتأكيد فى اعتبار
الطاعة عن اليمين وعن الشمال قعيد اى قاعدان او مقاعدان ما يلفظ من قول الا
لديه رقيب عتيد ملك يرقب عمله عتيد حاضر معدله ولعله يكتب ما فيه ثواب او
عقاب فعن ابن عباس يكتب عليه الخير والشر رواه البخارى وقيل يكتبان كل شئ
حتى انينه فى مرضه ويؤيد الاول حديث كاتب الحسنات امير على كاتب السيئات
فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب
الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وافاد الاستاد انه سبحانه خوفهم
بشهود الملائكة وحضور الحفظة وكتابتهم عليهم اعمالهم وهما قعيدا كل احد ويقال

اذا كان قاعدا فواحد عن يمينه يكتب خيراته وواحد عن يساره يكتب سيئاته واذا
نام فواحد عند رأسه وواحد عند قدمه واذا كان ماشيا فواحد قام بين يديه وآخر
خلفه ويقال هما اثنان بالليل لكل احد واثنان بالنهار ويقال بل الذي يكتب الخيرات
كل يوم يكون آخر والذي يكتب الزلات كل يوم هو الذي كان بالامس ليكثر غدا
شهود الطاعات ويقال بل الذي يكتب المعصية كل يوم اثنان آخران وكل ليلة
اثنان آخران لكي لا يعلم من مساويك الا القليل منهم فيكون علم المعاصي
متفرقا فيهم وجاءت سكرة الموت بالحق اي قد شاهدت ما هي متقدمة للوعد
الصدق فان من مات فقد قامت قيامته فظهرت له اعادته ذلك اي الموت
ما كنت منه تحيد اي تميل عنه وتنفر منه والخطاب للانسان المتقدم ذكره
وافاد الاستاد انه اذا اشرفت النفس على الخروج من الدنيا فاحوالهم تختلف
فمنهم من يزداد في ذلك الوقت خوفه ولا يتبين الا عند ذهاب الروح حاله
ومنهم من يكاشف قبل خروجه فيسكن روعه ويحفظ عليه عقله ويتم له حضوره فيسلم
الروح على سهل من غير استكراه ومنهم من قال بعضهم في معناه •
انا ان مت فالهوى حشو قلبي • وبداء الهوى يموت الكرام •
ونفخ في الصور اي نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اي وقت ذلك يوم تحقق
الوعيد الشديد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه
الى المحشر ويشهد بعمله الآخر او ملك جامع للوصفين او السابق كاتب السيئات
والشهيد كاتب الحسنات قال فارس ما ساقهم الا القدرة ولا شهد عليهم الا جوارحهم
وقال الواسطي سائق الحق ومن كشف عنه غطاء الغفلة ابصر الاشياء كلها في اسر
القدرة قال عامر بن عبد قيس لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا كذا في تفسير
السلمي وقال الاستاد سائق يسوقها اما الى الجنة واما الى النار وشهيد يشهد
عليه بما فعل من الخير والشر فيقال لقد كنت في غفلة من هذا الخطاب للكافر
او لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن امر الآخرة ويؤيده القراءة الشاذة
بكسر التاء والكافات في قوله فكشفنا عنك غطاءك حجابك لامور معادك
وهو الغفلة في الحالات والانهماك في المحسوسات فبصرك اليوم حديد
نافذ لزوال المانع للابصار وقال الاستاد المؤمنون اليوم بصرهم حديد يبصرون
رشدهم ويحذرون شرهم ولا يتجاوزون حدهم والكفار يقال لهم فبصرك اليوم
حديد علمت ما كنت فيه من التكذيب فاليوم لا يسمع منك خطاب ولا يرفع
عنك عذاب وقال قرينه الملك الموكل عليه هذا ما لدي عتيد هذا ما هو مكتوب
عندي حاضر لدي القيا في جهنم كل كفار عنيد معاند للحق مكابر للصدق
والخطاب من الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد

وتثنية

وتثنية الفاعل منزلة منزلة تثنية الفعل وتكريره كانه قيل الق الق للتأكيد
او الالف بدل من نون التأكيد اجراء للوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ
شاذا القين بالنون الخفيفة مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة
معتد متعد في المعصية والمظلمة مريب شاك في التوحيد والنبوة والبعث
في الآخرة وقال الاستاد مناع للخير معوان للشر ويقال يمنع الناس عن الخير
من الايمان والاحسان مريب الذي يشكك الناس في امر اليقين ويكون غير
مخلص في الدين ويلبس على الناس في احواله ويناقضهم في اعماله الذي جعل مع الله
الها آخر مبتداء متضمن معنى الشرط وخبره فالقياه في العذاب الشديد او
بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتوكيد قال قرينه اي الشيطان المقيض
له المسلط عليه بعد القائهما في جهنم ربنا ما اطغيته باستقلال مني في الاطغاء
ولكن كان في ضلال بعيد عن الاهتداء فاعنته عليه في الابتداء او الانتهاء قال
اي الله تعالى لا تختصموا لدي في موقف الحساب او مقام العذاب فانه
لا فائدة فيه حين كشف الغطاء ورفع الحجاب وقد قدمت اليكم بالوعيد
على الطغيان والاطغاء في كتبي وعلى السنة رسلي فلم يبق لكم حجة عندي ما يبدل
القول لدي بوقوع الخلف في وعيدي ولا تطمعوا ان ابدل ما ثبت عندي وما انا
بظلام بذي ظلم للعبيد فاعذب من ليس لي تعذيبه فتعذيب من اعذبه
عدل وتنعيم من انعم فضل قال الواسطي ما ينفع البكاء على ما سبق من
محتوم القضاء يوم نقول وقرأ نافع وابو بكر بالياء اي الله او الملك لجهنم
هل امتلأت وتقول هل من مزيد اي من زيادة وهذا من غاية التغيظ
للنار في الاستزادة من الكفار او الاستفهام للانكار اي ليس
في مكان زيادة للاغيار كقوله عليه السلام لما قيل له يوم فتح مكة هل ترجع
الى دارك فقال وهل ترك لنا عقيل من دار اي لم يترك ويؤيده
قوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين قال الاستاد
ان الله يملأ جهنم من الكفار والفجار واذا اخرج عصاة المؤمنين
من النار زاد الله في عظم اجساد الكفار حتى يمتلئ جهنم بهم
وازلفت الجنة قربت للمتقين غير بعيد مكانا غير بعيد وهو نوع تأكيد
وقال الاستاد يقال ان الجنة تقرب من المتقين كما ان النار تجر
بالسلاسل الى المحشر للمجرمين ويقال بل يقرب الجنة الى اهلها بان يسهل
على المتقين مسيرهم اليها ويقال هم ثلاثة اصناف قوم يحشرون الى الجنة
مشاة وهم الذين قال الله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا وهم
عوام المؤمنين وقوم يحشرون الى الجنة ركبانا على الطاعات المصورة لهم

بصور الحيوانات وهم الخواص قلت ولعله المراد بقوله تعالى يوم نحشر المتقين
الى الرحمن وفدا واما خاص الخاص فهم الذين قال لهم وازلفت الجنة للمتقين
تقرب الجنة منهم يعني بطريق طي المسافة وجمع المساحة وقوله غير بعيد تاكيد لقوله
ازلفت ويقال غير بعيد من العاصين تطييبا لقلوبهم هذا ما توعدون لكل
اواب رجاع الى الله وامره حفيظ حافظ لحدوده ومحافظ على ذكره وشكره
والمعنى يقال لهم هذا الثواب ما كنتم توعدون في الكتاب ان يقع لكم يوم الحساب
وقرأ ابن كثير بالغيبة فهو التفات من الخطاب من خشي الرحمن بالغيب حال من
الفاعل اي غائبا عن الناس او المفعول اي غائبا عن الاعين وتخصيص الرحمن
للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عقوبته او بانهم دور خشية منه مع علمهم بسعة
رحمته وجاء بقلب منيب اي راجع الى رب قريب لعبده مجيب قال ابو عثمان
من خشي ربه بالغيب كان باطنه احسن من ظاهره ويكون باطنه سلما للحق وظاهره
سلما للخلق وافاد الاستاد ان الخشية الطف من الخوف فكانها قريبة من
الهيبة ويقال هي مقتضى علمه بانه يفعل ما يشاء في خلقه والخشية من الرحمن مقرونة
بالانس ولذا لم يقل من الجبار او القهار فالخشية من الرحمن خشية الحجاب لا خوف
العقاب وقال وجاء بقلب منيب ولم يقل بنفس مطيعة ليكون للعصاة في
هذا امل ورجاء لانهم وان قصروا بنفوسهم وليس لهم صدق القدم فلهم الاسف
بقلوبهم وصدق الندم ادخلوها بسلام اي يقال لهم ادخلوا الجنة مصحوبين بسلامة
من زوال النعمة او مسلما عليكم من الله والملائكة قال الاستاد منهم من يقول له
الملك ذلك يوم الخلود ونت تقدير الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد
زيادة على مشتهيهم في مشتهياتهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر وافاد الاستاد انه سبحانه لم يقل ما يسألون بل قال ما يشاؤن
اي ما يخطر ببالهم يحقق لهم قبل سؤالهم واذا قالوا اليوم ما شاء الله كان
يقال لهم غدا ما شئتم كان هل جزاء الاحسان الا الاحسان وفي قوله ولدينا
مزيد اتفق اهل التفسير انه الرؤية وقوم يقولون المزيد على الثواب في الجنة
وكل يكون اذ لا منع من الجمع في سعة المنة وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من
قرن اي جماعة هم اشد منهم بطشا قوة وشوكة كثمود وعاد فنقبوا
في البلاد فذهبوا فيها وتصرفوا بها هل من محيص هل لهم من الله مخلص
او من الموت مهرب ان في ذلك اي ما ذكر في هذه السورة لذكرى لتذكرة
وتبصرة لمن كان له قلب اي واع يتفكر في حقائقه ودقائقه او القى
السمع اصغى لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه ليدرك معانيه ويفهم
معانيه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفي تنكير قلب اشعار بان كل

قلب

قلب لا يتفكر ولا يتدبر ليس بقلب قال الشبلي مواعظ القرآن لمن له قلب حاضر
مع الله لا يغفل عنه طرفة عين وافاد الاستاد ان المراد قلب على الاحسان مقبل ويقال
قلب غير قلب او القى السمع اي استمع الى ما ينادي الى ظاهره من الخلق وما عاد الى سره
من الحق ويقال لمن كان له قلب صاح لم يسكر من الغفلة او قلب حي بنور الموافقة
ويقال قلب بعد انفاسه مع الرب ويقال قلب غير معرض عن الاعتبار وغير غافل
عن الاستبصار ويقال القلوب كالحجر بين اصبعين من اصابع الرحمن اي نعمتين
من نعميه وهما ما يدفع عن القلب من البلاء وما ينفعها به من النعماء فكل قلب منع الحق
عنه الاوصاف الذميمة والزمه النعوت الحميدة فهو الذي قال في حقه ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب ويقال في الخبر ان لله اواني الا وهي القلوب واقربها من الله
مارق وصفا شبه القلوب بالاواني فقلب الكافر اناء منكوس لا يدخل فيه شيء وقلب
المنافق اناء مكسور ما يلقى فيه من اوله يخرج من اسفله وقلب المؤمن اناء صحيح غير منكوس
يدخل فيه الايمان ويبقى على ممر الزمان ولكن هذه القلوب ايضا مختلفة فقلب متلطخ
بالغفلات وفنون الآفات فالشراب الذي يلقى فيه يصحبه اثر ما هو متلطخ به واما
من صفا قلبه عن ما يسمى كدرا فهو اعلاهم قدرا ولقد خلقنا السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب ما اصابنا من تعب واعياء فاصبر على ما
يقولون اي المشركون من انكارهم البعث للجزاء فان من قدر على خلق العالم من
غير اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم وسبح بحمد ربك نزهه عن العجز وما
لا يليق به من التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من النعم قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
يعني الفجر والعصر قال سهل لا تغفل صباحا ومساء عن ذكر من لا يغفل عن بترك
وحفظك في كل اوقاتك وافاد الاستاد انه عليه السلام كان يتاذى بسماع ما يقولون
في الاشياء التي تقدس عنها نعته فقال واصبر على ما يقولون واسترح عن تعب
سماعك منهم بتسبيحك لنا فيهم ومن الليل فسبحه اي وسبحه بعض الليل فان
الصلوة اتم في الخلوة في حال الجلوة وادبار السجود واعقاب الصلوة جمع دبر
وقرأ نافع وابن كثير وحمزة بكسر الهمزة من ادبرت الصلوة اذا انقضت اي
وقت انقضاء الصلوة واستمع لما اخبرك به من احوال القيمة واهوالها يوم
ينادي المناد اسرافيل او جبريل فيقول ايتها العظام البالية والاوصال المنقطعة
واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل القضاء
من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على السواء وقيل ولعله في الاعادة
نظير كن في الابداء يوم يسمعون الصيحة النفخة الثانية بالحق اي البعث للجزاء
ذلك يوم الخروج من القبور الى الفضاء انا نحن نحيي ونميت في الدنيا والينا
المصير مرجع الكل للجزاء في العقبى يوم تشقق الارض عنهم تتشقق وقرأ الكوفيون

وابوعمرو بالتخفيف سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع وحشر علينا يسير
هين غير عسير وقال الاستاد سواء خلقناهم افرادا او جملة قال بكل ما خلقكم ولا
بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسوله وتهديد لعبده وما انت
عليهم بجبار بجبر لهم على الايمان والاحسان فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فانه المنتفع

سورة الذاريات مكية غيره وهي ستون آية بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاد بسم الله كلمة عزيزة من ذكرها عن لسانه ومن عرفها اهتز لصحبتها
جنانه بسم الله كلمة الالباب المقربين غلابه وللارواح المحبين سلابة والذاريات
ذروا اي الرياح التي تنشر الغبار فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للامطار
فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحار جريا ذا يسر في الاقدار فالمقسمات
امرا الملائكة التي تقسم الامور من الارزاق والاخلاق والاسرار والانوار
ان ما توعدون من الحساب والثواب والعقاب لصادق لذو صدق وحق
وان الدين لواقع اي الجزاء نازل وحاصل وافاد الاستاد انه سبحانه اقسم
برب هذه الاشياء وان من جملة الرياح الصحيحة تحمل انين المشتاقين الى
ساحات العزة ثم تاتي بنسيم القربة الى مشام اسرار اهل المحبة فيجدون راحة
من غلبات اللوعة وفي معناه انشدوا ▪ واني لاستهدي الرياح نسيمكم •
اذا اقبلت من ارضكم بهبوب ▪ واسالها حمل السلام عليكم •
فان هي يوما بلغت فاجيبي ▪ وفي سحائبها تمطر بغبات الغيبة
ويؤذن بهواجم النوى والفرقة فاذا عن لهم شيء من ذلك فبنور
بصائرهم ابصروها فياخذون في الابتهال والتضرع في السؤال استعاذة
منها كما قالوا • اقول وقد رايت لها سحابا ▪ من الهجران مقبلة الينا •
وقد سحت غزاليها ببين • حوالينا الصدود ولا علينا • وقد يحمل الملاح
بعض الفقراء من غير الاجرة طمعا في سلامة السفينة فهؤلاء يرجون ان يحملوا
في فلك العلاقة في بحار العذرة عند تلاطم امواج القسمة ومن الملائكة من
تنزل بتفقد اهل الوصلة بتعزية اهل المصيبة وبانواع من الامور لاهل
هذه القصة فهؤلاء القوم يسالونهم عن احوالهم هل عندهم خبر من
فراقهم ووصالهم ويقولون بربكما يا صاحبي قفا ليا • اسائلكم عن حالكم وسلا بنا
وفي قوله انما توعدون لصادق الحق سبحانه وعد المطيعين بالجنة والتائبين
بالرحمة والاولياء بالقربة والعارفين بالوصلة ووعد ارباب المصيبة
بقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ثم هم تصدوا لاستنباط
حسن الميعاد والله رؤف بالعباد والسماء ذات الحبك اي الطرق الحسنة
وهي اما الطرق المحسوسة التي هي مسير الكواكب عند النظار او المعقولة التي يسلكها

ارباب الاعتبار

ارباب الاعتبار ويتوصلون بها الى المعارف والاسرار انكم لفي قول مختلف
في القيامة او امر الديانة او في ذات الله وصفاته او في رسوله ومعجزاته او كتابه
وآيات بيناته قال الاستاد وهذا قسم ثان وجوابه والاشارة الى ان سماء
التوحيد ذات الزينة بشمس المعرفة وقمر المحبة ونجوم القربة في باب هذه الطريقة
فمن منكر يجحد الطريقة ومن معترض يعترض على اهلها يتوهم نقصانهم بحق
الشريعة ومن منكشف لا يخرج من ضيق حدود العبودية ولا يعرف خبرا
من تخصيص الحق اولياءه بالاحوال السنية ولقد قال قائلهم •
قد سحب الناس اذيال الظنون بنا • وفرق الناس فينا قولهم فرقا •
فكاذب قد رمى بالظن غيركم ▪ وصادق ليس يدري انه صدقا •
يؤفك عنه من افك يصرف عن القران او الايمان من صرف عنه اذ لا
صرف اشد منه فكانه لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه
لربه قال سهل يرفع عن الحق عند اللقاء من وقع عند الحكم والقضاء قتل
الخراصون لعن الكذاب او الظانون الذين هم في غمرة غفلة مستمرة
ساهون غافلون لاهون عما امروا به من الطاعة المستكرة يسالون
ايان يوم الدين متى وقوع يوم الجزاء على ما جرى به من القضاء قال الاستاد
اي يوم القيمة يستعجلون بها ولاجل تكذيبهم بوقوعها كانت نفوسهم لا تسكن
اليها يوم هم على النار يفتنون اي يقع جزاؤهم حين يحرقون ويعذبون ويقال
لهم ذوقوا فتنتكم فاسوا عقوبتكم هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون
وافاد الاستاد ان الاشارة فيه الى الذين يكذبون في اعمالهم لما يتداخلهم
من الرياء ويكذبون في احوالهم لما يتداخلهم من الاعجاب ويكذبون على الله
فيما يدعونه من الاحوال ان المتقين في جنات وعيون قال سهل المتقي
في الدنيا في جنات الرضى متقلب وفي عيون الانس مستبهج آخذين ما آتاهم
ربهم قابلين لما اعطاهم راضين بها او لاهم والمعنى ان كل ما آتاهم ربهم
حسن مرضي لهم متلقى بالقبول عندهم وافاد الاستاد انهم في عاجلهم في
جنات وصلهم وفي آجلهم في جنات فضلهم فغدا درجات ونجاة واليوم
قرب ومناجاة وما هو مؤجل حظ انفسهم وما هو معجل حق ربهم ياخذون
ما يصيبهم من الله بيد الشكر والحمد وغدا ياخذون ما يعطيهم ربهم في الجنة
من فنون العطاء والرفد ومن كان اليوم اخذه بلا واسطة من حيث
الايمان والايقان وملاحظة القسمة في العطاء والحرمان كذا غدا اخذه بلا
واسطة في الجنان عند اللقاء والعيان انهم كانوا قبل ذلك محسنين احسنوا
اعمالهم وزينوا احوالهم وافاد الاستاد انهم كانوا ولكنهم اليوم بانوا ولكن

بعد ما اعدنا هم حصلوا او استبانوا والاحسان كما في الخبر ان تعبد الله كانك تراه
كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي يرقدون في طائفة من الليل فما مزيدة او بنا ان
نوما قليلا ومن تبعيضية ويجوز ان يكون ما نافية عند الكوفية وقيل المحسنون كانوا
قليلين وهم في بعض الليل يهجعون او غير هاجعين وقال الاستاذ كانوا قليلا
وكانوا بالليل لا ينامون كقوله وقليل من عبادي الشكور ويقال كان نومهم
بالليل قليلا ويقال كانوا لا ينامون بالليل قليلا وبالاسحار هم يستغفرون
اي انهم مع قلة منامهم وكثرة قيامهم للتهجد وسائر مرامهم اذا اسحروا
استغفروا كانهم في ليلهم من الجرائم استكثروا وقال الاستاذ اخبر عن تهجدهم
وقلة دعاويهم وتنزلهم بالاسحار منزلة المذنبين في استغفارهم عن معاصيهم
فيستغفرون استقصارا لقدرهم واستحقارا لفعلهم وامرهم والليل اما للاحباب
في انس المناجاة واما للعصاة في طلب النجاة وسهرهم دائم في سحرهم اما
لفرط اسف او لشدة لهف واما للاشتياق واما للفراق واما لكمال انس
وطيب روح قدس وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى
الحق واشفاقا على الخلق للسائل المتكفف والمحروم المتعفف الذي
يظن غنيا فيحرم وفي الارض آيات للموقنين اي فيها دلائل من انواع
النبات واصناف المعادن والحيوانات وفي اختلاف اجزائها في الهيئات
والكيفيات والخواص والمنافع الكليات والجزئيات يدل على وجود الصانع
ووحدته وعلمه وقدرته وارادته وحكمته وفرط رحمته وفي انفسكم اي آيات ودلالات
اذ ما في العالم شيء الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات
النافعة والكيفيات الجامعة والمناظر البهية اللامعة والتركيبات العجيبة
والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع البدائع
المتنوعة افلا تبصرون تنظرون بنظرة العبرة مع انضمام الفكرة قال الواسطي كما
وقع بصره على شيء يرى الصانع له كما قيل ففي كل شيء له شاهد يدل على انه واحد
وقال الاستاذ ان من الآيات التي في الارض انها تحمل كل شيء فكذلك العارف
يحمل كل احد ومن استثقل احدا او تبرم برؤية احد فلغيبته عن الحقيقة ومطالعة
الخلق بعين التفرقة واهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة ومن الآيات
التي في الارض انه يلقى عليها كل قذارة وقمامة وتنبت كل زهر ونور كذلك
العارف يتشرب ما يسقى من الجفاء ولا يترشح الا بكل خلق على ووصف جلي
من نعوت ارباب الوفاء وفي انفسكم ايضا آيات فمنها وقاحتها في همتها ومنها
وقاحتها في صفتها ومنها دعويها العريضة فيما يرى منها وبهائم حالها المحصية
في ان ليس ذرة لها ولا سنة بها ولا منها وفي السماء رزقكم اسباب رزقكم

او تقديره

او تقديره في حفظكم وما توعدون لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء
فورب السماء والارض انه اي الرزق للعباد او الوعد بالمعاد لحق ثابت
وصدق مثل ما انكم تنطقون اي مثل نطقكم وهو مبني على الفتح ومحله الرفع على انه
صفة لحق ويؤيده انه قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالرفع وقال الاستاذ كما ان
نطقك لا يتكلم به غيرك فرزقك على السماء ولا سبيل لك الى العروج الى الهواء
فاشتغل بما كلفك ولا تتعنى في طلب رزقك ويقال في السماء رزقكم والى السماء
يرفع عملكم فان اردت ان ينزل عليك رزقك فاجتهد ان يصعد الى السماء
عملك ولهذا قالوا الصلوة قرع باب الرزق قال تعالى وامر اهلك بالصلوة
واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى هل اتيك حديث
ضيف ابراهيم المكرمين اي المقربين عند الجليل او المعظمين عند الخليل حيث
قام عليه السلام في خدمتهم حق القيام وفيه ايماء الى ان الضيف واجب
الاكرام روي انهم جبريل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم تصوروا
في صورة الاضياف وفي صدر الكلام تفخيم لشان الحديث وبيانه وتشويق
الى سماعه وافاد الاستاذ انه قيل في التفاسير لم يكن اتاه خبرهم قبل نزول هذه الآية
وقيل اكرام الضيف بطلاقة الوجه اليهم والاستبشار بالخدمة لديهم وقيل سماهم
مكرمين لان غير المدعو عند الكرام كريم ويقال ضيف الكرام لا يكون الا كريما وقيل
لم يتكلف ابراهيم لديهم وما اعتذر اليهم وهذا هو اكرام الضيف حتى لا يكون
من المضيف عليه منة فيحتاج الضيف الى تحمل المؤنة اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما
نسلم عليك سلاما تاما قال سلام اي عليكم وعدل في الجواب الى الرفع بالابتداء
لقصد الثبات حتى يكون تحية من احسن التحيات وقرأ حمزة والكسائي
قال سلم بمعنى سلام والمستفاد من كلام الاستاذ ان كلاهما بمعنى الامان والمراد
قوم منكرون انتم قوم غرباء لا نعرفون فراغ الى اهله فذهب اليهم في خفية من
ضيفه خيفة من ان يكفوه عنه او يصيرون منتظرين له وفي الفاء ايماء الى
المبادرة بالضيافة كما هو عادة الكرام في طريقة الاكرام فجاء بعجل سمين اي حينئذ
مشوي فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تأكلون اي منه والهمزة فيه
للعرض والحث على الاكل على طريقة ادب الضيافة ان قال اول ما وضعه ولا لكان
ان قاله بعد ما راى اعراضهم عنه وامتناعهم منه ويؤيده قوله فاوجس منهم خيفة
فاضمر منهم خوفا لظنه انهم جاؤا لشر في قصدهم قالوا لا تخف انا رسل ربك
قيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه
بغلام عليم يكمل علمه اذا بلغ حلمه وتحقق حلمه وهو اسحق لقوله فاقبلت امرأته
سارة رضي الله عنها الى بيتها وكانت في زاوية تنظر الى ضيفها في صرة في صيحة

فصكت وجهها لطمت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجبة فى حالتها
وقالت عجوز عقيم اى انا عجوز عاقر وبعلى شيخ عاجز قيل انها كانت يومئذ
ابنة ثمان وتسعين سنة وابراهيم ابن تسع وتسعين سنة قالوا كذلك اى كما
قلنا لك قال ربك لنا ان نخبرك انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وقوله صدقا
قال فما خطبكم فما شأنكم وامركم ايها المرسلون وجاء ارسلتم لما علم انهم ملائكة وانهم
لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم فى الدين قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اى قوم
لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يعنى السجيل فانه طين متحجر مسومة مرسلة او
معلمة عند ربك للمسرفين المجاوزين طريق اليقين فاخرجنا من كان فيها من
فرنهم من المؤمنين فما وجدنا فيها من يخرج منها غير بيت اى اهل بيت من
المسلمين واستدل بهذا الكلام على اتحاد الايمان والاسلام وفيه ان ذلك لا
يكفى لتحقيق المرام فانه لا يقتضى الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وهو
لا يوجب اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المتعددة على ذات واحدة
وتركنا فيها فى القرى او الفعلة آية علامة للذين يخافون العذاب الاليم
فانهم المعتبرون بها وهى تلك الاحجار او ماء اسود منتن فيها وفى موسى اى
وفى موسى آيات بينات كاليد والعصا ونحوها من معجزات اذ ارسلناه الى
فرعون بسلطان مبين بحجة ظاهرة قاهرة فتولى بركنه فاعرض بنفسه
عن الايمان به كقوله تعالى ونأى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنده
وقال ساحر اى هو ساحر مفتون او مجنون ذو فنون فاخذناه وجنوده
فنبذناهم فى اليم القيناهم فى البحر واغرقناهم من القهر وهو مليم آت بما
يلام عليه من العناد فى الكفر وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم
فاهلكتهم واستأصلتهم وهى الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شئ
اتت عليه اى مرت فما امرت به الا جعلته كالرميم كالرماد القديم وفى ثمود
اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تعالى تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام
فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثال الطاعة فاخذتهم الصاعقة
اى العذاب المعهود بعد الثلاث الموعود وقرأ الكسائى الصعقة وهى المرة
من الصعق بمعنى الصيحة والصاعقة لا تخلو من الصعقة ولعله وقع بها
العقوبة وهم ينظرون اليها فانها كانت كشعلة من النار جاءتهم معاينة
بالنهار فما استطاعوا من قيام عن مقامهم كقوله تعالى فاصبحوا فى دارهم
جاثمين وما كانوا منتصرين ممتنعين وقوم نوح اى اذكرهم او اهلكنا هم
وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى بالجر اى وفى قوم نوح من قبل قبل هؤلاء
المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة بالكفر والمعصية

والسماء

والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون اى بينها وبين الارض سعة
او اغنياء قادرون او لموسعون السماء او رزق الاغنياء والاولياء
والارض فرشناها مهدناها لتستقروا عليها فنعم الماهدون نحن دل بهذا
على كمال قدرته وعلى تمام نعمته ورحمته ومن كل شئ من الاجناس خلقنا
زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلمون ان التعدد من خواص الممكنات
وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسامات ففروا من عقاب
واليم عذابه الى الله بالايمان به وملازمة كتابه او ففروا الى الله مما سواه
قال الصادق لينظر الموحد للاعتبار فيراها ازواجا مثانى ونحوها فيفر
منها فيرجع الى الواحد الاحد ليصح له التوحيد ويظهر له سر التفريد وقال
محمد بن حامد حقيقة الفرار ما روى عن النبى المختار انه قال والجأت
ظهرى اليك وما روى عنه انه قال اعوذ بك منك وهذا غاية الفرار
منه اليه وافاد الاستاد ان الزوجين كالذكر والانثى وكالحركة والسكون
والبياض والسواد وسائر اصناف التضاد ففروا الى الله اى ارجعوا
الى الله والاشارة باحدى حالتين اما حالة رغبة فى شئ او حالة رهبة من
شئ او حال خوف او رجاء او حال جلب نفع او دفع ضر ففى الحالتين ينبغى
ان يكون فراره الى الله فان النافع والضار هو الله ويقال من صح فراره الى الله
صح قراره مع الله ويقال يجب على العبد ان يفر من الجهل الى العلم ومن الهوى
الى الهدى ومن الشك الى اليقين ومن الشيطان الى الرحمن ومن فعله
الذى هو بلاؤه الى فعله الذى هو كفايته ومن وصفه الذى هو سخطه الى صفته
التى هى رحمته ومن نفسه حيث قال ويحذركم الله نفسه الى نفسه حيث قال
ففروا الى الله انى لكم منه اى من عذابه لمن اشرك به نذير مبين بين انه من
عنده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة او مبين ما يجب ان
يحذر عنه فى امر الدين ولا تجعلوا مع الله الها آخر افراد لاعظم ما يجب
ان يفر منه انى لكم منه نذير مبين تكرير لتأكيد التقرير او الاول مرتب على ترك
الايمان والاحسان والثانى على الاشراك والكفران كذلك الامر ما اتى
الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون وفيه تسلية له عليه السلام ووعيد
لمن طعن فيه من الانام اتواصوا به اى كأن الاولين والآخرين اوصى
بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه اجمعين بل هم قوم طاغون اضراب
عن ان التواصى جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا البيان
مشاركتهم فى الطغيان فتول عنهم فاعرض عن المجادلة بعد ما كررت عليهم
الدعوة الشاملة فابوا الا الاصرار والعناد فى المعاملة فما انت بملوم

عن الاعراض عنهم بعد ما بذلت جهدك في البلاغ من غير الاعراض عنهم
وذكر ودادم على التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين من آمن فانه
يزداد به التبصرة او من قدر الله ايمانه فانه حقيق بالتذكرة وقال الاستاد ذكر
العاصين شدة عقوبتي ليرجعوا عن مخالفتي وذكر المطيعين جزيل مثوبتي ليزدادوا
في طاعتي وعبادتي وذكر العارفين ما صرفت عنهم من بلائي ووجهت اليهم من
ولائي وذكر الاغنياء ما اتحفت لهم من احساني وعطائي وذكر الفقراء ما ازويت
لهم من صرف الدنيا عنهم واعددت لهم من لقائي وما خلقت الجن
والانس من حيث الجنس الا ليعبدون اي ليعرفون كما روي عن ابن عباس
وغيره ويؤيده ما روي في الحديث القدسي كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف
فخلقت الخلق لاعرف ومعرفة الله للكل موجودة في الجملة وان كان الامر
كما قال ابن عطاء اي الا ليعرفون ولا يعرفه حقيقة من وصفه بما لا يليق به
وقيل معناه الا لآمرهم بالعبادة وقد امرهم بها كذا قاله الماتريدي وهو مروي
عن علي كرم الله وجهه او ليكونوا عبادا لي بحسب الارادة والاظهر ان اللام فيهما
للعهد لا للجنس كما يدل عليه ظاهر قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن
والانس وكما يشير اليه حديث خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت
هؤلاء للنار ولا ابالي وكما افاد الاستاد في المعنى المراد بقوله يعني الذين
اصطفيتهم في ازلي وخصصتهم اليوم بحسن اقبالي ووعدت لهم
جزيل افضالي ما خلقتهم الا ليعبدون والذين سخطت عليهم في ازلي
وربطتهم اليوم بالخذلان فيما كلفتهم من اعمالي وخلقت النار لهم بحكم
الهيتي ووجوب حكمي في سلطاني ما خلقتهم الا لعذابي والنكالي وما اعددت
لهم من سلاسلي واغلالي ما اريد منهم من رزق لانفسهم او لغيرهم وما اريد
ان يطعمون بان اصرفهم في امر رزقي فينبغي ان يشتغلوا بما هم له كالمخلوقين
او المأمورين والمراد بيان ان شأنه سبحانه مع عباده ليس كعادة
السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل
معايشهم وتكميل مرادهم ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر
الى الرزق ذو القوة المتين شديد القوة حيث لا حاجة له الى ما يتقوى
من الحكمة وفي تفسير السلمي قيل اعتبروا كيفية الارزاق باللبيب الطالب
وقلة رزقه لديه والطفل العاجز وتواتر الارزاق عليه لتعلموا ان الرزق
طالب وليس بمطلوب وان الله هو الرزاق ذو القوة المتين
فان للذين ظلموا رسوله بالتكذيب ذنوبا نصيبا من العذاب
مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب اضرابهم من الامم السالفة فلا يستعجلون

في عذابهم

في عذابهم فانه لا يفوتهم او جواب لقولهم متى هذا الوعد ويؤيده قوله
فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة او يوم بدر ونحوه

سورة الطور مكية من الوقيعة وهي ثمان واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله كلمة ما استولت على قلب
عارف الا هيمته بكشف جلاله وما استولت على قلب مستأنف الا اكرمته بلطف
افضاله فهي كلمة قهارة للقلوب ولكن لا لكل قلب مذهبة للكروب ولكن
لا لكل كرب والطور اي طور سينين ويقال له طور سينا وهو جبل
بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى او المراد ما طار من اوج
الايجاد الى حضيض المواد وقال الاستاد اقسم الله بالطور لانه محل
قدم الاحباب وقت سماع الخطاب وكتاب مسطور مكتوب منظور
وهو القرآن المحفوظ او اللوح المحفوظ او ما يكتبه الحفظة او ما كتبه الله في
قلوب اوليائه من المعرفة والحكمة وقيل ما كتب على نفسه الرحمة في رق منشور
جلد يكتب فيه منظوم ومنثور والبيت المعمور يعني الكعبة وعمارتها بالحجاج
والمعتمرين والمجاورين او الضراح وهو في السماء وعمرانه كثرة غاشيته
من الملائكة المقربين او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والمحبة والصدق
والاخلاص واليقين في الدين وقيل هي امكنة العارفين ومواضع عباداتهم
ومجالس خلواتهم والسقف المرفوع اي السماء وقيل سماء همم الاولياء
في عالم الكبرياء والبحر المسجور اي البحار المملوة او هو المحيط او الموقد من
قوله واذا البحار سجرت روي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار نارا
تسجر بها جهنم ان عذاب ربك لواقع نازل لا يمكن رفعه ما له من دافع
ليس احد يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على جوابها انها امور
تدل على كمال قدرته وجمال حكمته وصدق اخباره وضبطه عمل العبد وآثاره
وافاد الاستاد ان عذابه في الظاهر ما توعد به عباده العاصين وفي الباطن
الحجاب بعد الحضور والستر بعد الكشف والظهور والرد بعد القبول ما له من
دافع اذا رد عبدا ابرم القضاء برده كما قيل شعر اذا انصرفت
نفسي عن الشيء لم تكد ٭ اليه بوجه آخر الدهر تقبل يوم تمور السماء
مورا تضطرب باهلها اضطرابا وتتردد ذهابا وايابا وتسير الجبال عن اماكنها
الى جانب الهواء سيرا فتصير كالهباء فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك
فهلاك لهم او فويل لهم ثم ويل لهم الذين هم في خوض في باطلهم يلعبون
يشتغلون ويلهون عما خلقوا لاجله من طريق الحق وسبيل الصدق يوم
يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها دفعا عنيفا بان يغل ايديهم الى اعناقهم

ويجمع نواصيهم الى اقدامهم ويقال لهم هذه النار التى كنتم بها تكذبون
افسحر هذا اى كنتم تقولون للوحى هذا سحر فهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر
لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون هذا فى العقبى كما كنتم لا تبصرون
فى الدنيا ما يدل على هذا المعنى وهو تقريع لهم وتهكم بهم اسدّ ابصاركم هنا ايضا
كما سدت فى الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا
او لا تصبروا اى ادخلوها على اى وجه شئتم من الصبر وعدمه فيها فانه لا محيص
لكم عنها سواء عليكم اى الامران من الصبر وعدمه سيان انما تجزون ما كنتم تعملون
من الطاعة والعصيان ان المتقين فى جنات ونعيم مخصوصة بهم عاجلا وآجلا
فاكهين ناعمين متلذذين معجبين بما آتيهم ربهم اى بما اعطاهم من النعيم
ووقيهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيئا اى اكلا وشربا هنيئا او طعاما
وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه ولا تنقيص بما كنتم تعملون بسببه او بدله
وقال الاستاد قوم يصير ذلك لهم هنيئا بطعمه ولذته وقوم يصير هنيئا لهم لسماع
قول عنه او لنا ولهم بمشهد منه متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم
بحور عين اى قرناهم بهن وجعلناهم مستأنسين بسببهن قال الاستاد
يظلون فى سرور وحبور ونصيب من الانس موفور والذين آمنوا مبتداء
خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان اعتراض لتعليل
الالحاق وقراء ابن عامر ذرياتهم للمبالغة فى كثرتهم وقراء ابو عمرو
واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان ومراتب
الاحسان الحقنا بهم ذريتهم فى دخول الجنة او حصول الدرجة
لما روى مرفوعا ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقرّبهم
عينه ثم تلا هذه الآية وقراء نافع وابو عمرو وابن عامر ذرياتهم وما التناهم
وقراء ابن كثير بكسر اللام ما نقصنا بهذا الالحاق من عملهم من شئ بل كان
من كمال فضلنا ومن جمال لطفنا كل امرئ بما كسب رهين بعمل نفسه مرهون
عند ربه فان عمل صالحا فكّها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة مما يتخيرون
ولحم طير وغيره مما يشتهون اى وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشاؤن من
انواع النعمة واصناف المنحة يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم
كاسا خمرا سمّاها باسم محلّها ولذا انث الضمير فى قوله لا لغو فيها ولا تأثيم
اى لا يتكلمون بلغو الحديث فى اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم فاعله بها
كما هو عادة الشاربين لها فى الدنيا وقراء ابن كثير وابو عمرو بفتحهما وافاد الاستاد
ان شربهم لا يذهب بعقولهم فيجرى بينهم ما يخرج عن حد الادب والاستقامة
وكيف لا يكون مجلسهم بهذه الصفة ومن المعلوم انه من يسقيهم وبمشهد من

جلوسهم

جلوسهم وعلى رؤية من سقيهم هذا وفى تفسير السلمى قال ابن عطا اى لغو يكون فى
مجلس عدن والساقى فيه الملائكة وشربهم على ذكر ربهم وريحانهم تحية من عند
حبيبهم وسكرهم على المشاهدة والقوم جلساء الله ويطوف عليهم يدور على رؤسهم
بكؤسهم او حولهم للخدمة او الانسة غلمان لهم اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم
اولادهم الذين سبقوهم او اولاد الكفار الذين لحقوهم كانهم لؤلؤ من بياضهم وصفائهم
مكنون مصون من الغبار ولمس الاغيار وعنه عليه السلام والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم
على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وافاد الاستاد ان القوم
عن الدار وعمن فى الدار مختطفون باستيلاء ما يستغرقهم فالشراب يؤنسهم
ولكن لا بمن يجالسهم واذا كان اليوم للعبد وهو فى السجن فى طول عمره ساعة
لا مساغ لسماع خطاب الاغيار فيه ولا لشهود احد من المخلوقين وان كان
ولدا شفيقا او اخا شفيقا فمن المحال ان يظن انه يرد من الاعلى الى الادنى
ان كان من اهل القبول والجنة ولا يكون غدا موسوما بالسعادة انتهى ولا يخفى
ان اهل الجنة يرتفع عنهم الغفلة فيكونون دائما فى مقام الجمع الذى ليس فيه المنع
فلا الكثرة تشغلهم عن الوحدة ولا الوحدة تمنعهم عن الكثرة كما هو حال ارباب
الكمال فى الدنيا من الانبياء والاصفياء ثم يترقون من هذا الصفاء الى غاية
الصفاء ومن هذا البقاء الى نهاية البقاء كما يقتضيه دار البقاء واقبل بعضهم
على بعض منهم يتساءلون عن ما كان لهم عن احوالهم واعمالهم قالوا
انا كنا قبل فى اهلنا فى الدنيا مشفقين وجلين من عاقبة العقبى او خائفين
من معصية الله ومخالفته معتنين بطاعته وعبادته فمنّ الله علينا بتحقيق
رحمته او بتوفيق خدمته ووقانا عذاب السموم حفظنا عذاب النار النافذة
فى المسام نفوذ السم قال ابن طاهر منّ علينا باحسانه الينا بان جعلنا
من اهل دار كرامته ووقانا من دار اهانته وقال الاستاد لولا انهم قالوا
فمنّ الله علينا لكانوا قد لاحظوا اشفاقهم ولكن الحق اختطفهم عن شهود
اشفاقهم من غير خلافهم حيث اشهدهم منته عليهم فى تحسين اخلاقهم
حتى قالوا فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا من قبل من قبل ذلك فى الدنيا
ندعوه نعبده او نسأله الوقاية ونطلبه انه عطف على انا قبله وقراء
نافع والكسائى بالفتح اى لانه هو البر كثير البر والمنة الرحيم عظيم الرحمة
والنعمة فذكر فاثبت على التذكير ولا تكترث بقول اهل التكبير فما انت بنعمة
ربك بحمده وانعامه بكاهن كما يتوهمون ولا مجنون كما يظنون وقال
الاستاد اى انهم علموا انه ليس بك كهانة ولا جنون وانما قالوه على جهة
الاستهزاء كالسفهاء اذا بسطوا السانهم فيمن يسبونه بما يعلمون

انه من البراء ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون بما يقلق النفوس
من حوادث الدهر كالفوت والموت قل تربصوا انتظروا هلاكي فاني معكم
من المتربصين هلاككم دني المعية اجاء الى انه عليه السلام يبقى بعدهم في
العقبية فقد قال الاستاد جاء في التفسير ان جميعهم ماتوا ولا ينبغي لاحد
ان يؤمل نفاق سوقه لديه بموت احد لتنتهي النوبة اليه فقل من تكون هذه
صفته الا سبقته المنية ولا يدرك ما تمناه من الامنية ام تأمرهم احلامهم
عقولهم بهذا التناقض في مقولهم فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة
نظر في معانيه والمجنون مغطى عقله مختبط كلامه غير مرتبط مرامه والشاعر ذا كلام
موزون مجتمع محبك ولا يتأتى ذلك من مجنون مختبل وامر الاحلام مجاز عن
تأديتها الى هذا الكلام ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد ومعنى
ام طغيانهم حملهم على هذا الفساد ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء
نفسه بل لا يؤمنون لعدم تأملهم في حديث قدسه فليأتوا بحديث
مثله اي بمقالة تشبهه في معناه او لفظه ان كانوا صادقين في انه
من عنده فانهم بلغاء وفصحاء عربيون من جنسه ام خلقوا
من غير شيء ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذا لا يعبدونه
ام هم الخالقون لانفسهم فلذا لا يطيعونه ام خلقوا السموات والارض
فتوهموا الربوبية وامتنعوا عن العبودية بل لا يوقنون مراتب الالوهية
ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا من
خلقه ام هم المصيطرون وقرأ قنبل وهشام وحفص المسيطرون
الغالبون على الاشياء فكل منهم يدبر ما شاء ام لهم سلم مرتقى الى
السماء العلى يستمعون فيه الى كلام الملأ الاعلى فيعلموا ما هو كائن في الدنيا
او العقبى فليأت مستمعهم بسلطان مبين ببرهان ظاهر ودليل باهر على
صدق استماعه منهم ام له البنات كالملائكة على ما تكرهون ولكم البنون
كما تشتهون ام تسألهم اجرا اجرة على تبليغ الرسالة فهم من مغرم
من التزام غرامة مثقلون حملوا الثقالة فلذا زهدوا في المتابعة ام عندهم
الغيب علمه من اللوح المحفوظ فهم يكتبون ينقلون منه ما يريدون من الامر
المحفوظ ام يريدون كيدا بصاحب النبوة كما مكروا في دار الندوة فالذين
كفروا منهم وممن غيرهم هم المكيدون اي الذين يحيق المكيد بهم
او يعود عليهم وبال مكرهم اما في الدنيا واما في العقبى ام لهم اله غير الله
يعطيهم من ثوابه او يحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم
وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا عليهم يقولوا من فرط طغيانهم

وغاية

وغاية عنادهم سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضها على بعض في جو الهواء
وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء والمعنى انهم وان راوا كل
آية لا يؤمنوا بها حتى يروا العذاب الاليم كما قال تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء
حتى شاهدوا بالمعاينة لقالوا انما سكرت ابصارنا في الملاحظة وليس هذا من العيان
والمشاهدة فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون اي يموتون وهو عند النفخة
الاولى او القيمة الصغرى وقرأ ابن عامر وعاصم على المبني للمفعول من صعقه او
اصعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا من الاغناء في رد البلاء ولا هم ينصرون
يمنعون من عذابنا بمساعدة اهل الولاء وان للذين ظلموا منهم ومن غيرهم عذابا
دون ذلك اي دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة في الدنيا
كالقتل والسبي وما نزل بهم من الهوان والخزي ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك
الحال ولا ذلك المآل واصبر لحكم ربك بابقائهم وابقائك في عنائهم فانك
باعيننا في حفظنا بحيث نراك ونحرسك وجمع العين لجمع الضمير للعظمة
والمبالغة بكثرة اسباب المحافظة قال الاستاد ولقد خفف عليه مقاساة
الصبر لديه بما اخبره بقوله فانك باعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم تريد القيام
او من المنام او الى عبادة الملك العلام ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه
اشق على الاشياء وابعد عن الرياء وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من
آخر الليل والمراد به التهجد وقت السحر

سورة والنجم مكية وهي احدى وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله اسم رحيم يحلم فيما يعلم ويستر
ما يبصر ويغفر وعلى العقوبة يقدر ويرى ويخفي ويعلم ولا يبدي والنجم اذا هوى
اقسم بجنس النجوم في السماء او الثريا اذا غربت او انتثرت واضطرب يوم القيمة
او طلع وصعد وعلا او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل من السماء او النبات
اذا سقط على الارض او ارتفع ونما وقال ابن عطا اقسم بنجوم المعرفة وضيائها
والاهتداء بها وقيل اقسم بالنبي عليه التحية والثناء عند انصرافه من السماء وهو
الملائم لقوله ما ضل صاحبكم ما عدل محمد عن الطريق المستقيم وما غوى وما
اعتقد باطلا في الدين القويم وقال الصادق ما ضل عن قربه طرفة عين وقال
سهل ما ضل عن حقيقة التوحيد في حال ولا تبع الشيطان في قال وما ينطق عن
الهوى ما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى ان هو اي الذي ينطق به من الهدى
الا وحي يوحى يوحيه اليه المولى علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبرئيل عليه السلام
فانه الواسطة في ابداء خوارق العادة روي انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء
ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وقال الصادق كيف ينطق عن الهوى
من هو ناطق باظهار الهدى من التوحيد واتمام الشريعة والطريقة واكمال الحقيقة

وايجاب الامر بالطاعة واثبات النهى عن المعصية بل ما نطق الا بامره فكان مرة
قربا ونهيه ادبا ذو مرة ذو قوة فى عقله ورأيه فاستوى فاستقام على صورته
الحقيقية التى خلقه تعالى عليها قيل ما راه احد من الانبياء فى صورته غيره عليه التحية
والثناء وهو بالافق الاعلى افق السماء والضمير لجبريل اوله عليهما السلام ثم دنى
اى قرب النبى من المولى فتدلى من الافق الاعلى ودنوه منه بترفع مكانته وتدليه
جذبه عن مرتبة قال الصادق انقطعت الكيفية عن الدنو لان الله حجب جبريل
من دنوه منه وقال ايضا دنا محمد صلى الله عليه وسلم الى ما اودع فى قلبه من الموفقة
والسكون والطمانينة فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه جميع ما هواه
وقال الواسطى دنا محمد عليه السلام فتدلى الحجاب حتى جاء الى غيره من الحجاب فما
زال الحجب تدلى وانكشف عنه صلى الله عليه وسلم حتى وصل الى ما اشار اليه بقوله
فكان قاب قوسين او ادنى وافاد الاستاد ان تدلى بمعنى دنا والمعنى ثم دنا فدنا
وقيل دنا محمد من ربه قاب قوسين قدرهما او ادنى بل ادنى واقرب من دنوهما لانه
دنو الكرامة لا دنو المسافة وافاد الاستاد انه كان من عادتهم اذا ارادوا تحقيق
الالفة الصق احدهم قوسه بقوس صاحبه عبارة عن عقد الموالاة بكمال قربه فنزل
هذا الخطاب على مقتضى معهودهم فى تاكيد معقودهم فاوحى الى عبده ما اوحى
فيه تفخيم للوحى حيث اجمله اجمالا ولم يطلع عليه احدا وقيل من جملة ما قال له الم اجدك
يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا فاغنيتك الم اشرح
لك صدرك ولم امنع عنك وزرك ولم ارفع صدرك وقيل اوحى اليك ان
الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخل امتك والاظهر ان يكون
من جملة ما اوحى وجوب الصلوات الخمس وتقديرها بعد الامر بالخمسين
ونحوها فى تدريج تحريرها وافاد الاستاد انه سبحانه رقاه الى ما رقاه ولقاه بما لقاه
وادناه حتى لا دنو سواه واخذه عنه حتى لا غير فى عينه مما عداه مما عداه ومحاه
فى غير ما محاه عنه ما كذب الفؤاد ما راى ببصره من صورة جبريل او تجلى الرب
الجليل والمعنى ما كذب الفؤاد بصره بما حكاه له من نظره فان الامور القدسية
تدرك اولا بالقلب ثم ينتقل منه الى بصر القالب او ما كذب فؤاده ما راه بقلبه
والمعنى لم يكن تخييلا فى حقه ويدل عليه انه عليه السلام سئل هل رأيت ربك قال
رايت بفؤادى وقرأ هشام ما كذب بالتشديد اى صدقه ولم يشك فيه والمعنى
ما كذب فؤاده ما راه ببصره من الايات او التجليات وقال الصادق لا يعلم
احد ما راى الا الذى ما راى والذى ارى افتمارونه افتجادلونه على ما يرى
وقرأ حمزة والكسائى افتمرونه اى افتغلبونه فى المراء او افتجحدونه ولقد
راه نزلة اخرى اى جبريل فى صورته الاصلية فقد ثبت انه عليه السلام راه مرتين

مرة فى الافق الاعلى واخرى عند سدرة المنتهى الذى ينتهى علم الخلائق واعمالهم
اليها او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهى
شجرة النبق لانهم يجتمعون فى ظلها وروى مرفوعا انها فى السماء السابعة او المعنى انه
عليه السلام راى ربه مرة اخرى ولعل احديهما وقت الاقبال واخريهما حال الارتحال
او مرة بالبصر واخرى بالبصيرة والاخيرة عند سدرة المنتهى وهى منتهى مقامات
الورى ولا يعلم ما وراءها الا المولى عندها جنة المأوى الجنة التى ياوى اليها
الاتقياء وارواح الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما
يغشاها بحيث لا يكتنهها احد ولا يحصيها عد وقيل يغشيها جماعة من الملائكة
ياتون بها من انواع العبادة ما زاغ البصر وما طغى اى ما مال بصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عما راه وما جاوز الى ما وراءه وقال الاستاد اى ما مال بصره
عما ابيح له النظر من الايات والعبر وما جاوز ما حد له وراعى شرط الادب
فى قرب حضرة الرب لقد راى من ايات ربه الكبرى اى والله لقد راى ليلة
الاسراء الكبرى من غرائبه الملكية وعجائبه الملكوتية قال ابن عطاء راى الايات
ولم يكبر فى عينه لكبر همته وعلو محله وقال الاستاد هى ثبات بقائه فى
حال لقائه ربه سبحانه وهى اكبر ايات الاله على حفظه اياه وهو انه ابقاه
بوصف الصحو حتى راى الله افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هى
اصنام كانت لهم فاللات لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهى فعلة من
لوى لانهم كانوا يلوون عليها اى يطوفون حواليها والعزى سمرة لغطفان
كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد
فقطعها وهو تانيث الاعز باعتبار اصلها ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة
وهى فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون القرابين عندها ومنه منى
وقرأ ابن كثير مناءة بزيادة الهمزة وهى مفعلة من النوء كانهم يستمطرون
الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتاكيد كقوله تعالى
يطير بجناحيه او الاخرى من التاخر فى الرتبة عن الاوليين عندهم الكم الذكر
وله الانثى لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات
هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثانى لقوله افرايتم قال الاستاد
معنى الاية اخبرونا هل لهذه الاصنام التى تعبدونها من دون الله من القدرة
ان تفعل بعابديها ما فعلنا بمحمد عليه السلام من الرتب والتخصيص ثم وبخهم
فقال ارايتم هذه الاصنام والملائكة التى تعبدونها من دون الله انتم
تختارون لانفسكم كيف نسبتم البنات الى الله سبحانه تلك اذا قسمة
ضيزى جائرة فانها فعلى من الضيز وهو الجور كسر فاؤه لتسلم الياء

فان فعلى بالكسر لم تأت وصفا وقرأ ابن كثير بالهمزة على انه مصدر نعت به
من ضازه اذا ظلمه ان هى الا اسماء الضمير للاسماء المذكورة فانهم كانوا
يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى
لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق التقرب اليها بذبح القرابين لديها
سميتموها انتم سميتم بها على ما اقتضى اهواؤكم واباؤكم اسلافكم ما انزل الله
بها من سلطان برهان وحجة يتعلقون بها ويعتمدون عليها ان يتبعون
الا الظن التفات عنهم واعراض منهم وليدخل غيرهم من المشركين معهم
اى ما يتبعون الا توهم ما هم عليه حق تقليدا او توهما باطل ليس تحته
طائل وما تهوى الانفس ويتبعون ما تشتهيه انفسهم الضالة من انواع
الجهالة قال جنيد رأيت جماعة قد هلكوا بالتوهم اى توهموا انهم عرفوه وهو
قوله ان يتبعون الا الظن كذا ذكره السلمى وقال الاستاد كما ان ظن الكفار
اوجب لهم الجهل والحيرة والحكم بالخطاء فكذلك فى هذه الطريقة من عرج على
اوصاف الظن لا يحظى بشئ من الحقيقة ليس من الحديث الا من حيث
القطع والتحقق وان نهارهم قد متع وشمسهم قد طلعت وعلومهم اكثرها
ضرورية فاما الظن الجميل بالله فليس من هذا الباب والقياس عاقبة الرجل
عليه ليس من هذه الجملة انما الظن المعلول فى ذات الله وصفاته واحكامه
ولقد جاءهم من ربهم الهدى الكتاب والسنة فاعرضوا عنه واتبعوا الهوى
ام للانسان ما تمنى اى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفى طمعهم فى شفاعة
نحو اللات والعزى وقول بعضهم لئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى
فلله الاخرة والاولى يعطى منهما ما يشاء لمن يشاء وليس لاحد ان يتحكم
عليه فى شئ من الاشياء وقال الاستاد اى ليس له جميع ما يتمنى فانه يتمنى
من طول الحيوة والعافية وخصب العيش والرفاهية ما ليس له نهاية ولا
يبلغ احد هذه الحالة ويقال انما يتمنى الانسان ان يقع مراده واجبا فى كل شئ
وهو ليس من صفات الخلق بل لله هو الذى ما شاء كان فلله الاخرة والاولى
خلقا وملكا وهو الملك التام الملك فاما المخلوق فالنقص لازم له والهلاك
وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم لا تدفع او لا تنفع شيئا من
عقوبات ارباب السيئات الا من بعد ان ياذن الله فى الشفاعة لمن
يشاء من الملائكة واهل الطاعة ان يشفع او من الناس ان يشفع له ويرضى
ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم هنالك ان الذين لا
يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة اى كل واحد منهم تسمية الانثى بان
سموها بنات وما لهم به اى بما يقولون من علم عليه يعتمدون بل على مجرد

وهم يبنون

وهم يبنون ان يتبعون الا الظن ما يتبعون الا الظن على زعمهم وهو
الطرف الراجح عندهم وان كان فى الحقيقة هو وهم صدر عنهم وان
الظن ولو فرض وجوده لا يغنى من الحق اى بدله شيئا من الاغناء
فان الحق الذى هو حقيقة الشئ لا يدرك الا بالعلم الصادر عن الادلة
القطعية والظن لا اعتبار له فى المعارف اليقينية وانما العبرة به فى الامور
العملية وما يكون وصلة اليها من المسائل الفقهية فاعرض عن من تولى عن ذكرنا
ولم يرد الا الحيوة الدنيا لا تلتفت الى من غفل عن الله وامره واعرض عن
ذكره وشكره وانهمك فى الدنيا ونسى ما وراءه من العقبى ذلك امر الدنيا
مبلغهم من العلم لا يتجاوزه علمهم ولا يتعداه همهم ان ربك هو اعلم بمن
ضل عن سبيله باختيار الدنيا واتباع الهوى وهو اعلم بمن اهتدى
فاختار العقبى على الدنيا والهدى على الهوى والمولى على السوى قيل
ضيع وقته من اشتغل بموعظة اهل الدنيا من طالبيها والراغبين فيها لان
احدا لا يقبل على الدنيا الا بعد الاعراض عن المولى كذا فى تفسير السلمى وقد
قال بعض العارفين من احب الدنيا لا يقدر على هدايته جميع المرسلين ومن
تركها لا يقدر على اضلاله جميع الشياطين ولله ما فى السموات وما فى الارض
ملكا وملكا ليجزى الذين اساؤا بما عملوا بمثل اعمالهم ودفع احوالهم ويجزى
الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهى الجنة ودرجاتها العلى والمعنى
خلق الارض والسماء للجزاء وتمييز ارباب الضلالة عن اصحاب الاهتداء
الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب عموما والفواحش
ما فحش من الكبائر خصوصا وهو ما يجب فيه الحد او مظالم العباد او العلانية
وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك فالمراد بالفواحش
الكبائر قال ذو النون ذكر الفاحشة من العارف كفعلها من غيره الا اللمم
اى الصغائر فانه مغفور من مجتنبى الكبائر بمقابلة طاعاتهم وعباداتهم
والاستثناء منقطع ومحل الموصول النصب على الصفة او المدح ان ربك
واسع المغفرة فله ان يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها وعقب به
وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته
ولا يتوهم وجوب العقاب على الله فى معصيته وفى الحديث ان تغفر
اللهم فاغفر جما واى عبد لك الما وقد ورد اللهم مغفرتك
اوسع من ذنوبى ورحمتك ارجى عندى من عملى وفى تفسير السلمى ان ربك
واسع المغفرة لمستغفره ولمن رأى التقصير فى القيام بوجب امره
وافاد الاستاد ان الذنوب كلها كبائر لانها مخالفة امر الله ولكن بعضها

اکبر من بعض ولا شیء اعظم من الشرک وتکلموا فی اللمم فقیل انه من جملة الفواحش
ولکن الله استثناه واخبر انه یغفرها فیقال اللمم هو ان یاتی المرة ذلک ثم ینقطع
عنه بالتوبة قلت وفیه بحث لا یخفی قال وقال بعض السلف هو الوقعة من الزنا
تحصل مرة ثم لا یعود الیها وکذلک شرب الخمر والسرقة قلت وفیه نظر ویقال
هی ان یهم بالزلة ثم لا یفعلها قلت وهو الملایم للفظ اللمة قال ویقال هو النظر
ویقال ما لا حد علیه من المعاصی ما یکفر عنه الصلوات قلت وفیه ان الصلوات
وغیرها من الطاعات لا یکفر الا الصغائر من السیئات ثم قال والاصح انه
استثناء منقطع واللمم لا یکون من جملة المعاصی یعنی من المعاصی المذکورة المعبر
عنها بالکبائر والفواحش والا فلا وجه له ههنا ثم التعبیر عن الصغائر باللمم
لعله للایماء بان لا یکون علی وجه المداومة فانه ورد لا صغیرة مع الاصرار ولا
کبیرة مع الاستغفار هو اعلم بکم اعلم باحوالکم منکم اذ انشاکم من الارض
ابدا خلقکم من التراب بخلق آدم علیه السلام منه واذ انتم اجنة فی بطون
امهاتکم بعد انقلابکم من اصلاب آبائکم وتصویر اشکالکم فی ارحام امهاتکم
قال الصادق هو اعلم بکم لانه خلقکم وقدر علیکم الشقاوة والسعادة قبل
ایجادکم فانتم منقلبون فیما اجری علیکم فی السابقة من الارزاق والآجال
والاعمال والاحوال لا تستجلب الموافقات سعادة ولا المخالفات شقاوة
ولکن سابق القضاء هو الذی یحتم به بما وقع به الابتداء فلا تزکوا انفسکم
فلا تثنوا علیها تفاخرا وعجبا بزکاء الاعمال وصفاء الاحوال ما لدیها هو
اعلم بمن اتقی لان محل التقوی مخفی عن غیر المولی کما اشار الیه علیه السلام الی صدره
وقال التقوی ههنا وفیه لطافة لا تخفی قال ابو عثمان من علم من این هو والی
این هو وفی الوقت ما هو علم انه لیس بمحل التزکیة ومع هذا هو مخاطب بقوله
فلا تزکوا انفسکم بماذا یزکی نفسه اباخلاقه واحواله ام بافعاله واقواله کلا
لکن نفسه هو الامارة بالسوء وافاد الاستاد ان تزکیة المرء نفسه من علامات
کونه محجوبا عن ربه لان المجذوب عن بقائه والمستغرق فی شهود ربه ووجود
لقائه لا یزکی نفسه وهو عالم بفنائه ویقال المسلم یجب ان یکون بحیث کل
مسلم رآه یعتقد فیه انه خیر منه ان رای شیخا قال انه اکثر منی طاعة فهو
افضل منی وان رای شابا قال انه اقل منی معصیة فهو اکمل منی ویقال من
اعتقد ان علی البسیط احد شر منه فهو متکبر یعنی لخفاء العاقبة نسال الله
العافیة افرایت الذی تولی اعرض عن اتباع الهدی واقبل علی الدنیا وما فیها
من الهوی واعطی قلیلا من الاعطاء واکدی وقطع العطاء عن الفقراء
اعنده علم الغیب فهو یری مقامه فی الاخری ام لم ینبا بما فی صحف موسی

وابراهیم

وابراهیم الذی وفی بالغ فی الوفاء بما عاهد المولی حتی اتاه جبریل حین یلقی
فی النار فقال الک حاجة فقال اما الیک فلا قال ابن عطاء وفی باربعة اشیاء
بذل نفسه للنیران وقلبه للرحمن وولده للقربان وماله للاخوان ثم تقدم موسی للترقی
من الادنی الی الاعلی الا تزر وازرة وزر اخری ان هی المخففة من المثقلة وهی
بما بعدها فی محل الجر بدلا من ما فی صحف موسی والمعنی لا تحمل نفس اثمة وزر نفس
اخری وان لیس للانسان الا ما سعی ای الا سعیه فی الدنیا والمعنی کما لا یؤاخذ
احد بذنب غیره لا یثاب بفعله فی العقبی قال ابن عطا لیس له من سعیه الا ما نوی
ان کان سعیه رضاء الرحمن فان الله یرزق رضاه وان کان سعیه للعطاء
فان الله یعطی جزاءه وان سعیه سوف یری قال سهل سوف یری سعیه
فیعلم انه للحق وقبوله وانه لو لم یلحق فضل ربه لهلک بسعیه وافاد الاستاد
ان الناس فی سعیهم مختلفون فمن کان سعیه فی الدنیا خسرت صفقته
ومن کان سعیه فی طلب العقبی ربحت تجارته ومن کان سعیه فی ریاضة
نفسه وصل الی رضوان الله ومقام قدسه ومن کان سعیه فی العبادة
شکر الله سعیه ثم یهدیه الی نفسه فی حال انسه واما المذنب فسعیه فی طلب
غفرانه وتندم القلب علی ما سوده من دیوانه فیجد من الله المثوبة والقربة
والکرامة والزلفة ومن کان سعیه فی بذل انفاسه لا یعرج علی تقصیر وما یفرط
فی مامور فیری جزاء سعیه مشکورا فی الدنیا والاخری ثم یشکره بان یخاطب
فی ذلک المعنی باسماع کلامه بغیر واسطة من الملاء الاعلی عبدی سعیک
مشکور عندی وذنبک مغفور عندی ثم یجزیه الجزاء الاوفی ای یجزی العبد
سعیه بالجزاء الاوفر الاعلی وان الی ربک المنتهی انتهاء فکر الخلایق ورجوعهم
عن العلایق والعوائق وافاد الاستاد ان ابتداء الاشیاء من الله
خلقا وانتهاء الاشیاء الی الله مصیرا ومرجعا اذا انتهی الکلام الی الله
فاسکتوا ویقال اذا وصل العبد الی معرفة الله فلیس بعده الا حدیث الالطاف
یعطیه من مال او منال او تحقیق آمال او احوال یجریها علی وفق المراد
مما هو حظوظ للعباد وانه هو اضحک وابکی ای هو الذی یجری الضحک
ویخلق البکاء ویقال اضحک الارض بالنبات والنماء وابکی السماء بنزول
الماء ویقال اضحک اهل الجنة بالجنة وابکی اهل النار بالعقوبة ویقال اضحک
المؤمن فی العقبی وابکاه فی الدنیا واضحک الکافر فی الدنیا وابکاه فی الاخری
ویقال اضحک قلوب العارفین بالرضاء والاشتیاق وابکی عیونهم بخوف
الهجر والفراق انتهی وقال ابو بکر الوراق فی قوله تعالی وان لیس للانسان
الا ما سعی ذلک فی بدایاتهم وان سعیه سوف یری فی توسط حالاتهم ثم یجزیه

الجزاء الاوفى في نهاية مقاماتهم وان الى ربك المنتهى عند فنا العبد من ارادته
وصفاته وانه هو اضحك وابكى هو المنشر الشان باعادته وفق عادته قال سهل
اضحك المطيع بالرحمة وابكى العاصي بالسخطة وقال اضحك الاشجار بالاثمار وابكى
السماء بالامطار واضحك قلوب العارفين بالحكمة وابكى عيونهم بالحزن والحرقة
وانه هو امات في الدنيا واحيا في العقبى اما للراحة الكاملة واما للاحساس
بالعقوبة الشاملة وقال ابن عطا امات بعدله واحيا بفضله وقال امات
بالاستتار عنه واحيا بالتجلي عليه وقال جعفر امات بالاعراض عنه واحيا
بالمعرفة منه وقال امات بالمعصية واحيا بالطاعة وقال الاستاد امات
نفوس الزاهدين بالمجاهدة واحيا قلوب العارفين بالمشاهدة ويقال امات
نفوسهم بالمعاملات واحيا قلوبهم بالمواصلات وانه خلق الزوجين الذكر
والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم على ما قدر في القضاء وان عليه
النشاة الاخرى الاحياء بعد الموت والفناء وفاء بوعده لمقام الجزاء وقرا
ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وانه هو اغنى اعطى ما به يستغني واقنى اي اعطى
القنية لمن اراد الفقر في الدنيا او معناه ارضى الفقير بما اعطى وقال سفيان
ابن عيينة اغنى اقنع واقنى ارضى وقال جنيد اغنى قوما به وافقر قوما عنه
وانه هو رب الشعرى نجم عبدها ابو كبشة احد اجداده عليه السلام وخالف قريشا
في عبادة الاصنام ولذا كانوا يسمون الرسول ابن ابي كبشة فتخصيصها بالذكر
للاشعار بانه عليه السلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها
وانه اهلك عادا الاولى اي القدماء لانهم اول الامم هلاكا بعد قوم نوح
او عادا الاولى قوم هود والاخرى عاد ارم وثمود عطف على عادا وقرا عاصم
وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا عطف
عليه من قبل قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه
وينفرون عنه ويضربونه حتى كادوا يهلكونه واطغى لطول اعمارهم وقوة اجسادهم
وابشارهم والمؤتفكة والقرى التي ائتفكت اي انقلبت وهي قرى قوم لوط
اهوى اي اهويها بان قلبها جبريل بعد ما رفعها فغشاها من العذاب ما غشى
فيه تهويل وتفخيم لما اصابهم من البلاء فباي آلاء ربك تتمارى تتشكك ايها
المخاطب او الانسان والمعدودات وان كانت نعما ونقما لكن سماها الاء
من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء واتباعهم
من المؤمنين وينبغي ان يقال هنا لا بشيء من الائك ربنا نتمارى فلك الحمد
على ما قضى وجرى هذا نذير من النذر الاولى اي هذا القرآن انذار من جنس
الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس الانبياء والسالفة ازفت

الآزفة دنت الساعة الموصوفة بالقرب في نحو قوله اقتربت الساعة ليس لها
من دون الله كاشفة اي ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله
لكنه لا يكشفها او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه وقال الاستاد
لا يقدر على اقامتها الا الله فاذا اقامها فلا يقدر احد على كشفها وازالتها الا الله
ويقال اذا قامت قيامة هذه الطائفة اليوم فليس لها كاشف غيره سبحانه وقيامة
القوم تقوم غير مرة في اليوم افمن هذا الحديث يعني القرآن تعجبون انكارا وتضحكون
استهزاء ولا تبكون حزنا وخوفا وانتم سامدون لاهون او مستكبرون
او مدهوشون وعنه ساهون فاسجدوا لله واعبدوا دون من سواه

سورة القمر مكية وهي خمس وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاد بسم الله كلمة بها نور القلوب والابصار وبعرفانها يحصل سرور
الارواح والاسرار كلمة تدل على جلاله في اوصافه وعلى جماله في الطافه اقتربت
الساعة وانشق القمر امتثالا للطاعة روي ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم آية تكون معجزة فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيمة ويؤيد
الاول انه قرئ وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من امارات
اقترابها انشقاق القمر ويقويه قوله وان يروا آية معجزة كانشقاق القمر ونحوه
يعرضوا عن تأملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد دائم او محكم قائم وقال
الاستاد ان اجماع اهل التفسير على ان القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابن مسعود رأيته ورأيت حرا بين فلقتي القمر ولم يوجد لابن مسعود
مخالف فيه وروي عن انس وابن عمر وحذيفة وابن عباس وجبير بن مطعم كلهم
رووا هذا الخبر وفيه اعجاز من وجهين احدهما رؤية من راى ذلك والثاني
خفاء مثل ذلك على من لم يره اذ لم ينكتم مثله في العادة فاذا خفي كان نقض العادة
وفق الارادة واهل مكة راوا ذلك وقالوا ان محمدا سحر القوم ومعنى اقتربت
اي ما بقي من الزمان الى قيام العقبى قليل بالاضافة الى ما مضى وكذبوا نبيهم
فيما جاءهم واتبعوا اهواءهم وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان او
نصرة في الدنيا او شقاوة او سعادة في الاخرى وافاد الاستاد ان التكذيب
واتباع الهوى قرينان اذا حصل اتباع الهوى فمن شومه يحصل تكذيب اهل الهدى
لان الله يلبس على قلب صاحبه حتى لا يستبصر طريق رشده واتباع الرضاء
مقرون بالتصديق لان الله تعالى ببركات الحق الحقيق يفتح عين البصيرة فياتي
بالتصديق وكل امر جرى به التقدير فلا محالة يستقر حصوله ولا يتصور فيه التغيير
ولقد جاءهم في القرآن من الانباء انباء القرون الماضية والاحوال الآتية
ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب في الدنيا ووعيد في العقبى حكمة بالغة غايتها

لا خلل فيها وهي بدل من ما فما تغني النذر ما نافية او استفهامية انكارية اي فاي
غنى يغني النذر من الانبياء وقد سبق القضاء لهم بالشقاء وهو جمع نذير
بمعنى منذر او منذر منه او مصدر بمعنى انذار فتول عنهم اعرض عنهم لعلمك ان
الانذار لا ينفعهم واذكر يوم يدع الداع اسرافيل الى شيء نكر فظيع تنكره النفوس
وتجهله لانها لم تعهد مثله وهو يوم القيمة وهوله وقراه ابن كثير بسكون الكاف
تخفيفا خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اي يخرجون من قبورهم
حال كونهم ذليلا ابصارهم من هول ما راوا من اسرارهم وافراده وتذكيره
لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ خاشعة على الاصل كالمتفق عليه
في سورة المعارج وقرا نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم خشعا جمع خاشع وانما
حسن ذلك ولم يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لان جمع التكسير ليس على صيغة
تشبه الفعل كانهم في الكثرة جراد منتشر منبث في الامكنة مهطعين
الى الداع مسرعين بادي اعناقهم اليه مديمي انظارهم لديه يقول الكافرون
هذا يوم عسر صعب حاله وشدائد اهواله كذبت قبلهم قبل قومك قوم
نوح نبيهم فكذبوا عبدنا نوحا عليه السلام وهو تفصيل بعد اجمال الكلام او كذبوه
تكذيبا عقب تكذيبهم على مدى الايام كلما مضى قرن مكذبون تبعهم قوم آخرون
او كذبوه بعد ما كذبوا الرسل قبله وقالوا مجنون هو مجنون في القضية وازدجر
وزجر عن التبليغ بانواع الاذية فدعا ربه اني باني مغلوب معهم فانتصر
فانتقم لي منهم وذلك بعد يأسه عنهم روي ان الواحد منهم كان
يخنقه حتى كاد يهلكه فيقوم ويقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا
ابواب السماء وقراه ابن عامر بالتشديد لكثرة ابوابها بماء منهمر منصب
وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون منفجرة فالتقى الماء
ماء السماء وماء الارض على امر قد قدر اي على حال قدره الله في الازل
من غير الزيادة والنقصان او امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان
وحملناه على ذات الواح اي سفينة ذات اخشاب عريضة منبسطة
ودسر اي مسامير عديدة شديدة تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة
بحراستنا قال الاستاد وقيل تجري باوليائنا ويقال باعين ملائكتنا
الذين وكلناهم بحفظهم ويقال باعين المياه التي انزلناها وبالمياه
التي انبعناها جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة
كفروها ولم يشكروها فان كل نبي نعمة من الله على امته ورحمة وقرئ لمن
كفر اي للكافرين به قال ابن عطاء جزاء لمن صرفه الله تعالى عن استعمال
الطاعة وستره عن حال الحقيقة ولقد تركناها اي السفينة او الصنيعة

آية يعتبر بها اذا شاع خبرها فهل من مدكر معتبر متذكر لما جرى منه
اليه وقرئ مذكر على الاصل فكيف كان عذابي ونذر اي وانذاري
من عقابي استفهام تعظيم ووعيد فيه تفخيم وافاد الاستاد انه سبحانه
ذكر قصة نوح هنا على افصح مبنى واقصره واصح معنى واتمه وكان عمر نوح
اطول من سائر الانبياء واشدهم مقاساة للبلاء ثم ان الله لما نجاه
منعه بعد هلاك قومه وجعل كل من على وجه الارض من اولاده واتباعه
وفي هذا قوة لرجاء اهل الدين اذا لقوا محنة ان يهلك الله عن قريب
عدوهم ويمكنهم من ديارهم وبلادهم ويورثهم ما كان اليهم
من آثارهم وكذا سنة الله الملك المتعال في جميع اهل الضلال باعزاز
اوليائه بعد اذلال اعدائه ولقد يسرنا القرآن سهلناه او هيأناه للذكر للاذكار
والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع الوعظ او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ
فهل من مدكر متعظ معتبر وافاد الاستاد انه سبحانه يسر قراءته على السنة قوم
وعلمه على قلوب قوم وفهمه على جماعة وحفظه على طائفة وكلهم اهل القرآن وكلهم
اهل الله وخاصته ويقال كاشف الارواح من قوم بالقرآن قبل ادخالها
في الاشباح كذبت عاد هودا فكيف كان عذابي ونذر انذاري اليهم
بعذابي او انذاري لهم بعذابهم قبل نزوله في بابهم او لمن بعدهم في تعذيبهم
ليقلعوا عن تكذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردا شديدا في يوم نحس
شوم عليهم مستمر على جميعهم كبيرهم وصغيرهم بحيث لم يبق احد منهم
وكان الاربعاء آخر الشهر وقيل ٢٦ من شهر صفر والظاهر ان المراد باليوم
هنا الوقت لقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام ولعل اليوم
الاول كان الاربعاء واستمر الى انقضاء مدة البلاء فالمعنى استمر عليهم
حتى اهلكهم وقيل استمر شومه على الكفرة الى يوم القيمة تنزع الناس تقلعهم
من حفرهم التي حفروها وتمسك بعضهم ببعض فيها وتصرعهم موتى كانهم
اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على وجه الارض
والنخل قد يذكر وقيل تذكير منقعر للحمل على المبنى والتانيث في قوله اعجاز نخل
خاوية للمعنى بناء على انه اسم جنس نظرا الى المعنى الجنسي والالحاق اللفظي ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود قوم صالح بالنذر بالمواعظ والانذار
او الرسل او الآيات فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جملتنا لا فضل له
بزيادة المال والجاه علينا واحدا منفردا لا تبع له كالملوك وانتصابه بفعل
يفسره قوله نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر جمع سعير كانهم عكسوا الامر
عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على مخالفتهم لديه أألقي الذكر الوحي والكتاب

عليه من بيننا وفينا من هو احق منه في هذا الباب بل هو كذاب اشر حمله بطره على
الترفع علينا بادعائه الرسالة الينا سيعلمون وقرا ابن عامر وحمزة بالخطاب
غدا عند نزول العذاب او في موقف الحساب من الكذاب الاشر الذي حمله اشره
على استكباره عن الحق وعن اتباعه اصالح ام طالح كذبه انا مرسلوا الناقة مخرجوها او
باعثوها فتنة لهم امتحانا لامرهم فارتقبهم فانتظر حالهم وانظر مالهم واصطبر
على اذاهم من اقوالهم وافعالهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها
يوم ولهم يوم وهم في بينهم لتغليب عقلائهم كل شرب محتضر كل نصيب
من المقسوم يحضره صاحبه في يومه المعلوم فنادوا صاحبهم قدار بن سالف
احيمر ثمود فتعاطى فاجترأ على تعاطي قتلها او فتعاطى السيف وتناوله فعقر
فقتلها فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبريل
عليه السلام فكانوا كهشيم المحتظر فصاروا كالشجر اليابس المنكسر الذي تتخذه
من يعمل الحظيرة لاجلها في البناء او كالحشيش الذي يجمعه صاحب الحظيرة
لماشيته في الشتاء ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط
بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم الا آل لوط
نجيناهم بسحر في سحر وهو السدس الاخير من الليل نعمة من عندنا انعاما من
لدنا واكرامنا وهو علة لنجينا كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالايمان وما يقتضي
طاعتنا بالاحسان وافاد الاستاد ان الشكر على نعم الدفع ثم على نعم النفع ولا
يعرف ذلك الا كل موفق كيس ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا
بقوتنا فتماروا بالنذر فتشككوا في انذاره عن جهتنا فطمسنا اعينهم
فمسحناها وسويناها بسائر اعضاء وجوههم روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل
بجناحه صفقة فاعماهم بغتة قال الاستاد وكذا اجرى سنته في اوليائه بان يطمس على
قلوب اعدائهم حتى يلتبس عليهم كيف يؤذون اولياءه ويخلصهم من كيدهم فذوقوا
عذابي ونذر اي فقيل لهم بلسان المقال او بظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة في اول نهار
عذاب مستقر استقر بهم في دار الدنيا واستمر بهم في دار العقبى فذوقوا عذابي ونذر ولقد
يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في كل قصة من الكتاب اشعارا بان
تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للاتعاظ
واستينافا للتنبيه والايقاظ لكيلا يغلبهم السهو والغفلة واللهو في هذا
الباب وهكذا تقرير تكرير قوله فباي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين
ونحوهما على اولي الالباب وان كان لكل منها نسبة لما قبلها في مقام
الاطناب ولقد جاء آل فرعون النذر اي الآيات المنذرة واكتفى بذكرهم
عن ذكره للعلم بانه اولى به كذبوا باياتنا كلها يعني الآيات التسع فاخذناهم

اخذ عزيز

اخذ عزيز غالب في الانتقام مقتدر لا يعجزه احد من الانام اكفاركم
يا معشر العرب خير عدة وقوة او مكانة وشوكة من اولئكم الكفار
المعدودين لكم ام لكم براءة في الزبر في الكتب السماوية ان من كفر
منكم فهو في امان من عذاب ربكم ام يقولون نحن جميع جمع منتصر
ممتنع لا يرام ولا يضام سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار بهم
وافراده لارادة الجنس او لان كل واحد منهم يولي دبره وقد وقع
ذلك يوم بدر فهو من دلائل النبوة وعن عمر رض انه لما نزلت لم اعلم
ما هي فلما كان يوم بدر رايت النبي عليه السلام يلبس الدرع او يثب
في الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم
المعد لهم واما ما يحيق بهم في الدنيا فمن طلايع عذابهم في العقبى والساعة
ادهى اشد وابقى فان الداهية امر فظيع لا دواء له لا يهتدى وامر مذاقا
من عذاب الاولى ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران
في الاخرى يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها ويذلون لديها
ويقال لهم ذوقوا مس سقر حرها والمها فان مسها سبب التالم بها
وافاد الاستاد ان سحبهم على وجوههم امارة للمذلة ولو كان ذلك مرة
واحدة لكانت محنة عظيمة فكيف وهو على التابيد والتخلية فكما ان امارة
الذل تظهر على وجوههم فعلامة اعزاز المؤمنين واكرامهم تظهر على وجوههم
كان قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة وفي قوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة
النعيم انا كل شيء خلقناه بقدر اي انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا
على مقتضى الحكمة او وفق المشية او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل
منصوب بفعل يفسره ما بعده وفي تفسير السلمي قال القاسم دخل
في هذا المعنى نفوس الخلق واعمالهم واحوالهم وآثارهم وخطرات قلوبهم
واسرارهم وانفاسهم في اوقاتهم واخلاقهم المحمودة والمذمومة وآجالهم
ومعاشهم ومعادهم لما سبق فيهم من العلم وايجادا بقدرته انه ضبط كل
شيء بتقديره وسئل يوسف بن الحسين عن شيء من القدر فقال من
اصولنا ان القضاء اعمى بنا من عزمنا قلت وكانه اراد هذا المعنى
من قال عرفت الله بفسخ العزائم وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة
وهو الايجاد بلا معاناة ومعالجة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح
بالبصر في السهولة والسرعة وقال الاستاد اي اذا اردنا خلق شيء
لا يتعسر علينا ولا يتعذر لدينا نقول له كن فيكون بقدرتنا وقوله كلمح البصر
اي مثل ما عندكم هذا القدر لا مشقة تلحقكم به ولا ضرر فكذلك عندنا

ما اروها ان تحفظه فلّ اوكثر كبرا وصغرا لا يلحضا فيه مستفضة ولقد اهلكنا اشياعكم
اشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مذكر متعظ متدبر وكل شيء فعلوه في الزبر
مكتوب في كتب الحفظة كما قال تعالى مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها
وكل صغير وكبير من الاعمال والاقوال والاحوال مستطر في اللوح لانه حفظها اهرها
قبل وقوعها فلا ينبغي لاحد ان يتجاسر على الزلة اذا عرف المحاسبة والمطالبة بالكثرة
والقلة قال بعض السلف من عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه الا فيما يعنيه ان المتقين
في جنات ونهر اي وانهار واكتفى باسم الجنس ومقابلة الجمع بالجمع تقتضي
ان يكون لكل واحد منهم جنة ونهر ولا مانع من الزيادة فان رحمته واسعة
وسيأتي في سورة الرحمن ما يدل على ان لكل واحد اربع جنات في مقعد صدق مكان مرضي
ومجلس حق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث
ابهم على ذوي الافهام والاسرار قال جعفر الصادق مدح المكان بالصدق فلا يقعد فيها
الا اهل الصدق وهو المقعد الذي يصدق الله فيه مواعيد اوليائه بان يبيح لهم النظر الى
وجهه الكريم ويشرفهم بلقائه وقال الواسطي ليس كل من اشتغل بنفسه وتلذذ
بمطعمه ومشربه يكون كان شغله بالحق وانسه والقيام بامره ونظره الى ربه في مقعد
صدق عند مليك مقتدر وقال الاستاد اراد به عندية القربة والزلفة ويقال
مقعد الصدق مكان اهل الصدق والصادق في عبادته من لا يتعبد على ملاحظة الاطماع
والاغراض ومطالبة الاعواض ويقال من صدق في العبودية تخرج عن المقاصد الدنية
ويقال من اشتغل بالدنيا حجبته الدنيا عن الاخرى ومن اسره نعيم الجنة حجب عن القيام بالحقيقة
ومن قام بالحقيقة شغل عن الكون بالكلية **سورة الرحمن مكية او مدنية او بعضها وهي ست وسبعون آية**
بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله اخبار عن عزه وعظمته الرحمن الرحيم
اخبار عن فضله ورحمته فبشهود عظمته يكمل سرور الارواح وبوجود رحمته يحصل نعيم
الاشباح ويقال لولا رحمته ما عبد الرحمن عابد ولولا رحمته لما احب الرحمن واحد
الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعدد النعم الدنيوية والاخروية
صدرها بالنعت الرحمانية وقدم ما هو اصل النعم الدينية وهو انعامه على الانسان
بانزال القرآن واكرامه بتعليمهم افصح البيان خلق الانسان علمه البيان ومنيزه به
عن سائر الحيوان وهو التعبير باللسان عما في الضمير من اسرار الجنان قيل علم الارواح
القرآن قبل اجساد الانسان والاشباح تعلمته تبعا للارواح قال الواسطي
انما ذكر التعليم بلفظ الماضي عناية ورعاية وقال ابن عطا لما قال تعالى وعلم آدم
الاسماء كلها اراد ان يخص الله محمد صلى الله عليه وسلم بخاصية مثل ذلك الدنيا فقال
الرحمن علم القرآن اي الذي علم آدم الاسماء وفضله على ملائكة السماء هو الذي
علمكم القرآن وفضلكم على سائر امم الانبياء فقيل له متى علمهم قال علمهم حقيقة في الازل

حين ارادوا

حين ارادوا اظهر عليهم تعليمه وقت الايجاد وقال جنيد خلق الانسان جاهلا
باله وعليه فعلمه السبيل اليه قال الواسطي للانسان شيئان ذكر وفكر فان كان ذكره
وفكره الى حظ نفسه انقطع عن ربه ومقام قدسه وان كان ذكره وفكره منه وبالله
ومع الله اتصل بالله في مقام انسه وكلما ازداد ذكرا وفكرا ازداد قربا وعلما ونورا
وحضورا وقال الاستاد اي الرحمن الذي عرفه الموحدون وانكره الملحدون هو الذي علم
القرآن ويقال الرحمن الذي رحمهم وعن الشرك عصمهم وبالايمان اكرمهم وكلمة التقوى
الزمهم هو الذي عرفهم بالقرآن وعلمهم ويقال سقيا لايام مضت من الزمان قبل
تعلمنا القرآن • اتاني هواها قبل ان اعرف الهوى • فصادف قلبا فارغا فتمكنا •
فبرحمته علمهم القرآن وبرحمته وصلوا الى القرآن لا بقراءة القرآن وصلوا الى رحمة
الرحمن ويقال البيان هو الذي خص به الانسان وميز عن الحيوان حتى علموا كيف
يخاطبوا امثالهم واشكالهم في سائر الاحيان واما اهل المعرفة والايمان فبيانهم
تعليمه اياهم كيف يخاطبون مولاهم وبيان العبد مع الرب مختلف فقوم يخاطبونه
بلسانهم وقوم بجنانهم وقوم بانفاسهم وقوم بدموعهم وقوم بانينهم وحنينهم
الشمس والقمر بحسبان يجريان بحساب مقدر يعرف بهما الزمان قال الاستاد
وكذلك لشموس المعارف واقمار العلوم في طلوعها في ابراج القلوب والاسرار
في حكم الله وتقديره حساب معلوم يجريها على ما سبق به الحكم في حدها والنجم
النبات الذي لا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان ينقادان لله
فيما يريد بهما طبعا انقيادا الساجد من المكلفين طوعا عبر النجم في عالم النماء
والشجر في مقام النماء يسجدان لمبدعهما ومبدعهما سجود دلالة على اثبات
صانعهما والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها محل اقضيته
ومنزل ملائكته وقال الاستاد سمك السماء فاعلاها وعلى وصف الاتقان
والاحكام بناها والنجوم فيها اجراها ورتب كواكبها وحفظ عن الاختلاف
مناكبها واثبت على ما شاء مشارقها ومغاربها ووضع الميزان اي العدل
لا متحالا حتى يوفر كل مستعد مستحقه ويوفي كل ذي حق حقه لينتظم امر العالم
وتستقيم احوال بني آدم كما قال صلى الله عليه وسلم بالعدل قامت السموات
والارض او اريد بالميزان ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال
ونحوهما فكانه لما وصف ~~الرتبه~~ السماء بالرفعة التي هي من حيث انها
مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت
ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب في هذا الدار الا تطغوا
في الميزان بان لا تعتدوا الانصاف ولا تتجاوزوا حد الالطاف واقيموا
الوزن بالقسط بالتسوية والعدل مع جواز الزيادة بالاحسان والفضل

ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه عن معيار اهل الزمان وافاد الاستاذ ان
تغيير العدل وترك الحيف ومجاوزة الحد في كل شيء ففي الاعمال تغيير الاخلاص
وفي الاحوال الصدق وفي الانفاس الحقائق ومساواة الظاهر والباطن وترك
المداهنة والمكر والخديعة ودقائق الشرك وخفايا النفاق وغوامض الخيانة
والارض وضعها خفضها ودحاها ومهدها وهياها للانام للثقلين والانعام وقال
الاستاذ وضعها على الماء وبسط اقطارها وانبت اشجارها وازهارها واجرى انهارها
واغطش ليلها واوضح نهارها وانبت اثمارها فيها فاكهة كثيرة انواعها غزيرة
اصنافها وقال الاستاذ يعني اصنافها في اختلاف الوانها وطعومها وارايحها
ونفعها وضرها وحرارتها وبرودتها وغير ذلك من اختلاف حبها ونورها وورقها
وشجرها والنخل ذات الاكمام اوعية التمر جمع كم بالكسر او القنو او ليفها وسعفها
مما يغطيها قال جعفر الصادق جعل الحق قلوب اوليائه رياض انسه وبهاء كبريائه
فغرس فيها اشجار المعرفة اصولها ثابتة في اسرارهم وفروعها قائمة بالحضرة في
مشهد انوارهم فهم يجتنون منها ثمار الانس في كل اوان من رياض القدس وهو
قوله فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام اي ذات الالوان يجتني كل احد منه لونا
عن قدر سعيه في البداية او النهاية وما كشف له من انوار المعرفة واسرار الولاية
والحب كالحنطة والشعير والذرة مما يتغذى به الانسان ذو العصف صاحب
ورق النبات اليابس كالتبن مما ينتفع به الحيوان والريحان يعني المشموم
او الرزق المعلوم وقرا ابن عامر والحب ذا العصف والريحان بنصب الثلاثة
عطفا على الانسان وقرا حمزة والكسائي والريحان بالخفض عطفا على
العصف قال الاستاذ ذكره عظيم منته عليهم بما خلق لهم من هذه
الاشياء التي ينتفعون بها من انواع الماكولات والمشروبات ونحوها
فباي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليه بقوله للانام
سابقا وقوله ايها الثقلان لاحقا والآلاء النعماء وقال الاستاذ ويقال
الخطاب على عادتهم خليلي وقفا ويقولون ارحلاها يا غلام وازجراها
يا غلام انتهى والمراد ان الخطاب لكل من يصلح في هذا الباب والاول
اظهر في المقصود من التنصيص على جنسي المكلفين كما سيجيء مصرحا به
في قوله تعالى يا معشر الجن والانس ولما ورد عنه انه عليه السلام لما قرا هذه السورة
على صحابه الكرام وكانوا ساكتين في مجلس الاحترام فقال للجن احسن منكم
في جواب الكلام حيث ما قرات عليهم قوله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان في كل
مقام الا وقد قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد خلق الانسان
اي آدم ابا البشر من صلصال طين يابس له صلصلة عند الحركة وقلقلة

كالفخار

كالفخار كالخزف المطبوخ بالنار وقد خلق الله آدم عليه السلام من تراب
جعله طينا ثم حماء مسنون ثم صلصالا وبين ذلك موضع من احواله حالا وخلق
الجان ابا الجن من مارج صاف من الدخان الحاصل من نار والحاصل ان
الجزء الترابي غالب في عناصر الانسان والناري في الجان فباي آلاء
ربكما تكذبان مما افاض عليكما في اطوار الخلقة لديكما حتى صيركما افضل المركبات
وخلاصة المكونات وقال الاستاذ ذكر الله سبحانه آدم لنسبته ونسبنا ذكر
ما نسبتنا لئلا يعجب بحالتنا ويقال عرفه قدره لئلا يعدو طوره رب المشرقين
ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فباي آلاء ربكما
تكذبان مما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف
الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل من النعماء وقال سهل مشرق القلب
ومغربه ومشرق اللسان ومغربه وقيل مشرقه توحيده ومغربه مشاهدته
ورب المشارق الجوارح المستعملة بالاخلاص ومغاربها بالطاعة لله
على طريق الاختصاص مرج البحرين ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان
يتجاوران بينهما برزخ حاجز من قدرته سبحانه لا يبغيان فباي آلاء ربكما
تكذبان لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان
حديهما باغراق ما بينهما من طرفيهما وقال سهل هو امر الخير وامر الشر بينهما
برزخ وهو العصمة وتوفيق الطاعة وقال ابن عطا بين العبد وبين الله تعالى
بحران عميقان احدهما بحر النجاة وهو القرآن من تعلق به نجا لان الله تعالى
يقول واعتصموا بحبل الله جميعا وثانيهما بحر الهلاك وهو الدنيا فمن ركن
اليها هلك لديها يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان كبار الدر وصغاره وقيل المرجان
الخرز الاحمر وهو على لسان العامة اشهر والمباينة به اظهر وقرا نافع وابو عمرو
بصيغة المفعول فباي آلاء ربكما تكذبان وافاد الاستاذ ان في الاشارة خلق
في القلوب بحر الخوف والرجاء ويقال القبض والبسط ويقال الهيبة والانس
ويخرج منهما الجواهر من الاحوال الصافية واللطائف المتوافية ويقال البحران
في الاشارة النفس والقلب فالبحر العذب القلب والملح النفس فمن بحر القلب
كل جوهر ثمين وحالة لطيفة ومن النفس كل خلق ذميم بينهما برزخ لا يبغيان
يصون الحق هذا من هذا حتى لا يبغي هذا على هذا وله الجوار السفن الجارية
المنشآت المرفوعات الشرع وقرا حمزة وابو بكر بخلاف عنه بكسر الشين
اي الرافعات الشرع بالنسبة المجازية في البحر كالاعلام كالجبال الطوال فباي
آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفينة والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها
واجرائها في البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها غيره سبحانه كل من عليها فان

اى من على الارض من الحيوانات او الكائنات لانّ كلّها هالك بحسب
الذات ويبقى وجه ربّك ذاته ذو الجلال والاكرام ذو الاستغناء التامّ والفضل
العامّ هذا ولو استقريت جهات الموجودات وتفحّصت وجوه الممكنات وجدتها
باسرها فانية فى حدّ ذاتها الّا وجه الله تعالى اى الّا الوجه الذى يلى جهته قال ابن عطا
من يكون مقيما على اتباع هواه فهو فانٍ هالك من حيث لا يشعر وافاد الاستاد انّ الوجه
صفة الله سبحانه لم يدلّ عليه العقل قطعا ودلّ عليه جوازا والخبر ورد بكونه قطعا ويقال
فى بقاء الوجه بقاء الذات لانّ الصفة لا تقوم بنفسها وفائدة تخصيص الوجه
بالذكر لانّ ما عداه يعرف بالعقل والوجه لا يعرف الا بالنقل وفى بقائه سبحانه تسلية
للمسلمين عمّا يصيبهم من المصائب ويفوتهم من المواهب فباىّ آلاء ربّكما تكذّبان
ممّا مرّ من بقائه تعالى وابقائه ما لا يحصى ممّا هو على صدد الفناء رحمة وفضلا يسأله
من فى السموات والارض فانّهم مفتقرون اليه فى ذواتهم وصفاتهم وسائر
مهمّاتهم والمراد بالسؤال ما يدلّ على حاجاتهم بعبارة اقوالهم واشارة حالاتهم
وقيل يسأله من فى السموات القوّة على العبادة وهم الملائكة ومن فى الارض
الرزق والعافية وفى جملتهم خواصّ شغلهم ذكره عن سؤاله واغناهم علمه بهم
عن التعريض له بحاله وهم الناظرون اليه بالاسرار الذى وقع عنه الاخبار عن
سيّد الاخيار انه سبحانه يقول من شغله ذكرى عن مسألتى اعطيته افضل ما اعطى
السائلين كلّ يوم هو فى شأن كلّ وقت وآن هو سبحانه باعتبار آثار صفاته
واظهار مصنوعاته يحدث اشخاصا ورجالا ويجدّد احوالا على ما سبق به قضاؤه
ازلا وفى الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين
وقيل معناه سوق المقادير الى اوقاتها وقيل شئون يبديها لا امور يبتديها
فباىّ آلاء ربّكما تكذّبان اى ممّا يسعف به سؤالكما وما يخرج لكما من مكمن العدم الى
صحن الوجود حينا فحينا ممّا يجرى احوالكما وافاد الاستاد ان اهل السموات يسألون
ابدا المغفرة والرحمة واهل الارض يسألونه الرزق والمغفرة اى لا بدّ لكلّ احد منه ولا
يوجد احد يستغنى عنه كلّ يوم هو فى شأن من احياء واماتة وقبض قوم وبسط
قوم وغير ذلك من تغيير فنون اقسام المخلوقات وما يجرى به عليها من اختلاف
الصفات كاظهار مستور واخفاء مشهور وظاهر واحضار غائب وتغييب
حاضر ومن شأنه ان يستر عيبا ويذهب كربا ويطيب قلبا ويقصى عبدا ويدنى وليا
مع عباده كلّ ساعة برّ جديد وستر جديد وبين عبده عن الرقباء بعيده •
بين المحبين سرّ ليس يفشيه • قول ولا قلم للخلق يحكيه ▪ سنفرغ لكم ايّها الثقلان
سنقصد لحسابكم ونتجرّد لجزائكم فى ثوابكم وعقابكم وقرأ حمزة والكسائى بالياء
والثقلان الانس والجنّ سمّيا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رأيهما ومتانة قدرهما

اولانهما

او لانهما مثقلان بتكليف اوامرهما ونواهيهما يا معشر الجنّ والانس ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ان قدرتم ان تخرجوا من جوانبهما وطرفيهما
هاربين من الله فارّين ممّا قضاه فانفذوا فاخرجوا من املاكه لتخلصوا من هلاكه
لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الّا بسلطان الّا بقهر وقوّة وانّى لكما
تلك القدرة فباىّ آلاء ربّكما تكذّبان ممّا نصب من المدارج العقلية والمعارج
النقلية فتنفذون بها الى ما فوق السموات العليّة من الحالات الجليّة
يرسل عليكما شواظ لهب من نار ونحاس دخان او صفر مذاب وقرأ ابن
كثير بكسر الشين بالجرّ عطفا على نار ووافقه ابو عمرو فيه فلا تنتصران فلا تمتنعان
جزاؤكما حيث ما كنتما على البلاء تصبران ولا على النعماء تشكران فباىّ آلاء ربّكما
تكذّبان فانّ التمييز بين المطيع والعاصى بالجزاء والانتقام من الاعداء
من عداد الآلاء فاذا انشقّت السماء فكانت وردة اى كوردة حمراء كالدهان
كالاديم الاحمر فى نظر الانسان فباىّ آلاء ربّكما تكذّبان اى ممّا يكون بعد ذلك
الزمان فيومئذ حين تنشقّ السماء لا يسأل عن ذنبه انس ولا جانّ لانهم
يعرفون بسيماهم وذلك حين يخرجون من قبورهم واما قوله فوربك لنسألنهم
ونحوه فحين يحاسبون فى المجمع من ماويهم والهاء للانس باعتبار اللفظ
فانه وان تأخّر لفظا تقدّم رتبة فباىّ آلاء ربّكما تكذّبان اى ممّا انعم الله على
عباده المؤمنين فى يوم الدين يعرف المجرمون بسيماهم وهو ما يعلوهم من
الكآبة والحزن على جباههم او بسواد وجوههم وزرقة عيونهم وغير ذلك
من الاعلام فيؤخذ بالنواصى والاقدام جمعا بينهما او تارة وبافيهما او يجمع
يؤخذون بالنواصى وقوم بالاقدام فباىّ آلاء ربّكما تكذّبان اذا تخلّصتما من هذه
الآلام هذه جهنّم التى يكذّب بها المجرمون يخاطب به المؤمنون فى الدنيا تخويفا
وفى العقبى تشريفا يطوفون بينها بين نار جهنّم التى يحرقون بها وبين حميم
ماء حارّ آن بالغ النهاية فى الحرارة يصبّ على رؤسهم او يسقون
منه فى كؤسهم وقيل اذا استغاثوا من نار الجحيم اغيثوا بالماء الحميم
فباىّ آلاء ربّكما تكذّبان اذا خلّصكما عنها بفضله الكريم ولمن خاف مقام ربّه
موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب فى المعاد او قيامه على احواله واطلاعه
على اعماله قال بعضهم هو المقام الذى يقوم بين يدى ربّه يوم القيامة عند كشف
الستور وظهور حقايق الامور والكلّ من الانبياء والاولياء فى حال السكوت
لظهور الجبروت والعظموت فى الملك والملكوت قال ذو النون علامة خوف الله
ان يؤمنك خوفه من خوف ما عداه جنّتان جنّة للخائف الجنّى وجنّة
للخائف الانسى والمعنى ولكلّ خائفين منكما او لكلّ واحد جنّتان جنّة لعقيدة

واوفى لعبادته اوجنة لفعل الطاعات وجنة لترك السيئات اوجنة لعلمه وجنة لعمله اوجنة لصبره وجنة لشكره اوجنة على سبيل العدل وجنة من طريق الفضل اوروحانية وجسمانية اوجنة معجلة فى الدنيا من حلاوة الطاعة ومؤجلة فى العقبى وهى جنة المثوبة ثم هم يختلفون فى جنات الدنيا على مقدار حالاتهم كما يختلفون فى جنات الاخرى على تفاوت درجاتهم فباى آلاء ربكما تكذبان مما وضع لكما من مقاماتهم ذواتا افنان جمع فن اى انواع من الاشجار والاثمار اوجمع فنن اى اغصان مشتملة على الازهار والانوار فباى آلاء ربكما تكذبان مما ظهر لكم من الاسرار فيهما عينان تجريان حيث شاؤا فى الاسافل والاعالى من المكان اوحديهما التسنيم والاخرى السلسبيل ويقال فيهما عينان تجريان لمن له اليوم عينان تجريان فباى آلاء ربكما تكذبان امن نعم الظاهرية ام من النعم الباطنية فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان غريب ومعروف اورطب ويابس فباى آلاء ربكما تكذبان بالمنن الحسية اوالنعم المعنوية متكئين على فرش بطائنها من استبرق وديباج ثخين فما ظنك بالظهارة فان لها الديباج الثمين وليس شئ فى الجنة مما يشبه ما فى الدنيا الا فى الصورة وانما خاطبهم ربهم على قدر افهامهم ومتكئين مدح للخائفين وجنى الجنتين اى مجتنى اشجارهما من اثمارها وازهارها دان قريب يناله القاعد والراقد من غير معاناة لها حتى لو ارادوا ان يدنوا الى افواههم تناولوه من غير مشقة تنالهم وافاد الاستاد ان فى الخبر المسند ان من قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر غرس الله بها شجرة فى الجنة اصلها الذهب وفرعها الدر وطلعها كثدى الابكار الين من الزبد واحلى من العسل كلما اخذ منها شيئا عاد كما كان وذلك قوله وجنى الجنتين دان فباى آلاء ربكما تكذبان ابالاشجار الزاكية ام بالاثمار الوافية فيهن اى فى الجنان فان جنتان تدل على جنان هى للخائفين قاصرات الطرف نساء من حور عين وغيرهن قصرن ابصارهن على ازواجهن لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان قبلهم اى قبل رجال اهل الجنة فى الجنة وقرا الكسائى بضم الميم قال سهل من قصر طرف عينه عن الحرام والشبهات فى الدنيا اعطاه الله قاصرات الطرف فى العقبى وقال الاستاد واذا كانت الزوجات قاصرات الطرف عن غير ازواجهن فاولى بالعبد اذا رجا لقاء مولاه ان يقصر طرفه ويغضه عن غير المباح بل عن الكل الى ان يلقاه ويقال من الاولياء من لا ينظر اليهن وان ابيح له ذلك لتحرزه عن الشهوات ولعلو همته عن ملاحظة المخلوقات وانشدوا • جننا على ليلى وجنت بغيرنا • واخرى بنا مجنونة لا نريدها • فباى آلاء ربكما تكذبان انساء العقبى وهى الحور العين اومن نساء الدنيا فى الجنة فانها اكمل فى مقام الحسن والتزيين كانهن الياقوت فى حمرة الوجنة والمرجان فى بياض البشرة اوفى صفائها وصفائهما وقال الكاداى فى صفاء

الياقوت ولون المرجان فباى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان فى الطاعة الا الاحسان المثوبة فى الجنة وقال جنيد هل جزاء من ترك الكل لنا وفينا الا ان نكون عوضه عن الكل فضلا منا وهل جزاء من عاملنا على المشاهدة فى دنياه الا ان نكرمه بالنظر الينا فى دار عقباه واصل الاحسان قوله عليه السلام ان تعبد الله كانك تراه وقال ابن عطا هل جزاء الهداية فى البداية الا الانقطاع عما دونه والظفر به فى النهاية وهل جزاء من احسنت اليه فى الازل الا حفظ الاحسان عليه الى الابد وافاد الاستاد انه يقال الاحسان الاول من الله والثانى من العبد اى هل جزاء من احسنا اليه بالنعمة الا ان يحسن لنا الخدمة وهل جزاء من احسنا اليه بالولاء الا ان يحسن لنا بالوفاء ويصح ان يكون الاحسان الاول من العبد والثانى من الله اى هل جزاء من احسن من حيث الطاعة الا ان يحسن اليه من حيث المثوبة وهل جزاء من احسن من حيث الخدمة الا ان يحسن اليه من حيث النعمة ويصح ان يكون كلا الاحسانين من الحق اى هل جزاء من احسنا اليه فى الابتداء الا ان يحسن اليه فى الانتهاء وهل جزاء من فاتحنا باللطف الا ان نربى ذلك بالفضل والعطف ويصح ان يكون كلاهما من العبد اى هل جزاء من امن بنا الا ان يثبت فى المستقبل على ايماننا وهل جزاء من عقد معنا عقد الوفاء الا ان لا ينقضه بنكث الجفاء ويقال هل جزاء من بعد من نفسه الا ان نقربه منا وقت انسه ويقال هل جزاء من فنى عن نفسه الا ان يبقى بنا بعد قدسه ويقال هل جزاء من رفع الينا خطوة الا ان نكافئه بكل خطوة مائة الف خطوة ويقال هل جزاء من حفظ طرفه لدنيا الا ان نكرمه بالنظر الينا فباى آلاء ربكما تكذبان اى من انواع الاحسان واصناف الامتنان ومن دونهما جنتان ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين وقال الاستاد اى من غير هاتين اللتين المذكورتين جنتان اخريان وليس يريد دونهما فى الفضل انتهى ولا يبعد ان يقال الاوليان من باب العدل والاخريان من طريق الفضل فباى آلاء ربكما تكذبان ابالجنتين الاوليين اوالاخريين مدهامتان فباى آلاء ربكما تكذبان خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة فان الدهمة السواد فى اصل اللغة فباى من الازهار والانوار فيهما عينان نضاختان فباى آلاء ربكما تكذبان فوارتان بالماء لتشتمل على حسن الهواء وفيه ايماء الى كثرة الماء فى النماء فيهما فاكهة ونخل ورمان فى عطفهما بيان لفضلهما فان ثمرة النخل فى الدنيا فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء واحتج به ابو حنيفة على من حلف لا ياكل فاكهة فاكل رطبا اورمانا لم يحنث لان الاصل فى العطف المغايرة ولان بناء الايمان على عرف اهل الزمان وهو مختلف فى كل زمان ومكان

فباى آلاء ربكما تكذبان اى من جرى الانهار او من كثرة الاثمار فيهن خيرات مخفف
خيرات وقرئ به حسان فى الخلق والخلق فباى آلاء ربكما تكذبان اى من حسن الصورة
من جميل السيرة حور مقصورات فى الخيام قصرن فى خدورهن او مقصورات الطرف
على ازواجهن فى قصورهن واما الاستاد فانهن لمن هو مقصور الجوارح عن الزلات مقصور
القلب عن الغفلات مقصور السر عن مساكنة الاشكال والاعلال وملاحظة الاشباه
والامثال وفى التفاسير ان الخيمة من درة مجوفة فرسخ فى فرسخ لها الف باب قصرن انفسهن
وقلوبهن وابصارهن على ازواجهن يقلن نحن الناعمات فلا نبأس الخالدات فلا نبيد الراضيات
فلا نسخط وفى الخبر ان عائشة رض قالت ان المؤمنات اجبنهن نحن المصليات وما صلين
ونحن الصائمات وما صمن ونحن المتصدقات وما تصدقن قالت عائشة فغلبنهن
فباى آلاء ربكما تكذبان ابنعمة الخيام فى القصور ام بنعمة قصور نظر الحور لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان كحور الجنتين الاولين فباى آلاء ربكما تكذبان ابنعمة لطافتهن ام بنعمة
بكارتهن متكئين على رفرف وسائد عظيمة ومسانه وسيعة وعبقرى ثوب موشى
مزين منسوب الى عبقر يزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب
والمراد به الجنس فى المعنى ولذا جمع حملا على المعنى قوله حسان فباى آلاء ربكما تكذبان
ابنعمة اللباس الطاهرة ام بنعمة الفراش الطاهرة تبارك اسم ربك تعالى اسمه
وتعظم رسمه وتكاثر خيره وتواتر بره من حيث انه من صفاته يطلق على ذاته فما ظنك
بذاته ذى الجلال والاكرام صاحب الجلال والجمال الحاوى لنعوت الكمال وقرأ ابن عامر
بالرفع صفة للاسم قال بعضهم جل ربك وتنزه وعظم قدرته عما يقول فيه المبطلون جميعا
لان كل من يثنى عليه بقدر حالته وكل ذاكر يذكره على مقدار طاقته وعلمه وطبعه وفهمه والحق
تعالى خارج عن اوهام المخلوقات لان الثناء والمعارف دون الغايات فسبحانه
ما اثنى عليه حق ثنائه غيره وما وصفه بما لا يليق به سواه عجزت الانبياء باجمعهم عن
ذلك حتى قال اجلهم قدرا وارفعهم محلا لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك

سورة الواقعة مكية وهى سبع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد اسم عزيز ازلى جبار صمدى قهار احدى
لكنه للمؤمنين ولى وبالعاصين خفى ليس له فى جماله كفو ولا فى جلاله سمى اذا وقعت
الواقعة اذكر اذا قامت القيمة سماها واقعة لتحقق وقوعها ليس لوقعتها لاجل
مجيئها كاذبة نفس كاذبة فان من اخبر عنها صدق فيها خافضة لقوم رافعة
لقوم والنسبة مجازية والمراد بيان ما يكون عند حلول تلك القضية من خفض الله
اعداءه ورفعه اولياءه قال ابن عطا يخفض اقواما بالعدل ويرفع اقواما بالفضل
وقال سهل يخفض قوما بالدعاوى ويرفع قوما بحقايق المعانى وقيل يخفض النفس ويرفع
القلب وقيل يخفض قوما بالكسب والطلب ويرفع قوما بالتوكل على الرب واما الاستاد

ان الكاذبة ههنا مصدر كالعافية والعاقبة اى ليس فى وقوعها ريبة وشبهة
خافضة لاهل الشقاق رافعة لاهل الوفاق خافضة لاهل الشهوة رافعة لاهل
الصفوة خافضة لمن جحد رافعة لمن وحد اذا رجت الارض رجا بدل من اذا وقعت
اى اذا حركت تحريكا شديدا له اهوال بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبال
وبست الجبال بسا اى سيرت فى الهواء سيرا منتشرا فكانت هباء منبثا
فصارت غبارا منتشرا وكنتم يومئذ ازواجا اصنافا ثلاثة تفصيله
قوله فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة
اى الذين يؤتون صحايفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب
المنزلة السنية واصحاب المرتبة الدنية او اصحاب اليمن والشؤم فان السعداء
ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم او الذين هم
عن يمين العرش وشماله او الذين كانوا على يمين آدم عليه السلام عند اخراج الذرية
عن ظهره وعلى شماله او الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى دار القرار والذين
يؤخذ بهم ذات الشمال الى دار البوار والجملتان الاستفهاميتان خبران
لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير فاستغنى عن الرابط لهما والمعنى لا تسأل
عن احوالهما واهوالهما فى مآلهما والسابقون السابقون اى الذين سبقوا
الى الايمان والطاعات او سبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات هم الذين
عرفت حالهم وعلمت مآلهم كقول ابى النجم وشعرى شعرى او الذين سبقوا الى الجنات
وما فيها من الدرجات العاليات اولئك المقربون فى جنات النعيم اى
الذين قربت درجاتهم فى الجنة واعليت منازلهم فى الرتبة وفى تفسير السلمى
هم الذين سبق لهم من الله الولاية قيل كونهم هم المقربون فى منازل الهداية
وقال القاسم اضاف الله تعالى الافعال الى عباده بقوله والسابقون السابقون
ثم قال اولئك المقربون ولو لم يكونوا مقربين لما كانوا سابقين ولو كان الافعال
اليهم حقيقة لكانوا متقربين ولم يكونوا مقربين وقال الاستاد اى السابقون
الى الخصال الحميدة هم السابقون الى الافضال العديدة ويقال السابقون
بصدق القدم او السابقون بعلو الهمم ويقال الذين سبقت لهم
من الله الحسنى سبقوا الى ما سبق لهم من المنى وقال تعالى اولئك
المقربون ولم يقل المتقربون وهذا عين الجمع ليعلم الكافة انهم سبقوا
بتقريب ربهم لا بتقربهم فهم مقربون من بساط القربة وانى بالبساط
ولا بساط هناك ولا انبساط مقربون من حيث الكرامة لا من طريق
المسافة مقربون بنفوسهم من الجنة وبقلوبهم من بساط المعرفة والحق
عزيز لا قرب ولا بعد ولا وصل ولا فصل ثلة من الاولين اى هم جماعة

كثيرة من الامم الماضية وقليل من الآخرين يعني امة محمد عليه السلام الى تمام الازمنة
الآتية وقالت عائشة رضي الله عنها الفرقتان في امة كل نبي في صدرها ثلثة وفي آخرها
ثلثة اوهم كثير من متقدمي هذه الامة وقليل من متأخري هذه الملة وعليه كثير من
الائمة وروي مرفوعا انهما من هذه الامة والمعنى ثلة من الاولين المتقدمين من السلف
وقليل من الآخرين المتأخرين من الخلف على سرر موضونة منسوجة بالذهب
الفاخر مشبكة بالجواهر قال الاستاد جاء في التفسير ان طول كل سرير ثلثمائة
ذراع فاذا اراد الجلوس عليه اتضع واذا استوى عليه ارتفع متكئين عليها
متقابلين وجوه بعضهم الى بعض ليس احد وراء احد قال الاستاد وصفهم
بصفاء المودة وتهذيب الاخلاق في الجنة يطوف عليهم للخدمة والطائف
الخادم الذي يأتيك بالرفق واللينة ولدان مخلدون غلمان مبقون ابدا على
هيئة الولدان وطراوتهم في الابدان وقيل مخلدون مقرطون وفي الحديث اولاد
الكفرة خدام اهل الجنة باكواب واباريق حال الشرب وغيره والكوب اناء بلا عروة
ولا خرطوم والابريق بخلافه كما هو معلوم وكأس من معين من خمر جار لا يصدعون
عنها بخار والمعنى انه لا ينشأ عنها صداعهم ولا ينزفون لا يذهب عقولهم
ولا ينقص علومهم او لا ينفد شرابهم ويؤيده انه قرأ الكوفيون بكسر الزاي
وقال الصادق لا يذهل عقولهم عن موارد الحقائق عليهم ولا تغيب عن
مجلس المشاهدة اي بسبب ورود موائد الوصلة لديهم وفاكهة مما يتخيرون
اي يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون او يتلذذون وحور عين عطف
على ولدان وقرأ حمزة والكسائي بالجر عطفا على جنات اي اولئك في جنات
نعيم ومصاحبة حور عين كامثال اللؤلؤ المكنون المصون عما يضربه في الصفاء
والنقاء والضياء جزاء بما كانوا يعملون جوزوا جزاء باعمالهم على وفق احوالهم
وحسب آمالهم في تحسين مآلهم وقد روي ان درجات الجنة على قدر الاعمال
واما نفس دخولها فبالرحمة والافضال لا يسمعون فيها لغوا عبثا او ما يقتضي
لوما ولا تأثيما ما يوجب اثما الا قيلا قولا سلاما سلاما بدل من قيلا لقوله
تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما والتكرير للاعلام بفشو السلام وقيل سلاما
نعت لقيلا اي الا قولا سالما فيشمل السلام وسائر الكلام وهو اولى في مقام
المرام والظاهر انه استثناء منفصل او متصل والمعنى لا لغو فيها الا السلام
ومن المعلوم ان السلام ليس من لغو الكلام فلا لغو في ذلك المقام فهو من قبيل
تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع
الكتائب قال سهل ما هناك مشهد لغو ولا مكان اثم ولهولانه محل قدس بالانوار
للمقدسين من العباد في الاسرار فلا يظهر منهم ولا عليهم الا ما يصلح لمقامهم

وقال ابن عطا

وقال ابن عطا سلم بساط القربة عن اللغو والاثم لانه محشو بالانس مكشوف
لاهلها عن محل السلامة في مجلس القدس وسماع السلام على درجات فمنهم من يكون من
اهل سلام الجنس من الجن والانس ومنهم من يكون من اهل سلام الملائكة ومنهم من يكون
من اهل سلام الحق على مراتبهم وفق مناقبهم واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين المراد بهم الابرار
دون المقربين في سدر مخضود لا شوك له من حمله او منثني اغصانه من كثرة حمله وطلح
وشجر موز منضود متراكم بالحمل من اعلاه الى اسفله وظل ممدود اي منبسط ففي الصحيحين
ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها اقرؤا ان شئتم وظل ممدود قيل
دائم وافاد الاستاد انه كوقت الاسفار وماء مسكوب مصبوب سائل جار على الارض
من غير اخدود واين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب وتعيين حدود وفاكهة كثيرة الاجناس
غزيرة الانواع والاصناف لا مقطوعة في زمان عنهم ولا ممنوعة في مكان منهم
قال الصادق لم يقطع عنهم التأييد والمعونة ولو قطع عنهم لهلكوا ولم يمنعوا
من السماع تلذذا بمجاورة الحق ولو منعوا من ذلك لاستوحشوا هنالك وفرش
مرفوعة رفيعة القدر والمرتبة او منضدة مرتفعة ففي الحديث ارتفاعها ما بين
السماء والارض رواه الترمذي وقيل الفرش النساء فان العرب تسمي المرأة فراشا
ويدل عليه قوله انا انشأناهن انشاء اي ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء
واعادة فهن للحور العين وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا
رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن
ابكارا فلما سمعت رسول الله عائشة قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس هناك وجع وقد قالت عجوز لرسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة
فقال ان الجنة لا يدخلها العجائز فولت وهي تبكي فقال عليه السلام اخبروها انها
يومئذ ليست بعجوز وقرأ الآية والحديث رواه الطبراني والترمذي مطولا وفيه
انهن افضل من الحور العين لصلاتهن وصيامهن كفضل الظهارة على البطانة
وان من يكون لها ازواج في الدنيا تخير فتختار احسنهم خلقا وعلى هذا التقدير
فالمعنى اعدنا انشاءهن واما على القول بان الفرش على ظاهر معناه فالضمير
لما دل عليه سياق الكلام ومبناه من ذكر الفرش ومقتضاه فجعلناهن
اي خلقناهن او صيرناهن ابكارا اي استمرارا عربا متحببات
لازواجهن او متغنجات في حركاتهن وسكناتهن وسكن راءه حمزة وابو بكر
اترابا مستويات في السن او الحسن خلقا وخلقا فورد في حديث كما رواه
محيي السنة ان اهل الجنة كلهم في كل سن ثلاث وثلثين لاصحاب اليمين
متعلق بانشأنا ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال الاستاد اي جماعة
من اوائل هذه الامة وجماعة من آخريها واصحاب الشمال ما اصحاب

الشمال في سموم في فيح حار ينفذ في المسام وحميم ماء متناه في الحر على الدوام
وظل من يحموم دخان اسود في غاية من الظلام لا بارد فيه الراحة ولا كريم
حسن المنظر او نافع للاستراحة انهم كانوا في الدنيا قبل ذلك من حلول
العقبى مترفين منهمكين في الشهوات واللهوات مستغرقين في اللذات
والغفلات وكانوا يصرون على الحنث العظيم يديمون على الذنب العظيم وهو الشرك
فانه اعظم السيئات وكانوا يقولون في انكار البعث على ما جاء به بعثة النبوة
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون كررت همزة الانكار للمبالغة
في الانكار والاصرار كما دخلت ايضا على الواو العاطفة في قوله او اباؤنا الاولون
وقرأ قالون وابن عامر او بالسكون قل ان الاولين والآخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون
الى ميقات يوم معلوم الاضافة بيانية والمعنى الى ما وقتت به الدنيا من يوم معين
عند الله تعالى ثم انكم ايها الضالون عن التوحيد والنبوة المكذبون
بالبعث والاعادة والخطاب لكفار مكة واضرابهم من اهل الكتاب لآكلون من
شجر من زقوم من الاولى ابتدائية والثانية بيانية وافاد الاستاد انه جاء في التفسير ان
الزقوم شجر في اسفل جهنم اذا طرح الكافر فيها لا يصل اليه الا بعد اربعين خريفا فمالئون
منها البطون اي يأكلون ملء بطونهم من شدة جوعهم فشاربون
عليه من الحميم لغلبة عطشهم وكثرة حرارتهم وتانيث الضمير في منها وتذكيره
في عليه على معنى الشجر ولفظه فانه اسم جنس يؤنث ويذكر فشاربون
اي منه شرب الهيم وقرأ نافع وعاصم وحمزة بضم الشين اي مثل شرب
الابل العطاش التي بها الهيام وهي داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء
ففي الشرب الاول بيان الماهية وفي الثاني لبيان الكيفية والفاء قد تأتي
بمعنى الواو وفي البحر الفاء يقتضي التعقيب في الشربين وانهم لما عطشوا
شربوا من الحميم فازدادوا عطشا فشربوا بعده شربا لا يقع به ري ابدا فهما
شربان من الحميم اختلف صفتاه فعطفت في مبناه هذا نزلهم رزقهم
الذي يعد لهم وفيه تهكم بهم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له يوم الدين يوم
الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ذلك من انواع العناء نحن خلقناكم
ابتداء فلولا تصدقون بالبعث انتهاء فان من قدر على البداءة قدر على
الاعادة وافاد الاستاد انهم يبكون ويعاتبون ويعتذرون ولا يشفعهم
ولا يسمع منهم واشد العقوبات لهم انهم من الام نفوسهم واوجاع اعضائهم
لا يتفرغون الى التحسر على ما فاتهم من ربهم ويقال اشد البلاء على هذه الطائفة
اليوم على قلوبهم خوفهم من ان يشغلهم غدا بمقاساة آلامهم عن التحسر
على ما تكدر عليهم من المشرب في هذه الطريقة وهذه محنة لا شيء اعظم منها

على اصحاب الحقيقة وان اصحاب القلوب اليوم يبتهلون اليه ويتضرعون
لديه ويقولون ان احرمتنا مشاهد الانس والوصال فلا تشغلنا بلذات
تمنعنا عن التحسر على ما فاتنا عنك ولا بآلام تشغلنا عن التأسف على ما
عدمنا منك افرأيتم ما تمنون ما تصبونه من النطف في الارحام ءانتم تخلقونه
تصورونه وتجعلونه بشرا سويا فيما بين الانام ام نحن الخالقون اي المقدرون
والمصورون فعلم ان الابداء منا فلا ينكر الاعادة علينا فهم كانوا يقرون
بالنشأة الاولى فاحتج عليهم بهذا على جواز النشأة الاخرى وقد
روي عن علي كرم الله وجهه انه لما قرأ هذه الآية قال بل انت وكذا عند
ما سيأتي في معناها من الآيات الآتية وافاد الاستاد ان هذه الآية
اصل في اثبات الصانع فان اصل خلقة الانسان من قطرتين قطرة من
صلب الاب وقطرة من تربية الام فيجتمع القطرتان في الرحم فيصير
ولدا وينقسم الماآن المختلطان الى هذه الاجزاء التي هي اعضاء الانسان
من العظم واللحم والشحم والعصب والعرق والجلد والشعر ثم تركيبها على هذه
الصورة في الاعضاء الظاهرة ثم في الاجزاء الباطنة وتشكل كل بشكل
آخر وكيفية العظام الى غير ذلك من النظام فليس يخلو اما ان يكون الابوان
يصنعانه وذلك محال لتقاصر علمهما وقدرتهما على ما هنالك وتمنيهما
الولد ثم لا يكون وكراهتهما اياه ويكون والنطفة القذرة محال ان تقدر
نقلها بنفسها الى هذه الصورة لكونها مواتا بعد ولا علم لها ولا قدرة ولا يجوز
من غير صانع بضرورة فلم يبق الا الصانع القديم الحكيم العليم نحن قدرنا
بينكم الموت قسمناه عليكم ووقتنا موت كل بوقت معين لكم فمنكم من
يموت طفلا ومنكم من يموت كهلا وباسباب مختلفة وعلل متفاوتة
وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال من القدر بمعنى التقدير وما نحن بمسبوقين
اي مغلوبين فيسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقت الفوت
او عاجزين على ان نبدل امثالكم على ان نأتي بخلق مثلكم فنخلق بدلكم
وننشئكم فيما لا تعلمون اي وعلى ان نخلقكم فيما لا تعلمونه من الصور كالقردة
والخنازير ويلايم هذا المعنى ما سيأتي من قوله تعالى لو نشاء لجعلناه حطاما
اجاجا فانه يدل على انه سبحانه قادر على خلقه في صورة قبيحة لظاهره وعلى نوع غير
منتفع به وقيل فيما لا تعلمونه من خلوق او خلق قال الواسطي من اسباب الشقاوة
والسعادة ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون فهلا تعتبرون ان من قدر
على البداءة قدر على الاعادة فانها اقل صنعا في العادة وفيه دليل على صحة القياس
لانه مبني على طرف الاعتبار والاستبصار لا سيما قياس الاولى افرأيتم ما تحرثون

تبذرون حبه ءانتم تزرعونه اى تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون وقد ورد لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت رواه ابن جرير وابن ابى حاتم ولعل وجهه انه اسند الزرع الى نفسه والحرث الى غيره الا انه قد يجوز فى اطلاق الزرع على الحرث الذى هو من سببه وافاد الاستاد انه كذلك يدل على اثبات الصانع ووجوه الحكمة فى انبات الزرع وانقسام الحبة الواحدة على الشجرة النابتة منها من قشرها ولحائها وجذعها واغصانها واوراقها واثمارها وازهارها لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما تذروه الرياح ولا ينتفع به الا اشباح من اصحاب الارواح فظلتم فصرتم ودمتم تفكهون تعجبون عن فوت مرادكم او تندمون على اجتهادكم وعن الكسائى التفكه من الاضداد يستعمل فى التنعم والتحزن انا لمغرمون وقرا ابو بكر ءانا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا بل نحن محرومون قوم حرمنا رزقنا ومنعنا رفقنا وقيل محدودون لا مجدودون اى ممنوعون لا محظوظون افرايتم الماء الذى تشربون اى العذب الصالح للشراب ءانتم انزلتموه من المزن اى السحاب ام نحن المنزلون بقدرتنا على خلق الاسباب لو نشاء لجعلناه اجاجا شديد الملوحة فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية المحسنة افرايتم النار التى تورون تقدحون وتوقدون ءانتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشؤن يعنى الشجرة التى منها الزناد فللعرب شجرتان المرخ والعفار يحك احد غصنيها بالآخر فيتناثر منها النار وقيل كل شجرة فيها نار الا العناب نحن جعلناها اى نار الزناد تذكرة تبصرة فى امر البعث والمعاد كما مر فى سورة يس او تذكيرا او نموذجا لنار جهنم ومتاعا للمقوين منفعة للذين ينزلون القواء وهى المفازة من الصحراء وخص بهم لان انتفاعهم بالزناد او بمطلق النار اكثر من انتفاع غيرهم فسبح باسم ربك العظيم اى مجد تسبيح ذاته وتقديس صفاته باستعانة ذكر اسمه العظيم او اسم ذاته الكريم تعجبا وشكرا او تنزيها عما يقولون الحادا وكفرا قال الواسطى فسبحه باسمه فان اسم الشئ هو الشئ بعينه وقال ابن عطا ان الله تعالى اعظم من ان يلحقه تسبيحات غيره او يحتاج الى شئ من امره ولكنه شرف عبيده بان امرهم ان يسبحوه ليطهروا انفسهم من اجل ما ينزهونه به وقال الاستاد اى اسبح بفكرك بحار عقلك وغص بقوة التوحيد تظفر بجواهر العلم فى بحر التفريد واياك ان تقصر فى الغوص عن اهبة الغوص فتغرق فى بحار الشبه ويتلف راس مالك وتخرج من دينك اعتقادك لشبه تداخلك وهذه الآيات التى ذكرها الله سبحانه تمهيد لسلوك طريق الاستدلال اى لمن يكون فى مقام الكمال قال وكما فى الخبر فكرة ساعة خير من عبادة سنة المراد بها هذه الفكرة التى نبه الله عليها فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او التقدير فليس الامر كما قال اهل الكفر اقسم بمواقع النجوم بمساقطها ومغاربها وخص بها لما فى غروبها من زوال اثرها والدلالة

على وجود مؤثر لا يزول تاثيره او بمنازلها فى الدنيا او انتشارها فى العقبى او المراد نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وهو الملائم لقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اى وان هذا الذى اقسمت به قسم عظيم لو تعلمون حق عظمته لما فى المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى بان ينزل عليهم كتابا فيه هدى انه لقرآن كريم كثير المنفعة غزير البركة لاشتماله على اصول العلوم المهمة فى اصلاح معاش العباد وبيان زاد المعاد فى كتاب مكنون محفوظ من الشياطين وهو اللوح او فى مكتوب مكنون محفوظ من الزيادة والنقصان او مثبت فى قلوب اهل اليقين والعرفان وهو المصحف المصون لا يمسه الا المطهرون اى لا يطلع على اللوح الا المنزهون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة المقربون او لا يمس القرآن الا المطهرون من الحدث الاكبر والاصغر ايضا ان اريد به المصحف فهو نفى معناه نهى او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقال بعضهم لا ينال بركته الا من طهره يوم قسمته عن الشقاوة وخلقه يوم خلقه مطهرا من الحرص قال ابن عطاء قوله بمواقع النجوم هو ما ظهر على سر النبى صلى الله عليه وسلم من انوار الحق وزوائد التحقيق مما خص به من الدلائل والقربة التى لم يؤمر باظهارها والاخبار عن اسرارها وفى قوله انه لقرآن كريم يدل على مكارم الاخلاق والاحوال ومعالى الامور وشرائف الاعمال وكريم لنزوله من عند كريم بواسطة كريم الى اكرم الخلق الى اكرم الامم تنزيل من رب العالمين اى هو منزل من عنده لتبليغ عبده الى قومه افبهذا الحديث يعنى القرآن الذى حدث زمان انزاله وتجدد عهده فى ظهور كماله انتم ايها المشركون مدهنون متهاونون به ومداهنون فى قبوله وتجعلون رزقكم اى شكر رزق ربكم الذى هو الماء النازل من السماء انكم تكذبون بانه من الله حيث تنسبونه الى الانواء وهذا المعنى مسند الى النبى كما نقله الامام احمد والترمذى وقال الحسن ومجاهد اى تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن تكذيبكم فلولا اذا بلغت اى النفس الحلقوم وانتم يا اهله حينئذ تنظرون حاله وماله والجملة حالية وكذا قوله ونحن اقرب اليه اعلم بحال المحتضر منكم ايها الحاضرون عبر عن العلم بالقرب الذى هو اقوى سبب الاطلاع لديه ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجرى عليه او لا تعرفون قدرنا ولا تبصرون قربنا وقال الاستاد نحن اقرب اليه منكم بالعلم والرؤية والقدرة ويقال قرب العبد من الحق يكون باستيلاء ذكره وشهوده عليه فينتفى احساس العبد برؤية غيره على حسب انتقاد العلم والاحساس من الاغيار حتى من نفسه فالعبد يتحقق الحق فى سره وهذا انما يكون فى اوان صحوه ولم يؤخذ بعد عن نفسه فاذا اخذ عنه ودخل فى مقام محوه فلا يكون الا الحق فلا قرب هنالك ولا بعد عند ذلك فلولا ان كنتم غير مدينين محاسبين مجزيين او مملوكين مقهورين

ترجعونها ترددون النفس الى مقرها بعد ما بلغت الحلقوم من قهرها وهو عامل الظرف
والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتأكيد في المعنى وهو بما في حيزه دليل جواب
الشرط وهو قوله ان كنتم صادقين والمعنى هلا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم
غير مدينين صادقين في ان لا بعث ولا حساب ولا جزاء من ثواب وعقاب
فاما ان كان المحتضر او المتوفى من المقربين اي السابقين فروح فله استراحة ورحمة
فقد ورد الموت تحفة المؤمن وريحان ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم
وعن محمد بن كعب انه لا يفارق من الدنيا احد من المقربين حتى يؤتى ببعض من ريحان
الجنة فيقبض روحه فيه وفي حديث تميم الداري على ما نقله الترمذي وغيره ينطلق
الى ولي الله ملك الموت مع خمسمائة من الملائكة معهم ضبائر الريحان اصل الريحان
واحد وفي رأسها عشرون لونا لكل لون ريح سوى ريح صاحبه ذكره السيد
الصفوي وقال الضبائر الجماعات واحدتها ضبارة كعمارة وعمائر وقرئ
فروح بضم الراء وقد نسبت اليه صلى الله عليه وسلم والمعنى لهم فيها حيوة دائمة
ورحمة كاملة وفي تفسير السلمي الروح لقلوبهم والريحان لنفوسهم والجنة
لابدانهم وقيل روح في الدنيا وريحان في القبر وجنة نعيم في الآخرة
وقال ابن عطا الروح النظر الى وجهه الكريم والريحان الاستماع
لكلامه القديم وجنة نعيم هو ان لا يحجب العبد عن مولاه اذا قصد زيارته
في مقام العظيم وللمقربين ذلك في الدنيا ايضا روحهم المشاهدة وريحانهم
سرور الخدمة وجنة نعيم الحضور في مقام القربة واما ان كان من اصحاب
اليمين فسلام لك فيقال له سلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب
اليمين من اخوانك المؤمنين اي يسلمون عليك في كل زمان وحين وقال
بعضهم اخبر الله نبيه ان اصحاب اليمين سلموا من درك الشقاء وسوء
القضاء وانهم نالوا الكرامة لحفظهم الامانة وقال الاستاد اي نحن
نخبرك بسلامة احوالهم ويقال امان لك في بابهم فلا تشغل قلبك
بهم واما ان كان من المكذبين فنزل من حميم الضالين في امر دينه
والمراد بهم اصحاب الشمال وعدل عنه بما وصفهم من الاعمال زجرا لغيرهم
عن تلك الاحوال واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به من الآل
فنزل من حميم وتصلية جحيم اي ادخال فيها وعدم خروج منها ان هذا
الذي ذكر في السورة او في شان الفرق المصورة لهو حق اليقين
حق الخبر اليقين او هو حق اليقين وقيل هو من اضافة المترادفين
للمبالغة وقيل من اضافة الصفة الى الموصوف في مذهب الكوفة
فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه سبحانه عما لا يليق بعظمة شانه

وفي البحر

وفي البحر ظهران الباء للتعدية وقد ورد لما نزلت قال عليه السلام اجعلوها
في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وقال
ابن عطا امر الله عباده بتسبيحه وقد سبح نفسه في الازل فغيب فيه
تسبيحه عن عباده فسبحه الخلق على عادتهم الى ان يتحقق تسبيحهم فيصل
تسبيحهم بتسبيحه فيتحقق له التسبيح يعني ازلا وابدا على بيان الحق
ولسان الخلق

سورة الحديد مدنية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد سماع هذا الخطاب شراب
يسقي الحق سبحانه قلوب الاحباب فاذا شربوا طربوا واذا
طربوا انبسطوا ثم لشهود حقه تعرضوا ونسيم قربه استأنسوا وعن
الاحساس بهم غابوا فعقولهم مستغرقة لطفه وقلوبهم مستهلكة
في كشفه سبح لله ما في السموات والارض ذكر التسبيح بلفظ الماضي في
بعض المواضع وفي بعضها بلفظ المضارع اشعارا بان من شان ما اسند اليه
ان يسبحه في جميع اوقات لديه وعدي باللام مع انه معدى بنفسه ايذانا بايقاع
الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه وافاد الاستاد ان التسبيح هو التقديس
والتنزيه ويكون بمعنى سباحة الاسرار في بحار الانوار فيظفرون بجواهر التوحيد
وينظمونها في عقود المعرفة ويرصعونها في اطواق الوصلة ويحتمل ان يكون
بمعنى من فمن في السموات والارض يسبحون له طوعا بتسبيح طاعة وعبادة
وكرها بتسبيح علامة ودلالة ويحتمل ان يكون على ظاهره فما من مخلوق من عين
او اثر الا وهو يدل على الصانع واثبات جلاله واستحقاقه لنعوت كبريائه
وهو العزيز المنيع الحكيم البديع في الصنيع قال القاسم هو الذي لا يدركه
العبارة لتمام عزته ولا يلحقه الاشارة لكمال حكمته وقال الاستاد العزيز المعز
لمن طلبه بل العزيز المقدس عن وجود الوصول به اذ ما وصل من وصل الا الى حظه
ونصيبه وصفته التي تليق به ويقال ما تقلب احد من الساجد والجاحد
الا في قبضة العزيز الواحد وما صرفهم الا من خلقهم ويقال كلفهم ثم على ما شاء
صرفهم لمن مطيع البسه نطاق وفاقه وذلك فضله ومن عاص ربطه بقلبه الخذلان
وذلك عدله له ملك السموات والارض فانه الموجد لها والمتصرف فيها
وفي اهلها يحيي ويميت حسيا ومعنويا وهو على كل شيء ومنها الاحياء
والاماتة قدير تام القدرة قال ابن عطا هو مالك الكل وله الملك اجمع
يحيي من يشاء بالاقبال على الملك ويميت من يشاء بالاشتغال بالملك
وافاد الاستاد ان الملك مبالغة في الملك والملك القدرة على الابداع ولا
مالك الا الله اي بهذا المعنى بالاجماع واذا قيل لغيره مالك فعلى المجاز والاتساع

يحيي النفوس ويميتها ويحيي القلوب باقباله عليها ويميت باعراضه عنها هو الاوّل اى القديم بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء والظاهر باعتبار صفاته ووجود مصنوعاته والباطن حقيقة ذاته والواو والاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين المتقابلين والمتوسطة للجمع بين المجموعين المتكاملين وقدم الاوّل لسبق وجوده وقدم الظاهر لحق شهوده وهو بكل شيء عليم يستوى عنده الجلي والخفي وقال محمد بن الفضل اول ببره وآخر بعفوه وظاهر باحسانه وباطن بستره وغفرانه وقال الواسطى من كان حظه من اسمه الاوّل كان شغله لما سبقه ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مرتبطا بما يستقبله ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى فى سرائره من موائد موارده وقال الصادق هو الذى اوّل الاوّل وآخر الآخر واظهر الظاهر وابطن الباطن فسقط هذه المعانى وبقى هو وقال ابن عطاء من كان شغله الاول كان شغله لما سبق فى سبق الازل من مشيته وقضائه ومنعه وعطائه ومن كان شغله الباطن دهش وذهل وخرس لسانه فلا له عبارة يعبر عنه ولا له اشارة يشير اليه كوشف له على قدر طاقته ودخل عنها فى ساعته الا من تولاه ببره وقام عنه بنفسه وافاد الاستاذ انه الاوّل لاستحقاق صفة القدم والآخر لاستحالة نعت العدم والظاهر بالعلو والرفعة والباطن بالعلم والحكمة ويقال الاوّل فلا افتتاح لوجوده والآخر فلا انقطاع لثبوته وشهوده والظاهر فلا خفاء فى جلال عزه والباطن فلا سبيل الى ادراك حقه ويقال الاوّل بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء والظاهر بلا خفاء والباطن بنعت العلاء وعزة الكبرياء ويقال الاوّل بالخلق والباطن بالرزق والظاهر بالاحياء والباطن بالاماتة والافناء قال تعالى الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ويقال الاوّل بالتعريف والآخر بالتكليف والظاهر بالتشريف والباطن بالتخفيف ويقال الاوّل بالاعلام والآخر بالالزام والظاهر بالانعام والباطن بالاكرام ويقال الاوّل بان اصطفاك والآخر بان هداك والظاهر بان رعاك والباطن بان كفاك ويقال من كان الغالب على قلبه اسم الاوّل كانت فكرته فى حديث سابقته بماذا سماه مولاه وما الذى جرى له فى سابق حكمه واسعده ام اشقاه ومن كان الغالب على قلبه اسم الآخر كانت فكرته فى انه بماذا يختم له حاله والى ماذا يصير مآله اعلى التوحيد يخرج من دنياه ام والعياذ بالله فى دار اخرى غدا مثواه ومن كان الغالب على قلبه اسم الظاهر فاشتغاله بشكر ما يجرى فى الحال من تواتر الاجمال وتحقيق الاحسان وجميل الكفاية وحسن الرعاية ومن كان الغالب على قلبه اسم الباطن كانت فكرته فى استبهام امره عليه وتغيره لديه ولا يدرى افضل

مايعامله به ربه ام مكر ما يستدرجه فيه رتبه هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش سبق عليه الكلام ولعله ذكره هنا تمهيد لمقام المرام يعلم ما يلج فى الارض كالبذور والكنوز والاموات وما يخرج منها كالعيون والمعادن وانواع النبات وما ينزل من السماء كالامطار والملائكة والاقضية وما يعرج فيها كالارواح الطيبة والاعمال الصالحة والدعوات المقبولة وهو معكم بنصرته وعلمه وقدرته اينما كنتم فى مملكته والله بما تعملون بصير فيجازيكم على اعمالكم وفق احوالكم قال سهل يعلم ما يدخل عليه من الفساد والصلاح وما يخرج منها من فنون الطاعة وصنوف الفلاح فيستبان آثارها وتظهر انوارها المكمنة فى الارواح على صحائف الجوارح والاشباح وقال الحسين ما فارق الحق الاكوان ولا قاربها كيف يفارقها وهو موجدها وحافظها وكيف يقارب الحدث وبه قوام الكل وهو بائن عن الكل الا تراه يقول وهو معكم اينما كنتم وافاد الاستاذ انه سبحانه يعلم ما يلج اذا دفن العبد ما الذى كان فى قلب الموحد من اخلاصه وتوحيده وحسرته وحزنه وفى قلب الجاحد من شكه وشركه ووصف مذمومه وما ينزل من السماء على قلوب اوليائه من الالطاف والكشوفات وفنون الاحوال الصافيات وما يعرج فيها من انفاس الاولياء اذا تصاعدت وحسراتهم اذا علت له ملك السموات والارض ذكره مع الاعادة كما ذكره مع البداءة لانه لهما بمنزلة المقدمة والى الله ترجع الامور مردا وتصيرا فنعم المولى ونعم النصير ونعم المسير ونعم المصير يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل باختلاف الزمان وتفاوت الزيادة والنقصان وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها من الامور قال سهل الليل نفس الطبع والنهار نفس الروح فاذا اراد الله بعبد خيرا الف بين طبعه وروحه على اقامة الذكر وادامة الفكر فاظهر بذلك عليه آثار الخشوع وانوار الخضوع وقال ايضا اسم الله الاعظم مكنى عنه فى ست آيات من اوّل سورة الحديد وقال ايضا ليس فى الاسماء من المعنى الا الموفة بالمسمى آمنوا بالله ورسوله وانفقوا اى صدقوا بها وتصدقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التى جعلكم الله خلفاء بالتمكن منها والتصرف فيها فهى فى الحقيقة له لا لكم بل هى عارية عندكم وفيه حث على الانفاق وتهوين للنفس على مكارم الاخلاق قال ابو عثمان الاموال عوارى فى ايدى اربابها فمن ادركه التوفيق انفق من تلك العوارى طلبا لراحة يوم المعاد ومن لم يوفق جمع الى العارية عارية وافنى فيها ايامه حتى يسلمها باجمعها الى من يخلفه فيها بعده من العباد فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير ثواب كثير وزاد الاستاذ فيما افاد لان تخويه الايدى من الحال فى معرض الزوال فالسعيد من صرفه فيما له به فى الآخرة عمارة حاله دون ما يضره وبال مآله وما لكم لا تؤمنون

بالله اى وما تصنعون غير مؤمنين به والرسول يدعوكم الى قربه لتؤمنوا بربكم
وتفوزوا بحظكم والمعنى اى عذر لكم فى ترك الايمان والحال ان الرسول يدعوكم الى
مقام الاحسان وقد اخذ اى ربكم ميثاقكم بالايمان فى عالم الذر قبل ذلكم ان كنتم
مؤمنين اى ثابتين على ايمانكم وقرأ ابو عمرو اخذ بالبناء للمفعول ورفع ميثاقكم
هو الذى ينزل على عبده افضل الكائنات آيات بينات ليخرجكم اى الله او الرسول
او كل منهما به المعبر عنه بالآيات من الظلمات الى النور من ظلمات الجهل والكفر
والكفران الى نور العلم والايمان والاحسان وان الله بكم لرؤف رحيم حيث
نبهكم بالرسول والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقليات ولم يكتف
بما علم فى الازل من احوال الكائنات وما لكم الا تنفقوا واى شئ يمنعكم من ان لا
تصرفوا اموالكم فى سبيل الله فى طريق رضاه ولله ميراث السموات والارض
يرث كل شئ فيهما مما يبقى فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب
فى دار العقبى كان اولى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح مكة او الحديبية
وقاتل اى من قبل فصار من السابقين الاولين والمقربين الافضلين ومن
انفق وقاتل من بعد الفتح فصار من ابرار المؤمنين اولئك اى الاولون اعظم
درجة اى مرتبة فى الجنة ومنزلة فى مقام القربة من الذين انفقوا من بعد
وقاتلوا من بعد الفتح اذ عز الاسلام به وكثر اهل الوفاق وقلت الحاجة الى
المقاتلة والانفاق وسهل امرها بعد ما كان من اشق المشاق ولذا قبل
السابق السابق قولا وفعلا حذر النفس حسرة المسبوق وكلا وعد الله
الحسنى اى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهى الجنة المأوى
والمنزلة الاسنى وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اى وكل وعده الله
الحسنى من الجزاء والله بما تعملون خبير اى بظواهره وسرائره فيجازيكم على
حسب مقداره والآية نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه فانه اول من انفق
فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك قال جعفر
الصادق الارادات القوية السنية للمهاجرين واهل الصفة واما هم وسيدهم
ابو بكر الصديق الاكبر وهم الذين لم يؤثروا الدنيا على الاخرى بل بذلوها ولم يحرصوا
عليها ولم يلتفتوا اليها واعتمدوا فى ذلك على الله وطلبوا رضاه وموافقة
نبى الرحمة فخصهم الله من بين الامة بقوله لا يستوى منكم من انفق من قبل
الفتح من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا من ذا الذى ينفق ماله فى سبيل الله
وطريق رضاه رجاء ان يعوضه فى دنياه او عقباه فانه كمن يقرضه ويأخذ عوضه
وحسن الانفاق بالاخلاص فى الحال وتحرى اكرم المال ومن وجه الحلال وعدم
المن والاذى فى المآل فيضاعفه اى فيعطيه اجره اضعافا كثيرة كما فى آية اخرى

وله اجر كريم ثواب عظيم فى الجنة وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب
الاستفهام باعتبار المعنى المرام فكأنه قال ايقرض الله احد فيضاعفه وقرأ
ابن كثير فيضعفه مرفوعا وابن عامر فيضعفه منصوبا قال سهل اعطى الله العباد
فضلا ثم سألهم قرضا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف مقدر باذكر
يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم من المحنة وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم قدامهم
وبايمانهم وهم اصحاب اليمين بشراكم اليوم جنات اى يقول لهم من يتلقاهم
من الملائكة او الله سبحانه من غير الواسطة بشراكم اى التى تبشرون بها الجماعة والمبشر به
جنات او بشراكم دخول جنات وحصول درجات او بشراكم من الله
جنات تجرى من تحتها الانهار تحت قصورها خالدين فيها مقدرين
خلودها ذلك هو الفوز العظيم من الله فضل الكريم قال سهل نور المؤمن
يسير بين يديه هيبة له فى قلوب الموافق والمخالف فالموافق يعظمه ويعظم شانه
والمخالف يهابه ويخافه وهو من النور الذى جعله الله لاوليائه لا يظهر ذلك النور لاحد
الا انقاد له لكمال ضيائه وذلك من نور الايمان وظهور الاحسان وافاد الاستاد انه
نور يعطى كل احد من المؤمنين بقدر اعمالهم الصالحة وكان لهم هذا النور فى الوصلة
كذلك اليوم لهم فى قلوبهم لا يمشون فى ضيائه ويهتدون بصفائه فقد ورد
المؤمن ينظر بنور الله وقد قال تعالى فهو على نور من ربه وربما يبسط ذلك النور
على من يقرب منهم وربما يقع من ذلك على قلوبهم فهو الحالة لاوليائه يوم يقول
المنافقون والمنافقات حين ينطفئ نورهم ويصعب عليهم امورهم
للذين آمنوا وهم فى مقام ظهورهم وحال سرورهم وحضورهم انظرونا
انتظرونا فانه يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم
اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم
وقرأ حمزة انظرونا من الانظار على ان انتظارهم ليلحقوا بهم امهال لهم
نقتبس من نوركم نصب منه وراء ظهوركم قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا
فالتمسوا نورا للعقبى بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الانسانية فانه
متولد منها ومنتج عنها او هو تهكم بهم وتخييب لهم من المؤمنين او الملائكة قال
الاستاد ارجعوا الى حكم الازل واطلبوا هذا من قسمة اليوم الاول هذا على جهة
ضرب المثل لاستبعاد حصول ذلك الامل فضرب بينهم بين الفريقين من
المؤمنين والمنافقين بسور بحائط فى كمال ظهور قال الاستاد هو جبل اصحاب
الاعراف له باب يدخل منه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة
لانه يلى الجنة وظاهره من قبله من جهته العذاب لانه يلى النار العقوبة
ينادونهم الم نكن معكم فى ظاهر الدفاع قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم او محقتموها

في الفتنة الموجبة للعقوبة بالنفاق وتربصتم انتظرتم بالمؤمنين دائرة السوء
وارتبتم شككتم في الامر وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو الموت او ظهور
العقبى وغركم بالله الغرور الشيطان او الدنيا قال سهل فالتمسوا نورا اي بعقولكم
التي كنتم تدبرون بها اموركم في الدنيا فيرجعون الى ورائهم فيضرب بينهم بين انفسهم
وعقولهم ستر الحيرة فلا يصلون الى مقام المعرفة وقال حاتم لا يصح الموافقة
الا بالاسرار المقتضية لظهور الانوار قال تعالى ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم
فتنتم انفسكم بمخالفة السرائر للظواهر وافاد الاستاد ان مخالفة الضمائر
والسرائر لا تنفعكم بموافقة الظواهر والاسرار لا تنفعكم عند الاخيار فاليوم
لا يؤخذ منكم ايها المنافقون فدية فداء وقرأ ابن عامر بالتأنيث
ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا مأواكم منزلكم جميعكم النار على اختلاف
مقاماتكم هي مولاكم اولى بكم واقربها اليكم وبئس المصير مصيركم بسوء
سيركم الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم الم يأت لهم وقت
خشوعها وزمان خضوعها لذكر الله عموما وما نزل من الحق اي القرآن
خصوصا وقرأ نافع وحفص بتخفيف الزاي روي ان المؤمنين كانوا
مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه من
المجاهدة في الطاعة ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على
تخشع والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله فطال عليهم
الامد اي الزمان بطول اعمارهم او امالهم او ما بينهم وبين انبيائهم
فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون والقسوة تنشأ من الغفلة كما
قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقال سهل حصول القسوة
باتباع الشهوة وقال ابو بكر القسوة تتولد من قلة المراقبة واختيار الاستاد
ان القسوة انما تحصل من اتباع الشهوة فان الشهوة والصفوة
لا يجتمعان اذا حصلت الشهوة رحلت الصفوة ويقال موجب القسوة
انحراف القلب عن مراقبة الرب ويقال موجب القسوة اوله الخطرة
فان لم يتدارك صارت فكرة فان لم يتدارك تصير قسوة وبعد ذلك طبع
ورين وسوء خاتمة نسأل الله العافية اعلموا ان الله يحيي الارض بعد
موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات
ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة وقال الاستاد يحيي الارض بعد
موتها بانزال المطر عليها واخراج النبات منها ويحيي القلوب الميتة
بحسن اقباله عليها بعد اعراضه عنها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون
كي يكمل عقولكم بالتأمل فيها ان المصدقين والمصدقات اي المتصدقين

والمتصدقات

والمتصدقات وقد قرئ به وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اي
المصدقين بالله ورسوله والمقرين بها واقرضوا الله قرضا حسنا
عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معنى الكلام ان الذين تصدقوا
او صدقوا واقرضوا بانفاق المال واكتساب سائر الاعمال يضاعف لهم
ولهم اجر كريم اي نعيم مقيم والذين آمنوا بالله ورسله واطاعوا كلا
منهما في امره ونهيه اولئك هم الصديقون المبالغون في الصدق
فانهم صدقوا جميع اخبار الله ورسله والشهداء عند ربهم القائمون
بالشهادة على الامم يوم القيمة لهم اجرهم في الجنة ونورهم في القيمة والذين
كفروا بذاتنا وصفاتنا وكذبوا بآياتنا النازلة من عندنا اولئك اصحاب
الجحيم ملازموها لا ينفكون عنها فيه دليل على ان الخلود في النار مخصوص بالكفار
لان الصحبة تدل عرفا على الملازمة وافاد الاستاد ان الصديق من استوى
ظاهره وباطنه في مقام التحقيق ويقال هو الذي يحمل الامر على الاشق من
الطاعات ولا ينزل الى الرخصات ولا يجنح الى التأويلات والشهداء
الذين يشهدون بقلوبهم مواطن الوصلة ويعتكفون باسرارهم في
اوطان القربة ونورهم ما كحل الحق بصائرهم من انوار التوحيد وضمائرهم
من اسرار التفريد اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
وتكاثر في الاموال والاولاد لما بين عظمة الاحوال الاخروية حقر الامور
الدنيوية وحجبها الحسية المانعة من وصول المقامات الرضية وحصول
الدرجات العلية وذكر انها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب
الصبيان في الملاعب من غير عائدة فائدة ولهو يلهون به انفسهم
عما يهمهم من خدمة مولاهم وينفعهم في آخرتهم وزينة كالملابس
الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب
والاحساب وتكاثر بالعدد والعدد والمراد بهذه الاحوال مراتب
الانسان من صغره الى كبره في الاشتغال فانه اولا في مقام اللعب
ثم في اللهو بلذة الشهوة ثم في خيلاء الزينة ثم في المفاخرة بكمال
نسبه وجمال حسبه ثم الحرص على جمع الاموال وكثرة الاولاد والاحفاد
فانها وسيلة الجاه بين العباد في البلاد وكلها امور خيالية واحوال
وهمية قليلة الغناء كثيرة العناء سريعة الفناء كمثل غيث اعجب
الكفار نباته مخضرا ثم يهيج اي ييبس فتراه مصفرا ثم يكون حطاما
يصير منكسرا ثم عظم امور الآخرة مكررا بقوله وفي الآخرة عذاب
شديد للكفار ومغفرة من الله ورضوان للابرار كل ذلك تنفيرا

عن الانهماك فى الدنيا وتحريضنا على ما يوجب الكرامة فى العقبى ثم اكد ذلك
بقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لمن اقبل عليها ولم يطلب الآخرة
بالدنيا وافاد الاستاد ان الدنيا حقيرة و احقر منها قدرا طالبها واقل
منه خطرا المزاحم فيها واخستهم من بخل بها فما هى الا جيفة وطالب الجيفة
ليس له قيمة وهذه الدار المذمومة هى ما يشغل العبد عن الآخرة وكل ما يشغل
العبد عن المولى فهو الدنيا سابقوا سارعوا وبادروا الى مغفرة من ربكم
الى موجباتها من التوبة وغيرها وجنة عرضها كعرض السماء والارض
فما ظنك بطولها والمراد به البسط والسعة كقوله تعالى فذو دعاء عريض اعدت
للذين آمنوا بالله ورسله وسائر الانبياء ذلك الموعود فضل الله
يؤتيه من يشاء من عباده من غير ايجاب عليه فى مراده والله ذو الفضل
العظيم وقال الاستاد لما سمعت آذان الموحدين هذا الخطاب بالاستدعاء
ابتدرت الارواح مقتضية هذه السابقة فى جوارح الاشباح وصارت
مستجيبة لمطالبتها مستبشرة لمطالعتها حيث وجدوا هذا الاستدعاء
من الحق سبحانه ما اصاب من مصيبة فى الارض كجدب وعاهة ولا فى انفسكم
كمرض وآفة الا فى كتاب مكتوبة فى اللوح مثبتة فى علم الله المحيط بها
وبغيرها من قبل ان نبرأها نخلقها والضمير للمصيبة او الارض او الانفس
ان ذلك تنبيه فى كتاب القدرة على الله يسير هين لاستغنائه فيه
عن العدة والمدة لكيلا تأسوا اى كتب واثبت لئلا تحزنوا على ما فاتكم
من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل
بالقضاء والقدر هان عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل
ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها
واما حصولها وبقاؤها فلا بد لها من سبب يوجدها والمراد به نفى الاسى
المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للاختيال والافتخار
ولذا عقبه بقوله والله لا يحب كل مختال فخور اذ قل من يثبت فى حالى
الضراء والسراء قال جنيد من عرف الله بالربوبية وافتقر اليه
فى اقامة العبودية وشهد بسره ما كشف الله له من آثار القدرة بقوله
ما اصاب من مصيبة فى الارض فسمع هذا من ربه فعقله وقع فى الروح
والراحة وهان عليه ما يصيبه من المحنة وقال الواسطى الفرح بالكرامات
من الاغترارات وللجهالات والتلذذ بالافضال نوع من الاغفال
والخمود تحت جريان الامور زين لكل مأمور قال تعالى لكيلا تأسوا
على ما فاتكم الآية وافاد الاستاد ان المصيبة خصلة تقع وتحصل

فيقول

فيقول سبحانه لم يحصل فى الارض ولا فى انفسكم شئ الا وهو مثبت فى
اللوح المحفوظ على الوجه الذى سبق به العلم وحق فيه الحكم قبل ان يخلق فكل ما
حصل فى الارض من خصب او جدب او ضيق او سعة او فتنة او استقامة
وما حصل فى النفوس من حزن او سرور او موت او حيوة كل ذلك مثبت
فى اللوح المحفوظ قبل وقوعه بزمان طويل وفى قوله من قبل ان نبرأها دليل على ان
اكساب العباد مخلوقة لله تعالى وللعبد من العلم بان ما يصيب من بسط وراحة
وشئ من واردات القلوب من الله اشتد سروره وانس حيث علم انه
افرده بذلك يظهر عنيب منه بل وهو فى كتم العدم ولهذا قالوا
سقيا لمعهدك الذى لو لم يكن ۝ ما كان قلبى للصبابة معهدا ۝
لكيلا تأسوا الآية هذا صفة المتحررين عن رق النفوس وقيمة الرجال انما
تتبين بتغيرهم فمن لم يتغير بما يرد عليه مما لا يريده من جفاء او مكروه
او محنة فهو كامل فى المعرفة ومن لم يتغير بالمار كما لا يتغير بالمضار ولا يسره
الوجود كما لا يحزنه العدم فهو سيد وقته ويقال اذا اردت ان تعرف
الرجل فاطلبه عند الموارد فالتغير من علامات بقاء النفس باى وجه
كان والله لا يحب كل مختال فخور لان الاختيال من بقاء النفس ورؤيتها
والفخر من رؤية خطر ما به يفتخر وينبغى تنزه النفس عن خطرها الذين يبخلون
ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال يضن غالبا بالمال
ومن يتول يعرض عن مقام الكمال بانفاق المال وتصحيح الحال فان الله
هو الغنى عنه وعن انفاقه الحميد المحمود فى ذاته وصفاته لا يضره الاعراض
عن شكره ولا ينتفع بالتقرب اليه بشئ من نعمه وقرأ نافع وابن عامر بحذف
ضمير الفصل وفى تفسير السلمى قيل البخيل ان يرى لنفسه ملكا وافاد الاستاد
ان البخل على لسان اهل العلم منع الواجب فاما على بيان هذه الطائفة فقد
قالوا البخل رؤية قدر الاشياء وقالوا البخيل الذى لا يعطى الا عند السؤال
وقيل من كتب على خاتمه اسمه فهو بخيل لقد ارسلنا رسلنا اى الملائكة او الانبياء
الى الامم بالبينات بالآيات او المعجزات وانزلنا معهم مع بعضهم
الكتاب لتبين الحق وتميز الصواب او فى جملتهم الكتب المنزلة
والميزان ليقام به العدل ويظهر الاحسان ليقوم الناس بالقسط
بالعدل والفضل وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وانزلنا
الحديد باسباب سماوية فى ايجاده وقال الاستاد انزلنا الحكم بالميزان
وخلقنا الحديد فيه بأس شديد فان آلات الحروب متخذة منه
ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا ومن الحديد له آلة وليعلم الله اى انزله

ليعلم من ينصره اى سبله ورسله باستعمال الاسلحة فى مجاهدة الكفرة بالغيب
حال من المستكن او البارز فى ينصره ان الله قوى قادر على اهلاك من اراد
هلاكه من غير سبب وآلة عزيز غالب مراده غير مفتقر الى نصرة وانما امر العباد
بالجهاد لينتفعوا بغنائم الاموال فى الدنيا ويستوجبوا ثواب الامتثال
فى العقبى وقال الاستاد اى ارسلناهم مريدين بالحجج اللائحة والبراهين
وازحنا العلة لمن اراد سلوك المحجة المثلى ويسرنا السبيل على من آثر اتباع
الهدى على ابتداع الهوى ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما
فى بعض نسل كل منهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا
الكتب اليهم على طريق الاصالة او سبيل التبعية فمنهم مهتد فمن الذرية
قوم مهتدون بالدين القويم وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق
المستقيم ثم قفينا على آثارهم برسلنا اى ارسلنا بعد نوح وابراهيم
ومن ارسل اليهم رسلنا من انبياء بنى اسرائيل واحدا بعد واحد وقفينا
بعيسى بن مريم اى اتينا به بعدهم وآتيناه الانجيل هدى من الضلالة
وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة والرافة شدة الرحمة ولعل
اختلاف الصفة باختلاف طوائف الامة او بتفاوت المرؤف بهم
والمرحوم عليهم ورهبانية اى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها
من تلقاء انفسهم وهى المبالغة فى العبادة والرياضة والانقطاع عن الخلق
بالعزلة منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ فى الخوف من رهب كالخشيان من
خشى ماكتبناها مااوجبنا عليهم الا ابتغاء رضوان الله اى ولكنهم ابتدعوها
طلبا لمرضاة الله فما رعوها حق رعايتها بسبب الكفر والسمعة ونحوها فلم يفوا
بما عدوا فلم يصدقوا فيما عهدوا فآتينا الذين آمنوا اتوا بالايمان الصحيح
منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حد الاتباع فى امرهم يا ايها الذين
آمنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله اى احذروا المخالفة او خافوا عقوبته
وآمنوا برسوله محمد عليه السلام يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم
برسوله وايمانكم بمن قبله والظاهر ان الخطاب للنصارى الذين كانوا فى
عصره ولم يقولوا بالتثليث ونحوه ويجعل لكم نورا تمشون به تسلكون فيه
طريق الحق فى الدنيا او نورا يسعى بين ايديكم وبايمانكم فى العقبى ويغفر لكم
ما صدر عنكم قبلا وبعدا ما عدا كفركم والله غفور لكم رحيم بكم او غفور لذنوبكم
رحيم بقبولكم وقال جنيد يا ايها الموحدون اتقوا الله ان لا يسلبكم حلاوة
معرفته وسرور محبته وآمنوا برسوله اقتدوا به فى محبته لمولاه واستسلام
نفسه له فيما قدره وقضاه يؤتكم كفلين من رحمته نورين من نوره نور

تمشون به

تمشون به فى ذكره وعبادته ونور تعقدون به على مشاهدته ويخصكم بنور ساطع فى
ارواح اهل محبته الذين به يعقدون على اجتماع الذكر وكلامه والتمتع بمخاطبته ويغفر لكم
ذنوبكم ملاحظاتكم لانفسكم لئلا يعلم اهل الكتاب اى ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ
ليعلم ولكى يعلم ولان يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون على شئ من فضل الله ان هى
المخففة والمعنى انهم لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم
يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به وان الفضل مطلقا لا سيما فضل النبوة
والايمان والمعرفة بيد الله كسائر الاشياء يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل
العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقدوا انه لا يقدر النبى ومن معه على شئ
من فضل الله فيكون وان الفضل عطفا على الا يعلم وافاد الاستاد ان الاشارة
فى هذه الآية اتقوا الله بحفظ الادب معه ولا تأمنوا مكره بان يسلبكم ما وهبكم من
اوقاتكم وكونوا على حذر من ان يغتال بتقديره فى تغيير ما ذاقكم من انس محبته واتبعوا
الرسول وحافظوا على اتباعه فى سنته يؤتكم نصيبين من فضله عصمة ونعمة فالعصمة
من البقاء عنه والنعمة فى البقاء به وقال يؤتكم كفلين من رحمته نصيب من التحقيق فى وجوده
وحظا من التحقق بشهوده

سورة المجادلة مدنية وهى ثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله كلمة من عرفها بذل الروح فى
طلبها وان لم يحظ بوصولها كلمة من طلبها اكتفى بالطلب من قبولها كلمة جبابرة
لا تنظر الى كل احد قهارة لا يوجد من دونها ملتحد كلمة فيها بلاء الاحباب
لكن فيها شفاء الالباب قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى
الى الله فى همها وازالة غمها روى ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها
اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت
عليه فقالت ما طلقنى فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت
الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع والله يسمع تحاوركما تراجعكما
الكلام بينكما والخطاب لها وللنبى عليه السلام على تغليبه عليها ان الله
سميع للاقوال بصير للاحوال وافاد الاستاد انها لما صدقت فى
شكواها الى الله وايست من استكشاف ضرها من غير الله انزل الله
فى شانها قد سمع الله ويقال تضرعت الى الله ورفعت قصتها الى الله
ونشرت غصتها بين يدى الله فنظر اليها الله وقال قد سمع الله
ويقال صارت واقعتها فرجة ورخصة للمسلمين الى يوم القيمة فى مسئلة
الظهار ليعلم العالمون ان احدا لا يخسر على الله وفى الخبر انها قالت يا رسول الله
ان اوسا تزوجنى شابة غنية ذات اهل ومال كثير فلما كبر عنده سنى
وذهب مالى وتفرق اهلى جعلنى عليه كظهر امه وقد ندم من قوله وان لى صبية

صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لها
ما امرت بشئ فى شانك وفى رواية قال لها بنت عنه فرددت الى رسول الله عليه السلام
فى ذلك الى ان انزل الله حكم الظهار الذين يظاهرون منكم من نسائكم الظهار ان يقول
الرجل لامرأته انت على كظهر امى مشتق من الظهر ويلحق بها الفقهاء تشبيهها بجزء
محرم كالبنت والاخت وبعضو محرم كالبطن والفخذ وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو يظّهرون
بتشديد الظاء والهاء وصله يتظهرون وابن عامر وحمزة والكسائى يظاهرون بتشديد
الظاء من اظاهر وصله يتظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر وهو ظهر فى المعنى [illegible]
ما هن امهاتهم على الحقيقة ان امهاتهم اى ما امهاتهم الا اللائى ولدنهم فان
الامهات مخدومات والزوجات خادمات فلا يشبه بهن فى الحرمة الا ما الحقه الله
بهن كالمرضعات والازواج الطاهرات وانهم اى اهل الجاهلية ليقولون
منكرا من القول اذ الشرع انكره وزورا محرفا عن الحق من الكلام فان الزوجة
لا تشبه الام فى مقام المرام وان الله لعفو غفور لما سلف من هذا الكلام قبل
ظهور احكام الاسلام وافاد الاستاد ان المراة لما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنت عنه كان الواجب عليها السكوت والصبر ولكن الضرورة انطقتها
بالمراودة وحملتها على المعاودة وحصل من هذا مسالة وهو ان كثيرا من الاشياء
ظاهر العلم يحكم فيه بشئ ثم الضرورة تغير ذلك الحكم لصاحبها والذين يظاهرون
من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اى الى نقض مقولهم فيها بالعزم على جماعها
وهو مذهب ابى حنيفة ومالك رضى الله عنهما وعند الشافعى رحمه الله بامساك
المظاهر عنها فى النكاح زمانا يمكنه طلاقها فيه فتحرير رقبة اى فعليهم او فالواجب
اعتاق عبد او امة من قبل ان يتماسا اى يجامعا وفيه دلالة على حرمة
المجامعة قبل الكفارة ذلكم توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة
للغرامة ويردع عنه بالنداة والله بما تعملون خبير لا يخفى عليه خافية فمن
لم يجد اى الرقبة او قيمتها فصيام شهرين متتابعين من قبل ان
يتماسا فمن لم يستطع اى الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط
فانه عليه السلام رخص للاعرابى المفطر ان يعدل الى الاطعام لاجل شبقه
فى المرام فاطعام ستين مسكينا فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر
او صاعا من غيره عند ابى حنيفة وانما لم يذكر التماس مع الطعام لجوازه فى
خلال الاطعام كما قال الامام ذلك البيان والاعلام او التعليم للاحكام
لتؤمنوا بالله ورسوله لتصدقوا بقول الله وحكم رسوله وتلك حدود الله
لا يجوز قربها فضلا عن تعديها وللكافرين الذين لا يقبلونها عذاب اليم
فيما يفعلونها ان الذين يحادون الله ورسوله اى يخالفونها او يختارون

حدودا

حدودا غير حدودها كبتوا اخزوا واذلوا او اهلكوا كما كبت الذين من
قبلهم يعنى كفار الامم الماضية وقد انزلنا آيات بينات يدل على صدق
الرسول وما جاء به من الاحكام الباقية وللكافرين عذاب مهين يذهب عزهم وتكبرهم
يوم القيمة قال الاستاد نزل فى المنهزمين يوم الخندق اجرى الله سنته بالانتقام
من اهل الاجرام ومن ضيع سنة للرسول عليه السلام او احدث بدعة فى احكام
الاسلام انخرط فى سلك هذا النظام يوم يبعثهم الله جميعا اجمعين او مجتمعين فينبئهم
بما عملوا فيجازيهم باعمالهم على حسب احوالهم احصاه الله احاط به علما ونسوه
لكثرته عددا او تهاونهم به حكما والله على كل شئ شهيد يعلم السر واخفى
وفى تفسير السلمى قيل من نسى جرائمه ولم يكثر عليها بكائه ولم يتأسف عليه
بالتوبة والندامة وندم يوم القيمة وافاد الاستاد انه اذا حوسب احد فى القيمة
على عمل عمله تصور له ما فعله وتذكره حتى كانه فى تلك الحالة قام من بساط الزلة
فيقع عليه من الخجالة والندامة ما ينسى فى جنبه كل عقوبة فضلا من الملامة فسبيل
المسلم ان لا يحوم حول مخالفة امر مولاه فان جرى التقدير ووقع فى هجنة التقصير
فلتكن زلته على البال وليتضرع الى الله بحسن الابتهال الم تر ان الله يعلم
ما فى السموات وما فى الارض كليا وجزئيا ما يكون من نجوى ثلثة ما يقع
من تناجى ثلاثة الا هو اى الله سبحانه رابعهم يجعلهم اربعة من حيث
انه يشاركهم فى الاطلاع على نجويهم والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة
ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة
فان الآية نزلت فى تناجى المنافقين او لان الله وتر يحب الوتر والثلاثة
اول الاوتار فى عدد المحاسبين ولا ادنى من ذلك ولا اكثر تعميم بعد
تخصيص الا هو معهم يعلم ما يجرى بينهم اين ما كانوا فان علمه بالاشياء
ليس لقرب مكان ولا لخصوص زمان حتى يتفاوت باختلاف الامكنة
او الازمنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة تفضيحا لهم فى حال الندامة وتقريرا
لما يستحقونه من الملامة ان الله بكل شئ عليم لا يخفى عليه خافية وافاد
الاستاد ان معية الحق سبحانه وان كانت على العموم بالعلم والرؤية
وعلى الخصوص بالفضل والرحمة فلهذا الخطاب المستطاب فى الباب ارباب
المعرفة اثر عظيم لرفع الحجاب والى ان ينتهى الامر بهم الى التاويل فلقوله [illegible]
فى خمار سماع هذا عيش رغد طويل ويقال اصحاب الكهف وان جلت
رتبتهم وخصصت من بين الناس مرتبتهم فالحق سبحانه يقول سيقولون
ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ولما انتهى الى
هذه الآية يقول ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم

دفشتان بين من رابعة كلبه وبين من رابعة ربه انتهى وسبق له مثل هذا فى سورة
الكهف ولا يخفى عدم حسن المقابلة مبنى ولا وجود تخصيص هذه الامة بمضمون
هذه الآية معنى ثم قال ونعم ما قال حيث ما كنت فانا معك ان حضرت المسجد
فانا معك باسباغ النعمة ولو بعدوان اتيت المصطبة فانك معك باسبال
ستر المغفرة ولكن نقدا   هبك تباعدت وخالفتنى   تقدران تخرج عن ملطفى
الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت فى اليهود والمنافقين
كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ثم عادوا لمثل ما فعلهم ويتناجون بالاثم
والعدوان ومعصيت الرسول بما هو اثم عليهم وعدوان للمؤمنين عموما وتواص
بمخالفة الرسول خصوصا وقرأ حمزة ينتجون يفتعلون من النجوى واذا جاؤك حيوك
بما لم يحيك به الله فيقولون السلام عليك يا مصطفى والله سبحانه يقول
سلام على عباده الذين اصطفى ويقولون فى انفسهم فى بواطنهم اوفيما بينهم
لولا يعذبنا الله بما نقول فى حق الرسول لوكان صادقا فى التنزول حسبهم
جهنم كافيهم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم ومثويها وافاد
الاستاد انهم آذوا قلوب المسلمين بما كانوا يتناجون بينهم ولم يكن فى
تناجيهم فائدة لهم الا قصدهم بذلك شغل قلوب المؤمنين ولم ينتهوا عنه
لما نهوا واصروا على ذلك ولم ينزجروا عما هنالك فتوعدهم على تلك الغفلة
فكون عقوبتهم تتغامز الملائكة غدا فيما بينهم فى بابهم وهم يشاهدون نتيجة
ظنونهم ومعذبون بغشاوة قلوبهم ثم ينكشف لهم الحال بما يزدادون حزنا على
الحزن ووبالا على الوبال يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فيما بينكم فلا تتناجوا
بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول كما يفعله اعداؤكم فانه غير مناسب لكم
وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن البر والاحسان للمؤمنين والاتقاء عن
العدوان ومخالفة سيد المرسلين واتقوا الله الذى اليه تحشرون فيما تاتون
وتذرون فانكم بالكل تجزيون وتحاسبون انما النجوى اى بالاثم والعدوان
من الشيطان لانه المزين لها والحامل عليها ليحزن اى الشيطان او التناجى او المتناجى الذين
آمنوا بتوهمهم انها فى نكبة اصابتهم او محنة قاربتهم وليس بضارهم بضار المؤمنين
شيئا من المضار الا باذن الله الا مضرة تعلقت بمشيته وعلى الله فليتوكل المؤمنون
فليعتمدوا على مولاهم ولم يبالوا بنجويهم قال سهل النجوى هو القاء من العدو
الى نفس الطبع كما ورد للملك لمة وللشيطان لمة وقال الاستاد واذا كانت
المشاهدة غالبة والقلوب حاضرة والتوكل صحيحا صادقا والنظر من موضعه
صائبا فلا تاثير لمثل هذه الحالات وانما هذا للضعفاء فى المقامات يا ايها الذين

آمنوا

آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس توسعوا فيه ليسع بعضكم والمراد بالمجلس
الجنس ويدل عليه قراءة عاصم فى المجالس او مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع
كلامه عنه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من الامر كالمكان
والرزق والصدر وقال فارس وسعوا صدوركم لقبول الحق يمن الله عليكم
بحصول الحقيقة واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به من العبادة
او ارتفعوا فى مجلس العبادة فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر بخلاف عنه
بضم الشين فيهما يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا
وبالايواء فى غرف الجنات فى الاخرى والذين اوتوا العلم درجات اى ويرفع
العلماء منكم خاصة درجات بما جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح
فان العلم مع علو الدرجة مقتض للعمل المقرون به مزيد الرفعة وقد ورد فضل
العالم على العابد كفضلى على ادناكم وفى رواية كفضل القمر ليلة البدر على سائر
الكواكب وفى حديث العيسوى عليه السلام من علم وعمل وعلم يدعى
فى الملكوت عظيما والله بما تعملون خبير فيجازيكم به وفيه وعد ووعيد وافاد
الاستاد انه سبحانه لكمال رحمته بهم وتمام رافته عليهم علمهم مراعاة
حسن الادب بينهم فيما كان لهم من امور العادة دون احكام العبادة
بالتفسح فى المجلس والتضام فى حال الزحمة والكثرة واعز باقوام امرهم
بالدقائق لقيامهم باصول الدين وتحققهم باركان الحقائق يا ايها الذين آمنوا اذا
ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجويكم صدقة فتصدقوا قدامها وفى هذا الامر
تعظيم الرسول ونفع الفقراء والتميز بين الموافق والمنافق ومحب المولى
ومحب الدنيا واختلف فى وقوع هذا الامر ندبا او وجوبا لكنه منسوخ بقوله
ءاشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة وحصولا لم يتصل به نزولا حتى لا يمكن
العمل به فعن على كرم الله وجهه ان فى كتاب الله انه ما عمل بها احد غيرى كان لى
دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب
لا يقدح فى غيره فلعله لم يتفق للاغنياء نجوى فى مدة بقائه اذ روى انه لم يبق
الا عشرا وقيل ساعة ذلك التصدق خير لكم فى عاقبة امركم واطهر
وازكى واتم لانفسكم من الزينة وحب الخزينة وهو يشعر بالندبية
الا ان قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم لمن لم يجد حيث رخص له
فى النجوى بلا صدقة ادل على الرخصة الغرمية ءاشفقتم ان تقدموا
بين يدى نجويكم صدقات اخفتم الفاقة من تقديم الصدقة عند
ارادة تناجى الحضرة وجمع الصدقة للجماعة المخاطبة او لكثرة التناجى

الموقعة لهم فى الخشية فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة اى ادبموهما ولا تفرطوا
فى ادائهما واطيعوا الله ورسوله فى سائر اوامرهما وزواجرهما والله خبير
بما تعملون ظاهرا وباطنا فيجازيكم بها الم تر الى الذين تولوا والوا وصادقوا
قوما غضب الله عليهم يعنى اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون
مذبذبون ويحلفون على الكذب من ادعاء الاسلام وغيره من الاحكام وهم
يعلمون انهم كاذبون فهم بين الكفر وقول الزور جامعون اعد الله لهم عذابا
شديدا لشدة وحدة امرهم انهم ساء ما كانوا يعملون من شقاقهم
ونفاقهم اتخذوا ايمانهم التى حلفوا بها جنة وقاية دون دمائهم
واموالهم فصدوا عن سبيل الله المؤدى الى الجنة فلهم
عذاب مهين ذو اهانة ومذلة وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وايماء الى كثرة
جناياتهم او احدهما فى الدنيا والآخر للاخرى او الاول لعذاب القبر
والثانى بعد الحشر لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله لن تدفع
من عذابه شيئا اولن تنفعهم عوضه او بدل طاعته شيئا اولئك اصحاب
النار ملازموها هم فيها خالدون مقدرون دوامها وافاد الاستاد ان من
استتر بجنة طاعته لتسلم دنياه او تحصل هواه تكشف سهام التقدير
من حيث لا يشعر ثم لا دينه يبقى ولا دنياه تسلم يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له اى لله على انهم مسلمون كما يحلفون لكم فى الدنيا حيث يحلفون
بانهم منكم ويحسبون انهم على شئ فى ايمانهم الكاذبة لانه تمكن النفاق
فى نفوسهم بحيث تخيل اليهم فى العقبى ان اليمين الكاذب يروج على الله
كما يروج عليكم فى الدنيا الا انهم هم الكاذبون المبالغون فى الكذب حد
الغاية حيث يكذبون لدى عالم الغيب والشهادة وفى الآية اشارة الى
ان ايمانهم حال الباس ووقت العيان ما وجدت فيها الشرائط والاركان
ولذا قيل كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون وافاد الاستاد ان
عقوبتهم الكبرى ظنهم ان ما عملوا مع الخلق يمشى فى معاملة الحق وفرط الاجنبية
وغاية الجهالة اكبتهم على مناخرهم فى وهدة ندمهم استحوذ عليهم الشيطان
استولى عليهم فى دنياهم بحيث اثر فى عقائدهم فانساهم ذكر الله فلا يذكرونه
بقلوبهم ولا بالسنتهم طلبا لرضاه اولئك حزب الشيطان اشياعه
واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد
وعرضوها للجحيم المخلد قال شاه شجاع الكرمانى علامة استحواذ الشيطان ان يشغل
جوارح ظاهره من المأكل والمشرب والملبس ويشغل قلبه عن التفكر فى الاء الله
ونعمائه وعن القيام بشكرها ويشغل لسانه عن ربه بالغيبة والكذب ونحوه ويشغل

قلبه

قلبه عن التفكر فى امر الآخرة وعن المراقبة والمحاسبة بتدبير الدنيا وجمعها
بالحرص والشره وافاد الاستاد ان الشيطان اذا استحوذ على عبد انساه ذكر الله
والنفس اذا استولى على انسان انساه الله ولقد خسر حزب الشيطان
واخسر منه من اعان نفسه التى اعدى عدوه الا ان يسعى فى قهرها لعله ينجو
من شرها ان الذين يحادون الله ورسوله يخالفونهما ويجاوزون عن حدهما
اولئك فى الاذلين فى جملة من هو اذل الخلائق اجمعين وافاد الاستاد ان من
اقماه شقوته لم تنعشه قوته ومن قصمه التقدير لم يعصمه التدبير ومن استهان بالدين
انخرط فى سلك الاذلين كتب الله فى اللوح لاغلبن انا ورسلى بالحجة ان الله
قوى قادر على نصرة اوليائه عزيز غالب منتقم من اعدائه لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الآخر ايمانا كاملا وايقانا شاملا كاملا يوادون من حاد الله
ورسوله ظاهرا وباطنا اذ لا مناسبة بين الاعداء والاحباء والمعنى انه لا ينبغى
ان يوادوهم ولو كانوا آباءهم اى واجدادهم او ابناءهم وكذا احفادهم
او اخوانهم لعل عدم ذكر الامهات والبنات والاخوات ان العرب
ما كانوا يعتنون بحبهن اولان امرهن مبنى على سترهن فادخلهن تحت شمول
قوله او عشيرتهم من سائر اقربائهم والمعنى ولو كان المحادون اقرب الناس
اليهم واعز الخلق لديهم اولئك اى الذين لم يوادوهم كتب ربهم فى قلوبهم
الايمان بقلم الاحسان وايدهم بروح منه من عنده وهو نور قلب عبده
او قواهم بالقرآن او بالنصرة على اهل العدوان وقال سهل الكتابة فى القلب
موهبة الايمان والاسلام التى وهبها لهم قبل خلقهم فى الاصلاب والارحام
ثم اجرى سطرا من نور الرب فى القلب ثم كشف الغطاء عنه حتى زال ببركة
نور الايمان انواع الظلام ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها دائمين فى جنته رضى الله عنهم بطاعته ورضوا عنه
بمثوبته او بقضائه او بما وعدهم من جزائه اولئك حزب الله جنده
وانصار دينه الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون بطاعته فى الدنيا وبجنته
فى العقبى قال ابو عثمان حزب الله من يغضب لله ولا يأخذه لومة لائم فى الله
وافاد الاستاد ان من جنح الى المنحرف عن دينه او داهن مبتدعا فى عقده نزع الله نور التوحيد
من قلبه فهو بخيانته جائر على عقيدته سيذوق قريبا وبال امره وحالته وان اولياء الله
اثبت فى قلوبهم الايمان باثبته ويقال جعل قلوبهم مطرزة باسم الله واعز حلة ما كان

سورة الحشر مدنية طرازها باسم الله وهى اربع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد باسم الله اسم عزيز الكون بجملته فى طلبه
وهو عزيز عند عبده والشموس والاقمار والنجوم والانوار والليل والنهار

وجميع ما خلق من الاعيان والآثار متنادية على انفسها بلسان الاسرار
وبيان الاقرار نحن عبيد من لم يزل نزيه من لم يزل يسبح لله ما فى السموات
وما فى الارض نزهه جميع المخلوقات من العلويات والسفليات بلسان
القال وبيان الحال وهو العزيز الغالب على مراده الحكيم فى خلق صنائع
عباده وقال الاستاذ قدس الله ونزهه كل شئ على وفق ارادته وذلك دليل علمه وحكمته
ورتب كل مخلوق فى مرتبة ذاته وصفاته وترتيبه سابق مشيئته وارادته وهو العزيز
فلا شبيه يساويه ولا شريك فى ملكه ينازعه ويضاهيه الحكيم الذى لا يوجد فى حكمته
عيب ولا يتوجه عليه عتب ولا ريب هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل
الكتاب من ديارهم حصونهم وعقارهم لاول الحشر لاول حشرهم من
جزيرة العرب اذ لم يصبهم قبل ذلك هذا الذل والتعب او فى اول حشرهم
الى الشام وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من خيبر الى ذلك المقام
او فى اول حشر الناس الى الشام وآخر حشرهم يوم القيمة فانهم يحشرون اليه عند قيام
الساعة روى انه عليه السلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير على ان لا يكونوا
له ولا عليه فلما غلب النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا انه النبى المنعوت
فى التورية بالنصر فلما انهزم بعض المسلمين يوم احد ارتابوا بوافى ايمانهم فخرج ونكثوا ايمانهم
وخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا منهم الى مكة وحالفوا ابا سفيان ورجعوا
الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة اخا كعب من الرضاعة فقتله
بالمخادعة بان اوهم له انه جاءه يشكو من الرسول عليه السلام انه حمل عليهم فى اخذ الصدقة
فوق ما لهم من الطاقة ثم صبحهم باصحابه الفضلاء وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا
اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله هذه السورة الى قوله
على كل شئ قدير ما ظننتم ان يخرجوا لشدة منعتهم وقوة شوكتهم وظنوا انهم
مانعتهم حصونهم من الله اى من بأسه على ما قضاه فاتاهم الله اى عذابه وهو
الرعب وما يعقبه من العناء والاضطرار الى الجلاء من حيث لم يحتسبوا
لقوة وثوقهم على انفسهم وقذف فى قلوبهم الرعب والقى فيها الخوف الذى
يملأ القلب يخربون بيوتهم ضنا بها على اهل الاسلام واخراجا لما استحسنوا
من آلاتها المعدة فى ذلك المقام وقرأ ابو عمرو يخربون بالتشديد للمبالغة
والتأكيد بايديهم وايدى المؤمنين فاعتبروا يا اولى الابصار فاتعظوا بحالهم
وسرعة زوالهم واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة
من حالة الى حالة وحملها عليها فى حكم من الاقضية لما بينهما من المشاركة
المقتضية وقال ابو على الجرجانى المعتبر يعتبر اذا راى شيئا من الدنيا ليس له
اليه حاجة فكانه جاء من الآخرة وهو يريد العود اليها يرى الدنيا للفنا وينظر

الى من فيها للموت والى عمرانها للخراب والمراد باولى الابصار اهل البصائر
فى امر الله وطاعته راوا الدنيا بعين الفناء والآخرة بعين البقاء وقال
الاستاد فاعتبروا يا اولى الابصار كيف نصر المسلمين مع قلتهم عليهم مع
كثرتهم وكيف لم ينفعهم حصونهم اذ كانت الدائرة عليهم واذا اراد الله قهر
عدو استوفى اسده ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره قلت وقد ورد السعيد
من وعظ بغيره ويقال بحسب الاشارة المأخوذة من ظاهر العبارة يخربون
قلوبهم باتباع شهوات نفوسهم ويقال اركان دينهم بما يمزجون به من
البدع من تلقاء انفسهم ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم لعذبهم
فى الدنيا بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة بعدهم ولهم مع ذلك فى الآخرة
عذاب النار بوصف القرار والمعنى انهم وغيرهم بكفرهم بالله ورسوله استحقوا
العذاب فى الدارين وانهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب العقبى
ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله خالفوا امرهما واصروا على عصيانهما ومن يشاق الله
فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة اى اى شئ قطعتم من نخلة ما عدا البرنى
والعجوة او تركتموها الضمير لما وتأنيثه لانه مفسر باللينة والمعنى او ابقيتموها
قائمة على اصولها فباذن الله فبامره لرسوله او بقضائه او قدره او بتسهيله
وتيسيره وليخزى الفاسقين امر به روى انه عليه السلام لما امر بقطع نخيلهم قالوا
يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى البلاد فما بال قطع النخل وتحريقها مع انها نافعة
للعباد فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع ما لهم من الاشجار
زيادة لغيظهم وافاد الاستاد ان فى هذه الآية دلالة على ان احكام الشريعة
غير معللة واذا جاء الامر الشرعى وثبت الدليل بطل طلب التعليل وسكتت
الالسن عن المطالبة بلمه والشيوخ قالوا لاستاذه وشيخه لم لم يفلح وما افاء الله
على رسوله وما اعاده عليه بمعنى صيره له منهم من مال بنى النضير فما اوجفتم
عليه فما اجريتم على تحصيله بسرعة سير من خيل ولا ركاب اى ابل لانه قراهم
كانت قريبة من المدينة فمشوا اليها رجالا غير النبى عليه السلام فانه ركب
جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلاثة
كانت بهم حاجة شديدة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بقذف
الرعب فى قلوبهم والله على كل شئ قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط
الظاهرة وتارة بغيرها وافاد الاستاد ان الغنيمة ما كان بقتال وايجاف
خيل وركاب وخص رسول الله صلى الله عليه وسلم باموال هؤلاء فقراء المهاجرين
واستأثر لنفسه بما شاء من الامتعة والعقار فطابت بذلك نفوس الانصار
فشكر الله لهم بحسن الجوار وتحرر القلب من الاعواض صفة السادة من الابرار

ومن اسرته الاخطار وبقى فى شح نفسه الغدار فهو فى تضييقه ومصادرته معاملته ومطالبة الناس فى استيفاء حظه ولذته واهل الصفا لم يبق من هذه الاشياء عليهم بقية ومن بقى عليه من هذا شظية فمترسم سوقى لا متحقق صوفى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول او استيناف لبيان المحل لقوله فلله خلقا وملكا وللرسول اختصاصا او حكما ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل عموما وتفصيل هذه القضية فى الكتب الفقهية كيلا يكون اى الفىء الذى حقه ان يكون للفقراء دولة بين الاغنياء منكم وهى ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم دون الفقراء كما كان الفىء فى الجاهلية وقرأ هشام فى رواية بالتاء تيكون مع رفع دولة وذا هى بالتذكير مع الرفع على كان التامة اى كيلا يقع دولة جاهلية بين الاغنياء الاسلامية وما آتاكم الرسول ما اعطاكم من الفىء او من الامر فخذوه فاقبلوه على وجه الاستطابة او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة واتقوا الله فى مخالفة رسوله فى امره ونهيه ان الله شديد العقاب لمن خالف فى هذا الباب وافاد الاستاد ان هذا اصل فى وجوب متابعته ولزوم طريقته وسيرته علما فى العلم تفصيله والواجب على العبد عرض ما يقع له من الخواطر ويكاشف به من الاحوال على العلم فما لم يقبله الكتاب والسنة فهو ضلال وجهالة للفقراء المهاجرين بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول لا يسمى فقيرا ولا يتيما اجلالا وتكريما وقيل بدل عطف عليه بترك العاطف وهذا اوفق بمذهب الواقف الذين اخرجوا من ديارهم اى بلاد واموالهم مواشيهم وعقارهم فان كفار مكة صاروا سببا لخروجهم واخذوا اموالهم بعد بروزهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شانهم حيث لم يكونوا كارهين لما قدر لهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون فى احوالهم حيث ظهر صدقهم فى ايمانهم قال ابن عطا هم الذين تركوا كل سبب وعلاقة ولم يلتفتوا من الكون الى شىء فيه حلاوة وفرغوا انفسهم لعبادة ربهم واتباع رسوله فيما امرهم ووقفوا مع الحق راضين بجريان حكمه فيهم واشغلهم فرحهم بما وفق لهم عن حب الاهل والاولاد والاموال والبلاد وافاد الاستاد انه سبحانه اراد ان هذا الفىء لهؤلاء الفقراء وكانوا مقدار مائة رجل يبتغون من الله رزقا فى الدنيا ورضوانا وثوابا فى العقبى والذين تبوؤا الدار والايمان لزموا دار الهجرة والتزموا الايمان والطاعة عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار من قبلهم قبل نزول المهاجرين لديهم يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم من اهل مكة وغيرهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة ما يحمل عليه الاحتياج من الطلب والحزازة والحسد والغبطة مما اوتوا من اجل ما اعطى المهاجرون من الفىء وغيره من الاثرة ويؤثرون على انفسهم

يقدمون

يقدمون الناس عموما والمهاجرين خصوصا على ذواتهم ومتعلقاتهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم وكذا فى البيوت والبساتين والامتعة ولو كان بهم خصاصة حاجة مختصة بهم او مجاعة شديدة فيهم ومن يوق شح نفسه يحفظ ويكفى شر بخلها وقال سهل حرص نفسه على شىء غريزة فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل سئل ابو الحسن البوشنجي عن التصوف فقال فراغة القلب وخلو اليدين وقلة المبالاة بالخلق اما فراغة القلب ففى قوله والذين تبوؤا الدار والايمان الآية واما خلو اليدين ففى قوله للفقراء المهاجرين واما قلة المبالاة ففى قوله لا يخافون لومة لائم وقال ابن عطا يؤثرون به جودا وكرما ولو كان بهم خصاصة جوعا وفقرا وقال يوسف بن الحسين من رأى لنفسه ملكا لا يصح له الايثار لانه يرى لنفسه احق بالشىء برؤية ملكه وانما الايثار لمن يرى الاشياء للحق فمن وصل اليه فهو احق به فاذا وصل اليه شىء من ذلك يرى يده فيه يد غصب او امانة يوصلها الى صاحبها او يؤديها الى مودعها وقال الاستاد قيل نزلت الآية فى رأس شاة وهب لانسان من غيره فطاف على سبعة ابيات حتى انتهى الى الاول وقيل نزلت فيمن اطفأ السراج ليلة ضيفه يوهم انه يصلحه وقد قدم الطعام واوهم انه يأكل معه وآثر به الضيف على نفسه وعياله ويقال لم يقل ابتداء ومن يتق شح نفسه بل قال ومن يوق شح نفسه ويقال الزاهد يؤثر بدنياه غيره والعارف يؤثر بالجنة غيره وعزيز من لا يطلب من الحق لنفسه شيئا لا من الدنيا من الجاه والمال ولا فى الجنة من الافضال ولا منه ايضا ذرة من الاقبال والاحوال والوصال كذا وصف الفقير يكون بسقوط كل ارب انتهى ولا يخفى انه مبنى على مقام التفويض وترك السؤال وهو مختلف بتفاوت احوال ارباب الكمال واختلاف مراتبهم فى مقامات الانتقال من الحال الى الحال والذين جاؤا من بعدهم الذين هاجروا بعد ما قوى الاسلام او التابعون لهم باحسان الى يوم القيام ولذا قيل ان الآية قد استوعبت مؤمنى الامة الا الروافض والخوارج من اهل البدعة يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا اى فى الدين الذين سبقونا بالايمان فى قيام اليقين ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا حقدا عليهم وغشا لديهم والمراد بهم الاعم ممن قبلهم او المراد بالاولين الاموات وبالآخرين الاحياء وقال الاستاد من لا شفقة له على جميع المسلمين فليس له نصيب من الدين ربنا انك رؤوف رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا فيهم الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد الذين بينهم وبينهم

اخوة الكفر او الصداقة او الموالاة من اليهود لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن
معكم او في آثاركم ولا نطيع فيكم في شانكم من قتالكم او خذلانكم احدا من رسول الله
والمؤمنين ابدا وان قوتلتم لننصرنكم لنعاونكم والله يشهد انهم لكاذبون
لعلمه بانهم لا يفون بما يقولون كما اخبر عنهم بقوله لئن اخرجوا لا يخرجون
معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم وكان كذلك فان ابن ابي واصحابه
راسلوا بني النضير بذلك ثم اخلفوهم هنالك وفيه دليل على صحة النبوة
واعجاز القرآن من حيث تحقق الاخبار قبل الواقعة ولئن نصروهم اي
ارادوا نصرهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار بالانهزام والفرار
ثم لا ينصرون بعد ذلك بل نخذلهم ولا ينفعهم نصرة المنافقين هنالك
لانتم اشد رهبة مرهوبية واكثر مهابة في صدورهم فانهم كانوا يضمرون
مخافتهم من المؤمنين من الله على ما يظهرونه نفاقا فان استبطان
رهبتهم سبب لاظهار رهبة الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون
عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلموا ان الحقيق بان يخشى منه لا من
غيره ولذا قيل ان الله يدفع بالسلطان ما لا يدفع بالقرآن لا يقاتلونكم يعني اليهود
والمنافقين جميعا مجتمعين الا في قرى محصنة بالسور والخندق او من وراء
جدر لفرط الرهبة وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار باسهم بينهم شديد اي وليس
ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد باسهم اذا وقع الحرب بينهم بل يقذف
الله الرعب في قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله
ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين في الباطن وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق
عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون ما فيه صلاحهم وفلاحهم
وقال الاستاد ولئن ساعدوهم في بعض الحروب فاذا راوا من يجاهدهم ينهزمون
والمسلمون اشد رهبة في صدورهم من الله لعلة يقينهم واعراض قلوبهم عن معرفة
دينهم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى اجتماع النفوس مع تنافر القلوب واختلافها
اصل كل فساد وموجب كل تخاذل ومقتضى تجاسر العدو واتفاق القلوب والاشتراك
في الهمة يوجب كل ظفر وكل سعادة ولا يكون هذا قط من جهة الاعداء كمثل الذين
من قبلهم مثل اليهود كمثل المهلكين من الامم الماضية او كوجود مثل اهل بدر
قريبا في زمان قريب منه ذاقوا وبال امرهم اي سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم
عذاب اليم في العقبى وافاد الاستاد ان مثل قريظة كمثل النضير ذاق النضير وبال
امرهم قبل قريظة بسنة كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في اغراء اليهود
على قتال المؤمنين كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراء على الكفر اغراء الآمر
المأمور بالامر فلما كفر قال اني بريء منك تبرا عنه مخافة العقوبة الدنيوية اني اخاف الله

رب العالمين

رب العالمين اذ لا يتصور ان لا يخاف مربوب عن ربه بالكلية فكان عاقبتهما
انهما في النار خالدين فيها والمراد من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس
يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور
وآل امره الارتداد وذلك جزاء الظالمين قال الاستاد وكذلك ارباب الفترة
واصحاب الزلة كلهم في درجة واحدة وان كان بينهم تفاوت لا تنفع صحبتهم
قال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وكل احد اليوم يالف شكله صاحب
الدعوى الى الدعوى وصاحب المعنى الى المعنى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
راقبوا مولاكم وحاسبوا انفسكم في دنياكم قبل ان تحاسبوا في عقباكم
ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيامة سماه به لكمال دنوه او لان الدنيا
كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم وتنكير نفس للتعميم كما في قوله تعالى علمت نفس
ما قدمت واخرت واتقوا الله كرره للتوكيد او للمبالغة في التهديد او الاول
في اداء الواجبات والثاني في ترك المحرمات والاول لمراقبة العقبى والثاني
لمراقبة المولى ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم على اعمالكم بحسب محاسبة احوالكم
وفي الخبر ان الله لا ينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم
وافاد الاستاد ان من لا محاسبة له في اعماله لا مراقبة له في احواله وعلامة من
نظر لغده ان يحسن مراعاة يومه ولا يكون كذلك اذا فكر فيما عمله في امسه والناس
في هذا على اقسام مفكر في امسه الذي قسم له في الازل وآخر مفكر في غده ما الذي
سيلقاه ومشتغل بوقته فيما الزم ومصطلم عن مشاهده موصول بربه اندرج
في مذكوره لا تطلع له لماضيه ومستقبله وموقت الوقت شغله عن وقته ولا تكونوا
كالذين نسوا الله نسوا حقه وتركوا ذكره فانساهم انفسهم حظها بان
جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها عما يضرها
اولئك الناسون هم الفاسقون الخارجون عن دائرة الانسان
فان منشاء العصيان هو النسيان قيل من ابتلاه الله بنسيان نفسه
ومشاهدة ذلته وقلته كان ذلك به عقوبة من الله اياه على اعراضه عن الله
واغماضه عن صفته ثم يزداد على جرادته في جريمته لقلة مشاهدته فمن كان
كذلك لا يرجى له السلامة لوجدان اثار الملامة لا يستوي اصحاب النار واصحاب
الجنة الذين استمهنوا انفسهم فاستحقوا العقوبة والذين استكملوها
فاستاهلوا الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون بانواع النعمة واصناف
المنة وقال الاستاد وكذا لا يستوي اهل الغفلة مع اهل الوصلة ولولا النسيان
لما حصل العصيان والذي نسي امر نفسه فهو الذي لا يجتهد في تحصيل
توبته ويسوف ما لزمه في الوقت من طاعته لو انزلنا هذا القرآن على جبل

رابية خاشعا متصدعا من خشية الله متشققا من آثار هيبته واظهار
عظمته قيل تمثيل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة ولذا عقبه بقوله وتلك الامثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان الاشارة الى الشرطية المتقدمة وامثالها
والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة كتاب الله وسماع خطابه
لقساوة قلبه وقلة تدبره قال ابن عطا اشار الى فضله الى اهل معرفته
ان شيئا من الاشياء لا يقوم لصفاته ولا يبقى مع تجلياته الا من قواه الله
وهو قلوب العارفين قاموا له بخبره به لا بغيره وقيل في الآية مدح للنبي صلى الله
عليه وسلم اي لا تثبت له الجبال وثبت له يا محمد من بين الرجال للقوة الربانية
التي اودعناكها وجعلناك من اهل الكمال فالمغلاب ليس من باب العتاب والله
اعلم بالصواب وقال الاستاد وتلك الامثال نضربها للناس ليعقلوا ويهتدوا
اي بذلك امرناهم وان كان غير ذلك اردنا منهم هو الله الذي لا اله الا هو
عالم الغيب والشهادة اي المعدوم والموجود او السر والعلانية وافاد الاستاذ
ان الغيب ما استأثر الحق بعلمه والشهادة ما يعرفه الخلق وفي الجملة لا يعزب عن
علمه معلوم قلت ولا موجود ولا معدوم هو الرحمن الرحيم مفيض جلائل النعماء
ودقائق الالاء فتخلقوا باخلاقه ونوع الاسماء فارحموا من في الارض يرحمكم
من في السماء هو الله الذي لا اله الا هو كرر التوحيد للتأكيد في التفريد
الملك قال الاستاد مبالغة في وصف الملك والملك القدرة على الايجاد
القدوس البالغ في النزاهة عما يوجب المنقصة السلام ذو السلامة
من كل آفة مصدر وصف به للمبالغة وقال الاستاد الذي يسلم على اوليائه
ويسلم المسلمين من اعدائه المؤمن واهب الامن من المحنة او الغفلة وقال
ابن عطا المؤمن الذي امن المؤمنين عن خوف ما سواه وقال الاستاد الذي
يصدق عبده في توحيده فيقول له صدقت ويصدق نفسه في اخباره اي يعلم
انه صادق في وعده ووعيده ويؤمن المؤمن من عذابه وقال بعضهم الذي لا يخاف
من ظلمه المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء من بلاده وعباده وان لم يحفظوا
اوامره وزواجره العزيز المنيع الذي لا مقاوم له او البديع الذي لا مثل له
او الغالب على مراده والمعز لمن يشاء من عباده الجبار الذي جبر العباد
على ما اراد او جبر حالهم واصلح بالهم المتكبر المتعالي من ان يدرك كنه
ذاته وحقيقة صفاته سبحان الله عما يشركون به من مخلوقاته هو الله
الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا
من التفاوت وفق ارادته المصور الموجد لصورها وكيفياتها وكمياتها
المتميزة بين خليقته له الاسماء الحسنى لانها دالة على الصفات العلى

يسبح له

يسبح له ما في السموات والارض لتنزهه عن النقايص كلها وهو العزيز
الحكيم اي الكامل في القدرة والعلم فهو الجامع للكمالات باسرها قال القاضي
ومن اراد الاطناب في شرح هذه الاسماء فعليه بكتابي المسمى بمنتهى المنى
وقال الاستاد وقد استقصينا الكلام في معاني هذه الاسماء في كتابنا
المسمى بالبيان والادلة في معاني اسماء الله تعالى انتهى ولقد بينت
زبدة هذه المباني وعمدة هذه المعاني في شرحي المرقاة للوصول الى المشكوة

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلث عشر آية بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاد بسم الله اسم ملك ملك الخلق باجمعهم لكنه اختار
قوما لرفعهم لا ينتفع بهم بل لنفعهم ورد آخرين واذلهم بمنعهم ودفعهم
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي فيه تنبيه الى غاية غضبه على الكفار
ونهاية محبته للابرار وفي تقديمه ايماء الى ما سبق لهم من البوار مع الاشارة
الى حسن الملاطفة في ضمن المشاركة حيث قال عدوي وعدوكم اولياء
نزلت في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله عليه السلام
يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله عليه السلام يريدكم فخذوا حذركم وارسل
مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبرئيل واخبره فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال
انطلقوا حتى روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة
فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثمة فجحدت فسل
علي رضي الله عنه السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله
عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك
منذ نصحتك ولكني كنت امرا ملصقا في قريش وليس لي فيهم من يحمي اهلي
فاردت ان اخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه
رسول الله وعذره تلقون اليهم بالمودة اي توصلون اليهم المودة بنحو
المكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله بسبب تحصيل المودة والجملة
حال من فاعل لا تتخذوا وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من احد الفعلين
يخرجون الرسول واياكم اي من مكة حال من كفروا او استيناف بيانه
ان تؤمنوا بالله ربكم لان تؤمنوا به او كراهة ايمانكم بربكم من غير جنح
اضربكم ان كنتم خرجتم عن اوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي
علة للخروج وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا اي فلا تتخذوهم
اولياء تسرون اليهم بالمودة اي السرون او خبر اريد به التوبيخ وانا اعلم
اي منكم بما اخفيتم وما اعلنتم بسركم وعلنكم ومن يفعله اي الاتخاذ

منكم فقد ضل سواء السبيل اخطا الطريق المستقيم وعدل عن الدين القويم
قال ابو الحسين بما اخفيتم في باطنكم من المعصية وما اعلنتم في ظاهركم للخلق
من الطاعة، قال ابو حفص من احب نفسه فقد اتخذ عدو الله وعدوه وليا
وافاد الاستاد انه عليه السلام قال اعدى عدوك نفسك بين جنبيك واوحى
الى داود عليه السلام عاد نفسك فليس لى في المملكة منازع غيرها لمن عادى
نفسه قام بحق هذه الآية ومن لم يعاد نفسه لحقه هذه الوصمة فاصل الايمان
الموالاة والمعاداة في الله قلت وفي الحديث افضل الايمان الحب في الله
والبغض في الله ان يثقفوكم يجدوكم ويظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا القاء
المودة اليهم لا ينفعكم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما يسوءكم
من قتلكم وشتمكم وودوا لو تكفرون والحال انهم قد تمنوا ارتدادكم لن ينفعكم
ارحامكم اقاربكم عموما ولا اولادكم خصوصا من الذين توالون لاجلهم اعداءكم
يوم القيمة وقت الملامة والندامة يفصل بينكم يفرق بينكم بما يصيبكم من هول ذلك
اليوم فيفر بعضكم من بعض فما لكم تتركون اليوم حق الله عليكم لمن يفر غدا عنكم
وقرا عاصم بالبناء للفاعل وحمزة والكسائى بالتشديد معلوما وابن عامر به مجهولا
والله بما تعملون بصير فيجازيكم على القليل والكثير قد كانت لكم اسوة حسنة
قدوة مستحسنة في ابراهيم والذين معه اى وفيمن شاركوه في تلك الصفة
واقتدوا به في تلك الحالة وقال الاستاد اى ومن قبله من الانبياء اذ قالوا لقومهم
انا برآء منكم اى بريئون من موالاتكم في جميع حالاتكم ومما تعبدون من دون الله
اى من معبوداتكم غير الله او من عباداتكم لما سواه كفرنا بكم بدينكم او معبودكم
وبدا ظهر بيننا وبينكم العداوة ظاهرا والبغضاء باطنا ابدا دائما سرمدا
حتى تؤمنوا بالله وحده اى منفردا فينقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة
الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء منقطع من قوله اسوة
حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغى ان يقتدى به فانه كان قبل النهى
عن الاستغفار للكفار او قبل تحقق كفر ابيه لموعدة وعدها اياه فلما تبين
انه عدو لله تبرا منه وما املك لك من الله من شيء من تمام قوله المستثنى
ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه والحاصل ان استغفار الكفار
منهى عنه ولو مع هذا القول الذي بانفراده يستحسن الاقتداء به ربنا عليك توكلنا
واليك انبنا واليك المصير مرجعنا والجملة من جملة قول ابراهيم والذين
معه وكذا قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا
بعذاب لا طاقة لنا واغفر لنا ما فرط منا انك انت العزيز الغالب على مراده
الحكيم فيما يفعل بعباده ويحتمل ان يكون الجملتان تلقين لنا ان نذكرهما

في دعائنا

في دعائنا ولا يبعد ان يقدر قولوا قال ابن عطا الاسوة بالخليل في الظاهر من الاخلاق
الشريفة كالسخاء وحسن الخلق مع الخلق واتباع ما امر به على وفق الصدق
وفي الباطن من الاحوال المنيفة كالاخلاص لله تعالى في جميع الافعال والاقبال
عليه في كل الاحوال وطرح الكل في ذات الله وافاد الاستاد ان الفائدة في
هذه الآية تخفيف الامر على قلب النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
بالتعريف ان قبلهم كذبوا انبياءهم ثم الله اهلك اعداءهم لقد كان لكم فيهم اسوة
حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر بدل من لكم كرر لمزيد الحث على التاسى
بابراهيم فانه مقام عظيم ومن يتول يعرض عن هذا الامر الاكيد فان الله هو
الغنى عن طاعة مخلوقاته الحميد في ذاته وصفاته عسى الله ان يجعل بينكم
وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل ما صدر من الآية عادى المؤمنون اقاربهم
الكفرة وتبرؤا عنهم بالكلية فوعدهم الله بذلك وانجز وعده هنالك
اذ اسلم اكثر الاعداء وصاروا لهم من الاولياء والله قدير على ذلك اذا
تعلقت الارادة هنالك والله غفور لما فرط منكم في موالاتهم رحيم بما صدر
عنكم من معاداتهم وفي الحديث احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك
يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما قال ابن عطا في الآية
اى لا تبغضوا عبادى كل البغض فانى قادر على ان انقلهم من البغض الى المحبة
كنقلهم من الحيوة الى الممات ومن الموت الى الحشر والنشر لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اى عن مبرة هؤلاء لان قوله ان تبروهم بدل اشتمال
من الموصول وتقسطوا وتفضوا اليهم بالعدالة ان الله يحب المقسطين
العادلين في جميع الحالة ويحب الرفق في جميع امور الخلق وقضية المؤلفة فلوبهم
شاهدة لهذه الجملة روى ان قتيلة قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابى بكر رضى الله
عنهما بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن بالدخول لها فنزلت انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم
في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا عاونوا على اخراجكم كمشركى مكة ان تولوهم
اى تتولوهم وتوالوهم بدل اشتمال من الموصول ومن يتولهم فاولئك
هم الظالمون لوضع الولاية في موضع العداوة يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم
المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة
قلوبهن السنتهن في اظهار ايمانهن الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على
قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات اى العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن
الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم في وجوب
في وجوب العلم به فلا ترجعوهن الى الكفار فلا تردوهن الى ازواجهن الكفرة
لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للمطابقة والمبالغة او الاول

لحصول الفرقة والنافى للمنع عن استيناف الوصلة وآتوهم ما انفقوا ما دفعوا
اليهن من مهورهن وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما
تعذر عليه ردهن لورود النهى لزمه رد مهورهن اذ روى انه عليه السلام كان بعد بالحديبية
اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومى طالبا
لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق
وتزوجها عمر رضى الله عنه وفى الحديث اشارة الى ان حكم الآية فى دفع المهر منسوخ
ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن من الكفار
اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن شرط ايتاء المهر نكاحهن ايذانا بان ما اعطى
ازواجهن لا يقوم مقام مهرهن ولا تمسكوا وقراء البصرى بالتشديد بعصم الكوافر
جمع عصمة اى بما يعتصم به الكافرات من عقد ونسب والمراد نهى المؤمنين عن
المقام على نكاح المشركات من غير الكتابيات واسئلوا ما انفقتم من مهور
ازواجكم المهاجرات الى الابرار ذلكم جميع ما ذكر فى الآية حكم الله على الآية
يحكم بينكم استيناف والله عليم حكيم فاحكام شريعته على مقتضى حكمته
وان فاتكم سبقكم او انفلت منكم شىء من ازواجكم اى من مهور نسائكم
فعاقبتم فجاءت عقبتكم اى نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء
مهور نساء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب
فى الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر
المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر اذ روى انه لما نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون
ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون فان الايمان به يقتضى
التقوى منه يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن
بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عليه السلام لما فرغ من بيعة الرجال اخذ
فى بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد وأد البنات
ولا ياتين ببهتان اى بكذب يفترينه بين ايديهن وارجلهن اى من
تلقاء انفسهن ويدخل فيه الحاق ولد الغير بازواجهن ولا يعصينك فى
معروف فبايعهن فى حسنة تامرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول
لا يامر الا به تنبيه على انه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق كما ورد وقال ابن عطا
اى لا يخالفنك فى شىء من الطاعات وقال الاستاد يدخل فى ذلك النياحة
وشق الجيوب ونتف الشعر عند المصيبة وتخميش الوجه والتبرج واظهار
الزينة وامثالها واستغفر لهن الله فيما فرط منهن ان الله غفور
لذنوبهن رحيم بهن فى بيعة بنيهن يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما
غضب الله عليهم من اليهود وغيرهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم

اولعلمهم بانه حينئذ لا حظ لهم كما يئس الكفار من اصحاب القبور من ان يبعثوا ويثابوا

سورة الصف مدنية وقيل مكية وهى اربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد هى كلمة من وفقه الله لها فانه لم يصبر عن
ذكرها بلسانه ثم لا يفتر عنه حتى يصل الى المسمى بها بجنانه وفى البداية يتأمل فى برهان
لمعرفة سلطانه ثم لا يزال يزيد فى احسانه ثم فى نهاية شانه فبالتحقيق
كما هو كعيانه سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره وتقدم
تحريره وافاد الاستاد ان من اراد ان يصفو له تسبيحه فليصف قلبه عن آثار
غيره ومن اراد ان يصفو اله فى الجنة عيشه فليصف عن اوضار ذنبه نفسه يا ايها الذين
آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روى ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله
لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله فولى
بعضهم يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر حذف
الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما فى الدلالة على المستفهم
عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على
التمييز وفى الكلام مبالغة فى المنع عن الدعوى من غير تحقق المعنى فى تفسير السلمى
هذه الآية زجر وتهديد لاهل التحقيق والمشاهدة اذ ليس للعبد فعل ولا تدبير لانه
اسير فى قبضة العزة تجرى عليه احكام القدرة وتصاريف المشية فمن قال
فعلت او اتيت او شهدت فقد نسى مولاه واعرض عن بره وادعى ما ليس له
قال الاستاد وفى الجملة خلف الوعد مع كل احد قبيح ومع الله اقبح ويقال لم يتوعد
على زلة بمثل ما على هذه المخالفة ويقال اظهار التجلد مع الخلق من غير شهود
مواضع الفقر الى الحق فى كل نفس يؤذن بالبقاء عما حصل به الدعوى والله
يحب التبرى من الحول والقوة ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله
صفا مصطفين مصدر وصف به مبالغة كانهم بنيان مرصوص محكم فى
تراصهم من غير فرجة فى خلاقهم وافاد الاستاد ان المحبة توجب ايثار
تقديم مراد حبيبك على مراد نفسك وتقديم محبوب حبيبك على محبوب نفسك
فاذا كان الحق تعالى يحب من العبد ان يقاتل على الوجه الذى ذكره فمن لم يؤثر
محبوب ربه على محبوب نفسه انسلخ من محبته لربه ومن خلا من محبة الله وقع
فى الشق الآخر فخشى انه يؤدى الى زوال كمال ايمانه واذ قال موسى لقومه من بنى
اسرائيل يا قوم لم تؤذوننى بالمعصية والرمى بالادرة وقد تعلمون انى رسول الله
اليكم بما جئتكم من انواع المعجزة والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته
يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم ولا يبعد ان يكون لتقليله فان
ادنى العلم بالنبوة العلية يمنع الاذية فلما زاغوا عن طريق الحق ازاغ الله

قلوبهم صرفها عن قبول الحق او زاد زيغ قلوبهم عن معرفة ربهم او لما زاغوا
بحسب الظاهر تبين ان الله ازاغهم بحسب الباطن والله لا يهدى القوم
الفاسقين اى الخارجين عن الطاعة هداية موصلة الى حصول المعرفة او الى
دخول الجنة قال جعفر لما تركوا مراعاة امر الخدمة نزع الله عن قلوبهم نور المعرفة وجعل
للشيطان اليهم طريقا يضلهم فازاغهم عن طريق الحق وادخلهم فى مسالك الباطل
وقال الواسطى فلما زاغوا فى العلم والمعرفة ازاغ الله قلوبهم فى الخلقة وقال الاستاد
لما زاغوا بترك الجد ازاغ الله قلوبهم بنقض العهد ويقال فلما زاغوا عن طريق الرشد
ازاغ الله قلوبهم بالصد والرد والبعد عن الود ويقال فلما زاغوا بظواهرهم
ازاغ الله سرائرهم ويقال فلما زاغوا عن العبادة ازاغ الله قلوبهم
عن الارادة واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم
مصدقا لما بين يدى لما تقدمنى من قبلى او لما هو موجود قبلى من التورية اى الكتاب
المنزل على موسى ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد يعنى محمدا صلى الله
عليه وسلم والمعنى ان دينى التصديق بكتب الله وانبيائه السابقة واللاحقة
واكتفى بذكر اول الكتب المشهورة الذى حكم به اكثر النبيين وبخبر النبى الذى
هو خاتم المرسلين واحمد يحتمل ان يكون افعل تفضيل للفاعل والمفعول اى اكثر
الناس حامدية او محمودية فهو بهذا الاعتبار ابلغ من نعت المحمدية ولعل الاقتصار
فى القرآن على اسمه محمد للايماء الى غلبة رتبة المحبوبية وحالة المجذوبية ويقال ابن
عطاء هو احمد الحامدين حمدا واحمد المطيعين له طاعة واحمد العارفين له معرفة
واحمد المشتاقين اليه شوقا فلما جاءهم بالبينات بالمعجزات الواضحات
قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او الى الجائى وتسميته سحرا للمبالغة
ويؤيده قراءة حمزة والكسائى هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى
المرتقى او احمد المصطفى ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى
الى الاسلام اى لا احد اظلم ممن يدعى الى دين الاسلام الظاهر حقيقته
ما فيه من الاحكام المقتضى له فى الدارين خير المرام فيضع موضع قبوله الافتراء
على الله بتكذيب رسوله فان الافتراء يعم اثبات المنفى ونفى الثابت
بحسب الاقتضاء والله لا يهدى القوم الظالمين الى مقام التحقيق حيث
وضعوا التكذيب موضع التصديق يريدون ليطفئوا اى ان يطفئوا كما فى
آية اخرى وقيل تقديره يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله بافواههم
يعنى دينه او كتابه بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ غايته وموصل
نهايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بالاضافة
ولو كره الكافرون اى ارغاما لانفسهم والزاما لحالهم وافاد الاستاد ان ما نار الله

من برهان

من برهان واعلاه من شأن فمن احتال وهنه او رام وهيه انعكس عليه
كيده ومكره وانتقض عليه تدبيره ويأبى الله الا ان يتم نوره وكما قالوا شعر
ولله سر فى علاك وانما كلام العدى نوع من الهذيان • وقيل مثل من
يتمنى ان يطفئ نور الاسلام بكيده كمن يحتال ويزاول اطفاء شعاع الشمس
بنفخه ونفثه وذلك من المحال فى نفسه هو الذى ارسل رسوله بالهدى بالقرآن
او المعجزة والبرهان ودين الحق اى الثابت المطلق ليظهره على الدين كله
ليعليه ويغلبه على افراد جنس الدين جميعه ولو كره المشركون لما فيه من محض
توحيد الذات وتفريد الصفات وقال الاستاد لقد ارسل الله نبيه لدينه موضحا
وبالحق مفصحا ولتوحيده معلنا وللجهد فى الدعاء الى الله مستفرغا ففرع بنصحه
قلوبا نكرا وبصر بنور تبليغه عيونا عميا يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة
تنجيكم وقرأ ابن عامر بالتشديد اى تخلصكم وتنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله
ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف مبين للتجارة وهو
الجمع بين الايمان والمجاهدة المؤدى الى كمال المنزلة فى الدنيا والآخرة والمراد به
الامر وانما جئ بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ولا يتأخر ذلكم اى ما ذكر
من الاعتقاد والاجتهاد خير لكم ان كنتم تعلمون تميزون الخير من الشر والنفع من
الضر يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر ويدخلكم جنات تجرى
من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن بساتين اقامة ذلك الفوز العظيم
الاشارة الى ما ذكر من حصول المغفرة ودخول الجنة وافاد الاستاد انه سمى الايمان
والجهاد تجارة لما فيهما من الربح والخسارة ونوع تكسب من التاجر فى تلك الحالة
فكذا فى الايمان والجهاد ربح الجنة وخسرانها وفى ذلك اجتهاد العبد فى تحصيل
شأنهما ثم بين الربح على تلك التجارة بقوله يغفر لكم ذنوبكم فقدم ذكرا اهم الاشياء
وهو المغفرة ثم بعد فراغ القلوب عن العقوبة ذكر ادخال الجنة وما فيها من
انواع اللذة ثم قال ومساكن طيبة اذ لا تطيب تلك المساكن الا بالرؤية ولذا قالوا
اجيراننا ما اوحش الدار بعدكم • اذا غبتم عنها ونحن حضور • وقالوا
نحن فى اكمل السرور ولكن • ليس الا بكم يتم السرور • عيب ما نحن فيه
يا اهل ودى • انكم غيب ونحن حضور • واخرى تحبونها اى ولكم نعمة اخرى
محبوبة عاجلة نصر من الله بيان لها او اخرى مبتدأ خبره نصر من الله وفتح
قريب فى العاجل وبشر المؤمنين بحصول العاجل ووصول الآجل وهو
معطوف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا قال جعفر الصادق بشارة
الى رؤيته فى مقعد صدق وقال الاستاد ذلكم نعمة اخرى تحبونها نصر من الله
فى حفظ الايمان والاسلام وتثبيت الاقدام فى ميدان الاحكام اليوم على طريق

الاستقامة غدا على صراط القيمة وفتح قريب الرؤية والزلفة ويقال دوام الشهود
وبقاء الوجود وبشر المؤمنين بانهم لا يتخلفون عنك في هذه الدولة يا ايها
الذين آمنوا كونوا انصار الله اي اعوان دينه ونبيه وقرأ الحرميان وابو عمرو
بالتنوين واللام للدلالة على الاخلاص في المقام كما قال عيسى ابن مريم للحواريين
من انصاري الى الله اي من اعواني متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله
قال الحواريون نحن انصار الله والتشبيه باعتبار المعنى اذ المعنى قل لهم
كما قال عيسى او كونوا انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى وفي العدول
عن ظاهر العبارة الى ما يستفاد منه البشارة دلالة على ثبوت انصار محمد
عليه السلام بوصف الكمال والدوام حيث كان بامر الله سبحانه بخلاف انصار
عيسى عليه السلام حيث كان بقوله فاختلفوا في قبوله فآمنت طائفة من
بني اسرائيل بعيسى فاكرموا وكفرت طائفة بعيسى فاذلوا والحواريون
اصفياؤه من الحور وهو البياض وصفاؤهم اول من آمن به وكانوا اثني
عشر رجلا واما نبينا صلى الله عليه وسلم فكثر له الانصار من المهاجرين والانصار
حتى بلغوا على ما قيل مائة وعشرين الفا من الصحابة الابرار وقال الاستاذ لما تقاعد
قومه عن نصرته وانتدبت اعداؤه لتكذيبه وجحدوا ما شاهدوه من صدقه قيض له
انصارا من امته هم نزاع القبائل وآحاد الافاضل وسادات الاماثل وافراد
المناقب واوتاد المراتب فبذلوا في اعانته ونصرة دينه مهجتهم ولم يؤثروا
عليه شيئا من كرائمهم ووقوه بارواحهم وحفظوه باشباحهم والله ايدهم
لنصرة دينه اولئك اقوام عجن الله بماء السعادة طينة اشباحهم وخلق من نور
التوحيد طينة ارواحهم واهلهم يوم القيمة للسيادة على اضرابهم واشباههم
فايدنا الذين آمنوا على عدوهم بالحجة او بالمحاربة وذلك بعد رفع عيسى الى
مقام الزلفة فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين

سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاذ اسم عزيز اذا تجلى لعبد بوصف
جماله تجمعت افكاره على بساط جوده فلم تتفرق بسواه ومن تجلى لسره بنعت
جلاله اندرجت جملته واستهلكت في وجوده فلم يشعر بكرائم دنياه
ولا بعظائم عقباه يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك
القدوس العزيز الحكيم قال الاستاذ يسبح في بحار توحيد الحق اسرار اهل التحقيق
ويجرهم بلا شاطئ فبعد ما حصلوا فيها فلا خروج ولا براح فحازت ايديهم
جواهر التفريد فرصعوها في تاج العرفان ولبسوه يوم اللقاء الملك المتفرد بالجلال في
الجبروت القدوس المنزه عن الدرك والوصول في الملك والملكوت ليس

بد خلائق

بد خلائق الا عرفان الحقائق بنعت التعالي والتردد في شهود افعاله واما
الوقوف على حقيقة انيته فجلت الصمدية عن اشراف عرفان عليه او طمع ادراك
في حال رؤيته او جواز احاطة في العلم به ليس الا فاقة بلسان مستنطق وحالة بشهود
حق مستغرق وقلت لنا نحن الالهة انما ننضج لمن يسري بليل ولا نقري هو الذي بعث
في الاميين اي في العرب لان اكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرؤن رسولا منهم
من جملتهم اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه صنعة
كتابة ولا تعلم قراءة ويزكيهم من خبائث الاحوال والاعمال ويعلمهم الكتاب
والحكمة القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يوجد له معجزة
في الجاهلية والتادب في اليتم وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك
والجهل وهو بيان لشدة حاجتهم الى نبي مرشد الى هدايتهم وان هي المخففة واللام
الفارقة وقال الاستاذ جرده عن تكلف تعلم علم وعن اتصاف بتطلب وقوف
على حكم ثم بعثه فيهم فاظهر عليه من الاوصاف ما فاق به على جميعهم ايتمه في الابتداء
عن ابيه وامه ولكن آواه بلطفه وكرمه فكان ذلك ابلغ واتم وافرده عن تكلفه
للعلم ولكن قال وعلمك ما لم تكن تعلم البسه لباس العزة وتوجه بتاج وخلع عليه
حسن التولي ليكون آثار البشرية عنه مندرسة وانوار الحقائق عليه لائحة وآخرين
منهم اي ويبعث في آخرين منهم وهم العجم ومن يأتي الى يوم القيمة من
الامم فهو صلى الله عليه وسلم مبعوث اليهم وقبول حكمه واجب عليهم لما يلحقوا بهم
وسيلحقون اليهم وهو العزيز الغالب على امره الحكيم ذو الحكمة في تدبيره
وتقديره ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء تفضله بالايمان والمعرفة وتوفيق
الطاعة والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعم الدنيا والآخرة وافاد
الاستاذ انه سبحانه قطع الاسباب بالجملة في استحقاق الفضل اذ احاله
على المشيئة مثل الذين حملوا التورية علموها وكلفوا بعملها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها
كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بما على ظهرها
من حملها ويحمل حال او صفة لان للحمار في المعنى نكرة وافاد الاستاذ انه يلحق
بهؤلاء في الوعيد من حيث الاشارة الموسومون بالتقليد في اي معنى
شئت ان شئت في علم الاصول وما طريقه ادلة العقول وان شئت
في هذه الطريقة ما طريقه المنازلة انتهى والتحقيق ان التقليد صحيح في
باب التصديق والله ولي التوفيق بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله
اي مثل المكذبين بآيات الله على نبوة رسول الله والله لا يهدي القوم الظالمين
الى ما فيه رضاه قل يا ايها الذين هادوا مالوا عن طريق الحق وتهودوا
ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس اذ كانوا يقولون نحن ابناء الله

واحباؤه وكانوا يدعون ان الدار الآخرة خالصة لهم وخاصة بهم فتمنوا الموت
فاطلبوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية والملامة الى محل الكرامة والسلامة
ان كنتم صادقين في زعمكم انها لكم خالصة ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم
بسبب ما قدموا من الكفر والمعصية والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم
بحسب تفاوت احوالهم وافاد الاستاد ان هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم
صرف قلوبهم عن تمني الموت الى هذه المدة فدل على صدق صاحب النبوة قل ان
الموت الذي تفرون منه اي تستفرون منه بجنانكم وتخافون ان تتمنوه بلسانكم
مخافة ان يصيبكم فتؤاخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم لاحق بكم او يقابلكم ثم تردون
الى عالم الغيب والشهادة اي السر والعلانية والمعنى ترجعون الى حكمه فينبئكم
بما كنتم تعملون فيجازيكم باعمالكم ووفق احوالكم وافاد الاستاد ان الموت
جسر والمقصد عند الله وفي الخبر من كره لقاء الله كره الله لقاءه لمن لم يعش
عفيفا فليمت ظريفا يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة اي اذن لها
من يوم الجمعة بيان لاذا او من بمعنى في والمراد به الاذان الاول وهو وقت تحقق
الزوال او الثاني وهو ما بين يدي الخطيب والاظهر الثاني والاحوط الاول فتامل
ففي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد بايديهم
صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وكانت
الطرقات في ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مضيقة بالمبكرين الى الجمعة ويقال
اول بدعة احدثت في الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود انه بكر فرأى
ثلثة نفر سبقوه فاغتم واخذ يعاتب نفسه ويقول اراك رابع اربعة وما
رابع اربعة بسعيد وسمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة واول جمعة جمعها رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه نزل قبا عند الهجرة واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة
وصلى الجمعة في دار لبني سالم بن عوف وفي الحديث خير يوم طلعت فيه الشمس يوم
الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة
وهو عند الله يوم المزيد وعنه عليه السلام ان لله تعالى في كل جمعة ستمائة الف عتيق
من النار فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه وبادروا بالوصول لديه والمراد به الخطبة
والصلوة والامر بالسعي اليهما يدل على وجوبهما وذروا البيع واتركوا كل شاغل
عنهما ذلكم اي السعي الى ذكر الله خير لكم من جميع الدنيا فان نفع الآخرة خير وابقى
ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون بين النفع والضر وافاد الاستاد ان منهم
من يحمل ترك البيع على الظاهر في المعاملة مع الخلق ومنهم من يحمله عليه وعلى معنى
آخر وهو ترك الاشتغال بملاحظة الاعواض والتناسي عن جميع الاعراض
الا معانقة امر الحق ومنهم من يسعى الى ذكر الله جهرا بجهر ويسعى الى الله سرا بسر

فاذا قضيت

فاذا قضيت الصلوة اديت بكمالها وفرغ من اعمالها فانتشروا في الارض
فابيح لكم الانتشار والتفرق فيها بعد الاجتماع ببعضها وابتغوا من فضل الله رزقه
بالتجارة والزراعة والصناعة ونحوها او الانتشار في طلب المباح من الدنيا والابتغاء
في تحصيل الاخرى وفي الحديث وابتغوا من فضل الله ليس لطلب الدنيا وانما هو عبادة
وحضور جنازة وزيارة اخ في الله وقال الاستاد انما ينصرف من كان مرجع يرجع اليه او
شغل بقصده ويشتغل به ومن لا شغل له ولا مأوى فالى ان يرجع قلت قال تعالى
ان الى ربك الرجعى ثم قال وانما يقال وابتغوا من فضل الله اذا كان له ارب فاما
من سكن عنه المطالبات وكفى داء الطلب فماله وابتغاء ما ليس يريده ولا هو
في رقه قلت فما بقي الا ابتغاء وجه ربه الاعلى واذكروا الله كثيرا في جميع
حالاتكم وسائر اوقاتكم ولا تخصوه بساعات صلاتكم لعلكم تفلحون تفوزون
بعلو مقاماتكم واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها تفرقوا الى التجارة واكتفى
بها لان اللهو كان تابعا لها وقرئ اليه واليهما روي انه عليه السلام كان يخطب
للجمعة فمرت تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر فنزلت واو
للتنويع للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته ومنهم
من انفض لاشتراء الطعام بعذر شدة حاجته وتركوك قائما على المنبر انفا
بذكر الله وطاعته وافاد الاستاد ان من اسرته اخطار الاشياء استجاب لكل
داع جره الى الهوا وحمله على سهو ومن ملكه سلطان الحقيقة لم ينحرف عن المقصود
ولم يلتفت عن حال الشهود قل ما عند الله من المثوبة والقربة خير من اللهو
ومن التجارة المشغلة عن مقام الوصلة والله خير الرازقين فتوكلوا عليه
واطلبوا الرزق لديه وافاد الاستاد ان ما عند الله للعباد والزهاد غدا خير
مما نالوه من الدنيا نقدا وما عند الله للعارفين من واردات القلوب
وبواده الحقيقة في الدنيا خير مما يؤمل غيرهم في المستأنف من الدنيا والعقبى

سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاد اسم من تحقق به صدق في اقواله ثم صدق في اعماله ثم صدق
في اخلاقه ثم صدق في احواله ثم صدق في انفاسه فصدقه في القول ان لا
يقول الا عن برهان وصدقه في عمله ان لا يكون للبدعة عليه سلطان وصدقه
في اخلاصه ان لا يلاحظ احسانه مع الكافة بعد المبالغة فيه بعين النقصان
وصدقه في احواله ان يكون على كشف وبيان وصدقه في انفاسه ان لا
يتنفس الا على وجود كالعيان اذا جاءك المنافقون قالوا
نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو
الحضور ولذا صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله والله يعلم انك

رسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لاطلاعه على انهم لم يعتقدوا ذلك ولم يثبتوا هنالك قال سهل لانهم اقروا واعترفوا بلسانهم ولم يعرفوا بجنانهم فلذا سماهم الله منافقين ومن عرف بقلبه واعترف بلسانه ولم يعمل باركان ما فرض الله عليه من غير عذر في شانه فهو من الفاسقين شبيه بالمنافقين وقال الاستاذ كذبهم فيما قالوا انا نشهد عن بصيرة ونعتقد تصديقك في سريرة فلم يكذبوا فيما كانوا يشهدون ولكن في قولهم انا مصدقون وفي دعويهم انا مخلصون ويقال صدق القالة لا تنفع مع قبح الحالة ويقال الايمان ما يوجب الامان فالايمان يوجب للمؤمن اذا كان عاصيا خلاصه من العذاب الكريه وان لم يوجب فلا اقل لا ما ينقله من اعلى جهنم الى اسفله اتخذوا ايمانهم الكاذبة جنة وقاية عن القتل والسبي والمذلة فصدوا عن سبيل الله صدودا واشتغالا واعراضا او صدا ومنعا واعتراضا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وشقاقهم وصدودهم وصدهم قال الاستاذ تستروا باقرارهم وتكشفوا بنفاقهم عن استارهم فافتضحوا وذاقوا وبال احوالهم ذلك القول الشاهد على سوء اسرارهم بانهم آمنوا بسبب انهم آمنوا بظواهرهم ثم كفروا بسرائرهم فثم بمعنى الواو او للاستبعاد عن مخالفة حالتهم لظاهرهم فانهم اذا آمنوا عند اهل الوفاق وكفروا فيما بين اهل الشقاق كما هو شان اهل النفاق لو امنوا اذا راوا آية ثم كفروا حيث ما سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم لما صدر عنهم مرة بعد مرة فاستمروا على الكفر واستحكموا في العذر فهم لا يفقهون حقيقة الامر وقال الاستاذ استضاؤا بنور الاجابة فلم ينبسط عليهم شعاع نور السعادة فانطفأ نورهم بقهر الحرمان من الطاعة والعبادة وبقوا في ظلمات القساوة بحكم الشقاوة على ما مضى لهم من القسمة السابقة واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها وفخامتها وصباحتها وملاحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لحلاوة كلامهم وحدة لسانهم في نادية مرامهم كانهم خشب مسندة قرأ قنبل وابو عمرو والكسائي بسكون الشين تخفيفا والجملة حال من الضمير المجرور في لقولهم والمعنى تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الجدار لا هي مركبة في البناء ولا مغروسة في موضع النماء فينتفع بها من بين الاشياء فكانهم اشباح ليس فيها ارواح لخلوهم عن النظر في الابتداء والتدبر في الانتهاء يحسبون كل صيحة عليهم يتوهمون ان كل صيحة يسمعونها واقعة عليهم بانها لهم فيما لديهم وبجبنهم اذ ليس لهم انتعاش بربهم والاستقلال بعزتهم لعدم ايمانهم بقلبهم هم العدو فاحذرهم ولا يغرنك تبسطهم في الكلام

على وجه

على وجه التودد والتقرب في المقام قاتلهم الله دعاء عليهم بمعنى انه سبحانه طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين بان يقولوا ذلك في حقهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن طريق الحق وسبيل الصدق واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لما صدر عنكم وفرط منكم لووا رؤسهم قرأ نافع بتخفيف الواو اي عطفوها اعراضا واعتراضا على وجه الاستكبار ورايتهم يصدون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم فيما صدر عنهم من الامر لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والاستقباح هم الذين يقولون للانصار او لاتباعهم في الدار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا اي يتفرقوا فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق وقسم الاخلاق ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالخلاق والرزاق قال جنيد خزائنه في السموات الغيوب وخزائنه في الارض القلوب فما انفصل من الغيوب وقع في القلوب وما انفصل من القلوب صار الى الغيوب والمرتهن بشيئين مقصر الخدمة ومرتكب الذلة وقال الواسطي من طالع الاسباب في الدنيا واعراض الاخرى لم يفقه قلبه وهو حجاب نفسه ومراده يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابي راسه بخشبة فشكا الى ابن ابي فقال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله واتباعه من الامة ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم قال الواسطي عزة الله ان لا يكون شيء الا بمشيئته وارادته وعزة رسله انهم آمنون من زوال الايمان بعصمته وعزة المؤمنين امنهم عن دوام عقوبته وقال الاستاذ انما وقع لهم الغلط في تعيين الاعز والاذل فتوهموا ان الاعز هم المنافقون والاذل هم المسلمون وكان الامر بالعكس فلا جرم غلب المؤمنون واذل المنافقون ثم قال ولله عز الالهية وللرسول عز النبوة وللمؤمنين عز الطاعة وجميع ذلك لله فعزة الالوهية صفة لله ابدا وازلا وعز الرسول والمؤمنين له فعلا ومنه فضلا فاذا لله العزة جميعا ويقال عز الانبياء ان لا عزل لهم اصلا ويقال لا عز الا في طاعة الله ولا ذل الا في معصية الله وما سوى ذلك فلا اعتبار له عند الله يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لا تشغلكم

تدبيرها والاهتمام بامرها عن الصلوات المنجية للشهود وسائر العبادات
المذكرة للمعبود ومن يفعل ذلك اى اللهو بها وهو الشغل عن الاهم منهما
فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا الخطير الباقى بالحقير الفانى وقال الاستاد
لا تضيعوا امر دينكم واحوال معادكم بسبب اموالكم واولادكم بل اثروا حق الله
واشتغلوا بطاعة مولاكم يكفكم امور دنياكم واخريكم فاذا كنت لله كان الله
لك ويقال حق الله ما الزمك القيام به وحقك ضمن القيام به فاشتغل
بما كلفت لا بما كفيت وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا لمعادكم
من قبل ان ياتى احدكم الموت اى يرى دلائل الفوت فيقول رب
لولا اخرتنى لولا امهلتنى الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فاتصدق على
المحتاجين واكن من الصالحين بالتدارك فى مقام التائبين وجزم اكن للعطف
بالمعنى على مواضع الفاء ومدخولها وقرا ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على اصدق
ولن يؤخر الله نفسا ولن يمهلها نفسا اذا جاء اجلها آخر عمرها والله خبير بما تعملون
وقراء ابو بكر بالغيبة قال الاستاد لا تغتروا بسلامة اوقاتكم وترقبوا بغتات
آجالكم فتاهبوا لما بين يديكم من الرحيل ولا تنزحوا فى اوطان التسويف

سورة التغابن مكية او مدنية وهى ثمان عشر آية بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله كلمة عزيزة من ذكرها يحتاج الى لسان عزيز فى الغيبة غير مستذل وفى
ذكر الاغيار غير مستعمل ومن عرفها يحتاج الى قلب عزيز ليس فى كل ناحية
منه خليط ولا فى كل زاوية منه ربيط يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض
بدلالتها على كماله واستغنائه بصفات جماله ونعوت جلاله له الملك باطنا
وظاهرا وله الحمد اولا وآخرا وهو على كل شئ قدير اى على ما يشاءه وعين له
قدرا هو الذى خلقكم اى منتفقين فى جنس الانس مختلفين فى مجلس الانس
فمنكم كافر مقدر كفره قبل خلقه موجه اليه بما يحمله عليه من امره ومنكم مؤمن مقدر
ايمانه قبل ظهور شانه موفق لما يدعوه اليه من احسانه فكل ميسر لما خلق له والله
بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم ويوافق احوالكم قال القاسم خاطبهم
مخاطبتهم قبل كونهم فسماهم كافرين ومؤمنين فى ازله فاظهرهم حين اظهرهم على
ما سماهم وقدر عليهم فاخبر انه علم ما يعملون من خير او شر فى جميع اعمارهم
وقال الاستاد اى فمنكم كافر فى سابق حكمه سماه كافرا وعلم انه يكفر واراد به الكفر
وكذلك كانوا ومنكم مؤمن فى سابق حكمه سماه مؤمنا وعلم فى ازاله مؤمنا خلقه
مؤمنا واراده مؤمنا وكذلك كانوا خلق السموات والارض بالحق بالحكمة
البالغة والهيئة الكاملة وصوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق
فيها باحسن صورة من الهيئات حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات

وختمكم

وختمكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات وصيركم
مظاهر الجمال والجلال من بدايع الصفات واليه المصير المرجع والمسير فى جميع
الحالات فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم وافاد الاستاد انه سبحانه
لم يقل لشئ من المخلوقات هذا الذى قال لنا وصوركم فاحسن صوركم فصورة المظاهر
شاهد لكمال قدرته والباطن شاهد لكمال قربته يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون
وما تعلنون ما تقولون وتفعلون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه شئ من
الكائنات سواء كان من الكليات او الجزئيات وقال الاستاد فقروا حيلكم
عن مطالبكم فانه يتقاصر عنه علومكم فاطلبوه منى فانى اعلم واقدر عليه دونكم واحذروا
دقيق الرياء فى خفايا ذات صدوركم واتقوا ان يخالف سرائركم ظواهركم ففى قوله
يعلم ما تسرون امر بالمراقبة بينه وبين الحق وفى قوله وما تعلنون امر بالصدق فى المحاسبة
والمعاملة مع الخلق الم ياتكم ايها الكفار نبأ الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود
وصالح ونحوهم فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم وثقل وزرهم فى الدنيا ولهم عذاب
اليم فى العقبى ذلك ما ذكر من الوبال وعذاب النكال بانه بسبب ان الشان
كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الواضحات فقالوا ابشر يهدوننا
انكروا وتعجبوا ان يكون الرسول بشرا ولم ينكروا ولم يتعجبوا ان يكون الاله حجرا فكفروا
بالرسل وبما جاؤا به من الآيات وتولوا اعرضوا عن التدبر فى البينات واستغنى
الله عن كل شئ فضلا عما يصدر عنهم من الطاعات والله غنى عن عبادتهم
وغيرها حميد يدل على حمده المخلوقات باسرها زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا
الزعم ادعاء العلم قل بلى تبعثون وربى لتبعثن اكد جوابهم بزيادة القسم
لهم ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة عليه والمجازاة لديه وذلك البعث والاعادة
على الله يسير هين لقبول المادة وحصول القدرة التامة وافاد الاستاد
ان موتهم نوعان موت النفس وموت القلب ففى القيمة يبعثون عن موت
النفس فاما موت القلب فلا يبعثون عنه عند كثير من محققى هذه الطائفة قال تعالى
اخبارا عنهم يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا لو عرفوا حقيقة ما هنالك لما قالوا
ذلك فآمنوا بالله ورسله محمد عليه السلام والنور الذى انزلنا يعنى القرآن
فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره بما فيه شرحه وبيانه من امره والله بما تعملون
خبير فمجاز عليه وفق ما ظهر لديه يوم يجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب
والجزاء بالثواب والعقاب والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم
التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء
لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان
التغابن الحقيقى هو التغابن فى امور الآخرة لعظمها ودوامها لا فى امور

الدنيا لحقارتها حال بقائها وسرعة زوالها حين فنائها وقد ورد ليس يتحسر
اهل الجنة يوم القيمة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها وافاد الاستاد ان المطيع
فى غبن ان لم يستكثر الطاعة والعاصى فى غبن ان استكثر الزلة وليس محل الغبن الا التفاوت
فى الدرجات بحسب الكثرة والقلة ولكن الغبن فى الاحوال اكثر فالمؤمن فى الجنة والكافر
فى العقوبة ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا عملا صالحا من طاعاته يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرا نافع وابن عامر بالنون فيهما
ذلك اى مجموع ما ذكر الفوز العظيم لانه جامع المصالح من دفع المضرة
وجلب المنفعة والذين كفروا بوحدانيتنا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
النار خالدين فيها وبئس المصير ولعل الايتين بيان للتغابن وحاله وتفصيل
لاجماله ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته لها ومن يؤمن
بالله اى بذاته وصفاته وتقدير مصنوعاته يهد قلبه للثبات عليها والاسترجاع
عند حلولها والله بكل شئ عليم حتى بالقلوب واحوالها وقال الاستاد اى
حصلة حصلت فمن قبله خلقه وبعلمه وارادته حكما ومن يؤمن بالله يهد قلبه حتى
يهتدى الى الله ربه اليوم فى المسرة والمضرة وفى الآخرة يهديه بنفسه الى الجنة
ويقال يهد قلبه لاتباع السنة واجتناب البدعة واطيعوا الله واطيعوا الرسول
فيما يامران به وينهيان عنه فان توليتم اعرضتم عما امرتم فالضرر راجع اليكم
فانما على رسولنا البلاغ المبين وقد بلغ رسالته وبلغ فى النصيحة غايته الله لا اله
الا هو فانه موجود ومعبود ومقصود ومشهود وعلى الله فليتوكل المؤمنون
لا على غيره اذ غيره لا يقدر على نفعه وضره يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم
واولادكم وهم الذين يشغلكم عن طاعة ربكم وزاد معادكم عدوا لكم اى هم
اعداء لكم فكونوا اعداء لهم فاحذروهم ولا تأمنوا شرهم ولا تطاوعوا امرهم
وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة عليها وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليهم
فيها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فى الاتيان بها فان الله غفور رحيم
يعاملكم بمثل اعمالكم ويتفضل عليكم بالزيادة على احوالكم قال سهل ان حملك
من ازواجك واولادك على جمع الدنيا والركون اليها فهو عدو لكم ومن حثك
على بذلها وانفاقها فى محلها وذلك على القناعة بقليلها وعلى التوكل فى تحصيلها
فليس بعدو لك انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم فى اختياركم والله
عنده اجر عظيم لمن اثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعى
لهم وفى تفسير السلمى فتنة اى نظركم اليها فتنة اى بلية موجبة للغفلة عن الحضرة
وقال ابن عطا بان تلهيهم عن تأديته واجابته وتمنعهم البخل لتوفرلهم
الدنيا فى تحصيل شهواته ولذا ورد كثرة العيال فضيحة الرجال وعنه عليه السلام

انه كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يعثران
ويقومان فنزل اليهما فاخذهما ووضعهما فى حجره على منبره فقال صدق الله
انما اموالكم واولادكم فتنة رايت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما ثم اخذ فى
خطبته كذا فى الكشاف فاتقوا الله ما استطعتم اى ابذلوا فى تقواه جهدكم
وطاقتكم فى بذل طاعتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وزواجره
وانفقوا اموالكم فى وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم ان يكن انفاقكم
خيرا لها فى دنياها واخراها ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
الناجون عن الحرقة والفرقة الفائزون بالجنة والوصلة والقربة وقال ابن
عطا قوله فاتقوا الله ما استطعتم لمن رضى من الله بثوابه واما من لم يرض
منه الا به فان خطابه اتقوا الله حق تقاته وقال الاستاد ان التقوى
عن شهود التقوى بعد ان لا تقصير فى التقوى غاية التقوى ان تقرضوا الله
قرضا حسنا بصرف المال الحلال فيما امر من الاحوال مقرونا باخلاص نية
وطيب طوية يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر وقرأ
ابن كثير وابن عامر يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة انفاقكم ذنوبكم والله شكور
يعطى الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة خصوصا على البخيل
عالم الغيب والشهادة السر والعلانية العزيز الحكيم تام القدرة وكامل
العلم المقرون بالحكمة وقال الاستاد يتوجه الخطاب فى هذا الباب على الاغنياء
فى بذل اموالهم وعلى الفقراء فى اخلاء ايديهم واوقاتهم عن مرادهم وايثار مراد الحق
على مراد انفسهم فالغنى يقال له آثر حكمى على مرادك فى مالك والفقير يقال له آثر حكمى فى
نفسك وقلبك ووقتك وحالك

سورة الطلاق مدنية وهى اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله اسم من لا سبيل الى وصاله
ولا غنية فى غيره من افعاله ويقال اسم من علمه وقع فى سكون وراحة ومن
عرفه وقع فى اضطراب وفتنة العلماء بشراب علمهم به استقلوا فاستراحوا
والعارفون بسلطان حكمه اصطلموا عن شواهدهم فبادوا وطاحوا يا ايها
النبى اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب لان الكلام معه
والحكم يعمه وغيره والمعنى اذا اردتم تطليقهن فطلقوهن لعدتهن اى فى
وقتها وهو الطهر ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات
ويؤيده ما روى انه قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل عدتهن
وقد صح ان ابن عمر لما طلق امرأته حائضا امره عليه السلام بالرجعة وهو سبب
نزول الاية واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة قروء فى المدة
واتقوا الله ربكم فى تطويل العدة وقصد المضرة لا تخرجوهن من بيوتهن

من مساكنهن وقت الفرقة حتى تنقضى العدة ولا يخرجن باستبداد هن الا ان يأتين بفاحشة مبينة مستثنى من الثانى للمبالغة فى النهى والدلالة على ان خروجها فاحشة وهو قول النخعى وبه اخذ ابو حنيفة او من الاول والمعنى ان تبذو على الزوج او على احمائه فانه كالنشوز فى اسقاط حقها وهو قول ابن عباس وبه قال الشافعى او الا ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها وهو قول ابن مسعود وبه اخذ ابو يوسف وافاد الاستاد ان الطلاق وان كان فراقا فلم يجعله الحق محظورا وان كان من وجه مكروها ومحذورا وجعل للطلاق وقتين سنة وبدعة وثالثة وهى مباحة فالسنية ان يطلق فى طهر لم يباشر فيه طلقة واحدة والبدعية ان يطلق فى حال حيض او طهر جومعت فيه والمباحة فى طهر لم يجامع فيه والعدة وان كانت فى الشريعة لتحصين ماء الزوج والمحاماة على الانساب ولئلا يختلط ماء الزوج بماء الآخر فى هذا الباب فالغالب والاقوى فى معناه الوفاء للصحبة الماضية فى وصلة النكاح والاشارة فيه انه بعد ان انقضت الوصلة فلا اقل من الوفاء فى قليل من المدة وليشهد لهذا ان الصغيرة والآيسة عليها العدة لما ذكرناه من مراعاة الحرمة وعدة الوفاة يشهد لهذه الجملة فى كونها اطول لان حرمة الميت اعظم وكذلك الاحداد فى ايام العدة المعنى فيه ما ذكرنا من مراعاة الوفاء والحرمة ثم يحرم الطلاق فى غير ايام السنة لئلا يطول الوقت على المرأة ولا تتضاعف عليها محنة الفرقة وطول المدة تلك الاحكام المذكورة حدود الله اى احكامه المبينة واعلامه المعينة فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها لعقاب ربه وفى تفسير السلمى قال بعضهم التهاون بالامر قلة المعرفة بالآمر وافاد الاستاد ان العبودية هى الوقوف عند الحد لا بالنقصان عنه ولا بالزيادة عليه ومن راعى مع الله حده اخلص لله عهده وفى تفسير السلمى قيل العبد ينقلب فى جميع الاحوال والاوقات على الحدود ولكل وقت حد ولكل حال حد ولكل عمل حد فمن اخطأ الحدود دخل فى هتك حرمة المعبود لا تدرى اى النفس او ايها المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة فى المطلقة برجعة او تجديد وصلة وفى تفسير الاستاد قالوا ارادوا ندما وقيل ولدا وقيل ميلا له اليها او لها اليه فان القلوب تختلف فى تقلبها والاشارة فى اباحة الطلاق انه ان كان الصبر مع الاشكال حق للحرمة المتقدمة فالخلاص عن مساكنة الامثال والتفرد لعبادة المتعال اولى واحق فى جميع الاحوال فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن بمعروف فراجعوهن بحسن عشرة وجميل صحبة او فارقوهن بمعروف بايفاء حقهن واتقاء ضرارهن

بان لا يراجعها

بان لا يراجعها ثم يطلقها تطويلا لمدة عدتها واشهدوا ذوى عدل منكم على الرجعة او الفرقة براءة عن الريبة ومقاطعة للمنازعة وهو مستحب كقوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم وقيل واجب فى الرجعة واقيموا الشهادة ايها الشهود عند الحاجة لله خالصا لوجهه لا لغرض سوى اقامة حكمه ذلكم الحث على جميع ما فى الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فانه المنتفع به وهو المقصود فى تذكيره قال سهل لا يقبل الموعظة الا مؤمن والموعظة هو ما خرج من قلب سليم من غل وحسد وحقد خال عن حظ نفسه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه اى الفوز بخيرهما من حيث لا يحتسب فى امرهما روى ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعى اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله عليه السلام وقال اسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال ما امسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينما هو فى بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت وفى تفسير السلمى ومن يتق الله اى من تبرأ من الحول والقوة والاسباب كلها دون الرجوع اليه يجعل له مخرجا مما كلفه بالمعونة عليه وبالعصمة من الطوارق لديه وقال سرى السقطى المتقى من لا يكون رزقه من حيث يكتسب لان الله يقول ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه قال سهل من يكل اموره الى ربه فان الله يكفيه جميع مهمه وقال شاه الكرمانى التوكل سكون القلب مع الرب فى الموجود والمفقود وقال ايضا التوكل قطع القلب عن كل علاقة والتعلق بالله فى كل حالة وقيل التوكل مقرون مع ايمان الكل وكل انسان توكله فى شأنه على قدر ايمانه وقال ابن عطا من فارق ما شغله عن الله اقبل الله عليه واشغل جوارحه بخدمته وانس قلبه بالتوكل عليه والتفويض اليه والتسليم بين يديه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراده وقرأ حفص بالاضافة قد جعل الله لكل شئ قدرا تقديرا لا يقبل تغييرا او مقدارا لا يقبل زيادة ولا نقصانا او اجلا لا يقبل تبديلا ولا تحويلا وهو بيان لوجوب التوكل عليه وبرهان لرجوع الكل اليه وعنه عليه السلام انى لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله الآية فما زال يقرؤها ويعيدها وافاد الاستاد ان العبد اذا صدق فى دعواه اخرج من بين اشغاله كالشعرة تخرج من بين العجين لا يعلق شئ بها فيضرب على المتقى سرادقات عنايته ويدخله فى كنف الايواء حمايته ويصرف الاشغال عن قلبه ويخرجه من ظلمات تدبيره بان جرده عن كل شغل وكفاه كل امر ونقله الى شهود قضاء تقديره لم يقل ومن يتوكل على الله فتوكله حسبه بل قال فهو حسبه اى فالله كافيه واذا سبق له شئ من التقدير فلا محالة يكون اذ بتوكله لا يتغير المقدور ولا

يستأخر الامور ولكن المتوكل بنيته يكون مروح القلب مع حكم الرب
وهذا من اجل النعم واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن ان ارتبتم
شككتم في عدتهن وجهلتم مدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر روى انه لما نزلت
والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائي لم يحضن
لكبرهن او صغرهن فنزلت واللائي لم يحضن لصغرهن كذلك واولات
الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات
والمتوفى عنهن ازواجهن ومن يتق الله في احكامه يجعل له من امره يسرا
يسهل عليه امره ويوفقه لتمام مرامه ذلك ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم
لتكميل شرائع الاسلام ومن يتق الله في مراعاة طاعاته يكفر عنه سيئاته
فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا عظيما من فضله بانواع
المضاعفات اسكنوهن من حيث سكنتم اي مكانا من سكناكم من وجدكم
من وسعكم وطاقتكم وهو عطف بيان لما قبله ولا تضاروهن في السكنى معهن
لتضيقوا عليهن بالالجاء الى خروجهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن
حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة قال القاضي وهذا يدل على اختصاص
استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات وقال صاحب المدارك فائدة
اشتراط الحمل ان مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى
مقدار مدة عدة الحائل فنفى ذلك الوهم فان ارضعن لكم بعد انقطاع علقة
النكاح فآتوهن اجورهن على الارضاع وأتمروا بينكم بمعروف وليأمر بعضكم
بعضا بجميل في الارضاع والاجر من غير النزاع وان تعاسرتم تضايقتم
فسترضع له اخرى اي امرأة اخرى وفيه نوع من المعاتبة للام على المعاسرة في الحاجة
لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه ضيق عليه بقلته فلينفق مما آتاه الله
اي فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه كما بينه بقوله لا يكلف الله نفسا
الا ما آتيها ما اعطيها من الكثير والقليل وفيه ايماء الى ان المفلس في امان
الله واشارة الى تطييب قلب الفقير ولذا وعده باليسر فقال سيجعل الله
بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وافاد الاستاد ان انتظار اليسر من الله صفة
المتوسطين في الاحوال وهم الذين انحطوا عن درجة الرضاء والاستواء
وجود السبب وفقده وكاين من قرية وكم من اهل قرية عتت عن امر ربها
ورسله اعرضت عن امرها وما قامت بحكمها فحاسبناها حسابا شديدا
بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها
والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعهما او للقرب وصولهما فكانه ثبت حصولهما
فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها ووزرها وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيها

اصلا

اصلا وافاد الاستاد ان من زرع الشوك لا يجني الورد ومن اضاع حق الله لا يطاع
في حظ نفسه وهواه ومن احترق بمخالفة امر الله فليصبر على مقاساة عقوبة الله
اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد لمزيد التأكيد ويجوز ان يكون المراد بالحساب
استقصاء ذنوبهم في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به في الدنيا من العقوبة
فاتقوا الله يا اولي الالباب يا اصحاب العقول السليمة من قشور العقائد السقيمة
وقال شاه الكرماني اولي الالباب هم الواقفون على حدود الله في جميع الابواب
الذين آمنوا بمضمون الكتاب قد انزل الله اليكم ذكرا جميلا رسولا اي وارسل
رسولا نبيلا يتلو عليكم آيات الله مبينات بكرة واصيلا ليخرج الذين
آمنوا وعملوا الصالحات ليخرج الله بسبب انزال كتابه وارسال رسوله
وخطابه من علم او قدر انه يؤمن به ويقوم بامره من الظلمات الى النور
اي من ضلالات الكفر والكفران الى نور الايمان والعرفان وافاد الاستاد
ان كتاب الاحباب فيه تبيان كل شيء لاولي الالباب لمن استضاء بنوره اهتدى
ومن لجأ الى برد افيائه وصل من داء الجهل الى شفائه ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا
لله وفي سبيل رضاه فله دوام النعم من مولاه يدخله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا كريما
من الثواب في دار المآب وافاد الاستاد ان الرزق الحسن ما كان على حد الكفاية
لا نقصان فيه فيتعطل عن اموره بسببه ولا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما
رزق لحرصه كذلك ارزاق القلوب احسنها ان يكون له من الاحوال ما يشتغل بها
من غير نقصان فلا يتعذب بتعطشه ولا يكون زيادة فيكون على خطر من مغاليط
لا يخرج منها الا بتأييد من الله سماوي الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ
وخبر ومن الارض مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد من الارض يتنزل الامر
بينهن اي يجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل
شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وجمال
علمه وحكمته قال ابن عطا احاط علمه بالاشياء لانه اوجدها ولا يحيط به احد علما
لامتناع الازل ان يلحقه شيء من الحوادث ابدا

سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله اسم عزيز يمهل من عصاه فاذا رجع
وناداه اجابه ولباه فان لم يتوسل بصدق قدمه في ابتداء امره فاذا توسل بصدق
ندمه في آخر عمره اوسعه غفرا وقبل منه عذرا واكمل له ذخرا واجزل له برا يا ايها
النبي لم تحرم بيمينك ما احل الله لك روي انه عليه السلام خلا بمارية في
يوم حفصة فاطلعت عليه فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت تبتغي مرضات
ازواجك استيناف لبيان الداعي الى ذلك والله غفور لك هذه

الغفلة رحيم بك في عتاب هذه الغفلة قال القاسم لا يدع الحق
احدا سكن اليه حتى يشغله غيره لانه غيور وقال ابن عطا لما نزلت هذه الآية قال
عليه السلام اللهم اعوذ بك من كل قاطعة تقطعني عنك وافاد الاستاد ان ظاهر
هذا الخطاب عتاب على انه لمراعاة قلب امرأته حرم على نفسه ما احل الله له من امره
والاشارة فيه وجوب حق الله سبحانه على كل شئ في كل وقت قد فرض الله لكم
تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته اليمين بكفارتها وظاهر الآية
ان تحريم الحلال يمين كما ذهب اليه الحنفية وقد روي انه عاود الى مارية بعد
بعتق رقبة والله موليكم متولي امركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم
فيما يأمركم ويزجركم وافاد الاستاد انه سبحانه اجرى سنته بانه اذا ساكن
عبد بقلبه الى احد شوش على خاصته محل مساكنة غيره على قلبه الى ان يعاود ربه
ثم يكفيه ذلك بعد مدة من امره واذ اسر النبي الى بعض ازواجه
يعني حفصة حديثا تحريم مارية فلما نبأت به اي اخبرت حفصة عايشة
بالحديث واظهره الله عليه واطلع النبي عليه السلام على افشائه عرف بعضه
اي اعلم الرسول حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض
آخر من افعالها تكرما قال الحسن البصري ما استقصى كريم قط او المعنى
جازاها على بعض افعالها بتطليقه اياها ويؤيده قراءة الكسائي بتخفيف
الراء ويؤيد الاول قوله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا الحديث
قال نبأني العليم الخبير فانه اوفق للاعلام في مقام المرام ان تتوبا الى الله
التفات الى حفصة وعايشة في المخاطبة للمبالغة في المعاتبة فقد صغت
قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب عليكما
من مخالصة الرسول بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وان تظاهرا عليه
اي تتظاهرا وقرأ الكوفيون بالتخفيف على حذف احدى التائين والمعنى
ان تتعاونا عليه بما يسوؤه ويحزنه او بما لا يهون لديه فان الله هو مولاه
اي ناصره ومعاونه في هواه وجبريل وصالح المؤمنين اي كذلك والملائكة
بعد ذلك اي بعد المذكور من المقربين ظهير معاون له ونصير والمعنى فلن
يعدم من يظاهره فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح
من المؤمنين اتباعه واشياعه والملائكة انصاره واعوانه وتخصيص جبريل
لتعظيمه وللتقرب به في مقام تكريمه والمراد بالصالح الجنس ولذا عم بالاضافة
وقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة من ينصره الله به هنالك
روي انه لما سمع عمر رضي الله عنه ما صدر عن حفصة من مخالفتها قال يا رسول الله
لو امرتني لاضربن عنقها عسى ربه اي يرجى من كرمه وعنايته وبتحقق

من حسن

من حسن رعايته ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن بتعميم الخطاب
للمبالغة في العتاب وقرأ نافع وابو عمرو ان يبدله بالتشديد والمعنى ان يجعل له
بدلا عنكن ازواجا خيرا منكن في الصورة او السيرة بوجود كمال الصفات المسطورة
وقول القاضي ليس فيه ما يدل على ان في النساء خيرا منهن محمول على الوجود
في الزمان دون الامكان مع ان خيريتهن انما هو باعتبار زوجيتهن ونسبة
قربتهن فتزول في الجملة بتطليقهن وتتحقق لغيرهن من حيثية عقدهن لاسيما
وطلاقهن يؤذن بكراهتهن ومحبة فراقهن وهذا القدر يكفي في انحطاط مراتبهن
واعلاء مقام غيرهن في منصة اقترابهن مسلمات منقادات بظواهرهن
مخلصات بضمائرهن مؤمنات مواظبات على الطاعة تائبات
عن المعصية عابدات متعبدات بالنافلة او متذللات في الخدمة
سائحات مهاجرات او صائمات وسمي الصائم سائحا لانه يسيح
بالنهار بلا زاد ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما
في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار يا ايها الذين
آمنوا قوا انفسكم احفظوها بفعل الطاعات وترك السيئات واهليكم
بالنصيحة او بتعليمهم الفرايض والسنة الصحيحة وقيل اظهروا من انفسكم
لبعض عبادكم ليتعلموا منكم ويعتادوا بعادتكم نارا وقودها الناس والحجارة
عذاب نار تتوقد بها اتقاد غيرها بالحطب والشوك نحوها عليها يلي امرها
ملائكة وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ
الخلق شداد الخلق لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون
فيما دنا يا ايها الذين كفروا في الدنيا لا تعتذروا اليوم في العقبى انما
تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي
عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او عذرهم لا ينفعهم اذ فات وقت الاعتذار
فالواجب البدار والفرار للخلاص من دار البوار والمناص الى دار القرار
يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله ارجعوا الى طاعته من المعصية والى
قرب حضرته من الغفلة توبة نصوحا بالغة في النصح خالصة من الغش
وهو في الاصل صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد
المجازي للمبالغة وقرأ ابو بكر بفتح النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور
والتقدير ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصحا لانفسكم وسئل علي كرم الله
وجهه عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة
وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان يعزم على ان لا يعود
وان يذيقها مرارة الطاعة كما اذاقها حلاوة المعصية قلت ولا بد من

السابعة وهي الاقلاع عن مباشرة المعصية وقال الواسطي التوبة النصوح
لا تبقي على صاحبها اثرا من المعصية لا سرا ولا علانية وان والاستاد ان التوبة
النصوح الذي لا يعقبه نقض ويقال ان لا ترا ها من نفسك ثم لا ترى نجاتك بها
وانما تراها بربك ويقال هي ان تجد المرارة في قلبك عند ذكر الزلة كما كنت تجد
الراحة بنفسك عند الفعلة عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم الصادرة عنكم
في الليل والنهار ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار في جملة الابرار ذكر
بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك في وعدهم ووعيدهم ليكون رعاياهم
تحت خوفهم ورجائهم واشعارا بانه تفضل منه سبحانه عليهم وان التوبة
بذاتها غير موجب لهم يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم او التقدير
اذكر يوم لا يخزي الله نبيه والذين آمنوا معه من الصحابة او المؤمنين التابع
قال الاستاد يوم لا يخزي الله النبي بترك قبول شفاعته في امته والذين آمنوا
بافتضاحهم بعد قبول شفاعته اقول ولا يبعد ان يكون المراد بالنبي والمؤمنين
جنس الانبياء وامهم الذين آمنوا معهم نورهم كما تقتضي انوارهم يسعى
بين ايديهم وبايمانهم اي موقف سرورهم او على الصراط حال مرورهم يقولون
يعني المؤمنين اذا طفئ نور المنافقين بالابتهال والسؤال ربنا اتمم لنا نورنا
واغفر لنا حتى يكمل سرورنا ويحصل حضورنا واما الانبياء فيقولون سلم
اللهم سلم انك على كل شيء قدير قال بعضهم اي لا نقطعنا بك عنك وكن
دليلنا منك عليك حتى يتم لنا النور فان تمامها باتمام صورها وقيل المعنى نور لنا
بنورك حتى نريك بنورك وظهورك وقال ابن عطا انما هو نور التوحيد ونور
المعرفة ونور الحقيقة يسعى بهذه الانوار الى دار القرار يا ايها النبي جاهد
الكفار بسيف المقاتلة والمنافقين بحجة المقالة واغلظ عليهم اي بتضييق
المقاتلة والمعنى استعمل الخشونة في المجاهدة اذا بلغ الرفق مدى الغاية
في البداية وهذا في حال اصرارهم وزوال اعذارهم ومأواهم جهنم
وبئس المصير جهنم او مأواهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت
نوح وامرأت لوط اي مثلهما والمعنى مثل الله حال الكفار بحالهما
في انهم يعاقبون بكفرهم ولا يحابون بتخفيف وزرهم لما بينهم
وبين النبي والمؤمنين من نسبة قربهم وقرابتهم ولعل في الآية تخويف
الازواج الطاهرة وتعريض بما صدر عن بعضهن من المخالفة الظاهرة
كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد به تعظيم نوح ولوط عليهما
السلام فخانتاهما بالنفاق لا بالزنى بالاتفاق فلم يغنيا عنهما
من الله من عذابه لهما شيئا من الاغناء او من الغناء وقيل

اي لها

اي لها عند موتهما او حال بعثهما ادخلا النار مع الداخلين مع سائر من يدخل النار
من الكفار الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء الابرار قال الاستاد لما سبقت
لها الفرقة يوم القسمة لم تنفعهما القربة يوم العقوبة وضرب الله مثلا للذين
آمنوا امرأت فرعون اي مثلها والمعنى شبه حالهم في ان وصلة الكافرين لا تضر
المؤمنين بحالة آسية رضي الله عنها ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدى
اعداء الله اذ قالت اذكر حين قولها وتضرعها في دعائها رب ابن لي
عندك اي قريبا من رحمتك بيتا في الجنة او في اعلى درجات اهل القربة
ونجني من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة واعماله الذميمة ونجني من القوم الظالمين
من القبط التابعين له في الظلم والمعصية وفي تفسير الاستاد قالوا صغرت
همتها حيث طلبت بيتا في الجنة كان حقها ان يطلب الكثير من المنة ولا كا
لو هموا لانها طلبت بيتا في جوار القربة وبيت في الجوار افضل من الف قصر
لا في جوار الدار ومن المعلوم ان ذلك عندية القربة والكرامة فله مزية على غيره
وخصوصية وفي معناه انشدوا — الى ان حسد جاركم لجواركم •
طوبى لمن اضحى لجارك جارا • ياليت جارك باعني من داره • شبرا لاعطيه
بشبر دارا • انتهى ولا يبعد ان تنوين بيتا للتعظيم في الكمية والكيفية اي
مسكنا عظيما ومنزلا وسيما في الجنة او يقال لما عظمت نفسها بالطمع في
المرتبة العندية التي هي كمال المنزلة العبدية هضمت نفسا وحقرت طمعها
بقولها بيتا في الجنة ولو في ادنى الرتبة من درجات القربة ومريم ابنت
عمران عطف على امرأت فرعون تسلية للارامل والابكار التي لهن حسن
الاحوال التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها او جيبها
من روحنا من الارواح التي خلقناها قبل الاشباح والاضافة للتشريف
والمعنى خلقنا ولدها بلا توسط زوج لها بل بمجرد نفخنا فيها وصدقت بكلمات
ربها بما اوحى الى انبيائه من صفات الله واسمائه وكتابه جنس
الكتب المنزلة على اصفيائه كما يدل عليه قراءة البصري وحفص بالجمع
وكانت من القانتين من جملة المواظبين على الطاعة والمداومين على العبادة
والتذكير للتغليب وللاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين لحديث
عليه السلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأت
فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء
كفضل الثريد على سائر الطعام وقد روي ان آسية ومريم من نساء النبي صلى الله عليه وسلم
في الجنة وكذا قيل في مريم اخت موسى عليه السلام

سورة الملك وهي ثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله اسم من لم يتعطر القلوب الا بنسيم

اقباله ولم يقطر الدموع الا للوعة فراقه او روح وصاله فدموعهم فى كلا الحالين
منسكبة وعقولهم فى غالب اوقاتهم منتهبة تبارك الذى بيده الملك
تكاثر خير من بقبضته قدرته تصرف امور مملكته وهو على كل شئ قدير اى
كل ما يتعلق قدرته وفق ما يتحقق مشيئته قال جعفر الصادق اى هو المبارك
على من انقطع اليه وتوكل عليه وقال سهل تعالى عن الاشباه والانداد والاولاد
والاضداد بحوله وقوته الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء وهو القادر
على ما يشاء وقال ابن عطاء اى بارك فى الخلق فمضت البركة لهم فنفعهم
وقال الاستاد تقدس وتعالى من احسانه تواتر وتوالى فهو المتكبر فى جلال
كبريائه المتجبر فى علاء بهائه ودوام سنائه بيده الملك بقدرته اظهار ما يريد
من مشيئته الذى خلق الموت والحيوة ظاهر الآية ان الموت صفة وجودية
مضادة للحيوة وبه قال بعض العلماء وقال بعضهم الموت عدم الحيوة فالمعنى
قدرهما او اوجد الحيوة وازالها حسبما قدر وقدم الموت اشعارا بعدمهم
اولا كقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى قطع الامل وحسن العمل ليبلوكم
ليعاملكم معاملة المختبر ايكم احسن عملا اصوبه صورة واخلصه سيرة وجاء
مرفوعا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعته والجملة واقعة
موقع المفعول الثانى لفعل البلوى المتضمن معنى العلم قال ابن عطا خلق
الموت للعبرة والحيوة للغفلة وقال الواسطى من احياه الله بذكره فى ازله لا يموت
ابدا ومن اماته عن ذلك لا يحيى ابدا وقال ايضا احسن العمل ترك التزين به وقيل
ايكم افرغ قلبا واصفى ذهنا واحسن سمتا وهديا وقيل احسن العمل نسيان العمل
ورؤية الفضل وافاد الاستاد انه سبحانه خلق الموت والحيوة ابتداء للخلق
يختبرهم اعلاما للملائكة حالهم لينظر شكرانهم وكفرانهم حيث يكونون عند المحنة
فى الصبر وعند النعمة فى الشكر وهو العزيز الغالب الذى لا يعجزه من
اساء العمل الغفور لمن تاب منهم واحسن الامل الذى خلق سبع
سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض وفاقا قال الاستاد عرفهم
كمال قدرته بدلالات خلقته فسمك السماء فمسكها بلا عمد وركب اجزاءها غير
مستعين باحد خلقها فحسنها وبالنجوم زينها ومن استراق سمع الشياطين
حصنها وبغير تعليم معلم احكمها واتقنها ما ترى فى خلق الرحمن اى فى مخلوقاته
ومصنوعاته من تفاوت وقرا حمزة والكسائى من تفوت اى اختلاف
اختلال وعدم تناسب ماخوذ من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه
بعض ما فى الآخر وفى اضافة الخلق الى الرحمن ايماء الى انه تعالى يخلق ذلك بقدرته
رحمة منه وتفضلا على خليقته وان فى ابداع الكائنات نعما جليلة وحكما جزيلة

والخطاب

والخطاب لزين الاحباب او لكل من يصلح لفتح هذا الباب وقال الاستاد
ما ترى فيما خلق تفاوتا فى آثار الحكمة ولا قصورا فى كمال اسرار القدرة ويقال
ما ترى فيها تفاوتا فى خلق الكثير واليسير والكبير والصغير لانه منزه عن السهولة
عليه ولحوق المشقة اليه فارجع البصر هل ترى من فطور اى ان كنت فى
ريب من التفاوت والقصور فانظر مرة اخرى متاملا فيها لتعاين تناسبها
واستقامتها واستجماعها على ما ينبغى لها ويظهر لك ان ليس فيها من خلل
ولا نقصان عمل ثم ارجع البصر كرتين اى رجعة بعد اخرى او قلبا وبصرا فى
طلب الفطور ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب
بوجدان القصور وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة وقال
الاستاد انعم النظر وكرر الفكر فلا تجد فيها فطورا ولا فى عزنا قصورا ولقد زينا
السماء الدنيا سقف السماء القربى التى اجتمعتم تحتها بمصابيح بنجوم
مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ولا يبعد كون بعض الكواكب مركوزة
فى السموات فوقها اذ التزين باظهارها عليها وجعلناها رجوما اى مراجم
للشياطين المسترقة للسمع زجرا لها وكونها مراجم ان الشهب منقضة
من نار الكواكب والكواكب قارة فى فلكها والرجوم جمع رجم بالفتح وهو
مصدر سمى به ما يرجم به واعتدنا لهم للشياطين عذاب السعير فى العقبى
بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا قال ابن عطا زينا قلوب الاولياء بانوار المعرفة
وقلوب المريدين بالرهبة والرغبة وقلوب المحبين بالشوق والهيبة وقلوب
المتوكلين باليقين والثقة وقلوب الزاهدين بالتوبة وافاد الاستاد ان
المؤمنين قلوبهم مزينة بالتصديق وزيادة الايقان ثم بالتحقيق بمقابل البرهان
ثم بالتوفيق لطلب الايمان والعارفون قلوبهم مزينة بشموس التوحيد
وارواحهم مزينة بانوار التجريد وعلى هذا القياس لكل طائفة انوار التاييد
وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم عقاب السعير
وبئس المصير وساء المصير اذا القوا فيها طرحوا فى جهنم سمعوا لها
اى لنارها او لاهلها لقوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق شهيقا صوتا كصوت
الحمير وهو آخر نهيق الحمار والزفير اوله وتشبيهه به لان انكر الاصوات صوت الحمير
اى تفور تغلى بهم كغليان القدور تكاد تميز تتقطع وتتفرق من الغيظ من شدة
غضب النار على الكفار وقيل تمثيل لشدة اشتعالها بهم وحدة اهوالها
عليهم كلما القى فيها فوج جماعة من الكفار سالهم خزنتها الم ياتكم نذير انذار
من ربكم ادنى منذر يخوفكم وهو سؤال توبيخ وتقريع قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان انتم الا فى ضلال كبير اى فكذبنا النذير والتراب

وافرطنا في التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال وبالغنا في نسبتهم الى الضلال
وقالوا لو كنا نسمع اي كلام النذير سماع قبول من غير بحث اعتمادا على ما لاح من صدقه
بالمعجزات او نعقل دلائل نقله فنتفكر في حكمه تفكر المستبصر بالآيات ما كنا في اصحاب
السعير ولا صرنا في عقاب التكبر فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم اعترافهم ولو فرطوا
بندمهم فسحقا لاصحاب السعير اي فبعدا لهم من رحمته او من نعيم جنته منقول
مطلق وجب حذف فعله اي سحقهم الله سحقا وقرأ الكسائي بضمتين قيل المعنى
لو سمعنا موعظة الواعظين او عقلنا نصيحة الناصحين لاتبعنا فيما امرونا به
من النذير ولما كنا من اصحاب السعير ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون
عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن اعين غيرهم او المراد بالغيب الخفي عنهم
وهو القلب وفي تفسير السلمي خشية القلب ان يطمئن الى غيره وخوف البدن
ان يشتغل بغير امره وافاد الاستاذ ان للخشية توجب عدم الفرار اي بخلاف
الخوف فانه قد لا يوجد معه القرار واما الخشية فيكون ابدا الانزعاجه كالحث على المقلى
لا يفتر آناء الليل والنهار بتوقع العقوبات مع مجاري الانفاس في الحالات فكلما
ازداد ستر طاعة ازداد خشية لهم مغفرة لسيئاتهم واجر كبير على طاعاتهم في العقبى
يصغر دونه ويستحقر عنده لذائذ الدنيا واسروا قولكم او اجهروا به اي يستوي
الامران في علمه انه عليم بذات الصدور بالضمائر من الامور قبل ان يعبر عنها
سرا او جهرا الا يعلم قول السر والجهر وما يحويه الصدر من خلق اوجد الاشياء
حسبما تعلقت به ارادته وقدرته حكمته وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه
الى ما ظهر من خلقه وما بطن من النقير والقطمير والكثير واليسير او الا يعلم الله
مخلوقه فان كل شئ خلقه قال سهل الا يعلم من خلق القلب ماذا اودع
فيه من التوحيد او الجحود وافاد الاستاذ انه سبحانه خوفهم بعلمه وندبهم الى
مراقبة حكمه لانه يعلم السر واخفى ويسمع الجهر والنجوى ثم بين وقال الا يعلم من خلق
اي كل جزء من خلقه من الاعيان والآثار ادلة على علمه وحكمته يظهر لاولي الابصار
هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة هينة ليسهل السلوك فيها ولا يصعب
الحرث عليها فامشوا في مناكبها فسيروا للتجارة والزراعة في جوانبها
وكلوا من رزقه الذي قدر لكم في اطرافها واليه النشور مرجعكم في حالكم
ومالكم فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم ويحاسبه اعمالكم واحوالكم قال سهل
خلق الله الانفس ذلولا فمن اذلها بمخالفتها نجاها من البلاء والمحن ومن تبعها
اذلته نفسه واهلكته في الفتن وقال الاستاذ اي اذا اردتم ان تسيروا فيها سهل
عليكم سيركم عليها كذلك جعل النفس ذلولا لو طالبتها بالموافقة وجدتها مساعدة
متابعة في الموافقة كما قيل ز نعتها ه هي النفس ما عودتها تتعود •

وللدهر

وللدهر ايام تذم وتحمد • ءامنتم من في السماء اي ملكوته وسلطانه وحكومته
وبرهانه او ملائكته او جبريل فانه موكل بالخسف في الارض والصيحة من السماء
ان يخسف بكم الارض بان اختبأكم فيها فاذا هي تمور تضطرب وتتحرك عند
خسفكم حتى يلقيكم الى الاسفل والارض تعلو عليكم ام امنتم من في السماء ان
يرسل عليكم حاصبا ريحا ذات حجارة حصباء فستعلمون كيف نذير اي انذاري
اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ لانه في غير محله ولقد كذب الذين
من قبلهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بانزال العذاب اليهم وهو تسلية
لنبيه وتهديد لقومه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن
في الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن اجنحتها
بعد بسطها ويضممنها اذا ضربن جنوبهن بها ما يمسكهن ما يمنعهن في الجو على
خلاف طبعهن من ان يسقطن الا الرحمن برحمته الشاملة وحكمته الكاملة بان
خلقهن على هيأة خاصة من بين الاشياء هيأتهن للجري في الهواء
انه بكل شئ بصير يعلم كيف يقدر الغرائب ويدبر العجائب ام من هذا الذي
هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ام معادلة للقرائن التي قبلها من قوله
ءامنتم والمعنى الم تعلموا ان الحافظ هو الله سبحانه ام لكم جند ينصركم
من دونه ان اراد بكم نزول خسف او حصول حصب او لكم وصول رزق ان
امسك الله رزقه عنكم وجاء بصورة الاستفهام اشعارا بانهم اعتقدوا ان لهم
ناصرا ورازقا غير الله وتوهموا انهم محفوظون من نوائب حادثاتهم مرزوقون ببركة
آلهتهم وعبادتهم فكانهم الجند الناصر والرازق الحاضر فيسألون عن تعيينه
لظهور الخطأ في تعيينه ان الكافرون الا في غرور ليسوا الا في اغترار من غير
اعتبار امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه بامساك المطر عنكم ومنع
سائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا في عتو جحود
وعناد ونفور تباعد عن الحق وشراد وقال الاستاذ اي ان اراد الرحمن
سوءا بكم فمن الذي يدفع عنكم ما نزل بكم او من الذي يوسع عليكم ما قبضه
عنكم او يمحو ما اثبته او يقدم ما اخره او يؤخر ما قدمه افمن يمشي مكبا على
وجهه اهدى كب متعد بنفسه قال تعالى فكبت وجوههم في النار فالهمزة
للصيرورة او لتأكيد التعدية ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة في طريقه ويخر
على وجهه لوعور مسلكه واختلاف مسيره ولذا قابله بقوله امن يمشي سويا
سالما من العثار قويا قائما على صراط مستقيم مستوي الاجزاء معتدل الانحاء
وانما قيل هذا تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين وقيل
المراد بالمكب الضعيف الضرير وبالسوي القوي البصير وقيل من يمشي مكبا

هو الذي يحشر على وجهه الى النار ويمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى دار القرار
وفي الآية اشارة الى تفاوت طرف السالكين من الزاهد والعارف والمبتدع
والمتشرع والجاهل والعالم والغافل والحاضر والسائر والطائر قل هو الذي
انشاكم اي ابداكم واحكم وابدع اشباحكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ
والاخبار والابصار لتنظروا الصنايع والآثار والافئدة لتتفكروا بعين
الاعتبار قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما خلقت لاجلها قل هو الذي
ذراكم في الارض بثكم ونشركم فيها واليه تحشرون لجزاء ما عملتم عليها ويقولون
متى هذا الوعد الذي وعدوا في الدنيا او العقبى ان كنتم صادقين يعنون
النبي والمؤمنين قل انما العلم علم وقت الوعد عند الله لا يطلع
عليه سواه وانما انا نذير مبين منذر ظاهر الانذار ولا يحتاج الانذار
الى اخبار وقت عذاب الفجار قال يحيى بن معاذ اخفى علمه في عباده عنهم
لكل يتبع امره على جهة الاشفاق من حكمه ولا يعلم ما سبق له ولا ما يلحق به وذلك قوله
قل انما العلم عند الله فلما رأوه اي الوعد فانه هنا بمعنى الموعود زلفة حال كونه زلفة
وقربة منهم سيئت وجوه الذين كفروا قبحت بان علاها الكآبة والسواد
وساءتها رؤية العذاب ومحنة الحجاب وقيل اي تقريبا لهم في الخطاب هذا الذي
كنتم به تدعون اي تدعون وقرئ به يعني تطلبون الجواب وتستعجلون العقاب
قل ارايتم اخبروني ان اهلكني الله اماتني ومن معي ممن تبعني او رحمنا فاخر
آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم فلا ينجيهم احد من العذاب متنا
او بقينا وهو جواب لما قاله المشركون نتربص به ريب المنون قال عبد العزيز المكي
حكمه جار وامره نافذ ومشيته ماضية رضينا بجميع امره وقدره لان فعله واقع في
ملكه قل هو الرحمن اي الذي ادعوكم اليه مولى النعم كلها وام المنن جميعها
آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق به هنالك فستعلمون من هو في
ضلال مبين منا ومنكم يوم الدين وقرأ الكسائي بالغيبة قال بعضهم التوكل نتيجة
الايمان لقوله تعالى قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا وقال عبد العزيز المكي امرهم
ربهم ان يفتخروا بعبوديته وما امرهم بذلك الا وقد رضي بهم عبيدا هنالك
وهذا غاية شرفهم لانه ما رضيهم الا لعلمه انهم مستاهلون بما رضيهم به قل ارايتم
ان اصبح ماؤكم غورا مصدر وصف به اي غائرا في قعر الارض بحيث لا تناله الدلاء
فمن ياتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل المأخذ بيننا وله عبيدكم واماذكم

سورة نون مكية وهي اثنتان وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاد بسم الله اسم كريم من شهد لطفه لم يتذلل بعده لمخلوق ولم يستعن
فيما نابه من ضير اصابه او خير اراده بحدث مرزوق ان اعطاه قابله بجزيل

الشكر وان منعه استقبله بجزيل الصبر ن من اسماء الحروف او تقديره
هذه سورة ن وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او حوت ذي النون او
البهموت وهو الذي عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه
شيء اسود يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبته بصورة الحرف ويناسب
الاخير قوله والقلم وهو الذي يخط به اقسم به لكثرة فوائده الذي كتب به في اللوح
جميع ما يكون وما يسطرون اي اصحاب القلم من البرية او الحفظة من الملائكة
او العلماء المصنفة وما مصدرية او موصولة وقال سهل النون اسم من اسماء الله
وذلك انه اذا جمعت اوائل السور الثلاث الر وحم ون يكون الرحمن وهو
منقول عن ابن عباس وروي عنه ايضا ان النون هو الدواة التي كتب بها
الذكر والقلم الذي كتب به اللوح وما يسطرون ما كتب فيه من السعادة والشقاوة
وقيل نون القدر وقلم القضاء وما يسطرون كرام الكاتبين وروي مرفوعا
اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة وذلك قوله ن والقلم ثم قال له
اكتب قال ما اكتب قال ما كان وما يكون الى يوم القيمة من عمل او اجل او رزق
او اثر فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وافاد الاستاد ان ن مفتاح
اسم نور او ناصر ونحوهما ويقال انه قسم بنصرة الله تعالى لرسوله ويلايه ما انت
بنعمة ربك بمجنون فانه جواب القسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة
وانواع الفنون والعامل في الحال معنى النفي والمعنى انتفى عنك الجنون بسبب
نعمة ربك وقال الاستاد ما اوجب لصدره من الوحشة بقول الاعداء فيه
برده عليهم بخطابه وعنه بنفيه وان لك لاجرا لثوابا عظيما على احتمال الاذى
وابلاغ الهدى غير ممنون اي غير مقطوع ولا منقوص وفيه اشارة الى ان السير
في الله غير متناه حتى في الجنة لعدم تناهي تجليات ذاته وتنزلات صفاته
ومن قال ذلك فهو غير عارف لما هنالك بل في الحقيقة هذه الحالة هي الجنة
لاهل المعرفة فلله الحمد والمنة وقال الاستاد لما سمت همته عليه السلام عن طلب
العوض وحصول الغرض اثبت الله له الاجر فقال وان لك لاجرا غير ممنون وان
كنت لا تريده ومن ذلك الاجر العظيم في الخلق الكريم وهو انك لست تريد
الآخر ولست تريد غيرنا من الامر ولولا انا خصصناك بهذا التحرز لكنت كامثالك
في اسر الاجر وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من قومك ما لم يحتمله امثالك وسئلت
عائشة عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن اي كان متخلقا باخلاق الرحمن
قال الحسين لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعة الحق وقال جنيد اجتمع
خلقه في اربعة اشياء السخاوة والالفة والنصيحة والشفقة وافاد
الاستاد انه سبحانه لما عرفه اخبار من قبله من الانبياء اجتمع فيه متفرقات

اخلاق الاصفياء ويقال انه لما عرض عليه مفاتيح الارض فلم يقبلها
ورقاه ليلة الاسراء واراه جميع الاشياء فلم يلتفت اليها ويقال لانه
لا بالبلاء ينحرف ولا بالعطاء ينصرف ويقال اذا كان غدا فكل يقول
نفسي نفسي وهو يقول امتي امتي ويقال علمه محاسن الاخلاق بقوله خذ
العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فقال لجبريل بماذا يامرني ربي
فقال يقول صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك فتادب
بهذا الادب الكريم فاثنى الله عليه في كلامه القديم بقوله وانك لعلى خلق
عظيم فستبصر ويبصرون بايكم المفتون اي الفتون بمعنى الجنون على ان المفتون
مصدر كالمعقول فانه يقال لمن له عقل له معقول وقيل الباء صلة والمعنى ايكم الذي
فتن بالجنون ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم على الحقيقة مجانين وهو
اعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل وامر الدين حتى يصيروا من المجتهدين فلا
تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاة المعتدين وقال الاستاد معبودك
واحد فليكن مقصودك واحدا واذا شهدت مقصودك واحدا فليكن مشهودك
واحدا ودوا لو تدهن تداهنهم وتلاينهم بان تدع نهيهم عن شركهم او يوافقهم
احيانا في كفرهم فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة في المرافقة
بالاقامة والظعن وقال الاستاد ان من اصبح عليلا تمنى ان يكون الناس كلهم مرضى
وكذا من وسم بكي الهجران ود ان يشاركه فيه الستوى قلت كما قيل ان البلية اذا عمت طابت
ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل مهين حقير الراي عند العاقل
هماز عياب مغتاب مشاء بنميم نقال للكلمة على وجه السعاية مناع للخير
من الايمان والاحسان معتد متجاوز في العدوان اثيم كثير الاثم والعصيان
عتل جاف قاسي الجنان غليظ اللسان بعد ذلك بعد ما عد من مثالبه زنيم
دعي متهم في نسبه او موصوف بلؤمه وشره في كسبه قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه
ابوه بعد ثماني عشر سنة من مولده وقيل غيره والاظهر ان المراد به هو ذكره
الاستاد في قوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هو الذي سقط من عيننا فاقصيناه
بالبعد عنا هماز مشاء بنميم محجوب عنا معذب بخذلان الوقيعة في اوليائنا
مناع للخير مهان بالشح في المال مسلوب التوفيق من جهة الاعمال معتد اثيم ممنوع
الحياء في الميدان مشتت في اودية الحرمان عتل بعد ذلك زنيم لئيم الاصل عديم
الفضل شديد الخصومة بباطله غير راجع في شيء من الخير الى حاصله ان كان ذا مال وبنين اذا
تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين اي قال ذلك لان كان متمولا مستظهرا بالمال
والبنين وقرا ابن عامر وحمزة وابوبكر بزيادة همزة الاستفهام اي الان كان ذا
مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين سنسمه بالكي على الخرطوم على الانف

وقد اصاب

وقد اصاب الوليد جراحة يوم بدر فبقي اثره وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية المذلة
والمعنى نسود وجهه يوم القيمة وقال الاستاد سنجعل له في القيمة على انفه شيئا يعرف
يعرف بها سوء سيرته انا بلوناهم امتحنا اهل مكة حين دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم
فابتلاهم بالجوع حتى اكلوا الجيفة كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا كان لقوم صالحين
دون صنعاء وكان لرجل من الصلحاء وكان وقت صرامها ينادي الفقراء ويترك
لهم ما اخطاه المنجل او القته الريح او بعد من البساط الذي يبسط تحت النخلة فيجتمع
لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه المال تفرق فينا فان كان فعلنا ما كان يفعل ابونا
ضاق علينا فحلفوا ليصرمنها مصبحين خفية عن المساكين كما قال اذ اقسموا
ليصرمنها مصبحين ليقطعنها قبل ان يقطعن المساكين داخلين الصباح
ولا يستثنون حصة المساكين فطاف عليها على الجنة طائف من العقوبة
من ربك نازل منه ومنتشيء عنه وهم نائمون غير عالمين قال الاستاد
ارسل من السماء نارا فاحرقت ثمارهم فاصبحت جنتهم كالصريم كالبستان
الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه آثاره او كالليل باحتراقها واسودادها
فتنادوا مصبحين نادى بعضهم بعضا حال دخولهم في صباحهم
ان اغدوا على حرثكم اذهبوا مقبلين عليه ومتوجهين اليه ان كنتم
صارمين قاطعين ومانعين فانطلقوا وهم يتخافتون فذهبوا والحال
انهم يتشاورون فيما بينهم ويتكاتمون عن غيرهم ان لا يدخلنها اليوم
عليكم مسكين ان مضره والمراد نهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي
عن تمكينه من الوصول وغدوا على حرد قادرين اي ذهبوا على نكد حال
كونهم قادرين عليه بزعمهم او غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان
كونهم قادرين على النفع والاحسان والمعنى انهم عزموا ان ينكدوا على
المساكين فنكد الله عليهم بحيث انهم لا يقدرون فيها الا على نكد انفسهم
وقال الاستاد اي غدوا على قصد الى الصرام قادرين عند انفسهم ويقال على
غضب منهم على المساكين يعني ان الحرد بمعنى الحرد بفتحتين كما قرئ به فلما راوها
اول ما راوا الجنة متغيرة قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هي بها بل نحن
محرومون اي بعد ما تاملوا وعرفوا انها هي قالوا بل هذه جنتنا ولكنا حرمنا خيرها
لجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رايا واسنا او اعدلهم طريقة وافضلهم
مقالة الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله بالتسبيح وغيره لذنبه وتتوبون
اليه وقد قالها حين عزموا على صرام الجنة بقطعها قالوا سبحان ربنا
انا كنا ظالمين بمخالفة النية وتغيير الطوية على انفسنا او على المساكين
وقيل المعنى لولا تنزهون الله من تضييق الرزق وقلة البركة لو ذهبتم

على طريقة والدكم من التوسيع فى الصدقة او المعنى لولا تستثنون وتقولون
ان شاء الله فسمى الاستثناء تسبيحا لمشاركتهما فى تعظيم الله او لانه تنزيه عن ان
يجرى فى ملكه ما لا يريده من حكمه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون
يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار به ومنهم من استصوبه ومنهم من
سكت ورضيه ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين الحد
بمنع المساكين عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف
بالخطيئة وقرأ نافع وابو عمرو بتشديد الدال وقد روى انهم ابدلوا خيرا منها
انا الى ربنا راغبون راجون المغفرة طالبون المثوبة كذلك مثل ذلك
الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب فى الدنيا ولعذاب الآخرة
اكبر اعظم منه وابقى لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى عذاب
يردهم قال الاستاد هكذا نقول من كان له بداية حسنة فى الايام والليالى ويجد توفيق
توفيق الطاعة واجتناب المعصية على التوالى فيعوضه الله فى الوقت نشاطا
وتروح فى باطنه احوال توجب انبساطا فاذا بدر منه سوء رعاية وترك ادب من
آداب الخدمة تنسد عليه تلك الاحوال ويقع فى فترة من الاعمال فان حصل
منه بالعبادات اخلال ولبعض الفرائض اهمال تقلب حاله ورد من الوصال
الى البعاد والحجاب ومن الاقتراب الى الاغتراب عن الباب فصارت صفوته
مشوبة فان كان له بعد ذلك توبة وعلى ما سلف منه ندامة وملامة فقد فات
الامر من يده فقل ما يصل اهله الى حاله ولا يبعد ان ينظر الحق اليه بافعاله فيقبله
بعد ذلك رعاية ما سلف فى بدايته من احواله والله رءوف بعباده وعطوف
بعباده ان للمتقين عند ربهم اى فى الآخرة او فى حظيرة القدس او حضرة
الانس جنات النعيم ليس فيها الا التنعم الخالص من البؤس قال جعفر الصادق
من اتقى الذنوب كان مأواه جنة النعيم ومن اتقى الله كشف عنه الغطاء
حتى يشاهد اللقاء افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول المشركين ان صح
انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه من المؤمنين لم يفضلونا فى مراتب العقبى
بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات فيه
تعجب من حكمهم واستبعاد لفهمهم واشعار بانه صادر من اختلال فكرهم واعوجاج
رأيهم ام لكم كتاب منزل من السماء فيه تدرسون تقرؤن وتفرقون الاشباه
ان لكم فيه لما تخيرون اى تختارون وتشتهون استيناف للبيان او حكاية
للمدروس من البرهان او اصله ان بالفتح فلما جئ خبرها باللام كسرت ام لكم
ايمان عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية فى توكيد هذا الشان الى يوم القيمة
اى ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لا تخرج عن عهدتها حتى نحكمكم فى تلك الساعة

ان لكم

ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان ام اقسمنا لكم بايمان
سلهم ايهم بذلك الحكم زعيم قائم بدعيه ويصححه ويدفع ما ينافيه ام لهم شركاء
يشاركونهم فى قولهم فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين فى دعويهم اذ لا اقل
من التقليد فى مقام جدالهم وتصحيح حالهم يوم يكشف عن ساق يوم يشتد
الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك او يوم يكشف عن اصل
الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا وتنكيره للتهويل او التبجيل ويدعون الى السجود
توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيمة الكبرى ويدعون الى الصلوة
ان كان وقت النزع ويوم القيمة الصغرى فلا يستطيعون لذهاب وقته او
زوال قدرته خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تلحقهم مذلة وقد كانوا يدعون
الى السجود فى حال الحيوة او زمان الصحة وهم سالمون متمكنون منه بحسب ظاهر
القدرة قال الواسطى لو كشف الحق لصار الخلق حيارى ولكن يبدؤهم بالستر ثم
يكشف عن الامر ليعرفوا قدر ما هم عليه واما الغاية فهو الاستدراج والمكر وقال جعفر
الصادق يوم يكشف عن الشدائد والاهوال والصراط والحساب وسائر الاحوال
وعبد الذى سبقت له عناية فى الازل سالم من تلك الافات والانكال فكل
من سبق له من الله الفضل يسجد بين يديه مقبلا عليه ومن سبق له من الله
العدل لا يقدر ان يسجد لديه وظهره يصير كالحجر عليه لا يلين لسجود رب العالمين قال
الاستاد عن ساق اى شدة وهو يوم القيمة وفى التفسير عن ساق من سوق
وشنه فاما المؤمنون فيسجدون واما الكفار فتشتد اصلابهم فلا ينحنون وقد
كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون تذكرهم ذلك لتزداد حسرتهم هنالك لتكون
الحجة ابلغ لديهم والزم عليهم فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث كله الى فان
كفاية على سنستدرجهم سنستدنيهم من العقوبة درجة درجة بافادة المهلة وادامة
الصحة وزيادة النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج بالانعام عليهم لانهم
حسبوه انه اقبال اليهم قال الجنيد لولا امر الله طاب عيش الاولياء ومن جلده
بالولى ان يطير فى الهواء ويمشى على الماء وافاد الاستاد ان الاستدراج
هو ان كلما ازدادوا معصية زادهم نعمة ويقال ان لا يعاقبه فى الزلة لينتبه ويؤخر
العقوبة الى ما بعده ويقال هو الاشتغال بالنعمة مع نسيان المنعم ويقال الاغترار
بطول الامهال ويقال ظاهر مغبوط وباطن مخلوط واملى لهم امهلهم ان كيدى
متين اى اذا اخذتهم فاخذى اليم شديد ام تسألهم اجرا على ارشاد وهداية
فهم من مغرم من غرامه مثقلون بحملها فيعرضون عنك لاجلها ام عندهم
الغيب اى جنسه او اللوح فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن
علمك فاصبر على سوء مقالهم وقبح فعالهم لحكم ربك وهو امهالهم حتى تنتهى آجالهم

ولا تكن كصاحب الحوت يونس عليه السلام في استعجاله هلاك قومه اذ نادى في بطن
الحوت وهو مكظوم مملو غيظا على قومه من غلبة الضجر وقلة الصبر اى والحال
انه مغموم مهموم قال ابو بكر الوراق لا يستقيم الزهد الا بالصبر لان الصبر
يجنبك آفات الدنيا ويحملك على الروح والراحة في الدنيا والعقبى ويزيد
في عقلك ويشفيك من جهلك والصبر يقهر اعداءك اى نفسك وشيطانك
واهواءك والصبر سائق اليك جميع محاسنك ودافع عنك سائر قبائحك
عاجلا وآجلا وقال الاستاد اى لا تستعجل بعقوبة قومك كما استعجل يونس قبلك فلقى
ما لقى وتثبت عند جريان حكمنا ولا تعارض تقدير امرنا لولا ان تداركه نعمة من ربه
يعني توفيق التوبة وتحقيق العصمة لنبذ بالعراء بالارض العارية عن الاشجار والانهار
الخالية عن اهل الدار وقال الحسن العراء هو القبة يعني وهو صحراء الحذمة والذلة وهو
مذموم ملوم مبعود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليه الجواب لانها المنفية دون
النبذ على وجه التراب فاجتباه ربه بان رد الوحي اليه او قبل توبته واقبل عليه
فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى في
مقام الفلاح والآية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على ثقيف وان
يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وقراء نافع بفتح الياء وان هي المخففة واللام
هي الفارقة والمعنى انهم يكادون يهلكونك حين يصيبونك باعينهم اذ روى انه
كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله عليه السلام وفي الحديث
ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس
من اهل الوزر لما سمعوا الذكر اى القرآن والمعنى ينبعث عند سماعهم بغضهم
وحسدهم قال الاستاد كانوا اذا ارادوا ان يصيبوا شيئا باعينهم جاعوا ثلثة
ايام ثم جاؤا ونظروا الى ذلك الشئ وقال ما احسنه من شئ فكان يسقط المنظور
اليه في الوقت ففعلوا ذلك بالنبي عليه السلام وقالوا ما افصحه من رجل فحفظه الله
عنهم بنظره اليه ومن يذكره عليه ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عن
ذكره وما هو الا ذكر للعالمين اى وما القرآن الا ذكر عام وشرف تام لا يدركه الا
من كان اكمل الناس عقلا ولا يتبعه الا اتقنهم رأيا واحكمهم فضلا
او وما محمد الا مذكر للعالمين فانه مبشر للمطيعين ومنذر للعاصين سورة
الحاقة مكية وهي احدى وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
قال الاستاد بسم الله كلمة عزيزة يحتاج في سماعها الى سمع عزيز لم يستعمل
في سماع الغيبة ويفتقر في معرفتها الى قلب عزيز لم يبتذل في الغفلة والغيبة لم ينظر
صاحبه بعينه الى ما فيه الريبة لم يتبع نفسه اللهو والطيبة الحاقة اى الساعة
او الحالة التي يحق وقوعها وهي مبتدأ وخبرها ما الحاقة اصله ما هي اى شئ هي على التعظيم

لشانها

لشانها والتهويل في بيانها فوضع المظهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادريك
ما الحاقة اى واى شئ اعلمك ما هي والمعنى انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان يبلغ
دراية احد غايتها قال سهل اى اليوم الذى يحق كل احد بعمله من خير وشر صدر عنه في جملة اجله
كذبت ثمود قوم صالح وعاد قوم هود بالقارعة بالحالة التي تقرع قلوب الناس
بالافزاع والانكسار والاجرام بالانفطار والانكدار والانتشار وانما وضعت
القارعة موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها وافادة لنعت حدتها
فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة
او الصاعقة لتكذيبهم بالقارعة واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اى شديدة الصوت او
البرد والانسع من الجمع عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا
ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها سخرها سلطها بقدرته ووقع ارادته عليهم
سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات او نحسات حسمت امرهم وقطعت دابرهم
وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وسميت عجوزا
لانها عجز الشتاء او لكانه بهرم فيها برد الهواء فترى القوم ان كنت حاضرهم وناظرهم
فيها في مهابها على الانام او في تلك الليالي والايام صرعى موتى كانهم اعجاز نخل
خاوية اصول نخل متآكلة الجوف نخاوية بمعنى خالية وقيل معناها ساقطة فهل
ترى لهم من باقية من بقاء او بقية او نفس باقية وجاء فرعون ومن قبله من تقدم
وقراء ابو عمرو والكسائى بكسر القاف وفتح الباء اى ومن عنده ممن تبعه
والمؤتفكات قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او الافعال
ذات الخطا فعصوا رسول ربهم فعصى كل امة رسولها او المراد بالرسول
الجنس اى فعصوا رسل ربهم فاخذهم اخذة رابية زائدة في الشدة والفظاعة
زيادة اعمالهم في القبح والشناعة وافاد الاستاد ان الفائدة في ذكرهم الاعتبار
بامرهم وعقوبة هذه الامة مؤجلة الى يوم القيمة مؤخرة واما خواصهم فعقوبتهم
معجلة فاهلك عادا بالريح وقوم من هذه الطائفة اذا اشاعوا سرا واضاعوا
ادبا يعاقبهم برياح الحجة فلا يبقى في قلوبهم اثر من الاحتشام للدين ولا مما كان
لهم من اوقات اليقين وهم على خطر من احوالهم الردية ان يمتحنوا بالاعتراض
على التقدير والقسمة واما فرعون وقومه فعذبهم بالغرق وكذلك من وقته فارغ
وهو بطاعته مشتغل والحق عليه مقبل فاذا لم يشكر النعمة واساء ادبه في الخدمة
ولم يعرف قدر ما انعم عليه من المنحة رده الحق الى اسباب التفرقة ثم يغرقه في بحار
المشغلة فيتكدر عليه مشربه وعلى خطر ان يدركه سخط الحق وغضبه انا لما طغى
الماء جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه في المراد حملناكم اى اباءكم وانتم
في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح عليه السلام لنجعلها لنجعل الفعلة وهي انجاء

المؤمنين واغراق الكافرين او لنجعل قصة السفينة لكم تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره وجمال رحمته وتعيها وتحفظها اذن واعية من شأنها ان تحفظ ما يجب حفظها بتذكره وتشيعه والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وقيل الواعية هي الخالية عما سواه وقال الاستاد وكذلك منته على خواص اوليائه في ان يسلمهم في سفينة العافية فالكون بتلاطم امواج بحار اشغالها على اختلاف اوصافها من احوالها واهوالها وهم بوصف السلامة لا مع احد منازعة ولا مع احد لهم توقع ومطالبة سالمون من الناس والناس منهم سالمون فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وهي النفخة الاولى التي عندها خراب الدنيا او الثانية التي في وجودها ظهور العقبى وحملت الارض والجبال رفعت من اماكنها بمجرد الارادة فدكتا دكة واحدة فضربت الحملتان ضربة واحدة فيصير الكل هباء منبثا او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا ترى فيها عوجا ولا امتا لان الدك سبب التسوية ومنه استعمال الدكان والدكة فيومئذ وقعت الواقعة فحينئذ قامت القيمة وانشقت السماء لنزول الملائكة فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك اي جنس الملك او جمع منهم على ارجائها اي جوانبها ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على ارجائها او فوق الثمانية الآتية لان فوقية التقديم فكانها الماضية وان ظهران يقال فوق الخلق يومئذ ثمانية ثمانية املاك لما روي مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله سبحانه يومئذ تعرضون اي العرض الاكبر في ذلك المحشر لا تخفى منكم خافية سريرة على الله تعالى لانه عالم بالظواهر والضمائر او على الناس او على انفسهم لقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي بالتذكير قال محمد بن حامد الغافل من غفل عن العرض الاكبر حتى يشهد على العبد جوارحه كما شاهد عليه الامة ثم يجزى كل نفس بما تسعى فمن لم يهتم لذلك العرض ولم يصلح نفسه ولم يدم تضرعه الى الله في استقالة ما سبق منه فهو الغريق في بحار الغفلة وقال الاستاد في كل نفس مع هؤلاء القوم محاسبة ومطالبة ومع قوم على ما يستحقه معاقبة وللآخرين معاتبة فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه اي خذوه واقرؤه والهاء فيه وفيما بعده للسكت واستحب الوقف عليها لثباتها في الامام وانما يسقطها في الوصل حمزة من قرأ الامام في ماليه وسلطانيه هنا وفي ماهيه في القارعة اني ظننت اي علمت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية ذات رضا على النسبة بالصيغة والمعنى في حالة مثلية مرضية صافية عن شوب الكدر خالية عن نوائب

الحزن

الحزن في جنة عالية مرتفعة الامكنة لانها في الجهة العلوية او الدرجات او الابنية او هي جنة البقاء عالية من ان يصل اليها يد الفناء قطوفها دانية مجتنى ثمرها قريبة يتناولها القاعد القاصد قال الاستاد لانهم تركوا في الحال مآربهم ورفعوا عن قلوبهم مطالبهم فليس لهم ارادة ولا تمسهم حاجة فهم في روح الرضا يعيش اولئك في العطاء ثم اذا ابدا علم من الحقيقة ولا حاجة ولا سؤال ولا فضل ولا نوال ويقال لهم غدا كلوا واشربوا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الزاكية والاحوال الصافية في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا او الخالية عن الاكل والشرب بسبب الصيام او بالصبر على القحط في الايام وقال الواسطي اي الايام الخالية عن ذكر الله لتعلموا انكم في مقام الافضال دون جزاء الاعمال وقال الاستاد يقال لهؤلاء ارجاء اسمعوا منا وانظروا الينا واستأنسوا بقربنا وطالعوا جمالنا وجلالنا فانتم بنا ولنا واما من اوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما يرى من قبح العمل وسوء الامل ياليتها اي الموتة التي كانت القاضية القاطعة لامري فلم ابعث بعدها من الازمنة الآتية ما اغنى عني شيئا او اي شيء اغنى عني ماليه مالي من المال والاتباع في تلك الحال هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على غيري خذوه خطاب لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه ادخلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا اي طويلة فاسلكوه فانظموه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها انه كان لا يؤمن بالله العظيم استئناف فيه معنى التعليل ولا يحض على طعام المسكين لا يحث نفسه او غيره على بذل طعامه او على طعامه فضلا ان يبذل من ماله ومرامه ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان مدار الامر على التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه او يهتم بامره ويدنيه ولا طعام الا من غسلين فعلين من الغسل اي غسالة اهل النار وصديد اهل البوار لا يأكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا والاوزار ولعل قوما اكلهم الزقوم وآخرين طعامهم الضريع او تارة وتارة بحسب التنويع وقال الاستاد اقوام هم اليوم مهجورون يتضاعد حسراتهم ويتضاعف انينهم ليلهم ويل ونهارهم ليل تكدرت مشاربهم وتخربت اوطان انسهم فلا يرحم بكاؤهم ولا يسمع انينهم فعندهم انهم مبعدون مرجومون وهم في الحقيقة من الله مرحومون اسبل الستر عليهم وصغرهم في اعينهم وهم اكرم اهل القصة كما قالوا في رفع هذه القصة لا تنكرن جحدي هواك فانما ذاك الجحود عليك ستر مسبل فلا اقسم لظهور الامر المبهم واستغنائه عن التحقيق

بالقسم اوفلا ردّ لانكارهم واقسم مستأنف ز اخبارهم اولا صلة والمعنى
فاقسم بما تبصرون ومالا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول
الخالق والمخلوقات وقال جعفر الصادق بما تبصرون من صنعى فى ملكى وبهائى ومالا
تبصرون من برىّ الى انبيائى واوليائى وقال ابن عطا ما تبصرون من آثار القدرة
ومالا تبصرون من اثار القدر وانوار الحكمة انه اى القرآن لقول رسول يبلغه عن
ربه فانّ الرّسول لا يقول من عنده كريم على الله وهو محمد او جبريل ويؤيد
الاول قوله وما هو بقول شاعر كما يزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصديقا قليلا
يصدقون لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تدعون مرة قليلا ما تذكرون
فلذا يلتبس الامر عليكم وقراء ابن كثير وابن عامر بخلاف عن ابن ذكوان بالغيبة
فى الفعلين تنزيل بل هو منزل من رب العالمين نزله على لسان الرّوح
ولو تقول علينا اى لو افترى بالنسبة الينا بعض الاقاويل اى فرضا وتقديرا
لثبوت عصمة الملائكة والانبياء لدينا لاخذنا منه بعضه باليمين بالقوة
المتين ثم لقطعنا منه الوتين اى نياط قلبه بضرب عنقه فما منكم من احد
عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف للاحد فانه عام فى العدد
وانه اى القرآن لتذكرة موعظة وتبصرة للمتقين لكونهم المنتفعين وانا لنعلم
ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم يوم الدّين وانه لحسرة على الكافرين اذا
راوا ثواب المؤمنين وانه لحق اليقين اى اليقين الثابت الذى لا ريب
فيه للموقنين فسبح باسم ربك العظيم اى نزهه عن العيوب والآفات
مقرونا باثبات كمال الصفات قال الجنيد حق اليقين ما يتحقق العبد
بذلك معرفته بالحق وان يشاهد المغيبات كمشاهدة المرئيات ويخبر عنها
بالصدق ويحكم عليها بالحق كما اخبر الصديق الاكبر رضى الله عنه عن مشاهدته
بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم حين سأله ماذا ابقيت لنفسك فقال الله
ورسوله فاخبر عن تحققه بالحق وقطعه عن كل ما سواه ووقوعه على الصدق
ولم يسأله النبى عليه السلام عن كيفية ما اشار اليه من المقام لما عرف من صدقه
وبلوغه المنتهى فيه وتحققه ولما قصر حال حارثة عن حاله وقال اصبحت مؤمنا
حقا فاخبر عن حقيقته اذ سأله النبى عليه السلام عن ذلك لما كان يجد فى
نفسه من عظيم دعواه ثم لما اخبر لم يحكم له بذلك وقال عرفت فالزم اى
عرفت الطريق الى حقيقة الايمان وتحقيق التصديق الطريق حتى تبلغ اليه
وترك حال التصديق مستورا من غير استخبار لما علم من صدقه فيما ادعى وتحققه
فيما راى وافاد الاستاد ان حق اليقين واليقين واضافته الى اليقين كما
يقال نفس العلم وعلوم الناس تختلف فى الطرق اليها فى الخفاء والجلاء

فايقال

فايقال من الفرق بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين يرجع
الى كثرة البراهين ثم الى كون بعضه ضروريا وبعضه كسبيا ثلث وبعضه
وهبيا وفقنا الله للمكاسب ورزقنا من لدنه المواهب ■
سورة المعارج مكية وهى اربع واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم
قال الاستاد بسم الله كلمة من قالها وجد جمالها ومن شهد ما شهد جلالها ليس
كل من قالها نالها كلمة رفيعة عن ادراك الالباب منيعة سأل سائل بعذاب
واقع اى دعا داع يعنى طلبه ■ استدعاه والسائل نضر بن الحارث حيث قال ان
كان هذا هو الحق من عندك او ابو جهل فانه قال اسقط علينا كسفا من السماء سأله
الاستهزاء وقراء نافع وابن عامر سال بالالف وهو من السؤال على لغة قريش
فى الابدال للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع اى خالص لهم وخاص بهم
او نازل عليهم وحاصل لديهم وافاد الاستاد ان الباء بمعنى عن اى سائل سائل
عن هذا العذاب لمن هو قال تعالى هو للكافرين ليس له دافع يرده من الله
من جهته لتعلق ارادته ذى المعارج ذى المصاعد وهى الدرجات التى يصعد
فيها الكلمات الطيبة والاعمال الصالحة او يترقى فيها المؤمنون فى سلوكهم من الحالات
الرضية والمقامات العلية او فى دار ثوابهم من المنازل البهية او السموات
فان الملائكة يعرجون فيها فى المنازلات تعرج الملائكة وقراء الكسائى بالتذكير
والروح اى جبريل وافراده لفضله بالرسالة او خلق اعظم من الملائكة اليه
الى عرشه او مكان امره وقال سهل تعرج الملائكة باعمال بنى آدم الى الله الاحد والروح
اليها ناظرة فى ذلك المشهد فى يوم عظيم او وقت كريم كان مقداره خمسين
الف سنة اى كمقدارها من سنى الدنيا حيث انهم يقطعون فيه ما يقطع الانسان
فيها لو فرض وذلك لان غلظ كل ارض خمسمائة ومن كل ارض الى ارض كذلك وكذا
السماء فيكون الى محدب السماء السابعة اربعة عشر الف عام ومنها الى العرش
ستة وثلاثون ليكون خمسين الف سنة هكذا نقل عن ابن عباس ومجاهد فالظرف
متعلق بيعرج وحيث قال فى يوم كان مقداره الف سنة يريد زمان عروجهم
من الارض الى محدب السماء الدنيا او المراد به يوم القيمة اى يعرج الملائكة والروح
للعرض والحساب فى يوم جعله الله على الكافرين خمسين الف سنة ويخففه
على المؤمنين حتى يكون عليه اخف من صلوة مكتوبة يصليها فى الدنيا وهذا
ايضا ثبت عن ابن عباس والضحاك وابن زيد وغيرهم فالظرف متعلق
بواقع وهذا القول اصح وفى مناسبة السابق واللاحق اصرح وفى الاحاديث
الصحيحة ان طول يوم القيمة خمسون الف سنة واستطالته اما لشدته على الكفار
او لانه على الحقيقة كذلك الا انه يهون على الابرار فاصبر صبرا جميلا لا شكوى فيه

ولا دعوى اوهوان لا يستثقله بل يستعذبه بشهود المبلى الذى هو المولى او هو
مقام الرضاء بالقضاء فى استواء الحلواء والبلوى انهم يرونه اى العذاب
او وقت الحساب بعيدا من الامكان ونريه قريبا من الوقوع فى الزمان قال
بعضهم يتوهمون بعدهم عن الحق وبعد الحق عنهم وهم منه على اقرب قرب
يوم تكون السماء كالمهل اى كالنحاس المذاب بالتدريج والمهل وتكون الجبال
كالعهن كالصوف المنفوش المصبوغ اللون وافاد الاستاد ان الاشارة
فيه ان فى ذلك اليوم من كان فى سمو نخوته ونبو صولته يلين ويسكن ويضعف
من كان يشرف ويذل من كان يذل ولا يسئل حميم حميما لا يسئال قريب قريبا عن
حاله ولا عن ماله فالم يتفرغ القريب الى القريب فمن يلتفت الى المسكين
الغريب وهو كقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يبصرونهم يرونهم استيناف او
حال دال على ان المانع من السؤال هو التشاغل دون خفاء الحال وجمع الضمير
لتعميم الحميم يود المجرم لو يفتدى ان يتفدى من عذاب يومئذ ببنيه
وصاحبته واخيه باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه لديه فضلا عن ان
يهتم بحاله او يسئاله عن مآله ومناله وقراء نافع والكسائى يومئذ بفتح الميم
وفصيلته التى تؤويه تضمه فى النسب وتلحقه فى التعب والنصب ومن فى
الارض جميعا من الثقلين او الخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدى اى ثم لو
ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد عن الانجاء كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة
على ان الافتداء لا ينجيه فى تلك الحالة انها الضمير للنار او مبهم تفسيره لظى
او للقصة ولظى مبتداء خبره نزاعة للشوى اى قلاعة للاطراف تكشط الجلد
عن الوجه والرأس والعظم ولظى علم لنار يتلظى اى تتلهب وتشتعل وقراء
حفص نزاعة بالنصب على الاختصاص تدعوا اى تجذب وتحضر وقيل تدعو
زبانيتها من ادبر عن الايمان وتولى عن الاحسان وجمع المال الحرام
فاوعى فجعله فى وعاء حرصا على الحطام وطولا للامل فى الايام وافاد الاستاد
ان جهنم يقول للكافر والمنافق الى يا موافق والاشارة فيه ان جهنم الدنيا
تعلق بقلب المرء فتدعوه بكلاب الحرص الى نفسه وتجره الى جمعه ويؤثرها
على نفسه وكل احد له حتى انه يبخل بدنياه على اولاده واعزته وقليل من نجا
من مكر الدنيا ان الانسان خلق هلوعا كثير الضجر قليل الصبر كما قال تعالى
اذا مسه الشر الفقر والضر جزوعا يكون كثير الجزع واذا مسه الخير
السعة والصحة منوعا مبالغا فى المنع وقيل لا يرضيه الكثير ويسخط اليسير
وقال ابن عطا هو الذى يرضى عند الموجود ويسخط عند المفقود وقال الجوين

اى من فصل عنهم
من عشيرته صح

الوراق

الوراق نساء عند النعمة ودعاء عند المحنة وقال الواسطى جزوعا لما
يجهل من القسمة واما المنع فهو من علامة القسوة وقال الاستاد عند المحنة
يدعو وعند النعمة ينسى ويسهو اقول لا يبعد ان يقال عند المحنة يشكو ويلغو
وعند النعمة يسهو ويلهو الا المصلين استثناء للموصوفين بالصفات
المسطورة الآتية من المطبوعين على الاحوال المذكورة الماضية لمضادة
تلك الصفات المتقدمة للصفات المتأخرة من حيث انها دالة على
الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالمثوبة والخوف
من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل برد الامانات واداء
الشهادات ومحل الاستثناء انهم صابرون فى البلاء شاكرون على
النعماء راضون بانواع القضا قال ابن عطا الا العارفين بمقادير
الاشياء لا يكون لهم بغير الله حركة ولا الى غيره سكون وقال الاستاد الذين
يلازمون ابدا مواطن الافتقار الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم
عنه العوائق ولا يقطعهم عنه العلائق والذين فى اموالهم حق معلوم
كالزكوات والصدقات للسائل الذى يسئال والمحروم الذى
لا يسئال فيحسب غنيا فيحرم قال ابو عثمان هم اهل الايثار وقال
ابن عطا هم الذين لا يرون ملكا لانفسهم دون غيرهم من اخوانهم
وقال الاستاد للسائل والمحروم اى المتكفف والمتعفف وهم على
اقسام فمنهم من يوثر بجميع ماله فاموال هؤلاء لكل من قصد لا يخصون
سائلا من عامل ومنهم من يعطى ويمسك فهؤلاء منهم من يده
يد الامانة لا يتكلف باختياره ينتظر ما يشار عليه ان امر بالامساك
وقف على الباب او بذل الكل او البعض استجاب فهو على ما يطالبه
ويقتضيه حكم الوقت وهؤلاء حالهم اتم والله اعلم والذين
يصدقون بيوم الدين بتحسين الاحوال وتزيين الاعمال وانفاق
الاموال رجاء للجزاء بالمنال فى الآمال وافاد الاستاد اما رتهم الاستعداد
للموت قبل نزوله وان يكونوا كما قيل مستوفزون على رحل كانهم
وقد يريدون ان يمضوا فيرتحلوا والذين هم من عذاب ربهم
مشفقون خائفون وعن ارتكاب اسباب العذاب مجتنبون
ان عذاب ربهم غير مامون جملة اعتراضية دالة على انه لا ينبغى لاحد
ان يامن من عذاب الله وان بالغ فى طاعته واكثر فى عبادته والذين هم
لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون سبق فى سورة المؤمنون

وقال الاستاد وانما تكون صحبتهم مع زوجاتهم للتعفف ولابتغاء الولد الذي
يكون من صلبه ذاكرا لله وشرط هذه الصحبة ان يعيش معهم على ما يهوون
ولا يجرهم الى هوى لنفسه ولا يحملهم على مراده والذين هم لاماناتهم
وقراء ابن كثير لامانتهم وعهدهم راعون حافظون مراعون
قال محمد بن الفضل جوارحك كلها امانات عندك امرت في كل واحد
منها ان تفي بعهدك فامانة العين الغض عن المحرمات والنظر بالاعتبار
في الآيات وامانة السمع صيانتها عن اللغو واحضارها مجالس الذكر وامانة
اللسان اجتناب الغيبة ومداومة الذكر وملازمة الشكر وامانة الرجل
المشي الى العبادات والتباعد عن السيئات وامانة الفم ان يتناول الا
الطيبات وامانة اليدين ان لا يمدها الى المحرمات وامانة القلب مراعاة
حكم الرب على دوام الاوقات حتى لا يطلع الا الله ولا يشهد سواه ولا
يعبد الا اياه ثم العهد عليك في حمل الامانة حفظها من ضيع الامانة وصف
بالظلم والجهالة والخيانة والذين هم بشهاداتهم قائمون لا ينكرون ولا
يخفون ما علموه من حقوق الحق والخلق وقراء حفص بشهاداتهم لاختلاف
انواعها قال سهل قائمون بحفظ ما شهدوا من شهادة ان لا اله الا الله
فلا يشركون به في شيء من الافعال والاقوال والاحوال مما سواه والذين هم على
صلاتهم يحافظون يراعون شرائطها واركانها وفي تكرير ذكر الصلوة ووصفهم
بها اولا وآخرا باعتباري المداومة والمحافظة دلالة على فضلها وانافتها على
غيرها ولانها اول العبادات وام الطاعات وختم الحالات والمقامات
وقيل المراد بالاولى النوافل والمداومة عليها وبالاخيرة الفرائض والمحافظة
لديها ولعل فيه الدلالة على انها لا تسقط في حال من الاحوال والاشارة الى ان
السالك لا يستغني عن صلات الصلوة في الابتداء ولا في الانتهاء ولذا قيل
النهاية هي الرجوع الى البداية اولئك في جنات مكرمون بعلو درجات وسمو
مثوبات فمال الذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين عن اليمين
وعن الشمال عزين فرقا مجتمعين وجماعة جماعة متحلقين ايطمع كل امرئ
منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقول كفار قالوا لو صح ما يقوله
محمد من وجود جنة ونار لنكونن في العقبى افضل حظا منهم كما في
الدنيا كلا فيه الردع من هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون تعليل للردع
والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة نجسة غير مناسبة لحظيرة مقدسة
من لم يستكمل الايمان والمعرفة لم يستعد لدخول الجنة قال الواسطي اي خلقناهم
للكفر والايمان والثواب بالجنان والعقاب بالنيران فلا اقسم برب المشارق

والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم ان نهلكهم ونأتي بخلق
امثل منهم طاعة وافضل منهم عبادة وما نحن بمسبوقين بمغلوبين
ان اردنا تغيير المخلوقين فذرهم اي اذا لم يقبلوا الحق فدعهم يخوضوا ويلعبوا
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون غاية التهديد ونهاية الوعيد يوم يخرجون
من الاجداث اي القبور سراعا مسرعين الى الداعي وهو اسرافيل
او الى موقف الحشر والنشر كانهم الى نصب صنم او علم منصوب للعبادة
يوفضون يسرعون وقراء ابن عامر وحفص بضم النون والصاد والباقون
بالفتح والسكون فشبه اسراعهم حين قاموا من القبور باسراعهم الى النصب
في عبادتهم اياها قبل يوم النشور خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة قال محمد بن
علي خاضعة لا يرون من التقصير في العبادة والتكثير في النعمة ذلك اليوم الذي
كانوا يوعدون في الدنيا بانه يوم القيمة

سورة نوح مكية وهي ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله اسم عزيز به اقر من اقر
بربوبيته وبه اصر من اصر على معرفته وبه استقر من استقر من خليقته
وبه ظهر ما ظهر من مقدوراته وبه بطن ما بطن من مخلوقاته ممن جحد
فبخذلانه وحرمانه ومن وحد فباحسانه وامتنانه انا ارسلنا نوحا
الى قومه ان انذر قومك ان مفسرة لما في الارسال من معنى القول
وجعلها مصدرية مخل بالمعنى اي خوفهم من قبل ان يأتيهم
عذاب اليم في الدنيا او العقبى قال يا قوم اني لكم نذير مبين مظهر للانذار
بالآيات والآثار ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون في ان يحتمل الوجهان
المتقدمان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق من
عيوبكم فان الاسلام يجبه في الدنيا فلا يؤاخذكم الله به في العقبى
او هو ما تعلق بحق الله دون حقوق العباد فيما يمكن التدارك بصلاحه
بعد الفساد وافاد الاستاد انه اراد ما عملوه دون ما هو معلوم انهم
سيفعلون لانهم لو اعلمهم بانه غفرلهم كان اغراء لهم ويؤخركم
اي بلا عقوبة الى اجل مسمى هو ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان
اجل الله اي الذي قدره وقضاه اذا جاء على وجه المقدر لا يؤخر
فبادروا في اوقات الامهال لو كنتم تعلمون الحال اتبعتم طريق الكمال
او لو كنتم من اهل العلم والنظر لتحقق عندكم هذا الخبر وفيه انهم
لانهماكهم في حب الحيوة كانهم شاكون في امر الممات قال رب اني
دعوت قومي ليلا ونهارا اي دائما من غير الفترة فلم يزدهم دعائي
الا فرارا عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية

وقال الاستاذ بيّن نوح عليه السلام ان الهداية ليست اليه فقال ان
اردت ايمانهم فقلوبهم بقدرتك واني ما زددت لهم دعاءً الا ازدادوا
استهزاءً واصرارًا واستكبارًا واني كلما دعوتهم الى الايمان لتغفر لهم بسببه
جعلوا اصابعهم في آذانهم سدّوا مسامعهم عن استماع الطاعة واستغشوا
ثيابهم تغطّوا بها كراهة النظر الي من فرط كراهة الدعوة واصرّوا على المعصية
واستكبروا استكبارًا عظيمًا عن المتابعة ثم اني دعوتهم جهارًا اي حال
كوني مجاهرًا كما يقتضي دعوة الرسالة اظهارًا ثم اني اعلنت لهم
الدعوة مرارًا واسررت لهم اسرارًا اي دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد
اولى على اي وجه امكنني من وجوه الدعوة فقلت استغفروا ربكم بالتوبة
عن كفركم انه كان غفارًا للتائبين ولو كانوا كفارًا يرسل السماء عليكم
اي المطر مدرارًا كثير القطار والسحاب كثير امطارًا ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم انهارًا من ماء معين
قال جعفر الصادق يزين ظاهركم بالخدمة وباطنكم بالمعرفة روي انه لما طالت
دعوتهم وتمادت معصيتهم حبس الله عنهم المطر اربعين سنة واعقم ارحام
نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه من الاعتداء ولذا شرع
الاستغفار في الاستسقاء وافاد الاستاذ ان من اراد التفضل بالعذر
والتفضل مالكم لا ترجون لله وقارًا لا تأملون له توقيرًا وتعظيمًا لمن عبده
واطاعه فتكونون على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم وقال الاستاذ مالكم
لا تخافون لله عظمة او لا تأملون من الله على توقيركم لامره لطفًا ورحمة
وقد خلقكم اطوارًا اي اصنافًا او ادوارًا وترابًا ونطفًا وعلقًا ومضغًا
وعظمًا ولحمًا ثم روحًا او اعضاءً او اجزاءً فانه يدل على انه سبحانه تام
القدرة كامل الحكمة ويشير الى انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى للمثوبة والعقوبة
ثم اتبع الاطوار السبعة الانفسية بالاسرار السبعة الآفاقية فقال الم تروا
كيف خلق الله سبع سموات طباقًا بعضها فوق بعض وفاقًا وجعل القمر
فيهن نورًا منورًا وجعل الشمس سراجًا منيرًا والله انبتكم من الارض
نباتًا انشأكم منها فنبتم نباتًا وصار لكم كنماء النبات حيانًا ثم يعيدكم
فيها مقبورين ويخرجكم اخراجًا محشورين اكد الاعادة بالمصدر كما
اكد به البداءة للدلالة على ان الثانية كالاولى متحققة والله جعل لكم
الارض بساطًا تنبسطون عليها انبساطًا لتسلكوا منها سبلًا فجاجًا
واسعة واضحة قال الاستاذ كلما زاد نوح عليه السلام في العصيان والبيان
ووجوه الخير والاحسان زادوا في الكفر والطغيان قال نوح رب

انهم

انهم عصوني فيما امرتهم به من الطاعة واتبعوا من لم يزده ماله وولده
وسائر ماله الا خسارًا اي حالا يخسره مآلا وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة
والكسائي بضم الواو وسكون اللام على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا
اي كلهم تابعهم ومتبوعهم في تحصيل الغواية مكرًا كبارًا كبيرًا في الغاية وقالوا
اي بعضهم لبعض لا تذرن آلهتكم اي لا تتركن عبادتها عمومًا ولا تذرن
ودًّا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا اي خصوصًا وقرأ نافع ودًّا
بالضم وقد اضلوا اي الرؤساء كثيرًا من الضعفاء او الاصنام كقوله
تعالى انهن اضللن كثيرًا ولا تزد الظالمين الا ضلالًا عطف على رب انهم
عصوني ولعل المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في
امر دينهم وعقباهم مما خطيئاتهم ما مزيدة للتفخيم اي من اجل خطيئاتهم
وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا بالطوفان فادخلوا نارًا المراد بها عذاب
القبر او عذاب الآخرة بعد الحشر فلم يجدوا لهم من دون الله انصارًا تعريض
لهم باتخاذ الهة لا يقدر على نصرهم وقال نوح اي بعد ما كابد احوالهم الف
سنة الا خمسين عامًا واوحي اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارًا اي احدًا يسكن دارًا فيعال من الدار
او من الدور فيكون معناه دائرًا انك ان تذرهم يضلوا عبادك اي يسعوا
في اضلال المؤمنين ولا يلدوا الا فاجرًا كفارًا جامعًا بين الكفر والفجور وقدم
الفاجر لان الفجور يجر الى الكفر رب اغفر لي ولوالدي وكانا مؤمنين ولمن
دخل بيتي مؤمنًا اي منزلي او مسجدي او سفينتي وللمؤمنين والمؤمنات
الى يوم القيمة ولا تزد الظالمين اي باجمعهم من قومي وغيرهم الا تبارًا هلاكًا

سورة الجن مكية وهي في مقام العقوبة ثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاذ بسم اسم من قامت السموات والارضون
بقدرته واستقامت الاسرار والقلوب بنصرته ودلت الافعال على جلالة
شأنه وذلت الرقاب عند سطوة سلطانه اشرقت الاقطار بنوره في العقبى
واشرقت الاسرار بظهوره في الدنيا فهو المقدس بالوصف الاعلى قل اوحي
الي انه استمع نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن اجسام
خفية يغلب عليهم النارية روي ان الجن كانوا يأتون السماء فيستمعون
الى قول اهل الحكمة ثم يلقونه الى الكهنة ويزيدون فيه وينقصون وكذا كانوا
في الفترة بين نبينا عليه السلام وبين عيسى عليه السلام فلما بعث نبينا صلى الله
عليه وسلم رجموا بالشهب علم ابليس انه وقع شيء عظيم ففرق جنوده فاتى تسعة
منهم الى بطن نخلة فاستمعوا قراءته عليه السلام فامنوا ثم اتوا قومهم وجاءه سبعون

منهم واسلموا وذلك قوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن
فقالوا لقومهم انا سمعنا قرآنا عجبا مفردا بديعا مباينا لكلام الناس في
جزالة مبناه ودقة معناه قال ابن عطا تعجبت الجن من بركات القرآن
اول انهم لما سمعوا وجدوا في قلوبهم نورا وفي اسرارهم سرورا وفي ارواحهم
حضورا وفي ابدانهم نشاطا وراحة لامتثال الطاعة يهدي الى الرشد
الى طريق الحق وصوب الصدق وقال الجنيد يهدي على الوصول الى الله سبحانه
فآمنا به بالقرآن ومن نزل عليه ولن نشرك بربنا بعبادته او بالوهيته احدا
لما نطق به الادلة القاطعة على التوحيد وانه تعالى جد ربنا اي عظمته او سلطانه
او غناه او شانه ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لوصفه بالتعالي لما سبق
من النعت العالي قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص وانه تعالى وما
بعدها الى قوله تعالى وانا منا المسلمون بفتح الهمزة وقرأ نافع وابو بكر وانه
لما بكسر الهمزة فالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول والفتح على ان ما كان من
قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى
جد ربنا وما لم يكن من قولهم فمعطوف على انه استمع وانه كان يقول سفيهنا
ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة
الحد وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم
للسفيه في ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب على الله هنالك وكذبا
نصب على المصدر لانه نوع من القول وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن فان الرجل اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من
شر سفهاء قومه فزادوهم رهقا فزاد الانس الجن باستعاذتهم
بهم كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا وذلا بان اضلوهم حتى استعاذوا
بهم وانهم اي الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس ان لن
يبعث الله احدا بالنبوة والرسالة او بالاعادة بعد البداءة وانا لمسنا
السماء طلبنا بلوغ السماء او التمسنا خبرها فوجدناها ملئت حرسا
حراسا اسم جمع كالخدم شديدا اقوياء وافرد للفظ الحرس وهم الملائكة
الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار
وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد صالحة للاستماع فمن يستمع الآن
يجد له شهابا رصدا اي راصدا لاجله يمنعه عن الاستماع برجمه وانا لا ندري
اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا بمنع سماع
الانباء وانا منا الصالحون المؤمنون الكاملون ومنا دون ذلك قوم دون
ذلك وهم المقتصدون كنا طرائق قددا اي ذوي مذاهب متفرقة مختلفة

جمع قدة بمعنى قطعة وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله في الارض ان اراد
امرا بنا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن آمنا به
وتركنا طريق الردى فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف بخسا نقصا
في الجزاء ولا رهقا غشيان الذلة وزيادة الجفاء قال الواسطي حقيقة الايمان
ما اوجب الامان وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق العدالة
وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا قصدوا رشدا عظيما
يوصلهم مقاما كريما واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا يوقد بهم وان
لو استقاموا اي وان الشان لو استقام الجن والانس على الطريقة اي المثلى
في الحقيقة لاسقيناهم ماء غدقا لوسعنا عليهم رزقا لنفتنهم فيه
لنختبرهم يشكرونه او يكفرونه ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته
نسلكه قرأ غير الكوفيين بالنون اي ندخله عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب
ويغلبه او عذابا ذا صعود كما سيأتي وجهه وان والاستناد ان الاستقامة
على الطريقة يقتضي اكمال النعمة واكثار الراحة والاعراض عن ذكراته يوجب تنغص
العيش ودوام العقوبة وان المساجد لله يختص به فلا تدعو مع الله احدا فلا تعبدوا فيها
غيره ابدا وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي مسجدا او مواضع
السجود على ان المراد النهي عن السجدة لغير الله فالعبادة بالله لما سواه وقال ابن
عطا مساجدك اعضاؤك التي امرت ان تسجد بها لا تخضعها ولا تذلها لغير
خالقها وانه لما قام عبد الله سماه به لانه هو المضمر لاسم الله بالاصالة وانما يصير
غيره مظهرا لله بالتبعية يدعوه يعبده كادوا قارب الجن يكونون عليه لبدا
اي كاللبد او متلبدين متراكمين حواليه مجتمعين لديه من ازدحامهم عليه تعجبا مما راوا
من عبادته وسمعوا من قراءته او من اشاعة فيضه واذاعة فضله وقرأ هشام
بخلف بضم اللام جمع لبدة وهي لغة في لبدة قال انما ادعوا ربي منفردا ولا
اشرك به احدا وفي بحر الحقائق ادعو ربي بكلية وجودي وجمعية همتي ولا اشرك
احدا لان الشرك يقتضي الاثنينية وليس في شهودي الا الوحدة الحقيقية وقرأ
عاصم وحمزة قل على الامر للنبي ليوافق قوله قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا
اي ولا نفعا او ضلالة ولا هداية قال جنيد كيف املك لكم وانا عاجز ان املك لنفسي
الا ما ملكني وقال ابن عطا لا املك لمن تحقق في الايمان ضرا ولا لمن تحقق في
الكفر رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد ان ارادني بسوء ولن اجد من دونه
ملتحدا ملاذا وملجأ لبقائه وفناء غيره قال القاسم هذه لفظة تدل على اخلاص
التوحيد اذ التوحيد هو النظر الى الحق لا غيره من الخلق وهذا لا يصح الا
بالاقبال على الله والاعراض عما سواه الا بلاغا من الله ورسالاته اي لا

يجيئني من الله وحكمه الا بتبليغ رسالاته بامره كذا افاده الاستاد في بحر
الحقايق يعني آنا فآنا من جميع الامور والاحوال وانواع الطاعة وليس
الى ههنا شئ من الافعال الا التبليغ والرسالة ومن يعص الله ورسوله في الامر
بالتوحيد والنبوة فان له نار جهنم اختصت له بالعقوبة خالدين فيها ابدا
جمعه لمعنى من حتى اذا راوا ما يوعدون في الدنيا او العقبى والمعنى استمر
حال الكفار على الاصرار حتى اذا راوا الذل والصغار فسيعلمون من اضعف
ناصرا مددا واقل عددا هو او هم قل ان ادري ما ادري اقريب ما توعدون
اي من العقوبة وحدتها او قيام الساعة وشدتها ام يجعل له ربي امدا غاية تطول
مدتها والمعنى كونوا على حذر منها وافاد الاستاد انه يجب على العبد ان يتوقع
العقوبة مع مجاري الانفاس ليسلم منها عالم الغيب اي هو لا غيره عالم جميع
المغيبات من الجزئيات والكليات فلا يظهر على غيبه فلا يطلع على غيبه
المخصوص به علمه احدا الا من ارتضى لعلم بعضه ليكون معجزة له من رسول
بيان لمن واما ما يحصل للاولياء من الكرامة فهو بمنزلة المعجزة لتوقفها على
صحة المتابعة وبعضهم خصص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بواسطة جبرئيل
وان كرامات الاولياء على المغيبات انما يكون ملقيا من الملائكة بالالهام المعبر
عنه بالوحي الخفي كاطلاعنا على الآخرة بتوسط ارباب النبوة والرسالة بالوحي
الجلي وفي تفسير السلمي قال بعضهم اخفى الحق الغيب عن الخلق فلم يطلع عليه
احد من عباده الا الاولياء على طرف منها باخبار الصدق او تلطف من الحق والاولياء
اصحاب الفراسات الصافية فانهم ينظرون بنور الغيب فيحكمون على الغيب فانه
يسلك من بين يديه من بين يدي المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه
من اختطاف الشياطين وتخاليطهم في امر الدين ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم
محروسة من التغير بالزيادة او النقصان والمعنى ليعلم النبي الموحى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة
النازلون او ليعلم الله تعالى ان قد ابلغ الانبياء والمعنى ليتعلق علمه به وجودا كما كان
تعلق علمه به شهودا ويؤيد هذا المعنى قوله واحاط بما لديهم بما عند الرسل ومن اطاعهم
ومن عصى واحصى كل شئ عددا حتى القطر والرمل والحصى سورة المزمل
مكية وهي تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد
الحادثات بالله حصلت وقلوب العارفين بالله عرفت وارواح الصديقين
بالله الفت وهموم الموحدين بساحات جلاله وقفت ونفوس العابدين
بالعجز عن استحقاق عبادته اتصفت وعقول الاولين والآخرين بالعجز عن معرفة
ذاته اعترفت يا ايها المزمل اي المتزمل كما قرئ به من تزمل بثيابه اذا تلفف
بها حال احتجابه والمعنى ايها الحامل اعباء النبوة واثقال تكاليف الدعوة

قم الليل اي قم الى الصلوة او دم على العبادة في وقت الخفاء فانه اقرب الى مقام
الوفاء الا قليلا فان نفسك مطيتك فارفق بها في عطيتك فان لها اجرا
ايضا من العبادة نصفه او انقص منه قليلا ليصير ثلثا او زد عليه اي قليلا
ليبقى ثلثين والاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى
الكل او لان هذا النصف الخالي عن العبودية وان ساوى النصف المعمور
بذكر الله في الكمية لا يساويه في حقيق الكيفية بل هو العليل وذلك النصف بمنزلة الكل
وافاد الاستاد ان ذلك كان قبل ان فرض الصلوات الخمس ثم نسخ وجوبها عن الامة
وبقيت واجبة على صاحب النبوة ويقال يا قائما لنا قم بنا ورتل القرآن ترتيلا
اقراه على تؤدة وتبيين حروف من سكون وحركة وقال الاستاد تأن بلسانك في نظمه
وارتع بسرك في فهمه وقال صاحب بحر الحقايق في الآية اشارة الى تفصيل كلمات
احكامه وتبيين حروف شريعته وتوضيح حركات بدايعه بحسب علوم عامليه وفهوم
طالبيه والمعنى بلغ احكامه لاهل النفوس المتمردة المنحرفة عن الاقبال على العقبى
والادبار على الدنيا وهم العوام وهذا من قبيل الظهر ففي الحديث ما من آية
الا ولها ظهر وبطن وحد ومطلع وفصل معانيه لاصحاب القلوب المدبرة
على الدنيا والمقبلة على المولى وهم الخواص وهذا من قبيل البطن وفهم حقايقه
لسدنة الاسرار وخزنة الانوار المستهلكين في عين المشاهدة المستغرقين
في بحر المعاينة وهم خص الخواص وهذا من قبيل الحد واذق اسراره الوافرة لارباب
الارواح الطاهرة الفانين عن ناسوتيتهم الباقين بلاهوتيته وهم خلاصة خص
الخواص وهذا من حضرت المطلع اللهم اوجدنا نفحات الطافك ونسمات
اعطافك انا سنلقي عليك قولا ثقيلا يعني القرآن فانه لما فيه من التكاليف
الشاقة ثقيل على الثقلين كانه لا سيما عليه خاصة اذ كان عليها ان يتحملها
بذاته ويحملها عامة امته او رصين لرزانة مبناه ومتانة معناه او ثقيل في الميزان
وخفيف على اللسان او ثقيل على الكفار والفجار دون الابرار من اصحاب
الانوار والاسرار او ثقيل عليك تلقيه لديك لقول عائشة رايته ينزل
عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وتخبر كان
اذا نزل عليه القرآن وهو على ناقة وضعت جرانها فلا تكاد تتحرك حتى يسرى
عنه ان ناشئة الليل اي العبادة التي تنشاء وتحدث بالليل هي اشد
وطئا اي كلفة وقراءة ابو عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو ممدودا اي مواطاة
الجنان اللسان او موافقة لما يراد من الخضوع والخشوع في مقام الاخلاص
وحال الاحسان واقوم قيلا اثبت قراءة واضبط تلاوة لهدو الاصوات
وسكون الحالات ان لك في النهار سبحا طويلا تقلبا كثيرا في مهامك واشتغالا

فى مراتك ومناجاة الحق لتستدعى فراغا من خطور امور الخلق واذكر اسم ربك
دم على ذكره ليلا ونهارا وتبتل اليه تبتيلا وانقطع بالعبادة الى الله وجرد نفسك
عما سواه رب المشرق والمغرب قرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص بالجر على
البدل من ربك والباقون بالرفع على انه خبر محذوف هو هو او مبتدأ خبره لا اله
الا هو فاتخذه وكيلا اى كفيلا بما وعدك من المعونة على القيام بوظيفة الخدمة
وقال الاستاذ اى توكل عليه وكل امورك اليه ويقال وكيلك ينفق عليك من
مالك ويطلب الاجر فى مالك وانا ارزقك من افضالى وانفق عليك من مالى
ويقال وكيلك من هو الذى فى القدر دونك وانت ترضى ان تكلمه كثيرا من
احوالك وانا ربك وسيدك واحب ان تكلمنى واكلمك واصبر على ما يقولون
فينا او فيك او فى كلامنا واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم
وقال الاستاذ اى تعاشرهم بظاهرك وتباينهم بقلبك وسرك ويقال الهجر
الجميل ما يكون لحق ربك لا لحظ نفسك ويقال هو ان تكلمهم وتكلمنى لاجلهم
بالدعاء لهم وذرنى والمكذبين دعنى واياهم وكل الى امرهم فانى
اكفيك شرهم اولى النعمة ارباب التنعم والسعة ومهلهم قليلا زمانا او
تمهيلا ان لدينا انكالا قيودا ثقيلا وجحيما اى نكالا وجحيما وطعاما ذا غصة
ينشب فى الحلقوم كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب
مولما لا يعرف كنهه الا ربه ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها
الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة فى الشهوات تبقى
مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة
متجرعة غصص الهجران معذبة بالحرمان عن تجلى انوار القدس وتجلى اسرار
الانس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء رب الارباب فان الحجاب اشد
العذاب يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل وكانت الجبال
كثيبا رملا مجتمعا مهيلا منثورا منبثا منثورا انا ارسلنا اليكم رسولا
كريما وصولا شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بالامتناع والاجابة كما
ارسلنا الى فرعون رسولا عظيما والمراد به موسى عليه السلام ولم يعينه
لتعينه بذكر فرعون فى المقام فعصى فرعون الرسول المعروف فاخذناه
اخذا وبيلا شديدا ثقيلا بالاغراق فى الدنيا والاحراق فى العقبى فكيف
تتقون تبعدون انفسكم ان كفرتم بقيتم على كفرهم بربكم يوما عذاب
يوم يجعل الولدان شيبا من شدة هوله اولغاية طوله السماء منفطر به
اى شئ منشق بسبب امر الله وحكمه كان وعده سبحانه مفعولا واقعا
من غير خلف له ان هذه الآيات او السورة تذكرة موعظة وتبصرة لمن

ايقظها

ايقظها سعد ومن اعرض عنها بعد فمن شاء ان يتعظ اتخذ الى ربه سبيلا
تقرب اليه بسلوك التقوى فى محبة المولى قيل القرآن موعظة وشفاء للمتحيرين
وامان للخائفين وخسارة للظالمين وحسرة على الكافرين ان ربك يعلم انك
تقوم ادنى اى اقل من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وقرأ ابن كثير والكوفيون
نصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين معك اى ويقوم
كذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما
كما هى حقيقة حالاتهما الا خالقهما علم ان لن تحصوه لن تطيقوا تقديرا وقاتهما
ولن تستطيعوا ضبط ساعاتهما فتاب عليكم خفف عنكم بالترخيص فى ترك
القيام المقدر ورفع التبعة فى الامر المقرر قال الواسطى اى لن تطيقوا القيام
بالطاعة حق الطاعة ولن تقدروا على اتيان اعمالكم بالصحة والبراءة من عيوب
الرياء والسمعة والملاحظة فتاب عليكم عاد عليكم بفضله وقبل منكم اعمالكم بلطفه
مع ان من لقيه بنعمه كان منقطعا به عن منعمه ومحجوبا بالصفات عن الذات
وقال بعضهم لن تقدروا على السلوك بالوصول الى ربكم اذ الوصول يترتب
على فضل الله ورحمته لا على سلوككم وسيركم فكم من سالك انقطع فى الطريق
ورجع قهقرى ولم يصل الى الفريق لانه بدون الرفيق وقد قيل ليس كل من سلك
وصل ولا كل من وصل اتصل ولا كل من اتصل انفصل فاقرؤا ما تيسر من القرآن
كيف ما تيسر عليكم مما انزل اليكم بالقراآت الثابتة لديكم فان وجوب قيام
الليل رفع عنكم علم ان سيكون منكم مرضى غير قادرين فى الليل على عبادة الله
وآخرون يضربون فى الارض يسافرون فيها يبتغون من فضل الله من الرزق
او كسب العلم او قصد الحج وآخرون يقاتلون فى سبيل الله هذا اخبار عن الغيب
فيكون معجزة فان السورة مكية والقتال شرع فى المدينة فاقرؤا ما تيسر منه
تأكيد وتأييد لرفع ما عسى يتوهم ان يكون القرآن ايضا منسوخة وفى بحر الحقائق
اى كل احد متبع مبانيه ما يمكن له من فهم معانيه فالظهر للعالم والبطن للعابد والحد
للسالك المجذوب والمطلع للمجذوب السالك واقيموا الصلوة المفروضة
وآتوا الزكوة المكتوبة وفيه دلالة على ان فرض الزكوة بمكة المعظمة وبيان المقادير
ومصارفها فى المدينة المكرمة واقرضوا الله قرضا حسنا بالنوافل فى العبادات
والزوائد فى المبرات وما تقدموا لانفسكم من خير فرضا او نفلا تجدوه عند الله
هو خيرا من متاع الدنيا الدنية واعظم اجرا من تأخير الى الوصية او من النظر للورثة
الغنية واستغفروا الله فى مجامع احوالكم فانها لا تخلو من تفريط فى اعمالكم ان الله غفور
بالمسيئين رحيم بالمحسنين

سورة المدثر مكية وهى ست وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاذ بسم الله كلمة سماعها نزهة قلوب الفقراء

بهجة اسرار الضعفاء وراحة ارواح الاولياء وقوت قلوب الاتقياء سلوة صدور
الاصفياء قرة عيون اهل البلاء يا ايها المدثر اى المتدثر وقد قرئ به وهو لابس الدثار
فوق الشعار ولعل المراد به المتلبس بانوار النبوة واسرار الولاية روى انه عليه السلام
قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ار شيئا فنظرت فوقى
فاذا هو على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى
خديجة فقلت دثرونى فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر قم قيام عزم وهمام جزم
فانذر خوف واطلق لافادة العام قال سهل يا ايها المستغيث من اغاثة
نفسك على صدرك وقلبك قم بنا واسقط عنك ما سوانا وانذر عبادنا فانا قد
هيانك لاكرم الحالات واعظم المقامات وقيل يا ايها الطالب صرف الاذى
عنك بالدثار اطلبه بالانذار وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء
روى انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحى من عند ربه
فان الشيطان لا يامر بمثله وقال الاستاد اى كبره عن كل طلب وارب ووصل
وفصل وثيابك فطهر من النجاسات لوجوب التطهير فى الصلوة التى موجبة
للصلات ومقتضية للمناجاة وهو اول ما امر به من رفض العادات وذلك
بغسلها عن النجاسة وبحفظها عنها كتقصيرها مخافة جر الذيول فيها او فطهر
نفسك من الاخلاق الدنية والافعال الردية فيكون امرا باستكمال القوة
العملية بعد امره باستكمال القوة العلمية او فطهر دثار النبوة عما يدنسه من
الضجر وقلة الصبر وقال الاستاد طهر نفسك عن الزلات وقلبك عن المخالفات
وسرك عن الالتفات والرجز فاهجر اى فاهجر العذاب بالثبات على هجر
ما يؤدى اليه من الاسباب وقرا حفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر فى الذكر
وقال الاستاد اى طهر قلبك من الخطايا واشتغال الدنيا ويقال من لم يصح
جسمه لم يجد للطعام لذة للشهوة كذلك من لم يصح قلبه لم يجد حلاوة الطاعة
ولا تمنن تستكثر بالرفع ولا تعط مستكثرا نهى تنزيه عن ان يهب شيئا يسيرا طامعا
عوضا كثيرا او لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ
مستكثرا اياه والمعنى لا تمنن على عبادنا بما منا به عليك وفق مرادنا وقرئ تستكثر
مجزوما ولربك لوجهه او امره فاصبر فاستعمل الصبر فى موضعه فاذا نقر فى الناقور
نفخ فى الصور للبعث والنشور فذلك اى وقت النقر وهو مبتدا يومئذ
بدل منه يوم عسير خبره على الكافرين غير يسير وفيه ايماء الى انه يصير يسيرا على المؤمنين
ولو كانوا من العاصين ذرنى ومن خلقت وحيدا نزل فى الوليد بن المغيرة والمعنى
ذرنى وحدى معه فانى اكفيكه او اتركنى ومن خلقته وحدى لم يشركنى احد فى خلقه
او دعنى ومن خلقته فريدا لا مال له ولا ولد وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا غاية الكثرة

وكان له

وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه فى المحافل لا يشاهم
لعدم الحاجة الى اسفارهم قيل كان له عشرة بنين فاسلم منهم ثلاثة خالد وهشام
والوليد ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة حتى لقب بريحانة قريش وكان يسمى
لاستحقاق التقدم وحيدا ولهذا قيل فى الآية المتقدمة اريد به ذمه بانه وحيد لكن فى
الشرارة ثم يطمع ان ازيد اى يريد ان ازيد على ما اعطيته مما ليس عليه مزيد كلا انه
كان لآياتنا عنيدا معاندا جحودا سارهقه صعودا ساغشيه عقبة شاقة المصعد
فعنه عليه السلام انه جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك
ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان لكونه العنيد والمعنى فكر فيما تخيل له طعنا
فى القرآن وقدر فى نفسه ما يقول فيه من البهتان او الهذيان فقتل اى لعن
كيف قدر تعجيب من تقديره استهزاء به فى تقريره روى انه مر بالنبى عليه
السلام وهو يقرا حم السجدة فاتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو
من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة اى رونقا وطراوة وان
اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق يعنى ان معناه لكثير النتيجة ككثرة الشجرة وان مبناه
لواسع البركة من نهاية الفصاحة وغاية البلاغة الموجبة لكونه معجزة وهذا معنى
قوله وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبا الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا
اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه اى اغضبه فقام فاتاهم فقال
تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه
يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله
وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة
فى النكير ثم نظر اى تامل فى القرآن مرة بعد اخرى ثم عبس قطب وجهه
لتحيره فى امره وبسر اى زاد فى العبوسة بانقباض قلبه ثم ادبر عن قبول
الحق واستكبر عن اتباع امر الصدق فقال بعد طول التفكر ان هذا
الا سحر يؤثر يروى وينقل ويزور ان هذا الا قول البشر اى من الرقى
التى فيها الاثر ساصليه سقر سادخله فيها او احرقه منها وما ادراك
ما سقر فى ابهام بيانها تفخيم لشانها لا تبقى ولا تذر لا تبقى شيئا
يلقى فيها ولا تدعه فترده حتى يهلك بها او لا تبقى لحما ولا تذر عظما لواحة
للبشر مسودة لاعالى الجلد او لايحة للخلق واضحة عليها تسعة عشر ملكا
او صفا صنفا من الملائكة يلون امرها واحسن ما قيل فى تخصيص الخزنة
بهذا العدد مع انه لا يطلب فى الاعداد العلة والحكمة ما روى عن ابن
مسعود من اراد ان ينجو من عذاب الزبانية فليقرا بسم الله الرحمن الرحيم
باخلاص النية وتصحيح الطوية فان حروفها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب

النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يرحموا عليهم
ولانهم اقوى الخلق بأسا واشدهم غضبا روي ان المشركين قالوا
ما تفعل تسعة عشر بجمع كثيرين فنزلت والمعنى ممن يطيق الملائكة فقالوا
ولم ليسوا عشرين وما معنى تسعة عشر فنزل وما جعلنا عدتهم اي المعينة الا
فتنة محنة وبلية للذين كفروا باستقلالهم واستهزائهم واستبعادهم
ان يتولى هذا العدد اليسير تعذيب الكثير ليستيقن الذين اوتوا الكتاب
ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد خاتم النبيين وصدق القرآن المبين لما راوه موافقا
لما في كتابهم ومصدقا لما في خطابهم ويزداد الذين آمنوا ايمانا بالايمان به ايقانا
ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون اي لا يشكون في القرآن وهو
تاكيد للاستيقان وزيادة الايقان وليقول الذين في قلوبهم مرض شك
او ضعف اعتقاد والكافرون اي الجاحدون او المعاندون ماذا اراد الله
بهذا مثلا اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل في الامر العجب
كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء اي مثل ذلك المذكور من الاضلال
والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه على
ما هم عليه من حكمه الا هو اذ لا سبيل لغيره الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائق
الموجودات وصفات الكائنات قال القاسم قال الله لنبيه عليه السلام
انكم لا تقفون على المخلوقات فكيف تقفون على الاسماء والصفات وما هي
اي وما سقر او عدة الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم وتبصرة كلا
ردع لمن انكر والقمر اي واقسم بالقمر وبقدرته على القمر والليل اذ ادبر
اي مضى وادبر كقبل بمعنى اقبل وقرأ نافع وحمزة وحفص اذا دبر على المعنى
والصبح اذا اسفر اضاء وظهر انها اي سقر لاحدى الكبر اي لاحدى البلايا
الكبر نذيرا للبشر حال مما دلت عليه جملة المثال اي كبرت منذرة للبشر
وابدل منه قوله لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر اي نذيرا للمتمكنين من
السبق الى الخير ومن التخلف عنه باكتساب النفع والاستعداد ان يقال
في الاشارة كلا والقمر اي اقمار العلوم اي اخذلها في الزيادة بزيادة البراهين
فانها تزداد فاذا صار الى حد التمام والعلم بلغ الغاية فتبدو اعلام المعرفة
فكلما قرب القمر من الشمس ازداد نقصانه حتى اذا قرب منها بتمامه صار
محاقا كذلك اذا ظهر سلطان العرفان باخذ اقمار العلوم في النقصان
كالسراج في ضوء الشمس والليل اذ ادبر ظلم البواطن اذا انكشفت
والصبح اذا اسفر ضياء انوار الحقائق اذا تجلت في السرائر انها لاحدى
الكبر اي العظائم ذهاب التخويف من عود الظلمة الى القلوب نذيرا للبشر

من الحذر

من الحذر عن الشواغل التي هي قواطع عن الحقيقة وليحذروا المساكنة
والملاحظة الى الطاعة والموافقة فانها لا خطر لها في الحقيقة كل نفس بما
كسبت رهينة مرهونة عند الله وقيل ماخوذة بكسبها من خير او شر الا من
اعتمد الفضل والعناية دون الكسب والسعاية وقيل الرهان الاسير فاين
الفرار من القدر وكيف القرار على الخطر الا اصحاب اليمين فانهم فكوا
رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقدموا حسابهم وقيل هم الملائكة او اطفال
المؤمنين في جنات هم في بساتين لا تدخل في حيز نعوت وصفات
يتساءلون عن المجرمين اي يسأل بعضهم بعضا عن احوال العاصين وقوله
ما سلككم في سقر حكاية قول المسؤولين عنهم لان المسؤولين يلقون الى
السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم
في سقر اي اي شيء صار سبب دخولكم فيها او يقولون لاهل النار اذا
حصل لهم اشراف بالظواهر او الاسرار فعلى هذا عن زائدة على ما في المدارك
وعن الطيبي ان سال يتعدى الى الثاني بعن والى الاول بنفسه وقد يعكس
انتهى فتساءل بمعنى سال واكتفى ههنا بالمفعول الاول واستعمل بعن
فتأمل قالوا لم نك من المصلين الصلوة المكتوبة ولم نك نطعم المسكين
من الصدقات المفروضة وفيه ان الكفار معذبون بترك الفروع في الآخرة
او المعنى لم نك من المؤمنين الجامعين بين الطاعات البدنية والعبادات
المالية او القائمين باوامر الله والمشفقين على خلق الله وكنا نخوض مع الخائضين
نشرع في الباطل مع المبالغين فيه وكنا نكذب بيوم الدين بالبعث
والجزاء حتى اتانا اليقين اي الموت الذي هو من مقدمات علم
اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي لو فرض انهم شفعوا
لهم اجمعين فما لهم عن التذكرة اي اي شيء مانع لهم عن
سماع القرآن وقبوله او ما يلحقه من الوعظ ومحصوله معرضين حال
كونهم مدبرين كانهم حمر مستنفرة وقرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء وهو
ابلغ في مقام النفرة فرت من قسورة شبههم في اعراضهم ونفرتهم
عن استماع الذكر وموعظتهم بحمر نافرة او منفرة من اسد فعولة
من القسر وهو القهر بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا
منشرة قراطيس تنشر وتقرأ وتدبر وذلك انهم قالوا للنبي عليه السلام
لن نتبعك حتى تأتي كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله تعالى الى
فلان اتبع محمدا كلا ردع لهم عن اقتراح المعجزة بل لا يخافون الآخرة
فلذا اعرضوا عن التذكرة وما اكتفوا بما جاءهم من المعجزة كلا انه تذكرة

وای تذکرة فمن شآء ان یذکره ذکره وما یذکرون الآن یشآء الله ذکرهم
او مشیتهم لقوله تعالی وما تشاؤن الا ان یشآء الله وقرا نافع تذکرون
بالخطاب هو اهل التقوی حقیق بان یتقی معاقبته او مخالفته او هو اهل
ان یتقی به عما سواه واهل المغفرة جدیر بان یغفر لعباده علی ذنوبهم

سورة القیمة مکیة وهی تسع وثلثون آیة بسم الله الرحمن الرحیم

قال الاستاد بسم الله کلمة عزیزة من سمعها بشاهد العلم استبصر ومن
سمعها بشاهد المعرفة تحیر فالعلمآء فی سکون برهانه والعارفون فی دهش
سلطانه هؤلآء فی بحور علومهم فاحوالهم صحو فی صحو وهؤلاء فی شموس معارفهم
فاوقاتهم محو فی محو شتان ما بینهما لا اقسم بیوم القیمة ادخال النافیة علی فعل
القسم للتأکید شایع فی کلامهم وسایغ فی مرامهم وقرا ابن کثیر بخلف عن البزی
لاقسم بلام الابتداء ای لانا اقسم بوقوع الیوم القیمة وتحقق وقت الندامة
ولا اقسم بالنفس اللوامة ای التی تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت فی العبادة
سرمدا او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بجنس النفس لما روی انه علیه
السلام قال لیس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها یوم القیمة ان عملت
خیرا قالت کیف لم ازد وان عملت شرا قالت لیتنی کنت قصرت قال ابو بکر
الوراق النفس کافرة فی وقت لانها لا تألف الحق ابدا ومنافقة فی وقت
لانها لا تفی بالوعد ومرائیة فی الاحوال کلها لانها لا تحب ان تعمل عملا ولا تخطو خطوة
ولا تأمل املا الا لرؤیة الخلق فمن کانت هذه صفتها فحقیقة بمداومة الملامة
لها وفی بحر الحقایق ان النفس اللوامة هی الواقفة بین الامارة والمطمئنة
ودوام لومها لوجود وجهین لها بالنظر الی کل منهما فاذا نظرت الی وجه الامارة
لومها علی ترک المتابعة والاقدام علی المخالفة وعلی ما فات عنها فی الایام الخالیة
من الطاعات العالیة وعلی المراتعة فی المراتع الحیوانیة الظلمانیة واذا نظرت
الی وجه المطمئنة تلوم ایضا نفسها علی التقصیرات الواقعة عنها فهی لا تزال لائمة
لها الی ان یتحقق بمقام الاطمینان ولذا استحقت ان اقسم الله بها علی وقوع
الحشر والنشر وجواب القسم ما دل علیه قوله ایحسب الانسان الن
نجمع عظامه واراد بالانسان الجنس او الکافر ای ایظن ان لن نجمع عظامه
بعد تفرقها بلی نجمعها حال کوننا قادرین علی ان نسوی بنانه التی هی
اطرافها فکیف بغیرها وقال الاستاد ای نقدر ان نسوی فی الوقت بنانه
فنجعله کخلف شانه فکیف لا نقدر علی اعادته بل یرید الانسان لیفجر
امامه لیدوم علی الفجور والعصیان فیما یستقبله من الزمان یسأل ایان
یوم القیمة متی یکون او ای آن وزمان یقع الواقعة یقوله استبعادا

او استهزاء وقال الاستاد انه یقدم الحوبة ویؤخر التوبة ویقال یعزم علی
ان یستکثر معاصیه فی مستأنف وقته فلا تنحل فی الوقت عقدة الاصرار
من قلبه فلا تصح توبته لان التوبة من شرطها العزم علی ان لا یعود الی مثل
عمله فاذا کان استحلاء الزلة فی قلبه ویتفکر فی الرجوع الی مثله فلا تصح ندامته
من غیر عزمه فاذا برق البصر قرا نافع بفتح الرآء والمعنی دهش بصره وتحیر
وخسف القمر ذهب نوره وانقلب ظهوره وقری علی بناء المفعول وجمع
الشمس والقمر فی ذهاب ضوئهما وتغیر حالهما او فی رمیهما فی النار کانهما
ثوران عقیران وقال الاستاد ان ذلک حین تقاد جهنم بسبعین الف
سلسلة کل سلسلة بید سبعین الف ملک لها زفیر وشهیق فلا یبقی ملک
ولا رسول الا وهو یقول نفسی نفسی یقول الانسان یومئذ این المفر ای الفرار
من القدر او موضع الفرار یکون فیه القرار کلا ردع عن طلب المفر
لا وزر لا ملجاء ولا مفر الی ربک یومئذ المستقر الی حکمه استقرار الخلیقة
او الی مشیته موضع قرار بریته یدخل من یشآء فی منزل رحمته ومن یشآء
فی محل عقوبته ینبؤ الانسان ای یخبر او یجازی یومئذ بما قدم واخر بما قدم
من عمل عمله وبما اخر منه لم یعمله او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة
حسنة او سیئة عمل بها بعده قال ابو عثمان خمس مصائب فی الذنب
اعظم من الذنب الاولی خذلان الله اذ لو عصمه لما عصاه والثانیة ان
سلب عنه حلیة اولیائه وکساه کسوة اعدائه والثالثة ان اغلق عنه
باب رحمته وفتح له باب عقوبته والرابعة نظره الیه وهو مبغوض لدیه
والخامسة اوقفه بین یدیه یعرض ما قدم واخر من مقابحه علیه بل الانسان
علی نفسه بصیرة حجة بینة علی اعمالها لانه شاهد باحوالها ولو القی معاذیره
جمع معذار بمعنی العذر او جمع معذرة علی القیاس ای ولو جاء بکل ما یمکن
ان یعتذر به لا تحرک یا محمد به بالقران لسانک لتعجل به قبل ان یتم
وحیه لتأخذه علی عجلة مخافة ان یتفلت منک علی غفلة ان علینا
بمقتضی فضلنا جمعه فی جنانک وقرآنه واثبات قراءته علی لسانک
فاذا قرأناه بلسان جبریل علیک فاتبع قرآنه ای قراءته کرر فیه دراسته
حتی یرسخ فی ذهنک روایته ودرایته ثم ان علینا بیانه بیان ما اشکل
علیک من شانه سوآء کان من تعلق مبانیه او تحقق معانیه وهو اعتراض
بما یؤکد التوبیخ علی حب العاجلة فان العجلة اذا کانت مذمومة فیما هو
اصل الدین واساس الیقین فکیف بها فی غیره او یذکر ما اتفق فی اثنآء
نزول هذه الآیات فلا یلتزم المناسبة بین السابقات واللاحقات وفی

تفسير السلمى قيل للنبى عليه السلام لا تشغل نفسك على شئ من اسبابك
فانا لا نكلك الى نفسك بل نتولاك فى جميع امرك علينا جمعه فى صدرك
وتسهيله على لسانك حال ذكرك كلا ردع للرسول عن اعادة العجلة او
للانسان عن الاغترار بالعاجل بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة اى
الآجلة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بالغيبة فيهما قال ابو عثمان من
احب الدنيا وما لها واقبل عليها وطلبها ولو حلالها فليتيقن بفوت حظه
من الاخرى لان الله تعالى قال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وجوه
يومئذ ناضرة مشرقة متنورة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة فى مطالعة
جماله بحيث تغفل عما سواه مع بقاء حاله وليس هذا فى جميع الاوقات
حتى ينافيه نظره الى غيره من المستلذات وعن عكرمة انه قال لو جعل الله
نور جميع ابصار الانس والجن والدواب والطير فى عينى عبد ثم كشف
حجابا دون الشمس لما استطاع ان ينظر اليها ونور الشمس جزء من سبعين
جزءا من نور الكرسى ونور الكرسى جزء من سبعين جزءا من نور العرش ونور
العرش جزء من سبعين جزءا من نور الستر فانظر ماذا اعطى الله عبده من النور
فى عينيه وقت النظر الى وجه ربه الكريم عيانا رواه ابن ابى حاتم وقال الواسطى
وجوه نضرت بالتوحيد وابتهجت بالتفريد ورفعت بالتجريد لان الله
يفعل ما يريد وقال مجاهد وقد تفرد به من بين السلف وتبعه المعتزلة
من الخلف اى منتظرة انعام ربها على ان الى معنى الآلاء بمعنى النعماء ورد
بان الانتظار لا يسند الى الوجه وافاد الاستاد ان النظر المقرون بالى
مضافا الى الوجه لا يكون الا الرؤية وان الله تعالى يخلق الرؤية فى وجوههم
على قلب العادة ويقال العين من جملة الوجه فاسم الوجه يتناوله
فى الجملة ويقال الوجه لا ينظر والعين ينظر كان النهر لا يجرى والماء فيه
يجرى ويقال فى الآية دلالة على ان الرؤية بصفة الصحو ولا يتداخلهم
الحيرة والدهشة والحالات المتغيرة من امارة البسط واللقاء والبقاء
فى حال اللقاء اتم من اللقاء والرؤية عند اهل التحقيق يقتضى بقاء الرائى
وعندهم استهلاك العبد فى وجود الحق اتم به والله اعلم واحكم ووجوه يومئذ
باسرة شديدة العبسة تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة
داهية تكسر فقارها وهى بقاؤها فى نارها وافاد الاستاد انه سبحانه يخلق
الظن فى وجوههم او يخلق الظن فى قلوبهم ويظهر اثره على وجوههم كلا
ردع عن ايثار الدنيا فى اختيار الاخرى اذا بلغت التراقى وصلت
النفس اعالى صدورها واضمارها من غير ذكرها لدلالة الكلام عليها وقيل من

راق وقال حاضر وصاحبها من يرقيه مما به مأخوذ من الرقية قال الاستاد
اى يقول من حوله هل احد يرقيه او طبيب يداويه او دواء يسقيه او قال ملك
الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العقوبة مشتق من الرقى
وظن انه الفراق اى وايقن المحتضر ان الذى نزل به انتقال من الدنيا
وارتحال الى العقبى قال ابن عطا اجتمع عليه شدة مفارقة الوطن من
الدنيا واهله وولده وصحبه وشدة القدوم على ربه لا يدرى بماذا يقدم عليه من
امره ولذا قال عثمان بن عفان رضى الله عنه ما رأيت منظرا الا والقبر افظع منه
لانه آخر منازل الدنيا واول منازل الآخرة والتفت الساق بالساق التوت
ساقه بساقه فلا يقدر تحويلها ولا تحريكها او اتصلت شدة مفارقة الدنيا
بشدة مخافة العقبى الى ربك يومئذ المساق الى حكمه لا الى غيره سوق عبده
وافاد الاستاد ان الملائكة يسوقون روحه الى حيث امرهم الله بان يحملوها
اليه اما الى عليين او سجين ثم لهما تفاوت درجات واختلاف دركات
ويقال الناس يكفنون بدن الميت ويغسلونه ويصلون عليه والحق سبحانه
يلبس روحه ما يستحقه من الحلة ويغسله بماء الرحمة ويصلى عليه والملائكة فلا
صدق ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله ولا صلى ولا ادى اعماله والضمير
فيهما للانسان المذكور ولكن كذب بالنبوة وتولى اعرض عن الطاعة
ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بماله من جاهه وماله اولى لك فاولى
اى اولى لك العذاب واقرب لك الحجاب ثم اولى لك فاولى كرر
للاشارة الى عدم انتهاء العقاب وقيل افعل من الويل بعد القلب
ومن هنا قال الاستاد معناه الويل لك يوم تحيى والويل لك يوم تموت
والويل لك يوم تبعث والويل لك يوم تدخل النار ايحسب الانسان
ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى فان الحكمة يقتضى الامر بالمحاسن
والنهى عن المقابح والتكليف لا يتحقق الا بالمجازاة الاعمال وهى قد لا يكون
فى الدنيا فيكون فى الاخرى الم يك نطفة من منى يمنى اى تلقى النطفة او المنى
وقرأ حفص بالتذكير اى يقذف المنى من صلب الاب فى رحم الام ثم كان اى صار
المنى علقة فخلق اى مضغة فسوى اعضاءه فعدله وصوره ونفخ فيه روحه فجعل
منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى والخنثى المشكل عند ما بين عنده تعالى وقال الا
ان شاء خلق الذكر وان شاء خلق الانثى وان شاء كليهما ثم هو استدلال آخر لحال البداءة
على الاعادة ولذا قال اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى عن النبى عليه السلام انه كان اذا قرأها
قال سبحانك بلى

سورة الدهر مكية وهى احدى وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله اسم جبار توحد فى آزاله

بصفة جبروته وتفرّد في آباده بنعت ملكوته فازله ابده وابده ازله وجبروته
ملكوته وملكوته جبروته احدي الصفات صمدي الذات هل اتى استفهام
تقرير ولذا فسّر بقداتى على الانسان حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان
الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية
كالعنصر والنطفة ونعم ما قال عمر بن الخطاب في هذا الباب ليتها تمت اى لئلا
نرى الحساب والعذاب وحكاية حال الانسان والمراد به آدم عليه السلام حين كان
مطروحا اربعين من الايام او الجنس لقوله انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج
ذات اخلاط والمعنى من نطفة مختلطة بماء المراة ودمها او ذات اطوار
فان النطفة تصير علقة من مضغة الى تمام الخلقة نبتليه في موضع الحال
اى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره في ضمن اختياره فجعلناه سميعا بصيرا
ليتمكن من استماع الآيات ومشاهدة دلالة المصنوعات وقيل استفهام
بمعنى النفي ولذا قال جعفر الصادق هل اتى عليك يا انسان وقت لم يكن الله
ذاكرا لك فيه وقيل سمّي الانسان انسانا لان عوامهم يستأنس بعضهم ببعض وخواصهم
يستأنسون بعجائب القدرة وغرائب الحكمة واكابرهم يستأنسون به دون غيره
وقال الاستاد لم يكن شيئا اى ماله مقدار قيل كان آدم اربعين سنة جسده
مطروحا بين مكة والطائف ثم من صلصال اربعين سنة ثم من حماء مسنون
اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ويقال هل غفلت ساعة عن حفظك
هل القيت لحظة حبلك على غاربك هل اخليتك ساعة من رعاية جديدة وحماية
مزيدة انا هديناه السبيل بنصب الدلالات وانزال الآيات اما شاكرا
واما كفورا حال من الهاء في هديناه واما للتفصيل او التقسيم اى هديناه
في حالتيه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم
كفور بالاعراض عنه ولم يقل كافرا مؤمنا قسيمه وايماء الى ان الايمان هو شكر
النعمة كما ان الكفر هو كفران المنة وقال الاستاد اى عرّفناه طريق الخير والشر
فاما ان يكون شاكرا من اوليائنا واما ان يكون كافرا من اعدائنا فان كفر فبخذلاننا
وان شكر فبتوفيقنا انا اعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون واغلالا بها
يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخر ذكرهم لان الانذار
اهم ونفعه اعم وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن مع مناسبة الانذار
ابتداء بالكفار ولطول ما يأتي في نعت الابرار وقرأ نافع والكسائي وابو بكر
وهشام سلاسلا لمناسبة اغلالا ان الابرار جمع بر او بار فقيل البر الذى
لا يضمر الشر ولا يؤذي الذر وقيل الابرار هم الذين سمت همتهم عن الامور
المستحقرة وظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة فانفوا من مساكنة الدنيا ومطالبة

الاخرى

الاخرى استغناء بالمولى يشربون من كاس من خمر وهي في الاصل لقدح تكون
فيه كان مزاجها ما يمزج بها كافورا لطيب رائحته وعذوبته وبرودته
والظاهر انه اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في لونه وريحه وطبعه قال
الواسطي رح كان تحت قوله ان الابرار يشربون من كاس بردت الدنيا في صدورهم
وانقطعت الشهوة عن قلوبهم وقال الاستاد اختلفت مشاربهم في الآخرة
فكل يسقى ما يليق بحاله كما كان في الدنيا مشاربهم مختلفة فمنهم من يسقى مزجا
ومنهم من يسقى صرفا وفائدة الشراب اليوم ان يشغلهم شرابهم عن كل
شيء ويزيحهم عن الاحساس به ويأخذهم عن قضايا العقل وادراكه كذلك
الشراب في الآخرة فيه زوال الارب وسقوط الطلب وحصول القرب
وذهاب الحرب والغفلة عن كل سبب ولقد قالوا ۞ عاقر عقارك
واصطبح ▪ واقدح سرورك بالقدح ▪ واخلع عذارك في الهوى ▪
وارح عذولك واسترح ▪ وافرح بوقتك انما ▪ عمر الفتى وقت الفرح ▪
قلت قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ان الله لا يحب الفرحين بغيره
عينا نصب على الاختصاص يشرب بها اى منها او ملتذا او ممزوجا بها
عباد الله اى المقربون يفجّرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلا
يسيرا قال يحيى بن معاذ انها عيون يشربون منها في الدنيا فيورثهم ذلك شراب
المغفرة في العقبى وهي عيون الصبر وعيون الشكر وعيون الحياء وعيون الوفاء
وعيون المحبة والصفاء وعيون المعرفة والرضاء يوفون بالنذر بما اوجبوه
على انفسهم فكيف بما اوجبه ربهم عليهم ويخافون يوما كان شره
مستطيرا فاشيا منتشرا وفيه ايماء الى حسن عقيدتهم واجتنابهم
عن معصيتهم ويطعمون الطعام على حبه حب الله او الطعام او الاطعام
مسكينا اى فقيرا ويتيما واسيرا محبوسا في قيد الملك او السجن قال الاستاد
وجاء في التفسير ان الاسير كان كافرا لان المؤمن ما كان يستاسر في عهده
عليه السلام فطاف على بيت فاطمة رض فقال تاسروننا ولا تطعموننا انما نطعمكم
لوجه الله اى قائلين ببيان الحال او بلسان القال ازالة لتوهم المنة وتوقع
المكافاة المنقصة للمثوبة نعم عائشة رض انها كانت تبعث بالصدقة
الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى
ثواب الصدقة لها خالصا عند الله وابتغاء لوجهه لا نريد منكم لا نطلب
من قبلكم جزاء عوضا وبدلا ولا شكورا اى شكرا وثناء انا نخاف من ربنا
يوما عبوسا عذاب يوم تعبس فيه الوجوه قمطريرا شديد العبوس نكيرا فلذا
نحسن اليكم ولا نمنّ عليكم ولا نطلب المكافاة لديكم فوقاهم الله حفظهم

شر ذلک الیوم بسبب خوفهم منه وتحفظهم عنه ولقیهم نضرة وسرورا
اعطاهم بهجة فی ظواهرهم وفرحا فی سرائرهم وجزیهم بما صبروا جازاهم
وکافاهم بصبرهم علی اداء الواجبات واجتناب المحرمات وایثار الاموال
فی ضیق الاحوال جنة بستانا یاکلون منه وحریرا یلبسونه متکئین
فیها علی الارائک حال من هم فی جزاهم او صفة لجنة لایرون فیها شمسا
ولا زمهریرا ای یمر علیهم فیها هواء معتدل لا حر محمی ولا برد موذ وقیل
الزمهریر القمر والمعنی ان هواءها مضیء بذاته لا یحتاج الی شمس ولا قمر فیها ودانیة
قریبة علیهم ظلالها اما حال او صفة اخری معطوفة علی ما قبلها وذللت
قطوفها تذلیلا ای جعل ما یقتطف من اثمارها ویقتطع من ازهارها سهل
التناول لا یمتنع علی قطافها کیف شاؤا قال الاستاد یتمکنون من قطافها
علی الوجه الذی هم فیه من غیر مشقة ان کانوا قعودا تدلی علیهم وان کانوا
قیاما وهی علی الارض فارادوها ارتفعت الیهم ویطاف علیهم بانیة
من فضة واکواب جمع کوب وهو کوز لا عروة لها ولا خرطوم بها کانت
قواریرا قواریر من فضة ای تکون جامعة بین صفاء الزجاجة وضیائها
وبین بیاض الفضة وبهائها وقد نون قواریرا من نون سلاسلا الا هشام
ونون ابن کثیر الاولی لانها راس الآی قدروها تقدیرا قدروها فی انفسهم فجاءت
مقادیرها کما تمنوها وارادوها او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت علی
حسبها ویسقون فیها کاسا کان مزاجها زنجبیلا خمرا یشبه الزنجبیل فی الطعم
والریح وکانت العرب یستلذون بالشراب الممزوج به ویستطیبونه عینا فیها
تسمی سلسبیلا لسلاسة انحدارها وسلاسة مساغها من غیر لذع الزنجبیل ونحوه
فیها والباء زائدة وقیل اصله سل سبیلا لانه لا یشرب منها الا من سال
سبیلا بالعمل الصالح الیها فسمیت به کتابط شرا افاد الاستاد انه سبحانه
اثبت السقی وابهم من یسقیهم لان منهم من یسقیه الولدان المخلدون ومنهم
من یسقیهم الملائکة المقربون ومنهم من یسقیه الحق بلا واسطة الخلق ویطوف
علیهم ولدان مخلدون دائمون وقیل مقرطون ای بالقرط یلتبسون اذا رایتهم
حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء الوانهم وانبثاثهم فی مجالسهم قال الاستاد
وفی التفسیر ما من انسان من اهل الجنة الا ویخدمه الف غلام واذا رایت ثم
لیس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرک این ما وقع رایت
نعیما کثیرا وملکا کبیرا واسعا وفی الحدیث ادنی اهل الجنة منزلة ینظر
فی ملکه مسیرة الف عام یری اقصاه کما یری ادناه ثم للعارف هنالک اکبر
من ذلک وهو ان ینتقش نفسه بجلایا الملک وخفایا الملکوت فتستضیء

بانوار

بانوار قدس الجبروت واسرار انس العظموت مما لا عین رات ولا اذن سمعت
ولا خطر علی قلب بشر عالیهم ثیاب سندس خضر واستبرق یعلوهم ثیاب الحریر
الخضر مارق منها وما غلظ ونصب عالیهم علی الحال من هم فی علیهم او حسبتهم
وقیل ظرف وقراء نافع وحمزة بسکون الیاء علی انه مبتدا خبره ثیاب سندس
وقراء ابن کثیر وابو بکر خضر بالجر حملا علی سندس بالمعنی فانه اسم جنس
واستبرق بالرفع عطف علی ثیاب وقراء ابو عمرو وابن عامر بالعکس
وقراءهما نافع بالرفع وحمزة والکسائی وحلوا اساور من فضة ولا ینافیه
اساور من ذهب لامکان الجمع والمعاقبة والمباعضة فان حلی اهل الجنة یختلف
باختلاف اعمالهم وتفاوت مراتب احوالهم وسقاهم ربهم شرابا طهورا مبالغا
فی وصف الطهارة والنظافة واللطافة یرید به نوعا آخر یفوق علی النوعین
المتقدمین ظهورا وسرورا ولذا اسند سقیه الی نعت الربوبیة ووصفه بالطهوریة
فانه یطهر شاربه عن المیل الی اللذات الحسیة والتمتعات النفسیة فیتجرد
لمطالعة جماله ومشاهدة کماله ملتذا بلقائه باقیا ببقائه وهی منتهی درجات الصدیقین
ولذا ختم به ثواب الابرار المتقین قال بعضهم ان لله شرابا طاهرا صافیا
عنها فقیا اذ خرها فی کنوز ربوبیته لاولیائه واصفیائه یتفجر لهم من ینابیع
المعرفة فی انهار المنة یسقاهم فی العقبی فی میدان قربه بکاس رؤیته علی منابر
نور قدسه بمخاطبة العیان وقال الاستاد الیوم شراب الایناس وغدا شراب
الکاس الیوم شراب یبدو من اللطف وغدا شراب یدار علی الاکف والیوم
من آثار مشروبه تذلله لکل احد لاجل محبوبه فیکون لاصغر الخدم تراب القدم وقد
یکون من مقتضی ذلک الشرب فی ان یتیه فی الدورین علی اهل الدارین والعبد
یکون فی ابتداء الکشف مستوعبا ثم یصیر مستوفا ثم یصیر مستهلکا فان الی
ربک المنتهی ان هذا ما عد من الثواب کان لکم جزاء فی ام الکتاب وکان
سعیکم مشکورا غیر مضیع یوم الحساب بل لکم الاجر الجزیل علی العمل القلیل انا نحن
نزلنا علیک القرآن تنزیلا مفرقا منجما لحکمة اقتضت هنالک وقد مر بیان
ذلک فاصبر لحکم ربک بتاخیر نصرک ولا تطع منهم آثما او کفورا ای کل واحد
من مرتکب الاثم الداعی لک الیه ومن الغالی فی الکفر الحامل لک علیه واو
للدلالة علی انهما سیان فی استحقاق العصیان والتقسیم باعتبار ما یدعونه الیه
من نوعی القبیحین فان مطاوعتهما فی ما لیس باثم ولا کفر غیر محظور فی الادیان
واذکر اسم ربک بکرة واصیلا داوم علی ذکره وواظب علی شکره ومن اللیل
فاسجد له وبعض اللیل فصل له ولعل المراد به صلوة الاوابین ما بین العشائین
وسبحه لیلا طویلا وتهجد له طائفة طویلة من اللیل ان هؤلاء کفار قومک

يحبون العاجلة اى الدنيا ويذرون وراءهم ويتركون امامهم وخلفهم
يوما ثقيلا شديدا اى لا يعملون ما ينفعهم فى العقبى ولما كانوا من المنكرين
للقيمة والجاحدين للاعادة قال تعالى نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واحكمنا
ربط مفاصلهم باعصابهم وقوينا امرهم فى باب الكتابهم واذا شئنا بدلنا
امثالهم تبديلا اى اذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم فى الخلقة من النشاة
الثانية او المعنى اذا شئنا اعدمناهم وخلقنا غيرهم بدلا عنهم ان هذه
السورة او الآيات القرآنية المذكورة او الاشارة الى جملة القرآن وتانيثه
باعتبار خبره وهو قوله تذكرة موعظة وتبصرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
تقرب اليه بالطاعة وما تشاؤن ذلك الا ان يشاء الله الا وقت
ان يشاء الله مشيتكم هنالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن
بالغيبة ان الله كان عليما بما يستأهل كل احد من العباد حكيما بمقتضى
حكمته اراد ما اراد يدخل من يشاء فى رحمته بالهداية وتوفيق الطاعة والظالمين
اى على انفسهم بالكفر او المجرمين بالوزر اعد لهم عذابا اليما نصب الظالمين
بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد ولا يبعد ان يكون عطفا على الجلالة قال ابو بكر
بن طاهر المشية اوجبت للخلق الرحمة لا اعمال الطاعة فان الرحمة صفة ولا
علة لصفاته واعمال الخلق مشوبة بالعلل ولا يستوجب العبد بمعلول ما لا علة

سورة المرسلات مكية الا من الصفات وهى خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله كلمة من سمعها بسمع الوجد
وفى له فلم ينظر الى احد ومن سمعها بسمع العلم جادله فلم يجعل بروحه على احد
ومن سمعها بسمع التوحيد جرد سره عن اثبات ما سواه فى الدنيا
والعقبى عينا واثرا الا حاصل به كائنا منه والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا
والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا قسم بطوائف من الملائكة
ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح فى امتثال الاوامر
ونشرن الشرايع فى الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين
من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين
او نذرا للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد صلى الله
عليه وسلم فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى
والحكم فى الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين الخلق
او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن
اثر ذلك فى جميع الاعضاء وفرقن بين الحق بذاته والباطل فى نفسه فيرين كل شئ
هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون فى القلوب والالسنة الا ذكر الله وبيان

ما سواه وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اى ارسلن للاحسان
والمعروف او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال وعذرا مصدر
لاعذر اى قطع العذر ونذرا مصدر انذر اذا خوف ونصبهما بالعلية اى اعذارا
للمحسنين وانذارا للمسيئين وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بسكون
ذال نذر وفى الشواذ بضم ذال عذرا انما توعدون لواقع جواب القسم اى
ان الذى توعدونه من مجئ القيمة كائن لا محالة فاذا النجوم طمست محقت
واذا السماء فرجت انشقت واذا الجبال نسفت اندقت واذا الرسل
اقتت عين لها وقتها الذى يحضرون فيها للشهادة على اممها وقرأ ابو عمرو
وقتت على الاصل لاى يوم اجلت اى يقال لاى يوم اخرت ليوم الفصل
بيان للتأجيل وما ادريك ما يوم الفصل تعظيم لليوم وتعجيب من هوله للقوم
ويل اى هلاك عظيم يومئذ للمكذبين اى بذلك وبما هنالك وافاد الاستاد
ان يقال فى الاشارة فاذا نجوم المعارف طمست بوقوع الغيبة واذا جبال
القلوب الساكنة بيقين الشهود حركت عقوبة على ما هممت بالذى لا يجوز ويل
يومئذ لارباب الدعاوى المطلقة الحاصلة من ذوى القلوب المطبقة الخالية
عن المعانى الم نهلك الاولين كقوم نوح ونحوهم ثم نتبعهم الآخرين اى ثم
نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وغيرهم كذلك اى مثل ذلك الفعل نفعل
بالمجرمين لكل مخالف فى الدين ويل يومئذ للمكذبين بآيات الله وانبيائه
المرسلين وقال الاستاد اى الذين لا يستوى ظاهرهم وباطنهم فى امر الدين
وهكذا كان بعض المتقدمين من اهل الزلة والفترة فى الطريقة والخيانة
فى احكام المحبة فعذبوا بالحرمان فى عاجلهم ولم يذوقوا من المعانى بعد
ذلك شيئا فى آجلهم الم نخلقكم من ماء مهين نطفة قذرة مذرة ذات
نتانة ومهانة فجعلناه فى قرار مكين هو رحم الام الى قدر معلوم مقدار معلوم
من المدة قدرها الله للولادة فقدرنا على رد ذلك او فقدرناه اطوارا
هنالك ويدل عليه قراءة نافع والكسائى بالتشديد فنعم القادرون نحن
للاولين والآخرين ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة
هنالك قال الاستاد ذكرهم اصل خلقتهم لئلا يعجبوا بحسن حالتهم ولقد انشد
بعضهم • كيف يزهو من رجيعه • ابد الدهر ضجيعه • فهو منه واليه •
واخوه ورضيعه • وهو يدعوه الى الحش • بصغر فيطيعه • ويقال
ذكرهم ان اصلهم كان اخس قطرة ثم نقله وصوره احسن صورة وانه قادر
على ان يرقيك من الاحوال الخسيسة الى المنازل الشريفة النفيسة الم نجعل
الارض كفاتا كافتة اى ضامة وجامعة احياء وامواتا مفعولان لكفاتا والمعنى

انهم يعيشون على ظهرها ويدفنون بعد الموت في بطنها وجعلنا فيها رواسي
جبالا ثوابت شامخات مرتفعات لتكون علامات واسقيناكم ماء فراتا
عذبا بكسر العطش بخلق منابعه واجراء انهاره ويل يومئذ للمكذبين بهذه النعم
الدنيوية انطلقوا يقال لهم اذهبوا الى ما كنتم به تكذبون من عذاب يوم الدين
انطلقوا اى خصوصا الى ظل اى دخان جهنم ذى ثلاث شعب متشعب
لعظمه كما يرى الدخان العظيم متفرق ذوائبه وخصوصية الثلاث لان حجاب
النفس عن انوار القدس واسرار الانس الحس والخيال والوهم وقيل شعبة تقف
فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل رد لما اوهم لفظ الظل
ولا يغني من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر
اى كل شررة كالقصر في عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار كانه جمالات جمع جمال
او جمالة جمع جمل صفر فان الشرر لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود
فان سواد الابل يضرب الى الصفرة غالبا والاول تشبيه في العظمة وهذا في اللون
والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جمالة
ويل يومئذ للمكذبين بما في ذلك اليوم من شدائد الاحوال ومنكرات الاهوال
وقال الاستاد كذلك اذا لم يعرف السالك قدر انفتاح طريقه الى الله بقلبه
وتعززه بتوكله فاذا رجع الى الخلق عند استيلاء الغفلة عن الحق نزع الله الرحمة
عن قلبه وانسدت عليه طريق رشده فيتردد من هذا الى هذا ومن هذا الى هذا يقال لهم
انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون والاستقلال بالله هو الجنة المأوى والرجوع الى
الخلق قرع باب الردى وفي معناه قالوا ■ ولم ار قبلي من افارق جنة •
ويقرع بالتطفيل باب جهنم • ثم يقال لهم اذا اخذوا في الاعتذار هذا
يوم لا ينطقون بما فيه نوع من المنفعة او بشيء من فرط الدهشة والحيرة وهذا
في بعض مواقف القيمة قال ابو عثمان اسكتهم رؤية الهيبة وخشية المعصية
ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفي الاذن
والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعل جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن
واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه قال جنيد اى لهم آوان الحذر
فيعتذرون واى عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر به وجحد نعمه ويل يومئذ
للمكذبين بربهم ونبيهم والمصدقين بابل غيهم هذا يوم الفصل اى
الفاصل بين المحق والمبطل جمعناكم والاولين قال الاستاد فعلنا بكم
ما فعلنا بهم في الدنيا من الخذلان كذلك اليوم سنفعل بكم ما نفعل بهم من
ادخال النيران فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا
واظهار لعجزهم في العقبى ويل يومئذ للمكذبين حيث لا مخلص لهم من العذاب

والردى ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون
في انواع النعمة واصناف المنة وافاد الاستاد ان اليوم في ظلال العناية وللحماية
وغدا في ظلال الرحمة والرعاية اليوم في ظلال التوحيد وغدا في ظلال حسن المزيد
اليوم في ظلال المعارف وغدا في ظلال اللطائف اليوم في ظلال التوفيق
وغدا في ظلال التشريف كلوا واشربوا هنيئا متهنئين بما كنتم تعملون
انا كذلك نجزي المحسنين في الاقوال والاعمال والاحوال ويل يومئذ
للمكذبين حيث يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد
قال جنيد الويل يومئذ لمن كان يدعي في الدنيا من الدعاوي الباطلة كلوا
وتمتعوا قليلا انكم مجرمون حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم في حال
ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم
من ايثار المتاع القليل على النعيم الجزيل ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا
انفسهم للعذاب الكثير بالتمتع اليسير قال سهل من كانت همته بطنه
وفرجه فقد اظهر خسارته قال الله تعالى كلوا وتمتعوا وقال بعضهم التمتع
بالدنيا من افعال المنافقين وحبها وجمعها والاطمينان اليها من افعال
الكافرين والسعي لها من افعال الظالمين والكون فيها على حد الاذن
بها والاخذ منها على قدر الحاجة اليها من افعال عوام المؤمنين والاعراض
عنها والبغض لها من افعال الزاهدين واهل الحقيقة اجل خطرا واعظم
قدرا من ان يؤثر عنهم حب الدنيا وبغضها واذا قيل لهم اركعوا
اطيعوا واخضعوا او صلوا او اركعوا في الصلوة لا يركعون لا يمتثلون
ويل يومئذ للمكذبين باوامر الدين فباي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون
اذا لم يؤمنوا به والحال انه المعجزة في ذاته المنيفة ومشتمل على المباني اللطيفة
والمعاني الشريفة

سورة النبأ مكية وهي اربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله اسم ملك تجمل عباده
بطاعته ويتزين خدمه بعبادته وهو لا يتجمل بطاعة المطيعين ولا يتزين
بعبادة العابدين عم يتساءلون اى عما يتساءل الناس فيما بينهم وهو
استفهام للتفخيم كما بينه بقوله عن النبأ العظيم وهو امر البعث
الذي هم فيه مختلفون بالاقرار والانكار كلا ردع على الاختلاف وزجر
منه او عن السؤال الناشئ عنه اذ الاخبار وقع صدقا او معناه حقا
سيعلمون علم اليقين عند الموت ثم كلا اى حقا سيعلمون بعين
اليقين عند البعث الم نجعل الارض مهادا فراشا والجبال اوتادا
تقدير وتذكير ببعض ما عاينوا من عجايب صنعته الدال على كمال قدرته

وجال حكمته ليستدلوا بذلك على صحة البعث وماهنالك وخلقناكم ازواجا
اجناسا ذكورا واناثا اواصنافا اوانواعا مختلفة الالوان والصور
والالسنة وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الحس والحركة استراحة للقوى
الحيوانية وازاحة لكلالها العادية وجعلنا الليل لباسا غطاء يستر
بظلمته من اراد اختفاء ويحصل به السكون وجعلنا النهار معاشا وقت
معاش تتقلبون فيه بما تعيشون وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات
اقويا محكمات لا يؤثر فيها مرور دهور واوقات وجعلنا اى الشمس
سراجا وهاجا متلالئا وقادا وانزلنا من المعصرات الرياح التى تعصر
السحائب ويؤيده انه قرئ فى الشواذ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا
لنخرج به حبا من الحنطة والشعير ونحوهما للانام ونباتا خضرا ما يأكل
الناس والانعام وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض املاكا واوقافا
ان يوم الفصل بين المحق والمبطل كان فى علم الله او فى حكمه ميقاتا حدا
يتوقت به الدنيا ويتعين عنده العقبى يوم ينفخ فى الصور اى النفخة
الاخيرة وهو بدل من يوم الفصل فتأتون افواجا جماعات من القبور
اى موقف النشور وفتحت السماء شققت لنزول الملائكة وقراء
الكوفيون بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت ذات ابواب وسيرت
الجبال فى الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب اذ ترى فى الخيال
على صورة الجبال ولم يبق على حقيقتها لانبثاث اجزائها وتفتتها
ان جهنم كانت مرصادا ممرا الى الجنة كما ذكره الحسن وقتادة ويقال
ذات ارتقاب لاهلها للطاغين مآبا مرجعا ومثوى لابثين فيها
احقابا دهورا متتابعة غير متناهية على ما صرح به السلف الكرام ونطق
القرآن فى غير هذا المقام وقراء حمزة لبثين لا يذوقون فيها بردا ولا
شرابا ما يروحهم ويسكن عطشهم الا حميما اى لكن يذوقون فيها ماء
فى غاية الحرارة وغساقا ما يغسق اى يسيل من صديدهم وقيل
الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤس الآى وقيل المراد
بالبرد النوم وقراء حمزة والكسائى وحفص بتشديد السين جزاء وفاقا
اى جزوا بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لاحوالهم
وقال الاستاد اى على وفق ما سبق به التقدير وجرى به قلم التدبير انهم كانوا
لا يرجون حسابا اى لا يخافونه ولا يأملونه لعدم ايمانهم او لضعف ايقانهم
وقال الاستاد اى لا يؤمنون فيرجون الثواب ويخافون العذاب وكذبوا
بآياتنا كذابا اى تكذيبا وكل شىء احصيناه كتابا اى ضبطناه حال

كونه

كونه مكتوبا فى اللوح او فى صحف الحفظة والجملة معترضة فذوقوا فلن
نزيدكم الا عذابا مسببا عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بآيات الكتاب
عن ابن عمر وغيره لم ينزل على اهل النار اشد من هذه الآية وافاد الاستاد ان
المسيح الزاهد يحصى تسبيحه والمهجور البائس يحصى ايام هجرانه والذى هو صاحب
وصال ليس يتفرغ من وصل مراده الى تذكر ايامه والملائكة يحصون زلة العاصين
ويكتبونها فى صحيفتهم والحق سبحانه يقول وكل شىء احصيناه كتابا وكما
احصى زلة المسيئين وطاعة المحسنين فكذلك احصى ايام هجران المهجورين
وايام محن الممتحنين وان اقواما ايام فترتهم جاوز الحد واوقات
هجرانهم ازلى الحصر والعداى ايها المنعمون فى الجنة فافرحوا وتمتعوا
فلن نزيدكم الا عذابا وايها المساكين الساكنين الى غيرنا ابكوا واجزعوا
فلن نزيدكم الا عقابا وايها الفقراء المكتفون بنا تعيشوا ببقائنا
فذوقوا فلن نزيدكم الا تعززا وتقربا ان للمتقين مفازا فوزا وظفرا
بالبغية او موضع فوز وهو الجنة حدائق واعنابا بساتين فيها انواع
الشجرة المثمرة سيما الاعناب المكثرة وكواعب نساء استدارت
ثديهن اترابا لدات فى السن مستويات وكاسا دهاقا ملآن طباقا
لا يسمعون فيها لغوا كلاما خاليا عن الفائدة ولا كذابا اى تكذيبا
والمعنى لا يكذب بعضهم بعضا وقراء الكسائى بالتخفيف اى كذبا او
مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا وقال الاستاد اذانهم مصونة عن
سماع الاغيار وابصارهم محفوظة عن ملاحظة الرسوم والآثار
قلت والسنتهم معصومة عن الاوزار بل جارية على وفق حالهم من الاسرار
جزاء من ربك من عنده بمقتضى وعده عطاء تفضلا حسابا كافيا
لاحوالهم او على حسب اعمالهم قال الواسطى فى الدرجات تفاوت
فى الكرامات فخاطب بعضهم فقال ان للمتقين مفازا ردهم الى
محل الفوز ولا يكون الا من كرامة وخاطب قوما فقال جزاء من ربك
عطاء حسابا اى حسبهم من العطاء حصول المعطى ومن الكرامة مشاهدة
الكريم رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك على قراءة الشامى
والكوفيين ورفعه الحرميان وابو عمرو على الابتداء وقوله الرحمن صفة له
ورفعه وحده حمزة والكسائى على انه خبر محذوف او مبتداء خبره لا يملكون منه
من الله خطابا والمعنى لا يملك الخلق خطابه لهم بالاعتراض عليه فى ثواب
او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا من كل
باب وذلك لا ينافى الشفاعة باذنه لمن اتى بقول صواب كما يدل عليه قوله

يوم يقوم الروح والملائكة صفا اى صافين لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن
وقال صوابا والروح ملك موكل على الارواح او جبرئيل قال الواسطى علامة
المأذون فى الكلام صواب قوله وصدق فعله وافاد الاستاد انه كيف يكون
للمكون المخلوق المسكين مكنة ان يملك منه خطابا او يتنفس بدونه نفسا
سؤالا او جوابا وانما يظهر الهيبة على العموم لاهل الجمع فى ذلك اليوم واما
للخواص من القوم فهم ابدا بمشهد العزة وتحت الهيبة لا نفس لهم ولا فرجة
احاط بهم سرادقها واستولت عليهم حقايقها ذلك اليوم الحق الكائن على
وفق الصدق قال الاستاد وهم بمشهد الحق والحكم عليهم الحق وحكمه عليهم بالحق
محجوب عن الحق ومجذوب بالحق للحق فمن شاء اتخذ الى ربه الى ثوابه او قربه
مآبا مرجعا بالايمان وانواع الاحسان انا انذرناكم عذابا قريبا يعنى عذاب
الآخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب مع ان مبداه الموت وقد قيل
كل امرئ مصبح باهله والموت ادنى من شراك نعله قال الاستاد عند اهل الغفلة
بعيد وهو فى التحقيق قريب يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمه من خير
او شر وما موصولة مفعول ينظر ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا فى الدنيا
فلم اخلق ولم اكلف بامور العقبى وفى الحديث يود ذلك حين يحكم الله بين
الحيوانات حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء واذا فرغ من الحكم قال لها
كونى ترابا فعند ذلك يتمنى الكافر ان يصير ترابا وقيل المراد من الكافر ابليس
يرى آدم واولاده وثوابهم ويشاهد حال نفسه ومآله واشياعه واتباعه وعقابهم
فيتمنى ان يكون الشئ الذى احتقره حين قال خلقتنى من نار وخلقته من
طين وقال الاستاد مضوا فى ذل الاختيار والتمنى وبعثوا فى حسرة التمنى
ولو انهم رضوا بالتقدير لتخلصوا عن التمنى وتحرروا عن التعنى

سورة النازعات مكية وهى خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاد بسم الله اسم عزيز لرب عزيز سماعه يحتاج الى سمع عزيز وذكره
يحتاج الى وقت عزيز وفهمه يحتاج الى قلب عزيز والنازعات غرقا والناشطات
نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات
ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار اغراقا فى النزع بانهم ينزعونها
من اقاصى ابدانها ويخرجون ارواح الابرار برفق ونشاط لها ويسبحون
فى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج الشئ من اعماق البحر فيسبقون بارواح
الكفار الى دار البوار وبارواح الكفار الى دار البوار وبارواح الابرار الى
دار القرار فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من آلامها
واكرامها او صفات النفوس الفاضلة حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات

وتنشط

وتنشط الى عالم القدسيات فتسبح فى مراتب الترقيات فتسبق الى الكمالات
حتى تصير من المكملات وجواب القسم محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير لتبعثن
الساعة وابعد الاستاد حيث افاد ان جواب القسم قوله ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى
يوم ترجف الراجفة اى تضطرب الاجرام الساكنة التى تشتد حركتها كقوله
ترجف الارض والجبال وهى النفخة الاولى تتبعها الرادفة اى النفخة الثانية
قلوب يومئذ واجفة مضطربة خائفة ابصارها خاشعة ابصار اصحابها
ذليلة خاضعة يقولون اى فى الدنيا ائنا لمردودون فى الحافرة فى الحالة الاولى
يعنون الحيوة بعد الممات ائذا كنا وقرأ نافع وابن عامر والكسائى اذا كنا
عظاما نخرة بالية وقرأ الحرميان وابو عمرو والشامى وحفص نخرة قالوا
تلك اذا كرة خاسرة رجعة ذات خسارة والمعنى انها ان صحت فنحن اذن
خاسرون فيها لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فى تجويزها فانما هى زجرة
واحدة اى لا تستصعبوها فما هى الا صيحة واحدة وهى النفخة الثانية فاذا هم
احياء بالساهرة على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا فى بطنها وقيل
هى الارض البيضاء المستوية وقيل هى الارض البيضاء المستوية وقيل ارض
يجددها الله يوم القيمة وقال الاستاد انها ارض بيضاء من فضة لم يعص الله
عليها هل اتيك حديث موسى اليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب
قومك اذ ناديه ربه بالواد المقدس اى المطهر المبارك طوى اسم الوادى
وقال سهل جمع نفسه طائعا تعبدا ثم نادى ليكون النداء ابلغ وقال ابو عثمان
طوى اياما قبل القصد ثم قصد طاويا مقدسا وطوى الوادى المقدس فناديه
ربه بالتقديس اذهب الى فرعون انه طغى اى ترك سبيل الهدى واختار
طريق الردى او تكبر على الخلق وتجبر بدعوى انه الحق فقل هل لك ميل الى ان
تزكى تتطهر من الكفر والطغيان وتتحلى بالايمان والاحسان وقرأ
الحرميان بالتشديد قال الاستاد وفى التفسير لو قلت لا اله الا الله فلك
ملكك ولا يزول شبابك وتعيش اربعمائة اخرى فى السرور والنعمة ثم لك
الجنة فى الآخرة واهديك الى ربك الى معرفته فتخشى باداء الواجبات
وانتهاء المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وقال محمد بن على الترمذى
الخشية ميزان صحة الهداية وافاد الاستاد انه سبحانه اظهر كل هذا التلطف
وفى خفى سره وواجب مكره به انه صرف قلبه عن ارادة هذه الاشياء وايثار
مراده على مراد ربه والقى فى قلبه الامتناع وترك قبول النصح اى قلب يسمع
هذا الخطاب فلا ينقطع لعذوبة هذا اللفظ ولطافة هذا الامر واى كبد يلا يعرف
هذا فلا ينشق لصعوبة هذا المكر فاراه الآية الكبرى وهى قلب العصا حية

شى وقال الاستاد جآء فى التفسير هى اخراج يده بيضآء لها شعاع كشعاع
الشمس فقال فرعون حتى استشاور هامان فقال له هامان بعد ما كنت ربا تكون مربوبا
وبعد ما كنت ملكا تكون مملوكا فكذب موسى وعصى ربه وطغى ثم ادبر
من الطاعة يسعى ساعيا فى ابطال امر موسى فحشر جمع جنوده فنادى
باعلى صوته فى مجمعه فقال انا ربكم الاعلى اى اعلى كل من يلى امركم فاخذه الله
نكال الآخرة والاولى اخذا منكلا لمن رآه او سمعه فى العقبى بالاحراق وفى
الدنيا بالاغراق او عاقبه نكال كلمته الآخرة وهى هذه وكلمته الاولى وهى قوله
ما علمت لكم من اله غيرى وافاد الاستاد ان ابليس لما سمع هذا الخطاب فر من الباب
وقال انا لا اطيق هذا العقاب ويقال قال ابليس انا ادعيت الخيرية على آدم
فلقيت ما لقيت من البلآء فكيف هذا يقول انا ربكم الاعلى ويقال انه يجعل
فى الآخرة مغلولا على تل ينادى عليه ويقال هذا الذى قال انا ربكم الاعلى ان فى
ذلك لعبرة لمن يخشى لمن كان من شانه الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب
خلقا فى زعمكم ام السمآء ثم بين كيف خلقها فقال بناها ثم بين بناءها فقال
رفع سمكها اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض رفيعا فسويها جعلها مستوية
متناسبة واغطش ليلها اظلم وانما اضاف اليها لانه يحدث بحركة شمسها
واخرج ضحاها ابرز ضوء شمسها كقوله والشمس وضحيها يريد نهارها والارض
بعد ذلك دحاها بسطها ومهدها لسكناها اخرج منها ماءها بتفجير عيونها
ومرعاها اى رعيها وهو فى الاصل لموضع الرعى والمراد نباتها بذكر المحل
وارادة الحال مجازا والجبال ارسيها اثبتها متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم
ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة الداهية التى تطم اى تعلو على سائر الدواهى
الكبرى التى هى اكبر الطامات وهى القيامة او الساعة التى يساق فيها اهل
الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى بان يراه
مدونا فى الصحيفة وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وبرزت
الجحيم لمن يرى اظهرت لكل راء بلا خفاء فاما من طغى حتى كفر وتعدى
وادعى الصفة العليا وآثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ورضى بها ولم
يستعد بعبادة المولى وتهذيب النفس للعقبى فان الجحيم هى المأوى مأواه
ومستقره ومثواه قال ابو عثمان الطغيان الاعراض عن العقبى والاقبال
على الدنيا واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدى رب العباد لعلمه بالمبدأ
والمعاد وافاد الاستاد ان المراد اقبال الله عليه وانه راء له وهذا عين المراقبة
والآخر محل المحاسبة ونهى النفس عن الهوى لم يتبع هواها فان الجنة هى
المأوى ليس له مأوى سواها يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها متى ارساؤها

اى قامتها

اى اقامتها واثباتها او مستقرها ومنتهاها فيم انت من ذكريها اى فى اى شئ
انت من ان تذكر لهم وقتها اذ وقتها مما استاثر الله تعالى بعلمه الى ربك منتهيها
اى منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها اى يخاف اهوالها وهؤلاء
لا يؤمنون باحوالها كانهم يوم يرونها لم يلبثوا فى الدنيا الا عشية او ضحاها
اى عشية يوم او ضحاه كقوله الا ساعة من نهار ولذا اضاف الضحى الى العشية لانهما
من يوم واحد فى تشبيه القصنية

سورة عبس مكية وهى احدى واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله اسم كريم بسط للمؤمنين بساط
جوده اسم عزيز انسد على الاولين والآخرين طريق وجوده اى بالوجود
ولا حد له وان بالوصول ولا نحوله من الذى يدركه بالزمان والزمان خلقه او
يحبسه فى المكان والمكان فعله ومن الذى يعرفه الا وبه يعرفه او من الذى يذكره
الا وبه يذكره عبس وتولى اى لاجل ان جاءه الاعمى روى ان ابن ام
مكتوم رضى الله عنه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش
يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يتبعهم سائر الانام فقال يا رسول الله
اقرئنى وعلمنى مما علمك الله وكرر له ذلك ولم يعلم تشاغله بما هنالك فكره
عليه السلام قطعه للكلام وعبس جبينه واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله
عليه السلام يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى واستخلفه على
المدينة مرتين وروى انه ما عبس بعدها فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى ابدا
وذكر الاعمى للاشعار بعذره فى الاقدام على قطع كلام سيد الانام والدلالة
على انه احق بالرفق والرأفة وافاد الاستاد ان فى الكلام لطفا فى المرام حيث
لم يواجهه بالخطاب ولم يقل عبست وتوليت بل قال بضمير الغائب ثم بعده
قال على طريق الالتفات وما يدريك لعله يزكى اى واى شئ يجعلك داريا
بمقامه لعله يتطهر من اثامه بما يتلقن منك ودفع مرامه وفيه ايماء بان اعراضه
كان لتزكية غيره لا للجاه ولا لفقره او يذكر اى يتعظ فتنفعه الذكرى
موعظتك وقراء عاصم بالنصب جوابا للعل كالتمنى اما من استغنى
اى بماله او استغنى عن الله بزعمه فى حاله فانت له تصدى اصله تتصدى
اى تتعرض له بالاقبال عليه والالتفات اليه وقراء الحرميان بالادغام
وما عليك الا يزكى اى ليس عليك باس فى ان لا يتزكى بالاسلام حتى
يحملك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم فى مقام ان عليك الا البلاغ
قال ابو عثمان امر الله تعالى نبيه عليه السلام بمجالسة الفقرآء ونهاه عن صحبة
الاغنياء بقوله اما من استغنى فانت له تصدى وقال الواسطى فى قوله
تعالى وما عليك الا يزكى فيه استهانة بمن اعرض عنه وتولى وقال جعفر الصادق

لم نكرم بالاقبال عليه من لم يكرمه الله بالهداية اليه ولم يزينه بالمعرفة بجالديه
واما من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وزيادة الهدى وهو يخشى الله تعالى
او اذية اعدائه سبحانه فى اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد له
فانت عنه تلهى تتشاغل وفى ذكر التصدى والتلهى اشعار بان العتاب
على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغى ذلك له كلا ردع عن معاودة
نحوه انها تذكرة موعظة بليغة فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ والضمير ان
للعتاب المذكور او للقرآن وتأنيث الاول لتأنيث خبره قال ابن عطا موعظة
مباركة لمن شاء الله التوفيق له قبله وافاد الاستاد ان من شاء الله ان يذكره
ذكره ومن شاء الله ان لا يذكره لا يذكره اى بذلك جرى قضاياه ان يكون ما شاء
ويقال بل هو على جهة التهديد ومعناه لمن اراد ان يذكره فليذكره ومن اراد
ان لا يذكره فلا يذكره كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فى صحف
اى هو مثبت فى صحائف مكرمة عند الله تعالى مرفوعة فى السماء او مرفوعة
القدر والبهاء مطهرة منزهة عن ايدى الشياطين واهل الاغواء
بايدى سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح او الوحى
كرام اعزاء بررة اتقياء قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات
وتعجب من افراطه فى الكفران بانواع النعمات والمعنى لعن ما اعظم كفره وما
اقل شكره قال ابن عطا منع الانسان عن طريق الخيرات لجهله بطلب رشده
الممهات من اى شئ خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من مبداء ما احدثه
من نطفة خلقه فقدره اطوارا الى ان تم خلقه ثم السبيل يسره ثم سهل
مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينكس لنزوله او المعنى
ذلل له سبيل الخير والشر وفيه اشعار بان الدنيا طريق العقبى وممرها ومعبرها
ولذا عقبه بقوله ثم اماته فاقبره اى جعله ذا قبر لئلا تفترسه السباع والطيور
ولا يفتضح بتغير الامور ثم اذا شاء انشره اى احياه وبعثه من قبره وحشره
ونشره كلا ردع للانسان عما هو عليه من شدة كفره وقلة شكره لما يقض
ما امره اى لم يود ما امره الله باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما فى امره
وقال الاستاد لم يقض الله له ما امره به ولذا عصاه فلينظر الانسان الى
طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية انا صببنا الماء صبا استيناف
مبين لكيفية احداث الطعام لسائر الانام وقراء الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل
الاشتمال ثم شققنا الارض شقا اى بالنبات فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير
وعنبا وقضبا يعنى الرطبة لانها تقضب مرة بعد اخرى اى تقطع وزيتونا ونخلا
وحدائق غلبا جمع غلباء اى عظاما وصف به الحدائق لتكاثف اشجارها وكثرة اثمارها

وفاكهة

وفاكهة وابا مرعى متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكور بعضها طعام انام
وبعضها علف انعام وفى تفسير السلمى صب الله معانيه على قلوب اهل معاملته فانشق
منها معرفة ووجدا وعلما وحكمة وانبت فيها محبة وهيبة وحكمة وفهما وافاد الاستاد
ان فى لسان الاشارة صببنا ماء الرحمة على القلوب القاسية فلانت للتوبة
وصببنا ماء المعرفة على القلوب الصافية فنبت فيها ازهار التوحيد وانوار
التجريد فاذا جاءت الصاخة اى القيمة بالنفخة الثانية وصفت بها مجازا
لان الناس يصخون لها اى يصغون اليها وقيل الصاخة صيحة تصم لشدتها
يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشانه وعلمه
بانهم لا ينفعونه فى زمانه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه يكفيه فى
الاهتمام بما فيه وقرئ يعنيه اى يهمه ويدينه قال عبد الله بن طاهر الابهرى
يفر منهم اذ ظهر له عجزهم وقلة حيلتهم الى من يملك كشف كربهم ولو ظهر له
فى الدنيا هذا المعنى لما اعتمد سوى ربه المولى وقال الاستاد اى لا يتفرغ هذا الى
ذلك ولا ذلك الى هذا كذلك قالوا الاستقامة ان تشهد الوقت كالقيامة
فما من ولى وعارف الا وهو اليوم بقلبه يفر من اخيه وامه وابيه وبنيه
وفصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعا لان لكل امرئ منهم يومئذ
شان يغنيه فالعارف مع الخلق بقالبه ولكنه يفارقهم بقلبه قالوا ولقد
جعلتك فى الفؤاد محدثى وابحت جسمى من اراد جلوسى وجوه يومئذ مسفرة
مضيئة ضاحكة متبسطة مستبشرة فرحة لما ترى من انواع النعمة واصناف
المنة وقال ابن عطاء كشف عنها ستور الغفلة فضحكت بالدنو من الحق وقربه
واستبشرت بمشاهدته ورؤيته وافاد الاستاد ان سبب استبشارهم
مختلف فمنهم من استبشاره لوصوله الى جنة ومنهم لوصوله الى حور العين
وشهوته ومنهم لنظره الى ربه ورؤيته من غير حجب عزته ووجوه يومئذ
عليها غبرة غبار وكدرة ترهقها قترة يغشاها سواد وظلمة اولئك هم
الكفرة الفجرة اى الذين جمعوا بين الكفر والفجور ولذا جمع الى سواد وجوههم
الغبرة قال السرى ظاهر عليها حزن العبد عن الحضرة لانها صارت محجوبة
وعن الباب مطرودة

سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله كلمة الجلت من قوم قلوبا
واهججت من آخرين قلوبا من المطيعين الجلتها ومن العاصين ابهجتها
ازعجت من قوم قلوبا وابهجت من قوم قلوبا من المريدين ابهجتها ومن العارفين
ازعجتها اذا الشمس كورت لف ضوءها فزال نورها وذهب ظهورها
واذا النجوم انكدرت سقطت على الارض وانتثرت واذا الجبال سيرت

ازيلت عن مقرها واثبتت واذا العشار النوق اللاتي اتى على حملهن عشرة
اشهر جمع عشراء وهي اعز اموال العرب من الاغنياء عطلت تركت واهملت
واذا الوحوش جميعها حتى الذباب كما قال قتادة حشرت جمعت وبعثت للقصاص
ثم اميتت واذا البحار سجرت اوقدت وقرا ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف
واذا النفوس زوجت اي قرنت الارواح بالاشباح او كل من الاشخاص
بشكله من اهل خيره وشره او نفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين
بالشياطين واذا الموؤدة المدفونة حية على عادة الجاهلية من وادبناتهن
مخافة حاجاتهن ومراعاتهن سئلت تبكيتها لوائدها وتوبيخا لدافنها
باي ذنب قتلت حكاية بالمعنى والا قتلت رعاية للمبنى واذا الصحف
اي صحف الاعمال نشرت بسطت بعد ما طويت او بين اصحابها فرقت
وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد واذا السماء كشطت
نزعت وقلعت واذا الجحيم سعرت اوقدت وقرا نافع وابن ذكوان
وحفص بالتشديد واذا الجنة ازلفت اي قربت للمؤمنين لقوله تعالى وازلفت
الجنة للمتقين وقال القاسم زوقت بنور اللقاء ولحسن الجزاء ومواصلة
العطاء ورضاء المولى على وجه البقاء علمت نفس اي كل نفس ما احضرت
من خيرها وشرها والجملة جواب اذا والمعنى ان هذه الاشياء تحصل عند قيام
القيامة فلا اقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر وهي ما سوى
النيرين من السيارات السبعة ولذا وصفها بقوله الجوار الكنس اي السائرات
التي تختفي تحت ضوء الشمس والليل اذا عسعس اقبل او ادبر والصبح اذا
تنفس اي اضاء واسفر عبر به عن اقبال روح ونسيم ظهرا اقسم بهذه
الاشياء وجوابه قوله انه اي القرآن لقول رسول كريم يعني به جبرئيل عليه السلام
لانه قاله عن كلام الملك العلام ذي قوة كقوله شديد القوى وبلغ من قوته
انه قلع قرى قوم لوط وقلبها عند ذي العرش مكين عند الله صاحب مكانة
مطاع بين الملائكة ثم امين على وحي الرسالة وثم يحتمل اتصاله بما قبله وما بعده
وما صاحبكم بمجنون كما تتهمه الكفرة لان المجانين اصحابهم الجن لا الملائكة ولقد
رآه اي راى رسول الله جبرئيل الامين بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى
في ليلة الاسراء ولقد رآه مرة اخرى عند سدرة المنتهى وما هو اي محمد على الغيب
على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من ظهور الغيوب لديه بظنين بمتهم من الظنة
وهي التهمة وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بضنين من الضن وهو
البخل اي لا يبخل بالتبليغ والتعليم وما هو بقول شيطان رجيم يسترق السمع
ويلقي الى الكهنة ويضم اليه مائة كذبة فاين تذهبون استضلال لهم فيما

يسلكونه

يسلكونه في امر الرسول والقرآن كقولك لتارك الجادة اين تذهب وقد
ظهر المذهب وفي الكلام اشارة الى انه قد تبين آثار الحق وظهر انوار الوجود
المطلق فاين الذهاب واين الاياب كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر
ففروا الى الله عما سواه وقال الواسطي الخلق كلهم مقبوضون تحت رق الملك
محجوبون بعزة الملك عن قوله فاين تذهبون وهو الذي يطمس الرسوم ويعمي
الفهوم ويترك الاجسام صفا صفا قاعا صفصفا ابرا من ان يكون له سبيل
الى تحقيق العبارة او طريق الى تدقيق الاشارة فاين تذهبون من ضعف
الى ضعف ارجعوا الى فسحة الربوبية ليستقر بكم قرار العبودية وقال جنيد
معنى الآية مقرون الى آية اخرى وهي قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه
فاين تذهبون لمن طلب مالنا لا يجده عند غيرنا ومن طلبنا اسقطنا عنه
تعب الطلب وكفاه اي عين المقصود والمطلب وقال الاستاذ كيف
تطوحتم في اودية الظنون كيف تذهبون عن شهود مواضع الحقيقة ومنازل
الطريقة وهلا رجعتم الى مولاكم فنجاكم واساكم ان هو ما هذا القرآن
الا ذكر للعالمين تذكير لذوي العقول منهم او شرف لهم لظهور هذا النور
فيهم لمن شاء منكم ان يستقيم اي تحري الحق وملازمة الدين القويم وابداله
من العالمين لكونهم المنتفعين بالتذكير المبين قال سهل لمن شاء منكم
ان يستقيم على الطريق بالايمان والتصديق ولا يصح لكم تلك المشية والاستقامة
الا بان يشاء الله لكم ذلك على وجه الكرامة وما تشاؤن اي الاستقامة يا من شاؤها
الا ان يشاء الله الا تشاؤا اي الا وقت ان يشاء مشيتكم فله الفضل
والمنة عليكم في استقامتكم رب العالمين مالك الخلق اجمعين قال
الواسطي اظهر عجزك في جميع صفاتك فلا تشاء الا بمشيته ولا تعمل الا
بقوته ولا تطيع الا بفضله واحسانه ولا تعصي الا بعدله وخذلانه فماذا
يبقى لك من عملك وبماذا تفتخر من افعالك وليس شيء اليك

سورة الانفطار مكية من فعلك وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله كلمة ليس يسمو الى فهمها
كل خاطر فخاطر غير عاطر عن علم الحقيقة متقاصر اذا السماء انفطرت
اي انشقت واذا الكواكب انتثرت تساقطت وتناثرت
واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا ثم سجرت
واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها وبعثت علمت نفس
اي كل نفس ما قدمت من حسنة واخرت من سيئة قال ابو عثمان
ما قدمت من خير واخرت من شر يا ايها الانسان ما غرك بربك

الكريم اى اىّ شئ خدعك وجرّاك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضى تسوية الموالى والمعادى والمطيع والعاصى فكيف اذا انضم اليه صفة المنتقم والقهار وللاشعار بما يغره به الشيطان الرجيم فانه يقول له افعل ما شئت فربك الكريم وللدلالة على ان كثرة كرمه تقتضى الجدّ فى طاعته لا الانهماك فى معصيته وقال جعفر الصادق ما الذى افقدك عن خدمة مولاك وقال عمر بن الخطاب لو قيل لى ما غرّك لقلت جهل بك غرّنى كذا ذكره السلمى وافاد الاستاد انه سبحانه سأله وفى نفس السؤال كانه لقنه الجواب حتى يقول غرّنى كرمك بى ولولا كرمك ما فعلت لانك رأيت فسترت وقدرت فامهلت ويقال ان المؤمن وثق بحسن افضاله واغترّ بطول امهاله فلم يرتكب الزلّة لاستحلاله ولكن طول حلمه عنه حمله على اصراره على سوء خصاله كما قلت ▪ يقول مولاى اما تستحيى ▪ مما ارى من سوء افعالكا ▪ فقلت يا مولاى رفقا فقد ▪ افسدنى كثرة افضالكا ▪ قلت لو قال اجداى بدل افسدنى لكان اصلح مبنى وافصح معنى الذى خلقك اوجدك من العدم بمحض الكرم فسوّيك فجعل اعضاءك مستوية فى مواضعها مستقيمة لمنافعها فعدلك جعل بنيتك معتدلة الاجزاء متناسبة الاعضاء وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت باعتبار اجزائك قال جنيد تسوية الخلق بالمعرفة وتعديلها بالايمان يعنى باظهار الطاعة وقال ذو النون خلقك فسوّيك اوجدك فسخّر لك الكونات ولم يسخرك لشئ من المكونات فى اىّ صورة ما شاء ركّبك اى ركبك فى اى صورة شاءها وما مزيدة لاستغراق معناها قال الواسطى اى فى صورة المطيعين او العاصين لمن ركبه على صورة الولاية ليس كمن صوره على صورة العداوة وقال الاستاد فى اى صورة من الحسن والقبح والطول والقصر ويصح ان يكون الصورة هنا بمعنى الصفة وفى بمعنى على فيكون المعنى على اىّ صفة ما شاء ركّبك من السعادة والشقاوة والطاعة والمعصية كلّا ردع عن الاغترار بكرم الغفار بل تكذبون بالدين اى دين الاسلام او جزاء يوم القيام وانّ عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون قال ابو عثمان من لم يزجره عن مخالفة الله مراقبة الله اياه ونظره اليه ومحافظته عليه كيف يردعه الكرام الكاتبون لديه وافاد الاستاد انه سبحانه خوّفهم بعلم الملائكة وكتابتهم اعمال الخلق لتقاصر حشمتهم من اطلاع الحق ولو علموا ذلك حق علمهم لكان تَوَقّيهم من المخالفة لرؤيته واستحياؤهم من اطلاعه اتم من رؤية الملائكة انّ الابرار

لفى نعيم

لفى نعيم وهم المؤمنون اليوم فى نعمة العصمة وغدا فى نعمة الكرامة وسعة النعمة وانّ الفجار وهم الكفار لفى جحيم اليوم فى جهنم باستحقاق اللعنة والاصرار على الشرك الموجب للفرقة وغدا فى نار الحرقة على وجه التخليد والتأبيد ويقال ان الابرار لفى نعيم الرضا وروح الذكر والثناء وسترالانس والبهاء وانّ الفجار لفى ضيق قلبهم وسخطهم على التقدير وضيق اختيارهم وظلمات التدبير كذا فى تفسير الاستاد وقال جعفر الصادق النعيم المعرفة والمشاهدة والجحيم هى النفس والمجاهدة فان لها النيران الموقدة وقيل القناعة هى النعيم والطمع هو الجحيم وقال محمد بن الفضل انّ الابرار لفى نعيم بذكر مولاهم وان الفجار لفى جحيم بتقلبهم فى متابعة هواهم يصلونها يدخلون نارها ويقاسون حرّها يوم الدين الذى جزاؤهم بها وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يباشرون اسبابها هنالك وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين تفخيم لاحواله وتعجيب لاهواله اى اعجب بدار لا يدرك كنه امره دار يوم لا تملك نفس لنفس شيئا من النفع والدفع استقلالا والامر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا وقرأ ابن كثير وابو عمرو يوم بالرفع على البدل من يوم الدين او الخبر للمبتداء المقدر قال الواسطى الامر اليوم ويومئذ لله ولم يزل ولا يزال لله ولكن الغيوب بحقيقتها لا يشاهدها الا الاكابر من الاولياء وهذا الخطاب للعام فانهم اذا شاهدوا الغيب يتيقنوا ان الامر كله لله فاما اهل المعرفة فمشاهدتهم للامر اليوم كمشاهدتهم يومئذ لا يزيدهم مشاهدة الغيب تحقيقا وعيانا على مشاهدتهم له تصديقا وبرهانا كعامر بن عبد قيس حيث قال لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكحارثة اخبر بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم بقوله كانى انظر الخ وافاد الاستاد ان الامر لله يومئذ وقبله وبعده ولكن ينقطع الدعاوى ذلك اليوم ويتضح الامر على عموم القوم وتصير المعارف

سورة المطففين مكية مختلف فيها وهى ست وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله اسم جليل جلاله باشكال وجماله لا على احتذار ومثال وافعاله لا لاغراض واعلال وقدرته لا بجلادة واحتيال وعلمه لا بضرورة واستدلال فهو الذى لم يزل ولا يزال ولا يجوز عليه الفناء والزوال ويل للمطففين اى نكال عظيم ووبال جسيم للباخسين المنقصين الذين اذا اكتالوا حقوقهم على الناس اى منهم يستوفون ياخذونها وافية واذا كالوهم او وزنوهم اى كالوا او وزنوا للناس يخسرون اى ينقصون من حقوقهم الا يظن اولئك انهم مبعوثون فانّ من ظنّ ذلك لم يجترئ على مثل هذه القبائح فكيف من يتيقنه وعلم انه يحصل به الفضائح وفيه انكار

لحسن مالهم وتعجب من قبح فعالهم قال حمدون القصار اذا اخذت الميزان
بيدك فاذكر ميزان القسط عندك وقيل التطفيف لمن يبصر عيوب اخيه
ويعمى عن عيوبه وقال ابو عثمان حقيقة معنى هذه الآية والله اعلم عندى هو من
احسن العبادة على رؤية الملا ونسى ذلك اذا خلا قال تعالى الا يظن اولئك
انهم مبعوثون اى انهم لابد لهم من محاسبة احوالهم والرجوع الى باعمالهم وقال
ابو حفص من علم انه مبعوث ومحاسب ثم لا يجتنب الذنوب والمعاصى والمخالفات
اجمع فقد اخبر عن سره انه غير مؤمن بالبعث والحساب وافاد الاستاد ان
المطفف الذى ينقص الكيل والوزن واراد بهم الذين اذا عاملوا الناس فاذا
اخذوا لانفسهم استوفوا واذا دفعوا الى من يعاملهم نقصوا وذلك فى الوزن
والكيل وفى اظهار العيب واخفائه وفى القضاء والاداء والاقتضاء بمنزله
ويقال من لم يرض لاخيه المسلم ما يرضاه لنفسه فليس بمنصف يعنى بل هو مطفف
وكذا فى المعاشرة والصحبة ورؤية العيب من هذه الجملة ▪ وتبصر فى العين منى القذا
وفى عينك الجذع لا تبصره والفتى من يقضى حقوق الناس ولا يقتضى من احد لنفسه حقا
الا يظن اولئك انهم مبعوثون الا يستيقنون انهم غدا يحاسبون وبحقوق الناس
يطالبون ويقال من لم يذكر فى حال المعاملة معاينة يوم القيمة فهو فى الخسارة النامة
ليوم عظيم اى لحساب زمان هوله عظيم يوم يقوم الناس نصب مبعوثون او باعنى
لرب العالمين لحكمه عليهم اجمعين وافاد الاستاد ان من كان صاحب مراقبة
استشعر الهيبة فى عاجله كما يكون حال الناس فى المحشر حال آجله لان اطلاع الحق
اطلاعه يومئذ كلا حقا ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم لفى سجين كتاب
جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم
اى مسطور بين الكتابة معلوم فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه مطروح
تحت الارضين وقال الاستاد اى مكتوب كتب الله فيه ما هم عاملون واليه
صائرون وانما المكتوب على بنى آدم فى الخير والشر والسعادة والشقاوة على
ما تعلق به الخبر من قوله وانما خبر على الوجه الذى علم انه يكون او لا يكون وكما علم
انه يكون او لا يكون اراد ان يكون او لا يكون ثم انه لم يطلع سبحانه على اسرار
خلقه الا من شاء من المقربين بالقدر الذى اراده وانه يجرى عليهم فى دائم اوقاتهم
ما سبق لهم به التقدير فى جريان حالاتهم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون
بيوم الدين صفة موضحة وما يكذب به الا كل معتد اى متجاوز عن نظر التأييد
بعيد عن التحقيق للغلو فى التقليد حتى استقصر قدرة الله والارادة واستحال منه
البعث والاعادة اثيم منهمك فى شهوات العادة ومبالغ فى الغفلة عن العبادة
بحيث شغلته الدنيا عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه آياتنا

قال اساطير

قال اساطير الاولين اى هى اكاذيب المتقدمين وهذا من فرط جهالته وغاية
ضلالته فلا ينفعه شواهد النقل كما لم ينفعه دلائل العقل كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون رد لما قالوا وبيان لما ادى بهم الى ما تفوهوا بان غلب عليهم
حب المعاصى بانهماكهم حتى صار ذلك صدءا على قلوبهم فعمى معرفة الحق والباطل عليهم
كما ورد ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين
الصدا اى غطى على قلوبهم ما كسبوا من ذنوبهم وقال ابو سليمان الدارانى
الران والقسوة ميراث الغفلة فمن يتيقظ وتذكر امن الرين والقسوة ودواؤها
ادمان الصيام فان وجد بعد ذلك قسوة فليترك الادام كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فلا يرونه ومفهومه انه يريه والمؤمنون قال القاسم حجبهم فى الدنيا
عن مولاهم المعصية وفى الآخرة البدعة انتهى وفيه كناية للمعتزلة النافية للرؤية
وقال الاستاد كما انهم اليوم ممنوعون من معرفته فهم غدا ممنوعون عن رؤيته ثم انهم
لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويحرقون بها فى دار البوار ثم يقال هذا الذى كنتم بها
تكذبون فى دار الدنيا بان لا حساب ولا عقبى كلا ان كتاب الابرار لفى عليين
فى اعلى الامكنة من سدرة المنتهى او السماء السابعة كتاب مرقوم فيه اعمالهم المكتوبة
يشهده المقربون بحضرة الملائكة للحفظة او يشهدون على ما فيه يوم القيمة قال
ابو سعيد الخراز للابرار علامات ان يكون معصوما عن المخالفات محفوظا باداء
الطاعات لا يوذى احدا من المخلوقات ويعرف نعم الله عليه فى جميع الاحوال
ويرى نقصانه فى جميع الافعال ان الابرار لفى نعيم قال الاستاد اليوم فى روح
العرفان وراحة الطاعة والاحسان وانس الرجاء وبسط الوصلة وغدا فى الجنة
وما وعدوا من فنون الزلفة والقربة على الارائك اى الاسرة ينظرون
الى ما لهم من اسباب المسرة قال ابن عطاء على ارائك المعرفة ينظرون الى المعروف
وعلى ارائك القربة ينظرون الى الرؤف وافاد الاستاد انه سبحانه اثبت
النظر ولم يبين المنظور اليه لاختلافهم فى احوالهم فمنهم من ينظر الى قصوره
ومنهم الى مقصوره ومنهم والخواص على دوام الاوقات الى ربهم ينظرون تعرف
فى وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم ونوره ورونقه وسروره وقال جعفر الصادق
لذة النظر تتلالا مثل الشمس فى وجوههم اذا رجعوا من زيارة الله تعالى الى بيوتهم
وقال بعضهم يرى فى تلك الوجوه اقبال الحق اليها فتنعمت باقبال المنعم عليها
وقال الاستاد اى من نظر اليه علم انه اثر نظره الى مولاه ما يلوح على وجهه ويقال
ان احوال المحب مشهود عليه ابدا ان كان الوقت وقت غيبة وفراق فالشهود
عليه نحوله وذبوله وحنينه وانينه ودموعه وتجلده وان كان الوقت وقت وصال
فاختياله ودلاله وسروره وحبوره ونشاطه وانبساطه يسقون من رحيق

شراب خالص او طيب عتيق مختوم ختامه مسك اى مختوم اوانيه بالمسك
او الذى له ختام ومقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائى خاتمه بفتح التاء اى
ما يختم به ويقطع وقال الاستاد مختوم قبل حضور خاتمه مسك ممنوع عن كل احد معد
مدخر لكل احد باسمه وفى ذلك النعيم فليتنافس المتنافسون اى فليرغب الراغبون
قال ذو النون علامة المتنافس تعلق القلب وطيران الضمير اليه والحركة عند ذكره
والهرب من غيره والانس بالوحدة والتأسف على ما سلف وتلقى البلاء
بالصبر والنعماء بالشكر والتلذذ بالعبادات والتملق فى المناجات
ومزاجه اى ما يمزج به من تسنيم عينا علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع
مكانها ورفعة شرابها بحسب شأنها يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا
لانهم لم يشتغلوا بغير الله ولم يلتفتوا الى ما عداه ويمزج لسائر اهل الجنة لامتزاج
عباداتهم بفضلهم عن عاداتهم بالغفلة وانتصاب عينا على المدح قال الواسطى يشرب
بها المقربون صرفا على مشاهدة محبوبهم وقال الاستاد اى من عين تتسنم عليهم من
علو وقيل ميزاب ينصب عليهم من فوقهم ويقال سمى تسنيما لان ماءه يجرى فى الهواء
متسنما فينصب فى اوانى اهل الجنة فمنهم من يسقى مزجا ومنهم من يسقى صرفا
الاولياء يسقون مزجا والخواص يسقون صرفا ان الذين اجرموا اكابر المشركين
كانوا من الذين آمنوا يضحكون كانوا فى الدنيا يستهزؤن بفقراء المؤمنين
واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا وباعينهم يشيرون واذا انقلبوا
الى اهلهم انقلبوا فاكهين ملتذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين
اى معجبين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون عن طريق اليقين وما ارسلوا
عليهم على المؤمنين حافظين يحفظون عليهم اعمالهم ويظهرون رشدهم وضلالهم
فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم فى النار اذلاء مغلولين على الارائك
ينظرون حال من يضحكون قال القاسم ينظرون متعجبين الى اهل الشهوات فى الجنة
هل ثوب الكفار اى هل جوزوا واثيبوا ما كانوا يفعلون اى جزاء وفاقا
لافعالهم وطباقا لاحوالهم والاستفهام للتقرير وقال الاستاد يعنى اذا راوا
اهل النار فى النار يعذبون لا تأخذهم رأفة لا ترق قلوبهم رقة بل يضحكون عليهم
ويستهزؤن بهم ويعيرونهم قلت ولعل هذا خاص ببعضهم دون غيرهم

سورة الانشقاق مكية وهى خمس وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاد اسم عزيز رداؤه كبرياؤه سناؤه علاؤه بهاؤه جماله جلاله
جماله الموصوف منه لطفه المألوف منه عطفه كيف ما تم للعبد فالعبد عبده
ان اقصاه فالحكم حكمه وان ادناه فالامر امره اذا السماء انشقت اى انصدعت
واذنت لربها واستمعت لامره وانقادت لحكمه وحقت بالاستماع

والانقياد لما اراد وفى تفسير السلمى وردت عليها صفة الهيبة فانشقت
واذنت لربها اطاعت وحق لها ذلك وهو الذى اوجدها هنالك واذا الارض
مدت بسطت بان تزال جبالها وتلالها والقت ما فيها ما فى جوفها من الكنوز
والموتى وتخلت وتكلفت فى الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شىء فى باطنها
واذنت لربها فى القائها وتخليتها وحقت بانقيادها وجوابه مقدر نحو علمت
نفس ما احضرت يا ايها الانسان انك كادح الى ربك ساع الى لقاء
جزائه كدحا جهدا او جدا فملاقيه اى فملاق ربك او كدحك فتلقاه بالخير خيرا
وبالشر شرا فاما من اوتى كتابه بيمينه وهو المؤمن على ما افاد الاستاد فسوف
يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه اصلا وينقلب الى اهله عشيرته
المؤمنين او فرقة المؤمنين او اهله فى الجنة من الحور العين مسرورا بانواع
النعم واصناف المنة واعلاها الرؤية وقال الاستاد حسابا يسيرا اى يسمعه
كلامه سبحانه بلا واسطة فيخفف عليه سماع خطابه ما فى الحساب من عتابه يقال
يقول له الم افعل كذا الم افعل كذا يعد عليه احسانه ولا يقول له الم تفعل كذا لا يذكره
عصيانه وينقلب الى اهله مسرورا بالنجاة والدرجات وما وجد من المناجاة
وقبول الطاعات وغفران الزلات ويقال بان يشفعه ربه فيمن يتعلق به قلبه
واما من اوتى كتابه وراء ظهره اى يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وهو الكافر
فسوف يدعوا ثبورا يتمنى هلاكا كثيرا ويصلى سعيرا يدخل فيها ويحرق بها
وقرأ الحرميان والشامى والكسائى ويصلى بصيغة المجهول مشددا كقوله وتصلية
جحيم وقرئ مخففا كقوله ونصليه جهنم انه كان فى اهله فى الدنيا مسرورا
بطرا بالجاه والمال فارغا عن امر الآخرة وحال المآل قال ابن عطا اى
لنفسه متابعا وفى هواه مسارعا انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله
تعالى ولن يبعث بعد البلى بلى يجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما
باعماله مطلعا على احواله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه بما يستحقه قال الواسطى
كان به بصيرا حين خلقه لماذا خلقه ولاى شىء اوجده وما قدر عليه من السعادة
والشقاوة وما كتب عليه من اجله ورزقه وعمله فلا اقسم بالشفق الحمرة التى
ترى فى افق المغرب بعد الغروب وعن ابى حنيفة انه البياض الذى يليها والليل
وما وسق وما جمعه وستره والقمر اذا اتسق اجتمع امره وتم بدره وقال الاستاد
الشفق عند غروب شموس وصالهم اذا آمنوا بالفراق فى بعض احوالهم
وذلك زمان قبض بعد بسط واوان فرق عقيب جمع والليل وما وسق
ليالى غيبتهم وهم بوصف الاشتياق اوليالى وصالهم وهم فى روح التلاق
اوليالى طلبهم وهم بنعت القلق والاحتراق والقمر اذا اتسق اذا ظهر سلطان

العرفان عن القلوب بلا تجسس ولا نقصان لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد
حال مطابقة لاختها في الشدة وهي الموت ومواطن القيمة وقراء ابن كثير
وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار مبناه دون
معناه وقال الاستاد طبقا عن طبق اي تارات الانسان طفلا ثم شابا
ثم كهلا ثم شيخا ويقال طالبا ثم واصلا ثم متصلا ويقال حالا بعد حال من الفقر
والغنى والصحة والسقم ويقال حالا بعد حال في الآخرة من انواع النعم او اوصاف
النقم فما لهم لا يؤمنون بيوم القيمة وقد ظهرت الحجة وزالت الشبهة واذا قرئ
عليهم القران لا يسجدون لا يخضعون لمعجزته ولا ينقادون لطاعته او لا يسجدون
لتلاوته لما روي انه عليه السلام قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين
وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة على وجوب السجود
فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد له وعن ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت
الا بعد ان رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها بل الذين كفروا
يكذبون اي بالقران والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم من الكفر
والعدوان فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فانهم ليسوا منهم لهم اجر غير ممنون غير مقطوع عنهم بل موصول بهم
وان عجزوا عن اعمالهم لعذر من عرض مرض او كبر او سفر كما ورد في خبر

سورة البروج مكية وهي ثنتان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاد اسم من لا عقل يكتنهه اسم من لا مثل يشبهه اسم
من لا مثل يشبهه اسم من لا فهم يرتقي اليه بالتصوير اسم من لا علم ينتهي اليه
بالتقدير اسم من لا فطر يحويه ولا ستر يخفيه ولا يصل الى معرفته الا من يرتضيه
والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور العاليات
لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثابتات واليوم الموعود يوم القيمة
وشاهد ومشهود اي ومن يحضر في ذلك اليوم من الخلايق على حسب المراتب
وما احضر فيه من الاحوال العجائب والاهوال الغرائب او النبي وامته
او الخالق وخلقه او عكسه او يوم عرفة او يوم النحر وحجيجه او يوم الجمعة
ومجمعه فانه يشهد له او كل يوم واهله فعن الحسن ما من يوم الا وينادي
اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فليس لي ثنية فلو غابت
شمسي لم تدركني الى يوم القيمة قال فارس كلاهما عائد عليه اي هو الناظر
والمنظور اليه وهو الشاهد لخلقه والمشاهد لهم بوجود الايمان ومشهود
العرفان وقال الواسطي الخلق مشهود دون مشاهدتهم به في الازل وبظهورهم
ظهر عليهم العلل والامل وقال ايضا الشاهد الحق والمشهود الخلق اعدمهم ثم اوجدهم

وقيل الشاهد

وقيل الشاهد قول العبد والمشهود عليه عمله وقال الاستاد الشاهد الحجر الاسود
لان فيه كتاب العهد ويقال الشاهد الله شهد لنفسه بالوحدانية والمشهود
هو لانه شهد لنفسه بالفردانية قلت فهو الشاهد والمشهود والجاحد والمجحود
قتل اي لعن وابعد عن مقام الشهود اصحاب الاخدود قيل انه جواب
القسم على تقدير لقد قتل وافاد الاستاد ان جواب القسم ان بطش ربك
لشديد لكن لا يخفى انه بعيد ولو في المعنى سديد ثم الاخدود الحفيرة في
الارض اذا كانت مستطيلة وقد روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر
فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فراى في طريقه
ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان
الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد
يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابراه
فساله الملك عمن ابراه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام
فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح
من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا فاجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفات
السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس
وتصلبني وتاخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب هذا الغلام ثم
ترميني به فرماه فوقع في صدغه ومات فآمن الناس فامر باخاديد اوقد
فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امراة معها صبي فتقاعست
فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي كرم الله
وجهه ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات
فلم يقبلوه فامر باخاديد النار وطرح فيها من ابى النار بدل الاخدود وبدل
الاشتمال ذات الوقود صفة لها بالعظمة والكثرة والوقود ما توقد به
من الحطب وغيره اذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون على طرق
النظار وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود تقبيح لسوء افعالهم
وتوبيخ على فظاعة احوالهم وما نقموا ما انكروا منهم الا ان يؤمنوا بالله
استثناء من قبيل قولهم ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من
قراع الكتائب ويسمى تاكيد المدح بما يشبه الذم العزيز الغالب يخشى
عقابه الحميد المنعم يرجى ثوابه الذي له ملك السموات والارض
ظاهرا وباطنا والله على كل شيء شهيد فلا ينبغي ان يعبد سواه ولا يجوز
ان يلتفت الى ما عداه ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم
بالاذى واحوجهم الى الشكوى الى المولى في دفع البلوى من اصحاب الاخدود

وغيرهم ثم لم يتوبوا عن فعلهم فلهم عذاب جهنم لكفرهم ولهم عذاب الحريق
اى العذاب الزائد فى الاحراق لفتنهم وقيل المراد بالذى فتنوا اصحاب الاخدود
بخصوصهم وبعذاب الحريق ما روى ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم واختاره
الاستاد حيث افاد ان اصحاب الملك كانوا قعودا حولها فخرجت النار
فاحرقتهم اجمعين ونجا الذين كانوا فى النار من المؤمنين ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات اى فى اوقات الليل والنهار لهم جنات تجرى من تحتها
الانهار ذلك الفوز الكبير اى الفضل الكثير ان بطش ربك اى اخذه لشديد
مضاعف عنفه انه هو يبدئ ويعيد اى يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش
بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى العقبى قال ابن عطاء يبدئ باظهار القدرة
فيوجد المعدوم ثم يعيد باظهار الهيبة فيفقد الموجود وقال جعفر يبدئ
فيفنى عمن سواه ثم يعيد فيبقى ببقاه وقال الاستاد يبدئ على حكم السعادة
والشقاوة ثم يعيد عليه فى الآخرة او يبديهم من الضعف ويعيدهم الى
الضعف وهو الغفور لمن تاب الودود المحب لمن آب والمحبوب
لمن اناب وقال الاستاد يغفر لهم كثيرا لانه يودهم ويودهم كثيرا لانهم
يودونه يعنى كما قال تعالى يحبهم ويحبونه ذو العرش اى خالقه ومالكه وهو
سرير ملكه ومستقر حكمه فى ملكه قال الواسطى هو اعلى من ان يكون له فيه او اليه
حاجة تعالى شانه بل اظهر العرش اظهارا لقدرته لا مكانا لذاته يعنى ان
الحادث القديم لا يصح ان يكون محل القديم المجيد العظيم فى ذاته وصفاته فانه
واجب الوجود تام القدرة وكامل الحكمة فى مصنوعاته وقرا حمزة والكسائى
بالجر على انه صفة للرب او للعرش ومجده علوه وعظمه فعال لما يريد لا يمتنع
عليه المراد من افعاله وافعال العباد هل اتيك حديث الجنود فرعون
يعنى فرعون وقومه وثمود وهما بدل من الجنود بل الذين كفروا فى تكذيب
ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم
وراوا آثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم والله من ورائهم
محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط بل هو قرآن مجيد
اى بل هذا الذى كذبوا به كتاب شريف وفى النظم والمعنى وحيد فى لوح
محفوظ من تحريف وتبديل وقرا نافع محفوظ بالرفع صفة للقرآن
قال تعالى وانا له لحافظون قال سهل محفوظ فى صدر المؤمن محفوظ عليه
ان يناله غير اهله لان اهل القرآن اهل الله وخاصته وقال الاستاد وجاء
فى التفسير ان اللوح المحفوظ خلق من درة بيضاء ودفتاه من ياقوتة حمراء
وعرضها بين السماء والارض واعلاه متعلق بالعرش العظيم واسفله فى حجر ملك

كريم

كريم والقرآن الذى هو فى اللوح المحفوظ كذلك محفوظ فى قلوب المؤمنين قال
تعالى بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم فهو فى اللوح مكتوب وفى القلوب
محفوظ ومحبوب

سورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد اسم عزيز اذا اراد اعزاز عبد وفقه لعرفانه
ثم زينه باحسانه ثم استخلصه بامتنانه فعصمه عن عصيانه واقام بحسن التولى
فى جميع احواله بشانه ثم قبضه على ايمانه ثم بواه فى جنانه ثم اكرمه برضوانه ثم
اكمل نعمه عليه برؤيته وعيانه والسماء والطارق الكوكب البادى بالليل وما
ادريك ما الطارق تفخيم لشانه وتعظيم لبرهانه النجم الثاقب المضئ كانه
يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه وقيل هو الذى يرمى به الشياطين من الرجوم
او المراد به جنس النجوم وقال الاستاد هو نجوم المعرفة التى تدل على التوحيد يستضئ بنورها
ويهتدى بظهورها اولو البصائر والسرائر ان كل نفس لما عليها حافظ اى ان
الشان كل نفس لعليها حافظ رقيب لديها ناظر اليها وهو الله سبحانه فان هى
المخففة واللام المفارقة وما الزائدة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد
على انها بمعنى الا وان نافية والجملة جواب القسم فلينظر الانسان مم خلق اى فليتامل
فى مبداء خلقته ليعلم صحة اعادته فلا يبدى لحافظه الا ما يسره فى عاقبته خلق
من ماء دافق اى ذى دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من المائين
المجتمعين فى الرحم لقوله يخرج من بين الصلب والترائب بين صلب الرجل
وترائب المراة وهى عظام صدرها وفيه اظهار كمال قدرته وارادته وانوار جلال
علمه وكمال حكمته انه على رجعه اى انه سبحانه على بعثه وخلقه مرة اخرى لقادر لان
القدرة على الشئ يقتضى القدرة على مثله والاعادة فى معنى الابتداء يوم تبلى
السرائر يميز بين ما خبث من الاحوال وما طاب من الضمائر فى المال فما له
للانسان من قوة منعه فى نفسه يمتنع بها ولا ناصر ينصره ويدفع عنه ما حكم الله به
والسماء ذات الرجع اى المطر لان الله يرجعه وقتا فوقتا والارض ذات الصدع
اى الشق بالنبات والاشجار والعيون والانهار انه اى القرآن لقول فصل
فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل فانه جد كله انهم اى كفار مكة وكذا هم
يكيدون كيدا يحتالون حيلة فى اطفاء نوره وابطال ظهوره واكيد كيدا واقابلهم
بكيدى فيهم واعاملهم باستدراجى لهم وانتقامى منهم بحيث لا يخطر فى ضميرهم فمهل
الكافرين اى انظرهم ولا تشتغل بالانتقام منهم او لا تستعجل باهلاكهم امهلهم رويدا
امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين والتسلية

سورة الاعلى مكية وهى تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم
قال الاستاد اسم عزيز من قصده وجده ومن استشفعه احد من طلبه

عرفه فاذا عرفه لاطفه فاذا وجد لطفه الفه واذا الفه ان يخالفه سبح اسم ربك
الاعلى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات السوآى وعن اطلاقه على غيره زاعما
انهما فيه على حد سواء وقيل نزه اسم ربك عن تسبيحك وقيل نزه لسانك بعد
ذكر ربك عن لغو وكذب في قولك وقال الاستاد اي سبح ربك بمعرفة اسمائه
واسبح بسرك في بحار علائه واستخرج من جوار علوه وسنائه ما ترصع به عقد مدحه
وثنائه الذي خلق كل شئ فسوى خلقه بان جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه
ومآله فهدى فوجه الى افعاله طبعا او اختيارا بخلق انواع الميل واصناف
الالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات وفي تفسير السلمي خلق الخلق
فسوى بينهم في الخلقة وميز بينهم باختصاص الهداية فليس لاحد ان يفتخر
على احد بالخلقة الا بخواص التقوى والهداية كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم
وقال الاستاد خلق كل ذي روح فسوى اجزاءه وركب اعضاءه على ما خصه
من النظم العجيب والبديع من التركيب والذي قدر اجناس الاشياء وانواعها
واصنافها واشخاصها ومقاديرها وذواتها وصفاتها وافعالها وآجالها وقرأ الكسائي
بتخفيف الدال من القدر بمعنى التقدير قال الواسطي قدر السعادة والشقاوة عليهم
ثم يسر لكل احد من الطايفتين بسلوك ما قدر عليه وقال الاستاد اي قدر ما خلقه
فجعله على مقدار اراده وهدى كل حيوان الى ما فيه رشده من المنافع وجلبها والمضار
ودفعها بحكم الالهام لتمام الانام ويقال هدى قلوب الغافلين الى طلب الدنيا
فعمروها وهدى قلوب العابدين الى طلب العقبى فآثروها وهدى قلوب الزاهدين
الى فناء الدنيا فرفضوها وهدى قلوب العلماء الى النظر في آياته والاستدلال
بمصنوعاته فعرفوا تلك الآيات فلزموها وهدى المريدين الى عز وصفه فآثروها
واستفرغوا جهدهم فطلبوه وهدى العارفين الى قدس نعته فراقبوه ثم شاهدوه
وهدى الموحدين الى علاء سلطانه في توحد كبريائه فتركوا ما سواه وهجروه وخرجوا
من كل معهود لهم ومألوف حتى قصدوه فلما ارتقوا عن حد البرهان ثم عن
حد البيان ثم عما كالعيان فعلموا انه عزيز وراء كل فصل ووصل فرجعوا الى
وطن العجز وتوسدوه والذي اخرج المرعى انبت ما ترعاه الدواب في المبادي
فجعله بعد خضرته ونضرته غثاء يابسا احوى اسود وقال الاستاد اي هشيما
كالغثاء الذي فوق السيل سنقرئك على لسان جبريل عليه السلام او نجعلك
قارئا حافظا بالالهام فلا تنسى اي حتى لا تنسى اصلا لقوة الحفظ مع انك امي
ليكون ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا
من الآيات الكبرى الا ما شاء الله نسيانه بان نسخ تلاوته واخفى شانه او المراد
القلة والندرة لما روى انه عليه السلام اسقط آية حال قراءته في الصلوة فحسب

ابي رضي الله عنه انها نسخت فسأله فقال نسيتها ولا يبعد ان يكون الاستثناء
للتبرك وقيل نهي والالف للاطلاق مراعاة للفاصلة او على لغة من يثبت حرف
العلة في الجزم ويشير اليه قول الجنيد لا تنس العمل به انه يعلم الجهر وما يخفى اي ما ظهر
من اعمالكم وبطن من احوالكم او اظهار القراءة واسرارها وقال محمد بن حامد اعلان الصدقة
واخفاءها وقال الاستاد اي السر والعلانية ونيسرك لليسرى عطف على
سنقرئك وما بينهما اعتراض اي نقدك للطريقة اليسرى في الديانة ونوفقك
لها بالهداية فذكر بعدما استقام لك الامر واستتم لك الذكر ان نفعت
الذكرى وان لم تنفع فما عليك الا البلاغ فالكلام من باب الاكتفاء كقوله
سرابيل تقيكم الحر اي والبرد وقيل ان بمعنى اذ كقوله واتقوا الله ان كنتم
المؤمنين للاشعار بان التذكير بالتكرير انما يجب اذا امكن نفعه ولذا امر
بالاعراض عمن تولى وافاد الاستاد ان الذكرى تنفع لا محالة ولكن لمن
وفقه الله لا تعاظ به ومن كان المعلوم من حاله الكفر والاعراض فكما قيل شعر
وما انتفاع اخي الدنيا بمقلته • اذا استوت عنده الانوار والظلم
سيذكر سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله فانه يتفكر فيها فيعلم
حقيقتها وهو يتناول العارف بها والمتردد في امرها ويتجنبها اي ويتجنب
الذكرى الاشقى اي الكافر فانه اشقى من الفاجر الذي يصلى النار
الكبرى نار جهنم فانه عليه السلام قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا
من نار جهنم ثم لا يموت فيها فيستريح عنها ولا يحيى حيوة تنفعه معها قد افلح
اي وجد النجاة والظفر بالبغية والفوز بالطلبة من تزكى تطهر من الكفر
والمعصية او تطهر للصلوة او ادى الزكوة وذكر اسم ربه بلسانه وجنانه
فصلى لقوله واقم الصلوة لذكري او المراد بالذكر تكبيرة الاحرام فيفيد انه شرط
لا ركن لقوله فصلى بفاء التعقيب كما استدل به الامام ابو حنيفة وقيل تزكى
تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبر يوم العيد فصلى صلاته بل تؤثرون
الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم في العقبى والخطاب لجنس الاشقى
او للكل فان السعي للدنيا اكثر في الجملة من السعي للاخرى وقرأ ابو عمرو بالياء
قال ابو العباس من خست طبيعته آثر الدنيا ومن علت همته آثر العقبى ومن
شرف حاله وصحت حقايقه آثر المولى وقال الاستاد اي يميلون اليها
فيقدمون حظوظهم منها على حقوق الله وقيامهم بها والآخرة خير وابقى
فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الآفات لا انقطاع له في الاوقات
بخلاف الدنيا فانها كثيرة العناء قليلة الغناء سريعة الفناء خسيسة
الشركاء وافاد الاستاد ان الآخرة للمؤمنين خير وابقى من الدنيا لطلابها

ان هذا لفى الصحف الاولى الاشارة الى القرآن او ما ذكر فى السورة من الموعظة او ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف ابراهيم وموسى بدل من الصحف الاولى والمراد بها وامثالها لقوله وانه لفى زبر الاولين وقال الاستاد اى ان هذا الوعظ لفى الصحف الاولى المتقدمة وكذلك فى صحف ابراهيم وموسى وغيره لان التوحيد والوعد والوعيد لم يختلف

سورة الغاشية مكية بالتراجع وهى ست وعشرون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد كلمة من سمعها وفى قلبه عرفان تلالات انوار قلبه وغرقت انوار كربه نقضا عنه هواجس حبه تحيرت فى جلاله شوارق لبه هل اتيك حديث الغاشية الداهية التى تغشى الناس بشدائدها يعنى يوم القيمة او النار لقوله وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة متواضعة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها فى النار والصعود فى تلالها والهبوط فى وهادها او عملت ونصبت فى اعمال لا تنفعها حينئذ وفى تفسير السلمى قال بعضهم خشوع الظاهر ونصب الابدان لا يقربان منه بل ربما يقطعان عنه وانما يقرب السعادات الازلية وخشوع السرية من الهيبة الالهية وهو الذى يمنع صاحبه من جميع الامور المنهية وقال الاستاد اى عاملة فى الدنيا بالمعصية ناصبة فى الآخرة بالعقوبة ويقال فى الدنيا عاملة لكن من غير اخلاص كعمل الرهبان وفى معناه عمل اهل النفاق والرياء فان اتصاف الابدان والاشباح اليوم بصورة الطاعات مع فقد الارواح وجدان المكاشفات والاسرار انوار المشاهدات والقلب الاخلاص والصدق فى الاعتقادات لا يجدى خيرا ولا ينفع شيئا وهو كما قال عاملة ناصبة تصلى نارا تدخلها وقرا ابو بكر وابو عمرو تصلى من اصلاه الله حامية متناهية فى الحرارة تسقى من عين آنية بلغت اناها فى الحر وغايتها ليس لهم طعام الا من ضريع وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما يتحاماه الابل ويتعافه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغنى من جوع وافاد الاستاد ان الضريع نبت له شوك بالحجاز وهو سم لا تاكله الدواب وجوه يومئذ ناعمة ذات نعمة وبهجة وافية لسعيها راضية رضيت بعلها لما رأت ثوابه وفوق املها قال جنيد جعل الطاعة والخدمة على الاشباح وخص بالمعرفة الارواح وقال الحسين وجوه يومئذ ناعمة ~~ذات نعمة وبهجة وافية لسعيها راضية رضيت بعلها لما رات ثوابه وفوق املها قال جنيد جعل الطاعة والخدمة على الاشباح وخص بالمعرفة الارواح وقال الحسين وجوه يومئذ ناعمة~~ اى ناعمة بمشاهدة حقيقة عين الحق وقيل سعى فيها على رضاء من اعانها فى جنة عالية رفيعة حسية

ومعنوية

ومعنوية قال السلمى فى كوامن القدس مقربة وقال الاستاد اى عالية درجتها ومنزلتها وشرفها وهم بابدانهم فى درجاتهم ولكن بارواحهم مع الله فى عزيز مناجاتهم لا تسمع اى الوجوه او انتها المخاطب فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة منحصر فى الذكر والحكمة وقراه نافع بصيغة المجهول وكذا ابن كثير وابو عمرو ورفعوا لاغية الا انهما قراه بالتذكير وقال القاسم تلك اذان مصونة عن سماع الاغيار بعد سماعهم من الحق حقايق الاسرار وقيل لاستغراق الخلق فى سماع الحق وقال الاستاد قوم يسمعون بالله وقوم يسمعون لله وقوم يسمعون مع الله وفى الخبر كنت له سمعا وبصرا فبى يسمع وبى يبصر فيها عين جارية اى عيون يجرى ماؤها ولا ينقطع بهاؤها وقال الاستاد تلك العيون الجارية اليوم بالبكاء وغدا لهم عيون ظاهرة بحكم اللقاء فيها سرر مرفوعة رفيعة المحل والمرتبة قال القاسم رتب مقربة واكواب موضوعة بين ايديهم مهياة ونمارق مساند مصفوفة بعضها الى بعض وزرابى بسط فاخرة مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون نظر اعتبار وتامل الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وجمال حكمته والى السماء كيف رفعت بلا عمد مع كمال رفعته قيل اشار بها الى الارواح كيف جالت فى عالم الملكوت والجبروت والى الجبال كيف نصبت رسخت وقيل اشار بها الى قلوب العارفين كيف اطاقت جبل المعرفة وقيل اشار الى اولياء الحق كيف نصبوا اعلاما للخلق والى الارض كيف سطحت بسطت قيل اشار بها الى العقلاء كيف احتملوا مؤنة السفهاء والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق وحكمته فلا ينكروا اقتداره على بعث الخلق واعادته ولعل تخصيص هذه الاشياء لعموم وقوعها فى نظر المكلفين وافاد الاستاد ان الله سبحانه لما ذكر السرر المرفوعة قالوا كيف يصعدها المؤمن فقال افلا ينظرون الى الابل اذا ارادوا الحمل عليها والركوب فوقها كيف تبرك لصاحبها فكذلك تلك السرر تتطامن حتى يركبها المولى ويستقر عليها وانما انزلت هذه الآيات على وجه التنبيه على الاستدلال بالمخلوقات على كمال قدرة الله سبحانه على المكونات والقوم الذين كانوا اصحاب البوادى فكانوا قل ما يرون شيئا الا السماء والارض والجبال والجمال فامرهم بالنظر فى هذه الاشياء ثم فى الابل خصائص على كمال قدرته تعالى منها ما فيه من امكان الانتفاع بظهرها للحمل والركوب عليها ثم بنسلها ثم بلحمها ولبنها ووبرها ومنها تسخيرها لنا حتى الصبى ياخذ بزمامه فتنحر ورائه ومنها صبرها على مقاساة العطش فى سفرها وقت حرها ومنها قوتها على حمل كثير من محمولها ومنها ام وبلها اذا حقدت على طالبها ومنها استروحها

الی صوت من یجدوها عند تعبها واعیائها ومنها تعلقها بمن یوا بها فذکر یا محمد
انما انت مذکر فلا علیک ان لم ینظروا ولم یتفکروا ولم یتذکروا ولم یعتبروا قال ابن عطاء
الموعظة للعوام والنصیحة للاخوان والتذکیر للخواص وقال جنید الواعظ علی الحقیقة
من یکون موعظته علی حد الاشراف یعظ کلا علی مقداره لست علیهم بمصیطر
بمتسلط وقراء هشام بالسین علی الاصل قال الواسطی ای بعثت داعیا
ولم ابعث هادیا الا من تولی وکفر لکن من اعرض عن الایمان واصر علی الکفران
فیعذبه الله العذاب الاکبر وهو عذاب الآخرة ان الینا ایابهم رجوعهم بالموت
ثم ان علینا حسابهم بالبعث ثم ان لنا ثوابهم او عقابهم قال ابو بکر ابن طاهر
ان الینا ایابهم فی الفضل ثم ان علینا حسابهم بالعدل

سورة الفجر مکیة وهی سبع وعشرون آیة بسم الله الرحمن الرحیم

قال الاستاد کلمة تکتفی من العابدین بقرائتهم لها ولکنها لا ترضی من المحبین
الا ببذل روحهم فیها والفجر اقسم بالصبح کقوله والصبح اذا تنفس
او بفجر عرفة او النحر ولیال عشر عشر ذی الحجة او عشر رمضان الاخیر والشفع
والوتر وقراء حمزة والکسائی بکسر الواو ای والاشیاء باسرها شفعها
ووترها او یومی النحر وعرفة وقد روی مرفوعا او الخلق لقوله ومن کل شیء
خلقنا زوجین والخالق لانه فرد او شفع الصلوة ووترها وقال ابن عطاء
الفجر هو محمد صلی الله علیه وسلم لانه به تفجرت انوار الایمان والاحسان
وغابت ظلمة الکفر والکفران ولیال عشر لیالی موسی علیه السلام التی اکمل میعاده
بقوله واتممناها بعشر وافاد الاستاد فی التفسیر انه فجر المحرم لانه ابتداء السنة
وقیل فجر ذی الحجة ویقال هو ما ینفجر منه الماء ویقال عشر المحرم لان آخره عاشوراء
ویقال هو فجر قلوب العارفین اذا ارتقوا عن حد العلم واسفر صبح معارفهم
فیستغنوا عن طلب البرهان بما تجلی فی قلوبهم من البیان ویقال الشفع تضاد
اوصاف الخلق کالعلم والجهل والقدرة والعجز والحیاة والممات والوتر انفراد صفات
عما یضادها علم بلا جهل وقدرة بلا عجز وحیوة بلا موت ویقال الشفع الارادة
والنیة والوتر الهمة لا یکتفی بالمخلوق ولا سبیل لها الی الله لتقدسه عن الوصل
والفصل فبقیت الهمة غریبة ویقال الشفع الزاهد والعابد لان له شکلا وقرینا
والوتر الفرید یعنی الوحید فی مقام التوحید شعر فرید عن الخلان فی کل بلدة
اذا عظم المطلوب قل المساعد والیل اذا یسر وقراء ابن کثیر یسری ای یمضی
کقوله واللیل اذ ادبر والتقیید به لما فی التعاقب من قوة الدلالة علی کمال القدرة
وجمال النعمة هل فی ذلک القسم او المقسم به قسم حلف او محلوف به لذی حجر
لذی عقل یحجره وعن الغفلة یمنعه ویحجره والمقسم علیه قوله ان ربک لبالمرصاد

او محذوف

او محذوف وهو لتعذبن یدل علیه قوله الم تر کیف فعل ربک بعاد ای اولاد
عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح قوم هود علیه السلام ارم عطف بیان
لعاد علی تقدیر مضاف ای سبط ارم وقبیلته واهل ارم ان صح انه اسم
بلدتهم ومنع صرفه للعلمیة والتانیث ذات العماد ذات البناء الرفیع المثال
او القدود الطوال فانها قیل کانت اربعمائة ذراع وقیل کان لعاد ابنان شدید
وشداد فملکا وقهرا ثم مات شدید فخلص الامر لشداد وملک المعمورة ودانت له
ملوکها فسمع بذکر الجنة فبنی علی مثالها فی بعض صحاری عدن جنة فی ثلثمائة سنة وکان
عمره تسعمائة سنة مجلل بقصورها من الذهب والفضة واساطینها من الزبرجد
والیاقوت وفیها اصناف الاشجار المثمرة والانهار المطردة وسماها ارم فلما تم
سار الیها باهله فلما کان منها علی مسیرة یوم ولیلة بعث الله علیهم صیحة من السماء
فهلکوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج فی طلب ابله فوقع علیها التی لم یخلق مثلها
فی البلاد صفة اخری لارم والضمیر لها سواء جعلت اسم القبیلة او البلدة
وثمود الذین جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل لقوله تعالی وتنحتون
من الجبال بیوتا بالواد وادی القری وهو موضع معروف قیل بنوا الفا
وسبعمائة مدینة کلها من الاحجار المنحوتة وفرعون ذی الاوتاد لکثرة جنوده
ومضاربهم التی کانوا یضربونها اذا نزلوا الذین طغوا فی البلاد صفة للمذکورین
من عاد وثمود وفرعون ذی العناد فاکثروا فیها الفساد بالکفر وظلم العباد
فصب علیهم ربک سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العقاب وقال الاستاد
ای ما ضربهم به من العذاب وقیل شبه بالسوط ما حل بهم فی الدنیا اشعارا
بانه کالسوط بالقیاس الی ما اعد لهم من العذاب فی العقبی ان ربک
لبالمرصاد ای یسمع ویری ما یجری فیما بین العباد وقیل بالمکان الذی یترقب
فیه الرصد جمع راصد وهو تمثیل الارصاد العصاة بالعقاب والمعنی
لا یفوته احد من العباد فاما الانسان اذا ما ابتلیه ربه امتحنه بالغنی وتیسیر
الحال فاکرمه ونعمه بالجاه والمال فیقول ربی اکرمن فضلنی بما اعطانی
واما اذا ما ابتلیه ای اختبره فقدر علیه رزقه ضیقه علیه بعسر الحال وفقر
البال وتقتیر المال فیقول ربی اهانن لقصور نظره وسوء فکره فان الفقر
قد یؤدی الی الکرامة فی الدنیا والآخرة وان الغنی قد یفضی الی الانهماک
فی حب الدنیا والاشتغال عن امور العقبی ولذا ذمه علی قولیه وردعه عن
ظنیه بقوله کلا واثبت نافع والبزی یاء اکرمن واهانن وصلا وقراء ابن
عامر فقدر بالتشدید بل لا تکرمون الیتیم ولا تحضون وقراء الکوفیون
ولا تحاضون علی طعام المسکین وقراء ابو عمرو الافعال الاربعة بالغیبة

اى بل فعلهم اسوأ من قولهم وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالنفقة والشفقة ولا
يحضون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن سائر المبرة وتاكلون التراث اى
الميراث واصله الوراث اكلا لما ذا لم فانهم كانوا ياكلون ما جمعه المورث
من الحرام والحلال عالمين بذلك الحال وتحبون المال حبا جما اى كثيرا مع الحرص
والشره وطول الآمال فيستحقون الاهانة على هذه الخصال كلا ردع لهم عن ذلك
وما بعده وعيد على ما هنالك اذا دكت الارض دكا دكا اى دكا بعد دك
حتى صارت الجبال والتلال هباء منبثا وجاء ربك اى ظهرت آيات
قدرته وآثار قهره وعزته وعظمته كما يظهر عند حضور السلطان من آثار سياسته
وهيبته او جاء امره وتبين حكمه والملك صفا صفا اى جاؤا بحسب منازلهم
ومراتبهم فى مقاماتهم وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وفى الحديث
يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك
يجرونها يومئذ يتذكر الانسان معصيته وانى له الذكرى اى منفعته قال
القاضى اى يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها واستدل به على عدم وجوب
قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة انتهى وهو غفلة عن سائر
شروط التوبة اذ من جملتها وقوعها قبل العيان لقوله تعالى فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا ولقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر على
ان تجويز عدم قبول التوبة يوجب تخلف الخبر وخلف الوعد فى حقه سبحانه
حيث قال تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده نعم لا يجب على الله
شئ فى حد ذاته لكنه يجب وقوعه حيث ثبت اخباره فى اياته يقول يا ليتنى
قدمت اعمال الصالحة لحياتى هذه فى العقبى او وقت حياتى فى الدنيا فيومئذ
لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله اى لا يتولى عذابه
ووثاقه يوم القيمة سواه اذ الامر كله لله وقراهما الكسائى على بناء المفعول
ويقال يا ايتها النفس المطمئنة وهى التى اطمانت بذكر الله تعالى فان
النفس يترقى فى سلسلة الاسباب المسببات الى الواجب لذاته
فتستقر عند معرفته وتستغنى بوجوده وشهوده عن غيره او الامنة
التى لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها وقراءة ابى بن كعب يا ايتها
النفس الامنة المطمئنة وقال ابن عطا هى العارفة بالله تعالى التى لا تصبر
عنه طرفة عين وقيل يا ايتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعى الى الله بتركها
والرجوع الى الله بسلوك سبيل العقبى ارجعى الى ربك الى امره
او موعده بالبعث راضية بما اوتيت مرضية عند الله وقال الكا
اى راضية من الله مرضية من قبل الله فادخلى فى عبادى فى زمرة عبادى الصالحين

وادخلى

وادخلى جنتى معهم من الآمنين او فى زمرة المقربين فتستضيئى بنورهم فان
الجواهر القدسية كالمرائى المتقابلة او فادخلى فى اجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى
دار مثوبتى التى اعدت لاهل طاعتى وعبادتى

سورة البلد مكية وهى عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد باسم الله اخبار عن وجود الحق بنعت القدم
الرحمن الرحيم اخبار عن بقائه بوصف العلاء والكرم كاشف الارواح بقوله
بسم الله فهيمهم وكاشف النفوس بقوله الرحمن الرحيم فتيمهم فالارواح
دهشى فى كشف جلاله والنفوس عطشى الى لطف جماله لا اقسم بهذا البلد
وانت حل بهذا البلد اقسم الله سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلول رسوله عليه السلام
فى ذلك المقام اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان من شرف اهله قال
الواسطى ان تحلف لك فيها اقسم بها اعظم البلد لما سماه حلا به اذا حلت به وبمكانه
ووالد وهو آدم او ابراهيم عليهما السلام وما ولد ذريته او محمد عليه السلام والتنكير
للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما فى قوله والله اعلم بما وضعت اى باى شئ
وضعت اى بموضوع عجيب الشان غريب البرهان وقال الاستاد كل والد
وكل مولود وجواب القسم لقد خلقنا الانسان فى كبد تعب ونصب لا يزال
فى شدائد المكابدة مبداها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية
له عليه السلام بما كان يكابده من قومه وقال ابن عطاء فى ظلمة وجهل وقال محمد بن على
مضيعا لما يعنيه مشتغلا بما لا يعنيه وقال بعضهم ما دام الانسان قائما بطبعه
واقفا بحاله فانه فى ظلمة ومحنة فاذا فنى عن اوصاف انسانيته صار فى راحة
وقال الاستاد فى كبد اى فى مشقة يقاسى شدائد الدنيا وشدائد العقبى يعالج
خلقه فى بطن امه ثم نكس عند خروجه من بطن امه ثم فى القماط والشد والرباط
ثم الى الصراط ثم هو فى الهباط او المباط ايحسب اى جنس الانسان
ان لن يقدر عليه احد فينتقم منه يقول وقت الحساب اهلكت مالا لبدا
كثيرا والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة ايحسب ان لم يره احد حين كان
ينفقه او بعد ذلك فيساله عنه يعنى ان الله يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه
عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما من امور ظواهره ولسانا يترجم عن ضمائره
وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على مدعاه من النطق والاكل والشرب
وغيرها وهديناه النجدين الهمناه طريقى الخير والشر او الثديين واصل النجد
المكان المرتفع الشان قال ابن عطاء عينا فى راسه يبصر به آثار الصنع وعينا
فى قلبه يرى مواقع الغيب وقال الواسطى عينا عاما يرى به الكون وعينا خاصا
يرى به المكون وقال الاستاد اى خلقته سميعا بصيرا متكلما انتهى ولعل السمع
يستفاد من اللسان لتلازمهما فى معرض البيان اذ كل من يكون اصم يكون

الیکم والله اعلم فلا اقتحم العقبة فلم یشکر تلک النعم باقتحام العقبة وهو الدخول
فی امر شدید الکلفة والعقبة الطریق فی الجبل کالثنیة استعیر فی الکلام
لما فسّر به من الفک والاطعام فی قوله وما ادریک ما العقبة فک رقبة او اطعام
فی یوم ذی مسغبة یتیما ذا مقربة او مسکینا ذا متربة لما فیهما من مجاهدة النفس فی المکابدة
ثم المسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب فی النسب وترب
اذا افتقر وقراء ابو عمرو وابن کثیر والکسائی فکّ رقبة او اطعم بصیغة الماضی
علی الابدال من اقتحم وقوله وما ادریک ما العقبة اعتراض معناه انک لم تدر کنه
صعوبتها وغایة مثوبتها وقال القاسم فلا اقتحم العقبة ای مجاهدة النفس
الصعبة الا تری الی قوله وما ادریک ما العقبة فک رقبة وهو ان تعتق نفسک من
رق الخلق وتشغلها بعبودیة الحق وقیل فک الرقبة من الطمع والمذلة وقال ابو عثمان
المغربی عند قوله فی یوم ذی مسغبة هو ان تجوع عشرة ایام فیفتح لک بطعام فتؤثره
فیکون مسغبة ومن یأکله فی مظرک وقال جعفر الصادق فی قوله یتیما ذا مقربة
هو ما یتقرب به الی الرب فی تعهد الایتام وتفقدهم فی الایام وقال الاستاد العقبة
هی واسطة بین الجنة والنار یجاوزها الابرار ثم کان من الذین آمنوا عطف علی
اقتحم وثم لتباعد الایمان عن العتق والاطعام فی الرتبة لاستقلاله واشتراط
سائر الطاعات به وتواصوا فیما بینهم بالصبر علی الطاعة وتواصوا بالمرحمة
علی البریة ومنه قول الصوفیة مدار العبودیة علی تعظیم امر الله والشفقة علی
خلق الله اولئک اصحاب المیمنة الیمین او الیمن والبرکة والذین کفروا بآیاتنا
المتلوة والمنصوبة من الکتاب والحجة هم اصحاب المشأمة الشمال او الشؤم
والهلکة علیهم نار مؤصدة مطبقة مغلقة وقراء ابو عمرو وحمزة وحفص
بالهمزة من آصدته بمعنی اوصدته وافاد الاستاد ان العقبة التی یجب علی
الانسان اقتحامها بنفسه هو اعتاق رقبته من رق الاغراض والاشخاص
والاعراض ویکون فک الرقبة بان یهدی من یفکه من رق هواه ویرشده الی
سلامته من شح نفسه وملامته ویرجع الی الله لیخرج عن مذلته ویکون فک الرقبة
بالتحرز عن التدبیر والخروج عن ظلمات الاختیار الی سعة حسن الرضاء بالقضاء

سورة الشمس مکیة والتقدیر وهی خمس عشرة آیات

بسم الله الرحمن الرحیم قال الاستاد بسم الله کلمة تخبر عن جلال
ازل وجمال ابدی جلال لیس له زوال وجمال لیس له انتقال جلال لا باغیار
وامثال وجمال لا بصورة ومثال جلال من کاشفه به فاوصافه فناء
فی فناء ومن لاطفه به فاحواله بقاء فی بقاء والشمس وضحیها ای
وضوئها اذا اشرقت او وقت ضحیها اذا ارتفعت والقمر اذا تلیها

تبع طلوعه

تبع طلوعه طلوعها اول الشهر او غروبها لیلة البدر او تلاها فی الاستدارة
والقدر والنهار اذا جلیها اظهرها فانها تتجلی بزیادة الانوار اذا انبسط
النهار واللیل اذا یغشیها یغطی ضوءها ولعل العدول الی المضارع رعایة
الفاصلة والسماء وما بنیها ای من بناها او والشیء القادر الذی بناها
ودل علی وجوده وکمال قدرته وجوده بناؤها وقیل ما مصدریة فیها وفیما بعدها
والارض وما طحیها ای بسطها ونفس وما سوّیها ای اجزاءها واعضاءها
والتنکیر فی نفس للتکثیر فالهمها فجورها وتقویها الهام الفجور والتقوی
افهامهما وتعریف حالهما والتمکین من الاتیان بهما قال القاسم الهم
اهل السعادة التقوی واهل الشقاوة الفجور وقال الاستاد ای بان خذلها
ووفقها ویقال فجورها حرکتها فی طلب الرزق والتدبیر وتقویها سکونها
بحکم التقدیر وقیل طریق الخیر والشر قد افلح من زکّیها ای طهر نفسه عن
الرذائل وانماها بالفضائل وقال الاستاد ای من زکیه الله عن التعلق بما
سواه وهو جواب القسم قیل وحذف اللام لطول الکلام وفیه ان طوله یستدعی
زیادة الاهتمام واتیانه علی وجه التمام وقد خاب من دسّیها نقصها
واخفاها بالجهالة والضلالة واعلال دسّی کتقضّی قال ابو عثمان
افلح من نظر من این کسب مطعمه وخسر من غفل عن ذلک طرصه وطمعه
وقال ابو بکر بن طاهر افلح من طهر سره عن التدنس بالدنیا وخاب من
اشغل سره بها وغفل عن العقبی وقیل افلح من اقبل علی ربه وخاب من
اعرض عنه بقلبه وقیل دسها فی جملة الصالحین ولیس منهم وقیل جعلها
خسیسة ولم یجعلها نفیسة وقال الاستاد ای نفس دسّها الله قلت
فیکون المعنی قد افلح من زکیها الله ویؤیده ما ورد اللهم آت
نفسی تقویها وزکها انت خیر من زکیها انت ولیها ومولیها کذبت
ثمود بطغویها بتجاوزها وشأنها واصله طغیا قلبت یاؤه واوا
تفرقة بین الاسم والصفة اذ انبعث حین قام اشقیها
اشقی ثمود وهو قدار بن سالف وفضل الشقاوة لعقر الناقة فقال
لهم رسول الله صالح علیه السلام ناقة الله ذروها واحذروا اذاها
وسقیها ولا تمنعوها عنها فکذبوه فیما حذرهم منه من حلول العذاب
ان فعلوه فعقروها نسب الیهم لانهم رضوا بعقرها فدمدم فاطبق
العذاب علیهم ربهم بذنبهم بسبب کسبهم من شرکهم وعقرهم فسویها
فسوّی الدمدمة بینهم او العقوبة علیهم فلم یفلت صغیر ولا کبیر منهم
ولا یخاف ای الله عقبیها عاقبة الدمدمة والعقوبة التی فعلها بهم والوا

للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا بالعطف سئل الجنيد هل يسقط الخوف
قال لا كلما كان العبد اعلم بالله كان اشد خوفا منه ذكره السلمي وهو مستفاد
من قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ومن حديث انا اعلمكم بالله
واشدكم خشية

سورة الليل مكية وهي احدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد اسم من تجرد في طلبه عن الكسل
ولم يستوطن مركب العجز والفشل ووضع النظر موضعه وصل بدليل العقل الى
عرفانه ومن بذل روحه ونفسه وودع في الطلب روحه والنسه ولم يعرج في
اوطان الغفلة ظفر بحكم الوصل الى شهود سلطانه والناس فيه بين موفق
ومخذول ومؤيد ومردود والليل اذا يغشى يستر الاشياء او الشمس او النهار
او الافق بظلامه وقال الاستاد وليل اصحاب التحير يستغرق جميع اقطار
افكارهم فلا يهتدون الرشد الى انوارهم واسرارهم والنهار اذا تجلى ظهر بزوال
ظلمة الليل واستارها او تبين بطلوع الشمس وانوارها وقال الاستاد ونهار
اهل العرفان بضياء قلوبهم واسرارهم حتى لا يخفى عليهم شيء من امرهم فسكنوا بطلوع
الشمس الوهاج عن تكلف ايقاد السراج وما خلق الذكر والانثى وقرئ الذي
بدل ما اي القادر الذي اوجد صنفي الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وقيل ما
مصدرية وقال الاستاد اي ومن خلق الذكر والانثى ان سعيكم لشتى جمع شتيت
اي مساعيكم لانواع اشتات مختلفة وفيه ايماء الى انه سبحانه كما انه ابدع الخلق
بحسب الصورة نوع الخلق باعتبار السيرة وقد ورد ان الله قسم اخلاقكم كما قسم
ارزاقكم فسبحان من اقام العباد فيما اراد وقد قال صلى الله عليه وسلم كل الناس
يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها قال ابن عطاء باطن هذه الآية ان يرى
سعيه قسمة من الحق له من قبل التكوين والتخليق لقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم
وان للسعي مراتب كمراتب المتصلين بالسلطان الواصلين اليه والندماء والجلساء
واصحاب الاسرار الواقفين لديه كذلك سعي المريدين والمرادين والعارفين
والمشتاقين والواصلين والفانين عن اوصاف الخلق والمتصفين بنعوت
الحق وهذا مجال لا غاية له ولا نهاية ان سعيكم لشتى وقال الاستاد ان هذا جواب
القسم اي ان عملكم لمختلف فقوم سعيه في طلب دنياه وآخر سعيه في شهوات
نفسه واتباع هواه وآخر في طلب جاهه ومناه وآخر في طلب عقباه وآخر في
تصحيح تقواه وآخر في تصفية ذكراه وآخر في القيام بحسن رضاه وآخر في طلب
مولاه ومنهم من يجمع بين سعي النفس بالطاعة وسعي القلب بالاخلاص وسعي
البدن بالقرب وسعي اللسان بالذكر والقول الحسن ودعوة الخلق الى الحق ومنهم
من سعيه في هلاك نفسه وما ليه هلاك دينه ومنهم ومنهم فاما من اعطى الطاعة

واتقى المعصية وصدق بالحسنى بالكلمة العليا او بالشريعة الغراء فسنيسره
لليسرى فسنهيئه للخلة التي تؤدي الى اليسر والراحة الكبرى كدخول الجنة
وحصول الرؤية وقال الاستاد اي اعطى ماله من طيب قلبه واتقى مخالفة
ربه ويقال اعطى الانصاف من نفسه واتقى ان يطلب الانصاف لنفسه
ويقال اتقى مساخط الله وصدق بالحسنى بالجنة وبالكرة الآخرة وبالمغفرة
لاهل الكبيرة وبالشفاعة لارباب النبوة والولاية وبالخلف من قبل الله في الدنيا
والآخرة فسنيسره لليسرى نسهل عليه الطاعات ونكره اليه المخالفات
وننشئ اليه القرب ونهون عليه الطلب ونحبب اليه الايمان ونزين في قلبه
الاحسان ويقال الاقامة على طاعته والعود الى ما عمله من عبادته واما من
بخل بما امر به من طاعة المولى واستغنى بشهوات الدنيا عن درجات
العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها الاسنى فسنيسره للعسرى
للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار للعقوبة وسمي طريقة الخير
باليسرى لان عاقبة اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبة العسر
او اريد بهما طريقي الجنة والنار اي فسنهديهما في الآخرة للطريقين المختلفين
للابرار والفجار وما يغني عنه ماله نافية او استفهامية انكارية اي ما يدفع
من سوء ماله اذا تردى هلك وضاع ماله او سقط في حفرة قبره او في جهنم
وقعره ان علينا للهدى اي للارشاد الى الاكمال فضل كما ان لنا الابعاد بالاضلال
عدلا لقوله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وحذف للاكتفاء او لتعليم الادب
في مقام الثناء او المراد بالهداية الدلالة كما قال وهديناه النجدين اي طريقي الخير
والشر وان لنا للآخرة والاولى فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء من اهل
الكونين قيل المعنى من طلب الآخرة والدنيا من غيرنا فقد اخطا الطريق عنا
ثم قدم الآخرة لانها الحيوة العقبى فالاهتمام بتقديم امرها هو الاولى
فانذرتكم خوفتكم كلكم نارا تلظى اي تتلهب لا يصليها لا يدخلها او لا
يحرق بها الا الاشقى الجامع بين شقاوة الدنيا والآخرة او بين شقاوة الكفر
والمعصية وهو الكافر بخلاف الفاجر فان شقاوته قاصرة ولذا وصفه بقوله
الذي كذب بآيات الله وتولى اعرض عن طاعة رسل الله وسيجنبها
الاتقى الجامع بين تقوى الشرك والمعصية والعاصي من اهل الايمان حاله مستور
كما في سائر آي القرآن الذي يؤتي ماله يصرفه في مصارف الخير لقوله يتزكى
فانه بدل من يؤتي او حال من فاعله اي يتطهر من الذنوب ويتنظف من العيوب
قال ابن عطاء الزم دهم المتقون والاتقى من تركها جملة واعرض عنها كلية
كالصديق اعطى الفاني لربه وابقى الباقي لنفسه وما لاحد عنده من نعمة

تجزی فیقصد باتیانها مجازاتها اولا یفعل هذه لیتخذ عند احد یطلب منه
مکافاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلی استثناء منقطع ولسوف یرضی وعد
بالثواب الذی یرضیه فی العقبی والایات نزلت فی ابی بکر رض حین اشتری
بلالا فی جماعة یوذیهم المشرکون فاعتقهم ولذا قیل المراد بالاشقی ابو جهل لکن العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال الواسطی ولسوف یرضی بما عوضناه عما انفق
لن فما خسرت تجارة من کان له عوضنا وقال الجنید یصل الیه انوار الرضا ویحقق
له مقامه برضانا عنه فانه لا یصل الی مقام الرضا عن الله احد الا برضی الله عنه
قلت وفی تقدیم رضی الله عنهم ورضوا عنه اشارة الی ذلک کما فی
قوله یحبهم ویحبونه ایماء الی ما هنالک قال الاستاد ای یرضی الله عنه ویرضی هو
بما یعطیه الله

سورة الضحى مکیة وهی احدی عشرة آیة

بسم الله الرحمن الرحیم قال الاستاد اسم من لا یشبهه کفو فی ذاته وصفاته
ولا یستفزه لهو فی اثبات مصنوعاته ولا یعتریه سهو فی علمه وحکمته ولا یعرض
لغو فی حکمه وکلمته فهو حکیم لا یلهو وعلیم لا یسهو وحلیم یثبت ویمحو فالصدق قوله
والحق حکمه والخلق خلقه والملک ملکه والضحى وقت ارتفاع الشمس وظهور
ضیائها وتبین بهائها وخص القسم به لان موسی عم فیه سمع کلام ربه وقال
الاستاد اقسم بصلوة الضحى واللیل اذا سجی سکن اهله فی محاله ورکد ظلامه
فی اهله وتقدیم اللیل فی السورة المتقدمة باعتبار الاصالة وتقدیم النهار
هنا باعتبار الشرافة او تقدیم اللیل علی النهار للاشعار الی ما ورد فی الاخبار
من ان الله خلق الخلق فی ظلمة ثم رش علیهم من نوره وعکسه للاشارة الی ان رحمته سبقت
غضبه فالاول بالنسبة الی وجود الخلق والثانی بالاضافة الی شهود الحق ففیهما
معنی التفرقة والجمع المطلق وقیل اقسم به علیه السلام فالضحى کنایة عن وجهه الانور
واللیل عبارة عن شعره الازهر او قسم منه سبحانه بتجلیات انوار جماله وسبحات
اسرار جلاله وقال جنید الضحى هو مقام الشهود یعنی مقام العین الذی قال
لی مع الله وقت لا یسعنی فیه ملک مقرب ولا نبی مرسل واللیل مقام الغین الذی
قال فیه انه لیغان علی قلبی وقال الاستاد ای لیلة المعراج او حین ینزل الله الی
السماء الدنیا علی التاویل الذی یصح فی وصفه تعالی ما ودعک ربک ما قطعک
قطع المودع او ما ترکک ترک القاطع ویؤیده انه قرئ بالتخفیف وهو جواب
القسم الشریف وما قلی وما ابغضک وحذف المفعول استغناء بذکره من
قبله ومراعاة للفواصل من شکله روی ان الوحی تاخر عنه علیه السلام ایاما لحکمة
یقتضیها المقام فقال المشرکون ومن عاداه ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت
ردا علیهم وزاد فی مقام رضاه وفی تفسیر السلمی ما حجبک عن قربه حین بعثک

الی خلقه وقال الواسطی ما اهلک بعد ما فی مقام الاصطفاء استهلک وللآخرة
خیر لک من الاولی فانها باقیة خالصة عن شوائب الاکدار وهذه فانیة مشوبة
بانواع المضار کانه لما بین انه تعالی لا یزال یواصله بالوحی والکرامة فی الدنیا
من الفتوحات علی امته وعده ما اعد له مما هو اعلی واعلی واجلی من ذلک
فی آخرته او المعنی ونهایة امرک خیر من بدایته فانه لا یزال یتصاعد فی الرفعة
والکمال وقد یقال فی جمیع الاحوال للحالة الآخرة خیر لک من الاولی کما یشیر الیه
قوله وانه لیغان علی قلبی وانی لاستغفر الله سبعین مرة یعنی من التوقف
فی الحالة السابقة لعدم الاطلاع علی ما له من الترقی فی الحالة اللاحقة وذلک لان
السیر فی الله لا یتناهی لا فی الدنیا ولا فی العقبی وفی قوله ولدنیا مزید مزید بیان
لترقیات المرید علی الوجه التابید والتأیید وقال سهل ما ادخر لک فی الآخرة
من المقام المحمود ومحل الشفاعة خیر مما اعطاک فی الدنیا من مرتبة النبوة والرسالة
وقال یحیی بن معاذ الدنیا لا تنال الا بالمحنة والآخرة لا تنال الا بالمشقة فاطلب
لنفسک ابقاهما وقال جنید ترک الدنیا شدید وفوت الآخرة اشد قلت
قال تعالی ولعذاب الآخرة اشد وابقی ولسوف یعطیک ربک فترضی وعد
شامل لما اعطاه الله من کمال النفس وظهور امره علی من عاداه ولما ادخر له مما
لا یعرف کنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدا والتقدیر ولانت
سوف یعطیک ربک فترضی ای غایة الرضاء فانه کان دائما فی مقام الرضا
بالقضاء ولذا قیل له فترضی بالعطاء عن المعطی فقال لا الم یجدک یتیما فآوی
تعدید لما انعم علیه تنبیها علی انه کما احسن الیه کذلک یحسن فیما یستقبل لدیه
وذلک ان اباه مات وهو جنین قد اتت علیه ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثمانی
سنین فکفله عمه ابو طالب وعطفه الله علیه فلمه لدیه واحسن فی تربیته الیه
ویجدک من الوجود بمعنی العلم ویتیما مفعوله الثانی او المصادفة ویتیما حال وفیه
ایماء الی انه در یتیم وجد فی بحر الوجود واستغرق فی یم الشهود وقال ابن عطا
لا یکون الوجدان الا بعد الطلب وکان طالبا له فی الازل فوجده وقال الاستاد
ای آواک الی کنف حمایته ورباک بلطف رعایته ویقال فآواک الی بساط
القربة بحیث انفردت بمقامک فلم یشارکک احد فی هذه الرتبة ووجدک ضالا
عن تفاصیل الحکم والاحکام مما به احکام الاسلام فهدی فعلمک بالوحی
والالهام او وجدک طالبا للجمال متحیرا فی الجلال فهداک له بجمیعه الحال الی المقام
الکمال وقال ابن عطا الضال فی اللغة هو المحب فی وجه الکمال ای وجدک محبا
للمعرفة الکاملة فمن علیک بالهدایة الشاملة وذلک فی قصة یوسف علیه السلام انک
لفی ضلالک القدیم ای محبتک القدیمة لذلک الغلام وقال الاستاد ای ضالا فینا

سخر الدنيا فهديناك بنا الينا ودللناك بفضلك علينا وقيل فيما بين قوم ضلال
فهداهم بك الى مقام كمال ويقال ضالا في المحبة فهديناك بنور القربة ويقال ضالا
عن محبتي لك فعرفتك اني احبك ويقال جاهلا بمحل شرفك وسر قدرتك
بقدرك ويقال مستترا في اهل مكة لم يعرفك احد فهداهم اليك حتى عرفوا ما لديك ووجدك
عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح تجارة مال قال ابن عطاء وجدك
فقير النفس فاغنى قلبك بغناه كما قال عليه السلام ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى
غنى النفس وقال الاستاذ اي اغناك عن الارادة والطلب بان ارضاك بالقصد
في المطلب ويقال اغناك بالنبوة وبالكتاب والسنة ويقال اغناك بالله
عما سواه ويقال اغناك عن السؤال فيما اعطاك ابتداء من النوال فاما اليتيم
فلا تقهر اي لا تغضب عليه وانظر بعين الشفقة والمرحمة اليه وقرئ فلا تكهر اي لا تعبس
وجهك لديه واما السائل للمال او الطالب للكمال فلا تنهر فلا تزجر بل استقبله
بالاقبال وبالجمع بين المعنيين حصل الكشف بان النشر مرتب على اللف فينبغي قوله
واما بنعمة ربك فحدث فذلكة للكلام وخلاصة للمرام كما سيأتي بيان قيامه بهذا
المقام وقال ابن عطا المؤمنون كلهم ايتام الله وفي حجره فلا تقهرهم اي لا تبعدهم
عنك ولا تطردهم منك والسؤال هم اسراء الله فلا تنهرهم بل الطف بهم وارحمهم
وقال جعفر الصادق اليتيم هو العاري عن خلقة الهداية فلا تقنطه من رحمتي
فاني قادر ان البسه لباس الهداية في النهاية والسائل اذا سألك عني فدله بالطف
دلالة علي فاني قريب مجيب وقال الاستاذ اي السائل عنا المتحير فينا فلا تنهرهم
فانك تهديهم وتكشف موضع سؤالهم عليهم فلاطفهم في القول اليهم واما بنعمة ربك
فحدث فان التحدث بها شكرها واظهر انواع شكرها ذكرها ولم يقل سبحانه فاخبر مع انه
الملايم للفواصل للاشعار بان اللائق في التحدث بالنعمة ان يكون شكرا لا فخرا ولذا
قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر
وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي ولا فخر وانا اول من تنشق
عنه الارض ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر رواه احمد والترمذي
وابن ماجه عن ابي سعيد والمعنى لا اذكره افتخارا بل تحدثا بنعمة ربي اشتهارا
او معناه لا افتخر بهذه المقامات بل افتخر بقربي اليه في مقام تجليات الذات
والصفات وقال جعفر الصادق اخبر الخلق بما انعمت عليهم بك وبمكانك
وقال ابن عطا حدث به نفسك كيلا تنسى فضلي عليك قديما وحديثا وجاء في حديث
رواه البزي من قراء مكة عن عكرمة قال قرأت على اسمعيل فاذا بلغت والضحى قال
لي كبر مع خاتمة كل سورة حتى تختم فاني قرأت على عبد الله بن كثير فامرني بذلك واخبرني
انه قرأ على مجاهد فامره بذلك واخبره انه قرأ على ابي فامره بذلك واخبره انه قرأه

الى النبي صلى الله عليه وسلم فامره بذلك ولعل وجه التكبير في آخر هذه السورة لما
ارتفع عنه عليه السلام ما كان يشتكي من الضرورة او يقال المعنى الله اكبر من ان
يقطع عن عبده محبته الازلية المستلزمة لمرتبة الرضاء الابدية لان ما ثبت قدمه
استحال عدمه وقد قال تعالى فمن استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها
وهذا بالخصوص ارباب النبوة واصحاب العصمة لا شك فيه ولا شبهة بل وكذا بالنسبة
الى اولياء الامة ولذا قال شيخ مشايخنا ابو الحسن البكري قدس سره السري اذا
دخل الايمان القلب امن السلب ويؤيده قول بعض العارفين ان من رجع
انما رجع من الطريق والله ولي التوفيق واما خوف الخاتمة فلابهام السابقة لان
السابقة تحكم على اللاحقة قال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك
عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون

سورة الم نشرح مكية وهي ثمان آية بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاذ اسم عزيز عز من التجأ اليه وجل من توكل عليه وفاز في الدنيا
والعقبى من توسل لديه فمن تقرب منه قربه ومن شكا اليه حقق له ما طلبه
ومن رفع قصته اليه قضى اربه الم نشرح لك صدرك الم نفسحه حتى وسع
مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا آيبا كان بائنا او الم نوسعه بما اودعنا
فيه من الحكم والاحكام وازلنا عنه ضيق الجهل وظلام المهانة ومعنى الاستفهام
انكار نفي الانشراح مبالغة في اثباته فالتقدير قد شرحنا لك صدرك
ولذا عطف عليه ووضعنا عنك وزرك ثقل حملك الذي انقض ظهرك اي
كسره حيث غلبك وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة حيث قال له ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر او من حيرته في مقام دعوته لحصول ضيق
التفرقة في حالته فاوصله الى مقام فضاء الجمع الذي لا ينفر الكثرة مع شهود
وحدته قال جعفر الصادق الم نشرح لك صدرك بمشاهدتي ومطالعتي وقال
سهل الم نوسع سرك بقبول ما يرد عليك من انوار المعرفة ووضعنا عنك
وزرك اعباء النبوة والرسالة فكنت فيها محمولا لا حاملا وقال ابن عطا
الم نخل سرك عن الكل فغبت عن مشاهدة الكونين ووضعنا عنك وزرك الم
نزل ملاحظة المخلوقين عن سرك في الدارين ورفعنا لك ذكرك بالنبوة والرسالة
والسيادة وباقتران اسمك باسمي في كلمتي الشهادة وجعل طاعتك طاعتي سبب
تحصيل السعادة فان مع العسر كضيق الصدر والوزر الكاسر للظهر يسرا
من الوسع والوضع وقال ابو بكر الوراق مع اجتهاد الدنيا جزاء الجنة في العقبى
ان مع العسر يسرا تكرير للتأكيد وتقرير للتأبيد او استئناف وعده بان العسر
في الدنيا مقرون بيسر آخر من ثواب العقبى كما ورد ان للصائم فرحتين فرحة

عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولذا قال عليه السلام لن يغلب عسر يسرين فانّ العسر
معرّف فلا يتعدّد واليسر منكر فلا يتجدد وافاد الاستاد انّ العسر الواحد ما كان
فى الدنيا واليسران احدهما فى الدنيا من الخصب وزوال البلاء والثانى فى الآخرة
مع حسن الجزاء لانّ عسر جميع المؤمنين واحد وهو ما نابهم من الشدائد فى الدنيا
ويسرهم اثنان اليوم بالكشف والصرف وغدا بالجزاء واللطف فاذا فرغت
من تبليغ الرسالة فانصب فاتعب فى العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم
الماضية ووعدناك بالمنن الآتية او اذا فرغت من المجاهدة فاجتهد فى المشاهدة
او اذا فرغت من الصلوة والثناء فى السؤال والدعاء او اذا فرغت عن عبادة
فاجتهد فى اخرى وهلمّ جرّا وقال جعفر الصادق اذكر ربك عند فراغ منك عما دونه
بقلبك وقال الاستاد اذا فرغت من الصلوة المفروضة فارغب فى العبادة
النافلة والى ربك فارغب بالسؤال ولا تلتفت الى غيره فى جميع الاحوال وقد
ورد فى دعاء الامام احمد اللهم كما صنت وجهى عن سجود غيرك فصن وجهى عن مسئلة
غيرك

سورة التين مكية وهى ثمان آية بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاد كلمة تدلّ على جلال من لم يزل تخبر عن جمال من لم يزل تنبّه عن اقبال
من لم يزل تشير الى افضال من لم يزل فالعارف شهد جلاله فطاش والصفى
شهد جماله فعاش والولىّ شهد اقباله فارتاش والمريد شهد افضاله فلم يطلب
مع كفاية المعاش والتين والزيتون اقسم بشجرتهما او ثمرهما لانهما عجيبان
من بين اصناف الاشجار وغريبان من بين انواع الاثمار فروى انه اهدى لرسول الله
صلّى الله عليه وسلّم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة
نزلت من الجنة لقلت هذه لانّ فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير
وتنفع من النقرس وقد قال صلّى الله عليه وسلّم كلوا الزيت وادّهنوا به
فانه من شجرة مباركة ومرّ معاذ بن جبل بشجر الزيتون فاخذ منها قضيبا
واستاك به وقال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول نعم السواك
الزيتون من الشجرة المباركة يطيّب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو
سواكى وسواك الانبياء قبلى وافاد الاستاد انه سبحانه اقسم بالتين
لما اعظم به المنّة على خلقه حيث لم يجعل فيه النوى وخلصه عن شوائب التنغيص
والردى وجعله على مقدار اللقمة لتتكامل فيه اللذة وبالزيتون لما فيه
من المنافع كالاستصباح به والتأدم والاصطباغ فيه وطور سينين
يعنى الجبل الذى ناجى عليه موسى عليه السلام ربه عزّ وجلّ فى مقام الكلام وسينين
وسيناء للموضع الذى فيه ذلك الكرام قال الاستاد ولموضع قدم الاحباب
مزيّة وهذا البلد الامين اى الآمن او المأمون فيه يأمن فيه من دخله

والمراد به

والمراد به مكة المعظّمة قال ابن عطاء امنها بكونك منها فانك امان فى كل
مكان وزمان وقال الاستاد وللبلد الحبيب قدر ومنزلة لقد خلقنا الانسان
اى جلس الانس فى احسن تقويم تعديل فى مقام الانس حيث خصّ بانتصاب
القامة وحسن الصورة وكمال السيرة واستجماع خواص الكائنات ونظائر
سائر الممكنات قال الصادق اى فى احسن صورة ويؤيّده قوله تعالى وصوّركم
فاحسن صوركم وقال الاستاد فى اعتدال قامته وحسن تركيب اعضائه وهيئته
وهذا يدلّ على انّ الحقّ ليس له صورة وهيئة لانّ كلّ صفة اشترك فيه الخالق
والخلق فالمبالغة للحق كالعلم الا علم الله والقدرة الا قدرة الله فلو اشترك الخالق
والخلق فى التركيب والصورة لكان الاحسن فى الصورة الله فلمّا قال للانسان
فى احسن تقويم علم ان الحق سبحانه منزّه عن التقويم والصورة انتهى واما ما ورد
انّ الله خلق آدم على صورته فمعناه على صفته من اوصاف الكمال كالحيوة
والعلم والقدرة والارادة والكلام او على نعته الجامع بين الجمال والجلال كما يشير
اليه قوله خمّرت طينة آدم بيدى اربعين صباحا وكذا حديث قلب بنى آدم
بين اصبعين من اصابع الرحمن وتوضيحه ان الملائكة مظاهر اسماء الجمال ولذا
لا يظهر منهم الا الطاعة والشياطين مظاهر اسماء الجلال ولذا لا يتصوّر منهم غير
المعصية فالمعجون المركّب والنسخة الجامعة لصفات الرب انما هو الانسان
لظهور الآثار المختلفة فيه من الطاعة والمعصية ولو بالنسيان فلو مال الى جانب
الملكية غلبهم فى الافضلية ولو مال الى طرف الشيطانية غلبهم فى الشرارة النفسانية
ولهذا المعنى استحقّ ان يحمل كلفة الامانة الدائرة بين الوفاء والخيانة ثم رددناه
اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل السافلين وهو دار البوار
او الى ارذل العمر بان صيّرناه الخرف العاجزين فيكون الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات منقطعا فلهم اجر غير ممنون غير منقطع اذا عجز عن الطاعة
بعذر كمرض وسفر وكبر كما جاء فى خبر او غير منقطع بل موصول الى ابد الابدين
ولا يبعد ان يقال جعلنا الانسان فى احسن صورة من قبول انوار الهداية وقابلية
اسرار الرعاية بحكم سبقت رحمتى غضبى ثم رددناه الى اسفل سافلين من الظلمات
الطبيعية ولكن فات النفسية الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات حيث
جمعوا بين الكمالات العلمية القلبية والحالات العملية القالبية فلهم اجر
غير ممنون غير منقطع عن الامداد الالهية بل لهم اتصال الفيوض السرمدية
والفيوض الابدية فما يكذّبك فاىّ شئ يكذّبك يا محمد بعد اى بعد ظهور هذه
الادلة بالدين بالدين بالجزاء بعد الاعادة وقيل الخطاب للانسان على
الالتفات فى معرض البيان والمعنى فالذى يحملك على تكذيب الدين مع هذا

البرهان المبين والبيان المبين اليس الله باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا وقضاء
وتقديرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء هنالك ويستحب
للانسان ان يقال هنا بلى لان لا يبتلى بالبلاء وقال الاستاد اسفل سافلين اى
النار والهاوية فى اقبح صورة فيكون اول الآية عاما للابرار والفجار وآخرها خاصا
فى الكفار كان التاويل بالعموم خاص فى بعض بنى آدم اذ ليس كلهم يبلغون الهرم
ويقال ثم رددناه اسفل سافلين الى حال الكفر والشقاوة الا المؤمنين فانهم اهل
الاحسان والسعادة

سورة العلق وقيل القلم مكية وهى تسع عشرة آية

وهى اول سورة نزلت وقيل الفاتحة ذكره القاضى والصحيح ان اول ما نزل صدر
هذه السورة الى قوله علم الانسان ما لم يعلم وهو مبداء النبوة ثم سورة المدثر
وهو مبداء الرسالة ثم سورة الفاتحة فى ابتداء تكليف الصلوة من العبادة
بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد كلمة سماعها يوجب احد امرين اما صحوا
واما محوا لمن سمع بشاهد العلم فيستبصر بواضح برهانه ومحوا لمن سمع بشواهد المعرفة
لا يتحير فى جلال سلطانه اقرأ باسم ربك اى اقراء القرآن مفتتحا باسمه او
مستعينا به وافاد الاستاد ان كل الناس كانوا مريدين وهو صلى الله عليه وسلم
كان مرادا فاستقبله الامر فقال ما انا بقارئ فقال اقراء كما اقول لك اقراء
باسم ربك الذى خلق اى الذى خلق الخلق ليظهر صفات الحق ثم افرد ما هو
اشرف جنسا واظهر انسا بحسب تعلق الارادة وادل على وجوب العبادة من
القراءة المرادة بقوله خلق الانسان من علق جمع علقة والجمع لان الانسان
فى معنى الجمع ويترقى من حال التفرقة الى مقام الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة
الله تعالى باعتبار شهوده نزل اولا ما يدل على وجوده وكرمه وجوده وكمال قدرته
وجمال حكمته اقراء تكرير للمبالغة فى التقرير او التكثير او لما قيل له اقراء باسم
ربك فقال ما انا بقارى فقيل له اقراء وربك الاكرم الزائد فى الكرم على كل
كريم من الخليقة بل هو الكريم وحده على الحقيقة الذى علم بالقلم اى الخط
وقد قرئ به والمعنى ليقيد به العلم بالتقييد ويعلم به البعيد علم الانسان
ما لم يعلم من العلوم الضرورية والكسبية فيعلمك القراءة البديعية
وان لم تكن قاريا لانك من الامة الامية وقد عدد سبحانه مبداء امر
الانسان ومنتهى شانه اظهارا لما انعم عليه واشعارا بنقله من اخس المراتب
الى اعلاها لديه تقريرا الربوبية وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على
معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل نقلا كلا قيل معناه حقا او الا ان الانسان
ليطغى ليظهر طاغيا عاصيا ان رآه استغنى اى راى نفسه مستغنيا
باغنيا قال ابن عطاء رؤية الغنى يورث الطغيان والبطر لان الغنا يورث

الفخر والفخر يورث الطغيان وقال الاستاد اى تجاوز حده اذا راى
نفسه انه استغنى لانه يعمى عن موضع افتقاره ولم يقل ان استغنى بل قال ان
رآه استغنى فاذا لم يكن معجبا بنفسه وكان مشاهد المحل افتقاره لم يكن طاغيا
ان الى ربك الرجعى اى الى حكمه رجوع المطيع والعاصى والدانى والقاصى ففيه
وعد ووعيد ارايت قراء الكسائى بحذف الهمزة الثانية حيث جاء وسهلها
نافع وابدلها ورش والمعنى اعلمت او ابصرت الذى ينهى عبدا اى عظيما فى
مرتبة العبادة اذا صلى فى مقام الارادة نزلت فى ابى جهل قال لو رايت
محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبه فقيل له ما لك فقال ان
بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ارايت ان كان العبد
المصلى على الهدى او امر غيره بالتقوى عن اشراك الله بالسوى ارايت
ان كذب الناهى كلام ربه وتولى اعرض عن طاعة رسوله الم يعلم بان الله
يرى يطلع على احواله وطغيانه وضلاله وافاد الاستاد ان مفعول يرى
محذوف اى من الذى يستحقه من هذا صفته والتخويف برؤية الله تنبيه على
المراقبة ومن لم يبلغ حال من المراقبة لم يرتق منه الى حال المشاهدة كلا ردع
للناهى لئن لم ينته عما فيه من المعصية لنسفعا بالناصية لنأخذن
بناصيته ولنسحبنه بها الى هاويته وكتبته بالالف فى المصحف على حكم الوقف
ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها بما بعدها ثم وصفها
بهما وهما لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة فى ذمها فليدع ناديه اهل
مجلسه واصحاب انسه ليعينوه فى النار الحامية روى ان ابا جهل مر برسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزلت سندع
الزبانية ليجروه الى الهاوية كلا ردع للناهى لا تطعه نهى للمصلى اى
اثبت انت على طاعتك واسجد دم على سجودك واقترب الى ربك
فى مقام شهودك وفى الحديث اقرب ما يكون العبد لربه اذا سجد قال الحسين
ان الله تعالى لم يبح للجوارح ترك التحلى بمحاسنها وذلك اظهار للربوبية على العبودية
وقال الاستاد اى اقترب من شهود الربوبية بقلبك وقف
على بساط العبودية بنفسك ويقال فاسجد لنفسك واقترب
بسرك

سورة القدر مدنية وهى خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد كلمة تحضر قلوب العلماء لتامل
الشواهد وتسكر قلوب العارفين بشراب المحبة اذا وردوا تلك المشاهد
فهؤلاء احضرهم فبصرهم وعلى استدلالهم وجههم نصرهم وهؤلاء بشراب

محاذبة اسكرهم و فى شهود جلاله حيرهم انا بعظمتنا انزلناه اى القرآن العظيم
فى ليلة القدر اى ذا الوقت الكريم واضمر للقرآن من غير ذكر فى معرض البيان
للتلويح الى ان له النباهة المغنية عن التصريح وانزاله فيها بان ابتدئ انزاله
منها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله نجوما
فى ثلث وعشرين سنة قال سهل ليلة قدرت لعبادى فيها الرحمة وافاد الاستاذ انها ليلة
قدر فيها الرحمة لاوليائه ليلة يجد العابدون فيها قدر نفوسهم وسجودهم ويشهد العارفون
قدر معبودهم فشتان بين وجود قدر وبين شهود قدر فلهؤلاء وجود قدر ولكن قدر
انفسهم ولهؤلاء شهود قدر معبودهم وما ادريك ما ليلة القدر فى ابهام بيانه تفخيم لشأنها
ليلة القدر خير من الف شهر ليس فيها ليلة قدر وهى اوتار العشر الاخير عند الاكثر
والسابقة فيها على الاظهر الا شهر والحكمة فى اخفائها ان يحيي من يريدها ليالى كثيرة
طلبا لتحصيلها فكثر العبادة ويتضاعف ثواب تكميلها ولئلا يتكل الناس عند ظهورها
على اصابة الفضل فيها فيفرطوا فى غيرها فالقدر بمعنى الفضيلة والعظمة كقوله
تعالى وما قدروا الله حق قدره اى ما عظموه حق عظمته او سمى بها لتقدير الامور
فيها لقوله سبحانه فيها يفرق كل امر حكيم ويسلم للحفظة ليلة النصف من
شعبان او بالعكس فالقدر بمعنى التقدير ومنه خبر وتؤمن بالقدر بفتح
الدال وسكونها وذكر الالف اما للتكثير او لما روى انه عليه السلام ذكر
اسرائليا لبس سلاحا فى سبيل الله الف شهر فتعجب المؤمنون وتقاصرت
اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى تنزل
تتنزل الملئكة والروح جبريل او ملك عظيم او ارواح الانبياء من عالم
الارتقاء الى الارض او السماء الدنيا او الى المؤمنين من ارباب الاحياء
فيها باذن ربهم والجملة بيان لما فى ليلة القدر من الفضل على الف
شهر وفى تفسير السلمى قيل نزول الملائكة فى تلك الليلة لاستزواح قلوب
العارفين بامره سبحانه للملائكة فى زيارة عباده المؤمنين من كل امر
من اجل كل امر قدر فى تلك السنة سلام هى اى ما هى الا سلامة
والمعنى لا يقدر الله فيها الا السلامة ويقضى فى غيرها السلامة والعاهة
او ما هى الا سلام لكثرة ما يسلم الملائكة الكرام والارواح العظام فيها
على اهل الاسلام وتنوينه للتكثير وافاد الاستاذ ان مع كل مامور منهم
سلام على الولى انتهى والاظهر ان الخبر مقدر اى فيها سلام كثير او عظيم
وهى مبتداء خبره حتى مطلع الفجر اى وقت مطلعه او طلوعه بناء
على انه مصدر ميمى او اسم زمان وقراء الكسائى بالكسر على انه مصدر
شاذ كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وقال الاستاذ هى

باقية

باقية الى ان يطلع الفجر ليلة هى قصيرة على الاحباب لانها فى المسامرة
والخطاب وكما قيل يا ليلة من ليالى الزهر قابلت فيها بدرها ببدر لم يك غير شفق
وفجر حتى تولت وهى بكر الدهر

سورة البينة مكية وهى ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاذ اسم عزيز يتصل اليه المذنبون فيغفرهم
ويتكل عليه العارفون فيجبرهم ويتوسل اليه المطيعون فيوصلهم وينصرهم ويتعرف
اليه العاملون فيبصرهم ويتقرب منه العارفون فيقربهم لكنه فى جلاله حيرهم لم يكن الذين
كفروا من اهل الكتاب اى اليهود الذين قالوا عزير ابن الله والنصارى الذين قالوا
المسيح ابن الله ثالث ثلاثة والمشركين عبدة الاصنام من اهل مكة منفكين
منتهكين عما كانوا عليه من الكفر والمعصية حتى تاتيهم البينة اى الرسول صاحب
الحجة فانه مبين للخلق طريق الحق ويؤيده رسول من الله فانه بدل من البينة
او المراد بها القرآن الذى حجة لكونه معجزة ورسول ح مبتداء خبره يتلوا صحفا
مطهرة واطلاق الصحف باعتبار ما كان فى صحف مكرمة او باعتبار المآل
فى ايدى الامة وكونها مطهرة انها لا يمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة
مكتوبات مستقيمة ناطقة عن طريقة قويمة او فيها مضمون الكتب المنزلة
وقال الاستاذ اى لم يزالوا مجتمعين على تصديقه لما وجدوه فى كتبهم الى ان
بعثه الله فلما بعث حسدوه وكفروا به انتهى وتوضيحه ان اهل الكتاب كانوا
يستفتحون على المشركين ويقولون سيظهر نبى آخر الزمان وننصره فى الدين
وينصره الله على اعدائه ويحصل العزة والغلبة لاوليائه وكانوا يظنون انه من
بنى اسحق لان اكثر انبياء بنى اسرائيل كانوا من نسله فلما جاءهم ما عرفوا
من نعته لكن ظهر من نسل اسمعيل كفروا به بغيا وعدوا فى حقه وكان المشركون
من اهل مكة على ما سمعوا من آبائهم انه يظهر نبى آخر الزمان من ابنائهم
وانه يكون شرفا لهم فى اثنائهم متواعدين انه اذا ظهر يوافقونه ويتبعونه
على توهم ان الشرك ملة ابراهيم فلما جاء بالاسلام وتوحيد الملك العلام
انقلبوا عليه ولم يلتفتوا اليه وتعصبوا على باطلهم لديه وما تفرق الذين
اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان امن بعضهم الا من بعد ما جاءتهم
البينة وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على
شناعة حالهم حيث تفرقوا مع علمهم ببعث النبى واتباعه وحسن مآلهم
وما امروا اى فى كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لا يشركون به
اى وما امرواهم وغيرهم الا ليعبدوا الله دون غيره مخلصين له الطاعة
عن الرياء والسمعة وافاد الاستاذ ان الاخلاص ان لا يكون شئ من حركاته
وسكناته الا لله ويقال الاخلاص تصفية الاعمال من الخلل فى الاحوال انتهى

وقال الفضيل العبادة لغير الله شرك وتركها لغيره رياء والاخلاص ان يخلصك الله
منهما حنفاء مائلين عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة اى يجروا
باقامة العبادة البدنية والمالية فانهما عمدة الطاعات الدينية لا سيما والصلوة
ناهية عن المعاصي الدنية والاخلاق الردية وذلك دين القيمة دين الملة القيمة او دين
الامة المستقيمة او طاعة القوية وقال الاستاد اى الشريعة القيمة ان الذين كفروا من
اهل الكتاب والمشركين اى من السابقين واللاحقين في نار جهنم اى يوم القيمة
او في الحال لملابستهم ما يوجب تلك العقوبة خالدين فيها حال كونهم مقيمين بها
غير متحولين عنها اولئك هم شر البرية الخليقة وقرأ نافع وابن ذكوان البرية بالهمز
على اصل الكلمة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية سبق
مبنى ومعنى جزاؤهم اى ثوابهم على طاعاتهم عند ربهم جنات عدن بساتين
اقامة واماكن نعمة ودوامة تجري من تحتها الانهار اى من تحت الاشجار ذوات
الاثمار خالدين فيها ابدا مديمين بها سرمدا رضي الله عنهم استيناف لما يكون
لهم زيادة على جزائهم لقوله تعالى ورضوان من الله اكبر ورضوا عنه لانه سبحانه بلغهم
اقصى امانيهم مع حصول البقاء ووصول اللقاء هذا وبلسان الاشارة معناه
تعلق رضي الله عنهم في الازل فرضوا عنه الى الابد ولولا رضاء السابق لما تصور منهم
الرضى اللاحق فالرضاءان متلازمان وان كان باعتبار مبدئهما مختلفان كقوله سبحانه
يحبهم ويحبونه وقال جنيد الرضاء يكون على قدر قوة العلم والرسوخ في المعرفة ارادة
رضى العبد عن ربه وقال السري اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضاء يعني
ان كنت تريد رضاء الله فارض بما قدره وقضاه او علامة رضاه عنك رضاك عنه
وقال الواسطي الرضاء هو النظر الى الاشياء بعين الرضى حتى لا تسخط بشيء الا
بما يسخط به المولى وافاد الاستاد ان معنى الآية لم يبق لهم مطالبة الا حققها لهم
والرضى سرور القلب بمر القضاء ويقال سكون القلب تحت جريان حكم الرب
ذلك اى ما ذكر من الجزاء والرضاء لمن خشي ربه في عالم الفناء ورضي بما جرى به
القضاء وانما اقتصر على الخشية فانها ملاك الامر والباعث على كل ما فيه الاجر
وقال سهل الخشية سر والخضوع ظاهر ولعله اراد ان لا يغرك خشوع الظواهر لان العبرة

سورة الزلزال مدنية باسرار الضمائر وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد كلمة من تأملها بمعانيها ووقف على
ما اودع في مبانيها رتعت اسراره في رياض من الانس مونقة وانفقت افكاره
بلوائح من اليقين مشرقة فهي على جلال الحق شاهدة وعلى ما يحيط به الذكر وبائه
عليه للحصر زائدة اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها اللائق بها في الحكمة
او المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها

من الدفائن

من الدفائن او الاموات من اهلها وقال الانسان ما لها لما بهرهم من فظيع احوالها
وشنيع اهوالها وقيل المراد بالانسان الكافر الذي لا يؤمن بها يومئذ تحدث الخلق
بلسان قالها او بيان حالها اخبارها ما لاجله زلزالها واخراج ما فيها وقد صح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها بان ربك
اوحى لها بسبب الهام ربك اليها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار لها
او انطقها بها يومئذ يصدر الناس يرجعون من قبورهم الى موقف حشرهم
ونشورهم اشتاتا متفرقين بحسب مراتب امورهم او مختلفين في
المسير فريق في الجنة وفريق في السعير ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم
ونوع احوالهم وقرئ بفتح الياء اى ليبصروا آمالهم او ليعلموا مآلهم قال سهل
يتبع كل احد ما كان يعتمده فمن اعتمد فضل الله اتبع فضله ومن اعتمد عمله اتبع عمله
ومن اعتمد الشفاعة اتبع الشفاعة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الذرة النملة
الصغيرة او الهباءة الحقيرة ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال القاضي ولعل
حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص العقاب والثواب
قلت كذلك ان الصغيرة قد تكون موجبة للعقوبة اذا لم تكن مكفرة في مذهب
اهل السنة خلافا للمعتزلة على انه لا يلزم من رؤية الاعمال ما يترتب على كل من
العقوبة والمثوبة لانه تعالى قد يثيب فضلا ولم يعاقب عدلا وقد يتعلق ببعضها الشفاعة

سورة العاديات مكية او تحقق المغفرة وهي احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد كلمة غيور لا يصلح لذكرها الا لسان مصون
عن اللغو والغيبة ولا يصلح لمعرفتها الا قلب محروس عن الغفلة والغيبة ولا يصلح
لمحبتها الا ارواح محفوظة عن العلاقة والحجبة والعاديات ضبحا اقسم بابل
الحاج على ما قاله علي كرم الله وجهه او بخيل الغزاة على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما
ولا منع من الجمع تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها او صدرها او جوفها عند عدوها
ونصبه على الحال سواء نصب بفعله او يكون مصدرا بمعنى ضابحة فالموريات
قدحا اى فالتي تورى النار وتخرجها قادحة والمعنى توري بحوافرها النار اذا
عدت واصابت سنابكها الحجارة بالليل اذا جرت وقيل المراد بالموريات الالسنة
او النفوس التي تورى النار بعد انصرافهم من حرب الكفار فالمغيرات تغير بالغارة
اهلها على العدو صبحا صباحا فاثرن به فهيجن بذلك الوقت على ان الباء
للملابسة او بالعدو فالباء للسببية نقعا غبارا وصياحا فوسطن به فتوسطن
بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع والمعنى ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء
او جمع المزدلفة مع الحجاج هذا وبلسان الاشارة يحتمل ان يكون القسم بالنفوس
العادية الى كمال اسرارهن الموريات بافكارهن معارف انوارهن المغيرات

على الهوى والعادات وانا رحق اذا ظهر لهن مبداء انوار القدس ومنبع اسرار الانس فانزن جابدالهن سوقا الى مقام المقربين فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان اى جنسه لربه لاحسانه ونعمه لكنود لكفور وقل ما يوجد فيهم شكورا ولعاص في حاله او لبخيل في ماله او جاهل بحاله ومآله ولذا قيل يرى ما منه ولا يرى ما اليه قال الواسطى يطالع ما جرى منه في طاعة الله ولا يطالع ما جرى اليه من نعم الله فاذا شاهدت الارواح حق استحقاقه للطاعة نسيت قيامها بالعبادات عند المشاهدة وافاد الاستاد انه قد يقال في معنى الكنود يرى ما اليه من البلوى ولا يرى ما به من النعمى ويقال راسه على وسادة النعمة وقلبه في ميدان الغفلة ويقال الكنود هو الذى ينسى النعم والمنن ويعد المصائب والمحن وانه اى الانسان على ذلك اى كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه في مقام الشه او ان الله سبحانه على كنوده لشهيد فيكون جملة معترضة حالية لتاكيد الوعيد وانه لحب الخير المال الكثير لشديد لبخيل ممسك في جمعه وحفظه او حريص قوى مبالغ في تحصيله افلا يعلم اذا بعثر بعث ما في القبور من الموتى في موقف الحشر والنشور وحصل جمع وعين او ميز وبين ما في الصدور من خير او شر من الامور وتخصيصه لانه الاصل ولانه اذا ظهر ما في الصدور فغيره اولى في عالم الظهور ان ربهم بهم يومئذ وهو يوم القيمة كسائر الايام لخبير عالم بما ظهروا وما ستروا

سورة القارعة مكية وهى عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد كلمة اذا سمعها العاصون نسوا زلتهم في جنب رحمته واذا سمعها العابدون نسوا صولتهم في جنب نعمته كلمة من سمعها ما غادرت له شغلا الا كفته ولا امرا الا اصلحته ولا ذنبا الا غفرته ولا اربا الا قضته القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة سبق في الحاقة بيان مبناها وعند قوله كذبت ثمود وعاد بالقارعة بيان معناها وافاد الاستاد هنا ان القارعة اسم من اسماء القيمة فاعلة من القرع وهو الصوت بالشدة سميت بالقارعة لانها تقرعهم باهوالها وما ادريك ما القارعة تهويل لاحوالها يوم يكون الناس كالفراش المبثوث المتفرق في كثرتهم وذلتهم في بابهم وانتشارهم واضطرابهم وتكون الجبال كالعهن المنفوش كالصوف ذى الالوان المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها في جو هوائها وافاد الاستاد ان المعنى فيه ان اصحاب الدعوى وارباب القوى في الدنيا يكونون اضعف ضعيف حين بعثوا في العقبى فان القوى تسقط يومئذ والدعوى يبطل حينئذ فاما من ثقلت موازينه اى بخيرات بان يكون جميع اعماله طاعات او بان رجحت

مقادير

مقادير انواع حسناته على اصناف سيئاته فهو في عيشة حالة عيش راضية ذات رضاء على انها فاعلة للنسبة او مرضية على انها فاعلة بمعنى مفعولة ووزن الاعمال يكون بوزن صحف الاعمال على قدر الاحوال وافاد الاستاد انه قد يقال يخلق بدل كل جزء من افعاله جوهرا فذلك وزن اعماله وحاصل كلامه انه سبحانه يخلق الاعراض اجساما ويجعلها ذوات بياض وسواد اقساما وهذا ابلغ في باب استيفاء الاعادة ان تعلقت بها الارادة واما من خفت موازينه من الطاعات بان لم يكن له حسنة يعباء بها في عباداته او ترجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية اى فماويه النار او فام راسه ساقطة في النار لانه من الكفار او الفجار الا ان الكافر يخلد فيها والفاجر يخرج منها بالادلة الثابتة في حقها وقال الاستاد المراد بهم الكفار ويؤيد ما اختاره قوله تعالى ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون فعلى هذا حكم الفاسق مسكوت عنه في مقام الانباء ليكون موقوفا بين مقامى الخوف والرجاء ثم قال الاستاد انه لم يرد الخبر بان الاحوال توزن ويجازى كل بحاله ما هو كسب له او يوصل الى اسبابها ما يكسب منه انتهى ولا يخفى ان الاعمال باعتبار عمومه الشامل للظاهر والباطن متضمن للاحوال بل مدار الاعتبار على الاحوال فانها نافعة بدون الاعمال وليست الاعمال كافية بدون الاحوال كما في خبر ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم او احوالكم والحاصل ان العمل بمنزلة الكمية والحال في مرتبة الكيفية ولا يزن الصيرفى الا النقى لا الردى هذا وقيل للواسطى هل يجوز ان يثقل الموازين باعمالنا قال لو جاز ذلك لا من كل من كثرت اعماله وصفت حاله بل ان الله سبحانه يثقل موازين من يشاء ويخفف موازين من يشاء الا ترى ان النبى صلى الله عليه وسلم يقول الميزان بيد الله يرفع الله اقواما ويخفض آخرين رفعهم في ازلية قبل كون الكون قلت وكذا وصفهم في ازلية قبل بون البون ويؤيد قوله ما ورد في الدعاء النبوى اللهم ثقل ميزانى والهاوية من اسماء جهنم لكمال هويتها جزاء لمن تبع نفسه وهواها بنعت رديها ولذا قال وما ادريك ماهيه اى ماهيتها وحقيقتها والهاء للسكت واسقطها حمزة وصلا نار حامية ذات حرارة آنية بلغت غايتها ووصلت نهايتها فنسال الله العافية

سورة التكاثر مكية وهى ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد اسم عزيز تقدس في ازاله عن مكان ولم يحتج في آباده الى زمان لا يقطعه حد فانى يجوز في وصفه المكان ولا يقطعه عد فانى يجوز في وصفه زيادة او نقصان الهيكم التكاثر شغلكم التفاخر بكثرة اقوالكم من ارباب المناهى واصحاب الملاهى حتى زرتم المقابر

اى الى ان وصلتم الى ذكر موتاكم فى مقام التفاخر عن الامور التى تعينكم فى الدنيا
وتغنيكم فى العقبى او معناه الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد عن عبادة
رب العباد وعن اتخاذ ذات المعاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم
فى عمارة البلاد وفى تفسير السلمى قال بعضهم شغلكم التكاثر بموتاكم عن الحيوة بذكر
مولیکم كلا ردع عن تلك الغفلة وتنبيه عن لوم الغفلة فان العاقل ينبغى ان
يكون جميع همه ومعظم سعيه للآخرة والا فعاقبة امره وبال وخسارة وحسرة
وقال سهل سيعلم من اعرض عنى انه لايجد مثلى سوف تعلمون خطاء رائكم
فى متابعة اهوائكم اذا عاينتم ما وراءكم وهذا انذار ليتنبهوا من غفلتهم وينتهوا
عن معصيتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتاكيد وفى ثم اشارة الى ان الثانى
ابلغ فى باب التهديد الا ان التاسيس اولى فقد ورد ان الموت والثانى فى القبر
وقد يقال الاول فى القبر والثانى عند الحشر والنشر كلا حقا لو تعلمون علم اليقين
اى لو تعلمون بين ايديكم علم الامر اليقين كعلمكم ما تستيقنونه عند الموت او يوم
الدين لشغلكم ذلك عن غيره هنالك فالجواب محذوف ولا يجوز ان يكون قوله
لترون الجحيم لان وقوعه محقق فلا يصح ان يعلق بل هو جواب قسم مقدر اكد به
الوعيد المقرر واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما لامره وقراء ابن عامر
والكسائى بضم التاء فيه بخصوصه ثم لترونها للتاكيد او الاولى اذا راتهم
من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاول المعرفة بالنظر وبالثانية
المشاهدة بالبصر عين اليقين اى الرؤية التى هى نفس اليقين فان
علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين عند علماء الدين واما عند العارفين
فالاعلى هو مرتبة حق اليقين ففى تفسير السلمى قيل علم اليقين ما لا يعترضه
الشكوك فى امر الدين وقال الحسين علم اليقين ما يستجلب بالدلائل وعين
اليقين ما لا نزاع له ولا اضطراب فيه وقال الخراز عين اليقين هو ان
يرفع الحجب عن قلوبهم ويتجلى لاسرارهم وارواحهم ويكشف عن اوهامهم
حتى يردهم عين اليقين ويرجعوا عنه سكرى حيرى وقيل علم اليقين هو ان تعبد
الله كانك تراه وعين اليقين مكاشفة الحق وحق اليقين ما شهد الحق
لنفسه بانه الحق المبين انتهى وقد يقال لتوضيح الحال بتصريح المثال انه
اذا كان احد سمع بالغيب تيقن عنده وجود هذا الارب فاذا راه تيقن عنده
هذا المطلب فاذا اكله تحقق حقيقة الارب انتهى عن الطلب وتأدب
فى مقام الادب ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم الذى الهاكم عن نعيم المقيم
وانهاكم الى العذاب الاليم فالخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن طاعة
مولاه والنعيم مخصوص بما يشغله عن امر عقباه وقيل يعم ان الكل يسئل عن شكره

بالقيام

بالقيام فى طاعته وذكره واختاره الاستاد حيث افاد ان المراد جميع ما اعطاهم
الله من النعمة يطالبهم بالشكر عليها قال ومن النعيم الذى يسئل العبد عنه
تخفيف الشرايع والرخص فى العبادات ويقال الماء الحار فى الشتاء
والبارد فى الصيف ومنه الصحة فى الجسد والفراغ بالبدن ويقال الرضا بالقضاء
ويقال القناعة بالمعيشة ويقال هو المصطفى صلى الله عليه وسلم يعنى فانه
النعمة الكبرى والوسيلة العظمى الى قرب المولى فى الدنيا والاخرى بل هو جملة
النعم بالنسبة الى عامة الامم ولذا فسر قوله تعالى فكفرت بانعم الله اى برسول الله صلى الله
عليه وسلم والله سبحانه اعلم

سورة العصر وهى ثلاث آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد كلمة من سمعها لم يدخر عنها ماله
لانه علم انه يحمد ماله ومن عرفها لم يؤثر عليها نفسه لانه لم يجد بدونها
انسه ومن صحبها لم يمنع عنها روحه اذ الحيوة الابدية له ممنوحة والعصر
قسم بصلوة العصر لفضله فانه الصلوة الوسطى عند جمهور العلماء
او بعصر النبوة عموما او بخصوص نبوة سيد الاصفياء وخاتم الانبياء
او بجميع الدهر لاشتماله على غرائب القدرة وعجائب الحكمة ان الانسان
لفى خسر لفى خسران فى مساعيهم ومكاسبهم ونقصان فى صرف
اعمارهم فى مطالبهم كما قال بعض ذوى الحال زيادة المرء فى دنياه نقصان
وربحه غير محض الخير خسران الا الذين آمنوا بالمتيقنات وعملوا الصالحات
من الطاعات والعبادات بتحسين النيات وتزيين الطويات
فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا واختاروا رضى المولى على مطالبة النفس والهوى
ففازوا بالحيوة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذى
لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر على مر الحق وصبر الصدق
او عن المعصية او فى المصيبة وفى تفسير السلمى قيل التواصى بالحق هو المقام
مع الحق والقيام بامره على حد الاستقامة وقدم الصدق وقيل التواصى بالصبر
هو ان لا تشهد البلاء بحال وافاد الاستاد ان فى التفاسير ان قوله الا الذين
آمنوا يعنى ابابكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالصبر عليا رضى الله
عنهم اجمعين قلت فحينئذ يتعين ان يفسر العصر بعصر نبينا صلى الله
عليه وسلم متضمنا للنسبة المجازية وهو ذكر المحل وارادة الحال فالقسم فى الحقيقة
ليس بذلك الزمان بل لما وجد فيه من النبى العظيم الشان فيكون كقوله
لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد فيكون الجمع بينهما مفيد العظمة زمانه
ومكانه لعلو شانه ورفعة برهانه ثم قال والخسران الذى يلحق الانسان على قسمين
فى الاعمال ويتبين ذلك فى الآمال وفى الاحوال ويظهر ذلك فى الوقت والحال

من القبض بعد البسط والحجبة بعد القربة والرجوع الى الرخص بعد ايثار الاشق والاولى بالنقص وتواصوا بالحق وهو الايثار مع الخلق والصدق مع الحق وتواصوا بالصبر على العاقبة فلا صبر اتم منه ويقال الصبر مع الله هو اشد اقسام الصبر انتهى والمحققون على ان للصبر اقساما من الصبر لله اى عن معاصيه وعلى طاعاته لاجل مثوباته وهو للعامة والصبر بالله اى بتأييده وقوته وهو صبر المنسلخ عن حوله وقوته والصبر على الله اى على حكمه وهو صبر السالك الذى يبرئ عن التصرف والاختيار ويرى ان المتصرف فيه وفى غيره هو الواحد القهار فيصبر على احكامه مع مكابدة الآلام والصبر فى الله وهو لاهل الحضور والمراقبة والصبر مع الله وهو لاهل القرب والمشاهدة والصبر عن الله وهو لاهل المحبة اذا اراد المحبوب فراق المحب وهو اشدها مرارة ولهذا لما سمعه الشبلي شهق وخر مغشيا عليه وفى هذا المقام قال من قال ▪ اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد•

سورة الهمزة مكية وهى تسع آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد اسم من لا غرض له فى افعاله اسم من لا عوض عنه فى جلاله وجماله اسم من لا يصبر العبد عنه مختارا اسم من لا يجد الفقير من دونه قرارا اسم من لا يجد عن حكمه فرارا ويل اى عذاب عظيم وحجاب جسيم حاصل لكل همزة لمزة لمن يكثر فى عرض المؤمنين ويبالغ فى اظهار عيب المطيعين وافاد الاستاد ان الهمزة الذى يقول فى وجهه واللمزة الذى يقول من خلفه ويقال الهمز بتلويح الاشارة واللمز بتصريح العبارة ويقال الهمزة الذى يقول ما فى الانسان واللمزة الذى يتكلم بالبهتان الذى جمع مالا بدل من كل وفيه اشعار بان جمع المال هو الذى اطغاه واشتغل عن عيبه واتبع هواه وذيل فى محبة دنياه عن محبة مولاه واستعد اوزاد عقباه وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بتشديد الميم لتكثير ما عنده من النعيم وفيه ايماء الى كفران نعمته واستحقاق عقوبته وان زيادة المال نقصان فى الحال والمآل وعدده جعله عدة لنوازل الدنيا او عده مرة بعد اخرى ويؤيد هذا المرام انه قرئ شاذا وعدده بفك الادغام يحسب ان ماله اخلده يظن ان ماله او كل ماله ابقاه خالدا فى الدنيا فاحبه كما يحب الخلود ودوام الوجود او حب المال اغفله عن الموت والمآل او طول الآمال املاه حتى حسب انه مخلد فى المآل فعمل عمل من لا يظن الموت بحال وفيه تعريض بان سبب الخلود فى النعيم هو السعى لوجه ربه الكريم وقيل تقديره ايحسب بهمزة الانكار وقال ابن طاهر يظن ان ماله يوصله الى مقام الخلد وقال بعضهم جمع المال من علامة الجهل بالمآل وحب المال من علامة النفاق فى الاعمال

والبخل

والبخل بالمال من علامة الكفر فى الحال وقيل من كان غناه بماله فهو فقير ومن كان غناه بجاهه فهو حقير ومن كان غناه بالعشيرة فهو ابله ومن كان غناه بمولاه فغناه بمولاه وزاد الاستاد ان الانس بغير الله وحشة والعز بغير الله مذلة كلا ردع له عن حسبانه وقال الاستاد المعنى ليس كذلك لينبذن فى الحطمة فى النار التى من شانها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادريك ما الحطمة ما النار التى لها هذه الخاصية وهو تهويل وتنبيه على عدم ادراك حقيقة هذه الماهية نار الله تفسير لما قبله اى هى نار الله العظيم البرهان فالاضافة لتفخيم الشان الموقدة التى اوقدها الله وما اوقده لا يقدر ان يطفئه ما سواه التى تطلع على الافئدة تعلو وسائط قلوب اهل العيوب وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما فى الاعضاء واشد تألما من سائر الاجزاء ولانه محل العقائد الردية ومنشأ الاعمال الدنية وفيه ايماء الى ان العاصى من المؤمنين ولو دخل النار لا يكون عذابه مثل عذاب الكفار ولذا قيل التعذيب فى حقه التهذيب بالتسعير كتنظيف الفلزات فى الكير انها عليهم من فوقهم مؤصدة مطبقة مغلقة وقرأ ابو عمرو وحفص بالهمزة وكذا فى الوقف حمزة فى عمد ممددة اى موثقين فى اعمدة ممدودة وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر عمد بضمتين وافاد الاستاد ان نيران المعرفة اذا اتقدت فى قلب المؤمن احرقت كل سؤل واربة فيه ولذلك تقول جهنم غدا جز يا مؤمن فان نورك قد اطفأ لهبى•

سورة الفيل مكية وهى خمس آية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد اسم عزيز من اطاعه اغناه ومن خالفه اضاعه واقصاه اسم عزيز من وافقه رقاه الى الرتبة العليا ومن خالفه القاه فى المحنة الكبرى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب للحضرة النبوية وان لم يشهد بحسب الظاهر تلك القضية لكن لما شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانه رآها وعلمها باسرارها ولم يقل ما فعل ليكون ايماء الى تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وشموله وعزة نبيه وشرف رسوله فانها من الارهاصات وشبهه الكرامات من خوارق العادات مقدمة لثبوت رفعة مرتبة صاحب النبوة اذ روى ان مولده عليه السلام كانت فى تلك السنة وقصتها ان ابرهة ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس فاراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل

محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه قدم الفيل فكان كل ما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل واحدة في منقارها حجر وفي رجليها حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فرمتهم فيقع الحجر في راس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وكيف نصب بالمصدرية بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام فله الصدارة في المقام فلا يجوز تقدم العامل عليه بل هو معمول فعل مؤخر عنه وقال الاستاد اى الم ينته اليك فيما انزل عليك علم ما فعل ربك باصحاب الفيل دلالة على تخصيص الله البيت العتيق الذى بناه للخليل الجليل بالحفظ والكلاءة على وجه التبجيل ثم قال فلما دنى ابرهة من مكة استاق مائتى بعير لعبد المطلب فاخبر به فركب اليهم فرقه رجلان فقال ارجع فان الملك غضبان قال واللات والعزى لا ابرح الا بابلى فقيل لابرهة انه سيد قريش رد عليه اليوم ابله فانه يكون لك غدا اذا هدمت البيت فردها عليه فرجع وتعلق بحلقة البيت وكان لاهم ان العبد منع رحله فامنع رحالك انتهى وروى ان عبد مكة مدحوا عبد المطلب عند ابرهة بانه يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبل فقال له سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذ لك فقال انا رب الابل اطلبه وللبيت رب يمنعه الم يجعل كيدهم اى مكرهم في تعطيل الكعبة وتخريب البقعة في تضليل في تضييع بان دمرهم وعظم شانها في نظرهم وارسل عليهم طيرا اى خضرا من جهة البحر ابابيل جماعات متفرقات اسم جمع لا واحد له ترميهم بحجارة من سجيل من طين متحجر موتب سنك كل وقيل مأخوذ من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون حتى قيل كتب على كل حجر اسم صاحبه فجعلهم كعصف مأكول كورق زرع اكل حبه وبقى تبنه قال الاستاد اذا كان عبد المطلب وهو كافر اخلص في التجائه الى الله في استدفاع البلاء عن بيت الله فان الله ما خيب رجاءه وسمع دعاءه فالمسلم المخلص اذا دعا مولاه لا يرده خائبا في دنياه وعقباه ويقال انما قرب الاجابة منه لانه لم يسال الله لنفسه وانما سال لاجل البيت المنسوب الى ربه وما كان الله فهو لا يضيع في امره ٠

سورة قريش مكية وهى اربع آية بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاد الباء منه يشير الى براءة ساحة الموحدين عن حسبان الحدثان وعن شىء مما لم يكن فكان بتمام الانقطاع الى الله في السراء

والضراء

والضراء والشدة والرخاء والسين يشير الى سكونهم تحت جريان ما يبدو من الغيب في جميع احوالهم والميم يشير الى منة الله عليهم في التحقق لما تحققوا به من معرفته وتخلقوا به من طاعته لايلاف قريش اى اعجبوا لموالفتهم على ما آلفهم فيما بينهم ايلافهم بدل مما قبله بدل الاشتمال لا من باب الاطلاق والتقييد كما قال بعض ارباب المقال وقراء ابن عامر لالاف بغير ياء بعد الهمزة وهو مصدر آلف على وزن فاعل قبلا او مصدر الف كفعل نحو كتب كتابا والاول انسب للمطابقة والثاني اقرب للمغايرة فيكون معناه لالفتهم رحلة الشتاء الى اليمن لاعتدال هوائه والصيف الى الشام لاشتداد شتائه وقريش ولد النضر بن كنانة راس قبائلهم وكانوا يسيرون اليهما للتجارة او لما يحتاجون من الطعام والكسوة وكان اهلهما يعظمونهم ويراعون احوالهم ويحفظون اموالهم وقيل المعنى جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش وهو بعيد من جهة المبنى والمعنى فانه سبحانه ما اهلكهم الا لتعظيم بيته لا لسكان حرمه فانهم كانوا كفرة فجرة ليس لهم عظمة ولا حرمة وكان قائله غره انهما في مصحف ابى سورة واحدة وهو غير لازم منه وقيل متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر النعماء فليعبدوه لاجل ايلافهم رحلة الشتاء ويؤيده بحسب المعنى ما ورد اعبدوا الله لما يغذوكم من نعمه الذى اطعمهم من جوع اى من اجل جوع بهم او بدل جوع فيهم وآمنهم من خوف اى من خوف التخطف في بلدهم لقوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وافاد الاستاد انه سبحانه انعم عليهم بان كفاهم الرحلتين بجلب الناس الميرة اليهم من الشام واليمن يعنى ومن سائر الاطراف باتيان التحف على وجه الاتحاف كما قال تعالى اولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون اى قدر الامن منا ونعمة الرزق عنا قال ووجه المنة في الاطعام والايمان هو ان يتفرغوا الى العبادة فان لم يكن يكفى الامور لا تسهل له الطاعة ولا تساعده القوة ولا القلب بكل وجه الا عند السلامة قال تعالى ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع فقدم الخوف والجوع على جميع انواع البلاء قلت ولعل وجهه ان الجوع اشد بلاء من جهة الباطن كما ورد اللهم انى اعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع وان الخوف من الاعداء اشد بلاء من الخارج ولعل تقديم الخوف

على الجوع فى هذه الآية لانه فى نفس الامر اشد من الجوع فى الصبر
وتقديم الاطعام من الجوع فى هذه السورة لانهم كانوا اليه احوج لكونهم غالبا
فى حال الامن من الخوف

سورة الماعون مكية وهى سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد كلمة سماعها غذاء ارواح المحبين
وضياء اسرار الواجدين وشفاء قلوب المهيمين بلا رهج المساكين ودواء
كل فقير مسكين ارايت الذى يكذب بالدين اى بالاسلام او بالجزاء
فى دار المقام والاستفهام بمعنى التعجب والاستعظام والموصول
يحتمل الجنس والعهد ويؤيده قوله فذلك الذى يدع اليتيم يدفعه دفعا
عنيفا مع انه يستحق التكريم وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يساله
من مال نفسه فدفعه عن حقه او ابو سفيان فانه نحر جزورا فسأله يتيم لحما
فقرعه بعصاه وما اعطاه قال الاستاد وانما يدع اليتيم لانه قرع الرحمة من
قلبه ولا ينزع الرحمة الا من قلب شقى عند ربه ولا يحض اى لا يحث اهله
وغيرهم على طعام المسكين اى على اعطائه لانه فى شح نفسه وهو بخله فويل
للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون غافلون عنها لاهون فيها
غير مبالين بها وافاد الاستاد ان الساهى عن الصلوة هو الذى لا يصلى والذاهل
فى صلوتهم ساهون ولو قاله لكان الامر عظيما انتهى وعندى ان قوله الذين هم
يراؤن تفسير لما قبله فهم الذين يصلون ولكن عن حقيقة صلوتهم ساهون
وعن زبدة عبادتهم غافلون حيث يراؤن الخلق ولا يراعون الحق فيرون
الناس باعمالهم ولا يرون ان الله سبحانه مطلع على احوالهم وهذا
يشمل صلوة المنافقين والغافلين ويؤيد ما قررنا نقل السلمى فى تفسيره
عن بعض العارفين انهم الذين لا يحضرونها بشهود قلب ورعاية حقوق
المناجاة وخشوع الجوارح فيها حيث لا يعلمون ان الصلوة مواصلة بين
العبد وبين ربه فاذا لم يراع حقوقها كانت مفاصلة وقال ابو العباس
بن عطاء ليس فى القرآن وعيد صعب الا وبعده وعد لطيف غير هذه
الآية فويل للمصلين ذكر الويل لمن صلاها بلا حضور من قلبه فكيف بمن
تركها راسا واقول قد يكون تارك الصلوة من اهلها اقرب الى المغفرة
من اهل النفاق والرياء فى العبادة لمخادعتهم الحق ومطالعتهم الخلق
واعتماده على كرم الله مع خوفه من العقوبة فى دنياه او عقباه وكذا
قيل معصية اورثت ذلا واستغفارا خير من طاعة اوجبت غرا
واستكبارا ويمنعون الماعون اى متاعا ورفدا فى العادة فضلا عن
الزكوة والصدقة فعن ابن مسعود ما يستعار فى العادة كالفاس

والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة الماء والنار والملح ومثالها
وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا اذا استعيرت اضطرارا وقبيحا فى المروة
فى غير حالة الضرورة وفى تفسير السلمى قيل يبخلون ببذل المال على الخلق والمهج
فى رضاء الحق كما فعل الصديق لما قال له النبى عليه السلام ماذا ابقيت
لنفسك قال الله ورسوله وقال الاستاد يدخل فيه البخل بنفع الخلق بما هو
ممكن ومستطاع يعنى كالجاه والتعليم والنصيحة والمساعدة والمعاونة والمسامحة
فى المعاملة

سورة الكوثر مكية وهى ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد اسم جليل يجل العبد باجلاله
ولا يجل هو الا باستحقاق علوه فى ازاله اسم عزيز اعز من شاء
بافضاله واقباله واذل اعداءه بسلاسله واغلاله وبالتخليد فى جحيمه ونكاله
انا اعطيناك الكوثر فوعل من الكثرة للمبالغة اى الخير المفرط الكثرة
من النبوة والرسالة فى الدنيا ومرتبة الوسيلة ومقام الشفاعة فى العقبى
وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير احلى
من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه
الزبرجد واوانيه من الفضة لا يظمأ من شرب منه واول من
ورده فقراء المهاجرين الدنس الثياب الشعث الرؤس الذين
لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم ابواب السدد يموت
احدهم وحاجته يتلجلج فى صدره لو اقسم على الله لابره وهو
لا ينافى ما ورد من انه حوض الكوثر فى الموقف على خلاف انه قبل
الصراط او بعده فانه ينصب من ذلك النهر فيه وقيل المراد كثرة
اولاده او اتباعه او علماء امته واقول كما قال سيد الورى كل الصيد
فى جوف الفرا وقال جعفر الصادق اى نورا فى قلبك دلك علينا
وقطعك عما سوانا فصل لربك قدم على الصلاة الجامعة
للعبادات القلبية والقالبية من اللسانية والاركانية خالصا
لوجه الله ذاهلا عن ملاحظة ما سواه شكرا لما اعطاك من نعماه
وانحر البدن التى هى خيار اموال العرب وتصدق على اهل
الاحتياج الى هذا الارب او المراد بالصلوة صلوة العيد وبالنحر التضحية
بالوجه السديد ليكون جامعا بين العبادة البدنية والطاعة المالية
وقيل انحر استقبل القبلة بنحرك او ارفع يدك فى صلاتك الى نحرك
او ضع يمينك على يسارك فى الصلوة تحت نحرك ولا يبعد ان يقال
بطريق الاشارة دم على المواصلة فى مشاهدة الحق وانحر نفسك بالمقاطعة

عن ملاحظة الخلق ان شانئك اى مبغضك لبغضه لك هو الابتر اى
منقطع الخير متصل الشر بانه فى الخير لا يذكر والمعنى انه منقطع عن خيرات
الدنيا ومثوبات العقبى او الذى لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن
نقل واما انت فيبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضيلتك وانوار نبوتك
الى يوم القيمة ولك ما لا يدخل تحت الوصف فى الآخرة من انواع

سورة الكافرون مكية الكرامة وهى ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد كلمة من آمن بها امن من زوال
النعماء حظى بنعيم الدنيا والعقبى سعد سعادة لا يشقى وجد ملكا لا يفنى بقى
فى العز والعلا قل يا ايها الكافرون يعنى كفرة مخصوصين قد علم الله منهم
انهم غير مؤمنين روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا
سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد فى الاستقبال ما تعبدون
فى الحال ولا انتم عابدون فى الاستقبال ما اعبد فى الحال ولا انا
عابد فى الحال ما عبدتم فى الماضى من الاحوال ولا انتم عابدون
ما اعبد فى وقت ما ويجوز ان يكون للتاكيد للمبالغة فى امر التوحيد
وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون
الحق او لمطابقة المقابلة وموافقة المشاكلة وقيل ما مصدرية لكم دينكم
الذى انتم عليه لا تتركونه ولى قرأ نافع وهشام وحفص بفتح الياء وكذا البزى
بخلاف عنه دين اى دينى الذى انا عليه لا افارقه فليس فيه اذن فى الكفر
لبعض العباد ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال وقد فسر الدين
بالحساب والجزاء والعبادة والدعاء فيكون كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
وافاد الاستاد ان العبودية القيام بحق امره على الوجه الذى امر وبالقدر
الذى امر وفى الوقت الذى امر ويقال صدق العبودية فى ترك الاختيار وظهور
ذلك فى السكون تحت تصاريف الاقدار ويقال العبودية انتفاء الكراهية بكل
وجه من القلب كيف ما صرفك المولى الرب ان كان حالك طوعا والا

سورة النصر مكية مختتمة كرها وهى ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم اسم كريم ينصر ويستر ويعلم ويحلم ويبيح ولا يفضح
ويعفو جميع ما يجترم العبد ويهفو ويحصى العبد على التوالى ويغفر الحق ولا يبالى
اذا جاء نصر الله اياك على اعدائك والفتح وفتحه لك مكة بلدة احبابك
وانما عبر عن الحصول والوقوع بالمجئ اشعارا بان المقدرات الالهية
متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة له فتقرب منها شيئا فشيئا فكانها تجئ
مشيا والمعنى قد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكر نعمته

ورايت الناس يدخلون فى دين الله افواجا اى يسلمون جماعات كثيرة
كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال
على ان رايت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت وكان فتح مكة
لعشر مضين من رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب وحين دخلها وقف
على باب الكعبة وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده
ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده واقام بها خمس عشرة
ليلة ثم خرج الى هوازن فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر
ببال احد من الخلق حامدا له على فتحه او فصل له حامدا على نعمه روى انه لما
دخل مكة بدا بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثمان ركعات او فاثن على الله
تعالى بصفات الجلال حامدا له على نعوت الجمال واستغفره هضما
لنفسك واستصغارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات
الى غير ربك فعنه عليه السلام انى لاستغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة
وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح والحمد على الاستغفار على طريق
التنزل من المؤثر الى الآثار كما قال الشبلى ما رأيت شيئا الا ورأيت الله
قبله انه كان فى ازاله توابا موصوفا بقبول التوبة لمن استغفر من سوء
اعماله او رجاعا بالمغفرة والرحمة لمن رجع عن مساوى احواله والاكثر
على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه لما قرأها بكى العباس رض فقال عليه السلام ما يبكيك قال نعيت اليك
نفسك قال انها لكما تقول وذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر
النبوة واستقامة حال الامة فهى كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم
فان الكمال يوذن بالزوال الى كمال الملك المتعال فانه لا يزال بخلاف كمال
غيره فان حصوله بالانتقال من الحال الى الحال وقال ابن عطاء اذا
اشغلك به عما دونه فقد جاءك الفتح من عنده والفتح هو النجاة
من السجن والبشرى بلقاء الله وقال الواسطى اذا فتح عليك العلوم
فسبح بحمد ربك واستغفره عما صدر عنك من قلة العلم بالاربعينك
وافاد الاستاد ان النصر من الله سبحانه له بان افناه عن نفسه
وابعد منه احكام البشرية وصفاه عن الكدورات النفسانية
واما الفتح فهو ان رقاه الى محل الدنو والقربة واستخلصه بخصائص
الزلفة والبسه لبسة الجمع واصطلمه عنه بالحفظ والمنع واظهر عليه
ما كان قبل مستورا لديه من اسرار الحق وانوار الصدق وعرفه

من كمال معرفته به لديه ما كان جميع الخلق متعطشا اليه ٭

سورة اللهب مكية وهي خمس آية بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاد كلمة جبارة للمذنبين تخبر اعمالهم تحقق امالهم وللعارفين تصغر في اعينهم احوالهم وتكل عن شواهدهم امتحانهم واستيصالهم وفي التحقيق حقق بذلك بعد فنائهم عنهم وصالهم تبت خسرت وهلكت يدا ابي لهب اي نفسه وقيل انما خصتا لانه عليه السلام لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابولهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به وقيل المراد بهما دنياه واخراه وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بها او لان اسمه عبد العزى فاستكره ذكرها او لانه لما كان من اهل النار كانت الكنية اوفق بحاله والنسب وليجانس قوله ذات لهب وقرئ ابولهب كما كتب علي بن ابوطالب قال ابوبكر بن طاهر اي ظهر خسران من لم يتبرك المنزلة التي نزلناك من الدنو والقربة والمحبة والنبوة خسرانا ظاهرا اولا وآخرا وتب اخبار بعد اخبار للتأكيد في باب الاظهار والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه الآتي او لما سبق في علمه وقضائه الازلي ويدل عليه انه قرئ وقد تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن نفسه في مهواه ما اغنى عنه ماله نفي لاغناء المال عنه حين ينزل به تباب الحال اي ما اغنى عنه ماله شيئا من سوء حاله ووخامة مآله او استفهام انكار له ومحله النصب اي اي اغناء اغنى وما كسب اي كسبه فما مصدرية او موصولة اي مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه في مقام المرام او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام حال كونه احاط به جماعة من الانام ومات ابولهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ثلثا حتى انتن خوفا من العدوى ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فيل في طريق العمرة وقاربه في هذا الزمان ظالم كني بابي لهب فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه بلا ريب سيصلى نارا اي نار جهنم يلزمها بعد ما يدخلها لا يبرح منها ذات لهب اشتعال وتلهب وامرأته عطف على المستكن في سيصلى او مبتداء وهي ام جميل اخت ابي سفيان والمشهور انه بالجيم واما اقول بالحاء المهملة لقوله حمالة الحطب بالرفع على الخبرية او البدلية يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار في معاداة النبي المختار وهي كالحطب من اسباب النار او حزمة الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريقه صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم في جيدها حبل من مسد

اي مما مسد يعني من ليف فتل واحكم وشدد وهو تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشانها او بيانا لحالها في نار جهنم واهوالها حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال اذا تم الكلام قبله او الخبر وحبل مرتفع به وقال الاستاد اي سحقا لمن لم يعرف مرتبة قدرك وبرهانك وبعدا لمن لم يشهد ما خصصناك به من رفعة محلك وشانك ومن ناصبك كيف ينفعه ماله والذي اقتناه لاجلك متى تركوا اعماله ان الى الهوان والخزي مآله وعلى اقبح حال حال امرأته وعياله ٭

سورة الاخلاص مكية وهي اربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم

قال الاستاد كلمة عزيزة عز لسان ذكرها واطيب منه قلب عرفها واعز منه روح احبها واشرف منه سر شهدها قل هو الله احد جواب لما قال المشركون صف لنا ربك الذي تدعونا اليه لمعنى هو اي الذي سئل عنه هو الله واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما يدل الجلالة على جميع نعوت الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات من انحاء التركيب والتعدد كما هو لازم الممكنات وما يستلزم احدها كالجسمية والتجزية والمشاركة في الحقيقة والماهية كوجوب الوجود ونعت الفردانية والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية قال ابن عطا هو هو ولا يقدر احد ان يخبر عن هويته الا هو لا عبارة لاحد عنه حقيقة الاله عن نفسه فيخبر عن نفسه بحقيقة حقه وغيره يخبر عنه على حد الاذن فيه وامره فاخبر عن نفسه بانه هو الله اشار من نفسه الى نفسه اذ لم يستحق احد ان يشير اليه سواه لمن اشار اليه فانما اشار الى اشارته الى نفسه لمن تحقق اشارته الى اشارته بالتعظيم والحرمة كانت اشارته صحيحة على حد الصواب ومن وقعت اشارته على حد الدعوى بطلت اشارته وتعطلت عبارته وقعدت عن معاون الحقيقة ومنابع الطريقة وقد يقال ضمير هو للشان فيفيد المبالغة في البيان او للاشارة الى حضور ذكر الرب في القلب وايماء الى ان الله تعالى يتعين للتوجه اليه والاقبال عليه فلا يفتقر الى التصريح بذكره ولا يذهب الوهم الى غيره الله الصمد السيد الذي يصمد اليه في المطالب ويقصد اليه في المآرب وقيل الصمد المستغني عن كل احد وقيل الصمد الذي لا يدرك حقيقة ذاته وكنه صفاته قال جعفر الصادق جل ربنا ان تدركه العقول والفهوم والعلوم بل هو كما وصف نفسه غير معقول

والكيفية عن وصف نفسه صح

فسبحانه ان يصل الفهوم والعلوم الى كيفية كل شئ هالك الا وجهه وله الوجوه الازلية والابدية والمشية والقدرة الذاتية وقال الاستاد ويرجع تحقيق الى من قال انه الذى لا جوف له الى انه واحد لا ينقسم فى ذاته لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولم يولد لانه لا يفتقر الى شئ ولا يسبقه عدم ولم يكن له كفوا احد اى ولم يكن له احد يكافئه ويماثله من صاحبة وغيرها وقرا حفص كفوا بالواو بدل الهمزة وحمزة بسكون الفاء وصلا مع الهمزة وبالواو وقفا قال ابو سعيد الخراز ان الله عز وجل اول ما دعا عباده دعاهم الى كلمة واحدة فمن فهمها فهم ما وراءها وهو قوله قل هو الله فتم به المراد للخواص ثم زاد بيانا لا ولياء فقال احد ثم زاد بيانا للاصفياء فقال الله الصمد ثم زاد بيانا للعوام فقال لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فمن فهم معنى الله استغنى به عما سواه فاهل الحقائق اشتغلوا بالله لعلو مناقبهم وهذه الزيادات لمن تنزلت مرتبة عن مراتبهم وافاد الاستاد ان السورة بعضها تفسير لبعضها من هو الله من الله احد من الاحد الصمد من الصمد الذى لم يلد ولم يولد من الذى لم يلد ولم يولد الذى لم يكن له كفوا احد ويقال كاشف الاسرار بقوله هو وكاشف الارواح بقوله الله وكاشف القلوب بقوله احد وكاشف النفوس بباقى السورة ويقال كاشف الوالهين بقوله هو والموحدين بقوله الله والعارفين بقوله احد والعلماء بقوله الصمد والعقلاء بقوله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد

سورة الفلق مكية وهى خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد اسم عزيز اذا تجلى لقلب فان لاطفه بجماله احياه وان كاشفه بجلاله اباده وافناه فالعبد فى حالتى بقاء وفناء ومحو وصحو ووجد وفقد قل اعوذ برب الفلق اى الفجر ومنه قوله فالق الاصباح او فلق البحر كما وقع لبعض ارباب الفلاح وقال محمد بن على الترمذى عطف الله على قلوب خواص عباده فقذف فيها النور والضياء فانفلق الحجاب وانكشف الغطاء وافاد الاستاد ان الفلق يقال واد فى جهنم يستعيذ منه جهنم والله اعلم ثم وجه تخصيص الاول على ما هو المعول لان فيه كفاية شر الليل اذ هو اذ هى للويل ولما فيه من تغير الحال الى حسن المآل وتبدل وحشة ظلمة الليل بسرور نور النهار ومحاكاة فاتحة يوم القيمة فى دار القرار وللاشعار بان من قدر ان يزيل به ظلمة الليل قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه من الويل وتخصيص لفظ الرب فى هذه القضية لان الاعاذة من المضار نوع من التربية من شر ما خلق اى من الشرور كلها

من الاختيار

من الاختيارى اللازم والمتعدى كالكفر والظلم والطبيعى كاحراق النار واهلاك السم وفيه ايماء الى ان جميع المخلوقات ما يخلو عن شر يفضى الى بعض الآفات ومن شر غاسق ليل عظيم ظلامه للاشياء اذا وقب دخل ظلامه فى كل شئ حتى ملاء الدنيا لان المضار فيه تكثر والدفع فيه يصعب ويعسر وفى الحديث انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عايشة رض ونظر الى القمر فقال تعوذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب اى دخل فى الكسوف او غاب وغرب ومن شر النفاثات فى العقد اى النفوس السواحر التى يعقدن عقدا فى الخيط وينفثن عليها حال الربط والنفث نفخ مع ريق وتخصيصه لما روى ان يهوديا سحر النبى عليه السلام فى احدى عشرة عقدة فى وتر ودسه فى بئر فمرض النبى عليه السلام فنزلت المعوذتان واخبره جبريل بموضع السحر فارسل عليا كرم الله وجهه فجاء به فقراهما عليه فكان كلما قرا آية انحلت عقدة وحصلت خفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة فى انه مسحور كما اخبر الله عنهم بقوله وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر او انه مستمر السحر مع ان ذاك قول الكفار بمكة المكرمة وهذا امر عرض بالمدينة المعظمة ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرره منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص بالحاسد لاغتمامه بسروره فى حال السعود ومقام الصعود ولذا قيل الحسود لا يسود وافاد الاستاد ان فى السورة تعليم استدفاع الشرور من الله ومن صح توكله على الله فهو الذى تحققه بالله فاذا توكل لديه وفوض الامر اليه لم يوفقه الله لتوكله الا والمعلوم من لطفه وكرمه انه يكفيه ما توكل به عليه وان العبد به حاجة الى انه فاع البلاء عنه فان اخذ فى التحرز بجلادته وحوله وقوته وبصيرته وعمى عن شهود التقدير تضاعف عليه البلاء فى كل وقت من اوقات وجود التدبير واذا صح تبريه عن حوله وقوته وتحقق بشهود جريان التقدير فالى ان يزول البلاء استراح عن تعب تردد القلب فى امر التدبير وعن قريب يرقى الى مقام الرضا كفى مراده ام لا وعند ذلك لقى الملك الاعظم وارتفع عنه كل الهم والغم فهو بظاهره لا يفتر عن الاستعاذة بالمولى وبقلبه لا يخلو عن التسليم والرضا

سورة الناس مكية وهى ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قال الاستاد بسم الله الذى قصرت العقول فوقفت وعجزت العلوم فتحيرت وتقاصرت المعارف فتحجلت وانقطعت الفهوم فدهشت وهو بنعت علائه ووصف سنائه وبهائه وعز كبريائه قل اعوذ برب الناس اى خالقهم ومالكهم ومربيهم ومتولى امرهم والمعنى قل اعتصم والوذ من المضار البدنية والقلبية التى تعرض النفوس البشرية بربهم الذى يملك امورهم ويستحق

عبادتهم ولذا ابدل عنه ملك الناس اله الناس فان الرب قد لا يكون
ملكا والملك قد لا يكون الٰهاً وتكرير الناس لما فى الاظهار من مزيد البيان والاشعار
بشرف الانسان وقيل برب الناس اى الاطفال منهم لمناسبة التربية
لهم ملك الناس اى الشباب لان لهم دعوى الملك والملك اله الناس
اى الشيوخ لوجوب العبودية كما يقتضى النعوت الالوهية من شر الوسواس
اى الوسوسة اسم كالزلزال بمعنى الزلزلة اما المصدر فبالكسر كالزلزال
والمراد به الموسوس سمى بفعله مبالغة الخناس الذى عادته ان يخنس اى يتأخر
اذا ذكر الانسان ربه الذى يوسوس فى صدور الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم
واشتغلوا بحظ انفسهم من الجنة والناس بيان للوسواس او يتعلق بيوسوس
اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجنة انهم يعلمون الامور الغيبية والناس
كالكهانة والمنجمين فى تاثير الادوار الفلكية قال يحيى بن معاذ الوسوسة
بذر الشيطان فان لم تعطه ارضا وماء ضاع بذره وبطل امره وان اعطيته
الارض والماء بذر فيه فسئل ما الارض والماء قال الشبع ارضه والنوم ماؤه
يعنى من كثر شربه كثر نومه ومن كثر نومه عظم ندمه وقال سهل من اراد
الدنيا النجسة لم ينج من الوسوسة واما اولاستاذ ان الشيطان له تسلط
على الناس بالوسواس وان النفس من قبلها للعبد هواجس والوساوس
والهواجس متقاربان وفرقوا بينهما بان الشيطان اذا دعاك الى
محظور فان خالفته يدع ذلك ويدعوك الى معصية اخرى هنالك اذ
لا غرض له الا ادامة دعائك الى مطلق زلة وهى لها غير مختلفة والنفس
تدعوك الى حظها وهى تلح فى مقصدها ولا تنصرف عنك ما لم تصل الى
مرادها فتلح ولا ترضى بدون حصول مطلوبها ووصول محبوبها الا بمجاهدة
صادقة زجرتها وكل من جاهد بنفسه من غير استعانة بربه وتبرئة عن
حوله وقوته لم يتم له الامر فى مجاهدته وعن قريب سيقع فى وهدة غلطة من
مشاهدته واذا علم الحق سبحانه صدق الاستعانة من عبده اعانه بل اذا
اراد الحق اعانة عبد حمله على الاستعانة به وان استعاذه بربه من شر
عدوه والتوكل عليه فى جميع ما يرد عليه فى الطريق وبالله التوفيق
تم كتاب انوار القرآن • واسرار الفرقان • الجامع بين اقوال علماء
الاعيان • واحوال الاولياء ذوى العرفان • والحق انه جوهرة منيعة
لمعت من معادن الحقايق الربانية • ودرة رفيعة • طلعت من منابع
الدقايق السبحانية • ليس فيه ما ينافى الطريقة • من نوعى الشريعة
والحقيقة • فانه منزه عما يقول الحلولية والاتحادية • من اصحاب التفرقة

وارباب

وارباب الزندقة • ولا فيه بيان القراآت العارية • عن صحة
الرواية • ولا الاعرابات الغريبة • فى مقام الدراية • لا فارض
ولا بكر • بل بين ما صدر عن نقل او ظهر عن فكر • واسأل الله ان يجعله
خالصا لوجهه الكريم • وينفع كل من تعلق به على وجه التعلم او التعليم •
وان يختم لنا بالحسنى • وان يبلغنا المقام الاسنى • سبحان ربك
رب العزة عما يصفون • وسلام على المرسلين • والحمد لله رب العالمين •
وكان فراغه فى ضحوة يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رمضان •
الذى انزل فيه القرآن • بعد عشر منيف • على الف شريف • مضى
من هجرة النبى عليه الصلوة والسلام • ما دامت الليالى
والايام •